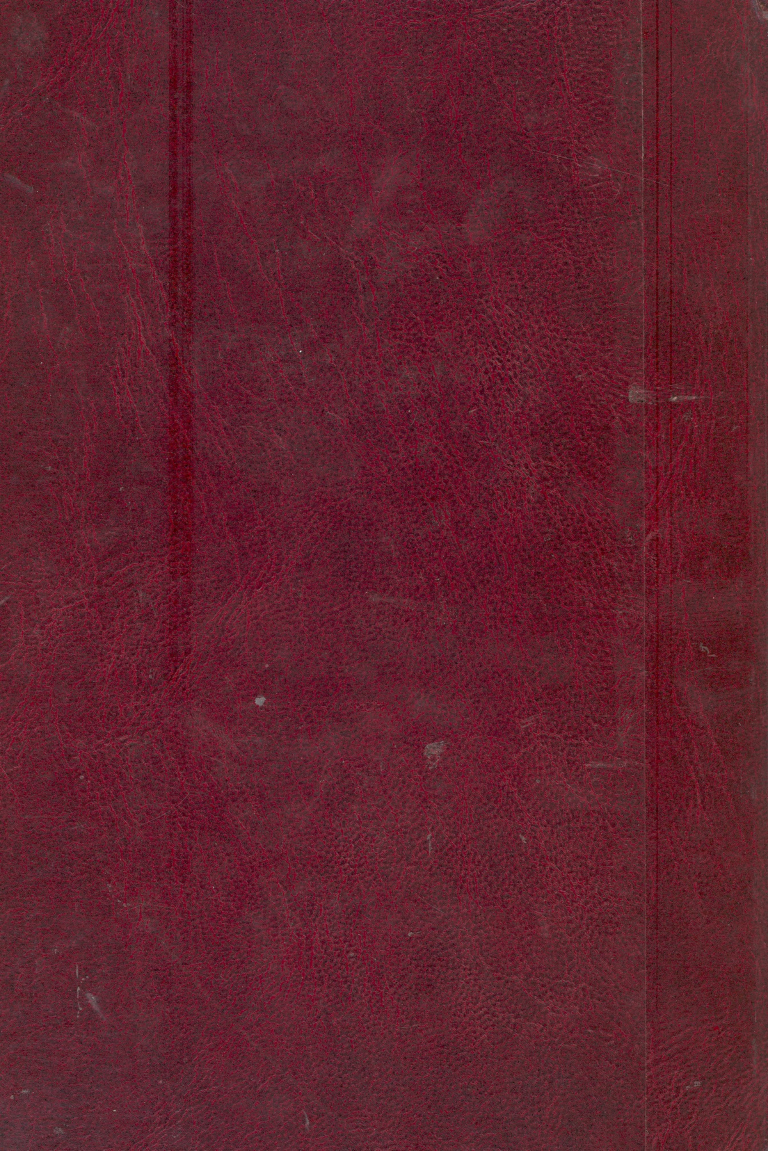


المنهل

ALMANHAL

السنة ٥٤ المجلد ٤٩ رجب ١٤٠٨هـ / فبراير ومارس ١٩٨٨م

قصة الأرض الفلسطينية

إنتفاضة حتى النصر

جولة على شاطئ بحر ايجة

استحواذ السعوديين على التقنية

- مدارات نقدية
- مساحة للغة



●● من طبيعة اليهود الأصلية أنهم قوم بُهت متقلبون لا يحبون الاّ أنفسهم ولا يقيمون وزنا لسواهم ولا يقومون بذرَّة وفاء لعقودهم وعهودهم . . الغاية عندهم تسوغ الوسيلة ومن هنا انعدمت طبيعة الامانة لديهم وانعدم خلق الوفاء لديهم وهذا ما يحدثنا به كتاب مذكراتهم المعروف ببروتوكلات حكماء صهيون وسرعان ما يقلبون ظهر المجن لكل من تفانى فى إيثارهم وفى حبهم وفى نصرهم لأن طبيعة الاثرة متمكنة من شغاف قلوبهم متحكمة فى تصرفاتهم .

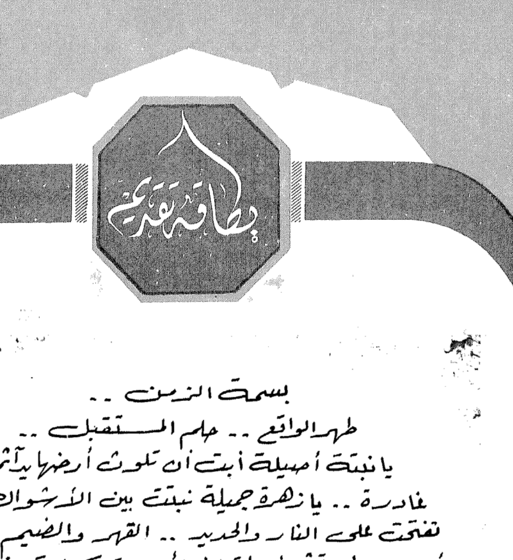
يعلم هذه الطبيعة فيهم من لا تخفى عليه خافية عز وجل وقد نص على ذلك فى كتابه العزيز الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فقال عن اليهود: «أم لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون الناس نقيرا» . . فليستيقظ العرب اذن وليفتحوا عيونهم وعقولهم وأسماعهم لكبريات الأخطار الكامنة وراء الاستار ، وليعدوا لكل المفاجآت المحتملة عدتها اللازمة ، قبل ان تقع الواقعة . . وليسلطوا كشافات يقظتهم لمعرفة ما يدور وراء الكواليس فى تل ابيب قبل ان تبتغتهم تل أبيب . . وليهتموا باعادة سهام مكر اليهود الى جعبتهم لترتد الى نحورهم من قبل اطلاقهم لها .

ان مولانا جلت قدرته قد نبه عباده المؤمنين وأمرهم بصراحة فى كتابه المبين باتخاذ خطة الحذر دائماً عندما تدلهم الأمور، ويخشى عليهم من الوقوع فى المخاطر المستترة والمكشوفة التى تحدق بهم والتى تستهدف دينهم الاسلامى الحنيف وحياتهم وتطورهم وبلادهم وأموالهم وأبناءهم ومقوماتهم فقال لهم جل من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ . . وقال مخاطباً اياهم أيضاً : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ . . وكفى بهذه الارشادات الالهية فى الدعوة الاسلامية الى اتخاذ خطة الحذر مبدأ عظيما سليما قويما والى اتخاذ خطة الاستعداد بجانب الحذر المستمر لمواجهة خطط العدو وكبح جماحه وحطم خططه ضمانا لانتشار أضواء الاسلام وكبتا لأعدائه وحطبا لألدائه ودعماً لأوليائه وأودائه .

عبد العزيز الرفاعي

ربيع الثانى ١٣٩٨هـ

دار الاصفهانى للطباعة بجدة



بسمة الزمن ..
طهر الواقع .. حلم المستقبل ..
يا نبتة أصيلة أبت أن تلوث أرضها يد آثمة
غادرة .. يا زهرة جميلة نبتت بين الأشواك ..
تفتحت على النار والحديد .. القهر والضيم ..
وأبت إلا أن تشم أوراقها نسائم حرية وكرامة .. خلعت
طفولتك ولبست الفتوة والشباب .. نسيت ضحكك
وبكاءك .. جهلك ومراحك ..
من أجلك يا طفلي الفلسطيني العظيم .. من أجلك يا بني.
النفس تتشوق والقلب ينزف ..
وحين يسيل في عروقي .. شذى الدم الطاهر
الزكي .. العين تغيم .. فأرى الحياة .. أرى الأمل
الله يرعاك .. يا طفلي الفلسطيني ..

التوقيع : أب

حقاً إنها انتفاضة حتى النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها : عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

المركز الرئيسى

جدة ـ الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
فاكسيملى:
٦٤٣٢١٢٤

مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

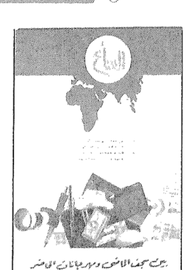
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

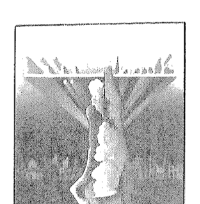
سعر النسخة

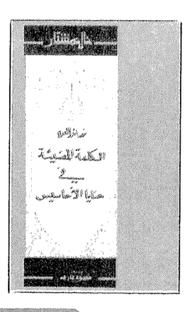
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطـر: ٨ ريـال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ١٢ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ١٠٠ قرش
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ١٠ دراهم
- موريتانيا: ١٠٠ أوقيه
- لندن: ١ جنيه

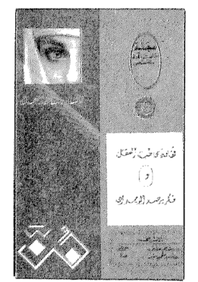
المجلة السعودية الأم

المجلات الداخلية









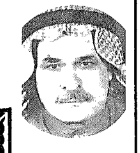
فقرات مستلة

- (الدين ـ العقل ـ الحياء ثلاثي لابد منه في تكوين الشخصية السوية . . والعقل الحلم معدن واحد . .) ص٢٨ .
- ليت اولئك المتصارعين في أمتنا حول هذه المذاهب الأدبية يدركون ان الحفاظ على تراث الامة أمر أساسي ص ٣١ .
- اذا كنا لا ننفي الصفة التكسبية التي لازمت المديح في اكثر نماذجه فان هذا لا يدفعنا الى حشر كل التراث الشعري المادح في خانة المتاجرة ونفي الابداع ص٧١ .
- كلما أظهر الفلسطينيون قوتهم وثباتهم على مبدأ العودة الى الوطن كلما نشطت الفرية التي تقول إنهم باعوا أرضهم ص ٩٨ .
- أعداء الاسلام يدركون تماماً ان القضاء على اللغة العربية واضعاف شوكتها هو قضاء على وحدة المسلمين ص١٤٩ .



سعد البواردى

- من مواليد مدينة شقراء فى السعودية
- اصدر مجلة (الاشعاع) الشهرية صدر منها ٢٣ عدداً ثم توقفت.
- صدر له تسعة مؤلفات فى الشعر والنثر ـ ولديه ١٧ مؤلفاً مخطوطا معدة للطبع
- يعمل حاليا ملحقا للشئون الاعلامية فى السفارة السعودية فى القاهرة.



محمد محمد حسن شراب

- ماجستير من معهد الدراسات الاسلامية فى القاهرة.. يعمل بالتدريس فى المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٨٤هـ واستقر فى المدينة المنورة.. له جهرة من المؤلفات منها:
- المدينة فى العصر الاموى ١٤٠٤هـ.. أخبار الوادى المبارك (العقيق) ١٤٠٥هـ.. معجم بلدان فلسطين ١٩٨٧م.. له عدة مؤلفات تحت الطبع



د. فتحي أنور الدابولي

- أستاذ مساعد بكلية التربية للبنات بجدة ـ قسم اللغة العربية.
- له مشاركات علمية عدة فى مجلة الأزهر ومجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق.

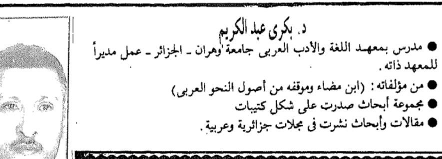
■ من اهم مؤلفاته:

- دراسات فى علم اللغة/ مقدمة فى أصوات اللغة تحقيق كتاب عقد الخلاص فى نقد كلام الخواص ـ لرضى الدين ابن الحنبلى

وكلاء التوزيع:

تهامة للتوزيع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥ ـ دار المسيرة للطباعة/ ابو





د. بكرى عبد الكريم

● مدرس بمعهد اللغة والأدب العربى جامعة وهران ـ الجزائر ـ عمل مديراً للمعهد ذاته .

● من مؤلفاته : (ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربى)

● مجموعة أبحاث صدرت على شكل كتيبات

● مقالات وأبحاث نشرت فى مجلات جزائرية وعربية .

د. على على صبح

● عميـد كليـة اللغـة العربية جامعة القاهرة

■ له من المؤلفـات ٢٣ مؤلفاً منها: البناء الفنى للصورة الادبية . . الصورة الادبيـة تاريخ ونقـد . . عمـود الشعر العربى . . المذاهب الادبية فى شعر جنوب المملكة العربية السعـوديـة . . الادب الاسلامى بين النظريـة والتطبيق . . له مساهمات عدة فى عدد من المؤتمرات اقليميا وعالميا .

د. حماد حمزة البحيرى

● دكتوراة فى النحو

● استاذ مساعد/ قسم اللغة والنحو جامعة ام القرى . . له من المؤلفات :

● أحرف الجواب فى اللغة العربية ١٩٧٤ . . اشترك فى تحقيق موسـوعـة أبى حيان النحوية (التذييل والتكميل) . . فعل الامر بين الارتجال والاقتطاع

● له مجموعة من البحوث والدراسات فى المجلات العربية .

ظبى ت : ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت : ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت ٦٣٥١٥٢ ـ العربية للوكالات والتوزيع/ المنامة ت : ٢٥٥٧٠٦

دعونا نحاول

مارست تدريس التاريخ القديم بشكل عام وتاريخ الجزيرة القديم بشكل خاص منذ ما يربو على العشرين عاما، فكان أول ما أفاجأ به هو أن الطلاب لا يميزون كثيرا بين تاريخ ما قبل الميلاد وتاريخ ما قبل الهجرة، فكنت أمضى بعض الوقت فى محاولة ايضاح الفرق بينهما زمنيا، ثم اذا ما تعمقت قليلا فى المقرر أجدهم وقد دخلوا فى مشكلة أخرى وهى عدم تمييزهم الفرق بين دول ما قبل الميلاد ودول ما بعده.

ولما تبين لى أن هذه ظاهرة تبدو واضحة بين الطلاب وحتى بعد تخرجهم تساءلت *لماذا هذا الخلط بين التاريخين؟ هل لأن الطلاب درسوا مادة التاريخ القديم خلال دراستهم لمرحلة ما قبل الجامعة فى فترة لم تصبح لديهم فيها قدرة على التمييز بين عمق تاريخ وآخر؟ أم لأنهم لم تتأصل فيهم القدرة على التفريق بين فترة زمنية وأخرى لصغر سنهم؟ أم ان ذلك لكون الطالب يعيش فى مجتمع اسلامى يعتبر ظهور الاسلام بداية لكل شىء فى حياته كلها؟*

حديث الشهر

أستاذ دكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري

وفى إحدى السنوات قررت أن أجرى تجربة أخرى وهى أن ابتعد عن الاشارة الى المصطلح التاريخى **«قبل الميلاد»** وأن استعمل مصطلح **«قبل الهجرة»** فقلت لهم ان ميلاد المسيح عليه السلام كان فى نهاية القرن السابع قبل الهجرة وأن الاسكندر المقدونى كان فى القرن العاشر قبل الهجرة وأن موسى عليه السلام كان فى القرن الثامن عشر قبل الهجرة وأن ابراهيم عليه السلام كان فى النصف الثانى من الألف الثالث قبل الهجرة، فبدأ الطلاب يتجاوبون معى واصبحوا مرتاحين لما أشرحه. وفى نهاية العام قدمت لهم تواريخ

ما قبل الميلاد وما قبل الهجرة فى قائمتين متقابلتين تشملان الأحداث والسنين فاستوعبوه بشكل مدهش.

ومرّت السنون وأنا تتفاعل فى نفسى عدة أسئلة منها: **لماذا نقول قبل الميلاد، ولا نقول قبل الهجرة؟ متى بدأ المسلمون يستعملون «قبل الميلاد؟» هل يغير استعمالنا «قبل الهجرة» مفهوما تاريخيا؟ أو هل يغير ذلك واقعا تاريخيا؟.**

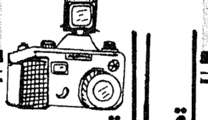
أما لماذا نقول قبل الميلاد ولا نقول قبل الهجرة ذلك لأن المؤرخين المحدثين استعملوا هذا المصطلح للدلالة على المرحلة التى بدأت منذ بدء الخليقة حتى ميلاد المسيح عليه السلام وهى مدرسة تتبع فى ذلك المدرسة الغربية التى تعتمد النصرانية دينا لها. ولذا فاننا تلقينا هذا المصطلح ضمن أشياء كثيرة أخذناها واستعملناها دون أن نحاول معرفة مدى ملاءمتها لرؤيتنا الحضارية المبنية على عقيدتنا الاسلامية التى تعتمد الهجرة النبوية منطلقا لمسيرتنا الاسلامية.

ومما لا شك فيه ان المسلمين قد بدأوا فى استعمال هذا المصطلح «قبل الميلاد» عندما بدأوا فى الاحتكاك بالغرب المستعمر لمعظم البلاد العربية والاسلامية ونتيجة للمدارس التبشيرية والدراسات الجامعية التى اعتمدت المناهج الحديثة أساسا لبحثها اعجابا وتشربا للروح الغربية المبنية على فلسفات تاريخية مختلفة، ومن هنا اصبحنا نجد فى مجتمعنا مدارس تاريخية منوعة بتنوع مصادر التلقى ومدى التأثر بالحضارة الغربية من حيث التأثر المباشر أو التأثر بالواسطة أو محاولة التقليد للمؤرخين المتأثرين بهذا المذهب التاريخى أو ذلك دون تبصر بمنطلقاتها الأساسية.

ولكن أجانب الحقيقة اذا قلت أن استعمالنا لمصطلح «**ما قبل الهجرة**» سوف يعيد الينا الشعور بأن التاريخ بالنسبة الينا سلسلة متصلة واسطة العقد فيه هجرة المصطفى ﴿ﷺ﴾ الى المدينة المنورة كما أنه الى جانب ذلك يعطى للأحداث التاريخية التى سبقت الهجرة عمقا تاريخيا نفتقده نحن العرب المسلمين حين نؤرخ بالميلاد. ففرق بين أن نقول: إن ملكة سبأ التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم كانت فى القرن التاسع قبل الميلاد أو أن نقول: انها كانت فى القرن الخامس عشر قبل الهجرة، وعلى هذا يمكن أن نربط أحداثنا السابقة للاسلام بالهجرة النبوية.

ولكن **هل يغير هذا التحول واقعا تاريخيا؟** نعم انه يغير بالنسبة لفهمنا للأحداث مرتبطةً بنا وبتاريخنا نحن العرب المسلمين. فبقدر ما تبعد الاحداث عن بداية التحول فى حياتنا بقدر ما نشعر بالتغير الذى حصل للأمم السابقة فتتجلى عظمة التوحيد فى أساس الاسلام. دعونا نجرب فنقول: أن اطسما وجديسا كانتا فى القرن الثانى عشر قبل الهجرة وأن دولة لحيان انتهت فى القرن التاسع قبل الهجرة وان دولة معين انتهت فى القرن السادس قبل الهجرة، وان مملكة كندة بدأت فى القرن السابع قبل الهجرة وأن عاصمتها الأولى «قرية الفاو» اضمحلت فى القرن الثالث قبل الهجرة وأن دولة الانباط سقطت على يد الرومان فى القرن الخامس قبل الهجرة.

لعل من ليسوا على دراية بالقضية سوف يقولون: **وماذا يعنينا من ذلك؟!!** حبا وكرامة، انها محاولة للفت الانتباه الى نقاط فى حياة كل أمة تحتاج فيها الى وقفة تأمل لعلها تتحول الى تغيير فى شخصية الأمة وفى كيانها. **فالتاريخ تاريخنا وعلينا أن نكتبه بالطريقة التى تتناسب ومنطلقاتنا الفكرية والحضارية انها دعوة للمجادلة فهل من مستجيب؟!** .



لقطات

معالى وزير الحج
يوزع الجوائز على المتسابقين



المسابقة الدولية العاشرة "للقرآن الكريم"

■ اهتمام المملكة العربية السعودية بقضايا الاسلام والمسلمين ياتى فى المرتبة الاولى من اهتماماتها بالعالم الاسلامى ومن هذا المنطلق تعمل جادة على تقديم كل ما يمكن تقديمه فى حدود امكاناتها خدمة للاسلام وابناء المسلمين.. وفى هذا الاطار من الاهتمامات الواسعة تبرز «المسابقة الدولية للقرآن الكريم» التى تستضيفها المملكة على نفقتها استضافة كاملة (تذاكر سفر - اقامة - جوائز عينية وغيرها» إكراما لحفظة القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى ودستور المسلمين.. وفى المسابقة الدولية العاشرة للقرآن الكريم التى عقدت فى رحاب البيت الحرام فى مكة المكرمة فى الشهر الماضى برزت مجموعة من الحقائق منها: ازدياد عدد المتسابقين عن الاعوام الماضية حيث بلغ عدد المتسابقين لهذا العام ٢٣٥ متسابقا.. وارتفاع مستواهم فى الحفظ والتلاوة والتفسير والاهتمام الواضح بحفظ كتاب الله وتجويده.. وقد بلغت الجوائز لهذا العام (٨٨٨) ألف ريال.. هذا وقد رعى معالى وزير الحج والاوقاف الاستاذ عبد الوهاب عبد الواسع مساء امس بقاعة التضامن الاسلامى بفندق مكة انتركونتننتال حفل اختتام المسابقة الدولية العاشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره. والاستاذ عبد الله بوقس وكيل وزارة الحج والاوقاف لشئون الحج والاستاذ حسام خاشقجى وكيل الوزارة الشئون الاوقاف وعدد من المسئولين:

وقد بدىء الحفل بالقرآن الكريم بعد ذلك اعلن الاستاذ حسام خاشقجى اسماء الفائزين التى جاءت كالتالى:

الفرع الاول:

الاول: عبد الله حواس محمد الحواس «المملكة العربية السعودية».

الثانى: مصطفى محمد محمود حسين «مصر»

الثالث: محمد صالح احمد «تشاد»

الرابع: احمد راتب صبحى علاوى «سوريا»

الخامس: حجبت الجائزة لعدم تحقق شرطها.

الفرع الثانى

الاول: يسرى محمد عبد العزيز «مصر»

الثانى: محمد الناصر عبد الله موسى «نيجيريا الفيدرالية»

الثالث: مختار احمد فنان «ليبيا»

الرابع: يحيى محمد الامير «المملكة العربية السعودية»

الخامس: محمد هيثم محمد سعيد منينى «سوريا»

الفرع الثالث

الاول: عبد العزيز اسماعيل ياسين احمد ابو الحسن «مصر»

الثانى: عبد الحليم عبد العزيز عبد الحليم «الباكستان»

الثالث: محمود محمد ديرى «سوريا»

الرابع: سفيان محمد الشاعر «المملكة المغربية»

الخامس: محمد خليفة محمد مفتاح «ليبيا»

الفرع الرابع

الاول: عثمان محمد اسلم صديقى «المملكة العربية السعودية»

الاول مكرر: عبد الوهاب جامع فارع «الصومال»

الثالث: محمد صالح بن حميدة «تونس»

الرابع: عماد محمد عبد العظيم عامر «مصر»

الخامس: مفتاح خليج قليوان «ليبيا»

الفرع الخامس

الاول: حمزة محمد حمزة عبد الواحد العاطى «مصر»

الثانى: على احمد شاهين «الامارات العربية المتحدة»

الثالث: حافظ احمد مولوى على احمد «بنجلاديش»

الرابع احمد فوزى رضوان «اندونيسيا»

الرابع مكرر: خضر محمود سيف الدين «لبنان»

ثم القى رئيس لجنة التحكيم الدولية للمسابقة الدكتور حسن باجوده كلمة ابتهل فيها الى الله سبحانه وتعالى ان يثبت حكومة خادم الحرمين الشريفين على المحجة البيضاء وان يديم عليها نعمة التوفيق على ما تقوم به من اعمال فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية وحفظ كتاب الله الكريم.



جائزة الملك فيصل العالمية

تقدير العلم والعلماء على مختلف أجناسهم ومن غير تحيّز إلا الى جانب العلم والحقيقة ظاهرة انسانية رفيعة لا يحملها إلا أصحاب المبادىء الرفيعة ومن منطلق تكريم العلماء الذين أدوا دوراً واضحاً فى خدمة البشرية بما لديهم من علم ومعارف فى الدين والمجتمع والعلوم وغيرها مما ينفع الناس ـ من هذا المنطلق كانت جائزة الملك فيصل العالمية فى فروعها الخمسة (خدمة الاسلام والمسلمين ـ الدراسات الاسلامية ـ الادب العربى ـ الطب ـ العلوم)

ونتائج الجائزة لهذا العام ١٤٠٨هـ كما أعلنها صاحب السمو الملكى الامير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس الجائزه كانت كالتالى :

فى ٢٣ جمادى الأولى ـ أعلنت اسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ١٤٠٨هـ فى فروعها الخمسة وذلك فى مؤتمر صحفى عقده لهذا الغرض صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة الجائزة.

وقد اجمعت لجنة الاختيار فى جائزة خدمة الاسلام على اختيار الدكتور احمد دوموكاو الونتو «الفلبين» لجهوده الكبرى التى بذلها فى العمل الاسلامى داخل بلاده وخارجها فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية.. كما اجمعت لجنة الاختيار فى جائزة الدراسات الاسلامية على منح جائزة هذا العام مناصفة بين الاستاذ محمد قطب «مصر» والدكتور مقداد يالجن «تركيا».. الأول لما قدمه فى كتابه منهج التربية الاسلامية من وجهة نظر تربوية إسلامية مهتديا بكتاب الله وسنة رسوله «ﷺ».. والثانى عن كتابيه «جوانب التربية الاسلامية» و«أهداف التربية الاسلامية» وقد قررت اللجنة أن يكون موضوع الجائزة للعام القادم ١٤٠٩هـ عن الدراسات التى تناولت المدينة الاسلامية.

وفى جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى أجمعت الاختيار على منح الجائزة هذا العام مناصفة بين الاستاذ محمدين شريفة «المغرب» استاذ الأدب الأندلسى فى جامعة محمد الخامس بالرباط والاستاذ الدكتور محمد يوسف على مكى «مصر» استاذ الأدب الاندلسى فى جامعة القاهرة.

وقررت أن يكون موضوع الجائزة للعام القادم عن الدراسات التى تناولت الشخصيات الأدبية فى الشعر والنثر حتى نهاية القرن الثالث الهجرى.

وفى جائزة الملك فيصل العالمية للطب اجمعت لجنة الاختيار على منح الجائزة مناصفة بين د. جانيت ديفسون راولى «امريكا» الأستاذة بجامعة شيكاغو ود. ملفن فرانسمس جريفز «بريطانيا» بمركز ابحاث سرطان الدم بلندن.. وذلك لأبحاثهما الأصيلة المتميزة فى مجال تشخيص وتصنيف امراض سرطان الدم.. كما قررت اللجنة أن يكون موضوع جائزة العام القادم هو العقم.

وفى جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم ـ منحت الجائزة مناصفة بين د. ريكاردو ميليدى «بريطانيا» ـ الأستاذ فى جامعة كاليفورنيا ود. بيير شامبون «فرنسا» الأستاذ فى جامعة باستير. وقررت اللجنة أن يكون موضوع الجائز

فاروق حسنى وزير الثقافة المصرى



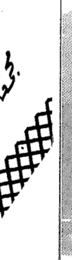
فخامة الرئيس محمد حسن مبارك

د. سمير سرحان
رئيس الهيئة العامة للكتاب.

معرض القاهرة الدولى للكتاب

المعارض الدولية للكتاب فى الأونة الاخيرة تطورت أساليبها مناهجها من حيث تقديم اكبر قدر من الافادة العلمية والادبية الثقافية منها.. وعلى هذا المستوى الشمولى جاء معرض القاهرة لدولى للكتاب فى عامه العشرين الذى افتتحه الرئيس المصرى حسنى مبارك ووزير الثقافة الاستاذ فاروق حسنى والدكتور سمير سرحان فى شهر يناير ١٩٨٨م.. والمعرض كان تظاهرة ومهرجانا علميا وادبيا وثقافيا وفنيا رائعا. حيث عقدت خلال أيامه الندوات والمحاضرات واللقاءات بين كبار الأدباء والمفكرين الذين وفدوا لهذه المناسبة من العالم العربى والاوروبى بدعوة من الهيئة المنظمة للمعرض ـ كما اقيم على هامش المعرض مؤتمر للكمبيوتر اشترك فيه سبعون عالماً من اصحاب التخصص فى هذا المجال حيث قدموا دراساتهم وبحوثهم وشارك فى المعرض ثلاث وخمسون دولة عربية واجنبية يمثلها ألف وسبعمائة ناشر. وضم المعرض أربعين مليون كتاب فى شتى فنون المعرفة.

المغرب

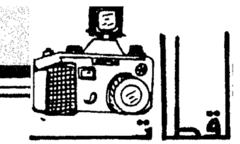


مجمعات التراث العالمي

نموذج من المعمار فى قصبة «آيت بنحدو»

المملكة المغربية تسودها أجواء متغيرة متعددة نسبة لطبيعة تكوين المتاحف والتربة من شمالية الى جنوبية ـ سهلية ام شاطئية ـ جبلية ام صحراوية.. وحسب هذا التغير فى طبيعة الارض والجو، يتغير اسلوب الحياة فى كثير من نواحيها ومنها اسلوب العمارة والبناء.. والمغرب أيضا تعاقبت عليه مجموعة من العهود والعصور مما جعل لكل عصر منها طابعه وسماته فهناك الآثار الرومانية والاسلامية اضافة الى اللمسات المعاصرة.. وسبق ان ادرجت مدينة فاس المغربية التاريخية ـ حسب قرار لجنة التراث العالمى التابعة لمنظمة اليونسكو ـ كتراث انسانى حضارى..

وتأتى قصبة (آيت بنحدو) ضمن مجموعة هذا التراث العالمى.. وهى قرية صحراوية تقع على ضفة وادى درعة بمنطقة ورزازات بجنوب المغرب المتاخم للحدود الجزائرية.. ويميز هذه القرية انها تشكل ملخصاً ايجابيا لكل تقنيات البناء المستعملة فى هذه المناطق التى تسودها الحرارة المفرطة وتجتاحها العواصف ولذلك جاء اسلوب عمارتهم مناسباً لطبيعة حياتهم وطبيعة أجوائهم.



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب



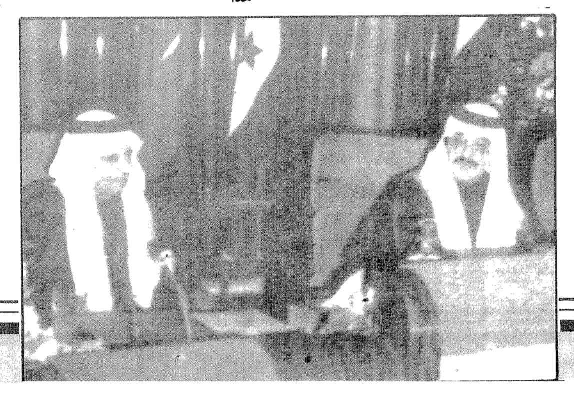
الرياض - خلال الفترة من ١٥ - ٢٢ جمادى الثانية ١٤٠٨م
الموافق ٣ - ١٠ فبراير ١٩٨٨م

مهرجان الشعر .. في مرابع الشعر

الحرف العربى . . الكلمة العربية عبر تاريخها الطويل وعبر مسيرتها الطويلة فى أعماق ذلك التاريخ حفرت فى ذاكرة الانسان العربى وقع خطوها ويظل هذا الوقع يتردد صداه فى أعماق الانسان العربى . . تظل نفسه تحتضن الكلمة العربية فى فرحها وحزنها - فى حربها وسلمها - فى حبها وغضبها - فى لينها وقوتها - فى خشونتها ونعومتها . . ونزل بها الروح الأمين وعاء لقرآن رب العالمين ومنهج الحق . . ومن هنا تبلورت الكلمة شيئا آخر وخلقا آخر . احتضنت المنهج بكل محتوياته وتفاصيله ودقائقه تهدى السبيل وتنير الطريق .

وعندئذ تضاعفت مسؤولية الكلمة وتنامت مسؤوليتها يوماً فيوما . . وجاء حاملوها ليحملوها ومعها المنهج بكامله . . إذن الكلمة أمانة . . وهذه هى المسؤولية العظمى . . أمانة الكلمة . . أمانة التوجيه . . فى القصيدة - فى القصة - فى المسرحية - فى كل ما تحمله الكلمة . . وتتعاقب وتتداخل وتتلاحق . . وتختلط الامم والشعوب وتتناقل الاجيال افكارها وفلسفاتها . . ورغم كل هذا التداخل تبقى الكلمة النيرة - الكلمة المنهج - ممشوقة القوام كالرمح تدافع عن منهجها لتظهره . . الكلمة تحمل القرآن الكريم دستور الانسانية المؤمنة . . تحمل السنة المطهرة . . تحمل البلاغة والابانة . . وفى هذا الميدان تحمل القافية ناصعة تحدو ركبها الكلمة الناصعة فى الخير والعدل والاحسان . . فى اصلاح الحياة والمجتمع . .

وفى ربوع المملكة العربية السعودية أقيم المهرجان الاول للشعر العربى فى دول الخليج الغربية - فى عاصمتها الرياض - كانما ذاكرة التاريخ قد اطلقت مجالس الصدى المجلجل فى آفاق الجزيرة العربية لتسترجع الذاكرة تلك الأصوات التى حفظت لنا الكلمة العربية ندية جميلة رقيقة . . قوية مناضلة . . هادئه حكيمة مبشرة . . حفظت لنا الكلمة عبر كل الأجيال . . عبر كل العصور . . من العصر الجاهلى مرورا بصدر الاسلام - الاموى العباسى - المملوكى - ثم عصر الاحياء فعصرنا هذا . . وإن كانت الذاكرة تسترجع تلك الاعصر الجميلة للكلمة الجميلة فلما لها - أى الكلمة - من أسر وحس ومن كل هذا



فنحن العرب لنا مناهجنا ترفدها عاداتنا وتقاليدنا ومثلنا . . ويرفدها تاريخ طويل . . طويل ضارب فى اعماق النفس العربية لا فكاك منه . . وفوق هذا كله وقبله لنا منهج حياتنا فى شريعتنا الاسلامية السمحة . . وهذا فى مجموعه يمثل مرتكز التحرك عندنا مع الافادة الواعية الذكية مما يترى ويفيد من غيرنا .

ويؤكد هذا الاطار ما ذكره صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ورئيس اللجنة العليا المنظمة لمهرجان الشعر فى دول الخليج العربى ويلخص مهمة هذا فى المهرجان فى نقاط اهمها :

سمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

أ ـ انه تظاهرة ثقافية تخدم الادب العربى ابداعا وطرحا فكريا اذ ان اختيار دول الخليج لنخبة من شعرائها ، ودعوة بعض الادباء والمختصين والنقاد لحضوره والمشاركة فيه بما يقدمونه ، وما يدور من مناقشات ستترك باذن الله اثرا ينعكس ايجابيا على الحركة الادبية .

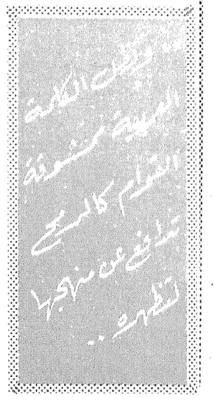


عبد الله الشهيل الامين العام للمهرجا

ب ـ الاهتمام بالتراث لا شك أنه مؤشر على الوعى بتأثيره القوى من التفكير وعندما يتأثر التفكير بالتراث حتما سيكون قادرا على التمييز وحسن اختيار الافضل والانسب ، والشعر كان ديوان العرب ولازالت مكانته كبيرة وله اثره الانسانى فى كل مكان وزمان .

ج ـ المهرجان إقامته تتمشى مع اغراض التواصل الثقافى فى دول الخليج واجتماع مجموعة من ادبائنا ومفكرينا واحد سيوثق صِلاتهم ويتيح الفرصة لهم للتدارس والتعارف .

وقال ان المملكة باستضافتها لمثل هذه المناسبات فانها بذلك تنطلق من مسئوليتها الاسلامية والعربية والخليجية لكونها مهبط الوحى ومهد الفصحى والبلد التى ترجع اليها جذور العرب فى جميع اقطارهم وهى بقيادة راعى نهضتها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وسمو ولى عهده الامين دائما تستجيب الى ما فيه نفع وصالح الامة العربية والعالم الاسلامى والتعايش السلمى والتعاون بين مختلف امم الارض



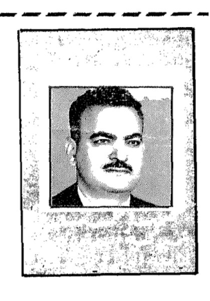
وهذا المهرجان يأتى فى اطاره من الخطة الثقافية العربية المشتركة . . وياتى فى اطاره من حيث توحد الجهد الثقافى العربى . . وبمناسبة انعقاد هذا المهرجان فانا نهنىء كل فعالياته والقائمين عليه . . آملين ان يكون شعرنا العربى عربيا ـ لساناً ومنهجاً وآمالا . . وطموحاً عربياً اسلاميا .

المنهل

الإسلام

دين عالمي

بالموعظة الحسنة



كتب الكاتبون، وعلّق المعلقون على من كتبوا حول عروبة الإسلام وأنه دين العرب، وأكتب اليوم في هذا الموضوع لعل ما أكتبه يريح نفوساً ويطمئن قلوباً، فيهدأ الثائرون، ويعود إلى ربهم الشاكّون والمستريبون ..

كان الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ عربيا يفهم لغات العرب ويعبر بلهجاتهم وقد قال له عليٌّ كرّم الله وجهه: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم الناس بما لا نفهم أكثره فقال: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى وربيت فى بنى سعد». . ونزلت رسالته قرآنا عربيا لا عوج فيه **﴿ولو جعلناه أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾** (سورة فصلت: ٤٤). . ويؤيد هذا قوله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** (التوبة: ١٣٨).

وقال جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى «وقال المغيرة بن شعبة مثله لرسول كسرى»: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدق أمانته وفى معنى (من أنفسكم) لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ويعز على الرسول الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها لأنه بعث بالحنيفية السمحة. (تفسير ابن كثير). . ويؤيده كذلك قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾** (سورة ابراهيم: ٤).

قال العلامة ابن كثير: هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم. كما رواه أحمد عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: لم يبعث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه.

وكان من سمع الدعوة من المشركين يتأثر بها أيما تأثر لأنه يفهم بلاغة القرآن ويروعه أسلوبه بقوة تأثيره

وطريقة نظمه وربما كان يتقدم خطوات إلى الاسلام كالوليد بن المغيرة الذى وصف القرآن الكريم أبلغ وصف، ولما ضيق عليه المشركون قال: «إن هذا إلا سحر يؤثر» وما موقف عمر وقصة إسلامه عنا ببعيد. وسماع القرآن جعله يوافق على الاسلام بعد مخالفة وينضوى تحت لوائه بعد عناد.

ثانياً

وفى القرآن فى بعض السور الطوال والمفصل والقصار آيات مدنية تبين عموم الرسالة المحمدية وتخاطب من يتأتى خطابه من الناس وهى قوله تعالى فى سورة التوبة (٣٣): ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.

والمراد بالدين كله سائر الأديان، ويؤكد هذا قول الرسول ﴿ﷺ﴾: «إن الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها» وعن تميم الدارى قال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: «ليبْلُغَنَّ هذا الأمرُ (الاسلام) ما بلغ الليل والنهار ولا يترك اللهُ بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر».

فكان تميم الدارى يقول: قد عرفت ذلك فى أهل بيتى، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية وفى آية سورة الفتح/٣٨: ﴿هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾.

ومعنى الهدى ودين الحق: العلم النافع والعمل الصالح (ليظهره على الدين كله) أى على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومسلمين ومشركين. (وكفى بالله شهيدا) أى أنه رسول وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم (ابن كثير) والآية الثالثة فى سورة الصف: ﴿وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (٨) وقبلها الآية ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٧).

وهى تأكيد لما ذكر فى سورتى التوبة والفتح: وهناك الآية: ﴿قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض﴾ (الأعراف ١٥٨).

●● فالخطاب هنا عام للناس، ويقول الامام ابن كثير: وهذا من شرفه وعظمه ﴿ﷺ﴾ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث الى الناس كافة كما قال الله تعالى: ﴿وأوحى إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به ومَنْ بلَغ﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقال تعالى: ﴿وقل للذين أوتو الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾.

●● وفى الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: أعطيت خمسا لم يُعْطهُنَّ نبىٌّ قبلى، ولا أقوله فخرا «بُعثْتُ الى الناس كافة الأحمر والأسود، ونُصرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى وجُعلَتْ لى الأرض مسجدا وطهورا وأُعْطيتُ الشفاعة فأخرتها لأمتى يوم القيامة فهى لمن لا يشرك بالله شيئا».

■ وفى سيرة ابن هشام: وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبىٍّ بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لمحمد ﴿ﷺ﴾ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري (أى ثقل ما حملتكم من عهدى) قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (سورة آل عمران ١٨) فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين.



لأن الدين الإسلامي لجميع الناس عربهم وعجمهم .. أسودهم وأحمرهم .. أرسل الرسول محمد ﷺ رسله بكتبه إلى ملوك الفرس والروم وعظماء من يجاورونه

ثالثاً وما دام الأمر عاما لجميع الناس عربهم وعجمهم أسودهم وأحمرهم نجد أن الرسول ﴿ﷺ﴾ أرسل رسله بكتبه إلى ملوك الفرس والروم وعظماء من يجاورونه . . فقد أرسل الى هرقل وكسرى والنجاشى وعلى بن هوذة الحنفى والمقوقس وابنى الجلندى . . ولو كان الاسلام خاصا بالعرب لما أرسل كتبه الى هؤلاء وغيرهم ولما شغل نفسه أو أحدا من أصحابه بالذهاب الى هؤلاء يدعوهم الى الاسلام وإن تولوا كان على هؤلاء الملوك والرؤساء آثام أقوامهم .

كتابه الى هرقل : *وقد أورده البخارى: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين (الفلاحين) ﴿يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ وثبت أن هرقل جمع عظماء الروم وقال لهم: هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى؟ ولكنهم حاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ووجد نفسه فى مأزق مع هؤلاء الأساقفة فقال: ردوهم علىّ وأراد أن يرضيهم فقال: إنى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت . . فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .*

●● ومما كتبه الى على بن هوذة الحنفى : «واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر» وقال لابنى الجلندى: «وتظهر نبوتى على ملككما» .

رابعاً وأرسل رسله ممن اتبعوا دعوته الى الدول المجاورة فقد أرسل معاذ بن جبل الى اليمن وقال له بم تحكم؟ قال: بكتاب الله . قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله . قال فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأى وأؤامر جلسائى (أى أشاورهم) فكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه طريقة الحكم والعبادات والمعاملات الاسلامية ويبث فى نفوسهم تعاليمه ويدعوهم الى عبادة إله واحد لا شريك له .

خامساً شهادة أهل الكتاب والمشركين له من الملوك والعظماء . . ولذلك أمثلة وردت فى البخارى وسيرة ابن هشام .

[١] روى أن عبد الله بن عباس أخبره أبو سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش (صلح الحديبية) فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم (فسأل هرقل وفد العرب التجارى بقيادة أبى سفيان (مع ملاحظة أن أبا سفيان كان على الشرك وأن هرقل رئيس النصارى وملكهم وعالمهم الدينى بالشام) فقال هرقل (عن طريق ترجمانه): أيكم

أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا (ثم أدناه منه وجعل أصحابه خلفه من المشركين صفا وقال لترجمانه: قل لهم إنى سائل هذا الرجل، فإن كذبنى فكذبوه ويقول أبو سفيان ما معناه: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا (ينقلوا) عنى كذبا لكذبت عنه ثم وجه هرقل هذه الأسئلة:

● كيف نسبه فيكم؟

■ أبو سفيان: هو فينا ذو نسب

● فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

■ أبو سفيان: لا

● فهل كان من آبائه من ملك؟

■ أبو سفيان: لا

● فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

■ أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

● أيزيدون أم ينقصون؟

■ أبو سفيان: بل يزيدون

● فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

■ أبو سفيان: لا

● فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

■ أبو سفيان: لا

● فهل يغـدر؟

■ أبو سفيان: لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها.

● فهل قاتلتموه؟

■ أبو سفيان: نعم

● فكيف كان قتالكم إياه؟

■ أبو سفيان: الحرب بيننا سجال وينال منا وننال منه

● ماذا كان يأمركم؟

■ أبو سفيان: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

ثم علق هرقل على هذه الاجابات بما يؤكد دعوة الرسـول ثم قال: فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين.. وقد كنت أعلم أنه خارج.. لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

وأراد هرقل بهذه الأسئلة أن يستشف العلامات التى كان يراها مصاحبة لنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ بدليل قوله «وقد كنت أعلم انه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه» وفى رواية ابن اسحاق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال: ويحك: والله إنى لأعلم أنه نبى مرسل ولكنى أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لاتبعته.

فالتمسك بالدنيا وحب الرياسة والأموال حال بينه وبين الاسلام..

[٢] *أبو سفيان بن حرب ـ وقد كان مشركا ـ خاف على نفسه أصحابه أن يكذب على الرسول ﴿ﷺ﴾ ولكنه كان يريد أن يغمز ويشكك فحين قال لهرقل: «ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعـل فيها؟ قال: ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة أى التشكيك فى قوله: «لا ندرى ما هو فاعـل فيها» وقال حين علم أن العرب يختتنون: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر وكان أبو سفيان عند هرقل حين حاص الأساقفة غير موافقين هرقل وأخرج هو وأصحابه حينئذ قال: «لقد أمر (عظم) أمر ابن أبى كبشة إنـه يخافـه ملك بنى الأصفـر (الـروم) فمازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علىّ الاسلام.*

وهـذه شهـادة من مشـرك يعظم أمر النبى ﴿ﷺ﴾ ويشهد أن ملك الروم يحسب حسابه ويخافه على ملكه.

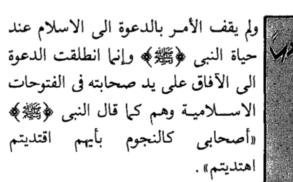
وأضيف الى ذلك أن أبا طالب عثر على محمد

﴿ﷺ﴾ وعلى ابنه وهما يصليان فى شعاب مكة فقال لمحمد: يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال: أى عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم (أو كما قال صلى الله عليه وسلم) بعثنى الله به رسولا الى العباد، وأنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابنى اليه وأعاننى عليه.

وانظر الى التعبير: بعثنى الله به رسولا الى العباد ولم يقل إليك أو الى العرب وصدق الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

[٣] *ويروى ابن هشام فى سيرته أن المسلمين حين اضطهدوا بمكة من قريش ورأى النبى ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فهاجر المسلمون وذهبوا الى الحبشة وأرسلت قريش من خلفهم عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاصى وقالا للنجاشى: «أيها الملك إنه قد لحق إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم.. ولكن بطارقة النجاشى وهم حوله (وقد أخذوا هدايا قريش) صدقوا كلامها ولكن النجاشى غضب ثم قال: لا ها الله إذا لا أسلمهم إليهما حتى أدعوهم فأسألهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى. ثم أرسل الى المسلمين (وقد دعا النجاشى أساقفته) فسألهم عن الدين ودعوتهم الى الاسلام وما أمرهم به وما نهاهم عنه.*

■ ورد عليه جعفر بن أبى طالب أبلغ رد ثم طلب منه النجاشى أن يقرأ عليه شيئا مما جاءهم به محمد بن عبد الله فقرأ عليهم أول سورة (كهيعص) أى سورة مريم فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة (طاقة نور) واحدة ثم قال لرسولى قريش: انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما.. وفى بعض الروايات أن النجاشى أسلم بدليل أنه لما مات وبلغ خبر موته النبى ﴿ﷺ﴾ صلى عليه واستغفر له.. وفى هذا اعتراف بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ثم كان من الرسول تكريم لمن كرم المسلمين.



ولم يقف الأمر بالدعوة الى الاسلام عند حياة النبى ﴿ﷺ﴾ وإنما انطلقت الدعوة الى الآفاق على يد صحابته فى الفتوحات الاسلامية وهم كما قال النبى ﴿ﷺ﴾ «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

فكانت فتوحات الفرس والروم ومصر وبرقة وغيرها ودان أهل هذه البلاد أو أغلبهم للاسلام ودانوا للغته يتعلمونها لتساعدهم فى فهم هذا الدين وأوامره ونواهيه وعبادته وأنواع السلوك الانسانى السليم.

ووصل الاسلام فى أقل من قرن من الزمان ما يقرب من نصف العالم القديم والسند على يد محمد بن قاسم والأندلس على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد ومن هنا نصل الى أن الاسلام دين عالمى لا عربى فقط وكل يوم يدخل فيه الناس أفواجا.. والمراكز الاسلامية فى العالم الاسلامى يفد إليها كثير من أبناء الدول الأوروبية والأمريكية سعيا لاعتناقه والعمل بمبادئه ولا شك فقد كان للترجمة والمترجمين أثر كبير فى الدعوة الى الله ووضح هذا فى ترجمان هرقل مع أبى سفيان وترجمان النجاشى مع العرب مسلمين ومشركين.

قيمة الطاعة في الاسـلام

بقلم

سامي بدرخان

يثبت التطور البشرى وتطور العلاقات بين الناس ان القيم الاخلاقية جميعها بما فيها الطاعة قديمة قدم الانسانية نفسه ولا يختص بها جيل من الأجيال أو تراث قومى معين. . فهى شاملة لكل المجتمعات البشرية ولسائر الحقب التاريخية. لكن هذه القيمة لها محددات معينة فى العقيدة الاسلامية وصفات خاصة فى التراث الاسلامى فهى جزء لا يتجزأ من القانون الاخلاقى الالهى الذى ينظم سلوك الافراد والجماعات فى الكون كما أنها تستند الى قاعدة التوحيد فى الاسلام، وتتوزع الطاعة فى الاسلام وفق الاحداثيات التالية:

- ***طاعة المخلوق البشرى للخالق.***
- ***الطاعة بين المخلوقات البشرية.***
- ***الطاعة بين الانسان ونفسه***

علما بان الطاعتين الاخيرتين تصبان فى مجرى الطاعة الاولى ضمن تطبيقات الخضوع للأوامر الالهية.

ان قيمة الطاعة بين الانسان ونفسه تحددها عملية جهاد النفس على اساس القاعدة القرآنية التى وردت فى الآية الكريمة ***﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾*** *فإلهام الفجور وتغلبه على التقوى فى النفس البشرية هو نوع من مواكبة الخضوع الذليل لمطالب النفس الامارة بالسوء ـ طاعة النفس الشريرة. . وبمعنى آخر سيطرة نوازع الشهوة على العقل، اما تغلب الهام التقوى على الفجور فيعنى تمرد العقل على نوازع الشهوة وانتصاره عليها فيلتقى هذا التمرد مع النوع الاول من الاحداثيات أى مع طاعة المخلوق للخالق ويصب فى مجرى الطاعة الايمانية وبهذا المعنى اعتبر رسول الله ﴿ﷺ﴾ جهاد النفس جهادا أكبرا لان انتصار سلطان العقل على الشهوة يحقق بحد ذاته قيمة الطاعة للخالق من قبل المخلوق وهذا الانتصار يمهد للانتقال من جهاد النفس ـ الطاعة بين الانسان ونفسه ـ الى الطاعة بين المخلوقات البشرية. الى جهاد الانسان مع الآخرين أو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر. وتلخيصا لما ذُكر يمكننا القول بان احداثيات الطاعة وفق التوزيعات الثلاثة السابقة تتمايز عن بعضها كما يلى:*

- ***طاعة المخلوق للخالق لها اتجاه واحد من المخلوق لخالقه فقط.***
- ***الطاعة بين المخلوقات البشرية وفى خضم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية وغير ذلك يمكن أن تأخذ اتجاهات مختلفة متوافقة أو متعاكسة بما يحقق قيمة الطاعة فى النهاية ضمن القانون الالهى ومتطلباته.***



قيمة الطاعة بين الانسان ونفسه فلها اتجاه واحد هو خضوع الشهوة لسلطان العقل فى النفس البشرية عن طريق ترويض الانسان لنفسه على ممارسة افعال الخير والابتعاد عن افعال الشر وهذه ايضا ترفد مجرى التطبيق الالهى لقيمة الطاعة وفق السنن الكونية.

ان دراسة موقف الفرد والجماعة البشرية فى زمان ومكان معينين من تطبيقات قيمة الطاعة على السلوك الفردى والجماعى فى العلاقة مع الذات ومع الآخرين هى الجانب الأهم فى بحثنا هذا. نظرا الى أن بعض الأقلام المشبوهة تحاول أن تنال من قيمة الطاعة كصفة أخلاقية مستهدفة بذلك المفاهيم الاخلاقية الاسلامية داعية الى التمرد وكيفما اتفق، التمرد على كل شيء واضعة الخير والشر فى وعاء واحد، مخصصة التراث العربى والاسلامى بالنقد محملة اياه وزر انحراف هذه القيمة عن وظيفتها الطبيعية فلابد فى هذه الحالة من معرفة دور هذه القيمة فى التطبيق الاسلامى لأن الأخير يشغل المساحة الحضارية الكبرى فى خير التاريخ العربى وتاريخ الشعوب الاسلامية غير العربية.

لقد ميزت العقيدة التوحيدية الاسلامية نظرية وتطبيقا بين الطاعة التوحيدية وهى الخضوع لأوامر الله عز وجل وتنفيذها عن قناعة ورضى وبين الخضوع الجاهلى الذى يتمثل فى التذلل لغير الله عز وجل وفى تنفيذ ايحاءات المنافقين.

لقد أمرت العقيدة التوحيدية المؤمنين بالطاعة الاولى ونهتهم عن الطاعة الثانية فحثت المؤمنين على التسليم بالعبودية للخالق طوعاً أو جبراً وأوجبت عليهم بالمقابل رفض عبودية الاصنام المادية والبشرية وقد ورد الحث الالهى على الطاعة الايمانية فى قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعُوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى الأمرِ منكم فإن تنازعتُمْ فى شيء فرُدوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا**﴾.

البيان الالهى فى هذه الآية الكريمة على سبيل الطاعة الواجبة على المؤمن وهى لله ولرسوله ولأصحاب الأمر شريطة أن يأمروا بطاعة الله ورسوله أى أن يستمدوا ممارساتهم فى الحكم والتوجيه من شريعة السماء والسنة النبوية الشريفة.. وبمعنى آخر أن يلتزموا حدود الله فى الطاعة القائمة على الحق وأن يجتنبوا الرضوخ المبنى على الباطل.

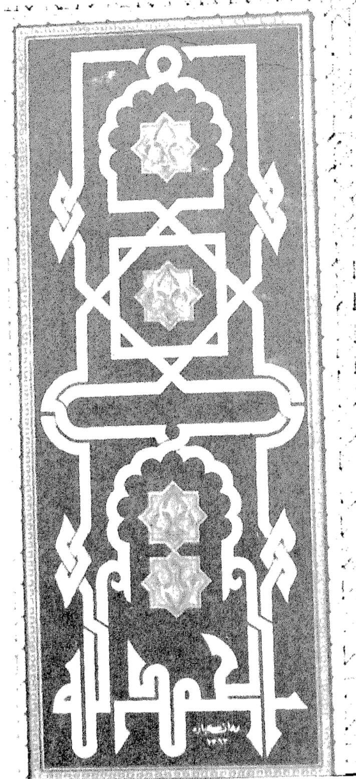
أما الخضوع الجاهلى المتولد عن العقائد المادية الوضعية فقد كان على رأس الأسباب المؤدية لتخلف المسلمين وتراجعهم واستسلامهم أمام التحديات. فالطاعة القائمة على الحق تراجعت أمام هيجان الخضوع المستند الى الباطل الذى رافق التجزئة والانقسام فبدأ انسحاب القيم الأخلاقية الاسلامية أمام تقدم أساليب المناورة والمداهنة والنفاق والازدواجية واللف والدوران.

●● ومن العوامل التى أدت الى تخاذل المسلمين فى بعض الاحوال: الجهل وانعدام الوعى وضعف الشعور بالمسؤولية واليأس. فالجهل هو السبب الرئيسى للاستسلام فالانسان العربى فى بعض المجتمعات يعانى من انحطاط فى مجال العلم والثقافة

امام التيارات الثقافية الأوربية هذه التيارات التى اجتاحت الخطوط الدفاعية لمعقل الثقافة الاسلامية وأتت على بنيانه الفكرى ولا يزال مفعولها يهدم فيه ليردم ابتكارية وابداعية تراثنا. وما كانت هذه الموجات والتيارات الهدامة لتنجح فى هدمها لولا غياب الوعى ولولا المرض العضال الذى ألمّ بالنفسية الاسلامية.

هذه الامور مجتمعة تراكم اليأس القاتل من امكانية التغيير وتولد فى النفسية الاسلامية نوع من القصور الذاتى وخور العزيمة فتبلورت لديها شدة الخوف، وهنا يكمن الخلل وتعشش الرذيلة. فالرذيلة وليدة الانحلال والتفسخ وليست وليدة الطاعة، ان طاعة الابناء لآبائهم والزوجات لأزواجهن والتلاميذ لمدرسيهم فضيلة كبرى من الفضائل إذا كانت مبنية على الاحترام المتبادل وحرية ابداء الرأى المخالف وضمن اطار الرضوخ للحق، ان الطاعة من منظور اسلامى اكثر تقدمية من التمرد العشوائى الذى تضج به المجتمعات الغربية حيث يتنكر الأبناء لآبائهم وكثير من الزوجات لأزواجهن وبالعكس.

نرى أن السبيل الوحيد لتصويب القيم الاخلاقية فى التطبيق العملى هو الجمع الخلاق بين مبدأ الأخذ بالرأى والطاعة الملتزمة تماماً كما فعل المصلحون فى التاريخ فهؤلاء شقوا عصا الطاعة على الانحراف والطغيان ولم



يتمردوا على مبدأ الطاعة كقيمة سلوكية ضرورية.

ان تأكيد العبودية لله سبحانه فى النفس الانسانية يمكنها من الانتصار والتغلب على مساوئها وآثامها فى نطاق جهاد النفس وممارسة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى اطار العلاقات الاجتماعية وتقديم واجبات الطاعة المطلقة للخالق (عبر الاستقامة والالتزام والصبر والاخلاص) فى العبادات والمعاملات.



الكتابة العربية وتاريخها



بقلم الدكتور
فتحي أنور الدابولي
أستاذ مساعد - كلية التربية للبنات
- جدة -

تمهيد:

إن الكتابة والخط من أضخم الانجازات التى عرفتها البشرية والتى تعد من الضروريات التى عرفها الانسان متأخرا بعد أن عرف أشياء أخرى كالأكل والشرب والكلام. . وعندما تكاثر الانسان واتسعت علاقاته اضطر الى الكتابة لمخابرة جاره أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره(١).

ومن أهمية الكتابة للانسان «نقل المعانى والافكار من مكان الى مكان عبر السنين» وتسجيل الأحداث التى تمر بها البشرية منذ وجود الانسان ليستفيد بها فى حاضره ومستقبله.

وللكتابة طريقتان رئيسيتان

١ - الطريقة التى تعبر عن الفكرة بصورة أو رمز وهى أول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة فقد يرمز للمحبة بالحمامة وللبغض بالحية وفى هذه الحالة لا توجد رابطة بين الأصوات المنطوقة والرموز المكتوبة.

٢ - أما الطريقة الثانية فتعرف بالطريقة الأبجدية المقطعية وتمثل الرموز المكتوبة أصوات اللغة المنطوقة ومن هذه الطريقة جاء الدور الهجائى التى أصبحت فيه تلك المقاطع حروفا وهى آخر خطوة بلغتها الكتابة حتى الآن. فبعدد من هذه الحروف تستطيع أن تعبر عن كل ألفاظ اللغة مهما تعددت وتنوعت(٢).

والكتابة العربية قدمت للإسلام أعظم الخدمات وأجلّها فقد كان هناك كُتّاب للوحى يدونونه حتى لا يتطرق إليه التحريف والشك وكان للرسول ﴿ﷺ﴾ سفراء يحملون رسائله وكتبه إلى الملوك والأمراء فساعد كل ذلك على تدعيم الاسلام له فى الأرض وسرعة انتشاره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا(٣).

نشأة الخط العربي

الخط العربي توقيف:

يروى أن أول من كتب الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم - عليه السلام - قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل



قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسماعيل عليه السلام الكتاب العربى.

وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربى اسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه. والروايات فى هذا الباب تكثر وتختلف والذى نقوله فيه: إن الخط توقيف وذلك لظاهر قوله ـ عز وجل ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق، اقرأ وربُّكَ الأكرُم الذى علَّم بالقلم، علَّم الانسان ما لم يعلم﴾ (سورة العلق١ـ٥) وقال جل ثناؤه ﴿ن. والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١) وإذا كان كذلك فليس ببعيد أن يُوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب(٤).

أقوال أخرى:

ونقل السيوطى فى المزهر عن العسكرى فى الأوائل أن؛ أول من وضع الكتاب العربى اسماعيل ـ عليه السلام ـ وقيل مرامربن مرة وأسلم بن جدرة وهما من أهل الأنبار. وقيل أول من وضعه أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوكا فسمى الهجاء بأسمائهم. كما نقل السيوطى أقوالا أخرى مشابهة لما سبق، منها أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلمها من أهل الحيرة عن أهل الأنبار. ومنها عن الامام أحمد بن حنبل فى مسنده أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: ان أول من خط بالقلم إدريس ـ عليه السلام(٥).

تعقيب:

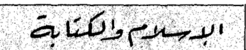
النصوص السابقة يدل بعضها على أن الخط كله ومنه العربى توقيف أى علمه الله ـ عز وجل ـ للانسان كما تدل بعض النصوص السابقة على أن الخط من وضع الانسان ابتداءا ولكن الأرجح فى رأينا أن أصل الخط توقيف من الله ـ عز وجل ـ لظاهر قوله تعالى: ﴿**الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم**﴾ (سورة العلق: ٤، ٥) أى علم الخط بالقلم وعلم الانسان ما لم يعلم من الكتابة واللغة وغير ذلك(٦) ثم تطور الخط وتنوعت أشكاله وأدخلت عليه التحسينات المختلفة حتى وصل إلينا فى صوره الحالية وسيظل الخط فى تطور وتقدم مع تطور الانسان وتقدمه.

كيف عرف العرب الكتابة

الكتابة من الفنون الحضرية وكان العرب ـ قبل الاسلام ـ أمة يغلب عليها طابع الأمية ولم يُؤثر عنهم فى بيئتهم الأولى فى (الجزيرة العربية) ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة إلا قبيل الاسلام.

وقد اقتبس العرب الكتابة من الأمم التى جاورتهم مثل: حمير فى اليمن الذين كانوا يكتبون بالخط «المسند»(٧) والأنباط فى الشمال الذين كتبوا بالخط النبطى وذلك عن طريق الرحلات التجارية ـ قبل الاسلام ـ جنوبا الى اليمن وشمالا الى العراق والشام(٨).

وعلى كل حال فإن العرب تعلموا الخط النبطى من حوران أثناء تجارتهم الى الشام كما تعلموا الخط الكوفى(٩) من العراق قبيل الاسلام بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام وكانوا يستعلمون الكوفى لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية والنبطى لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية(١٠).



للاسلام الدور الهام فى نهضة الكتابة وتقدمها فحث على تعلم الكتابة وآية ذلك ما حدث فى أسْرى بدر حيث جعل الرسول ﴿ﷺ﴾ فداء الواحد منهم أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ـ كما كان «كُتّاب الوحى هم أقرب الناس الى نفس الرسول ﴿ﷺ﴾ ـ ولا غرو فالكتابة هى الوسيلة الوحيدة لتدوين كلام الله وأحاديث رسوله والتدوين هو وسيلة البقاء»(١١).

وقد جاء الاسلام والكتابة معروفة فى الجزيرة العربية ولكنها كانت قليلة والذى يعرف الكتابة ـ آنذاك ـ كان عددا محدودا أكثرهم من كبار الصحابة ومنهم على بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان بن عفان، وأبو سفيان بن حرب وولده معاوية.

ومن هؤلاء وغيرهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن.

وقد كتب القرآن بالخط الكوفى أيام الخلفاء الراشدين وبنى أمية(١٢).

تطور الكتابة العربية

أن الكتابة العربية قد أخذت فى تطورها مراحل متعددة بما يتناسب مع استعداد العربى وإمكاناته وسواء فى ذلك كتابة النقوش والآثار على جدران المعابد والهياكل وغيرها أم كتابة اللغة فى صورتها الأولى غير منقوطة ولا مشكولة ثم تطورها بعد ذلك الى الصورة التى نراها عليها ـ الآن.

ومن المُسلَّم به أن الخط العربى ترجع أصوله إلى الخط النبطى الذى كان منتشرا فى شمالى الجزيرة العربية أى فى الحيرة والأنبار وغيرهما قبل مجيىء الاسلام.. والنبطيون قوم من الساميين كانوا يتكلمون لهجة آرامية وقد اشتقوا خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقى فقد وضع الفينيقيون ـ وهم من الأقوام السامية القديمة ـ نظاما من الرموز لأبجديتهم(١٣) ورثها عنهم بعض شعوب العالم القديم بعد أن أحدثوا فيها بعض التغييرات على مر الزمان(١٤).

وقد قيل إن الخط الفينيقى كذلك مأخوذ من الخط الهيروغليفى للمصريين القدماء(١٥).. وكانت الكتابة العربية فى أول أمرها على صورة نقوش وآثار تخلو من النقط والشكل وقد يؤدى ذلك الى التحريف أو التصحيف أو الابهام.. فلما جاء الاسلام وكتب القرآن الكريم بالخط العثمانى(١٦) كان ذلك الخط خاليا من الضبط والشكل معرضا للحن والتحريف.. فقام العلماء بدافع الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن بضبط القرآن الكريم بالنقط والشكل.

وتدلنا الروايات اللغوية على أن أبا الأسود الدؤلى (ت ٦٩هـ) فى القرن الأول الهجرى أول من فكر فى وضع رموز للحركات يُضبط بها الرسم القرآنى «حين استحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف وأن يأخذ صبغا يخالف المداد فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه وتحت الحرف إذا رآه قد خفض شفتيه وبين يدى الحرف إذا رآه يضم شفتيه.. أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة فينقط نقطتين فوق بعضهم أما الحرف الساكن فقد تركه ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهى قوس طرفاه الى أعلى هكذا (◡) يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور وعلى شمال المضموم»(١٧).

ثم جاء الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) فوضع الشكل الذى نكتب به حتى الآن قال المبرد «الشكل الذى فى الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة فى أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»(١٨) كما وضع الخليل بن أحمد رمز السكون وهو عبارة عن رأس خاء صغيرة وكذلك رمز الشدة ورمز الهمزة وكل ذلك نستخدمه حتى اليوم(١٩).

وكان لاجتهاد الكتاب فى كتابة القرآن الكريم بخطوط مختلفة أثر كبير فى تنوع الكتابة العربية وتطورها.. ففى أيام الخلفاء الراشدين وبنى أمية تفرع الخط الكوفى الى أربعة أقلام وكان «قطبة أكتب أهل زمانه ثم اشتهر بعده «الضحاك بن عجلان» فى أوائل الدولة العباسية وبلغت الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية اثنى عشر قلما وفى أيام المأمون تنافس الكتاب فى تجويد الخط فظهر القلم المرصع وقلم النسخ وقلم الرئاس وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة فزادت الخطوط على عشرين خطا وكلها من الخط الكوفى حتى جاء «ابن مقلة» (ت ٣٢٨هـ) فأدخل فى الخط المذكور تحسينا جعله على ما هو عليه الآن. والمشهور عند المؤرخين أن «ابن مقلة» نقل الخط من صورة القلم الكوفى إلى صورة القلم النسخى ثم تفرع الخط النسخى المذكور بتوالى الأعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الأقلام الرئيسية فى اللغة العربية: اثنين: الكوفى والنسخى ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام هى: «**الثلث.. والنسخى.. والتعليقى.. والريحانى.. والمحقق.. والرقاع**».

هذا وما يزال الخط العربى والكتابة العربية فى تقدم وتطور إلى اليوم(٢٠) وسيظل - إن شاء الله - فى تقدم وتطور تمشيا مع سنة الحياة فى التطور والارتقاء..

يقول د/أحمد مختار عمر «لقد مرت الحروف العربية بصور من التعديلات والتحسينات فى تاريخها الطويل حتى أخذت صورتها الحالية(٢١).

دعاوى أعداء الكتابة العربية - لا أساس لها -

لا ريب فى أن المقصود بالكتابة العربية والخط العربى - فيما سبق - هى تلك الكتابة التى نكتب بها لغتنا العربية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم وكانت - ولا تزال - عاملا هاما من عوامل وحدة الأمة العربية وتقدمها، كما أن الخط العربى الحالى قد ورثناه عن النبط وحاول أسلافنا - رضوان الله عليهم - أن يعالجوا بعض مشاكله عندما وضع أبو الأسود الدؤلى والخليل بن أحمد النقط والشكل وقد أشرنا الى ذلك - فيما سبق(٢٢) - ويدعى بعض المستشرقين(٢٣) وغيرهم من أعداء العربية الحاقدين عليها صعوبة الكتابة بالفصحى وينادون بالكتابة بالعامية «ويرون فى هذه العامية أملهم فى أن تحمل لواء الأدب وتتسع لمستحدثات الحضارة.. فأية عامية تلك التى يريدونها؟.. ونحن نعرف تعدد العاميات فى كل بلد عربى.. ثم هل يريدوننا ان نكتب بعامية كل قبيلة او منطقة فى بلد ما.. إن هذا لهو الضلال المبين»(٢٤).

ألم يعلم هؤلاء أن الله - عز وجل - قد حفظ اللغة العربية والكتابة العربية حينما أنزل بها كتابه العزيز قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (سورة الحجر: ٩) وقال: ﴿**بلسان عربى مبين**﴾(٢٥).

والكتابة بالفصحى - ليست صعبة - كما يدعى هؤلاء ولو كانت كذلك لما استوعبت جميع أنواع الثقافات والمعارف الانسانية ومطالب الانسان واحتياجاته حينما نزل بها القرآن الكريم وترجمت بها



الثقافات الأجنبية المتنوعة فى العصر العباسى . . والواقع أنه لا ينبغى أن نخلط الفصحى بالعامية «بدعوى أنها تمتُّ إليها بصلة فإن هذه لغة وتلك لغة أخرى فمن ضاق بالفصحى فلا عليه أن يستخدم عاميته فى أحاديثه وكتاباته غير أنه لن ينتزع منا شهادة بأن هذه العامية هى والفصحى سواء وإنا لهم بالمرصاد والله الموفق»(٢٦) .

مشكلة الخط العربى

والحقيقة أن الخط العربى يعانى مشكلة حقيقية وهى عدم التوافق أحيانا بين الصورة المنطوقة والرمز المكتوب فألف الفعل «خرجوا» لا تنطق وألف «الرحمن، طه، هذا، هؤلاء» لا تكتب ووا و«عمرو» لا تنطق وواو «داود» لا تكتب والهمز تكتب بصور مختلفة مثل سأل، مؤمن، سئل، شىء والألف المقصورة قد تكتب ألفا مرة «دعا» وتكتب ياء مرة أخرى «رمى» إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف بين الصوت والحرف(٢٧) . . كما أن هناك بعض المعوقات التى تعترض المتعلم للخط العربى(٢٨) حيث يفرق بالنقط فقط بين أكثر الحروف العربية كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال . . الخ .

وقد حاول كثير من العلماء التقدم بمقترحات لحل هذه المشاكل (٢٩) ولكنهم لم يستطيعوا الوصول الى حل مقبول لها حتى إن البعض قد دعا الى استخدام الخط اللاتينى بدلا من الخط العربى فى الكتابة(٣٠) .

والحقيقة التى يجب أن يتنبه لها الجميع : هى أن الخط العربى بوضعه الراهن قادر على تسجيل كل ما يبدعه الفكر البشرى وأن هذا الخط قد دوِّن به



التراث العربى بمختلف أنواعه وذاع وانتشر فى مختلف الأرجاء .

وإذا كان الخط العربى يعانى من بعض المشاكل فهناك خطوط أخرى فى العالم تعانى من مشاكل أخطر مثل الخط الفرنسى فأكثر الحروف فى الكلمة الفرنسية تكتب ولا تنطق .

وإن كانت هناك محاولات للاصلاح فينبغى أن لا تفصل حاضر هذا التراث عن ماضيه، ومن يدعو الى استخدام الخط اللاتينى بدلا من العربى يهدف فى المقام الأول الى قطع الصلة بين الحاضر والماضى «وهؤلاء هم الأتراك عندما نبذوا الخط العثمانى واستبدلوا به الخط اللاتينى أصبحوا كالمعلقين فى الفضاء إذ لا يعلم التركى فى أيامنا هذه شيئا عن ماضيه الغابر كما أنه أصبح حائرا فى انتمائه الآن فلا هو أوربى ولا هو شرقى ولم يفلح اختياره الخط اللاتينى فى تقريبه الى الغرب فى قليل أو كثير(٣١) .



الهوامش

(١) الفلسفة اللغوية ـ جورجى زيدان/ ١٦٠ (ط/ دار الهلال).

(٢) نفسه/ ١٦١-١٦٤ وقارن بأسس علم اللغة ـ ماريوباى/ ٦٠، ٦١ ـ ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر (ط/ الثانية).

(٣) قبس من وحى اللغة ـ د. شعبان عبد العظيم ٦٨ (ط الامانة ١٩٨٢م).

(٤) ابن فارس ـ الصاحبى بتصرف/ ١٠ (تحقيق السيد أحمد صقر).

(٥) السيوطى ـ المزهر ٢/ ٣٤٢ وما بعدها.

(٦) تفسير الجلالين ٢/ ٢٦٦ وراجع قبس من وحى اللغة ٧١-٧٣.

(٧) وقد عرفه العلماء بأنه الخط الذى كتبت به نقوش اللغة العربية الجنوبية التى عثر عليها فى أماكن متفرقة فى شمالى الجزيرة العربية وشملت اللحيانية والثمودية والصفوية: د/ البركاوى الفصحى ولهجاتها ـ ط/ ٩٦ وما بعدها، د/ صبحى الصالح دراسات فى فقه اللغة٥٥ وما بعدها.

(٨) انظر تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجى زيدان ج١/ ٢٠٠

(٩) أصله من الخط السريانى الذى كان يكتب به أسفار الكتاب المقدس نفس المرجع السابق.

(١٠) نفسه ١/ ٢٠١

(١١) قبس من وحى اللغة ٦٨

(١٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٢٠١ وقارن بالمزهر ٢/ ٣٤٤

(١٣) ذهب علماء اللغات فى نشأة الابجدية العالمية مذاهب مختلفة أهمها: (أ) ذهب بعض العلماء الى أن نشأة الابجدية من أصل مصرى قديم يرجع الى الخط الهيروغليفى المصرى وقد أخذت منه الأبجدية الفينيقية. «ب» وذهب بعضهم الى;نشأتها من الخط الكريتى إما عن طريق الفلسطينيين الذين حملوها الى الساميين وإما عن الخط الكريتى بتوسط الخط المصرى القديم. (ج) ومنهم من ذهب الى أن نشأتها من الخط الحيثى القائم على الصور (نسبة الى الحيثيين فى سوريا). (د) ومنهم من ذهب الى نشأتها عن الخط القبرصى المقطعى. (هـ) والرأى الراجح فى نشأة الابجدية والذى اعتمد عليه العلماء ـ على الرغم من أن العلم الحديث لم يقطع بنظريته فى هذا الشأن ـ أن أصل الأبجديات هو الأبجدية الفينيقية وعنها انتشرت الأبجديات فى العالم.

أما زمن نشأتها فيحدد بعد القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد وذلك لأن الامارات التى كانت منتشرة فى الشام وفلسطين كانت تتراسل باللغة البابلية والخط البابلى الأسفينى فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفى سنة ١٩٢٣ عثر فى جبيل على تابوت الملك «أحيرام» الذى يرجع الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو مكتوب بالأبجدية الفينيقية. د/ مراد كامل فى تعليقه على الفلسفة اللغوية ١٦١، ١٦٢.

(١٤) فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب ٣٥٤

(١٥) قبس من وحى اللغة/ ٧٣ وراجع تاريخ الأقلام التى استعملها الناس حتى الآن فى الفلسفة اللغوية ١٦٤ وما بعدها.

(١٦) من سمات الخط العثمانى كتابة كلمات مثل «كلالة» «كللة» بدون الألف وكلمات مثل «يدعو» ويأتى» تكتب «يدع» «يأت» مع عدم وجود جازم قبل هذه الأفعال وعلى الرغم من تعميم استخدام هذه الرموز الثلاثة فيما بعد ـ للدلالة على الحركات الطويلة ظلت فى الكتابة العربية بقايا للنظام القديم فى الخط، وإننا لا نزال حتى الآن نكتب «هذا» و«ذلك» و«لكن» بدون ألف المد: فصول فى فقه العربية٣٣٥، ٣٥٦.

(١٧) البحث اللغوى عند العرب ـ أحمد مختار عمر/ ٧٨ وقارن بتاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ١/ ٢٢٣.

(١٨) فصول فى فقه العربية/ ٣٥٧ نقلا عن المحكم فى نقط المصاحف للدانى/ ٧.

(١٩) نفسه/ ٣٥٨ وقارن بالاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٢١٩ وتاريخ آداب اللغة العربية ـ زيدان ـ ١/ ٢٢٤ وكتابنا مقدمة فى علم اللغة ١٤، ١٥.

(٢٠) انظر تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٢٠١، ٢٠٢

(٢١) العربية الصحيحة/ ٥٤

(٢٢) راجع ما سبق ص

(٢٣) مثل «نولدكة»

(٢٤) د/ رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة/ ١٧٤

(٢٥) الشعراء/ ١٩٥ وراجع فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب/ ٩٥، ٩٦

(٢٦) بحوث ومقالات فى اللغة/ ١٧٢، ١٧٥

(٢٧) راجع الفرق بين الصوت والحرف فى كتابنا: أصوات اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية/ ١٧، ١٨

(٢٨) انظر د/ أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة/ ٥١ وما بعدها.

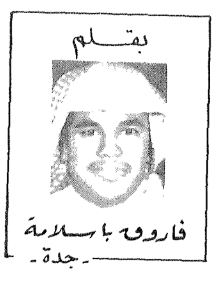
(٢٩) منهم د/ احمد مختار عمر فى كتابه العربية الصحيحة/ ٥٤.

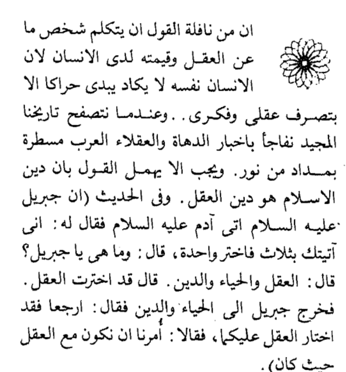
(٣٠) نفس المرجع السابق.

(٣١) انظر ـ فيما سبق ـ د/ رمضان عبد التواب ـ بحوث ومقالات فى اللغة ١٧٥-١٧٨، د/ محمود حجازى ـ مدخل الى علم اللغة/ ٣١-٣٥.









ان من نافلة القول ان يتكلم شخص ما عن العقل وقيمته لدى الانسان لان الانسان نفسه لا يكاد يبدى حراكا الا بتصرف عقلى وفكرى. . وعندما نتصفح تاريخنا المجيد نفاجأ باخبار الدهاة والعقلاء العرب مسطرة بمداد من نور. ويجب الا يهمل القول بان دين الاسلام هو دين العقل. وفى الحديث (ان جبريل عليه السلام اتى آدم عليه السلام فقال له: انى آتيتك بثلاث فاختر واحدة، قال: وما هى يا جبريل؟ قال: العقل والحياء والدين. قال قد اخترت العقل. فخرج جبريل الى الحياء والدين فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما، فقالا: أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان).

وإذا كان الاسلام دين العقل فان الحياء من الايمان كما جاء فى الحديث الشريف ايضا. وواضح مدى اهمية هذه الاركان الثلاثة التى تربط حياة الانسان تنسيقا وتهذيبا.

وحديث جبريل ـ عليه السلام ـ الذى سبق ايراده، ذكره ابن قتيبة الدينورى الاديب والراوية المشهور فى كتابه (عيون الاخبار) وفى باب العقل بالتحديد. وقبل ان نذهب مع ابن قتيبة فى بعض اخبار هذا الباب تجدر الاشارة الى مكانة كتابه الضخم مادة وحجما. فقد اورد الدكتور عبد الحميد سند الجندى فى كتابه «ابن قتيبة العالم.. الناقد.. الاديب» رواية عن العلامة السمعانى فى كتابه «الانساب» وهى (سمعت الامير ابا نصر الميكالى يقول تذاكرنا المتنزهات يوما وابن دريد حاضر فقال بعضهم: انزه الاماكن غوطة دمشق وقال آخرون: بل نهر الابلة، وقال آخرون: بل سغد سمرقند وقال بعضهم: نهروان بغداد وقال بعضهم شعب بوان بارض فارس وقال بعضهم نوبهار بلخ، فقال الامير هذه منتزهات العيون فاين انتم من منتزهات القلوب؟ قلنا وما هى يا ابا بكر؟ قال: عيون الاخبار للقتبى».

ونعود الى ذكر باب العقل فى عيون اخبار ابن قتيبة فنجده يذكر ان زياد بن ابيه قال: «ليس العاقل الذى يحتال للأمر اذا وقع ولكنه الذى يحتال للأمر ألا يقع فيه» ويذكر ايضا: «قال معاوية لعمرو: ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ لم أدخل فى امر قط فكرهته إلا

خرجت منه. قال معاوية: لكنى لم أدخل فى امر قط فاردت الخروج منه» وقصة معاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص رضى الله عنهما تفسر لنا القول الوارد عن زياد بن أبيه سابقا، والحق ان هؤلاء الثلاثة باضافة المغيرة بن شعبة رضى الله عنه - هم دهاة العرب: معاوية للاناة وعمرو بن العاص للمعضلات والمغيرة للبديهة وزياد بن ابيه للصغير والكبير كما يقول الامام عامر الشعبى، بينما نجد الاصمعى يقول: الدهاة اربعة: معاوية للروية وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة بن شعبة للمعضلة وزياد لكل كبيرة وصغيرة علما بان الامام الشعبى قد توفى قبيل ميلاد الاصمعى (راجع اعلام الزركلى) ولا يهمنا اختلاف الروايتين البسيط بقدر ما يهمنا اجماعهما على وصف معاوية وعمرو والمغيرة وزياد بالدهاء ومن يقرأ فى تاريخ هؤلاء الرجال الاربعة سيعرف الكثير من اخبارهم العقلية السامية.

وماذا عن الحلم؟ وهو نديد العقل ففى لسان العرب ان العقل هو: الحِجْر بكسر الحاء تسكين الجيم - والنُّهى - بضم النون ضد الحمق بضم الحاء وتسكين الميم.

وفى اللسان ايضا: الحلم، بالكسر الاناة والعقل وجمعه احلام وحلوم. وفى التنزيل العزيز: أم تأمرهم أحلامهم بهذا.. قال جرير:

هل من حلوم لأقوام فتنذرهم
ماجرب الناس من عضى وتضريسى

وفى حديث النبى ﴿ﷺ﴾ فى صلاة الجماعة: «ليلينى منكم أولو الاحلام والنهى»: أى ذوو الألباب والعقول واحدها حلم بالكسر وكأنه من الحلم والاناة والتثبت فى الامور وذلك من شعار العقلاء.. هذا ما ذكره لسان العرب فى مادتى (عقل) و(حلم) وواضح هذا الاتفاق فى معنى العقل والحلم فالحليم لا يكون الا عاقلا ومن السهولة الان ان نأتى الى باب الحلم والغضب من كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة رحمه الله. واخبار الاحنف بن قيس التميمى هى السائدة فى هذا الباب وفى المثل: «احلم من الاحنف» ومن اقواله التى يذكرها ابن قتيبة: «اصبت الحلم انصر لى من الرجال». قد قيل له: ما احلمك. قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقرى بينما هو قاعد بفنائه محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف وقيل له: هذا ابنك قتله ابن اخيك فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ثم التفت الى ابن له فى المجلس، فقال له: قم اطلق عن ابن عمك ووار اخاك واحمل الى امه مائة من الابل فانها غريبة. ثم انشأ يقول:

انى امرؤ لا شأن حسبى
دنس يغيره ولا افن
من منقر فى بيت مكرمة
والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم
بيض الوجوه اعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم
وهم لحفظ جواره فطن

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك واقللت عدك لا يبعد الله غيرك.

●● وفى غير هذه الرواية يؤكد الأحنف أنه تعلم الحلم من قيس بن عاصم فيقول: لقد اختلفنا الى قيس بن عاصم فى الحلم كما نختلف الى الفقهاء فى انفقه. ومن اخبار الاحنف المشهورة ان رجلا شتمه وجعل يتبعه حتى بلغ حيه فقال الاحنف: «يا هذا ان كان بقى فى نفسك شىء فهاته وانصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره». وهنا يأتى استخلاص الفكرة فى الربط بين العقل والحلم بانهما توأمان أو أنهما من معدن واحد.



التبعية الحضارية

مذاهب الادب الحديث فى مختلف مسمياتها نتاج أجنبى بُنِيَ فى كلياته وجزئياته وفلسفته على المفاهيم الحضارية القديمة والحديثة لاصحابه . .

فقواعد المذهب الكلاسيكى مثلا تقوم على الأدب الرومانى واليونانى . . كما تقوم على احتقار الانسان العادى فى المجتمع فى مقابل الاهتمام بالانسان القوى واعتباره الكيان الأهم فيه .

وقواعد المذهب الواقعى تقوم من ضمن ما تقوم ، على نزعة مادية جدلية تنكر المبادىء والمسلَّمات الروحية التى آمن ويؤمن بها الانسان بحكم فطرته وتكوينه . . وقواعد المذهب الرومانسى تقوم على عقيدة مشابهة لتلك فى دعوتها الى التفلت من كل قيد يفرضه الدين، والتحلل من كل سلوك تفرضه طبائع العلاقات بين الانسان بما فيها من تقاليد وقيم . . وعلى هذا تقاس قواعد الكثير من المذاهب الأدبية الاخرى التى انتشرت وتصارعت على الساحة الغربية منذ القرن السادس عشر الميلادى .

قلت : وليس المهم هنا البحث فى الاسباب التى أدت الى نشوء هذه المذاهب ووجهة نظر أصحابها والمؤمنين بها . . وانما المهم هو البحث فى تبعية الانسان لها . ولعل هذا يقتضى تصنيفه بالنسبة الى حضارته ـ الى مجموعتين :

المجموعة الاولى : حضارة تتشابه فى أسسها ومفاهيمها مع الحضارة التى نشأت فيها هذه المذاهب . . ومن البدهى حينئذ ان تكون تبعية الانسان لها تبعية منطقية ـ ولو الى حد ما ـ اذا اخذنا فى الاعتبار وجود وحدة فى خواصهما كوحدة العقيدة والتقاليد المتسلسلة من ادوار التاريخ . . وينبنى على هذا اننا قد لا نجد فارقا كبيرا بين من يعيش فى قرية صغيرة فى غواتيمالا أو هندوراس فى امريكا اللاتينية وبين من يعيش فى اسبانيا او فرنسا . . كما لا نجد فارقا كبيرا بين من يعيش فى هذه الاصقاع ، وبين من يعيش فى قرية أو مدينة فى استراليا رغم تباعد المسافة بينهما تباعد المشرق من المغرب . .

المجموعة الثانية : حضارة تتباين فى اسسها ومفاهيمها عن الحضارة التى نشأت فيها هذه المذاهب . . ومن البدهى حينئذ ان تكون تبعية انسان الحضارة الأولى لهذه المذاهب غير معقولة بالنسبة لوضعه الحضارى اذ من الصعب فى الفهم العملى تطبيق مقياس التشابه القائم بين الانسان فى امريكا اللاتينية واسبانيا وفرنسا على إنسان يعيش فى قرية فى ماليزيا وآخر يعيش فى السنغال نظرا

خواطر

الادب بمفهومه العام فيه متسع للاخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتاة ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى



للتباين الحضارى بينهما وفوارقهما فى العقائد والتقاليد وتراث التاريخ .

(وعلى اى حال فالقول بهذا لا يعنى انتفاء الخواص الحضارية الانسانية بحكم تشابه التكوين الفطرى وما يتفرع عنه من قواسم مشتركة).

قلت : إن تبعية الانسان لمذهب أدبى يقوم فى أساسه على قواعد تتباين مع قواعد حضارته يعد تبعية حضارية تجسد عدم قدرة هذا الانسان على الابداع . . ولعل الواقع الذى يعانى منه العديد من الناس فى البلدان التى تسمى نامية يرجع فى كثير من اسبابه الى تبعيته الحضارية بما فيها مذاهب الادب وصياغة فكره تبعا لمفاهيمها ومحاولة تطبيقها فى مجتمع تختلف حضارته عن الحضارة التى نشأت فيها هذه المذاهب .

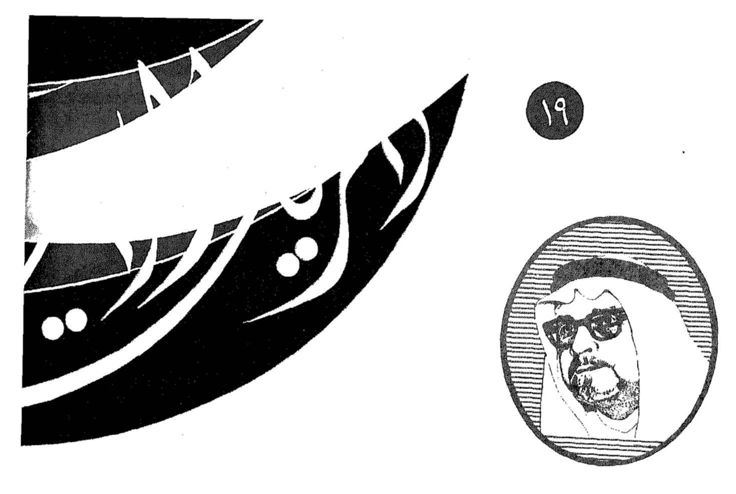
لقد أدت هذه التبعية الى انماط شتى من الصراع . . وقد أضاع هذا الصراع وقتا طويلا كان من الممكن الاستفادة منه فى محاولات للابداع واستغلال الطاقات . . ناهيك عن كونه قد أوجد جيلين يقتتلان . . هذا ينتصر لما يسميه بـ «الحديث» وهذا ينتصر لما يسميه التراث القديم .

قلت : ومازلنا منذ رحلة الدارسين الأوَل فى فرنسا فى العقود الستة الماضية نعانى فى المشرق والمغرب من هذا الصراع العجيب الذى يتجدد مع نشوء فكرة أو مذهب أجنبى حتى وان كان من ذلك النوع الذى لا يهتم به اصحابه انفسهم . .

وفى حمأة هذا الصراع وعصبيته لا نزال نرى فكرا يريد الحفاظ على اسماء الطيور والحيوانات التى انقرضت منذ مئات السنين . كما نرى فكرا يريد الملتزم به نبذ كل تراث، حتى وان كان جزءا من عقيدته وتاريخه وفطرته . وليس له من حجة سوى انه انفعل بالبريق الاجنبى الذى ألفه وعشقه فى فترة من فترات المراهقة الدراسية فى بلد أجنبى .

قلت : ليت أولئك المتصارعين فى أمتنا حول هذه المذاهب الادبية يدركون ان الحفاظ على تراث الأمة أمر أساسى لها وان التبعية لأى مذهب من المذاهب التى تتنافى مع عقيدتها يعد كفرا بواحا تجب محاربته . . . وليتهم يدركون فى الوقت نفسه ان التفاعل مع اى منطق فكرى لا يتعارض بأى وجه مع العقيدة الصحيحة للأمة هو مطلب عقلانى يقتضيه مسارها وتطورها .

إنهم لو فعلوا ذلك لأراحوا أنفسهم واراحوا غيرهم من هذا العبث الذى مازلنا نعانى منه منذ فترة الانفعال التى صاحبت وفود الطلبة العرب حين كانوا يسكنون فى الحى اللاتينى فى باريس . . والله المستعان .



حوار لحل المشكل الفلسطيني ٢

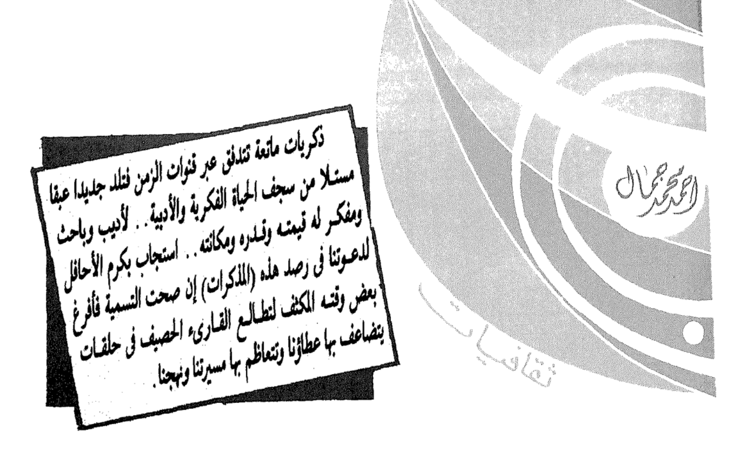
أمـا وجهة نظرى فى القضية العسـراء فقـد كانت تحت عنوان (نصف حل ممكن خير من حل مستحيل) وقلت فيها: كتبت عن (فلسطين) كثيراً تضمنه كتابى (استعمار وكفاح) الذى أصدرته عام ١٣٧٥هـ. ثم واصلت الكتابة عنها فى الصحف والمجلات كلما رددت المؤتمرات العربية والمحافل الدولية: ذكرى مأساتها أو حاولت بعث قضيتها بشكوى تُقدَّم او اعتراض ينظم . .

وفى عام ١٣٧٧هـ كتبت مقالات ثلاثاً ـ فى جريدة (حراء) سلف (الندوة) ـ عن سياسة الأمر الواقع التى يجب ان يتخذها العرب لإنقاذ فلسطين، وإنهاء مأساة اللاجئين.

ولا احب أن أردد ما أسلفت من مقال أو رأى فى هذه المأساة التى طال الأمد على مرارتها وقساوتها دون ان تجد ما يرفعها او يجدعها او حتى يخفف منها.

ولكنى أحب ان اتناول بالكلام الموجز ـ اليوم(١) ـ رأيا يعتنقه بعض الساسة العرب ازاء مأساة فلسطين. .

يقول هذا «الرأي»: ان علينا ان ننتظر حتى تقوم حرب عالمية ثالثة بين



المعسكرين الشرقى والغربى تنشغل بها امريكا وبريطانيا وفرنسا عن معاونة «اسرائيل» وعندئذ يستطيع العرب ان يقذفوا باليهود فى البحر فيعود اللاجئون - بسلامة الله - الى فلسطين.

ويقول - هذا الرأى نفسه -: أو علينا ان ننتظر حدثاً آخر. غير الحرب العالمية الثالثة - وهو تصفية الاستعمار الغربى من منطقة الشرق العربى كله ثم نبدأ الجولة الثانية فى فلسطين.

ان هذا «الرأي» بشطريه او بنظريتيه يبدو منطقيا ومعقولا الى حين، ولكنه لا يلبث ان يتحول الى معنى اليأس والفشل.. حين التدبر والتأمل فى حاضر «اسرائيل» ومستقبلها، وفى التطورات التأريخية والسياسية لدول العالم ولهيئة الأمم المتحدة بصفة خاصة.

أنا شخصيا - أرى أن إسرائيل تتقوّى يوما بعد يوم فى التنمية العسكرية والاقتصادية والعمرانية ومرور الزمن يساعدها، فى الوقت الذى يتفانى فيه اللاجئون العرب ويتذاوبون فى مخيماتهم الصحراوية أو فى بعض الدول العربية التى تجنسوا بجنسيتها وسعدوا بالحياة فيها(٢).

وما يقال: عن ازمات اقتصادية ووزارية فى اسرائيل فذلك تلهية لنا نحن العرب وتسلية وتعزية معا، وهو فى ذات الوقت وسيلة دعائية تدر على



(اسـرائيـل) مزيداً من العطف المادى والسيـاسـى فى دول العـالم المعـروفـة بتأييـدهـا لاسـرائيل او التى يسوسها ساسة من اصل يهودى.

أما التطـورات السيـاسية والتأريخية لدول العالم ولهيئة الأمم المتحدة بصفة خاصة - فهى - فى رأيى - لن تكـون فى صالح العرب وقد دلت تجارب ١٣ عاما فى المحافل الدولية التى أقـامت نفسهـاً حكـماً للفصـل فى الخصومات الدولية ومنح من تشاء من الـدول المستعمرة الحرية ومنعها عمن تريـد - دلـت هذه الـتجـارب على استحالة نيل العرب (لإنصاف عالمى) او «عـدل دولـى» فى قضـايـاهم : فلسطـين، والجـزائـر(٣)، وعـمان، والبريمى وغيرها.

ثم هل من المنتظـر عقليا وواقعياً ومنطقياً : أن دول العالم العربى ستكون مجمعـةً رأيها موحدة صفها - اثناء قيام الحرب العالمية المنشودة. . على اقتحام فلسطـين وقـذف اسـرائيـل فى البحر بقبضة يد واحدة؟ أم يحدث عندئذ ما حدث فعلا فى عام ١٩٤٨ حين كانت اسـرائيـل جنينا وأهل فلسطين داخل بلادهم واسلحتهم فى أيديهم؟.

وكذلك الحال . . لو انتظرنا تصفية الاستعمار الغربى من منطقة الشرق العربى . هل ندرى ـ حقا ـ ماذا سيكون الوضع . . وضعنا ووضع اسرائيل ووضع هيئة الامم المتحدة، ووضع امريكا وبريطانيا وفرنسا . . هذه الدول التى خلقت «اسرائيل» وربّتها ومازالت تمدها بالمال والسلاح والرأي؟؟ .

أما «الرأي» القائل بالمناداة المستمرة بإلزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة فى بداية المأساة التى قضت باعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويضهم عن ممتلكاتهم فأحسبه غير عملى، وقد أسلفتُ فى تعليقاتى السياسية الماضية ـ بان معنى ذلك القاء بالعرب فى أحضان اسرائيل . . بل فى فمها . .

ولو فرضنا جدلا أو أحسنّا الظن أملا . . بأن اسرائيل ستنفذ قراراً ما «لهيئة الامم المتحدة» فان «قرار التقسيم» الذى أصدرته الهيئة عام ١٩٤٧م قد يكون «نصف حل» للمأساة «وما لا يدرك كله لا يترك جله» كما يقول المثل الحكيم . او على أساس المبدأ السياسى الحديث «خذ وطالب» على أن قبول العرب لمبدأ التقسيم وإن كان باطلا لأن لهم الحق الكامل فى فلسطين العربية ـ فهو طريقهم الى بعث «الكيان الفلسطينى» الذى يدعو اليه بعض الساسة العرب اليوم .

وبعد فهذه ذكريات أدبية أو صحفية عن المشكل الفلسطينى وهذا ما قدمته جريدة (الندوة) فى عددها الخاص بالقضية سنة ١٣٨٠هـ ـ فبراير سنة ١٩٦١م من آراء العلماء والأدباء فى حل المشكل . . الذى مازال قائما منذ سنة ١٩٤٨ حتى اليوم (١٩٨٧م) ومازال الساسة العرب مختلفين فى انتهاج الطريق الواحدة الموصلة الى الحل المطلوب(٤) ومازالت أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا ـ ودول اوربية اخرى ـ مؤيدة لبقاء إسرائيل وبقاء المشكلة دون حل . .

الهوامش

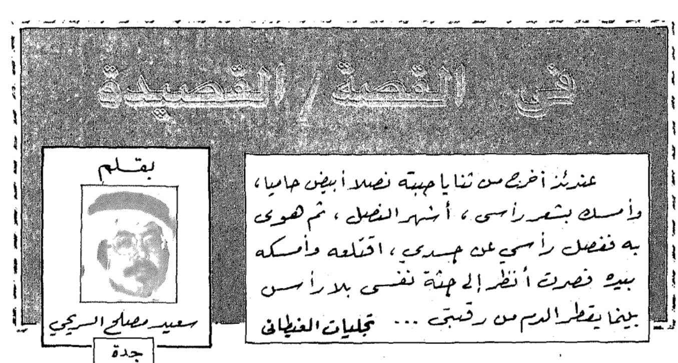
(١) ينبغى ان يلاحظ ان هذا الكلام قيل قبل نكسة سنة ١٩٦٧ التى احتلت فيها اسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة والقدس . .

(٢) رأيت فى امريكا فلسطينيين متجنسين بالجنسية الأمريكية .

(٣) نالت الجزائر استقلالها بالثورة الداخلية على الحكم الفرنسى وضحّت بمليون شهيد فى سبيل حريتها .

(٤) يراجع كتابى (مأساة السياسة العربية) .

أدب



كلما أمعن الانسان فى اعتناق النظر العقلى المجرد الى الأشياء والظواهر كلما أمعن به هذا النظر الى مزيد من التقسيم والتفتيت لأجزاء ما يحتكم إليه فيه حتى ينتهى الى ترتيب ما حوله فى جملة من الأسر أو الجماعات مما يعرف بالفصائل والأنواع والأجناس التى يتفرع بعضها عن بعض، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضع بين هذه الأجناس الحدود التى تمنعها من التداخل ابتداء من التعريفات الجامعة المانعة وانتهاء بالخصائص التى يمتاز بها كل جنس عن سواه من الأجناس.

وقد لمس هذا الضرب من النظر المرتكز على المنطق والتجريد ما فى الظاهرة اللغوية من عناصر كامنة فيها فأخذ يعزل هذه العناصر ويقيم بينها الحدود والسدود حتى انتهى الى تمزيق هذه الظاهرة الى قسمين متباينين كل التباين هما الشعر والنثر. ومضى بعد ذلك يفرّع من الشعر أجناساً وأنواعاً تتراوح بين الشعر الغنائى والشعر الملحمى والشعر الدرامى ويفرّع من النثر أجناساً وأنواعاً كذلك تشمل المقال والخطبة والقصة والمسرحية والرواية وما الى ذلك مفرعاً عن كل جنس فصائل تندرج تحته. مانحاً كل قسم وكل جنس وكل فصيلة تعريفاً يمنع من اختلاطها بسواها، فالملحمة مثلا نوع قصصى وهى موضوعية لا شخصية ترسم إحساسات أجنبية على الشاعر وتبتعد تماما عن التعبير بضمير المتكلم (**أنا**) بينما الشعر الغنائى «فيض من الاحساسات الشخصية موضوعه شخصى حيث يصف الشاعر حالاته النفسية أو بمعنى آخر يعبر عنه بضمير المتكلم (**أنا**) ميدانه الأحلام والآلام والسرور وموقف الشاعر فيه موقف سلبى بمعنى أن الأحداث تؤثر فيه وليس هو المؤثر فى الأحداث».

ثم لا يلبث هذا النظر العقلى أن يكرّس ما انتهى اليه من تقسيم للظاهرة الابداعية اللغوية فى صورة جملة من المعايير ترسم لحركة الابداع بعدها أقانيم محددة ترسم من خلالها ما هو مسموح وممنوع حرصاً على عدم التداخل بين الفصائل والاختلاط بين الأجناس، وهكذا بعد أن كانت هذه الخصائص عناصر تدخل فى بنية العمل الواحد أصبحت أجناساً متباينة يستقل كل منها بأعماله ومبدعيه وأصبح من غير السهل الوقوف على الروح النثرية التى تندس فى الشعر على نحو حتمى أوالروح الشعرية التى لا تكاد تنفك عن النثر بحال من الأحوال.

وقد استعان النظر العقلى الى هذه الأقسام بمعيار منطقى حاول أن يفتت به الموقف الانسانى تجاه الأشياء وهو معيار «**الموضوعية**» و«**الذاتية**»

ذلك المعيار الذى ما لبث أن انتهى على يدى (عما نوئيل كانت) الذى جعل من الرؤيا الانسانية مركزا للوجود ومفسراً له فلا وجود للأشياء خارج الذات واستطاع فلاسفة تالون أن يبلغوا بهذه النظرية مداها فذهبوا الى أن لا وجود للذات كذلك خارج الأشياء ومن هنا تتساقط من البعد الانسانى احتمالات الموضوعية والذاتية الصارمة وتصبح المعرفة هى هذه الرؤيا الانسانية التى تتمثل نتيجة للوعى الانسانى بالأشياء ولتشكل الوعى الانسانى بناء على هذه الأشياء.

وقد استثمر كروتشه هذه الآفاق الفلسفية الجديدة فاستطاع أن ينقض التقسيم القديم للشعر من حيث هو شعر غنائى أو ملحمى أو درامى ما دام هذا التقسيم ينبنى على أساس «الموضوعية» و«الذاتية» التى تم تجاوزها.

وإذا كانت نظرية الأجناس الأدبية فى تفريعاتها الجانبية قد بدأت تتزعزع نتيجة لزعزعة الأساس الفلسفى الذى انبنت عليه فإن حركة أخرى قد بدأت تزعزع نظرية الأجناس الأدبية فى أصولها الأولى تلك الحركة التى تجسدت فى طغيان الشاعرية على مختلف الفنون الابداعية، ولعل ذلك يعود الى محاولة «أنسنة» المبدع للأشياء التى تحيط به بمنحها البعد الانسانى الذى ينتشلها من عماد المادة الى اشراق الوعى الانسانى بها ومن هنا سرت الروح الشعرية فى مختلف الفنون.

والروح الشعرية التى نعنيها فى هذا المقام تتجاوز «القصيدة» و«الشعر» حسب ما انتهى اليهما التعريف والاصطلاح لتصبح مرادفة للرؤية الانسانية التى تعيد خلق الأشياء وترتيبها من جديد، هذه الروح التى أصبحت المنبع الذى تنبثق منه فنون متعددة تتجاوز الظاهرة اللغوية فى القصة والرواية والمسرح لتشمل التصوير والفنون التشكيلية وصناعة السينما وما الى ذلك.

ولم تتوقف المسألة عند هذا الحد بل أفضت الى هذا الحوار الجدلى بين الشعر وسائر الفنون فأصبح الشعر حريصا على الاستفادة من هذا التداخل الذى بدأ ينشأ بين ما كان يعتقد أنه أجناس مباينة له فبدأ يوظف عناصر مختلفة من شأنها أن تفضى جميعها الى الكشف عن أبعاد الرؤيا التى يسعى الى الكشف عنها فلم يعد غريباً أن نجد القصيدة مشتملة على الحدث والسرد والحوار وكذلك معتمدة على جملة من المشاهد المتوالية أو مستخدمة لعنصر المفاجأة وربما آلت القصيدة الى مجموعة من اللوحات تتقاطع فيها الخطوط وتمتزج فيها الألوان وربما بلغ الأمر بالشاعر أن يستثمر الحيز المكانى لتشكيل كتابة القصيدة على نحو من شأنه أن يفضى الى تكامل الرؤيا الشعرية وانسجام شكل **«الورقة الشعرية» مع «اللغة الشعرية»** المكتوبة عليها، ولعل أشد مظاهر هذا الحوار بين الشعر والفنون الأخرى تجلياً هو ظهور قصيدة النثر التى ضحت بما يمتاز به الشعر من ايقاع تفعيلى وأخلصت فى الاعتماد التام على فعالية عنصر الصورة التى تحركها الرؤيا الشعرية.

هذا التراسل بين مختلف الفنون كان يتسم فى كافة انجازاته بسمة التجاوز المستمر لكل المعايير والمقاييس ويتساوق مع حركة الانطلاق وراء آفاق المعقول والمألوف تلك الآفاق التى هيمنت على الفنون وأفضت بها إلى ما يشبه الانفصام عن الرؤية الانسانية المتميزة المتفردة التى تهب للأشياء والعالم من المعانى والاشكال ما لا سبيل الى حصره أو السيطرة عليه.

ومسألة التراسل بين هذه الفنون ليست خلطاً ولا تلفيقا كما أنها ليست الغاء للمسافات بين العناصر ولكنها تجاوز لمعيارية استقلال العمل الابداعى بعنصر دون آخر، إنها محاولة للوصول الى عمل ابداعى مفتوح يستثمر عناصر شتى تزيده ثراء وعمقا وأمانة مع التجربة.

وقد كان من صور هذا التراسل ظهور ما أصبح يعرف بـ**«القصة/ القصيدة»** التى لا تزال كثير من تجاربها الأولى لدينا تواجه بكثير من الشك والريبة ان لم تجابه بالتسفيه والرفض، ولعل مرد ذلك هو ما ورثناه من معيارية تفصل بين الفنون وتقيم لكل منها عناصره وسماته ولعل مرده كذلك الى ما نتسم به من حذر يبلغ حد الجبن تجاه أى

محاولة تجريبية تستشرف آفاقاً من الصعب التكهن بعواقبها.

وعلينا كي ندرك أبعاد هذه المحاولة وأصولها أن ندرك ما انتهى إليه الفن القصصي من تجاوزات استطاع أن ينعتق بها من الأطر التي حددتها انجازات الرواد الاوائل ولذلك أصبح يتسم بأنه سلسلة من الرفض والاستنكار ضد مجموعة من الأمور لخصها الاستاذ فايز أبّا في مقاله المنشور بجريدة اليوم ع ٤٣٠٢ تحت عنوان «الاتجاهات المتطرفة في القصص الغربي المعاصر» في النقاط التالية:

١ - ضد المفهوم الفلسفي الضمني لوظيفة الأدب بأنه تقليد للطبيعة ومحاكاة لها..

٢ - ضد الحدث وتطوره أو تناميه وهو اتجاه نحو القصة التي لا نجد فيها أثراً لحبكة ولا نستطيع أن نتتبع الخيط الدرامي للأحداث.

٣ - ضد المغزى أو الأدب الهادف: يسعى معتنقو هذا التيار لمناهضة القصة التي تهدف لابلاغ رسالة معينة.

٤ - ضد المعدّل العام للخبرة المألوفة فهي تمثل أنماطا من المغالاة والتطرف.

٥ - ضد الواقع والاستعاضة عنه بالرؤى والأحلام.

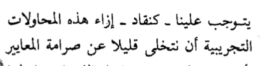
٦ - ضد المعنى.

٧ - ضد التحليل والتصوير الموضوعي للعالم وظواهره.

٨ - ضد الموازين والأطوال والمقاييس المعروفة.

وهذا كله من شأنه أن يجعل القصة الجديدة كالقصيدة الجديدة صرخة احتجاج من الانسان ضد كل تنظيم يحاول تعليبه في أطر جاهزة ولهذا يأخذ الشكل والمضمون علامة التأكيد على الوجود الانساني المستقل وما ينبغي أن نؤكده هو أن الحوار الجدلي بين القصة والقصيدة يأخذ أبعاداً مختلفة تعتمد من الاستفادة من النبر والايقاع في الارتفاع بالسرد والحوار عن المألوف والعادي والولوج به في عوالم النفس من خلال اشعارنا أننا أمام لغة متميزة تحمل نبض الحس وايقاع الحياة وكذلك الاستفادة من العبارة الشعرية التي تلجأ الى تكثيف الصورة والرمز في محاولة أن تؤدي العبارة أكبر قدر ممكن من الدفقات والرؤى التي تسعى نحو تحديد أبعاد الرؤيا التي تكمن خلف هذا العمل.

غير أن المسألة التي ينبغي أن نكون على حذر شديد منها هي الوقوع في شكلية هذا التراسل بين القصة والقصيدة فتتحول المسألة الى مجرد زخارف وزينة تتعلق على جدران العمل الفني لا تتجاوز العبارات الممتعة والصور الجذابة ولهذا لا يصبح لهذه المسألة قيمة ما لم تكن متساوقة مع رؤيا شعرية يتحرك العمل الابداعي بأكمله لتحقيقها والكشف عنها، رؤيا تحمل بصمات الانسان على عالم الأشياء والأحداث من حوله وتتجاوز إطار الواقع والمألوف والمعقول.



يتوجب علينا - كنقاد - إزاء هذه المحاولات التجريبية أن نتخلى قليلا عن صرامة المعايير وأن نقف على حقيقة تراسل الفنون وتداخلها بحيث نتروى قليلا في منح العمل الابداعي جنساً محدداً ومحاكمته بناء عليه قبل أن نقرأه القراءة الناقدة، وعلينا أن ندرك أن المبدع الجديد قد أعاد خلط الاوراق وأرجع عناصر الابداع الى عالمها الهيولي الاول الذى كان لها قبل أن يقيم بينها النظر العقلي الحدود والسدود، ثم عاد يستثمر هذه العناصر مرةً أخرى في عمل كليٍّ يعيد للانسان ذكرى فطرته الاولى وتجاربه الأولى في عالم الفن، ولم يلغ خلال ذلك استفادته من كل التجارب التي حققتها الأجيال المختلفة قبله بل أصبح يسعى نحو «كتابة» يستثمر في الوصول اليها كل العناصر التي مكنته منها ثقافته الواسعة.

ومن هنا كان البعد الأسطوري هو البعد النموذجي الذى أخذت القصة تستثمره تارة أو تحاول أن تبنيه بين سطورها تارة أخرى، وفي الأسطورة تلوح معالم الثقافة الانسانيه كما تحددها تجربة الانسان مع العالم من حوله قبل أن تخضع هذه التجربة لصرامة العقل والمنطق والمعايير.



ديناميكية الإيقاع في الكتابة الشعرية

بقلم
أحمد يوسف
كلية الآداب - جامعة وهران

إن الإشكال الذى يطرحه عنوان هذه الدراسة له صلة وثيقة بمستوى الوظيفة الشعرية للغة داخل النص المقروء ويطرح فى الوقت نفسه مفهوما خطيرا داخل منظومة الأجناس الأدبية الصارمة. . إن أبا حيان أشار الى قضية معاصرة تتناول تداخل الأجناس الأدبية فى عملية الكتابة فقد ناقشها نظريا فى كتابه المقابسات عندما تحدث عن النظم والنثر وحاول أن يبين جوانب الخلاف بينهما. وفى الأخير خلص الى نوع جديد من الابداع قد نسميه تجاوزا «الكتابة الشعرية» ففى ظل الكتابة الشعرية تخترق الفواصل الموجودة بين عالمى النثر والشعر. وفى هذا المصطلح نلاحظ التداخل واضحا. فالكتابة - قديما - تشير الى ما يسمى بالنثر وتصف صاحبه بالكاتب. . وبين الكاتب والشاعر مواصفات تحددها طبيعة الفن الممارس.

والشعرية تشير الى فن الشعر وتصف صاحبه بالشاعر الذى هو مميز أصلا.

وبين الكتابة والشعرية فى تاريخ الابداع العربى تفاضل واضح حدث فى ظل حقب زمنية متقاربة.

والقراءة الحديثة فى محاولاتها المتواضعة للاقتراب من عالم النص كانت تومىء أحيانا الى هذا النوع الجديد من الكتابة. . فى ظل قراءات متعمقة ذات دوافع متباينة ومن بين المحاولات الجريئة فى سياق هذا البحث نجد كتاب «اللغة الشاعرة» لعباس محمود العقاد، الذى حاول أن يتعمق قراءة اللغة العربية التى وصفت قديما وحديثا بأنها لغة شعرية من المنطلقات الآتية:

١) *أنها ليست لغة الشعر والشعراء فحسب.*

٢) *لغة موسيقية.*

٣) *لغة يتأسس بها الشعر «الوزن والحركة»*

٤) *ان المخارج الصوتية فيها ذات ايقاع موسيقى.*

٥) *الحروف ودلالة المعانى.*

٦) *قيمة الظاهرة الاعرابية فى تحديد المعانى.*

٧) *علم العروض القائم على التفاعيل.*

إننا لا نكاد نطمئن الى جرأة الطرح وفرادة الرؤيا لمفهوم الكتابة الشعرية حتى نفاجأ برأى العقاد - المحافظ - فى رفضه للشعر الحر - وهنا نجده يطفىء ذلك البصيص من النور حول مفهوم الكتابة الشعرية.

ومن بين النصوص التى تدل على الرؤيا المبكرة نردها فيما يلى:

«اللغة الشاعرة هي اللغة العربية»

وليس فى اللغة التى نعرفها أو نعرف شيئا كافيا عن أدبها لغة واحدة توصف بأنها لغة شاعرة غير لغة الضاد، أو لغة الإعراب أو اللغة العربية. . وتقدم أننا لا نعنى باللغة الشاعرة ما يوصف أحيانا باللغة الشعرية فقد تكون الكلمة شعرية صالحة للنظم فى موقعها من السمع ولكنها لا تكون مع ذلك جارية مجرى الشعر فى نشأتها ووزنها

واشتقاقها، بل تكون كأنها الطعام الذى يصلح لتركيب البنيـة ولكنه هو فى ذاته ليس بالبنية الحية وليس باللحم والدم الذى تتركب منه أجسام الأحياء، كذلك لا نريد باللغة الشاعرة أنها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء. . إنما نريـد باللغة الشاعرة أنها لغة بنيت على نسق الشعر فى أصوله الفنية والموسيقية فهى فى جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر فى كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء(١) فالنص يبين أن اللغة تحمـل فى داخلهـا طاقة شعرية فمتى استطاع المبدع أن يفجر هذه الطاقة بقدراته ومهاراته أمكن هذا التفجير أن يولـد «الكتابـة الشعرية» ولما كانت هذه المحاولة صعبة المنـال، وعصية عن المراد وجدنا النصوص قليلة فى هذا الشأن التى حاولت أن تقترب من عالم الكتابة العربية كما هى جليـة فى كتـابـة أبى حيان التوحيدى وفى الخطاب الصوفى على العموم.

وأبو حيان كان صاحب ملاحظة مبكرة بشأن تداخل الاجنـاس الأدبيـة وعلى وجه التحديد بين النظم والنثر يقول أبو حيان التوحيدى:

«. . . ففى النثر. . ظلٌ النظم ولولا ذلك ما خفّ، ولا حلا ولا طاب ولا تحلى وفى النظم ظلٌ من النثر. . ولولا ذلك ما تميزت أشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره ولا طرائقه ولا ائتلفت وصائله وعلائقه(٢). . فنص أبى حيـان هنا يقيم محاولة لرأب الصدع بين الشعر والنثر، اذن فالتقريب بين النظم والنثر ليس وليد الجهود المتأخرة كما لاحظ الدكتور عبد المالك مرتاض فى قوله بأن الهوة كانت «سحيقة بين الشعر والنثـر الفنى، من الناحية النظرية قديما، أضحت ضيقة جدا فى العهود المتأخرة. حتى إن النظريات النقـدية الحديثة تحاول فى بعض مفاهيمها الجديدة ازالة الحواجز بين الصناعتين»(٣).

وليد غرو

أن مفهوم أبى حيان للكتابة لم يكن تصورا نظـريـا خالصـاً، بل كان ممارسة إبداعية بالـدرجة الأولى. . وهذا ما يفسر انبهار النقـد العـربى ان لم أقـل تجاهله لكتابة أبى حيان الشعـريـة وذلـك لعجـز القراءة أمام هذا التأسيس الجديد للابداع وهو ما حاول أن يشير إليه نظريا فى كتاب المقابسات. . الامر الذى يشجعنا على قراءة نص أبى حيان وتفسير اشكالات خطابه الأدبى من منظور لغوى معاصر يأخذ بفكرة **«الكتابة الجديدة»** و**«القـراءة النـاقـدة»** وهـذه المقـدمة تضع مصطلح الايقاع فى الكتابة الشعرية بعيدا عن الغرابة وانطلاقا من أن الكتـابـة الشعرية لون جديد يرفض القراءة الأفقية القديمة. . **فديناميكية الايقاع هنا لا تتصور إلا من داخل القراءة العمودية المعاصرة.**

إن ديناميكية الايقاع تفسر بجلاء مفهوم «الأدبية» فى واقع الكتابة الشعرية لأن مفهوم «أدبية» النص تحدد العلاقة القائمة ما بين «الباث و«المتقبل» وبالتالى فإن قراءة التقبـل تبنى أسـاسـا من قراءة النشأة ولعـل الإشكال الحاصل هنا قائم من تحديد ماهية الايقاع فى النثر.

لقـد ظل مصطلح الايقـاع وقفاً على الموسيقى وعلى الشعـر ردحـا من الـزمن. . وسـاهم هذا المصطلح بهذا المفهـوم فى توسيـع الهـوة بين الشعـر والنثـر. . وكـل الـذين حاولـوا البحث عن جوانب الايقاع فى الكتابة النثرية أدركوا خطورة البحث لأن الطـريق إليه أضحى مسدودا وغامضا. . ذلك لأن نظرية الايقاع كانت مرتبطة مبدئيا بالوزن، وبالجانب الكمى بين الحـركة والسكون الذى هو **«فعل يكيل زمـان الصـوت بفـواصل متناسبة متشابهة متعادلة»** ولكن هناك بعض المفاهيم دافعت عن وجود الايقاع فى النثر وأبعدت كل محاولة تريد أن تحصره فى إطار الموسيقى والـوزن. ومن هنـا لاحظ كل من رينيه ويليك وواستن بأنه من السهل اظهار أن فى النثر نوعا من أنـواع الايقـاع، وأن أشد الجمل النثرية يمكن انعام النظم فى ايقاعها أى يمكن تفريعها الى فئات

من مقاطع طويلة وقصيرة شديدة وخفيفة«٤».

اذا كان الايقاع قد ارتبط في القراءة العربية القديمة بالشعر لأنه ذو صلة بالوزن المبني على نظام البحور القائم على ركيزة التفعيلة والقافية المحصورة بين ساكنين آخرين بينهما متحرك فان ذلك لا يغلق الباب أمام القراءة المعاصرة أن تفك هذا الحصار عن الايقاع وتحرره من ربقة الشمولية أو تضع العروض شكلا من أشكال الايقاع ليس الا ذلك لأن النص الأدبي هو محاكاة لايقاع الكون الذي من بين مظاهره تعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول الاربعة... الخ.

كما أن الايقاع نفسه حكمة صامتة طاردتها النفوس ولما أدركتها أعربت عنها بالاصوات فهي متفرقة في تناغم الكون.. ومرونة النص الذي هو صورة صوتية لغوية قائم على عنصر الايقاع.. فكل نص تغيّب فيه الايقاع فانه سيكشف بدوره عن غياب أدبيته.. المؤثرة في المتقبل وبتعبير آخر فإن:

«غياب الأدبية = القطيعة بين الباث والمتقبل»

واذن ليست مشكلة الايقاع مقصورة على الأدب بشكل نوعي أو حتى على اللغة فهناك ايقاع للطبيعة وآخر للعمل، وايقاع للاشارة الضوئية وايقاعات للموسيقى وهناك بالمعنى المجازي ايقاعات للفنون التشكيلية. كما أن الايقاع أيضا ظاهرة لغوية«٥». والمشكلة المثارة هنا هل يوجد ايقاع في الكتابة النثرية؟ ويتساءل توفيق الزيدي عندما لاحظ القراء القدامى قد ربطوا الايقاع بالشعر فقط. فهل هذا يعني أن فنون القول الأخرى تفتقر الى الايقاع؟«٦».

أن المنطق النقدي هنا يرتبط بالنظرية الأدبية التي تؤكد على استقلالية الجنس الأدبي وعدم تداخله مع أي جنس أدبي آخر، «ولهذا ما تزال القيمة الفنية للنثر الايقاعي مثار الجدل وقابلة للجدل فلو راعينا النظرة الحركية في تفضيل صفاء الفنون والانواع فان معظم القراء المحدثين يفضلون شعرهم الشعري ونثرهم النثري وهم يشعرون بأن النثر الايقاعي شكل مختلف لا هو بالنثر ولا هو بالشعر»«٧».. غير أن بين أيدينا نصوصا تؤكد على ما اصطلحنا عليه بالكتابة الشعرية فان «أصحاب هذا الابداع الجديد قد رزقوا موهبة التوفيق بين جنسي الشعر والنثر بالتالي استطاعوا أن يساهموا في التطعيم الايقاعي للجملة العربية فان أهم ما يظهر من تغير للايقاع في الجملة العربية هو في النثر قبل كل شيء»«٨».. ومن ثم فإن الجملة العربية قد أثرت.. والفصحى قد أدخل عليها الايقاع غنى في المبنى والمعنى. لأن «أية لغة وخاصة الفصحى لم تتطور بالألفاظ والمعاني فقط بل بالايقاع الذي لم يعتبره القدامى أمرا هاما وأصبح اليوم مسألة جوهرية في علم اللسانيات»«٩».

إن مشكلة الايقاع في الكتابة الشعرية تنقل أدبية النص من موقع الخفاء الى واقع التجلي وتضع مشروعا جديدا لاعادة قراءة نظرية الأدب في مجال دراسة الاجناس الادبية.. كما أنها تلقي الضوء على مفهوم كان غامضا في الممارسة النقدية الحديثة وهو مصطلح «الموسيقى الداخلية».

لقد تحدث طويلا أنصار قصيدة النثر عن الموسيقى الداخلية دون وعي منهم لانهم استسلموا للمفهوم الشائع حول الايقاع المرتبط بالوزن والتفعيلة. حيث إن الموسيقى الداخلية عرفتها الكتابة الشعرية قديما وحديثا.. وانما الخلط كان يحصل كما سبق القول من عدم تحرزنا من قانون الأجناس الأدبية الصارم.

ان الحديث عن الموسيقى الداخلية«١٠» هو اكبر من أن يحصر في حروف اللفظة كما يرى د. مجيد محمد عبد الحميد ناجي في ظل الخطاب البلاغي القديم لأن الموسيقى الداخلية التي تترتب من الايقاع تتجلى على أكثر من مستوى: الصوت.. اللفظة.. المعنى.. البنية.. النصية. لكنها تتيح للنص جوا

نفسيا خاصا يؤسس أدبية الخطاب بما يتركه من أثر على نفسية المتلقى . فالاثر النفسى بنى على «أدبية» النص وعلى صلة الباثّ بالمتلقى .

المستوى الصوتى :

ان الدراسات الوضعية التى تناولت كتابات أبى حيان التوحيدى لاحظت بأنه سليل مدرسة الجاحظ التى لم تركب صهوة السجع . ولم تكثر منه الا ما جاء عفو الخاطر فأبو حيان كان يحاكى الجاحظ فى أسلوبه الفلسفى والأدبى فيترك السجع ويقبل على الازدواج(١١) .

فالاعتناء بالسجع كان من الأساليب التى تميز بها كُتّاب القرن الرابع للهجرة وغربة الكتابة هى الأخرى ألّبت عليه الحساد واقترنت بمزاجه الغريب .

«ان هذا الطبع المواتى الذى رُزقه التوحيدى كان مقرونا عنده بأسلوب سهل واضح ذى رنة موسيقية تذكرنا بأسلوب الجاحظ وهذه الرنة الموسيقية هى ثمرة التحاب الدقيق للألفاظ الرشيقة الذى أدى الى ايجاد إيقاع صوتى . ان هذا السجع كان شائعا فى هذا العصر فان التوحيدى لم يتقيد به بل استعاض عنه بالتوازن بين الفقرات على نحو السجع وهو ما يسمى بالازدواج ويسميه الرمانى بالسجع العاطل(١٢) .

أنّ خلو السجع كان خصيصة من خصائص أسلوب التوحيدى فى زمانه لكن هناك مؤلفا واحدا اشتمل على هذا التلوين الصوتى وهو كتاب «الاشارات الالهية» فالخطاب الصوفى تلون بهذه الكمية الصوتية التى أكسبته رنة موسيقية لها وقع داخلى عند المتلقى . . وفسر أنيس المقدسى هذه الظاهرة بأنها متأتية من طبيعة الموضوعات الدينية التى كانت تتصنع فى التراكيب النثرية وتكثر من السجع . ولعل ذلك يعود الى أن السجع فى النثر كان البديل الوحيد فى واقع الامر . يقول ان التوحيدى «**لم يتخذ السجع أسلوبا الا فى كتاب واحد وهو كتاب الاشارات الالهية**» . وليس ذلك بمستغرب فاننا نلاحظ أن الترسب الدينى كان فى كل العصور يميل الى الجرى فى سنن السجع والازدواج المقضى . . «أما فى سائر ترسله فقد التزم الأسلوب المتوازن على طريقة الجاحظ ولم يعمد الى التسجيع الا قليلا وذلك عادة فى المواقف العاطفية»(١٣) .

مثل هذا التفسير يتأتى من منطق لا يؤمن بتداخل الاجناس الأدبية أو على الاصح من عدم الانتباه الى ابداع جديد . . أو جنس أدبى يجمع بين خصائص الشعر وخصائص النثر فى ايقاع عذب . . تتداخل فيه الموسيقى الخارجية . . وهى هنا تأخذ جانب السجع وأسلوب الازدواج الذى أطلق عليه الرمّانى أسلوب «السجع العاطل» والموسيقى الداخلية التى يحققها الايقاع النثرى والذى نحن بصدد تباينه عبر مستويات صوتية وبنائية .

ان الخطاب الصوفى فى كتاب الاشارات الالهية حقق هذا الايقاع ليس لغاية نفعية أو لطبيعة الموضوع المعالج . . انما تولد الايقاع عن طريق الكمية الصوتية النابعة عن أسلوب السجع لما تتطلبه طبيعة هذا الابداع الجديد «الكتابة الشعرية» فالاشارات الالهية حسب أقوال المحققين ودارسى التوحيدى هو آخر مؤلفاته . . وهذا يؤكد أن الأسلوب بلغ غايته القصوى فى النضج والاكتمال .

●● والنص(١٤) الذى نخضعه للقراءة هنا معبأ بشحنات إيقاعية غنية . . تحقق مبدأ الكتابة الشعرية على صعيد التماثل الصوتى بين أجزاء اللفظة مع غيرها .

اما معرضاً	معر / فا
اما مصرحاً	مصر / فا
اما مبعداً	مبع / فا
اما مقرباً	مقر / فا

ان «ما» عندما تتكرر أربع مرات تبعث ذبذبة صوتية الى أذن المتلقى فتترك فى جهاز الاستقبال ترقبا صوتيا آخر ينتظر وقع المعنى من جهاز الارسال. . فتكرار الأداة هو بمثابة التهيئة الصوتية. . فضلا عن حسن التقسيم والتفصيل وكلاهما يحدثان الايقاع من الجانب الصوتى والجانب التركيبى.

فالمشاكلة الصوتية تعطى نغما ايقاعيا واضحا يشبع لذة الأذن الموسيقية التى عادة ما كانت الحكم الرئيسى فى عملية الفصل بين الشعر والنثر. . والالفاظ الأربعة تشترك فى مجموع الأصوات المتقاربة فى المخرج. . وتبدأ كل لفظة بصوت واحد وهو «الميم» الذى يقتضيه التركيب النحوى.

أنّ الوظيفة الدلالية للوحدات الصوتية تنشأ من عملية تركيب كل فونيم مع فونيم اخر فلو أخذنا كل ثنائية من الألفاظ الاربعة.

١) معرضا ـ مصرحا.

٢) مقربا ـ مبعدا.

فالثنائية الاولى تحدد دلالتها الوحدات الصوتية المختلفة والمتمثلة فى الأصوات التالية: **«ع، ص، ض، ح»**.

والثنائية الثانية: **«ق، ر، ب، د»**

١ = معرضا — ٣ = مبعدا
٢ = مصرحا — ٤ = مقربا

١+٤ و ٢+٣ => **يعطيان صوتيا أكثر مما تعطيه الثنائيات.**

وعليه فان الايقاع يخلقه الانسجام الصوتى الذى بدوره يتفاعل مع المفهوم الموجود فى ذهن المتلقى. . وكما هو ملاحظ فان الكمية الصوتية القوية تمنح نغما موسيقيا من جراء الانحباس الصوتى فى الحرف المشدد « رّ ، عّ » كما يعقبه انفراج يترك ايقاعا خاصا مصحوبا براحة فسيولوجية فى نفسية الباث وراحة سيكولوجية داخل المتلقى، والجدول الآتى يعطى التماثل الصوتى بأسهم صاعدة والتضاد الدلالى بأسهم هابطة.

معــرّضــــا	مصرّحـــــا	مبعّـــــدا	مقرّبـــــا
مــ/ عــرّ/ضــا	مــ/ صــرّ/حــا	مــ/ بــعّــدا	مــ/قــرّ/ بــا
1+2+1	1+3+1	1+2+1	1+3+1
↖	↙	↖	↙

ولتحديد التصور البنيوى للوحدات الصوتية نمثل لذلك بالجدول الآتى ونطبق على الألفاظ الخاضعة للمعاينة الصوتية مشيرين الى تحقيق محتوى الوحدة الصوتية باشارة (+) ولعدم تحقيقها باشارة (✗).

صفة الفونيم	ب	ح	ر	د	س	ض	ق	ع	م	
شفوي	+	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	+	
حلقي	Ø	+	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	+	Ø	
لثوي	Ø	Ø	+	Ø	+	Ø	Ø	Ø	Ø	
لثوي أسناني	Ø	Ø	Ø	+	Ø	+	Ø	Ø	Ø	
لهوي	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	+	Ø	Ø	
مفخم	Ø	Ø	+	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	
مجهور	+	Ø	Ø	+	Ø	Ø	+	Ø	Ø	
مهموس	Ø	+	Ø	Ø	+	+	Ø	Ø	Ø	
مرقق	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	Ø	+	

هناك جانب هام من خاصية الايقاع فى النص ويتجلى فى تأثير التركيب البلاغى فى القرآن على صعيد المستوى الصوتى للخطاب الصوفى.

وهذا النص حاول أن يتشرب الكميات الصوتية المستمدة من إيقاعية هذا التركيب.

وأغرب الغرباء من صار غريبا فى وطنه وأبعد البعداء من كان بعيدا فى محل قربه لأن غاية المجهود أن يسلو عن المجهود، ويغض عن المشهود ويغضى عن المعهود ليحد من نعنيه عن هذا كله بعطاء ممدود ورفد مرفود وركن موطود وحد غير محدود».

١ ـ ان غاية المجهود.

٢ ـ ان يسلو عن الموجود.

٣ ـ ويغمض عن المشهود.

٤ ـ ويغضى عن المعهود.

١) ليجد من يغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود.

٢) ورفد مرفود.

٣) وركن موطود.

٤) وحد غير محدود.

ان الكمية الصوتية التى تحدثها المقاطع الصوتية الأخيرة يترتب عنها إيقاع خاص، ناتج من طبيعة المشاكلة الصوتية للمقطع «ود» وحتى المقاربات الصوتية فى المخرج والصفة.. ان هذه التلقائية الصوتية الواردة فى الخطاب الصوفى تؤسس نوعا جديدا فى ماهية الكتابة.

	1	2	3	4
أ	ألْ	مَجْ	هو	ـدْ
ب	ألْ	مَوْ	جو	ـدْ
ج	ألْ	مَشْ	هو	ـدْ
[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]

ومن هذا الجدول نلاحظ المعادلات الصوتية:

فالمقطع (ألْ) فى القسم (١) متماثلة صوتيا.

القسم (٢) من صامت قصير + صامت (ـَـْ) مجْ، موْ، مغْ، مشْ. ان هذه المقاطع تتشابه فى (مـ)، (صامت + صامت قصير) وتختلف فى الصامت الأخير (جْ، وْ، شْ، غ).

القسم (٣) تتشابه فى أ = جـ = د، وتختلف هذه المقاطع مع مقطع (ب) ولكن لا يحدث نشاز صوتيا لأن الفونيم ليس متفردا داخل الجملة الصوتية فاننا نلاحظه فى القسم (٢) فى المقطع أ.

القسم (٤) فهو الذى يشحن الطاقة الصوتية بإيقاع يحدث انسجاما صوتيا ودلاليا وسيكولوجيا . . فمهمته تحدد الدلالة الايقاعية للمنظومة (الايقاعية) اللسانية داخل الخطاب الأدبى.

ان القسم (I) وقع الدلالة التركيبية مرة واحدة (مضاف اليه) أما فى بقية التركيب (اسم مجرور) مسبوق بحرف جر (عن) . . اما القسم الثانى فينطبق عليه ملاحظة جدول (أ) اذا وقعت الوحدات الصوتية مرة واحدة (مضاف اليه) وفى بقية التراكيب (صفة).

	1	2	3
أ	مَنْ	دُو	نْ
ب	مَرْ	فُو	دُ
جـ	سَوْ	طُو	دْ
د	مَحْ	دُو	نْ

ان الوحدات الصوتية فى القسم (١) متفاوتة فى من حيث المخارج وبذلك تعطى الوحدة الصوتية تلوينا للايقاع المتناغم من جراء التشاكل الصوتى فى القسم الأخير (٣) والتفاوت الصوتى فى القسم (٢) أ = د ، ب = جـ.

وهذا كله يتضافر لتكوين أساس الايقاع فى «الكتابة الشعرية» والبحث عن أصوله يتعين من فهم مدى تأثير التركيب البلاغى فى القرآن فى مسار الكتابة الجديدة. . ومحاولة تجديد القراءة لاشكالية الخطاب الأدبى. . فالنص على صعيد المستويات الصوتية ـ يشكل دائرة معرفية لا يمكن كشف حجابها الا من خلال قراءة تأخذ بجماع المسارات التى تؤسس النص وتحدده بوصفه كائنا لغويا بالدرجة الأولى.

وبالتالى يمكن وضع أيدينا على أدبية الخطاب الأدبى انطلاقا من علاقاته اللغوية المتداخلة وتحديد الأسباب التى خلقت ذلك العجز فى مواجهة عالم النص والاقتراب من فضائه الواسع واللانهائى.

هوامش الدراسة

(١) عباس محمود العقاد. اللغة الشاعرة ص٨ (منشورات المكتبة العصرية) بيروت ـ صيدا.

(٢) أبو حيان التوحيدى. المقابسات ـ ص٦٠.

(٣) عبد المالك مرتاض. النص الأدبى من أين؟ والى أين. ص٢٦ (ديوان المطبوعات الجامعية) الجزائر ١٩٨٣م.

(٤) رينيه ويليك. نظرية الأدب ص١٧٠.

(٥) رينيه ويليك.

(٦) توفيق الزيدى. مفهوم الأدبى فى التراث النقدى الى نهاية ق٤ ص١٣٧ (سراس للنشر تونس ٨٥)

(٧) رينيه ويليك. نظرية الادب ص١٧١

(٨،٩) البشيرين سلامة. نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى (الدار التونسية) للنشر ١٩٨٤م.

(١٠) ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د. مجيد عبد الحميد ناجى. ص٤١ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع (ط١، ١٩٨٤)

(١١) زكى مبارك. النثر الفنى فى القرن الرابع ١٦٧/٢. دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة.

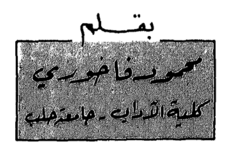
(١٢) ابراهيم الكيلانى. أبو حيان التوحيدى ـ ص٦٠ نوابغ الفكر العربى ـ دار المعارف بمصر. الطبعة الرابعة.

(١٣) أنيس المقديسى. تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى ص١٩١ دار العلم للملايين ـ الطبعة السادسة.

(١٤) ينظر الاشارات الالهية لأبى حيان التوحيدى (نص الغريب).

شعر المغازي والفتوح في صدر الاسلام

بقلم



كان الصراع الداخلى الذى أناخ بكلكَلِه فى الجزيرة العربية إبان العصر الجاهلى قد استنفد قوة العرب وفتّ فى أعضادهم وجعل بأسهم بينهم. ولما أشرق الاسلام بنوره الوضاء جمع العرب والمسلمين تحت راية واحدة ألفت بين قلوبهم وأنستهم ما كان بينهم فى الجاهلية من ضغينة وشنآن وتنافس واختلاف واصبحت الأمة كتلة واحدة مجتمعة الشمل متماسكة البنيان تسير نحو هدف واحد وتحمل مسؤولية مشتركة. وكان أن وجهت قوتها الى الفتوح حاملة معها مفاهيم الخير والعدالة والمساواة وفى ظلال ذلك انبعثت نفحات شعرية اتجهت الى الحث على الجهاد وتمجيد الانتصار ووصف المعارك ورثاء الشهداء.

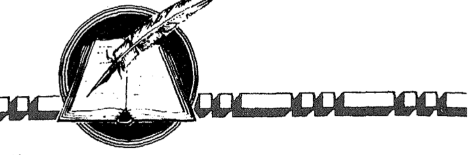
ومن مقدمات ذلك ما كان يقال من الشعر خلال الغزوات والمعارك التى كانت فى عصر النبوة.. ومما يذكر فى هذا المقام أبيات قالها الصحابى الشاعر عبد الله بن رواحة وكان مع الجيش الذى أرسله النبى عليه السلام الى «مؤتة» وولى عليه زيد بن حارثة:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزَّبدا
أو طعنةً بيدى حرّانَ مجهزة
بحربة تُنفذ الأحشاء والكبدا

■ وقد استشهد ابن رواحة فى تلك الموقعة وكان قد أخذ الراية من جعفر بن أبى طالب وقتل قبلهما أيضاً زيد بن حارثة فقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة يرثيهم:

كفى حزناً أنى رجعت وجعفر
وزيد وعبد الله فى رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم
وخُلفت للبلوى مع المتغبّر
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا
إلى ورد مكروه من الموت أحمر

■ وجاء عصر الراشدين فالأمويين وامتدت آفاق الشعر العربى بفضل الفتوحات العربية التى وسعت أغراضه فانتقل هذا الشعر الى حواضر الشام والعراق وغيرها ونشطت حركة الفتوح فى العصر الأموى خاصة وأخذ الشعر يصف مغازى المسلمين وفتوحهم وما لقوه فى بلاد الأعاجم ويشيد بالقادة البارزين وفى مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلى الذى سار النصر فى



ركابه حتى وصل الى «سمرقند» المدينة العظمى للصفد فنصب عليها المجانيق ورماها بها حتى طلب أهلها الصلح . وقد قال فى ذلك كعب الأشقرى :

باهلىّ قد ألبس التاج حتى
شاب منه مفارق كنّ سودا
دوخ الصُّفد بالكتائب حتى
ترك الصفد بالعراء قعودا
كلما حلّ بلدة أو أتاها
تركتْ خيلُهُ بها أخدودا

إذا كنا نجد شعراء فاتحين لم يضربوا فى الشهرة بسهم وافر فإن هناك عدة منهم كانوا فرسان السيف والقلم معاً حين اشتركوا فى تلك المغازى والفتوح وفى مقدمتهم «أبو ذؤيب الهذلىّ» الشاعر المخضرم الذى أدرك خلافة عثمان وشهد فتح إفريقية سنة ٢٦هـ فى جند عبد الله بن أبى سرح ثم عاد الى مصر بصحبة عبد الله بن الزبير ومات فيها . ولعبد الله يقول فى تلك الغزاة :

وصاحب صدق كَسِيد الضَّرا
ء ينهض فى الحرب نهضاً نجيحا
وشيك الفصول بطىء القفو
ل إلا مشاحاً به أو مُشيحا

■ وأبو ذؤيب هذا هو صاحب العينية التى رثى فيها أولاده الخمسة الذين قضى عليهم الطاعون فى مصر والتى اختارها المفضل الضبى فى «مفضلياته» ومطلعها :

أمِنَ المنوُن وريبها تتوّجع
والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزع

■ ومع أبى ذؤيب يذكر «مالك بن الريب» الذى لحق بسعيد بن عثمان بن عفان فغزا معه خراسان ولم يزل بها حتى مات . واشتهر بقصيدته اليائية الرائعة التى رثى بها نفسه عندما حضرته الوفاة وأولها :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة
بجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا

● وفى هذه القصيدة يقول :

ألم ترنى بعتُ الضلالة بالهدى
وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا
لعمرى لئن غالت خراسان هامتى
لقد كنت عن بابَىْ خراسان نائيا
وقد كنت عطّافاً إذا الخيل أدبرت
سريعاً لدى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القرن فى الوغى
وعن شتمى ابن العم والجار وانيا
فطوراً ترانى فى ظلال ونعمة
ويوماً ترانى والعتاق ركابيا
ويوماً ترانى فى رحى مستديرة
تخرّق أطراف الرماح ثيابيا

●● وثالث ذيْنك الشاعرين : «النابغة الجعدى» الذى كان مع عبد الله بن الزبير، ثم خرج مهاجراً الى الأمصار المفتتحة ومات بأصبهان بعد أن عُمِّر طويلا ومن قوله لامرأته حين خرج غازياً :

باتت تذكرنى بالله قاعدة
والدمع ينهلّ من شأنيها سَبَلا
يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى
كرها وهل أمنعَن الله ما فعلا؟
فإن رجعت فربُّ الناس يُرجعنى
وإن لحقت بربى فابتغى بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى
أو ضارعاً من ضنى لم يستطع حولا

أدب

ولو رحنا نتتبع ما قيل فى المغازى والفتوح من شعر لضاق بنا المجال لمكان هذا الشعر من الوفرة والغزارة. وقد حفلت أمهات كتب التاريخ والأدب بنصوص كثيرة من شعر الفتوح كتاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

ويكفى أن نشير الى أن لهذا الشعر قيمة أدبية كبيرة لأنه زاد فى معانى الشعر عمقاً وفى أخيلته اتساعاً وفى أسلوبه سهولة وعذوبة وفى العاطفة قوة واتقادا.. نجد ذلك كله فى أشعار الفرسان وغيرهم ممن اشتركوا فى تلك الفتوح وأبلوا فيها بلاء حسناً وكان لهم مآثر تذكر وينوه بها على مدى العصور ومنهم: عمرو بن معدى كرب الزبيدى وأبو محجن الثقفى وبشر بن ربيعة الخثعمى، وقيس بن المكشوح المرادى، ابن أخت عمرو بن معدى كرب، وهو الذى قتل رستم قائد الفرس فى معارك القادسية وقال فى ذلك:



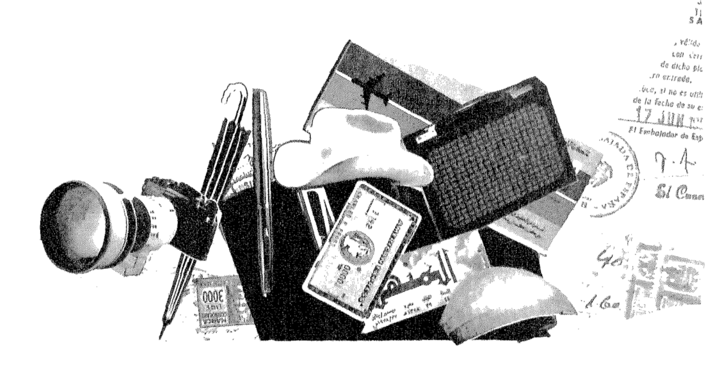
جلبت الخيل من صنعاء تردى
بكل مدجج كالليث سامى
وجئن القادسية بعد شهر
مسومة دوابرها دوامى
فناهضنا هنالك جمع كسرى
وأبناء المرازبة الكرام
فلما أن رأيت الخيل جالت
قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعاً
بسيف لا أفلّ ولا كهام

إن لشعر المغازى والفتوح قيمة تاريخية لا تجحد لأنه يُطلعنا على أخبار الدولة العربية الاسلامية وما وصلت إليه من امتداد فى السلطان ويعطينا أيضا صورا صادقة لا نجدها دائماً فى كتب التاريخ لأنه يعبر عن تجارب عاشها أصحابها وأحسوا بها حتى إن بعض هذا الشعر يبدو أشبه بملاحم شعرية تروى فى وصف الفتوح ومعاركها ولقاء الأعداء.

***وشعر الفتوح** بعد ذلك لون جديد ظهر فى أدبنا العربى بظهور الاسلام وأضاف الى أغراض الشعر موضوعات وأفكاراً قيمة جديرة بالدراسة والبحث تضاف الى وصف المعارك ورثاء الشهداء ومنها الحنين الى الأوطان وتسجيل خطرات النفوس وتوقد العواطف ووصف القلاع والحصون وآلات القتال وما الى ذلك. هذا إضافة الى الروح الدينية التى تسرى فى ذلك كله وتمجد الجهاد والشجاعة وتتغنى بالانتصارات فى أسلوب محبب ولغة عفوية نائية عن التكلف والتصنع.*



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- جولة على شاطئ بحر ايجه — د. انور طاهر رضا
- دعوة إلى بلاد الشمس المشرقة — أحمد عبده محمود



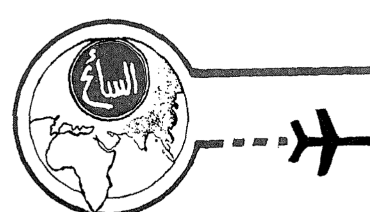
جولة على شاطئ بحر إيجة

بقلم
د. أنور طاهر رضا
- تركيا -

لعل السمة البارزة لشبه جزيرة الاناضول كما يدل عليه الاسم انه محاط بالبحار من ثلاث جهات، فالبحر الاسود فى الشمال والبحر المتوسط فى الجنوب وبحر مرمرة وبحر ايجة فى الغرب. والسمة الاخرى ان هذه البحار تضفى على شواطئها اقاليم مناخية متباينة عن بعضها البعض. وعلى العموم فتركيا تتمتع بسبعة اقاليم مناخية تكاد تغطى جميع الاقاليم المناخية على الكرة الارضية عدا الاقليم الاستوائى..

تسقط فى هذه الاقاليم المناخية كميات متباينة من الامطار وتكون درجات الحرارة فيها متباينة مما يساعد على انبات مختلف المحاصيل الزراعية.

من الآثار الرومانية.



ويحد بحر ايجة الذى يقع على الساحل الغربى من تركيا، بحر مرمرة من الشمال ويتصل به بمضيق الدردنيل. ويحد البحر المتوسط بحر ايجة من الجنوب واليونان من الغرب يتضمن بحر ايجة الكثير من الجزر اليونانية التى فقدتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى بعد ان كان هذا البحر يعتبر بحرا عثمانيا داخليا.

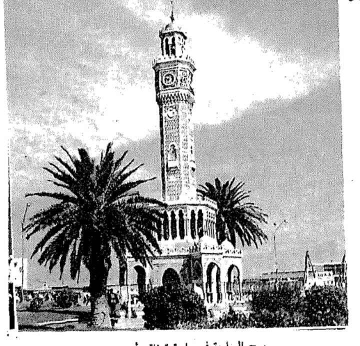
تتصف الحدود التركية اليونانية بانها متعرجة الى درجة كبيرة والجزر متداخلة بحيث يصعب تحديد الحدود المائية الاقليمية.

يعتبر ساحل بحر ايجة من اكثر المناطق الكثيفة بالسكان من ناحية ومن السواحل التى تجذب السواح كثيرا من ناحية اخرى. تتضمن هذه المنطقة مدنا سياحية كثيرة فى غاية الجمال بمياه البحر الزرقاء وخضرة الاشجار فى الساحل والرمال الممتدة التى تشكل مناطق تساعد على السباحة، والخلجان الكثيرة التى تضفى الهدوء على المياه، والمناظر الخلابة فى المرتفعات والمنخفضات المكسوة بالغابات.

تعتبر منطقة بحر ايجة من المناطق التى تطورت تطورا كبيرا من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. تمتد الجبال فى هذه المنطقة باتجاه الشرق ـ الغرب، وتترك فيما بينها مسافات واسعة من السهول. تمتد السلاسل الجبلية الى البحر وتترك على الساحل مرتفعات شديدة الانحدار وتسمح مجالا للتعرجات وكثرة الخلجان. تجرى فى المنطقة من ناحية اخرى انهار وجداول عديدة تشكل لدى التقائها بالبحر دلتاوات فى غاية الخصوبة. ولما كانت هذه الانهار تحمل مياها كثيرة فى فصلي الشتاء والربيع محملة بالاطيان فانها تهدد امتلاء الخلجان بالطمى وهذا ما حصل فعلا بنهر كديز الذى يصب فى خليج ازمير مما حدا بالحكومة التركية الى تغيير مجرى هذا النهر

يشبه مناخ هذه المنطقة اقليم البحر المتوسط وتتغطى جبالها بالاشجار الكثيفة ونظرا للظروف الجوية الملائمة من امطار واراض خصبة فان عددا كبيرا من المنتجات الزراعية ينبت فى هذه المنطقة ومن اهم المحاصيل الزراعية: التبغ والقطن والزيتون والعنب والتين. يستخرج عدد من المعادن فى المنطقة اهمها: الفحم الحجرى والحديد والسمبادة والكروم.

من المراكز الزراعية فى المنطقة: ايوالك وادرميت وبركاما وتورغوتلو والاشهير وصالحلى وآق حصار ومانيسا واودميش.


برج الساحة فى ساحة قوناق بأزمير.

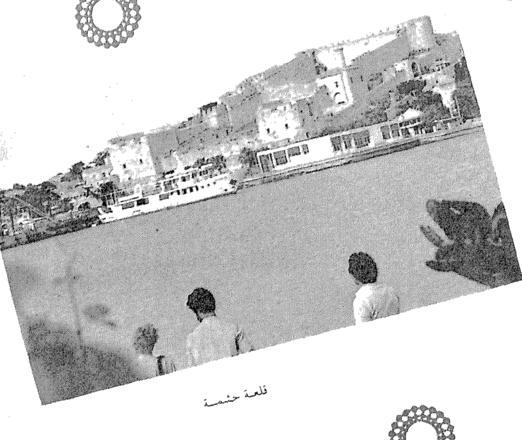
تعتبر مدينه دنيزلى المدينة الثانية فى المنطقة ويجرى فيها نهر مندرس الكبير. ومن المدن الاخرى فى المنطقة: سوكة وآيدن ونازيللى وموغلا وميلاس.



جناق قلعة

تبدأ جولتنا من الشمال وتنحدر نحو الجنوب. تقع مدينة جناق قلعة على الجزء الشمالى من بحر ايجة وعلى الجانب الاسيوى من مضيق الدردنيل وهى ميناء على اضيق جزء من المضيق. تذكر هذه المدينة المرء بالمعارك الدامية التى دارت حولها اثناء الحرب العالمية الاولى وقد ضحى فيها الاتراك بالالاف المؤلفة من الشهداء لكى يحولوا دون مرور قوات الحلفاء من مضيق الدردنيل. نبدأ جولتنا من هذه المدينة كمركز للسياحة. يمكن عبور المضيق الى الجانب الاوربى بسفن حيث مدينة آجة ابعاد. تلك المدينة بنيت حول القلعة التى بناها السلطان محمد الثانى سنة ١٤٥٢. ويمكن للسائح اليوم ان يزور القلعة والمتحف الذى تحتويه.

طروادة


قلعة حشمة

تقع مدينة طروادة على الشمال الشرقى من بداية المضيق بحوالى سبعة كيلومترات. . وهذا يعنى اننا اذا كنا ننطلق من جناق قلعة علينا ان نتجه نحو الجنوب. وقصة حصان طروادة مشهورة فى التاريخ، وقد رواها الشاعر الاعمى هوميروس خير رواية. كانت مدينة طروادة موجودة قبل حرب حصان طروادة وبعدها وتظهر التنقيبات ان هذه المدينة اشغلت من قبل الاعداء تسع مرات ابتداء من العهود السحيقة فى التاريخ والى العهد الرومانى. وقد امتدت الحياة فى هذه المدينة اكثر من اربعة الاف سنة.

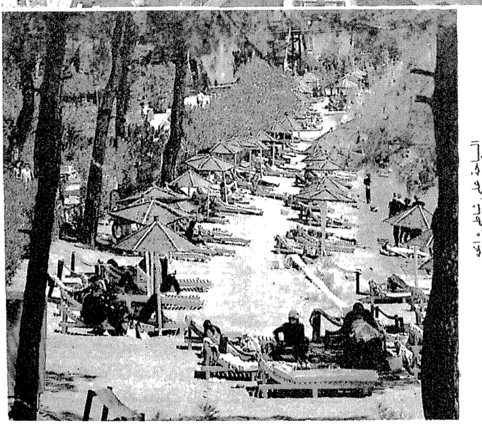
يجد الزائر هنا بيتا مبنيا من الخشب على شكل حصان يدل على حرب طروادة كما يجد بقايا حصون قديمة بنيت فى المرحلة السادسة وبرجا آخر لا زال فى وضعية جيدة من المرحلة الاولى من حياة هذه المدينة. وهناك منحدر مرصوف الى حد باب القلعة التى بنيت فى المرحلة الثانية، ومسرح من العهد الرومانى وتتضمن المدينة متحفا محليا صغيرا الا انه يعطى للسائح فكرة واضحة عن تاريخ هذه المدينة.



ساحة الجمهور فى أزمير

بهرام قلعة

وعلى الجنوب من مدينة طروادة تقع قرية بهرام قلعة بحوالى ١٠٠كم. لقد بنيت هذه القرية التى تقع على الساحل على موقع مدينة اسوس القديمة التى بنيت فى القرن الاول قبل الميلاد ويوجد فى القلعة اشهر معبد يونانى يحتمل ان يكون قد بنى فى القرن السادس قبل الميلاد. ومن قمة هذه القلعة يمكن مشاهدة منظر جميل جدا للبحر مع جزيرة ميتلين وقد رممت الاثار التاريخية المتبقية فى هذه المنطقة بشكل جيد.



السباحة على شاطىء ايجة

خليج أدرميت

يمتاز خليج ادرميت بالسواحل الجميلة والمناظر الخلابة.. يقع بالقرب من هذا الخليج مصيفا التون او لوق وآق جاى، بجوهما الدافىء فى الربيع واورن وعندما يتجه المرء نحو الجنوب فانه يعبر من خلال غابة كثيفة بديعة من اشجار الزيتون ليصل الى ميناء ايوالك الصغير. والميناء مع ما تحيط به من جزر ذات منظر خلاب. وبالقرب من المدينة غابة جميلة من اشجار الصنوبر وعلى مسافة قريبة من هذه المدينة توجد «مائدة الشيطان» التى يجد فيها السائح منظرا بهيا للجزر التى تحيط بشبه جزيرة صارمصاكلى. تكون جزيرة على بك ملائمة لصيد السمك. والى الجنوب ميناء ديكيلى التي يزورها السواح بقواربهم الصغيرة لكى ينتقلوا منها الى بركاما.



برگاما

إن المناظر التاريخية التى تلتقى بها العين فى مدينة بركاما التاريخية تعتبر من اجمل المناظر التى يشاهدها الزائر فى تركيا على الاطلاق. لقد كانت المدينة مركزا ثقافيا مهمًا ينافس افسوس فى التجارة والاسكندرية وانطاكيا فى الفنون والاداب.

كانت دولة بركاما تسيطر على مرور السفن فى شمال بحر ايجة من ناحية والتجارة القادمة من الشرق والتى تعتبر اغنى مناطق آسيا الصغرى من ناحية اخرى.

لقد شجع اتاليدس ملك بركاما الفنانين والنحاتين والعلماء واقام نُصُباً تذكارية جميلة فى المدينة. . اشغلت هذه المدينة فى سنة ١٣٣ قبل الميلاد من قبل الرومان والمدينة على اوج رفاهيتها وحولت بذلك إلى عاصمة مقاطعة آسيا الصغرى الرومانية. . ولغرض زيارة الاثار القديمة فى المدينة يُبدأ بزيارة المعبد الطبى الذى يقع فى الجانب الجنوبى الغربى من اسفل المدينة.

ويمكن زيارة متحف المدينة الاثرى الذى يصف السلالات البشرية المختلفة وهو اصلا بقايا اصل معبد أهدى لسرابيس وحوِّل فيها بعد الى محكمة من قبل البيزنطيين. . توجد فى المعبد اليونانى بقايا نصب كثيرة وبقايا مكتبة اثرية تضمنت فى يوم من الايام مائتى ألف مادة اهداها مارك انتونى فيها بعد الى كيلوباترة. . يوجد ايضا حمام يونانى ومسرح مدرج يونانى ومعبد تراجان ودايانيسوس وبقايا نصب هيكل زيوس وحمام ديمتر ومعبد هيرا وساحة الالعاب الرياضية وساحة المناقشات السفلية.

بعد مشاهدة هذه الاثار الفريدة وفى الطريق الى ازمير ينصح بالتوقف فى ميناء جاندرلى الصغير. يجد السائح هنا قلعة جانوس وهى اكثر القلاع التى تحافظ فى تركيا على اصلها القديم. وفى فوجه حيث الاثار اليونانية.

ازمير

تعتبر مدينة ازمير من اهم المدن العصرية فى هذه المنطقة وهى مركز تجارى وميناء بحرى يفتتح فيها سنويا معرض ازمير الدولى وتحتل ارض المعرض مساحة شاسعة من الحدائق الجميلة الغنَّاء، التى تحتوى على متحف يتضمن آثارا تعود إلى ما قبل العهود الاغريقية والرومانية وهى ثانى ميناء فى تجارة تركيا بعد استانبول ويصدر منها الكثير من المنتوجات



لزراعية التى تزرع فى المنطقة. وفيها مؤسسات صناعية عديدة كصناعة السيكاير وزيت الزيتون والاسمنت والمنسوجات ومكائن الحراثة وصناعة القطارات والبتروكيماويات ومصافى النفط... الخ.

وازمير التى تعتبر ثالث مدينة فى تركيا من حيث السكان بعد استانبول وانقره بنيت على ساحل خليج طويل محاط بالجبال مما يضفى على المدينة منظرا فى غاية الروعة والجمال.

لقد بنيت البيوت على سفوح الجبال وزينت المدينة باشجار النخيل. تكون ازمير مركزا جيدا للسائح يزور فيها اشهر المناطق الاثرية والاماكن السياحية فى تركيا.

تتضمن المدينة اثارا من العهد الرومانى (آكورا) التى تحتوى على اروقة لا تزال قائمة الى الان وهى محاطة بميدان فيه نصب بوزيدون وديمتر وارتميس. لقد بنيت منطقة قديفة قلعة فى القرن الرابع ما قبل الميلاد، بحيث تشرف على الخليج ومنها أجمل منظر يمكن لإنسان أن يراه.

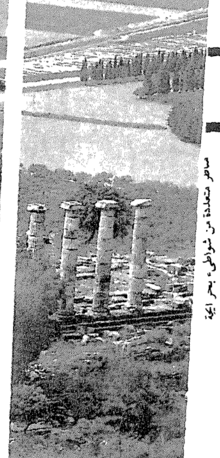
جشمة

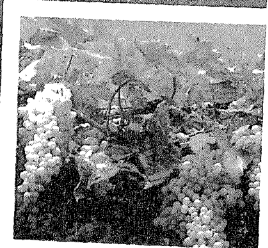
جشمة قضاء من اقضية ازمير وتقع على الغرب منها بحوالى ٨٠ كيلومترا. وهى ميناء صغير تشتهر بقلعتها التى بنيت فى القرن الخامس عشر، ومياهها المعدنية وساحلها الطويل المغطى بالرمال. وبالقرب من جشمة منطقة سياحية اخرى تسمى اليجه تمتاز هى الاخرى بالمياه المعدنية والساحل الرملى.

افسوس

والى الجنوب من ازمير بحوالى ٧٥ كم تقع مدينة افسوس التاريخية المشهورة.. تعتبر مدينة افسوس من المراكز المهمة الغنية بالاثار القديمة.. تضمنت هذه المدينة التاريخية فى عصرها الذهبى فى القرن الثانى بعد الميلاد ما يقدر بثلاثمائة الف نسمة وهو رقم قلّما احتوته مدينة فى التاريخ القديم.. لقد احتكرت افسوس ثروات الشرق الاوسط واصبحت اهم من موانىء البحر المتوسط. واضافة الى قوتها التجارية والاقتصادية فقد اصبحت مركزا للنشاطات الذهنية.. تتضمن المدينة بذلك نصبا تذكارية ومسارح ومعابد وساحات اجتماعات وملعبا رياضيا ومكتبة ومعبد ارثميس الذى يعتبر احدى عجائب الدنيا السبعة.







مناظر متعددة من شواطيء بحر ايجة

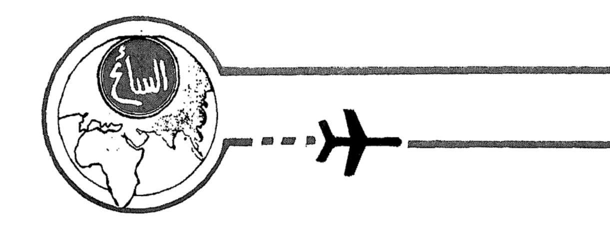
تحتاج زيارة الاطراف الثلاثة المتباينة من افسوس يوما كاملا. تقع بقايا العصر الاغريقي والمدينة الرومانية في اسفل جبل باناير بحوالى ثلاثة كيلومترات من مدينة سلجوق. وفي المدخل يجد الزائر طريقا اركاديا وهو طريق رئيسي مرصوف بالاحجار وحواليه اعمدة حجرية اعتبارا من المسرح والى الميناء القديم. يعتبر المسرح الكبير من اهم اثار افسوس وقد حافظ على شكله القديم. . يجرى على هذا المسرح سنويا مهرجان غنائي تتخلله رقصات شعبية. . وعلى الجهة اليمنى من المعبد حيث الساحة الواسعة التي كانت تستخدم للتباحث في الامور الاجتماعية والاقتصادية من قبل كافة الناس، وحيث اعمدة معبد سرابيس الهائلة ومكتبة سلسوس. ومما يجلب النظر فعلا على طريق كورتس معبد تراجان والنافورة وقاعة الغناء والموسيقى وصف من الاعمدة الحجرية والساحة العلوية للمناقشات وبقايا الملعب الرياضي.

تتضمن مدينة سلجوق الصغيرة القلعة البيزنطية وهي الان تحت الترميم. . وهناك جامع عيسى بك وهو مبني على نمط الجوامع السلجوقية. . لقد بقيت اثار اسس عديدة من معبد ارتميس الشهور يحتوى المتحف الذي وسع اخيرا الاثار الفنية التي اكتشفت في منطقة افسوس.

قوش آداسي

تعني قوش آداسي جزيرة العصافير وتقع على الجهة الغربية من افسوس وعلى شاطيء البحر وهي بذلك ميناء صغير أنشئت على خليج براق يحيط جزيرة صغيرة مغطاة بالزهور. تمثل قوش آداسي احلى خليج على شاطيء بحر ايجة وتبدو انها أنشئت خصيصا لمن يروم قضاء فترة من الراحة والسكون بعيداً عن ضوضاء المدينة وصخب الحياة. . ومما يجلب السواح في هذه المدينة الخان والمنائر والطرق المظللة مع الشارع الرئيسي الذي يتضمن الكثير من الدكاكين التي تبيع الهدايا التذكارية.

وفي الطريق من قوش آداسي الى الجنوب يمر السائح من برين وميلاتوس التي كانت تعتبر من اشهر



مدن الاتحاد الايونى. تتضمن المدينة الكثير من الاثار القديمة من معبد ومسرح وملعب. . تتضمن مدينة ديديم معبد ابوللو المشهور. وعلى بعد اربعة كيلومترات تقع مدينة التون قوم بساحلها الممتع الجميل. . يعتبر افروديس المدينة الرومانية التى اكتشفت حديثا وفى كل سنة تكشف اعمال الحفر والتنقيب عن جوانب مهمة من المدينة. . واهم ما فى المدينة الملعب الرياضى الذى كان يستوعب ٣٠ الف مشاهد ومعبد افروديت القديم وقاعة الموسيقى والغناء وساحة المناقشات والحمامات.

بودروم

تتضمن هذه المدينة قلعة من القرون الوسطى وعلى ساحل المدينة حيث الميناء وقد بنيت على طرفيها قصور فخمة باللون الابيض وزينت الشوارع باشجار النخيل. .

بنيت قلعة القديس بيتر فى القرن الخامس عشر من قبل فرسان رودس، وتمثل اثرا جميلا من المعمار الافرنجى وفى وسط القلعة كنيسة صغيرة ومتحف للاثار البحرية. . تقوم الان فرقة للتنقيب والاثار بترميم بقايا ضريح الملك موسولس الذى كان يعتبر احدى عجائب الدنيا السبعة. . ومن هذه المدينة يمكن القيام بجولة لا يمكن ان ينساها المرء فى خليج كوك أوة وتستمر الجولة بين شبه الجزر الواقعة بين بودروم ومارماريس. . ومن البحر يجد المرء منظرا للساحل على ابدع ما يكون من خضرة ورمال ومياه صافية تكشف عن الاسماك ونباتات البحر الجميلة ويمكن الوصول الى اثار نيدوس ضمن هذه الجولة. . تتضمن نيدوس اجمل ما نحتت لهياكل من الاحجار لفينوس. وهناك بقايا جدار المدينة مع مسرحين ومعبد.


الشواطىء السياحية الخلابة.

مارماريس

تقع هذه المدينة فى الزاوية التى تتميز باقليمى البحر المتوسط وبحر ايجة. . وهى ميناء غطيت بيوتها بالقرميد الاحمر وتتغطى الجبال باشجار الصنوبر التى لا تعد ولا تحصى مما تضفى على المنطقة منظر السواحل النرويجية.

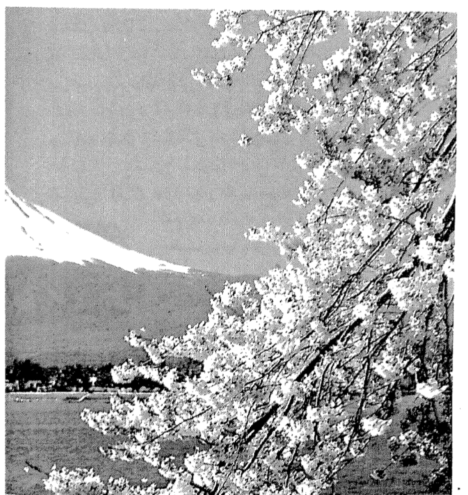
كانت مارماريس قديما حيث مملكة كاريا ميناء مهماً وتقع على الطريق بين الاناضول وجزيرة رودس ومصر. . لقد بقى من الاثار القديمة الشىء القليل منها القلعة التى بنيت فى القرن السادس عشر وجسر وخان.

تعتبر هذه المنطقة من المناطق التى يزورها السواح كثيرا ويمكن القيام منها بجولة بحرية الى المدن القريبة منها. . تقع على شرقها مدينة داتجة حيث يصطاد السمك فيها وبينها وبين فتحية قرية كوى جييز التى تقع بالقرب من بحيرة. ومنها يمكن زيارة كونوس الاثرية والاضرحة الصخرية والسور والمسرح الاثرى.

بلاد الشمس المشرقة

أحمد عبده محمود

تاريخ اليابان حافل ومثير. . بلد عريق فى كل شىء. . ممتلىء حيوية ونشاطاً ينشد دائما تحسين القديم واكتشاف الجديد. . وعلى مر التاريخ اظهرت اليابان مقدرة على استيعاب الجديد واقتباس الفنون مع ايجاد الانسجام مع التقاليد اليابانية. . تأسست عاصمتها فى مدينة نارا فى القرن الثامن الميلادى، ثم نقلت الى مدينة كيوتو فى القرن التاسع حتى عام ١٨٦٨ واخيرا استقرت فى طوكيو. . . وفى وسع زائر اليابان اليوم أن يرى آثار الحضارات التى سادت وازدهرت فى كل من مدينة نارا وكيوتو فى العصور القديمة. . والملاحظ ان الحضارة الجديدة قد ازدهرت فى القرن السادس عشر الميلادى وانتشرت بين عامة الناس بدءاً بتنسيق الزهور وانتهاءا بحفل اعداد الشاى اليابانى التقليدى. .



روايات (نوه)، دراما الكابوكى المسرحية التقليدية، قراءة قصص الحرب التى تصف انتصار وسقوط أسر الساموراى كل هذه وغيرها تمثل هوايات شعبية لما لها من نكهة الماضى والموروث الشعبى لديهم.



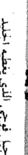
مدينة القرن (٢١) النموذجية شيناجاوا بطوكيو

ويعد فن المسرح اليابانى من اكثر الفنون رواجا اذ انه ينقسم الى ثلاثة اقسام هى: (الكابوكى.. نوه.. بونراكو).

(١) <u>الكابوكى</u>: عبارة عن دراما قديمة تستند على فنون الرقص والغناء.. وفى بعض الاحيان لا يتسم الموضوع بالتعقل ولهذا لا يجوز ان يتوقع الجمهور منطقا فى الروايات المقدمة على المسرح.

(٢) <u>نــوه</u>: فن مسرحى قديم يجمع بين الدراما والرقص والموسيقى.. ويرتدى الممثل الاول ومن يشترك معه اقنعه كى يمثلا شخصيات معينة بينما لا يتقنع الاخرون مطلقا.. فممثل النوه المقنع يعرب عن طائفة من المشاعر بحركة الراس والايدى.

والمسرح لا يتجاوز ١٧٩ قدما مربعا ليس فيه ستار.. والجوانب الثلاثة مفتوحة للجمهور ويبلغ عدد افراد الفرقة الموسيقية عادة اربعة ويعزفون على النـاى والطبـل الكتف والطبـل على الـركبـة والطبلة المنبسطة.. ويتكون الكورس من ستة الى ثمانية مغنين، يجلسون ارضا فى صفين على اليمين.


جبل فوجى الذى يغطيه الجليد



بعيداً عن ضجيج الماكينات الضخمة وزحمة البشر تجتذبك مدينة كيوتو بروائع أساطيرها التاريخية

●●●

(٣) بونراكو: لا يوجد فى العالم مثل عرائس (بونراكو) الزاهية هنداما والجميلة شكلا.. فطول الواحدة حوالى اربعة اقدام وفيها ادوات ميكانيكية تجعلها اقرب الى الواقعية فيقوم ثلاثة اشخاص بتحريك العرائس الثلاث المهمة واثنان لتلك الاقل اهمية.. ويرتدى محركو العرائس ملابس سوداء وذلك باستثناء رئيس المجموعة الذى يرتدى هنداما زاهيا بشتى الالوان.. ويشترك فى الاداء موسيقيان على يمين المسرح.

وفى منتصف القرن السادس عشر بدأ اتصال اليابان مع الغرب للمرة الاولى.. فاستطاع المبشرون الاوروبيون بالمسيحية اقناع عدد كبير من اليابانيين باعتناق المسيحية وعلى الاخص فى الجزء الجنوبى من اليابنان.. ولكن الشوجن امر بتحريم المسيحية واغلق ابواب اليابان فى وجه الاجانب باستثناء التجار الهولنديين والصينيين الذين سمح لهم بالعيش فى جزيرة صغيرة قرب ناجاساكى وقد بقيت هذه لمدة مائتين وخمسين عاما نافذة اليابان الوحيدة على العالم.. منذ نهاية القرن الثامن عشر تعرضت اليابان لضغط متزايد كى تفتح الموانىء للتجار الاجانب وكان التراب اليابانى يشهد امارات تدهور فى النظام السياسى الاجتماعى الاقطاعى.. واخيرا ابرمت اليابان فى عام ١٨٥٤ معاهدة صداقة مع الولايات المتحدة الامريكية واعقبها معاهدات مماثلة مع بلدان اخرى وهكذا فتحت اليابان ابوابها للعالم اجمع.. فكانت تلك بداية مشاركة اليابان مع الاسرة الدولية.

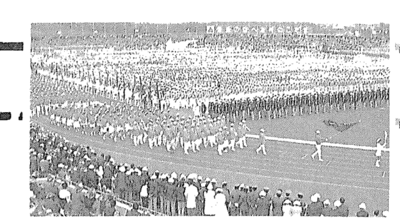
«الكندو» أو رياضة الشيش اليابانية

المسرح التقليدي له مذاقه المتميز في الوانه الزاهية وخطوطه

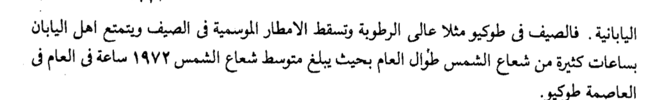
●●●

الأرض والطقس في اليابان

ان اليابان بلاد جزر تمتد على طرف الساحل الشمالى الشرقى من آسيا وتتكون من الجزر الاربع (هوكايدو) فى الشمال، (هونشو) ثم (شيكوكو) و(كيوشو) فى الجنوب واكثر من ٣٠٠٠ جزيرة صغيرة منتشرة على مساحة ٣٠٠٠ كيلومتر.. وتقع (هوكايدو) على بعد ٤٥ كلم عن (سحالين) وتقع (كيوشو) على بعد ٢٠٠ كلم عن (كوريا) وتبلغ مساحة الجزر اليابانية ٣٧٧٦١٩ كيلو متر مربع.. اما اشهر الجبال فهو جبل «فوجى» البالغ ارتفاعه ٣٧٧٦ مترا ويحرص كل يابانى على تسلقه مرة فى العمر اذ يعتبر موضع اجلال بين الاهالى عامة.. وفى اليابان العديد من البراكين والانهار والينابيع المعدنية والبحيرات التى تزيد جمال اليابان.. وتبرز الفصول الاربعة فى الجزر



حفل افتتاح المهرجان الرياضى الوطنى السنوى



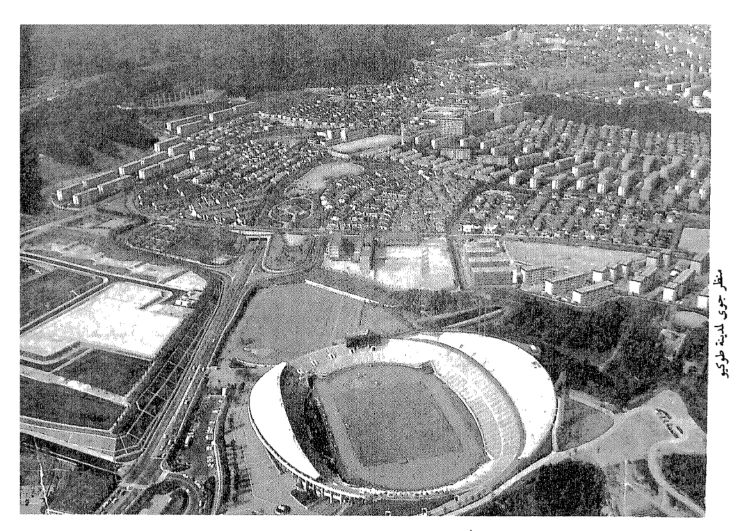
اليابانية. فالصيف فى طوكيو مثلا عالى الرطوبة وتسقط الامطار الموسمية فى الصيف ويتمتع اهل اليابان بساعات كثيرة من شعاع الشمس طوال العام بحيث يبلغ متوسط شعاع الشمس ١٩٧٢ ساعة فى العام فى العاصمة طوكيو.

السكان والحياة الاجتماعية والثقافية

ارتفع عدد سكان اليابان من ٣٥٫٣ مليون نسمة فى ١٨٧٥م الى ١١٧ مليون فى سنة ١٩٨٠م وهذا يجعل اليابان سادس دولة فى عدد السكان بالعالم.. وتبلغ كثافة السكان ٣١٤ شخص لكل كيلو متر مربع وبهذا تعتبر اليابان من اشد مناطق العالم فى كثافة السكان.. والقانون اليابانى يكفل حرية تعدد الديانات لكل افراد الشعب..

وعن الزراعة فى اليابان.. فقد كانت فيما سبق هى عماد اقتصادها فقد بلغ عدد الاسر فى حقل الزراعة ٦٫٢ مليونا فى عام ١٩٥٠م ولكن نقص هذا العدد الى ٤٫٦٦ مليون فى ١٩٨٠م فقد اخذ الشبيبة يهجرون المزارع ويلتحقون بالصناعات والمهن والحرف الاخرى فى المدن الكبيرة.

مهرجان «تاناباتا» فى ٧ يوليو



منظر جوى لمدينة طوكيو

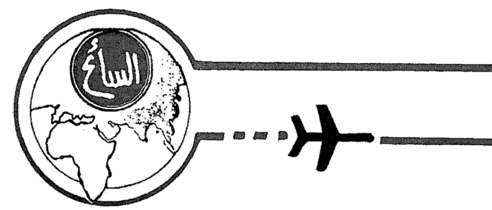
وبما ان اليابان محاطة بالبحر لذا يعتمد اليابانيون على الاسماك للبروتين الحيوانى الرئيسى . . ولم يتعود اليابانيون على اكل اللحوم قبل ان يبدأ اقبال اليابانيين على الحياة الغربية فى ١٨٦٨م وهكذا كانت صلة اليابانيين قوية مع الاسماك . . وقد بلغ صيد الاسماك فى اليابان ١٠ر٦ مليون طن (ما عدا الحيتان) فى ١٩٧٩م وبهذا كانت اكثر بلد منتج للاسماك فى العالم.

للسائح خاصة

عند هبوطك مطار طوكيو او اوساكا مثلا تطالعك ابتسامة عذبة . . اذ يتحلى الناس عامة بعادات وطباع لطيفة بقدر ما يتصفون بمحبة زائدة للنظام والدقة اينما حللت فى بلاد الشمس المشرقة . . ويصل اكثر من ٧٠٪ من الزوار الى اليابان عن طريق مطار طوكيو الدولى . . وتترواح اجرة التاكسى بين ١٠٠٠٠ و١٣٠٠٠ ين تقريبا . . وتستغرق الرحلة زهاء ساعة ونصف الساعة . . اما حافلة الركاب فانها تكلف الراكب الواحد (٢٣٠٠) ين لغاية هاكوزاكيتشو قرب نيونباشى . . ويربط المطار بمحطة اوينو فى طوكيو قطار «سكاى لاين» الذى يقطع المسافة بين محطة كيسيه اوينو والمطار فى غضون ساعة.

ويوجد باليابان ٢٣٥ مكتبا مخولا لتسهيل السياحة والسفر داخل اليابان وخارجها . . وتتولى هذه المكاتب مساعدة السائح او المقيم بترتيب رحلة تناسبه فى شتى انحاء الجزر اليابانية فتقدم له خدماتها وتزوده بكل ما يحتاج اليه من معلومات ونشرات اعلامية سياحية وتحجز له بوسائل المواصلات.

ان اليابان بصفتها مجموعة جزر محاطة بالمياه من كل جانب تتعرض للتيارات الدافئة والباردة وتختلف فصولها اختلافا مميزا . . فيمتد الربيع عادة من مارس الى مايو والصيف من يونيو الى اغسطس والخريف من سبتمبر الى نوفمبر والشتاء من ديسمبر حتى فبراير . . وفى طوكيو العاصمة وكيوتو العاصمة القديمة تبدأ عادة ازهار الكرز بالتفتح بحدود الخامس من ابريل وتتواصل حتى العاشر من مايو . . وخلال فصلى الصيف



والخريف تقام مهرجانات زاهية من حين لاخر فى اماكن كثيرة من اليابان وهذه ذات جاذبية للسياح . . وفى الاشهر الحارة يرتاد الناس مناطق الجبال والمصايف والشواطىء للنزهة والسياحة وهذه تكثر حول المدن الرئيسية ويمكن الوصول اليها بالقطارات والسيارات خلال بضع ساعات . . وفى اماكن متعددة توجد ينابيع معدنية حارة .

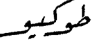
اما الشمال اليابانى فيكون خلال الشتاء مكسوا بالثلوج حيث تتجمد مياه البحيرات وتدعو للتزحلق . وفى هذا الوقت تبدو السماء صافية على وجه العموم ولهذا يمكن الاستمتاع بمشاهدة جبل فوجى .

زيارة للبيوت اليابانية

يتمكن زائر اليابان من التعرف عن كثب على نمط معيشة اليابانيين وتمتين الاتصال مع الاسر اليابانية . . ففى طوكيو يمكن ترتيب ذلك عن طريق مركز الاعلام السياحى وايضا فى اوساكا تستغرق الزيارة عادة حوالى ساعة او ساعتين ولا حاجة لدفع مبلغ ما ـ سوى لقاء خدمة خاصة ـ ولكن على الزائر دفع اجرة الانتقال للمنزل والعودة منه . . وسوف يكون من اللائق ان يأخذ الزائر هدية مهما تكن لاهل البيت . . ويجب تقديم طلب الزيارة الى احدى مراكز الاعلام السياحى قبل يوم واحد من زيارته لاحدى البيوت اليابانية .

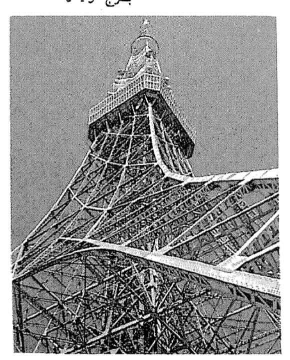
زيارة معالم المدن الكبرى

يمكن لزائر اليابان الاستعانة بدليل سياحى لزيارة الاماكن التى يريد مشاهدتها فى المدن الكبرى الرئيسية او الجزر المتعددة . . والطريقة الاخرى لمشاهدة الاماكن السياحية هى الانضمام الى جماعة من السياح ينظم الجولة لهم مكتب السياحة اليابانى او وكالات السفر الاخرى فى طوكيو واوساكا .



طوكيو هى عاصمة اليابان منذ عام ١٨٦٨م وتقع فى منتصف الجزء الشرقى من جزيرة (هونشو) مقابل خليج طوكيو النابع من المحيط الهادى . . وتبلغ مساحتها ٢١٤١ كيلومتر مربع بينما يربو سكانها على ١١٫٦٣ مليون نسمة بقليل . . وكان يطلق عليها قديما اسم «ايدو» ومنذ استتباب الحكم الامبراطورى فى هذه المدينة العملاقة اصبحت هى المقر الادارى والثقافى والمالى والسياسى القومى . . فضلا عن النشاط الصناعى والتجارى ومع انها عاصمة اخذت الكثير من اسباب الحضارة والعمران الغربى فانها ما تزال تحتفظ بسمات الماضى العريق . . لذلك فان ما يجعل طوكيو جذابة للزائر هى مقدرتها على الجمع بين الشرق والغرب . . الجديد والقديم .

برج طوكيو





وتشمـل الامـاكن السياحية الجذابة للزائر القصر الامبراطورى المحاط بالخنادق المائية ذات المناظر الخـلابة ثم حى مارونوؤتشى ـ الوسط التجارى الزاخر بالحركة والنشاط ومبنى البرلمان. . وحى (جينزا ونيهـونباشى) اكثر الاحياء ازدحاما بحركة البيع والشراء وهنالك ايضا منتزه (ميجى) الاولمبى والاستاد القومى وقاعة الفنون التذكارية وبرج طوكيو (البالغ ارتفاعه ٣٣٣ مترا) اعلى برج فى العالم. . كذلك منتزه هيبيا فى وسط العاصمة ونصفه يابانى والاخر غربى الطراز. . ومدينة الملاهى «شينجوكو» كما يوجد المتحف القومى فى حى اوينو، اضافة الى الاحياء الجميلة الاخرى والمسلية والتى تزخر بها طوكيو. . بما فى ذلك ساحات التزحلق على الجليد وملاعب رياضات المصارعة التقليدية «السومو» والجودو والكاراتى.

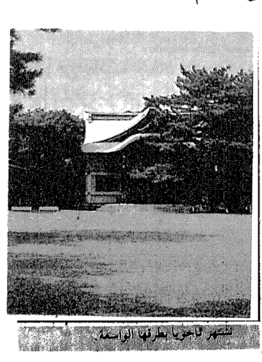
يوكوهاما

ميناء يوكوهاما

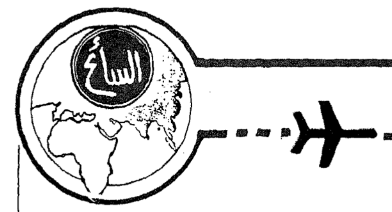
يبلغ عدد سكـان مدينة يوكوهاما حوالى ٢٫٨ مليون وتقع فى الجزء الجنوبى الغربى من طوكيو وهى بوابة اليابان للسفن التى تمخر عباب المحيط وتفد من جميع انحاء العالم الى هذا الميناء المشهور. . وتعتبر يوكوهاما المدينة ثالثة اكبر مدن اليابان وهى مركز محافظة كاناجاوا.

لقد افتتح ميناء يوكوهاما للتجارة الخارجية فى عام ١٨٥٩ ولعبت المدينة دورا بارزا فى تقبل الثقافات الاجنبية. . ويمكن الوصول الى يوكاهاما من طوكيو بخط الطرق الرئيسية القومية (كيهن) بالسيارة او بالقطارات الكهربائية التى تسير بمعدل قطار كل خمس دقائق. . وتشتهر تلك المدينة بمنتزه نوجياما ومنتزه ياماشتا المحاذى للميناء. . وقد تم تخطيطه عام ١٩٢٥، ولها شهرة بالحى الصينى ومركز الحرير والعديد من المطاعم ومحلات البيع والشراء وفيها مدينة الملاهى المسماة «ارض الاحلام».

ناجويا


تشتهر ناجويا بطرقها الواسعة.

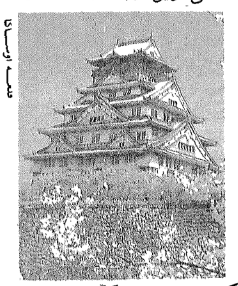
يبلغ عدد سكان ناجويا ٢٠٨٨٠٠٠ نسمة وتقع على بعد ٣٦٦ كلم الى الغرب من طوكيو وتستغرق الرحلة اليها زهاء ساعتين بقطـار شنكـانسـين السـريـع السوبر، وهى من مدن اليابان الصنـاعية الرئيسية بعد طوكيو واوساكا، حيث تتركز نشاطات اليـابـان الاقتصـاديـة. . ويعود تاريخ هذه المدينة الى القرن السابع عشر حين قام الجنرال اياسو توكوجاوا (١٥٤٢-١٦١٦) الـذى اسس حكـومتـه فى ايـدو (طوكيو حاليا) بتشييد قلعته الشـامخـة التى هى رمـز المدينة حاليا. وتشتهر ناجويا بشبكة شوارعهـا العـريضـة البـديعـة التى تحيـط بها الاشجـار من الجـانبيـين. . وتـزدهر ناجويا وضواحيها بصناعات مثل غزل القطن والنسيج وصنع الساعات كما تعرف المنطقة بانتاج سلع



متفوقة اخرى مثل النسيج والخزف وماكينات الخياطة والدرجات والماكينات الكهربائية وخشب الابلكاج . . ثم تكثر حولها الصناعات الثقيلة بانتاج السفن والقاطرات والسيارات وماكينات الغزل والمواد الكيماوية .

اما اشهر الاماكن السياحية فى المدينة فهى قلعة ناجويا ذات الشهرة بادوارها الخمسة والزخارف الذهبية التى على شكل الدولفين . . وكذلك بمتحف توكوجاوا للفنون الذى يحوى ما يقرب من ٧٠٠٠ تحفة فنية والسيوف وملابس «نوة» التى يرتديها امراء الاقطاع وبمنتزه هيجاشياما الشهير بحدائق الحيوان والنبات وبالبرج التلفزيونى وصناعة الصينى «نوريتاكى» وحى اوسو للملاهى واسواق البيع والشراء قرب محطة ناجـويـا . . ومن ناجويا يمكن للزائر الاستمتاع برحلة الى قلعة اينوياما المطلة على نهر كيسو السريع المسمى «راين اليابان» ومدينة جيفو ايضا .

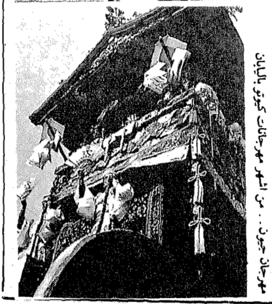
مدينة أوساكا


قلعة اوساكا

تعد اوساكا اكبر مدن اليابان بعد العاصمة طوكيو . . وتبعد عنها زهاء ٥١٥ كيلو مترا يقطعها قطار السوبر اكسبريس فى ثلاث ساعات وعشر دقائق، والطائرة فى ٤٥ دقيقة . . وهذه المدينة ذات حوالى السبعة ملايين نسمة هى المركز التجارى والصناعى المهم فى غرب اليابان واذ تقع على مصب نهر يودو تتخلل شبكة القنوات شوارعها المزدحمة . . وقد لعبت هذه القنوات المائية دورا هاما فى ازدهار اوساكا كمدينة تجارية . . ولقد اشتهرت المدينة كذلك فى التاريخ باسم «نانيوا» خلال القرن الرابع حتى الثامن فكانت اكبر مدن اليابان . . ومن اهم معالم اوساكا القلعة التى تحمل اسمها ومجموعة من اماكن اللهو البرىء والمتاجر الكبيرة .

كيوتو .. ملتقى السياح

يبلغ عدد سكـان «كيـوتـو» حوالى مليون ونصف . . وتقع فى اواسـط اليابان على بعد ٤٣ كيلو متر شمال شرقى اوساكا . . وهى مدينة غنية فى الاحداث التاريخية والقصص الاسطورية كما تزدهـر فيهـا الفنون اليابانية القديمة الجميلة . . وكانت كيوتو عاصمة اليابان بين ٧٩٤ و ١٨٦٨م وتزخر بالعديد من القصور والحـدائق الغنـاء . . فضـلا عن كونهـا مدينـة المهـرجـانـات والاستعراضات الزاهية وتباهى مراكز الفنون الصناعية بتاريخ طويـل فى نسيـج الحـريـر والخـزف والعرائس ولعب الاطفال ومنتجات البرونز فى هذه المدينة العريقة التى يفد اليها السياح من جميع انحاء اليابان والعالم .


مهرجان جيون .. من اشهر مهرجانات كيوتو باليابان



مدينة نارا

يبلغ سكان «نارا» حوالى ربع مليون نسمة ويمكن الوصول اليها اما من اوساكا او كيوتو فى غضون ساعة واحدة . . وقد كانت العاصمة القومية فى القرن الثامن . . وفى اوج مجدها كانت موطن الفن والحرف اليدوية والحياة الادبية والثقافية المزدهرة .

ومن الاماكن التى تستحق الزيارة منتزه نارا وكذلك المتاحف العديدة التى تضم مجموعة ثمينة ونادرة من الفنون والتحف .

كيتاكيوشو

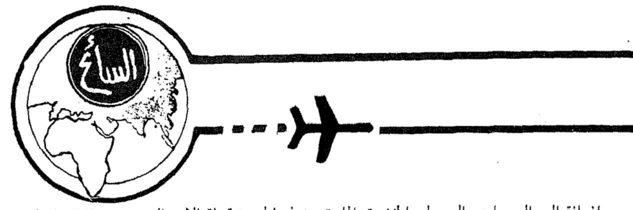
يبلغ مساحة كيتاكيوشو ٤٦٦ كيلومترا مربعا. وعدد سكانها ١٠٦٥٠٠٠ نسمة وهى تقع على الطرف الشمالى من جزيرة كيوشو فى جنوب اليابان وهى سابع اكبر مدن اليابان ، تحيط بها ثلاث مناطق صناعية هى كيهن، هانشن ، تشوكيو . . والمعروف عن هذه المدينة انها تضررت من جراء التحول من الاعتماد على الفحم الى النفط كما انها اصيبت بشلل لدى انهيار شبكة المواصلات بعد الحرب العالمية الثانية . . ولكنها اخذت تستعيد اهميتها الصناعية سريعا بانضمام المدن الخمس اليها وهى كوكورا موجى توباتا ، ياهاتا ، واكاماتسو. وقد باتت تلعب دورا متزايد الاهمية كميناء وكمركز تجارى وصناعى ففيها مثلا مجمع الصلب المتكامل ، احدث مجمع من نوعه فى العالم .

جسر كانمون الذى يربط هونشو (الجزيرة الرئيسية) مع جزيرة كيوشو.

من اشهر المواقع السياحية بهذه المدينة منتزه ميكارى الذى يتغلغل مضيق كامون حيث يوجد اكبر جسر (كوبرى) معلق فى الشرق طوله ٢٠٦٨ مترا. وهنالك المنتزه البحرى المليء بالصنوبر الاخضر وتشكيل الصخور الرائع وذلك بالاضافة الى جزيرة شيكانوشيما الواقعة فى منتصف المنتزه وترتبط هذه مع البر بشبه جزيرة يستغرق الوصول اليها ساعة بالحافلة الزورق من مدينة فوكؤوكا .

هوكايدو

هوكايدو هى اكبر الجزر فى شمال اليابان وهى منطقة زراعية تزود البلاد باغلب احتياجاتها من الاخشاب والالبان وعاصمة الجزيرة هى سابورو التى يمكن السفر اليها جوا من طوكيو فى ساعة وربع . ويقام فيها مهرجان الثلوج خلال شهر فبراير (شباط) الذى يجتذب الاف الزوار من يابانيين واجانب . وقد اقيمت فيها عام ١٩٧٢ دورة العاب الاولمبياد الشتوية الحادية عشرة . وتشتهر جامعة هوكايدو بوجود حوالى ستة آلاف صنف من النباتات التى جلبت من شتى ارجاء المعمورة .



واضافة الى البحيرات والسهول والخضرة والماء توجد فى الجزيرة قبيلة الاينو التى يعيش افرادها على الطبيعة ويحتفظون بعادات وتقاليد مميزة تعطيهم طابعا يختلف عن مجتمع الصناعة والعصر الحديث.

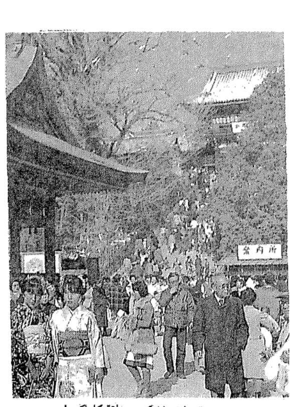
الشمال الياباني

تحدثنا بما فيه الكفاية عن العاصمة والمدن الكبرى وعن الجنوب اليابانى.. ولنعد الى الشمال فهو مناطق جبلية وعرة شديدة البرودة شتاء.. علما بان المناطق الساحلية غربا وشرقا معتدلة نسبيا. وفى الشتاء تكسو الثلوج اغلب المناطق الشمالية لمدة خمسة اشهر على الاقل.. ولكن هذا لا يعيق السياحة برا وبحرا وجوا بكل وسائل النقل الحديثة.. اذ ان الشعب اليابانى يعشق الرياضة فى جميع الفصول والاحوال الجوية المختلفة فيقصد زهاء مليونى شاب وفتاة للتزحلق على الجليد كل شتاء فى اعالى الجبال.

وهناك هضاب بانداى التى ترتفع ٦٠٠٠ قدما عن سطح البحر وهى ذات شهرة بالبحيرات والبرك الجبلية المتعددة الالوان وبوسع الزائر الاستمتاع برحلة فى هذه القمم الشامخة ذات المناظر الخلابة، وهناك الينابيع المعدنية الحارة فى هيجاشياما.. ومن اهم المدن فى الشمال اليابانى:

كاماكورا

مصيف بحرى جميل تقع على بعد ٥١ كلم جنوب غربى طوكيو ويمكن الوصول اليها بالقطارات الكهربائية العديدة من العاصمة.. جوها اللطيف والشاطىء الذى يصلح للسباحة يجعلها مصيفا محببا للعطلة فى جميع المواسم.


مدينة هاتشيهان كو بمنطقة كاماكورا

هاكوني

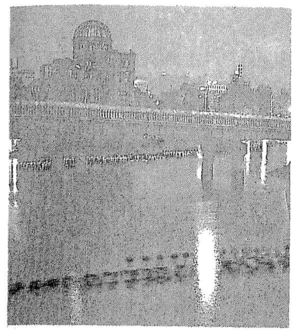
تشكل جزء من منتزه فوجى هاكونى ايزو القومى.. وهى ذات شهرة بالمناظر الجبلية فضلا عن كونها موقعا مهما للينابيع المعدنية الحارة البالغ عددها (١٢) وتعرف بمصيف ينابيع ميانوشتا الحارة ويمكن الوصول اليها بعد رحلة ساعتين بالقطار من العاصمة طوكيو وبحافلة الركاب.

وهذه المدينة تشتمل على اماكن السياحة والاصار التاريخية منها بحيرة آشى التى ينعكس جبل فوجى على صفحة مائها الرقراق.. ايضا وديان اواكودانى وكواكى دانى التى تنبعث منها الا بخرة الكبريتية.. بالاضافة الى جبل كوما المشرف على مشهد طبيعى اخاذ.



منطقة البحيرات الخمس

يُطلق على هذه المنطقة فردوس السياح لانها تتكون من البحيرات الخمس المحيطة بجبل فوجى.. وقد حباها الله بجمال طبيعى يأخذ بالالباب وخاصة حين يصل المسافر اليها بالسيارة فيرى فجأة ماء البحيرات وسط الجبال الشامخة وخاصة بحيرة ياماناكا، وبحيرة كاواجوتشى المطلة على جبل فوجى.

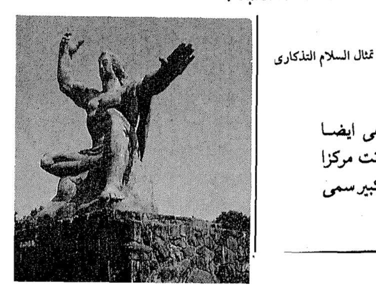


فى فصل الصيف يتم وضع العديد من الزوارق الورقية الصغيرة المضاءة فى نهر أوتا فى هيروشيما لأجل ذكرى ضحايا القنبلة الذرية على هذه المدينة.

هيروشيما

ليس من شك ان القارىء العزيز سمع عن مدينة هيروشيما.. هذه المدينة التى القيت عليها القنبلة الذرية حقا لقد زالت آثار القنبلة الذرية بفضل همة الشعب اليابانى وتحديه للواقع وتتطلعه للمستقبل المشرق.

ويرجع تاريخ هيروشيما الى القرن السادس عشر حين شيد الامير الاقطاعى (مورى تيروموتو) قلعته التى تحمل اسم المدينة مقابل خليج هيروشيما.. وهى الان من اهم المدن على ساحل البحر الداخلى باعتبارها مركزا ثقافيا وصناعيا وتجاريا ينبض بالحياة وتعج بالحركة والنشاط.. وهى تقع على بعد ٢١٠ ميل من اوساكا وتستغرق الرحلة اليها بالقطار اربع ساعات ونصف.. وبالامكان زيارة اهم معالم هيروشيما فى جولة تستغرق زهاء ساعتين تشمل منتزه السلام التذكارى وحدائق هيجياما وشوكيين وان تيسر الوقت الكافى فيمكن زيارة جزيرة مياجيما وهى على بعد رحلة ساعة بالقطار.. ومنتزه السلام التذكارى يقع فى دلتا نهر موتوياسو ويضم النصب التذكارى وقاعة السلام التى شيدت عام ١٩٥٥م.. وفيها حجرة تحوى اشياء كثيرة تذكر باول كارثة ذرية فى التاريخ.. وهناك ايضا قبة القنبلة الذرية التى تعيد الى الاذهان فظاعة القاء هذه القنبلة.

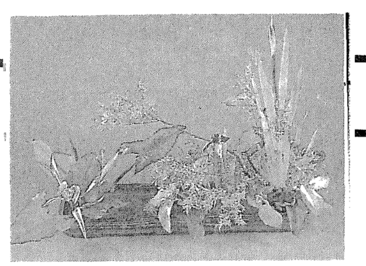


تمثال السلام التذكارى

ناجازاكي

عروس موانىء الجنوب اليابانى والتى تعرضت هى ايضا لقصف ذرى عام ١٩٤٥م.. ولكن اعيد بناؤها وباتت مركزا سياحيا مرموقا بمنتزه السلام حيث اقيم تمثال برونزى كبير سمى تمثال السلام.




«ايكيبانا» الفن التقليدى اليابانى فى تنسيق الزهور

تقليد يابانى فريد

لابد وان نشير الى فن تنسيق الزهور الذى يعد ابداعاً يابانيا فريداً . . وكلمة الزهور تطلق هنا بمعناها الاوسع اذ يشمل التنسيق اشجارا وشجيرات بلا زهور وكذلك اوراق الخيرزان والصنوبر وعروق اشجار اخرى . . ومن اهم عناصر الزخرف الداخلى بالبيت اليابانى تنسيق الزهور وتوجد باليابان عشرون مدرسة لفن تنسيق الزهور المسمى (ايكيبانا) . . ويأتى بعد تنسيق الزهور تقليد يابانى هام الا وهو حفل الشاى (تشانويو) وقد بدأ تقليد حفل الشاى فى القرن الخامس عشر . وهناك احكام مختلفة لاعداد وتقديم وشرب الشاى . . فلا يقتصر الامر على ترتيب الحجرة وانما يشمل كيفية استعمال كل أداة فى المنزل . . والهدف النهائى من هذا التقليد العريق هو ايجاد الانسجام والراحة الفكرية وخلق الاناقة فى المنزل اليابانى .

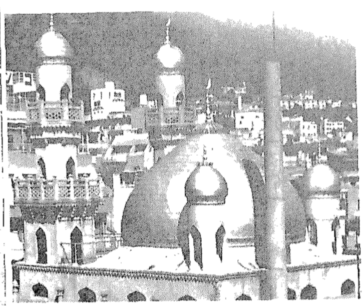
الإسلام فى اليابان

قبل ان ننهى دعوتنا الى اليابان لابد ان نلقى الضوء على الاسلام والمسلمين هناك حيث يطلق على المسلمين فى اليابان عبارة (فيفى) وتعد مدينة (مين) من اكبر معاقل تجمع المسلمين فى اليابان . . ونسبتهم معقولة بالنسبة لسكان اليابان عامة ويوجد عدد كبير من قراء القرآن الكريم وحفظته ويتوفر كتاب الله بطبعتين أشهرهما تلك التى ترجمها توشيهيكو انيروتسو الاستاذ اليابانى المعروف فى العالم والمختص بالفلسفة الاسلامية . .

ومن اهم نفائس الكتب الاسلامية التى ترجمت اخيرا الى اليابانية :

* المقدمة (لابن خلدون) .
* طوق الحمامة (لابن حزم) .
* رحلات ابن بطوطة (لابن بطوطة) .
* القانون فى الطب (لابن سيناء)

واضافة لما تقدم ذكره من المقرر نشر كتب اسلامية ثمينة منها «مقاصد الفلاسفة» للغزالى و«حكمة الاشراق» للسهروردى . . وغيرها


مسجد مدينة كوبى الوحيد فى اليابان

النقد العربى وغرض المديح

يحياوي رشيد
- المغرب -

لا زالت الدراسات التى وضعت أو توضع حاليا فى دراسة الشعر العربى القديم تؤكد استمرارية القيمة الفنية التى اتسم بها. ولا أدل على ذلك من أن مختلف المناهج الحديثة التى طبقت على ذلك الشعر كلها أو أغلبها على الأقل وصل الى نتائج مثمرة بالنسبة لكل منهج على حده.

وقد درس ذلك الشعر بمناهج مختلفة ومن زوايا متعددة.. فهناك من درسه حسب العصور فقسمه مثلا الى شعر جاهلى وشعر اسلامى وشعر أموى وشعر عباسى... الخ. وهناك من درسه حسب الأقطار والأماكن كالشعر فى بغداد أو الكوفة أو الأندلس أو الحجاز.. ومن درسه حسب الشعراء كشعر المتنبى أو أبى العلاء أو ذى الرمة أو غيرهم.. ومن درسه حسب الخصائص الفنية كدراسة المقدمات الطللية أو قضية الوحدة فى القصيدة الجاهلية أو الأوزان والقوافى.. ومن درسه حسب الأغراض الشعرية كالمديح والهجاء وغير ذلك من أنواع الدراسات.

ودراسة الشعر من حيث الأغراض الشعرية ذات أهمية خاصة لأنها دراسة للموضوعات والمجالات التى دار فيها ذلك الشعر... ولكننا فى هذه الدراسة الموجزة لن نتعرض للأغراض من زاوية تحققها فى الابداع ولكن من زاوية تناول النقد لها.. كما أننا سنقتصر على غرض المديح. وبالاضافة الى هذا: فاننا نود أن نثير قضية المديح ضمن النثر وهو ما ظل مهملا فى الدراسات السابقة والتى كادت تقتصر على المديح الشعرى وتناول النقد له وأغفلت تناول النقد للمديح النثرى والذى هو فى رأينا أغنى وأعمق من نقد المديح الشعرى لأنه بمثابة المنبع النظرى الذى اعتمد عليه وتشرب منه.

المديح الشعري

مثّل الشعر عند العرب ديوانهم وعلمهم الصحيح فقد رووا فيه أخبارهم وعبروا به عن مختلف المواقف العاطفية والاجتماعية والسياسية والدينية.. وكان الشعر بالنسبة لأغلب الشعراء مهنتهم فمنذ العصر الجاهلى كان الشاعر مختصا بالتعبير والدفاع عن القبيلة.. وكانت تلك هى مهمته حتى ان ميلاد شاعر جديد كان بمثابة حادث كبير أو عيد فى القبيلة حيث تجتمع النساء وتقام الحفلات فى جو طقوسى باهر على حد تعبير ابن رشيق فى العمدة.

اذن كانت فى الشعر أغراض كثيرة وكان المديح ضمن تلك الأغراض التى تُوظف فى الاشادة بمناقب شخص قام بدور مهم فى حياة القبيلة - ولذلك لم يكن المديح مرتبطا بأى غاية نفعية مادية. لكن تاريخ الشعر العربى يؤكد تحول المديح نحو طلب المقابل حيث أصبح صناعة تحقق الربح أوالخسارة حسب درجة تفوق الشاعر وتقبّل الممدوح - حتى أصبح بعض الشعراء المعروفين من الأغنياء وأصبحت لهم مكانات مهمة داخل القصور وبقى شعراء آخرون فى مقابلهم فاشلين كاسدة بضاعتهم.

ويوضح ابن رشيق هذا التحول الذى حدث فى غرض المديح الشعرى وانعكاسه على الوضع الاجتماعى للشاعر من جهة وعلى القيمة الفنية للقصيدة المادحة من جهة أخرى

فيقول: «وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها الا بالشكر اعظاما لها (. . .) حتى نشأ النابغة فمدح الملوك. . وقبل الصلة على الشعر. . وخضع للنعمان بن المنذر. وكان قادرا على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه فى صحاف الذهب والفضة وأوانيه من عطاء الملوك. وتكسب زهير بن أبى سلمى بالشعر يسيرا مع هرم بن سنان.

فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجرا يتجرُ به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم (. . .) ثم ان الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط الهمة فيه والالحاق حتى مقت وذل أهله وهلم جرا. الى أن حرم السائل وعدم المسئول(١).

وقد رأى بعض الدارسين أمثال «أدونيس» ود. درويش الجندى» انطلاقاً من هذا الوضع الذى تميز فيه المديح باشتراط المقابل المادى أن القصيدة المادحة قصيدة ارتزاق وأن الشعراء المادحين كان هدفهم الأول المتاجرة بالأدب ولذلك كانوا فاشلين فنيا لأنهم كانوا «غيريين» أى يكتبون لغيرهم لا لأنفسهم. ولذلك كان ـ فى رأيهم ـ حضور الذات الشعرية المبدعة ضعيفا أو منعدما. .

■ *يقول د. درويش الجندى فى هذا الموضوع: «ومهما يكن من شىء فان ظاهرة التكسب كان لها ـ بَعْد النزعة القبلية ـ الأثر الكبير فى بُعد الشعراء المتكسبين عن التعبير عن أنفسهم ـ والاتجاه الى التعبير عما يرضى أرباب الجاه والنفوذ والثراء. . وشعرهم شعر تقليدى ـ كما يقول الدكتور شوقى ـ وهو فى الوقت نفسه شعر خطابى ـ لأن الشعراء ينظرون فيه الى سامعيهم من السادة الممدوحين أكثر مما ينظرون الى أصداء أنفسهم ومشاعرهم الخاصة»(٢).*

بل ان د. درويش الجندى لا يتهم الشعراء فقط بالتكسب وانما يعمم حكمه على النقاد أيضا مستخلصا أن «نقادنا القدماء كانت ذهنيتهم الأدبية النقدية بلاطية مساوقة لاتجاه الشعر المتكسب فى رحاب السادة والكبراء ـ ومن أجل هذا نراهم يجارون الشعراء فيما اتجهوا اليه بشعرهم وفيما ذكروه من بواعث الشعر وأهدافه. . واستقوا قضاياهم النقدية من الواقع الذى كان يعيشه الشعر العربى(٣).

●● ود. درويش الجندى نفسه يقر بأن أغلب قضايا النقد العربى نشأت فى ظلال المديح الشعرى المتكسب. واذا كان الأمر كذلك ـ رغم أن هذا الحكم فى حاجة لاعادة نظر ـ فان قيمة الارث النقدى تتعارض مع الاتهامات التى وجهها اليه.

واذا كنا لا ننفى فى هذا المقام الصفة التكسبية التى لازمت المديح فى أكثر نماذجه والتى أقرها القدماء أنفسهم فان هذا لا يدفعنا الى المغالاة وحشر كل التراث الشعرى المادح فى خانة المتاجرة ونفى الابداع. . . ولعل مما يؤكد صفة المغالاة التى تطبع كتاب د. درويش الجندى فى هذا الموضوع أنه وصف أغراضا اخرى مثل: الاعتذار والرثاء والعتاب والهجاء بالتكسب والارتزاق أيضا. . ولا ندرى هل يوافق الدكتور على ادخال كل من رثى زوجته أو أخاه أو أباه او صديقه ضمن المتكسبين. . . ولا ندعو المتمسكين بهذا الرأى الى مراعاة هذه الحالة فقط بل أيضا الى مراعاة المقدمات الغزلية لكثير من القصائد المادحة والتى قد تفند ما يذهبون اليه من القول بـ«غيرية» الشعر المادح.

●● ويظهر أن صدور كتاب د. درويش الجندى الذى أثار فيه هذه القضايا جاء فى فترة (١٩٧٠م) التى شهدت نوعا من المغالاة فى تطبيق المناهج الاجتماعية كما أطرها طموح ما يتميز بالميل نحو شعر الشعب فى مقابل انتقاد أى شعر يدور فى فلك فئات اجتماعية ضيقة ـ وقوة هذا

الطموح انتجت الغلو فى الأحكام . . اضافة الى ذلك أن الفترة نفسها لم تكن عرفت بعد استثمارا تأصيليا لأحدث المناهج اللغوية والأسلوبية التى تولى عنايتها للظاهرة الفنية فى المقام الأول أى قبل الظاهرة الاجتماعية .

وفى أحدث دراسة أعادت دراسة قصيدة المديح وفق قراءة جديدة تمثلت فى العمل الجامعى العلمى الذى أنجزه الأستاذ حمدى عبد القادر فى موضوع «أثر ثقافة أبى تمام فى مدائحه» بجامعة القاهرة. حيث استخلص فى دراسته لنفس الموضوع أن «الذى حدث لكثير من النقاد المحدثين ـ أنهم نظروا الى قصيدة المدح نظرتهم الى عملية المدح نفسها فخلطوا بذلك بين الباعث على انشاء القصيدة وبين القصائد ذاتها ـ ومن هنا نظروا الى قصيدة المدح بناء على العلاقة الاجتماعية التى صدرت عنها. . وهى علاقة يؤطرها التكسب الذى غلب على فن المديح بصفة خاصة. . فغفلوا فى أحيان كثيرة عن أن تلك العلاقة أو الغاية النفعية قد تكون مجرد حافز للشاعر ـ بل منبه يحركه ويدفعه الى النظم. . . ثم ان الشاعر الجدير بهذه التسمية لا يكتب دائما وبالضرورة من أجل أن يفى بأغراض مباشرة كالمدح أو الهجاء أو غيرهما ـ اذ يكتب من أجل التعبير عن نفسه وتجسيد مواقفه وتصوراته (. . .) ومعنى هذا أن الشاعر سواء كان مادحا أو راثيا أو معاتبا فانه يصدر عن رغبة عميقة وميل انسانى ودافع روحى لا يملك ازاء ذلك الا الانشاء والابداع لأن ذلك هو الطريق الوحيد ليتخلص من قلقه وتوتراته التى لا تستقر حتى تتجسد فى أى اطار تعبيرى يكشف عن علاقته بالطبيعة والمجتمع(٤).

واذا كان الباحث ينطلق هنا من تغليب الوظيفة التعبيرية فى الشعر ليفسر من خلالها أصالة الشعر المادح وشرعيته ضمن خريطة مفهوم الشعر فان القدماء أقروا هذه الشرعية انطلاقا من تحليلات دلالية واجتماعية أفضت الى تشريح مكونات القصيدة المادحة وتوضيح خصائصها الشعرية بالتالى.

أن أهم النقاد الذين كان لهم فضل تأصيل التنظير لقصيدة المديح هو قدامة بن جعفر. . وهذا لا يعنى أنه كان أول من تكلم عن المديح. . فهناك نصوص كثيرة سابقة له ويعود بعضها الى صدر الاسلام وكلها تثير بعض جوانب هذا الغرض إما من حيث الصدق أو مادته من المعانى أو الاصابة بالمدح فى المقام المناسب وغير ذلك.

ويتحدد المدح عند قدامة بالفضائل التى يتضمنها وهى : العقل. . والشجاعة. . والعدل. . والعفة. . وعلى الشاعر فى نظر قدامة ان يلتزم بالمدح بهذه الفضائل الأربعة والا كان «مخطئا». . وله أن يتوسع فى المدح بمشتقاتها حيث ان كل فضيلة منها لها فضائل فرعية. فمن أقسام العقل مثلا: الحياء. . والبيان والسياسة. . والكفاية. . والعلم. . والحلم. . ومن أقسام العفة: القناعة. . والطهارة. . وقلة الشره. ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع والأخذ بالثأر. ومن أقسام العدل: السماحة. . والتبرع واجابة السائل.

وتوجد فضائل مركبة من هذه. . ودرجة الابداع على مستوى ذكر هذه الفضائل تأخذ عند قدامة طابعا كميا ـ حيث ان المبدع الذى وصل فى نظره «الى أقصى» حدود التجويد ـ هو الذى ذكر أكبر عدد منها أو «استوعبها ولم يقتصر على بعضها»(٥).

ولذلك ففيما يذكره قدامة من أن كل فضيلة هى وسط بين مذمومين. أى الغلو ونقيضه ما يؤكد أن المراد عنده انما هو ذكر أكبر عدد من الفضائل وليس جودة الوصف التى لا تتم دون المبالغة والغلو وبخاصة أن الفضائل التى يذكرها أصبحت صفات نمطية يكررها شاعر عن شاعر حتى أصبح الأمر من باب ما سموه «السرقات الشعرية» والتى اتفق القدماء أنفسهم بصددها ـ على أن مما يغفر للشاعر اذا ثبت أخذه معنى أو وصفا سابقا له هو مدى جدة اضافته له أو تحيّله فى اعادة صياغته وهو ما يدخل الى حد كبير فى البراعة فى الوصف والغلو فيه.



وقدامة ينتقل الى قضية أخرى ذات صلة بالقصيدة المادحة وهى «تداولها» من طرف المتلقين. وههنا نجد أن لهذه القصيدة جمهوراً محدداً بدقة ومنقسماً أقساما حسب الطبقات الاجتماعية والفئات المهنية والبداوة والحضارة ويُعبر قدامة عن ذلك بقوله: «**وقد ينبغى أن يعلم أن مدائح الرجال ـ وهى التى صمدنا للكلام فى هذا الباب ـ تنقسم أقساما بحسب الممدوحين من أصناف الناس.. فى الارتفاع والاتضاع.. وضروب الصناعات.. والتبدى والتحضر**»(٦).

ويشترط قدامة فى نجاح المديح؛ والنجاح فى هذا المعنى هو نيل رضى الممدوح واستحسانه القصيدة أى ما يترجم باعطائه مقابلا ومكافأة أن يمدح كل فرد أو طائفة بما يناسبها كأن يمدح القائد بالبأس والنجدة والبسالة وشدة البطش ويمدح الوزير بالعقل والروية وحسن التنفيذ. لكن يلاحظ أن هذه التحديدات صورية فقط اذ لا يوجد ما يمنع مدح أى صنف بالشجاعة والعفة والعقل خاصة أن قدامة نفسه يقر بأن هذه الفضائل هى للناس «من حيث انهم ناس» لا من حيث ما يجمعهم بسائر الحيوان.

وقد أثار قدامة قضية أخرى أسالت مداد نقاد عديدين وهى قضية المدح وبالصفات النفسية أو الجسدية كذلك.. وكان رأى قدامة أنه انما يمدح بالفضائل النفسية فقط اما الجسدية والعرضية كالقوة والجمال وكثرة الأبناء والغنى فهى مما لا دخل للفرد فيها ولا تظهر قيمته الانسانية من خلالها.

وكان الآمدى وابن سنان الخفاجى ممن دفعا رأى قدامة بشدة ورأيا أن المدح بالصفات العرضية والجسدية من شأنه أن يقوى المدح ويضيف الى الفضيلة فضيلة(٧) ولكن أسامة بن منقذ وحازم القرطاجنى كانا ممن وقف الى جانب قدامة ـ فأسامة يقول فى هذا الموضوع موجها كلامه الى الشاعر: «**وامدح بأخلاق النفس دون أخلاق الجسم.. وامدح كل واحد بما يليق به**»(٨).

أما حازم القرطاجنى فيساند قدامة ويدفع اعتراض الآمدى وابن سنان ذاهباً الى أن الفضيلة النفسية يمكن اكتسابها وتجنب ما يناقضها.. اما ما يعود لخلقة الانسان وصورته فمما ليس مسؤولا عنه كما ليس فى وسعه اجتنابه وتغييره.. واذا كان متصفا بالجمال والقوة ومجد الآباء فليس هو الذى صنع ذلك بل ان حازما يرى فيمن يمدح بهذه الصفات «مخادعة» للممدوح. واذا هجى بنقيضها كان «تحاملا» عليه(٩).

ونود أن نشير ضمن حديث النقد العربى القديم عن القصيدة المادحة قضية أخرى هى ما يمكن أن نسميه «تجاوز الأغراض».. وتدخل هذه القضية ضمن تفسير بنية التركيب الدلالى للقصيدة المادحة.

ويعنى هذا الموضوع أن القصيدة العربية القديمة قد تتركب من أكثر من غرض وان كان يغلب عليها فى الغالب التركب من الغزل كحقل دلالى وجمالى أول.. يعقبه المديح أو الهجاء.. وقد سمى حازم القرطاجنى هذا النوع من القصائد التى تتجاوز فيها الأغراض «**القصائد المركبة**» ووضعها فى مقابل ما سماه «**القصائد البسيطة**» وهى التى يكونها غرض واحد. لكن ما هى العلاقة التى يأخذها تجاوز الأغراض عندهم؟

لقد اتفق النقاد على أن هذه العلاقة يجب أن تكون علاقة تناغم وانسجام وهذا ما يفسر الاصطلاحات التى وصفوا بها تلك العلاقة والتى منها «**الاستطراد**» و«**الخروج**» و«**التخلص**» والتخلص على سبيل المثال هو: «امتزاج ما يقدم الشاعر على المدح من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف أوغير ذلك بأول بيت من قصيدة أو بأول كلام من النثر ثم يخرج منه الى المدح»(١٠).

ويتبين أن علاقة «التخلص» من غرض لآخر هى علاقة «امتزاج» كما يسميها ابن الأثير الحلبى فى هذا القول.. ونستنتج أيضا من كلامه أن القصيدة التى يهيمن فيها غرض المديح لا تسبق بالغزل فقط وانما بأغراض اخرى كذلك، يذكر منها النسيب والفخر والوصف ذلك لأن النسيب هو غير الغزل مثلما حدد قدامة بن جعفر حين جعل الغزل خاصا بذكر أوصاف النساء والنسيب خاص بذكر التلوع بجبهن.

ويؤكد الحاتمى هذه الوحدة الدلالية فى القصيدة والتى يراها قائمة رغم التنوع فى الأغراض مشبها القصيدة بجسم الانسان فى تلاحم وترابط أطرافه فيقول: «من حكم النسيب الذى يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم، متصلا به. غير منفصل منه. فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض»(١١).

فالحاتمى كما يتبين كان أسبق من ابن الأثير فى اشتراط عنصر «الامتزاج» أو التناغم والتآلف بين الأغراض ـ ولكن هذه المسألة لا تتحقق فقط على مستوى الانتقال الدلالى والتركيب النحوى كما وضح حازم القرطاجنى بل حتى على مستوى التناسب الكمى والنوعى.

●● فالتناسب الكمى هوما يترجمه اشتراطهم قدرا معينا من الأبيات فى المقدمة تقاس على العموم فى مقابل كمّ أبيات المديح.. وأهم ما يشترطونه فى هذا الموضوع أن يكون كم الأبيات الغزلية أكبر من كم الأبيات المادحة(١٢).. لأن عدم التناسب يدل فى نظرهم على أن شخصية الممدوح تكون هامشية وشخصية المحبوب تكون أقوى ـ كما أن ذلك يضعف عندهم مخيلة الشاعر قبل ان يصل للغرض الأساسى الذى هو المدح.

أما التناسب النوعى فيرجع الى طبيعة الأغراض التى تقبل التآلف والامتزاج فيما بينها. فاذا كان المدح والهجاء يقبلان عادة أن يُقدّم عليهما الغزل والوصف فلأن السبب كما فسّره ابن قتيبة يرجع الى تعلق النفس بذكر النساء وهو ما يستغله الشاعر ليجذب اليه النفوس وبخاصة نفسية الممدوح حتى تتحقق الغاية من بسطه واطرابه.

أما بعض الأغراض الأخرى فقد لا يكون هناك داع لذكر الغزل فى بدايتها بل يكون عيبا فنيا واخلاقيا وبخاصة اذا كان الغرض رثاء. وهذا ما يقوله ابن رشيق فى العمدة(١٣).

ولكن كثيرا من الشعراء ضاقوا قديما بثقل المقدمة الغزلية ففضلوا تعويضها بموضوعات أخرى أو الهجوم على المديح رأسا حتى أن المتنبى يقول بيته المشهور ساخرا من المتغزلين فى مقدمات مدائحهم:

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكلُّ فصيح قال شعرا متيم

تلك هى بعض الخصائص الدلالية للقصيدة المادحة فى الشعر كما يفرزها لنا النقد العربى القديم. لكن ما موقفه من المديح النثرى وما الخصائص التى رآه متميزا بها.

المديح النثرى

لقد كان لسيطرة المديح الشعرى على مختلف الأجناس التى كان بامكانها توظيف المديح ما أضعف تناولها له ومع ذلك فبعض النقاد كانوا يرون ان

المعـانى ليست قصـرا على جنس دون آخر. . وأن المديح على سبيل المثال هو كأى مادة خام يمكن لأى جنس أدبى أن يتناولها. واذا كان هذا صحيحا الى درجة كبيرة الا أن هناك سببا يمكن أن يضعف قدرة اجنـاس على تنـاول اغـراض ومـوضوعات أخرى اشتهرت بها ـ وهذا السبب يرجع الى ما يسمى فى النقد الحديث «عادة التلقى» وفيها يتعود السامع من أجناس بعينها أغراضا وموضوعات دون أخرى. ولا أدل على ذلك من أن النقاد القدامى أنفسهم أجازوا للشاعر أن يمدح نفسه فى الشعر ولم يجيزوا ذلك للناثر.

إذا كنا لا ننفى الصفة التكسبية التى ارتبطت بالمدح.. إلا أن هذا لا يدفعنا الى المغالاة وحشر كل التراث الشعرى المادح فى خانة المتاجرة ونفى الإبداع

وهـذا لا يعنى أن عادة التلقى ثابتة ومطلقة بل انها قابلة للتغير وفقا لشروط كثيرة أسلوبية وخارجية وفى مقدمتها بروز بعض الأجناس وسيادتها نسبيا. . وفى الأدب العـربى برز جنس «الـرسـالة» وسيطر على مجالات ثقـافيـة ورسميـة كثيرة لم يكن بوسع الشعر تناولها مما جعل الرسالة تنافس الشعر بل تتفوق عليه فى تلك المجـالات وهـو ما ترجم فى النقـد العربى بمسألة المفاضلة بين الشعر والترسل. حيث تحيز نقاد كثـيرون للرسـالـة وفضلوها على الشعر. وكان أن تناولت الرسالة كثيرا من الأغراض التى كانت حكرا على الشعر مثل التهانى والتعازى والاعتذار والغزل وضمن ذلك المديح ـ وان كان المديح كما يبدو لنا فى أغلب النصوص مختلطا بالتهانى والشكر والاستمناح والاستهداء وغيرها.

وفى هذا النموذج لأبى الفتح البستى ـ وهو شاعر وكـاتب عاش فى الـدولة السامانية فى القرن الرابع وتوفى قرب بخارى ما يؤكد ما ذهبنا اليه من امتزاج المديح النثرى بأغراض أخرى، يقول البستى راجيا من الأمير «شمس المعالى» العفو لشيخين: «من علم الأمـير شمس المعـالى الكـرم. فكأنـما علم الغيث سجـامـا والليث اقـدامـا ـ وذلـك لأن المكـارم من خصـائص معـانيه ونتائج مساعيه ومعاليه. غير أن العادة جارية بهز الحسام وان كان ماضى الغرار وقدح الزند لانتضاء ما فيه الأنوار... ومساق هذا القول الى شيخنا فلان وفلان: فانهما غصنا دوحة شريفة وفرعا نبعـة صليبـة. . ولكـل منهما الفضائل التى سارت أخبارها. . والمحاسن التى سالت أوضاحها. . ولئن جرى فيما تقدم منهما زلل فقد يهفو الحليم. . وينبو الحسـام ومن عادته التصميم. . ولو لم يكن هفو لما عرف عفو. والكريم اذا قدر غفر، وشكر الظفر. . وأنا أسأل الأمير أن يمن على فيهما بما يعيد جاههما ويقيل عثرتهما وينيل بغيتهما ان شاء الله»(١٤).

وفى المقدمة المدحية لطلب هذا العفو يذكر الكاتب نفس الفضائل التى تذكر فى الشعر وهى المدح بالكرم والشجاعة ـ ولكن يلاحظ فى هذا النص أن المدح هو الذى يتقدم ليعقبه غرض آخر أى أن المدح هنا هو الثانوى وذلك عكس الشعر وان كان هذا الموضوع مختلفا حسب النصوص بين الشعر والنثر.

●● ويـلاحـظ على هذا النص كذلـك نزعتـه البيانية الـواضحـة والمتمثلة بصفـة خاصة فى الموازنة بين أقسام الجمـل وطغيـان السجع. . وقد تنبه الكلاعى الى هذه الكثافة البيانية لذلك أدخله ضمن صنف الترسل الذى سماه «المصنوع» وجعله كذلك: «لأنه نمق بالتصنيع. . ووشـح بأنـواع البـديـع. . وحلى بكثـرة الفـواصـل والأسجاع. . واستجلب له منها ما يلذ فى القلوب ويحسن فى الأسماع»(١٥).

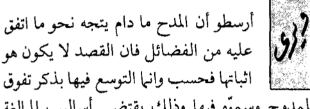
على أن الملفت للنظر فيما يخص التنظير للمديح النثرى أنه لم يكد يرد الا فى النقد الذى تناول الخطابة، هذا بالرغم من أن الخطابة كانت أقل الأجناس تناولا للمديح. أما الرسالة فقد اقتصر فيها النقاد على توجيه المترسل بشكل عام نحو طرق توظيف البلاغة وطرق الكتابة أو الخط ودراسة ما يناسب كل مرسل اليه ولم يتجاوزوا ذلك الى تشريح المكونات الدلالية التي يمدح بها.

فاذا وقفنا على الخطابة فسنجد أن النقد الفلسفى الذى اختص بها انما جاء فى دائرة تفسير وشرح وتلخيص ما ورد عن أرسطو فى كتابه «الخطابة» حيث ترجم هذا الكتاب ترجمة عربية قديمة مجهولة المترجم ثم ترجمه ابن سينا مرة أخرى واختصره ابن رشد والفارابى.

وفى أنواع الخطابة الثلاثة هناك نوع سماه أرسطو «الخطابة الاستدلالية» أو «خطابة المدح والذم». وقد جدد الفلاسفة العرب المقولات الأرسطية فى موضوع هذا النوع من الخطابة بما شكل قاعدة نظرية للمديح الشعرى نفسه ولذلك فالمديح النثرى الذى يمكن للدارس أن يجد مادة نقدية متوفرة عنه هو المديح الخطابى.

فقد تكلم أرسطو اذن عن الخطابة المادحة وجعل موضوع المديح الشىء «الجميل» ذلك لأن الجميل فى نظره هو الذى يمدح لذاته فقط لا لترجى من ورائه منفعة وفائدة ولما كان الجميل كذلك فالفضيلة أيضا شىء جميل لأنها تمدح لذاتها أى أن مدحها فى حد ذاته غاية.

الفضيلة فى نظر أرسطو «قوة» ينتج عنها الخير والأعمال الطيبة المهمة فى حياة الانسان ولذلك يعدد أرسطو بعض مظاهر الفضيلة فيجعل منها: العدالة والشجاعة والمروءة والعفة والسخاء والعظمة والتسامح وصدق الحس والحكمة أو العقل. ويجعل العدل والشجاعة على رأس الفضائل الكبرى الأكثر نفعا للناس. . ويلاحظ أن هذه الفضائل هى التى مدح بها أيضا فى الشعر وثبتها النقد وبخاصة عند ابن طباطبا وقدامة بن جعفر.



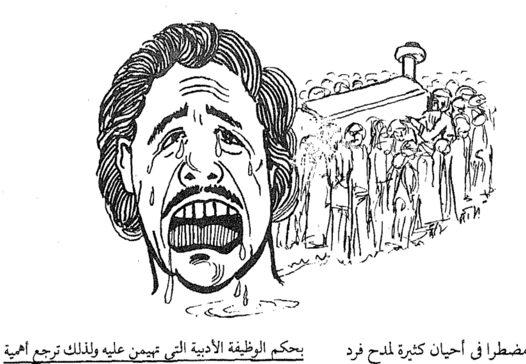
يرى أرسطو أن المدح ما دام يتجه نحو ما اتفق عليه من الفضائل فان القصد لا يكون هو اثباتها فحسب وانما التوسع فيها بذكر تفوق الممدوح وسموّه فيها وذلك يقتضى أساليب المبالغة والاطناب(١٦).

وقد تكلم الفلاسفة المسلمون عن الجميل والقبيح ورأوا أن الجميل هو ما يمدح به والناقص والقبيح هو ما يذم به ويعدد ابن رشد أجزاء الفضيلة فيذكر بدوره منها العدل والشجاعة والمروءة والعفة والهمة والحلم والسخاء واللب والحكمة.

●● كما يرى أن الفضيلة شىء جميل. ما دام الجميل يختار من أجل نفسه للخير الذى يصدر عنه. ونجد عند ابن رشد اشارة لما يمدح به، هل الفعل أو العرض - وبمعنى آخر هل الفضيلة النفسية أم العرضية، يقول ابن رشد: «وانما يكون المدح على الحقيقة بالأفعال التى تكون عن المشيئة والاختيار فان الفعل الذى يكون بالمشيئة والاختيار هو الفعل الفاضل. . والذى يمدح بالأشياء التى تكون بالاتفاق أو بالعرض من أجل أن لها اذا اقترنت بالفضائل تزيينا وتفخيما بمنزلة الحسب المقترن الى الفضيلة وجودة البخت المقترن بأفعال الفضائل»(١٧).

●● فابن رشد يقف موقفا وسطا - فيرى أن المدح انما يكون بالفعل الفاضل ولكن اذا أضيفت اليه الفضلة العرضية كالحسب والنسب وجودة البخت يكون فى ذلك تزيين وتفخيم له - وان كان ابن سينا يرى أن «المدح الحقيقى» يكون بالأمور المكتسبة لا الاتفاقية»(١٨).

ان المديح سواء كان شعرا أو نثرا ذو جذور عميقة فى الحياة الاجتماعية والنفسية للفرد ولا أدل على ذلك من عبارات المديح والتقريظ المتعددة التى نستعملها فى حياتنا اليومية -



ذلك لأن الفرد يكون مضطرا فى أحيان كثيرة لمدح فرد آخر إما صدقا أو كذبا أو مجاملة . . ويبعث ذلك فى نفس الممدوح اذا صدق به شعورا نفسيا بالانبساط والفرح وعزة النفس والرضى عن العمل الذى مدح أو شكر عليه .

فتناول الأدب للمديح لا يعنى انفصاله عن الواقع المعيش ولكنه من جهة أخرى مختلف عن المديح اليومي بحكم الوظيفة الأدبية التي تهيمن عليه ولذلك ترجع أهمية المديح الأدبي الى كونه يقبل الانفتاح على مداخل عدة . . أسلوبية ودلالية . . ونفسية واجتماعية . . الخ ودراسته اذا عمقت ستغنى بدون شك معرفتنا بالنقد والابداع العربيين .

هوامش الدراسة

(١) ابن رشيق القيروانى : العمدة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الجيل بيروت ط٥ ١٩٨١/ ١ : (٨٠-٨١)

(٢، ٣) د. درويش الجندى : ظاهرة التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده . . دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٩٧٠ ص١٧٣ ، ص١٦٧ .

(٤) عبد القادر حمدى : أثر ثقافة أبى تمام فى مدائحه ـ رسالة ماجستير ـ جامعة القاهرة ـ مصر ص٧

(٥، ٦) قدامة بن جعفر : نقد الشعر تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ص١٩٦ ، ص١٠٦ .

(٧) ابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ـ شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدى مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ القاهرة ١٩٦٩ ص(٢٥٦-٢٥٧) .

(٨) أسامة بن منقذ : البديع فى نقد الشعر . . تحقيق د. احمد احمد بدوى ود. حامد عبد المجيد . مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٦٠ ص٢٩٦ .

(٩) حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الاسلامى بيروت ط٢ ١٩٨١ ، ص(١٦٨-١٦٩) .

(١٠) ابن الأثير الحلبى المصرى : جوهرة الكنز ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٣ ص١٥٧ .

(١١، ١٢، ١٣) العمدة : ٢ : ١١٧ ، ٢ : ١٢٣ ، ٢ : ١٥١

(١٤، ١٥) أبوالقاسم الكلاعى : أحكام صنعة الكلام ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، عالم الكتب بيروت . ط٢ ١٩٨٥ ص١٣١ ، ص١٢١ .

(١٦) أرسطاليس : كتاب الخطابة ترجمة د. ابراهيم سلامة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ط٢ ١٩٥٣ ص١٥٤ .

(١٧) ابن رشد : تلخيص الخطابة تحقيق د. محمد سليم سالم ـ المجلس الأعلى للشؤون ـ جمهورية مصر العربية ـ الكتاب الرابع عشر ـ القاهرة ١٩٦٧ ص١٥٦ .

(١٨) ابن سينا : الخطابة من كتاب الشفاء ـ تحقيق د. محمد سليم سالم ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٥٤ ص٢٤٢ .

لقد كنت أسبح بروحى وعقلى فى مجرى السعادة طوال كتابتى لهذا الموضوع لأنى أكتبه لمنهلكم..

د. حمودة

من مقاييس النقد الأدبى

المثل الاسلامية عند ابن عبد ربه

بقلم الدكتور

عبد الباسط أحمد على حمودة

- مصر -

كان النقد الأدبى عند السابقين يعتمد على مقاييس مستلهمة من واقع الأدب ومشاكله فى أطواره المختلفة وفى بيئته الحاضرة كما جاء فى كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلّام الجُمحى - فعنى بالتركيز على الرواية والدربة والممارسة لسلامة النص الأدبى. . ثم أخذ فى تعليل الظواهر الأدبية بما هو أقرب الى تاريخ الأدب. . ثم جاء كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة الذى غلبت عليه الروح العلمية فى تقسيم الشعر دون التعمق فى النصوص والنظر اليها نظرة شاملة تجمع التركيب والصياغة والصور الحقيقية والخيالية وما لذلك من أثر على المعانى. وكانت نظرة الآمدى على الرغم من تقدمها فى مجال النقد العربى تتسم بشائبة فى الحيدة - مع تسليمنا بمقاييسه النقدية وسلامتها. وجاء القاضى الجرجانى فوضع كتابه «الوساطة بين المتنبى وخصومه» لتكتمل به صورة النقد المنهجى ويعطى المثل لما ينبغى أن يكون عليه الناقد الأدبى من عدالة ونزاهة فى حكمه على النص الأدبى - وبذلك فتح الباب أمام عبد القاهر الجرجانى لاستخراج نظرياته النقدية فى تقويم تراثنا العربى.

وكان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٣٨هـ/ ٨٦٠ - ٩٤٠م) متقدما على الآمدى والقاضى الجرجانى ووضع فى كتابه «العقد الفريد» معايير ومقاييس نقدية تعبر عن شخصيته المستقلة ونظرته فى القيم التى سادت نتاج الشعراء والأدباء.

وفى مقدمة مقاييسه ومعاييره التى قوّم بها الشعر والنثر: القيم الاسلامية - لأن الاسلام أوجد فى القرون الثلاثة التى أعقبت ظهوره بيئة جديدة. . وعرفا جديدا. . وثقافة جديدة. . غطت على العرف العربى والذوق الذى ساد قبل الاسلام واحتوى الثقافات الواردة وصهرها فى بوتقة احترام المثل العليا والفضيلة والأخلاق التى يقدسها المجتمع الجديد. . وتحت هذه الظلال تعامل ابن عبد ربه مع النصوص الأدبية وأفكارها كما سنرى.

والباحث المتأمل فى أكثر أبواب الكتاب وفى فصوله وجزئياته يجدها مصدره بمقدمة إسلامية يضع فيها الأسس والمقاييس لما سيعرضه من نتاج أدبى وفكرى - ومن هنا نورد بعض الأمثلة التى تدعم قولنا وتلفت النظر للوقوف عليها لأن المفاهيم الاسلامية فى هذا العصر سادت وتغلبت

على المفاهيم العربية القديمة والمفاهيم غير العربية الواردة من الثقافات الأخرى. . وكان ابن عبد ربه يقول: «إن النمط الاسلامى هو الذى ينبغى أن يُحتذى وهو المثل الأعلى من حيث الشكل والمحتوى لأن الاسلام جاء لترسيخ مكارم الأخلاق، والحض على كل قيمة إنسانية وفضيلة اجتماعية».

فمما جاء فى فرش كتاب اللؤلؤة فى السلطان وهو أول أبواب الكتاب قوله: (١) «فحقّ على مَنْ قلّده اللهُ أزمّة حكمه. . وملّكه أمور خلقه. . واختصه بإحسانه. . ومكّن له فى سلطانه أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته - حيث وضعه الله عز وجل من الكرامة وأجرى له من أسباب السعادة. قال الله عز وجل: ﴿**الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ وقال حذيفة ابن اليمان: ما مشى قوم قط الى سلطان الله فى الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل موتهم. وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «**عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة**». . **وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «كلكم راعٍ وكل راعٍ مسئول عن رعيته» وقال الشاعر:**

فكلكم راع ونحن رعية
وكلٌّ سيلقى ربه فيحاسبه

وجاء فى كتاب العقد الفريد فى فرش كتاب الزبرجدة فى الأجواد والأصفاد قوله(٢): «ولو لم يكن فى الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها فهو الكريم عز وجل ومن كان كريما من خلقه فقد تسمى باسمه واحتذى على صفته». . وقال النبى ﴿ﷺ﴾ «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». . وفى الحديث المأثور: «الخلق عيال الله فأحبُّ الخلق الى الله أنفعهم لعياله». . وقال الحسن والحسين عليهما السلام لعبد الله ابن جعفر: «انك قد أسرفت فى بذل المال. قال بأبى وأمى أنتما إن الله قد عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى.



وقال المأمون: لمحمد بن عباد المهلبى: أنت متلاف. قال: منع الجود سوء ظن بالمعبود. يقول الله عز وجل: ﴿**وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا». . الخ.

ويقول ابن عبد ربه: - أيضا - فى فرش كتاب الجمانة فى الوفود(٣): «ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وفدوا على النبى ﴿ﷺ﴾ وعلى الخلفاء والملوك فإنها مقامات فضل ومشاهد حفل يتخير لها الكلام. . وتستهذب الألفاظ وتستجزل المعانى. . ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوته ينزعون وعن رأيه يصدرون - فهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة. . وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى ﴿ﷺ﴾ - أو خليفته. . ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما قدم على النبى ﴿ﷺ﴾ بسط له رداءه وقال: «**هذا سيد الوبر**» ولما

توفى قيس بن عاصم قال فيه الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة ... إذا زاد عن شحط بلادك سلما

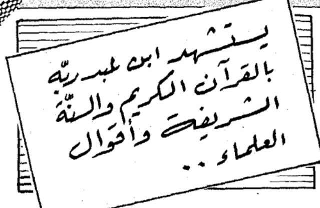
وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

وعن *تقديم ابن عبد ربه لكتاب المرجانة في مخاطبة الملوك يعطينا صورة للنقد الأدبي القائم على التعليل وربما غفل الكثيرون ممن درسوا كتاب العقد الفريد عن تلك الصور وأطلقوا عليها شذرات أو ومضات خاطفة ولكنه أوضح رأيه ووضع مقاييس وموازين المعاني وقيمتها التي يجب الارتقاء إليها عند كل فن أو غرض أدبي وهذا ما نجده في الأبواب والموضوعات التي طرقها في كتابه المذكور حيث يقول(٤): «ونحن قائلون ـ بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده ـ في مخاطبة الملوك والتزلف إليهم بسحر البيان الذي يمازج الروح لطافة ويجري مع النفس رقة.. والكلام الرقيق مصايد القلوب. وإن منه لما يستعطف المستشيط غيظا والمندمل حقدا حتى يطفىء جمرة غيظه ويسل دفائن حقده وإن منه لما يستميل قلب اللئيم ويأخذ بسمع الكريم وبصره.. وقد جعله الله بينه وبين خلقه وسيلة نافعة وشافعا مقبولا. قال تبارك وتعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾.*

ولما يؤيد وجهة نظرنا ما جاء في فرش كتاب الجوهرة في الأمثال قول ابن عبد ربه: (٥): «وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه وضربها رسول الله ﴿ﷺ﴾ في كلامه.. قال عز وجل: **﴿يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له﴾.. وقال: ﴿وضرب الله مثلا رجلين﴾**.. ومثل هذا كثير في آي القرآن ـ فأول ما نبدأ به أمثال رسول الله ﴿ﷺ﴾.. ثم أمثال العلماء.. ثم أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي.. وهي التي كان يستعلمها جعفر بن يحيى في كلامه.. ثم أمثال العرب التي رواها أبو عبيد وما أشبهها من أمثال العامة.. ثم الأمثال التي استعملها الشعراء في أشعارهم في الجاهلية والاسلام».

وفي النص السابق تتضح القيم والمثل التي يتخذها صاحب «العقد الفريد» من النصوص الاسلامية لتكون مقياسا يعلو ويتقدم كل مقياس بل إنه في هذا الباب الى جانب ما تقدم ـ يجمع الأمثال التي قيلت في مكارم الأخلاق: كالحلم والعفو عند المقدرة.. والمساعدة وترك الخلاف ومداراة الناس.. ومفاكهة الرجل أهله.. واكتساب الحمد واجتناب الذم والصبر على المصائب ـ وغير ذلك كثير جدا. وربما كان ابن عبد ربه أول من صنف الأمثال في موضوعات متخصصة مثل: أمثال الرجال واختلاف نعوتهم وأمثال الجماعات وحالتهم والأمثال في القربى.. والأمثال في مكارم الأخلاق وهو أعظمها وأشملها.

وتبرز مقاييس النقد الأدبي عند ابن عبد ربه في ضوء المعاني الاسلامية والمثل العليا التي رسخها في المجتمع الاسلامي على النحو الذي جاء في كتاب: «الزمردة في المواعظ والزهد الذي يمهد له بقوله(٦): «ونحن نبدأ ـ بعون الله وتوفيقه ـ بالقول في الزهد ورجاله المشهورين به، ونذكر المنتخل من كلامهم والمواعظ التي وعظت بها الأنبياء واستخلصها الآباء والأبناء وجرت بين الحكماء والأدباء.. ومقامات العباد بين أيدي الخلفاء فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. قال تبارك وتعالى: **﴿ادْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**.. ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ـ ثم مواعظ الآباء للأبناء.. ثم مواعظ الحكماء والأدباء.. ثم مقامات العباد بين يدي الخلفاء»(٧) وابن عبد ربه يختلف عن ابن قتيبة في هذه المقامات.



ولعل التصريح بقوله: (فأبلغ المواعظ كلها كلام الله... الخ) وما سبق من نصوص أخرى فى مقدمة بعض الأبواب والفصول يؤكد ويدلل على ما ذهبنا إليه. ونجد عشرات من مثل هذه النصوص التى جاءت فى التقديم لكل موضوع أو جزئية تندرج تحت كل كتاب من الكتب الخمسة والعشرين التى ضمها العقد الفريد ـ ولا بأس من سرد بعض النماذج منها ولولا الملل والاطالة لأكثرنا من عرضها ولكنا نفضل الايجاز الذى التزمنا به فى هذا البحث.

ومن أبلغ الأسس لقياس النص الأدبى وتقويمه موازنته بالقيم والمثل الاسلامية التى احتواها الوحى القرآنى والسنة المطهرة الشريفة فهما الأسوة الحسنة فى المضمون والشكل ـ أى المعنى واللفظ ـ وذلك ما يرسخ فى عقيدة الأديب الناقد والشاعر البليغ ابن عبد ربه. ووضح فى كتابه عند مقدمة (نصيحة السلطان ولزوم طاعته)(٨) قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾. وقال أبو هريرة: «لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة ـ وطاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله.. وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من فارق الجماعة أو خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية»(٩).

وفى حديثه عن (الولاية والعزل) يقدم له بخير ما يقدم من إرشاد تخيره من أقوال رسول الله ﴿ﷺ﴾ مثل قوله: (ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة.. فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة).

وعن الحديث عن (صفة جياد الخيل)(١٠) وهى قوام العدة والعتاد فى الدفاع عن الأمة لأن الخير معقود بنواصيها ـ وأحسنها ما أثر فيه من أقوال النبى ﴿ﷺ﴾ مثل قوله: (لو جمعت خيل العرب فى صعيد واحد ما سبقها إلا الأشقر).

ومن مقومات الجمال فى الفن الصوت الحسن لاذاعة الشعر ونشره فى المجالس الأدبية وفى هذا المجال يلجأ ابن عبد ربه الى الذوق الاسلامى فيقول: وجاء موضوع (فضل الصوت الحسن)(١١). وقد قال أهل التفسير فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ هو الصوت الحسن. وقال النبى ﴿ﷺ﴾ لأبى موسى الأشعرى لما أعجبه حسن صوته: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل دواود».

وقد تناول الأدباء والشعراء (فضيلة الشيب) لكن ابن عبد ربه يستحسن النصوص المقدسة لأنها تدل على سمو المعانى وبلوغ الغاية.. وطمأنة النفس واستقرارها فى طريق الخير المؤدى الى رضوان الله بينما الشعر يصف الشكل ويسوغه فى نظر الناس دون الارتقاء الى البهاء الروحى.

يقول رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة» وقال ابن أبى شيبة: (نهى رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن نتف الشيب. وقال: (هو نور المؤمن) وقالوا: أول من رأى الشيب إبراهيم خليل الرحمن. فقال: يارب ما هذا؟ قال له: هذا الوقار. قال: رب زدنى وقارا.

وبعد هذه النصوص الاسلامية يأتى بأحسن ما قاله الشعراء ـ وقد وضع أمام القارىء الصورة المثلى فى صدر الموضوع.

قال أحد الشعراء:

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب
فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب ان كان كلما
بدت شيبة يعرى من اللهو مركب(١٢)

ومـوضـوع الاعتذار عن الذنب . . والتراجع عن الخطأ ـ تناوله النقاد منذ العصر الجاهلى وما بعده . . وقدم بعضهم النابغة الذبيانى فى هذا المجال . وحين يتعرض صاحب العقد الفريد لهذا الموضوع يجعل المقياس الاسلامى هو المقياس الأول .

إذا ما امـرؤ من ذنـبـه جاء تائـبـا
إلـيـك فلم تغـفـر له فلك الـذنب

●● واعتـذر رجـل إلى ابراهيم بن المهدى فقال : قد عذرتك غير معتذر إن المعاذير يشوبها الكذب . .

■ وقال آخر :

أقـبـل معـاذيـر من يأتـيـك معتـذرا
إن بر عنـدك فيـما قال أو فجـرا
فقـد أطـاعـك من أرضـاك ظاهـرا
وقـد أجـلك من يعـصـيـك مستـترا
خير الخليطـين من أغـضى لصاحبـه
ولـو أراد انـتـصـارا منـه لانـتـصـرا

ويقدم ابن عبد ربه النصوص التى تشع فيها الروح الاسلامية ويفضلها على غيرها لأن صاحبها نتبع بمفاهيم القران او السنة فيقول : واحسن من هذا عندى قول حبيب :

فأثـبـت فى مسـتـنـقـع المـوت رجله
وقـال لها من تحت أخمـصـك الحـشـر
تردى ثيـاب المـوت حمرا فما أتـى
لها الـليـل إلا وهـى من سنـدس خضـر

●● وعلة الحسن والجمال فى هذه ترجع الى المضمون إذ الإقدام والصبر فى الحرب من صفات المؤمنين الذين يجاهدون فى الله حق جهاده حتى ينالوا إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة التى تحيل الشهداء عند ربهم يرزقون **﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾** جزاء امتثالهم قول الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾** .

●● ففى الآيتين الأخيرتين جمع الله تدبير الحرب كلها لأن الحرب (رحى ثقالها الصبر . وقطبها المكر . . ومدارها الاجتهاد . . وثقافها الأناة وزمامها الحذر ولكل شىء من هذه ثمرة)(١٣) والشاعر قد حلّق حول هذه المعانى وجنى من ثمارها فحكم له بالاجادة والابداع .

واكثر الشعراء الذين جودوا المعانى نهلوا من رحيق القرآن الكريم وعبق البلاغة النبوية اللذين لهما القدح المعلى فى نفوس المسلمين لأن الدراسات العلمية والبراهين النقلية شهدت لها بالاعجاز والتفوق . ومن هذين المنبعين أخذ حبيب الطائى قوله :

ومـا ابـن آدم إلا ذكـر صالحـة
أو ذكـر سيئـة يسـرى بها الـكـلم
أمـا سمـعـت بدهـر باد أمـتـه
جاءت بأخـبـارهـا من بعـدهـا أمـم

■ *وأخذ أبو بكر محمد بن دريد قوله :*

وإنـما المـرء حديـث بعـده
فكـن حديـثـا حسـنـا لمن وعـى

●● *فالشاعران نظرا الى قول الله تعالى : ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخـرين﴾ وقول النبى ﴿ﷺ﴾ : «إذا أردتم أن تعلمـوا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء» . وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى يقـول له : اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . . واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .*

●● *والاسلام جاء للحق والخير وليتمم مكارم الأخلاق ولـذلك أبقى المسلمون على مآثر العرب فى الجاهلية لما تشمله من مكارم الأخلاق .*

■ *هـذه صور من مقاييس المحتوى والمضمون فى كتاب العقد الفريد وهى توضح أن المفاهيم الاسلامية ورسوخ القيم والأخلاق فى المجتمع الاسلامى أوجدت لدى النقاد المسلمين رؤية تختلف عن وجهات النظر السابقة حيث قدم المقياس الاسلامى على المقاييس الأخرى ـ كالعرف العربى والمقياس الفنى أو التأثرى . . أو النقد القائم على التعليل والتحليل . . او نحو ذلك مما أشرنا اليه .*

■ *ولعـل تلك المثل الاسلامية هى التى جعلت من القاضى الجرجانى ناقدا أدبيا بعد ابن عبد ربه .*

الهوامش

(١) العقد الفريد ج١ ص٧ (٢) المصدر السابق ج١ ص٣٢٥
(٣) المصدر السابق ج٢ ص٣ (٤) المصدر السابق ج١ ص١٢٢
(٥) المصدر السابق ج٣ ص٦٣ (٦) المصدر السابق ج٣ ص١٤٠
(٧) عيون الأخبار ج٢ ص٣٣٢ (٨) العقد الفريد ج١ ص٩
(٩) المصدر السابق ج١ ص٨١ (١٠) المصدر السابق ج١ ص١٥٢
(١١) العقد الفريد ج٦ ص٤ (١٢) المصدر السابق ج٢ ص١٤١
(١٣) المصدر السابق ج١ ص٩٨



المعجم الشعري

بحث دراسي نقدي قيم كتب بمناسبة الملتقى السابع لابن رشيق القيرواني.

تحديث لمعطيات النقد العربي القديم

د. فايز الداية
عضو اتحاد الكتاب العرب - سوريا -

يخيّل الى بعض الدارسين أن هنالك عددا من المحبين للتراث الأدبى والنقدى ما ان يسمع بنظرة جديدة أو طريقة تحليلية حتى يهرع الى جعبته ليستخرج منها ما يدل على أن القدماء لم يتركوا الكثير للمحدثين أو ليبرهن على أن علماء العربية والمهتمين بقضايا الابداع الأدبى كان لهم حدسهم المستقبلى فتركوا علامات تومىء الى ما ستؤول إليه حال النقد وفهم الأعمال الأدبية.

إن ما صورته فى اللمحة الأولى يستدعى إحساسا بالنفور أحيانا من ذلك النهج المبالغ فى حركته الاسترجاعية، وأضيف بأنه ثمة من لا يكتفى بتحاشيه لما هوعليه محبّ القديم وإنما يشدد النكير، وفى مرات تتخذ سمة الهجوم الشديد تحت رداء الحداثة وتفردها والجدة المطلوبة مما لا تصل إليه قامة القدماء.

إننا سوف نخوض فى مسائل تتصل بقضية لها أهميتها البارزة فى حياتنا الثقافية والادبية خاصة، وهى: التوصيل والتواصل بين المبدع وجمهوره من المتلقين شفاها أو قراءة ولعلنا نقف على جوانب هذه القضية بتخصيص الكلام على الشعر العربى مجالا للمناقشة والاقتراحات ثم نتخذ المحور الدلالى أداة للسير ومعطى نقديا لغويا له أصوله العربية فى المصنفات والكتب ويتمتع بفاعلية فى الدراسات الحديثة.

يبرز دور الاهتمام الدلالى فى العملية النقدية وكشف أبعاد الأعمال الابداعية عامة والشعرية خاصة ذلك أنه ينظم النظر فى(١) الدال والمدلول والمساحة الدلالية. وهذا يتداخل فيها نسميه العرف اللغوى العام والعرف الرمزى(٢) والتطور الدلالى للألفاظ عبر التاريخ ومن خلال استعمالها الحى. وهذا يؤدى الى اعطاء فكرة السياق ما تستحقه من العناية، فالدلالة تكتسب خصوصيتها فى سياق محدد وهو الذى يلقى بظلاله - ونخص هنا العمل الابداعى - ليشكل دلالة الكلمات فى نسقها اللغوى الجمالى، وفى تركيب الصورة الفنية والسياق هو يتلون ويتقبل القيم الرمزية العامة سواء ما كان أسطوريا أو تاريخيا أو شعبيا أو أدبيا(٣) والمجاز فى توزعه بين المنطلق اللغوى والحركة البلاغية، ومن ثم يتبين فى البحث الدلالى سر الصورة والشحنة الانفعالية التى تحملها والآفاق التى تفتحها أمام القارىء والمتلقى إضافة إلى التنبه الى الجدة فى إبداع الشعراء وهم يصورون تجاربهم ومواقفهم.

إننا فى جهودنا لترسيخ دراسة المعجم الشعرى إنما نتطلع الى التفاعل مع مشكلات أدبية معاصرة تعاظم بعض منها مع مرور الزمن ولم تجد الحلول التى يمكن أن تسمى مصالحة.. ونعنى



مشكلة «جماهيرية الشعر العربى الجديد باتجاهاته المتطورة» فمنذ نهاية الأربعينيات شهدت الساحة الأدبية موجات من القصائد والاعمال التى جددت فى النظام الموسيقى بالتحول الى التفعيلة والاجتهادات فى السطور والجمل والايقاع وما يكون بديلا للقافية وحرف الروى.

ومن ثم وصلت التجارب ـ خاصة بعد ضعف الهيمنة النقدية وافتقاد المعايير الحاسمة فى الكتابة وفى محاو المتأدبين الى منطقة النثرية مع ادعاءات الالتصاق بجد الشعر. ولقد مثل هذا الجانب سببا لشرخ فى العلاقة بين المبدعين ممن يلوذون بهم والجمهور الواء الذى كان يطرب لموسيقى الشعر القديم وكذلا الشعر الاحيائى والمجدد فى إطاره على اختلا المواطن العربية فى الشام ومصر والجزيرة والمغرب بأقطاره. وتظل هذه الموسيقي إشكالا رغم استقرار تجارب لأع الشعراء المعاصرين على نحو نسب (السياب.. وعبد الصبور.. وعبد المعطى حجازى.. والفيتورى.. ونازك الملائكة على سبيل المثال)..

والجانب الاشكالى الثانى يتمثل فى الغموض الذى إفق نتاج شعراء ة من المعاصرين إما للكم الثقافى الكثيف (والذى تؤدى الرموز بأنواعها دورا هاما فيه) وإما لطبيعة الصياغة أى التركيب اللغوى للجملة العربية واضطراب لدلالة فيها، أو لتداخلها تبعا للتجارب المعيشة أو المقتحمة فى نفوس الشعراء، وسبب هذا الاشكال بعدا عن الجمهور، صار المتابعون استثناء رغم ع الألوان التى اتخذها الشعراء.

لاشكال الثالث يبدو مناقضا للثانى فقد فزع عدد ى الشعراء الى مفردات من مألوف ياة الناس، ولعل المتلقين فى لماعات واسعة استغربوا ما عدّ غير عرى مما يضع الجميع أمام قضية لقول الشعرى» القديمة والمتجددة ر تاريخ الأدب العالمى ونقده، عاظم إذن الحاجة الى تسويغ بضاح لجماليات هذه الكلمات الحية ى ينظر اليها بأنها غير شاعرية.

قام النقاد العرب برصد أحوال الدلالة فى النصوص الشعرية. لكننا نميز مجموعة من المصنفات لا يقف عندها الدارسون طويلا وهى من أهم ما قدّم فى هذا المجال وهى «الشروح الشعرية» ولا يغيب عنا تعددها متصلة بالشعر الجاهلى فى معلقاته واختياراته والدواوين المفردة ومن ثم بالشعر الاسلامى فالأموى وبعد ذلك العباسى، وعُرفت كذلك فى المغرب والأندلس.

ذهب الشراح مذاهب مختلفة فى تلك المصنفات، ورأى بعضهم فيها إجراءات نحوية او شرحا يناظر ما فى المعاجم أو كتب اللغة العامة وحاول آخرون أن يمزجوا ما تضمنته بما يفيد القارىء المعاصر من الشرح والتبسيط للأبيات.

●● والسؤال الذى يبرز هو، لمن كانت تقدم تلك الأعمال؟ ثم هل تدخل غمار النقد الأدبى حقا؟ وتنتظم الاجابة على الشطر الأول فى طبقات من المؤلفات الشارحة فمنها ما كان تعليميا مباشرا يفيد منه الطلبة والشداة.. ومنها ما كان عاما للناس وللمتأدبين، ومنها ما كان تخصصيًا له مثل ما وصلنا من كتب المشكل والحوار فيما بينها (مشكل شعر المتنبى على سبيل المثال)، أما الشطر الآخر فيبين لنا أن هذه الشروح اشتملت على ملحوظات جمالية فى الصورة وأشكالها وإن تكن فى الغالب سريعة، وفى التركيب اللغوى وفى الدلالة عامة ونصيَّة إضافة الى إضاءة النصوص بالخبر التاريخى والكلام على ملابسات رافقتها وهذا كله يدخل فى اهتمام النقد والنقاد.

إن الشارح تطلع الى تقريب النص الشعرى الى القارىء والدارس فاقتضى منه هذا المطلب بسط الدلالات للكلمات البعيدة عن الرصيد العام المتداول من لغة الناس ـ خاصة بعد التداخل اللغوى فى أرض الدولة العربية الكبرى ـ والاشارة الى مرتكزات فى التركيب اللغوى بتوضيح حالات إعرابية ليس القصد منها التمرين النحوى بقدر ما هو إيضاح المعنى والفحوى. ولقد أدت جهود الشراح دوراً فى تقريب الشقة بين المبدع والمتلقين، وكان لها ذيوع وانتشار الى جانب حركة الدواوين والقصائد، ومن طرف آخر أسهمت المصنفات النقدية العامة النظرية والتطبيقية فى المزيد من مناقشة أبعاد النصوص.

●● الوقوف عند الدلالة السياقية هو أهم إنجاز لهؤلاء الشرَّاح فهم تنبهوا الى ملامح من تاريخ الكلمات: ما كانت عليه ثم ما آلت إليه خاصة فى الموقع الذى يدور فيه الكلام (القصيدة والابيات). وهذا ما نسميه التطور الدلالى نضيف إليه حالات نحوية تحدد وجهة القصد لدى الشاعر. ولم يكن هذا العمل النقدى غريبا عن الثقافة العربية الاسلامية، فالفقهاء والمتكلمون والفلاسفة عنوا بالدلالة والمنطق واهتموا بحدود الأشياء وفروق ما بينها وركزوا على الدلالة النصية والخصوص والعموم والمجاز ودوره فى تفسير المواقف من خلال استعمال لغوى مميز ونحن فى كل هذا نواجه الكلمة ضمن سياقها ونتأمل التركيب للجملة والعبارة والقوانين الحاكمة لها، وقد تعامدت مع جهود الشراح والنقاد «نظرية النظم» كما تجلّت عند عبد القاهر الجرجانى وهو الذى حمل المعطيات المتجلية فى «مُغْنى عبد الجبار».

■ أعطت تلك الشروح الشعرية ـ وما أطاف بها فى كتب النقد واللغة والمعاجم ـ أساس نظرية لغوية حديثة فى «التطور الدلالى للكلمات العربية» وقد أثبتها فى أعمالى ودراساتى منذ سنة ١٩٧٨ (الجوانب الدلالية فى نقد الشعر فى القرن الرابع الهجرى) ثم فى (علم الدلالة العربى) لكن الأهمية لا تقف عند النتيجة اللغوية الهامة وإنما تكمن فى الاضاءة النقدية، أقصد فى المعطى النقدى لأن الناقد يستفيد من تنوير النص بدلالاته.

قد يبدو حديثنا عن ضرورة عمل الشراح وانتشاره الى جانب النتاج الابداعى للشعراء وتطلعنا الى آفاق النصوص بخصوصيتها متباعد الأطراف فالتعليق والشرح قد يصادران على شاعرية المتلقى للقصيدة والديوان وينتفى الأفق الخاص مع كل قراءة.

إن الرؤية النقدية المتكاملة تبنى على المعطيات الدلالية التى نسعى إلى إعطائها منصة التشكل فى «المعجم الشعرى» وهى التى كانت تحفل بها الشروح قديما

وصفحات للنقاد. . والموضوعية هى أن يتجسد العمل الفنى الأدبى ـ ونخص الشعرى ـ كيانا لغويا يفصح عن ذاته ويتحكم بالمسارات الممكنة بحسب قدرات الالفاظ ودلالاتها العربية وكذلك من خلال حركتها التاريخية التطورية والمجازية وبهذا لا يصادر على المبدع بالتأويلات التى تُحمل عليه حملا أو التى تحوم حوله أو تهوّم فى عوالم تبعد القارىء عن النصوص إن تعقد موقف الشاعر أمام قطاع عريض من الجمهور.

●● استمرار اللغة العربية أداة حية على امتداد ثمانية عشر قرنا من الجاهلية حتى العصر الحديث يمثل حالة فريدة من إمكانية التواصل مع نتاج الشعراء العرب قدامى ومحدثين. فليست العربية طبقات تراكمية وانما هى جسم يتنامى بتجدد لا يلغى القديم بل يغنيه. وبتحليل المادة اللغوية الادبية ـ والعلمية والسلوكية ـ نجد أن قدرا مشتركا يظل كمه مستعملا (مصادر ومشتقات ودلالات) فى النصوص القديمة والحديثة لا يعبر عن مستجدات مادية أو فكرية أو نفسية وهذا يدركه أى عربى يسمع الشعر أو يقرؤه. وهناك طرف آخر هو المستجد من الصورة المادية والذهنية المتولدة مع الحالات الحضارية المتتابعة بألوانها لأن اللغة هى الحياة وتصور لها،وهنا نلحظ دور التطور الدلالى بالتوسع والتخصيص والنقل ودور المجاز فى صنع الأدوات المعبرة. لكن ميزة العربية تتجلى فى وحدة المعايير الصوتية والصرفية والنحوية مما يجعل القارىء قادرا على استيعاب المبتكر ما دام يندرج فى قوالب مستعملة هى أوزان الكلمات: اسماء أو أفعالا، ولكن الاشكال يتبدى فى الدلالة السياقية والاصطلاحية الخاصة.

إننا نتطلع فى تجربة المعجم الشعرى الى الكشف اللغوى الموضوعى عن عوالم اللغة العربية المتطورة والمتميزة فى أعمال الشعراء فيكمل لدى القارىء ـ وعند الناقد فى تحليلاته ـ ما يعينه على ولوج التجربة ومعايشتها مع الشعراء.

■ وقد رسمت خطة المعجم وطبقتها على بعض الأعمال الشعرية: ديوان صلاح عبد الصبور الغنائى ونصوص مسرحياته الشعرية ومجموعة شعرية لخالد محى الدين البرادعى من القطر العربى السورى بعنوان «تداعيات المتنبى بين يدى سيف الدولة» ونشرت شريحة من عملى هذا فى «علم الدلالة العربى» تتناول قسما من شعر عبد الصبور.

تتوزع الدلالة فى المعجم الشعرى على أربعة أقسام: (والأمثلة من صلاح عبد الصبور):

١ ـ الدلالة الحديثة ـ٢ ـ الدلالة الحديثة فى الصورة.
٣ ـ الرمز العام وتحليله ـ٤ ـ الرمز الخاص وتحليله.

[١] الدلالة الحديثة: درب الزحام، صدر زجاجى، خرب، قافلة البيوت، الدخان، الشاى، القرش وقروش، عشرة أو عشرون، غرفتى، نصنع الافراح، الذوق، سوناتا، الموسلين، القطار، النافدة، (تانجو)، الشرفة.

[٢] الدلالة الحديثة فى الصورة (وهى ههنا بلاغية)

١ ـ «البسمة البيضاء تهمس فوق خدّيه محبة».
٢ ـ «تمطت الرئتان فى صدر زجاجى خرب»
٣ ـ «وامتدت الأنفاس مجهدة تراوغ أن تبوح بالانكسار».
٤ ـ «ومشت الى النفس الملالة والنعاس الى العيون».
٥ ـ «نصنع فى الصباح أفراحنا البيضاء».
٦ ـ «حزن تمدد فى المدينة».
٧ ـ «الحزن يفترش الطريق».
٨ ـ «وغربتنا المرفأ المنتظر».
٩ ـ «ودوى القطار وصاح الطريق».
١٠ ـ «الليل راح لابد من خوض الصباح».
١١ ـ «ولم نفترق فى الزحام البليد».
١٢ ـ «والبدر لملم فوق قريتنا أستار أوبته».

«جارتى مدت من الشرفة حبلا من نغم»
نغم قاس رتيب الضرب منزوف القرار

[٣] الرمز العام (وهو الذى يضم الاسطورة والتاريخ والتراث الادبى):

الزحام، آهلة، الملك، الكفاف، الجحيم، الصمت، القلعة والقلاع، برج النحس، المنصور، ذووا الذقون البيض، جام وابريق وصومعة، مجمر، الوجد، الحدة، الاطلال، الجن، حورية، الغول، السندباد، سبع، الملك لك، المضحك المراح.

[٤] الرمز الخاص (وهو ما تكرر على نحو متميز، وحمل دلالات طبعت نتاج الشاعر بألوان بعينها).

* الليل، الدجى، ليلة، العتمة (٢١ مرة)
* المساء (١٥ مرة).
* الحزن، الكآبة، ما ابتسمت، العذاب (١٧ مرة)
* الموت، قبر (١٧ مرة)
* السأم، سأمان (٤ مرات)
* النور، الفجر، الصبح، الصباح (٢٤ مرة)
* الجدار (٥ مرات)
* الصديق، عصبة، رفاقى، صاحبى (١١ مرة)
* فتنى (٨ مرات)
* الولادة (٧ مرات)
* الانكسار، المدينة، الزحام، الصليب، مرفئى.

■ ولقد تناولت بالتحليل الاصل اللغوى وأبعاد الدلالة فى السياق ووثقت المادة معجميا واستعمالا.

■ وبعد فهذا تصور يمكن أن نفيض فى الكلام على جزئياته ومناقشته مع الزملاء الباحثين وترفق به شواهده وتحليلاته وتفيد من الاراء التى تكمل التجربة أو تمول بعضا مما جاء فيها.

فلسطيننا

العدد الخامس والعشرون
رجب ١٤٠٨ هـ

الابئس ما يضمرون

اسرائيل يجب ان تتطهر من كل غير اليهود حتى تبقى نقية عرقياً ودينياً . . وبالتالى علينا ان نطرد العرب فورا ذلك انه بعد عشرين عاماً من الآن سيعادل عدد العرب عدد اليهود داخل اسرائيل ساعتها سيصبح الموقف عصيباً . . أما الآن فيجب اللجوء للقوة والعنف لطردهم وذرع الرعب فى قلوبهم وترويعهم حتى يخرجوا سريعا . . ولا نستطيع ان نجلس هكذا بينما هم يقذفوننا بالاحجار وبينما هم يتكاثرون كالأرانب فى حين يجب ان يتكاثر اليهود أنفسهم كالارانب كالعرب الذين يشكلون مصدر الخطر ضدنا.

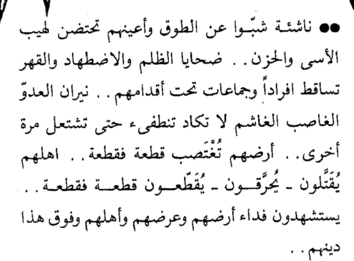
« الحاخام مائير كاهانا »

لم يبقَ غيرك لى يا أيّها الحجرُ
فقد تخلّتْ جموعٌ أحجمتْ زُمرُ
عشرون عاماً . . وإنّى فى انْتظارهُمُو
تجذوا فى ترابى يشْمخُ العُمرُ
عشرون عاما . . ورايـاتـى مخضّبة
بالدم شرّفها ابطالُنا الغرر
قدمت ما بخلتْ أمٌّ ولا ولدٌ
ولا تخلّف شيخٌ او كبا نفرٌ
قاتلت . . اولَ من دوتْ رصاصتُه
كنت الفتى يوم غام اليأسُ والكدرُ
والآن هذا أنا بالصَّدر مُنْتَصِبٌ
وبالحجارة . . لا خوفٌ . . ولا حذرٌ
يهمى الرصاصُ . . فما ترتدُّ خطوتُنا
عما نريدُ . . ويهمى الموتُ ينهمرُ
فى غزّة الآن هذا الزحفُ زلزلة
تهُزُّ منْ نكصوا عنّا ومنْ غدروا
تُحرّك الغافل الغافى وتوقظُهُ
على الزئير لأحباب بها نفروا
فالأرضُ جفّتْ وجفّ الضّرعُ وانحسرتْ
شتّى المنى وجفانا البشْرُ والبشرُ
البرتقالُ . . لقد غيلت مواردُه
وخُرّبتْ واسْتُبيحَ النّبْتُ والزّهَرُ
آلاف . . آلاف . . اشجارٍ مقطعةٍ
هنا . . هناك رماها حاقدٌ قذرُ
مستوطنات على انقاض دارتنا
يُقيمُها غاصبٌ للأرض مُقْتدرُ
مطرودة غزة الشماء غائبة
مغتالة فى الحصار المرّ تُعْتصرُ
قلنا لهم . . أين «هانوى» ترفدنا
بما لديها وأين الدعم والنذر
وضفة النار مازالت مؤجّجةً
مثلث الرعب . . فيها لاهبٌ خطر
والقدسُ صاخبةٌ تعلو بصرختها
اللهُ اكبرُ . . فيها هاتفٌ عُمَرُ
وفى القيامة والاقصى مواكبُنا
لمّا تزلْ بنداء الحقّ تأتمرُ
من هؤلاء . . عيونُ الكونِ شاخصة
الى فلسطين تستقرى وتنبهر
لإخوة فى ظلال القهر قد وُلدوا
وفوق نار الاسى والحزنِ قد هُجِروا
تطاولوا فاذا قاماتُهم شمختْ
فوق الذين تناسوا ذكرهم هجروا

شعر
هارون هاشم رشيد
تونس



أطفالنا هل رأيتم مثل أعينهم
وكيف منها جريئا يدفُقُ الشَّررُ
وجوههم هل رأيتم اىَّ عاصفةٍ
من الوجوه تشقّ النارَ تنتشر
هى العروبةُ مازالتْ عقيدتهم
قد عُلِّمُوها فما حادوا ولا كفروا
تأخّر الدعمُ عنهم.. غاب معتصمٌ
لا السيفُ لاح ولا أجناده ظهروا
عشرون عاما همو فى الانتظار على
مجامر النار ما ارتدوا ولا دُحِروا
اطفالُنا نبتُ ارضٍ لا مثيل لها
تعطى سخاء اذا ما أهلُها صبروا
لها تدفُّقُ وجدانٍ وعاطفةٍ
من هؤلاء به تخضَرُّ تزدهر
كانوا البراعم تنمو تحت لافحةٍ
من العذاب، وذاقوا الجوع واصطبروا
وابدعوا فى صمودٍ لا مثيل له
هاتوا لنا مثله فى كل من غبروا
وقلَّبوا صفحة التاريخ علّ بها
اسما يجود بما جادوا وما سطروا
اسطورة المجدِ اطفال الحجارة فى
هذا الزمانِ الذى يهوى وينكسِرُ
اسطورة المجد ما جاد الزمان بها
جادتْ به طفلةٌ فى كفِّها حجرُ
اسطورة المجد ما الخنساء صابرة
فعندنا الف خنساء لها اثر
فهل رأيتم نساء مثل نسوتنا
فى كلّ ما خلّد الكُتَّابُ أو ذكَرُوا
وعندنا الف.. الف من شبيبتنا
تلفحوا برداء الموتِ واتَّزَروا
اسطورة المجد قد ردَّت لأمتنا
نهجاً به تشمخُ الاجيالُ تفتخر
ردتْ لنا غايةً شماء رائعةً
كادتْ وراء ستار اليأس تندثرُ
تقول دولتنا، لابد قائمة
من اجلها يهدُر البركانُ ينفجرُ
والقدس عاصمة الاحرار مذ وُجدتْ
حراسُها نحن.. نحن العسكرُ المجر
تحركتْ من ركام الموتِ لهبتُها
وجنّ فيها اللظى واستنفرَ الحجرُ
وانه النَّصر آتٍ تلك قولتنا
فالليل، لابد هذا الليل ينحسر
قد قالها الشاعر الشابى من زمن
لابد.. لابد ان القيد منكسر
وانه النصر آتٍ لا محال وإن
طال الطريقُ بنا واستفحل الخطرُ
وانها ثورة للنصر زاحفة
مهما دجتْ حولها واسوَّدت الغِيَرُ
فلا تقولوا متى.. هذى بشائرها
فمن هناك بها قد جاءنا الخبر







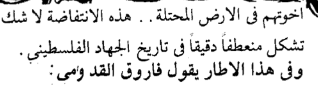
●● ناشئة شبّوا عن الطوق وأعينهم تحتضن لهيب الأسى والحزن.. ضحايا الظلم والاضطهاد والقهر تساقط افراداً وجماعات تحت أقدامهم.. نيران العدوّ الغاصب الغاشم لا تكاد تنطفىء حتى تشتعل مرة أخرى.. أرضهم تُغْتَصب قطعة فقطعة.. اهلهم يُقَتَّلون ـ يُحرَّقون ـ يُقَطّعون قطعة فقطعة.. يستشهدون فداء أرضهم وعرضهم وأهلهم وفوق هذا دينهم..

●● ناشئة شبّوا عن الطوق.. وكل هذا بين أعينهم.. لهيب وجحيم من الأسى ممتد متلاحق من غير انقطاع منذ ظهور ما عرف بالقضية الفلسطينية عبر كل ازمنة الحرب والحرب والحرب.. أتقول السلم..؟. ما رأوه يوماً وما تذوقوه لحظة.. حرب ودمار وتجويع ونفى من الديار.. وهكذا يترسب الواقع المرير فى حدقات عيون الناشئة وفى اعماق قلوبهم وتتراكم الترسبات: حرب ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧م ـ ١٩٧٣ ـ حرب المخيمات ـ طرد الفلسطينيين من مخيماتهم وتشتيتهم بين البلدان ـ محاصرة من بقى وفوهة البندقية بين عينيه ان لم تكن الرصاصة قد اخترقت قلبه.

●● ناشئة شبوا عن الطوق وفى قلوبهم لهيب متّقد وجحيم لا ينطفىء.. وشبّ المارد.. ارضه محتلة وشعبه مضطهد.

●● والعالم من حوله يشجب ـ يستنكر ـ يُدين ـ وماذا يفعل بكل ذلك..؟

●● يوم احتفال الامم المتحدة بحقوق الانسان يرافقه ـ أو يتزامن معه ـ اتفاق قمة (ريجان ـ جورباتشوف) على ترحيل عشرات الالوف من اليهود من روسيا الى الكيان الاسرائيلى.. كأنّما الامر جاء هدية لحقوق الانسان (الموءودة فى فلسطين المحتلة).





التحرير

●● والعـرب . . خلاف فى خلاف . . واقتتـال فى اقتتال من غير ساحة للقتال .

كل هذا يترسب ويـتراكـم ويـزداد . . وتأتى الانتفاضة وما قبلها من حركات فدائية جريئة يقدم فيهـا الفـدائى نفسـه طواعيـة واختيـارا فداء لوطنه ودينه . . وتأتى الانتفاضة تتقاذف حجارتها من قلوبهم وأعـماقهم . . رافضة للظلم والاضطهاد لا تملك فى دفاعها غير هذا «الحجر» لكنه العزيمة والاصرار . . ولاول مرة يقف العـالم الأوربى على جرائم الكيان الصهيونى ويفتضح أمره .

ولعلها فرصة سانحة للعالم العربى والقادة العرب للافادة منها فى تجميع صفوفهم والوقوف الى جانب اخوتهم فى الارض المحتلة . . هذه الانتفاضة لا شك تشكل منعطفاً دقيقاً فى تاريخ الجهاد الفلسطينى .

وفى هذا الاطار يقول فاروق القدومى :

ان هذه الانتفـاضـة قد اخذت زمام المبـادرة واصبحت الخـبر الاسـاسى لدى الرأى العام العالمى . . وكانت ردة الفعل بالنسبـة للرأى العـام العـالمى هو دعم ومساندة تجسدت فى تقديم الدعم المادى والسياسى . . فكانت قرارات مجلس الامن الـذى وقفت فيه كل الشعوب والاعضاء داخل مجلس الامن مع الولايات المتحدة اولا ومـع الـشعب الفلسطينى للادانـة بالممارسـات الاسـرائيليـة والمطالبة بانهاء الاحتـلال . . وقـد ابرزت الانتفاضة ان الـشـعـب الفلسطينى حقيقـة لا يمكن تجاهـله . . وان هذه الحقيقـة لابـد ان تتجسد فى دولة فلسطينية مستقلة . . وان على اسرائيل بقواتها المحتلة ان تنسحب بدون قيـد او شرط من الاراضـى الفلسطينيـة وان توقف كل ممارسـاتهـا الـبربرية والوحشية ضد هذا الشعب ولا شك ان هذه الانـتـفـاضـة قد قذفـت بالاجيـال الجـديـدة فى اتـون التجـربـة الثـوريـة . . وهذا سوف يضعف الهيكل الاجـتـماعى والاقتصـادى والسيـاسى لاسرائيل ويوجه لها ضربات متتالية . فكما قلنـا فهـذه حرب تحريـريـة شعبيـة التى يخوضهـا الشعب على مدى طويـل من الزمن فيحقق الهدف العام التى قامت من اجله الثـورة الفلسطينية لتحرير فلسطين من الغزو الصهيونى .

ملخص ما نشر

قصة (٣)

ولاتزال فرية الحديث "المتناقل" تأخذ طريقها مشيرة إلى أن امتلاك الأرض مسيرته بدأت ـ منذ ذات أهله ـ إلا من حقائق تاريخية دامغة تساهم لتذويب تلك المظنة وتبديد ذلك الضباب الذي يحف بقضايانا المصيرية محاولا بسط رؤاه وطرح تشويهاته، ومن هذه "الشكلية الموبوءة" .. وتنويا لمساطرها .. ودحض وقائعها .. يجيء البيان مسترسلا متتابعا بجهد يراع كاتبنا ويجلوه ببصيرته المتقدة.

محمد محمد حسن شراب

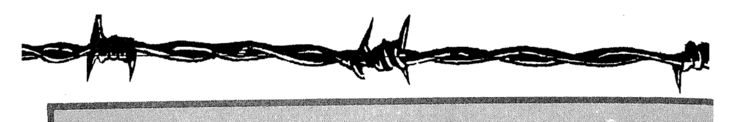
المدينة المنورة

٤ ـ كيف تسلل اليهود إلى فلسطين فى العصر الحديث:

ما حل بفلسطين نتيجة خطة محكمة طبقها واضعوها بالتدريج وعلى حين غفلة من العرب. . أو على حين علم وتغافل بعد تشرذم الأقاليم العربية وانقسامها الى دول ـ لكل دولة علمها ورئيسها وعضويتها فى عصبة الأمم ثم فى الأمم المتحدة لأن قانون الأمم المتحدة لا يعترف لا بالعروق ولا بالأديان ـ فكل دولة تعتبر مستقلة فى شؤونها الداخلية والخارجية لا يربطها بالدولة الأخرى إلا الروابط الانسانية أو النفعية أو القانونية التى تقرها الأمم المتحدة. . كما لا يحق لأى دولة عضو أن تتدخل فى شؤون اقليم آخر مهما كانت العلاقات التاريخية بينهما. . وبناء على هذا قالوا: إن اقليم فلسطين غريب عن دول مصر وسورية. . ولبنان والأردن ـ وغيرها ـ لأنه خارج عن الحدود المعترف بها بين الدول.

وكان المخطط قد وضعت خطوطه الأولى منذ عهد مبكر وقبل عصر الدول عندما كان العالم العربى جزءاً من الخلافة التركية. وقد التقت فى هذا المخطط مصلحتان:

الأولى: وهى الأهم والأقوى: أطماع الدول الغربية وبخاصة بريطانيا.



الثانية: مصلحة وأطماع الصهيونية العالمية ـ ولولا وجود الأولى لما تحققت الثانية.

وأطماع الدول الأوروبية بفلسطين قديمة نظراً لما يمثله موقع فلسطين الجغرافى من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية.. وتشهد الغزوات الصليبية على مدى قوة هذه الأطماع ومداها. واستعادت دول أوروبة اهتمامها بالمنطقة العربية فى أعقاب احتلال بريطانيا للهند فى القرن السابع عشر. كما تنبهت بريطانية لأهمية المنطقة عندما جرد نابليون حملته على مصر وفلسطين فى أواخر القرن الثامن عشر ـ فظهرت رغبتها فى السيطرة على المنطقة بشكل أكثر مباشرة لما انطوت عليه حملة نابليون من تهديد خطير لمصالح بريطانية فى الهند.. ولذلك أرادت أن تحتفظ بالمنطقة لحساب نفوذها ومن هنا كانت تعارض قيام أية دولة لها قوة حقيقية محلية فى المنطقة.. ولذلك نظرت الى بروز محمد على الكبير فى مصر بقلق بالغ ما لبث أن تحول الى تدخل عسكرى عندما هزمت جيوش محمد على ـ بقيادة ابنه ابراهيم باشا ـ الجيوش العثمانية ووحدت مصر وسورية الطبيعية مهددة بذلك عاصمة الدولة العثمانية ومصالح الدول الاوروبية فى المنطقة وعلى اثر ذلك عملت بريطانية على الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية فى المنطقة تحت ستار حماية الأقليات الدينية.. وأعلنت بريطانية حمايتها للدروز والبروتستانت واليهود فى سورية وجبل لبنان وفلسطين.. كما كانت الدول الغربية قد فرضت على تركية ما عرف بالامتيازات الأجنبية ـ فصار المقيمون الأجانب دولة داخل دولة لا تسرى عليهم القوانين العثمانية.

وفى سنة ١٨٣٩م أقامت بريطانية أول قنصلية غربية فى القدس وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية فى فلسطين.. ولم تكن أهداف القنصلية الحماية فقط فقد كان عدد اليهود آنذاك لا يتجاوز تسعة آلاف نسمة موزعين فى أربع مدن وإنما كان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية.. وقد ظهر هذا الهدف فى رسالة بعث بها رئيس وزراء بريطانية الى وزيره فى استنابول جاء فيها:

«إن عودة الشعب اليهودى الى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته تشكل سدا فى وجه مخططات شريرة يعدها محمد على أو من يخلفه».

●● من هنا نرى كيف ارتبطت منذ البدء فكرة تشجيع استيطان اليهود لفلسطين بفكرة إقامة حاجز بشرى استعمارى غريب يحول دون قيام دولة عربية مستقلة تضم المشرق العربى وأفريقيا العربية حفاظا على استمرار السيطرة الأجنبية على مقدرات الوطن العربى.. ومن يدقق النظر فى الحدود الطبيعية التى اختاروها لفلسطين يتحقق من هذا الهدف الذى وضعوه حيث جعلوها

موصولة من الجنوب بخليج العقبة لتكون موصولة بالبحار من جهة وحتى لا يبقى شبر واحد من الأرض اليابسة يصل بين عرب أفريقية وعرب اسية فيكون التلاحم فى الملمات صعبا حيث لا يكون إلا عن طريق الجو والبحر وهما طريقان غير مأمونين.

●● وقد واكبت أو سبقت بقليل - فكرة بريطانية هذه وجود الحركة الصهيونية التى اخذت تدعو الى العمل من أجل العودة الى فلسطين.

●● وتهيأت الفرصة لتحقيق هذا الهدف عند قيام الحرب العالمية الأولى حيث اقنعت بريطانيا «حركة الانفصال عن تركيا» بالتعاون معها لزحزحة الدولة العثمانية عن البلاد العربية.. ووعدت العرب بالاستقلال بعد انتهاء الحرب الاولى.. وكان لبريطانيا ما أرادت حيث ثار العرب على تركية.. ودخلت بريطانيا فلسطين سنة ١٩١٧م.. واتفقت مع فرنسا أن تكون فلسطين حصتها فى الغنيمة بعد النصر على الألمان وتركية.. وسارع - ولما تنته الحرب بعد - وزير خارجية بريطانيا وأعطى اليهود وعداً بأن تكون فلسطين وطنا لهم. وما أن وضعت الحرب أوزارها واستقر لبريطانيا الأمر فى فلسطين حتى أخذت تنفذ مخططها بفصل فلسطين عن جسم الأمة العربية محققة بذلك أطماعها ووعد وزير خارجيتها بلفور - وكانت كل وظيفتها مدة الانتداب ١٩١٧-١٩٤٧م أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين وامتلاكهم الأرض... فكيف تم ذلك وكيف حاز اليهود الأرض قبل سنة ١٩٤٨م؟.

٥ - كيف امتلك اليهود أرضاً فى فلسطين قبل سنة ١٩٤٨م.

لقد دأب اليهود وحماتهم بعد قيام الدولة اليهودية الى تركيز الدعاية الكاذبة ضد عرب فلسطين لاثارة كراهية العرب نحوهم لأنهم ظلوا - مع ما وقع عليهم من شدائد ومحن تدك الجبال - أشد الأصوات ارتفاعاً وتصميماً على الثأر والعودة واسترداد الوطن الشهيد

ومما أشاعه اليهود ولاكته ألسنة الجهال من العرب وغيرهم - أن عرب فلسطين هم الذين يسروا قيام الوطن القومى اليهودى لما باعوه من أرض ولما ظهر بينهم من سماسرة وخونة.. وقد شاع هذا القول حتى ردده بعض حملة الأقلام جهلا أو غفلة إذا أحسنا الظن فى بنى قومنا.. بل كنا نسمعه من جنود وضباط بعض الجيوش العربية التى دخلت فلسطين منقذة محررة.. ومن الملاحظ أن هذه الاسطورة تخمد أحيانا وتحيا وتنشط أحيانا أخرى، ومن يراقب الأوضاع عن كثب يلاحظ أن قوة الاشاعة تتناسب مع ما يظهره الفلسطينيون من قوة وصمود وثبات على مبدأ العودة الى الوطن، فكلما صعَّد الفلسطينيون جهادهم وأظهروا قوة شكيمة سمعنا بعض الأصوات التى تمضغ الكذب تردد نشيد الأعداء وتضرب على أوتارهم.

ومن الغريب العجيب أن بعض من يردد هذه الفرية يدعى العلم والمعرفة والتثبت والتدقيق فى رواية الأحداث فإذا تحدث فى هذا الموضوع طمس على قلبه وفقد البصر والبصيرة وعجز أن يأتى بدليل واحد على ما يقول، فليس عند هؤلاء رواية موثوقة متواترة (حدثنى فلان عن فلان) من أهل الصدق فى الرواية، وليست عندهم وثيقة رسمية يعتمدون عليها ولم يقرأوا ذلك فى كتاب معتمد مبنى على الوثائق.. فكيف يقبلون الاعتماد على القصص الملفقة فى موضوع له مساس نديد بالعقيدة والعروبة والأمة؟..

وأنا عندما أضع الحقائق أمام القارىء بصفتى الفلسطينية أو العربية لا أدافع عن الفلسطينيين ولا أدفع عنهم ذنبا اقترفوه ولا أعتذر عن أمر فعلوه ولا أفعل ذلك لأنهم أهلى وبنى قومى على طريقة الجاهليين - انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً - وإنما اكتب ما اكتب انصافاً للبرىء وشهادة فى حق المظلوم، وتصحيحا للتاريخ وتنقية وتقويماً للروايات معتمداً فى ذلك أصدق المصادر وأثبت الروايات **واذا لم يبع الفلسطينيون أرضهم الى اليهود فكيف تم**



امتلاكهم الأرض قبل سنة ١٩٤٨م وكيف تم توطين الآلاف من اليهود الذين كانوا يقدمون أيام الانتداب البريطانى وقبله؟ . .

■ *في الجواب عن هذا السؤال، ايجاز وتفصيل:*

أما الموجز فيقول: إن مجموع مساحة فلسطين نحو سبعة وعشرين مليون دونم (والدونم ألف متر مربع) بلغ مجموع ما امتلكه اليهود حتى نهاية عهد الانتداب نحواً من مليوني دونم أي: ٧٪ سبعة في المائة تقريباً. وفي احصاء آخر أن مجموع ما حصل عليه اليهود ١٫٥٨٨٫٣٦٥ دونم من مجموع مساحتها وهو يشكل ٥٫٦ في المائة من مجموعها. وقد تم هذا في عشرات السنين قبل الانتداب البريطاني من جهود الصهيونية العالمية وفي مدة ثلاثين سنة من جهود بريطانية الحاكمة.

أما بقية الأراضي فقد حصل اليهود على ٦٥٠ ألف دونم امتلكها اليهود في عهد الدولة العثمانية، إما بواسطة الهبة وإما بواسطة

ومجموع ما انتقل الى اليهود من أيدي الفلسطينيين لا يزيد عن ربع مليون دونم ٢٥٠٫٠٠٠ دونم وهو يساوي أقل من ثمن ما حصل عليه اليهود. وأما سبعة الأثمان الباقية فقد حصلوا عليه من ثلاثة مصادر أخرى هي: «الحكومة التركية. . والحكومة البريطانية. . ومن تجار الاراضي ومالكيها من غير الفلسطينيين، وليست لهم بأرض فلسطين وأهلها لا صلة النسب ولا صلة القرابة، ممن سنرى ذكر أسمائهم فيما يأتي من التفصيل. . . وما كان هؤلاء الفلسطينيون القليلو العدد يبيعون هذه الدونمات لولا السياسة التي اتبعتها الدولة المنتدبة لافقار الشعب الفلسطيني، وجعله في حال يساعد على التخلي عن أرضه.

الشراء ممن وهبتهم الدولة العثمانية الأرض وهم ليسوا من فلسطين. و٣٠٠٫٠٠٠ ألف دونم منحتها لهم حكومة الانتداب بدون مقابل و٢٠٠٫٠٠٠ ألف دونم منحتها إياهم حكومة الانتداب بأجرة رمزية و٦٠٠٫٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من عائلات غير فلسطينية.

وأنقل هنا شهادة اثنين من اليهود الذين كان لهم مشاركة فعالة في شراء الأراضي من خلال الوكالات والجمعيات اليهودية:

أولهما: الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية في القدس، فقد قال في شهادة أدلى بها أمام لجنة التحقيق: إن تسعة أعشار الأراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩م اشتريت من مالكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين.

والثاني: هو الدكتور برنار جوزيف وهو محام يهودي كلفته الوكالة اليهودية أن يدلي بشهادة أمام اللجنة الملكيه حول قانون الاراضي وأراضي الدولة بفلسطين في الجلسة المنعقدة في القدس بتاريخ ١٩٣٧/١٢/٥م قال «إننا في خلال خمسين عاما (٣٢ في العهد العثماني و١٨ سنة منذ الاحتلال البريطاني) قد اشترينا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ دونم وهذا كله يعادل خمسة في المائة من مجموع أراضي فلسطين واذا نحن واظبنا على شراء الاراضي بالمعدل السنوي نفسه فإننا نحتاج الى مئة وخمسين سنة لشراء نصف الأراضي باستثناء أراضي بئر السبع وإذا أدخلنا أراضي بئر السبع احتجنا الى ثلاثمائة سنة لشراء نصف فلسطين والى ستمائة سنة لشراء فلسطين كلها، هذا إذا استمرت السياسة المواتية. وقال: إن الفلاح العربي في فلسطين ذكي وداهية متوقد الذهن صلب الرأي شديد المراس مساوم ماهر وعلى كل من يفاوض عربيا لشراء أرض - كما جرى معي أنا شخصيا - أن يعلم أنه أمام ممسك اليدين قدير متذرع بالصبر الطويل لا يتسرع في بيع أرضه» ا: هـ - الشهادة.

وإذا لم يكن الفلسطينيون قد باعوا الأرض، فكيف وصلت الى العائلات غير الفلسطينية التي باعتها الى اليهود وكيف تمكنت حكومتا تركية وبريطانيا منح أراضي فلسطين الى اليهود، وما دليل صدق ما نقول: ؟

أقول: إن الأجوبة عن هذه الاسئلة هي تفصيل ما وعدتُ به في بداية هذه الفقرة وأما المصادر التي استقيت منها هذا البحث فإنني ذاكرها في نهاية الكلام وهي تعتمد على وثائق مكتوبة لا تقبل النقض لأنها شهادة الأعداء والأصدقاء: أما سجلات الأعداء: فهي تقارير السلطة البريطانية المنتدبة وسجلات الأراضي (الطابو). . ولدى مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملفات احصائية تفصيلية في الموضوع فمن أراد أن يتثبت فليرجع إليها.

أما كيف حصلت العائلات غير الفلسطينية على أرض فلسطين وكيف قدمت حكومتا تركية وبريطانيا الأرض الى اليهود، . فالجواب عنها في هذا التفصيل:

أقول: *لم يكن يسمح للسكان اليهود في فلسطين في أوائل القرن التاسع عشر أن تشتغل بغير التجارة. وفي مطلع عام ١٨٣٧م أيام الحكم المصري لفلسطين - طلب يهود القدس السماح لهم بشراء الأملاك والأراضي الزراعية وممارسة الحراثة والزراعة وبيع الأغنام والأبقار، ولما عرض الأمر على مجلس الشورى في بيت المقدس رفض الطلب، ولم يسمح لليهود إلا بالاشتغال بالتجارة فقط وقد صادق على هذا القرار صاحب مصر محمد علي باشا في حينه. .*

وكانت إقامة اليهود مقصورة على المدن الأربع: القدس. . وطبرية. . وصفد. . والخليل، وكان معظمهم من المتدينين الذين كانوا يعيشون على نظام الصدقات اليهودية وعمل نفر منهم كمهنيين وفنيين

وبرعوا فى الصياغة والحدادة واصلاح الساعات وتجليد الكتب.

ومنذ برزت سياسة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين أخذت الصهيونية تسعى منذ أواخر العهد العثمانى وطول فترة الانتداب البريطانى للحصول على الأراضى الزراعية بشتى السبل وتكونت جمعيات وهيئات لهذا الغرض وبذلوا الأموال الطائلة وأغلوا ثمن الأرض الى شكل خيالى.

ومما ساعد على تملكهم الأرض بمساحات واسعة فى فلسطين:

الهبات والعطايا من الدولة الحاكمة: ففى عهد السلطان عبد العزيز العثمانى (١٨٦١-١٨٧٦م) منحت الحكومة العثمانية اليهود أرضاً مساحتها (٢٦٠٠) دونم بالقرب من يافا أقيمت عليها فى عام ١٨٧٠م مدرسة زراعية حملت اسم «مكفة اسرائيل» بمعنى «أمل اسرائيل» وتعرف باسم مدرسة نيتر نسبة الى مديرها ومؤسسها اليهودى «نيتر» والغرض من تأسيسها بث الروح الزراعية بين اليهود المقيمين فى فلسطين.

سياسة سلطات الانتداب البريطانى إزاء الاستيطان اليهودى: فقد آلت جميع الأراضى التى كانت بحيازة الحكومة العثمانية الى ادارة الانتداب على فلسطين ووضعت سلطة التصرف فيها بيد المندوب السامى البريطانى فكان من حقه وحده إجزال المنح منها أو تأجيرها أو السماح بالاستقرار فيها وقد سارع أول مندوب سام بريطانى هربرت صمويل ـ وهو يهودى ـ الى تقديم ١٧٥ ألف دونم من أخصب اراضى الدولة على الساحل بين حيفا ويافا هدية الى أبناء مذهبه الصهيونيين أتبعها بعد ذلك بدفعة ثانية مقدارها ٧٥ ألف دونم على البحر الميت لاقامة مشروع شركة البوتاس وتكررت هباته السخية من الأراضى الساحلية الخصبة حتى بلغ مجموع ما منح للصهيونيين أو نقل اليهم من أراضى الدولة نحو مليون وربع من الدونمات أى ٥٨٪ من مجموع الأراضى التى كان يملكها اليهود عام ١٩٤٨م.

نظام الاقطاع: فقد ساد فى فلسطين إبان الحكم التركى النظام الاقطاعى فاحتكرت الأرض حفنة من العائلات والأغنياء من داخل فلسطين وخارجها وقد باع هؤلاء الأرض الى الصهيونيين.

نظام الضرائب: فقد أدت زيادة الضرائب وعجز الفلاح عن سدادها الى خزينة الدولة الى استيلاء الدولة على أراضى الفلاحين وقراهم وعرضها فى المزاد سنة ١٨٦٩م لاستيفاء ديون الضرائب، وهكذا حصل أغنياء بيروت وتجارها على أخصب أراضى فلسطين فى مرج بن عامر.

القوانين البريطانية: فقد سنت سلطة الانتداب قانوناً للأراضى كان هدفه تسهيل وصول الأرض الى الصهيونيين ومن تلك القوانين: أنه يحرم على المُلاك الذين لا يسكنون فلسطين استغلال أراضيهم وكانت هناك اقطاعات واسعة تملكها عائلات تقيم فى بيروت ودمشق وهذه الاقطاعات كانت من أجود الأراضى التى استهدفها القانون ـ فباع هؤلاء أرضهم الى الصهيونيين لأنهم يدفعون من الأثمان مالا يدفعه غيرهم ومالكو الأرض لا تربطهم بالوطن عاطفة.

أطماع الدول الأوروبية فى فلسطين قديمة نظراً لما يمثله موقع فلسطين الجغرافى من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية

نظام ملكية الأرض: فقد كانت معظم الأراضى الزراعية من الأراضى (الميرى) التى تملكها الدولة العثمانية ويحق لها استرجاعها من المنتفع بها إذا رأت أن صاحبها قد أهملها، وفى المناطق التى كان يحق للمواطن استخراج الحجة بامتلاك أرض كان العرب يحجمون عن ذلك فراراً من الضرائب الكثيرة .

صك الانتداب البريطانى: الذى كان هدفه الوحيد تهيئة الأحوال لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وتحقيق وعد بلفور.

كلما أظهر الفلسطينيون قوتهم وثباتهم على مبدأ العودة إلى الوطن.. كلما نشطت الفرية التى تقول إنهم باعوا أرضهم..

٦ ـ احصاءات عينية لما اشتراه الصهيونيون من غير الفلسطينيين :

كانت أهم المناطق التى شهدت قيام بعض الأسر الاقطاعية غير الفلسطينية ببيع ممتلكاتها منها للصهيونيين والتمهيد لطرد سكانها العرب منها : **«سهل مرج ابن عامر . . وسهل الحولة . . وسهل عكا . . والجزء الشمالى من السهل الساحلى الفلسطينى»** .

سهل مرج ابن عامر: كانت أراضى سهل مرج بن عامر وسهل بيسان فى العهد العثمانى ملكاً للسلطان العثمانى وكان الفلاحون الفلسطينيون يستغلونها ويدفعون ما عليهم للسلطان لقاء استغلال الأرض (العشر) ثم منح السلطان العثمانى صيارفة يقيمون فى بيروت ما مساحته ٢٣٠ ألف دونم من أراضى المرج مقابل خدماتهم له . . وفى عام ١٨٦٩م اضطرت الحكومة العثمانية الى بيع بعض تجار وأغنياء بيروت معظم ممتلكاتها فى سهل مرج ابن عامر ومن القرى التى بيعت فى هذه الصفقة : **«جنجار ـ العفولة ـ خنيفس، أم التوت ـ تل الشمام ـ تل الفرّ ـ تل العدس ـ معلول ـ ميمونه ـ كفرتا ـ جيدا ـ أم العمد ـ وطبعون ـ والشيخ بريك ومسحة ـ وجياتا ـ والورقانى»** . . وفى عام ١٨٧٢م باعت الحكومة إقطاعيين آخرين قرى الحارثية والياجور والخزيبة . وقد باع هؤلاء التجار الى الصهيونيين بين عامى ١٩٢١ ـ ١٩٢٥م أكثر من مائتى ألف دونم من أراضيهم فى سهل مرج ابن عامر وكانت تلك الأراضى تشتمل على ٢٢ قرية عربية تقطنها ١٧٤٦ عائلة ونتيجة للبيع، اضطر أفراد العائلات العربية البالغ عددهم تسعة آلاف نسمة الى ترك الأراضى وهجر المنازل تحت تهديد سلطات الانتداب البريطانى فاستولى الصهيونيون على الأرض والقرى وأقاموا فوق أنقاضها ستا وخمسين مستعمرة صهيونية أشهرها : **«كفار باروخ ونهلال وكفار دافيد . وعين حارود ومرحفيا»** .

سهل الحولة : تقدر مساحة هذه المنطقة بنحو ١٦٥ ألف دونم وكانت الحكومة العثمانية قد أعطت إحدى الأسر اللبنانية امتيازاً ينص على استصلاح ٥٥ ألف دونم من أراضى مستنقعات الحولة وعندما عجزت هذه الأسرة عن تنفيذ الامتياز باعته للصهيونيين وكان من نتائج ذلك أن طردت العائلات العربية من قراها الواقعة ضمن منطقة الامتياز ومن هذه القرى: **«خان الدوير، ومداخل، والمنشية ، دفته ، حقاب والمطلة»** .



سهل عكا: كانت اسرتان لبنانيتان تمتلكان مساحة كبيرة من أراضي سهل عكا وقد بيعت هذه المساحة الواسعة الى الصهيونيين وكانت تضم هذه المنطقة عددا من القرى العربية منها: الانشراح، وحانوتا والدار البيضاء والهريج وقد أخرج سكان هذه القرى العربية من أراضيهم عند تسليم البائعين أثمانها وعندما كان المواطنون يرفضون الخروج من بيوتهم تسلط عليهم بنادق الجيش الانجليزي.

القسم الشمالي من السهل الساحلي الفلسطيني: اشتمل هذا القسم الشمالي من السهل الساحلي على مستنقعات وكثبان رملية في مساحة صغيرة منه في حين كان معظمه أراضي خصبة صالحة للزراعة وقد تمكن بعض الاقطاعيين من امتلاك جزء من هذه الأراضي فحصلت أسرة لبنانية اقطاعية على ملكية وادي الحوارث منحة من السلطان العثماني مقابل خدمات قدمتها له وامتلكت اسرة اخرى أربعة آلاف دونم في وادي القباني. . فأقدم احد الاقطاعيين عام ١٩٢٢م على رهن حصته في أراضي وادي الحوارث عند رجل فرنسي فباعها الفرنسي الى الصهيونيين ثم اشترى الصهيونيون حصة إقطاعي آخر ثم ادعى الصهيونيون أن البيع يشمل ما يخص قبيلة الحوارث العربية ونظرت المحكمة في القضية وكانت في جانب الصهيونيين. . فقامت سلطات الانتداب بطرد العرب من وادي الحوارث سنة ١٩٣٣م وكان عددهم خمسة عشر ألف عربي.

تلخيص الأرقام

● استولى اليهود على ٦٥٠,٠٠٠ ألف دونم من الأراضي الزراعية في عهد الدولة العثمانية بالهبة أولا، وبالشراء من ملّاك كبار، وليسوا فلاحين وهم في جلتهم غير فلسطينيين.

● وحصلوا على ٣٠٠,٠٠٠ دونم من الدولة البريطانية أجرة.

● وحصلوا على ٨٠٠,٠٠٠ دونم اشتروها من ملاك غير فلسطينيين في العهد البريطاني وكانوا قد اشتروها بالمزاد من الدولة العثمانية حيث كانت بعض القرى تتأخر عن دفع الأعشار للدولة فكانت الدولة العثمانية تبيعها بالمزاد وكان أهل القرى قد رفضوا تسجيل أرضهم على أنفسهم خوفا من الجندية والضرائب فاعتبرتها الدولة العثمانية محلولة من العقد وباعتها بالمزاد، وبهذه الطريقة اشتراها ملاك آخرون.

● إن مجموع ما منحته حكومة الانتداب لليهود هو نصف مليون من أملاك الدولة ثلاثة أخماسها بلا مقابل والخمسان الباقيان لقاء أجرة اسمية.

● اشترى الصيهونيون ما مقداره ٢٤٧,٠٠٠ را دونم من أصحاب الاقطاعات الواسعة من خارج فلسطين.

■ وقد أنشأ اليهود فوق الأراضي التي اشتروها في (مرج ابن عامر) ستاً وخمسين مستعمرة على أطلال خمسة عشر قرية عربية كانت هناك.

ويمكن تلخيص مصادر الأراضي التي حصل عليها اليهود فيما يلي:

١ ـ المُلّاك الغائبون

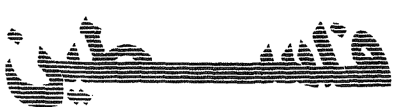
٢ ـ الحكومة العثمانية وذلك عن طريق المزاد العلني الذي تباع فيه أراضي الفلاحين العاجزين عن دفع الضرائب.

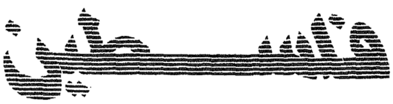
٣ ـ الملاك الفلسطينيون ومعظمهم من العائلات المسيحية (نقلا عن: تاريخ فلسطين الحديث للدكتور عبد الوهاب الكيالي عن مخطوط مؤلف سنة ١٩١١م.

٤ ـ سلطات الانتداب البريطاني التي كانت تهب الصهيونيين من املاك الدولة.

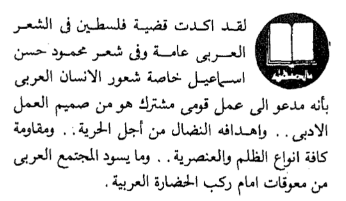
البحث موصول

بمناسبة ذكراه العاشرة



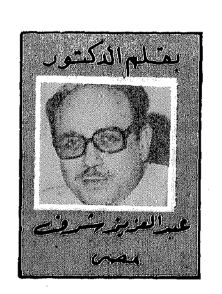


فلسطين في شعر محمود حسن اسماعيل



لقد اكدت قضية فلسطين فى الشعر العربى عامة وفى شعر محمود حسن اسماعيل خاصة شعور الانسان العربى بأنه مدعو الى عمل قومى مشترك هو من صميم العمل الادبى . . واهدافه النضال من أجل الحرية . . ومقاومة كافة انواع الظلم والعنصرية . . وما يسود المجتمع العربى من معوقات امام ركب الحضارة العربية .

ولقد وفى الشعر العربى لقضية فلسطين التى يحاول الثالوث الجهنمى المكون من الاستعمار والصهيونية وعملائها ـ ان يغرقها فى طوفان من الصراعات المحلية . . ولكنها مازالت تتنفس بقوة تيارا هادرا .



جارودي وأرض الرسالات الإلهية

واذكر فى هذا السياق للقارىء الكريم الكتاب القيم الذى كتبه المفكر العالمى المسلم رجاء جارودى عن «**فلسطين ارض الرسالات الالهية**» وعرّبه الدكتور عبد الصبور شاهين ـ حيث عالج الكتاب باسلوب اكاديمى هذه القضية المصيرية . . وفضح الادوار المشبوهة . . وكشف الاسرار المخبوءة . . وهذا الكتاب الذى وصف بحق بانه كتاب القرن العشرين عن المواجهة بين الصهيونية والاسلام يعد نقطة تحول فى فهم القضية وفى علاقة العالم كله بها .

* ان فلسطين تبدو هنا جذوة متوهجة . . تاريخا . . ومأساة ومصيرا .
* وان الصهيونية هنا كيان مفضوح . . تاريخا . . وايديولوجية . . وسلوكا .
* وان الاسلام يتجلى هنا وهو مستقبل الصراع كله . . ولكن ماذا عن فلسطين فى عيون الشعراء؟ .

محمود حسن إسماعيل

رحل محمود حسن اسماعيل عن عالمنا فى الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٧٧م/ ٧ جمادى الاولى ١٣٩٧هـ عن سبعة وستين عاما . . فقد ولد محمود

اسماعيل فى ٢ يونيو ١٩١٠، واثرى الحياة الادبية والشعرية بروائع نتاجه الفكرى منذ اصدر اول ديوان له عام ١٩٣٤ «أغانى الكوخ» متغنيا بالقرية والوطن والطبيعة واستمر بعد ذلك يغنى للحرية فى دواوينه الأخرى: هكذا اغنى «١٩٣٧» - «اين المفر» ١٩٤٧ - «نار واصفاد» ١٩٥٩ - «قاب قوسين» ١٩٦٤ - «لابد» ١٩٦٦ - «التائهون» ١٩٦٨ - «هدير البرزخ» ١٩٦٩ - «صلاة ورفض» ١٩٧٠ - «السلام الذى اعرف» ١٩٧٠ - «نهر الحقيقة» ١٩٧٢ - «موسيقى من السر» ١٩٧٨ - الى جانب اعماله التى لم تنشر بعد.

محمود حسن اسماعيل عن ثورة الشباب فى مصر عام ١٩٣٥ وعن ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتعبر قصائده عن الشخصية المصرية فى بُعدها العربى والاسلامى - وان كنا نركز اليوم فى هذا الحديث على جانب واحد من هذا البعد الاصيل فى شخصيته الفردية والجماعية - واعنى قضية فلسطين التى يتبلور احساس الشاعر بها منذ وقت مبكر.. وليس من قبيل المصادفة ان يعبر عن صورة الشباب فى مصر سنة ١٩٣٥ وان تكون هذه السنة ذاتها بالقياس الى القضية الفلسطينية من سنوات المقاومة حين تجمعت فى ١٩٣٥ حركة ثورية «حقيقية» على حد تعبير جارودى الذى يقول: «لم يعد الامر امر ثورة محلية للفلاحين والبسطاء بل اصبحت حركة جماعية وقد تجسد هذا الشكل الجديد من المقاومة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٥ فى الشيخ عز الدين القسام وهو رائد الصراع المسلح المعتمد على المجاميع الشعبية. ولم يعد الامر ثرثرة اعيان بما معهم من متحدثين فى لندن بل اصبح نشاطا ضد الاستعمار تقوم به الجماهير، ذا اهداف محددة: اصبح ثورة بإسم الاسلام لانهاء الانتداب البريطانى وبذلك يمنع نقل السلطة الى الصهاينة».

«وقد نظم عز الدين القسام عام ١٩٣٣ تعبئة العمال والفلاحين فى الاحياء المغضوب عليها فى حيفا والتى نشأت نتيجة الهجرة الريفية للفلاحين بلا ارض وللعمال المحرومين من اعمالهم بسبب السياسة العنصرية للصهاينة وللهستدروت».

وفى عام ١٩٣٥ حين تجمعت بهذه الطريقة حركة ثورية حقيقية نقل عز الدين القسام مركز قيادته من حيفا الى الريف وهنا دارت حرب عصابات تعتمد على الفلاحين وقد كانت فى الريف افضل منها فى المدن حيث كانت تتركز الفرق الانجليزية.

وفى ١٩ من نوفمبر عام ١٩٣٥ قتل القسام وسلاحه فى يده فى معركة حاصر فيها ستمائة جندى بريطانى مركز قيادته العامة وكان معه خمسة وعشرون من أنصاره.. وجن جنون قواته لاستشهاده فاستجمعوا امرهم واعلنوا التمرد العام سنة ١٩٣٦ حيث استمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

«لقد شل الاضراب العام جميع القطاعات العاملة معتمدا على المقاومة المسلحة التى ازعجت القوات البريطانية وقوات الشرطة.. والمستعمرات الصهيونية».

عام ١٩٣٥ - اذن - عام جهاد مشترك بين الفلسطينيين والمصريين ضد الاستعمار وقواه.. وفى هذا العام القى محمود حسن اسماعيل فى احد المؤتمرات الوطنية التى عقدها الشباب فى مصر قصيدة «راهب الغرب» احتجاجا على تصريح المستر هور وزير خارجية انجلترا ابان ثورة سنة ١٩٣٥:

هاجها مزهرى وقد خنق القيد
انا شيده فضج وثارا
وهى حيرى تطل لهفى على النيل
وترنو لمتعبين حيارى
منذ خمسين.. لم تحرك اليهم
قدما اوتطلق اليهم مزارا
درجت فى السنين من عهد «خوفو»
حرة ما وعت لديها اسارا
عقدت تاجها على الشمس كبرا
ان يخلى جواهرا ونضارا

الى ان يقول فى ختام هذه القصيدة المجاهدة عام ١٩٣٥:

فابعثوها تصم سمع الليالى
ثورة تضرم السماكين نارا
مات عهد الكلام فلنجعل الثورة
والموت للجهاد شعارا

■ ويكتب قصيدة «**الشعاع المقيد**» ويهديها الى هالة الوطنية التى تنفجر انوارها من شخص مصطفى كامل وهو يرسف فى قيوده بين ظلام النسيان والجحود وكأنى به فى هذه القصيدة يجسد الرمز للمقاومة العربية فى هذا «الشعاع» الذى يريد له انطلاقا:

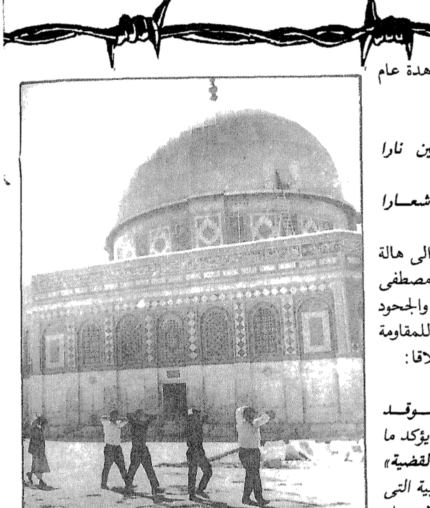
خذ أمانا من الشعاع المقيد
فهو فى القيد جمرة تتوقد

■ *الى ان يقول فى هذه القصيدة المبكرة ما يؤكد ما ذهبنا اليه من الاحساس المبكر «**بوحدة القضية**» المصرية والفلسطينية فى اطار من الرؤيا العربية التى طبعت شعره بطابعها فيصف ما صنع الاستعمار ويستحث الهمم لمقاومته فيقول:*

كم عدا فاتكا وأحكم اغلالا
عليها الرقاب فى الشرق تشهد
فى «فلسطين» ظلمه أقلق الدنيا
وماهزه الصراخ المردد
وعلى «مصر» كم اذل واردى
وتمطى على النجوم وهدد
عبقرى فى الختل يدمى ويرتيد
على الجرح باكيا يتوجد
كم سقى النيل من ضراوته الهون
وعيشا من المذلة انكد

■ ثم يجند الرمز المقابل فى معادلة الصراع: المقاومة التى يمثلها الابطال والمجاهدون فى دفاع عن الحمى كانوا فيه وما لغيره «يرمون ويقصدون».. وهم يقومون «كالعاصف المجلجل يجتاح فلا ينثنى ولا يتردد».

وما يلبث ان يوجه الشاعر الى ضمير الانسانية زفرة على فلسطين الدامية «و» الى ريح التاميز العاتية فيقول:



صوت بأرض القدس مشتعل الصدى
كادت له الاكباد ان تتوقدا
لما تأوه صارخا بين الورى
أسيان يرزم تحت نيران العدا
لكن شعبهم انار عجاجة
فى الشرق طافحة بأهوال الردى
فاذا التعاليم التى هتفوا بها
من سورة الاطماع قد ضاعت سدى

●● وفى هذه القصيدة يعبر الشاعر عن وحدة النضال العربى فى مواجهة المراوغات الاستعمارية وخداعها والتى تعرضت لها مصر وفلسطين فى فترة واحدة ومن ذلك بالقياس الى فلسطين التى يتحدث عنها الشاعر فى هذه القصيدة ويحدثنا الاطار التاريخى.. ان الاضطهاد البريطانى كان غاشما فى مواجهة الاضراب العام حيث وصلت الى الانجليز مساعدات عسكرية.. واشتركت معهم الهاجانا والمجموعات الارهابية الصهيونية الاخرى



واذا بالمجاهدين العرب (مسلمين ونصارى) ـ يُطاردون فى كل مكـان: اعتقالات جماعية.. واعدام بلا محاكمة.. واحتجـاز فى معسكرات التجميع.. وقد اشترك فى هذا الاضطهاد عشرون الفا من الجنود البريطانيين وثلاثة آلاف من الشرطة. و«الاحتياطيون» الصهاينة وقد قرر المؤرخ اليهـودى الامريكى (فورتون) ان عدد القتلى كان ثلاثة الاف. وستـة الاف معتقـل.. واعدام مائة وعشرة من الزعماء ومات من الانجليز مائة وخمسة وثلاثون.. وجرح ثمانمائة وسبعة وستون. اما الصهاينة فقد قتل منهم ثلثمائة وتسعة وعشرون وجرح ثلثمائة وستة وثمانون.

■ ويقول «جارودى» معقبا على ذلك:

«ان هذا الاضطهـاد لم يقض على التمـرد الـذى لم يتـوقف الا عنـدما بدأت الحرب العالمية الثانية وخشى الانجليز من تشتت قواتهم فوعدوا مرة اخرى الفلسطينيين فى (كتاب ابيض) بالاستقلال وبتحديد الهجرة الصهيونية وجاءت نداءات بوقف القتال من قبل قادة الدول العربية المجاورة الذين اعتقدوا او تظاهروا بالاعتقاد فى صدق هذه الوعود فعلق الصراع الى حين».

■ وهنا يقول محمود حسن اسماعيل:

واذا بلحـن الـسـم بين شفـاهـهـم
عصـفـت به شهـواتهـم فتـبـددا
تخذوا الـرصـاص شريـعـة قدسـيـة
وقـذائـف الارواح نهجـا مرشـدا
لم يرهـبـوا التـاريـخ فى استـعـمارهـم
أنّـى سطـوا وكـزوه.. اروع سيـدا
لطـمـوه فى الـقـدس المحـرم لطـمـة
كادت لها الاجـيـال ان تتـهـدّدا
مهـد الـشـرائـع من قديم.. مالـه
اضـحـى لاحـرار الـبريـة موقـدا
فى كل مرتـبـع به وحـنـيـة
تلقـى صريـعـا فى الـتراب ممددا
هانـت على البطـل المجـاهـد نفسـه
فسـعـى لحوض المـوت يطـلب موردا

فى شعـر محمـود حسن اسـماعيـل تمثل الرمز الاساسى فى رؤياه الابداعية المعادل للجهاد ـ ذلـك انـه منذ عام ١٩٣٥ وهو يصور مفهوم البطـولـة.. ويلهب حماسـة الشبـاب.. ويحـرك مشاعر مواطنيه... فاذا كنا فى هذه القصيدة عن فلسطين نقرأ له الصورة الشعرية فى لوحة تعبيرية فان هذه الصورة ترسم لنـا مفهـوم «المقـاومـة» وعظمـة الاستشهـاد دفـاعا عن «فلسطين» ـ كما صورها فى الدفاع عن «مصر».

●● ومحمود حسن اسماعيل فى قصيدة «زفرة على فلسطين الدامية» يصور مفهوم الشهادة المستمد من رؤياه الاسلامية يقول:

هانت على البطـل المجـاهـد نفسـه
فسـعـى لحوض المـوت يطـلب موردا
الـقـى الى الـلهـب المسعّـر روحـه
وكـذا يكـون الحـر فى يوم الـفـدا

●● ويختتم هذه القصيدة الرائعة مخاطبا وعد «بلفور»:

يا يوم «بـلفـور» وشؤمـك خالـد
ما ضر لو اخـلفـت هذا المـوعـدا؟
عاهـدت اعـزال الجسـوم سلاحهم
ما كان الا الحـق صاح مقـيـدا

وتـركـتـهـم رهـن المطـامـع تبتغى
منهـم على حر المـواطـن اعـبـدا
ثاروا بارض الـلـه ثورة عاجـز
سمـع القـوى شكـاتـه فتـوعـدا
ضجـوا على «نـابلس» حتى كاد من
صخـب الاسـى والحـزن ان يتنهـدا
عجبـا يكـاد الصخـر يدمـع رحمة
لهم وقـلب الآدمـى تصـلدا
ومـعـالم الاسـلام بين ربـوعـهـم
كادت تزمجـر لهفـة وتـوجـدا
بسطـت الى قدم النـزيـل رحـابهـا
فبـغـى على قسـاتهـا وتهـددا

رحم الله محمود حسن اسماعيل فى ذكراه العاشرة.



نادر صلاح الدين

مما لا شك فيه أن فن المسرح يعد أقوى الفنون الاعلامية وأشدها تأثيرا على المتلقى . . حيث العلاقة بين الممثل على خشبة المسرح وجمهور الحاضرين تقوم أساساً على التفاعلية والمباشرة . . وحين يخرج الجمهور وهناك نوع من التغيير فى فكره وسلوكياته . . يكون العمل المسرحى ناجحاً أدى غايته . . لذا تنبه الاحتلال الصهيونى فى فلسطين الى خطر هذا الفن . . فن المسرح ودوره الفاعل فى المقاومة . . فراح يفتح أبواب سجونه يزج فيها الممثلين المسرحيين الفلسطينيين ، ويفرض رقابته الغاشمة على النصوص المسرحية ويوقع أقصى العقوبات على كل من يساعد الفرق المسرحية بتقديم أماكن لعرض أعمالها، بل ويمنع الجماهير بكل الوسائل من حضور ومشاهدة العروض المسرحية .

واذا كان الشعب الفلسطينى يضحى بكل قطرة دم فى عروقه من اجل قضيته واستعادة حقه المسلوب . . فهناك صورة أخرى للمقاومة أرقت الاحتلال الصهيونى ـ ولازالت ـ تحمّس لها مجموعة من الشباب الفنانين ـ المؤمنين بدورهم الذى لا يمكن إغفاله . . دور المسرح الفلسطينى فى القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال بكل صوره وأشكاله .

ورغم وقوف الصهاينة ومقاومتهم بالحديد والنار للفن المسرحى . . إلا أن الفرق المسرحية الفلسطينية بدأت فى التأسيس وظهرت منذ سنة ١٩٦٧م ووصل عددها الى ما يقرب من عشرين فرقة . . منها . . فرقة الأمل الشعبى المقدسية ـ الفرافير الفلسطينية ـ النجوم المسرحية ـ صندوق العجب ـ المسرح الشعبى الفلسطينى ـ الحكواتى . . وغيرها .

وقد حددت هذه الفرق المسرحية جميعها هدفها وغايتها من عروضها . . فى الدفاع عن القضية وتوعية الشعب الفلسطينى وحثه على مقاومة الصهاينة بكل ما أوتى من قوة .

ففى سنة ١٩٧٥م شكلت جميع الفرق المسرحية فى فلسطين المحتلة لجنة للعمل الفنى الفلسطينى وأقامت مهرجاناً مسرحياً قوبل بنجاح منقطع النظير . . وفى سنة ١٩٧٧م تم تشكيل مجمع العمل المسرحى الفلسطينى من فرقة الفرافير الفلسطينية وفرقة الأمل الشعبى وفرقة الدلال الشعبى .

ثم ظهرت المحاولة الجديدة للمسرحيين التى تهدف الى دفع وإعادة بناء الحركة المسرحية سنة ١٩٨٠م وتمثلت فى تشكيل رابطة المسرحيين الفلسطينيين وضمت ابراهيم جبيل ـ احمد أبو سلعوس ـ عادل الترتير ـ يوسف أمين ـ عبد العزيز الرجبى ـ أنيس محمود ـ عماد مزعرور .

وفى عام ١٩٨١م عرض حوالى أربعة وعشرين مسرحية اشتركت جميع الفرق فى تقديمها . . منها : محاكمة رجل مجهول وعرضتها فرقة المسرح الاسلامى الكبير بالقدس . . الحياة اليومية لأسرة فلسطينية وعرضتها فرقة الحكواتى المسرحية . . حاميها



حراميها وعرضتها فرقة الفنون المسرحية فى بيت جالا . .

الأرض وعرضها مسرح مركز عايدة الاجتماعى برام الله .

والنصوص المسرحية التى قدمتها وتقدمها الفرق المسرحية الفلسطينية تنطلق من القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطينى ممثلة سيفاً على رقاب الاحتلال الصهيونى لا يستطيع الافلات منه رغم مقاومته له بكل عنف . . وعلى سبيل التمثيل فمسرحية «محجوب يا محجوب» التي قدمتها فرقة الحكواتى فى حوالى واحد وستين عرضاً فى دول أوروبا تتناول «محجوب» رمزاً للانسان الفلسطينى بكل سلبياته وإيجابياته وتعرض لمشاهد الخوف الذى يحياه الصهاينة ويذوقون مرارته كل لحظة من لحظات المقاومة فى الأرض المحتلة .

■ ومسرحية «العالم والوالى» التى عرضتها فرقة المسرح الاسلامى الكبير على مسرح الشابات المسيحيات بالقدس بعد أن منع الاحتلال عرضها فى الضفة الغربية تعرض لصور الاضطهاد والظلم التى يتعرض لها أحد العلماء والفقهاء فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى مستمدة بذلك من التاريخ العربى رمزاً تصور به ما يعانيه الأهل فى الأرض المحتلة .

■ ومسرحية «رأفة بالعشاق» التى عرضت فى جامعة النجاح الوطنية بنابلس سنة ١٩٨٢م تعرض لكل الهموم الوطنية المكبوتة والالتزام نحو الأرض التى يجب على عاشقيها أن يضحوا من أجلها .





■ أما مسرحية «جنون الفن» التى عرضتها فرقة الأمل الشعبى المقدسية للمسرح لأكثر من عشر مرات فهى تبلور الهدف المنشود من المسرح الفلسطينى مؤكدة على أن المسرح سيظل كتلة مشتعلة تحرق كل العادات والتقاليد الرجعية والاستعمار.

■ ومسرحية «تغريبة سعيد بن فضل الله» التى قدمتها فرقة صندوق العجب توجه نقدها المباشر لسلطات الاحتلال الصهيونى على المستوى السياسى والاقتصادى.

■ وفى نوفمبر سنة ١٩٨٧م قدمت «فرقة الحكواتى المسرحية» على مسارح عشر مدن المانية ـ منها بون العاصمة.. مسرحيتها «تغريب العبيد» والحكواتى ـ تلك الشخصية التراثية التى كادت وسائل الاعلام المسموعة والمرئية تقضى عليها.. الشخصية التى تحكى سير الأبطال وتروى ملاحم الشعب وتجسد التاريخ.. عادت كفرقة مسرحية فلسطينية سنة ١٩٧٧م وكان فرانسوا أبو سالم مديرا لها وقدمت أعمالا مسرحية ناجحة منها: «محجوب يا محجوب» التى سبقت الاشارة اليها وعلى الجليلى وغيرهما.

■ وفى سنة ١٩٨٤م حولت دار سينما نزهة فى القدس الشرقية مسرحاً لها راحت تعرض فيها عروضها هى والفرق الأخرى.. كما كانت تخرج الى المدارس والأسواق وتقدم مسرحياتها رغم أنف الاحتلال الصهيونى.

■ أما مسرحيتها: «تغريب العبيد» فتقصد بالتغريب الذهاب غرباً نحو القدس الغربية لكسب الرزق والعبيد هم الفلسطينيون الواقعون تحت استغلال واستبداد الاحتلال الصهيونى.. فالاغتراب هنا يشعر به الفرد داخل الوطن نفسه.

وقد طرحت المسرحية عدة أفكار من بينها إمكانية الاعتماد على منقذ من الخارج للخروج من هذا الواقع المر الأليم.. أهمية العمل على الاطاحة بالاحتلال.. كما عرضت لتطوير أفكار المجتمع ذاته.

والمسرحية لا تقف عند حد (الفارس) أو عند حد التصوير المأساوى للماضى والحاضر بل تتخطى هذا إلى إثارة المشاهدين أنفسهم بطرح الأسئلة عليهم فى محاولة لاشراكهم فى القضايا.

ولعل فيما أوردته صحيفة جنرال دانتسايجر الألمانية تعليقاً على المسرحية من أنها (عمل مسرحى مبهج يثبت أن تقديم الأفكار الجدية بقالب مرح يمكنه أن يستحوذ على اهتمام المشاهدين حتى أولئك الذين لا تمسهم أحداثها بشكل غير مباشر) لعل فى ذلك ما يدل على نجاح هذا العمل المسرحى الهام.

وهكذا تعد فرقة الحكواتى أول مسرح فلسطينى فى الأرض المحتلة ينشأ ويتأسس للحفاظ على التراث الفلسطينى والمقاومة الثقافية للاحتلال الصهيونى.

والحقيقة إن المكتبة الفلسطينية تفتقر الى النصوص المسرحية المطبوعة ولعل من أسباب ذلك أن معظم المسرحيات التى قدمتها الفرق لم تطبع.. ومن الكُتّاب المسرحيين.. محمد كمال جبر ومن مسرحياته المطبوعة محاكمة الكبار.. المدينة والذئاب.. اللى صار.. جمال بنوره وله، كان الموت.. نحن على ميعاد.. السجين.. عبد اللطيف عقل وله المفتاح.. والعرس.

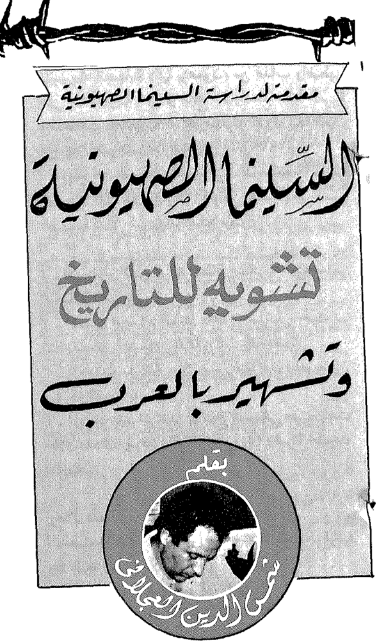
إن المسرح الفلسطينى يمثل وجها آخر لمقاومة الاحتلال الصهيونى لا يكلّ إزاء الدفاع عن حقوق شعب نهبت أرضه وسلبت خيراته.. سيفاً صارماً على رقاب الصهاينة.

الهوامش

ـ الموسوعة الفلسطينية.

ـ أضواء على الأدب والفن فى الأرض المحتلة ـ محمد المشايخ/ ط الدستور التجارية ـ الأردن ١٩٨٣م.

ـ الحكواتى فى بون ـ الشرق الأوسط عدد ٧٩ ـ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ.



لقد استغل منظِّرو الحركة الصهيونية كافة انواع الفنون لتحقيق اغراضهم غير الانسانية فى التضليل والتزوير والتشهير بالعرب، فالأدب الصهيونى هو طوع يد هذه الحركة العنصرية. والتراث الفلسطينى من ازياء وغناء ورقص شعبى عُرضة للنهب والتشويه كما أضحت صناعة السينما تحت وطأة الصهيونية لتحقق من خلالها اطماعها التوسعية.

فالحركة الصهيونية تقوم بحملة اعلامية شرسه تستخدم فيها الفن حسب خطط موضوعية ومدروسة يدعمها بذلك الرأسمال الصهيونى والنفوذ الامبريالى.. فى حين عجز الاعلام العربى بشكل عام عن القيام بأى تحرك فعلى من شأنه مواجهة الاعلام الصهيونى أو تعريته أمام الرأى العام العالمى.

وبالرغم من كون السينما عالماً واسعاً تؤدى من خلاله السينما الصهيونية دوراً كبيرا فى التزوير والافتراء بغية تضليل الرأى العام العالمى، نحاول القيام بالقاء الضوء على جانب يسير من اضاليل وافتراءات هذا العدو الشرس.

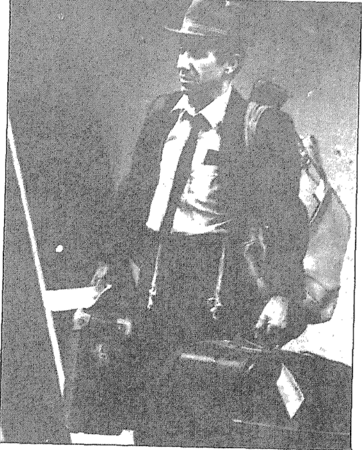
فحين تُرجمت بروتوكولات حكماء صهيون إلى العربية تبين ضمن وثائقها وثيقة تدعو الى استغلال الفنون الجديدة وتسخيرها لمصلحة الصهيونية العالمية، ويحتل هذا الفن السابع الاهتمام والتركيز لدى زعماء الصهيونية وليس غريباً ان نرى الصهيونية تقف خلف كبري الشركات السينمائية العالمية.

لقد كانت بداية السينما الصهيونية منذ وطأت اقدام الغزاة ارضنا العربية فلسطين عقب نكبة ١٩٤٨ وبدأت المنظمات الصهيونية والرأسمال الصهيونى بدعم هذا الفن حيث اولاه الحكم العسكرى الصهيونى فى الارض المحتلة الاهتمام والرعاية الدائمة فكان توجّه السينما انذاك يهدف الى :

- **مخاطبة اليهود خارج ارضنا المحتلة بغية حثهم على الهجرة لارض فلسطين.**
- **استغلال السينما «الشرايط» لجمع التبرعات لدعم الحكم العسكرى الصهيونى.**
- **تبرير المجازر التى ترتكبها العصابات الصهيونية «الهاغاناه» ضد القرى والمواطنين العرب وقد تم انتاج العديد من الافلام والشرايط من هذا المنطلق برأسمال صهيونى.**

السينما الصهيونية بعد عام ١٩٦٧م:

تشير معظم الدراسات والاحصائيات ان السينما الصهيونية بدأت بنهضتها عقب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ فازداد بذلك خطرها على الأمة العربية والرأى العام العالمى وذلك لاحتلال الصهاينة أجزاء جديدة من الاراضى العربية حيث اوكلت إلى السينما الصهيونية مهمة تبرير عدوان الخامس من حزيران وتبرير هذا الاحتلال الغاشم للاراضى العربية للرأى العام العالمى وتصوير «اسرائيل» على أنها بلاد السحر والجمال بغية استقطاب المزيد من المستوطنين الصهاينة، ومن خلال



هذا الاطار تم انتاج العديد من الافلام الصهيونية منها على سبيل المثال:

● فيلم (التل ٤٢ لايرد) ملون، قصة وسيناريو نورولد ديكنسون انتج عام ١٩٦٨ والفيلم يمجد بطولة وانسانية الجندى الصهيونى..

● فيلم «الجمل» وهو من اخراج اوسامونا كاهاسن، تصوير يوشيومانيا، وانتاج يابانى، ويهدف الى «اظهار العرب بالتخلف واليهود بالمدنية والحضارة».

● فيلم «كين ليميل فى تل ابيب» قصة الفيلم تدور حول اليهودى (كين ليميل) الذى يناهز الـ٨٠ عاماً وهو احد رواد الفلوكلور الشعبى اليهودى وقد استطاع ان يجنى ثروة طائلة تقدر بملايين الدولارات اوصى بها لابنيه على شرط ان يتزوجا يهوديتين ويعيشان فى ارضنا المحتلة والفيلم دعوة صريحة للهجرة لفلسطين العربية.

● فيلم «دافيد» ويحكى قصة عائلة يهودية تعرضت لشتى انواع الاضطهاد على يد النازية، والفيلم عبارة عن دعوة مباشرة للرأى العام العالمى للتكفير عما لاقاه هؤلاء الابرياء الصهاينة (كما يزعمون) من عذاب واضطهاد على يد النازية. وهو انتاج مشترك مع المانيا الغربية واستطاعت الصهيونية ان تتبوء المركز الاول بهذا الفيلم من خلال مهرجان كان السينمائى لعام ١٩٧٩م.

ويشير احد السينمائيين العرب الى ان بداية النهضة السينمائية الصهيونية كانت خلال عام ١٩٦٧ ولكن العصر الذهبى للسينما الصهيونية كان فى السبعينيات ومردود ذلك الى:

١ ـ الاستقرار الذى تمر به المنطقة عسكرياً حيث يستمر الاحتلال الصهيونى.

٢ ـ تحسين اوضاع السينما داخل «اسرائيل» حيث تم انشاء معملين لتحميض الافلام السينمائية الملونة.

٣ ـ بناء مدينة سينمائية حيث صور فيها اول فيلم بعنوان «بيل ذو القبعتين».

٤ ـ ازدياد عدد شركات الانتاج السينمائى حيث بلغت خلال هذه الفترة (١٥) شركة انتاج و(٢٥) شركة خدمات انتاجية.

وخلال هذه الفترة وجدت المنشآت السينمائية التالية:

أ ـ مصنعين للاشرطة احدهما تمتلكه شركة «كابيتال فيلم» ولها مقرها فى القدس.

ب ـ شركة بيركى باتيه همريز.

ج ـ وجود العديد من شركات الانتاج اهمها «اسرافيلم» ولها فرع فى لندن تحت اسم «ساويلسون فيلم».

السينما الصهيونية خلال الثمانينيات:

فى بداية الثمانينيات كانت السينما الصهيونية قد تربعت على عرش هوليود واستقطبت السينمائيين العالميين وقامت بابرام العقود المشتركة مع غالبية الدول الامبريالية ونالت العديد من الجوائز العالمية على افلامها العنصرية وقد تميز معظم الانتاج السينمائى الصهيونى خلال هذه الفترة بالدعوة للهجرة لارضنا المحتلة والدعوة لحماية «اسرائيل» من وحشية العرب وتم انتاج العديد من الافلام الصهيونية التى تعزف على هذه النغمة ومنها ما تم انتاجه خلال عام ١٩٨٠ حيث تم انتاج ١٢ فيلماً اهمها:

■ ٥ + ٥ من اخراج شموئيل ايمبرمان مدته ٩٠ دقيقة .
■ البحر الأخير من اخراج حاييم نحورى مدته ١٠٠ دقيقة .
■ الزواج على طريقة تل ابيب من اخراج ياويل سيلبيرج مدته ٩٠ دقيقة .
■ نجمة الصباح من اخراج الكيفابركن مدته ٩٠ دقيقة .

●● واهم هذه الافلام على الاطلاق هو «االزواج على طريقة تل ابيب» لأنه اخرج بطريقة خبيثة وذكية فهو مقتبس عن مسرحية «البخيل» لموليير ويصور بخل اليهودى وحرصه على المال تماماً كما جاء فى مسرحية البخيل ولكن التمعن فى هذا الفيلم يتبين لنا الخبث الصهيونى حيث يدعو هذا الفيلم اليهود لجمع المال قرشاً قرشاً بحيث لا يفقدون قرشا واحداً مهما كانت الاسباب ليكون لهم اليد الطولى .

وخلال عامى ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ تم انتاج العديد من الافلام منها :

● برونه دين من اخراج أموسى موغادى
● عائلتى الجنسية من اخراج ايلى ساغى
● لينا من اخراج ايتان كرين
● نساء . . نساء من اخراج الفريد ستينهارد .

●● وكان من اهم هذه الافلام «لينا» الذى يصور قصة امرأة تكافح من أجل تحرير زوجها من سجون روسيا . . ؟ ثم لا تلبث هذه المرأة ان تعود الى «اسرائيل» وتعشق يهودياً وتتزوجه وتنسى من كان فى سجون روسيا . ؟ والفيلم يبتغى تأكيد الارتباط الزائف للصهاينة بأرضنا الطيبة .

المؤسسات السينمائية :

هنالك العديد من المؤسسات والشركات السينمائية فى ارضنا العربية «فلسطين» أهمها :

● معهد الفيلم الاسرائيلى : تأسس فى نهاية السبعينيات ويساهم فى تقديم المساعدات المادية لانتاج الافلام العنصرية ويضع فى خططه انتاج ما بين ٥ـ٧ افلام صهيونية سنويا وقد تبنى هذا المعهد فى الفترة الاخيرة ايصال السينما لطلاب المدارس فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية .

● ارشيف الفيلم الاسرائيلى : وتتولى هذه المؤسسة مهمة ارشفة الافلام الصهيونية ووضعها تحت تصرف العاملين فى السينما .

● مركز الفيلم الاسرائيلى : وهو الجهة المسؤولية مباشرة عن صناعة السينما الاسرائيلية ويخضع هذا المركز لاشراف وزارتى التجارة والصناعة ويصدر العديد من النشرات السينمائية الدعائية .

● وهناك شركة سينمائية مقرها فى تل ابيب تنحصر فيها مهمة البحث عن الكوادر السينمائية المختلفة وتقديم المساعدة المادية والمعنوية لها وقد تبنت هذه الشركة العديد من الكوادر التى اضحت فيما بعد رمزاً من رموز السينما الصهيونية منهم : «المخرج آنى ينشير الذى اخرج فيلم (الجبناء) مدته ٩٤ دقيقة ، وقد عرض عام ١٩٨٠ السيناريست شارون هاريل» .

وكذلك تهتم هذه الشركة باصدار الكتب السينمائية التى تحكى عن عالم السينما الصهيونية الزائفة وخطتها فى الانتاج السينمائى تتراوح ما بين ٤ـ٥ فيلم .

وبعد . . فهذه بعض من الممارسات اللاإنسانية لصناع السينما الصهيونية . . ترى الى متى يبقى هذا الاعلام الصهيونى الشرس مستمراً فى وحشيته وانه لا يكفى ان نكون اصحاب حق بل يجب أن ندافع عنه .

احصائيات :

(١) تشير احدى الدراسات التى ظهرت فى اوروبا عام ١٩٧٢ أن هنالك :
ـ ٣٧٢ صالة عرض سينمائية فى اسرائيل .
ـ ١٧٠ صالة عرض سينمائية فى لبنان .
ـ ٥٥٠ صالة عرض سينمائية فى الجزائر .
ـ ٩٢ صالة عرض سينمائية فى سورية .
(٢) الانتاج السينمائى الصهيونى خلال عامى ١٩٧٠-١٩٧١م
١٩٧٠ بلغ عدد الاشرطة المنتجة ١٥ شريطا سينمائيا .
١٩٧١ بلغ عدد الاشرطة المنتجة ٢١ شريطا سينمائيا .
(٣) وفى عام ١٩٧٢ ادخلت السينما الصهيونية الى خزينة كيانها فى ارضنا المحتلة ما مجموعة ٤ مليون دولار .
(٤) فى عام ١٩٧٣م تم عرض ١٦ فيلماً صهيونيا جديدا فى السوق التجارية لمهرجان كان السينمائى .



الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي

بقلم د. علي جواد الطاهر

الأدب الغربي ومذاهبه .. من الدراسات ذات الأهمية .. ويسّر المنهل نشر هذه الدراسة الدقيقة القيمة في حلقات متتالية .. وقد خصّ بها باب "مساحة للضوء"

٤

ملخص ما نشر

المدرسة الرّمزية وروّادها كانت موضوع الحلقة السابقة من هذا البحث .. والمذهب الرّمزي يقف على النقيض من الواقعية في جانبه المثالي الروحي الذي يعبّر عنه في غموض وتوحي الألفاظ منه بالمعنى إيحاءً .. ويخالف البارناسية التي تقوم على الشكل والمبالغة به ...

١١ الدادائية

في اوائل عام ١٩١٦ قدم زوريخ رجل المانى اسمه هوكوبال، متعدد المواهب ومن بين هذه المواهب: الشعر. اسس مقهى فولتير، والتقى معه فيه عدد من الشباب الذين عانوا ويلات الحرب وامتلأوا حقدا على العوامل التى ادت اليها وقد وحدهم الايمان بافلاس الحضارة الغربية واخفاق المنطق والكفر بالقيم السائدة التى فرغت من معانى الحياة ولم يعد من السهل التستر على عيوبها. كان فيهم الرومانى (ترستان تزارا) والالمانى (هلسنبرك) والهولندى (فان هوديس)

والالزاسى (هانز أرب). . يزداد عددهم على الايام ويلفتون النظر الى وجودهم بشتى وسائل الغرابة والفوضى والصخب ـ قولا وعملا ـ وفيهم الشاعر والرسام والنحات. . يجتمعون وينفضون وهم فى فكر دائم بالخراب القائم وما يلزمهم من رأى وعمل ويرز من بينهم تزارا وتميز وكأنه الرئيس لهم.

وكان لابد من اسم يجمعهم ويدل عليهم ومن هنا كان (دادا) هو الاسم الذى ارتضوه لحركتهم ومنه جاءت الـ dadaisme «الدادية او الدادائية» وفى اختيارهم لهذا الاسم روايات تقول واحدة منها: «ابتدع تزارا فى احدى (كذا) مقاهى زوريخ سنة ١٩١٦، هذه الكلمة التى اثارت حماسة الملتفين حوله لعدم وجود اى معنى لمقطعيها» وتقول ثانية انه «فى ١٨-١١-١٩١٦، اذ أرادت المجموعة ان تطلق على نفسها اسما قررت فتح معجم كيفما اتفق، فقفزت كلمة dada تعبر طفوليتها الاعتدائية عن رمز لرفض مطلق للثقافة ولكل التقاليد الفنية والاخلاقية». . ومن متممات هذه الرواية ان تزارا هو الذى فتح المعجم وان المعجم الذى فتحه هو «لاروس» الفرنسى وانه تبناها لانها لا تحمل أى معنى فكانت هى نفسها بيانا، وقيل لموسيقاها مع فراغها، وقيل لانها تعنى «حصانا فى لغة الاطفال».

وتحدث تزارا عن الدادية فقال: «ولدت دادا من ثورة كانت عامة لدى كل المراهقين الذين كانوا يصرون على ان يسهم الفرد اسهاما كاملا فى الضروريات العميقة لطبيعته دون اعتبار للتاريخ والمنطق والاخلاق المحيطة والشرف والوطن والخلق والعائلة والفن والدين والحرية والاخوة. . الا بقدر مبادىء لم يبق منها الا هياكل مواضعات».

وشرعت دادا تعلن عن نفسها ـ فى سويسرة ـ باجتماعات تتسم بالصخب والفضيحة والعبث والطفولية والصبيانية وبمعارض فنية غريبة عجيبة . . وبمجلات شارك فيها ادباء وفنانون خارج حدود سويسرة مثل ابولينير وبيكاسو، وعكست مجلة «دادا» النفى والتطرف وكان تزارا «العنصر الفعال فى اداراتها وتحريرها واخراجها (بالطريقة المشوهة) وقد اتصل بكتاب وأدباء خارج حدود سويسرة ليسهموا فى تحريرها ويمنحوها الطابع العالمى. . فشارك فيها من فرنسا ـ على وجه الخصوص ـ اراكون واليوار وبريتون وسوبر ورابمون دسينى».

وطبيعى ان ينطلقوا فى اشعارهم من مخالفة المألوف والخروج على المنطق والمعقول. ففى قصيدة نهاية العام (١٩١٦) يقول ريتشارد هولزنبك:

. . . البقر يتربع على عواميد التلغراف ويلعب الشطرنج . . . ان دوائر الاطفاء وحدها تستطيع طرد الكابوس من غرفة الاستقبال. . ».

وراج لديهم الشعر الآنى، يسود اجتماعاتهم ويزيدها صخبا «والشعر الانى هو القاء اكثر من قصيدة واحدة او اكثر من مقطع شعرى فى آن واحد. . بصحبة غناء وصفير وموسيقى».

ولم تقف الحركة عند حدود زوريخ فقد تعدتها الى بقاع كثيرة من اوربا وكأن فى العالم روحا داديا وجاء فى بيان دادى صدر فى المانيا: «. . بالدادية يتحقق واقع جديد. . ان كلمة دادا. . تنطوى على عالمية الحركة التى لا تحدها حدود. . وأن دادا هى التعبير العالمى لعصرنا والتمرد الاعظم لكل الحركات الفنية. . ان يكون المرء داديا يعنى ان يجعل من نفسه مرفوضا، ويرفض كل الترسبات. . ان الوقوف ضد هذا البيان هو موقف دادى» وامتدت الى نيويورك.

واحتلت باريس مكانا خاصا من الروح الدادى ومن الدادية نفسها ومن النهاية التى صارت اليها. . فاذ قامت الحركة فى زوريخ واصدر تزارا مجلته «تم الاتصال بمجلتين شابتين باريسيتين هما Sie التى اسسها بيرو سنة ١٩١٦ و«شمال ـ جنوب» التى أسسها رفردى سنة ١٩١٧، وكان بذلك الدادا

الباريسى وجمع عندئذ بريتون واراكون وسوبر واليوار وربمون واخرين وبيكاسو الرسام الشاعر الاسبانى العائد من اميركا.

« هؤلاء الشباب لا يريدون ان يتركوا اثارا على الارض.. وانما يريدون ان يتحرروا من كل شىء، ولا يأبهون لشىء سوى الثورة، اية ثورة وينفون كل شىء: النقد.. الاخلاق.. الذوق.. الواقع».

وقويت الحركة «واسس بريتون سنة ١٩١٩ المجلة المهمة «ادب» وهو عنوان يقصدون به الى ضده ـ وفى هذا العام نفسه نشر بريتون ديوان «جبل التقوى» وواصل تجاربه على التنويم المغناطيسى والمواصلات بالوساطة الروحية التى قادته الى ضبط الحقول المغناطيسية (بالاشتراك مع سوبر)..».

واتسعت الحركة فى باريس وازدادت عالمية وجاء تزارا نفسه الى باريس فى اواخر عام ١٩١٩ وصارت العاصمة الفرنسية منذ اوائل عام ١٩٢٠ مركزا لهيجان «دادا» وتتابعت المظاهرات التخريبية فى اماكن محترمة وغير محترمة بطرق مثيرة غريبة.. عجيبة تجافى العقل والمنطق وتنافى العرف والاخلاق.

وواضح من مجموع احوال الحركة انها واسعة متعددة النواحى، وانها تريد ان تكون كذلك فى الحياة كلها ولكن غلبة الادب والفن على اكثر منتسبيها وقادتها جعل الناس ينظرون اليها، من هذه الزاوية وهى على كل حال: حركة ادبية، وربما سميت مدرسة.

شرع الاختلاف يأخذ طريقه الى الجماعة وابتعد عن تزارا: بريتون وبيكابيا ورابمون دسينى واراكون وبدوا وكأنهم يبحثون عن تكوين حلقة جديدة بعد ان ضاقوا بعدمية دادا المطلقة. ونهلستية تزارا السهلة ذات الطريق المسدود وتسعى الى الهدم وابعد حدود التشاؤم: وإذا كان دادا ادت مهمتها فلابد من حركة جديدة لا تقف روحها عند تخريب نظام باطل فقط وانما تسهم فى تهيئة انسانية تتكون من جديد.

وبدا انحطاط دادا يتضح .. وسجل عام ١٩٢٢ نهايته باغراق تمثاله (جثته) فى نهر السين فى شهر مارس من هذا العام وقد رثاه تزارا مستعرضا اهم مبادىء الحركة: «لقد كفت ـ دادا ـ عن الكفاح لانها تدرك ان ذلك لا يخدم غرضا ما.. ان دادا.. لا شىء انها النقطة التى تلتقى فيها نعم ولا وكل المتناقضات.. فى قارعة الطريق.

ان دادا حركة نشأت بفعل اضطراب الحياة الاوربية شأن حركات اخرى مناظرة وقد افادت من هذه الحركات وزادت فى حدتها وكان للخراب الذى احدثته الحرب العالمية سببه المباشر فى قيامها فقد عانى الشباب الحرب وشهدوا مآسيها عن قرب فكفروا بالقيم السائدة التى عزوا اليها هذه المآسى ولم يبق امامهم الا الايمان بالهدم المطلق.

وما كان لحركة من هذا النوع ان تدوم لان هدفها ينتهى الى طريق مسدود.. فماذا بعد الهدم؟ ولان الحياة عموما تتغير ومآسى الحرب تخف ويبدأ البناء عملا وفكرا ويضيق ذرعا بدادا داديون لم يعودوا يرون فيه حلا او انهم لم يكونوا منذ البداية فى دادية مطلقة كما هو الشأن فى اكثر دادى فرنسا الذين دلوا على تميز فى الاهتمام والغاية والدادية قائمة. ولا غرو ان اختلف بريتون وجماعته عن تزارا فكانوا الاساس لمذهب جديد ينبثق عن الدادية ويحمل اسما جديدا.



التقت باريس مع حركة دادا ثم صارت مركزا لها مع تميز لم يلبث ان صار اختلافا قاده بريتون ضد تزارا نحو مذهب جديد لا يريد ان يقف من الحياة عند الهدم. انه يهدم هدما جذريا ما كان قائما معترفا به، ليبنى عالما جديدا كل الجدة، فهو ثورة وبناء. ويزداد الميل نحو البناء كلما خفت آثار الحرب العالمية.

ان المذهب لا يريد لنفسه ان يكون مدرسة فنية جديدة وانما يطمح الى ما هو اكثر من ذلك واكبر انه يريد نمطا جديدا للحياة لا يكون الشعر والرسم منه

الا وسيلة كشف ومعرفة وعناصر علم يسمح بارتياد اللاوعى (العقل الباطن) والحلم والمدهش لتخصب الحياة التى تدعى بالواقع. ان المذهب الجديد ينكر الموهبة.. تقوده فى الثورة والبناء مقولتان: مقولة لوتريامون: «الشعر يجب ان يزاوله الجميع» الناس كلهم ومقولة رانبو: «تغيير الحياة» ولو تريامون هو مؤلف «اناشيد مالدورور» توفى سنة ١٨٧٠.

وساعد على تكوين المذهب الجديد شخصيات اخرى من رسامين مثل دشامب وبيكابيا وشريكو ومن شعراء مثل رفردى وابولينير ومن شعراء فى الحياة (اى فى نمط معيشتهم ونهايتهم) مثل كرافان وفاشه.

كان شعر ابولينير «يتدفق بعفوية متحررا من اساليب النظم والتأليف حتى لكأنه يدع الصور والعواطف تؤلف نفسها بنفسها» وكان الشاعر «يحذر من ظاهرتين: التعليم او الوعظ الاخلاقى، والغلو فى الصنعة المقصودة» بل انه هو الذى اوجد كلمة «سريالية» فى اذار ١٩١٧ قبل ان توجد الحركة نفسها (ولكنه توفى بباريس فى ١٩١٨/١١/٩م).

وكان اندروه بريتون طالبا فى كلية الطب عندما قامت الحرب، فجند سنة ١٩١٥ فى الخدمات العصبية الصحية والم بمبادىء فرويد حتى انه «كان - وهو فى العشرين - يحاول كلما زار باريس فى اجازة من الجيش ان يثير اهتمام ابو لينير وفالرى وجيد بفرويد غير انهم كانوا يردون عليه بابتسامة سمحة مربتين على كتفه بلطف ولم ينقض تقدير بريتون لفرويد وحماسته له.. فهو يؤمن ان فرويد من اعظم القوى التى تساعد الانسان الحديث على اعادة اكتشاف معنى الكلمات وحيويتها».

■ وفى سنة ١٩١٦ كان اللقاء الحاسم - وهو فى المستشفى العسكرى فى نانت - بجاك فاشه الذى يدين له بريتون بحب معيش خارج على كل أدب، وقد بقى احد الوجوه الاساس فى اسطورته.

■ وفى سنة ١٩١٧ اتصل بأراكون وسوبو واسهم واياهم فى حركة دادا.. واسسوا سنة ١٩١٩ مجلة (ادب) وهو عنوان يقصدون الى ضده - حيث ولدت الروح الجديدة.

واصدر فى هذه السنة ديوانه الاول وتابع التجارب على التنويم المغناطيسى وتوصيلات الوساطة الروحية اللتين ستقودان الى تحقيق الكتابة الاوتوماتيكية الموضحة فى «الحقول المغناطيسية» (بالاشتراك مع سوبو ونشرت سنة ١٩٢١).

كانت دادا قائمة وكان بريتون وجماعته مرتبطين بها - بوجه او آخر - ولكن عام ١٩١٩ هذا من الاعوام المهمة فى تكوين المذهب الجديد حتى عده باحثون التاريخ الحقيقى لميلاده.. وكان جماعة بريتون يزدادون وقد انضم اليهم اليوار وبره ودسنوس وكرافل، وارتو وفتراك.. وراحوا يعملون من اجل فعالية ثورية فى الفكر تطرد القيم التقليدية كلها لتسمح لهم بـ «تغيير الحياة» وعندما هلك دادا سنة ١٩٢٢ كان تكوين المذهب الجديد قد قطع اشواطا مهمة وكان بريتون يزداد اهمية فى استقطابه والظهور بمظهر القائد لجماعته.

وهكذا تكونت - تدريجا - هذه الاخلاقية الجديدة التى ثبت لها اندره بريتون اسم السريالية Surrealisme اى ما فوق الواقعية ووضحها فى «البيان السريالى» (الاول) سنة ١٩٢٤ وامتزجت - منذ ذلك الحين - حياته بالسريالية وصار رئيسها وموضحها بآثاره النقدية والشعرية والقصصية وصار عام ١٩٢٤ تاريخا رسميا لميلاد السريالية.

تحدث فى البيان عن الانسان فى الحياة الواقعة وما يعانى من قيودها ورأى ان لابد لبلوغ الحقيقة على وجه اتم من توافر الحالات التى تضمحل فيها تلك الحياة وتأخذ مجراها الطبيعى دون قيد، كما هى الحال فى عالم الطفولة والحرية والخيال والجنون وما يتصل به من هذيان وهلوسة.

وذم الحالة الواقعية والمادية والايجابية وما تتطلب

من وضوح مركزا على ما نتج عن ذلك من كثرة فى «الروايات» التى تقوم على الملاحظة بأسلوبها الاخبارى الذى يذهب به المؤلفون فى الاستقصاء مذاهب السخف فى تحديد كل شىء عاملين على اكتساب موافقة القارىء حتى اذا انتهى هذا القارىء واغلق الرواية لم يبق لديه سر. واستشهد بمقطع من رواية الجريمة والعقاب لدستويفسكى فى وصف غرفة. وسخر من سيكولوجية هذه الروايات التى يفخر بها اصحابها. وهى سيكولوجية محضرة اعدها المؤلف سلفا ـ وان حاول ان يخفى ذلك ـ وهى بهذا تؤدى الى النتائج التى قصد اليها. هذا الى ان من المؤلفين (باريس، بروست) من يطول التحليل ويغلبه على العواطف. وتسقط شخوص ستندال تحت مطرقة تقييماته ولا نجد الجيد من هذه التقييمات الا حيث يضيعها.

اننا مازلنا تحت سلطان المنطق وهذا ما اردت ان أخلص اليه ولكن طرائق المنطق فى ايامنا لم تعد تطبق الا على قضايا ذات اهمية ثانوية. ان العقلانية المطلقة.. لا تعير الاهتمام الا للاحداث التى ترتبط فى شدة بتجربتنا. وتخفى علينا ـ علي العكس من ذلك ـ الغايات المنطقية.. ومن اللامجدى ان نضيف ان التجربة نفسها مقيدة الحدود. انها تدور فى قفص يصعب ـ يوما بعد يوم ـ اخراجها منه انها تعتمد هى ايضا على المنفعة المباشرة محروسة بالحصافة واننا انتهينا الى ان ننفى عن الفكر بتأثير الحضارة وبحجة التقدم كل ما يعد خطأ او صوابا من التطير والوهم وان نبعد كل نمط من البحث عن الحقيقة لا يتفق والمألوف. انه لمن محض المصادفة ان يعاد حديثا الى النور قسم من العالم العقلى هو فى رأيى الاكثر اهمية.. يجب ان نرجع الفضل فيه الى اكتشافات فرويد.. وظهر ـ ثقة بهذه المكتشفات ـ تيار فكر سيستطيع المكتشف الانسانى فى ظله ان يقدم كثيرا من ابحاثه داعيا الى الا يوقف عند الحقائق الجزئية فقط. ان الخيال على وشك ان يسترجع حقوقه. اذا كانت الاعماق من نفسنا تفرز قوى غريبة قادرة على ان تغنى قوى السطح، وان تناضل بانتصار ضدها لسيطرة عقلنا وما على المحللين إلا ان يفيدوا من ذلك (أو يلحقوا به) ولكن من المهم ان نلاحظ ان تتخذ سلفا مصدرا للشعراء والعلماء.

أنه من الصواب الكبير ان وجه فرويد نقده (اهتمامه) للحلم فليس من المقبول فى الحقيقة الا ينال هذا الجانب المهم للفعالية السيكولوجية من العناية الا قليلا. ان الفرق الهائل الخطير بين احداث اليقظة واحداث النوم كانت دائما محط دهشتى».

وانتقل من الكلام على الحلم الى الكلام على «المدهش» المدهش جميل دائما اى مدهش جميل، لا يوجد غير المدهش ما يكون جميلا».

«ان المدهش وحده قادر فى الميدان الادبى على اثراء اعمال منبثقة عن نوع متخلف كالرواية.. ان آداب الشمال والآداب الشرقية تكون الدليل تلو الدليل.. هذا اذا لم نتكلم على الاداب الدينية الحقيقية لكل قطر. وحكايات الجن.. والآثار والخرائب والقصور المهجورة».

وعرض للشعر واستعرض اسماء اصحابه (وكان اليوار فى سفره المفاجىء المجهول وبيكابيا قد التحق مؤخرا) وتحدث عن تجارب اجريت على احد اصحابه المهمين الا وهو روبر تنوس فى الوساطة الروحية وتحدث عن بداياته الشعرية (وكأنه يريد ان يشير الى انه سبق دادا) وان رفردى كتب:

"الصورة خلق خالص للروح"

انها لا يمكن ان تولد من مقارنة (تشبيه) وانما من تقارب حقيقتين متباعدتين وكلما كانت العلاقات بين الحقيقتين المقربتين بعيدة مضبوطة كانت الصورة قوية تمتلك قوة محركة اكثر وحقيقة تأريخية.. (مجلة شمال ـ جنوب. مارس ١٩١٨).

وعاد الى فرويد واهتمامه به وما اجرى هو نفسه من تجارب على المرضى ايام الحرب عن طريق الحوار السريع الذى لا يدع للعقل ناقد (الواعى) سلطانا وكان ذلك مثل الفكرة الناطقة. وقد ظهر ان سرعة الفكرة ليست اكثر من سرعة الكلام وانها لا تعرقل

اللسان ولا ريشة القلم.

حدث فليب سوبو بذلك وشرعا يطبقانه بأن قررا ان يسودا الورق «مع ازدراء ممدوح لما يمكن ان ينتج ذلك من ادب.. وكانت النتيجة اننا فى اليوم الاول استطعنا ان نقرأ حوالى خمسين صفحة وقد تقاربت النتائج بين ما كتب وكتبت على شكل واضح: عيوب من طبقة واحدة فى البناء ولكن لمحات من قريحة مدهشة وكثير من العاطفة ومختار من الصور لا نستطيع ان نكتب مثلها فى غير هذه الحال ومجون حاد. اما الفرق الوحيد الذى تمثل فى نصيبنا فهو راجع اصلا الى مزاجينا.

وبدا لنا ان ابو لينير طرق هذا النوع. ووصفنا سوبو وانا هذا النمط الجديد من التعبير النقى بالسريالية واخذنا على مسؤوليتنا ان ينتفع به اصدقاؤنا ولم ار سبقه موجبا لان نرجع عن هذه الكلمة وقد فاق المعنى الذى استعملناه له المعنى الذى استعمله ابو لينير. وكان من الممكن ان نستعمل كلمة جرار دنرفال «فوق الطبيعة» Supernat Uralisme ويبدو ان نرفال ملك فى روعه الروح التى ننادى بها ولم يكن ابو لينير يملك من السريالية غير الرسالة لذا بدأ قاصرا عن ان يمنح الكلمة دلالة نظرية.. انه لمن سوء النية ان نمنع من استعمال كلمة سريالية فى المعنى الخاص جدا الذى نقصد اليه لان من الواضح بأنه لم يكن لهذه الكلمة قبلنا نصيب وانى احددها - اذن - لهذه المرة ولكل المرات:

■ **السريالية تلقائية (اوتوماتيكية) نفسية نقية يقصد بها الى التعبير شفهيا او تحريريا او بأية طريقة اخرى عن سير العمل الحقيقى للفكر فى غياب كل ضابط يمارسه العقل خارج كل احتياط فنى او اخلاقى.**

■ **تعتمد السريالية على الاعتقاد بحقيقة عليا لأشكال معينة من التداعيات اهملت قبلها (الاعتقاد) بالقوة الكبيرة للحلم باللعب غير النفعى للفكر. انها ترمى الى ان تهجع نهائيا كل العمليات النفسية الاخرى وتحل محلها فى حل القضايا الاساس للحياة.**

■ **ان الذين قدموا اعمالا سريالية مطلقة هم: اراكون - باورن - بوافار - بريتون - كاريف - كرفل - دلتى توس - اليوار - جرار لمبور - مالكين - مورز - نافل نول - بره بكون - سوبر - فتراك.**

ويبدو واضحا انهم - حتى الوقت الحاضر - الوحيدون وليس هناك ما يدعو الى الوقوع فى الخطأ وليس منها (من السريالية) الحالة المثيرة لإيزدور ديكاس (لوتريامون) الذى تعوزنى عنه المعلومات.

وهناك عدد من الشعراء يمكن اعتبارهم سرياليين نبدأ بدانتى وشكسبير. ليالى يونك سريالية سوفت سريالى فى الخبث، ساد سريالى فى السادية شاتوبريان سريالى فى المناظر الغريبة كونستان سريالى فى السياسة هيكو سريالى عندما لا يكون غبيا ديبور دفالمور سريالية فى الحب برتراند سريالى فى الماضى راب سريالى فى الموت بو سريالى فى مزاولة الحياة وخارجها مالارن سريالى فى الاعتراف نوفو سريالى فى الصلة سن بول رو سريالى فى الرمز فارك سريالى فى الجو فاشه سريالى فى، رفردى سريالى لديه، سن جون برس سريالى على مسافة، روسل سريالى فى النادرة... الخ.

اؤكد انهم ليسوا دائما سرياليين وانى اخرج بهذا المعنى - من كل منهم عددا من الافكار المتصورة سلفا يتمسكون بها فى سذاجة انهم يتمسكون بها لانهم لم «يسمعوا الصوت السريالى» هذا الذى يستمر فى وعظه قبيل الموت وفوق الاعاصير ولانهم لم يريدوا ان يعملوا على اركسترة الفاصل الرائعة. انهم آلات مغرورة جدا ولهذا فانهم لم يكونوا دائما منسجمين.

ولكن نحن، الذين لم نخضع لأى عمل تنقيح.. اننا لا نملك الموهبة.. اعطى الانسان اللسان من اجل استعمال سريالى فى القدر الذى لا غنى عنه للافهام.. انه يستطيع تلقائيا ان يجيب عن عدد محدود من الموضوعات وليست هناك حاجة لادارة اللسان سبع مرات ولا لاعداد الصياغة سلفا. واحسن ما تبدو فيه اللغة السريالية هو الحوار. وتعمل السريالية الشعرية على اقامة الحوار فى

حقيقته المطلقة. . ومن هنا كانت الحقول المغناطيسية اول عمل سريالى نقى.

صور السريالى كصور الافيون لا يستدعيها الانسان ولكنها كما يقول بودلير: «**تعرض نفسها تلقائيا. انه لا يستطيع طردها لان الارادة ـ لديه ـ لم تعد تملك قوة ولم تعد تحكم الملكات**». . الصور تتقارب او لا تتقارب دون عمل للارادة. . ومن نماذجها. . على الجسر الوردة التى لها رأس قطة تتأرجح ـ بريتون فى الغابة المحترقة كانت الاسود طرية ـ فتراك ان السريالية كما اعرفها توضيح جيد «للامحافظتنا» المطلقة. . انها لا تتم فى عالم الواقع انها لا تتحقق الا فى الحالة التامة من التشتت التى نطمح ان نصل اليها. . السريالية هى الشعاع غير المنظور الذى سيسمح لنا يوما بالانتصار على اعدائنا.

●● وانتهى البيان بعد ان جازت صفحاته الخمسين وكان رديفا ومنطلقا لاعمال سريالية فى الاوج من السريالية واذا كان صدوره عام ١٩٢٤ (فى كانون اول من هذه السنة) يمثل التأريخ الرسمى لميلاد السريالية ففى ما روى من احداث ما يدل على ان السريالية ولدت قبل هذا التأريخ. ولم يكن الباحثون الذين ارجعوا ميلادها الى عام ١٩١٩ على خطأ، ففى البيان نفسه ما ينص على ان بريتون كان مشغولا بهذه الامور منذ خمس سنين.

١٣ السريالية بعد البيان الاول

هاجمت السريالية الشكل الروائى كما هو لدى بالزاك اذ يهتم بالوصف الخارجى لغير علاقة نفسية بالمعنى الفرويدى واستغلت موت اناتول فرانس ـ وقد كان فى القمة من الشهرة الأدبية ـ فلعنته لانه يمثل «الكاتب التقليدى الذى كان ادبه فارغا مزيفا» واصدرت فى ذلك كراسا هجائيا خاصا اسمته: «الجثة» لفت الانظار الى وجودها. .

وشرعت السريالية تزيد من الاهتمامات الاخلاقية وتشير الى الاسهام بالثورة الاجتماعية. . وقرأ بريتون كتاب تروتسكى عن لينين فأعلن ولاءه للحزب الشيوعى وبدا اعجابه بالثورة الروسية فى الاسم الذى اطلقه على العالم المعاصر اذ دعاه: «عصر لوتريامون وفرويد وتروتسكى».

لقد دخلت السريالية فى مرحلة عقلانية اعقبت مرحلة حماستها الى اللاوعى والكتابة الاوتوماتيكية وحكايات الاحلام والمشى خلال النوم والخضوع للمصادفة. . وقد جاء ذلك تحقيقا لمبدأ جديد فى السريالية يتمم فيه مبدأ ماركس فى تغيير العالم مبدأ رانبو فى تغيير الحياة ودعت الى ذلك ظروف داخلية واخرى خارجية تلك هى محاولة الحكومة الفرنسية استفتاء الرأى فى صالح حربها الاستعمارية فى «الريف» وحيث توحدت صفوف الغرب خوفا من انتصار السوفيت وتهديد ثورة الصين.

الاساس فى السريالية: الثورية. والثورية فيها غير محدودة بالوطنية وكان ذلك نقطة لقاء واعلن بريتون ارتباط السريالية ـ منذ اليوم الاول ـ بالفعالية الاجتماعية الثورية والسعى الى تحطيم المجتمع الرأسمالى. وهكذا اقتربت السريالية من المجموعات المتطرفة فى شيوعيتها مثل جماعة مجلة «كلاته» (الوضوح) وجر ذلك الى ازمة داخل الجماعة السريالية فرأى ارتو وفتراك ان لا ثورة الا فى ميدان الروح ورأى ناڤل ان تضم السريالية الى الشيوعية. وهناك صدر لبريتون: «دفاع مشروع» (ايلول ١٩٢٦) يعلن فيه ان الحركة لا تربح شيئا فى تركيز وضعها على الصعيد السياسى وشكا من الموقف العدائى الذى يقفه منها الشيوعيون الفرنسيون ولكنه اكد انتماءه المبدئى لمناهجهم لأنه «ليس للسرياليين من مطمح غير خدمة قضية الثورة» وهم «لا يرونه ـ اى المطمح ـ اقل ضرورة من وجوب استمرار تجربة الحياة الداخلية».

■ وفى عام ١٩٢٧ ومن اجل ان تبرهن السريالية على انها لا تخاف الشيوعية انتمى الى الحزب الشيوعى اراكون وبريتون واليوار وبيره واعلنوا ذلك جهارا فى بيان خاص. ان المحاولة السياسية والحاجة الى دمج الثورة السريالية بالثورة الاجتماعية ستكون احد الوجوه المهمة فى تاريخ الحركة.

«ولقد تميزت سنة ١٩٢٨ بأنها سنة اكتمال السريالية المحقق» وفى هذا العام صدر ـ فيما صدر ـ «نادجا» لبريتون

وبطلة الرواية (نادجا) «روح شاردة رآها بريتون فى الشارع فكان لقاء انقلابيا ولكن ناجا مخلوقا حقيقيا يسلك ويتحدث احيانا على هذه الشاكلة (من الحقيقة) وفى احيان اخرى يستحيل ويتساءل بريتون فى نهاية الكتاب: تعطى نادجا شيئا كلامه، كلام المتبصر، الماوراء. هل الماوراء.. هذا العالم؟ فشيئا سمات من الخلل العقلى، ولكن ما الحدود بين الجنون والعقل؟».. وشرعت الحركة تجتذب عدداً متزايداً من الشباب.

وفى هذا العام زار الفنان الاسبانى «بيكاسو» بارسى مرتين تعرف فى الاولى سلفادور دالى وفى الثانية دسنوس والبوار.

وصارت السريالية فى تلك الآونة «موجة شائعة تنشر خلالها المفاهيم والمعتقدات المضللة ولابد من القول انصافا للحقيقة ان السرياليين انفسهم كانوا مسؤولين الى حد كبير عن اساءة فهم السريالية. لقد عرضوا امام الجمهور نهجا او نظرية غريبة. ثم حين اخذ اخيرا عقل الجمهور البطىء يتقبل النظرية أو يتفحصها بدا السرياليون حملات عنيفة على مختلف الاتجاهات او المعتقدات التى اراد الجمهور ان يقرنهم بها من امثال: الفرويدية، والنسبية، واعتباطية الفكر والتعبير، وعبادة رامبو، وهوس الانتحار، والكتابة الآلية.

يشق على السرياليين ان تحدد آثارهم وتصنف.. ان اى اطلاق اسم على نظرية.. يتسبب فى تحديد حريتها وضمور حيويتها ومعناها».

■ ومنذ عام ١٩٢٨ ظهرت خلافات اخلاقية وعقلية جرت فى السنة التالية الى انشقاق فاصل فكان فليب سوبو اول مطرود متهما بالوصولية الادبية ولاسباب شخصية ثم طرد انطونان آرتو وروجه فتراك لانهما رفضا ان يأخذا قسطا فعالا فى العمل الثورى ولم يعنيا الا بالمسرح (وكانا قد اسسا مسرح الفريد جارى) ثم كانت فضيحة تمثيل مسرحية «الحلم» لسترنبرك بعد ان عاب بريتون على آرتو ان يتسلم مبلغا من المال من السفارة السويدية فجاء مع صحبه فى مظاهرة فتدخل البوليس وقطع التمثيل.

وفتر آخرون عن الاسهام فى الحركة وابتدعوا من ذات انفسهم لانهم لم يعودوا يتذوقونها وهؤلاء هم: لمبور ـ لارسن ـ ماسون ـ تيال. اما ربمون دسينى فلم ينتم يوما على وجه رسمى الى الحركة وان تابع فعاليتها عن قرب.

ترى ما الذى كان يجرى فى العالم فى ذلك الزمن؟

كان المجتمع البورجوازى قائما قويا وثورة اوربا الوسطى قد أجهضت منذ امد بعيد وفى روسيا مات لينين وانتقلت السلطة الى ستالين وكان الامميون وعلى رأسهم تروتسكى قد وقع فيهم القتل وفى اوربا ولا سيما فرنسا تسود فوضى عارمة والصراعات الداخلية للحزب الشيوعى السوفيتى لم تفهم جيدا او لم تفسر جيدا وقد اعلن السرياليون انهم مع تروتسكى.

الحال، على اية حال غير مريحة وهى ليست فى مصلحة الثوريين وخاصة اولئك الذين يريدون ان يقودوا العمل الاجتماعى والتعمق فى مسائل الحلم والحب والجنون والفن والدين. ان الطريق شائكة بين كيمياء الكلمة والاشتراكية العلمية.

لقد ساد السنوات الخمس الاخيرة ـ بعد البيان ـ صراع «المركز السريالى» مع جماعة «كلارته» (مجلة الثقافة الشعبية). وما فتئت السريالية تترجح بين خطتين ترى الاولى ان تغيير العالم ليس بذى دلالة ما لم يعمل بالحماسة نفسها على تغيير الحياة وترى الثانية الانطواء على الوحدة الداخلية المعرضة لخطر الاشتراك فى اثم قوى المحافظة الاجتماعية.

وانتقل الى كلاته نهائيا ناقل المحرر الاول فى «الثورة السريالية» وتوزع جهد بريتون فى الصراع مع جورج باتاى وجماعة «اللعب الكبير».. وعدد من المطرودين.

واعاد طبع البيان سنة ١٩٢٩ مع مقدمة جديدة اشار فيها الى فصل آرتو، كاديف، ديلتيل، جيرار، ليمور، ماسون سوبو، فتراك... اما «لويس اراغون وبول اليوار وبيير اونيك فقد كانوا معه فى ذلك الوقت انقى ممثلى السريالية».

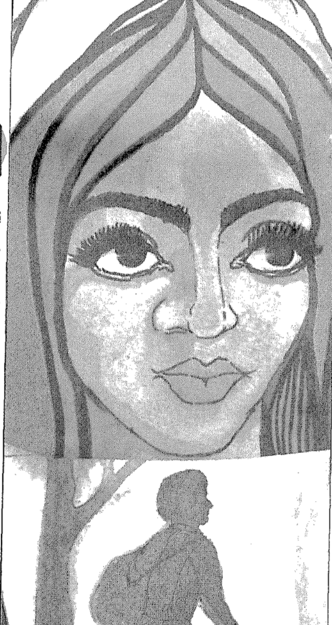
بدا ـ ازاء هذه الاحوال ـ ونحن فى اخريات العام ان لابد من بيان جديد يعنى اكثر ما يعنى بالظروف المحيطة سيسمى البيان الثانى.. ويسمى بيان ١٩٢٤ البيان الاول. وهذا الذى حصل.

بنت الراعي

بقلم الكاتب الأمريكي

ترجمة

إبراهيم عبدالله العلو



كان رأى جدتى ـ ليباركها الله ـ انه يجب على كل الرجال أن يعملوا وقالت لى عندما كنا جالسين خلف الطاولة قبل لحظة: يجب أن تتعلم إنجاز عمل ما مفيد للانسان شيىء من الطين أو الخشب أو الحديد أو القماش. ليس من المناسب لرجل مثلك أن يكون جاهلا بحرفة نبيلة، هل هناك أى شيىء تستطيع صنعه؟ ونظرت الىَّ بغضب. قالت: أنا أعرف أنه من المفترض أن تكون كاتباً وأظنك كذلك.. انك تدخن الكثير من السجائر فتجعل من البيت مدخنة.. ولكن يجب أن تتعلم صنع أشياء صلبة، أشياء يمكن استخدامها ورؤيتها ولمسها.

قالت جدتى: يروى أنه كان هناك ملك من ملوك الفرس لديه ابن وحيد، وقع ابن الملك فى غرام ابنة الراعى، وذهب الابن الى والده وقال: يا مولاى اننى احب ابنة الراعى واريدها زوجة لى، قال الملك: أنا الملك وأنت ابنى وعندما أموت سوف تخلفنى فى الملك كيف يعقل أن تتزوج من ابنة راعى؟. قال الابن: لا أعلم يا مولاى ولكننى أعرف أننى مغرم بتلك الفتاة أريدها لتصبح ملكة، أدرك الملك أن حب ابنه

مساحة للضوء

للفتاة كان مقدراً من الله وقال: سوف أرسل إليها رسولا، دعا الرسول وقال له: اذهب الى ابنة الراعى واخبرها أن ابنى يحبها ويريد أن يتزوجها. . سألت الفتاة عن العمل الذى يقوم به؟ قال الرسول: لماذا؟ انه ابن الملك. . إنه لا يقوم بأى عمل: قالت الفتاة: يجب أن يتعلم القيام بعمل ما.

عاد الرسول الى الملك وحكى له كلام ابنة الراعى.

قال الملك لابنه: ان ابنة الراعى تطلب منك أن تتعلم صنعة ما ألا زلت مصراً على اتخاذها زوجة لك؟

قال الابن: نعم، سوف أتعلم نسج الحصر.

تعلم الابن نسج الحصر من القش بأنماط وأشكال ذات رسوم تزينية وبعد ثلاث أيام كان يتقن صناعة حصر بالغة الروعة.

عاد الرسول الى ابنة الراعى وقال لها إن حصر القش هذه من صنع ابن الملك.

ذهبت الفتاة مع الرسول الى قصر الملك وأصبحت زوجة ابنه.

●● وفى أحد الأيام (قالت جدتى) كان ابن الملك يتجول فى شوارع بغداد وشاهد مطعماً نظيفاً جداً وبارداً لدرجة أنه دخل اليه وجلس خلف طاولة، ولكن هذا المكان ـ قالت جدتى ـ كان مثوى للمجرمين والسارقين الذين اخذوا ابن الملك ووضعوه فى زنزانة كبيرة حيث كان يُحتجز عدد كبير من كبار رجال المدينة. وكان المجرمون والسارقون يقتلون أسمن الرجال ويطعمونه لأضعفهم وكانوا يجدون لذة فى ذلك.

كان ابن الملك من بين أنحف الرجال ولم يكن معروفاً أنه ابن ملك الفرس، لذلك أنقذت حياته وقال للسارقين والمجرمين: إننى أستطيع صنع حصر من القش وإن لتلك الحصر قيمة كبيرة.

جلبوا له القش وطلبوا منه أن ينسج، خلال ثلاثة أيام نسج ثلاثة حصر.

وقال: احملوها الى قصر ملك الفرس، ومقابل كل واحدة سوف يمنحكم مائة قطعة ذهبية من النقود.

حملت الحصر الى قصر الملك الذى أدرك عندما رآها أنها من صنع ابنه وأخذها الى ابنة الراعى وقال: إن هذه الحصر من عمل ابنى المفقود وقد أحضرت الى القصر.

أخذت ابنة الراعى الحصر ونظرت اليها عن كثب وفى ثنايا تصميم كل واحدة قرأت بلغة الفرس المكتوبة رسالة من زوجها ونقلت هذه الرسالة الى الملك.

ارسل الملك ـ تقول جدتى ـ عدداً من الجنود الى مكان المجرمين والسارقين وأنقذوا كافة المعتقلين وقتلوا المجرمين وأعادوا ابن الملك سليما الى قصر والده وزوجته ابنة الراعى الصغيرة.

عندما عاد الشاب الى القصر ورأى زوجته مرة ثانية تواضع أمامها.

وقال: يا حبيبتى لقد كنت السبب فى انقاذ حياتى

كان الملك مسروراً جدا من ابنة الراعى

الآن ـ قالت جدتى ـ ألا ترى لماذا يجب على كل رجل أن يتعلم حرفة نبيلة؟

أجبت قائلا: إننى أدرك ذلك بوضوح تام ومتى توفر لدى ما يكفى من المال فسوف اشترى منشاراً ومطرقة وقطعة من الخشب وسوف أقوم بأفضل ما بوسعى لصنع خزانة للكتب.

(*) الكاتب الامريكى: وليام سارويان (١٩٠٨-١٩٨١) كاتب امريكى تحدر ابواه من اصل ارمنى عرف بغزارة انتاجه من الروايات والمسرحيات والقصص القصيرة. جمع فى كتاباته العاطفة والتفاؤل وحب الوطن.

من اعماله الشهيرة: الكوميديا الانسانية (١٩٤٢) رواية. اسمي ارام (١٩٤٠) مجموعة قصص قصيرة.



صدر عن دارة مجلة المنهـل كتاب (شذرات الذهب) لمؤلفه الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوى (رحمه الله) . . والكتاب يضم شذرات نشرها المـرحوم على صفحات المنهل قرابة نصف قرن . وهى تمثل فى عمقها وتعليقـات صاحبها دوحة فيحاء فى رياض الادب والفكر والمعرفة . . ملحق بها فهرس تصنيفى بالموضوع ـ وآخر بالاعلام وثالث بالاماكن . . ويقع الكتاب فى حوالى الف صفحة من القطع الكبير.





للحصـول على نسختك
اتصـل بوكيـل التـوزيـع
تهـامة للتوزيع ـ جدة
ت : ٦٦٩٥٠٠٠
مجلة المـنهـل ـ جده
الشرفية
ت : ٦٤٣٢١٢٤

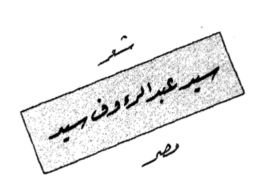


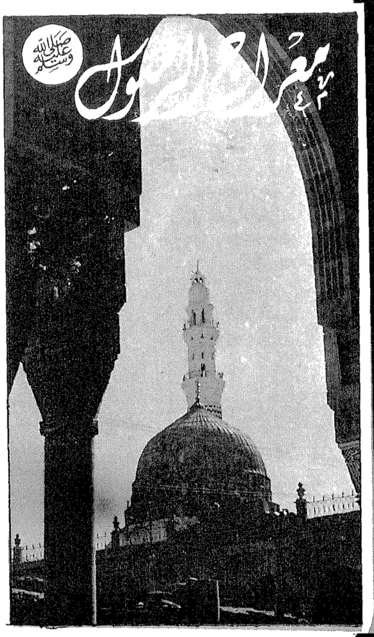
إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

العدد التاسع والثلاثون - رجب ١٤٠٨ هـ

المشرف
محمود عارف





اعجز العلم علو وارتقاء
دونه ريح سليمان رُخاء

يا سماء يحلمُ العلم بها
نبيء كم بعدك اجتاز سماء

طار بالمختار يعلو هاتفاً
ذاك من قربه الله اصطفاء

رحلة للعلم والسلم فما
شقت الحجب غروراً أو رياء

قرب الله بها مختاره
وأراه فى عُلاهُ الأنبياء

خاتمُ الرسل فمن أنكره
أنكر الداعينَ بدءاً وانتهاء

حمل المشعلَ عنهم ومضى
يعمر الكون جمالا ورواء

ذاكم معراجُهُ معجزة
قد أرتنا كل اعجازٍ وراء

كوكب العلم اذا قيس به
خرَّ مغشيا عليه لا مراء

قل لمن دلَّ بعلمٍ مسرفا
ويْكَ لم تكشف عن العلم غطاء

إن من أسرى به سبحانه
فوق ما ندرك علما وعطاء

ذاك إعجاز اذا علَّلْتَهُ
زادك البحثُ ولم تظفر عناء

كل ما للرسل من معجزة
دونه العلم فما يروى ظلماء

* * *

كوكب العلم ألا حلق كما
شئت واصعد زادك الله علاء

واتخذ أحمد روحا هاديا
صافيا يُضمرُ للكونِ الوفاء

أفمن يسعى لعلم كالذى
يمنح العلم ألا ليسوا سواء
عجباً ينكر آلاءه
بشر صوره طينا وماء

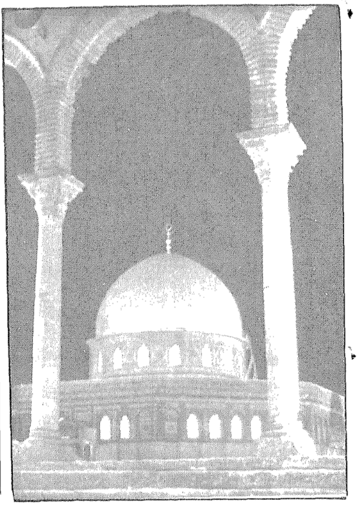
* * *

يا إلهى قبساً منك فقد
غلب الطين ولسنا أبرياء
يا إلهى قبسا يسمو بنا
يا إلهى قد رجونا ضعفاء
صدئت أنفسنا يا ويلها
قد رنا الوزر وغطاها غطاء
يا إلهى قبساً نحيا به
يا إلهى واتخذنا أولياء
واقذف النور بقلب غافلٍ
شاقه النور فناداك رجاء
أنت للمضطر ترجى قادرا
فاستجب فضلا وبراً وسخاء

* * *

أيها المعراج إنى مؤمن
بالذى أجرى وأرسى كيف شاء
ذا أبو بكر رآها آية
وأراه مؤمنا فاق ذكاء
أيها الصديق طب نفساً وقد
طبْتَ بالفردوس فى الأخرى جزاء
تلك روحى هزَّها الشوقُ له
علّها تسعد بالقرب انتهاء
بيننا بَوْنٌ ولكنا وقد
لبَّت الأرواحُ صرنا أقرباء







كوكب العلم ألا قل للذى
أنكر المعراج جحداً أو غباء
إنه من قوة الله الذى
أودع العقل وسوّى العلماء



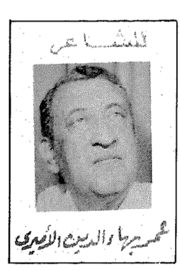
شعر

خير الدين وانلي
- سوريا -

عبدتُك فى التشهد والسجودِ
وخفتُك فى التعامل والعهودِ
وعذتُ بنور وجهك يا إلهى
من البلوى ومن شرِّ الحسود
عبدتُك مخلصاً من كل قلبى
وكيف أزيغُ والقرآنُ دربى
ومَنْ يسلُك سبيل الدين يَسْلم
من العذاب فالاسلام حسْبى
عبدتُكَ رغبةً فى أن أراك
وبالفردوس ألقى مُصطفاكَ

وخفتُ النار أن أصْلَى لظاها
وأُحْرَم من كلامِكَ أو رضاكَ
عبدتُك مستجيرا مستعينا
عبدتك مُستغيثاً مُستكينا
رجائى أنت يا غوثى وقصدى
وغيْرك مَا حَنَيْتُ له الجبينا
عبدتُك ذاكراً ليلا نهارا
عبدتُك خاشعاً سراً جهارا
ولم أرهبْ ولم أسأل عباداً
ولم أطلبْ سوى الفردوسِ دارا

شعب أفغانستان المسلم المجاهد



ـ المغرب ـ

عَقَدَ العزمَ واستعدَّ وأبرَمْ
جعل اللهَ قصدَه ثم أقدَمْ
بطلٌ مؤمنٌ سديدٌ عنيدٌ
لا يُبالى فى الله مهما تجشَّمْ
معدن فى صلابة الماس شعبٌ
عبقريُّ الجهاد حر مطهَّمْ
كان للحق منذ كان وأرسى
لبلاد الأفغان أمجدَ مَعْلَمْ
ميسمان: بالنار وسمٌ وكيٌّ
لعدو غازٍ وللحسن ميسم
صاغَهُ الله من إباء وصبر
ومضاء.. والله بالخَلْق أعلَمْ
واصطفى منه فى وغى الكفر جُنْداً
مستميتا به على الكفر دمدم
أيها المعلنون حرباً على الله
خسئتُمْ غصَتُم بقعرِ جهنَّمْ

* * *

لو وعى «ظاهرٌ» و«داوودُ»
مَكْرَ الخبِّ لكن ولات ساعة مندَمْ
نحن فى السد قد نقرنا ثقوباً
فطغى السيل والسدُّ تهدم
وهوى مَنْ هوى وأبلي
وانهارت سياساتٌ من بغى وتحكُّمْ
وأقام العدُّو منا علينا
جانيا عاتياً وزجَّ وأقحمْ
ورمى وقر ظلمه اللُّد عسفاً
وسفاها مُرّاً وعاثَ وأجرم
بُغتَ الناسُ بالجيوش الضوارى
لا ترى فى زؤامها أى مأثم
عظُم الهولُ واستبدَّ اجتياحُ الكفـ
ـر واشتد والنزالُ تأزم
بيدَ أن الايمان بالله رباً
ناصراً قاهراً أشدُّ وأعظمْ

* * *

نفرَ الشعبُ نفرة الحشر طُراً
وتداعى وهاج غيرَ منظَّمْ
ثم لَمَّ الشتاتَ غير بعيد
تحت رايات دينه وترسَّمْ
طفله والنساء والشَّيبُ لبوا
داعى الله والشبابُ تقحَّمْ

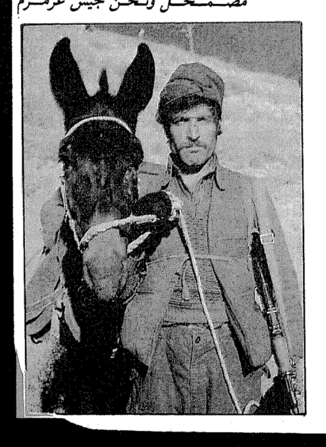


عزم «السعى» للشهادة زحفاً
ونوى «الحجَّ» للجنانِ و«أحرمْ»
أغمضَ العين عن بهارج دنيا
اغتر فلدُم بزيفها وتوهم
فتراءتْ له بفردوس عدن
«كعبةٌ» من سناً وحجرٌ وزمزم
والمقامُ الجليلُ فيه رسولُ الله

إنه الخُلدُ روضُ كل شهيد
لقى الله مقبلا يتبسَّمْ
السنونُ الطوال تترى كباراً
والعدُو الرجيمُ بالفَتْكِ مغرمْ
كم تصدَّى للأبرياء وأودى
بحياة النساء لم يتأثَّمْ

أحمرُ الحقد أصفر المقت أنكى
مجرمٍ فى الطُغاة.. شرٌّ مجسَّمْ
ويظل الشعب الأبىُّ صبوراً
يتخطى الصعابَ مهما تألم
تهرَ البرد قارصاً وتحدى
ومع الجوع والسقام تأقْلَمْ
ومضى يُوسعِ العدوَّ نكالا
ويلقِّيه مَغْرَماً إثر مغرم
مستعيناً فى الزحف بالله يتلو
آىَ قرآنه ولا يتلعثَمْ
والذى نصر ربه فى يقين القلـ
ـب منه كالخفق هيهات يُهْزَمْ
محفل الخير للنواميس حكم
وقضاء الاله فى الكون مُحكَم
إن شعبَ الأفغانِ مازال يمضى
مؤمناً فى جهاده يتقدَّمْ
واثق الخطْو بازخَ الشأو حُرّاً
بذلَ النفسَ والنفيسَ وأقسَمْ
وعلينا له حقوق جسامٌ
والعُرا بيننا سوارٌ ومعصم
نصرُنَا نصرُه وان فازَ فُزْنا
جسدٌ واحدٌ وجرحٌ وبلْسَمْ
والشهيدُ السعيدُ منهم ومنا
نتساوى فيه بعُرْس ومأتمْ
رحمٌ فى الاله قامت ودامتَ
وصلاتٌ فى الدين دينٌ محتّم
والذى لا يصونُ صرحَ أخيه
سيرى أن صرحه يتهدَّمْ
يا شُعوب الاسلام فى كل أرض
هتكَ الكفرُ وجهَهُ وتجهَّمْ
واستباحَ الإفناء بالعلم فتكاً
نووى التدمير وهو مُحرَّمْ
شام إنسانهُ يميدُ ضياعاً
وراَه ببغيه يتهشم

فهو يسعى الى القضاء علينا
قبل أن يوردَ الشقاء ويعدم
يا شعوب الاسلام مُدَّى إليه
بكتاب الرسول: «أسلمْ لتسلَمْ»
فإذا ما أبَى فهبِّى بَداراً
وأعدى .. وأرهبيهِ ليعْلَمْ
أننا «خير أمة» صاغ منها
ربُّها الخيَر للبرايَا وأنعمْ
إن قرآنَنا شهيدٌ علينا
وعليهْم ووحيُهُ يتكلَّمْ
يا شعوبَ الاسلام عينُ يقيني
تُبصرُ الحق ظاهراً غير مُبْهَمْ
وترى فى غدٍ وقد يتناءى .
موعد النصر بالغيوب تلثَمْ
نحن إبانُهُ إذا ما ارتقينا
واتخذنا من ديننا خير سُلَّمْ
يا شعوبَ الاسلام للكفر جيشٌ
مضمحلٌ ونحن جيشٌ عرمْرمْ



نطاق النور ١



شعر

د. عاتكة الخزرجي
- بغداد -

ولى دمية من بنات الخيال
جمالاً ودَلاً . . ولا كالـدُّمى
تُطـالِعُنى كل يوم . . وكم
تسـامرُنى حين تغفـو المنى
بعينيـنِ كالليـل فى سِرهـا
وفى السحر كالبحر إمَّا سجا
وجـاءتْ الىَّ خذولَ الخطى
كمشى القطا أو كدلِّ الصَّبا
تنوسُ على ظهرها من ضياء
ضفـائـرُ نمَّقـهُنَّ الصِّبـا
فقبلتهـا مرة فى الجبيـن
وأخـرى هناك وأخـرى هنا
فقالت وفى الخـدِّ ماء الحياء
ترقـرق لألاؤه كالنَّـدى

خذونـى الى الغـاب إنى له
أتـوقُ وأعشقُ فيـه الصفا
سئمتُ المـدائنَ بل أهلهـا
وما قبلها من شرورٍ . . وما .
وطارت الى الغاب بنت الخيال
يرفـرف فى جانحيهـا الهـوى
فرقَّ اليـهـا الـنسيمُ وراقَ
وغنى لها الحبُّ حتى سهـا
وحط بها فوق عرش الزهور
ونثَّ عليهـا بخـورَ النـدى
وظـفَّـر من ورده تاجـهـا
وتـوَّجهـا . . باللطف السـا
وأعلن فى الغـاب عن ملكـة
من الإنسِ فى مثل حسن الدُّمى
وحفَّ بها الغـابُ فى لحظـةٍ
يُبـاركهـا . . يالحسن اللِّقا
فذى الأسْدُ خفَّتْ على رسلها
تطأطىء هاماً وتصغى الـولا

وراح الهـزبْـرُ يعبُّ الجمال
ويكـرعُ فى راحتيـه الطِّلا
وراض الجمال مليك الوحوش
فذلـل من زهـوه ما غلا
وقـالت لها الأُسْـدُ يا ملكتى
نعمتِ . . ودونكِ . . نحن الحمى
وتـاجُـك باهٍ وعـرشـك زاهٍ
وغـابُـك دنيا ولا كالـدُّنَى
وخفَّ الغـزالُ يُحيِّى الجمالَ
وينفـح بالمسـك كل الفـلا
وفى إثـره من بنات الهـديل

نفسه، ولو أنصفنا فى إرجاع الحق الشريد الى أهله لرددنا هذه الفلسفة الروحية المعاصرة الى أصولها الأولى فقد دعت لها التعاليم السماوية ثم تلقفها فلاسفة العرب فى العصر العباسى والأندلسى فكانت الروح هى الطابع الصادق لفلسفتهم التى كانت أساساً للبعث الفلسفى فى الغرب.

كانت غاية الفلسفة الروحية وتلك التعاليم السماوية هى العودة الى النفس فلنعد الى نفوسنا بعد طويل الفلت والشرود إذ ليس من إنسان خُلق بغير نفس طيبة، ولقد برأها الله فينا صافية وكانت جسومنا لها كالكؤوس للماء فلتصفُ كؤوسنا لنستشف فيها ماءنا ولعل من الصواب أن نؤمن بأن فى كل نفس مناذرة خير لا تفنى ولقد تكون هذه الذرة كمينة فينا كمون الذرة فى التراب يتاح لها حافز فتطلع بضوئها الخالد، وويل لمن غادر الحياة قبل أن تسطع فيه هذه الذرة، ومهما طغت المادة على الانسانية وعكرتها وكدرتها لتبدل من فطرتها وتنحرف بها عن وجهتها وعقيدتها فلن تفوز دواما لأن الانسان روحانى فى المنبت والمصير وما كان المرء مهما غلظ قلبه وتصالف عقله إلا ليرجع الى روحه فى سانحة مفاجئة فيحس أن لا خير له ولا رجاء إلا فى هذه الروح التى تواسيه وتناجيه وتصله بالرحمة الإلهية والقوة الغيبية فكم من مريض بذل له الطب أقصى ما يستطيع عليه ولما لم يجده ذلك فتيلاً رجع المريض الى روحه فتوسل بايمانها وصفائها الى الشفاء.

وويح الأشقياء المعذبين الذين هربوا من دنيا المادة الى عالم الروح ليعيشوا بقية حياتهم مع أرواحهم التى لم يعرفوها من قبل ففى خلواتهم النفسية يسمعون همسات ضمائرهم ودخائلهم، وفى ظلال السكون وفناء الأجسام يندمون على ما فرطوا فى جنب أرواحهم فكم فيهم من نادم تائب كان يتمنى لو عرف هذه الروح الخفية الصافية التى فيه قبل أن يلم به الشفاء إذن لصفا له وجه الحياة وعاش فى طمأنينة وسلام.



إن الانسانية الحاضرة مريضة الروح مهيضة الجناح بل هى مُشفية على الشقاء والفناء وما أحسب لها نجاة مما تتردى فيه سواء بالشرق أو بالغرب إلا بالعودة إلى الحياة الروحية التى تردنا إلى أنفسنا التى داخلها الشك والعبث والاستهتار.

فما أحوجنا بعد هذا إلى الحياة الروحية التى تنقى السريرة والوجدان وتجعل من الشك يقينا ومن القلق أمناً وطمأنينة فإذا عرف المرء نفسه لم يجد تورطاً فى الطرفين ولا غلواً فى الجانبين فلا يستسلم لعذرية عمياء ولا يندفع فى علمية هوجاء.

ولو أننا نظرنا فى تاريخ الأمم لكى نخطط لهذا التاريخ خطوطاً بيانية على نحو ما يضع العلماء فى تدرج الأمور نحو الزيادة أو النقصان لرأينا أن الأمم إنما كانت تشقى كلما سيطرت عليها المادة وتناءت عن الروح ولقد يكون لها من أمرها رشد وإيمان فتتألق فى حضارتها وتنبسط آفاقها ويعيش أهلوها فى رغد وأمن واستقرار، لأنهم كانوا فى مزاج روحى شامل. وما ذهبت الحضارات وانحلت الشعوب إلا فى غياهب المادة التى أدخلت على حياتها القلق والتعب وفصلتها عن عالمها الأمن المؤمن وزينت لها المجد الموهوم فى مطامع أقْصَتْها عن غنى النفس والروح، فتاريخ الفراعنة والرومان واليونان شاهد على ما لحق هذه الأمم من التخاذل والهوان حين راجت عندهم سوق الضلال.

وكان الناس ينتظرون خيراً كثيراً من حضارتنا الحاضرة وقد انتهت إليها ثقافات الأمم فهى تحمل فى جوفها ثمرات الماضى جميعا غير أن هذه الحضارة خذلت الروح أشنع خذلان لأنها لم تحقق غاية الانسان بل عقدت له الأمور وشردت نفسه وزادت فى همومه وآلامه إذ قامت على المنازع المادية فنزعت الأمم الى مظاهر الحضارة وأخذت بأسبابها وتبدلت المثل العليا من حولها وفى أهلها وغدت الأذهان والعقول مادية فى تفسير الألفاظ والمعانى خاضعة لسلطان العلم الذى زعزع يقينها وباعد بينها وبين الروح.

أكانت الغابات الاجتماعية سبباً فى اندحار الماضى بما كان يحمل من المثل الروحية والمكارم الأخلاقية ولعل القارىء يعجب لهذه الغابات التى أذكرها إذ ليس حديثى عن المزارع والأحراج ولا عن طبيعة الأرض وتاريخ النبات وإنما أريد من هذه الغابات أغصانها التى تكاثفت والتفت وتطاولت حتى كادت تسد الفضاء وشغلت المجتمع عن التطلع الى السماء.

لقد عنيت بهذه الغابات مداخن المصانع والمعامل التى ارتفعت أعمدتها كجذوع النخل وانبسط دخانها فسد الفضاء وأفسد الهواء وحال بين الناس وبين الضياء.

إن شر المادة التى سيطرت على حياتنا المعاصرة مربوط بدخان المصانع والمعامل الذى خفف من متاعب الأجسام، ولكنه ملأ النفوس تعباً وقلقاً.

كان العامل أو الصانع يخرج فى صبحه الى منسجه أو عمله اليومى فإذا جلس الى الخشب الذى مد عليه الخيوط رفع رأسه الى السماء قبل أن يبدأ العمل باسم الله قائلا: يافتاح، ياعليم، يارزاق، ياكريم، ثم يندفع نشيطاً هادئاً مطمئن الخاطر حتى يكده العرق، وكان أنداده على شاكلته فى مشارق الأرض ومغاربها تجمعهم الى العمل روحانية الهية ومحبة إنسانية تجعلهم قانعين بما قسم الله غير طامعين ولا ناقمين وكان عمل كل منهم يثمر من أجل نفسه وذويه أما المستغلون فقليلون. لكن الزمان تغير وانقلب ذلك القلب الانسانى الذى كان يخفق فى الصدور بلحم ودم الى قلب فولاذى يدمدم أو يهدر فى المصنع، وهو المحرك الكهربائى الذى لا تكاد اليد تدير لولبه حتى يدور ويصخب فيجرى المعمل بألوف الأيدى الحديدية التى فجعت عامل الأمس وزادت فى جشع صاحب المعمل.

إن دخان المصانع والمعامل لا يعلو طبقات الفضاء لكى يتكاثف غماماً ويحول مطراً يروى الأرضى كما يقول علماء الطبيعة فهذا أمر ينكره أصحاب المعامل ولا يعترفون بعلمه وإنما ينظرون الى هذا الدخان الكثيف نظرة مشرقة لا يراها غيرهم، انهم ليرون الدخان وقد ارتفع الى طبقات الجو لينصهر فى بوتقة الأفق ويستحيل ذهبا بمطرهم فيحييهم ويزيدهم جشعاً أو بطراً وهذا المطر السحرى الذى ينبت الصناعة هو الذى قلب الدنيا وصرف الناس عن آفاق الروح الى آفاق المادة وحدها وضيع القيم الفكرية والأخلاقية وعكس الآية فى المقاييس والموازين فأصبح من لا مال له فى الدنيا لا مجد له.

لقد حال المصنع والدخان بين نظر الانسان الى السماء فنسيها وبقى عالقاً فى الأرض دون أن يفكر فى مصيره الى طياتها وما عادت تسمع فى أفق المصنع وسط دمدمة المحركات وعجيج الآلات ابتهالة العامل الى ربه الكريم إذ انساق الى المادة كما انساق الجميع حتى جفت فى نفسه ينابيع المحبة والسكينة وغابت عن عينيه الاشراقات الالهية التى كانت تنير له السبيل.

وتحولت الغاية المنشودة فى العلم اذ كان العلم يسعى الى إدراك الله وسبر أغوار الروح وتثبيت الايمان فى الصدور فإذا به وقد سخر للشر أكثر مما سخر للخير يغدو مشغلة لأهله عن ربهم وأنفسهم وأصبح كخادم مطواع فى ركاب الحضارة الآلية التى كانت سبباً فى قيام الحروب والمشاحنات بين الدول إلى اليوم فبعدت مسافة الخلف بين الروح والعقل، وتقدمت الثقافة العقلية واستفحلت المذاهب المادية فى بعض الشعوب حتى عم البطر الأمم القوية وأصبحت لا تتكلم بقواها المعنوية والروحية بل صارت تتوعد وتهدد بقدر ما عندها من قوى آلية أو مالية.

وما كان يجمل بى ولا بغيرى من المتحدثين أو المعالجين لهذه القضايا الروحية والاجتماعية أن يكتفوا بنقد الداء دون أن يضعوا الدواء فالمجتمع بمصائبه كالانسان فى أمراضه وكما يقيض الله لطريح الفراش المتقلب على الآلام والأسقام أملاً فى الشفاء على يد طبيب حاذق أو ببركة الله التى جلّت عن صنع الانسان كذلك يتاح للمجتمع أن يبرأ من علله ومصائبه وخير دواء عندى وإن لم أكن طبيبة أن تستغل الروح الانسانية التى لا تغنى ولا تستطيع المادة مهما طغت وبغت أن تأتى عليها فقد خلق الانسان روحاً قبل أن يخلق جسماً.

إن فينا نحن المسلمين قوى روحية كامنة أو دفينة وهى وإن أتت عليها المادة فغيرت آثارها ومعالمها فإنها تظل كالكنز الدفين الذى علته أطباق التراب فإذا شمرت السواعد وحفر عن هذا الكنز تلألأ وبان للأنظار فلنعد اذن الى أرواحنا المؤمنة فإن

ينبغي أن يكون هدف الثقافة الانسانية هو معرفة النفس..

الروح خالدة لا تموت وإن علاها صدأ الجسوم.

والسبيل الى هذا الاستغلال الروحى هو العودة الى التعاليم الدينية وفى حياة الرسول محمد بن عبد الله «ﷺ» وصحبه والتابعين مُثُل عليا للروحانية الالهية والصفاء النفسى الذى كان يتصل بالله ويثبت بثبات الحق والايمان. وما وقع العالم فى هوة المادة السحيقة إلا لابتعاده عن كلمة الله وتقواه وترامیه فى أحضان المادة دون وعى ولا تمحيص.

لقد صم الانسان سمعه عن نداء الروح الذى كان يتخذ سبيله الى قلبه فيسكب فيها الايمان، هذا الجوهر السحرى الالهى الذى هو سبب الهدوء والطمأنينة ومنبع الأمل والاستقرار.

ولئن دعوت لاستغلال الروح على هدى الدين فما أردت أن نزهد فى الدنيا قانعين بالقليل خانعين للظلم والجبروت، ولا سابحين فى شطحات الصوفية التى ترفعنا على أجنحة الغمام أو تغوص بنا فى لجج الأحلام والأوهام.. وقد عرف عن عمر رضى الله عنه وكان عبقرى الروح فى الاسلام أنه زجر أحد النساك حين لوى عنقه ذلة وخضوعاً ووقف يصلى لايريم عن المسجد فدعاه عمر إلى العمل لأن عمر كان دينياً بعمله ومعاملته.

وما كان الدين وسيلة لتخدير الأعصاب وصرف الناس عن حضارة الدنيا بل كان سبيلا الى الرحمة والعدل والمساواة ووسيلة الى تهذيب النفس والذوق ورفاهية الروح. وخير ما ينبغى للانسانية المعاصرة أن تجمع بين دينها ودنياها فتأخذ من سمائها الروح ومن أرضها المادة ولقد أظلنا عصر بعد بنا عن أرواحنا وهى معنا فصرنا من أعاجيب التكوين، أجساماً تسعى بغير أرواح حتى أشبهنا الأمم فى أسوأ حالاتها فلا إيمان فى الصدور وانما هو باللسان ولا صفاء فى النفوس وانما هو كدرة فى الرياء ولا حدود فى الغايات بل صار همنا ودأبنا الاستهتار والانتهاز للوصول إلى المطامع والمآرب ولو تخطينا الرقاب أو قبلنا الأعتاب.

■ وأفجع ما يسوء الحقيقة الكبرى أن نصطنع التقوى والاحسان ونتاجر بالدين والمثل العليا لنجعلها وسيلة الى أكل الموتى والأحياء ونخدع الناس بالألفاظ الحسان لنحقق الأغراض ونتشفى بالكيد دون خشية ولا حياء.

فالأثرة الفردية والمصلحة الخاصة هى الطاغية على المصلحة العامة والباطل المقنّع هو الغالب على الحقيقة السافرة وليس فينا من يقول وطنى أو قومى أولا ثم أهلى وأنا ثانيا حتى بات المجتمع يعج بالفجائع الروحية والأخلاقية وصار الزواج وهو لبنة الأسرة وعماد الحياة ضرباً من ضروب التجارة والمادة ولا فرق عندى بين فتاة يغالى أهلها وذووها بمهرها حتى ينصرف عنها الخاطبون وبين فتاة كانت تعرض فى سوق العبيد أيام كانت النخاسة وبيع الرقيق فيقف نخاسها منادياً على جمالها ونسبها أو ذكائها وأدبها مغالياً بثمنها حتى ينصرف عنها الهواة واحداً بعد واحد.

وفى رجالنا اليوم قرف وأسف، وحيرة ومرارة من هذه السوق الجائرة التى زهّدت الشباب فى الزواج فانصرفوا عنه..

وتبدلت الغاية من المعرفة والثقافة ولم يبق طلب العلم من أجل العلم وابتغاء الرفاهية الروحية واللذة العقلية وانما اصبحت المدارس والجامعات والكتب والمؤلفات وساطة مادية محتومة لتحقيق غايات مادية مرقومة فلو ألغيت الألقاب والشهادات لخلت المعاهد والجامعات من الفتيان والفتيات إذ أن كلاً منهم يسعى الى هذه الوثيقة التى تشبه صك التسجيل العقارى أو جواز المرور لتضمن لحاملها الوصول والظهور فضاعت بذلك كرامة العلم وغاية العلم

والعلم كالعبادة فمن اتخذه وسيلة الى المطامع الغاشمة كان كمن عبد الله رياء لأمر يريده وينشد من ورائه غاية شخصية.

ولا جرم أن هذه المادية العلمية والنزعة الآلية كانت من أسباب غياب النوابغ عندنا وزهدهم إذا وجدوا وانطوائهم على أنفسهم ناقمين فلا فن لدينا يرفه عن أرواحنا ويصقل أذواقنا ولا علم ينير بصائرنا ولا عباقرة نكاثر بهم العالم ونفاخر حين تدعونا السوق الى المكاثرة والمفاخرة، حتى رأينا رجال الفكر فى حيرة من أمر هذه المنازع المادية فلم يتحرجوا من الاستجابة لمظاهرها والتغلغل فى آفاقها ولقد نعذرهم أو نشفق من شأنهم لأن السيل جارف والتيار كالاعصار وحق الحياة غاشم جبار فكثيراً ما يزعزع العزيمة والكرامة ولذلك رأينا كثيراً من رجال الفكر قد انصرفوا الى المادية الصرفة وقالوا على الروح السلام.

وما كانت المروءة يوماً مقصورة على الشرف والكرامة وإنما للفكر مروءة وأصحابها هم الصامدون للبغتات راضين بسعادة الروح والضمير.

لقد كنا هداة العالم فمن آفاقنا ظهرت الرسالات التى ألفت بين القلوب بالمحبة والايمان وأقامت المجتمع على قواعد العدل والاحسان ومن شرقنا طلعت شمس المعرفة وارتفع مشعل الروح حتى تفتحت لنا أبواب العالم، غير أننا حين تمازجنا بالغرب فشاقتنا حضارته وثقافته تهافتنا عليها دون وعى ولا تدبر ولم نبق على ما يحفظ حياتنا الروحية فضعنا ولم ننتفع بغربيته ولو أننا جمعنا بين قوانا الروحية وما يواتينا من ثقافة الغرب وحضارته لكنا خلاصة الانسانية.

وما كنا لنيأس من روح الله مهما عدت علينا العوادى وتقاذفتنا المنازع والأهواء فإذا طغت المادة وكادت تفرقنا فى ضلالها فلنتجه الى الساحل مؤمنين بالنجاة قبل أن تخور قوانا فنكون من المغرقين، وساعة خلاصنا سنقف على شاطىء النجاة أعيننا عالقة بالسماء وأيدينا ممسكة بالأرض فنحيا بروحانية الدين ومادية الدنيا.



بين خضوع الحب

إن الروابط الدقيقة جدا فى الحياة الزوجية تتشابك ما بين السيطرة والخضوع، وقد تهدد هذه الحياة بها يوصلها الى حافة الانهيار ـ الزوجة الشابة (ربة بيت وأم) صناعتها الأولى إسعاد الأسرة وغالبا ما يكون هذا على حساب سعادتها هى لأنها تجد نفسها فى مكانة ثانوية وعلى طريقة هو ـ وهى ـ للفنانة سعاد حسنى دار الحوار:

هو: يلمع ـ ينتقل فى وثبات بين قمم النجاح، واعتمادها عليه ماديا وأدبيا لأنها منتسبة الى هذا الرجل المرموق.. انتقلت من تبعية أبيها الى ظل زوجها الذى حاز امرأة رقيقة مطيعة عملها هو راحته مادام هو المحرك الاقتصادى لهذا البيت.

هى: بدأ الاطفال يكبرون ويعتمدون على أنفسهم ـ تبدأ فى تفجير الأزمات ويبدأ غبار الخلاف يثور فى الجو الذى كان عامرا بالصفاء، لقد أدركت أخيرا أنها وقعت فى مصيدة ـ فهى جزء من أثاث هذه الحياة، تبدأ فى التذمر ويضيق هو بها لم يتعود عليه، فتبدأ بالعزف على نغمة الرجاء ثم الالحاح كى تعمل خارج البيت وفى لحظة حنو أو شفقة أو ملل من كثرة الشكوى يوافق كى تستعيد ثقتها بنفسها وما ان تشعر بكينونتها المستقلة حتى تبدأ فى مقاومة سيطرة الزوج وتكف عن الحياة بالأسلوب السابق.

وحب الخضوع

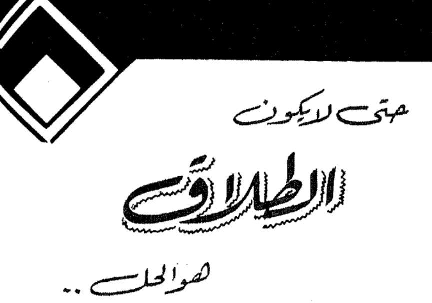
سهام حجي



هـو : هذا النوع الجديد من التحرر ، أو التمرد كما يسميه هو - لم يكن يتصور حدوثه أبدا هل يقبل أن تهدم سيادته التقليدية ، يتصرف متظاهرا بالحزم . . حقيقة هى تعمل مثله ولكنه لا يمكن أن يعتبرها مساوية له . وتبدأ المساومة يحاول إقناعها بأنها فى غير حاجة الى العمل وسوف يعطيها ما يكفيها ويزيد ويتطور الشجار حتى يصل الى حافة الطلاق، قد تخضع . . ولكن إذا رفضت فسيذهب ليمارس سيطرته على فتاة أخرى لأنه يشعر أن زوجته لم تعد فى حاجة اليه . قد يستمر الارتباط ولكن يختفى الحب والود ويعيش كل واحد منهما فى جانب ويعطى ظهره للآخر كل واحد على شاطىء بعد أن انهارت الجسور بينهما . واستمرار الحياة بهذا الشكل لا يعنى أنها سعيدة ، فكثير من الأزواج يبقون على حياتهم رغم هذا الخلاف الذى يورث الشقاء .

هـى : ترى أن الزواج لم يعد ارتباط روحين وفقت بفضل الله احداهما الى الأخرى، فليحتفظ كل منهما بشخصيته ولا يفرضها على الآخر فرضا ولا تطغى شخصية الزوج لتكون له هيبة الطاغية كما لا تطغى شخصيتها فتضيع رقتها وأنوثتها وهى سر جاذبيتها - كما أنها تنفر من الرجل المستضعف .

■ إن معظم المشاكل الأسرية الآن ليس سببها الفقر والحرمان، ولكنه انقلاب الأوضاع هو يريد حب الخضوع وهى تفضله خضوعا عن حب . حقا إنها مشكلة - فما الحل ؟ .





تزوجها كما أراد هو ان يختار وفق الخطبة الشرعية فقد ارادها . . وتيقن مقتنعا انها تناسبه فهى تتمتع بشكل جميل، وادب وخلق حرص كثيرا فى البحث عنها كصفات فيمن تشاركه حياته . . تزوجا فى وقت قياسى . . وكان سعيدا يردد فى نفسه . . لم لا . . أليس خير النساء من تُزف الى زوجها سريعا . . انه فأل حسن . . وانجبا وعاشا كأى زوجين . . وقد كانت مثالا رائعا فى الادب والخلق . . وكان هوكذلك . . ولولا بعضهن اللائى حرصن على ايذائه وتنغيص سعادته . . كن يلاحقنه من حين لآخر ويتفنن فى ايقاعه ثم ينقلن لزوجته كل ما تم ويقدمن لها الدليل.

كانت عاقلة . . تلك الزوجة التى ارادت الحفاظ على البيت والدفاع بقوة عن عشها امام هذه العواصف.

وتمر الايام . . وتتسع الفجوة بين الزوجين . . وهى تعرف السبب . . لكنه لا يدرى انها تعرف كل شىء . . هى تزداد قوة معه ونفورا منه ولكنها صامتة لا تتكلم . . وهو لا يفطن لسر نفورها وقسوة معاملتها . . وهنا يبدأ أول خطأ فى المعاملة واحتواء المشكلات الزوجية . . فهى لو فكرت بموضوعية وعقلانية لم تفجر البراكين وتثور، إلا إنها اخطأت بصمتها ثم بأشكال المنغصات التى تتلذذ فى اغضابه بها . . فهى بذلك دفعته اكثر. فصار يهرب من البيت ويحرص هو ان يتصل بهن ليجد المتنفس الذى يعوضه عما يفتقده فى البيت.

وقد تقلبت الاحوال فى بيت الزوجية فصارت لحظات الهدوء التى كانت ممتعة ويقضيان فيها اوقاتا . . صارت مملة . . احيانا يراها الزوج سعيده اما الزوجة فلا تشعر بها فهى تفكر انه يخدعها ويلاطفها ليغطى ويستر ما يفعله فى الخارج . .

وتمر الايام حتى يهتدى هذا الزوج ويعرف سوء نوايا من كن يلاحقنه واتضحت له الصورة جلية بعد ان انكشفت الغشاوة عن عينيه وعرف كم من كثيرات حرصن على هدم سعادته وتقويض دعائم بيته غيرة وحقداً وانتقاما منه . . ولكن ماذا يفعل . . كيف له ان يعود بزوجته الى طبيعتها الهادئة الحنونة ويقنعها انه نسى وترك كل شىء وانه لها وحدها دون غيرها وانه يأمل فى عودة الايام الجميلة واللحظات السعيدة . .

حاول وحاول مرارا . . وقد هداه تفكيره الى اسلوب المصارحة . . ان يجلس اليها ويطلب منها ان يلعبا معا لعبة التنويم الميغناطيسى . . حيث يتكلم ويفتح قلبه ويسرد كل ما يراه من سلبيات أو مضايقات فى شريكة حياته وما يلحظه من تغير بعد ان يذكر الإيجابيات السابقة والايام الخوالى الجميلة . . على ان تفعل هى كذلك . . فكيف كان اثر هذه التجربة على هذا البيت . . ؟

لقد كانت النتيجة رائعة وايجابية اكثر مما كان يمكن ان يتصوره الزوج وكانت فترة رائعة وعادا فيها الى ما كانا فيه من بهجة وسعادة واستقرت الحياة بين الزوجين لا يعكر صفوها أى شىء . . لكن



السعادة ليست الصك الذى نحصل عليه فنضمن به ان نعيش سعداء مدى الحياة. . بل السعادة شعور معنـوى يمكن ان نحســه ان توفــرت الظـروف والعـوامـل الـلازمـة لاستمراره. . فمن حين لحين نحتـاج الى منشطـات تعمق فى داخلنـا أثـر ذلـك الشعـور فتحـركه وعندها نحس به فينعكس على صحتنا وكل شىء حولنا. . فنرى كل الوجود جميلا.

لقد انتقلت المشكلة فى هذا البيت الى أمور النقد المتبـادل فقد تطور امر الصراحة الى نقد تصـاعد احيانا فكان نقدا جارحا ولم تعد زوجته تقبل ذلك. . وضاقت وضاق هو الاخر حتى صارت تشك هى فى وجود اخرى فى حياته مما يجعله يتذمر ويضيق وينتقد ولا يعجبه اى شىء فى البيت.

جلس اليها مرة ومرات محاولا العودة الى اسلوب الصراحة الذى نجح فيه من قبل الا ان النتائج هنا لم تكن كما كانت فى الجلسات السابقة. . وقد فكر وفكر وهـو يؤمن جيدا ان الحياة الزوجية تضحية وفن فى التعـامـل وسيـاسـة وليس من بيت لا يعـانى من مشكـلات لكن الاهم هو عدم استسلامنا لما يعكر صفو الحياة.

وقد هداه تفكيره الى اسلوب جديد. . انه تسجيل الـوقائع والاخطاء. . جلسا معا بعد ان سجل كل منهما فى بيان مجموعة الاخطاء التى يراها لدى الاخر واخذا يناقشان كل بيان بحيث يتم التوصل بالاقتناع المشترك الى ان هذا الخطأ مثلا موجود فعلا لدى فلان ويعـترف به. . وهكـذا يمارس نفس الـدور على الآخر. . حتى يخرج كل منهما ببيان عن اخطائه التى اقتنع واعترف بها ثم يتركان الامر لفترة يحاول كل منهما الاصـلاح من تلك الأخطـاء ويتقابلان اسبوعيا أو حسب الظروف فى جلسة يحدد كل منهما مدى نجاح الاخر فى تخطى العقبة وكم نسبة نجاحه فى اصلاح الخطأ. . وكـل نجـاح فى الاقلاع عن خطأ يسجل ايجـابيـا فى حق النـاجح وبالتالى يرصد له فى بنك السعادة الذى اتفقا ان يزيدا رصيده من حين لآخر كلما انخفض حتى يستطيعـا تنمية الشعور بالبهجة والسعـادة واستمـراره. . قد يبـدو الحل نظريا لكن نتائجه كانت ايجابية.

انها قصة اردت بها ان استرعى انتباه كل الازواج الـى انـه لا يمكـن ان يخلو اى بيـت من المشكـلات لكن اخطـر الحلول هو قرار الاستسلام او الهدم او الاهمال. . بل لابد من التضحية المشتركـة والحلول المشتركة. . مهما كانت. . فقد ينتقد البعض ما ذكر من حلول فى قصتنا هذه ويظن انها نظرية وخيالية. . ولكن ليس هناك شىء ليس له حل. . المهم فى الامـر ان تتوفر القناعة المتبادلة والرغبة فى الاصلاح والشعور بالسعادة.

إن عادة مص الأصابع لدى الأطفال تعد إحدى العادات السيئة التى تلازم الطفل فى سنوات طفولته الأولى . . ولعل عادة مص الأصابع ليست العادة السيئة الوحيدة ، بل هناك عادات أخرى تؤرق الآباء وتسبب لهم حزنا كبيرا ومن أهم هذه العادات :

إبنى يمصّ أصابعه



بكلمات ... نهى

● قضم الأظافر والخنفرة ومص حرف اللحاف وغيرها .

والآباء فى غمرة قلقهم وانفعالاتهم من ظهور هذه العادات لدى الأطفال ، ومحاولة منع الأطفال من ممارستها لا يحاولون التفكير برويّة لمعرفة السبب الذى وراء ظهور هذه العادات . . وهل ظهورها له علاقة بسعادة الطفل أو تعاسته؟ . .

■ وهذا ما يجعلنا نقول فى البداية : **اهتموا أيها الآباء وانتبهوا للأمور الهامة التى تؤثر فى نفوس أطفالكم بدلا من الاهتمام بمجرد رؤية مظهر سيىء . . فذلك المظهر السيىء الذى يستاء منه الآباء هو فى الحقيقة مظهر يخفى وراءه علة نفسية أو عقلية .**

عادة مص الأصابع وسن الطفولة :

تنشأ هذه العادة عند الميلاد وقد تكون مصا للأصابع أو لأى جزء من أجزاء الجسم وقد تبقى هذه العادة وتظل أياما وتختفى وقد تستمر لسن الخامسة أو السادسة . . وهذه العادة ليس لها معنى جنسى خطير كما يعتقد بعض الآباء ، وإلا كان هرش الرأس أو تنظيف الأنف له دلالة جنسية . . فهذه العادات شائعة جدا بين الأطفال حتى نستطيع أن نقول : إنها بمثابة (عرف) سائد بين الكثيرين من الأطفال .

وعادة مص الأصابع عادة عابرة مؤقتة حتى سن معين ـ لكن إذا استمرت مع الطفل الى ما بعد سن الطفولة فهى دليل على توقف نمو الطفل لأن المراهق الذى يمص أصابعه هو إنسان غير ناضج وجدانيا بل وعقليا أيضا .

هذا ومن الملاحظ أن هذه العادة ـ مص الأصابع ـ تنتشر بين الأطفال العصابيين الذين ينامون قليلا ويتأففون حين طعامهم ويبكون كثيرا ويغضبون أكثر .

أسباب استمرار العادات السيئة مع الطفل :

وجد علماء التربية وعلم الاجتماع أن تأصل مثل هذه العادات الى مرحلة المراهقة ترجع الى الجو المحيط بالطفل فقد ثبت أن قلة



حنان الأم على طفلها تجعله يمص أصابعه التماسا للراحة والسلوى فى أوقات الضيق والعناء . . وأيضا إذا شعر الطفل بخيبة الأمل أو عندما يناله عقاب بدنى شديد أو تأنيب ولوم الى حد القسوة فتتعمق هذه العادات السيئة لديه ونستطيع باختصار أن نقول إن ظهورها مرتبط بسوء العلاقات بين الطفل والعالم الذى يعيش فيه.

علاج العادات السيئة لدى الطفل :

النصيحة الأولى والهامة هى عدم إتخاذ الآباء موقف متعنت تجاه الطفل لأن الشدة والعنف تجعل الصغير - وبصفة عامة - غير مستحب للأب والأم بل قد يشعر بالرضا والسعادة إذا عرف كيف يحنق على أبويه اللذين يعنفانه باستمرار.

فليحذر الآباء من الوقوع فى شَرَك الأبناء الماكرين لأن الأب الغاضب يعجز عن التصرف السليم مع طفله ويظهر بصورة مهزوزة تعكس ضعفه أمام طفله.

لذا يجب على الأبوين تجاهل الأمر تماما وعندما يضع أصابعه فى فمه نحاول أن نشغل يديه بأى عمل صغير مفيد كالتلوين أو محاولة تركيب لعبة مفضلة لديه - أو نقصّ عليه قصة لطيفة تجذب إنتباهه وتجعله يتسامى على هذه العادة السيئة البعيدة عن المظهر اللائق للطفل النظيف المنظم المهذب، وإذا لاحظت الأم أن طفلها يحاول جذب اهتمامها بالتمسك بهذه العادة أو غيرها فلتحاول أن تهتم بطفلها وتقرب منه أكثر وأكثر وتشعره بحبها وبعطفها وحنانها . . وإذا



سمح الآباء للطفل بمخالطة الاطفال الآخرين من نفس عمره فسوق يستفيد جدا من الاختلاط بهم حيث سيفهم ويدرك الأمور الصحيحة والسلوك القويم من أقرانه ويحاول أن يحذو حذوهم حتى لا يتعرض لتهكمهم عليه.

وليحذر الآباء من الظهور بمظهر الضعف امام الطفل بحجة تشجيعه على الاقلاع عن هذه العادة لأن ذلك يشعر الطفل بضعف أبويه. ولكن يمكن استغلال بعض الرغبات التى توجد فى نفس الطفل مثل الرغبة فى أن يصبح كبيرا وأن يعامل كرجل - فى اقناع الطفل بالتخلص من هذه العادات.

●● وأخيرا نقول مرة أخرى للآباء والأمهات لا تظهروا الضيق والقلق تجاه هذه العادات السيئة فى الطفل - ولا تعنفوه ولكن بمزيد من الحب والحنان والاهتمام يقلع الطفل عن هذه العادات.



أبوعواد



الورقة
٢٧٦

وأخيرا . . ظهرت الحقيقة . . لتتأكدى بنفسك . . أن بعض الظن اثم . .

الورقة
٢٧٧

قد أجد نفسى مضطراً أمام اصرارك على سرد معاناتك اليومية مع الأولاد كلما دخلت المنزل . . أن أقص عليك منغصات عملى . . لنجعل من طاولة السفرة منصة مرافعات .


٢٧٦

الزوجان الناجحان لا ينتظران على الهواجس والشكوك حتى تبنى عشوشها وتبيض وتفرخ لحظات من الضياع وعيون شاردة وحركات تائهة ليقولوا أخيرا ظهرت الحقيقة . انهما يتعاملان بسرعة مع هذه الأحاسيس بالمصارحة والوضوح والفهم حتى إذا لم يطلب منهم ذلك .

الورقة
٢٧٧

المنغصات على طاولة الطعام تؤذى الجهاز الهضمى وتسبب عسر الهضم وفقد الشهية . لماذا لا يخصص لها الزوجان وقتاً معيناً فى نهاية كل أسبوع مثلا ويعرف كل منهما ذلك . . ليس من الحكمة دائما أن نقول «البادى أظلم» أحيانا يكون من الحكمة أن «الاعلم أظلم» أو «الأحكم أظلم» .


٢٧٨

التقدم والعصرية مفاهيم فضفاضة تختلف من ثقافة الى أخرى لذا كان من الضرورى أن نعرفها ونعلمها لأولادنا وأحفادنا . . أما قضية المساواة هذه فهى لا تعنى شيئاً للمرأة التى تعرف مكانتها فى أسرتها وفى مجتمعها كعضوة تضفى على هذين


٢٧٨

إن أدعياء التقدم والعصرية . . وال ـ بريستيج ـ يا سيدتى ممن يدعون أنهم أنصفوا المرأة وساووها



هذه الأوراق تطلع عليها أم عمرو وتداوم قراءتها وتسجل خواطرها ولعلها آثرت أن تقابلها رأياً برأي .

المحيطين الصغير والكبير من لمسات وعطاء ما يجعلها أفضل وأحسن لمن يعيشون حولها .

الورقة
٢٧٩

بين الأزواج تكون الهزيمة واحدة لمن ينسحب ولمن يقف مزهواً بهذا الانسحاب . ثم يخيل الى أنني عادة أقرأ مصطلحات الانسحاب والصمود والكر والفر والمواجهة وخطوط الدفاع فى قصص المعارك والحروب أليس كذلك . ؟

الورقة
٢٨٠

كثير من المفاجاءات السارة التى تقدمها الزوجة تقابل من جانب الزوج على أنها واجبات منزلية عادية لا تستحق الملاحظة ، عندها تفقد الزوجة رغبتها فى إعادة المحاولة .

الورقة
٢٨١

الثقة كالصحة تذهب من فوهة جرة وترجع من ثقب إبرة لذا يسرى عليها ما يسرى على الصحة من كون الوقاية خير من العلاج .

بالرجل . . هم أنفسهم الذين امتهنوا كرامتها وخدشوا انوثتها . . واستحموا فى مستنقعات الرذيلة تحت ستار التقدم .


٢٧٩

إن الزوجة الذكية هى التى يكون شعارها فى كل مواجهة مع الزوج ـ الانسحاب ـ واللواتى يؤثرن الصمود فغالباً لا يحصدن غير خراب البيوت .


٢٨٠

المفاجأة . . «السارة» . . للزوج . . تشيع فى نفسه السعادة وتحمله على رد الجميل . . بل انها تستدرجه لتقديم تنازلات من جانبه .

الورقة
٢٨١

أنا معك يا سيدتى . . فجميع بنات حواء غيورات بالفطرة . . لكن ما يجعلنى أضيق ذرعاً بغيرتك فى بعض الأحيان . . هو أنها تتجاهل تماماً ما بيننا من ثقة . . وتكاد تتحول الى ناقوس خطر . . بدلا من أن تكون صمام أمان .







٢٨٢

أعرف أن المرأه تستمد جانباً من ثقتها بنفسها مما يكال لها من اطـراء وثنـاء.. حتى لو كان فى معظمـه دجـلاً.. ونفـاقـاً.. لكننى لن أنهج معـك هذا الأسلوب حتى لا أجد نفسى مضطراً لتسديد فواتيره.



٢٨٣

ما دمنا شيئاً واحداً كما تقولين.. فما هى الحاجة اذاً للمجاملات والتمثيل.. الا اذا كنت لا ترين غباراً اذا مارس المرء سياسة التدليس على نفسه.

٢٨٤

الزواج الثانى الذى ينظر إليه على أنه بدون دوافع وجيهة.. ينطوى على مبررات اكثر خطورة من تلك الدوافع المقبولة اجتماعياً.. وهو الزواج الذى يفضى الى مشاكل لا حصر لها.

٢٨٥

حين تنهش الألسـن وتنـال منى فى غيـابى وأنت تسمعين ما يقال ولا تتصدين وتنتصرين لى.. فانك بهذا تمارسين خيانة أدبية وتوقعين علىّ تحالفاً مع أعدائى.

٢٨٦

لا أعتقد أن الذين يشترطون أن تكون أعمار زوجاتهم أصغر من أعمارهم يستندون الى أسباب فسيولوجية كما يعتقد البعض أو كما يؤكد الآخر بهرم الزوجه قبل الزواج.. ولعل صعوبة انقياد اللواتى فى مثل سنهم أو يكبرنهم.. هو السبب الذى يجعلهم يبحثون عن صغار السن اللواتى يسهل البدء معهن من نقطة الصفر.

٢٨٢

إذا تنازل الرجال عن احتياجهم للثناء المعلن وغير المعلن المرئى والمسموع لانحلت نصف مشاكلهم مع المرأة.

٢٨٣

المجـاملة هى لطف فى التعـامـل تسـاعـد الانسـان على تحمل صعـوبـات الحيـاة ومتاعبها حتى ولو كانت موجهة الى النفس يستطيع الزوج أن يختصر جزءاً من فيض المجاملات التى يقدمها لرؤساءه ومرؤسيه وزملائه فى العمل بلا حدود ليخص بها زوجته وغالباً ما يعود ذلك عليه بالفائدة فى الجانبين العمل والأسرة معاً.

٢٨٤

الزواج الذى يفضى الى مشاكل لا حصر ولا حل لها لا يستحق أن يظل زوا جـا أولا أو رابـعـا

٢٨٥

تدافع الزوجة عن زوجها عندما تؤمن بسلامة موقفه وعندما لا تكون بحاجة لمن يهاجمه بدلا منها فى قضية تكون هى فيها المجنى عليه.

٢٨٦

التسامح والتفاهم وتقدير رأى موقف الطرف الثاني صفات لا

يملكها صغار السن إنها تحتاج للعمر لتتكون وتنضج. يطلب الأزواج صغار السن من الفتيات ليسهل قيادتهن ثم يقضون بقية حياتهم فى الشكوى من تفاهتهن وصغر تصرفاتهن.

٢٨٧

أفضل وسيلة للتعامل مع أسرة الزوجة هو أن يوكلها الزوج للدفاع عنه بدون أن ينسى دفع أتعاب التوكيل طبعاً.

٢٨٨

على الرغم من أن لكل جيل همومه ومشكلاته التى تختلف من جيل الى جيل إلا أن إرشادات الوالدين لأولادهم تكون مجدية فقط عندما يتفق عليها الأب والأم معاً وتتم فى الهواء الطلق وليس وراء الجدران المقفلة. الأبناء لا يحترمون شكوى الوالدين من بعضهما حتى لو كانت حقيقية.



٢٨٩

حقيقة أن بعض الحموات يتسببن فى مشكلات لبناتهن ولكن عادة ما تتحول الحماة الى أم إذا اقتنعت أنها ستكسب إبناً.

أم عمرو



٢٨٧

قدمت كل ما بوسعى لأهلك وكنت أنشد مزيداً من الاقتراب منهم.. فلم ازدد منهم الا بعداً.. فلم يعد يهمنى بعد اليوم سوى إرضاء ضميرى.. ابتعدوا منى أو اقتربوا فانهم من هذا البشر.. ورضاء الناس غاية لا تدرك.

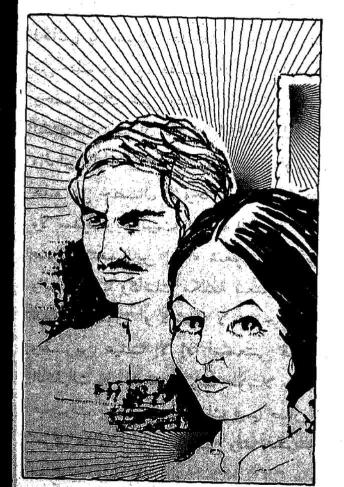
٢٨٨

على كل فتاة أوشكت الرحيل الى بيتها الجديد أن تختلى بوالدها.. وتطلب منه أن يحدثها بمنتهى الصراحة عن عدد المرات التى اختلف فيها مع أمها.. وأسباب ذلك الخلاف.

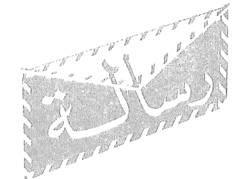


٢٨٩

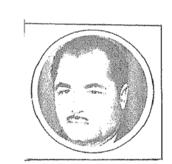
كثير من الفتيات يفشلن فى حياتهن الزوجية لا لشىء إلا لأن امهاتهن لم ينجحن فى أدوارهن كحموات.







محمد عبد الواحد حجازي



من زهير بن أبي سـ

حبيبتى أم كعب:

لشد ما آلمنى أن ترغمنى الأيام على أن اكتب إليك رسالتى هذه وأنت مغاضبة لى مستقرة عند أهلك تاركة بيتك وولدك بغير أن تفكرى فيهما أو تتذكرى ما يكلفنى إسعادك وراحتك من تعب ومشقة . . لكأنما يا حبيبتى خدعك ما طبعت عليه من حلم وورع، فظننت أن هجرك لبيتك وحرانك علىّ يمكن أن يحقق لك ما تشتهينه وهو أن تكون الكلمة كلمتك، والرأى رأيك والمشورة مشورتك . . وليست هذه من خصال الزوجة العاقلة الحكيمة ولا سلوك ربة البيت الواعية الأريبة . ولهذا صرت تتعمدين إيذاء شعورى بالتأنيب والتسخيف وكأنك مكلفة بتعذيبى على هذه الصورة أو كأنك لا ترتاحين نفسا وتقرين عينا إلا إذا أسمعتنى قوارص الكلمات . . لقد فكرت طويلا بعد أن هجرت بيتك الى أهلك فيما صار اليه أمرى فقلت فى نفسى وقد تذكرت أحوالك وتصرفاتك:

فيم لحت إن لومها ذُعُرُ
أحميت لوما كأنه الابر
من غير ما تلصق الملامة
إلا سخف رأى وساءها عُصُرُ
حتى إذا أدخلت ملامتها
من تحت جلدى ولا يُرى أثر
قلت لها يا اربعى أقل لك فى
أشياء عندى من علمها خبر

حبيبتى أم كعب:

عجيب والله أمرك . . حيرتنى أفعالك وأقوالك حتى ما عدت أعرف على أية وجهة أنت تسيرين وبأى عقل أنت تفهمين وتقدرين . . طوراً أراك حريصة على المال حتى لكأننا إذا أنفقنا درهما أو ضاع منا درهم توهمت أننا افتقرنا وأصبحنا نسأل الناس عفوهم وما يتصدقون به وهذا خطأ جسيم وضلال بينٌ . . إننى رجل له مقامه فى أهله وعشيرته وجيرته، يقصدنى القاصدون ويهفو إلى المحتاجون والمعسرون، فهل أكف يدى عنهم وأضن



ـــلمى الــى ..

عليهم بما أفاض به الله علينا من عميم الخير وسابغ النعمة؟ . .

ألم تعلمى يا أم كعب أن :

قد يقْبل المال بعد حين على الـ
ـمرء وحينا لهلكه دُبُرُ
والمال ما خوله الآله فلا
بد أن يحوزه قدر
والجد من خير ما أعانك أو
صلت به والجدود تهتصرُ
قد يقتنى المرء بعد عيلته
ويعيل بعد الغنى ويجتبر
والإثم من شر ما يصال به
والبر كالغيث نبته أمر

■ ومن عجيب أمورك التى حيرتنى وتحيرنى أنك لا تريدين منى أن أمدح كبار قومنا ومن لهم فضل لا علينا فحسب بل وعلى العرب أجمعين :

رأيتك تغارين من قولى فى هَرِم :

متصرف للحمد معترف به
للنائبات يراح للذكر
جلد يحث على الجميع إذا
كره الظنون جوامع الأمر
ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفرى
ولأنت أشجع حين تتجه الـ
أبطال من ليث أبى أجر

■ ورأيتك تغارين من قولى فيه :

أخى ثقة لا تهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فهل فى قومنا مثل هرم فى شجاعته وإقدامه وفى حيائه وتقواه ، وفى سخائه وبره؟ . .

كم نلنا من خيره وأنت تعلمين. . وكم نلنا من جزيل عطاياه وأنت تعلمين. . فهل نجزيه بالخير شرا؟ وبالمعروف تنكرا وجحودا؟

■ ومن عجيب طباعك يا أم كعب أنك تحبين سماع أخبار الحروب وسفك الدماء وكأنك عاشقة للدمار والخراب. والدليل على ذلك أنك تكرهين منى أن أسعى بين الناس بالخير. . أن أعاطف بعضهم على بعض. . أن أبصرهم بمخاطر الحروب وما تخلفه فيهم. . لقد رأيتك تتهكمين عليّ حين قلت للمتقاتلين:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضرّيتموها فتضر
فتعرككم عرك الرحا بثفالها
وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئ

حبيبتى أم كعب:

ألست على يقين من أننى أُجلّ قومك بنى سحيم وأحترمهم ولا أتمنى لهم إلا كل خير؟

متى تذكر ديار بنى سحيم
بمقلية فلست بمن قلاه
همُ ولدو ابنى وخلت أنى
إلى أربيته عمد ثراه
هم الخير البجيل لمن بغاهمْ
وهم نار الغضى لمن اصطلاه

فلماذا إذن تذهبين الى أهلك وتقولين تزرنا؟. . فلا والله مالك من مزار. .

رايتك عتبتنى وصددت عنى
فكيف رأيت عرضى واصطبارى
فلم أفسد بنيك ولم أقرب
إليك من الملمات الكبار
أقيمى أم كعب واستقرى
فإنك ما نزلت بها بدار

حبيبتى أم كعب:

حاولت أن أعلل سبب هجرك لبيتك وسلاطة لسانك فقلت فى نفسى: ما الذى غيرها هكذا يازهير؟ هل بلغتها أخبار حبك لأسماء وما جرى بينك وبينها من أحاديث الهوى والوصال أو الخصام والهجران وذلك



حيث قلت :

صرمت جديد حبالها أسماء
ولقد يكون تواصل وإخاء
فتبدلّتْ من بُعْدِنا أو بدلت
ووشى وشاة بيننا أعداء
فصحوت عنها بعد حب داخل
والحب تشربه فؤادك داء
ولكل عهد مخلف وأمانة
فى الناس من قبل الآله رعاء
خود منعمة أنيق عيشها
فيها لعينك مكلأ وبهاء
وكأنها يوم الرحيل وقد بدا
منها البنان يزينها الحناء
بردية فى الغيل يغذو أصلها
ظل إذا تلع النهار وماء
أو بيضة الأدحى بات شعارها
كنفا النعامة جؤجؤ وعِفَاء

■ ولعل غيرتك ترجع الى أننى اشتقت الى أم أوفى زوجتى الأولى وأنت تعلمين كم كنت أحبها وأهنأُ بوصالها . . فمما لا أنكره أننى ذهبت الى حيث كانت دارها فتذكرت أيامى معها واسترجعت بخيالى صورتها الجميلة يوم كانت تخطر فى بيتها وبين أبنائها . . تذكرتها وتذكرت عشرتى معها ، فماذا وجدت؟ .

أمِنْ أم أوْفَى دِمنةٌ لم تكلَّم
بحومانة الدرّاج فالمتثلّم
لها العين والآرام يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

حبيبتى أم كعب :

تذكرى يا حبيبتى أننى حين تزوجتك وكانت أم أوفى زوجة لى لم أقبل منها أن تسىء معاملتك بدافع من الغيرة التى سعرت قلبها وشعورها ، وأننى كنت دائما أوفق بينكما بقدر ما أستطيع وإن كنت على يقين من أنه يستحيل إصلاح ما بين الضرائر أو التوفيق بينهم .

ومن كثرة ما كنت أكفها عنك باللين مرة وبالزجر والتأنيب مرات فإنها فضلت الطلاق فطلقتها . . ولكننى ندمت بعدها :

لقد باليت مظعن أم أوفى
ولكن أم أوفى لا تبالى

حبيبتى أم كعب :

اعلمى يا حبيبة العمر أن :

من لا يصانع فى أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

واعلمى يا حبيبة العمر أنه قد :

بدا لى أن الناس تفنى نفوسهم
وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
بدا لى أن الله حق فزادنى
الى الحق تقوى الله ما قد بدا لى

■ فارجعى الى الحق . . الى بيتك وأولادك . . يا أجمل النساء . . يا أم كبشة . .

قيد الصيد!

قال أبو تراب: نبّهنى الشيخ الفاضل المحقق المحدّث ابو الأشبال الشاعف مصحح كتاب «تحفة الأشراف» للحافظ المزّى على أنى أخطأت فى اعتمادى على نسخة «لسان الميزان» المطبوعة ج٥ ص٣٤٨ فى تصويب (أحمد بن المعمر) وتخطئة (أحمد بن الغمر) الوارد فى سند أثر أورده الحافظ ابن حزم فى رسالة الملاهى (ص٩٥) وذكرت ذلك فى كتابى «أوهام الكتاب» ص١٩٢ حين كنت أتعقب الدكتور احسان عباس، وورد مثله فى المحلّى (ج٩ ص٥٧) والحق أن ما فى «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر تصحيف والصواب ما أثبته المحدث الشهير الشيخ أحمد شاكر فى المحلّى وهو أحمد بن الغمر، وترجمته فى اللسان ج١ ص٢٤٤ وذكره ابن ماكولا فى الاكمال والحافظ ابن حجر فى تبصير المنتبه ج٢ ص٩٧١.

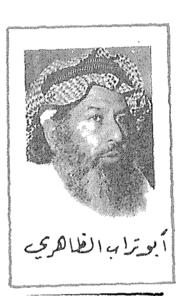
قال أبو تراب: وعذرى فى ذلك أن هذه الكتب لم تكن تحت يدى وهى مخطوطة آنذاك، واعتمادى على ما جاء فى لسان الميزان مصحّفاً أوقعنى فى هذه السقطة، والعصمة من الخطأ ليست للبشر.

قال أبو تراب: واستفدنا فى هذه المراجعة مع الشيخ أبى الأشبال ما لم أتنبه له من قبل، وهو ورود (ابن سفيان) فى ذلك السند فى الرسالة المذكورة، وكذلك وروده فى لسان الميزان (ج٥ ص٣٤٨) وهو تصحيف، ولم يصحّحه الدكتور احسان عباس، والصواب (ابن شعبان) كما فى المحلّى (ج٩ ص٥٧) والديباج ج٢ ص١٩٤ والمؤتلف والمختلف للأزدى ص٧٤ والمؤتلف والمختلف للدارقطنى ج٤ ص١٩٣٨.

قال أبو تراب: إلا أن فى هذا السند المشار اليه فى المحلى خطأ فى موضعين أحدهما: (محمد بن أحمد بن الحلاض) والصواب (الخلاص) كما فى جذوة المقتبس للحميدى (ص٧٧) والثانى: (وهو ابن نعيم) والصواب (أبو نعيم).

قال أبو تراب: ومجمل القول أن (أحمد بن الغمر) ورد تارة بلفظ (العمر) وتارة بلفظ (المعمر) وكلاهما خطأ، وورد فى اللسان، والرسالة (ابن شعبان)، بلفظ (ابن سفيان) وهو خطأ، وفوق كل ذى علم عليم.

قال أبو تراب: جاء فى مسائل نافع بن الأزرق التى سأل عنها ابن عباس رضى الله عنهما وهى فى معجم الطبرانى



وأوردها السيوطي في الاتقان: أن ابن عباس أنشده عند قوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثاً ورئيا﴾ قول الشاعر:

كأنّ على الحمول غداة ولّوا
من الرئيِ الكريم من الأثاث

قال أبو تراب: فاتت هذه المادة محمد فؤاد عبد الباقي، فلم يوردها في مسائل نافع بن الأزرق التي ألحقها بمعجم غريب القرآن المستخرج من صحيح البخاري.

قال أبو تراب: فسّر ابن عباس رضي عنهما النحاس في قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾ بالدخان الذي لا لهب فيه وشاهده قول الجعدي ونسبه الطبري الى نابغة بني ذبيان:

يضيء كضوء سراج السليط
لم يجعل الله فيه نحاسا

قال الأزهري: وهو قول جميع المفسرين.

قال أبو تراب: وهذه الدعوى غير صحيحة. والعجب من الزبيدي انه اعتمد على هذه الدعوى على سعة اطلاعه، وهو قصور عظيم نبهت عليه في شواهد القرآن، وفي تفسير الطبري: أما النحاس فالله أعلم بما أراد، وقال بعضهم: عنى به الدخان وهو قول ابن عباس وسعيد، وقال آخرون: عنى به الصُّفْر، ورُوي ايضاً عن ابن عباس ومجاهد، وسفيان وقتادة واختار ابو جعفر القول الأول لتنويع العذاب.

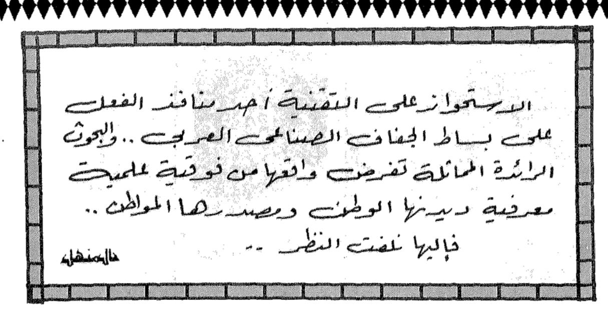
قال أبو تراب: جاء في لسان العرب: الفوم الزرع أو الحنطة، قال: وأزد الشَّراة يسمون السنبل فوماً الواحدة فومة.

قال أبو تراب: كذا في اللسان والجمهرة والصواب: أزد السراة لأنهم يُنسبون اليها، وأما الشَّراة فليست لهم. والعجب أن محمد فؤاد سزكين نقله في تعليقه على مجاز القرآن لأبي عبيدة (ج١ ص٤١) فلم يتنبه للغلط.

جاء في شواهد ابن عباس رضي الله عنهما لقوله: «وأطعموا البائس الفقير» قول طرفة بن العبد البكري منسوباً اليه.

يغشاهم البائسُ المرقّع
والضيف وجار مجاوُرُ جُنُبُ

قال أبو تراب: وليس هو في ديوانه المطبوع.



التنمية والاستحواذ على التقنية من قِبَل السعوديين



الفكرة الاساسية فى العملية التنموية انها وسيلة للوصول الى الاهداف القصوى التى يسعى الى تحقيقها البلد النامى. . بيد ان البلدان النامية تختلف من حيث الاهداف القصوى التى تريد ان تحققها لنفسها كحصيلة للعملية التنموية التى تقوم بها. . فدول نامية ـ كجمهوريات الموز مثلا ـ لا تطمح الى اكثر من ان تحقق لابنائها مستوى معيشيا يفوق المستوى المعيشى الذى هم فيه وقت بدء العملية التنموية ـ ومعيارها فى ذلك هو المقارنة التى تجريها من وقت لاخر بين المستوى المعيشى الذى تحققه والمستوى المعيشى الذى حققه ابناء الدول الاكثر تطورا منها. . ولذلك فان مجال عمليتها التنموية ينحصر فى السعى لتوفير المزيد من الرخاء وتأمين المزيد من فرص العمل لابنائها ـ ويتم ذلك بتوفير رأس المال وبناء المشاريع التى تقوم على استغلال مواردها الطبيعية من زراعة وخلافه واقامة الانشطة اللازمة لذلك. . وبطبيعة الحال فلابد لها ان تعمل على تعليم ابنائها وتدريبهم على ادارة وتشغيل هذه المشاريع او العمل فيها لان هذا هو الذى يحقق المزيد من فرص العمل لمن يستطيع ان يعمل. . وكلما تحقق المزيد من فرص العمل التى يمكن شغلها ازداد دخل الفرد. . وكلما ازداد دخل الفرد وامكن الادخار ازدادت فرصة انشاء المزيد من المشاريع الموفرة لفرص العمل. . وهكذا تستمر العجلة الانهائية الى ان يكون فى امكان اكثر الناس ان يعملوا ويعيشوا فى بحبوحة من العيش.

نظرنا الى طبيعة هذه الاهداف القصوى التى تطمح هذه الدول الى تحقيقها نجد انها تنحصر فى حدود لقمة العيش ليس الا . . ولا شك ان هدفا كهذا هو هدف محدود جدا. . . وفى نفس الـوقت هو هدف مقيـد للاراده. . والدول التى من هذا النوع قد تكون معذورة فى محدودية اهدافها لان وضعها وظرفها قد لا يتطلبان منها ـ ولا يفرضان عليها وربما لا يسمحان لها (شاءت أو ابت) ان تقوم بدور اسمى وأكبر من هذا الدور.

لكن دولا نامية اخرى قد تجد ان وضعها وظرفها يختلفان عن ذلك بكثير. . فقد تجد ان عليها ـ شاءت او لم تشأ ـ ان تسعى لتحقيق شىء يتجاوز حدود مستوى لقمة العيش الرغيد الى اهداف اهم وأسمى ـ وما يحدد هذه الاهداف القصوى لهذا النوع من الدول هو طموحاتها أو تراثها وحضارتها ومسؤولياتها امام نفسها وامام الاخرين. . ولكن كلما ازدادت اهمية اهدافها القصوى وسمت تطلب منها ذلك الدخول بقدر اكبر واخطر فى خضم الصراع العالمى. . . ذلك ان سعيها لتحقيق هذه الاهداف يعنى انه لابد ان تكون لها ارادة فاعلة. . واذا كان لابد من ان تكون لها ارادة فاعلة فان هذه الارادة قد تتعارض وتصطدم مع الارادة الفاعلة للآخرين سواء بالحق او بالباطل. . وتنبع المشاكل بين الدول عادة من تعارض الارادات واختلاف النوازع ـ وهذا يعنى انها عندما تريد ان تمارس ارادة متعارضة مع ارادة دول اخرى فقد تجابه ببعض المخاطر التى لابد لها ان تكون قادرة على تلافيها. . . فهى سوف تمارس ارادتها فى معترك يتطاحن فيه عالم متصارع ـ البقاء فيه للاقوياء. . وهذا يحتم عليها ان تمتلك الوسائل التى تحمى بها نفسها لتحقق اهدافها وتؤدى دورها.

ويثبت الواقع الملموس ان اهم ما يجب ان تنميه الدول النامية التى لها مواقف وتقبل التحدى لكى تحافظ على نفسها وكيانها وتحقق ارادتها هو القدرة الذاتية ـ لان العالم المتصارع الذى تتعامل معه يملك هو الاخر قدرة ذاتية تمكنه من تحقيق ارادته ومطامحه وفرضها على من لا يملك القدرة الذاتية. . اذا: فلا مفر من ان تنطلق الدول النامية التى من هذا النوع فى عمليتها التنموية من منطلق يؤدى فى النهاية الى امتلاك القدرة الذاتيه التى تجابه بها القدرة الذاتية للاخرين وتردعهم اذا ما ارادوا التعدى على حقوقها وارادتها.

هناك اربعة اسس لابد للدولة النامية ان تعمل على ترسيتها لكى تحقق لنفسها قدرتها الذاتية وهى الاتى:

اولا: معرفة واضحة وشعور عميق بالدور الذى يتحتم عليها القيام به فى هذا العالم المتصارع.
ثانيا: الرغبة التى لا يشوبها تردد فى القيام بهذا الدور والتصدى بكل حنكة للتحديات مهما كان مصدرها.
ثالثا: بناء اجتماعى سليم يصبح فيه الانسان الضمير الواعى للدولة النامية.
رابعا: بناء القاعدة التكنولوجية والصناعية الذاتية النمو والتطور التى تكون بمثابة الاداة الطيعة فى يد هذه الدولة النامية.

■ وبقدر سلامة ورسوخ كل اساس من هذه الاسس يكون قدر القوة الذاتية التى تصبح تحت تصرفها. . وكلما نال الضعف من اساس من هذه الاسس كلما لاحظنا ضعفا وخللا فى القدرة الذاتية. . والواقع المشاهد يثبت لنا انه

بدون القدرة الذاتيه فانه لن يتمكن بلد من تحقيق اهدافه ولا يمكن له القيام بمسؤولياته بالطريقة الصحيحة .

■ ان هذا البحث لا يهدف الى معالجة جميع هذه الاسس فذلك موضوع لكتاب قد ينشر قريبا ـ لكن الغرض منه هو معالجة مقتضبة ومركزة للاساس الرابع وهو بناء القاعدة التكنولوجية والصناعية الذاتية النمو والتطور مع بعض الاشارة الى الاسس الاخرى . . وحقل البحث سيكون المملكة العربية السعودية .

■ نحن دولة عربية اسلامية . . دستورنا الذى نطبقه القرآن الكريم والسنة الشريفه . . ان هذا الدستور هو اعظم منهج يمكن لأى بلد ان ينتهجه وعن طريقه يمكنه ان يحقق بناء شاملا كاملا اسمى غرضا وابعد مدى مما يستطيع تحقيقه عن طريق اى منهج آخر . . وهو كفيل بافراز البناء الاجتماعى السليم الذى لا يضاهيه اى بناء اجتماعى آخر فى سلامته وقوته . . وانما نقول هذا من موقع الثقة والاطمئنان وهناك من البراهين ما اقنع اكثر من محفل علمى بعظمة هذا المنهج وسلامته المتناهية . . ان التزامنا بهذا الدستور يعنى ان دورنا فى هذا العالم المتصارع واضح لنا تمام الوضوح وبالتالى فاهدافنا ايضا واضحة تمام الوضوح لنا وللجميع ـ كما ان لدينا الرغبة الاكيدة فى ان نقوم بدورنا الذي يمليه علينا هذا المنهج الربانى العظيم .

■ الاداة الطبيعة التى لابد من توفيرها فى ايدينا لتحقيق القدرة الذاتية التى تلزمنا فى مسعانا هى القاعدة التكنولوجية والصناعية السعودية القوية الذاتية النمو والتطور . . وهذه لا تتأتى الا اذا استحوذ ابناء المملكة العربية السعودية على التقنية الحديثة بشكل حاسم وسريع وبناء بما يمكنهم ليس من ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية فحسب ـ بل ومن اجراء العمرات الشاملة . . وصنع واختراع المعدات الصناعية . . والابتكار فى الصناعة من قبل نخبة من العلماء والخبراء والاخصائيين التكنولوجيين السعوديين الذين سوف تتكون منهم هذه القاعدة التقنية الوطنية السعودية القادرة على الاختراع والابتكار والانطلاق الى افاق الصناعة الارحب .

■ وكيفيـة الاستحواز على التقنية الحديثة بالشكل الذى اسلفنا موضوع يحتاج الى مناقشة متكاملة وبناءة ـ ولو مقتضبة ـ وهذا يستدعينا ان نتطرق الى ثلاثة جوانب من الموضوع على الاقل :

الجانب الاول يتعلق بالتعريف بالتقنية وايضاح مفهومها واهميتها بشكل محدد . . والجانب الثانى يتعلق بتحديد السبل التى تمكننا من الاستحواز على التقنية الحديثة بشكل حاسم وسريع وبناء . . . والجانب الثالث يتعلق بتحديد اهم المشاكل التى تعترضنا فى سبيل استحواز ابنائنا على التقنية وما هى الحلول الملائمة لهذه المشاكل .

الجانب الاول : التعريف بالتقنية وايضاح مفهومها واهميتها بشكل محدد .

التقنيـة هى القـدرة الفعـاله المستمدة من تلقى العلوم والتمرس فى استخدامها وتطبيقها على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية وصيانة واصلاح وصنع واختراع المعدات الصناعية .

وتعريف التقنية بهذا الشكل يجعل مفهومنا لها يتخطى حدود كونها المعرفة والخبرة اللازمة لادارة وتشغيل المشاريع الى صميم الاستحواز على التقنية لنتمكن من الصنع والانتاج والاختراع والابتكار للمعدات الصناعية والدخول الى افاق الصناعة الارحب التى تلبى لنا ما نريد .

■■ الاستحواز على التقنية بهذا المفهوم الواسع لابد له ان يمر بخمسة مراحل يعتمد بعضها على بعض ـ وهى مرحلة تحقيق القدرة على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية . . ثم مرحلة تحقيق القدرة على الصيانه واجراء العمرات العموميه . . ثم مرحلة تحقيق القدرة على صنع بعض الاجزاء والمعدات الصناعيه . . ثم مرحلة القدرة على الصنع

الكامل للمعدات الصناعية . . . واخيرا المرحلة الخامسة التى يستطيع فيها العلماء والتقنيون السعوديون ان يبتكروا ويخترعوا فى مختلف المجالات الصناعية . . وتسلسل المراحل بهذا الشكل ضرورى جدا لانه بهذا التسلسل تنمو المقدرة التقنية من مرحلة اقل تعقيدا الى مرحلة اكثر تعقيدا . . كما ان عملية الاستحواز على التقنية يجب ان تتم بشكل حاسم وسريع وبناء ولذلك فهى لابد لها ان تتم خلال فترة لا تتجاوز عشرين عاما .

■■ واى دولة نامية تتبنى فكرة الاستحواز على التقنية بهذا الشمول وهذه السرعة انها تقوم بتضييق الفجوة التقنية بينها وبين الدول المتطوره وبالتالى تكسب نفسها مزيدا من القدرة الذاتيه . . والواقع ان الفرق بين ضعف الدول النامية وقوة الدول المتطورة انما هو بمقدار الفجوة التقنية بينهما . . والاقتصار على اعتبار نقل التقنية بأنها تدريب المواطنين على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية خطير جدا لان ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية ليست الا مرحلة واحدة فقط فى عملية الاستحواز على التقنية ولابد من الاستحواز على تقنية المراحل الاربعة الاخرى لكى يكون فى الامكان تحقيق القدرة الذاتيه . . وما لم تحاول هذه الدول النامية من حسم موضوع استحوازها على التقنية بهذا المفهوم الواسع فانها ستنمو ولكن لتكون بلدانا مستعملة ومستهلكة من الدرجة الاولى لما تنتجه الدول المتطورة من سلع ومعدات ومصانع .

الجانب الثاني : السبل التى تمكن من الاستحواز على التقنية من قبل المواطنين السعوديين .

الوسائل المتبعة حاليا للاستحواز على التقنية فى اغلب البلدان النامية هى الوسائل التقليديه لتلقى العلم والتدريب وهى تتمثل عادة فى الجامعات والمعاهد الفنية والمهنية والبعثات الخارجيه والتدريب فى المشاريع . . ولا يمكن لأحد ان يشك فى اهمية هذه الوسائل التقليديه ـ لكن الواقع المشاهد فى اغلب الدول النامية يثبت ان الاعتماد على هذه الوسائل وحدها لم يحقق الاستحواز على التقنية بالمفهوم الواسع والشامل لها . . والسبب فى ذلك هو انعدام عامل هام جدا لابد ان يتوفر لكى يتم الاستحواز على التقنية بشكل حاسم وسريع وبناء . . والعامل الذى لابد من توفره لكى يتم الاستحواز على التقنية بهذا الشكل هو: ان ارتباطا وثيقا بين العلم الذى يتلقى وبين التطبيق العملى لهذا العلم لابد ان يتوفر بتنسيق بالغ وبشكل متزامن . . ولابد من ايجاد المناخ الذى يوفر الارتباط الوثيق والتفاعل المستمر بين وسيلة نقل العلم ووسيلة تطبيقه على مدى المراحل الخمس التى تنمو فيها القدرة التقنية وتتطور من مرحلة الى مرحلة . . ولابد ان يستمر هذا الارتباط والتفاعل دونما انقطاع الى ان تكون القاعدة التقنية الوطنية القوية الذاتية النمو والتطور.

■■ واذا دققنا النظر فى وسائل نقل المعرفة التقليدية التى اشرنا اليها نجد انها لا توفر هذا العامل الهام ـ فهى اما وسائل لتلقى العلم فحسب واما وسائل للتدريب معزولة عن الارتباط الوثيق والتفاعل المستمر اثناء النمو المرحلى للقدرة التكنولوجيه . . وحقيقة كهذه ليس فيها اقلال لقدر وقدرة هذه الوسائل ـ فهى وسائل ضرورية ولازمة سواء اثناء مراحل العملية التنموية او بعدها ولكنها ليست الوسائل الحاسمة للاستحواز على التكنولوجيا بالشكل الذى اشرنا اليه وفى ظروف معينة.

إذاً: بالاضافة الى الاستعانة بالوسائل التقليدية لنقل المعرفة فان الوسيلة التى تحقق لنا الاستحواز على التقنية بالشكل الحاسم والسريع والبناء هى الوسيلة التى تؤمن لنا ذلك العامل المفقود فى الوسائل التقليديه ـ ولنسم هذه

الوسائل الجديدة بالوسائل غير التقليدية للاستحواز على التقنية.

■ ان ابحاثا مستفيضة قد اجريت على هذا الموضوع فوجدنا ان نوعا من الصناعات الرائدة لها القدرة على توفير هذا العامل المفقود الذى اوضحناه قبل قليل ـ وهناك خصائص اخرى لابد ان تتوفر فى هذا النوع من الصناعات لكى تكون صناعة رائدة ناقلة للتقنية بالمفهوم الواسع الشامل وهى :

[١] انها لا تشكل عبئا على وسائل نقل المعرفة التقليديه بل تكون رافدا رئيسيا لها. . فهى تخرج اليد العاملة ـ التقنيـة العـاليـة الكفـاءة التى تحتاجها هى ومشاريعها المنبثقة منها والداعمة لها وبعد ان تكتفى بسد حاجة مشاريعها التى تشكل قاعدة صناعية متكاملة يستمر تخريجها لمثل هذه اليد التقنية الى المشاريع الصناعية الاخرى.

[٢] انها ذات قدرة على تذويت ـ او تساعد مساعدة فعالة على تذويت العملية الصناعية والاقتصادية. . فهى فى مقدورها ان تمكن المجهود التنموى الوطنى ككل ـ وخلال عقدين او ثلاثة عقود من الزمن على اكثر تقدير ـ من تحقيق البنـاء الصناعى والاقتصادى الراسخ السليم الذى يعتمد على ذاته فى الاستمرار والتطور بايدى المواطنين انفسهم وبفعل عقولهم المبتكرة المخترعه.

[٣] انها تلبى حاجات حيوية للوطن وان تكون هذه الحاجات الحيوية ذات صفة مستمرة الى ابعد مدى ممكن وبالتالى تستمر الحاجة اليها للوفاء بها وتضمن لهذه الصناعة الرائدة ان تستمر فى اعطاء مساهماتها تبعا لذلك.

[٤] انها تحقق استخداما أمثل لليد العاملة الوطنية النادرة فهى تدرب اليد العاملة وتستفيد منها فى مرحلة من مراحل النمو التقنى. . ثم تطورها وتنقلها الى مرحلة اكثر تعقيدا فى مراحل النمو التقنى. . وتستفيد منها وتستمر فى هذا التطوير الذى يؤدى الى ابراز وايجاد القدرة المخترعة والمبدعة لدى عدد كبير من هذه الايدى العاملة ـ وبذلك يبرز منهم العلماء التقنيون والخبراء والاخصائيون التقنيون الذين يستطيعون ان ينشئوا انشطة صناعية حيوية اخرى.

[٥] انها لا تعتمد على مصدر قابل للنضوب فهى يجب ان تمتلك المرونة الكافية والقدرة على الانتقال من خدمة غرض معين الى خدمة غرض اخر كلما تطلبت ذلك احتياجات المرحلة التنموية التى يمر بها البلد النامى.

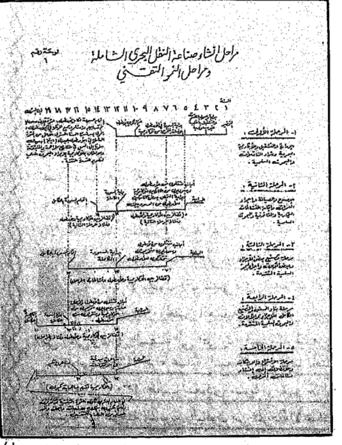
[٦] انها لا تحتاج الى الشريك الاجنبى سواء فى الادارة او رأس المال لان الشريك الاجنبى اذا كان مفيدا فى مشاريع معينه فهو فى هذه المشاريع الرائدة المقصود من انشائها الاستحواز على التقنية يعتبر عائقا كبيرا لانتقال التقنية الى الايدى الوطنية. . وبالتالى فان شرط عدم وجود الشريك الاجنبى فى مثل هذه المشاريع يعتبر امرا جوهريا.

٧ كانت الدول النامية تختلف فى الكبر وعدد السكان ومستوى النمو والمطالب فانه من الصعب تحديد صناعة رائـدة بعينهـا يتبنـاهـا الجميع. . ولكل بلد نامٍ يريد الاستحواز على التقنية وتضييق او غلق الفجوة التكنولوجية بينه وبين الدول المتطوره ان يحدد الصناعة الرائدة او عدداً من الصناعات الرائدة التى يتوفر فيها العامل المفقود الذى اشرنا اليه بالتحديد وكذلك الخصائص التى اوردناها. . كما وانه لتشابه عدد من الدول النـامية فى الصفات فانه يمكن لكل منها ان يتبنى نفس الصناعة الرائدة التى تتبناها شبيهاتها من الدول النامية لتحقيق عملية الاستحواز على التقنية بالشكل الحاسم والسريع والبناء.

وبالنسبة لنا فى المملكة العربية السعودية: وفى عدد من الدول التى لها ظروف تنموية تتشابه مع الظروف التنموية للمملكة العربية السعودية ـ تعتبر صناعة النقل البحرى الشاملة اهم الصناعات الرائدة والتى يمكنها ان

تحقق لنا هذه القفزة التقنية خلال عشرين عاما فقط ابتداء من المرحلة الاولى ومرورا بالمرحلة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة . . صحيح انه توجد صناعات حيوية اخرى يمكنها ان تؤدى دورا هاما فى نقل التقنية كالصناعات الزراعية . . وهى ايضا لها اعتبارات غاية فى الاهمية ولكنها لا تستطيع ان تحقق جميع المراحل الخمس وبالشكل الذى اشرنا اليه سابقا . . ومن المستحب بطبيعة الحال اقامة مثل هذه المشاريع التى قد تحقق مرحلة او مرحلتين من مراحل النمو التقنى ولكن عصب الصناعة الوطنية الكبرى وعصب القاعدة التقنية الوطنية الاساسى هى صناعة النقل البحرى الشامله . . والمقصود بالشمول فى هذه الصناعة البحرية هو انها تشمل المرحلة الاولى : وهى مرحلة الادارة والتشغيل للاسطول واجراء الابحاث - والمرحلة الثانية : وهى مرحلة اجراء الصيانة والعمرات الاساسية على السفن والاجهزة واجراء الابحاث والتجارب الاكثر تطورا . . والمرحلة الثالثة : وهى صنع بعض الاجزاء الهامة واجراء المزيد من الابحاث والتجارب الاكثر تطورا على انشاء المحركات والمكائن . . والمرحلة الرابعة : وهى مرحلة انشاء السفن والمحركات واكثر اجزاء السفينة بالايدى الوطنية . . والمرحلة الخامسة : وهى المرحلة التى يتوفر فيها العدد الكافى من العلماء والخبراء التكنولوجيين السعوديين الذين يمكننا ان ننطلق بهم الى مجال الصناعة الانتاجية الارحب .

وسنرى فيما يلى كيف يمكن لبلد كالمملكة العربية السعودية ان يحقق من خلال انشاء صناعة رائدة كهذه المراحل الخمسة للنمو التقنى واستحواز التقنية من قبل ابنائنا السعوديين . . وستتحدث بايجاز عن مرحلتين فقط لان ذلك يعطينا صورة واضحة عما يمكن ان يتم فى المراحل الباقية .



المرحلة الاولى من مراحل الاستحواذ على التقنية : مرحلة الادارة والتشغيل والابحاث .

■ نحتاج فى هذه المرحلة الى تكوين نواة تقوم عليها فيما بعد جميع انشطة صناعة النقل البحرى الشاملة تتكون هذه النواة من شطرين متكاملين يحققان الارتباط بين تلقى العلم وتطبيقه الذى نفتقده فى وسائل نقل المعرفة التقليديه .

الشطر الاول من النواة : هو اسطول سعودى من ناقلات البترول والمنتجات . . وكما نرى فى اللوحة المرفقة رقم (١) فان هذا الاسطول ينشأ خلال فترة لا تتجاوز عشر سنوات على اكثر تقدير . . طاقة هذا الاسطول يجب ان تكون كافية لاحداث المساهمات الفعاله لخلق الانشطة وبالتالى نقل التقنية الى ايدى المواطنين وكذلك تحقيق نسبة تتماشى مع مطالب الدول النامية الراغبة فى تكوين اساطيل خاصة بها . . وحسب تقدير دقيق اجرى فى هذا الصدد فان طاقة اسطول الناقلات الذى أقترح ان تبنيه المملكة العربية السعودية هى ٠٠٠ر٥٠٠ر١٢ طن

ساكن. هذه الطاقة تكفى لنقل ما نسبته ١٢٪ من بترولنا بطاقة انتاجية مقدارها عشرة مليون برميل يوميا. . ويتكون هذا الاسطول من عدد من الناقلات لا يقل عن مائة ناقلة باحجام مختلفة تتناسب وحاجة الاسواق التى يقرر خدمتها. . ولابد من ضمان تشغيلها لنقل بترولنا على مدار السنة.

ولكى تتضح لنا اهمية الناقلة بشكل اكبر فهى اشبه ما تكون بقرية صغيرة ولكنها قرية تعوم على الماء وتتنقل فى بحار العالم. . ولكى تضمن سلامتها وسلامة مديريها ومهندسيها ومشغليها فلابد ان تبنى وتجهز بالوسائل والمعدات المعتمدة على احدث ما توصل اليه العصر فى المجال التقنى وهى تشمل تنوعا عديدا من الوظائف والتخصصات التى يتطلب كل منها ادراكا وحذقا كبيرين ـ ففيها مديرها العام وهو قبطانها ومديروها الاداريون والمديرون الفنيون من مهندسين ذوى تخصصات عالية ومتعددة. . ولابد ان يتوفر فيها العدد الكافى من الفنيين المتخصصين فى التقنية الالكترونية وما الى ذلك ـ وكذلك مختلف المهن الاخرى بما فى ذلك السباكين والطباخين. . فالناقلة فى الواقع هى تكامل فنى ادارى مهنى عظيم التنسيق والكفاءة والتخصص التقنى وتنوعه. . ويندر ان يتوفر مثل هذا التجمع فى حيز واحد كغيرها. . ولذلك نجد ان الكثير من عظماء العالم وابناء الاسر المالكة والاسر الكبيرة فى البلاد المتقدمة يلتحقون بالاسطول البحرى بعد اكمالهم دراستهم الثانوية ليعملوا فيه لان العمل فيه يكسبهم الانضباطية والرجولة وحسن التدبر والتصرف السريع.

امـا الشطر الثانى من النواة فى هذه المرحلة الاولى من انشاء الصناعة الشاملة للنقل البحرى فهو الاكاديمية البحرية السعودية. . يجب ان تنشأ هذه الاكاديمية على أعلى مستوى من حيث كفاءة المدرسين والمشرفين والمعدات الخاصة بالتدريس والبحوث واجراء التجارب وبحيث يكون فى امكان اكاديمية كهذه تخريج الشباب السعودى وقد تزودوا بالعلوم المتقدمة والخبرة اللازمة لتطبيق هذه العلوم فى وظائفهم واكتسبوا من انظمتها وقواعدها الانضباط الذى يحتاجه العمل البحرى والذى يحتاجه ايضا الشباب الذى ستلقى على عاتقه مهمة من اصعب المهمات فى مسيرة تطور الامم وهى القيام بانشاء وترسيخ القاعدة التقنية الصناعية فيها. . وسيكون هذا الانضباط شاملا بحيث تتسم به اعمالهم سواء على ظهر السفن او اثناء عملهم فى النشاطات الارضيه المختلفه كما وانها تمدهم بوسائل التجارب والابحاث اثناء عملهم فى جميع المراحل الخمسة اللازمة لانشاء جميع النشاطات المختلفه لهذه الصناعه.

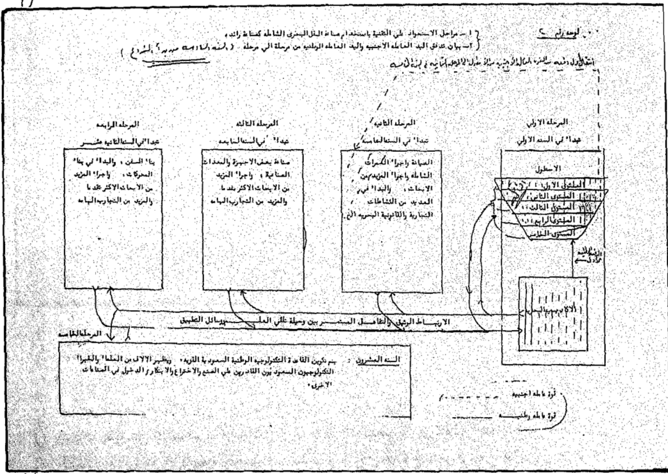
هدفنا فى المرحلة الاولى ومدتها اثنتا عشرة سنة من البدأ فى المشروع ان نشترى الناقلات المائه التى يتكون منها الاسطول وان ننشىء فى السنوات الاولى من هذه المرحلة الاكاديمية البحرية وان نقوم بتدريب السعوديين وتحقيق العملية الاولية من عمليات الاستحواز على التقنية وهى سعودة الاسطول بالكامل من أعلى رتبة فى السفينة الى اقل رتبة فيها وكذلك ما يمكن سعودته من الجهاز العامل فى الاكاديميه.

ولكى يمكننا اجراء عملية السعودة هذه فاننا نحتاج الى حوالى ١٣٠٠ طالب سعودى سنويا ـ منهم حوالى خمسمائة من المرحلة الثانوية والباقون من المرحلة الاعداديه او ما يعادلها. . وحيث ان بعض هؤلاء سيتركون اثناء المراحل الاولى من دراستهم او اثناء السنين الثلاث الاولى من التحاقهم بالاسطول فان من المقدر ان يبقى معنا منهم الف طالب ـ وهذا هو العدد المطلوب بقاؤه فعلا لكل سنة. . وتحتاج سعودة الاسطول بالكامل الى عشرة الاف

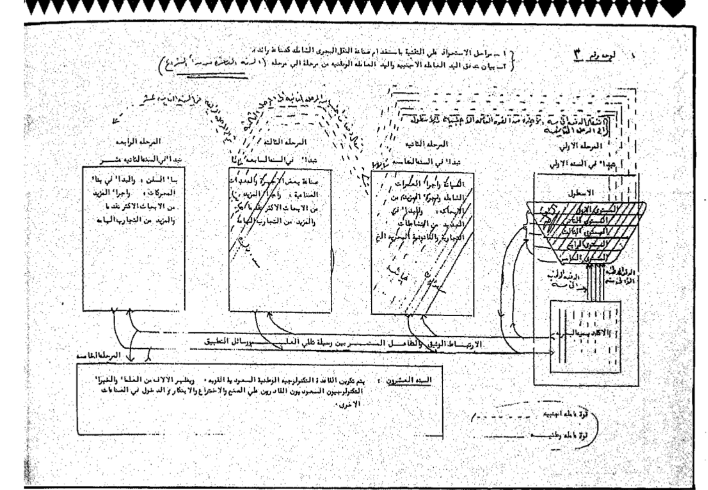
العقل السعودي
قادر على الاختراع
والابتكار ...

ضابط ومهندس وفني ومهني وهؤلاء يتم تدريبهم خلال الاثنتى عشرة سنة الاولى من بدأ المشروع.

كيف تتم عملية سعودة الاسطول فانه يمكن لنا متابعة ذلك من اللوحة رقم (٢) التى توضح لنا انتقال القوى العاملة فى الاسطول والنشاطات الاخرى سواء كانت من القوى العاملة الاجنبية التى سنبتدىء بها كل مرحلة او من القوى السعودية المدربة التى تحل محل القوى الاجنبية عند انتقالها من مرحلة الى اخرى. . راجع ايضاً لوحة رقم (٣).



ولغـرض الايضـاح: علينـا ان نتصـور السفينة وهى مكونة من خمسة مستويات وظيفيه فى كل منها اداريون ومهنـدسـون وفنيون ومهنيون وعندما نبدأ فى شراء الناقلات فانه ليس لدينا سعوديون لتشغيلها. . ولنتذكر ان التشغيل ما هو الا المرحلة الاولى فقط من مراحل الاستحواز على التقنيه - بمعنى اننا لو سعودنا الاسطول بالكامل واكتفينا بذلك فاننا لا نكون قد حققنا عملية الاستحواز على التقنيه وبناء القاعدة التقنية والصناعية الوطنية السعودية الكبرى ولكننا نكون قد حققنا المرحلة الاوليه منها فقط. . ولكن يبدأ اسطولنا فى العمل لابد لنا ان نستخدم قوة عاملة اجنبية من خيرة الموجودين فى سوق عمالة النقل البحرى - فجميع المستويات الوظيفية الخمس فى السفن التى يكون قد تم استلامها مشغولة بالقوة العاملة الاجنبيه. . لكننا فى السنة الخامسة من بدأ المشروع نتمكن من تخريج اول دفعة سعودية قوامها الف ضابط ومهندس وفنى ومهنى - تلتحق هذه الدفعة بالاسطول لتحل محل القوة الاجنبية التى تشغل المستوى الخامس وهو ادنى مستوى فى السفينه. . على ان القوة الاجنبية التى فى المستوى الخامس لا يستغنى عنها بل ترقى الى المستوى الرابع فى السفينة - والقوة الاجنبية التى فى المستوى الرابع ترقى الى المستوى



الثالث. . وهكذا تستمر عملية الترقية بالنسبة للقوة العاملة الاجنبية وينتج عنها ان الذين يشغلون المستوى الاول منهم وهو أعلى مستوى فى السفينة سيخرجون من الاسطول ـ وبما ان لهؤلاء خبرة عظيمة فلا يستغنى عنهم . . وبما انه يجب ان نكون فى السنة الخامسة قد هيأنا النشاطات المبدئية للمرحلة الثانية من مراحل النمو التقنى كما نلاحظ ذلك من اللوحة رقم (٣) وهى مرحلة الصيانة واجراء العمرات وما الى ذلك فتلحق هذه القوة العاملة الاجنبية بهذا النشاط ولابد من أن تدعم بخبرات اخرى لها طابع التخصص الذى تتطلبه هذه المرحلة. . وعند تخرج الدفعة السعودية الثانية من الاكاديمية وقوامها الف متخرج سعودى ايضا فانها تلحق هى الاخرى بالمستوى الخامس فى السفينة التى التحقت به الدفعة السعودية التى سبقتها ـ وبما ان الدفعة السعودية الاولى قد اكتسبت الخبرة اللازمة لترقى الى المستوى الرابع بحكم الارتباط الوثيق والتفاعل المستمر اللذين يتوفران فى هذه الصناعة الرائدة فان هذه الدفعة السعودية الاولى ترقى الى المستوى الرابع وتحل محل القوة العاملة الاجنبية فيه . . وهكذا تستمر وتتم سعودة كل المستويات فى السفينة وتنتقل القوة العاملة الاجنبية من كل مستوى يتم سعودته للعمل فى نشاطات المراحل الاخرى التى اوضحت مواعيد بدءها واكمال سعودتها فى اللوحة رقم (٣). . اما اللوحة رقم (٤) فترينا هذا التيار المتواصل من السعودة والانتقال من مستوى الى اخر. . وفى السنة الثانية عشرة من بدء المشروع يكون الاسطول قد تمت سعودته بالكامل ـ وبانجازنا ذلك نكون قد حققنا المرحلة الاولى. . وتكلفة هذه المرحلة لا تتجاوز سبعة بليون دولار وهذا يعتمد على ما اذا كنا سنبنى سفنا جديدة او نشتريها من سوق الناقلات المستعمله.

وفيما يلى مراجعة لحصيلتنا من هذه المرحلة الاولى من مراحل الاستحواذ على التقنية؛

[١] امتلاك مائة ناقلة بترول حمولتها الاجماليه ٠٠٠ر٥٠٠ر١٢ طن ساكن.

[٢] انشاء وتشغيل اكاديمية بحرية عظمى وذات مستوى رفيع قادرة على تخريج اكثر من الف بحار ومهندس وفنى ومهنى سعودى سنويا ومزودة بأرقى وسائل البحث والتجارب والدراسات العليا.

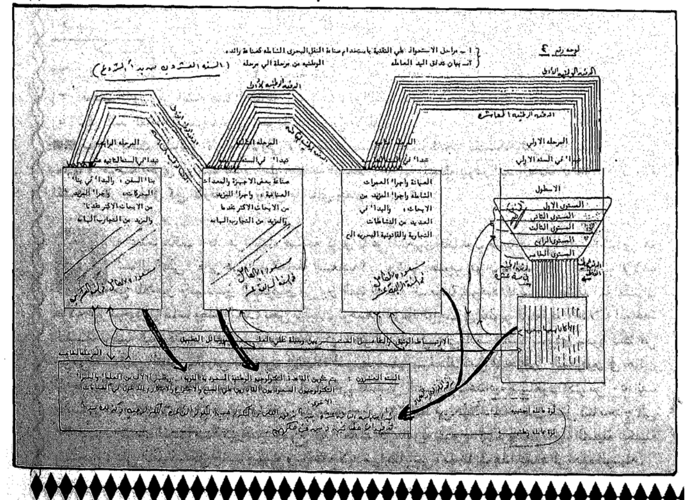
[٣] اتمام تخريج اربعة الاف ضابط ومهندس وستة الاف فنى ومهنى سعودى خلال عشرة سنوات وقيامهم بالعديد من الابحاث والتجارب التى تطور قدراتهم التقنية وتمكنهم كذلك من التحصيل العلمى العالى.

[٤] الخبرة الهائلة التى اكتسبها هؤلاء العشرة الاف سعودى فى ادارة وتشغيل هذا الاسطول الضخم والمهيأ بعضهم للمراحل التقنية الاكثر تعقيدا.

والشييء الذى لابد من الاشاره اليه هو أن انشاء الاكاديمية البحرية وحدها وبمعزل عن انشاء الاسطول سوف لا يفيدنا فى عملية الاستحواز على التقنية. كما ان انشاء الاسطول بمعزل عن انشاء الاكاديمية لا يفيدنا ايضا فى هذه المهمه.. والسبب هو ان العامل المفقود فى وسائل نقل المعرفة التقليديه لا يزال مفقودا.. ولابد من انشاء شطرى النواة معا لكى نحصل على العامل المؤدى الى الاستحواز على التقنيه بشكل سريع وحاسم وبناء نتيجة لارتباطها وتفاعلها معاً.

المرحلة الثانية ـ الاصلاح والصيانة واجراء العمرات والبحوث الاكثر تطورا:

■ لابد لنا ان نبدأ بالمرحلة الثانية فى السنة الخامسة من بداية المشروع.. وكما رأينا فى اللوحة رقم (٢) فان اول دفعة من القوة العاملة الاجنبية والتى هى فى قمة السلم الوظيفى من السفينة ستترك السفن التى تم استلامها حتى السنة



الخامسة وسوف نبدأ بهذه القوة العاملة الاجنبية نشاط المرحلة الثانية . . وسيكون ضمن من سيلتحقون بهذه المرحلة عدد من السعوديين الذين تركوا الاكاديمية بعد ان تلقوا فيها بعضا من العلوم وكذلك ممن تخرجوا منها ولم يرغبوا الالتحاق بالاسطول او يستمروا فى العمل فيه . . وعلى هذا الاساس سيبدأ تشغيل هذه المرحلة باغلبية اجنبيه مع بعض السعوديين كما ذكرنا . . ومع تدفق كل دفعة سعودية جديدة من الاكاديمية الى الاسطول فانه ستخرج من الاسطول دفعة اجنبية جديدة تلتحق بنشاط المرحلة الثانيه . . وحيث انه بتستلم ناقلات جديدة اثناء هذه السنين فان بعضا من هؤلاء الاجانب سيلتحقون بالناقلات الجديدة ولكن الجزء الاخر سيتجه الى المرحلة الثانيه . . وسيستمر هذا الانتقال على هذا المنوال الى ان تبدأ السعودة الحقيقية للمرحلة الثانية بشكل عام فى السنة الثانية عشرة بسبب خروج الدفعة السعودية التى تحتل المستوى الأعلى فى الاسطول من الناقلات وذلك بفعل التدفق المستمر للدفعات السعودية من الاكاديمية للاسطول ـ وستتم السعودة الكاملة للمرحلة الثانية فى السنة الرابعة عشرة.

■■ وسنتبع فى سعودة المراحل الباقية نفس الاسلوب ـ وعمادنا فى كل هذا النشاط وفى عملية السعودة التى لا تتوقف هو الدفعات المتدفقة من الاكاديمية البحرية الكبرى وبالتالى الدفعات السعودية التى ستبدأ تتدفق ابتداء من السنة الثانية عشرة من الاسطول الى المرحلة الثانية . . . ثم من المرحلة الثانية الى المرحلة الثالثة . . ثم الى المرحلة الرابعة التى نجد بعد سعودتها ان قدراتنا التقنية قد تطورت وانه امكننا تشييد السفن وتصنيع الالات والمحركات . . بل ويفترض ان نكون فى السنة العشرين قد بنينا اكثر من خمسين ناقلة فى المملكة العربية السعودية وذلك لتجديد سفن الاسطول بحكم التقادم والاستهلاك للسفن المستخدمة لاكثر من خمسة عشرة سنة وان تكون عشرة ناقلات من هذه السفن وهى الدفعة التى تبنى فى السنة العشرين بالذات قد بنيت بأيدٍ سعودية وبنسبة ١٠٠٪ تقريبا.

الجانب الثالث: المشاكل التى تعترضنا والحلول المناسبة لها.

ان اهم المشاكل التى سوف تواجهنا فى تنفيذ برنامج ضخم كهذا تتركز على الامور التاليه:

[١] توفير رأس المال. [٢] ربحية المشروع.
[٣] الموقف الدولى من انشاء هذه الصناعة. [٤] توفير اليد العاملة الاجنبيه.
[٥] توفير اليد العاملة السعودية وهى اهم المشاكل على الاطلاق.

■■ سنترك بحث المشاكل الأربعة الاولى لان حلولها بسيطة بالنسبة لدولة كالمملكة العربية السعودية ويمكننا بحثها فى مناسبة اخرى ـ ولكننا سنركز على مناقشة المشكلة الخامسة المتعلقة بتوفير اليد العاملة السعودية لان هذه المشكلة مثار جدل فى كل الاوقات . . ولكن ما الذى يجعلها كذلك؟ . .

انه عندما يتكلم احد عن انشاء صناعة كبرى للنقل البحرى فان اول ما يتبادر الى ذهن الكثيرين هو السؤال التالى: «اين هى اليد العاملة السعودية؟ . .» كانما المطلوب هو ان نحصل على عشرات الالاف من الملاحين والمهندسين السعوديين من بين القوة العاملة السعودية الموجودة لدينا ـ والحقيقه اننا نعلم ان هؤلاء غير موجودين اساسا ولهذا السبب نحن نريد ان نوجدهم ليؤدوا الواجب فى تطوير هذا البلد وامتلاكه للقاعدة التقنيـة الوطنية السعودية . . المطلوب لنقوم بعمل كهذا هو أن نحصل على الف طالب سعودى سنويا فقط من خريجى المـدارس الثـانـويـة وممن يعـادلون الشهادة المتوسطة ـ فما نسبة ذلك من المتخرجين السعوديين فى هاتين المرحلتين؟ . . ان الخطة الخمسية الثالثه تقول ان خريجى المدارس الثانوية والاعدادية سيبلغون اكثر من ٥٠ الف طالب فى العام ١٤٠٤ـ١٤٠٥هـ. وهذا يعنى اننا سنحتاج الى ٢٪ فقط من هؤلاء المتخرجين ولنقل اننا نحتاج الى ٣٪ منهم ـ ان هذه ليست نسبة كبيرة من مجموع اليد العاملة غير المدربه . . واذا كنا نريد ان نوجد الوسيلة الكفيلة باستحوازنا على التقنيه بشكل حاسم وسريع وبناء فانه لابد من عمل شىء ما لجذب هذا العدد الى هذه الوسيلة.

من وجهة نظري: أن المشكلة ليست مشكلة ندرة اليد العاملة السعودية ـ وهناك شواهد كثيرة تثبت ذلك . . ولكن المسألة هى كيف نجذبها وكيف ندربها التدريب المناسب وكيف نستخدمها الاستخدام الامثل . . لكى نجذب الشاب السعودى لعمل كهذا لابد لنا ان نعرف نفسيته اولا وخاصة فى هذه المرحلة التى نعيشها . . ان السعودى الذى يجد دخلا ميسرا فى كل مكان يذهب اليه تجذبه الى العمل البنّاء ثلاثة اشياء رئيسيه:

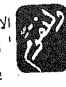
[١] عمل يعتز به . [٢] مستقبل واضح وزاهر . [٣] دخل مجـزٍ.



الذى سوف يعلم ان المجتمع سوف ينظر اليه على انه امل هذا المجتمع الذى ستنشأ على اكتافه وبفضل جهوده قاعدة سعودية تقنية صناعية راسخة قوية هى نقطة الانطلاق الى عالم الصناعة الراقية المتنوعة لا شك سيعتز بالعمل فى الاسطول السعودى وصناعة النقل البحرى . . والسعودى الذى سوف يعلم ان اجداده فى صدر الاسلام استطاعوا باسطولهم الحديث وخبرتهم المحدوده ان يدخروا اكبر قوة بحرية فى العالم فى وقتها وسيطروا على بحار العالم سيعتز بالعمل فى الاسطول السعودى . . والسعودى الذى يعلم انه يدرس فى معهد يضارع بمستواه ارقى مستوى للمعاهد المماثلة له فى العالم وانه يجرى الأبحاث والتجارب ويطبق العلم الذى يتلقاه تطبيقا يرى ثماره الفورية وباشراف افضل الاساتذة والمدربين والمشرفين لا شك سيعتز بالتحاقه بهذا المعهد وبالعمل فى الاسطول السعودى وصناعة النقل البحرى الشامله .

اما بالنسبة لوضوح المستقبل: فان العمل فى الاسطول وفى صناعة النقل البحرى الشاملة تتيح للسعودى فرصة ان يعلم منذ التحاقه بالاكاديميه بالتطور الذى سوف يحدث ـ فهو سيعلم ان عمله فى الاسطول ليس الا عملا مرحليا مرتبطا بزمن . . وهذا الزمن هو الذى سيتحكم فى مداه بجده واجتهاده وانضباطه . . وانه انما يهيأ بعد ذلك للعمل فى احد المشاريع الكبرى التى ستنشأ على اليابسة . . وهو يعلم ان عمله فى الاسطول لن يتجاوزاربعة اشهر سنويا وانه سيقضى مثل هذه المدة كل عام فى الاكاديمية باحثا او اداريا او مشرفا وان هذا يعنى انه لم يقطع صلته بالتعليم العالى اذ ان الاكاديميه مهيأة لأن تمنحه درجة جامعية اذا واصل ابحاثه وتجاربه . . والمقصود من ذلك ان يكون منهم العلماء والمتخصصون والاساتذة والمخترعون التكنولوجيون ـ والارتباط الوثيق بين الاكاديمية والاسطول والنشاطات البحرية الاخرى توفر المجال الذى يظهر فيه امثال هؤلاء المتخصصون .

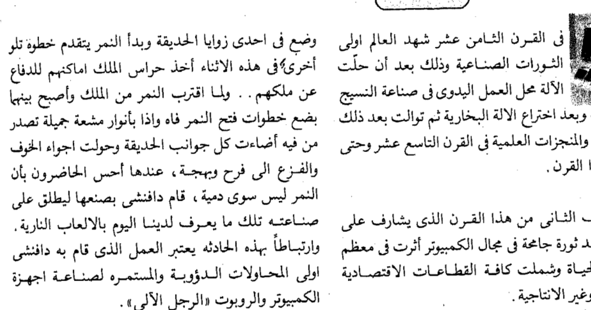
واما بالنسبة للعامل الثالث وهو الدخل المجزى: فمن الطبيعى ان يمنح الملتحق بهذه الصناعة راتبا مجزيا يفوق راتب زميله الذى يلتحق بصناعة ليس فيها مثل هذه المطالب والجهود . . واننا اذا نظرنا الى النتائج التى سوف يحققها السعودى الملتحق بصناعة النقل البحرى والتى سوف تؤدى الى استحواز المملكة العربية السعودية على القاعدة التقنيـة الصنـاعية السعودية او بتعبير اخر: القوة الذاتية الطيعة فى يدها والتى ستنطلق بها الى الافاق الصناعية الارحب فلابد لنا ان نسترخص لهذا الشاب السعودى الغالى والثمين .

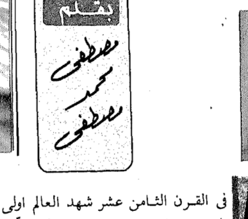


الان حصيلتنا بعد عشرين عاما على اكثر تقدير من تنفيذ برنامج كهذا . . اننا بانتهاء سعودتنا للمرحلة الرابعة تكون قد دخلنا المرحلة الخامسة وهى المرحلة التى يخترع فيها السعوديون ويبتكرون ـ المرحلة التى يستطيعون فيها ان يشيدوا الكثير مما يريدون من صناعات حيوية تمدهم بوسائل الرخاء وتمدهم بوسائل القوة والمنعة . . وان اليد القادرة على صناعة السفن العملاقة التى تمخر عباب البحر مستخدمة فى ذلك احدث وسائل العلم والتقنية . . وان العقل السعودى القادر على الاختراع والابتكار لقادر على ان يمكننا من الانطلاق لنبنى ما نشاء ونرغب فى الصناعة الحيوية والانتاجية وصناعة القوه ـ وقد لا نكون فى هذه المرحلة قد امتلكنا تقنية سفن الفضاء . ولكن هذا ليس هو المهم . . ومع ذلك فاذا اردنا ان نملك تقنية سفن الفضاء امتلاكا سعوديا فلابد لنا ان نخطوا هذه الخطوة العملاقة اولا وبعد تحقيقها يصبح الطريق ممهدا لكل ذلك .

ثورة الكمبيوتر

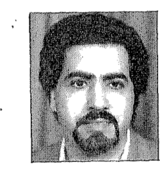
ثورة المعلومات

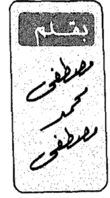




بقلم

مصطفى محمد مصطفى



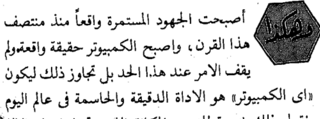


في القرن الثامن عشر شهد العالم اولى الثورات الصناعية وذلك بعد أن حلّت الآلة محل العمل اليدوى فى صناعة النسيج الانجليزية وبعد اختراع الالة البخارية ثم توالت بعد ذلك المخترعات والمنجزات العلمية فى القرن التاسع عشر وحتى اواسط هذا القرن.

أما النصف الثانى من هذا القرن الذى يشارف على نهايته فيشهد ثورة جامحة فى مجال الكمبيوتر أثرت فى معظم مناحى الحياة وشملت كافة القطاعات الاقتصادية والانتاجية وغير الانتاجية.

عن هذا الجهاز الأعجوبة أتحدث:

الكمبيوتر: يحكى عن الفنان الايطالى الكبير (ليوناردو دافنشى) أنه مكث فى فرنسا مدة طويلة حيث وهبه ملك فرنسا (فرانسوا الاول) بيتا جميلا فى منطقة نهر اللوار وتقديرا للملك أقام الفنان حفلا ساهرا كان على شرف الملك وفى اثناء الحفل أقدم الفنان الكبير على اطلاق نمر وضع فى احدى زوايا الحديقة وبدأ النمر يتقدم خطوة تلو أخرى، فى هذه الاثناء أخذ حراس الملك اماكنهم للدفاع عن ملكهم.. ولما اقترب النمر من الملك وأصبح بينهما بضع خطوات فتح النمر فاه واذا بأنوار مشعة جميلة تصدر من فيه أضاءت كل جوانب الحديقة وحولت اجواء الخوف والفزع الى فرح وبهجة، عندها أحس الحاضرون بأن النمر ليس سوى دمية، قام دافنشى بصنعها ليطلق على صناعته تلك ما يعرف لدينا اليوم بالالعاب النارية. وارتباطاً بهذه الحادثه يعتبر العمل الذى قام به دافنشى اولى المحاولات الدؤوبة والمستمره لصناعة اجهزة الكمبيوتر والروبوت «الرجل الآلى».



وهكذا أصبحت الجهود المستمرة واقعاً منذ منتصف هذا القرن، واصبح الكمبيوتر حقيقة واقعة ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تجاوز ذلك ليكون «اى الكمبيوتر» هو الاداة الدقيقة والحاسمة فى عالم اليوم ونقول ذلك نتيجة للدور والمكانة اللتين تحتلها هذه الالة المعقدة فى مختلف جوانب الحياة المعاصرة حيث ان

الكمبيوتر لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا طرقها. فقد دخل فى مجال الاقتصاد وادارة الانتاج كما دخل فى مجال العلوم والثقافة، كذلك مجال الاستعمال الشخصى اما مجال النقل والمواصلات فيعتبر من اهم هذه المجالات التى أخذت تعتمد على الكمبيوتر. والحق يقال اننا نعيش الان فى عصر الكمبيوتر، عصر الثورة العلمية التكنيكية.

والكمبيوتر هو أحد نتائج هذه الثورة. والمعروف انه منذ بداية الخمسينيات حتى هذا القرن دخل الانسان مرحلة جديدة من التكنولوجيا الحديثه.

عندما نقول التكنولوجيا الحديثة فاننا نعنى ت . التكنولوجيا المرتبطة بشكل وثيق بالكمبيوتر حيث تم التحويل من مجال التكنولوجيا الالية - الميكانيكية الى مجال التكنولوجيا المرتبطة بالكمبيوتر او الذاتية الحركة والمتمثلة فى اختراع اجهزة الكمبيوتر وبالتالى ادخالها فى كافة مجالات الحياة المعاصرة ابتداء من الاقتصاد وانتهاء بالترفيه والاستعمال الشخصى الصرف.

لقد صار الكمبيوتر من اهم الامور فى حياة الانسان حيث اصبحت العلاقة بينهما وثيقة لدرجة ان كلا منهما اصبح أسيراً للآخر، اذ ان الكمبيوتر قد أثر وبدرجة كبيرة اكثر من اى وقت مضى فى حياة الانسان كما ان الانسان مارس دوره وتأثيره فى عملية ابتكار وتصنيع وتوظيف هذا الجهاز بما يخدم مصالحه فى كافة مجالات الحياة.

ولا شك ان ابتكار وتصنيع الكمبيوتر جاء بفضل الحاجة الماسة للتغلب على المصاعب التى تعترض الانسان فى كثير من مجالات حياته خاصة تلك المجالات المتعلقة بالسفر والنقل والسياحة وذلك بهدف توفير الراحة والاطمئنان الى نفسه.

وفيما يتعلق بالكمبيوتر نفسه باعتباره آلة فقد صمم من أجل القيام بمهام محددة وهذه المهام يمكن تحديدها من قبل الطرف المستعمل له.ويبدو الفارق بين الالة وجهاز الكمبيوتر فى ان هذا الاخير يمتاز بقابليته للبرمجه ويتضمن بنفسه الامكانية لادخال أى برنامج أو خطة يود المتصل ادخالها اليه.

من ناحية أخرى يمكننا ان نعرف وبدون عناء كثيراً من انواع الكمبيوتر وكذلك مجالات استخدامها وتوظيفها. وآخر انواع الكمبيوتر ما يعرف بالكمبيوتر الاشعاعي والكمبيوتر الفائق «سوبر كمبيوتر» ويعتمد هذا النوع من الكمبيوتر على الطاقة الاشعاعية بدلا من الطاقة الكهربائية وهو آخر ما توصل اليه الانسان فى هذا المجال. والمعروف ان اجهزة الكمبيوتر التى كانت تحتل غرفة بأكملها اصبحت اليوم صغيرة جدا للدرجة التي تمكن اى شخص من ان يحملها لاستعماله الخاص.

تـ يوجد كمبيوتر نقال فى غاية التطور التكنولوجى هو «بيسون - أوكنايز» وهو عبارة عن جهاز كمبيوتر يمكن حمله فى اليد ويحتوى على لوحة عليها: الحروف الهجائية - آلة حاسبة - ١٤ مفتاحاً للذاكرة» اما الكمبيوتر الآخر فهو من انتاج شركة سيكو، وله وحدة قياس شبيهة بالساعة التى تلبس فى اليد ويمكن برمجتها بكل انواع المعلومات كالتاريخ والقوانين وغيرها.

وفى هذا المجال تقوم كثير من الشركات بتخصيص المبالغ الطائله لتطوير الاجهزة وادخال التحسينات عليها. ففى اليابان مثلا تقوم الدوله بمساعدة الشركات التى اخذت على عاتقها البحوث فى هذا المجال بالتدعيم المالى والادارى المطلوب. وقد اعتمدت الحكومه فى ذلك الميزانية المخصصة لتدعيم هذا المجال وهى فى زيادة مستمرة دائماً.

ان التطور التكنولوجى فى صناعة الكمبيوتر يثير الدهشة نظراً لما وصل اليه من تقدم بحيث أخذ الكمبيوتر على عاتقه بعض المهام التى كانت حتى وقت قريب حكرا على الانسان فقط أقصد تلك العمليات الذهنية المرتبطة بالعقل البشرى فقد أصبح الكمبيوتر يقوم بمثل هذه العمليات.. وحتى وصول اجهزة الكمبيوتر الى هذه الدرجة من التقدم يكون قد مر على أول جيل من هذه الاجهزة ٣٦ عاماً وأصبح لدينا أربعة أجيال من الكمبيوتر وهى:

جيل ١٩٥١ - ١٩٦٠م: وقد تميز ببساطته وصغر ذاكرته وتنفيذ مهمة واحدة فقط.

جيل ١٩٦٠ - ١٩٦٥م: وهو لا يختلف عن سابقه باستثناء بعض الاضافات كالقيام ببعض المهام فى وقت واحد والبرمجه المتعددة أيضاً.

جيل ١٩٦٥ - ١٩٧٠م: الذى تمثل فى ظهور كمبيوتر يشتمل على مليارات الاحرف والارقام المتصله مع بعضها البعض.

جيل ١٩٧٠م: تم ادخال الرقائق السلكونية الخاصة بالدارات.

جيل ١٩٨٠ : ظهر فيها بعد ما عرف بالمينى كمبيوتر والمايكرو كمبيوتر ولا يزال العمل جارياً من قبل العلماء والبحاثه لابتكار اجهزة متطورة لتلبية الحاجة المتطورة.

ثورة المعلومات

ان الكمبيوتر فى حد ذاته ليس لب القضية اذ ان القضية الاساسية هى ما اصطلح على تسميته «بثورة المعلومات» فنحن نعايش اليوم على حد قول العلماء ثورة ثقافية رابعة أو حضارية رابعة أو ما يسمى بثورة المعلومات.

وتأتى هذه المرحلة تتويجاً للمراحل السابقة فى التطور الانسانى والتى بدأت بالثورة الزراعية فالثورة الصناعية الاولى ثم الثورة الصناعية الثانية أو ما اصطلح على تسميته بالثورة التكنولوجية.

ومن اهم مميزات **«ثورة المعلومات»** ما يمكن ان نطلق عليه **«انفجار الذكاء»** بمعنى ان الانسان اليوم بمعايشته واستفادته من نتاج هذه الثورة الحضارية أصبح يؤدى وظائفه الفكرية وهى البحث والتنفيذ واتخاذ القرار بمعدلات ذكاء اعلى بكثير مما كان عليه الحال فيما مضى.

كيف استفاد الفرد من هذه الثورة الاخيرة؟. :

ثورة المعلومات تتميز بأنها تتيح للفرد عصارة ونتاج خبرة وفكر واداء مئات بل الاف ممن سبقوه فى لمح البصر حيث يحصل على نتاج وخلاصة فكر وبيانات مقارنة عن الوضع الذى يتصدى له أو المشكلة التى يبحثها أو أى بيانات أخرى تسمح له بأن يكمل بحثه اما ليصل الى نتيجة اكثر قيمة أو لينفذ مهمته بكفاءة اعلى أو ليتخذ قرارا بعمق اكثر.

والمنطقة العربية تخلفت عن اللحاق بالثورة الصناعية وكان ذلك بسبب الاستعمار. . فعلينا الان ان نفرق بين من يعلمون ومن لا يعلمون - بين المعرفة والتخلف لنواجه استعمار الذكاء والمعرفة فالاستعمار الذهنى اقوى بكثير.

الكمبيوتر.. صديق المستفيد

نرى اليوم ان الكومبيوتر بدأ يدخل كل منزل ولا تتوقع للاستفاده منه ان يكون داخل كل منزل - مهندس الكترونى أو خبير بروجرام، ومن هنا الطفرة التى حدثت فى هذا المجال وهو أنه اصبح صديق المستفيد السهل الاستعمال.

فى بيتنا كمبيوتر

اطفالنا والكمبيوتر:

هذه العبارة الصغيرة المركزة صارت تتردد ببساطة على شفاة الاولاد والبنات فى شتى انحاء الوطن العربى فلم يعد الكمبيوتر والعابه وبرامجه لغزا يستغلق على الفهم بالنسبة لهؤلاء الصغار. . وكما يحرص الاطفال على تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب صاروا الان اكثر حرصا على تعلم مبادىء الكمبيوتر وكما يقبلون على الالتحاق بدورات تعلم اللغات الاجنبية بشغف يقبلون بلهفة على تعلم «لغة الكمبيوتر».

ومن الاشياء التى انتشرت فى عالمنا العربى فى السنوات الاخيرة وتلاقى إقبالا كبيرا **(معسكرات الكمبيوتر)** التى يشترك فيها طفلنا العربى من المحيط الى الخليج. . ففى عام ١٩٨٦م أقيمت عدة معسكرات للكمبيوتر فى القاهرة والاسكندرية «بمصر» وطنجة «بالمغرب» وبلو «يورك» شمال انجلترا وهناك مؤسسة متخصصة تشرف على تنظيم هذه المعسكرات وقد وصل عدد الاطفال الى حوالى ١٠٠٠ ولد وبنت ينتمون الى ١٥ دولة عربية منها السعودية ومصر والاردن والكويت

وفلسطين ولبنان وتونس والجزائر والمغرب. . يتعلمون كيفية الرسم بواسطة الكمبيوتر وتخزين المعلومات ثم اعادة استرجاعها والعاب الذكاء ومبادىء تعليم التاريخ الاسلامى والفتوحات العربية وعادات الشعوب وتقاليدها. . الخ.

استخدامات جديدة للكمبيوتر

ان الكمبيوتر أصبح يدخل فى كل الاستخدامات . . التلفزيون . . السيارة . . الفيديو . . الثلاجة . . الغسالة . . كل شىء أصبح يدخل فيه الذكاء والبرمجة مسبقاً . . كما ان الكومبيوتر اتاح اليوم مجموعة من الانشطة العملية التى كانت تتطلب فى الماضى جهوداً مضنية وكفاءات كبيرة بحيث اصبحت تقارب السحر فى الاداء من حيث السرعة والجودة.

هذا الى جانب ان الكومبيوتر قدم افاقاً اقتصادية جديدة على المسرح العالمى فدولة مثل الولايات المتحدة تعتمد عليه اليوم فى معالجتها لحساباتها القومية ولحسابات الاقتصاد القومى وقد ادخلت قطاعا جديدا يسمى «قطاع المعلومات» ففى عام ١٩٨١م اصبح هذا القطاع يمثل ٥٣٪ من اجمالى القوى العاملة فى امريكا.

ان التطور الذى حدث اليوم لا يجب ان يوقف حركتنا فنحن نعايش الان فى الكمبيوتر الجيل الخامس والتطور أخذ اتجاهين.

■ **الاتجاه الاول**: ادى الى ارتفاع الكفاءة بشكل خطير حيث ارتفعت امكانات الاختزان للبيانات واصبحت لا نهائية.

■ **الاتجاه الثاني**: سرعة المعالجة. . ولكن الكومبيوتر فى النهاية ما هو الا اداة يصممها ذهن الانسان وهو ليس مجرد آلة تشترى فتحل ما لدينا من مشاكل بل لابد من تدخل الجهد الفكرى البشرى ـ مثله فى ذلك مثل جهاز التلفاز فعندما اضغط على الازرار لن تعطى ارسالا بدون وجود جهاز ضخم للارسال التلفزيونى فى مكان ما،فالذى يحل المشكلة هو الجهد الذى يبذل لتشغيل الكمبيوتر.

معنى

هذا ان الجهد الذى نحتاجه لإعداد القوى البشرية ـ وهى اساس أى تقدم ابسط من المجالات التقليدية الاخرى ـ كذلك فان

الكمبيوتر في النهاية .. أداة يصممها ذهن الانسان ..

●●●

نوعيات الخبرات المطلوبة سهلة فنحن نحتاج الى قلة من مهندسى الالكترونيات المتخصصين فى الماكينات وتفاصيلها والمطلوب منهم تطويع الحديد لاحتياجات اللغة العربية،واذا كان عالم الفيزياء يحتاج من ٣٠ الى ٣٥ سنة من الدراسة المضنية والعمل المتصل ليصل الى مرتبة العالم فان خبير الكومبيوتر قد يحتاج زمنا يساوى ١ :٣ من هذه المدة. . ولا يمكن ان يقوم بذلك سوى الشباب العربى. والنوعيات الاخرى المطلوبة هى مصمِّم نظم ومحلل ومبرمج،ولا يستغرق إعداد كل واحد من هؤلاء سوى بضعة اسابيع. . ويمكن أيضاً ان نجهز الشباب من المراحل الابتدائية والاعدادية بحيث تصبح عملية البرمجة عملية تلقائية مندمجة فى الدراسة المنظمة بالمدارس. . وبالتالى فان إعداد الشباب العربى ليصبح مبرمجاً او محللا او مصمما سهل ويمكن ذلك للحاق بالثورة الحديثة فالشباب هم المستقبل.

ان سمات الثورة الحضارية الرابعة هى الكمبيوتر. . ولو ان صناعة الطائرات تطورت بالسرعة التى تطور بها الكومبيوتر. . لكان بالامكان الانتقال من لندن الى نيويورك فى دقيقتين.

المقارنة الطريفة. . يرددها الكثيرون للتدليل على السرعة الهائلة التى تطورت بها صناعة الكومبيوتر. . حتى أصبح ضرورة من ضرورات التقدم. . وعلامة على العصر الجديد الذى سمى باسمه. . عصر الكومبيوتر. . أو عصر ثورة المعلومات. . كل هذه السمات مهمة جداً فشباب الجامعات العربية يجب ان يأخذ قسطاً من التدريب والتركيز الاساسى على الكومبيوتر واستخداماته المختلفة وتطبيقاته، وذلك هو السبيل الوحيد للحاق بثورة المعلومات.

ويبدو ان الكومبيوتر سيصدر نتائج هامة وخطيرة فى اقتصاديات الدول. . وللحديث بقية لنتابع المجالات المتعددة لاستخدامات الكومبيوتر.

جائزة

إنطلاقاً من اهتمام نادى جدة الأدبى الثقافى بالرسالة الملقاة على عاتقه وحرصاً على دعم حركة التأليف والنشر الابداعى يعلن عن جائزة سنوية مقدارها عشرة آلاف ريال لأحسن كتاب يقدم له وفقاً للشروط التالية:

١ - أن يكون الكتاب صادراً فى الفترة من ١٤٠٥هـ الى ١٤٠٧هـ.

٢ - أن يكون العمل إبداعياً.

٣ - أن يكون المؤلف سعودياً «أو من مجلس دول التعاون الخليجى».

٤ - سوف تخضع الأعمال المقدمة لتحكيم علمى سرى تقرر بموجبه النتائج.

٥ - يحدد نهاية شعبان ١٤٠٨هـ موعداً نهائياً لتلقى الترشيحات.

٦ - تقبل الترشيحات من المؤسسات العلمية والثقافية ويجوز الترشيح الشخصى للمبدع.

٧ - أن ترسل ثلاث نسخ من العمل المرشح وترسل الترشيحات على عنوان النادى/ صندوق بريد ٥٩١٩ جدة ٢١٤٣٢.

عبد الفتاح أبو مدين
رئيس النادى الأدبى الثقافى بجدة

عبد الفتاح ابو مدين

معرض دولي للكتاب الإسلامي في الرياض

■ تستعد جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض للانتقال الى المبنى الجامعى الكبير الذى انشىء كمدينة على اطراف مدينة الرياض، وستتولى الجامعة اقامة العديد من النشاطات الثقافية والعلمية اثناء وبعد افتتاح المدينة الجامعية وتجرى الاستعدادات بعمادة شؤون المكتبات بالجامعة لاقامة أول معرض دولى للكتاب الاسلامى بالمملكة والذى من المنتظر اقامته فى بداية الفصل الدراسى الاول من عام ١٤١٠هـ حيث سيتم عرض اكبر مجموعة من الكتب النادرة والقيمة فى مجال الدراسات الاسلامية والعلوم الدينية بالاضافة لعدد كبير من المواد السمعية والبصرية فى مجال الكتاب الاسلامى وستقوم العمادة باقامة برنامج يشبه المهرجان الثقافى خلال فترة اقامة المعرض يتضمن البرنامج عددا من الندوات الثقافية والمحاضرات التى تتناول موضوع النشر والطباعة فى المملكة وازمة الكتاب العربى.

د. عبد الله التركى

معرض السعودية الدولي للكتاب في جدة

■ ستشهد مدينة جدة فى الفترة من ٢٢ رجب الى ٧ شعبان.. اول معرض دولى للكتاب والذى تقوم الخطوط الجوية العربية السعودية بالإعداد له تحت اسم «معرض السعودية للكتاب» وستشترك فيه مجموعة كبيرة من دور النشر الوطنية والعربية والاجنبية.. وسيضم المعرض احدث م صدر من كتب فى مختلف العلوم والآداب والفنون.

ندوة الأدب في الخليج العربي

■ حركة الأدب وامتدادها وجذورها وما وصلت اليه الآن من ظواهر هى مكان الدراسة ومجال العمل النقدى.. هذه الحركة الادبية بكل ملابساتها تظل مجال البحث والدراسة والتحقيق وفى (أبو ظبى) عقدت «ندوة الادب فى الخليج العربى» فى شهر يناير الماضى حضرها المهتمون والمتخصصون فى ميدان الادب ودراساته المتعددة من أدباء ومثقفى دول الخليج العربى وألقيت فى الندوة مجموعة من البحوث والدراسات كان لها دورها فى القاء الضوء على مسيرة الحركة الادبية والثقافية

وفى الختام اصدر المنتدون توصياتهم التى شددوا فيها على الاهتمام بالبحث والتنقيب عن البواكير الادبية والابداعية فى المنطقة ودراسة تجاربها ووضعها فى السياق التاريخى لادب المنطقة والاهتمام بالابداعات الادبية الشابة وتخصيص حلقات وندوات دراسية لابرازها والاعتناء بها.

وأوصت الندوة كذلك بالعمل على دعم وتشجيع طباعة ونشر وتوزيع نتاجات الادباء والكتاب فى الخليج وتحقيق انتشارها فى اقطار الوطن العربى، وضرورة حفظ وتوثيق المخطوطات والاصدارات والكتب كافة لتكون فى يد الباحث والدارس والناقد، كما اوصت بالعمل على تنمية القدرات والكفاءات البحثية والثقافية والفكرية والادبية والنقدية من قبل الجامعات والمؤسسات الثقافية والاتحادات الادبية بالاضافة الى تبادل البحوث والمطبوعات والزيارات بين الاتحادات الادبية والنوادى الثقافية والمراكز الفكرية.





■ لما للمنطقة الشرقية فى مملكتنا الفتية من دور رائد فى الحركة الثقافية اما آن الاوان لتأسيس ناد ثقافى بها . . وما دوركم وادباء المنطقة فى ذلك؟ .

●● مما لا شك فيه أن المنطقة الشرقية تتمتع بقدر كبير من الاصالة الثقافية والنهضة العلمية المعاصرة فى حاجة الى ايجاد ناد ادبى ثقافى يلم شعث الادباء والمفكرين ويقوى الصلة فيها بينهم ويمد جسور التعارف بينهم وبين رجال الفكر فى الـداخل والخارج ويساعدهم باحتضان ابداعاتهم الفكرية ونشرها . . ولقد فكرت مجموعة من المثقفين بالمنطقة الشرقية فى ايجاد ناد أدبى يقف فى صف الاندية الادبية الموجودة فى غالبية المدن بالمملكة . . والتى أعطت نتائج باهرة فى احتواء الانشطة الفكرية المتعددة . . فتقدموا الى المسئولين بهذا الالتماس منذ فترة تزيد عن الستين وقد أخذت الأمـور تسـير فى مجراهـا الطبيعى بفضـل مسـاعـدة سمو أمير المنطقة الشرقية الامير محمد بن فهد بن عبد العزيز وتشجيعـه . . وقد علمت أن المشروع مطروح الآن فى ادارة الاندية الادبية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب لدراسة الكيفية التى يمكن أن يخرج بها هذا المشروع الى حيز الوجود . . ولا شك أن اهتمام مجلتنا «المنهل» وهى المجلة العريقة فى خدمة الفكر بهذا الموضوع سوف يضاعف من اهتمام المسئولين بانجاز هذا النادى وابرازه الى حيز الوجود .



عبد الله بن احمد الشباط
ـ الخبـر ـ

المنهل

لا ريب ان ايماننا ويقيننا باهمية دور الأندية الأدبية لما لها من ثقل ثقافى وعلمى وفكرى واجتماعى . . يجعلنا نحمل الأمل فى ان تغطى هذه الاندية وعطاؤها بقية انحاء هذه المملكة . . وهذا املنا ويقيننا ايضا .

دعوة فى رسالة



الابن نبيه عبد القدوس الأنصارى

فقد وافتنى رسالتكم الوفية مع العدد الذى يشتمل على مقال لى حول العقائد السائدة . . نعم انا أعلم أن الشيخ عبد القدوس حين أسس مجلة المنهل كان يتوخى الذود عن تاريخ الاسلام والأمة والدولة ، ويحافظ على العقيدة الاسلامية كل المحافظة ومن تتبع تاريخ المنهل يجدها لا تخرج عن هذا السبيل ناهيك واهتمامه باللغة العربية الفصحى والذود عنها والسهر لها ، رائع جداً . . ولو من جراء حركة أو تصحيح كلمة وهذا حق فان التساهل فى شأن اللغة تساهل فى حياة الأمة ، فالأمة تحيا بحياتها وتموت بموتها وبما أن الأمة الاسلامية قوامها اللغة العربية الفصحى فليس من العدل أن ندع فرصة ينتهزها أعداؤها لتمزيقنا وتمزيقها معا . وبالحرى فى هذا العصر الذى كثرت فيه المذاهب المبتدعة التى نشأت فى أوروبا لأغراض تتصل ببيئتهم وأوضاعهم التاريخية نقلت إلينا . . ولكن ليس من العدل أن ندعهم وشأنهم فى الدعوة إليها ومن أجل ذلك لابد من عرضها ودراستها ونقضها لأن القرآن هو برهان العلم المنزل من رب العالمين فليس من قدرة مذهب أو نِحْلة أو رسالة مهما كان شأنها أن تقف فى وجهه لحظة .

فالشمس تزيل الغمام وتبدد الظلام ولا يصل إلى نورها حجاب ومن أجل ذلك العرب القدماء أسسوا المدارس الكبرى فى بغداد وسواها وفى بخارى وفى بلاد العرب لهدم المذاهب التى نقلت اليهم بواسطة اختلاط الثقافة اليونانية بالعربية .

وهذا شأننا اليوم فإن لم نؤسس المدارس العلمية التى تهدم هذه المبادىء والمذاهب وتنقضها من أساسها وتكشفها لأبنائنا الدارسين الذين غمت الحقيقة عليهم وأصبحوا فى حيرة ومن أجل ذلك إذاً انطلق بعض الدارسين الى أوروبا وعادوا وفى أنفسهم تشبث بما درسوا . . والسبب أنهم لم يذهبوا مسلحين بالمناهج الدينية .

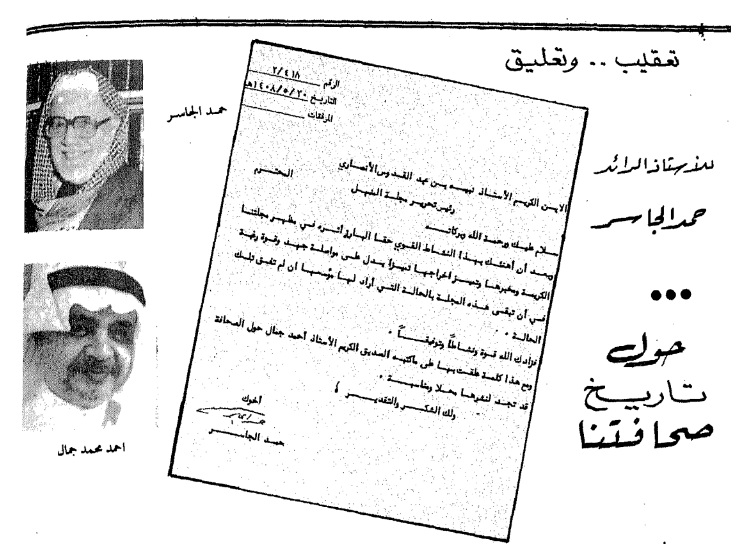
عليه فانى اشكر لك تواصلك معى . . واعلنها دعوة لجميع كتابنا وادبائنا ومثقفينا فى مشاركتك رحلة (منهلك) وذلك باثراء هذا الصرح الثقافى الشامل بجديد انتاجهم . . وإن شاء الله ساكون عند حسن ظنك . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هاشم محمد سعيد دفتردار
ـ جـدة ـ

تعقيب .. وتعليق

للأستاذ الرائد حمد الجاسر

حول تاريخ صحافتنا



الرقم ٢/٤١٨
التاريخ ١٤٠٨/٥/٣٠هـ
المرفقات

الابن الكريم الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري المحترم
رئيس تحرير مجلة المنهل

سلام عليك ورحمة الله وبركاته
وبعد ان اهنئك بهذا النشاط القوي حقا البارز أثره في مظهر مجلتنا الكريمة ومخبرها وتميز اخراجها تميزا يدل على مواصلة جهد وقوة رغبة في أن تبقى هذه المجلة بالحالة التي أراد لها مؤسسها ان لم تفق تلك الحالة .
زادك الله قوة ونشاطاً وتوفيقاً .
ومع هذا كلمة علقت بها على ماكتبه الصديق الكريم الأستاذ أحمد جمال حول الصحافة قد تجد لنشرها محلا ومناسبة ،
ولك الشكر والتقدير

اخوك
حمد الجاسر

حمد الجاسر

احمد محمد جمال

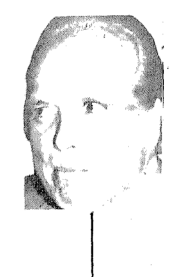
أمتعت بالكلمة التي قرأتها فى «المنهل» العذب (جزء جمادى الأولى ١٤٠٨ ص٣٠) من ذكريات الأستاذ أحمد جمال حول صحافتنا وأعجبت حقًا بمتابعة الصديق أحمد لما يدور حول الصحافة فى فترات متباعدة.

وكنت أود لو أنه قرأ ما دار فى الندوة التى عقدت فى نادى جدة الأدبى بين الدكاترة الثلاثة الحارثى وهاشم وخيرية وهم من فرسان صحافة اليوم بحق لكى يضيف بما يراه فيزيد القراء إمتاعاً وفائدة، لقد طالعت ملخص ما دار بين الأساتذة فى جريدة الرياض،(عدد الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ص١٢) مع تعليق الاستاذ عزيز ضياء . . وكان مما أعجبت به مما قرأت ما أدركته من تغيير فى النظرة الى الصحافة، فقد كانت الفكرة الغالبة بين كثير من أبنائنا المشرفين على شؤون الصحافة هى النظرة اليها باعتبارها (صورة وخبر) أما ما لمسته فى الذى قرأته من ملخص ذلك الحوار فهو النظرة الى الصحافة باعتبارها عاملاً مؤثرا فى الحياة الثقافية فى مستقبل الأمة كذا أحسست بعد انتهائى من قراءة ذلك الملخص . . ولما لم أكن على ثقة من عمق نظرتى فيه رأيت أن أبعث به الى الصديق الكريم الأستاذ احمد جمال مشفوعا بشكرى له، حيث ذكرنى ذكره ـ الله بخير ـ فى ذكرياته عن الصحافة.

ولا أجد غضاضة فى أن أعلق على تلك الذكريات الحبيبة للأخ الحبيب بأننى لا أذكر أننى كنت يوماً ما ممن حاول حصر النقد أيًا كان اتجاهه بجهة أو صحيفة بحيث يصح القول عنى بأننى أرى أن مجال النقد الأدبى فى المجلات الأدبية.

ولقد كنت أصدر صحيفة ليست أدبية وكان من جراء فتح باب النقد فيها أننى أثرت غضب رئيس المؤسسة التى تصدر عنها الصحيفة بنشر نقد عمل يتعلق بجهة تعنى بتنظيم شؤون الادارة العامة فى الدولة مما أغضب أحد الوزراء فغضب رئيس المؤسسة لغضبه حتى تحين الفرصة لفصلى من العمل فى الصحيفة التى أسستها أنا . . أما ما أشار اليه الصديق الكريم عن سبب إنشاء صحافة المؤسسات فلعل أحدنا خانته الذاكرة حين ذكر أن احد الاخوان تقدم لمعالى وزير الاعلام الشيخ جميل الحجيلان مطالباً بأجرة اعلانات فالذى أذكره وأعلمه أن احد الاخوة تقدم لوزير المالية ـ وقد انتقل الآن الى رحمة الله ـ وكان فى مطار جدة يتأهب للسفر للرياض فطلب منه المساعدة فى صرف أجرة اعلانات متأخرة لصحيفته فما كان من ذلك الوزير إلا أن استكثر المبلغ بالنسبة لفرد يعمل فى صحيفة فكان أن قدم تقريراً بطلب نزع الصحافة من تصرف الأفراد، فشكلت لجنة لدراسة هذا الأمر مكونة من وزير الاعلام ووزير الخارجية ووزير البترول والثروة المعدنية وكانوا إذ ذلك المشائخ جميل الحجيلان وابراهيم السويل (رحمه الله) وأحمد زكى يمانى . .

وأعتبرها مناسبة طيبة لأقدم أطيب التحيات لأخى الأستاذ احمد ولهذه الصحيفة الكريمة التى لا أزال ـ وسأبقى دائما ـ أحمل لها أجمل الذكريات.



د. عبد الهادى التازى

عــود على بدء مملكة الكانم بغرب إفريقيا

د. عمّار هلال



الاخ نبيه عبد القدوس الانصارى
صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها.

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة بتاريخ ٦/٦/١٤٠٧هـ المرفوقة بالرسالة الهامة التى تفضل بتوجيهها لنا الاستاذ الدكتور عبد الهادى التازى متسائلا عن بعض ما جاء فى مقالنا: ممالكنا الاسلامية . . الذى نشر بمجلتكم فى عدد ٤٥٠ لجمادى الأول ١٤٠٧، يناير ١٩٨٧، وإن دلت رسالة الأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى على شيء فإنها تدل على جديته العلمية واهتماماته البالغة بالحركة الثقافية الحديثة العربية فله شكرى وامتنانى على الاهتمام الخاص الذى أولى به مقالنا وانطلاقا من مقولة الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

التمس من جناب الأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى الذى هو فى منزله الأب المرشد والموجه لابنه الصغير الذى لم تنم أظافره بعد . . ان يتفضل بتزويدنا فى كل مناسبة ولو بقسط زهيد من علمه وعرفانه.

اما عن أول سؤال طرحه علينا الاستاذ الجليل والذى يتعلق بأمر امتداد نفوذ مملكة الكانم مع الملاحظة انها خلال هذا التاريخ (نهاية القرن الخامس هجرى)، عرفت بهذا الاسم الكانم وليس الكانم بورنو، وهو الاسم الذى ستعرف به فى القرن العاشر، وأن المقصود بنهر النيجر هنا هو الجنوب الغربى منه بالنسبة لموقع مملكة الكانم الاسلامية وبخاصة المراكز الهامة إقتصاديا وثقافيا كانو، كتش، أو كتسينا، سوكوتو، زاريا، وغيرها، المتاخمة لبحيرة اتشاد، وقد شكلت فوق هذا كله هضبة بوتشى محل نزاع حاد بين القبائل الافريقية لما تمتاز به من استراتيجية عسكرية على الخصوص لذلك نلاحظ مملكة الكانم تدلو بدلوها بين الدلاء وتحاول مراراً فرض سيطرتها ونفوذها على هذه المنطقة الحساسة، بدخولها فى معارك طاحنة مع قبائل الهوسة فتنجح كما تخفق بين الآونة والأخرى فى مسعاها لذلك قد يكون البكرى على الحق فى مقولته.

«أنها (مملكة الكانم، وليس الكانم بورنو) كانت شاسعة الأطراف تمتد حتى نهر النيجر غرباً.» المصدر المذكور فى الدراسة(١) وهو الجزء الذى يتناول فيه البكرى الممالك الاسلامية فى غرب إفريقيا وقد أكد ذلك بعض الباحثين الذين أشاروا باسهاب كبير الى تطور هذه المملكة الاسلامية ومنهم الدكتور حسن ابراهيم حسن الذى يؤكد على أن مملكة الكانم أصبحت فى القرن الحادى عشر دولة ذات أهمية كبيرة وبسطت سلطانها على قبائل السودان الشرقى الى حدود مصر وبلاد النوبة»(٢).

ويؤكد مقولتنا الأستاذ الدكتور عبد القادر زبادية الذى تناول بالبحث والدراسة بعض ممالك السودان الغربى ومن ضمنها مملكة الكانم بورنو ونقلاً عن البكرى يقول الأستاذ الدكتور: «وقد ذكر البكرى أنه فى القرن الحادى عشر الميلادى كان بعض اللاجئين من بنى أمية قد التجأوا لتلك المنطقة (فى القرن الثامن الميلادى) هروبا من ملاحقة العباسيين لهم(٣) ولجوء بعض أفراد بنى أمية الى الكانم قد تكون له أكثر من دلالة وهل يلجأ الضعيف الى الضعيف؟ أم العكس؟. وعليه فظهور الكانم كمملكة إسلامية ذات نفوذ وقوة فى المنطقة خلال القرن الخامس هجرى لا غرابة فيه.

اما عن السؤال الثانى والأخير الذى تفضل بتوجيهه لنا الاستاذ الدكتور عبد الهادى التازى المحترم والذى يتعلق بزيارة البكرى للكانم ميدانيا وكان موقعها آنذاك فى الشمال الشرقى لبحيرة اتشاد حقا أنه ليس هناك ما يؤكد ذلك كما أنه ليس هناك ما ينفيه إستناداً الى حجج وبراهين مادية ملموسة فلو كنا متأكدين من ذلك كل التأكد لما أدرجنا هذا الافتراض فى هامش المقال.

بعد الاطلاع على ما كتبه بازل دفيد سون بشأن البكرى فى كتابه : «إفريقيا تحت اضواء جديدة» ص٤٧٧ وما بعدها، وكراتشكوفسكى فى كتابه : «الأدب الجغرافى عند العرب، القسم الثانى» والدكتور جمال زكريا قاسم فى كتابه الهام : «الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، القاهرة، ١٩٧٥ ص١٥٣-٢٥١»، احترنا حقا فى أمر البكرى علميا وتبادر الى ذهننا سؤال خطير هو «إذا لما يزر فعلا البكرى المغرب، ومناطق افريقيا جنوب الصحراء، ما هو مدى صحة المعلومات الجغرافية التى يقدمها هذا الأخير؟». علماً أن علم الجغرافية سواء قديما او حديثا يفرض على صاحبه الميدانة فبدون هذه الاخيرة لا تنظير ولا نظرية ثم أنا شخصيا يراودنى بعض الشك فيما يخص عدم زيارة البكرى بالاخص الى المغرب، الذى لا يفصله عن الضفة الاخرى التى كان يقيم فيها سوى ١٢ ميلا ومن جهة أخرى هل أدى فريضة الحج أم لا؟. وإذا كان قد حج فعلا فما هو الطريق الذى سلكه للوصول الى البقاع المقدسة؟.

كل هذا يجعلنا مرة أخرى نؤكد على أننا مع الأسف الشديد ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين نجهل أشياء كثيرة قد لا تحصى عن تاريخنا العربى الاسلامى، وعن رجالاته صانعى هذا التاريخ المجيد. وفى إطار إحياء هذا التاريخ وبعثه من جديد تبذل الجزائر مجهودات معتبرة تتمثل فى عقد عدة لقاءات سنوية اضحت جزءاً لا يتجزء من نشاطات بعض الوزارات والهيئات المحلية منها: «ملتقى الفكر الإسلامى» الذى يعقد سنويا تحت اشراف وزارة الشؤون الدينية مما حث عدة ولايات فى الجزائر ان تنتهج هذا النهج منها قبل سنة واحدة ولاية بسكرة بالجنوب الجزائرى حيث يوجد ضريح الفاتح العربى عقبة بن نافع التى برمجت ملتقىً سنويا يخص التاريخ العربى الاسلامى ضمن نشاطاتها العلمية والثقافية وفى نفس النهج نلقى بجاية فى الشرق الجزائرى حيث قلعة الحماديين وتيهرت فى الغرب الجزائرى معقل الرسميين والمسيلة شرقا أيضاً.

هذه بعض المبادرات الجزائرية فى هذا المضمار الهام فما هى مبادرات الدول العربية الاسلامية فى ميدان إحياء تراثنا وتاريخنا العربى الاسلامى؟.

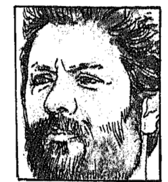
اقول قولى هذا وقلبى وعقلى يرددان لى المرة بعد الاخرى قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾.

«دكتور عمار هلال»
كلية الآداب - جامعة الجزائر

هوامش

(١) طبعة دى سلان ١٩١١ وليس كما جاء فى هامش المقال رقم: ١ ص ١٧٢ وما بعدها.
(٢) حسن ابراهيم حسن: المرجع المذكور فى الدراسة ص٣٠.
(٣) مجلة التاريخ، رقم ٤، ١٩٧٧، ص٦٩

الخنساء وابن خلدون ويوسف إدريس فى مكتبات "الحى اللاتينى"



شربل داغر - باريس
خاص بالمنهل

لولا الكتب لما عرفت باريس حلول فصل الخريف.

صيفها كان غائماً وممطراً مثل خريفها لدرجة اننا لم نميز ابداً بين الفصلين. اما بدايات الموسم الادبى فهى منظمة للغاية موفقة مثل ساعة سويسرية تجد الكتب الجديدة فى واجهات المكتبات مرتبة موضبة فى يوم واحد فى دفعة واحدة مثل ثمار الموسم الناضجة.

ماذا فى جعبة فرنسا الادبية لهذا العام؟

إخترنا فى هذه العجالة التوقف امام صادراتها العربية المترجمة من العربية الى الفرنسية أو الموضوعة بالفرنسية مباشرة عن الثقافة العربية والاسلامية. ففى هذه الاصدارات ما يستحق التوقف عنده بعد ان اصبحت باريس فى السنوات الاخيرة حقلاً نشيطاً للثقافة العربية والاسلامية.

«دار سندباد» لصاحبها بيار برنار تحتل مكانة خاصة فى هذا الحقل فهى دار متخصصة فى النشر العربى فى فرنسا وفى اكثر من ميدان، من ميدان الاداب الكلاسيكية حتى ميدان الآداب الحديثة من ميدان الدراسات النقدية والتحليلية حتى ميدان النصوص الابداعية تقدم الدار منذ سنتين على طبع «رواية بيبرس» على ان تنتهى من إصدار هذه الرواية فى العام ٢٠١٥م. بمعدل جزئين فى السنة الواحدة حكاية نشر هذه الرواية العربية الاصل غريبة للغاية ولا تقل طرافة عن حكايات بطلها نفسه: شفيق الامام - وقد كان حافظاً لمتحف الفنون والمصنوعات الشعبية فى دمشق - توصل ذات يوم الى العثور على مخطوط عربى يعود الى القرن الثالث عشر ميلادياً عند أحد الاعيان فى دمشق فاشتراه منه بعد ان جمع ٤٠٠ دفتراً هى مجموع هذه الرواية الشعبية: اكثر من ٣٦ ألف صفحة فى لغة ادبية ركيكة قليلا إذ تقوم على الجمع بين المحكية الشامية والعربية الفصحى مثل لغة العديد من السير الشعبية العربية على ألسنة الرواة الشعبيين القدامى.

الناشر الفرنسى بيار برنار اشترى مجموع المخطوطات العربية ونقلها الى باريس وكلف باحثين فرنسيين باعداد الترجمة الفرنسية لهذا المخطوط الادبى النادر وهما: جورج بو اوجان باتريك غيوم المعروفان فى الاوساط الجامعية الفرنسية بكتاباتهما ودراساتهما فى المجال اللغوى الصرف. فما هى هذه الرواية اولا؟ انها سيرة الظاهر بيبرس وهو السلطان المملوكى الذى حكم مصر والشام فى القرن الثالث عشر والذى أوقف المد المغولى على الشرق وانتزع من الصليبيين بعض المواقع والقلاع التى كانوا قد احتلوها. هذه هى حكايته الواقعية اذا جاز القول، أما حكايته فى هذه السيرة - كما صاغها احد رواة ذلك الزمان فى دمشق - فمختلفة قليلا لان الخيال فيها ينطلق يختلق اخباراً عجيبة طريفة وساحرة، عن هذا الحاكم. فى العام الماضى صدرت الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السيرة وجرى استقبالها فى الصحافة الادبية الفرنسية بطريقة مدهشة نقتطف منها بعض هذه العبارات: جديدة - الكوتيديان دو بارى - اعتبرت الإقدام على نشر هذه السيرة «أبرز حدث ثقافى» فى فرنسا أما مجلة «هيستوراما» المتخصصة فى شؤون التاريخ فقد أعتبرتها: أطول رواية فى العالم، اما جريدة «اللموند» المرموقة فقد خصت هذه السيرة المترجمة بمقالة نقدية شهافية.

مصرى آخر تكرمه باريس هذا الموسم: انه يوسف ادريس، استاذ فن القصة القصيرة فى العالم العربى. انها المرة الاولى التى تتم فيها ترجمة قصص قصيرة للدكتور المصرى. وهو ما تنبه اليه المترجمان الفرنسيان: فيليب كاردينال ولوك باربيلسكو، إذ قاما بترجمة أربع قصص

قصيرة: «النداهة». . «فى جوف المدينة». . «الغريب». . و«سفر» فى كتاب واحد يحمل عنوان القصة القصيرة الاولى قصص قصيرة من مجموعات مختلفة ترسم معالم واجواء مصرية مختلفة من عالم القروية المصرية التى تنبهر باضواء المدينة وتحترق بها مثل الفراشة التى يسحرها الضوء ويقتلها بمجرد ان تقترب منه وذلك فى قصة «النداهة» الى عالم القاضى المصرى الذى يقودنا فى متاهات المدينة ودهاليزها وأقبيتها السرية الى عالم مراهق مصرى مهووس ومريض. . عوالم مريضة عوالم صعبة، عوالم واقعية، التقطها بدقة وحساسية الدكتور يوسف ادريس وهو الذى توصل فى بداياته المهنية كطبيب الى معايشته ومعرفة العديد من هذه الحالات الاجتماعية خاصة فى الاوساط الفقيرة المدقعة هى أربع قصص قصيرة من اصل مئة هى مجموع نتاج ادريس فى القصة القصيرة فهل تشجع هذه الترجمة على نشر قصص ادريس الاخرى بالفرنسية؟

المترجم الفرنسى جان ـ فرانسوا فوركاد أقدم على ترجمة «نجمة أغسطس» للروائى المصرى صنع الله ابراهيم وهى ترجمة تستحق أكثر من تنويه لا لجودتها فحسب بل لان المترجم أقدم على ترجمة رواية «صعبة» اذا جاز القول. ففى هذه الرواية التى وضعها الكاتب فى ١٩٧٤، يحاول صنع الله ابراهيم ابتكار شكل روائى جديد غير معروف فى عالم العربية وهو شكل فى عدة اشكال أو النص الروائى المتعدد المداخل والاصوات. فى حر الصيف المصرى ينتقل راوى هذه الرواية من القاهرة الى اسوان فى القطار، اثناء بناء «السد العالى» فى حكم جمال عبد الناصر. بناء السد عملية جبارة لا تقل صعوبة وابتكاراً بالتالى، عن تحويل الفنان النحات للمرمر فى منحوتات وأشكال جمالية. بناء السد يتقابل اذن مع الفن الفرعونى القديم أو مع جهود ميكيل انجلو فى النحت فى «عصر النهضة» بايطاليا الرواية عند صنع الله ابراهيم تسير وفق تداخل المقاطع بين مقطع روائى سردى يتحدث عن التحقيق الصحفى الذى يقوم به الراوى ـ الصحفى فى الرواية ومقطع آخر من دفاتر ميكيل انجلو وكتاباته الفنية أو من كتابات الفراعنة ومقطع ثالث منتزع من طفولة الكاتب وذكرياته فى السجن. اصوات فى صوت، جوقة لاداء لحن واحد، كتابة روائية حيادية ومنحازة باردة وحارة فى آن معاً، تجمع بين السردى والتخييلى، بين وقائع التاريخ المعاشة وصور الماضى البعيدة.

تصدر هذه الرواية مترجمة الى الفرنسية بعد الروسية والاسبانية وتكرم بالتالى هذا الكاتب المصرى (٥٠ عاماً) المقل جداً فى عالم النشر.

انيسة بومدين، زوجة الرئيس الجزائرى الراحل هوارى بومدين تفاجئنا هى الاخرى باصدار كتاب بالفرنسية عن الخنساء شاعرة المرثية العربية بعنوان «الخنساء: شاعرة وامرأة من الجزيرة العربية» كنا قد قرأنا قبل سنوات قصائد مكتوبة بالفرنسية لأنيسة بومدين واعتبر البعض هذه المحاولة. . طريفة ليس إلا على أساس انها كانت تكتب الشعر منعاً. . للضجر، وهو ما يعرفه البعض عند الفنانات الرسامات زوجات المشاهير بشكل خاص. إلا ان أنيسة بومدين خيبت ظن هؤلاء الذين اعتبروا غيابها منذ نشر تلك القصائد «اليتيمة» توقفاً عن مزاولة تلك الرغبة العابرة. خيبت ظنهم ولحسن حظنا فقد انشغلت زوجة الرئيس الجزائرى الراحل بهموم ادبنا القديم، وهو ما تقدمه لنا الآن فى كتاب انيق يعرف بشاعرة الجزيرة ويقدم شعرها لاول مرة فى الفرنسية. انيسة بومدين تقدم على ترجمة مجمل شعر الخنساء، حتى انها ترفقه بحواش ايضاحية خافية يحتاج اليها القارىء بالفرنسية دون شكل للتعرف المقرب على شعر المرثية بشكل خاص الذى قلما عرفه الادب الفرنسى، القديم مثل الحديث والذى بلغ مع الخنساء بشكل خاص فى التراث الشعرى العربى مرتبة النوع الادبى الى جانب المدح والهجاء وغيرها من اغراض الشعر العربى القديم. لا تكتفى بومدين بهذه الترجمة ـ وهو عمل شاق للغاية ـ بل تقدم ايضاً تعريفاً ضافياً بهذه الشاعرة، بهذه المرأة الجميلة ذات الشخصية القوية التى عرفتها الجزيرة العربية فى مواقع الرثاء بعد وفاة أخويه. ان نشر هذا الكتاب هو حصيلة جهد عدد من السنوات قضتها انيسة بومدين فى البحث والتنقيب والتحقيق والترجمة ثم ما لبثت ان صاغتها فى اطروحة دكتوراه دولة نالتها من جامعة السوربون. كتاب بومدين مرجع مفيد حتى لقراء العربية.

ابن خلدون لا يقل حظاً فى النشر هو الاخر عن الخنساء. الباحث المغربى عبد السلام شدادى اختصاصى فى الشؤون الخلدونية وهو الآخر دافع عن أطروحة دكتوراه قبل عدة سنوات فى جامعة السوربون عن كبير المؤرخين العرب والمسلمين. الجامعى المغربى شدادى قام فى ١٩٨٢ بترجمة «كتاب التعريف» «لابن خلدون» وهو الكتاب الذى يختتم به كتابه فى التاريخ ويقوم فيه برواية سيرته الذاتية و«رحلته غرباً وشرقاً» وقد اختار شدادى هذه العبارة الاخيرة «رحلة الغرب والشرق» عنوانا لكتابه الفرنسى.

يقدم الباحث المغربى هذه المرة على ترجمة مقتطفات ضافية من «كتاب العبر» ويصدرها فى جزئين يقعان فى أكثر من ٦٦٤ صفحة من القطع الكبير وهو الكتاب الذى يؤرخ فيه ابن خلدون لعرب المشرق وللعرب والبربر فى المغرب، متوقفاً امام هذه الاقوام شارحاً لطرقها فى العيش راسماً لتفريعاتها القبلية والعائلية وانسابها. انه كتاب التاريخ الذى وضعه ابن خلدون والذى لا يوليه الباحثون عرباً أم اجانب كل الاهمية العلمية التى يستحقها. يتوقف الباحثون غالباً امام ابن خلدون بوصفه رائد علم التاريخ الذى وضع اصوله وقواعده الاولى قبل ان يتبلور لاحقاً فى المغرب، فيدرسون بصورة خاصة «المقدمة» التى وضع فيها خلاصة علمه وخبرته فى شؤون الحكم والاقوام ويطرحون جانباً «كتاب العبر» الذى سجل فيه معرفته العينية والحسية لهذا التاريخ.

هذا وقد أصدرت منظمة اليونسكو كتاب «يوميات سارق النار» للشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى بعد ان قام بترجمتها من العربية الى الفرنسية الشاعر المغربى عبد اللطيف اللعبى وقد أتت هذه الترجمة ضمن خطة اليونسكو فى التعريف بثقافات وابداعات العالم. هذا وكانت المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم قد أقدمت قبل سنتين على اعداد ترجمة مختارة من شعر محمود درويش بعنوان: «سنة أخرى فقط» وأصدرتها عن «دار مينوى» الفرنسية تنفيذاً للخطة نفسها.

انها عينات عربية من كتب عديدة فى هذا الموسم الادبى اى اننا سنشهد ايضاً فى الشهور القادمة صدور عدد آخر من هذه المطبوعات العربية بالاضافة الى كتب فرنسية لكتاب عرب يكتبون بالفرنسية مباشرة مثل الكاتبين المغربى الطاهر بنجلون والجزائرى رشيد بوجدرة اللذين تعرف رواياتهما الجديدتان نجاحاً ملحوظاً حتى ان رواية بوجدرة مرشحة للفوز باحدى الجوائز الادبية الفرنسية المرموقة.

انه حضور يتزايد سنة بعد سنة خاصة وان «معهد العالم العربى» ينشطر هو الآخر انطلاقاً من باريس ويساعد فى اصدار بعض الكتب العربية بالفرنسية فمن المعروف انه ساعد فى الموسم الادبى الماضى على ترجمة رواية «المتشائل» لاميل حبيبى والبحث العلمى الذى أعده الكاتب التونسى هشام جعيط عن «مدينة الكوفة» وعدد آخر من الروايات: «الرجع البعيد» للعراقى فؤاد التكرلى «بين القصرين» للمصرى نجيب محفوظ، وغيرها ايضاً.

■ نشرت مجلة «المنهلة الغراء فى الصفحة ٤٠ من العدد ٤٥٢ رجب ١٤٠٧هـ كلمة للدكتور محمد الفاسى بعنوان: «**الأرقام العربية الحقيقية**» تضمنت أمورا تحتاج الى ايضاح:

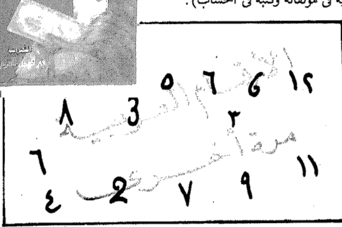
١ ـ يقول الدكتور الفاسى أغرب ظاهرة حضارية فى عصرنا هى فكر العرب أو بعضهم لأعظم اختراع قام به أسلافهم فى ميدان العلوم الرياضية وعم نفعه العالم بأسره واعترفت به كل الأمم وهو اختراع الأرقام العربية التى يستعملها المغاربة قاطبة وأهل الأندلس وصقلية أيام حكم الاسلام لها.

الذى نعرفه كما ورد فى المراجع العلمية أن الأرقام التى يشير إليها الكاتب 1,2,3 ويقول عنها أنها من اختراع العرب إنما هى فى الحقيقة هندية ونقلها العرب وطوروها واستعملها بعضهم.

والدليل على ذلك ما جاء فى صفحة ٨٨ من كتاب «**تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه**» تأليف الدكتور عبد الحليم منتصر:

(اطلع العرب على حساب الهنود وأخذوا عنهم نظام الترقيم فقد رأوا أنه أفضل من نظام الترقيم على حساب الجمل وكان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام واختاروا سلسلتين عرفت احداهما بالارقام الهندية وهى المستعملة الآن فى أغلب البلاد العربية ١، ٢، ٣ وعرفت الثانية باسم الأرقام العربية 1,2,3 ثم إنهم أوجدوا طريقة الاحصاء العشرى وعرفوا الكسر العشرى وعرفوا الصفر واستعملوا له النقطة كما ابتكروا وضع علامة الفاصلة للكسر العشرى.

وفى صفحة ٨٩ (وكان الخوارزمى أول من أورد الأرقام الهندية فى مؤلفاته وكتبه فى الحساب).



٢ ـ ويقول الكاتب (وهذا الاختراع هو ما يسمى الأرقام العربية فى القارات كلها باستثناء الأمم العربية الشرقية الذين يستعملون الأرقام الهندية أى الأجنبية والمؤسف ليس هو أن يستعملوا هذه الأرقام وينبذوا الأرقام العربية الأصيلة ولكن هو أن ينتقدوا من يستعملون الأرقام العربية الأصيلة ظنا منهم أنها أوربية وهذا سببه الجهل والجهل المركب أى جهل الشخص بشيىء وجهله لكونه يجهله وهذا ناتج عن تشبثهم بما وجدوا عليه آباءهم بدون تفكير ولا تمحيص.

وردّنا: ان المراجع العلمية تشير كما ذكرنا الى أن العرب قد نقلوا من الهنود سلسلتين من الأرقام الأولى 1,2,3 وسميت الأرقام العربية والثانية ١، ٢. ٣ وسميت الأرقام الهندية. اما سبب تسمية الأولى بالأرقام العربية فهو أنها انتقلت الى أوربا من الاندلس فأسموها الأرقام العربية (ولم يذكروا أصلها الهندى) ومن يرجع الى دوائر المعارف يعرف أصل السلسلتين من الأرقام.

جاء فى (موسوعة المورد) صفحة ١٣٦ الجزء الأول (الأرقام العربية 1,2,3 أرقام هندية الأصل أدخلها العرب الى أوربا منذ القرن التاسع للميلاد فحلت محل الأرقام الرومانية فيها).

٣ ـ ويقول: (دخلت الأرقام المغرب فى أول ظهورها بالمشرق قبل أن يعمل المشارقة لسبب نجهله الى استعمالها بشكلها الهندى).

وجوابنا على الكاتب أن العرب نقلوا من الهنود سلسلتين من الأرقام وطوروهما وقد استعمل معظمهم ودول اسلامية عديدة إحدى السلسلتين وهى ما يسمى بالارقام الهندية (وهى التى أصلها هندى) وصارت بعد ذلك عربية اسلامية وقد ترك الهنود استعمالها وهى مستعملة فى اللغة الأردية فى باكستان والفارسية والكردية والتركية (قبل أن يغيرها أتاتورك ويستعمل الارقام الأوربية التى أصلها هندى والحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية) وعدد آخر من البلاد الاسلامية.

والواجب على بعض الدول التى فى المغرب العربى أن يستعملوا الأرقام العربية التى يستعملها معظم العرب والمسلمين وفى ذلك تحقيق للوحدة العربية وتطبيق لخطة التعريب فى اللغة والأرقام.

٤ ـ لقد أحسن الكاتب بأن ختم مقاله بقرار المجمع الفقهى الاسلامى (فى عدم جواز استعمال الأرقام الأجنبية المستعملة فى أوربا بديلا عن الأرقام العربية). وكان الأولى به وببعض دول المغرب العربى أن يبادروا الى تنفيذ هذا القرار الهام الجيد المبنى على دراسات علمية دقيقة بدلا من مهاجمته بدون دليل ولا برهان زاعما أن الأرقام العربية هى التى تستعملها بعض دول المغرب العربى.

٥ ـ لقد نشرت جريدة (المسلمون) فى العدد ٩٥ الصادر بتاريخ ١٤٠٧/٣/٢٧هـ تعريفا بكتاب قيم هو «الارقام العربية» تأليف الدكتور أحمد مطلوب (الاستاذ بكلية الآداب فى جامعة بغداد) جاء فيه ما يأتى:

قراءات العدد

خلال قراءتى المستفيضة لعدد مجلة المنهل رقم (٤٥٧) لشهر صفر١٤٠٨هـ استوقفتنى ملاحظات اسجلها فى الاسطر التالية :

١ ـ قال استاذنا اللغوى الظاهرى فى (قيد الصيد) ما نصه : «جاء فى كتب السيرة ومنها «إنسان العيون» أن ملاعب الاسنة ويقال له : ملاعب الرماح أهدى الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ترسين وراحلتين وفى سائر كتب السيرة أنه أهدى (فرساً) وأظن (ترسين) تصحيفاً . . وأقول : هو لا شك تصحيف . . ولكنه تصحيف (فرسين) لا (فرساً) واحدا . . ومعلوم أن تصحيف الكلمة يكون من نفس بنية الكلمة بحرف أو اكثر فـ(ترسين) أصلها (فرسين) صحف حرف الفاء فيها إلى التاء .

٢ ـ وقال استاذنا الظاهرى فى (قيدة) فى العدد نفسه : «ورد فى كتب السيرة أن خبيب بن عدى اشتراه بنو الحارث بن عامر (بمئة) إبل . . واستعمال (مئة) بغير ألف (مائة) يساعد على التصحيف والتطبيع فيقال ويقرأ (فئه) بالفاء مرة و(منه) بالميم والنون مرة أخرى . وقد كره اللغويون العدول عن الأصل المستعمل (مائة) خشية التصحيف والتحريف .

٣ ـ فى مقال (ذكريات أديب) للأستاذ محمد جمال جاء قوله (وعشت فترة من دراستى بها كان مديرها فضيلة الشيخ عبد الله خياط عضو (هيئة) كبار العلماء) . . و(الهيئة) لغة بمعنى الشكل والسَّمْت واستعمالها بمعنى (الجماعة) خطأ وقد سبق للمجمع اللغوى المصرى أن صحح هذا الخطأ وأشار إلى أن الصواب أن يقال : (جماعة كبار العلماء) . وقد تكرر هذا الخطأ فى الصفحة (٢٠٥) . وهو خطأ شائع يحتاج الى تنبيه .

٤ ـ فى صفحة (٥٧) من نفس العدد جاء البيت :

نظمت قلائد زهرها كجواهر
نظمت زمردها إلى (عيقانها)

والصواب : (عقيانها) وهو خطأ تطبيع .

٥ ـ ومن خطأ التطبيع أيضاً ما جاء فى صفحة (٧٨) البيت :

(اذجر) فؤادك أن يهيم بهم

والصواب (أزجر) بالزاى لا بالذال ، وكم للتطبيع من جنايات وقانا الله منها .

ولا أطيل وأقول : هى هنات هينات كالخال فى وجه الحسناء ، والسلام .

عدنان أسعد
ـ القاهرة ـ

«لا تحتاج الأرقام العربية ١، ٢، ٣ من يثبت أصالتها فقد حفظتها القرون وصانتها الطروس وكانت مسيرتها الطويلة دليلا على تلك الأصالة فى خضم الأحداث ولكن ما يظهر فى الأفق بين حين وآخر يدعو الى الوقوف على الحقائق ليعرفها النشء ويستنير بها فى طريقه الطويل» .

أخذ العرب الأرقام الهندية من غير أن يأخذوا عن الهنود شكل تلك الأرقام كما هى ومعنى ذلك أن شكل الرقم العربى ليس كشكل الرقم الهندى .

ان العرب استعملوا الأرقام المألوفة ١، ٢، ٣ فى كتب الحسابات والمخطوطات طوال القرون السابقة وما يزال ألف مليون عربى ومسلم يستعلمها فى القرن العشرين .

إن الارقام الغبارية 1,2,3 لم تشع إلا فى بعض الأجزاء من العالم العربى ولم تعرف إلا فى بعض المخطوطات .

إن بعض الأقطار استعملت الأرقام المألوفة ١، ٢، ٣ فى صحافتها وإجازاتها العلمية ومخطوطاتها ومقابرها وعملتها ولم تستعمل الرقم المغترب إلا قبل أعوام قليلة .

فالسلسلة التى تستعمل الآن هى الأساس ولا يزال أكثر من ألف مليون عربى ومسلم ومستشرق يكتبون بها فلماذا يسعى بعضهم الى تغييرها ويدعو الى نقل الأرقام التى استقرت فى أوربا؟ لماذا تغير وقد استقرت فى الكتب وارتبطت ارتباطا وثيقا بحركة تطور الخط العربى وأصبحت جزءا منه واستقامت فى أيدى الكتاب وانسجمت فى الطباعة مع الحروف العربية؟) .

وكلنا أمل أن يقرأ الكاتب الكتاب المذكور ليطلع على الأدلة والبراهين التى تدعم رأى المجمع الفقهى الاسلامى والتى تحث بعض دول المغرب العربى أن يبادروا الى اصدار قرار باستعمال الأرقام العربية الحقيقية ١، ٢، ٣ بدلا من اصرارهم على استعمال الأرقام الأوربية التى هى هندية الأصل .

وأمر آخر أود الاشارة اليه ترى ما هى الأرقام المستعملة فى الوقت الحاضر فى دول العالم يبدو لى أن أهمها هى : «الارقام الاوربية والصينية واليابانية والهندية والعربية والمقصود بالارقام العربية (كما تذكر ذلك دوائر المعارف الحالية) هى الأرقام التى يستعملها معظم العرب والمسلمين ١، ٢، ٣ . . والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

عبد الله أحمد عبد الرحمن

مسابقة نادي أبها

أولا : الموضوعات :

لما كان أبو الطيب المتنبى من عمالقة الشعر العربى وموصوفا بأنه مالىء الدنيا وشاغل الناس وبالرغم من انه كان موضع دراسات كثير من المفكرين فى الماضى والحاضر إلا انه لا يزال يستحق المزيد من تسليط الأضواء عليه لفائدة المعاصرين وبخاصة المثقفين من الشباب والمطلوب إعداد بحث فى واحد من هذه الموضوعات :

١ - ثقافة المتنبى - ٢ - الطبيعة فى شعره -٣ - الصبور الفنية لديه .

ثانيا : الشروط :

(١) لا يقل البحث فى أى موضوع عن ثلاثين صفحة فلوسكاب .

(٢) يوثق البحث توثيقا علميا يعتمد فيه على المنهج العلمى من حيث المصادر والمراجع وتناول القضايا والافكار وعلامات الترقيم .

(٣) يجب أن يكون البحث جديدا فى بابه ولم يسبق نشره أو تقديمه لنيل درجة علمية .

(٤) يطبع البحث على آلة كاتبة وعلى وجه واحد من الورق وبعد تصحيحه من الأخطاء المطبعية يرسل الأصل مع نسخة مصورة .

(٥) يكتب المتسابق أو المتسابقة الاسم والعنوان ورقم الهاتف فى ورقة منفصلة عن البحث .

(٦) آخر موعد لارسال النصوص نهاية شهر ذى القعدة ١٤٠٨هـ

(٧) ترسل المشاركات على عنوان النادى الأدبى :

أبها - ص . ب - ٤٧٨

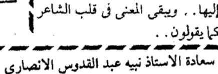
ثالثا : الجوائز

خصص للمسابقة جائزة مقدارها خمسة عشر الف ريال ويعطى للفائز الأول فى كل موضوع على حده مبلغ خمسة آلاف ريال .

« والله الموفق »

الحياة الفنية

■ الفن التشكيلى فعلا مثل الأشعار الغامضة فى الشعر المعاصر . . مهما شرحه اصحابه فمغزاه فى أنفسهم فقط . . ومهما ظن ناظروه أو قارئوه أنهم توصلوا الى حقيقته فهناك من المعانى الكثيرة التى لن يتوصلوا إليها . . ويبقى المعنى فى قلب الشاعر كما يقولون . .



سعادة الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

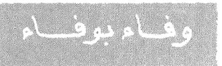
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد .

تشرفنا واغتبطنا كثيرا بتسلمنا نبع اول اصدارات مجلتنا المفضلة والغراء «المنهل» العذب والتى احتوت بين غلافيها ودفتيها الجميلتين صورة واضحة من الروعة والابداع فى نظمها وجمعها عقد فريد تحت مسمى «شذرات الذهب» متمثلة فى قطع مختارة منتقاه فى الدين والعادات والتقاليد والأدب والتاريخ والفكر والاجتماع تظهر جلية واضحة فى شرائح من المثل السائدة والحكمة والقول المأثور بلغت مجموعها الألف صفحة كان قد نظمها وألفها والدنا الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوى يرحمه الله لتكون مرجعا وعلما ونبراسا . . . تنتفع به الاجيال القادمة، ولقد تتبعنا باهتمام صدور مثل هذه الكنوز العلمية فى سبيل اثراء المكتبة السعودية ونشر الأدب السعودى وتناوله بين أقطار وأمصار الدول العربية والاسلامية لتكون حافزا ودافعا لحب الاطلاع والتعريف بامجاد القدماء وصنع الأجيال وذخيرة حية فى عقول الأبناء وتعلم الأجيال . . كما نود هنا أن ننوه بالشكر والعرفان لأدبائنا الكرام الأحياء منهم والأموات ونطالب باهتمام والحاح الصفوة الباقية منهم بأن يحاولوا الاهتمام بطبع ونشر وجمع آثارهم الأدبية والعلمية والفكرية واللغوية فى حياتهم قبل مماتهم وفى صحتهم قبل ضعفهم . . وفى الختام لا يسعنا فى هذا المقام الا أن نتقدم بالشكر والدعاء بأن يبارك لكم نتاج مطابعكم الخيرة والتقدير والعرفان والجميل لمؤسس هذه المجلة الغراء والدكم الأديب الفاضل المجيد فقيد (اللغة والأدب) الشيخ عبد القدوس الانصارى رحمه الله رحمة الابرار واسكنه فسيح جناته لما خلفه للأجيال من وافر العطاء فى منهله العذب المديد ونهج نجله النبيه بما هو وافر ومفيد فى بحر عطائه الكبير لنسأله تعالى لأن يوفقكم ويأخذ بأيديكم للقيام بشئون مجلتكم خير قيام لتؤدوا رسالتكم النبيلة لخدمة الدين والمليك والوطن وأن ينفع بكم وينفع بادبائنا العلم والمتعلمين والاسلام والمسلمين .

مقدموه

بنات المرحوم

احمد بن ابراهيم الغزاوى



وفاء بوفاء

*** المنهل : -**

هذا هو الاصدار رقم (٨) فى الرقم المسلسل لاصدارات دارة المنهل . . وما قامت به المنهل تجاه استاذنا وشيخنا الرائد الغزاوى لا يمثل الا بعضاً من وفاء . . حياكم الله .

●● (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء) تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى ٢٨٠/٣٤٥هـ تقريبا أعده للنشر بايضاح بعض غوامضه واعداد فهارسه واضافة بحث عن التعدين والمعادن فى جزيرة العرب الاستاذ المحقق حمد الجاسر. الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

■ الكتاب من الحجم الكبير فى حوالى خمسمائة صفحة وهذا الكتاب يقول عنه الاستاذ المؤرخ حمد الجاسر (نادر فى موضوعه فأنا لا أعرف مؤلفاً عربيا عنى بالتعدين فى بلاد العرب وفى ذكر معادنها المشهوره وفى كل ما يتعلق بصناعة الذهب والفضة قديما كهذا». ويقول ايضا (إن هذا الكتاب القيم يدل دلالة واضحة على ان لسلفنا الصالح آثاراً نافعة فى جميع العلوم) والكتاب شمل المعادن وأسماءها مضافة الى أماكنها ـ أدوات التعدين وأدويته وغير ذلك من ابواب الكتاب المتعددة فى هذا الجانب.



■ ورحل صاحب الكلمة الصادقة والرأى الأصيل.. وودع (الصمت) وانطلق من بين (الجدران).. رحل بعد أن رسم (دوائره فى دفتر الزمن).. رحل ونفسه تمتلىء بتناقضات العصر وتهويمات الحاضر. قاسى صراعاً لا يهدأ.. وصارع أمواجاً مُرّة وهو فى غيبوبته.. رحل من لم يستسلم لليأس أبداً.. وظل يحفر بأظافره فى جبهة الواقع المر الأليم.. فأسعد وأشجى قلوباً وعقولا بأنات فكره ونزيف نفسه.. رحل عنا فى صمت المبدعين تاركاً ثروة لن تضيع.. رحل الذين نحبهم.. وقلوبنا تنفطر وأعيننا تبكى دماء.. رحل السباعى عثمان.
نسأل الله ان يتغمده بواسع رحمته.

●● «الزهور تبحث عن آنية» مجموعة قصص للأستاذ عبد العزيز مشرى من الحجم الصغير فى (٨٣) صفحة من اصدارات نادى جيزان الأدبى الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م وللكاتب مجموعة من القصص اصدرها قبل ذلك منها: موت على الماء ـ الوسمية ـ اسفار السروى ـ بوح السنابل.

●● صدر للقاصة بهية بوسبيت مجموعة قصصية بعنوان «وتشاء الاقدار» الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ من الحجم العادى فى (١٠٧) صفحة..
يضم الكتاب عشرين قصة محلى بلوحات فنية جميلة من تصميم الفنانه وفاء منور.

سعادة الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد.

فقد اطلعت على محتوى العدد (٤٥٨) الصادر عن الربيعين من مجلتنا (الرائدة) المنهل كما أطلعت على الهدية الملحقة به والتى هى عبارة عن مجموعة قصائد بعنوان (أحاسيس اللظى)

والحق ان الموضوعات التى احتوى عليها العدد المشار اليه عالجت وتعالج قضايا على قدر كبير من الاهمية.. كما الفيت القصائد التى احتوى عليها كتيب (أحاسيس اللظى) لم تكن أحاسيس لظى فحسب بل كانت غضبة ثائرة على الذين تظاهروا بالاسلام إسما ثم تظهرهم الايام على حقيقتهم أعداء ألداء للاسلام والمسلمين من واقع افعالهم وتصرفاتهم.

حياكم الله: وحيا مجلتنا الرائدة المخلصة الصامدة فى الزود عن عقيدتنا واصالتنا وبورك فى خطواتكم الموفقه.. ورحم الله مؤسسها الرائد الراحل (عبد القدوس الانصارى) والذى أسسها على الحق والخير والتقوى فأتت ثمارها.

على خضران القرنى
الطائف

حياكم الله

تنويـه

نظرا لظروف إخراجيه وطباعية فإننا نعتذر من غياب «تحقيقات عرضية» للدكتور على جواد الطاهر.. عن منهلكم لهذا الشهر.. ولقاؤنا معكم بمشيئة الله فى العدد القادم وحلقة جديدة.
المنهل

شهوة الكلام

عجب أى عجب لهذا الكائن البشرى الذى يعرف أن قلة الكلام دلالة على نضوج الشخصية . . واستقامة الخلق لأن الأقدمين قالوا اذا كَبُرَ عقل المرء قلّ كلامه «ومَنْ قلّ كلامه قلّ عثاره» . وضمن لنفسه حياة هانئة سعيدة . . وسلوكا حضاريا بعيداً عن الاثارة . . خالياً من الأثرة . ولكنه يستبدل هذا الواقع المشرف والذى يتفق والخلق السوى بشهوة الكلام وآفة الثرثرة . . ويحشر نفسه وأنفه فى شؤون الآخرين فتكلفه الكثير من الجهد . . والطويل من الوقت . . وتجر عليه الكثير من المتاعب والضرر المادى والمعنوى . . ويضع نفسه موضع النقد والمؤاخذه . . وقد تؤدى به الى القطيعة واعتزال الآخرين له .

●● ولو ذهبنا نعدد الخسائر التى يجنيها هذا الكائن البشرى بسبب تلك ـ الآفة ـ لما وسعتنا صفحات وصفحات . . كل هذا يصدر ويحدث من هذا الكائن البشرى رغم أن تعاليم الدين واضحة فى ذم شهوة الكلام والتدخل فى شؤون الآخرين فقد قال الحق تعالى : ﴿**ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم**﴾ أى لا تتبع ـ وقال الرسول ﴿ﷺ﴾ فى كلمات جامعة : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» . . وفى حديث جامع فى هذا المعنى جاء عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «**رأس الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**» **ثم قال الرسول** ﴿ﷺ﴾ : «**ألا أخبرك بمِلاك ذلك كله؟ قلت بلى يا رسول الله؟ . . قال الرسول : كف عنك هذا . . وأشار الى لسانه . . قلتُ يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال رسول**

الله: «ثكلتك أمك يا معاذ؟ وهل يكب الناس فى النار الا حصائد ألسنتهم»؟.

وحياة المرء ليست بالسنوات التى يحياها انما بالأعمال التى حققها والانجازات التى اكتسبها لبلاده ونفسه وأهله واللاهى الثرثار الكمثار لا يجد وقتا للجد والقول المفيد.. والعمل الايجابى النافع.. ويجد ـ على الدوام ـ صدودا من الفضلاء.. ويمنع عن مجالسهم وندواتهم. وعلماء الاجتماع والمربون يرون ضرورة التركيز على آداب السلوك.. واحترام الغير.. وملء الأوقات بالنافع من البرامج التى تزيد فى الوعى.. وترتقى بالهدف وتنضج الشخصية وتشبع الهوايات.. لمعالجة أمثال هذه الأدواء.

وكذلك الدول تضع القوانين ليمتنع أفراد المجتمع ـ أى مجتمع ـ من السير وراء أمثال هذه الأدواء.. ومن يعرِّض نفسه لأى تصرف فيه مساس بالآخرين يقع تحت ملاحقة قانونية.. ففى بلد كالولايات المتحدة الأمريكيه يمكنك أن تقاضى أى فرد أدلى: بمعلومات تخصك.. وتمنع الدوائر الحكومية والمؤسسات المختلفة عن إعطاء أى معلومة عن موظف فيها الا باذنه. ولله در الشاعر العربى الذى أوضح لنا خطورة دور اللسان ليفطم المرء نفسه ويكف عن الثرثرة به لئلا توصله الى سوء المآل.

قال شاعرنا الحكيم:

جراحات السنان لها التئام
وليس يلتام ما جرح اللسان

●● ولعلى قد قاربت أهداف ـ مسك الختام ـ وحققت رغبة عزيزة من ـ المنهل ـ التى ارتقى كتابها الكبار بعطائهم الرائع الى المستوى العلمى والمعرفى الرصين يستوجب التهنئة والاكبار.. ويستلزم أن يعمل الجميع على أن تصل ـ المنهل ـ الغراء الى كل شداة الأدب ومحبى المعرفة.. وطلاب العلم.. فمثل هذا الاصدار الدورى العظيم قمين بأن يقتنى وأن يقرأ وأن يدخل كل بيت.

صورة وتعليق



باب مكة في جدة القديمة الذي أزيل في عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٧م وقد مر به عبر التاريخ أعداد لا تحصى من الحجاج المسلمين في طريقهم الى مكة المكرمة

دعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للاشتراك في

مسابقة أرامكو السنوية التاسعة لرسوم الأطفال

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية التاسعة لرسوم الأطفال من البنين والبنات، إسهاماً منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية.

موضوع المسابقة: اختيار موضوع المسابقة متروك للطفل.

الجوائز: خصص للفائزين في هذه المسابقة خمس وسبعون جائزة. وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

- ★ خمس وعشرون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- ★ خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- ★ خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة:

١- يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عاماً ويقيم حالياً في المملكة أن يشترك في المسابقة.

٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمل الطفل نفسه.

٣- يراعى ألا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضاً.

٤- يرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.

٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوى حفاظاً عليها من التلف.

٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.

٧- يرسل المظروف في موعد أقصاه ٢٦ جمادى الثانية ١٤٠٨هـ الموافق ١٤ فبراير ١٩٨٨م إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦ - أرامكو - الظهران.
ويكتب في أعلى المظروف: مسابقة أرامكو السنوية التاسعة لرسوم الأطفال.

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ما تراه الإدارة، وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية.



(PRI-5-87)

المنهل

ع ٤٦٢ السنة ٥٤ المجلد ٤٩

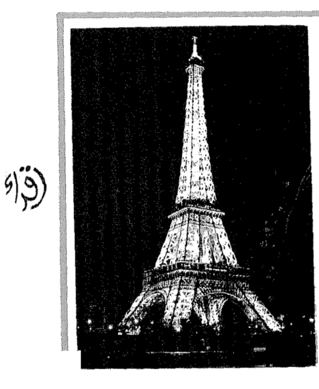
شعبان ١٤٠٨هـ مارس وابريل ١٩٨٨

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

براكين ثائرة على الأرض والكواكب

جوهرة في قلب الصحراء



اقرأ

حول آية "المن" في القرآن الكريم

التفسير الاعلامي للأدب الجزائري

نساء من الشرق ونساء من الغرب



في هذا العصر الذى تكاد الدنيا تصبح فيه «مدينة» واحدة ، مترامية الأطراف ، متشابكة المصالح والأهداف . . نرى كثيرا من الامم المتباينة فى المذاهب والمشارب تحاول بكل قواها أن تتكتل، وأن تظهر اذا جمعتها المجامع منسجمة فى الجوانب السياسية ، والاهداف الاقتصادية ، برغم ما يفصل بينها من المحيطات المتلاطمة والصحارى الشاسعة والأجواء الواسعة . . وذلك لأنها ترى فى هذا الصنيع نوعا من الحماية المفيدة لمقدّراتها ولمصالحها . .

وفى هذا العصر الذى يضج فيه العالم بوسائل التعمير والتدمير المتكافئة ويترجح الناس بين عوامل الخير الفواحة ، وعوامل الشر الفتاكة . نرى دنيانا نحن العرب والمسلمين مرتجة بين عوامل الاستغلال المثبطة وعوامل التماسك وحب الاستقلال المنشطة .

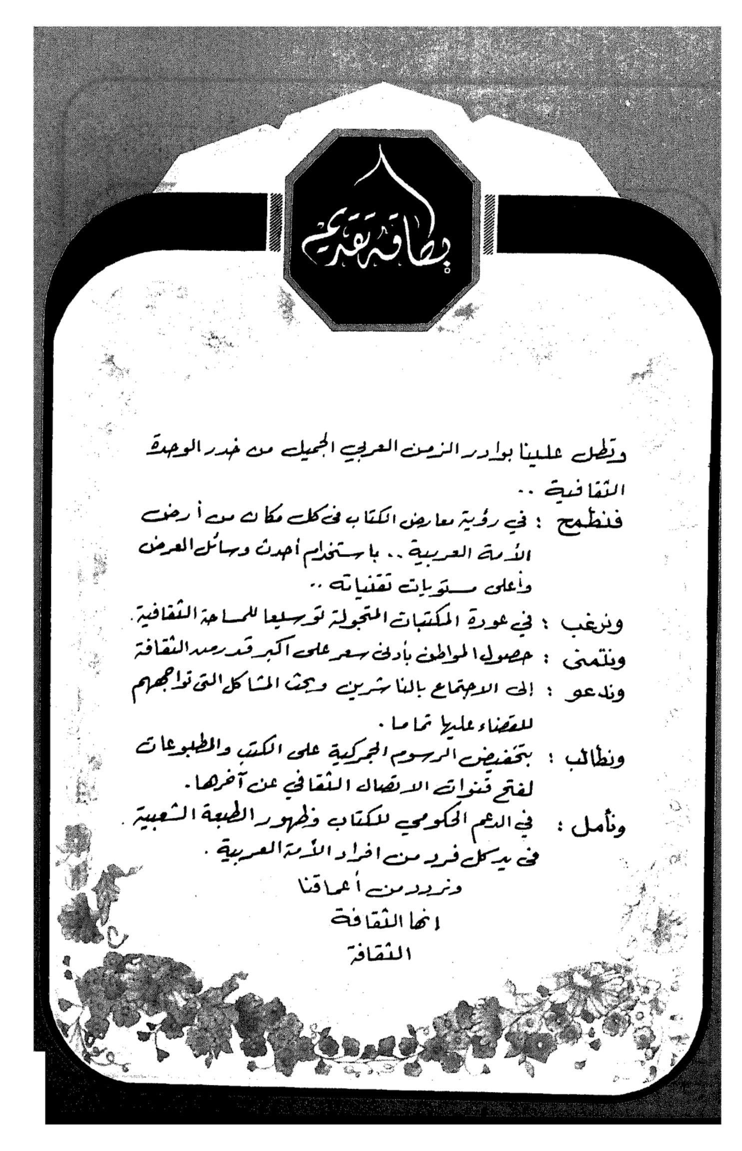
وفى هذا العصر المضطرب المائج نرى أمتنا العربية التى طال عليها أمد الاغفاءة والتخدير تتثاءب مندفعة لتروى ظمأها من غمير الحياة الكريمة . برغم ان قيود التباعد والشك ما تزال تفعل فعلها فى تأخير رتق الفتوق ورأب الصدوع ، ولأم الجروح .

وبالتالى فاننا فى هذا العصر يجب علينا اول ما يجب أن نسعى الى «تعريف» حقائق حياة بعضنا لبعض، وان نسعى ، الى «التعارف» فيما بيننا ، حتى لا تبقى غشاوة «تفرقة المستعمر» قائمة بيننا ، تحجب عن انظارنا تلك المقة الخالدة وتلك الثقة والمودة التالدة المغروسة فى أعماق العرب خير أمة اخرجت للناس لأبناء عمومتهم العرب المضطهدين، فى بعض أقطار المعمورة ، ولأبناء دينهم الحنيف البؤساء فى بعض أقطار المعمورة . . لأن هؤلاء وأولئك سواسية فى الود والتراحم والتعاطف . . بالنسبة لبعض . . (انما المؤمنون اخوة) . . «المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» . .

عبد القدوس الأنصاري

شعبان ١٣٧٥هـ

دار الأصفهاني للطباعة بجدة



بطاقة تقديم

وتطل علينا بوادر الزمن العربي الجميل من خدر الوحدة الثقافية ..

فنطمح : في رؤية معارض الكتاب في كل مكان من أرض الأمة العربية .. باستخدام أحدث وسائل العرض وأعلى مستويات تقنياته ..

ونرغب : في عودة المكتبات المتجولة توسيعا للمساحة الثقافية.

ونتمنى : حصول المواطن بأدنى سعر على أكبر قدر من الثقافة

وندعو : إلى الاجتماع بالناشرين وبحث المشاكل التي تواجههم للقضاء عليها تماما.

ونطالب : بتخفيض الرسوم الجمركية على الكتب والمطبوعات لفتح قنوات الاتصال الثقافي عن آخرها.

ونأمل : في الدعم الحكومي للكتاب وظهور الطبعة الشعبية في يد كل فرد من أفراد الأمة العربية.

ونردد من أعماقنا

إنها الثقافة

الثقافة



المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها : عبدالقدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

نائب رئيس التحرير

زهير نبيه الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج

- القاهرة : د. احمد الحفناوى
- عمان : روكس بن زائد العزيزى
- الرباط : عبد الرحيم عبد السلام
- تونس : د. نور الدين صمود
- انقرة : د. انور طاهر رضا
- الجزائر : د. بكرى عبد الكريم

- التحرير : السمانى كمال الدين
  نادر صلاح الدين
- خطوط : يعقوب السيد
- الجمع التصويرى :
  عبد الفتاح السيد سليمان
- العلاقات العامة :
  مصطفى محمد مصطفى

المركز الرئيسى

جدة ـ الشرقية
ص.ب : ٢٩٢٥
رمز بريدى : ٢١٤٦١
برقيا : المنهل
ت : ٦٤٢٧٨٣١
ت : ٦٤٣٩٧٦٥
فاكسيملى :
٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
ص.ب : ٢٩٠
ت : ٤٥٤٢٤٣٢

الاخراج الفني
صلاح عبد الغني

الاشتراكات

- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

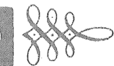
الاعلانات

تخاطب بشأنها الادارة ت : ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

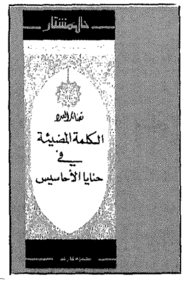
- السعودية : ٨ ريال
- البحرين : ٨٠٠ فلس
- قطر : ٨ ريال
- الامارات : ٨ دراهم
- اليمن : ١٢ ريال
- الاردن : ٥٠٠ فلس
- مصر : ١٠٠ قرش
- تونس : ٦٠٠ مليم
- المغرب : ١٠ دراهم
- موريتانيا : ١٠٠ أوقيه
- لندن : ١ جنيه

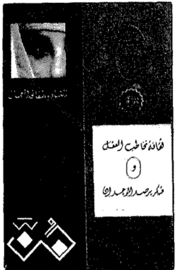
المجلة السعودية الأم





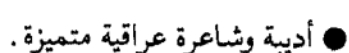




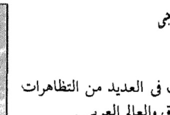


فقرات مستقلة

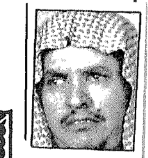
- ما أحوجنا نحن المسلمين فى هذه الفترة العصيبة الى جمع الشمل ونبذ الفرقة وقمع كل أسباب الصراع ص١٤.
- المنهج الوحيد لاصلاح النفس الانسانية هو منهج المولى تبارك وتعالى المتمثل فى كتابه الكريم وسُنَّة رسوله ﴿ﷺ﴾. ص٢٢
- الحرب بين الماضى والحاضر لن تتوقف على الاقل بالنسبة لتاريخ المجتمع الاسلامى. ص٤٠
- مدينة القدس صامدة وهويتها العربية الاسلامية مصانة. ص ١٠٩
- من التناقض العجيب ان تنتشر الأخطاء اللغوية معلقة على جوانب طرقات جامعاتنا. ص١٥٦



د. عاتكة الخزرجى



● أديبة وشاعرة عراقية متميزة.
● لها ديوان حجازيات.. وشاركت فى العديد من التظاهرات الثقافية والاحسيات الشعرية فى العراق والعالم العربى.



د. صالح بن غانم السدلان

● دكتوراه فى الشريعة الاسلامية تخصص فقه
● عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية/ الرياض
● له الكثير من المشاركات فى الصحف والمجلات السعودية والعربية.



د. ابراهيم حركات

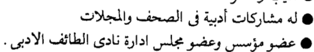
● استاذ كرسى التاريخ بجامعة محمد الخامس بالرباط
● له العديد من الدراسات فى الفكر الاسلامى والتاريخ الاسلامى.
● ساهم فى العديد من المؤتمرات الثقافية والتربوية.

وكلاء التوزيع:

تهامة للتوزيع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيع/ الد ـ دار المسيرة للطباعة/ ابو

علي خضران القرني





● أديب وشاعر
● له مشاركات أدبية فى الصحف والمجلات
● عضو مؤسس وعضو مجلس ادارة نادى الطائف الادبى .



ابراهيم أمين فودة

● رئيس النادى الأدبى الثقافى بمكة المكرمة سابقا
● شاعر واديب معروف.
● له كثير من المشاركات الشعرية المتميزة فى الساحة الادبية

نقولا زيادة

● دكتوراة فى التاريخ من جامعة لندن
● له مؤلفات عديدة فى التاريخ الاسلامى والتاريخ القديم والحديث.
● تستعين بخبرته الجامعة الامريكية فى بيروت اليوم.
● له العديد من الابحاث والمقالات

ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت٦٣٥١٥٢ ـ
العربية للوكالات والتوزيع/ المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦

في منتصف الطريق

الكلمة

لعربية تفيض غناء وثراء . . تعطيك الجديد تلو الجديد اذا ما استثيرت، ترسم لوحات ولوحات للنفس والحياة والمجتمع . .
والابداع يظل الهاجس المتردد عبر الازمان . . الشاعر تظل الكلمة معزوفته الرائعة يشد أوتارها ويتخيرها ويُجدِّد فيها النغم . . يبقى له تميُّزه وتفرده وذاتيته تحفظها ذاكرة الاجيال وترددها . . وهذا هو الابداع، ان يظل الصدى مترددا فى ذاكرة الزمن فى حضور تام لا تشيخ روائعه . . وتضيف الاجيال فى حلقات متصلة جديدها حبات عقدٍ حلوة تمتد قلائده . . لا يُنسي آخره أوله ولا يجور عليه بل يزيد فيه حسنا وبهاء . .

والآن تتخطى الذاكرة القرون وتستدعى شعر مَنْ تحب وتهوى وتميل اليه من شعراء القرون الاولى . . من قبل الهجرة وما بعدها فى تماذج وتلاقٍ تام رغم هذا الفارق الزمنى الكبير لما ارتأته فيهم من ابداع وما ركنت اليه عندهم متجاوزة فى ذلك أيضا ما تلقاه من غرابة فى بعض مفردات الالفاظ والكلمات التى تكون معانيها ومدلولاتها قد تغيرت بحكم معطيات مستجدات الحياة . . وهكذا والآن طبيعة اللغة فى تجددها وتعايشها فهى كائن حى له من صفاتنا المرونة لاستيعاب ما يستجد فى نطاق الحيز الزمنى .

حديث الشهر

زهير الأنصاري

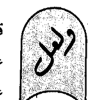
وإذا

رجعنا الى الوراء فالجديد هو الحاضر الماثل، لكن يتجدد بقاؤه أيضا بدرجة ابداعه . . ومهما يكن اختلاف وجهات النظر عند المهتمين بعملية الابداع فى تفريعاته المتعددة فانه يبقى الاطار العام لمفهوم الابداع قائما على التناغم التام بين موروثات الكلمة وعطاءاتها المتجددة الناتجة عن تفجيرها (كما يعبرون الان) فى مساحة التعبير لتعطى اكبر قدر من الحس بالتفاعل والتناغم التام بين موروثات الانسان الخيرة الفاضلة فى الاخلاق والسلوك والمعاملات . . وعليه فان الابداع لا يقف عند الكلمة ومدلولاتها المتجددة المتولدة منها وانما يبقى ايضا مرتبطا بالانسان كقيمة للعطاء الخيِّر فى كل مناحيه . . ويبقى أبدا مرتبطا بتنمية هذه القيمة الخيِّرة فى الانسان . . ويبقى

ابدا مراعيا لمعطيات الامة الثقافية والحضارية التى شكلت شخصيتها واكسبتها ذاتيتها من موروثات وعادات وتقاليد واعراف هى مكان الصدارة فى حركة حياتنا اليومية . . وكل هذا فى مجموعه يُنظر اليه من واقع النهج الاسلامى باعتباره الخط الاساسى لمسيرة الامة . . وعلى هذا فإنا نقول: ان الكلمة النيرة التى حملت رسالة السماء ومنهج الحق ينبغى ان تكون مسلك الابداع فى كل ما نبدعه ونسجله ونسطره .

وعليه فان الابداع الذى يعنى - الجمال - فى صورة من صوره وشكل من اشكاله لا يتأتى من خلط مزيج من (الوان) الكلمة ونضحها فى قطعة بيضاء كيفما اتفق وانما هو تخير وانتقاء وتركيب . . ومعاناة . . معاناة بين حس مرهف وخيال مجنح وبين عقل حتى لا يجمح هذا الحصان الجميل خارج دائرته ليقع فى المحظور . . ولا أظن ان هذا المحظور يحتاج منا إلى تعريف او تبيين .

أن نفتح ابوابنا لتهب علينا رياح ثقافات الآخرين فهذا شىء جميل . . وأن نتخيّر وننتقى منها افضلها وأحسنها مما يضيف جديدا خيرًا إلى ما عندنا هذا جميل ايضا . . أما أن نقع فى أسر الوافد من الثقافات والحضارات ونسلك مسالكها فهذا هو التقليد الاعمى والاستعباد الاحمق الذى لا ينبغى ان يكون من أبناء أمة لها سبقها الثقافى والحضارى والعلمى وفوق هذا لها منهجها ايضا . . ولا أظنه انقاصا من حق احد اذا قلنا ان عددا غير قليل من أدباء هذا الجيل ومثقفيه ونقاده قد ركبوا موجة الجديد بكل ما فيه من سلبيات وايجابيات . . منهم من سار مع الدفع عن وعى وادراك منه وتخيّر واصبح المدافع المنافح عن معطياته . . ومنهم من التهمته الموجة واصبح لا يعرف لنفسه موطأ قدم . . ولا شىء حسبه غير الاعجاب بالجديد . . وفى الاثنين خطر ماحق . . والأول أشد خطراً لأنه يدافع عن مبادىء مَنْ أخذ عنهم . .



قضية **(الاصالة والحداثة)** تظل مثار الحديث والنقاش والجدل . . ولا أظن عاقلاً يقف فى وجه تقدم الحياة وأساليبها ومعطياتها ومن جانب آخر لا أظن عاقلا أيضا يأخذ هذا الجديد من غير اتزان ولا تفكر فيه . . وكما أسلفت فى

بداية هذه الكلمة ان القديم الموروث والجديد المستحدث متلاقيان متعانقان دائما وظنى ان تكون هذه سمة من سمات الاصالة. . لا تركل القديم لقدمه او لأنه عفا عليه الزمن فقد يكون فيه ما يصلح لنا الان. . بل قد يكون فيه ما نحن احق به الآن وهذا شىء طبيعى لا غرابة فيه ولا مشاحة عنه. . ومن هنا يكون هذا التعانق الذى أعنيه وأذهب اليه.

ولى

لا شك فيـه ان الابداع فى اى مجال من مجالات الادب والفن (القصة ـ الشعر ـ المسرحية ـ الرسم . . . الخ) يفرض نفسه على الساحة. . والابداع ايضا هو العمل الذى يفرض نفسه على ذوق كل شخص ويحاكى أحاسيسه ويحرك مشاعره ويناجيه. . وفى غمرة التفاعل النفسى بين العمل الابداعى وبين المتلقى الواعى تحصل المعادلة البسيطة والتى ناتجها الفهم. .

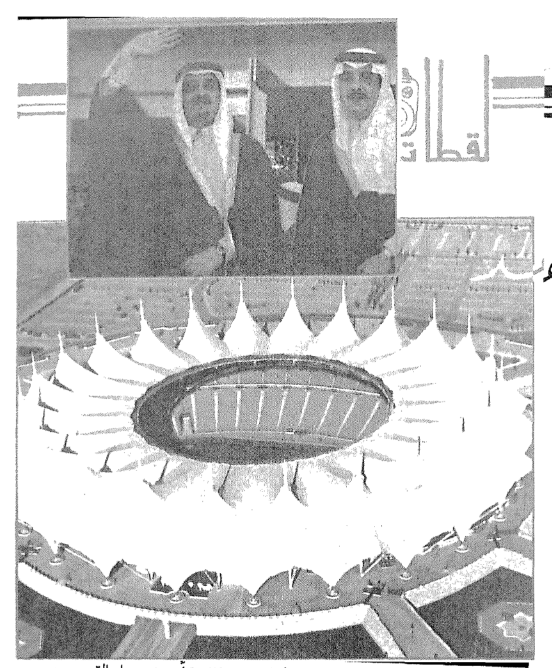
والاصالة ـ التى لا ينكرها عربى مسلم ـ هى تلك التعبيرات البليغة المتناسقة فى صنوف الثقافة. . هى تلك الكلمات المبنية على اسس سليمة يدركها صاحب الحس الفنى الراقى والخيال الادبى المتدفق. . والأصالة ـ أيضا ـ هى المحافظة على روح لغتنا العربية والعمل على الاستمرار فى نبش كنوز هذه اللغة والعمل على اظهار مفرداتها بالشكل الميسر والقوى فى آن واحد. . وبهذا المعنى من الوضوح والدقة وسلامة التعبير تقف الاصالة فى خط معاكس تماما ومضاد للغموض الذى يعنى عدم الوضوح فى العمل الادبى والفنى.

والحديث فى هذا المجال (**الاصالة ـ والحداثة**) أخذ الكثير من حبر الصحف والمجلات وجهد المهتمين حتى غدت بعض المداخلات غير المستحبة تشكل خرقاً لعاداتنا ومُثُلنا وقيمنا الاسلامية.

ولعله

من الاصلح والأنفع لنا جميعا ـ من غير شك ـ وخدمةً للثقافة العربية الاسلامية ان نتنَّزه فى حواراتنا ومناقشاتنا عن كل جدل يخرج الموضوع عن جادة البحث عن الحقيقة والصواب. . وعملية تقدير الابداع تظل فى المركز الاول من كل عمل ثقافى وادبى. . وكل ذلك لابد ان يسبقه التجرد الكامل والتام من أى غرض ذاتى غير خدمة الحقيقة فقط. . وتبقى الحقيقة وحدها دافعنا جميعا الى تجويد اعمالنا وابداعاتنا.

زهير الأنصاري



الاستاد الملك فهد الدولي

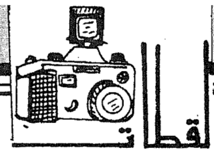
جوهرة في قلب الصحراء

■ بتشريف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العـزيـز وسمـو ولى عهـده الامين وكبـار الضيـوف والشخصيات الرياضية تم افتتاح استاد الملك فهد الدولى بالرياض.. هذه الجوهرة (الاستاد) والتى تمثل درة رائعة شدت اليها الاعين.. وجذبت الانتباه ورسمت خطوط الروعة والجمال فى مُحيًّا كل من رآها.

هذا الاستـاد فى شكله الخـارجي: صاغـه الخيـال العـربى خيمـة عربيـة واسعـة (٥٠٠,٠٠٠) متر مربـع.. اكـبر بنـايـة فى العـالم تتـوفر فيها مساحة مكشـوفـة.. ترحب هذه الخيمـة بما لا يقـل عن ٧٠,٠٠٠ مشـاهد.. الكرم العربى.. سقوفه توفر لهذا العدد الهائل الحماية التامة من تقلبات الظروف الطبيعيـة من شمس حارقـه وجو ماطر.. فالسقف القماشي نصف شفاف وهو على شكل حلقة دائرية قطرهـا الخـارجى ٢٩٠ متراً ويـدعمها بالقرب من طرفها الخارجى ٢٤ عموداً من الفولاذ بارتفاع ٦٠ متراً ويتم شده بهدف الاحتفـاظ بمظهـره فى جميع الظـروف الجـويـة والمنـاخية.. وهناك فتحة رئيسية قطرها ١٣٤ متراً فوق الملعب الرئيسى.

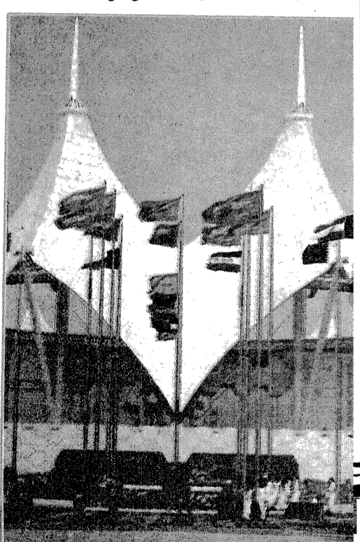
وأحيط الاستاد بمساحات خضراء واسعة تضفى إليه جمالا على جمال.. يلقى زائريه بست وأربعين بوابة مفتـوحـة الذراعين لاستقبالهم.. واضافة لهذا الجو الجميـل من الرحابة والسعة فقد أقيم الأستاد على بعد ٢٥كم شمال شرق العاصمة الرياض.

والاستاد فى شكله الداخلي: استخدم أرقى وأحدث وسـائـل التقنية فى مجال خدماته وتجهيزاته الداخلية ليؤدى أعلى واكبر طاقة وقدر من الاداء.. مقاعد للمشاهدين تسع ٧٠,٠٠٠ شخص مرقمه ومرتبة فى



شكـل بيضـاوى وفى تدرج وانسيـاب يسمـح لكل مشاهد بوضوح الرؤية امامه. . هذا مع شرفة تتسع لحوالى عشـرة آلاف شخص. . وشرفة كبار الزوار التى تسع (٨٠٠) شخص حيث يوجد جهاز تلفزيون امام كل شخص لمتابعة الالعاب والمباراة والعروض. .

أمـا المقصـورة الملكيـة فقد جهـزت تجهيـزاً فريـداً ورائعاً. . وفى داخل الاستاد أقيمت كل التجهيزات اللازمة للرياضيين من غرف لتغيير الملابس وقاعات للتـدريب واخـرى للمحـاضـرات. . ومراكز مجهزة للصحفيـين والاعـلاميـين بكـل متطلبات التغطية الصحفيـة من تلفـونـات وتلكس وفـاكس ووسائل مسـاعـدة للبث التلفـزيونى. . والجمهور يجد كافة متطلبـاتـه الخـدميـة فى داخـل الاستـاد من مطعم وكافتيريا وصالات وغيرها. . وقبل كل هذا المسجد.



ويـواكب افتتـاح استـاد الملك فهد الدولى بدء فعـاليـات دورة الخليج العربى التاسعة لكرة القدم والتى افتتحهـا خادم الحـرمين الشريفين فى كرنفال ريـاضى كبـير ومهـرجـان نادر اعـد خصيصـاً لهذه المناسبة. . وبصدور هذا العدد تكون دورة الخليج العربى التاسعة لكرة القدم قد انتهت وكم يسعدنا فوز منتخبنا الوطنى لكرة القدم. . فقد بدأت هذه الدورة والمنهل معد للطباعة.





حفل الافتتاح: فقد مثل روعة العرض وجمال الأداء من تلاميـذ المدارس وطلاب الشرطة العسكرية. . شكلوا لوحـات بأجسادهم مثلت الصناعة والزراعة والفن الشعبى. . (بـانـوراما)، من الرموز جسدها هذا العرض الجميل.

مكتبة الملك عبد العزيز

هدية سمو ولي العهد

للمثقفين وطلاب العلم

■ العلم .. أو بناء الانسان ـ العقل والفكر والمعرفة لتشييد حضارته وأمجاده يظل له السبق والأولوية .. وفى هذا الاطار من العمل البنائى الحضارى تأتى (مكتبة الملك عبد العزيز) بالرياض إضافة جديدة الى صروح المعرفة الانسانية التى أقامتها المملكة العربية السعودية وحرصت عليها كل الحرص..

من منطلق حرصه وتأكيده الدائم على توسيع دائرة المعرفة الانسانية ودائرة العلم والفكر أنشأ صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز هذه المكتبة على نفقته الخاصة لتكون مكتبة عامة تفتح ابوابها لكل طالبى العلم والمعرفة وهدية منه لرواد ميادين العلم.. وتأتى هذه المكتبة توءماً فى الاداء والعطاء لمؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية التى انشأها سموه على نفقته الخاصة فى المغرب الشقيق قبل اكثر من عامين.

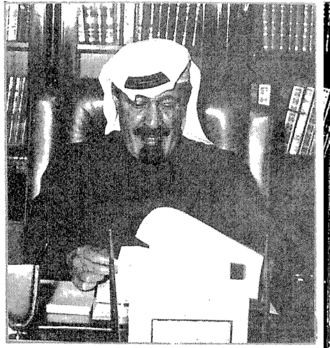
أقيمت هذه المكتبة فى مساحة اجمالية تزيد عن خمسة آلاف متر مربع.. بها امكانات متطورة ودقيقة لخدمة روادها من المطلعين والباحثين والدارسين.

والمكتبة تتبع نظام الرفوف المفتوحة التى تتيح للباحث الاطلاع بنفسه على مقتنيات المكتبة ويختار منها ما يناسبه مع الاستعانة بفهارس المكتبة التى تسهل له الحصول على ما يوده وتبلغ الطاقة الاجماليه للمكتبة (٢٠٠,٠٠٠) مجلد قابلة للزيادة عند الحاجة.. وضمن وسائل الخدمات الحديثة والتقنية المتعددة فى المكتبة وحدة للمواد السمعية والبصرية مجهزة بأفضل الوسائل لأداء الخدمات المكتبية.. وخدمة للباحثين والدارسين فقد استخدمت الحاسب الآلى فى ربط المكتبة ببعض مراكز المعلومات فى داخل المملكة حيث يمكن لرواد المكتبة الافادة من المعلومات المتوفرة لدى تلك المراكز.

والى جانب قاعاتها المتعددة فقد روعى فى تأسيسها تخصيص قاعة ملكية تضم كل ما كتب عن الملك عبد العزيز رحمه الله وعن المملكة من كتب وتسجيلات وصور.

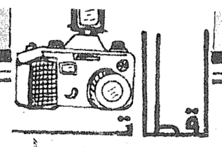
■ ويأتى فى أولويات أهداف هذه المكتبة:

- توفير مصادر المعلومات من كتب ودوريات ومواد سمعية وبصرية فى كافة فروع المعرفة البشرية.
- اتاحة الفرصة لكل فئات المجتمع للاستفادة من مقتنيات





المكتبة من الخارج



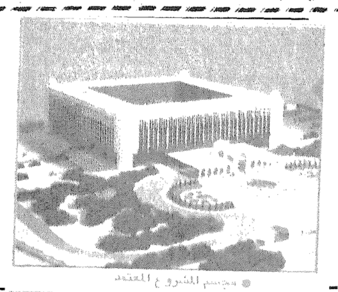
المكتبة والخدمات التى تقدمها لهم.
- تنظيم المقتنيات باستخدام التقنيات والاساليب الحديثة التى تسهل استخدام هذه المقتنيات دون عوائق مادية أو تنظيمية.
- توفير أفضل الخدمات للقراء والباحثين، وذلك بتقديم المعلومات وبثها لجميع المستفيدين بأفضل الوسائل المتاحة.
- المساهمة فى احياء وحماية التراث الاسلامى العربى.
- المساهمة فى تثقيف المجتمع بالاعتماد على شتى الوسائل مثل اقامة الندوات والمحاضرات والحلقات الدراسية والمشاركة فى برامج التعليم المستمر ومحو الأمية.
التعاون مع المكتبات ومراكز البحث والهيئات المحلية والخارجية فيما يحقق اهداف المكتبة.

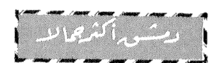
تونس مقر جديد لجامعة الدول العربية

■ بدأت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية فى تنفيذ مشروع بناء مقر جامعة الدول العربية بتونس انطلاقاً من قرار القمة العربية الثانية عشرة بفاس عام ١٩٨٢م. . وفى قمة عمان غير العادية عام ١٩٨٧م أثير القرار مرة أخرى وبدأت بعض الدول الأعضاء بتسديد مساهمتها مما مكن الأمانة العامة من الشروع فى التنفيذ على قطعة أرض واسعة تصل الى ٦٥ ألف متر مربع قدمتها الدولة التونسية. . تتميز بخضرتها وجمال موقعها وتحاذى الطريق السريع المؤدى الى مطار تونس قرطاج الدولى.

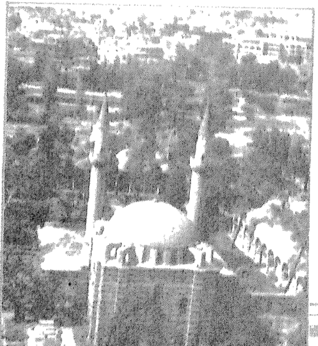
والمقر يتميز من الناحية الهندسية والمعمارية بتجسيم التراث الحضارى والثقافى للأمة العربية والفن المعمارى العربى الاسلامى وقيمه الجمالية. .

يشتمل المبنى على جناحين هامين - جناح المؤتمرات الذى يمثل ثلث المبنى ويشتمل على قاعة كبرى تتسع لـ ٤٠٠٠ شخص وخمس قاعات أخرى للاستقبال و (٦) قاعات لاجتماعات اللجان ومواقع لخدمات المؤتمر الضرورية كمركز الصحافة. . وأعمال السكرتارية. . ومسجد فى جناح المؤتمرات ومصلىً فى كل طابق من طوابق الجناح الادارى - وهو الجناح الثانى. . الذى يتكون من اربعة طوابق تتسع لحوالى ٦٠٠ موظف وقاعات للاجتماعات. . هذا. . والمهندسون العرب المشرفون على تنفيذ المقر الجديد يعملون بحماسة كبيرة وهمة منقطعة النظير حتى يخرج المقر فى مستوى لائق يشرف الأمة العربية. ويمكن قادتها من ممارسة العمل العربى المشترك فى أحسن الظروف وأقوى الوسائل.


● مجسم المشروع المنفذ



■ عام ١٩٨٨م عام تغيير ملامح لدمشق يجعلها أكثر جمالاً وبهجة. . بدأت الطريق الواسعة تحيط من كل جانب بالعاصمة والحديقة العامة الكبيرة والفنادق الجديدة. . بلغت كلفة إعادة تجهيز العاصمة السورية حوالى ٦٠٠ مليون ليرة. . وخلال هذا العام بمشيئة الله سينتهى تجهيز الحديقة العامة الضخمة التى تبلغ مساحتها ٧٠ هكتاراً شمال العاصمة كنظير لغوطة الجنوب. . ومن الجدير بالذكر أن هذا المنتزه سيضم مسرحاً رومانيا مفتوحاً أمام الجمهور. . وهناك لفتة أخرى من الحكومة الى أعمال الترميم فى الخانات القديمة حيث سيتم تحويلها الى فنادق حديثة على طريق (البهارات) تكسوها الزينة المعمارية الحضارية.



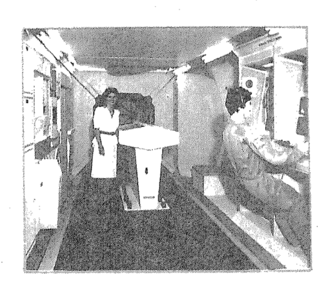
سوق الكتب النادرة

■ (٢×٥ر٢) سم هو مقاس أصغر كتاب فى العالم وعنوانه (لوحات من الحياة) ويرجع تاريخ طباعته الى عام ١٨٢١ فى باريس.. والكتاب مطبوع طباعة فاخرة بأحرف خشبية مع زخارف.. وفى المقابل نجد اكبر كتاب مقاسه (٧٦×٥٦) سم وعنوانه (تحت بساتين المكسيك) وفى سوق الكتب النادرة الذى اقيم فى العاصمة الاسترالية سدنى بلغ ثمن بيع الكتاب الاصغر (٤٥٠) دولاراً والاكبر ٦٠٠ر١ دولار..



تجمع هذه الصورة بين اصغر كتاب فى العالم وهو لوحات من الحياة واكبر كتاب وهو بساتين المكسيك

السكن فوق الجاذبية



■ أناس هوايتهم كل غريب وجديد.. أو لعله التطلع إلى المجهول..

(١٠٠ ألف دولار) دفعها أحد الاثرياء الفرنسيين لوكالة فضائية فرنسية رغبة منه فى ان يكون أول من يجلس على إحدى الكواكب إذا ما تم المشروع السكنى فى الفضاء.. (ولا ندرى فى اى فضاء سيكون هذا السكن..؟) فى الفضاء الكونى.. ام فى فضاء الخيال..؟ لننتظر.. ونترقب.. وإن غداً لناظره قريب.

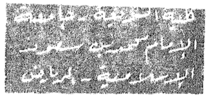
قوقعة اللغات

■ استطاع اللغوى الفرنسى البروفسور ميشيل بولنان تصميم سماعة أذن على شكل قوقعة تعين على تعلم لغات أجنبية بصورة أسرع من خلال تحليلها للأصوات التى تميز كل لغة من اللغات المستخدمة فى جميع أنحاء العالم.. القوقعة عرضت فى معرض اللغويات الدولى السادس الذى أقيم فى باريس وحازت إعجاب الزوار..

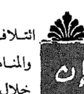


التضامن الإسلامي
وسائله وآثاره





الحمد لله الذى جعل المؤمنين إخوة وألّف بين قلوبهم وصيرهم بعد الفرقة كالبنيان . . نحمده تعالى على أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس وفضلنا على سائر الأجناس ونصلى ونسلم على محمد عبده ورسوله الداعى الى سبيل ربه بخير موعظة وأبلغ حكمة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويقوم الناس لرب العالمين.



إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج من أوضح شرائع الاسلام وألزم خلال المسلمين المخلصين، وهو الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها ونجاح رسالتها، وسر قوتها ومنبع عزتها، وأهم ما جاءت به الرسل بعد توحيد الله تعالى جمع الكلمة ولمّ الشعث وتسوية الصفوف.

ولقد جاء الخطاب الالهى مقرا هذا الوضع ؛ فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهى وإنما تناول الجماعة المسلمة كلها بالتأديب والارشاد قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعُوا واسجُدوا واعبُدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده . . الآية﴾** (سورة الحج ٧٧، ٧٨) . . وقال تعالى : **﴿يا أيها الناس اتقوا الله حقّ تُقاتِه ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** الآيات (سورة آل عمران الآيات ١٠٢، ١٠٣) ينادى الله تعالى الجماعة المسلمة ويوجهها إلى ما فيه خيرها وصلاحها، إلى القاعدتين الاساسيتين اللتين تقوم عليهما حياتها ومنهجها واللتين لابد منهما لكى تضطلع بالأمانة الضخمة التى ناطها الله بها وأخرجها للوجود من أجلها. . . هاتان القاعدتان المتلازمتان هما الايمان والأخوة: الايمان بالله سبحانه وتقواه ومراقبته فى كل لحظة من لحظات الحياة.

والأخوة فى الله التى تجعل من الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة قادرة على أداء دورها العظيم فى الحياة البشرية. . ولقد تحقق وعد الله، وجاءت هذه الأمة المسلمة عبر القرون الخالية لتنشىء فى الأرض طريقها على شرع الله وحده متميزة متفردة ظاهرة وتؤدى دورا عظيما لا ينهض به سواها، وبفضل الله تعالى ثم بفضل

اتحادهم وتضامنهم وتعاطفهم وتراحمهم فيما بينهم ظهروا مع قلتهم وانتصروا بشجاعتهم وفتحوا البلاد وسادوا العباد وقهروا الملوك والسلاطين، وصاروا أقوياء وعلماء وسادة الدنيا والدين.

بَيْدَ أن : أمتنا الأسلامية ـ وخاصة فى هذه الأيام العصيبة من الزمن ـ قد عانت وما تزال تعانى من ضعف وتمزق شديدين ومرت بأزمات كثيرة ونكبات متلاحقة كادت تفقد معها أمنها وطمأنينتها إن لم يكن ديارها وأموالها.

وفى نظرى: أن أول الأسباب التى أدت الى تقويض دولة الاسلام وإعاقة حركة المسلمين إنما يعود أول ما يعود الى تفرقهم فى الأرض شيعا واختلافهم وتنكر الكثير منهم لشرع الله الذى ارتضاه لهم؛ فانقسموا أحزابا وبات كل حزب يكيد للآخر ويتربص به، جهودهم غير متحدة وأعمالهم غير متفقة.

●● ماأحوجنا نحن المسلمين فى هذه الفترة العصيبة الى جمع الشمل ونبذ الفرقة وقمع كل أسباب الصراع وتحويل الطاقات وتضافر الجهود نحو العمل البناء المخلص المؤدى الى استئناف الحياة الاسلامية ـ بإذن الله ـ من جديد ـ

وأرى أن من ملامح هذا التضامن المنشود ما يلى:

ظهور الأمة الاسلامية بالمظهر الاسلامى

إن المجتمع الأسلامى يقوم على عديد من الروابط والقيم الكفيلة بأن تجعله مجتمعا فذا ونموذجا فريدا بين المجتمعات الأخرى، وهذه الروابط والقيم تستند الى أساس متين هو الايمان بالله والعمل بمقتضى هذا الايمان وهذا هو أول الروابط وأهمها وآكدها؛ فلا تقوم صلة حقيقية بين فردين من بنى البشر إلا على أساس العقيدة فى الله والايمان به والعمل بشرائعه فإذا قطعت هذه الصلة انبتت سائر الوشائج وانقطعت جميع الأواصر.

فإذا قامت عبادة الله على أساس صحيح من العقيدة والاستقامة، والاخلاص لله والصدق معه والخضوع لسلطانه؛ بتدبر وحيه من كتاب وسنة والعمل بهما وتنفيذهما فى شئون الحياة كلها نجحت جميع الآمال وانضبطت جميع الأعمال وأكسبت المجتمع الاعتدال والتوازن، وامتزجت أعمال أفراده بالطابع الدينى المطهر للأخلاق.

فإن أردنا حياة سعيدة يسودها الوئام ويعمها العدل والسلام فعلينا أن: *نحكم شرع الله فى كل أمور حياتنا: فلو فكرنا ـ نحن المسلمين مليا فى أوضاعنا وما وصلنا إليه من حال لا نحسد عليها؛ لاستشعرنا بل ولقررنا وبلا تردد أن صلاحنا بل وصلاح البشر كافة إنما هو فى الانضباط تحت شعار الدين والعقيدة الصحيحة وهذا هو واسطة عقد الحياة الهادئة المستقرة؛ فمن كان عبدا لله فمن ألزم وأعظم انواع العبودية لله أن يقيم حدود الله فى أرض الله وأن يحكم بما أنزل الله:* **﴿أفحُكمَ الجاهلية يبغون ومَنْ أحسنُ من الله حُكماً لِقوم يوقِنون﴾** *(المائد/٥٠).*

إن الاسلام: فى أحكامه ومبادئه وتشريعاته يمثل منهجا متكاملا لشعب الحياة الانسانية كلها فى العقيدة والعبادة والاجتماع والسياسة، وحتى أمور الغيب ومشاهد القيامة وأحوالها، والتطبيق العملى لأحكامه والالتزام بما جاء به والوقوف على حدوده ومبادئه هو المحور المحرك لعوامل النصر والبقاء والثبات. ولكن مما يندى له جبين كل مسلم غيور على دينه أن تلوح فى سماء أفق الحياة الاسلامية تيارات فكرية وعقائدية هدامة ودعوات مضللة تدعو الى

التجرد من المثل والقيم الروحية وتعلن متبجحة التحرر من الـدين، ورفـع شعـارات معـادية لديننا الاسـلامى الحنيف. . هذه الشعارات البراقة والمعلومة للجميع وغيرها غلفت بها أطماع وأحقاد ضد الانسانية أولا، وضد كل المبادىء والقيم والأديان السماوية العادلة، وما واقع المسلمين اليوم وما يعيشونه من ضياع وتشتت وتخاذل وهوان إلا ثمرة من ثمرات هذه الدعايات المعسولة وتلك الشعارات الزائفة المكذوبة.

■ ولو رجع المسلم إلى الوراء وقلب النظر فى تاريخ آبائه وأجداده من السلف الصالح ومن سار على دربهم لرأى أنهم سجلوا صفحات ناصعة من البطولة والتضحية وأسسوا حضارة اسلامية خالدة وحملوا لواء الدعوة ونافحوا من أجلها وطبقوا قواعدها العظيمة قولا وعملا وشعارا فى كل الأقضية وعلى جميع الأصعدة والمعاملات والأحوال الخاصة والعامة. . فكانوا بحق نماذج تحتذى للمسلمين الطائعين، المؤمنين بالله ربا ومعبودا وبالاسلام دينا ومنهج حياة متجردين عن الهوى، مستسلمين لأمر الله بلا أدنى ريب أو تردد.

■ فيا حماة الاسلام فى كل مكان. . يا خلفاء الله فى أرض الله هيا فاحتضنوا دعوتكم ونفذوا أحكام دينكم ولا يدخر أحدكم وسعا أو يألُ جهدا فى تطبيق حدود الله والعمل بشرع الله غير مبالٍ بالمصاعب أو المتاعب، وليكن عملكم متواصلا بكل حب ونشاط وسعى لتكون كلمة الله هى العليا فى سائر المعمورة لا يحول بينها حدود ولا سدود، ووحدوا جهودكم، واجمعوا كلمتكم تحت اطار الدين ووفْقَ قوله تعالى:

﴿إن هذه أمتُكُمْ أمة واحدة وأنا ربُّكم فاعبدونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

اختفاء معالم الشرك والبدع والخرافات

لا تقوم أى دعوى إصلاحية ولا ينجح أى مجهود لتقويم الأخلاق وتطهير المجتمع من أنواع الفساد، وتزكية النفوس من الغش والنفاق. . . الخ. إلا إذا قامت عبادة

> ائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات والمناهج من أوضح شرائع الاسلام..

الله على أساس صحيح من العقيدة والاستقامة والاخلاص لله والصدق معه والخضوع لسلطانه والعمل بشرائعه دون إفراط أو تفريط، وبدون ذلك تتأرجح الأخلاق وتطيش الأوزان وتتغلب الأغراض النفسية والشهوات، ولقد عانت أمتنا الاسلامية أزمات مختلفة، ورُزئت بمحن كثيرة ومرت بنكسات متعددة ولا تزال - وكان من أشدها انتشار وهيمنة البدع والخرافات، وظهور أهل السحر، ودعاة الشعوذة، والقبوريين، هؤلاء زيفوا حقائق الدين الاسلامى وغرروابجمغفير من المسلمين البسطاء، وحالوا بينهم وبين منابع الاسلام النقية الصافية الممثلة فى القرآن المجيد، والسنة النبوية الشريفة ناهيك عمّا ورثته أمتنا الاسلامية من التقاليد والأعراف البالية والاعتقادات الفاسدة والبدع الضالة كالمآتم وإقامة السرادقات ومواسم الأعياد والأفراح وتقاليد الزيارة وإقامة السهرات المختلطة والتعليم المختلط والتساقط على زيارة القبور، وتقديم النذور للضرائح. هذه كلها عوامل ساعدت على تشويه جمال الدين وحجب نور الاسلام الصحيح عن الكثير ممن فتن بهم وببدعهم وأوهامهم التى أضاعت رونق الاسلام وبهاءه وقوته. وهذا كله من أعظم عوامل ضعف المسلمين ونومهم وتقهقرهم. إذن: فلا سبيل الى النصر ولا نجاح للمسلمين إلا بالعودة الى الاسلام فى صفائه الفطرى واصله الأول الذى جعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

●● فليكن كل منا صورة صادقة لمبادىء الاسلام وقواعده وفق الكتاب والسنة يتمثلها اعتقادا وقولا وعملا وحكما

وعلما، ولنأخذ جميعا بمقومات الحياة السعيدة، ولا نفرط بنصيبنا فيها؛ ولنتمكن من أداء رسالتنا، ونأخذ بأسباب عزتنا، ويقوى بنياننا ويتماسك كياننا، وتكون لنا اليد الطولى التى نقدر بها ـ بإذن الله ـ على الصلاح والإصلاح فى الأرض.

تحقيق مدلول التضامن فيما بيننا

إن التضامن الاسلامى طاقة حية، وحركة دائمة، وعمل كل مسلم على تحقيق الاخذ بشرائع الاسلام التى تمكنه من اللقاء بالمجموعة الاسلامية فى أى مكان لقاء محبة ومودة ومشاركة فى السراء والضراء والشدة والرخاء. قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾ (سورة الشورى ١٣، ١٤).

وقال الرسول ﴿ﷺ﴾: «إن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه» رواه البخارى فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ج١ / ١٢٣ كتاب الصلاة باب رقم ٨٨ ـ فمتى وجدت هذه الروح التضامنية بين أفراد المجتمع الاسلامى فإنها تتعدى الى توحيد الثقافة وتنظيم الاقتصاد، وتبادل البعثات الفنية والعلمية والسياسية والعسكرية بروح من التعاون والتعاضد والعمل الجماعى ويتحقق ذلك بأن:

«يتم بناء الفرد المسلم الذى تنهض عقيدته على التوحيد، بناء صحيحا، ليعرف دوره وواجبه فى الحياة؛ فلا يعيش ذيلا مقلدا ومسايرا أو تابعا مسالما بل يكون قائدا متبوعاً آمرا وناهيا يفرض عقيدته ومبدأه حيث حل ويتمايز قلبه بالثبات على الحق والدأب فى نصرته بهمة عالية وعزم قوى، ويمتزج قوله بعمله ويعرف نفسه حق المعرفة.. ويتم بناء الأسرة المسلمة التى تعتبر نواة المجتمع الاسلامى الرشيد، لتقوم على المقومات التى جاء بها الاسلام تربية وتوجيها وأحكاما.. ويتم بناء المجتمع المسلم على أساس من الترابط الذى تقوم دعائمه على العبودية لله والعمل بشرائعه وولاء المؤمنين بعضهم لبعض على أساس من الحب والوفاء والفهم الموحد والفكر المشترك والتعارف والتكافل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. قال تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (سورة التوبة/٧١).

■ ويتم ايضا بالعمل الجاد والسعى الدؤب؛ فالتكاليف الشرعية والعبادات والأوامر والنواهى لا يكفى التصديق بها فحسب بل لابد من العمل بها واحترامها وإقامتها فى نفس الانسان وأسرته ومجتمعه وأمته ودولته، فالاسلام يكره للمسلم أن ينحصر فى نطاق نفسه أو ان يستوحش فى تفكيره وإحساسه وينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن: إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط من ورائهم» رواه البزار.

■ ويتم ايضا بالانضواء تحت لواء الجماعة ونبذ الفرقة والشقاق، فإن الشقاق يضعف الأمم القوية ويميت الأمم الضعيفة، ولذلك جعل الله أول عظة للمسلمين بعد أن انتصروا فى معركة «بدر الكبرى» أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم ـ قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ ثم أفهمهم أن الاتحاد فى العمل هو طريق النصر المحقق والقوة المرهوبة: قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (الأنفال/٤٦).

وقال حكيم لأولاده: حاضا لهم على الألفة والمحبة ولمّ الشعث:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا

■ والله نسأل أن يعيد للاسلام مجده وقوته وأن يجمع كلمة المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ويجعلنا هداة مهتدين والله حسبنا وهو نعم الوكيل.

مثاليـــــة الاســـــلام



عضو أكاديمية المملكة المغربية

تدفقت المعرفة الاسلامية من غار حراء كما يتدفق الماء من ينبوع ثرٍّ لا يلبث ان يصبح جدولا ليستحيل الى نهر غمر فبحر متلاطم الامواج. وهكذا تدفقت المعرفة الاسلامية تحمل من البدء خصوصية الاسلام فلا هى معرفة عقلانية تنكر الوجدان الانسانى وتختصر الوجود فى مظهره المادى ولا هى معرفة صوفية تستبعد منطق العقل. ولا هى من فصيلة المعرفة المحدودة المحصورة فى الزمان والمكان.. او من نوع المعرفة الفلسفية التى لحقتها والتى ما تزال تبحث عن نفسها. ولكنها معرفة شمولية وتقوم مع ذلك على الوسيطة فى جميع ابعاد ثقافة الانسان وحيويته.

لقد تحرر الانسان بالاسلام من الرق والعبودية والتبعية.. فتمكن بذلك من ان يبدع فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية والفنية حاملا فى ابداعه خصوصية الابستيمولوجية الاسلامية الجديدة التى تحمل فى ثناياها روح الاستمرارية. والقدرة على التحدى لانها فى واقعها ذات عناصر ازلية فطرية لا يمكن بحال تغييرها واجتثاثها وطمسها بل كلما تمت المعرفة الاسلامية تمت بها ومعها خلافة الانسان فى الارض وأهّلته اكثر للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها بكسب المزيد من الحرية السياسية. والنماء الاقتصادى والتطور الاجتماعى مع تقيده فى ذلك كله بحدود انسانيته وخضوعه للقدرة التى أهّلته للنمو والارتقاء.

نعم ظهرت حضارة اسلامية جديدة لا هى ذات الاصول الشرقية البابلية او الاشورية او غيرها من حضارات ما بين النهرين ولا ذات الاصول اليونانية او الرومانية ولا هى من نبع الهندية او الحكم الكنفشيوسية والشنتوية.. انها حضارة ذات خلفية ثقافية عميقة مكّنت لفكر الانسان ووجدانه وحريته وكرامته فتهافتت الشعوب عليها تجد فيها التحرر من اجل البناء والالتزام بالكريم من القيم.

وفى ظل الاسلام تكامل للانسان بناء هذه الحضارة التى وجد فيها العقل مجالا حيًّا لتطوير

المعرفة العلمية كما وجد فيها الوجدان غذاءه الروحى الذى لقح وهذب النتاج الانسانى الفكرى، وامتد الفكر الاسلامى يزخر بهذا النتاج عبر الصين الى المحيط ومن قلب افريقيا الى جنوب فرنسا . . حيث ظل الكاتب (اناتول فرانس) يلوم شارل مارتل الذى اوقف زحف الاسلام نحو اوربا فى معركة بواتيه . . ثم غمر المد الاسلامى اوربا كما غمر اسيا وافريقيا واصبح من المألوف ان يكون الاسلام حيث يكون العقل والانعتاق وبذلك اصبح الاسلام منهلاً للجامعات ومادة اخصاب للعلوم الانسانية من فلسفة وقانون وفنون .

وفى ظرف وجيز طبع الاسلام ثلاث قارات بطابعه القوى الذى لا يبلى لأنه جمع بين الحكمة والعلم والتجربة والعقيدة والعمل والعبادة والتفكير والحرية واعتبر كرامة الانسان خلافته وحضارته فى الارض ولم يستغل الاسلام الطبيعة لانها مجرد انتاج للاستهلاك ولم يطرد ويضايق طائفة بشرية من اجل عقيدتها او طقوسها ولم يشكل استعمارا للارض او الانتاج ولم يقر عنصرية لونية او عرقية او قومية .

في غفلة انبهار المسلمين بشرعية نظامهم واكتفائهم بأمجادهم، طغت على مجتمع الاسلام الحضارة المادية وتسربت الى صفوفه عناصر حاقدة لتتلف انسجته الداخلية وبناياته الاولية وتهاجمه من اطرافه بالقوة حينا وبالدس والحيلة حينا آخر.

وحيث فقد المجتمع الاسلامى محتواه وسر وجوده فقد سهل نسف كيانه فتساقطت عواصمه من بغداد الى دمشق الى غرناطة وتمبكتو وسبتة وانزوى الاسلام فى التكايا والزوايا يعيش احلام اليقظة . . ثم تداعى عليه اعداؤه كما تتداعى الأكلة على قصعة الثريد . . واذ المسلمون غثاء كغثاء السيل (كما فى الحديث) يُحاصرون فى كل مكان من اعدائهم وحتى من انفسهم .

لحسن الحظ ان ناموس الجزْر والمد سنة ثابتة من سنن الكون فبعد النكسة لم تلبث ان ارتفعت اصوات المصلحين المجددين من السياسيين والعلماء الذين تداعوا الى العودة الى الينابيع الصافية الاسلامية للنهل منها والاستمداد من قوتها لتغيير الواقع المفروض وانتشال العالم الاسلامى من وهدة التأخر وعودته الى الاسهام فى تطوير الحضارة الجديدة .

ولا يُنكر عنصر الجرأة فى هذه الدعوة كما لا يمكن تجاهل تأثيرها على حركات المقاومة التحريرية الوطنية وما ترتب على مساهمتها فيها من التعجيل بالخلاص للمواقع الاسلامية التى سقطت فى احضان الاستعمار الغربى فالشعور الدينى الذى نماه فى نفوس الجماهير دعاة الاصلاح زاد التجديد والعودة الى اصالة الاسلام ورسخ الشعور بالوطنية واخصب محتواه . . وان كان التاريخ قد عزا فضل نيل الاستقلال الى الشعور الوطنى وحده .

على من ان استقلال الشعوب الاسلامية كان حدثا بارزا بين احداث تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية وكان كسبا ثمينا لتلك الشعوب فانها لم تلبث ان صدمتها خيبة امل عندما وجدت ان الاستقلال السياسى او المظهرى الذى حصلت عليه بكفاح مرير لم يحقق لها السعادة التى داعبت احلامها طيلة عهد الكفاح الوطنى اذ ظلت خيراتها الاقتصادية بصفة او اخرى نهبا للاجنبى فلم تشعر بمردودية عهد الاستقلال على معاشها اليومى وظلت تجرى فى فلك التبعية الاقتصادية كما تبين لها انها لم تسترد ذاتيتها باسترجاع



الاستقلال السياسي وان التغيير المظهري الذي طرأ على اوضاعها لم ينفذ الى استئصال الاستلاب الثقافي والتغريب الروحي وقد عمل الاستعمار القديم لترسيخها في الوجدان والضمائر بفعل ترسيخ ثقافته ومظاهر حضارته المادية في اعماق الاجيال التي كونّها بطابعه الخاص.

ووجدت بعض دول العالم الثالث نفسها مطوقة في عهد الاستقلال بتكتلات الدول المتقدمة التي خططت لفرض نفوذها السياسي المقنع من خلال التبعية الاقتصادية والفكرية التي لم تنته بنهاية عهد الاستعمار السياسي اى ان هذه الدول رغم حصولها على حظوة الالتحاق بالمنظمات الدولية في تكافؤ ظاهري مع الدول الكبرى ظلت مهمشة في ميدان التعامل الدولي مما جعل الدول الصغرى او الضعيفة تعكس صورة تيم التي قال عنها الشاعر العربي :

ويقضى الامر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم حضور

وفي اتجاه تغيير هذا الوضع اختمر الوعى عند الدول المستضعفة بضرورة تكتيل صفوفها وتنسيق جهودها لتستطيع التاثير في الاحداث او اتقاء تطورها في اتجاه تضاعف بسط النفوذ الاستعماري عليها، بعضها ذو اغراض سياسية، وبعضها الاخر مؤسسات متخصصة، ومن بين الاولى منظمة المؤتمر الاسلامي التي تضم ما يزيد على اربعين دولة اسلامية من افريقيا واسيا. والتي تشخص ارادة العالم الاسلامي في القيام بدوره كاملا على صعيد المجتمع الدولي كقوة متميزة عاملة لنشر القيم الخيرة الكفيلة بانقاذ العالم مما يهدده من حروب وانتكاسات. وعن هذه المنظمة انبثقت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي تضم اليوم اكثر من ثلاثين دولة اسلامية في انتظار التحاق بقية دول المؤتمر الاسلامي بها. . ان هذه المنظمة تعبير عن الصحوة الاسلامية التي تميز الاسلام اليوم.

وفي ميدان الثقافة جاءت المنظمة الاسلامية لتعكس الصحوة الاسلامية التي تواجه تحديات لا تغالب الا بمزيد من وعى المسلمين وتماسك قوتهم وصلابة عودهم. . ذلك لان الدول الاسلامية ملزمة بتنمية مجتمعاتها وتطويرها لدمجها في الحضارة المعاصرة دون ان تفقد اصالتها او تتلاشى ذاتيتها. وهى في نفس الوقت ملزمة بالدفاع عن كيان الامة الاسلامية وشخصيتها، والسبيل الى ذلك لا يكون الا بتنظيم ذاتي داخلي محكم، وبتنسيق بين الدول الاسلامية تنسيقا عمليا منتظما حتى لا يتعرض للانتكاس لان جدلية التنسيق تقتضى بُعد النظر وتبادل المشورة والرأى.

ومن حسن حظ المنظمة انها تعتمد ارضية عقائدية يؤمن بها المسلمون قاطبة، ويلتزمون بها تلقائيا. وهذا ما يجعلها تنفذ الى ضمير الشعوب الاسلامية لتتجاوز المصالح الانية الاقتصادية والسياسية. . فلحمة العقيدة الاسلامية ذوبت - فعلا - الانتماءات الحضارية القديمة التي انعدم تأثيرها كليا في المفهوم الاسلامي للحضارة الانسانية العامة عندما انصهرت كل الشعوب في حضارة اسلامية لم تحاول القضاء على انسية اية حضارة وانما كانت كالشمس التي تغيب بطلعتها كل النجوم رغم بقائها في مواقعها. ومن حسن حظ المنظمة انها لا تجابه صراعا اقتصاديا او سياسيا بين مصالح الشعوب. وانما هى تسعى لتحقيق مثالية اسلامية في العدل والمساواة والحرية، لا بمفهوم المثالية الافلاطونية التي تصطدم بالواقع لا،



ولا المثالية العقلانية الخالصة ولا بمفهوم المثالية الطوباوية لان مثالية الاسلام هي استمرار المسيرة للوصول الى الامثل فى العدل والمساواة. دون نكران للواقع او هروب منه.

تعتمد المنظمة استراتيجية موحدة تعمل للمستقبل بتخطيط محكم فتأخذ بالاسبقيات دون اهمال ما بعدها. . فهناك مسلَّمات ستعتمد عليها باستمرار. وهناك مستجدات تسترشد بها فى كل حين. وهناك وجهات نظر تفرضها ديمقراطية العمل. . وفى اطار المسلمات والمستجدات ووجهات النظر. سينطلق الفكر الاسلامى ليعمل بحيوية واصرار كما كان فى عصور الازدهار الذى نما وترعرع بالاجتهاد.

لقد مرت بالعالم الاسلامى ظروف هان فيها امره على الاستعمار والمستعمرين فنهبت خيراته وفوتت عبقريته. ولكنه حاول جاهدا رد الاعتبار متمسكا بحبل الوحدة والاعتصام بالله.

عليه ان يظل متماسكا فى وحدة سياسية تردد فى البحث عنها (بعد انهيار الخلافة) بين اختيارات: جامعة اسلامية او رابطة اسلامية او تضامن اسلامى، ولكنه اختار طريق التضامن الاسلامى بعدما اقدم الصهاينة على احراق المسجد الاقصى سنة ١٩٦٩. فاجتمعت القمة الاسلامية بالمغرب لاول مرة بعد شهر واحد من ذلك. وتقرر عقد اجتماع وزراء خارجية الدول المشاركة فى جدة حيث تم الاتفاق على انشاء امانة عامة للمؤتمر الاسلامى، وتمت هيكلة منظمة المؤتمر

الاسلام حرر الانسان من الرق والعبودية والتبعية ..

الاسلامى، فكونت سبع لجان متخصصة، وتفرعت عشرة اجهزة عن تلك المنظمة. . كما انشئت مؤسسات تابعة لها، واخيرا انبثقت عن منظمة المؤتمر الاسلامى المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (اسيسكو) كما انبثقت اليونسكو عن هيئة الامم المتحدة. وقد انشئت منظمة الايسيسكو بناء على قرار المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية المنعقد بفاس. فقد سلف أنْ صادَقَ المؤتمر الحادى عشر المنعقد باسلام اباد على النظام الاسلامى لها. ورسم اهداف تقوية التعاون بين اعضاء الدول الاسلامية فى ميادين التربية والثقافة والبحث العلمى، ودعم الثقافة الاسلامية وحماية الفكر الاسلامى من الغزو الفكرى وتشجيع التعاون بين الدول الاعضاء وتطوير العلوم التطبيقية، واستخدام التكنولوجيا فى اطار المثل الاسلامية، وحماية الشخصية الاسلامية للمسلمين فى البلدان غير الاسلامية، وتدعيم التفاهم بين الشعوب واقرار السلم والامن بشتى الوسائل والتنسيق بين المؤسسات المتخصصة بمنظمة المؤتمر الاسلامى، كل ذلك تدعيما للتضامن والتكامل الثقافى للعالم الاسلامى.



الصيام

طاعة وتحقيق للتوازن الانسانى

محمد رجاء عبد المتجلى
ماجستير فى العلوم والآداب العربية - القاهرة

سبحانك اللهم ياذا الجلال والاكرام، تصطفى من خلقك مَنْ تشاء، ليكونوا هداة ودعاة للفلاح، حتى لا يكون للناس على الله عز وجل حجة بعد الرسل.. وتصطفى من الأيام ما تشاء، تفرض فيها من العبادات ما يذكرهم بك، ويكون فى تكرارها بين الأيام عظة وعبرة، تنبه الى واسع مغفرتك، وعظيم رحمتك.. وتصطفى من هذه الأيام شهرا، يطالع العالم بهلاله المتألق الساطع، تحيى فيه القلوب بعد موتها على طول أيامه، ويكسوها جلالاً يستشعره المؤمن فى أعماقه.

ان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كان يصوم شهر رمضان من كل عام قبل بعثته، متعبدا فى غار «حراء»، وفى هذا دليل على كون صيام شهر رمضان كان منتشرا عند العرب قبل الاسلام - وبخاصة فى قريش - فلقد روى فى حديث بدء الوحى أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان قبل بعثته يجاور فى غار «حراء» شهرا من كل سنة، وأنه كان يقضى هذا الشهر صائما عن الطعام، ويطعم من جاءه من المساكين، وأن هذا الشهر هو شهر رمضان، وأن ذلك كان مما تتحنث - أى: تتقرب - الى الله عز وجل به «قريش» فى الجاهلية.

لعلكم تتقون

تقاس قوة الفرد بقوة باطنه وضميره، فصلاح الباطن والضمير الحى قوة لا يغنى غناها علم ولا قانون، ولا مال ولا قوة، وهو السر الخفى الذى يودعه المولى تبارك وتعالى فى النفوس، فيعطى للفرد صلابة وقوة، وينمى فيه روح المقاومة.. ومن أجل ذلك كانت عناية الاسلام بالهداية والتربية قبل التشريع، وبالضمير قبل القانون، وكانت أركانه وأصوله عقائد وعبادات تعالج أعماق النفس، وتروض ظاهرها الحسى على معانى البر والتقوى.

ان المولى تبارك وتعالى جعل صيام رمضان ركناً من أركان الاسلام، وفريضة على النفس، يقوى ضميرها، ويثبت أخلاقها، ويروض ارادتها وعزمها، وينشىء لها صلابة المسلم، وأمانة المؤمن، وعفة الكريم، وما الى غير ذلك من الصفات التى هى فى جملتها خصال التقوى، يقول المولى تبارك وتعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا: كُتِب عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** (سورة البقرة الآية ١٨٣).

ولقد كشف المولى تبارك وتعالى عن حكمة الصيام وثمرته فى هذه الكلمة المضيئة «التقوى»، حيث يتجمع فيها كل ما يرجى للصائم من ألوان الهدى، والخير والبر، وان هذه الكلمة الجليلة تتسع فتشمل الاسلام عقيدة، وعبادة، وسلوكا، وهى مع خفتها على اللسان، ثقيلة فى الميزان، وبها يتمايز الناس عند الله عز وجل، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**ان أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (سورة الحجرات: الآية ١٣).

وهى صمام الأمن والأمان فى المجتمع، والحارس اليقظ داخل الضمائر، فاذا ثارت الشهوة، وجمحت الغريزة، جاءت التقوى، فردت الهوى الشارد، وكبحت الجماح، وصدت النفس الأمارة بالسوء، لأن التقوى ليست فى حقيقتها سوى حساسية القلب وشعوره بالخوف، ورجفته من غضب المولى تبارك وتعالى.

وهى بهذا المعنى الجليل اذا اكتملت صورتها فى قلب المؤمن، أقبل على صيام رمضان ايمانا واحتسابا، وايثارا لما عند الله عز وجل من أجر ومثوبة.. ولعظيم اهتمام الاسلام بالتقوى، وعنايته بها، تردد لفظها فى آيات القرآن الكريم فى أكثر من مائتى مرة، فى صورة الحديث عنها، أو الأمر بها، أو الترغيب فيها.. والتقوى والايمان بالله عز وجل قرينان لا ينفكان، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا: اتقوا الله وآمنوا برسوله**﴾ (سورة الحديد: الآية ٢٨).

والتقوى هى طوق النجاة من سوء الحياة الدنيا، والعذاب فى الآخرة، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**ويُنَجِّى اللهُ الذين اتّقوا بمفازتهم لا يَمَسُّهُمُ السوء**﴾ (سورة الزمر: الآية ٦١).. وهى أكرم زاد يتزود به الانسان، لينتفع بها فى عاجل أمره وآجله، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**وتَزَوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى، واتقون يا أولى الألباب**﴾ (سورة البقرة: الآية ١٩٧).. وهى الانضباط فى السلوك، والتجمل فى حياة الناس، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ (سورة الاعراف: الآية ٢٦).. وهى يقظة فى الضمير، وصحوة كبرى فى الشعور والوجدان، لا يكاد يلم بصاحبها سوء حتى يتوب الى الله عز وجل من قريب، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**انّ الذين اتّقوا إذا مَسّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مُبْصرون**﴾ (سورة الأعراف: الآية ٢٠١).

والتقوى تصاحب الفضائل جميعها، وتدور فى فلكها، فهى مع العدل، يقول المولى عز وجل: ﴿**اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ (سورة المائدة: الآية ٨).. ومع الوفاء والنبل، يقول الله جل شأنه: ﴿**بَلَى من أَوْفَى بعهده واتقى**﴾ (سورة آل عمران: الآية ٧٦).. ومع التواضع، يقول سبحانه عز وجل: ﴿**فلا تُزكوا أنفسكم، هو أعلم بِمَنْ اتقى**﴾ (سورة النجم: الآية ٣٢).. ومع الصبر والاحسان، يقول الله عز وجل: ﴿**إنّه مَنْ يتّقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ (سورة يوسف: الآية ٩٠).

وحسب المتقين شرفا أنهم أولياء الله عز وجل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**ان أولياؤه الا المتقون**﴾ (سورة الأنفال: الآية ٣٤).. **وهو معهم يعاونهم** وينـاصرهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ (سورة النحل: الآية ١٢٨).. ومهما تحالف أعداء الاسلام عليه، وتآمروا ضده، وعملوا على اطفاء نوره، وتصفية كيان اتباعه المؤمنين به، فالعاقبة فى النهاية وان طال الوقت للحق، يقول عز وجل: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ (سورة القصص: الآية ٨٣).

الصيام وتحقيق التوازن بين قوى الانسان

ان الانسان ليس سوى تركيبة عجيبة من القوى، ذات النزعات والميول المتضاربة، فهو مزيج فريد من جسدية

حيوانية، ومن روحية ملائكية، ومن نفس تتنازعها مطالب الجسد ورغباته ومطالب الروح وطموحها الى التسامى والكمال، وهاتان القوتان تجذبان النفس الانسانية الى جانبها، وتشدانها شدا عنيفا لا هوادة فيه.

والنفس الانسانية فى هذه الحالة عرضة للوقوع فريسة للتمزق والتشتت والضياع، بين هاتين القوتين المتنازعتين، اللتين تتجاذبانها على الدوام، اذا ظلت على ترددها بين الاستجابة لهذه أو تلك.. ومن هنا كان الصيام هو الوسيلة الناجحة والفعالة فى تحقيق التوازن بين قوى الانسان المتباينة، بهدف تحقيق سعادة روحيه، ومطالب جسده فى وقت واحد، فيتهذب سلوكه، وتنضج انسانيته، ويقف على أول الطريق الصحيح، بين طرفى الانحراف: من الحيوانية الجامحة، والرهبانية السلبية.

وعندئذ يملك المسلم أقوى أسلحة النصر فى معترك الحياة، من الصبر والجلد، واحتمال المشاق فى سبيل نصرة المبادىء والقيم التى يؤمن بها، ومن قوة الارادة، وصدق العزيمة فى الوصول الى الأهداف والغايات العليا، مهما صادف من صعاب وواجه من مشاق، ومن ضبط النفس، والقدرة على الفكاك من أسر العادات الضارة، ومن تطويع الجسد لدواعى العقل والروح.

الصيام ويقظة الضمير

ان من أعظم مكاسب الفرد المسلم من أدائه فريضة الصيام على الوجه الأكمل، هو اتصافه بأشرف صفة يتصف بها الانسان، وهى صفة **«الأمانة»** تلك الصفة التى تعنى «يقظة الضمير» ودوام المراقبة للمولى تبارك وتعالى، وحسن التعامل مع من يعلم السر وأخفى، ومن يدرك خائنة الأعين وما تكنه الصدور.

وذلك لأن الصيام ليس عملا ظاهريا مثل الصلاة، بل هو امتناع وكف، فهو أمر خفى لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، ولهذا يقول المولى تبارك وتعالى فى الحديث القدسى: **«كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به»**.

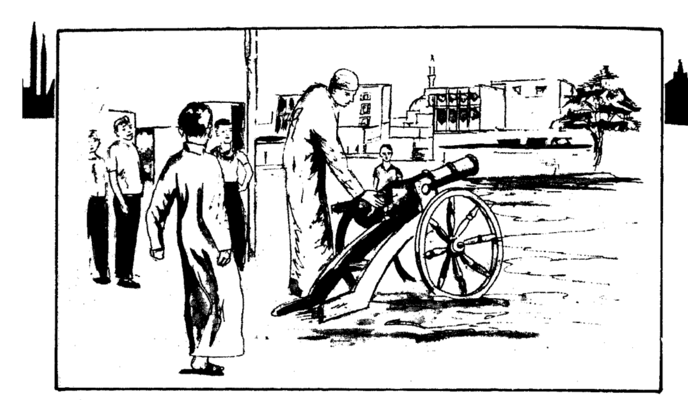
وصفة الأمانة هذه هى التى يحرص الاسلام أشد الحرص على أن يغرسها فى نفسية المسلم، حتى تصير عادة له، وتتكون لديه ملكة المراقبة لله عز وجل، أو خلق التقوى، التى تجعل نفس المسلم لوامة، وتدفعه الى عمل الخير على الدوام وهى النفس التى أقسم بها المولى تبارك وتعالى فى محكم كتابه، حيث يقول جل شأنه: **﴿لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾** (سورة القيامة: الآيتان ١، ٢).

وفى الجمع بين يوم القيامة، والنفس اللوامة، اشارة لطيفة الى أن النفس اللوامة هى المذكِّرة على الدوام بيوم القيامة، وما فيه من الوقوف بين يدى المولى تبارك وتعالى، وأن الفائز فى هذا اليوم هو صاحب النفس اللوامة، التى تراقب صاحبها، وتحاسبه قبل أن يحاسب، فتعدل من سلوكه فى السر والعلن، فيمتنع ذاتيا من ارتكاب المعاصى والآثام، فى أخفى حالات السر، وفى أظهر حالات العلن، ولا يثمر هذه الثمرة سوى الصيام الكامل.

وإذا ما تجاوزنا دائرة الفرد المسلم الى المجتمع، وتصورنا أنه يتكون من أفراد يتمتعون بالاتصاف بخلق التقوى، وفضيلة يقظة الضمير، فاننا نكون أمام مجتمع ملائكى، فى أرقى صور المجتمعات البشرية، فلا ظلم، ولا حقد، ولا حسد، ولا ضغائن، ويعد صورة دنيوية لمجتمع الجنة الذى يدعو الله عز وجل عباده اليه فى الدنيا قبل الآخرة، يقول المولى تبارك وتعالى: **﴿والله يدعو الى دار السلام، ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾** (سورة يونس: الآية ٢٥).

فى الصيام شفاء للنفوس

ان الخوف والقلق، وعدم الاطمئنان، وترقب الخطر، وتوقع الاحتمالات السيئة، من الأعراض المرضية التى تحدث فى معظم الأمراض النفسية، بل هى فى الغالب الأسس السلبية وغير المستحبة، والتى يتوقف عليها كل الأغراض والآثار الجانبية للحالات النفسية والعصبية.



ولما كانت هذه الأعراض هي محور الاضطراب النفسى ، فان التغلب عليها لا يأتى الا بادخال السكينة ، والطمأنينة الداخلية ، والهدوء والاستقرار النفسى ، مع الشعور بالرضا والقناعة ، والايمان بالأمر الواقع ، وكل هذا لا يتأتى من فراغ ، وانما يتحقق باتباع تعاليم الدين ، مع الممارسة الحقيقية والجادة لكل ركن من أركانه ، فهذا هو الذى يحقق التوازن الداخلى مع النفس ، والتوازن الخارجى مع المجتمع ، والاتصال بالمولى تبارك وتعالى ، فاذا تحقق هذا التوازن الداخلى والخارجى فهذه هى قمة الصحة والنضج النفسى .

والارادة البشرية هى مفتاح الصحة النفسية ، وهى من أهم المحاور التى ترتكز عليها شخصية الفرد ، وهى من مكونات النفس التى اذا لم تكن قوية قادرة ، فان الشخصية تكون سلبية ، عاجزة عن تحقيق أى هدف ، وعاجزة عن اثبات الذات ، والتعامل مع الآخرين . . والارادة هى المحرك لكل الوظائف النفسية للانسان ، مثل : التفكير ، والسلوك ، والعاطفة ، والادراك الحسى ، وعلى هذا فان تقوية الارادة لا تتم الا بالتعود المستمر على ضبط النفس ، والتحكم فى الذات ، ومقاومة الشهوات ، والصبر والجلد عند الشدائد ، وكذلك تفضيل التعب والمشقة على اللذة التى قد تضر بالانسان وتفتك به أحيانا .

وتقوية وتدريب الارادة كوظيفة نفسية ، وكركن من أركان الشخصية السوية ، يحدث مع الصيام حيث التحمل والصبر ، وبتدريب الارادة وتقويتها يمكن الاقلاع عن كثير من العادات السيئة ، مثل : عادة التدخين ، وتعاطى المخدرات ، وما الى غير ذلك من الأشياء التى نهى الاسلام عنها ، وعلى ذلك فان الصيام صحة وعبادة ، وهو شفاء للنفوس ، وسمو بها وبالأرواح الى أعلى الدرجات .

وبعد :

اننا نعيش فى عصر كل ما فيه جديد كل الجدة ، فى حياة البشرية المادية ، ولقد حقق الانسان فى هذا القرن من التقدم العلمى والتطور الحضارى ما لم يحققه فى القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض الى السماء ، ولكنه بجانب ذلك أخفق اخفاقا كبيرا فى مجال القيم الانسانية ، والمبادىء والتعاليم الأخلاقية ، ولم يزده كل ما أحرزه غير ضراوة وحيوانية .

ان جميع النظم والقوانين والمناهج التى وضعت لتربية الانسان واصلاحه فشلت فشلا ذريعا ، ومن اجل هذا تنادى المصلحون لاعادة بناء الانسان من جديد ، والمنهج الوحيد لاصلاح النفس الانسانية هو منهج المولى تبارك وتعالى ، المتمثل فى كتابه الكريم ، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وخير الوسائل للانتصار على النفس والتسامى بها هو : طاعة المولى تبارك وتعالى ، وعبادته ، وفى مقدمتها الصيام ، ثم اضاءتها وتحريكها بالقرآن الكريم .



... علماؤنا الأفذاذ فى أسفاره الضخمة التى
... والاستنباط الفقهى واللغوى وفى سائر

... هامة كنا نفتقدها قبل جمع هذه الفتاوى فى
... التفسير والحديث وعلم الكلام والفلسفة وقد
... والحقيقة أن بعض الآراء الفلكية التى يبثها
... عند ربطها الذكى بمدلول الكتاب والسنة
... أمور مرتبة كما يلى :

... الأمة الأمية وتقسيم الأمية الى محمودة ومذمومة .

■ ... ولكن الشىء الجديد والجميل الرائع هو
... يثرى البحث الفقهى ويعمق الصلة بالدليل

١ عادات الأمم فى بداية الشهر والعام :



قوله تعالى : ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس/ ٥) . . وقوله سبحانه : ﴿وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا﴾ (الانعام/ ٩٦) . . وقوله سبحانه : ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ (الرحمن/ ٥) . .

وقوله سبحانه: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (يس/ ٣٩).
وقوله سبحانه: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة/ ١٨٩) دليل على توقيت ما فيها من التوقيت للسنين والحساب فقوله جل وعلا: ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ إن علق بقوله: ﴿وقدره منازل﴾ كان الحكم مختصا بالقمر وان أعيد الى أول الكلام تعلق بهما ويشهد للأول قوله فى الأهلة فإنه موافق لذلك ولأن كون الشمس ضياء والقمر نوراً لا يوجب علم عدد السنين والحساب بخلاف تقدير القمر منازل فإنه هو الذى يقتضى علم عدد السنين والحساب ولم يذكر انتقال الشمس فى بروجها ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله﴾. الآية فإنه نص على أن السنة هلالية. وقوله تعالى ﴿الحج أشهر معلومات﴾ يؤيد ذلك لكن يدل على الآخر - ربط الحساب بالشمس والقمر معاً - قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾.

وهذا والله أعلم لمعنى تظهر به حكمة ما فى الكتاب وما جاءت به الشريعة من اعتبار الشهر والعام الهلالى دون الشمسى.. ان كل ما حد من الشهر والعام ينقسم فى اصطلاح الأمم الى عددى وطبيعى فأما الشهر الهلالى فهو طبيعى وسنته عددية.

■ وأما الشهر الشمسى فعددى وسنته طبيعية فأما جعل شهرنا هلالياً فحكمته ظاهرة لأنه طبيعى وانما علق بالهلال دون الاجتماع - اجتماع الهلال والشمس - لأنه - الهلال - أمر مضبوط بالحس لا يدخله خلل ولا يفتقر الى حساب بخلاف الاجتماع فإنه أمر خفى يفتقر الى حساب وبخلاف الشهر الشمسى لو ضبط.

■ وأما السنة الشمسية فإنها وإن كانت طبيعية فهى من جنس الاجتماع ليس أمراً ظاهراً للحس بل يفتقر الى حساب سير الشمس فى المنازل وانما الذى يدركه الحس تقريب ذلك فإن انقضاء الشتاء ودخول الفصل الذى تسميه العرب الصيف ويسميه غيرها الربيع أمر ظاهر بخلاف محاذاة الشمس لجزء من أجزاء الفلك يسمى برج كذا او محاذاتها لاحدى نقطتى الرأس أو الذنب فإنه يفتقر الى حساب.

كانت البروج اثنى عشر فمتى تكرر الهلال اثنى عشر فقد انتقل فيها كلها فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعاً أو شرطا إما بأصل الشرع كالصيام والحج واما بسبب من العبد كالعدة ومدة الايلاء وصوم الكفارة والنذر وإما بشرط كأجل الدين والخيار والأيمان وما إلى ذلك(١).

قال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ - فأخبر أنها مواقيت للناس وهذا عام فى جميع أمورهم وخص الحج بالذكر تمييزاً له ولأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولأنه يكون فى آخر شهور الحول فيكون علماً على الحول كما أن الهلال علم على الشهر. ولهذا يسمون الحول حجة... فجعل الله الأهلة مواقيت للناس فى الأحكام الثابتة بالشرع ابتداء أو سببا من العبادة وللأحكام التى تثبت بشروط العبد. فما ثبت من المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة فى القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ وقال تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب. ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾.. فقوله تعالى: [لتعلموا] متعلق والله أعلم بقوله [وقدره] لا يجعل لأن كون هذا ضياء وهذا نوراً لا تأثير له فى معرفة عدد السنين والحساب. وانما يؤثر فى ذلك انتقالها من برج الى برج ولأن الشمس لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وانما علق ذلك بالهلال. كما دلت عليه الآية ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض﴾ منها أربعة حرم. فأخبر أن الشهور معدودة

اثنا عشر والشهر هلالى بالاضطرار فعلم أن كل واحد منها معروف بالهلال.

بلغنى أن الشرائع قبلنا أيضا انها علقت الأحكام بالأهلة وانما بدل من بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود فى اجتماع القرصين وفى جعل بعض اعيادها بحساب السنة الشمية وكما تفعله النصارى فى صومها حيث تراعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التى كانت للمسيح. وكما يفعله الصائبة والمجوس وغيرهم من المشركين فى اصطلاحات لهم فإن منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ولهم اصطلاحات فى عدد شهورها لأنها وإن كانت طبيعية فشهرها عددى وضعى ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الأمور وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب.

وذلك أن الهلال أمر مشهود مرئى بالأبصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالأبصار ولهذا سموه هلالا لأن هذه المادة تدل على الظهور والبيان سمعاً او بصراً كما يقال أهلَّ بالعمرة وأهل بالذبيحة.. ويقال لوقع المطر الهلل ويقال استهل الجنين اذا خرج صارخاً ويقال متهلل وجهه اذا استنار وأضاء.. وقيل ان أصله رفع الصوت. ثم لما كانوا يرفعون اصواتهم عند رؤيته سموه هلالاً ومنه قوله

يهل بالفرقد ركبانها
كما يهل الراكب المعتمر

ويتهلل الوجه مأخوذ من استنارة الهلال.
فالمقصود أن المواقيت حددت بأمر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشرك الهلال فى ذلك شيىء فإن اجتماع الشمس والقمر الذى هو تحاذيهما الكائن قبل الهلال أمر خفى لا يعرف إلا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعنى الناس وما لابد له منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف. وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلانى أو الفلانى هذا أمر لا يدرك بالأبصار. وانما يدرك بالحساب الخفى الخاص المشكل الذى قد يغلط فيه وانما يعلم ذلك بالاحساس تقريبا. فاذا انصرم الشتاء ودخل الربيع وهو الصيف عند العرب علم أن الشمس فى نقطة الاعتدال الذى هو أول الحمل وكذلك مثله فى الخريف فالذى يدرك بالاحساس من تغير الجو فأما حصول الشمس فى برج بعد برج فلا يعرف إلا بحساب فيه كلفة وشغل عن غيره مع قلة جدواه. فظهر أنه ليس للمواقيت حد ظاهر عام المعرفة إلا الهلال.

انقسمت عادات الأمم فى شهرهم وسنتهم القسمة العقلية وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة أما أن يكونا عدديين أو طبيعيين او الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس. فالذين يعدونهما ـ كمن يجعل الشهر ٣٠ يوماً والسنة ١٢ شهراً.

والذين يجعلونهما طبيعيين كمن يجعل الشهر قمرياً والسنة شمسية ويلحق فى آخر الشهور الأيام المتفاوتة بين السنتين فإن السنة القمرية (٣٥٤) يوماً وبعض اليوم خمس او سدس. واما الشمسية فثلاثمائة وخمس وستون يوماً (٣٦٥) وبعض يوم إلا قليلاً تكون فى كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلث سنة ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً**﴾ ـ بحساب السنة القمرية ومراعاة هذين عادة كثير من الأمم من اهل الكتاب بسبب تحريفهم وأظنه كان عادة المجوس أيضا.

من يجعل السنة طبيعية والشهر عددياً فهذا حساب الروم والسريانيين والقبط ونحوهم ممن يعد شهر كانون ونحوه عددا ويعتبر السنة الشمسية بسير الشمس وأما القسم الرابع فبأن يكون الشهر طبيعيا والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم. ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لا يعتمدون على أمر ظاهر كما تقدم بل لابد من الحساب والعدد وكذلك الذين يجعلون الشهر طبيعيا ويعتمدون على الاجتماع لابد من العدد والحساب ثم ما يحسبونه أمر خفى ينفرد به القليل من الناس مع كلفة ومشقة وتعرض للخطأ.

فالذى جاءت به شريعتنا أكمل الأمور لأنه وقت الشهر بأمر طبيعى ظاهر عام يدرك بالأبصار فلا يضل أحد عن دينه ولا يشغله مراعاته عن شيىء من مصالحه ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه ولا يكون طريقا الى التلبيس فى دين الله كما يفعل بعض علماء الملل بمللهم.

الحـول فلم يكن له حد ظاهـر فى السماء فكان لابد فيه من الحساب والعدد فكان عدد الشهـور الهلالية أظهر وأعم من أن يحسب بسـير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهور ولأن السنين اذا اجتمعت فلابد من عددها فى عادة جميع الأمم إذ ليس للسنين اذا تعددت حد سماوى يعـرف به عددهـا فكـان عدد الشهور موافقاً لعدد البروج. جعلت السنة اثنى عشر شهراً بعدد البروج التى تكمل بدوران الشمس فيها سنة شمسية فاذا دار القمـر فيها كمل دورته السنوية ـ وبهذا يتبين معنى قوله جل وعلا ﴿**وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب**﴾ فإن عدد شهور السنة وعدد السنة بعد السنـة انما اصله بتقدير القمر منازل وكذلك معرفة الحساب فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها انما يكون بالهلال وكذلك قوله تعالى ﴿**قل هى مواقيت للناس والحج**﴾. فظهر مما ذكرناه أنـه بالهـلال يكـون توقيت الشهر والسنة وانه ليس شيىء يقـوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبنى عليـه. وتيسـر ذلـك وعمـومه وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد.

عرف ما دخل على اهل الكتاب والصائبة والمجـوس وغيرهم فى أعيادهم وعباداتهم وتـواريخهم وغـير ذلـك من أمـورهم من الاضطراب والحرج والمفاسد ازداد شكره على نعمة الاسلام مع اتفاقهم أن الانبياء لم يشرعوا شيئا من ذلـك وانـما دخـل عليهم ذلـك من جهة المتفلسفة الصائبة الذين ادخلوا فى ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.

فلهـذا ذكرنا ما ذكرناه حفظاً لهذا الدين عن ادخال المفسدين فإن هذا مما يخاف تغييره فانه قد كانت العرب فى جاهليتهـا قد غيرت ملة ابراهيم بالنسىء الذى ابتدعته فزادت به فى السنـة شهـراً جعلتهـا كبيسا لأغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والاشهر الحرم حتى أنهم حجوا فى صفـر والمحرم احيانا الى أن وافت حجة النبى ﴿ﷺ﴾ حجة الوداع فوافقت ذا الحجة فاستدار الزمان كما كان.. فقـال صلى الله عليـه وسلم خطبتـه المشهـورة ـ فى الصحيحين وغيرهما «ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ـ ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان» وكان قبل ذلك الحج لا يقع فى ذى الحجـة حتى حجـة أبى بكـر سنة تسع كان فى ذى القعدة وهذا من أسباب تأخير النبى ﴿ﷺ﴾ الحج وانزل الله تعالى: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم**﴾.

فأخبر الله أن هذا هو الدين القيم ليبين أن ما سواه من أمر النسيىء وغيره من عادات الأمم ليس قيما لما يدخله من الانحراف والاضطراب.

ونظير الشهر والسنة اليوم والأسبوع فإن اليوم طبيعى من طلوع الشمس الى غروبها وأما الاسبوع فهو عددى من أجـل الأيـام الستـة التى خلق الله فيهـا السموات والارض ثم استـوى على العـرش فوقـع التعـديـل بين الشمس والقمـر باليـوم والأسبوع بسير الشمس والشهر والسنـة بسـير القمـر وبها يتم الحساب وبهذا يتوجه قوله [لتعلمـوا] الى [جعل] فيكون جعل الشمس والقمر لهذا كله. (٢)

وأما قوله تعالى: ﴿**وجعل الليل سكنا والشمس والقمـــر حسبـانـا**﴾ وقـولـه: ﴿**والشمس والقمـر بحسبـان**﴾ فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبـان الـرحـا وهو دوران الفلك فإن هذا مما لا خلاف بل قد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الأمة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب من أن الأفلاك مستديرة لا مسطحة.



٢ الطريق الى معرفة الهلال :

ما ذكرناه من أن الأحكام مثل صيام رمضان متعلقة بالأهلة لا ريب فيه لكن الطريق الى معرفة طلوع الهلال هو الرؤية لا غيرها بالسمع والعقل.

أما السمع فذكر الامام ابن تيمية بسنده عن ابن عمر أنه كان يحدث عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الابهام فى الثالثة والشهر هكذا وهكذا وهكذا». يعنى تمام الثلاثين ـ فالشهر مرة [٢٩] ومرة [٣٠] ثلاثين وذكر أن سند الحديث من أجل الطرق وأرفعها قدراً ـ يرويه البخارى وأبو داود والنسائى وفى رواية الامام أحمد عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم «انما الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له» قال نافع وكان عبد الله اذا مضى من شعبان تسع وعشرون يبعث من ينظر فإن رؤى فذاك فإن لم ير ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر اصبح مفطراً وإن حال دون منظر سحاب أو قتر أصبح صائماً.

وفى رواية أخرى «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له» وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الهلال فقال (اذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين).

وروى البخارى عن مالك عن نافع عن ابن عمر (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له) وجاء فى أوله من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر عند مالك ومن طريق القعنبى عند البخارى «الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال... وعن ابى هريره قال قال صلى الله عليه وسلم «الشهر يكون تسعة وعشرين ويكون ثلاثين فإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فأكملوا العدة»(٣).

■ فهذه الأحاديث المستفيضة المتلقاة بالقبول دلت على أمور(٤): أحدها ان قوله «انا امة امية لا نكتب ولا نحسب» هو خبر تضمن نهيا فإنه اخبر أن هذه الأمة التى اتبعته هى الأمة الوسط أمية لا تكتب ولا تحسب فمن كتب او حسب لم يكن من هذه الأمة فى هذا الحكم بل يكون قد اتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم هذه الأمة فيكون قد فعل ما ليس من دينها والخروج عنها محرم منهى عنه فيكون الكتاب والحساب المذكوران محرمين منهياً عنهما وهذا كقوله «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» أى هذه صفة المسلم فمن خرج عنها خرج عن الاسلام ومن خرج عن بعضها خرج عن بعض الاسلام.

فإن قيل فهلاً قيل إن لفظه خبر ومعناه الطلب كقوله تعالى ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن**﴾ ﴿**والوالدات يرضعن**﴾ فيكون المعنى أن من كان من هذه الأمة فلا ينبغى له أن يكتب ولا يحسب نهاه عن ذلك لئلا يكون خبراً قد خالف مخبره فإن منهم من كتب وحسب.. قيل هذا معنى صحيح فى نفسه لكن ليس هو ظاهر اللفظ فإن ظاهره خبر ولا يصرف عن الظاهر إلا بدليل يحوج الى ذلك ولا حاجة الى ذلك كما بيناه.

وايضا فقوله (انا امة امية) ليس طلباً فانهم أميون قبل الشريعة كما قال تعالى: ﴿**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم**﴾ فاذا كانت هذه صفة ثابتة لهم قبل المبعث لم يكونوا مأمورين بابتدائها نعم قد يؤمرون بالبقاء على بعض احكامها فإنا سنبين أنهم لم يؤمروا أن يبقوا على ما كانوا عليه مطلقاً.

ابن تيمية فى مناقشة موضوع أمية هذه الأمة فذكر أنه كان صلى الله عليه وسلم يحاسب عماله وعنده كتبة للوحى والعهود كما أن الآية الكريمة ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ يدل على أنه سبحانه ندب لتعلم الحساب والأمى منسوب الى الأمة ـ وهى أمية بشكل عام ثم ان التميز والخروج عن هذه الأمية قد يكون فضلا وكما لا فى نفسه كتعلم القرآن وفهمه وقد يكون مذموماً كمن عطل علمه بالكتاب أو استعمله فى الشر ـ فالتمييز عن الأميين يكون محموداً ومذموماً قال تعالى: ﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله﴾ فصارت الأمة بعد أن ورثت العلوم تنقسم الأمية فيها الى محرم ومكروه ونقص وترك للأفضل... الخ واذا تبين هذا فكتاب ايام الشهر وحسابه علم يدخل تحت هذا التقسيم فمن كتب مسير الشمس والقمر بحروف (أبجد) وحسب كم مضى من مسيرها ومتى يلتقى النيران ليلة الاستسرار ومتى يتقابلان ليلة الابدار ونحو ذلك فليس فى هذا الكتاب والحساب من الفائدة الا ضبط المواقيت التى يحتاج الناس إليها فى تحديد الحوادث والاعمال كما فعل غيرنا من الأمم من الجداول وحروف الجمل.. فبين صلى الله عليه وسلم أنا أيتها الأمة الأمية لا نكتب هذا الكتاب ولا نحسب هذا الحساب ـ فالنفى متوجه الى أيام الشهر الذى يستدل بحسابه الى استسرار الهلال وطلوعه.

تقدم أن النفى وان كان على اطلاقه يكون عاماً فاذا كان فى سياق الكلام ما يبين المقصود علم به المقصود أهو خاص أم عام فلما قرن ذلك بقوله «الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون» بين أن المراد به أنا لا نحتاج فى أمر الهلال الى كتاب ولا حساب اذ هو تارة كذلك وتارة كذلك والفارق بينهما هو الرؤية فقط ليس بينهما فرق آخر من كتاب ولا حساب فإن أرباب الكتاب والحساب لا يقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر وانما يقربوا ذلك فيصيبون تارة ويخطئون أخرى.

فالأمية هنا صفة مدح وكمال من جهة الاستغناء عن الكتاب والحساب بما هو أبين وأظهر وهو الهلال. فالحساب والكتاب هنا قد يدخله الغلط كما أنه يتضمن تعبا كثيراً بلا فائدة فان فيه شغل عن المصالح اذ هو مقصود لغيره لا لنفسه وللمفسدة التى فيه صار الكتاب والحساب فى الشهر نقصا وعيبا بل سيئة وذنبا ممن دخل فيه فقد خرج عن الأمة الأمية ومال عن الوسطية(ه).

■ ثم يذكر ابن تيمية الخلاف الفقهى فى صوم يوم الشك أو يوم الغيم وقال بعدها أن المسلم لا يخرج عن تلك الأقوال الى الأخذ بالحساب أو الكتاب كالجداول وحساب التقويم وهو ما صرح رسول الله ﴿ﷺ﴾ بنفيه عن أمته والنهى عنه.

ولهذا مازال العلماء يعدون من خرج الى ذلك قد أدخل فى الاسلام ما ليس منه فقابلوا هذه الأقوال بالانكار الذى يقابل به أهل البدع وهؤلاء الذين ابتدعوا فيه ما يشبه بدع أهل الكتاب.

ومنهم من يقول إن رابع رجب هو أول رمضان أو أن خامس رمضان الماضى هو أول رمضان الحاضر وربما رووا حديثا لا يعرف فى شيىء من كتب الاسلام ولا رواه عالم قط «يوم صومكم يوم نحركم» وغالب هؤلاء يوجبون كون رمضان تاماً ويمنعون كونه تسعة وعشرين.

ولما كان الغالب على شهور العام أن الأول ثلاثون والثانى تسعة وعشرون كان جميع أنواع الحساب والكتاب مبنية على أن الشهور ثلاثون وتسع وعشرون بالتعاقب والسنة ثلاثمائة واربعة وخمسون ويحتاجون الى زيادة يوم فى كل عدد من السنين لتصير (٣٥٥) يوما غير أن حسابهم هذا لا يطرد فقد يتوالى شهران وثلاثة أو اكثر ثلاثين يوماً كما قد يتوالى عدة شهور تسعة وعشرين فينتقض كتابهم وحسابهم ويفسد دينهم الذى ليس بقيم وهذا من الأسباب الموجبة لئلا يعمل بالكتاب والحساب فى الأهلة.

٣ إستحالة تحديد الرؤية بالحساب؟

ذهب فريق من فقهاء البصريين الى أن قوله صلى الله عليه وسلم «فاقدروا له» تقدير حساب بمنازل القمر وقد روى عن محمد بن سيرين قال خرجت فى اليوم الذى شك فيه فلم أدخل على أحد يؤخذ عنه العلم إلا وجدته يأكل إلا رجلا كان يحسب ويأخذ بالحساب ولو لم يعلمه كان خيراً له وقد قيل إن

الرجل هو مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو رجل جليل القدر إلا أن هذا ان صح عنه فإنه من زلات العلماء وحكى هذا القول عن ابى العباس بن سريج ايضا وحكاه بعض المالكية عن الشافعى أن من غم عليه الشهر وكان يستدل بالنجوم ومنازل القمر جاز له أن يعقد الصيام ويبيته ويجزئه وهذا باطل عن الشافعى لا أصل له بل المحفوظ عنه كمذهب الجماعة وانما حكى عن ابن سريج.

■ واحتجاج هؤلاء بحديث ابن عمر فى غاية الفساد اذ يستحيل أن يكون موجب الحديث العمل بالحساب وقد تقدم فى صدره أننا أميون لا نكتب ولا نحسب بل لا سبيل الى اثبات الهلال إلا الرؤية ولا يمكن للحساب أن يطرد وانما هو تقريب كأن يقال إن رؤى صبيحة ثمان وعشرين فهو تام وإلا فهو ناقص وهذا بناء على أن الاستسرار لليلتين وهذا ليس بصحيح فقد يستسر ليلة وليلتين وثلاثا(٦).

■ وهذا الذى قالوه انما هو بناء على أنه كل ليلة لا يمكث فى المنزلة إلا ستة أسباع الساعة لا أقل ولا أكثر فيغيب ليلة السابع نصف الليل ويطلع ليلة أربعة عشر من اول الليل الى طلوع الشمس وليلة الحادى والعشرين يطلع من نصف الليل وليلة الثامن والعشرين ان استسر فيها نقص وإلا كمل وهذا غالب سيره وإلا فقد يسرع ويبطىء.

وأما العقل فاعلم أن المحققين من أهل الحساب كلهم متفقون على أنه لا يمكن ضبط الرؤية بحساب بحيث يحكم بأنه يرى لا محالة أو لا يرى البتة على وجه مطرد وانما قد يتفق ذلك أو لا يمكن بعض الأوقات ولهذا كان المعتنون بهذا الفن من الأمم - الروم والهند والفرس والعرب وغيرهم مثل بطليموس الذى هو مقدم هؤلاء. ومن بعدهم قبل الاسلام وبعده لم ينسبوا إليه فى الرؤية حرفا واحدا ولا حدوه كما حدوا اجتماع القرصين وانما تكلم به قوم منهم فى ابناء الاسلام مثل كوشياء الديلمى وعليه وعلى مثله يعتمد من تكلم فى الرؤية منهم وقد انكر ذلك عليه حذاقهم مثل ابى على المروذى القطان وغيره وقال انه تشوق بذلك عند المسلمين والا فهذا لا يمكن ضبطه ولعل من دخل فى ذلك منهم كان مرموقاً بنفاق فما النفاق من هؤلاء ببعيد.



■ وبيان امتناع ضبط ذلك أن الحاسب انما يقدره على ضبط شبح الشمس والقمر وجريهما أنهما يتحاذيان فى الساعة الفلانية فى البرج الفلانى للمكان الفلانى من الأرض سواء كان الاجتماع من ليل أو نهار وهذا الاجتماع يكون بعد الاستسرار وقبل الاستهلال فإن القمر يجرى فى منازله الثمانية والعشرين كما قدره الله منازل ثم يقرب من الشمس فيستسر ليلة او ليلتين لمحاذاته لها فإذا خرج من تحتها جعل الله فيه النور ثم يزداد النور كلها بعد عنها الى أن يقابلها ليلة الابداء ثم ينقص كلما قرب منها الى أن يجتمع بها ولهذا يقولون الاجتماع والاستقبال ولا يقدرون أن يقولوا الهلال وقت المفارقة على كذا يقولون الاجتماع وقت الاستسرار والاستقبال وقت الابدار.

ومن معرفة الحساب الاستسرار والابدار الذى هو الاجتماع والاستقبال فالناس يعبرون عن ذلك بالأمر الظاهر من الاستسرار الهلالى فى آخر الشهر وظهوره فى أوله وكمال نوره فى وسطه والحُسَّاب يعبرون بالأمر الخفى من اجتماع القرصين الذى هو وقت الاستسرار ومن استقبال الشمس والقمر الذى هو وقت الابدار فإن هذا يضبط بالحساب وأما الاهلال فلا له عندهم من جهة الحساب ضبط لأنه لا يضبط بحساب يعرف كما يعرف وقت الخسوف والكسوف فإن الشمس لا تكسف فى سنة الله التى جعل لها إلا عند الاستسرار اذا وقع القمر بينها وبين ابصار الناس على محاذاة مضبوطة وكذلك القمر لا يخسف إلا فى ليالى الابدار على محاذاة مضبوطة لتحول الارض بينه وبين الشمس فمعرفة الكسوف والخسوف لمن صح حسابه مثل معرفة كل أحد أن ليلة الحادى والثلاثين من الشهر لابد أن يطلع الهلال وانما يقع الشك ليلة الثلاثين.

■ فنقول الحاسب غاية ما يمكنه اذا صح حسابه أن يعرف ان القرصين اجتمعا فى الساعة الفلانية وأنه عند غروب الشمس يكون قد فارقها القمر إما بعشر درجات مثلا او أقل او اكثر والدرجة هى جزء من ٣٦٠ جزءاً من الفلك فانهم قسموه اثنى عشر قسماً سموها (الداخل) كل برج اثنا عشر درجة وهذا غاية معرفته وهى بتحديد كم بينهما من البعد فى وقت معين فى مكان معين هذا الذى يضبطه بالحساب أما كونه يرى او لا يرى فهذا أمر حسى طبيعى وليس امراً حسابياً رياضيا وغايته أن يقول ـ استقرأنا أنه اذا كان على كذا وكذا درجة يرى قطعاً. فهذا جهل وغلط فإن هذا لا يجرى على قانون واحد لا يزيد ولا ينقص فى النفى والاثبات بل اذا كان بعده مثلا عشرين درجة فهذا يرى ما لم يحل حائل واذا كان على درجة واحدة فلا يرى وأما ما حول العشرة فالأمر فيه يختلف باختلاف اسباب الرؤية من وجوه.

١ ـ *أنها تختلف باختلاف حدة البصر وكلاله فمع دقته يراه البصر الحديد دون الكليل ومع توسطه يراه غالب الناس وليست ابصار الناس محصورة بين حاصرين ولا يمكن أن يقال يراه غالب الناس لأنه لو رآه اثنان علق الشارع الحكم بها بالاجماع وان لم يره الجمهور فإذا قال لا يرى بناء على ذلك كان مخطئا بحكم الشرع وإن قال يرى بمعنى يراه البصر الحديد فقد لا يتفق فيمن يتراءى له من يكون بصره حديدا فلا يلتفت الى امكان رؤية من ليس بحاضر.*

٢ ـ *أن يختلف بحسب كثرة الرائين وقلتهم فقد يراه الكثير ولا يراه القليل.*

٣ ـ *أن يختلف بحسب مكان الترائى علواً وانخفاضا.*

٤ ـ *أن يختلف باختلاف وقت الترائى بعد الغروب.*

٥ ـ *صفاء الجو وكدره.*

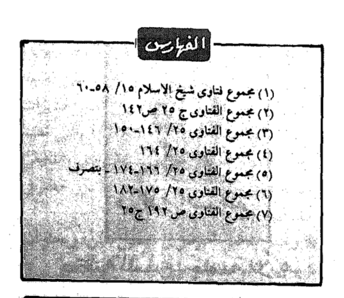
فاذا كانت الرؤية حكماً تشترك فيه هذه الأسباب التى لا يدخل شيىء منها فى حساب الحاسب فكيف يمكنه أن يخبر خبراً عاماً بعدم امكان رؤيته أو امكانها.

ولهذا نجدهم مختلفين فى قوس الرؤية كم ارتفاعه؟ . . فتبين أن خبرهم بالرؤية كخبرهم بالاحكام وربطها بالنجوم . . . هب أنه ثبت أن الحركات العلوية سبب الحوادث الأرضية فإن هذا القدر لا يمكن المسلم أن يجزم بنفيه وليس فى هذا ما يحيله شرع ولا عقل لكن المسلمون فى هذا الأمر قسمان.

■ منهم من يقول هذا لا دليل على ثبوته فلا يجوز القول به فإنه قول بلا علم.

■ وآخر يقول بل هو ثابت فى الجملة لأنه قد عرف بعضه بالتجربة ودلت الشريعة على بعضه بقوله صلى الله عليه وسلم (ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده) والتخويف انما يكون بوجود سبب الخوف فعلم أن كسوفهما قد يكون سببا لأمر مخوف. وفى الصحيحين عن ابن عباس قال حدثنى رجال من الأنصار انهم كانوا عند النبى ﴿ﷺ﴾ فرمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون لهذا فى الجاهلية فقال كنا نقول ولد الليلة عظيم او مات عظيم فقال انه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن الله اذا قضى القضاء سبح حملة العرش) ـ الحديث ـ فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الشهب التى يرجم بها لا يكون عن سبب حدث فى الأرض وانما يكون عن أمر حدث فى السماء وأن الرمى بها لطرد الشياطين المسترقة.

■ وكذلك الشمس والقمر هما آيتان من آيات الله يخوف بها عباده كما قال تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات الا تخويفا﴾ فعلم أن هذه الآيات السماوية قد تكون سبب عذاب ولهذا شرع النبى ﴿ﷺ﴾ عند وجود سبب الخوف ما يدفعه من الأعمال الصالحة فأمر بصلاة الخسوف الطويلة وامر بالعتق والصدقة والدعاء والاستغفار كما قال صلى الله عليه وسلم «إن البلاء والدعاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض فالدعاء ونحوه يدفع البلاء النازل من السماء(٧).


الفهارس

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٥/ ٥٨-٦٠
(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٥ ص١٤٢
(٣) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٤٦-١٥٠
(٤) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٦٤
(٥) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٦٦-١٧٤ ـ بتصرف
(٦) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٧٥-١٨٢
(٧) مجموع الفتاوى ص ١٩٢ ج٢٥

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لرسول الله ﴿ﷺ﴾، معجزة لم ولن تدانيها معجزة أخرى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، نجده معجزاً فى بلاغة أسلوبه، فى قصصه وعظاته، فى تشريعاته، فى مُثله العليا، فى . . . ، نجده معجزاً بما حواه من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجوانب المادية فى الكون التى يأتى العلم الحديث بوسائله البحثية فيكشف عن بعضها ويميط اللثام عن حقائق منها، كل ذلك براهين قاطعة على أنه كتاب منزل من لدن حكيم عليم، والناظر فى آيات الخلق لا محالة واصل الى عظمة الخالق.

حول آية "المن" التى وردت فى القرآن الكريم

فى هذه الحلقة نتعرف على طرف من آيات الله فى كونه، نتعرف على «المَنّ» حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وظَلَّلْنَا عليكُمُ الغمام وأنزلنا عليكُمُ المَنَّ والسَّلْوَى، كُلُوا من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهُمْ يظلمون﴾ (البقرة/٥٧). . ﴿وظَلَّلْنَا عليهم الغمامَ وأنزلنا عليهمُ المنَّ والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهُمْ يظلمون﴾ (الأعراف١٦٠). ﴿يا بَنى اسرائيلَ قد أنجيناكُم من عدُوِّكُمْ وواعدناكُمْ جانِبَ الطُّور الأيمنَ ونزَّلنا عليكُمُ المنَّ والسَّلوَى﴾ (طه/٨٠). فلفظ «المن» ذكر فى القرآن فى هذه المواضع الثلاثة حيث يعرض الله سبحانه لجوانب من حياة بنى إسرائيل وقصة خروجهم من مصر وبيان لبعض أمراضهم النفسية وانحرافاتهم العقائدية وخبائثهم القلبية، وعند الرجوع الى كتب التفسير المعتمدة لابن كثير والقرطبى وحجازى والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر ومجمع البحوث الاسلامية بها، وغيرها من الكتب، وجدنا أنها لا تعدو ما أورده ابن كثير حيث أوضح ان الله سبحانه أغدق على بنى إسرائيل نعمه العظيمة، فلما كانوا فى التيه بعد خروجهم من مصر حيث تعقبهم فرعونها، كان



كلية العلوم - جامعة الأزهر



● حشرات المن حشرات صغيرة توجد بالالاف على أفرع النباتات وتمتص العصارة النباتية بكميات ضخمة وبالتالى تطرد أغلبها فى شكل مادة عسلية «الندوة العسلية»

الرزق يتنزل عليهم، وأوضح ألوانه المن والسلوى، **فما المقصود بالمن؟؟** ؛ عن ابن عباس: (رضى الله عنهما) قال: كان المن ينزل عليهم على الاشجار، فيغدون اليه فيأكلون منه ما شاءوا. وقال مجاهد: المن صمغة، وقال عكرمة: المن شىء أنزله الله عليهم مثل الطل، شبه الرّبّ الغليظ. وقال قتادة: كان المن ينزل عليهم فى محلتهم سقوط الثلج، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته، أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه، لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشته ولا يطلبه لشىء، وهذا كله فى البرية. وقال الربيع بن أنس: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه. وقال وهب بن منبه: هو خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقى.

وقد قيل غير ذلك من أقوال كلها لا تشير الى أنه مادة تخرج من أشجار أو تنتجها كائنات أخرى كالحشرات.

●● وبعد تقدم العلوم الحديثة والبحوث العلمية يمكننا إضافة أقوال جديدة الى الأقوال التفسيرية السابقة، ذلك أن عطاء القرآن دائم غير منقطع، واعجازه مستمر على مدار الأيام والسنين، فاليوم يطلق علماء الحشرات اسم «المن» على فصيلة حشرات هى Aphididae من رتبة الحشرات متجانسة الأجنحة (Homoptera) والتى تضم أيضاً فصيلة الحشرات القشرية والبق والدقيقى (Coccidae)، وهى حشرات لها دور خطير فى هذا الموضوع.

■ **ويحسن بنا قبل الخوض فى تفصيل «المن» وبحثه أن نشير الى أهم عادات حشرات هذه الرتبة هى:**



(١) *القيام بقذف مادة سكرية زائدة عن حاجة أجسامها تدعى الندوة العسلية (Honey dew) وذلك من طريق الفتحة الشرجية فى الخلف، وهذا الأمر شائع خصوصاً فى المن.*

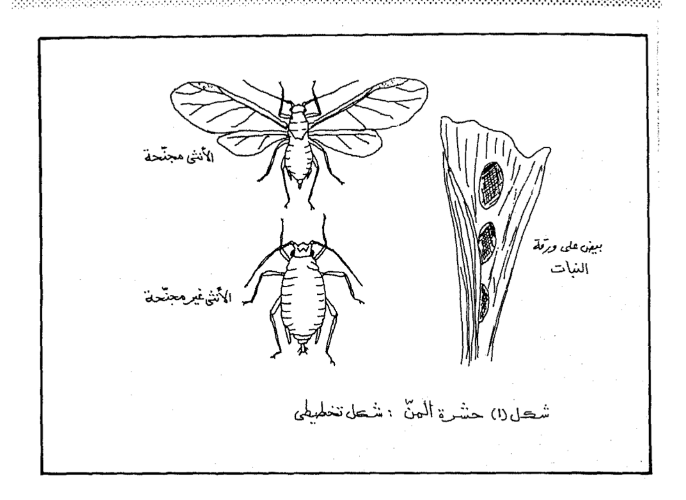
(٢) *القيام بإخراج شمع إما فى هيئة دقيق (Flour) أو خيوط.*

(٣) *احتــواء البطن على نسيج مخصـوص يُدْعَى (Mycetome) وهو يأوى كائنات دقيقة الحجم، يرجح أن تكون وظيفتها تبادل المنفعة مع الحشرات محل الكلام.*

فصيلة المن

يغلب على المن اللون الأسود والأصفر والأخضر والأسمر، ويتغـذى على عصارة النباتات، وتوجد هذه الحشـرات بكثـرة على الأوراق والأرزار فى النباتـات، وبعضها يعيش على الجذور، والطفح الذى تطفحه (أو الطرد الذى تطرده) حشرات المن عبـارة عن مادة عسلية تتساقط وتنتشر على أسطح النباتـات التى تتواجد عليها هذه الحشرات. يأتى الفطـر الأسود لينمو على هذه المواد السكريه إذا لم يزلها أحد، كذلك يأتى النمل وغيره من الحشرات التى يستهويها طعم هذه المواد ليزامل الفطر على هذه الموائد الشهية.

أمـا حشـرات المن نفسهـا فهى صغيرة الحجم جداً، ولها أجزاء فم ثاقبة ماصة، وحينما توجد لها أجنحة فإنها تكون شفافة، ويوجد أعلى البطن من الخلف زوج من الزوائد (Cornicles) كما يوجد فى نهاية البطن عادة نهاية طرفية خلفية تسمى الذنب (Cauda) تقع تحت فتحة الشرج. ومن الأنواع المعـروفـة فى مصـر: مَنُّ القطن (Aphis gossypii) منُّ الذرة (Aphis maidis) ومنُّ الرمان (Aphis duranta) (شكل «١»).



شكل (١) حشرة المنّ : شكل تخطيطى

فصيلة الحشرات القشرية والبق الدقيقى

وهى حشرات ضارة جداً بالنباتات وأشجار الفاكهة حيث تتغذى على العصارة النباتية، وتفرز داخل أنسجة النبات إفرازات سامة ينشأ عنها تجعدات فى أوراق النباتات والأفرع الغضة.

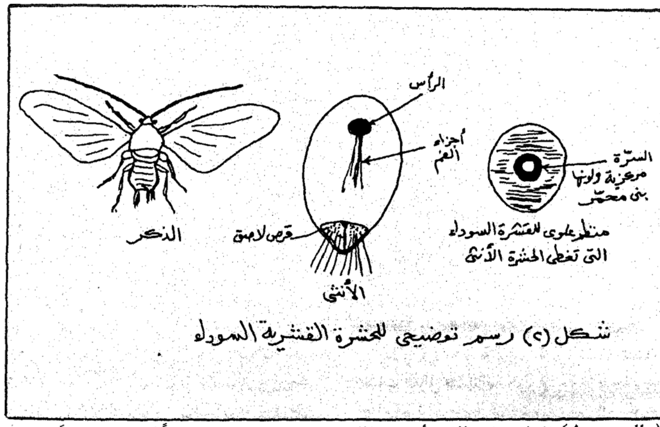
تتميز حشرات هذه الفصيلة بأنها صغيرة الحجم، أجسامها مغطاة بإفرازات شمعية بيضاء دقيقة (كما فى البق الدقيقى) أو مغطاة بقشرة صلبة ذات أشكال وألوان مختلفة تحتمى كل حشرة تحت قشرة واحدة (كما هو الحال فى الحشرات القشرية). واناث هذه الحشرات عديمة الأجنحة بالمرة وللذكر زوج واحد من الأجنحة (على خلاف ما للحشرات الأخرى من زوجين)، والاناث لها أجزاء فم ثاقبة ماصة، أما الذكور فأجزاء فمها متآكلة؛ ومن الحشرات القشرية المعروفة فى مصر الحشرة القشرية السوداء (Chrysomphalus ficus) وحشرة البرقوق القشرية (Parlatoria olea) أما البق الدقيقى، والذى هو أيضاً يمتص العصارة النباتية، فمنه فى مصر أنواع أكثرها شيوعاً البق الدقيقى المصرى (Icerya aegyptiaca) والبق الدقيقى الاسترالى (Icerya parchasi) ، وهى منتشرة على أشجار السنط والموالح والعنب ونباتات الزينة والبطيخ والفول السودانى (شكلى ٢، ٣).

دورة الحياة فى الحشرات القشرية والبق الدقيقى

نظرا لأن هذه الحشرات تعيش حياتها ملتصقة بالنبات العائل فإن إناثها تكون عديمة الأجنحة ذات أجزاء فم ثاقبة ماصة كما ذكرنا من قبل أما ذكورها فتختص فقط بتلقيح الاناث، ومن ثم فإن وجود الأجنحة لديها هام فى الحركة والتنقل من أنثى الى أخرى. قد تتوالد هذه الحشرات بطريقة لا جنسية

الرأس
أجزاء الفم
الأنثى : جسمها بيضاوي مفلطح
خطاف
خيوط طويلة بيضاء
الذكر : لونه أحمر، طوله حوالي ميلليمتر واحد

شكل(٣) : رسم توضيحي لحشرة البق الدقيقي



شكل(٢) رسم توضيحي للحشرة القشرية السوداء

(Asexually) إذا لم تتوفر الذكور أو حتى إذا وجدت ولكن بعدد قليل، وأما إذا توفرت الذكور فإن الاناث تقوم بالتكاثر بطريقة جنسية (Sexually). وقد تضع الأنثى بيضاً أو قد تلد صغاراً على هيئة حوريات لها ثلاثة أزواج من الأرجل وزوج من قرون الاستشعار وعينان وتساعدها هذه الوسائل على

شكلي ٢، ٣

الانتقال من مكان الى آخر، وبذا يمكنها الانتقال من نبات الى آخر. ومن أنواع الحشرات القشرية ما تفرز إناثه كيساً من الشمع تضع فيه البيض ويزداد حجم الكيس الى أن ينتهى وضع البيض كله، وقد يكون هذا الكيس نسجياً متماسكاً أو مجرد خيوط رفيعة غير متماسكة. وفى أنواع أخرى يكون جسم الأنثى كله مغطى بطبقة شمعية غليظة أو رقيقة وأثناء وضع البيض داخل هذه الطبقة يتضاءل جسم الحشرة الأم تدريجياً حتى يجف ويصبح أشبه بدرع لوقاية مئات البيض الموجودة تحته.

الثروة العسلية " المن "

كتب عن هذه المادة جلبرت هوايت (١٧٢٠-١٧٩٣) فى كتابه «التاريخ الطبيعى» ما يلى: (هذه المادة الحلوة اللزجة من نوع نباتى كما أمكننا أن نتعلم من النحل ويمكننا أن نتأكد من أن هذه المادة تسقط بالليل لأنها تشاهد دائماً فى الصباح الدافىء الساكن). وكتب العالمان كيربى وسبنس (١٨١٥) هذه الملاحظة (إنك لا شك قد لاحظت ما يسمى البراز العسلى على شجرة القيقب وكذلك على الأشجار الأخرى، الذى تردد العالم الطبيعى الرومانى بلينى فى تسميته بعرق السموات أو لعاب النجوم أو سائل نتيجة لاسهال الهواء، وربما أنك لا تعلم أنه براز المن الذى ينافس السكر وعسل النحل فى طعمه الحلو وفى نقائه).

تطرد حشرات المن والحشرات القشرية وحشرات البق الدقيقى برازاً عسلياً عبارة عن سائل رائق، وذلك من فتحة الشرج ليسقط على الارض أو على النباتات التى توجد فوقها هذه الحشرات.

ويبدو أن حشرات مثل المن تتغذى باستمرار وتأخذ كميات كبيرة من العصارة الخلوية لتحصل منها على القدر الذى يكفيها من المواد الغذائية، وأثناء هذه العملية تمتص كمية من السكر والمحتويات الأخرى اكبر بكثير مما تحتاجه، وتمر الكميات الاضافية مباشرة فى القناة الهضمية الى الخارج عن طريق فتحة الشرج. واذاً فهذا الافراز هو البراز العسلى (أو ما نسميه عموماً «المن»)، وهو مرغوب جداً ويبحث عنه النمل والنحل وبعض الذباب وحشرات أخرى كغذاء شهى. والشغف الذى يكنّه النمل للحشرات المنتجة لهذه المواد، خصوصاً ما يطلق عليها حشرات المن، مرتبط كلية بالمؤونة التى تعطيه له هذه الحشرات من البراز العسلى.

فى أرض سيناء تنتشر نباتات الطُرفة (Tamarix sp.)، وتصاب هذه النباتات بالحشرات القشرية التى تمتص عصاراتها كغذاء لها، وينتج عن هذه العملية أنْ تسيل كميات هائلة من العصارة النباتية على شكل قطرات على سطح النبات وتتجمد خلال الساعات الأولى فى الصباح عندما يكون الجو بارداً.. وتحدث هذه الظاهرة بصفة خاصة فى شهرى يونيو ويوليو وهو الوقت من العام الذى تتكاثر فيه هذه الحشرات بدرجة كبيرة. وكان البدو هناك يقومون بجمع هذه المادة ويبيعونها للرهبان وهؤلاء يقدمونها الى السياح ويطلقون على هذه المادة اسم «خبز الله» ويأكلونها تبركاً بها.

المحتوى الغذائى لمادة " المن "

قام نفر من العلماء حديثاً بتحليل مادة المن كيميائياً بقصد التعرف على محتواها الغذائى وتبين أنها تشتمل على ٥٥٪ من سكر القصب، ٢٥٪ من المواد السكرية السهلة، ١٩٫٣٪ من الدكسترين. وبذلك تكون هذه المادة ذات قيمة غذائية عالية وبخاصة لاحتوائها على المواد السكرية اللازمة لتوليد الطاقة الحرارية فى الجسم.

■ وختاما، فهذه كانت محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على أمر ورد فى القرآن الكريم، عسانا أن نكون قد أوضحنا المقصود منه، وعلى الله قصد السبيل.

لماذا يحاربون التراث؟

بقلم د. ابراهيم حركات

كلية الآداب
جامعة محمد الخامس
- المغرب -

التراث يمثل الماضى، وغالباً الماضى البعيد، والمثقفون يميلون فى عامتهم الى ما هو جديد، لكن إذا تقدمت بهم السن، بدأوا يرجعون الى التراث بشكل ما. لأن التراث المكتوب معظمه دسم المادة أو كثير الاستطراد، حيث تنقصه وحدة الموضوع وتختلط فيه فنون المعرفة. وهذا المرض الحديث الذى يُدعى الاختصاص أو التخصص يزيد فى ابعاد الشقة بين انتاج عباقرة الفكر العربى والاسلامى، وبين ذوى التخصص الضيق الذين يركلون بأرجلهم هذا التراث لأن آفاق معرفتهم تبقى محصورة فى اتجاه واحد فيتعاملون معه بتركه وربما بتعمد ازدرائه. لكن المثقف ولو كان متخصصا، إذا عوّد نفسه القراءة وأضاف الى تكوينه رصيدا جيداً من المعارف المتنوعة، يستطيع أن يقيم ميدان التراث بالتدرج فيجد فيه من روائع الفكر والعلم ما يواجه به روحيا أخطار القلق والفراغ وصدمات الحياة وعنف التعامل البشرى.

إن جهات أكاديمية كثيرة تخصصت بشؤون التراث والبحث عن نوادره وتحقيقه ونشره. وكل هذا عمل طيب فى حد ذاته، غير أن جله يسير الى الرفوف ولا يُقرأ، ومن قرأ بعضه فلضرورة إعداد بحث أو أطروحة. وتبقى الحالات النادرة التى ليست هى القاعدة الواسعة.

وجاءت الآلة هى أيضاً لتغزو العلوم والفنون وتحول كثيرا منها الى أرقام وحروف ورموز، وحتى بعض معلومات التراث يمكن تصنيفها وضمها الى الكمبيوتر. بل إن الجداول والأرقام والمعادلات أدخلت على كتابة وتدريس علوم وفنون إنسانية لم تكن لها علاقة بالرياضة، كما للغة والنحو وحتى الشعر. وبكلمة مختصرة، نشأ لدينا فكر آلى حتى إنه لم يعد من حقنا أن نقول كأسلافنا: الانسان حيوان ناطق، بل الأصل أن نقول: الانسان آلة ناطقة.

■ والفلسفات الحديثة مسؤولة فى معظمها عن مواجهة القديم بشكل عدائى يتلوها فى ذلك التطور التكنولوجى المذهل، الذى حققته البشرية حتى الآن. وهكذا فالتطور الحضارى الحديث قطع حتى الآن ثلاث مراحل:

١ - ***القرنان ١٧ ، ١٨م: الدعوة الى حرية الانسان وحرية العقيدة، توازيها بداية الحيرة.***

٢ - ***القرن ١٩ : التصنيع المكثف واستخدام الفكر العلمى المجرد، يوازيها بداية التضحية بالروحيات.***

٣ - ***القرن ٢٠ : التكنولوجيا، يسايرها تهميش الفكر الانسانى ومحاربة الروحيات وبداية مرحلة العنف.***

أما المرحلة اللاحقة، والتى أخذت الحضارة الغربية المتقدمة تهيىء لها، فهى مرحلة هيمنة الأشعة، وتعميم التخريب الجماعى الكثيف، بموازاة استعمار الفضاء. . فأما هيمنة الأشعة فالمقصود بها

تطوير التواصل الانسانى والتطاحن البشرى الى حد اكتفائه عموما بالأشعة عن الآلات الضخمة والمتنقلة.

فأين التراث من كل هذا؟ إن المسألة مسألة تشاؤم وليست مسألة تفاؤل، بل هناك حقائق حضارية، يقابلها الطرف الآخر من الصراع، والذى يبحث عن بديل يحمى الكيان البشرى ككل، ففى كل المراحل التى قطعتها الحضارة الحديثة حتى الآن، والتى سبقت الاشارة اليها ينبثق من بين المجتمعا الانسانية من يدعو الى شىء من التحرر من الحاضر بعد استنزف التحرر من الماضي كل أغراضه ودخلت الحضارة فى طور تسحق فيه نفسها على الأرض لتبدأ تجربتها المريبة فى الفضاء.

هناك فى الغرب دعوات ضعيفة للاصلاح، أى لإعادة تقريب الانسان من طبيعته وفطرته، وتتخذ فى الغالب صيغاً جديدة كالمحافظة على البيئة من التلوث الصناعى والتجارب الذرية، وكالتضامن الاجتماعى المفروض عن طريق الهياكل الادارية، والذى حل محل الأوقاف والمبرات الخيرية وجعل من الخير والاحسان وحتى من الكرم والعمل فى سبيل الله مصطلحات تاريخية.

لكن يبقى دعاة الماضى المتطرفون والذين يرفضون بتاتا كل اعتبار للتطور الحضارى. ثم هؤلاء الذين نضج وعيهم بين الأمم، فحاولوا ويحاولون الارتباط بالماضى والحاضر، والتفكير فى المستقبل، ولابد ان يوضع العالم الاسلامى فى معظم مجتمعاته واقطاره ضمن هذه المجموعة، مهما تفاوتت مستوياتها المادية ووسائل عملها.

فإذا وُجد فى المثقفين والمفكرين، وعلى نطاق اوسع، بين الطلبة من لا يحب الحديث عن التراث، فلأن المغريات الحديثة لها دور كبير فى صرف هؤلاء واولئك عن التراث، فهناك السينما والفيديو والتلفاز والاذاعة ولكل منها سلبياته مهما كان الحرص على الايجابيات. وبالطبع هناك الدعوات الجاهلة والتى تخفى فى الواقع عقدة النقص، الى نبذ التراث كليا.

ولذلك يبقى على الجهات المعنية، وبخاصة التى تتجه الى التربية والتثقيف والاعلام، على نطاق جماعى، أن تدمج التراث المكتوب والممثّل فى برامجها، على أن يدخل فى بعض البرامج. الحوار والنقد والتعليق. ويكون هذا انطلاقا من بداية مراحل التعليم وحتى المستويات العليا، ومع ذلك فمن المؤسف ان تراثنا يُقدَّم حتى فى حال نقله الى النص السينمائى او المتلفز، على شكل حوار يطغى عليه التمطيط والجمود ونقص الحركة والفعل. ويطبعه غالباً، الجد وتصنع الهيبة والوقار والاقتصاد المفرط فى المشاهد والوسائل التقنية. وهذا لا يعنى تعميم الحكم على كل ما استغل من التراث فى هذه المجالات.

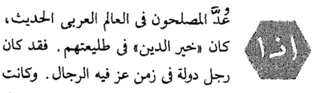
إن التعامل مع التراث المكتوب، فى حدود معقولة، وخارج نطاق التخصص الضيق، وبالنسبة لكل مستويات العلم، وسيلة رائعة للتواصل الحضارى، ولتحديد هوية المثقف، فلو فرضنا أن طبيباً درس الطب ببلاده ولم يكن له قط صلة بتراثه الاسلامى أو العربى، فإن هذا الطبيب لا يختلف فى مزاجه وطريقة تعامله وهويته عن آخر درس فى النمسا أو امريكا وله نفس النقص. وبصفة اكيدة فإن نسبة الأطباء ذوى العقلية المادية تكون أعلى بالقياس الى نسبة زملائهم المتعاملين مع التراث، او على الأقل، الذين شغفوا فيما سبق بقراءة التراث، لا سيما الذى يفتح آفاق الفكر ولا يخلو من المثل العليا.

والواقع أن الحرب بين الماضى والحاضر لن تتوقف، على الأقل بالنسبة لتاريخ المجتمع الاسلامى، فكلما هُدِّد هذا المجتمع فى اوضاعه ومصالحه، وكلما ذبلت حضارته وضعفت قواه، حن إلى الماضى واستمد من عظمته ومعينه فوجد القدرة على استئناف خطواته، واستدرك ما فاته، مواصلا نضاله وزحفه. فعقدة المجتمعات الغربية أنها لا تستطيع العودة الى تقاليد الماضى، لأنها تعيدها الى الوراء، ولا يمكنها أن توفق بينها وبين حاجاتها حالا ومآلا. والأمة الاسلامية يمكنها أن تستفيد باطمئنان من تراثها وتشعه على كل العالم فيما يكون عليها أن تواصل زحفها الحضارى المتبصر، الذى لا يهدم مقوماتها.

خير الدين التونسي

بقلم نقولا زيادة

الجامعة الأمريكية - لبنان



إذا عُدّ المصلحون فى العالم العربى الحديث، كان «خير الدين» فى طليعتهم. فقد كان رجل دولة فى زمن عز فيه الرجال. وكانت ادارته لشؤون الدولة التى تولاها تقوم على علم وبعد نظر ودراية، يرافق هذا كله صدق واخلاص وأمانة وضمير حى. فمن هو «خير الدين»؟ وما الذى فعله لتونس؟ وما هى آراؤه فى الاصلاح؟

ولسنا نعرف الا القليل عن حياة «خير الدين» فى مطلعها، والمتعارف عليه بين الذين ترجموا له ان الرجل شركسى الاصل، وانه وصل الى القسطنطينية عن طريق سوق الرقيق، وانه وجد نفسه فى صباه الاول فى بيت «تحسين بك»، نقيب الاشراف. وعلى حد تعبير المرحوم الاستاذ احمد أمين.

«عقل فرأى نفسه فى الاستانة فى أسرة غير أسرته، فى بيت تحسين بك نقيب الاشراف. ليست سيدة البيت له أما، ولا تحسين بك ابا، ولا أبناء البيت أخوة. . وانما يسمع همسا انه عبد مملوك. . ونظر فرأى تحسين يوما يعرضه على رجل يفحصه كما تفحص السلعة، ويصعد فيه نظره ويصوب، ويختبره من فوقه الى قدمه، ثم يدفع مالا فى يد تحسين وينتقل هو الى يده، وهذا يركبه مركبا يبحر به الى تونس. واذا به فى بيت جديد هو بيت احمد باى، باى تونس».

وأدخل خير الدين المكتب الحربى الذى انشأه الباى فى تونس سنة ١٨٤٠، وكان خير الدين، قد اعد من قبل اعدادا دينيا، فتعلم ما يستطيع تعلمه على ايدى رجال الدين من أهل الزيتونة وما اليه. فأتاحت له فرصة انضمامه الى المكتب العسكرى والاحتكاك برجال البعثة العسكرية، المجال للاطلاع على نواح جديدة من الثقافة العصرية، هندسة وجغرافية وتاريخا. وقد كان الشاب مفتح الذهن نشيطا، فتعلم الفرنسية الى جانب العربية والتركية، وبذلك أصبح واسع الاطلاع، متمكنا من المعرفة التقليدية والحديثة.

وفى سنة ١٨٤٥ أُبطل الرق فى تونس، فتحرر خير الدين. يقول الاستاذ ابو القاسم كرو **«ويحق لنا ان نفتخر بأن تونس كانت فى مقدمة الدول التى أبطلت الاسترقاق، وحرمت استعباد الانسان لاخيه الانسان، فقد أصدر أحمد باى الاول، الذى امتلك خير الدين ورباه، أمرا سنة ١٢٦٢هـ - ١٨٤٥م بابطال بيع الرقيق بالقطر التونسى، ويغلق سوق العبيد (الذى يعرف اليوم باسم سوق البركة) وحجر على جميع التونسيين تجارة الرقيق، بل أكثر من ذلك أصدر أمرا آخر يقضى بعتق جميع العبيد واعادة حريتهم اليهم».**

قضى خير الدين ثلاث سنوات وبعض السنة فى باريس يقوم بمهمة للباى وتونس. وهذه السنوات الثلاث كانت كبيرة الأثر فى حياته وتفكيره. فقد صرفها متعلما ملاحظا دارسا قارئا. وقد اتصل بأهل العلم والادارة والقضاء فجاءت اقامته هناك خيرا وبركة عليه وعلى بلده. . واستدعى سنة ١٨٥٩ الى الوزارة، وانشىء المجلس الكبير بعد سنة فعين خير الدين نائبا لرئيسه، لكن خصومه تضافروا عليه فانسحب من الميدان موقتا. ودعى ثانية لرئاسة اللجنة المالية واخيرا الى رئاسة الوزارة سنة ١٨٧٣ وخدم بلاده فى هذا المنصب خمس سنوات ثم أُقيل لأن استقامته لم تتسع لها الصدور.

●● لخير الدين كتاب اسمه «اقوم المسالك فى معرفة

احوال الممالك» حاول ان يتقرى فيه العوامل التى يمكن ان تصلح من شأن الامم الاسلامية بالمقابلة مع ما تم فى دول اوروبه. فيقول فى وجوب الاقتباس على اهل الامم الاخرى.

«ان الباعث الاصلى على ذلك أمران آيلان الى مقصد واحد:

أحدهما اغراء ذوى الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية، وتنمية أسباب تمدنها، بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان، وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة، وترويج سائر الصناعات، ونفى أسباب البطالة. وأساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منه الأمن، المتولد منه الأمل، المتولد منه اتقان العمل المشاهد فى الممالك الاوروباوية بالعيان وليس بعده بيان.

ثانيهما تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم فى الاعراض عما يحمد من سيرة الغيرة الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش فى عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتيب ينبغى أن يهجر، وتآليفهم فى ذلك يجب أن تنبذ ولا تذكر. حتى انهم يشدون الانكار على من يستحسن شيئا منها، وهذا على اطلاقه خطأ محض. فان الأمر اذا كان صادرا من غيرنا، وكان صوابا وموفقا للادلة، لا سيما اذا كنا عليه وأخذ من أيدينا، فلا وجه لانكاره وأهماله، بل الواجب الحرص على استرجاعه واستعماله».

وقد لاحظ خير الدين ما كان عليه الكثير من الامم الاسلامية من اختلال فى سياستها من حيث المبادىء لا التنفيذ فقط.. فقال فى ذلك: **«وأما الخلل السياسى فان الاحتياج للغير مانع للاستقلال وموهن للقوة لا سيما اذا كان يتعلق بالضروريات الحربية، تلك التى اذا يتيسر شراؤها زمن الصلح، فلا يتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف القيمة. ولا سبب لما ذكرناه الا تقدم الافرنج فى المعارف الناتجة عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية. فكيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو مستحسن فى ذاته، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية واحتياط فى غير محله».**

وشدد خير الدين على وجوب المشورة فى كل ما هو صغير وكبير فى شتى الميادين الحياتية.. ورأيه فى ذلك هو: **«ومن اهم الاصول الانسانية وجوب المشورة التى أمر الله بها رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم مع استغنائه عنها بالوحى الالهى وبما أودع الله فيه من الكمالات، فما ذاك الا لحكمة ان تصير سنة واجبة بعده».**

ويصر الوزير الكبير على ان تقدم اوروبه انما جاء بسبب العلم والعدل. وعبارته فى ذلك هى: **«وانما بلغوا تلك الغايات والتقدم فى العلوم والصناعات بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسى وتسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الارض بعلم الزراعة والتجارة. وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة فى بلدانهم. وقد جرت عادة الله فى بلاده ان العدل وحسن التدبير والترتيب المحفوظة من أسباب نمو الاموال والا نفس والثمرات وبضدها يقع النقص فى جميع ما ذكر».**

وبعد حياة مثمرة فى تونس غادر خير الدين البلاد الى القسطنطينية حيث احتفل به السلطان عبد الحميد احتفالا بالغا، وعينه فيها بعد رئيسا لوزرائه. ولكنه لم يمكث فى منصبه طويلا، فقد كثر خصومه هنا كما كثروا فى تونس لانه كان لا يقبل الا السير الصحيح فى عمله وتوفى سنة ١٨٨٩.

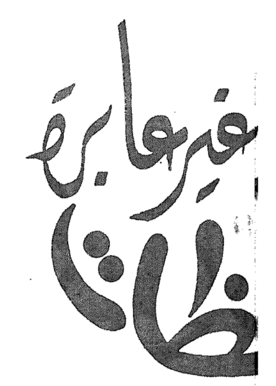
قال المرحوم الاستاذ احمد أمين يلخص صفات خير الدين.

«لقد كان مصلحا اجتماعيا وسياسيا. وكانت فضائله التى تُكون شخصيته الجرأة فى قول الحق، وعمله من غير خوف، وصلابته فيما يعتقده من غير انحناءة وحريته فى تفكيره من غير جمود، وقوة كواهله على حمل الاعباء من غير تبرم».



كلا الجملتين يصلح لأن نعبر بها عن لغتنا الجميلة الخالدة التى لا يَخْلِق ثوبها. ولا تزول أهميتها. ولا يتحول جمالها ما مر الزمان. وتعاقب الملوان. لكنا نحن الذين مع الأسف ـ تخاذلنا فى دراستها. . . وطغى عليها غيرها مع أنها الثوب لكل العلوم. . واللباس الذى لم يزل قشيبا. . إن العلوم التى تزاحمها، والمواد التى يتلقاها الطالب فى مدرسته وفصله، ليست هى السبب فى هزالها فى الأفكار ولكن الذى جعل الطالب يتقاعس عنها. . ولا يقبل عليها ذلك أن المعلم لم يكن مؤهلا فيها ولا متعمقا فى مفرداتها. . والادارة المدرسية التى هيأتها لم تكن واعية لها ولا متذوقة لطعمها. . جعل التعليم فيها آليا سواء فى مفرداتها. أو نصوصها أو قواعدها. . حتى اصبح ما يدرسه الطالب فى الخامسة فى (الابتدائى) لا يعاوده فى (السادسة). وما يدرسه الطالب فى المتوسط لا يكون مما يتذكره ويراجعه فى الثانوى. . لأن المدرس نفسه يحفظ أبواباً ولا يتجاوزها الى ما سبق. و(اللغة العربية) كل لا يتجزأ فبعضها آخذ برقاب بعض فالمبتدأ والخبر كما يقرؤه الطالب فى الابتدائى هو نفسه الذى يدرسه فى المتوسط حينما يكون الخبر جملة اسمية أو فعلية. . وهكذا سائر المعلومات مثل كان وأخواتها وإن وأخواتها حينما تجىء فى الابتدائى الفاظا صحيحة تكون فى السنوات الأعلى معلومات والأوسع تعبيراً تدخل فيها الجمل وتكون جملا متعلقا بعضها ببعض بالضمائر. . الخ.

وكذلك النصوص التى يتلقونها ولكن من بعض ولبعض شعرائنا المحدثين. . الذين لهم اسلوب جميل ولكننا نريد أن يكون من النصوص ما هو للسابقين الأولين من اولئك الذين لهم اسلوبهم القوى المعنى ومفرداتهم العويصة فإن شرحها وايضاحها يزرع فى نفس الطالب حب اللغة ويبقى اثرها فى فكره عندما تتسع معلوماته ويصبح فى الجامعة مؤهلا لفظا ولغة كما يكون مؤهلا علما ومعرفة.



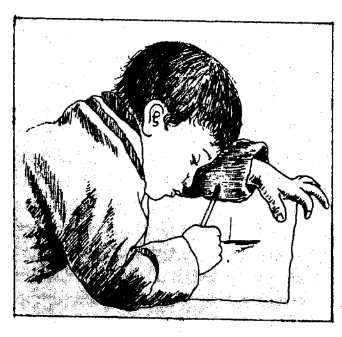
ولست أريد أن يُلغى المختار والمشتار من شعرائنا المحدثين ولكني اريد ان يكون ذلك مرادفاً له ليتعاون الطالب بين الجزالة لذلك والسهولة واليسر، لهذا على طلابنا ان يستظهروا الاول ولا يستظهروا الثاني لأن المعنى واضح . . ولفظه بيِّن . . ولغته ومفرداته سهلة يحفظها ولو لم يستظهرها .

ومن الجدير بالذكر أن الرعيل الأول من شعرائنا وكتابنا السابقين لهم من القول الجزل . . والمعاني الجيدة والافكار فى الشعر والنثر ما هو نافع للطالب فى مناحٍ كثيرة ومجالات جمة فى ميادين الحياة وآفاقها فى كل ما يطرقه شعراؤنا وصفا أو غزلا او مدحا أو أى نوع من انواع المعاني والمباني . . على ان من المستحسن أن يعطى الطالب كتبا للمطالعة تكون خارجة عن المفردات لتكون زاداً للطالب يسأل ويناقش فيها، تتضمن معلومات فى اللغة والأدب والنصوص فى غير اوقات الاختبارات لتكون رافداً. فقد يكون القليل معرضا عنها ولكن الكثير سيوالى قراءتها مما تطبعه بطابع المستزيد من المعلومات فى لغته وتكون ثوباً قشيبا يكسو بها ما يتحدث به وعنه فى اى موضوع ما ـ ولعل قواعد الاملاء من اهم ما أريد أن يلتزم به ويرعاه وكتاب ـ المفرد العلم ـ للهاشمى من خير ما أُلفَ وعلى الرغم من قدمه فإنه جديد كلما قرأه القارىء سواء كان معلما او متعلما لانه ابواب معينة ولكل باب تمارين تتمثل فى قصة او كلمة او موضوع فهو يجمع بين الفائدتين ـ الاملائية والمعاني التى تعود على القارىء بالنفع . .

من هنا وباسلوب محبب يستطيع مدير المدرسة أن يسلك هذا المسلك . . والامـلاء ومراجعة القواعد ضروريان جدا للطالب اليوم وغدا . . اليوم فى فهمه لما يتعلم إذا اتقنها . . وغدا تبقى فى ذاكرته عندما يكتب ويتحدث .

واللغة العربية مفرداتها وقواعدها والاملاء فى نظر البعض انها صعبة وانها من اعسر المعلومات . . والحقيقة خلاف ذلك فمتى اتجه اليها من البداية تتسع له المعرفة وتنقاد له الفائدة وتصبح سهلة عليه . . وميسرة لهأن يهضمها ويستعملها فى كتابته ولا تعزب عن ذهنه حينما يكتب او يراجع . .

هذه كلمة إن لم استطع التعبير عنها بأوسع من هذا فإننى المحت واشرت وربما اتممت اللمحة والاشارة عن اللفظة والعبارة.





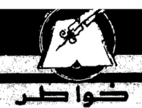
البحث عن الفضيلة

ما اصعب الحديث عن منعطف السلوك عند الانسان . . يتعدى على آخر فيقتله رغم ادراكه ان لهذا الانسان نفس الآمال والالام التى يشعر هو بها فى نفسه . . يتعدى على حق انسان آخر فيسلبه منه عدوانا وظلما رغم شعوره بقسوة ذلك عليه ومعاناته منه . . يفعل الكثير من الاثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن ويتلذذ بارتكابها رغم ما فيها من شناعة وبشاعة .

● والأغرب فى هذا أنه يفعل ما يفعل دون فزع نفسى من ممارسة جرمه، او انفعال من بشاعة وزره، كما حدث من ذلك الذى قتل ضحاياه ثم جلس يأكل طعامه متلذذا برؤية دمائهم، وتراكمهم على بعضهم فى وضع يصعب على الانسان تصوره ناهيك عن مشاهدته .

● ونستند فى تعليلنا لذلك الى ما نتصوره، فنراه تارة فى انحسار العقل، وتارة فى غياب الضمير، وتارة فى غلبة المنفعة وسيطرة الذات . . ونراه تارة أخرى فى غياب الفاعل عن ضوابط المجتمع ، وما تمثله من قيم ومثل . وقد نستند فى تعليلنا الى أثر صحيح ـ وهو المنطق الحق ـ فقد يكون فيما حدث عقاب معجل للمتعدى عليه ، وعقاب للمتعدى . . فالمتعدى عليه أصبح المقتول لانه كان القاتل فى وقت ما، وهو المسروق لأنه كان السارق يوما ما . . والمتعدى هو الآخر قد ظلم غيره فنجى من عقابه ولكنه عاود الظلم ليقتص منه فى ظلم لاحق يرتكبه . . وقد علمنا الله جل وعلا ذلك فى قوله الحق . **﴿أفأمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهم بأسُنا بياتا وهم نائمون﴾** (سورة الاعراف الآية ٩٧) او **﴿أو أمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهمَ بأسُنا ضُحى وهم يلعبون﴾** (نفس السورة الآية ٩٨) **﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾** (نفس السورة الاية ٩٩).

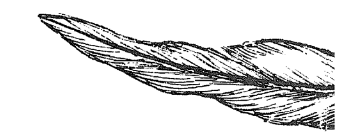
قلت : وما أرى منعطف السلوك الا حالة من صنع الانسان نفسه اذا استثنينا حالة انحسار العقل المترتبة نتيجة مرض عضوى . . . صحيح ان حب الذات، وطغيان المنفعة، وسيطرة الحقد عوامل تضعف بلا شك من نفاذ البصيرة، وتساعد فى تدنى رؤية الانسان للحقائق كما هى الا انها ليست بأى حال سببا يسلب ارادته وادراكه الى حد ينعدم فيه تمييزه كما هو الحال فى مرض العقل .



خواطر

الادب بمفهومه العام فيه متسع للأخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى





■ **كيف نتجاوز المنعطف الذى يمكن ان ينزلق اليه الانسان؟**

قلت: بالبحث عن الفضيلة.. وهذا يقتضى البحث عن قواعد الالتزام، ومعرفة طبيعته، وقناعة الانسان بالاوامر والموانع فيه.. وهذه القواعد تتعدد أو تتباين تبعا لديانة الانسان وتقاليده. ويتحدد التزامه تبعا لقيمتها وجوهرها فقد بدت ضوابط بشرية تحدد التزامه فيؤمن بها طواعية لسلطة، أو خوفا من عقاب.. ولكن ذلك لا يعنى قبوله بها عقيدة ومنهجا.. وقد يرث الانسان ضوابط مختلطة من العقائد والعادات فيصدقها فى ظاهره ولكنه لا يؤمن بها فى باطنه. ومن هنا ينعطف سلوكه فيفعل ما يفعل بغيره مثله فى ذلك مثل من يفقد السلوك القويم من الاساس.

● إن الانسان لا يتقبل قواعد الالتزام الا اذا وافقت طبيعته ولاءمت تفكيره فمن يرى صنما من بشر أو وشجر أو حجر يصعب عليه اقناع نفسه باى التزام يُسْتمدّ من هذا الصنم مهما كانت المغريات او التقاليد التى تقنعه باهمية هذا الالتزام.

قلت: ولا يلائم طبيعة الانسان شيئا اكثر من تنشئته على الايمان بقدرة خالقه، وتعريفه بما وضعه له من ضوابط، وما فرضه عليه من احكام.. وتدل الوقائع بداهة على ان الجريمة لا تقع من المؤمنين بها وضعه الله لخلقه من ضوابط.. وعندما نقول المؤمنين لا يعنى ذلك مجرد المنتسبين لهذه القواعد ففى الانتساب مظهر وفى التطبيق دلالة حقيقية عليه.

● إن العديد من الاقليات الاسلامية الملتزمة التى تعيش وسط مجتمعات متعددة العقائد والطقوس تتميز بانخفاض الجريمة بين أفرادها على عكس الطوائف ذات العقائد الاخرى. والسبب هو ان المسلم قد عرف منذ صغره تحريم القتل، والسرقة والاغتصاب، والفواحش. ومن المنطقى انه لن يقدم على ارتكابها الا اذا كان فاقدا لعقله، او مدخولاً فى اسلامه او متهاونا فيه.

● إن ما يواجهه العالم اليوم من امراض وأوبئة قاتلة نتيجة الانغماس فى الاباحية يعد نذيرا بالتآكل والانحسار الحضارى.. والمنجى الوحيد هو فى البحث عن الفضيلة فى قواعد الالتزام الخلقى ولن يجد المسلم اليوم من سبيل لتحصين نفسه الا بالالتزام بقواعد دينه التى بينت له سبل السيادة والبقاء عندما يبدأ الانحسار فى عصر من العصور **﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون﴾** (سورة الانبياء الآية ١٠٥) **﴿إنَّ فى هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾** (نفس السورة الآية ١٠٦). صدق الله العظيم.. والله المستعان.







من رسائل العلماء

أشرنا - من قبل - الى أن أدب الرسائل لون من ألوان الأدب العربى قديماً وحديثاً، وقد وجدت بين أوراقي القديمة خلال الفترة التى كنت أعمل فيها سكرتيراً لتحرير جريدة (البلاد السعودية) ثم مديراً لتحرير جريدتى (حراء) و(الندوة) بعض الرسائل التى تلقيتها من علماء أجلاء، وهى ذات أسلوب ادبى رائع، وتحمل - فى الوقت نفسه - ذكريات أصحابها وذكرياتي معهم.

احمد بن ابراهيم الغزاوى

وأولى الرسائل لسماحة الشيخ عمر بن حسن - رحمه الله - الذى كان يشغل فى تلك الفترة منصب الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - يقول رحمه الله فى رسالته:

● **من عمر بن حسن آل الشيخ الى حضرة الاخ العزيز الداعى الى الله على بصيرة، المخلص لربه فى العلانية والسريرة: الشيخ احمد محمد جمال - حفظه الله ورعاه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

● (ارجو الله تعالى لكم صحة جيدة، وعافية مطردة، وحياة طيبة سعيدة، محبكم يحمد إليكم الله الذى لا آله الا هو على حلو نعمه، ومر بلواه، ويشكر على ما تفضل به من جزيل النعم وأعطاه، ويصلى ويسلم على عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه محمد أكرم رسول بعثه بالتوحيد وأوصاه بتقواه.

● (تلقيت رسالتك الرقيقة المعبرة عن إخلاصكم العميق لأخيكم وشعوركم النبيل، وما يكنه ضميركم الطاهر من الشفقة وصدق المحبة، وعظيم المودة، فأهلا بها من رسالة محب صادق الولاء لمحبوبه، أفاضت على قلبى بواعث البهجة والفرح والسرور.

● (ذكرتم فضيلتكم عن محبوب الجميع سعادة الاخ العزيز الشيخ الفاضل احمد ابراهيم غزاوى(1) حسان زمانه، وفائق أقرانه أنه أخبركم بما ألمَّ بأخيكم من المرض الذى كان من جرائه إجراء العملية الجراحية على الفور وان ذلك أولاً كدَّركم إلى الغاية ثم بعد إفادته لكم بالنتيجة الطيبة، وان العملية نجحت نجاحاً تاماً أفرحكم ذلك الى أبعد حد، فشكرا جزيلاً لشخصكم المحبوب، وما هذا بأول اخلاصكم العظيم لأخيكم الذى يشهد لكم بالفضل ويعترف به، وذلك لما تقومون به من جهود




الشيخ حسن آل الشيخ

في سبيل الدعوة الى الله جل شأنه للعمل بالدين الاسلامى الحنيف، والتمسك بآدابه وقيمه الروحية، والصبر على الاذى فى ذلك، وتحمل المشاق فيه. فاحمد الله الذى وفقك لذلك، واشكره سبحانه على ما تفضل عليك مما هنالك.

● (هذا واسأل الله جلّت قدرته أن يتقبل منكم ما تفضلتم به لأخيكم من الدعوات الصالحة، وأن لا يجعل بينها وبين الاجابة حجابا، ويهبكم من فضله خيراً منها وأجزل، وإنى اشكر الاخ الكريم سعادة الاخ الشيخ الفاضل احمد ابراهيم الغزاوى شكرا جزيلا على إفادته تَمم بالنتيجة الطيبة ونجاح العملية بعد اخباره لكم بما حصل من الحادث العظيم الذى الَمَّ بأخيكم، فاثار ذلك شعوركم الطيب بهذه الدعوات الصالحة فجزاه الله خيراً، وبارك فيه، وامده بالشفاء العاجل من عنده مما يجده من الآلام، ويجعل ما أصابه رفعاً لدرجاته وكفّارة لسيئاته.

● (ايها الأخ العزيز لقد ساءنى جداً ما ذكرتم من زيارتكم لنا حيث كنا فى مكة المكرمة فى اليوم الثانى او الثالث من أيام عيد الفطر وكان فضيلتكم الاخ الحبيب المخلص الشيخ صالح، وكنت آن ذاك أجارك الله مصابا بحمى انفلوزا شديدة ولكن الله لم يوفق هذا الرجل الذى وافقتموه(٢) لانه فيما أظن ليس من مرافقينا الذين يعرفون فضيلتكم، وكان عندنا ضيفاً فى البيت بموجب مكاتيب ورد بها علينا.. من سمو الامير الجليل عبد العزيز بن مساعد، ويقيناً إن هذا الرجل لا يعرفكم، ولا قد اجتمع بكم فيما اظنه فيه، فاعتذر منكم عذر الجاهل الجافى، وأخبركم أنى مريض فى الغرفة وسمح على قولكم للشيخ ابراهيم الحمدان بالصعود إلينا وليس من شك فى ان هذا من اعظم أخطائه وكبير جهله، وإنكم كما ذكرتم تركتم لديه بطاقة لنا فمع الأسف الشديد أنى لم اعلم عن ذلك كله الا من كتابكم، ولم أطلع على البطاقة حتى تأريخه، مع العلم أنى لا أعرف إبراهيم بن حمدان الذى ذكرتم، ولا اتذكر انه دخل علىّ فى حال مرضى اللهم الا أن كان دخل علىّ مع غيره فلا أدرى.

● (وعلى العموم فلا يعرف الفضل لأهل الفضل الا أهل الفضل.

● (تحياتي الجزيلة لوالدتكم الكريمة أمدها الله بالصحة والعافية ومتعكم بحياتها السعيدة، ولاخيكم الكريم الاستاذ الفاضل الشيخ صالح ـ كما منا الابن حسن وحسين وعبد الله واخوتهم، والاخ الشيخ عبد الرحمن بن حسن وجميع المشائخ والاخوان المحبون لكم وخصوصا منهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الكل يهدونكم تحياتهم، واحوالهم بحمد الله تسركم.

● (اما معالي وزير المعارف والصحة(٣) فانه كما تعلمون في هذه الايام في مراكش مع وفده الذين معه، وصحته تسركم واخباره عندنا في الغالب ما بين يومين او ثلاثة.

● (ولكم تحياتي الجزيلة، وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص
عمر بن حسن ال الشيخ
٨/ ١١/ ١٣٨٩هـ

وهذه رسالة اخرى من سماحته:

● (حضرة الابن الصالح الحبيب وطالب العلم الاديب الاستاذ الفاضل المحقق الشيخ احمد محمد جمال حفظه الله وسدد خطاه، وجعلني واياه ممن خافه واتقاه.

● (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أرجو الله تعالى لكم عافية شاملة وسروراً موفوراً، وحياة طيبة سعيدة، وصحة دائمة مصروفة في طاعة الله، والسعي في رضاه، واني احمد اليكم الله الذي لا إله الا هو على حلو نعمه ومر بلواه، واصلي واسلم على عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه: محمد بن عبد الله افضل نبي، واكرم رسول بعثه بالتوحيد واوصاه بتقواه، وعن طاعة الكفار والمنافقين حذّره ونهاه.

● (تلقيت خطابكم الكريم المؤرخ ٢٣/ ١٢/ ٩٤هـ وتلوته مسرورا بما تتمتعون به من نعم الله الظاهرة والباطنة التي اجلّها نعمة الاسلام، والتي اصبح من يعرفها على المعنى الصحيح غريباً بين الأنام. هذا واني اقدر لكم مواقفكم الطيبة، ومساعيكم الحميدة، وبَذْلكم الجهود في نصر دين الله، والجهاد في سبيله زادكم الله من كل خير يقرب اليه، وجعلكم من أكرم خلقه عليه.. وما ذكرتم من طلبكم العفو عن التقصير، فالحقيقة أنا نعتبركم من رجال الصدق والوفاء سلفاً وخلفاً، ولم يحصل منكم اي تقصير يحملكم على طلب العفو من محبكم وما أحسن ما قيل:

وما الود إدمان الزيارة من فتى
ولكن على ما في القلوب المُعَوَّلُ

● (وعن ما تفضلتم به من التهنئة بحلول العام الهجري الجديد ٩٥هـ فاني اشكركم جزيل الشكر على ذلك، وأبادلكم التهنئة بحلوله ودا بود واحتراماً باحترام وتقديراً بتقدير، والله المسئول ان ينصر دينه ويجعلنا واياكم من أنصار دينه، ويصحبكم دائما بتوفيقه.

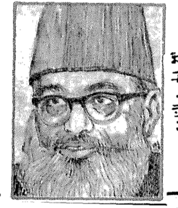
● (تحياتي الجزيلة لشخصكم المحبوب، والوالدة العزيزة المحترمة جعلها الله على النار محرَّمة، والاخ الصالح الشيخ صالح والاخ المحب الصادق المخلص محبوب الجميع الشيخ احمد ابراهيم الغزاوي، وكل عزيز لديكم.. كما منا الابناء وصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله(٤) الكل بخير وعافية ولله الحمد، ويهدون جزيل تحياتهم لشخصكم الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

محبكم المخلص
عمر بن حسن ال الشيخ
٦/ ١/ ١٣٩٥هـ

لقد كان سماحته ـ يرحمه الله ـ يتحدث في مجلسه كما يكتب، مسترسلا في كلامه مستدلا بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، واقوال العلماء واشعار الشعراء.. لانه يملك حافظة قوية غنية بكنوز المعرفة والثقافة.

ولعل القارىء الفطن يلاحظ ذلك في هاتين الرسالتين. وليت ابنه الاكبر الاخ حسن يجمع رسائل والده الجليل واحاديثه المكتوبة في كتاب تذكاراً لجهاده في سبيل الدعوة الى الله، وتذكيراً بشخصيته القوية الحبيبة.


أبو الحسن الندوي

وهذه رسالة كريمة من العالم الجليل والداعية المخلص سماحة الاستاذ ابي الحسن الندوي الامين العام لندوة العلماء بالهند ـ وقد اشتركت مع سماحته في رحلات متعددة ابتعثتنا رابطة العالم الاسلامي

لنزور خلالها ايران وافغانستان وسوريا والاردن والعراق ـ يقول سماحته:

● (الاخ العزيز الفاضل الكاتب والاديب الاسلامى والزميل المحترم الشيخ احمد محمد جمال ـ حفظه الله

● (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد وصل كتابكم المؤرخ ٩/١٢/٩٥ فأحمد الله على نعمائه، واسأله صحة العاملين فى سبيله الذابِّين عن دينه وسُنَّة رسوله. لقد اعادت لنا مشاعركم التى ابديتموها فى رسالتكم ذكريات ذلك المؤتمر العالمى الذى هيأ منبرا لصفوة من الدعاة والعلماء والمثقفين بالثقافة الاسلامية، ورجال الفكر والعاملين فى سبيله، وقد كنا دائما نفتقد أمثالكم من المحبين وحماة كلمة الاسلام، وكان معنا كثير من محبيكم فى الهند والمنتفعين بكتاباتكم القيمة الجريئة وخاصة فى أسرة ندوة العلماء وهم يحملون الاشواق لكم، والحرص على الاستماع اليكم وكان مكانكم لا يُشغل بغيركم.

● نرجو الله تعالى ان يتيح فرصة اخرى للقاء مع إخوانكم العاملين فى ندوة العلماء، ولتقضوا اياماً بين إخوانكم ومحبيكم وتلامذتكم وما ذلك على الله بعزيز، واشكركم على رسالتكم الرقيقة الأخوية التى تركت فى القلوب والنفوس اطيب الاثر واعمقه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

ابو الحسن على الحسن الندوى

١٠/١/١٣٩٦هـ



صالح جمال

وهذه رسالة كريمة من معالى الاستاذ محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا والامين العام للمجلس الأعلى الاندونيسى للدعوة الاسلامية هناك.

■ اخى الاستاذ احمد محمد جمال ـ حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فبمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك يطيب لى أن أهنئكم بمقدمه، راجياً من الله ان يجعله من احسن فرص التقرب اليه، والحظوة منه تعالى بالقبول والرضوان لكم ولنا وللمسلمين، وان يعيدكم وايانا والمسلمين لأمثاله كل عام فى احسن الظروف والاوضاع.

● وقد كان وصولى الى جاكرتا يوم السبت مساء ٨ نوفمبر سنة ١٩٦٩م الموافق ٢٨/٨/١٣٨٩هـ بعد ان عرجت على الرياض فى ضيافة معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف حفظه الله.

● وكنت قد استعنت بأخينا الاستاذ عبد الله سراوق بادارة جوازات جدة ليقدم لكم نسخة من كتيب (غارة تبشيرية جديدة على اندونيسيا)(٥) هدية من المجلس متواضعة بأمل ان يقدم لكم صورة مصغرة من واقع التألب العالمى على الاسلام فى اندونيسيا مما يهم كل مسلم غيور الاطلاع عليه.

● ويطيب لى بالمناسبة ان اشكركم على كتاب (محاضرات فى الثقافة الاسلامية) الذى اهديتموه الى، وهو سجل يصدره مركز الاشعاع الاسلامى عن الثقافة الاسلامية، اعتز به وارجو ان يقدم للشباب المسلم الصاعد قبسا من مقوماته الاصيلة، كقسم من التصور الاسلامى الشامل لمختلف أوجه الحياة. أسال الله ان يتقبله منكم قبوله لجهود العاملين والمجاهدين فى سبيله وان يديم عليكم نعمه الغالية، وان يكثر من امثالكم فى الشباب المسلم.

● وختاما تقبلوا اطيب تحياتى واطيب تمنياتى ومن الاخ محمد سعيد قوسجى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جاكرتا فى ٧ رمضان ١٣٨٩هـ

المخلص

محمد ناصر

الهوامش

(١) كان نائبا لرئيس الشورى ـ رحمه الله ـ ويلاحظ فى هذه الفقرة انه رحمه الله يثنى على الاستاذ الغزاوى: بأنه حسان زمانه وفائقَ اقرانه».

(٢) يقصد (قابلتموه) عند الزيارة.

(٣) يقصد معالى الشيخ حسن بن عبد الله ـ ابن اخيه ـ وقد كان يجمع بين الوزارتين.. رحمه الله واجزل مثوبته.

(٤) يقصد ابن اخيه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ـ أمد الله فى عمره ـ وقد تولى وزارة المعارف فى عهد الملك سعود رحمه الله ثم رئاسة هيئات الامر بالمعروف فى فترة تالية ثم استقال منها.

(٥) لعل القارىء يلاحظ فى رسالة الدكتور محمد ناصر. بداية الفتنة الصليبية سنة ١٣٨٩هـ بالهجوم التنصيرى على مسلمى اندونيسيا.



وتأسيسا على هذا الفهم فان التحليل الاجتماعى للأدب الجزائرى يكشف لنا بداءة - عن علاقات وثيقة بين موضوعات عربية وجماعات عربية تؤكد مفهوم الشخصية القومية فى هذا الأدب الذى توسَّل باللغة الفرنسية فى التعبير عن الشخصية العربية.. وارتبط بالجذور التاريخية للثورة الجزائرية وبالخصائص القومية والحضارية للشعب العربى الجزائرى.. كما عبر عن هذه الثورة - باعتبارها تجربة من أكبر التجارب الثقافية الانسانية تجلت فى مقاومة محاولات الاستعمار لمحو الشخصية العربية والخصائص القومية للشعب الجزائرى.

الشخصية القومية واستعمار الشخصية

يمثل مفهوم «الشخصية القومية» أهمية خاصة بالنسبة لدراسة أدب المقاومة بوجه عام وأدب المقاومة فى الجزائر بوجه خاص اذ نجد فى بعض هذه الكتابات تركيزا على تحديد السمات النفسية

بقلم



د. عبد العزيز شرف
- مصر -

والاجتماعية الايجابية التى تشكل الشخصية العربية، على النقيض مما يكشف عنه ادب النكسة فى معارك يونيو ١٩٦٧ من سمات مختلفة كالتواكل والسلبية وانعدام المبادأة وهى سمات تواكب الايقاع السريع للمجتمعات المتحضرة التى غزت مجالات العلم والتكنولوجيا وتكمن فى المقام الاول وراء العجز العربى الذى كشف عن نفسه على المستوى العسكرى والتنظيمى والاجتماعى فى معارك ٥ يونيو ١٩٦٧(٣).

ومن هنا تبدو أهمية الدراسة النقدية لمفهوم الشخصية القومية كما يستخدم فى العلوم الاجتماعية على النحو الذى يفيدنا فى تحليل ونقد الكتابات الفرنسية والجزائرية عن الشخصية العربية.

وتعنى دراسة الشخصية القومية بوجه عام - دراسة اكثر سمات الشخصية شيوعا فى أى مجتمع للوصول الى تقديم صورة مؤلفة من هذه السمات وقد يكتفى الباحث بهذا الوصف او يتبعه بمحاولة نشوء هذه السمات او بدراسة مقارنة بين الشخصية القومية فى عدد من المجتمعات(٤).

على ان هناك فارقا جوهريا بين الطابع القومى National Character والصوره القوميه Mationa Image ذلك ان الطابع القومى ينبع من التحليل الموضوعى للسمات والملامح الفرديه على المستوى الجماعى والشمولى، خصائص فرديه تعبر عن الانتماء الى مجتمع سياسى معين بحيث ترتبط بذلك المجتمع وجودا او عدما. أما الصوره القوميه فيقصد بها كيفية تصور مجتمع اخر سواء كان هذا التصور يعبر عن الحقيقة وبعكس الصفات الواقعية للانتماء الى ذلك المجتمع الاخر أم ان هذا التصور يخضع لعملية تشويه مقصود او غير مقصود(٥).

وتأسيسا على هذا الفهم نجد ان الصورة القومية العربية بعامة والجزائرية بخاصة قد تعرضت لما نحب أن نسميه «استعمار الشخصية» ذلك أن الصوره القومية العربية قد تغيرت فى ذهن الأوربيين عبر قرون طويلة هيمنت عليها «الروح الصليبية» كما هيمنت عليها اتجاهات المنتصر ازاء المهزوم بما يصاحب ذلك من الحط من شأنه بعد الغزو الاستعمارى منذ بدايات القرن التاسع عشر وحتى النصف الثانى من القرن العشرين(٦).

وفى هذه المرحلة الأخيره تبلورت النزعة العنصرية ضد العرب ويقرر «بيتر وروسلى» بهذا الصدد أنه بانتهاء القرن التاسع عشر أصبح تفوق أوربا الطبيعى مبدأ ساريا لا مراء فيه وقد حكم بالانحطاط والضعة على حضارات الشرق المتنوعة التى كانت محترمة يوما ما(٧) ووصلت عجرفة بعض المفكرين الانجليز مثل «ماكولى» الى حد أنه ادعى ان رفا واحداً من مكتبة أوربية جيدة يعادل كل التراث الوطنى للهند والجزيرة العربية(٨).

ولم يقنع الغرب فى هذه المرحلة بالاستغلال الاقتصادى للوطن العربى ولكنه ركز ايضا على «استعمار الشخصية» وان كان هذا النمط بالذات من انماط الاستعمار عملية معقدة فان الشعوب العربية استطاعت بالرغم من ضراوة محاولات الاستعمار أن تفلت منها من خلال نضالها البطولى فى سبيل التحرر ونشير هنا الى التحليل السوسيولوجى الذى قدمه «فانون» لمحاولات الشعب الجزائرى من خلال الثوره الجزائرية - القضاء على الاستعمار الفرنسى للشخصيه الجزائرية(٩).

ولقد اتسمت الصوره القومية للشخصية الجزائرية فى الادب الفرنسى بالتفكير المبنى على الافكار النمطيه Sterestgpes وهو اصطلاح استعاره الصحفى والمفكر الامريكى المعروف والترليبمان من عالم الطباعة لكى يستخدمه فى مجال الاتجاهات والافكار اذا اتسمت العمليات

الـذهنيـه التى تشكل مادة الخبره ـ فى نهاذج ثابته ـ بطابع جامد متصلب. ويوضح لبهان فكرته فيقول:

فى هذه الحـالـه ـ أى اذا فكـرنا من خلال القوالب المتجمده فنحن لا نرى الأشياء اولا ثم نعرفها ولكن نحن نعرفها ثم نراها من بعده فنحن نلتقط من الخضم الهادر للعالم الخارجى ما سبق لحضارتنا التى نعيش فى رحابها ان عرفته لنا ونميل الى تبنى هذه الاراء التى يحدث كثيرا ان تكون قد صيغت فى صورة قوالب متجمده ومن الواضح أن هذه الطريقه فى التفكير لها أخطار شتى(١٠).

وتكشف لنا الدكتورة سعاد محمد خضر فى كتابها عن الأدب الجـزائـرى عن صورة من هذه الافكـار النمطيـة التى سادت الأدب الفرنسى عن الجزائر(١١) على نحو ما نجد فى كتاب الفه الأب دان Le Pere Dan احد القسس الاسبان الـذى تعـرض للجـزائـر فى فترة من فترات الحكم التركى.. كما نجد صورة مقاربة فى كتاب آخر بعنوان «عـلاقة أمانويل اراندا» الذى وقع فى الأسر وقضى مدة الأسر فى سجون الجزائر.. والى جانب هذين الكتابين هناك قصة شهيرة للشاعر رينار Regnard باسم البروفنسال Pravencale او الاتجاه الواضح فى هذه الكتابات يشير الى نوعية من التفكير المبنى على الأفكار النمطيه التى تتسم بالتعصب القومى والدينى والعنصرى. كما انها تعتبر امتداداً لأيـديـولوجية الحروب الصليبية.

ومع حملة الغزو نحو الجزائر سنة ١٨٣٠ أصبحت الجزائر موضوع الساعة فيكتب فينى Vigny محتجا على صمت الكتاب فى البداية ونقرأ له مقالة (١٢) قدم بها كتابا ظهـر فى ذلـك الوقت عن الجزائر بعنوان «حكايات سياسية وتاريخية للمساعدة فى وضع تاريخ حملة الجزائر» يقول فينى «لقد كنت اود ان اقدم كل ما لدى فى الدنيا حتى لا أقرأ هذا الكتاب لاننى لا أريد وما كنت لأريد ان انخدع فى تصوراتى.. لكم وددت ألا أرى فى هذا الكتاب معلومات ومعطيات موضوعية وايجابية حتى استطيع ان انكر وجود هذه الحمله ولكننى لابد لى من أن اقرأ هذا الكتاب لاننى لا أريد وما كنت اريد ان انخدع فى افكارى.

وحاول العسكريون الذين قاموا بهذه الحمله ان يبرروا كل ذلك وان يوضحوا للرأى العام الفرنسى مغزى الحملات الافريقيه عن طريق الادب ونشر ألوان من القصص والمذكرات والتواريخ.. الخ(١٣).

ومن بين كبـار الكتـاب الـذين ظهرت الجزائر بشكل أو بآخر فى كتاباتهم (**بلزاك.. ولا مرتـين.. وهـو جو.. وجورج صناند**) ويتطلع الجميع بأمل من يتوقع من تلك الأراضى الشـاسعـة الخير العميم(١٤) وتغـدو الجزائر بالنسبه للبعض كذلك «مأوى من كان غير مرتاح الضمير»(١٥) ولم يكن «لامـرتـين» ينظر الى الجزائر بعين الاديب ولكنـه كان ينظـر اليهـا بعـين السياسى وكلماته فى الجمعيـة الـوطنية معروفة: «ان ما ينقص فرنسا هو الهـواء والهواء هنـاك.. اعطـوا مزيـدا من الهـواء لفرنسا». كما وقف فى وجه من قاوم تلك الحمله وناوأ الاستعمار بقوله: «لا يجب ان نتخلى عن الأراضى فيما وراء البحار فالابقاء عليها فى صالح بلادنا.. والجزائر هى تركة مجيدة تركتها لنا الحكومه السابقه وهى تذكار نبيل قدموه لفرنسا.. ان الجزائر كما اعتقد يجب ان تظل جزءا من أرض فرنسا».

وعلى النقيض من هذا الموقف نجد أن هوجو يتخذ موقفـا من أجـل «شـرف فرنسـا الـذى لوثتـه تلك الحمله».. ويعرض خياله الرومانتيكى صوره أخاذة لقائد المقاومه الامير عبد القادر ويعبر عن اتجاهه فى كثير من قصائده «العقوبات»:

لقد توجه المتهمون الى الجزائر.
وراء المدفع الأسود توجهوا الى الجزائر
لقد رأوا بونابرت فى فرنسا وهناك
لن يروا إلا الموت



●● ويعرض صورة حزينة للجزائر حين يقول: «اختلطت أناتها بعويل إفريقيا كلها».

وتتضح الصورة القومية للشخصية الجزائرية عند (هوجو) من تصويره للأمير عبد القادر فى ملحمة «قصة جريمة» حيث يظهر الأمير «فارسانبيلا مفكرا قويا طيبا.. سلطانا للصحراء ولد تحت النخيل.. ذلك الرجل المفكر الحالم الغامض الذى يعطى الشراب للسيوف». واذا كان «هوجو» يعبر عن ثورة الضمير والشرف فاننا نجد صورة نمطية مضادة عند «جورج صاند» التى تتعصب لقوميتها ووطنها.. وترسم هذه الصورة النمطية للجزائر على نحو مادى يتمثل فى الفوائد المادية التى ستعود على فرنسا نتيجة لنجاح حملة الجزائر.. وتظهر صورة الجزائر بالنسبة لهذه الكاتبة على انها بلد يرسل اليه «المغضوب عليهم وغير المرغوب فيهم»(١٦).

كما وضع بعض الكتاب أقلامهم فى خدمة الأيديولوجية الاستعمارية والتبشير بأهداف فرنسا التوسعية فى الجزائر على نحو ما نجد فى رسائل «لويس فيليو» Louis Veuillat التى كتبها الى أخيه والتى نشرت سنة ١٨٥٣ تحت عنوان «الفرنسيون فى الجزائر» وكذلك عند «مارمبيه» Xarier Marmier فى رسائله (حول الجزائر) ١٨٧٤ ولكن تغيرا طرأ على موقف الكتاب الفرنسيين تجاه الجزائر يتضح فى ملاحظات «فلوبير» التى نشرها سنة ١٨٥٨ بعد رحلة قام بها الى قرطاجنه بحثا عن بطل قصته الجديدة «سالامبو» اذ كان عليه أن يمر بالجزائر وهناك فى «عنابة» و«الجزائر» قضى احد عشر يوما استطاع فيها ان يكون فكرة عن المستعمرة التى يحكمها السيف وعلى الرغم من قصر هذه المدة الا ان انطباعاته كانت عميقة حادة عن الجزائر التى اعتبرها العسكريون «غنيمة» يجب المحافظة عليها.. فهو لم ير فيها «الا المعسكرات فى كل مكان والبيروقراطيين العسكريين الأغنياء والموظفين القساة.. إنه منظر كريه فقير»(١٧).



وتصور (الفونس دوديه) الجزائر صورة «بائسة» كما يفضح «موباسان» مفاسد نظام جائر وأفلاس نظام استعمارى تدبره جماعة من المدنيين المتزمتين الذين يدينون بأفكار وتقاليد جاهزة ومن ذلك يتضح ان المفهوم الفرنسى للشخصية القومية فى الجزائر قد طبعه التفكير المبنى على الأفكار النمطية.

وهذا يدفع بنا الى الانتقال للحديث عن:

الطابع العلمى لدراسة الشخصية القومية

كان للمعلومات المتعددة التى جمعها الباحثون فى الانثروبولوجيا الاجتماعية عن المجتمعات غير الغربية أثر كبير فى امداد الباحثين برؤية أشمل عن مدى الفروق التى توجد بين الشعوب فى مسائل عديدة أهمها: اختلاف اللغات ـ اختلاف الانماط المصرفية والادراكية التى تحدد وتعرف البيئة الطبيعية والاجتماعية.. الانماط غير المعتادة لاتخاذ القرارات فى الجماعات الاجتماعية المختلفة ـ انماط المسئولية وأنماط السلطة.. الأنماط المختلفة للتعبير عن النفس وطرق المشاعر والأحاسيس.. الاختلاف فى التعريفات الأخلاقية للقيم.

ومن نتاج هذه المرحله تصحيح الصفوة العلمية فى فرنسا ذاتها للشخصية القوميه فى الجزائر. . ويتصل ذلك بها كتبه المؤرخ الفرنسى «**شارل روبير أجرون**» عن تطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية يقول:

«للجزائريين الحق كل الحق فى التشكى من بعض المؤرخين الأجانب الذين لم يكونوا منصفين فى دراستهم لتاريخ الجزائر. اما لغرض فى انفسهم او بسبب جهلهم لحقائق الأمور. ونذهب الى أبعد من ذلك فتقول بأن النظرة الاستعماريه كثيرا ما أوقعت فى ضلال مبين بعض المؤرخين سواء النزهاء منهم او المغرضين ولهذا فان تطهير التاريخ الجزائرى من الشوائب الاستعمارية أصبح من أوكد الواجبات بالنسبه الى كل من يبحث عن الحقيقة التاريخية الناصعة. سواء كان اوروبيا او من أبناء المغرب العربى»(١٨).

وعندما نتحدث عن الطابع العلمي للشخصية القوميه فى الجزائر نجد أنها تتضمن عددا من العناصر ظلت تحصنها وتحفظها من المسخ والذوبان ومحاولات الادماج الثقافى Acculturation والتجريد من الثقافه decculturation والرضوخ السياسي.

وهذه العناصر هي: (١٩) «العادات والتقاليد.. التاريخ والحضارة.. اللغة والثقافة العربية.. القومية.. الدين الاسلامي».

وهذه العناصر هي التي أكد عليها الأدب الجزائرى فى تصويره للشخصيه القومية.

الشخصية العربية.. المقاومة في الأدب الجزائري

إذا كانت مقدرة الفنان وامكانيات الخلق هى التى تعطى للعمل الفنى درجة تميزه وتفوقه فان الخيال وان كان جزءا اساسيا من عناصر العمل الادبى الا انه لا يستطيع وحده ان يخلق شخصيات نمطية يتجسد فيها ما يضطرب فى مرحلة تارخية محددة من الاحداث التى تزلزل الضمير الانسانى.. ومن هنا كانت ثورة الشعب الجزائرى تتويجا للالام التى كابدها بحيث اصبح ادباء الجزائر جزءا رئيسيا من جبهة القتال.. وأصبح الموضوع الذى تدور حوله جميع اعمالهم هو حرب التحرير ومقاومة المستعمر رفضا للاستغلال والتسلط وقد أدرك العدو نفسه ذلك فراح يتفنن فى استكشاف فنون التعذيب والتنكيل وابداع الرسائل التى تكفل له فى نظره على الاقل القضاء على المقومات الشخصية والتاريخية التى يدونها يستحيل الصعود.. حاول القضاء على الشخصية العربية وتمكن من أن يجعل من لغته وسيلة للتعبير فى الأدب الجزائرى ابان احتلاله.

وهذه المحاولات لقيت مقاومة عنيفة من الجزائريين انفسهم فظلت اللغة العربية التى حرّمت جميع الحكومات الفرنسية على ابناء الجزائر ان يتكلموا بها.. هناك ابطال عملوا كل ما بوسعهم لانقاذ ما تمكنوا من انقاذه من اللغة العربية من هؤلاء الشيخ عبد الحميد بن باديس واحمد رضا حوحو الذى ألف باللغه العربية واستشهد فى سبيل وطنه سنة ١٩٥٦م.

وبالنسبة للوضعيه الثقافيه للجزائر: فقد كانت تتمثل فيها ورثته الجزائر من تركة ثقيلة من ثقافة الاقطاع وثقافة «الكولون» الفرنسيين الذين كانوا يمثلون قصة الاقطاع الأوربى.. ومن خليط من الثقافة الفرنسية المشوهه وقد بلغت المأساة الثقافية فى الجزائر القمه آنذاك بفقدان لغة مشتركة يمكن لكل المواطنين التفاهم بها فى شئونهم ذلك أن احداً لا يستطيع أن يعبر عن ذات نفسه فى لغة اجنبية بأفضل

مما يعبر عن نفسه فى لغته الأصلية إن الاستعمار حين يفرض لغته على الشعوب المستعمره فانه بذلك يؤكد ذلك الجانب منه الذى يجردهم من شخصيتهم فليس من قبيل الصدف مثلا ان كتب «كانت» باللغة الالمانية و«شيكسبير» بالانجليزيه و«ديكارت» بالفرنسية . . ومن هنا فان أدب المقاومة نبع فى افريقيا وفى الجزائر بالذات ليندد بالسيطره الاستعماريه لكونها على حد تعبير الدكتور فرانز فانون سيطرة كاملة مطلقة من شأنها ان تبسط كل شىء وتلغى التعقيد الخصب فى الاشياء فانها سرعان ما فرضت الوجود الثقافى للشعب المستعبد تفويضا سافراً صارخاً. ان انكار الواقع القومى والغائه وادخال العلاقات التشريعية الجديده التى تفرضها دولة الاحتلال ولفظ السكان الاصليين فى المستعمره وعاداتهم الى اطراف دائرة المجتمع الاستعمارى وتجردهم مما يملكون واستعبادهم رجالاً ونساءاً يشكل مدبرٍ منهجى . . ان هذا كله يمكن من عملية المحو الثقافى . . ان الوضع الاستعمارى بكل جوانبه تقريبا يوقف مجرى الثقافة القومية ويشلها(٢١).

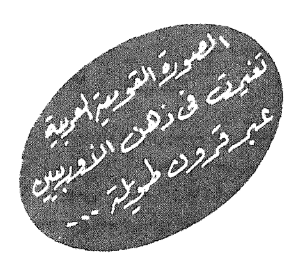
●● *ويضيف الدكتور فانون انه بينما كان الكاتب فى البلاد المستعمره يَعْمد فى البدايه الى الانتاج الفنى الموجه الى الطغاه وحدهم اما لكى يفتنهم ويسحرهم او لكى يندد بهم عن طريق المقولات الخلقيه أو الذاتية فانه قد يعتاد تدريجيا على مخاطبة شعبه . ومنذ هذه اللحظه فقط نستطيع ان نتحدث عن الأدب القومى . . ادب المقاومه الحقيقى إذ انه يدعو الشعب بأسره إلى النضال من أجل الوجود القومى وهو أدب نضالى لأنه يلهم الوعى القومى وينيره ويرسم خطوطه ويتيح امامه مجالات جديدة لا حدود لها. أدب نضالى لانه يتولى مسئولية الأمور ولأنه يمثل إرادة معقودة جاءت وقتها وعلى صعيد آخر بدأت الاداب الشفاهيه والأقاصيص والملاحم والأغانى الشعبية تتغير وتتحول بعد أن كانت قبل ذلك جامدة ومجموعات محفوظة ثابتة(٢٢) .*

وقبل ان نتحدث عن طبيعة ادب المقاومه فى الجزائر نجد سؤالا ملحا نقف عنده قليلا عن دور الادب على ضوء محنة ما ـ بشكل عام . . وعن دوره إزاء المحنه نفسها بشكل خاص؟ .

وفى التراث الاغريقى نطالع صورة للصراع البطولى بين المحسوس والملموس . . ففى اسطوره سيزيف . . هذا البطل الذى حكمت أن يرفع الصخره الى قمة جبل عال ما ان يصل اليها حتى تتدحرج الصخره لتهوى الى السفح فيرفعها من جديد لتسقط من جديد ـ وهكذا الى ما لا نهاية .

وفى الادب المعاصر نطالع رواية «العجوز والبحر» لهيمنجواى . . فنجدها الرواية الوحيده التى كتبها دون ان يذكر كلمة «الحرب» بخير او بشر . . ونجد فيها انسانا وبحرا يتصارعان فوق شبكة الصيد وحيوان البحر الذى يأكلها . . وليس من المهم بعد ذلك انه ينتصر الصياد العجوز أو ينهزم أمام الوحش البحرى وانما المهم هو هذا الرمز المباشر والعميق الدلالة القائل بأن الانسان لمجرد كونه كائنا بشريا ـ فى صراع لا يكل ولا يهدأ من أجل الحياة ـ هذه هى الشحنة الرئيسية التى يملأ بها هيمنجواى حنايا الانسان المعاصر فى عالمنا وهى الشحنة التى تنقذ الوجدان المتعب من الاستسلام امام «الامر الواقع» او الوحش البحرى الذى قد يتجسد حينا فى غاز أجنبى . . وحينا آخر فى سلطة طاغية . . وحيناً ثالثا فى قهر اجتماعى عات . . الى غير ذلك من صور الضغط التى تلاحق الانسان أينما كان وفى أى زمان .

●● وثمة خلاف بين «العجوز والبحر» والأسطورة الاغريقية يتلخص فى أن هيمنجواى لا يهمل من الصراع الانسانى قدرا غيبا أو عقابا من الآلهه وإنما يراه جزءا لا يتجزأ من طبيعة العلاقة الديناميكية بين الانسان والكون .



علاقة التفاعل بين الجنس البشرى والوجود المحيط به. اما العقل الاغريقى القديم فقد رأى فى هذا الصراع «نتيجة» للحط فى حق الآلهة لا سيما للحياة بكل ما تحتويه من تناقضات تحتدم فيها نسميه صراعا وما هو الا الحياه فى انبثاقها واستمرارها وصيرورتها السرمديه.

فهل يمكننا أن نعتبر «العجوز والبحر» فى الأدب المعاصر و«أسطورة سيزيف» من الأدب القديم من أدب المقاومة؟ إن الاجابة على هذا السؤال تشير الى قضيتين متمايزتين:

أولاهما: ان الأدب كأدب هو فى ذاته نشاط انسانى يقاوم عوامل الضعف والخور التى قد تلم بالنفس البشرية فى لحظات الانكسار.. فليس هناك عمل أدبى جاء فى القديم والحديث يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهى «المقاومة» لأن هذا العمل يفقد عنصرا خطيرا من مكونات وجوده اذا أخلى من أحد وجوهه ـ من فكرة الصراع بين الانسان والكون.. سواء تمثل هذا الكون فى الوجود الطبيعى أو النسيج البشرى.

ثانيهما: هى أن لأدب المقاومة عموماً وجهه الانسانى العام الذى لا يتدرج فى تصويره للصراع البشرى تحت أية أطر قوميه أو قوالب اجتماعية والجانب الايجابى العام فى هذا اللون من ألوان الأدب هو أنه من عوامل «التجمع» لا من عوامل «الفرقة» فحين تكتب مؤلفة مثل هايت بيتشر ستو «قصتها» كوخ العم توم عن مأساه الزنوج فى الجنوب الامريكى وهى الكاتبة الأمريكية البيضاء.. فانها تتطابق فى صياغة هذه المأساة من هذا المنظر الانسانى الشامل ولا يعنى هذا ان البعد الانسانى لا يتأتى الا عن طريق «الادب المجرد» كقصة هيمنجواى التى يمكن ان تحدث فى أى زمان ومكان وبشر ـ وكالأسطورة الاغريقية وانما يتواجد هذا البعد كذلك فى الانطلاق منه نحو «مآسى انسانية محددة» فى هذه البقعة او تلك.. فى هذا العصر او ذاك..

وبالنسبة للادب الجزائرى فى العقدين الثانى والثالث من هذا القرن فإن الادب الحقيقى لم يكن له وجود. ذلك ان تكوين النظام الاستعمارى وطبيعته لا يسمحان إلا بأناشيد الثناء عليه والتغنى بمآثره فظهرت خلال هذه الفترة بضع روايات كتبها بعض الجزائريين لا تتناول من قريب أو بعيد المشاكل الحقيقية والسبب واضح ـ كما يقول «مولود معمرى» ان هذا الأدب كما يرىّ المجتمع المغربى بنفس العين التى تراه بها الاقلية الأدبية.. أى يراه بحيث يحط من مظاهره دون تفرقه او يصوره فى أحسن الحالات تصويرا ثنولوجيا بحتا.. تصويرا خارجيا ومنشئا من ذلك روايات الحاج حامد عبد القادر.. وروايات

(عزيزة) وهذا ادب مخلى بالمعنى المسىء المشين لهذه الكلمة. وكذلك رواية «بو الانوار».

فأين هو أدب المقاومة فى الجزائر إذن؟

إن الاجابة على هذا السؤال تقتضى أن نؤكد ما سبق قوله بأن الحرب العالمية الثانية عجلت تعجيلا كبيرا بالحركة صوب التحرر الوطنى مما أتاح فى الوقت نفسه انبثاق أدب جزائرى أصيل حق وان كان هذا الادب يتخذ اداته من لغة المحتمل كما حدث فى كل انتاج هذا الادب تقريبا وفى اعتقادنا ان هذه الوضعية التاريخية تؤكد حقيقة جديرة بالتسجيل وهى:

لماذا أصبح الأدب الجزائرى كله أدب مقاومة فى مجموعه؟. . لأن هذا الأدب جملةً وتفصيلا هو أدب مقاومة. ذلك أن أدباء الجزائر عبروا عن هذا الصراع الكامن فى أعماقهم بين اللسان الناطق والوجدان النابض. . بين الحضارة الجديدة التى جرت مجرى الدم فى عروقهم حتى اختلط بدمائهم التى فجرت فيها الحياة النطفة الاولى من طلب الأسلاف وربما يفسر ذلك الملاحظه التى أبداها الدكتور ابو القاسم سعد الله قائلا إن «البطل» فى الرواية الجزائرية ليس إلا شخصا عاديا ركز الكاتب فيه وعليه كل مشاعر المواطن. . انه ليس مثلا اعلى ولا نموذجا خارقا تتأكد وتتجسد فيه فكرة أو مبدأ عاماً وانما هو انسان واقعى فيه كل ما فى الواقع من مأساة وحرارة وصراحة وليست له «مؤهلات خاصه ولا استعدادات خارقة وكذلك تفسر لنا هذه الظاهرة ان الادباء الجزائريين لم يمارسوا الأدب «تفرغا» وإنما من خلال ركام التجارب الهائله والمختزنه التى صادفتهم فى حياتهم اليوميه حيث اشتغلوا بمختلف الحرف والمهن ومن هنا يتأكد لنا: «إن الخيال وان كان جزءا من عناصر العمل الادبى الا انه لا يستطيع وحده ان يخلق شخصيات نمطية يتجسد فيها ما يضطرب فى مرحلة تاريخية محددة من الأحداث التى تزلزل الضمير الانسانى.

ومن هنا اصبح كتاب الجزائر جزءا رئيسيا من جبهة القتال ولذلك لا نجد محلا للزعم الذى نادى به الدكتور «سعد الله» حين يقول: «إن أول عمل يكتبه أديب من شمال افريقيا هو عادة (ترجمة شخصية) يفصح فيها عن انتمائه الثنائى الى عالمين مختلفين كما يعبر فيها عن ألمه عن عدم استطاعته ان يجد مكانا فى اى وقت من هذين العالمين. . ذلك ان ادباء الجزائر قد توحدوا مع شعبهم فى مقاومته بحيث أصبحت الثورة تتويجاً وقمة للآلام التى كابدوها وهنا لا محل للقول القائل بأن تلك «سيرة شخصية» وتعبيرٌ ذاتى لكاتب منفصل عن الثورة ذلك أن أعمال الكتاب الجزائريين كما سترى ركزت أساساً حول حركة التحرير وفى هذا يقول مالك حداد: ان القصص وأعنى هنا الأناشيد الشجيه لم تعد موجودة فى الكتب بالنسبة الينا نحن الجزائريين إننى لا اعرف أسماء اخوتى فى الكفاح ولكننى أعرف بأنهم يعطون لمفهوم الحرية مضمونا واحدا ومعنى واحدا.

●● وقال مالك حداد ايضا:

« ان مليونا من القتلى الجزائريين يقفون امام محكمة الانسانية الكبرى ليشهدوا وليدينوا. . ان مليونا من الجزائريين الشهداء يتحدثون عن الحرية وفى هذا الليل الطويل المدلهم بالمجازفات والبطولات التى تطوعنا لها نحن الجزائريين. . لم يضع مفهوم الحرية عندنا فى ظلام التعريفات الميتافيزيقية. . فلم تكن الحرية بالنسبة لنا نحن كتاب الجزائر نعمة او فضلا بل كانت امكانية عمل ان الليل مهما يكن ثقيلا ومهما يكن رهيباً لم يمنع العنادل من أن تغنى وليس ثمة قوة فى العالم أوتيت من المحبة للحرية والدفاع عنها مثلما أوتينا نحن.

●● يقول محمد ديب: فى قلب كل كاتب حق وكل فنان صادق تكمن رسالة وطنية لا تقوم له قائمة بدونها.

ان كتابنا الجدد توصلوا الى حقيقة اكبر وفن اكبر عندما جعلوا فى المسألة الوطنية المضمون الانسانى والاجتماعى لاثارهم. ولكى نتقدم بأدبنا الى الأمام ونرفع مستواه يجب أن نندمج فى المعركة بشكل كلى وحماسى.. وبهذا وحده سوف تتكشف أمامنا أثمن الصفات الانسانية.. ان العمل على الظفر بمستقبل بلادنا واجب وطنى بالنسبة للكاتب كما انه ضمان أكيد لجودة إنتاجه».

وهكذا يمكن القول أن الادب الجزائرى قد استطاع ان يتخطى الامر الواقع والتحدى القائم الذى يواجه كافة انواع النشاط عند الانسان ليتجاوز الامتحان العملى لوظيفة الادب فى المجتمع كما ان الأدب الجزائرى أدرك قيمة البعد الانسانى فى العمل الفنى أثناء المقاومة بالتحديد فنشد تصوير الحياة الثائرة فى الجزائر وما يحيطها من أحداث ومستويات اجتماعية وتغنى بغد أفضل تسوده الحرية ويتاح فيه للانسانية أن تتفتح على أعمق ما فيها من خير ومحبة.

كما ان الادباء الجزائريين المعبرين بالفرنسيه لم يفهموا العالم العربى على أنه مجرد بنية سياسية وتنظيم حقوقى وواقع عاطفى وضرورة استراتيجية. ولكنهم - كما يقول مالك حداد - فهموا أن العالم العربى كيان اخلاقى واتجاه انسانى صميم و«حضارة نقدمها الى اولئك الذين لا يعبدون الانسان ولكنهم يقدرونه حق قدره إنه حضارة لا يهمها إن تسمو على غيرها بقدر ما يهمها أن تكون عظيمة. إننا نعرف قيمة ما قدمناه فى الماضى كما نعرف قيمة ما نقدمه فى الحاضر وما سنقدمه فى المستقبل. وان العظمه او ما يعنيه (مالك حداد) بالعظمه - فى هذا العصر الذى نعيشه اليوم ليست سوى لون من ألوان تكريم الانسان وتقديس الله فليس التوازن هو ما ننشده بل ما ننشده هو الامتداد.. إننا نعيش عصر الاحترام.

●● وتأكيدا للبعد الانسانى فى أدب المقاومه الجزائرى صدرت اعمال الادباء عن اعتقاد بأن حرب الجزائر لم تكن حربا عادلة وحسب بل هى حرب من اجل المدنية.. من اجل الحضارة.. فلم تكن حرب الجزائر فى الادب الجزائرى حربا تحررية فقط بل انها كانت حربا من أجل الحرية.. ومن هنا أعطى الادب الجزائرى المعبر بالفرنسية للرأى العام الأدبى فى العالم قيمة انسانية قوبلت باحترام شديد - تتمثل هذه القيمة الانسانية فى أن أدباء الجزائر لم يبحثوا عن مفهوم الحرية فى المعاجم وانما بحثوا عنها فى منحدرات جبال الأوراس وفى شوارع القصبة.. وفى مدينة الجزائر.. وفى ضواحى قسنطينه تلك الأماكن التى وقفت تدافع عن الحرية كما وقفت سدا ضد الهجوم البربرى الذى قام به ضدنا عالم يدعى أنه حر. يقول حداد:

«إننى لم أعد ابحث عن الحرية ومفهومها فى المعاجم ولا فى المؤلفات الفلسفية بل أبحث عنها واجدها فى عزيمة ابن مهيدى وفى ابتسامة جميلة بوحيريد وفى الأم جميلة بوباشا التى شرفتنى اذ كانت تلقى قصائدى وهى فى غرفة التعذيب».

ومن هنا كانت «الحرية» هى البعد الانسانى الذى تميز به أدب المقاومة فى الجزائر.. الذى أكد ان الحرية لا توجد من الفراغ.. ولو كانت كذلك لكان عليها ان توجد دون علم منا. ان الأدب الجزائرى يركز على رسالة الحرية ووضوحها الانسانى حين يعانق الانسان أمه حيث يريد.. ويصنع المهد لأولاده حيث يشاء.. ويتجول فى مدينته حين يحلو له ذلك إن الأدب الجزائرى يهتز نشوة حين يجد الانسان امام المحراث قائلاً: «اننى لا أشاركك الرأى بهذا الأمر».

وهكذا يمكن القول ان ادباء الجزائر قد اختاروا طريق الثورة والتزموا بها ملتحمين بصفوفها ومن هنا لم يقف الكتاب الجزائريون من التاريخ موقف اللامبالاه ولم تعنهم الحذلقات



الـديـالكتيكيـه والمتاهات الميتافيزيقيه فى التعبير عن الشخصيـة القـوميـة مجسدين فى أعمالهم القصصية والشعرية والمسرحية مقومات الشخصية الجزائرية .

فعلى الرغم من توسلهم باللغة الفرنسية جاءت أعمالهم مصورة للعادات والتقاليد الجزائرية التى كان الحرص عليها محصنا للشخصية الجزائرية وحافظا لها من الاضمحلال والضعف كما صور هؤلاء الكتاب التاريخ القومى فى أعمالهم . . واتخذوا من مجازر سنة خمس وأربعين من هذا القرن وقودا يضرمون به الثورة الجزائرية . . ونحو ذلك يقال فى حروب الأمير التى اتخذ منها الأدب الجزائرى صورا ملهمة تدفع الناس الى الثـورة وتـوجههم الى كيفيـة المحـافظـة على الشخصيـة القـوميـة . . وذلـك ما وقـع للاستعـمار الفرنسى حيث ظل حائرا فى أمره لا يدرى ما يصنع أمام قوة ماضى هذا الشعب الأصيل . . وامام عظمة تاريخ هذه الأمة العريقة(٢٣) التى عسر عليه إذابتها او تفتيتها ومحوها (٢٤).

كما جسدت مأساة التعبير فى الأدب الجزائرى تأكيـد هذا الادب على اللغـة العـربيـة كمقوم من مقومات الشخصية القومية . .

فأكـدت الأعـمال الأدبيـة الجزائرية المعبرة بالفرنسية على أن «الجـزائـرى عربى من حيث انـه يتكلم العربية . . وهو عربى من حيث ان كثيراً من أصوله الاولى التى منها ما يعود الى الفتح الاسلامى حين ابتدأ الاختلاط بين الأمازيغ الأصليين وبين العرب الـوافدين . . ومنها ما يرتد الى الهجره الجارفه التى قامت بها قبـائـل بنى هلال وبنى سليم فى المـائـه السـادسة كما ذكر ابن خلدون فى المقدمة(٢٥) . . بل منهـا ما يرجـع إلى الهجرة الأولى الممعنه فى القدم والتى قام بها افـريقيس اليمنى الى افريقيا الشمالية حتى ان هذه القارة فى تسميتها تنسب اليه(٢٦).

فاللغـة العـربية حين أصبحت أحد أصول مقومات الشخصية الجزائرية لم تصبح كذلك طفرة أو عن طريق المصادفة العارضه وانما كانت نتيجة لعوامل تاريخية وبشرية متشابكة يشد بعضها بعضا(٢٧) .

●● ولقـد عبر «مـالك حداد» عن مأساة التعبير فى الأدب الجـزائـرى حين قال له ذات يوم الكـاتب جبريل اوديزيز Gabriel Audisis الذى يمثل الى جانب كامـو وروبلس طليعـة الكتـاب الجـزائريين الذين هم من أصل اوربى :

«ان وطنى هو اللغة الفرنسية»

فاجابه «مالك حداد» فى مرارة حزينة قائلاً بالفرنسية :

La fangue Francaise est monexil

وتعنى: «إن اللغة الفرنسية هى المنفى الذى أعيشه».

ومن ذلـك تتضح نظرة الأدباء الجزائريين للغة الفرنسية التى يعبرون بها على أنها مجرد «منفى» فى حين ان اللغـة العـربيـة هى «الوطن الام» ولذلك نجد مالك حداد عندما يذكر مأساة هذا النفى يئن فى أسىً ومرارة :

«ستقول» إن مالكا هذا يستخدم كلمات فرنسية . .
وما أهمية ذلك؟
ان كلمة (الجزائر) يمكن ان تقال بالصينيه
بلى يا أراجون . . تلك هى مأساة اللغة . .
لو كنت أعرف الغناء لتكلمت العربية .

ولـذلك نذهب الى أن الادب الجزائرى الذى يشهد على هذه المأساه التاريخيه أدب جزائرى يعبر عن الشخصية القومية باللغة الفرنسية وليس فى ذلك إدانة للثقافة أو اللغة الفرنسية فجميعنا يعترف بما لهذه الثقافة الفرنسية من فضل على الحضارة العالمية ولكنه إدانة للاستعمار الذى تسبب فى خلق هذه المأساه .

وكان على الكتـاب الجـزائـريـين وقد حرمهم لاستعمار من لغتهم الأم أن يستخدموا لغة مستـوردة يعبرون بها عن أفكارهم . . ان

يستخدموا اللغة الفرنسية وهى ـ على حد تعبير مالك حداد ـ لغة لا شك رائعة ـ ولكنها «ليست لغة اجدادنا» الأمر الذى حملهم على أن يوجدوا انسجاماً وتنسيقا بين عبقريتهم القومية وبين أداة لغويه أجنبية كان لابـد من استخـدامها على ان تحليل مضمون الادب الجـزائـرى المعبر بالفـرنسيـة يكشف عن الشخصيـة القـوميـة فى أجلى صورها بحيث يشعر القارىء لهذا الأدب أنه يقرأ أفكاراً مترجمة من العربية الى لغة أجنبية لو تمكن الجزائريون من التعبير عنها باللغـة العـربية لكانت خليقة بأن تزهو بكل تألقها وحيويتها. . سيما وان الشعب الجزائرى ظل متمسكا بلغتـه العـربية ولقد صدق محمد ديب حين قال ان ذاكرة الشعب هى المكتبة الوطنية للجزائر.

ولقد أدرك الكتاب الجزائريون هذه الحقيقة فأصبح التاريخ والأدب عندهم شيئا واحدا كما قال «مالك حداد» . . فالكاتب الذى يعتبر نفسه «منتميا للثورة الجزائرية» والذى يشترك فى هذه الثورة ليس بالضرورة شخصـاً سيـاسيـا ولكنـه بالضـرورة يسهم بعمـل سيـاسى . . وليس علينـا ان نختـار نحن الكتـاب الجـزائريون فلقد اخترنا وانتهى الأمر والتزمنا الثورة والتحقنا بها دون أى وجل.

وهكذا اصبحت ضرورة التعبير بلغة اجنبية لدى الكتاب الجزائريين سلاحا يستخدمونه فى معركة التحرير وفى التعبير عن الشخصية القـوميه لانهم لم ينسوا وهم يكتبوه أن الكلمة التى تخرج من قلب إنسـان موهـوب ذى عاطفـة صادقة تتمكن من أن تفعل فى الآخرين وأن تخدم بقدر ما يخدم المدفع او المحراث.

ولم يخل عمل أدبى لكل ادباء الجزائر تقريبا من تصوير الشخصيه القومية بصورة او بأخرى فمحمد ديب فى روايه «البيت الكبير» يرسم لوحات تشكل فى مجمـوعهـا صورة لهذه الشخصيـة القـومية من ذلك اللوحـه التى رسمهـا لدرس الأخـلاق الـذى يلقيه المعلم حسن على تلاميذه الصغار فقد سألهم مرة: **ما هو الوطن؟**:

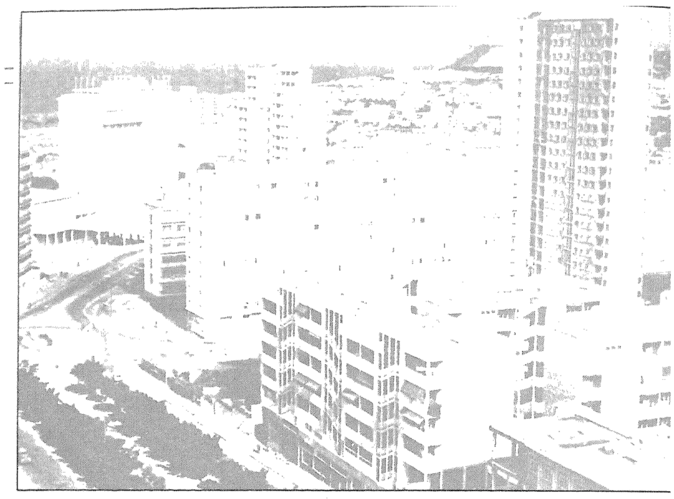
فلم يفهم الصغار ما تعنيه هذه الكلمة الغريبة التى بقيت بعـد السؤال كأنها معلقـة فى الفضـاء تتأرجح . . فما كان من أحد التلاميذ الراسبين الا أن رفع أصبعه مجيبا:

إن فرنسا هى وطننا الأم. .

وكان الجواب وحده سببا لسلسلة من التساؤلات فى نفس الولد يعالجها بعقليته البسيطه وغريزته العفويه فهـو يعلم أن فرنسـا عاصمتهـا باريس وان هؤلاء الفرنسيين الذين يشاهدهم فى المدينة يأتون من فرنسا وهم لذلـك يركبون البحر فى الغدو والرواح فكيف يصح والحاله هذه ان تكون فرنسا أمه وأمه هى عاتية وهى فى البيت وليس له أمان اذن لقد اكتشف الكذبه ففرنسا ليست أمه وهكذا فقد كان الصغار يُرغمون على تعلم الأكاذيب لينجوا من القصاص والضرب بقضبان الزيتون (٢٣).

ولكن المعلم حسن لم يكن ليترك هذه الفرصه تمر دون أن يفهم تلاميذه فى شىء من العناء والحرج ان الوطن هو أرض الآبـاء وهو البلد الذى استوطنه أهله منذ عدة اجيـال حتى اذا جاء الاجـانب من الخـارج ليحتلوه أصبح الوطن فى خطر فهؤلاء الأجانب أعداء يجب على أهل البلاد أن ينتصبوا فى وجوههم ليردوهم من حيث أتـوا ولو أدى هذا الى التضحية بحياتهم جميعا وأن الوطنيين هم الذين يحبون وطنهم ويعملون لخيره وصالحه (٣٣).

●● ونجـد ادبيـا ومفكـرا جزائـريـا منـاضـلا يعبر بالفـرنسيـة كذلك هو الأستاذ «مولود معمرى» وهو



● مدينة وهران . . احدى قلاع الجزائر الصامدة فى وجه الاستعمار

. واحـد من الـذين أسهمـوا بفكرهم فى بلورة الثورة الجزائرية وتحويل مجراها الى الثورة الجماعية المنظمة والنضال الشعبى المركز. . كما أنه من المناضلين الذين عملوا على إقامة الحدود الفاصله بين دعوة الاندماج وبـين القـومية الجزائرية ذات الخصائص والمقومات الروحيه والماديه(٢٨).

■ ولا أدل على ذلك من جملة بقولها دائما احد أبطال «مولود معمرى» كلما سئل عن سبب تصرفاته الغريبة:

«انـا جزائـرى». . وقـد نادى معمـرى بأن الثقافة الفرنسية إنما هى ستار يخفى وراءه المستعمرون غاياتهم وتسويغ للاستعمار نفسه واذا عرفنا أن الشعوب المغلوبه كشعب الجزائر لم تنل من هذه الثقافه الا النذر اليسير نظراً للعوائق التى أقيمت فى طريق نشر العلم والمعرفه بينهم وحصـرهـا فى فئـة ضئيلة أمكننا إدراك مقدار التضليل والتمويه الذى يغلف قضية الثقافة ويبعدها عن الأغراض النبيلة التى يجب أن تهدف اليها الثقافة الانسانية الواسعة التى يجب أن تغدق على الشعوب دون حساب أو غاية أو غرض بعيـد أو قريب سوى ترقية الانسان واعلاء شأن العقل والروح(٢٩).

●● ونكتفى أخيرا بشاعر مجيد فرض عليه أن تكون الفـرنسيـة أداة لتعبيره ولشعره بدلا من لغته القومية الحبيبة وهو الأستاذ مالك حداد الذى يرى أن بلاغته الفـرنسيـة لا تسـاوى حرفا واحدا من حروف لغته المقدسة لغته الأم التى يجهلها فتنساب احزانه فى أذن صديقه الشاعر الفرنسى اراجون فيكتب مقالا يختتمه بهذه الفقرة:

«إننى أفهم مأسـاتهم ـ مأساة أن يروا أدبهم «مترجما» قد فقد أصداءه العميقه أو كاد(٣٠).

فيجيب شاعـرنـا الجـزائـرى صديقـه الشـاعر الفرنسى بقوله:

«تلك هى مأساة اللغة».

● لقـد شاء الاستعـمار ان يكون فى لسانى آفة أن

أكون معقود اللسان.
لا تلمنى يا شاعر، يا صديقى، اذا لم يطربك صداحى.
لقد كنت انادى امى فى طفولتى يامه..
واسميها الان فى شعرى Ma Mere
اماه.. يامه.. هل يمكن ان يكون اسمك: Ma Mere

ويصيح مالك حداد متوجعا:

«ابى.. يا ابى»
لماذا حرمتنى.
تلك الموسيقى المنسوجه من لحمى ودمى.
انظـــر الى
إلى ابنـــــك.
ابنك الذى يلقن ان يقول فى لغة غربية
تلك الكلمات الحلوه التى كان يعرفها.
عندما كان راعيا.
يا الهى:
ما اشد وطأه الظلام فى عينى هذه الليلة.
اماه.. يامه.
هل يمكن ان يكون اسمك Ma Mere

■ ويتمنى مالك حداد فى قصيدة: «الصبر الطويل» لو انه ظل غارقا فى حياته القومية الأليفه يعيش حياة الراعى البسيط بدلا من أن ينفى فى اللغة الفرنسية وما تحمل من مصطلحات الاحتقار للجزائريين وأبناء شمال افريقيا انه يضيق بنفسه ويسخر منها لأنه حمل على أن ينسلخ عن قوميته فيخاطب كذلك الفرنسيين قائلا:

«اتسموننى جزائريا..
لا تقولوا ذلك..
فهذه شقيقتى لا تضع على وجهها الخمار.
ألم احصــل فى المدرسه على كل الجوائز: فى الفرنسية، فى الفرنسية، وباللغة الفرنسية.

■ وهـذا يمكننا أن نقول ان الأدب الجزائرى المعبر بالفرنسية ورغم هذا المنفى الاضطرارى بل ربما بسببه عُدّ من اكثر آداب المنطقة العربية تقدما ومن أعمقها بلورة للحس القـومى وللشخصية القومية بل انه فى فنـون معينـة مثـل الشعر والمسرح يقف فى الطليعه شكـلا ومضمـونا.. ففى إنتاج الكتاب الجزائريين يمكننا أن نتملس برغم اللغة الفرنسية كافة مقومات الروح العربية الخالصه..

الهوامش

(١، ٢) أوستن وارين، رينيه ويليك: نظرية الأدب ترجمة محي الدين صبحي.
(٣) السيد يسين: الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى.
(٤) مصطفى سويف: مقدمة لعلم النفس الاجتماعى.
(٥، ٦) حامد ربيع: مقدمه فى العلوم السلوكيه.
(٧، ٨) بيروروسلى: العالم الثالث، ترجمة حسام الخطيب - دمشق.
(٩، ١٠) فرانز فانون: سوسيو لوجيه ثورة، ترجمة ذوقان قرقوط.
(١١) سعاد محمد خضر: "الأدب الجزائرى المعاصر.
(١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧) La Revue des deux Mondes (1831). Alfred de Vigny فى المرجع السابق ص٩٥.
Lettres De Saint Arnaud a son prere, L'Algerie et la Metripole (1920)
Babzac, La causine Bette
oearges Sand, Carrespondances I: IV Lettres du 11 Mai, au 29 Tuin 1861,
(١٨) شارل روبير أجرون: كلمة مقتضبه لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية فى الأصالة.
(١٩، ٢٠) عبد المالك مرتاض: أصالة الشخصية الجزائرية.
(٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥) فرانز فانون: مجلة الوجود الافريقى - المؤتمر الثانى.
(٢٦) ياقوت: معجم البلدان.
(٢٧) عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص٢٢٠.
(٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢) ابراهيم الكيلانى: أدباء من الجزائر دار المعارف ١٩٥٨.



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- تعالوا معنا الى المغرب — د. عثمان عثمان اسماعيل
- فرنسا .. صليبية أوربا — مصطفى محمد مصطفى

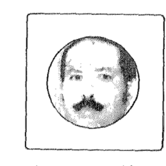




«المملكة المغربية» جذورها ضاربة فى أعماق التاريخ.. تعاقبت عليها الحقب والأزمنة وهى تضيف مجداً على مجد.. ولا تخطىء العين ملامح الماضى الشاخص فى كثير من معالمها.. وجديدها شكلته عصارة ماضيها وعبقرية التخير من معطيات اللقاء بين الحضارات المجاورة.. ومع هذه الدراسة ـ وفى حلقات متتالية ـ نسافر معاً الى مغربنا الحبيب فى جولة تاريخية علمية.

تعالوا معنا الى: ١

المغرب



بقلم
عثمان عثمان اسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
ـ المغرب ـ

تعالوا معنا الى بلاد الشمس المشرقة فوق قمم الجليد البيضاء.. وسط الشلالات والربوع الخضراء.. بلاد الفروسية والفتوة العربية، بلاد الكوسكوس والجلابة المغربية والموسيقى الاندلسية.. ذوقوا حلاوة الهدوء بقصور الصحراء وصخب الحضارة بالدار البيضاء.. قفوا على باب (الاندلس) الفردوس المفقود وادخلوا بلاد المسيرة الخضراء.

إطلالة على جغرافية المغرب الأقصى

الموقع: لا شك ان الالمام بجغرافية البلاد يساعد كثيراً على تفسير المظاهر العمرانية وتفهم الظواهر الاجتماعية والسياسية، فلم يكن الفاتح العربى طارق بن زياد ليعبر المضيق بأسطوله وحشوده من المغرب الأقصى قبل أن يعرف طبيعة ذلك المضيق المائى وظروف البيئة الطبيعية بر العدوة الأندلسية وتخير الوقت المناسب لذلك.

وينفرد المغرب الأقصى بموقعه المتميز المتحكم فى بوغاز جبل طارق عند مجمع البحرين والممتد على ساحل البحر المتوسط شرقا والمحيط الاطلسى غربا، وهو الدولة العربية الوحيدة التى تتصل عن قرب بجنوب أوروبا فلا يفصلها عن اسبانيا (عبر المضيق) غير ثلاثة عشر كيلومتراً، كما تعتبر فى نفس الوقت ثغر الاسلام على البحر المحيط فى مواجهة الدنيا الجديدة الامريكتين.

ويتميز المغرب عن جارتيه الجزائر وتونس بارتفاع جباله واتساع هضابه كما تنوعت تضاريسه تبعا للموقع والبنية والتاريخ الجيولوجى والعوامل المناخية.

التضاريس: تبدأ شمالا بجبال الريف التى تشكل رسم هلال يفتح تجاه الشمال مشرفا على المضيق وتتمتع



لنطقة بمناخ البحر الابيض المتوسط المعتدل وغلاته الفلاحية الوفيرة من أشجار وكروم وفواكه كثيرة لا مقطوعة لا ممنوعة.

ويشكل الاطلس المتوسط والاطلس الكبير والهضبة الوسطى جزءاً كبيراً من البلاد ويمنحها مميزات أساسية بالنسبة لخطوط العرض التى يشغلها وارتفاعه الذى يبلغ أكثر من اربعة الآف مترا حيث يبلغ جبل طوبقال (٤١٦٥ مترا). ويشكل الاطلس المتوسط والكبير شخصية المغرب المحيطى حيث المناخ القارى وقمم الجبال المغطاة بالثلوج عدة أشهر من السنة ووفرة الغابات وكونه خزاناً رئيسياً لمياه المغرب بما ينحدر منه من أنهار.

وتعرف سهول وهضاب المغرب المحيطى بنشاطها الحيوى والعمرانى المنفتح من العلاقات الخارجية فى سهول تازة وفاس ومكناس كما تفتح السهول الاطلسية على المحيط من الرباط العاصمة الى الصويرة. وسهول المغرب الشرقى والجنوبى جزؤها الشمالى قليل الارتفاع بالنسبة للداخل حيث مرتفعات بنى يزناسين التى تتجه من الشرق الى الغرب ثم الهضاب العليا وحوض نهر ملوية أكبر أنهار المغرب الشرقى.

وفضلا عن ذلك تشتمل تضاريس المغرب على الاقاليم الصحراوية وشبه الصحراوية وتمتد الصحراء الأطلسية على طول المحيط الى حدود موريطانيا وتتميز



بمميزات طبيعية ومناخية مختلفة عن بقية الصحراء الشرقية لوجودها على المحيط.

مصادر الماء: يتمتع المغرب بأمطار إقليم البحر المتوسط مع كثرة أمطاره عن جارتيه بالواجهتين المتوسطية والمحيطية وتكثر أنهاره الدائمة والمتقطعة ويعتبر الأطلس الكبير والمتوسط خزاناً هائلاً للماء حيث تذوب الثلوج الهائلة لتغذى الأنهار فى أشهر الصيف، وأهم الأنهار الأطلسية وادى لوكوس الذى يصب عند العرائش ووادى سبو الذى يصب قرب المهدية ووادى أم الربيع الذى ينبع من الأطلس المتوسط ويصب قرب أزمور ثم وادى ابو الرقراق الذى يصب قرب الرباط العاصمة ويتجه نهر تينسيفت من الأطلس الأعلى الى آسفى، ونهر سوس ويصب قرب أكادير، وفى الشمال يصب نهر ملوية قرب مليلية فى البحر الابيض المتوسط.

المناخ: يتحدد المناخ بالاقاليم المختلفة تبعا للموقع والارتفاع والقرب أو البعد من البحر، ويخضع الشاطىء الاطلسى لمؤثرات بحرية خاصة مثل تيار كنارى البارد والرياح الأطلسية الممطرة المتوغلة الى الداخل صحبة ضباب يفيد النبات فوائد كبيرة، والمغرب يتميز بمناخ البحر المتوسط المعتدل شمالا، والأطلسى الرطب غرباً، والقارى البارد فى الداخل ثم الصحراوى جنوبا.

الغلات والمعادن: تتنوع الحاصلات بتفاوت نوع

● السدود والقنوات المعلقة . . مصادر المياه المغربية ●

التربة وطبيعة التضاريس واختلاف الموقع من البحر، وعموماً يتوفر المغرب على أهم الحاصلات مثل الحبوب والخضر والاشجار والقطن والكتان والتبغ وقصب السكر والشمندر والحلفاء وغابات خشب الزان والسرو والصنوبر والأرز والصفصاف ثم المراعي الشاسعة التي تزوده بالثروة الحيوانية ومستخرجات الالبان، ثم تأتي لحوم الاسماك ومشتقاتها الصناعية من شواطئه الطويلة على البحرين المتوسط والمحيط.

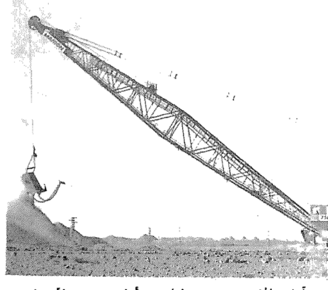
عبقرية الشعب المغربي

تبلورت عبقرية الشعب العربي المغربي نتيجة احتكاكه التاريخي بالامم والشعوب ذات الحضارات العريقة اثناء المقاومة وابان فترات الامتزاج ووقف الحروب، فأفاد من تعاقب الحضارات ألواناً من الخبرة وأنماطاً من الثقافات، وهكذا اكتسب (البربر) عرب المغرب القدماء من القرطاجنيين فن الملاحة والتجارة وغرس الاشجار وتعلم من الرومان سن القوانين وفن العمارة وتنظيم المدن واقتبس من البيزنطيين فنون الالوان واصول السياحة.

نظرة تاريخية

اصل البربر: يعرف (البربر) عرب المغرب القدماء باسم (الامازيغ) ومعناها عندهم (الاشراف أو الأحرار)، وقد تكون نسبة الى جدهم (مازيغ). أما لفظة (البربر) التي وجدها المسلمون في المغرب فكانت من تسمية البيزنطيين للوندال الذين هاجموا امبراطوريتهم بوحشية وهمجية، بينما استعملها العرب في نطاق علم الانساب، فكما قيل أن العرب من (يعرب) قالوا أن البربر من (بر) جدهم السادس. وخلاصة أبحاث المؤرخين أنهم حميرية ومضرية وقبط وكنعانية وقرشية اجتمعوا في الشام قبل انتقالهم الى المغرب.

الفينيقيون: وطوال ٦٦٨ عاماً (٨١٤ ق.م - ١٤٦ ق.م) إبان الوجود الفينيقي بشمال افريقيا تيقظ البربر



وتحضر المغرب بسبب تعامله مع أول من بنى الأساطيل التجارية واخترع الحروف الهجائية.

الرومان: وعلى أثر الحروب البونيقية بين البونيقيين والرومان (٢٦٤ ق.م - ١٦٤ ق.م) دخل الرومان قرطاجنة وخربوها وحلوا محلهم بشمال افريقيا واسبانيا وتعلم منهم المغاربة بناء أقواس النصر وتصميم قنوات المياه المعلقة وتشييد الأسواق والحمامات والساحات والمسارح والزراعة والري وشق طرق المواصلات وفنادق الاستراحة، وهكذا تحكي المدن الأثرية بالمغرب مثل: فولي بوليس قرب مكناس، وشالة أمام رباط الفتح، قصة التناسق وملاءمة المباني للبيئة والمجتمع المحلي، فالمسكن من طابق واحد بالحجر المنجور مبلط بالفسيفساء مشتمل على صحنين احدهما صغير يوصل الى حجرات المسكن والآخر خلف المنزل به حمام ومعصرة للزيتون.

الوندال: عندما اختلف بونيفاس (٤٢٩م) قائد الرومان بسبتة مع البلاط الامبراطوري استقدم الوندال من اسبانيا فاحتل ملكهم جنسريق البلاد الى أن ثار عليهم المغاربة وقضى عليهم البيزنطيون (٥٣٤م) ثأراً لاخوانهم الروم الغربيين، ولم يلبث المغاربة ان ثاروا سنة (٥٣٥م) على الغزاة الجدد فلم يتجاوز سلطانهم حدود (افريقية) تونس وسواحل طرابلس، بينما عاشت قبائل المغرب في حالة شبه استقلال الى ان أطلت بشائر الاسلام.

الإسلام في المغرب

يمثل العرب الوافدون بالاسلام الشعب الوحيد الذي رحب به (البربر) في دورة حضارية عربية اسلامية جديدة



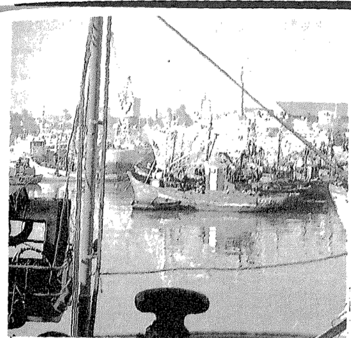
واتخذوا معهم العربية والتنظيم الاجتماعى، فبعد أن ثاروا على الرومان وأسقطوا الوندال وأوقفوا زحف البيزنطيين انصهروا مع ابناء عمومتهم عرب المشرق وذاب الواحد فى الاخر وهبوا معهم لنصرة الاسلام وكانت بسائط المغرب وجباله وأمصاره وأريافه مسرحاً ومهداً لدولة عربية إسلامية اشتركت فى تكييف الحضارة العربية الاسلامية فى أزهى عصورها.

سيدى عقبة بن نافع: فى الولاية الثانية للمجاهد المرابط العابد بافريقية (٦٢-٦٤هـ) غطت حملته السوس الأقصى (فى رأى ليفى بروفنسال) ووصل الى المغرب الأقصى عن طريق طنجة (كما روى ابن عبد الحكم) والتقى ببوليان الغمارى المغربى الأصل والسلطة والاقامة المشهور بإسم (الكونت جوليان) ثم سار الى (وليلى) وتادلا فالسوس الأقصى حتى وصل الى المحيط وأقحم قوائم فرسه فيه حتى بلغ نحره وقال: (اللهم إنى أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازاً لجزت) وفى رواية (اللهم اشهد أنى بذلت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك) - ويكتابنا أصحاب الميمنة (ص ١٩-٢٢) وكتاب معالم الايمان الذى جمعه ابن ناجى القيروانى ط. مصر ص١٦٤ نصوص مباشرة من المصادر الاولى.

موسى بن نصير

تولى قيادة الميدان الافريقى سنة ٨٥ هجرية وثبت قاعدة القيروان ثم قام بحملة كبرى أحدثت رجة عنيفة أفاق على أثرها البربر وتنبهوا للعصر الجديد وهرعت قبائلهم الى الاسلام وشاركوا فى الفتح وتضخمت جيوش الاسلام على نحو ليس له نظير فى الفتوح الأخرى، لاتفاق مزاج العرب والبربر، مما دفع بموسى إلى تحويلهم الى معارك جديدة فيما وراء بر العدوة بالاندلس بعد أن تم فتح المغرب الاقصى. (كتابنا اصحاب الميمنة ص٣٠ وتاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيروانى ص٦٨).

وبعودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق وبلاط عبد الملك الأموى سنة ٩٥هـ انتهى عصر القادة الفاتحين ودخل المغرب الاسلامى فى عصر التبعية الى حكم الولاة الوافدين من دمشق ثم من بغداد فى عصر العباسيين.



● ميناء الصيد بالدار البيضاء

أول مملكة عربية إسلامية بالمغرب الأقصى

فى سنة ١٦٩هـ نجى المولى ادريس الاكبر سبط الرسول الذى يرتفع نسبه الى سيدتنا فاطمة الزهراء والامام عليّ كرم الله وجهه من موقعة فخ قرب مكة التى فتك فيها العباسيون بأهل البيت، ووصل عن طريق المساعدة المصرية، الى المغرب حيث بايعته قبائل البربر بجبل زرهون قرب مكناس وراء زعيمهم اسحاق الاوربى بمجرد الكشف عن أصله ونسبه وهدفه من احياء ذكرى أهل البيت ونشر الاسلام فأسس أول مملكة اسلامية وشرع فى بناء عاصمة ملكه. وعندما خلفه ابنه المولى ادريس (الازهر) الأصغر وشعر بالغربة استقدم الأعوان والأهل والعشيرة من المشرق، بالاضافة الى عرب (افريقية) الهاربين من استبداد العباسيين، وعرب الاندلس الهاربين من وقعة الربض (ضاحية قرطبة) على عهد الحكم بن هشام صاحب قرطبة والاندلس، وبهذا أتاح لنبتة الحضارة المغربية الامتزاج بمنجزات الفكر والحضارة وحصيلة العبقريات الوافدة من تونس (افريقية)



ومن ورائها مصر والشام وأرض الحجاز مهبط الوحى، مع نتاج الأندلس الاسلامى بأصوله المشرقية الدمشقية وتأثيراته القوطية المحلية القديمة (كتابنا اصحاب الميمنة ص٣٣ وزهرة الآس للجزنائى وتاريخ ابن خلدون وأعمال الاعلام لابن الخطيب القسم الثالث عن المغرب والاندلس).

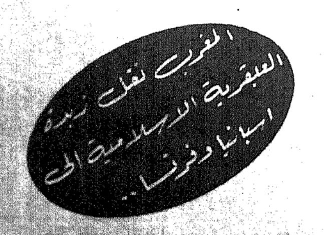
العصر الزناتى: وعلى اثر تقسيم الامام محمد بن المولى ادريس الثانى المملكة بين اخوته سنة ٢١٣هـ ضعفت الدولة المركزية ونهضت قبائل زناتة من مكناسة ومغراوة وبنى يفرن تنازع الادارسة وتتنازع فيما بينها فى الحقبة التى أسميناها بالعصر الغامض (كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص ١٦٥-٢٢٣) الى ظهور قوة دولة المرابطين ودخولهم فاس سنة ٤٦٢هـ.

المرابطون وانتصار الزلاقة: دخل امير المسلمين يوسف بن تاشفين فاس ومهد المغرب وما مات سنة (٥٠٠هـ) حتى كان قد وحد المغرب العربى من جزائر بنى مزغنة الى طنجة، الى جبال الذهب من بلاد السودان وشبه الجزيرة الايبيرية الى لشبونة على المحيط غرب الاندلس. وبنجدة الاسلام فى الاندلس وضمه الى المغرب فى أعقاب انحلال عصر ملوك الطوائف بانتصار المغرب فى موقعة الزلاقة سنة ٤٨٠هـ دخل المغرب ميدان الحضارة العالمية وضمن حياة الاسلام بقلب القارة الأوروبية لعدة قرون أخرى (كتابنا اصحاب الميمنة والمعجب للمراكشى ص١٣٢-١٣٥).

الموحدون وانتصار الأرك: ذكر بروكلمان فى تاريخ الشعوب الاسلامية ان يوسف بن عبد المؤمن أتم إخضاع اسبانيا للاسلام قبل استشهاده فى حصار شنترين فهب خليفته وولده يعقوب المنصور بنّاء المغرب بطلب ثأر أبيه فهزم الأذفونش (المعجب لعبد الواحد المراكشى ص ٢٨٢) ٣ شعبان ٥٩١هـ ودخل قلعة رباح وحول كنيستها مسجداً واستولى على ما حول طليطلة وعاد الى أشبيليه منصوراً وكانت موقعة الارك أختاً لموقعة الزلاقه (كتابنا اصحاب الميمنة ص٨٥ وروض القرطاس لابن ابى زرع والمعجب للمراكشى).

دولة بنى مرين ومواسمها عاشقة الجهاد بالاندلس

لا يعرف تاريخ المغرب الاسلامى عاشقاً للجهاد مثله، إنه يعقوب بن عبد الحق المرينى أشهر من حما حمى الاسلام وشتت الصلبان ودوخ الروم ورفع منار الاسلام بالحضرتين المغرب والاندلس. ذكره ابن الاحمر فى (روضة النسرين) والسلاوى فى (الاستقصا) وابن ابى زرع الذى قال فى (القرطاس): لم تنصر للمسلمين راية منذ غزاة العقاب التى هُزم فيها الناصر الموحدى سنة ٦٠٩هـ الى أن أعز الله الاسلام براية المنصور يعقوب بن عبد الحق الذى جاز للاندلس أربع مرات إلى أن توفى بالجزيرة الخضراء (وقد اكتشفتُ قبره بالاضافة المرينية لمسجد شالة العتيق كما فى كتابى حفائر شالة الاسلامية)، جاز ٦٧٤هـ لهزيمة زعيم النصرانية دون نونبو الذى لم يهزم قبل ذلك قط، وكان جوازه الثانى ٦٧٦هـ لهزيمة الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم، والجواز الثالث ٦٨١هـ لنصرة الفونسو العاشر ونجدته ضد ابنه، وذكر ابن خلدون جوازه الرابع ٧٨٤هـ واستسلام سانشو ملك النصارى وقبول شروط المنصور عدم التعرض لبلد من بلاد المسلمين.. ولا يتعرض لهم بشر.





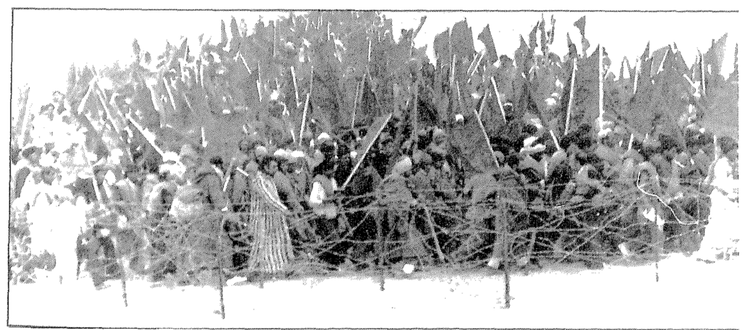
المنصور السعدى مجدد الاسلام وجامع كلمة الله بالسودان الغربى:

هو صاحب انتصار المغرب والاسلام بمعركة وادى المخازن قرب قصر كتامة شمال المغرب سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م) فى معركة الملوك الثلاثة التى قتل فيها الطاغية سبستيان (انظر القشتالى والسلاوى ومقالنا بمجلة دعوة الحق: دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور ١٩٧٦) وهو صاحب أكبر مجهود دينى وسياسى بتوحيد ممالك الاسلام بالسودان الغربى وافريقيا الغربية من المحيط الى بلاد برنو المتاخمة لبلاد النوبة، فقد فتح مدينة كاغو سنة ٩٩٧هـ بعد الاستيلاء على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات واحياء شرع الله بها وارساء ديانة الاسلام سنة ٩٩٠هـ ودخول صاحب بلاد برنو فى طاعته مع غيره من ملوك السودان.

عصر الانبعاث من دولة الأشراف العلويين

لم ينج المغرب المعاصر من فخ الاستعمار الحديث الذى اقتسم العالمين العربى والاسلامى، لهذا تجمعت قدرات المغرب وملكه القائد محمد الخامس وولى عهده مولاى الحسن لتحقيق الاستقلال السياسى وبعده التحرر الاقتصادى والاصلاح الاجتماعى، يقول الدكتور العقاد فى كتابه «المغرب العربى» عندما وجه المقيم الفرنسى بالمغرب ١٩٥٣م انذاره الى الملك محمد الخامس بالخلع إن لم يستنكر أعمال الوطنيين رد جلالته بأن حماية الوطن والمواطنين فوق التاج، وعندما نفى الاستعمار الملك وولى عهده وأسرته لم يكن يعلم أنه منح الحركة الوطنية بالمغرب شهيدا فدائيا كرمز للحركة الوطنية المسلحة التى لم تهدأ إلا بتحقيق الاستقلال ورجوع الملك وولى عهده وأسرته سنة ١٩٥٥م. وبتحقيق الاستقلال السياسى وضع الحسن الثانى المغرب على طريق الانبعاث الحضارى والاقتصادى باقرار الدستور ١٩٧٢م وبناء الحياة النيابية وتطوير الاقتصاد الحر لصالح الطبقات الاجتماعية وترميم الحدود الجغرافية للخريطة السياسية لتحرير بقية اجزاء

المملكة بالمسيرة الخضراء حدث القرن العشرين (انظر كتابنا: قضية الصحراء المغربية ومصطلح البيعة نشر وزارة الانباء بالرباط نوفمبر ١٩٧٥م) التى استوحت سيرة الرسول وسياسة الراشدين على ضوء نصوص الدستور المغربى الذى يقرر بالفصل السادس ان الاسلام دين الدولة وبالفصل التاسع عشر أن الملك أمير المؤمنين وحامى حمى الدين واستقلال البلاد وحوزة المملكة فى دائرة حدودها الحقة.



● المسيرة الخضراء سنة ١٩٧٥م اعادت الى المغاربة من قبضة الاسبان ارضا افريقيا عربية اسلامية كانت تحت الاحتلال الاوروبى المسيحى



● صورة عامة للدار البيضاء ●

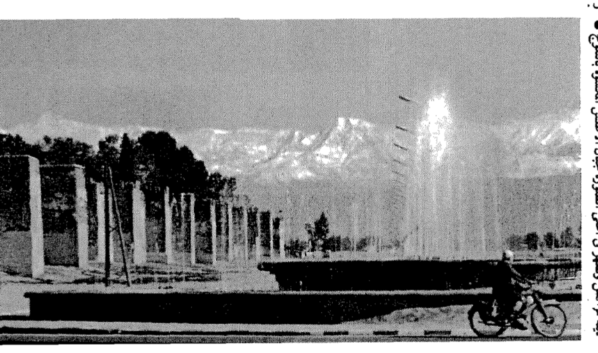
جوهر الحضارة المغربية

على الرغم من الموقع الجغرافى على مسيرة اميال من القارة الاوروبية وبأقصى ركن للعالم الاسلامى الغربى ظل المغرب أمة عربية المحتد اسلامية الروح والعقيدة (انظر مظاهر الحضارة المغربية لعبد العزيز بن عبد الله) يشهد بذلك جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب (ففى مراكش نرى من العادات والأزياء والمظاهر الشرقية ما لا نظير له فى بلد آخر ويجب على من يرغب فى اجتلاء حياة العرب فى عصر الخلفاء أن يزورها).

وهكذا أبقى المغرب للعروبة والاسلام دولتها الوحيدة فى الموقع الذى ينتصف به المعمور (يمر خط جرينتش بالرباط عاصمة المغرب)، وهو الذى نقل سلماً وحرباً إلى اسبانيا وفرنسا زبدة العبقرية الاسلامية التى انعشت اوروبا وكانت اساس نهضتها الحديثة، كما أدى رسالته أحسن أداء بالبحر المتوسط الذى عرف ببحر العرب أو بحر الحضارات فى عصر ازدهار البحرية المغربية الاسلامية التى انعشت اوروبا وكانت اساس نهضتها الحديثة، كما أدى رسالته أحسن أداء أيام الموحدين التى رفعت بشواطئه لواء الاسلام فى الحرب والسلام، وفرضت لغة القرآن كلغة دولية للتجارة والعلم والاوفاق والمصطلحات، كما تبلورت رسالة المغرب الافريقية فى الاشعاع الدينى والعمرانى الى حدود النيجر والنيل شرقا ايام المرابطين.



● معامل تحرير البترول ●



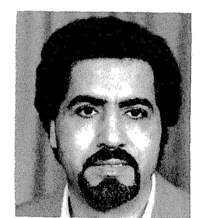
● بية مراكش وتظهر فى اعلى الصورة جبال الاطلس الكسوة بالثلوج

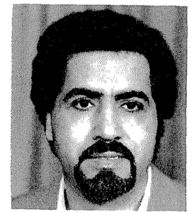


فرنسا صبية أوربا

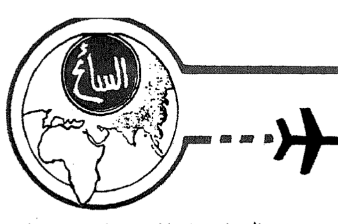
واحدى مراكز اشعاعها الحضاري

صحيح ان فرنسا هى احدى القوى العظمى فى العالم وانها احدى الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الامن الدولى.. وصحيح ايضا ان هذه الحقيقة ربما توحى أو ترمز الى القوة المهيبة الا أن الصحيح أيضا ان لفرنسا جانبا آخر يفيض لطفا ورقه ووداعة.. وهو ما اهلها لتكون ـ بجدارة ـ صبية أوربا الفاتنة والمدللة ـ فهذه الصبية الغنوج المكتملة الجمال والتى لا تعرف الهرم على الاطلاق تشق طريقها المستقبلى فى زهو وخيلاء.. متدثرة بأفخر وأجمل الازياء.. مطلقة ازكى الروائح العطرية الشذية من بين ثنايا قوامها المشسوق مخاطبة عشاقها بلغة ملؤها الحب والحنان والموسيقى المتدفقة دفئاً.. ومتسلحة بحضارة ضاربة جذورها عبر الزمن، تشع منها أنوار العلم والثقافة





بقلم
مصطفى محمد مصطفى



منذ ان تصعد على متن طائرة الخطوط الجوية الفرنسية وتعيد تصوراتك وانطباعاتك التى خزنتها فى ذاكرتك على مدى سنوات العمر عن فرنسا كبلد اشعاع ثقافى نير فى اوربا لن تخطىء أبداً.

لمحة تاريخية

أول ما يلفت انتباه الناظر الى خارطة فرنسا سواحلها الممتدة على مسافة ٣٠٠٠ كم، والتى تمثل بوابات تطل على البحر من ثلاث جهات:

[١] الجنوب [٢] الغرب [٣] الشمال الغربى.

وفى حين ان البحر الابيض المتوسط، بحر ذو مد وجذر خفيفين وذو مياه عميقة تتراوح درجات حرارتها بين ٢٢،١٢ درجة نجد ان بحر الشمال «المانش» وكذلك المحيط الاطلسى يتميزان عنه بدرجة حرارة تميل الى البرودة المعتدله والمد والجذر فيها شديدان.

اما بقية حدود فرنسا فهى برية وطولها ٢٠٠٠ كم وتنقسم هى الاخرى الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول: وهو بوابة فرنسا الواسعة الانفتاح على السهول الاوربية المتمثلة فى المانيا وما وراءها.

القسم الثانى: ويمثل حواجز ارضية مكونة من جبال الجير او الالب التى تتخللها ممرات واغوار تؤدى الى سويسرا وايطاليا

القسم الثالث: وهو مكون من سلسلة جبال البيرينى التى تمثل حدود فرنسا مع اسبانيا وتبلغ اجمالى مساحة فرنسا ٥٥٠،٠٠٠ كلم مربع.

ففى فرنسا أربعة انهار كبرى:

[أ] **نهر السين:** وطوله ٧٧٦ كلم ومياهه بطيئة الحركة ويتميز نهر السين عن غيره من الانهار الاربعة الاخرى بكونه اصلحها للملاحة النهرية.

[ب] نهر اللوار: وهو أطول هذه الانهار ويبلغ طوله (١٠٠٠) كلم ولا يعتبر صالحاً للملاحة.

[ج] **نهر القارون:** وهو اقصر هذه الانهار ويبلغ طوله (٦٥٠كم).

[د] **نهر الرون:** ويبلغ طوله ٨١٢ كلم منها ٥٢٢ كلم فى فرنسا وهو اكبر نهر جبلى.

■ كما تحتل فرنسا المرتبة الثانية فى أوربا من حيث الانتاج الصناعى والرابعة فى انتاج الفولاذ والسادسة فى انتاج الغاز الطبيعى والثالثة فى انتاج الالمنيوم - وزيادة على كونها احدى الدول الصناعية الكبرى فانها تمتلك وحدها نصف مساحة الاراضى المزروعة العائدة لكامل بلدان السوق الاوربية المشتركة.

أسلاف الفرنسيين

يرجع فرنسيو اليوم الى اسلاف مختلفة منها السالتين ومازالت بقاياهم بمنطقة بريطانيا غير السكنية اما اليونانيون فقد قدموا فى عام ٦٠٠٠ قبل الميلاد واستوطنوا سواحل فرنسا المشرفه على البحر الابيض المتوسط، وفى عام ٥٢ قبل الميلاد احتل الرومان بقيادة يوليوس قيصر بلاد «الغال» ومكثوا بها ما يقرب من (٤٠٠) عام. وأعطى الغوليون مع الرومان نسبة «غالو- رومان» الى فرنسا، ثم جاء الفرانك من جرمانيا فى عام ٤٥٠م وبعدهم استقر «السكندنافيون» فى منطقة «النورماندى» فى عام ٩٠٠م وهكذا من هذه الشعوب المختلطة تكون الشعب الفرنسى الذى تعرفه اليوم.

واما اشهر ملوك فرنسا: دو غوبار (٦٠٠-٦٣٩م) شرلمان (٧٤٢-٨١٤م) لويس التاسع (١٣١٤-١٣٧٠) هنرى الرابع (١٥٥٣-١٦١٠م) لويس الثالث عشر (١٦٠١-١٦٤٣) لويس الرابع عشر (١٦٣٨-١٧١٥) لويس الخامس عشر (١٧١٠-١٧٧٤م) ومرت حتى اليوم بخمس جمهوريات.

أهم الحركات الأدبية

الرومانسية: من عام ١٨٢٠-١٨٥٠م.. لامرتين وهوغو

فرنسا تختزن الكثير من تراث بلاد الشرق



- وموسى - فينى ستاندال - بلزاك.
المثالية : ١٨٥٠-١٨٩٠م بودلير - فدلان - رميو
الواقعية : فلوبار بكتابة (السيد بوفارى)
الطبيعيون : زولا - موباسان
الواقعية المحدثة : بروتون - الوار - اراغون
الوجودية : سارتر - كامو
القصة الجديده : بوتور - روب غرى - ناتلو سروت.
المسرح الجديد : جنى دى ايونسكو - انويله - فاليرى

اهم حركات فن الرسم :
الرومانسية : دى لاكروا
الانطباعية كورو - ديكاسى
التوحشية : ماتيس مفلامنك
التكعيبية : براك - بيكاسو

المساجد بفرنسا: تضم فرنسا ١٤ مسجدا (مسجد باريس الكبير - مسجد ابو بكر - مسجد الدعوه - مسجد عقبة - مسجد النور - مسجد أنيير - مسجد بلال - مسجد كليرماو - مسجد ديجون - مسجد مرسيليا - مسجد لافال - مسجد طولوز - مسجد الجمعية الاسلامية - مسجد اليون.

وايضا معاهد وجمعيات اسلامية منها المعهد الاسلامى بباريس - رابطة العالم الاسلامى باريس - الجمعية الاسلامية بالدروم - الجمعية الثقافية الاسلامية - فرنسا - اسلام جمعية الطلبة المسلمين.

الاعياد الرسمية فى فرنسا:
عيد رأس السنة الميلادية : اول يناير من كل عام
عيد الفصح : ٦ ابريل من كل عام.
عيد العمال : اول مايو من كل عام.
خميس الصعود : ١٥ مايو من كل عام.
عيد العنصره : يونيو من كل عام
العيد الوطنى : ١٤ يوليو من كل عام.
عيد الصعود : ١٥ اغسطس من كل عام.
عيد جميع القديسين : , اول نوفمبر من كل عام.
عيد ميلاد المسيح عليه السلام : ٢٥ ديسمبر من كل عام

عادات فرنسية: مما يمتاز به الشعب الفرنسى هو احترامه للحرية الشخصية لهذا فليس من حق أحد التدخل فى شئون غيره بأى صورة من الصور.

وفى المناسبات الرسمية والفاخرة عندما تقوم العائلة باستدعاء ضيوفها يجلس الزوج والزوجة ومعهما لوحة حول المائدة والزوج المضيف يستعدى الضيف الاكبر قدرا للجلوس على يمينه كما تقوم زوجته باستدعاء الضيفة الاكبر قدرا للجلوس على يمينها ويجلس بقية الضيوف بعد ذلك. ومن التقاليد الفرنسية ان تشكر ربة الدار على حسن استقبالها وخاصة على جودة طبخها.

باريس . . مدينة المدائن المخملية: باريس . . تتوهج نوراً، ولم لا تتوهج نورا وحياة وهى المدينة المعروفة بمخمليتها ونزوعها الدائم للتبرج والتأنق والتعطر لابراز حيويتها وشبابها ورشاقة جسمها الفتان . . ولأنها ملكة الحسن والجمال فان باريس هى اكثر المدن التى تغنى وافتتن بسحرها الشعراء والفنانون . ويعود الفضل فى تشكل هذا الوجه النير ذى الطلعة البهية لباريس الى رحالات فرنسا الاوائل الذين شيدوها فى القرن الثالث الميلادى وأجيال عصر النهضة الذين حولوا عاصمة بلادهم الى متحف عالمى به من روائع الفن المعمارى والنحت والزخرفة ما يجعل المرء يقف مشدوداً اليها فى محاولة لاستثارة مخيلته علها تسعفه على استعراض لمحات من تلك الحقب التاريخية التى شهدت انتصاب هذه الامجاد العظيمة الشامخة، كقوس النصر وكنيسة النوتردام وبرج ايفل ومتحف اللوفر وساحة الكونكورد وغيرها من المعالم الرائعة التى تزين وجه المدينة الحسناء.

نبذة تاريخية عن باريس

تقع مدينة باريس عاصمة الجمهورية الفرنسية فى وسط الشمال الفرنسى وتبعد عن بروكسل عاصمة بلجيكا ٢٩٥كم وعن جنيف ٥٤٥ كم . . ويرجع تاريخ تأسيسها الى سنة ٥٢ قبل الميلاد وتقع هذه المدينة على ضفاف نهر السين. وتفيد الروايات التاريخية والاساطير الشعبية المتداولة، انه خلال حرب الغوليين قاوم البحارة الباريسون قادة جيش قيصر،

وكانت باريس تدعى فى ذلك العهد «لوتاس» وهى مدينة نشأت فى جزيرة من جزر نهر السين تدعى اليوم جزيرة المدينة واخرج الرومان منها الغوليين ولما عاد السلم اكتسبت باريس لاتينيتها من الرومان واصبحت تمتد الى منحدرات جبل القديسه جينفياف، وكان اهلها اذا خشوا الغزو لجأوا الى جزيرتهم الصغيره . . وظلوا هكذا الى ان تغيرت الاحوال، واصبحت لوتاس الصغيرة، القرية الميروفانجية ثم الكارولنجيه، مقراً للاسرة المالكة أى عاصمة لفرنسا.

ونستطيع قراءة تاريخ المدينة على خريطتها كما نقرأ حياة شجرة على جذعها المقطوع.

ففى الوسط، سكنها الغوليون، ثلاثة قرون قبل الميلاد واستوطن الرومان على مرتفعات جبل القديسة جنفياف وفى عام ١٢٠٠م أحيطت المدينة بسور مازال ظاهرا قرب البانتيون . . وفى اوائل القرن السابع عشر، بلغت المدينة ما يسمى اليوم الطرق الكبرى. ثم الى الطرق الخارجية ثم وصلت اليوم الى طريق «البريفريك».

أحياؤها : تنقسم باريس ادارياً وفى شكل حلزونى الى عشرين دائرة ادارية تحمل ارقاماً من واحد الى عشرين تنقسم الى ثلاثة انواع :


اللوفر
أحد رموز فرنسا
الحضارية

أحياء الوسط: ويحمل ارقام من ١ الى ٩ مع ضفاف نهر السين تقع البنايات الرسمية والوزارات.

الاحياء الشرقية: تحمل ارقام ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠.

الاحياء الغربية والشمالية الغربية تحمل ارقام ١٥، ١٦، ١٧.

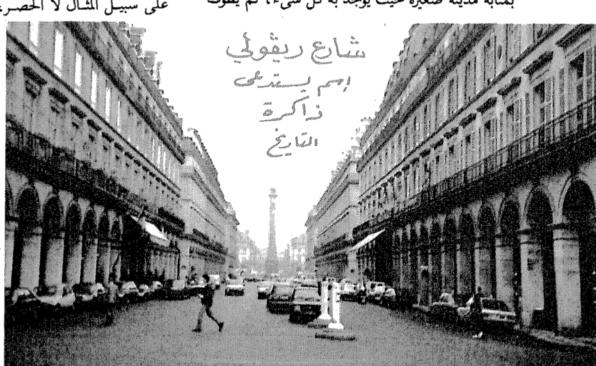
وباريس مدينة واسعة، بها اكثر من مركز رئيسى.. فعلى الرغم من ان شارع الشانز اليزيه يعتبر منطقة الثقل الجماهيرى الرئيسية الا ان هناك مناطق أخرى لا تقل اهمية وحيوية عن الشانز اليزيه، مثل النوتردام والسان جيرمان وغيرها.

وللتعرف عن كثب على معالم واحياء العاصمة الفرنسية فان من الافضل للمرء ان يستعين فى هذا الجانب باحدى الوكالات المتخصصة مثل وكالة باريس فيجن التى تسير رحلات بالباصات المكيفة والمزودة بأجهزة ترجمة الى اللغات العالمية الرئيسية حول العاصمة الفرنسية.

تنطلق الجولة من شارع ريفولى القريب من ساحتى الفيندوم والكونكورد.. يأخذك الباص خلالها الى ميدان الفندوم نفسه الذى بنى فى عام ١٧٠٢م. والمحاط بمبانى قديمة وبديعة فى هندستها المعمارية والتى من بينها مبنى وزارة العدل، ثم يتجه بعدها الى مبنى الاوبرا الذى يعتبر بمثابة مدينة صغيره حيث يوجد به كل شىء، ثم يطوف بأكبر واكثر المحلات التجارية شهرة فى العاصمة الفرنسية وهو محل «جاليدى لافاييت» الذى أسس فى القرن التاسع عشر والذى يزوره يوميا اكثر من عشرة الاف شخص.. ويواصل الباص مسيرته فى انحاء المدينة ليطوف بك حول متاحف وكنائس المدينة التاريخية كمتحف اللوفر وكنيسة القلب المقدس ذات التصميم الهندسى الرائع. ثم ينقلك الباص الى ناحية أخرى. الى شارع الشانزاليزيه ومنه تصل ميدان الكنكورد الذى يعتبر اكبر الميادين فى العالم والذى يتوسطه نصب تذكارى مهدى لفرنسا من قبل الوالى محمد على حاكم مصر فى العهد العثمانى. وبالطبع فان الجوله تشمل أيضا الطواف حول نهر السين وزيارة برج ايفل وكذلك القصر الكبير والقصر الصغير وجسر الاسكندر الثالث ونوافير قصر فرساى ذات الشهرة العالمية وغيرها من المعالم الاخرى.. وطوال الجولة لابد وان تستثار شهيتك «الشرائية» حيث تزدحم على جانبى الطرقات المحلات التجارية التى تعرض بشكل مثير مختلف انواع السلع والبضائع، من ملابس وحلى وتحف وساعات وعطور وغيرها من المنتجات الاستهلاكية ذات الجودة العالية.. والجدير بالذكر ان مدة الرحلة ٣ ساعات.

واما فيما يتعلق بالاقامة فى باريس فان المدينة بها عشرات الفنادق ذات المستويات المختلفة من تلك الفنادق على سبيل المثال لا الحصر، فندق بالاس دوكونكورد الشهير بفخامته، وفندق جورج الخامس، وفندق كلاريدج.. الخ من الفنادق المتوسطة والصغيرة الحجم والمستوى.

وبمناسبة الحديث عن الفنادق فى فرنسا، فانه من الملفت للنظر ان



● شارع ريفولى المؤدى الى ميدان لفيندوم ●



● دقة وروعة التصميم في المباني القديمة باديه بوضوح حتى في ازقة العاصمة الفرنسية

عدد النجوم فيها لا يعكس حقيقة مستوياتها فقد تجد فندقا راقيا وتفاجأ بأنه من فئة الثلاث نجوم، في حين نجد فندقا متدنى المستوى الا انه مصنف من فئة اربع نجوم لوكس الحالة الاولى تصادفها مدن الريفيرا الفرنسية وباريس نفسها، اما الحالة الثانية فتقترن بمدينة سان تروبيه الجنوبية التى تعد مزاراً مفضلا لاثرياء العالم ويتمثل تفسير هذه الظاهرة فى محاولة الفنادق التحايل على ادارة الضرائب الفرنسية وهنا بيت القصيد.

وقبل ان اترك باريس تغط فى سبات عميق.. فقد كان ذلك اليوم هو اول يوم فى عطلة نهاية الاسبوع ومن الطبيعى ان تسهر باريس كعادتها لتستمتع بعطلتها.. لذلك تركتها مسهدة ناشرة جدائلها على روائعها التاريخية والاثرية وعلى ضفاف انهارها ومروجها الخضراء.

ان الحديث عن فرنسا له شجون وشئون قد لا تنتهى ولم لا فهذا البلد يختزن الكثير من تراث بلاد الشرق بأثاره ومتاحفه كما ان الثراء التاريخى والثقافى فى فرنسا لن يأتى من فراغ وانما جاء نتيجة تواصل الانسان هناك بالزمان والمكان وبالعلاقة الحميمة التى تربطه بأرضه.. والمخزون الأثرى الذى تمتلكه فرنسا يعد أحد أسباب انتعاش الحركة السياحية فيها.. ليست هذه رحلة عادية، رغم انها لا تختلف كثيرا ـ كسياحة ـ عن اية رحلة أخرى ولكن باريس ليست كغيرها من المدن.. وبالتالى فان زيارتها لابد ان يكون لها مذاق خاص ومتميز تلك العاصمة التى يشع النور والرخاء والازدهار من كل ركن من اركانها ولا ننسى ان نذكر الحى اللاتينى الذى يضم جامعة باريس ويعتبر قبلة الادباء والمثقفين والفنانين.

■ **ومع برج ايفل كان لنا هذه الذكريات:**

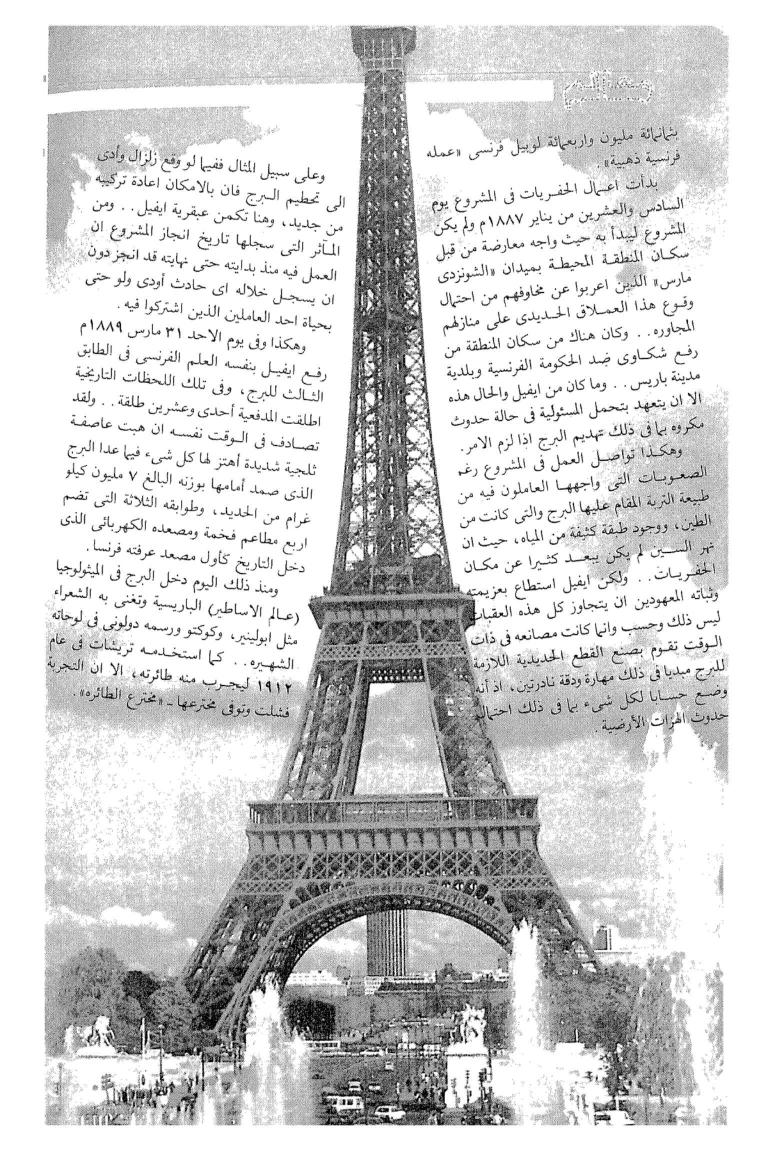
برج ايفل

كان ذلك فى اليوم السابع من مايو عام ١٨٨٧م يوم احتفلت فرنسا بمرور قرن على ثورتها الشهيرة التى انتصر فيها النظام الجمهورى. فى ذلك اليوم تحقق حلم بابل القديم المتمثل فى انطلاق برج من بطن الأرض بأعجوبة الا وهو برج ايفيل.

لقد استقطب هذا البرج العظيم كل الناس من جميع انحاء فرنسا. فمنهم من أتى راكب عربة تجرها الخيول. ومنهم من ركب قاربا شاقا المحيط الاطلنطى، فالجميع كان متشوقا لرؤية ذلك الوحش الحديدى.

غستاف ايفيل هو صانع هذه الاعجوبة، ولد بمدينة «ديجون» فى عام ١٨٣٢م درس الهندسة ارضاء لوالديه، ولهذا فقد فشل فى دراستها، مما دعاه لاتجاه الكيمياء التى نجح فيها وتخرج من كليتها عام ١٨٥٥م ثم شرع فى البحث عن عمل على الرغم من ثراء اسرته، اشتغل مهندسا فى خطوط السكك الحديدية نهارا ومساعد مقاول فى الصناعات الثقيلة ليلا، وهذا ما مكنه من انجاز مشاريع ضخمة منها جسر «بوردو» الذى يعتبر اول جسر يربط مدينتى «بوتى» و«ليموج» الفرنسيتين من هنا جاء تلقيب أيفيل برجل الجسور.

الا ان كل ذلك لم يكن ليرضى طموحات أيفيل الكبيره فقد كان يحلم بانجاز عمل رائع يبهر به العالم.. عمل يحقق حلم بابل المتمثل فى انشاء برج عظيم يصل ارتفاعه الى ١٠٠٠ قدم ولقد تقدم العديد من المصممين بوزارة التجارة والصناعة الفرنسية بخصوص اقامة برج حديدى ذى قاعدة مربعة وذلك على ميدان «الشونزدى مارس» فاز المشروع الذى قدمه ايفيل.. وقد قدرت تكاليف البرج



بثمانمائة مليون واربعمائة لوبيل فرنسى «عمله فرنسية ذهبية».

بدأت اعمال الحفريات فى المشروع يوم السادس والعشرين من يناير ١٨٨٧م ولم يكن المشروع ليبدأ به حيث واجه معارضة من قبل سكان المنطقة المحيطة بميدان «الشونزدى مارس» الذين اعربوا عن مخاوفهم من احتمال وقوع هذا العملاق الحديدى على منازلهم المجاوره.. وكان هناك من سكان المنطقة من رفع شكاوى ضد الحكومة الفرنسية وبلدية مدينة باريس.. وما كان من ايفيل والحال هذه الا ان يتعهد بتحمل المسئولية فى حالة حدوث مكروه بما فى ذلك تهديم البرج اذا لزم الامر.

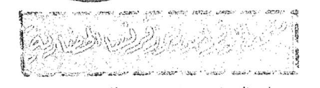
وهكذا تواصل العمل فى المشروع رغم الصعوبات التى واجهها العاملون فيه من طبيعة التربة المقام عليها البرج والتى كانت من الطين، ووجود طبقة كثيفة من المياه، حيث ان نهر السين لم يكن يبعد كثيرا عن مكان الحفريات.. ولكن ايفيل استطاع بعزيمته وثباته المعهودين ان يتجاوز كل هذه العقبات ليس ذلك وحسب وانما كانت مصانعه فى ذات الوقت تقوم بصنع القطع الحديدية اللازمة للبرج مبديا فى ذلك مهارة ودقة نادرتين، اذ أنه وضع حسابا لكل شىء بما فى ذلك احتمال حدوث الهزات الأرضية.

وعلى سبيل المثال ففيما لو وقع زلزال وأدى الى تحطيم البرج فان بالامكان اعادة تركيبه من جديد، وهنا تكمن عبقرية ايفيل.. ومن المآثر التى سجلها تاريخ انجاز المشروع ان العمل فيه منذ بدايته حتى نهايته قد انجز دون ان يسجل خلاله اى حادث أودى ولو حتى بحياة احد العاملين الذين اشتركوا فيه.

وهكذا وفى يوم الاحد ٣١ مارس ١٨٨٩م رفع ايفيل بنفسه العلم الفرنسى فى الطابق الثالث للبرج، وفى تلك اللحظات التاريخية اطلقت المدفعية أحدى وعشرين طلقة.. ولقد تصادف فى الوقت نفسه ان هبت عاصفة ثلجية شديدة أهتز لها كل شىء فيما عدا البرج الذى صمد أمامها بوزنه البالغ ٧ مليون كيلو غرام من الحديد، وطوابقه الثلاثة التى تضم اربع مطاعم فخمة ومصعده الكهربائى الذى دخل التاريخ كأول مصعد عرفته فرنسا.

ومنذ ذلك اليوم دخل البرج فى الميثولوجيا (عالم الاساطير) الباريسية وتغنى به الشعراء مثل ابولينير، وكوكتو ورسمه دولونى فى لوحاته الشهيره.. كما استخدمه تريشات فى عام ١٩١٢ ليجرب منه طائرته، الا ان التجربة فشلت وتوفى مخترعها ـ «مخترع الطائره».





وفى يونيه عام ١٩١٢ استخدم البرج كأول محطة أرسال اذاعى فى العالم. . وفى عام ١٩٣٤م وضع فى البرج أول جهاز تلفزيونى. . وفى عام ١٩٥٣ احتفل البرج بزائره رقم ٢٥ مليون. . وتوجد فى اعلى البرج شقة زجاجية محظور دخولها على الزوار، إذ أنها ملك الورثه غستاف ايفيل. . ومن المفارقات الطريفة التى ترتبط بالبرج انه فى الوقت الذى لم يمت خلال عملية تشييده أى عامل، فأنه أصبح اليوم مكاناً مفضلا للانتحار لدى اليائسين من الحياة.

وهكذا أصبح البرج مصدر دخل كبير لفرنسا اذ يؤمه السائحون من جميع انحاء العالم. . ويكفى ان نقول ولا غرور فى ذلك فبرج ايفيل هو أحدى عجائب الدنيا السبع.

●● وننتقل بك عزيزى القارىء الى أحد رموز فرنسا الحضارية الا وهو:

قوس النصر: أحد رموز فرنسا الحضارية وهو رمز من معالم جبروتهم العسكرى زمن نابليون بونابرت الذى أراد ان يخلد انتصاراته التى حققها فى معركة «أوسترليتز» فكان القرار الامبراطورى فى ١٨ فبراير ١٨٠٦م بتشييد قوس النصر على اجمل مواقع باريس ليتحول الى ابرز صرح سياحى يؤمه زوار فرنسا. . يبلغ ارتفاعه ٥٠ مترا وقد استغرق بناؤه ثلاثين عاما غير متوالية وعرضه يبلغ ٤٥ مترا كلها تمثل صورا ولوحات واسماء جنرالات وجنود تألقوا فى الانتصارات التى رفعت اسم فرنسا عاليا. . وبات التقليد فى ١٤ يوليو من كل عام أن تحتفل فرنسا بعيدها الوطنى باستعراض عسكرى حول قوس النصر. . كما تعرض فى الطابق الاخير من القوس الذى يمكن الوصول اليه صعوداً على ادراج يبلغ عددها ٢٣٠ درجة أو المصعد بالطبع يشاهدون تاريخ فرنسا عبر اشرطة تلفزيونية.

ويبدو ان قوس النصر قد بلغ الهرم قبل أن يمضى عليه قرنان. . لذا تعكف وزارة الثقافة الفرنسية على ترميم هذا الرمز وتقدر التكلفة بحوالى ٣٠٠٠٠ر٣٠ فرنك فرنسى.

على الرغم من ان متحف اللوفر يعتبر من اهم متاحف العالم بما يحتويه من قطع اثرية تمثل جميع الحضارات القديمة وحتى القرن العشرين. أصبح يعانى الآن من صعوبات كبيرة نظرا لضيق المساحة المخصصة للمعروضات. . لذا تعكف الحكومة الفرنسية على عمل توسعة ضخمة تجدد بها شباب متحف اللوفر العريق ليستقبل بدايات القرن الواحد والعشرين.

فكرة اللوفر: تم تشييده ليكون حصنا منيعا عام ١٢٠٠م وذلك خلال حكم فيليب أوجست لتقوية الدفاعات الفرنسية. . وفى عام (١٣٧٤-١٣٨٠) حوله شارل الخامس الى مقر اقامة ملكى.

المرحلة الاولى: فكرة تحويل اللوفر الى متحف بدأت من القرن الخامس عشر على يد ملك فرنسا «فرانسو الاول» الذى كان يعشق اقتناء اعمال الفنانين الايطاليين. . ثم توالت من بعده ظاهرة اقتناء الاعمال الفنية واصبحت صبغة اساسية للملوك والامراء والنبلاء - ثم قام ليوناردو دافنشى بتصميم المرحلة الاولى من البناء التى انتهت فى عام ١٥٤٢م.

المرحلة الثانية: تمت على يد الملكة «كاترين دى مديسيس» وسط حديقة التويليرى والتى تمثل حالياً الجانب الغربى للمتحف. . وأضيفت بعض التعديلات فى عهد «هنرى الرابع» على تصميم «دافنشى» القديم حيث ضم اليه القصر الصيفى للملكة كاترين وتم بناء ضلع رابع هو المطل الان على شارع «ريفولى» الموازى لنهر السين.

الافتتاح الرسمى: كان ذلك فى ٢٥ يوليو من عام ١٨١٤م ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتوسع فى استضافة المقتنيات الأثرية والكنوز النادرتين. . وعلى مر الايام



والسنين ضاقت ساحات اللوفر العتيقة بما حوته من تحف واثار وكنوز من شتى بقاع العالم فتجد بداخله الاقسام المختلفة التى ضمت الأثار الشرقية والمصرية والرومانية واليونانية والتى لا يتسع المجال لذكرها تفصيليا وكذلك قسم اللوحات الزيتية ومكتبة اللوفر فهى متواضعة جداً بالمقارنة مع متحف يشكل اهمية عالمية . . وأيضا يضم مطعما وكفتريا واستراحة للزائرين كما ان الادارة المشرفة على المتحف تعتذر يوميا عن استقبال المئات من رواد المتحف نظرا لضيق المساحة والممرات اثناء دخولك وخروجك من المتحف . . وليس بمستغرب ان يعكف المسؤولون الفرنسيون على توسعة هذا المتحف لانه يعد واجهة ثقافية لفرنسا .

التوسعة والتجديدات : نظرا لتكدس الاف من التحف فى المستودعات وتوزيع بعضها على متاحف أخرى . . ولتعذر عرض التحف بصورة جيدة . . بدأت عملية الحفر فى ساحة نابليون المواجهة للمتحف فى بداية عام ١٩٨٤م . . وأصر العلماء على التنقيب عن الاثار قبل بدء الحفر وكان لهم ذلك وقد عثروا على الكثير من الكنوز الاثرية منها مقبرة من العصر الحجرى ومبان تعود للعصر الرومانى وعدد من المناجم والخنادق واكد العلماء على ان هذه المنطقة كانت خالية من السكان من القرن العاشر وحتى القرن الثانى عشر وذلك كما اشارت اليه الاثار الموجودة. إلا ان عملية الحفر اكدت عودة الحياة مرة ثانية الى هذه المنطقة فى القرن الثالث عشر . . وقد تم اكتشاف طريق قديم أصبح يعرف فيما بعد بشارع «سان توماس دى لوفر» . . وقد اسهمت عملية التنقيب عن عشرات الالاف من الاثار فى مختلف مجالات الابداع الانسانى وقد تكلفت هذه العملية ما يزيد عن ٥٥ مليون فرنك فرنسى وشارك فيها ما يزيد عن ٨٠ عالم متخصص بالاضافة الى مئات المهندسين وعمال الحفر . .

ولم تكن عملية التنقيب بالشىء اليسير بل كانت من الصعوبة بمكان فقد جهزت المختبرات للترميم والورش للتصنيف واستوديهات التصوير واقامة المراسم حتى تتم تحديد مواقع الاثار ودراستها بدقة متناهية لما يتم استخراجه .

اللوفر واجهة حضارية : سيزين ساحة نابليون فى مرحلة تحديثه بهرم زجاجى يبلغ ارتفاعه عشرين مترا وسيمتد بعرض ٣٣ متراً وللعلم فان ارتفاع قصر اللوفر يبلغ ٤٥ متراً، وكما يقال ان الجدران الاربعة للهرم الزجاجى التى ستصنع من زجاج فريد يقوم بعكس الاضواء على المنطقة المحيطة به التى ستتكون من المقاهى والمطاعم وقاعات الاحتفالات والمعارض وصالات لعرض التحف . . وبنهاية العام ١٩٨٨م سيكون قد تم الانتهاء من عملية تركيب الهرم الزجاجى النادر. وقبل ان ينقضى القرن العشرين سيكون متحف اللوفر بحق أحد روائع الحضارة الباريسية حيث يستطيع الزائر ان يستعرض ويشاهد ما يريده من أقسام للاثار المختلفة من تحف وكنوز ولوحات زيتية و يستعيد ويسترجع بذكرياته تاريخا مضى عليه قرون طويلة .

●● وننتقل معك عزيزى القارىء الى احدى روائع الفن الباريسى :

متحف الشمع الفرنسى : يعد من أهم واعظم متاحف فرنسا لانه يحكى تاريخ اهم الاحداث فرنسيا وعالميا بالمجسمات الشمعية والأحجام الطبيعية للانسان . . وتنبهر أعين الانسان ويقف مشدوها امام تلك المجسّمات من حيث روعة ودقة التصميم والفن والتى تعجز الالسن عن وصفه . . يتكون المتحف من ست قاعات اساسية وهى : «**قاعة القبة ـ قاعة تحكى مشاهد من الثورة الفرنسية ـ قاعة الاعمدة ـ قاعة تروى تاريخ فرنسا من حكم شارلمان وحتى نابليون الثالث ـ قاعة السينما والمغامرات ـ قاعة نابليون بونابرت وعائلته**» .

قاعة القبة : عندما تدخل هذه القاعة تجد امامك فى المواجهة مشهدا قمة فى الدقة لدار الاوبرا اثناء عرض مشهد باليه (جيسيل) يضم عددا من مشاهير لاعبى الباليه امثال مارجريت يورسينار ـ جان بيات ـ بربارا هندركس ـ



● قوس النصر: احد رموز انتصارات فرنسا العسكرية ●

كما تضم القاعة تمثالين بالشمع للروائى الفرنسى الشهير فيكتور هوجو والشاعر والمخرج السينمائى الفرنسى جان كوكتو وايضا تحتوى على ورشة لصناعة الادوات الموسيقية.

القاعتان اللتان تحكيان مشاهد من الثورة الفرنسية وتاريخ فرنسا: هما بحق من اجمل القاعات لما تراه الاعين من استعراض تاريخى لفرنسا فنرى مشهداً وقعت احداثه فى عام ١٤٣١م «لجان دارك» وهى تغادر سجن برج جيل لتحرق فى ميدان بمدينة «روين» شمال فرنسا.. ومشهدا يمثل تتويج «شارل السابع» وآخر يمثل «لويس الحادى عشر» وهو يزور الكاردينال لابلو المسجون ومشاهد عديدة منها حدث فى عام ١٥٩٤م ويبدو الملك هنرى الرابع والى جواره وزيره «سولى» عندما كانا يشاهدان الجيش الاسبانى فى اثناء رحيله عن مدينة باريس.

ولحظة اعدام «الدوق جويس» فى عام ١٥٨٨م عند محاولته الاطاحه بالملك «هنرى الثالث».

وتتجلى الروعة عندما نرى تجسيداً بالشمع لعمالقة الأدب الفرنسى امثال بوالو، لافونتين، راسين، موليير، دكولبير، والعالم الفرنسى بسكال فوق برج سان جاك.. كما يروى متحف الشمع حدث افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩م فنرى ديليسبس مهندس القناه يؤدى التحية للامبراطورة أوجينى والامبراطورة اليزابيث والخديو اسماعيل.

قاعة الاعمدة: تضم هذه القاعة مجسمات بالشمع لمشاهير السياسة وزعماء العالم منها لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثانى والرئيس محمد حسنى مبارك والشيخ زايد والملك حسين والملكة صوفيا والرئيس رونالد ريجان وميخائيل جورباتشوف وهلموت شميث وتاتشر وغيرهم.. كما يضم أيضا مجسمات بالشمع لاشهر الرياضين امثال «بلاتينى» والممثلين امثال «جان بول بلمندو» وتحتوى القاعة ايضا على اجتماع بين الرئيس الامريكى رونالد ريجان والسوفيتى جورباتشوف والالمانى الغربى هلموت كول

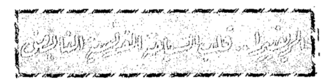


والفرنسى ميتران فى الفضاء وذلك ببراعة فائقة.

قاعة المغامرات: تقدم الافلام التاريخية والتسجيلية والكوميدية والعلمية والمثيره وذلك من خلال تجسيد رائع لبعض لقطات من الافلام وكلها بالشمع.

قاعة بونابرت: تضم تجسيدا بالشمع لعائلة نابليون بونابرت وأيضا غرفة نومه.. وامل ان اكون قد استطعت ان أنقل لك عزيزى القارىء اهم ما احتواه هذا المتحف الذى يدل على ريادة فرنسا وثقافتها وحضارتها فى عالم الفن والفنون.

ان التنوع المثير لاماكن الارتياد السياحية فى فرنسا تجعل من التجوال والتسيح فيها أمراً ممتعاً ومبهجاً.



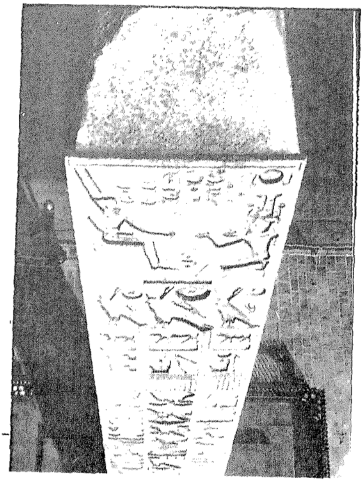
الريفيرا الفرنسية او الكوت دازور كما يطلق عليها بالفرنسية «والكلمتان تعطيان نفس المعنى، وهو المنطقة المحاطة بالخضرة ومياه البحر الفرنسية على سواحل البحر الابيض المتوسط، وتمتد من مدينة منتون الى مدينة سان تروبيه، بحيث تشمل عدة مدن ساحلية مثل مونت كارلو «عاصمة امارة موناكو» نيس، كان، سانت رافائيل وبورت جريمود. وهذه المنطقة تعتبر عصب السياحة الفرنسية حيث يؤمها المصطافون والسواح طوال فترة الصيف، والذين يتوافدون عليها من جميع ارجاء المعمورة، وذلك لما تتمتع به من سحر جذاب لا يوصف ولا يقاوم، وهو اجمل وأروع من لوحة طبيعية تلمسها لمس اليد لشريط ساحلى على شكل حدوة حصان تكتنفه الخضرة وتتناثر على اطرافه مدن جميلة كلالىء منفرطة من عقدها.. تداعبه مياه البحر، وتحتضنها بحنان جم سلسلة من الهضاب والمرتفعات الجبلية الملتحفة ببساط من الحشائش والنباتات الخضراء.

ورغم تماثل الطابع العام لهذه المدن، من حيث العمران أو من حيث نمط الحياة السائد فيها، وذلك بحكم قربها من بعضها البعض، الا ان لكل مدينة من هذه المدن خاصيتها التى تميزها عن جاراتها من مدن الريفيرا الفرنسية.

مدينة نيس: مثلا تمتاز بعراقة تاريخها الذى يرجع الى الاف السنين بكرنفالاتها واعيادها وسهراتها الراقصة التى تحفل بها شوارعها الضيقة الغاصة بعشرات المطاعم والمقاهى.. تلك السهرات التى تتخللها الالعاب النارية التى تحول المدينة إلى عروس محمرة الوجنتين.

اما مدينة كان: مدينة متربعة على عرش جمال الريفيرا الفرنسية فهى مصيف ومشتى لكبار اثرياء العالم ومشاهيره من الفنانين وكبار رجال الاعمال وهى اشهر مدن السياحة الاوربية على الاطلاق، ففيها ينعقد فى شهر مايو من كل عام مهرجان السينما العالمى الذى جعل من المدينة عاصمة السينما العالمية.

ومدينة سان تروبيه: الواقعة فى اقصى الطرف الجنوبى للكوت دازور فشهرتها تأتى من كونها اكثر مصايف البحر الابيض المتوسط ترفاً واناقة، حيث يستقبل مرفؤها الصغير أفخم اليخوت الفارهة فى العالم، كما أنها





○ لا تكاد تصدق انه من الشمع ○

تعتبر منتجع المشاهير من الفنانين، واهل الادب والسينما فى العالم.

وكما اسلفت فان مدن الريفيرا الفرنسية قريبة من بعضها البعض لذلك يمكن للسائح استئجار سيارة وينطلق بها صباحاً فى جولة رائعة تشمل جميع هذه المدن فالمسافة من مدينة «نيس» الى مدينة سان تروبيه لا تستغرق سوى ساعتين ونصف الساعة على الطريق الساحلى الا ان هناك طريقاً آخر يختصر المسافة والزمن الى النصف الا ان الطريق الساحلى يتيح للسائح امكانية التمتع بمشاهدة مناظر طبيعية خلابة، والمرور بكافة المدن الساحلية الواقعة على الطريق بين «نيسى» و«سان تروبيه» مثل «انتيبس» وكان وسانت رافائيل» وسانت مكسيم.

اما امارة موناكو الصغيرة التى تستظل بالجبال وتفترش البحر بساطا لها لتخلد اليه حين يغالب النوم جفونها، بل وتستغل علاقتها الحميمة به لتوسع رقعتها على حسابه.. هذه الامارة المدهشة بجمالها تقع الى الشمال الشرقى من مدينة «نيس» والمسافة الزمنية بينها لا تتعدى النصف ساعة.



على الرغم من ان بضع عشرات الكيلومترات تفصل مدينة مرسيليا عن باقى مدن «الكوت دازور» الا انك تجد هذه المدينة الواقعة فى اقصى الجنوب الفرنسى والمطله على البحر الابيض المتوسط تختلف فى طابعها بعض الشىء عن باقى مدن الريفيرا الفرنسية المجاورة لها. فبعض احياء المدينة وبخاصة تلك المحاذية للشاطىء (منطقة الميناء القديم) تشبه الى حد بعيد احياء بعض مدننا العربية فى الشمال الافريقى، ولربما يعزى هذا التشابه الى القرابة الجغرافية التى تحكم مدن هذه المنطقة وبالتالى تأثرها ببعضها البعض، الا ان ذلك لا ينفى حقيقة ان الطابع الاوروبى يغلب على مبانى المدينة القديمة.

ومدينة مرسيليا التى تستغرق الرحلة اليها بالسيارة من مدينة «نيس» ساعتين هى ثانى اكبر المدن الفرنسية واعرقها حيث يعود تاريخ انشاء مينائها القديم الى ما قبل الفين وستمائة سنة خلت.. بينما يرجع تاريخ انشاء المدينة نفسها الى ٦٠٠ سنة قبل الميلاد.. وللمرء بعد هذا ان يتصور ذلك الكم الهائل من الحوادث التاريخية التى شهدتها هذه المدينة، وذلك التأثير العميق الذى تركه ميناؤها، عبر الاف السنين، على حركة تطور التجارة الدولية يبلغ عدد سكان مرسيليا اليوم حوالى مليون نسمة وهم خليط من قوميات متعددة.. فرنسيين ـ عرب ـ ارمن ـ يونانيين ـ ويهود ايضا. ولربما كان لهذا التنوع فى التكوين السكانى للمدينة اثره البالغ فى تشكل انماط حياتية مختلفة.

وبالرغم من ان المدينة تعتبر اكبر الموانىء الفرنسية، اضافة الى كونها مدينة صناعية الا ان الحركة فى الميناء الرئيسى للمدينة لا تتفق مع اهميته وسمعته العالميتين.. ومع ذلك فان شوارع المدينة ومحلاتها التجارية ومقاهيها وفنادقها التى من ابرزها فندق فرونتيل والكونكورد، واماكن الترفيه الاخرى فيها لم تتأثر بما يدور حولها، وكأنما قد قدرت بينها وبين نفسها عدم *اعارته* أدنى التفاتة. فايقاع الحركة فيها اسرع بكثير من ايقاع الحركة فى الميناء. بل ان كل هذه الحركة متركزة حول منطقة الميناء القديم الذى لا تقل شهرته العالمية عن شهرة برج ايفيل والذى شهد ميلاد مدينة مرسيليا.

وبالرغم من تقدمها فى السن وتأثرها ـ شأنها فى ذلك شأن بقية المدن التاريخية القديمة ـ بيت الحضارة الحديثة

كان .. عاصمة السينما العالمية

الجارف، الا ان مرسيليا ظلت وفية لماضيها التليد المتمثل فى تحفها الاثرية التى تعود الى عهود الهيلينيين والرومان واليونانيين.

ونعود الى الشمال الفرنسى الى مدينة دوفيل: تلك المدينة الجميلة التى تبعد عن باريس حوالى ٢٠٠ كيلومتر تقطعها السيارة فى ساعتين، والطريق حافل بالمناظر الطبيعية الآسرة للالباب، حيث الريف الفرنسى الجميل بمروجه الخضراء ومراعيه التى تسرح وترعى فيها قطعان الماشية ففى أواخر الصيف وبداية الخريف.. الشمس مشرقة ومياه الاطلنطى صافية.. هادئة.. تتجاوب مع كل هدهدة وآهه تزفر بها اطراف المدينة الممتده على الشاطىء، وذلك باطلاقها بعض الرشقات الخفيفة، منبهة الى صحوتها وحضورها.

مدينة «دوفيل» ليست كبيرة، كما انها ليست من المدن السياحية الرئيسية فى فرنسا الا ان اهميتها على الخريطة السياحية الفرنسية أخذة فى التزايد يوما بعد يوم بحيث يصعب على السائح خلال فترة الصيف الحصول على غرفة شاغرة فى فنادق المدينة.. فالامكانيات السياحية لهذه المدينة لا تقل عن تلك التى تتمتع بها بعض مدن الريفيرا الفرنسية.. ففيها الشواطىء الرملية النظيفة ومياه البحر الصافية والمزارات الاثرية والسياحية والكازينوهات والفنادق والمقاهى.. وليس من الغرابة بمكان ان تستضيف هذه المدينة السياحية المعارض الدولية.



نشر الثقافة العربية والتعريف بمعالم الحضارة الاسلامية لا يقتصر على ما تقوم به وسائل الاعلام أو الاجهزة والمؤسسات الحكومية أو غير الحكومية بل يأخذ اشكالا متنوعة ومختلفة منها ما يدخل فى نطاق الفرد ومنها ما يدخل فى نطاق المجموعات.. منها المتقاربة فى الاصل الحضارى والبعد والثقافى ومنها المختلف والمبتعد كلية.. وبالرغم من ذلك تجد بينها مجالات للانشطة الثقافية والحضارية ومن هنا بدأت فكرة انشاء المعهد العربى ليقوم بتوصيل ونقل وتعريف الثقافة العربية وحضارتها الى الفرنسيين ومن ثم الى أوربا.

فكرة انشاء المعهد: نظراً للعلاقات المتينة التى تربط بين فرنسا والكثير من الدول العربية على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية.. قامت فرنسا بتبنى فكرة انشاء المعهد العربى فى عام ١٩٧٤م.. وتم التوقيع على فكرة الانشاء مع ممثلي ١٩ دولة عربية على رأسهم المملكة العربية السعودية وذلك فى مقر وزارة الخارجية بباريس فى



٢٨/٢/١٩٨٠م وتشرف على المعهد هيئتان هما المجلس الاعلى ومجلس الادارة.

يتكون المجلس الاعلى من ٣٨ عضوا من فرنسا وممثلى الدول العربية المؤسسة للمشروع.

مجلس الادارة يتكون من ١٢ عضوا بالاضافة الى ٣ لجان فرعية متخصصة فى:

١ ـ شؤون اللغة العربية ـ٢ـ النشاط الثقافى

٣ ـ الدراسات الحضارية.

تكلفة المشروع: بلغت التكلفة الاجمالية ما يزيد عن ٣٠٠ مليون فرنك فرنسى مناصفة بين الدول العربية وفرنسا وبلغت المجموعات المعمارية ٢٧ ألف متر مربع.. يقع المعهد على نهر السين بمدينة باريس.. ويشمل المبنى الرئيسى: **«دائرة الانعاش الثقافى ـ مراكز التوثيق ـ متحف الفن العربى والحضارة الاسلامية ـ المكتبة العامة».**

نشاط المعهد:

أولا: دائرة الانعاش الثقافى: هى الدائرة التى تتلقى أو تعد المشروعات وتتابع تنفيذها. ففى عام ١٩٨١م بلغت المشروعات ٤٩ مشروعا وفى عام ٩٨ بلغت ٣٨ مشروعا وفى عام ٨٣ بلغت ٧٨ مشروعا تخدم اللغة والادب العربيين والثقافة ايضا من حيث ترجمة الاعمال العربية الى الفرنسية واقامة الندوات ثم تولت تنظيم رابطة انتشار الاسلام وبعض الاعمال التاريخية فى التوثيق حول التشريع فى الشرق الاوسط وحول تاريخ الكتابة العربية والاثار العربية.

ثانيا: مراكز التوثيق: هى التى تلبى طلبات البحث التوثيقى المتخصص.. والتى وضعت تحت تصرف

التاريخ ـ الحضارة العربية الإسلامية ـ الأدب العربي ـ موضع إهتمام هذا المعهد



الجمهور فى عام ١٩٨٥م فهرساً اليـاً بمـراكز التوثيق والمكتبات المشتملة على مجموعات موضوعة باللغة العربية عن العالم العربى سواء فى فرنسا او خارجها.

ثالثا: متحف الفن العربى والحضارة الاسلامية:
عام ١٩٨٢م على مساحة ٥٠٠٠ متر مربع تضم مأثر الحضارة العربية الأسلامية ويتركز العرض الدائم فى القاعات على ثلاث موضوعات:

أ ـ الفن والحضارة فى ارض الاسلام من القرن الثامن حتى القرن التاسع عشر.

ب ـ وجوه الحياة التقليدية فى البلاد العربية الحضرية والريفية والبدوية. . البنية الاجتماعية والعائلية.

ج ـ الفن العربى المعاصر وتاريخ الارض العربية الحديثة.

وهنـاك قاعات أخرى للمعارض المؤقتة تتناول شتى الموضوعات ـ أيضا يضم المتحف بنك المعلومات يجمع بالصور والنصوص الفن الاسلامى فى سائر انحاء العالم والفن المعـاصر. ويعد هذا البنك بمثابة متحف خيالى وإداة للبحث فى مجال فنى بالغ التخصص.

رابعا المكتبة: **انشئت فى عام ١٩٨٢م تهدف الى:**

[أ] استمالة الجمهور الغربى الى العالم العربى من خلال الانشطة المبذوله سواء عن طريق اللقاءات والمبادلات أو عن طريق الانجـازات السمعيـة والبصـريـة والمعـارض التعليمية فى شتى المجالات.

[ب] تزويـد الجمهـور فى المكتبـة بمعلومـات عن العالم العربى ضمت المكتبة عند افتتاحها فى عام ١٩٨٦ على ما يزيـد عن ٥٠،٠٠٠ مجلد و١٢٠٠ صحيفـة دوريـة و١٠،٠٠٠ اسطـوانـة وكـاسيت من الموسيقى المسجلة ومقابلات ووثائق مصغرة من كتب المراجع يبلغ عرضها ٢٠٠ ساعة و٢٠٠ عنوان فيلم وخرائط واطالس ونسبة هذه المجموعات ٧٠٪ باللغات الغربية و٣٠٪ منها باللغة العربية.

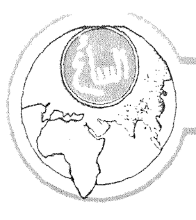
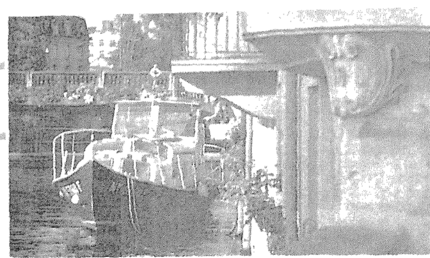
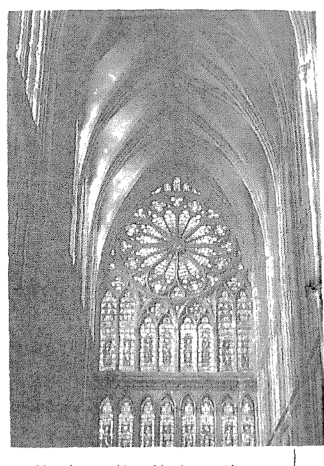
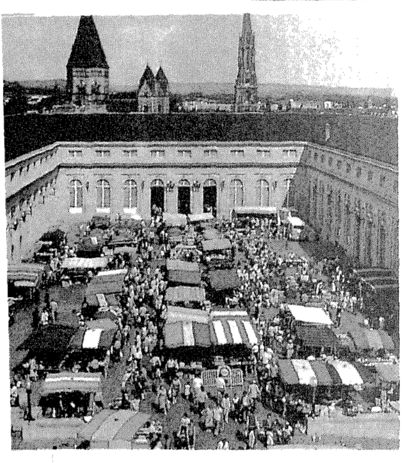
وللمركز انشطة كثيرة أخرى منها انه يقوم الان بتعليم اللغة العربية وتحقيق بعض البرامج الاذاعية والتلفزيونية وتعـزيـز التبـادل بين الجـامعـات والمؤسسـات العلمية ودراسات عن الاسلام المعاصر.

عزيـزى القـارىء هذه لمحة وجيزة عن وسيلة التوثيق العلمى للعلاقات العربية الفرنسية ألا وهى المعهد *العالم العربى* **فى باريس.**



يقـول غستـاف لوبـون الفرنسـى المعـاصر فى كتابه «حضارة العرب». . لو تم النصر للعرب المسلمـين فى بواتييـه لاصاب اوروبا مثل ما اصـاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبى العربى. . وكان لا يحدث فى اوربا مثل ما حدث فيهـا من الكبـائر كالحروب الدينية وملحمة سان بارتلمى ومظالم ومحاكم التفتيش وكـل ما لم يعـرفه المسلمون من الوقائع التى ضرجت أوروبـا بالـدمـاء عدة قرون. . ثم يضيف قائـلا بعـد ذلـك. . ومـع ان اقـامة العربى بفرنسا نشأت عن بعض السرايا نراهم قد تركوا اثراً عميقا فى اللغة وفى الدم وذلك انه استقـر اناس كثيرون منهم بالارضين القريبة من المدن التى استولوا عليها وتعاطوا فيها امور الـزارعـة والصنـاعـة. . وهـم الـذين ادخلوا صناعة البسط الى ابوسون وادخلوا كثيرا من اسـاليب الفـلاحـة ولقد وجد أحفاد لاؤلئك العرب فى اماكن كثيرة من بلاد فرنسا».

●● انهـا حقائق تاريخية فمنذ عام ٧١٤م بدأت طلائع العـرب الاسـلامية تعبر «جبال البرانس» ناشرة الاسلام بفرنسا وحتى يومنا هذا فنجد ان عدد المسلمين فى فرنسا يبلغ ٣،٠٠٠،٠٠٠ نسمة وان حوالى ثلاثين الف فرنسى

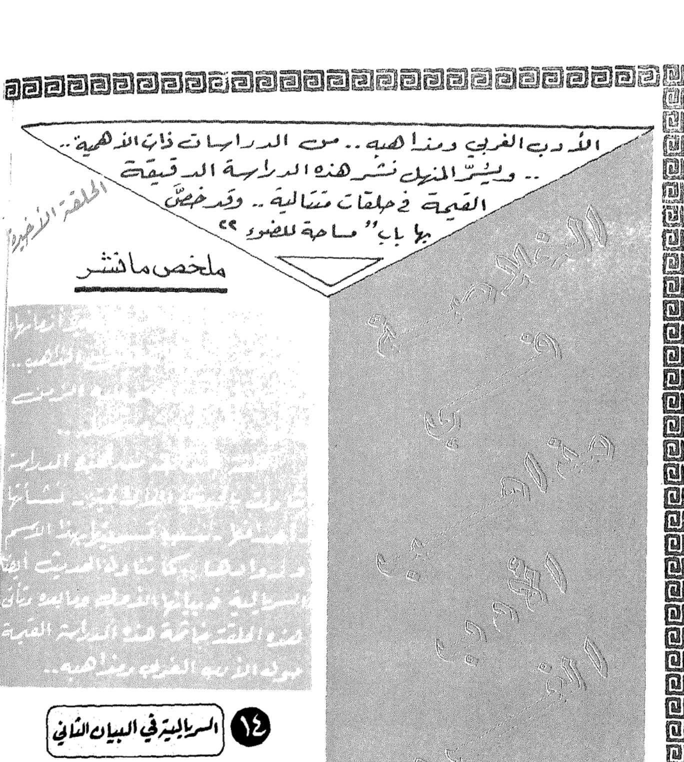





اعتنقـوا الاسـلام فى الاونة الاخيرة وتظهر الاحصائيات الصادرة عن رابطة العالم الاسلامى فى باريس وجود ٤٣٨ مسجداً فى فرنسا موزعاً، فى ٦٠ محافظة وتأتى العاصمة باريس على رأس القـائمة . . ففيها يطل المسجد الكبير بمآذنه وجدرانه الناصعة البياض الذى افتتح عام ١٩٢٦م ويعد منارة وصوت المسلمين فى فرنسا.

وقـد اصبحت المسـاجـد فى فرنسا مراكـز للحيـاة الاسـلاميـة . . وأصبح لنصف المسلمين مدارس لتعليم القـرآن الكـريم حيث يؤمهـا الطـلاب كل يوم سبت واربعـاء . . وفى عدد كبـير من الجامعات والمعاهد العليا يصر الطلبة المسلمون على الحصول على مساجد داخلية وحصلوا على ردود ايجابية بذلك . . وقد انتشرت المراكز الاسلامية فى ارجاء فرنسا المختلفة حاملة لواء الدعوة الى الاسلام واضعة نصب عينيها مهمة نشر كلمة الله فى ارضه .

ولا شك ان الحديث عن الجامعات والمعاهد ومظاهر الحضارة والعمران قد يمتد لكننا آثرنا فى هذه العجالة ان نبـين ان عامل اللغة هام جدا بالنسبة للسائح فالذى لا يتحـدث الفـرنسيـة يواجـه صعوبات جمة، فالفرنسيون مولعـون بلغتهم ولعـل هذا نابـع من اعتزازهم الشديد بقوميتهم ولغتهم القومية .

وأخيرا فان فرنسا هى بلد يلائم جميع الاذواق بغض النظر عن اختلاف الامزجه والميول .



١٤ السريالية في البيان الثاني

نشر بريتون البيان الثانى فى ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٩ فى مجلة «الثورة السريالية»، وكان أهم ما تناوله:

ان السريالية لم تسعَ الى شىء قدر سعيها الى أن تثير أزمة من وجهتى النظر العقلية والأخلاقية. فهى من الوجهة العقلية تعمل على الوصول الى الحال التى لا يعود معها الانسان يرى تناقضا بين الحياة والموت، والحقيقة والخيال، والماضى والحاضر، والظاهر والباطن، والعالى والواطى، وهى من الناحية الاخلاقية تدعو الى الثورة المطلقة والتمرد

بقلم
د. علي جواد الطاهر

التام والتخريب، ولا ترى وسيلة الى ذلك غير العنف.

وموقفها هذا لا يتعارض مع ما تسعى اليه السريالية من الايمان بالوميض الذى تريد ان تكشفه فى اعماقنا ولابد من اليأس قبل الايمان..

وكان البيان الاول قد اشاد بعدد من الاسلاف رأى فيهم بشائر سريالية فاعترف بهم واعتز، فجاء البيان الثانى وفيه نقض لذلك الموقف ويقول: ان هذه الحال الذهنية التى نحن ندعوها سريالية لم تعد ترى ضرورة للبحث عن اسلاف لها.. ويجب الحذر من تقديس البشر مهما يكونوا عظماء فى ظاهرهم. فلا احد منهم - باستثناء لوتريامون - لم يترك أثراً مريبا: رانبو، بودلير، بو...

وذكر البيان الاول اسماء معاصرة دخلت السريالية وعملت فيها ومن أجلها... ولكن السريالية اذ رأتهم ينحرفون - بوجه وآخر - عن مبادئها، ويميلون الى التسامح والتساهل والى المنافع والمفاخر ويتجنبون الخطر والأذى لم تر مانعا من طردهم، ولم تخش على نفسها من ذلك لانها كانت - وستبقى - حقيقة قائمة، وقد فات الوقت الذى يمنع بذرتها من أن تنمو وتتكاثر فى الحقل الانسانى.

اذا كنا ندفع بالسريالية، دون تردد، مجرد فكرة احتمال الاشياء الكائنة، واننا نستطيع عن طريق «الكائن» الذى نتمكن أن نراه، أن نصل الى هذا الذى يدعون عدم وجوده، اننا اذا كنا لم نجد الكلمات المناسبة لفضح خسة الفكر الغربى، واذا لم نخش الدخول فى الصراع من المنطق، واذا لم ننف القول بأن عملا ينجز فى الحلم أقل دلالة من عمل ينجز فى الصحو، واذا لم نكن متأكدين بأنه سينتهى من امر الزمن، هذه المهزلة المشؤومة، القطار الخارج عن خطه.. [اذا كنا لم نحقق ذلك على الوجه الذى تقتضيه السريالية] فكيف [إذاً] يراد منا أن نظهر شيئا من رقة بل نستعمل التسامح ازاء جهاز محافظة اجتماعية، أيا كان هذا الجهاز؟ ان ذلك سيكون الخرف الوحيد الذى لا يقبل من جانبنا. كل شيء بانتظار العمل، ويجب ان تكون الوسائل كلها صالحة للاستعمال فى هدم افكار العائلة والوطن والدين.

ان موقف السريالية فى هذه الناحية معروف جيدا، ويجب ان يعلم كذلك انه لا يحتمل اية مصالحة.

وهكذا تجمعت العوامل فكان ان طرد آرتو وكاريف وديلتيل وجيرار ولمبور وماسون وسوبو وفتراك. ومضى بريتون يشرح اسباب طردهم ويناقش المعترض منهم، وقد اطال فى ذلك وكان حادا شديد اللهجة متعاليا. ولم يتأخر عن أن يعزو اليهم ضعف سرياليتهم منذ البداية فهم فى عداد الانذال والمنافقين والوصوليين وشهود الزور والنمامين.

ثم استعاذ بالشيطان ان يحرس له الفكرة السريالية من كل سوء... تلك الفكرة التى ترمى - بكل بساطة - الى الاسترجاع الكلى لقوتنا النفسية بوسيلة الهبوط الهائل المدوخ الى ذواتنا والانارة المنهجية للاماكن الخفية، والتعتيم المتزايد على الاماكن الاخرى، والتنزه الدائم فى عمق المنطقة المحرمة: ولا تخشى فعاليتها انتهاء (أو نفادا) طالما ان الانسان سيصل الى ان يميز حيوانا من نار او من حجر.

ورأى ان ينتقل الى الحديث عن الموقف السياسى والفنى والجدلى الذى يصبح موقفا فى نهاية عام ١٩٢٩. لقد بدأت السريالية تسهم فى النظام الاجتماعى والسياسى فعاب عليها العائبون ذلك، بمعنى انهم رأوها خرجت عن دائرتها التى يجب أن تكون - كما هو مفهوم - محصورة بالعالم النفسانى

(متميزاً من العالم الاجتماعى) على انه فرق شكلى، والا فلا يمكن الوقوف عند الجانب النفسانى وحده لان ذلك يؤدى الى الضمور والانتهاء.

اننا لا نستطيع تحاشى ان نلقى على انفسنا بالوجه الاكثر حدة قضية النظام الاجتماعى الذى نعيش فى ظله، اقصد قبول هذا النظام او عدم قبوله.

إن السريالية، اذا كان من أخص وسائلها التصدى لمعالجة قضية الواقع وغير الواقع، والنفع واللانفع، الخ، فان لها مع المادية التاريخية هذا التشابه فى الميل، على الاقل، بأنها تنطلق من الاجهاض الضخم للنظام الهيكلى. كيف يمكن القول ان المنهج الجدلى لا يصلح للتطبيق الا على القضايا الاجتماعية؟

إنه، اذا كان لا يرى الاقتصاد وحده كافيا، فانه يرى الجدلية تنفع السريالية، وماذا يمنع السريالية من ان تنتفع بالجدلية مع السير وفق منطوقها لدى البحث فى قضايا الحب والحلم والجنون والفن والدين؟

ثم ندد ـ طويلا ـ بالانتهازيين الذين يتقلبون بالمبادىء ويرون الفكر دولابا يتحول مع الريح، وآلمه ان يجد اناساً انتهازيين، عرفتهم السريالية جيدا، ومضى يعدد اسماءهم، وهو يعالج الموقف السياسى، قوله: ان لا يوجد فى فرنسا (ولا فى غيرها) ادب بروليتارى بالمعنى الصحيح. وحجته فى ذلك أن أدباء فرنسا نشأوا نشأة بورجوازية، وليس فيهم اديب من اصل بروليتارى. اما البروليتارى بالفكر، فانه لا يستطيع ان ينتج الادب البروليتارى المطلوب.

وهو اذ يتحدث عن الموقف السياسى يخص تروتسكى باعجابه ويستشهد بأقواله... حتى اذا قارب الانتهاء من حديثه ذكر ماركس فى السياسة وقال: ان الاحداث ـ بعده ـ أيدت صحة آرائه، وذكر للسريالية لوتريامون (صاحب اناشيد مالدورور) وقرر أن أناشيده احتفظت بصحتها.

ثم عاد الى مبادىء السريالية الاساس، فأسف على ان الجهود التى بذلت فى «الكتابة الآلية» (الأوتوماتيكية) وحكايات الاحلام لم تكن كافية، لان هاتين الوسيلتين تهيئآن للسريالية مجالات «منطقية» خاصة لا تستطيع الملكة المنطقية الممارسة المحصورة بحالة الوعى أن تتصرف بها.

واذا كانت السريالية ـ هنا ـ تحترم جهود فرويد ـ كما احترمت آراء ماركس فى السياسة ـ فانها تفرق، لدى استقصاء الحالات الفنية، بين نتائج يصل اليها أطباء ونتائج يصل إليها سرياليون (فنانون).

ودعا الى دراسة «الالهام» الذى نتعرفه، دون عناء، بالحالة الذهنية التى تمنع ان تكون ـ فى اية مسألة تعرض ـ لعبة لحل عقلى دون حل عقلى آخر، وبهذا الانقطاع ـ وشبه الانقطاع ـ فى التيار الذى يقع بين فكرة وردها، كما يجرى فى عالم الفيزياء. وقد عملت السريالية، فى الشعر والرسم، المستحيل لمضاعفة هذه الانقطاعات.

إن الكتابة الآلية (الأوتوماتيكية) وحكايات الاحلام تكون الوسائل الوحيدة التى تجهز الناقد، فى الميدان الفنى، بعناصر تقويم (تقدير) الاسلوب العظيم، اذا ما بدا (ذلك الناقد) يائسا. وهى تسمح باعادة تصنيف عام بقيم غنائية (وجدانية) وأن تقدم مفتاحا قادراً، بغير تحديد، على فتح هذه العلبة ذات العمق البعيد المسماة الانسان.

ورجع الى الحديث عن الذين فقدتهم السريالية. واذا كان هناك من تشدق بأنه هو الذى طردهم فانه يعلن ـ هنا ـ أسفه لفقدانها دسنوس الذى ادى اعمالا ضرورية لا تنسى وخلف آثاراً يستشهد بها، وأسف اذ هجر السريالية وعاد الى الصحافة

والمنطق والواقعية والشعر ذى التفعيلات، وتألم كثيرا اذ أساء ـ هو وآخرون ـ الى اسم لوتريامون باطلاقهم عنوان كتابه (مالدورو) على ملهى حقير.

ثم عرض لدوشان وربمون دسينى، وعمل على انصاف رجل «انقطعت صلتنا به سنين طويلة... وشواغله ليست غريبة عنا» هو تزارا «اننا نؤمن بفعالية شعـر تزارا... الوحيد خارج السريالية، الذى فى موقفه الصحيح».. واعترف ـ بهذه المناسبة ـ بقرابة شديـدة بين رانبـو والسريالية، وان الح الى ضيقه بالاهتمام الزائد الذى يوليه دومال برانبو.

وعـرض للخيـال والصورة (اللوحة) وقال: اننا نحاول، بعد قرون من عبودية للفكر ومن استكانة حمقاء عتق الخيال، نهائيا، بالتشويش الطويل الهائل المتعمق لجميـع الحـواس. وليفهم جيداً، ان الامر ليس مجرد اعـادة تجميـع للكلمات أو اعـادة توزيـع حسب الهـوى للصـورة البصرية، لكنه اعادة خلق لحالة لا يكون لها ما يحسد عليه من الجنون.

وعاد الى «الاسماء» يقلل من شأن رانبو لتراجعه، ويـرفـع من شأن لوتـريـامون وأشار الى المبعدين: دسنوس، لاريس، لميور، ماسون، فتراك، ربمون دسينى.. وعرج على ساد ولم يكن راضيا عنه كل الرضا.. وانتهى الى موقف جازم خلاصته ان المرء اما ان يكون سرياليا او لا يكون، أن يؤمن بأن بعض الامور غير الموجودة يمكن جدا أن تكون موجودة... عليه ان يؤمن بذلك... فاذا أخفق فى مسعاه... فلينتحر مختارا.

١٥ السريالية بعد البيان الثاني

اعاد بريتون ـ بعد قليل ـ طبع البيان الثانى فى نشرة مستقلة (Kra ـ ١٩٣٠) ولم يبق معه من ممثلى السريالية الا اراكون واليوار. واذا كان قد حول اسم مجلته من «الثورة السريالية» الى «السريالية فى خدمة الثورة» ١٩٣٠ ـ واستمرت ثلاث سنوات ـ فانه لقى هجمات جديدة من مجلة «اللعب الكبير» التى اسسها بعض مشـايعيه القدامى (امثال رنيه دومال) الذين ينظرون الى السريالية من الطريق التى فتحها رانبو تحت مظهرها الفلسفى السرى الصوفى». وتميز العام نفسـه بخـروج اعضاء آخرين، غير الذين ذكرهم البيـان، مثـل بريفـير وكينـو. واجتمـع عدد من السـريـاليين السابقين ـ هؤلاء ـ وكتبوا ضد بريتون كراس هجاء نشروه بعنوان «جثة».

وكـان أراكون يبتعد شيئا فشيئا عن السريالية، ونشر سنة ١٩٣١ قصيدته «**الجبهة الحمراء**» فوقفت الحكـومـة الفرنسية ضده وهددته بالتوقيف وعملت على محاكمته.. ولكن بريتون لم ير ـ فى هذه الحال ـ ان يقف بعيدا عن اراكون، «فهب يقود الدفاع عنه يدعمه اتباعه، محتجا بالنظرة السريالية المحكمة التى تقـول انه ما دامت القصيدة كشفاً للاشعور، فمن المستحيل ان يكون الشاعر مسؤولا عنها» لكن الذى حدث ان اراكون، «فى ختام هذه القضية انسحب.. من السريالية».

ازدادت علاقة السريالية بالشيوعية سوءاً يوما بعد يوم، حتى اذا كان عام ١٩٣٣ طرد الحزب الشيوعى كريفيل وبريتون واليوار وبيره.. فمضى بريتـون يدعـو الى فن يحمـل فى ذاته القوة الثـوريـة ووحـدة الشعر ـ الفعل، ولم يثبط خروج الخـارجـين عنـه وعليـه همته فى الاستمرار والبحث ومواصلة العمل الابداعى وتوسيع النفوذ خارج حدود فرنسـا، فكسبت الحـركـة شخصيات جديدة مدتها

بعنـاصـر الحيـاة والقـوة من امثـال: بونـل، شار، سلفادور دالى.

اجل، «اذا كانت السريالية فى سنة ١٩٣١ قد خسرت وجها مهما من وجوهها [يقصد اراكون] فانها كسبت نابغـة من اسبانيا، هو سلفادور دالى [وقد راينا بدء صلته بالسريالية سنة ١٩٢٨] الذي كان بمثـابـة «الـولـد الـرهيب» للحركة... كان دالى سرياليا بالفطرة، قبل ان يصير عضوا سريالياً رسميا فى باريس... وتقبل فى حماسة زعامة اندره بريتون والمبادىء الاساسية التى جاءت فى البيانين.

وقـد اضاف دالى اصطلاحا جديدا الى اللغة السريالية، هو اسلوبه الخاص الذى دعاه النقد المبنى على الهلوسة. وكان يؤكد دوما انه اقرب الى المجنون منـه الى المـاشى فى نومـه.. والمهتلس هو الانسان الذى يبدو فى مظهره معافى وسلوكه سوى، غير أنه فى دخيلتـه يحور الكون وفق ما تقتضيه رغباته بسلطان هذه الرغبات».

وازداد نشاط السريالية فى العالم. وفى عام ١٩٣٣ كانت جماعـات سريـاليـة فى جيكـو سلوفـاكيـة، وسويسرة، وانجلترا، واليابان. وقامت فى عدد منها معـارض سريـالية.. وفى آب ١٩٣٥ قطع بريتون علاقتـه نهائيا بالحزب الشيوعى.. وفى عام ١٩٣٨ كان «المعرض العالمى للسريالية فى باريس: كاليرى الفنـون الجميلة. فكان هذا المعرض «بمثابة القمة السريالية، اذ اشترك فيه سبعون فنانا من اربع عشرة دولة».

سافر بريتون ـ بعده ـ الى المكسيك حيث التقى بليـون تروتسكى وألّف وإيـاه: الاتحاد الامى للفن الثـورى المستقل. «ثم جاءت الحرب تشتت شمل السـريـاليـين، فجنـد بريتون واليوار وبيره فى بداية الحرب عام ١٩٣٩».. وفى عام ١٩٤١ سافر بريتون الى نيويورك «حيث انقطع ما بينه وبين دالى نهائيا، وهناك انشأ ـ هو ودوشامب وماكس ارنست ـ المجلة السـريـالية (VVV) النجمات الثلاث).. وبقى معظم السرياليين الاخرين فى فرنسا».

وفى نيويورك اقام بريتون المعرض السريالى، ونشر سنة ١٩٤٢ مقدمات تصلح ـ او لا تصلح ـ لبيان سريالى ثالث اوضح فيه ما اكتنف السريالية من سوء فهم وتفهم كاد يخرجها عن حقيقتها على ايدى اناس ليسوا منها. شأنها فى ذلك شأن كل فكرة عظيمة اذ تكون «معرضة لتشوه خطير من اللحظة التى تتصل فيها مع الكتل البشرية حيث ستنسـاق الى التـآلف مع اذهان يباين قياسها جدا قياس الذهن الذى تولدت عنه» وضرب على ذلك امثلة: الثورة الفرنسية، رانبو، فرويد، وقال: حتى السريالية ذاتها، تتربص بها، بعد عشرين عاما من وجودها، الشرور التى هى ثمن كل خطوة وكل شهرة».

وكرر ادانة عدد من السرياليين.. ومجد من كان سابقا لهم مثل ابولينير، او من لم يكن من السريالية: فهناك اهل غينا الجديدة.. وهناك صديقى سيزر.. يكتب القصـائـد التى تلقى نجـاحهـا الآن فى المـارتينيـك.. ودعـا الى وقف استغـلال الآلـة للانسان. واعترف أن خط (التكريم) شديد التعرج يمـر بـ... روسـو وسوفيت وساد... واوتريامون وانكلز وجارى..

وظـل ينادى بالحرية، ويدعو الى التزام جانب الجديد، ويبين الخدمات التى قدمتها السريالية للغة عن طريق الكتابة الآلية (الاوتوماتيكية) التى ابعدت الـغـرض الـنفعى والقصـد المنطقى. واذا كانت «المنـاجاة الباطنية» فى نظام جويس قد اشتركت مع السريالية (الكتابة الآلية) فى صفة التمرد فان هناك فرقـا بين النهجين: نهج جويس فى مقـابـل تيار

الاستدعاءات الواعية الخادع يجهد ليجعله التقليد الاقرب شبها بالحياة، ونهج السريالية الذى يقابل ذلك التيار بسروب نبع ليس الا ان نسبره عميقا فى ذاتنا، لكن ما ان نتعرض لتوجيه مجراه حتى يجف فوراً، هذا النبع لم يكن من شىء قبل السريالية.. فلم يكن الغرض استعمال توارد الافكار المنطلق لتأليف عمل ادبى.. يفترض مواظبة الرجوع الى الاختيار. وانما الغرض هو العثور على المادة الخام للغة.. ان حاصلات هذه الكتابة الآلية قد سلط النور على المنطقة التى تقوم فيها الرغبة غير المقيدة التى هى ايضاً المنطقة التى تبدأ منها التخيلات الخرافية فى الانطلاق».

ووقف عند مفهوم الصورة الشعرية «ومعروف انها - اى السريالية - رأت فيها وسيلة الحصول، فى ظروف استرخاء كامل، لا فى ظروف تركيز ذهن بالغ، على بعض لمحات نارية تربط بين عنصرين من الواقع فى درجة من التباعد ما كان للعقل معها ان يقارب بينهما..» وهو على هذا يرى «التشبيه» مفتعلا، واعيا مصنوعا.

عاد بريتون فى ايار ١٩٤٦ الى باريس مواصلا الجهد وبث الحياة فى الحركة ودفع «التهمة القائلة بأن القضية السريالية قد همدت ودفنت» وكان جهده نشراً للفكر، وابداعا فى الشعر، وصحافة، وإعادة طبع، ومعارض. وقد رتب المعرض السريالى الثانى فى باريس الذى اقيم باشراف مارسيل دوشان وبريتون بحيث يبين تاريخ الحركة، وفتح المجال واسعا «للآثار المستوحاة من الشعر البدائى».

وانضم بريتون الى مؤسس حركة الجبهة الانسانية التى تحولت بعد عام الى اسم مواطنى العالم، وانتمى سرياليون الى جماعة المثقفين ضد استمرار الحرب فى افريقيا الشمالية. ثم كان بريتون بين الـ ١٢١ توقيع الاولى عن حقوق الانسان فى حرب فرنسا مع الجزائر.. واشتبك فى نقاش حاد مع الوجودية، ومع كامو على وجه الخصوص... استمر كذلك ليبرهن على بقاء السريالية فى الوجود حية قوية.. وكأنه يحس بأنها لم تعد بالقوة التى كانت عليها.. وفى ٢٨ ايلول ١٩٦٥ توفى فى باريس.

واذا كانت السريالية قد ضعفت حركة وتنظيما.. فانها لم تمض - شأن المذاهب الكبرى الاخرى.. دون ان تترك آثارها فى الحياة والفن والشعر والنقد.. هناك وهنا.. لدى سرياليين وغير سرياليين.. راضين وساخطين.

١٦ الخاتمة

حين وفد العرب على الغرب... او وفد الغرب عليهم... ووقعوا على هذه المصطلحات فى الكلام وفى الكتب (لدى الفرنسيين خصوصاً) عملوا - منذ اواخر القرن التاسع عشر - على فهم ما يلاقيهم منها، وعلى تفهيمها فكيف يوصلونها الى بنى قومهم؟ لابد من ترجمة او محاولة الترجمة فى الاقل.

جربوا ان يترجموا الـ Classicisme بالمدرسية او بالاتباعية، او بالتقليدية او بالاصولية - وربما بكلمات اخرى. فلم ينجح شىء من ذلك. وربما كانت «الاتباعية» اكثر ما استطاع ان يقترب من حافة النجاح. ثم لاذوا بالتعريب، فكانت الكلاسيكية (مصدراً صناعيا) والكلاسيكى نسبة وصفة)، وشاعت وذاعت. ولكن، من العارفين من دعا الى رفع الكاف الثانية التى هى للنسب والوصف فى اللغة الاجنبية، ولا لزوم لها فى الكلمة العربية بعد وجود حرف النسب العربى (الياء) فقالوا: الكلاسية والكلاسى. ووجد الاقتراح عددا من السامعين، ولكن السيادة ظلت للكلاسيكية والكلاسيكى.

وارادوا أن يترجموا (romanticism) romantisme فحاموا حول كلمات من الرومانية والابتداعية والانطلاقية . . فما ثبتت كلمة من ذلك على الاستعمال . وان تميزت الابتداعية بعدد من الاشياع . وقالوا : الرومانتزم والرومانتسم ولم ينجح القول . . . الى ان استقرت الحال على التعريب : الرومانتيكية والرومانتيكى ، ومن الناس من فضل الرومنطيقية والرومنطيقى . وعاد العارفون الى الرومانتيكية والرومانتيكى يعترضون على الكاف ويريدونها : رومانتية ورومانتى ، ولم يعدموا سامعين ولكن السيادة بقيت للرومانتيكية والرومانتيكى . ولم تدم هذه السيادة ، فقد وجد منافس جديد هو الرومانسية والرومانسى ، ولكل من الطرفين حججه ، وظل الاستعمال مزدوجا ، وربما غلبت الرومانسية والرومانسى على ألسن الشباب واقلامهم ، وقد يعود ذلك الى سهولة اللفظ اكثر من التدقيق فى التعليل اللغوى .

واذا كانت الـ realisme والـ naturalisme مما يختلط على الغربيين انفسهم فيدخلون هذه فى تلك ويعممون تلك على هذه . . فالاولى ان يشمل هذا الاختلاط العرب . ويبدو ان العرب عرفوا الروايات التى تقع تحت هذا المذهب او ذاك - عرفوها مجتمعة - اكثر من - او قبل - ان يعرفوا المصطلح ودلالته . انهم قرأوا آثار هؤلاء وهؤلاء : زولا ؛ فلوبير، كونكور، بالزاك، موبساسان . . . فنظروا فيها فرأوها تعرض حقائق الموجودات ، بعيدة عن الخيال . فنسبوها الى مذهب الحقائق وسموها بذلك . وربما قالوا ناتورالزم وريالزم (ريالسم) . . ثم اتضحت الاشياء على وجه اكمل وتوالت التجارب والوقوف على الاصل فرأوا أن يعودوا الى الجذر، وهو سهل جدا ، لوجود المقابل العربى له ، ففى اللغة العربية : الطبيعة مقابل nature وليكن منها مذهب - على سبيل الترجمة - الطبيعية naturalisme ، وفى العربية الواقع مقابل realite فليكن المذهب منها : الواقعية realisme وسارت الكلمتان وكأنهما وجدتا هكذا فى المعجم العربى .

البارناسية فهى غير متعبة لانها منسوبة فى الاصل الى علم (هو جبل : بارناس) . وقد فضل العرب ان يقولوا : برناسية .

واذا وجدت realisme مقابلها : الواقعية ، سهل الامر لترجمة الـ realisme مرتبطة بدلالات اخرى من اهمها : le (critical realism) realisme critique فهى الواقعية . الانتقادية (أو النقدية) واما الـ (socialist realism) realisme sicialiste فهى الواقعية الاشتراكية وفى الـ symbolisme ربما قالوا - اول الامر - سمبولسم (سنبولسم) ولكن لا موجب الى هذا الاستعمال الاجنبى وجذر المصطلح كائن فى لغتنا وهو: الرمز مقابل symbole فهى - اذا - الرمزية - على سبيل الترجمة ، وكما اشرب الغرب كلمته دلالة جديدة عمل العرب على ان يشربوا كلمتهم هذه الدلالة . وسارت اللفظة وكأنها من صميم اللغة العربية الا عند نفر بقوا معها عند الدلالة المعجمية القديمة او عندما تدل عليه الحكايات - حكاية الحيوان - من شؤون البشر الذى هو عند الغربيين . allegorie

اما فى الـ dadaisme ، فاذا كان اهلها انفسهم قد اختاروا كلمتهم dada لتكون فارغة من المعنى ، فالاولى بمن يأخذها عنهم ان يحتفظ لهم بالفراغ ويستعملها تعريبا . وهنا قد يأخذ التعريب (للمصدر الصناعى والصفة والنسب) طريقين ينظر واحد الى الكلمة الاصل وهى dada دادا فيحذف الالف ويقول دادية ودادى ، وينظر ثان الى المصطلح كاملا dadaisme (ويرى ان الغربيين انفسهم وضعوا trema (i) لئلا يُلفظ حرفا العلة حرفا واحداً) فيقول دادائية ودادائى .

ورأى اللغويون فى الـ surrealisme ان يقطعوها الى اصولها وهى sur ويقابلها فى العربية فوق و realisme وقد فرغوا من مقابلتها بالواقعية فهى اذا ـ فوق الواقعية. واستساغ ذلك قوم وجروا عليه. ولم يستسغه آخرون، ولعلهم استثقلوه واحسوا بنوع من التكلف ففضلوا التعريب وقالوا: سريالية، وهو الاستعمال الذى شاع وساد وربما قالوا: سوريالية.

هو موقف العرب من المصطلحات المذهبية (ترجمة وتعريبا)، وقد عرفنا ـ من قبل ـ الدلالة الأصلية لأى منها زمانا ومكانا واعلاما وسمات خاصة جدا: الكلاسيكية (الكلاسيكية الجديدة)، الرومانتيكية، الواقعية (والبارناسية والطبيعية، الرمزية، السريالية (وقبلها الدادائية). .

وهذا الاستعمال هو الذي يجب ان يحترم، وان يمارس فيه المرء المصطلح، فاذا قرأ ـ او كتب او نطق ـ الكلاسيكية كانت ذات دلالة محدودة معروفة متفق عليها: صوفوكليس كلاسيكى (يونانى)، هوراس كلاسيكى (رومانى)، راسين كلاسيكى (من الكلاسيكية الجديدة فى القرن السابع عشر، وقد استغنى عن «الجديدة» بمر الزمان اكتفاء بالذى صار مشهوراً من أمرها)، لامارتين رومانتيكى، فلوبير واقعى (بالزاك يتنازعه المذهبان) لكونت دليل بارناسى، زولا طبيعى، موريناس مؤسس الرمزية مصطلحا، رانبو ممهد للرمزية، تزارا دادائى، بريتون سريالى. .

واهل المصطلحات يعرفون الدلالة جيدا لانهم يدرسونها ولانها جزء من كيانهم. ويجدر بنا ان نكون على علم اكيد بها فليس من حقنا جهل ما يعرفه الآخرون اذا اردنا الاقتراب من تراثهم او التصرف به. . حتى اذا انتهينا من هذه المرحلة الاساس ـ وهى التى قام هذا البحث عليها ـ امكننا الخروج قليلا عن الدائرة الضيقة شرط ان يكون ذلك بالحدود التى يخرج بها اهل المصطلح وبحذر، وهم اذ يخرجون، يخرجون عن علم بالاساس، ويأتى توسعهم على سبيل المجاز فى طلب عموم الدلالة (للحياة اليومية) بعد ضبط خصوصها.

فهم قد يقولون كلاسيك ويقصدون القديم مطلقا، او الخالد اذا ارادوا المدح، والعتيق (البالى) اذا ارادوا الذم. ويقولون فلانة رومانتيكية بيانا لغلبة العاطفة والخيال عليها، وقد يكون ذلك مدحاً «بالمثالية» حينا، وذما بالغرق فى الاحلام والاوهام. ويقابل ذلك لديهم ـ فى هذه الحال ـ الواقعى أى العملى، العارف بشؤون الحياة، وحيلها كما هى ومن ثم يتصرف على منطوق فهمه. والرمزى قرين الغموض، والسريالى قرين الفوضى واللامنطق والغرابة عن المألوف وقلب الاشياء رأسا على عقب. .

ونحن، يمكن ان نقول هذا، بالدرجة التى هم عليها من العلم والحذر، مع زيادة منها تقتضيها غربتنا عن الشىء. ولكن الذى حدث اننا بالغنا، وخرجنا حتى عن حدود الغرب نفسه، مع نسيان ـ او جهل ـ للمنطلق الاول. وربما حسبنا التصرف بهذه المصطلحات ـ بدافع من شعور بالنقص ـ ضربا من التميز ـ والتعالم، فقال قائل ـ وهذا من أبسط ما قيل: امرؤ القيس كلاسيكى، جميل بثينة رومانتيكى، ترى ماذا يقول فى أبى تمام خصوصاً بعد ان كان البارودى من الكلاسيكية الجديدة اما ابن الفارض فرمزى. . وهذه امور لا موجب اليه وهى تجور على المفهوم وتربك الناشىء العربى عندما يجابه الحقيقة ويوضع

وجهـا لوجـه ازاء الادب الغـربى تاريخـا ونقـدا. . ومجتمعـا، ولا يبعد ان تسد عليه جوانب من نوافذ الفهم الصحيح اذ يحاول أن ينطلق مجددا.

إننا يمكن ان نفيـد من المصطلحات الغربية حيث توجد للاديب العربى المعاصر علاقة بها كأن يكون قرأ من نصوصها وأعجب بها وبـالاراء حولها، وتأثر. . وهنا لا نقول: الياس ابو شبكـة رومانتيكى وانها نقول متأثر بها: وان يوسف غصـوب متأثر بالرمزية. . . ويمكن ان نبحث آثار السريالية فى الشعر الجديد. . . وهكذا. . . والتأثر شىء والانضـواء تحت مذهب شىء، ولا يكـون الانضواء - كما رأينا - الا فى ظروف خاصة لبلد معين فى زمن معين. .

ونعود الى المذاهب الادبية عند اهلها، ونرى ان قولهم: **فلان كلاسيكى. . وسـريالى. .** يعنى اولا ان فلانا هذا وجد فى عصر بعينه وانتمى الى مذهب بعينه. كان هذا المذهب جديدا، ولم يكن له فى بدايته اسم، فان الاسم يأتى - عادة - متأخـرا، وهـو أحيانا مما يلصقه الاعداء به. . كان المـذهب جديـدا، وكان الاديب منه مجددا، مخالفا لمسلك سائد صار قديما، ولم يعد صالحا للعصر بعد ان استنفد طاقته وظرفه، وجد من الامر ما به حاجة الى مذهب جديـد يعـرب عنه. وقل: ادبٌ جديد يظهـر وينـافس ويعـادى ويشتبك فى معركة القديم والجديد، وينتصر اذا كان مستوفيا شرائط الحياة. .

ثم يمضى . . . وهكـذا . . . مخلفا جوهره وعـبرتـه. . عبرتـه فى كونـه ابن ظرف بعينه، تزول قشوره بزواله. ومن الباحثين من يربط بين الفلسفة والمذهب الأدبى. والربط ممكن بل انه اكثر من ممكن لدى النظـر فيما هو ابعد من المظهر اى فى العوامل الاجتماعيـة المختلفة التى أدت الى تشابه وتواصل وتـرابـط بين الفلسفة والمذهب الأدبى اما ان تكون المـذاهب الادبيـة نتيجة لفلسفة من الفلسفات فان ذلـك قد يعنى المبالغة وقد يجر الى التعسف، فقد تكون الفلسفة من الفلسفات عاملا من عوامل انتشار مذهب ادبى من المـذاهب، ولكن مذهبـا ادبيا من المذاهب قد يكون ايضا عاملا فى انتشار فلسفة من الفلسفات، وربما اجتمعت الفلسفة والأدب فى علم مؤثر واحد.

واخشى ان يكـون من مصـادر المبالغة فى هذا الطرف أو ذاك تعصب الباحث الى تخصصه فان كان جماليا (استتيكيا) او فلسفيا جر الادب الى الفلسفة، وان كان ادبيا ناقدا او مؤرخا أو مبدعا جر الفلسفة الى الأدب. . وللجدال فوائده فى سبر الأغوار ولكن للتعصب اضراره فى غمط الحقائق.

امـا جوهـره، ففى عمقـه الانسانى الذى يمد المستقبل بنسغ من الحياة ويفتح له نافذة الى كائن ظل مجهولا او كالمجهول ويهيء - بعد ذلك - فرصة لكشف جديد، يزيد هو وسابقه سعة فى الأفق ويسرا فى الاستثمار وبحثا عن جديد. وهذا الجوهر هو الذى يدل الباحثين الجدد على سمات تقع خارج الظرف الطارىء فى ادب امة المذهب او فى ادب امة اخرى تبعد عنها زمانا أو مكانا.

ولا يعنى قولهم: كلاسيكى . . . الخ مدحا او ذما، فقـد يكـون الاديب كلاسيكيا وهوكبير، وقد يكون كلاسيكيـا وهـو صغـير، ومثله الـرومـانتيكى. . والسـريالى. . بل ان الذين يخضعون خضوعا تاما مطلقا لمتطلبات مظهر المذهب هم ضعاف الادباء من اى عصر، يتخذون من الانتماء اليه عامل تقوية ومن التشبث بالقشور سبب اسناد. وكم وكم من شعراء صاروا رمزيين، وهم رمزيون فعلا من حيث ظاهر السمات، ولعلهم اكثر من غيرهم ضجيجاً وادعاء ثم مضوا ولم يخلفوا ذكراً او اسما. حتى انك لا تكاد تجد

مساحة للضوء

اسما يذكر وهو على نقاء من الرمزية . فان هنرى رينيه ـ مثلا ـ الذى مال به كتاب «لانسون» المعدل الى ان يكون رمزيا تماما ، احترس «كالفة» وذكره مع الرمزيين الذين لم يكونوا رمزيين فقط .

اما ذكر بول فاليرى واندره جيد وبول كلود فعلى قاعدة غنى المذهب بامتداداته .

ان قولك فيكتور هيكو رومانتيكى يعنى انه وجد فى زمن معين مع جماعة معينة يلتقون بصفات معينة . وليس فى هذا ما يرفع شأنا او يعلى مجداً او يحفظ ذكرا . . وانما صار فيكتور هيكو بمقدار ما له من شخصية خرجت به عن الدائرة المحدودة ، وما له من موهبة حفظت له البقاء على الزمن ، وعلى اختلاف المكان بعد زوال المذهب وبعد ان وجد ـ وزال ـ اكثر من مذهب . وانك لا تستطيع ان تقيم بحثا مكتملا على «**رومانتيكية جديدة**» مع اواخر القرن التاسع عشر . ولا تكفيك مسرحية «**سيرانود برجراك**» سندا .

لقد باتت «المذاهب» تراثا لها ما للتراث وعليها ما عليه : وفى التراث البالى الذى تنتهى قيمته بانتهاء ايامه ، والعالى الذى يستمر سراً او علانية .

وهكذا حسن الا يزيد اهتمامنا بالمذاهب اكثر من العلم بها كما هى فى ظروف نشأتها وسماتها العامة ودلالتها الاصطلاحية (او استعمالها المجازى) لنحسن استعمالها فى الكلام والكتابة ، ولنفهم الغربيين عندما يضمنا واياهم مجلس او كتاب (ولنعقب على كلامهم ، وقد نصحح لهم خطأ لانك لا تعدم فيهم من يجهل او يضطرب . .) ، ولنقف على سلسلة التطور ، ونفيد من الاعماق التى اضافها المذهب .

ولا بأس فى ان نعجب ، ولم لا؟ والخالد من المذهب فوق المذهب واكبر منه ، وأن نتأثر ، ولم لا؟ والخالد انسانى لكل زمان ومكان . اما الفخر بالتمذهب باسم من الاسماء فذلك جهل لا يلبث ان يلقى بصاحبه فى خضم البائدين من المذهب .

ان الغربيين انفسهم لا يحاولون بعث الهالك ، فلا تجد منهم من يريد ان يكون كلاسيكيا بعد ذهاب الكلاسيكية او رومانتيكيا بعد زوال الموجة . . او واقعياً . . او رمزيا . . او سرياليا . ولعل أقصى ما تجده عندهم وصف متأخر بصفة من صفات المتقدم كان يقال فى «عبارة» اندره جيد انها كلاسيكية . **فلِمَ يحاول الشرقى مالا يحاوله ابن المذاهب نفسها؟ ولِمَ يفخر بما لم يعد مفخراً للغربى نفسه؟** .

وقد نكون احوج من الغربى الى تأمل ثمرات المذاهب ، اجل ، وقد ، ونكون ، لان الغربى سبق ان اغنى تجربته بها . اما نحن فلسنا فى غنى عن ذلك . فلنتأملها ، ولكن فى حدود ما بقى فيها من عنصر الغنى الانسانى وفى حدود ما نجد فيه انفسنا ، أو بعضا من انفسنا لم يسبق لنا تحقيقه ـ او تحققه ـ فى الذى بين ايدينا . ولابد لمن يسمح لنفسه بشىء من التصرف من ان يكون ذلك على مستوى الغربى المختص ليأمن العثار ويبلغ الصواب وينفع القارىء ومن هنا كان اهتمامنا ـ هنا ـ «بالمذاهب الكبرى» التى اتضحت معالمها وخلد الحديث عنها اذ اتصلت بالكيان الانسانى فكراً ونفساً وفناً . . وأدباً .

وبعد

فأحسب اننا ـ نحن من شرقيين وغربيين ـ لم نعد اليوم ـ فى عصر المذاهب الادبية . واذا بذلت محاولات فان التكلف باد عليها او انها لا تخلو من دافع غير أدبى ـ وربما غير انسانى . . ثم لا تلبث تلك المحاولات ان تكون بين امرين : التراجع والاضمحلال وغلبة العائبين عليها ، او التوسع الزائد الذى لا يكاد يبقى صلة بين ما كان وما هو

كائن، وان ابقى فخيط دقيق او رقيق يقطعه المرء امانة او خيانة، ويتمسك به صادقا او مداريا. وتجد من الساسة من يريد ان يذهب به أبعد. ومن الأدباء من يعمل على ان يوسع مداه اكثر.

● **آفاق الفكر المعاصر** ـ باشراف غايتان بيكون. بيروت، منشورات عويدات (ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين) ١٩٦٥.
● **الأدب الرمزي** ـ هنري بير، ترجمة هنري زغيب، بيروت، عويدات، زدني علما ١٩٨١.
● **اندريه بريتون والمعطيات الاساسية للحركة السريالية** ـ ميشيل كاروج، ترجمة الياس بديوي، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٣.
● **بلزاك والواقعية الفرنسية** ـ لوكاش، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة(*).
● **بيانات السوريالية** ـ اندريه بروتون، ترجمة صلاح برمدا، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٨.
● **تاريخ الأدب الفرنسي** ـ جوستاف لانسون، ج١ ترجمة محمد محمد القصاص، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة د.ت، ج٢ ترجمة الدكتور محمود قاسم، ١٩٦٢(*).
● **التراجيديا** ـ ينظر ادناه: الكوميديا والتراجيديا، المأساة.
● **تريستان تزارا** ـ تأليف رونيه لاكوت وجورج هالداس. تعريب وتقديم كميل قيصر داغر. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سلسلة اعلام الفكر العالمي ١٩٨١.
● **٣ قرون من الأدب** (الامريكي) باشراف فورستر فوك، اختاره وأشرف على ترجمته جبر ابراهيم جبرا (ثلاثة اجزاء)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة (مع فرانكلين) ١٩٦٧.
● **ثورة الشعر الحديث** (من بودلير الى العصر الحاضر) د. عبد الغفار مكاوي معتمدا على كتاب «بناء الشعر الحديث» لهوجو فريدريش، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١ سنة ١٩٧٢، ج٢، ١٩٧٤ ـ مهم للرمزية.
● **الحركة الانسانية والنهضة** ـ س. درسدن، ترجمة د. عمر شخاشيرو. دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٢.
● **الخيال الرومانسي** ـ سبر موريس بورا، ترجمة ابراهيم الصيرفي، القاهرة، الهيئة المصرية ١٩٧٧.
● **دراسات في الواقعية** ـ جورج لوكاتش، ترجمة د. نايف بلوز، دمشق وزارة الثقافة ١٩٧٠.
● **الرمزية** ـ شمت، ترجمة زهير السعداوي، بيروت دار بيروت، دار صادر، سلسلة المذاهب الأدبية (*).
● **الرومانتيكية** ـ ليليان فيرست، ترجمة عدنان خالد، الموصل ١٩٧٨ ـ تنظر ادناه: الرومانسية.
● **الرومانتيكية في الأدب الانجليزي**، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري ومحمد على زيد. راجعه د. مصطفى بدوى ومحمود محمود، القاهرة، الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٦٤.
● **الرومانسية** ـ ليليان فرست، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة: موسوعة المصطلح النقدى ـ ٢، ١٩٧٨ ـ ينظر أعلاه: الرومانتيكية.
● **الرومانسية في الأدب** ـ فان تيدنه(؟)، ترجمة صباح الجهم، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٨٠؟(*) ولعل المؤلف فان تيغم؟.
● **الرومنطيقية** ـ فان تيغم، ترجمة بهيج شعبان، بيروت، دار بيروت، دار صاور، سلسلة المذاهب الأدبية ١٩٥٦.
● **الرومنطيقية** ـ ف.ل. سولنيه، ترجمة احمد دمشقية، بيروت، منشورات عويدات ١٩٦٠.
● **السريالية** ـ ايف دوبليسس، ترجمة بهيج شعبان، بيروت، دار بيروت، دار صادر، سلسلة المذاهب الادبية ١٩٥٦.
● **سيرة ادبية** ـ تنظر النظرية الرومانتيكية في الشعر.
● **عصر السريالية** ـ والاس فاولي، ترجمة خالدة سعيد، بيروت، منشورات نزار قباني ١٩٦٧ (اعيد طبعه، بيروت، دار العودة ١٩٨١.
● **فلسفة السريالية** ـ فردينان اليكه، ترجمة وجيه العمر، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٨.
● **فن الشعر** ـ ارسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، ط٢، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٣ ـ وتنظر ترجمة د. شكرى محمد عياد في: كتاب ارسطو طاليس في الشعر. القاهرة، وزارة الثقافة ١٩٦٧.
● **فن الشعر** ـ هوراس، ترجمة لويس عوض، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ (اعيد طبعه، الهيئة المصرية ١٩٧٠).
● **في سبيل الواقعية** ـ ك. لافريتسكي، ترجمة د. جميل نصيف مراجعة د. حياة شرارة. بغداد، وزارة الاعلام ١٩٤٧ (ط٢، بيروت، عالم المعرفة ١٩٨٢)
● **الكوميديا** ـ مولوين مرشنت، ترجمة جعفر صادق الخليلي، بيروت ـ باريس، عويدات ـ زدني علما ١٩٨٠ ـ تنظر ادناه: الكوميديا والتراجيديا.
● **الكوميديا والتراجيديا** ـ تأليف مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش. ترجمة د. على احمد محمود، مراجعة شوقي السكرى ود. على الراعي. الكويت، عالم المعرفة ١٨، الكويت، مطابع اليقظة ١٩٧٩ ـ تنظر اعلاه: الكوميديا، ادناه: المأساة.
● **المأساة** ـ كليفورد ليج، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤه، بغداد، وزارة الثقافة، سلسلة موسوعة المصطلح النقدى ـ ١، ١٩٧٨ ـ تنظر اعلاه: الكوميديا والتراجيديا.
● **مختارات من الشعر الرومانتيكي الانكليزي** ـ ترجمة وتعليق د. عبد الوهاب المسيرى ومحمد على زيد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩ والكتاب طبعة ثانية للرومانتيكية في الأدب الانجليزي المذكور اعلاه.
● **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا** ـ فيليب فان تيغم، ترجمة فريد انطونيوس، بيروت، منشورات عويدات ١٩٦٧ ـ اعيد طبعه مصوراً مصغراً ١٩٧٥ ـ مرجع اساسي لا سيما في الكلاسيكية. ـ يخف في بحثه للرمزية والسريالية.
● **المسرحية العالمية** ـ الارديس نيكول، خمسة اجزاء، ترجمة عثمان نويه، محمد شوكت حامد، عبد الله عبد الحافظ متولي، شوقي السكرى، نور الشريف. القاهرة، المؤسسة المصرية العامة د.ت (تاريخ ج٥ سنة ١٩٦٦).
● **المصادر التاريخية للواقعية** ـ بوريس سوتشكوف، ترجمة محمد عيتاني واكرم الرافعي. بيروت، دار الحقيقة، ١٩٧٤.
● **معنى الواقعية المعاصرة** ـ جورج لوكاتش، ترجمة د. امين العيوطي، القاهرة دار المعارف بمصر ١٩٧١.
● **النظرية الرومانتيكية في الشعر** (سيرة ادبية لكولريدج)، ترجمة ـ د. عبد الحكيم حسان، القاهرة دار المعارف ١٩٧١.
● **الواقعية** ـ ديمين كرانت، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، بغداد، وزارة الثقافة، موسوعة المصطلح النقدى ـ ٩، ١٩٨٠.
● **الواقعية الاشتراكية في الادب والفن** ـ مقالات وكلمات ترجمها محمد مستجير مصطفى، القاهرة، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٦.
● **واقعية بلا ضفاف** ـ جارودى (بيكاسو، سان جون بيرس، كافكا) تقديم اراغون، ترجمة حليم طوسون، مراجعة فؤاد حداد، القاهرة، دار الكتاب العربي


العدد السادس والعشرون
شعبان ١٤٠٨ هـ
فلسطيننا
للصغار والحجارة
قصة الأرض الفلسطينية
القدس بين احتلالين
مدينة نابلس
فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية
شهاب غانم
حسن شراب
د/ شوقي شعث
كمال شحاده
زياد عوده

ألا بئس ما يضمرون

«بنجامين بتهلايمى» من الأكاديميين الاسرائيليين فى جامعة حيفا يصور فى كتابه الذى صدر حديثا فى لندن حقيقة اسرائيل بقوله:

«إنّ همّ اسرائيل الاكبر هو بقاؤها.. وهى قلقة من عزلتها كما أنها ترتاب فى ولاء أصدقائها.. وإزاء هذا قامت بمحاولات جريئة وأحيانا غُريبة شاذة لاكتساب نفوذ عالمى وقد أصبح هذا النفوذ ملموساً»

نكون أو لا نكون

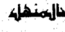
وتدخل الانتفاضة شهرها الثالث.. ويقف الأبطال الصغار.. أبطال الحجارة صامدين متحدين بكل عزم فى وجه أعدائهم الصهاينة.. الألسن تردد من القلوب الصغيرة اليافعة ومن القلوب الكبيرة المؤمنة.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. فوق كيد المعتدى.. الله أكبر.. فوق الغاصب المحتل..

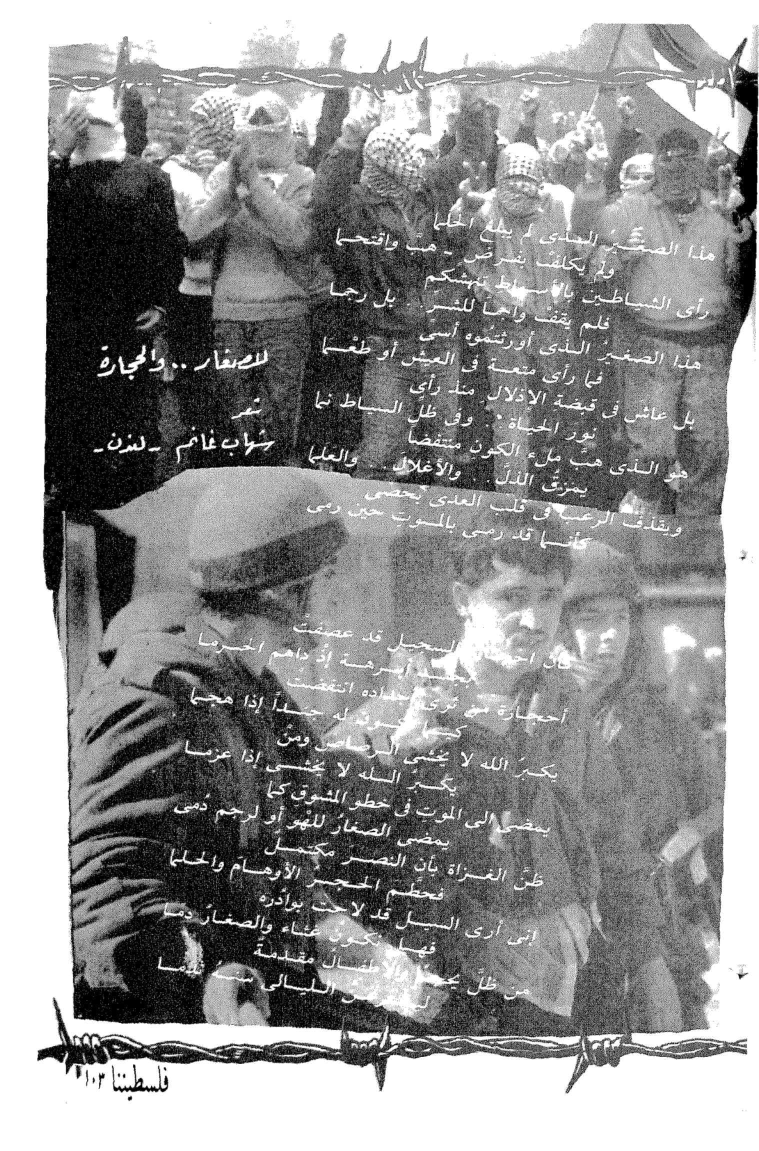
وتحولت القضية.. من انتفاضة حجارة.. إلى انتفاضة تحرير.. أرض ووطن.. وكيان.. تحرير ولا شىء غير التحرير.. ولا شىء غير التطهير..

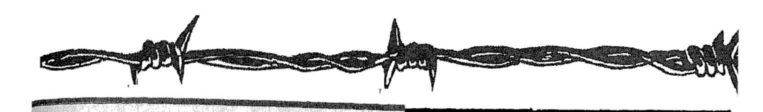
ورغماً عن الممارسات الوحشية الصهيونية.. فالعزم من حديد.. العزم لا يلين.. حتى نزيف الأب.. عويل الأم.. بكاء الأخت.. فى صمود يلخص القضية.. نكون.. أو لا نكون.. وحين تصير القضية.. سادتى.. قضية كيان أو لا كيان.. وجود أو لا وجود.. لا تهم وحشية.. ولا يؤثر عنف..

انتفض المارد الفلسطينى.. من أرض فلسطين.. وبدم فلسطين.. صمم أن يحسم القضية فى (نكون) ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾.

نوجه النداء.. الى كل شاب فلسطينى فى كل مكان.. أرضك تناديك.. القضية حُسمت.. نكون.. نكون يابنى.. وتكون فلسطين.. ويكون مجدك بيديك.. وتكون أرضك بيديك.. ومن كان مع الحق فلن يضيع له حق.. ومن كان مع الله فلن يضيعه الله.. ويجلجل النداء.. الله أكبر.. الله أكبر.. فلسطين بك ولك أنت أيها العملاق..




للصغار .. والحجارة
شعر
شهاب غانم - لندن -
هذا الصغير الذى لم يبلغ الحلما
ولم يكلف بفرض - هب واقتحما
رأى الشياطين بالأسياط تنهشكم
فلم يقف واجما للشر .. بل رجما
هذا الصغير الذى أورثتموه أسى
فما رأى متعة فى العيش أو طعما
بل عاش فى قبضة الإذلال منذ رأى
نور الحياة .. وفى ظل السياط نما
هو الذى هب ملء الكون منتفضا
يمزق الذل .. والأغلال .. والعلما
ويقذف الرعب فى قلب العدى بحصى
كأنما قد رمى بالموت حين رمى
السجيل قد عصفت
بجيش أبرهة إذ داهم الحرما
أجناده انتفضت
أحجارة من ترى
له جندا إذا هجما
يكبر الله لا يخشى الرصاص ومن
يكبر الله لا يخشى إذا عزما
يمضى الى الموت فى خطو المشوق كما
يمضى الصغار للهو أو لرجم دمى
ظن الغزاة بأن النصر مكتمل
فحطم الحجر الأوهام والحلما
إنى أرى السيل قد لاحت بوادره
فهل تكون غثاء والصغار دما
الأطفال مقدمة
من ظل
الليالى



قصة الحلقة الأخيرة

ملخص مانشر

الارض الفلسطينية هذا الوطن المغتصب لم يصمت اليهود يوماً عن افتراءاتهم وأكاذيبهم حول ملكيتهم لها وأحقيتهم بها . . ولتحقيق هذه الغاية جندوا وسخروا كل ما فى وسعهم تجنيده وتسخيره من أموال ومعلومات ومؤسسات . . وبكل أسف انطلت تلك الخدع والأكاذيب على عدد من أبناء الامة العربية ـ بقصد وبغير قصد . . ومن باب أولى انطلت الخدعة على المجتمع الدولى ايضاً . . وهذه الدراسة جزء من دراسات غايتها احقاق الحق وابطال الباطل باسانيده وأدلته وبراهينه . . فالأرض فلسطينية قلباً وقالبا وستظل كذلك باذن الله . . وصاحب الحق لابد ان يسترجع حقه طال الزمن ام قصر . . ولهذا تتوجه هذه الدراسة التى نصل معها بهذا الفصل الى الحلقة الاخيرة منها .

٧ ـ موقف العرب الفلسطينيين من بيع الاراضي واستيطان اليهود :

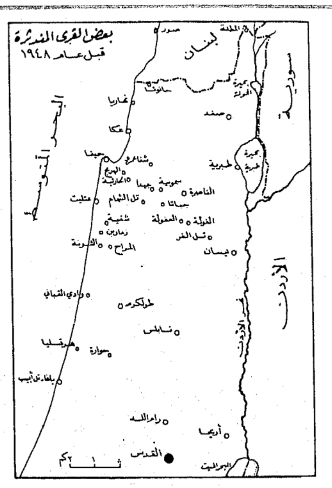
لم يقف العرب مكتوفى الأيدى إزاء هذه القضية، فأعلنوا الحرب عليها بكل ما لديهم من وسائل . . واذكر هنا بعض المواقف التى تدل على الاستنكار الشديد، والمقاومة بكل الوسائل المتاحة :

[أ] ـ كان بعض الفلاحين الميسورين من الفلسطينيين يشترون الأراضى التى يصل الى علمهم أن أصحابها من الفلاحين الفقراء أو من الاقطاعيين يزمعون بيعها الى جمعيات صهيونية، كما أن المجلس الاسلامى الأعلى، تدخل لشراء بعض الأراضى من أصحابها خشية تسريبها الى الصهيونيين، ومع ثقل هذه المهمة وصعوبتها فقد اشتريت فى بعض الأماكن قرى بأكملها مثل قرية «دير عمرو» وقرية «زيتا» التى دفع فى سبيلها ٥٤ ألف جنيه استرليني، وكذلك الأرض المشاع فى قرى «الطيبة» و«عتيل» و«الطيرة» ونهض صندوق الأمة أيضاً واشترى بعض الأراضى من الذين أثقلهم الدين، ودخل فى قضايا كثيرة حتى انقذ أراضى البطيحة وعرقل بيعها وحمى حقوق المزارعين.

[ب] ـ بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب والغزاة الصهيونيين منذ عام ١٨٨٦م، عندما هاجم الفلاحون (المطرودون من قراهم فى الخضيرة وملبس) الغزاة اليهود . . ودفعت هذه الاصطدامات فى عام ١٨٨٧م الى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهيونيين الذين كانوا يدخلون البلاد سياحاً بحيث لم يعد يسمح لهؤلاء السياح بالاقامة أكثر من ثلاثة أشهر بموجب جواز سفر أحمر عوضاً عن جوازهم الأصلى عند



الأرض الفلسطينية



● بعض القرى التى باعها الاقطاعيون الى الصهيونيين فدمرها الاعداء وأقاموا على انقاضها المستعمرات ●

دخول البلاد. . وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى وللدوافع نفسها عام ١٨٩٢م.

■ ـ عندما عُيِّنَ رشاد باشا متصرفاً لسنجق القدس وأبدى محاباة للصهيونيين، قام وفد من وجهاء القدس سنة ١٨٩٠م بتقديم عريضة احتجاج ضده الى رئيس الوزارة العثمانية، كما طالبوا بمنع هجرة اليهود الروس الى فلسطين وتحريم استملاكهم الأرض.

[ج] ـ فى سنة ١٨٩٧م، حارب مفتى القدس محمد طاهر الحسينى، الهجرة اليهودية والاستيطان الزراعى اليهودى فترأس عام ١٨٩٧م هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق فى طلبات نقل الملكية فى متصرفية القدس، فحال بذلك دون حصول اليهود على اراضٍ زراعية جديدة لسنوات عديدة.

[د] ـ وفى سنة ١٩٠٠م قامت حملة جماعية ضد شراء الأراضى، وحدث أن قامت الجمعيات اليهودية بشراء مساحة واسعة من الأرض من عائلة بالقرب من طبرية، فما كان من فلاحى القرى المجاورة إلا أن هاجموا الفنيين الذين جاءوا لمسح الأرض تمهيداً لنقل ملكيتها، وقد نجح العرب بالفعل فى استصدار أحكام من الباب العالى بالغاء بعض الصفقات التى عقدها الصهيونيون فى مطلع القرن العشرين.

[هـ] ـ عندما دعا العرب الى الاستقلال عن تركيا، وجدت هذه الدعوة صدى فى فلسطين، وكان من أهم أهداف الاستقلال عن تركية، الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيونى فى إطار دولة مكبلة بقيود الامتيازات الأجنبية التى كان اليهود يستغلونها.

[و] ـ فى سنة ١٩٠٨م أثار توافد يهود الهجرة الثانية، استياء الفلاحين الفلسطينيين ورافق الاستياء من قدوم المستعمرين الصهيونيين موجة من الغضب على الملاكين الاقطاعيين الذين كانوا يجنون الارباح من بيع الأراضى للصهيونيين.

ففى شهر تشرين الثانى ١٩٠٨م وردت تقارير تدل على أن الفلاحين فى منطقة حيفا وطبرية يضمرون شعوراً من العداء نحو الملاكين العرب أصحاب الأراضى الشاسعة.

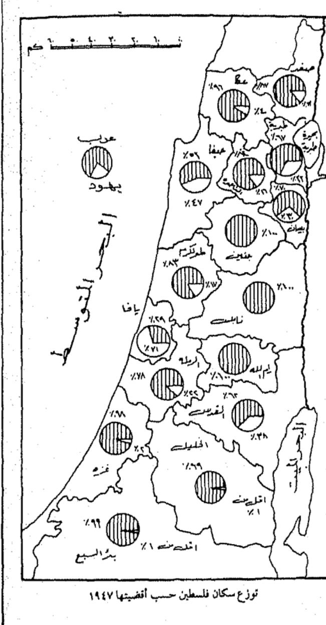


[ز] ـ فى سنة ١٩٠٩م نبه أحد طلبة الأزهر الفلسطينيين فى جريدة الأهرام القاهرية الى أن اليهود كانوا يتبعون وسائل خبيثة ملتوية، كرشوة الحكام العثمانيين وذلك بقصد تسهيل شرائهم الأراضى فى فلسطين.

[ح] ـ بدأت المعارضة أيضاً قوية منذ نشوء الصحافة العربية فى فلسطين، فقد حذرت صحيفتا «الأصمعى» و«الكرمل» من الخطر الصهيونى وكشفت جريدة الكرمل خاصة الخطر الصهيونى على فلسطين.. وأدت شكاوى اليهود من المقالات التى نشرها الكرمل الى اصدار أمر بتعطيلها تعطيلا مؤقتا سنة ١٩٠٩م.

[ط] ـ وفى سنة ١٩١٠م هاجمت الصحف العربية بعض العائلات المعروفة بفلسطين لاعتزامهم بيع قريتى «زفولة» و«عفولة» لليهود. وأرسل سكان الناصرة وحيفا برقيتين الى الحكومة المركزية محتجين فيها على السماح ببيع الأراضى لليهود.. ولم تذهب الاحتجاجات لدى السلطات العثمانية سدى، حيث أدت الى تجديد القيود على بيع الأراضى الى اليهود.

[ى] ـ حرصت فيما سبق على عرض قليل من أمثلة اليقظة العربية فى فلسطين لمخاطر الصهيونية منذ أيامها الأولى ولم استقص كل ما حدث من حركات تناوىء الصهيونية فى العصر التركى. وقد استمرت ثورات عرب فلسطين متوالية طيلة عهد الانتداب البريطانى مستخدمين كل ما استطاعوا إعداده من الأسلحة، بدءاً بالكلمة، ثم الأسلحة المادية من العصا، والسيف، والبندقية، والقنبلة، والحجر.. الخ ولم تهدأ الثورات منذ انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى انتهى الانتداب.. وقد حارب الفلسطينيون وحدهم الانجليز واليهود ثلاثين عاما ـ مدة الانتداب ـ فلم يجبنوا ولم يهنوا، وقد صمدوا للجيش البريطانى، فكسروا كتائبه الاولى التى جاءت تحاربهم بقيادة الجنرال «ديل» سنة ١٩٣٧م، والثانية بقيادة الجنرال «ويغل» سنة ١٩٣٨م والثالثة بقيادة الجنرال «هايننغ» سنة ١٩٣٩م.. والأيام الكبرى فى تاريخ جهاد أهل فلسطين، تعتبر من تاريخ الاقتداء فى تاريخ العرب.. هذا الشعب الذى وقف فى وجه بريطانيا العظمى آن ذاك والصهيونية العالمية، وقدم آلاف الشهداء من أجل الحفاظ على



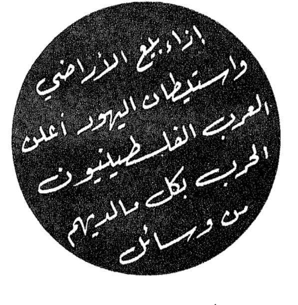
توزع سكان فلسطين حسب أقضيتها ١٩٤٧

أرضه، لا يمكن أن يوصف بأنه باع أرضه، وكيف يثور ويحمل السلاح من باع أرضه؟ كيف يبيع أرضه وهو الذى اشترى السلاح للدفاع عنها، بثمن اسورة زوجه، وبعيره الذى يحرث عليه الأرض، وثمن كيس القمح الذى كان يدخره لقوت عياله؟..

وقد رأينا، كم حصل اليهود من الدونمات حتى نهاية عصر الانتداب، (حوالى مليونى دونم) من أصل (سبعة وعشرين مليون دونم) مع كل ما استخدموه من وسائل الغش والخداع وأدوات الدمار وتكالب القوى العالمية على أهل فلسطين.. أما باقى

فلسطين التى حصلوا عليها سنة ١٩٤٨م فكان بالغزو الصهيونى المسلح الذى حرم أهل فلسطين من المشاركة فى دفعه عن البلاد حيث جُرِّدَ الفلسطينيون من سلاحهم ومُنعوا من المشاركة، كما هو مثبت فى تاريخ هذه الحرب، وفقد العرب الفلسطينيون نتيجة هذه الحرب المعلنة سنة ١٩٤٨م (٥٣٥) قرية وعشيرة فى مدة لا تتجاوز أشهراً.

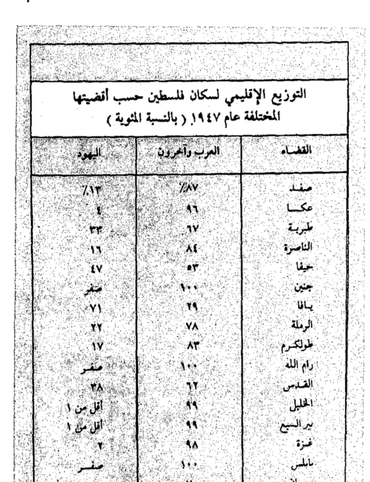
■ وبعد سنة ١٩٦٧م، استولى اليهود على بقية فلسطين، ولكن أهل القرى لم يغادروها، وبقى كل واحد فى أرضه وبيته، يكافح ويناضل ويثبت أمام قوة اسرائيل المدعمة بالسلاح الفتاك، وصبر الناس على التعذيب، والجوع والارهاب ومن كان خارج فلسطين - سنة ١٩٦٧م وحرم من العودة الى أهله وبيته، يحاول كل واحد منهم الرجوع الى بيته عن طريق ما يسمى «جمع الشمل» ويدفع بعضهم عشرات الآلاف من الدنانير رشوة للصهيونيين كى يحصل على «جمع الشمل» مع أن بيته الذى سيرجع اليه لا يساوى المبلغ الذى سيدفعه، ولكن حبه لوطنه وأرضه يدفعه الى شراء بيته، لأنه يدفع ثمن الولاء والحب والانتماء، بل إن عشرات من الناس يرسلون آلاف الدنانير الى ذويهم ليبنوا لهم بيتاً ويحرثون ارضاً مع أنهم محرومون الاقامة الدائمة وقد يسمح لهم بالزيارة، وقد يحرمون منها.



وبعد: فتلك هى قصة الأرض الفلسطينية، تثبت ملكية العرب الفلسطينيين لها منذ القدم، وتثبت بطلان دعوى الصهيونيين، كما تثبت تمسك العرب الفلسطينيين بأرضهم وعدم تفريطهم فى شبر منها، وقد بنيت هذه القصة على ما ثبت من التواريخ والوثائق، ولم اعتمد على العاطفة والوهم.. وأرسل هذه القصة الى المثقفين العرب الذين تاهوا فى بحر أضاليل الأعداء، وصدقوا أو كادوا هذه الأضاليل، حتى جرت على أقلام وألسنة بعضهم.

●● ولعل القارىء يتساءل: **فما بال عشرات المستعمرات التى يقيمها، بل أقامها اليهود فى الضفة الغربية وقطاع غزة، بعد سنة ١٩٦٧م؟ كيف حصلت اليهود على هذه الأرض؟**

الجواب: *إن هذه المستعمرات التى أقامها، الأعداء فى الأراضى المحتلة بعد سنة ١٩٦٧م، كلها فى الأراضى التى كانت تسمى فى العهد التركى «الجفتلك» وفى العهد البريطانى، سميت «أرض المندوب السامى» وفى العهد العربى كانت تسمى «أراضى الدولة» وهى الأراضى التى لا يملكها أحد من المواطنين، وما كانت الدولة العربية تسمح لأحد من المواطنين أن يستغلها، وما كانت مرافق الدولة العربية بحاجة اليها، مع حاجة الناس الماسة الى التوسع فيها، وبخاصة بعد سنة ١٩٤٧م، حيث كثر الناس، وكان فى قطاع غزة وحده مئات الآلاف من اللاجئين يسكنون فى معسكرات مكتظة بالسكان، وما كان يسمح لهم فى التوسع.. مع وجود مئات الآلاف من الدونمات الخالية.. ولو أن هذه الأراضى ملكتها الدولة للناس وعمروها وزرعوها، ما وجدت الأعداء هذه المساحات الشاسعة فى انتظارها لبناء مستعميراتها عليها..، وما كان*



التوزيع الإقليمي لسكان فلسطين حسب أقضيتها المختلفة عام ١٩٤٧ (بالنسبة المئوية)

القضاء	العرب وآخرون	اليهود
صفد	٨٧٪	١٣٪
عكا	٩٦	٤
طبرية	٦٧	٣٣
الناصرة	٨٤	١٦
حيفا	٥٣	٤٧
جنين	١٠٠	صفر
يافا	٢٩	٧١
الرملة	٧٨	٢٢
طولكرم	٨٣	١٧
رام الله	١٠٠	صفر
القدس	٦٢	٣٨
الخليل	٩٩	أقل من ١
بير السبع	٩٩	أقل من ١
غزة	٩٨	٢
نابلس	١٠٠	صفر
بيسان	٧٠	٣٠

يحصل ذلك، لولا النظرة الضيقة التى ننظر بها الى الأعداء، حيث لازلنا نعتقد أن ما يعلنه الأعداء من الشعارات ما هو إلا وهم يعجزون عن تحقيقه، ونسينا أن شعارهم «أرضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل» . . ونحن إذا كنا لا نؤمن بهذا الشعار، فقد كان علينا أن نعمل على تسفيه أحلامهم، وتمزيق مخططاتهم، باليقظة وأخذ الحذر، وحساب الاحتمالات التى يمكن أن تقع . . قبل أن تقع . . ولكن ليس لنا إلا ان تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولن نكف عن القول . . موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ » .

انتهى البحث

(١) فى الفقرات ١، ٢، ٣، أثبت بعض المصادر فى الحواشى، وفى خلال الكلام وأهم مصادر هذه الفقرات :

أ ـ القرآن الكريم (سورة الاسراء، والانعام، والبقرة) . . وانظر تفسير ابن كثير.

ب ـ الآية الكبرى فى قصة الاسراء لجلال الدين السيوطى.

ج ـ معجم البلدان، لياقوت الحموى.

د ـ تاريخ فلسطين القديم ـ ظفر الاسلام خان.

هـ ـ تاريخ فلسطين القديم ـ عبد الحكيم ذا النون.

و ـ بلادنا فلسطين. ح١/ مصطفى مراد الدباغ.

ز ـ القبائل العربية وسلائلها فى فلسطين. أربع مجلدات ـ لمصطفى مراد الدباغ.

ح ـ الموسوعة الفلسطينية: فى عدد من المواضع حسب حروف الهجاء.

ط ـ خطط الشام ط١ لمحمد كرد على.

(٢) وأما الفقرات ٤، ٥، ٦ . . فأهم مصادرها :

أ ـ النكبة: لعارف العارف ـ خمسة أجزاء فى ثلاث مجلدات.

ب ـ القضية الفلسطينية: محمد عزة دروزة. ح١.

ج ـ تاريخ فلسطين الحديث: للدكتور عبد الوهاب الكيالى.

د ـ الموسوعة الفلسطينية فى مواقع متفرقة.

هـ ـ فلسطين أولا: لوكاس غرو للنبرغ ـ ترجمة المركز الجغرافى الفلسطينى.

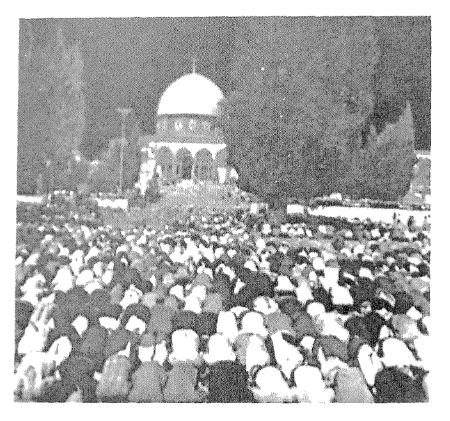
و ـ إنى أتهم . . تأليف: روجيه ديلورم ـ ترجمة نخلة لكراس.

ز ـ وللاطلاع على تاريخ ثورة لم تنطفى وجهاد لم ينقطع، انظر «يوميات أكرم زعيتر عن ثورة فلسطين من ١٩٣٥م ـ ١٩٣٩م.

ح ـ ولمعرفة تفاصيل، الفصل الاخير من القصة لا تستغنى عن قراءة كتاب «النكبة».

ط ـ أما جهاد عرب فلسطين المتواصل منذ سنة ١٩٤٨م حتى يومنا، فقد عاصره الشيخ والكهل والشاب، من أبناء العرب، ويعرف منه ما أعرف.





الاحتلال الافرنجي الصليبي والاحتلال الصهيوني

بقلم
شوقي شعث - سوريا -

ظل القدس ملتقى اصحاب الديانات يفدون إليه فى مناسباتهم الدينية . . وكان الوافدون اليه من المسيحيين واليهود يلقون كل ترحاب ومساعدة من سكان القدس العرب المسلمين الذين حرصوا منذ وصولهم الى القدس على تأمين واحترام اقامة الطقوس الدينية ، وقصة رفض الخليفة عمر أداء الصلاة عندما حلت فى كنيسة القيامة انما يدل على حرص القيادة السياسية العربية الاسلامية منذ البدء على صيانة مقدسات المسيحيين واليهود وتركها لهم .

وظل الحال كذلك الى أن ظهرت فى أوربا نزعة الرغبة فى السيطرة على المشرق العربى المسلم وخاصة القدس الشريف متذرعين بضرورة حماية الطريق الى الحج وحماية الأماكن المقدسة ، خاصة وأن هذا الشعار لقى لدى البابوية وجماهير المسيحيين واليهود الفقراء الترحاب ، فهبوا للتطوع فى صفوف الحملات الذاهبة الى الأرض المقدسة لتحريرها من أيدى المسلمين ، فكانت الحروب التى عرفها التاريخ باسم الحروب الصليبية وقد وجد الملوك والأمراء الافرنج فى هذه الحروب فرصتهم للخلاص من المناوئين والمطالبين بالسلطة فى بلادهم .

ولما كان هدف تلك الحروب مدينة القدس ظل الافرنج يندفعون حتى تم لهم اغتصابها من أيدى



المسلمين وكانت آنئذ بيد الفاطميين الذين كانوا يحكمون مصر وقد أنهكهم النزاع مع العباسيين والسلاجقة وغيرهم.

القدس فى ظل الاحتلال الصليبى:

انتهز الصليبيون الخلافات والصراعات التى كانت قائمة بين الدولة الفاطمية والسلاجقة كما أسلفنا، واغتصبوا مدينة القدس الشريف التى طالما سعوا الى ذلك رغبة فى تأمين طريق الحج المسيحى الى الديار المقدسة على حد زعمهم.

مؤرخ الحروب الصليبية (رنسيمان ٣٩٦/١) احتلال مدينة القدس من قبل الافرنج الصليبيين بالقول (حاصر الافرنج مدينة القدس فى ٧ حزيران عام ١٠٩٩ مدة تزيد عن الشهر، وتمكنوا ليلة ١٤/١٣ تموز من العام نفسه من دخول المدينة، وقد زاد جنونهم ما أحرزوه من نصر بعد شقاء وعناء شديدين فانطلقوا فى شوارع المدينة والى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز)... ويضيف (استمرت المذبحة طوال يوم الخميس ١٠٩٩/٧/١٤م وليلة الجمعة)..

وتقدر المصادر عدد ضحايا بيت المقدس بنحو ٦٥ ألف من المسلمين، أما المصادر اللاتينية فتقول ان النظر كان يقع على أكوام من الرؤوس والأيدى والأقدام فى الطرق والساحات العامة. ويتحدث ابن الأثير فى كتابه الكامل (ج١، ص٣٨٣) واصفاً حصار الصليبيين للقدس والمذبحة المرعبة التى أوقعوها بأهلها من العرب المسلمين فيقول: «لما وصل الافرنج الى بيت المقدس حاصروه نيفا وأربعين يوما، وقد قتل فى هذه المذبحة عدد كبير من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاوز بذلك الموضع الشريف.

ويقارن (غوستاف لوبون) سلوك الافرنج الصليبيين حين دخلوا القدس بسلوك العرب وخليفتهم عمر بن الخطاب، نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون على نحو ما هو معروف من التسامح والاحترام.

الافرنج مملكة القدس اللاتينية اثر اجتماع فى ١٧ تموز عام ١٠٩٩ بعد أن استتب لهم الأمر، وظلت هذه المملكة حتى أسقطها صلاح الدين الأيوبى عند تحريره القدس عام ١١٨٧م بعد أن امتدت زهاء الثمانى والثمانين سنة، وعندما دخل السلطان صلاح الدين القدس عامل الافرنج برفق وسمح لهم بمغادرتها بعد دفع جزية بسيطة، أما الفقراء منهم فقد فك أسر الكثير منهم دون مقابل مقدِّماً بذلك أروع مثل من المعاملات الانسانية.

معاملة المحتلين الافرنج للسكان العرب:

ناصب الافرنج منذ أن وطئت أقدامهم أرض فلسطين العرب الفلسطينيين العداء على اعتبار أنهم المنافسون الحقيقيون لهم بحكم أنهم أصحاب الأرض الشرعيين، ذلك أنهم جاؤوا (أى الافرنج) الى الشرق كى يستوطنوا نهائيا فى الأرض المقدسة وهم بحاجة الى أرض بدون سكان، هذا هو هدفهم، أما الدين فكان شعارا مرحليا استغلوه كى يصلوا به الى اهدافهم، كما فعل الصهاينة على نحو ما سنرى فيما بعد.. فصادروا ممتلكات الفلسطينيين وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة ولم يفرقوا بين عربى مسلم أو عربى مسيحى، كما تعرضت جماهير السكان فى القرى والمدن للابادة واضطر قسم كبير منهم من مزارعين وحرفيين الى مغادرة أراضيهم، أما الذين بقوا فوقعوا فى الأسر.

عندما جاء العرب المسلمون محررين لفلسطين والقدس أدى أولئك الفلاحون خدمات كبيرة لجيوش المسلمين وذلك بتزويدهم بالمعلومات عن جيش العدو وعدده وعدته وخلافاته، كما قدموا المأوى والمأكل لجنود السلطان

صلاح الدين، شاركهم فى ذلك اخوانهم العرب من المسيحيين الشرقيين، كل ذلك طلبا للخلاص من العبودية التى فرضها عليهم الافرنج ولأن المعركة معركتهم. (انظر بحثنا حول الجيش العربى الاسلامى المقدم لندوة حطين التى أقيمت فى دمشق عام ١٩٨٧ وسيصدر قريبا ضمن كتاب خاص بالندوة).

القدس . . . وحطين جديدة:

ان أكثر ما يخشاه الصهاينة اليوم «حطين جديدة» لذلك نجدهم يحاولون دراسة أسباب النصر العربى الاسلامى وامكانية تجنبه مستقبلا محاولين منع ايجاد الظروف المماثلة التى وجدت قبيل موقعة حطين وتحرير القدس، ونجدهم يحيون ذكرى الموقعة محاولين بذلك خلق دور لهم، مجهضين فى نفس الوقت الزخم العربى الاسلامى للمعركة، إن حدوث معركة كمعركة حطين مستقبلا لا شك أنها ستكون بداية النهاية، نهاية الدولة الاسرائيلية وبالتالى الحركة الصهيونية برمتها وستكون نهايتها كنهاية الحركة الصليبية دونما ريب.

تحرير القدس:

حرر السلطان صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس الشريف من مغتصبيها الصليبيين ولم يعاملهم معاملتهم للعرب عند اغتصابهم القدس، فقد أحسن اليهم وعفا عن الكثير منهم، وافتدى قسما من أسراهم من ماله الخاص وأمر جنده بحفظ حياتهم وعدم نهب بيوتهم كما فعل الافرنج بأهالى القدس الشريف، وقد أشاد المؤرخون الافرنج أنفسهم بتلك الروح الطيبة التى انتهجها صلاح الدين عند فتحه القدس.

وكما تحررت القدس من الحركة الصليبية ستتحرر من الحركة الصهيونية عندما تخلص النيات وتتوحد الجهود وتشد العزائم وتسير الركبان نحو القدس من أجل تحريرها، وهذا ما يخشاه العدو الصهيونى.

القدس والحركة الصهيونية:

كما كانت القدس وفلسطين الأرض المقدسة عند الحركة الصليبية، كانت كذلك عند الحركة الصهيونية، نفس الشعارات ونفس الأساليب نجدها عند الحركتين الصليبية والصهيونية، وكأن الأخيرة نسخة عن الأولى، فعندما فشلت الأولى جاءت الثانية محاولة احياء المفاهيم القديمة ليظل الشرق العربى المسلم فى حالة صراع دائم مع الغرب الاستعمارى، لقد استغل الصهاينة عواطف اليهود المتدينين وعواطف المسيحيين بقولهم ان التوراة وعدت اليهود بفلسطين أن تكون أرض ميعاد لهم وبذلك يكون لهم حق تاريخى فى اقامة دولتهم، لذلك وتجسيدا لوعد الرب لهم جاؤوا الى فلسطين فكما كانت القدس بؤرة الصراع فى الحركة الأولى غدت بؤرة الصراع أيضا فى الحركة الثانية، وكما حاول الافرنج افناء سكان القدس وتدمير بيوتها وتغيير هويتها العربية يحاول الصهاينة نفس المحاولة: تهديم وتهجير وتغيير هوية، وكما دخل الافرنج بالقوة والقهر والسلاح والخداع دخل الصهاينة بالاسلوب نفسه وان تغيرت أنماط الاسلحة نظرا للفارق الزمنى الكبير بينهما.

أعلن الصهاينة القدس عاصمة ابدية لدولتهم وباشروا باعدادها لتكون صالحة لذلك فأسسوا الشركات التطويرية للمدينة وأسسوا البرامج الهندسية كل ذلك من أجل طمس الهوية العربية الاسلامية عن المدينة المقدسة واظهارها بمظهر المدينة اليهودية الصهيونية ولكن أنّا لهم ذلك، ان مدينة القدس صامدة وهويتها العربية الاسلامية مصانة على يد أبنائها العرب سكان الأرض المحتلة بدعم اخوانهم العرب خارج الوطن المحتل.

وكما عامل الافرنج السكان العرب الفلسطينيين سكان البلاد بقسوة وازدراء عامل ويعامل الصهاينة سكان الأرض المحتلة العرب، فقتل وترحيل وطرد وتضييق يومى فى معاشهم رغبة منهم فى افراغ الأرض من السكان كى يسهل ابتلاع الأرض واقامة المستوطنات الصهيونية عليها، ولكن العرب متمسكون بالأرض والهوية.. ولم يعد يخفى على أحد أن الحركة الصهيونية حركة سياسية استيطانية استعمارية بعيدة كل البعد عن الدين هدفها اقامة دولة اسرائيل لتهدد الشرق خدمة لنفسها ولأسيادها الذين أوجدوها فالتقت بذلك رغبة المغامرين الصهاينة ورغبة الاستعماريين.

عانى العرب المسلمون شتى أنواع المعاناة وظلوا متمسكين بالأرض والوطن الى أن جاء يوم الخلاص على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى استرد القدس فى الثانى من تشرين الأول عام ١١٨٧ بعد موقعة حطين الفاصلة التى احتفلنا بمرور ثمانمائة عام على وقوعها فى الأول من شهر تموز هذا العام، لقد كانت حطين بمثابة الصدمة التى وعى الافرنج على أثرها أن أيامهم أصبحت معدودة وأنهم لا محالة مغادرون بعد أن جاؤوا تحدوهم الآمال العريضة بالاستيطان وتأسيس الممالك.. وباسترداد القدس سقطت مملكة القدس اللاتينية التى أسسها الافرنج والتى كانت بمثابة المملكة الأم لكل الامارات والكونتيات الصليبية بالمشرق.

موقعة حطين انحسرت ممتلكات الصليبيين وأصبحت عبارة عن جيوب صغيرة بالقرب من الساحل، ورغم أن الافرنج حاولوا توسيع تلك الممالك وتمكنوا من استرداد القدس سلما بموجب المعاهدة الكاملية الفردريكية التى وقعها الملك الكامل ملك مصر وفريدريك الثانى نيابة عن الافرنج، وقد عارض العرب المسلمون تلك المعاهدة واعتبروها مذلة حتى أن الملك الناصر أخ الملك الكامل أعلن الحداد بدمشق وأرجف الناس وأخذوا يلعنون الملك الكامل ورفعوا الأعلام السوداء.. وتمكنوا فى النهاية من تحرير القدس وبقيادة الناصر نفسه واعادتها الى العرب المسلمين.

لم تجد هذه المعاهدة ولا غيرها نفعاً للصليبيين لأن العرب قرروا تحرير وطنهم من المحتل الغاصب، وأخيرا تمكن السلطان المملوكى المسلم الأشرف خليل من طردهم من آخر معقل لهم فى عكا وبذلك تحررت فلسطين منهم الى غير رجعة، وعلى الرغم من أنهم ظلوا أى الافرنج يحلمون بالعودة الى فلسطين منطلقين من قبرص، الا أنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب تصميم العرب بالزود عن حماهم.

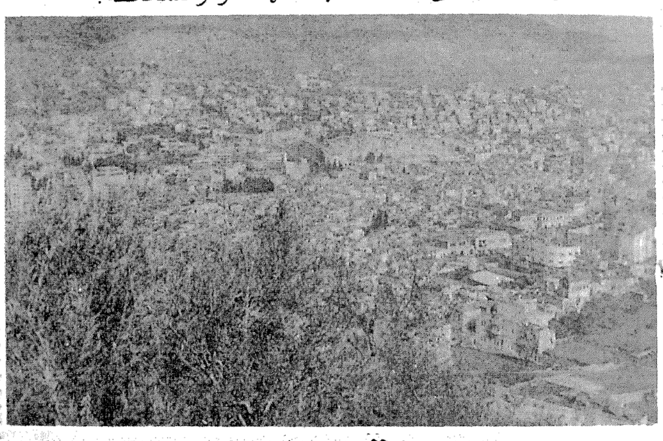
أن القدس تنتظر صلاح الدين الجديد ليوحد الجهود ويعقد العزم على تحرير القدس واعادة الحق الى أهله

■ خلاصة القول أن الحركة الصليبية حاولت أخذ فلسطين والقدس بحجة أنها الأرض المقدسة التى يحجون اليها، وحاولت الاستقرار فيها خدمة لأهداف سياسية واقتصادية واجتماعية ففشلت، وتحاول الحركة الصهيونية اليوم نفس الأساليب ولكنها بكل تأكيد ستفشل كما فشلت الحركة الأولى، فكما أفشل عزم العرب الأوائل وتصميمهم الحركة الصليبية ستفشل الصهيونية بعزم العرب اليوم فى الأرض المحتلة ولن يموت مطلب حق، والطلاب من أشبال فلسطين كثرة كاثرة، وستظل فلسطين والقدس مهوى أفئدتنا وأفئدة أبنائنا وملهمة نضالنا، نحن العرب والمسلمين حتى التحرير.

المراجع

● عارف العارف: المفصل فى تاريخ القدس، ط٢، القدس ١٩٨٦.
● مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، فى بيت القدس (١) دار الطليعة ٢/٩ بيروت ١٩٧٥
● فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج٢ بيروت ١٩٥٨.
● رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٧.
● ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ـ القاهرة ١٩٥٣.
● شوقى شعث: القدس الشريف ـ قيد الطبع.
● شوقى شعث: الجيش العربى الاسلامى فى عصر حطين.. ندوة حطين ـ دمشق ١٩٨٧ ـ قيد الطبع.
● ميخائيل زابوروف: الصليبيون فى الشرق، دار التقدم موسكو ١٩٨٦

نابلس احدى المدن العربية الفلسطينية، كانت مركزاً لقضاء نابلس فى عهد الانتداب البريطانى ثم اصبحت مركزاً للواء نابلس فى الضفة الغربية بعد عام ١٩٤٨ وتحولت فى اواسط الستينيات الى مركز لمحافظة نابلس، وفى حزيران ١٩٦٧ تعرضت للاحتلال العسكرى الاسرائيلى واحتفظت بمكانتها كمركز للمحافظة.



مدينة نابلس

قلعة فلسطين الصامدة

إعداد
كمال شحادة

المـوقـع الجغرافى: تتميز مدينة نابلس الفلسطينية بموقع جغرافى واستراتيجى هام، فهى تتوسط سلسلة المرتفعات الجبلية الفلسطينية وهى عقدة مواصلات برية معبّدة تتفرع منها طرق وشوارع عريضة الى جميع الجهات، شرقاً الى اريحا والاغوار وغرباً الى طولكرم وقلقيلية وشمالا الى جنين وطوباس وجنوباً الى رام الله والقدس والخليل.

تبعد مدينة نابلس عن مدينة القدس العربية حوالى ٦٩ كم وعن عمان ١١٤كم وتبعد عن البحر الابيض المتوسط حوالى ٤٢كم.. وقد ساهمت الاودية الحادة الانحدار والتى تنحدر من خط تقسيم

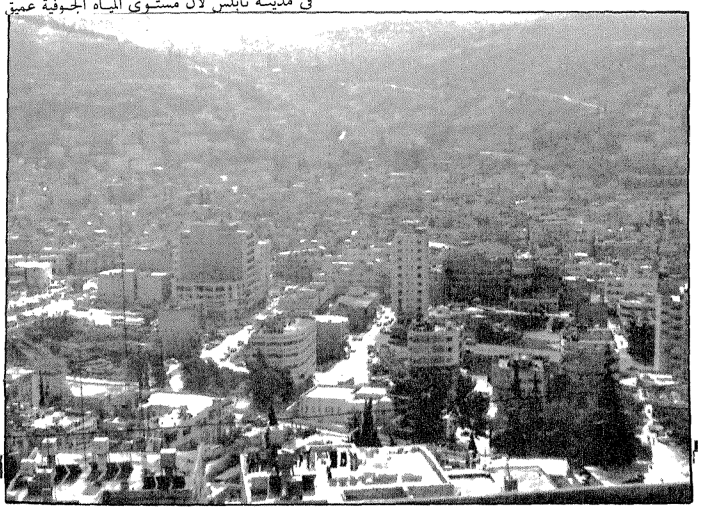
المياه شرقاً وغرباً فى ايجاد المنافذ والممرات الطبيعية التى تربط نابلس بكل من وادى الاردن والسهل الساحلى الفلسطينى. ومنطقة نابلس منفتحة على المناطق المجاورة منذ غابر الازمان حيث استعملت طريقاً لمرور الهجرات البشريه والقوافل التجاريه والغزوات الحربية.

طبيعة الارض: نشأت نابلس القديمة فى وادٍ طويل مفتوح بالاتجاهين الشرقى والغربى ويمتد بين جبلى عيبال شمالا وجرزيم جنوباً، واما نابلس الحديثة فقد امتدت بعمرانها وعماراتها فوق هذين الجبلين، وترتفع نابلس نحو ٥٥٠م عن سطح البحر بشكل متوسط، ويبلغ ارتفاع جبل عيبال ٩٤٠م اما ارتفاع جبل جرزيم (الطور) فيبلغ ٨٨١م.. وتنحدر الاودية من منطقة نابلس نحو الغرب والشرق مثل وادى التفاح الذى يتجه غرباً ووادى الباذان المتجه الى الشمال الشرقى، ويطلق على الوادى الذى يمر بين الجبلين «الوادى الاخضر».

المناخ والمياه: يسود نابلس مناخ البحر الابيض المتوسط والذى يمتاز بحرارته وجفافه صيفاً ودفئه وامطاره شتاء ويتراوح متوسط درجة الحرارة بين ١٠ درجة مئوية فى شهر كانون الثانى و٢٤ درجة مئوية فى شهر تموز، ومعدل الرطوبة النسبية بين ٤٦٪ فى شهر يناير و٧٤٪ فى شهر كانون الاول.

ويبلغ متوسط الامطار التى تهطل سنويا حوالى ٦٣٠ملم ولكنها تتذبذب من سنة لاخرى وتساهم امطار نابلس بتزويد خزانات المياه الجوفية فتغذى الينابيع والآبار فى المدينة وحولها. وتنتشر الينابيع فى اماكن متعدده وتستعمل مياهها فى اغراض الشرب والرى والصناعة.

ويتركز عدد كبير من الينابيع فى جبل الطور (جرزيم) الذى يتفجر من منحدراته الشمالية ٢٢ ينبوعاً، اما أشهر عيون الماء فى نابلس فهى: «**رأس العين، عين الصبيان، عين بيت الماء، عين القربون، عين العسل وعين الدفنه**»، والآبار قليلة فى مدينة نابلس لأن مستوى المياه الجوفية عميق



نابلس فى التاريخ :

نابلس مدينة كنعانية قديمة استمر فيها السكن منذ اكثر من (٩٠٠٠) تسعة الاف عام حتى الوقت الحاضر. **وفيما يلى لمحات سريعة عن تاريخ نابلس:**

في العهد الكنعاني: اسسها الكنعانيون فى فلسطين، وقد سماها الكنعانيون «شكيم» اى النجد او الارض المرتفعة. وقرية شكيم الكنعانية هى قرية بلاطة الحديثه التى تعتبر إحدى ضواحى نابلس اليوم. وقد وجدت فيها اثناء التنقيبات سلسلة من المعابد الكنعانية التى تعود للعصر البرونزى المتوسط ويظهر أنها تأسست قبل تحصين القرية بسور يحيط بها ويعود تاريخ اول مراحل بناء هذا السور (الجدار) الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

في العهد المصري: وفى القرن التاسع عشر ق.م احتل المصريون «شكيم» اثناء حملة غزو حربية قام بها الفرعون سيزوسترس، واقدم من سكن شكيم هم الحويون والجرزيون.

في العهد الروماني: احتل الرومان فلسطين فى سنة ٦٣ ق.م، وفى زمن فسبازيان (٦٩-٧٩م) ثار السامريون على الاحتلال الرومانى فحاصرتهم القوات الرومانيه فى جبل الطور (جرزيم) وقتلت ١١ ألف نسمة وهدمت مدينة شكيم، وفى سنة ٧٠م امر فسبازيان بنقل حجارتها وتجديد بنائها فى غرب المدينة القديمه وسماها (نيابولس) اى المدينة الجديدة ومع مرور الزمن تحورت وتحولت الى لفظ نابلس الحالى.

وفى عهد هادريانوس (١١٧-١٣٨م) بنى الرومان معبداً لجوبتر على سفح جبل جرزيم مكان معبد السامريين.

في العهد المسيحي: وعند ظهور المسيحية وانتصارها فى فلسطين (فى القرن الرابع الميلادى) على اعدائها انتشرت فى نابلس واصبحت هذه المدينة مركزاً لاحدى الاسقفيات. وفى القرن الخامس الميلادى شيد المسيحيون على قمة جبل جرزيم كنيسة تخليداً لمريم العذراء.. وفى عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) شيد الرومان المسيحيون قلعة مسورة بالقرب من كنيسة السيدة مريم لا تزال آثارها باقية واعادوا بناء خمس كنائس تهدمت فى حروب سابقة.

الفتح الاسلامي: فتح العرب المسلمون نابلس بقيادة عمرو بن العاص فى عهد الخليفة الراشد ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) وتعهد المسلمون بحماية من بقى من أهلها على دينه من المسيحيين بشرط أن يدفعوا الجزية عن رقابهم والخراج عن اراضيهم، واصبحت مدينة نابلس بعد الفتح الاسلامى مدينة من مدن جند فلسطين وكانت عاصمته اللد ثم الرمله.. وفى القرن العاشر الميلادى وصفها المقدسى بقوله: **«ان نابلس فى الجبال يكثر فيها الزيتون، والجامع فى وسطها، وهى مبلطه ونظيفة ولها نهر جارٍ».**

وفى عام ١٠٩٩ استولى عليها الصليبيون ثم استعادها صلاح الدين الايوبى بعد انتصاره فى معركة حطين ١١٨٧م.. وفى سنة ١٣٢٥ استولى التتار، ثم سيطر عليها العثمانيون منذ قدومهم الى سورية وفلسطين سنة ١٥١٧م، وفى ١٨٣٢م سيطر عليها ابراهيم باشا ثم عادت ١٨٤٠م الى الحكم العثمانى، وقد عرفت نابلس باسم **«جبال النار»** منذ العهد العثمانى لكثرة تواجد الثوار فيها من ابناء المدينة والمناطق المجاورة.

الانتداب البريطاني: وفى ١٩١٨م خضعت فلسطين للانتداب البريطانى ومن ضمنها مدينة نابلس واستمر الانتداب البريطانى إلى عام ١٩٤٨م.

العهد الاردني: حيث ضُمَّت الضفة الغربية فى عام ١٩٥٠م الى المملكة الاردنية الهاشمية، وبعد عام ١٩٤٨م شهدت مدينة نابلس كغيرها من المدن الفلسطينيه نمواً مضطرداً فى عدد سكانها وابنيتها لأنها استقبلت وآوت اعداداً كبيره من اللاجئين الفلسطينيين

للاقامة فيها او فى المخيمات التى حولها وهى اربع مخيمات: «مخيم بلاطة - مخيما عسكر القديم والجديد - ومخيم عين بيت الماء».

الاحتلال الاسرائيلى: وفى الخامس من حزيران ١٩٦٧ احتل «الجيش الاسرائيلى» الضفة الغربية وقطاع غزه وهضبة الجولان وصحراء سيناء وبذلك خضعت نابلس مثلها مثل اية مدينة عربية فلسطينية للاحتلال الاسرائيلى الذى ما زال جاثماً فوق الارض العربية الفلسطينية. وكان من نتائج الاحتلال الاسرائيلى على مدينة نابلس نزوح بعض السكان الى الاردن بالاضافة الى عدم تمكن الالاف من ابناء نابلس من العودة لوطنهم وديارهم فى اعقاب حزيران ١٩٦٧ بسبب منع السلطات العسكرية الاسرائيلية لهم، وقد كان هؤلاء المغتربون قد اغتربوا عن مدينتهم اما طلباً للرزق او طلباً للدراسة.

السكان:

تعود انساب سكان نابلس، مثلهم مثل بقية المواطنين الفلسطينيين فى فلسطين، الى العرب القحطانيين والعرب العدنانيين، والعدنانيون بعضهم قرشى وبعضهم من قبائل عنزه والقليل جداً من السكان من الاتراك او الاكراد او السامريين.

■ وفيما يلى جدول يبين عدد السكان خلال سنوات متقاربه حسب السجلات الرسمية:

السنة	عدد السكان
١٨٨٢	٨٠٠٠
١٨٩٤	٩٠٠٠
١٩٠٠	١٩٫٢٠٠
١٩١١	٢١٫٠٧٢
١٩٤٥	٢٣٫٢٥٠
١٩٦١	٤٥٫٧٧٣
١٩٦٦	٥٣٫٠٠٠
١٩٨٧	حوالى ١٠٠٫٠٠٠

مؤسسات نابلس:

تعتبر مدينة نابلس من كبرى المدن الفلسطينية فى الارض المحتلة ذات الكثافة السكانية العاليه والتى تضم عشرات المؤسسات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية والعلميه والعمالية والمهنية، وفيما يلى اهم مؤسسات مدينة نابلس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:-

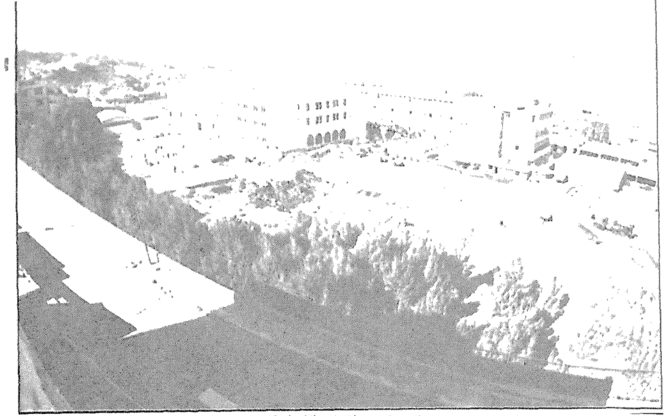
اولا: بلديه نابلس:

وهى من اقدم البلديات الفلسطينية من الضفة الغربية ويعود تاريخ اول مجلس بلدى للمدينة الى عام ١٨٦٩، وكان اول رئيس مجلس بلدى «الشيخ محمد تفاحة» ويترأس الآن السيد حافظ طوقان رئاسه المجلس البلدى وذلك فى اعقاب اغتيال رئيس البلدية السابق الشهيد الفلسطينى ظافر المصرى فى ١٩٨٦/٣/٢، وقد تعاقب على رئاسة البلدية ٣٢ شخصاً بالاضافة الى «رئيس اسرائيلى» فرضته السلطات العسكرية الاسرائيلية منذ ١٩٨٢/٣/٢٥ - ١٩٨٥/١٢/١٩ بعد اقالة رئيس البلدية السيد بسام الشكعه ابان موجة اقالة رؤساء البلديات فى المدن الفلسطينية فى الارض المحتله بحجة دعم رؤساء البلديات وتأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية.

ويتألف المجلس البلدى عادة من احد عشر عضواً ويستمر فى العمل لمدة اربع سنوات. وتشرف بلدية نابلس على اعمار المدينة وعلى توزيع المياه والكهرباء واصدار رخص البناء والحرف والصناعات ويعمل بها ٩٢٠ موظفاً وعاملاً وادارياً.

ثانيا: جامعة النجاح الوطنية:

اسست كمدرسة باسم «مدرسة النجاح النابلسية» فى سنة ١٩١٨، وفى عام ١٩٤١ تطورت الى «كلية النجاح الوطنية» وكانت تمنح الدرجات المتوسطة فى تخصص المهن التجارية.. وفى ١٩٦٣ بدأت بمنح الدرجات الجامعيه



● جامعة النجاح كبرى الجامعات الفلسطينية ●

المتوسطة فى تخصصات مختلفة بهدف إعداد المعلمين . .
وفى عام ١٩٧٧م تطورت الى جامعة النجاح الوطنية حيث افتُتحت كليتا العلوم والآداب وانضمت الى مجلس اتحاد الجامعات العربية ثم افتتحت كلية الاقتصاد والعلوم الادارية وكلية الهندسة وكلية التربية فاصبحت تضم خمس كليات شاملة ٢٢ تخصصاً جامعياً بالاضافة الى «كلية مجتمع النجاح الوطنية» التى تشمل اربعة اقسام تضم تسعة تخصصات . . وتعتبر جامعة النجاح الوطنية بحق كبرى الجامعات الفلسطينية فى الضفة الغربية اذ يبلغ عدد طلبتها حوالى اربعة الاف طالب وطالبة فى العام الجامعى ١٩٨٦ / ١٩٨٧م .

وقد أنشأت جامعة النجاح الوطنية مركزين للابحاث هما : «مركز الدراسات الريفية ومركز التوثيق والابحاث» . . ويقوم الطلبة كل عام جامعى بانتخاب مجلس طلبة يمثلهم امام ادارة الجامعة ويساعد الطلبة على المشاركة فى النشاطات الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية وكذلك تسهيل الخدمات الطلابية الاخرى .

اما عدد اعضاء مجلس اتحاد الطلبه فهو احد عشر طالبا . . وللجامعة النجاح للوطنية مجلس امناء مكون من ثلاثة عشر عضواً برئاسة السيد حكمت المصرى ، ويرأس الجامعة حالياً الدكتور بهجت صبرى (رئيس بالوكالة بسبب منع السلطات العسكرية الاسرائيلية د. منذر صلاح رئيس الجامعة من دخول الضفة الغربية) . . وفى الجامعة نقابة للعاملين (المدرسين) ويرأس الهيئة الادارية للنقابة الآن د. أديب الخطيب .

ثالثا : غرفة التجارة والصناعة :

تأسس اول مجلس ادارة لغرفة التجارة والصناعة فى العام ١٩٤٣ برئاسة الحاج عبد الرحيم النابلسى ونائبين ولجنة لتجار الاقمشه ولجنة لمصانع الصابون ولجنة لتجار مال قُبان ولجنة طوال البناء والعمار ولجنة الملاكين ، ويرأس ادارة الغرفة السيد حافظ طوقان وتسعة اعضاء آخرين هم رئيس واعضاء المجلس البلدى فى مدينة نابلس . . وتضم الغرفة حوالى ١٥٠٠ تاجر منتسب للهيئة العامة .

رابعا : اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة نابلس ولواء جنين :

تأسست اول جمعية خيرية فى مدينة نابلس سنة ١٩٢١ واطلق عليها «جمعية الاتحاد النسائى العربى» ثم توالى تأسيس الجمعيات الخيرية ، وفى ١٩٥٨ تأسس اتحاد الجمعيات الخيرية فى نابلس وجنين ، ومقر هذا الاتحاد فى

مدينة نابلس ويبلغ عدد الجمعيات الخيرية المنضوية تحت لواء هذا الاتحاد ٧٢ جمعية خيرية تتوزع فى نابلس وقراها وفى جنين وقراها وطولكرم وقراها. ويرأس هذا الاتحاد المهندس عزت عبده السجدى.

خامسا: الاتحاد العام لنقابات العمال فى الضفة الغربية:
ومقر هذا الاتحاد العمالى الفلسطينى فى مدينة نابلس تأسس فى العام ١٩٦٥، ويضم هذا الاتحاد اكثر من ٩٠ نقابة عمالية فلسطينية يتواجد ٢٧ نقابة منها فى مدينة نابلس ويشرف على هذا الاتحاد العمالى الفلسطينى لجنة تنفيذية مكونة من ثلاثة عشر عضواً، ويشغل الآن النقابى شحاده الميناوى منصب الامين العام فيه.. وتعتبر مدينة نابلس مركزاً للتجمع العمالى الفلسطينى فى الارض المحتله منذ عام ١٩٤٨.. وفى مدينة نابلس ايضا لجان فرعية للنقابات المهنية مثل: «نقابة الاطباء البشريين - نقابة اطباء الاسنان - نقابة الاطباء البيطريين - نقابة المحامين - نقابة الصيادلة - نقابة المهندسين - ونقابة المهندسين الزراعيين».

سادسا: كلية الروضة للعلوم المهنية:
وهى كلية جامعية متوسطة ويطلق عليها ايضاً «كلية مجتمع» تخرج الطلبة بتخصصات مختلفة منها التربويه والتعليميه والتجارية والادبية والعلمية، وتضم حوالى ١٠٠٠ طالب وطالبة. وهى الكلية الثانية فى مدينة نابلس بعد كلية مجتمع النجاح الوطنية.

الناحية الصحية:

يتواجد فى نابلس عدة مستشفيات هى: **مستشفى الاتحاد النسائى العربى، المستشفى الانجيلى، مستشفى رفيديا والمستشفى الوطنى،** بالاضافة الى عشرات العيادات الخاصة للاطباء فى المدينة، وهناك المستوصفات مثل مستوصف جمعية اصدقاء المريض الخيريه، وبشكل عام فان الوضع الصحى فى المدينة لا بأس به الا أن المستشفيات تنقصها الالات الحديثة المتطورة.

الناحية الاقتصادية:

تتنوع وتختلف التركيبة الوظيفية التى يمارسها المواطنون الفلسطينيون فى مدينة نابلس منذ غابر الازمان من وظائف صناعية وتجارية وزراعية وادارية وثقافية.

■ **الصناعة**: تعتبر مدينة نابلس من أهم المراكز الصناعية فى فلسطين وتعتمد منتجاتها وصناعاتها على المواد الخام الزراعية المحلية وتنتشر الصناعات الخفيفة على اختلاف الوانها وانواعها كالطحينة والحلاوة والصابون. وتشتهر بشكل عام بثلاث صناعات اساسية هى صناعة الحلويات (كالكنافة النابلسية المشهورة والبقلاوه)، وصناعة الصابون بانواعه وماركاته المتعدده وصناعة الكبريت (عيدان الثقاب).

اما بقية الصناعات فهى: الزيوت النباتية وزيت الزيتون (معاصر الزيتون) والجلود وعلب الصفيح والسيرج وعلب الكرتون وطحن الحبوب والمرطبات وسكب الحديد وقطع المحركات واعمال البناء والكهرباء والحداده والنجاره والدهان.

■ **التجارة**: نابلس مركز تجارى هام فى فلسطين بشكل عام وفى محافظتها بشكل خاص، ومما يساعد فى حركتها التجاريه تدفق رؤوس الاموال عليها من ابنائها المغتربين فى دول شبه الجزيرة العربية والاردن، واهم صادرات مدينة نابلس تتركز فى تصدير الخضار وزيت الزيتون والصابون والكبريت والجبنه والزيوت النباتية (السمن).

●● اما اهم الواردات النابلسية فهى: **الحديد والخشب والادوات الكهربائية والاسمنت.**

■ الـزراعـة: تشـارك وتسـاهم الـزراعـه فى اقتصـاديـات مدينـة نابلس بنسب قليله، وتعتمـد الـزراعـة على ميـاه الامطـار وان وجـدت بعض المسـاحـات التى تعتمد على الرى فهى مساحات قليلة. وتنتشر فى المدينة بعض مزارع الابقار والاغنام والدواجن اللاحمة والبياضه.

السجون الاسرائيلية فى نابلس:

يرزح الشعب العـربى الفلسطينى فى الارض المحتله تحت نير الاحتلال الاسرائيلى منذ عدة عقود من الزمن، وقد سعت «اسرائيل» وعملت على فتح السجـون التابعة لها لارهاب المواطنين الفلسطينيين وتخويفهم فعملت على اعتقال عشرات الالاف من الفلسطينيين والزج بهم فى السجون اضافة الى اتباع اسلوب مصـادرة الاراضى من اصحـابها الشرعيين واقـامـة المستوطنات والمستعمرات الاسرائيلية عليها وفرض الاعتقالات الادارية والاقامات الجبرية وابعاد عشـرات المـواطنـين، وفى مدينـة نابلس عملت «اسـرائيـل» على فتـح سجن مركـزى لاعتقـال الفلسطينيـين ابنـاء الضفة الغربية اطلق عليه اسم **«سجن جنيد المركزى فى الضفة الغربية»** ويضم هذا السجن حوالى ١٠٠٠ سجين سياسى وهناك سجن ثان يدعى سجن نابلس المركزى ويضم حوالى ٥٠٠ معتقـل فلسطينى (سجـين سياسى) اى أن سجنى نابلس يضمان حوالى (١٥٠٠) الفاً وخمسمائة سجين سياسى فلسطينى من اصل حوالى (٤٠٠٠) اربعة الاف سجـين فلسطينى من الضفـة الغربية وقطاع غزه. وتفيد آخر الدراسات ان حوالى ٣٢٪ من ابناء الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة قد تم اعتقالهم لفترات قد تقصر او قد تطول وبهذا يصل الرقم الى حوالى نصف مليون فلسطينى قد اعتقل منذ بداية الاحتلال الاسرائيلى فى ٥ حزيران ١٩٦٧.

الناحية التعليمية والثقافية:

تنتشر فى مدينة نابلس عشرات المدارس الابتدائية والاعـدادية والثـانـوية فهنـاك المـدارس الـرسميه والمـدارس الخـاصه بالاضافة الى المدرسة الصناعية وست مدارس تابعـة لوكـالـة الامم المتحـدة لغوث اللاجئين الفلسطينيين. . وابناء نابلس بشكل خاص وابنـاء الشعب الفلسطينى بشكل عام يحبون العلم والتعليم ويقبلون عليه بنهم وحب كبير «فالعلم هو اساس كل شىء» كما يقول مثل نابلسى.

وفى نابلس تقع اكبر جامعة فلسطينية فى الارض المحتلة هى جامعـة النجاح الوطنية، بالاضافة الى كلية الروضة للعلوم المهنية.

ظاهرة الدواوين: وهناك ظاهرة او عادة نابلسيه ملفتة للنظر وهى انه يوجد لكل حمولة او عائلة ديوان خاص بها يحمل اسمها مثلا ديوان ال كذا (اسم العائلة والحموله) وتستخدم هذه الدواوين العائليه فى نابلس لتقوية اواصر القربى والتآخى والتآلف والتسامح ولتقويه علاقات ابناء العـائله ببعضهم البعض سواء كانت علاقة اجتماعية او اقتصادية او سياسية او علمية او غيرها.

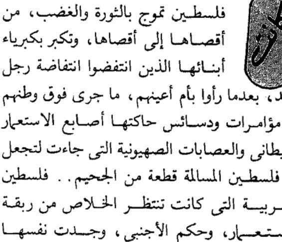
فعند ساعات العصر يبدأ افراد العائله الذكور بالتوافد على مقر الديوان الخاص بالعائله والذى عادة ما يتكون من شقـة كاملة، وعنـد المسـاء يجتمع الاقارب يتبادلون الاحاديث والنقاشات فى شتى المواضيع الاجتماعية واثناء ذلك يحتسون الشاى والقهوة والمرطبات وفى بعض الاحيان تستخـدم الـدواوين العـائليـة فى نابلس لاقامة حفلات الافراح كمناسبات الزواج او الافراح لأحد ابناء العائلة بعد ان كان معتقلا فى احد السجون الاسرائيلية لاسباب سيـاسيـة وتستخـدم الـدواوين ايضا لاقامة بيت الاجر (العزاء) عند وفاة احد افراد العائلة.

وفى مناسبات الاعياد كعيدى الفطر والاضحى يزور ابناء العائلة الواحدة بعضهم البعض وقد يزورون عائلات اخـرى.. وفى شهر شعبان تقام الولائم والعزائم لافراد العائلة الواحدة وكذلك الحال فى شهر رمضان المبارك.

فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية

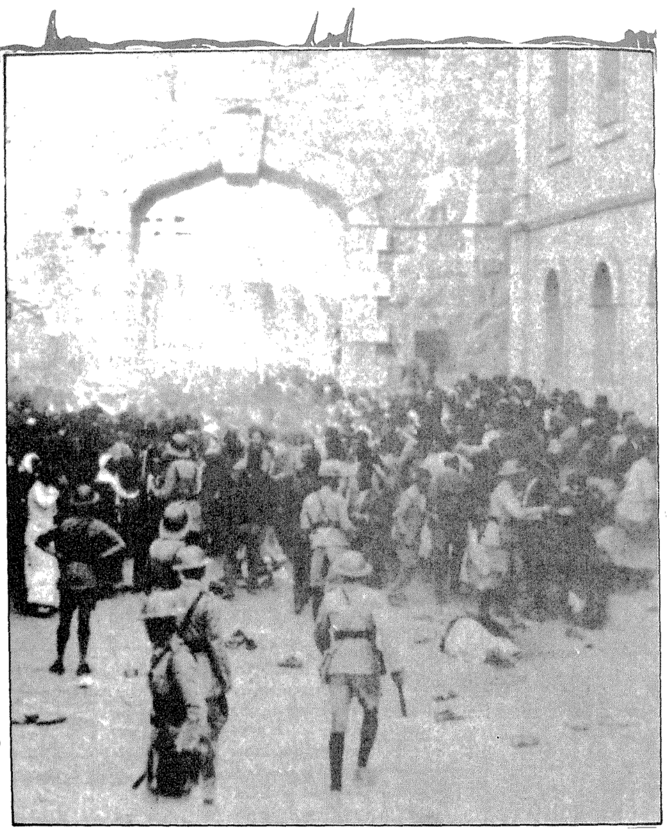
أول كتاب جامع عن القضية الفلسطينية

كانت فلسطين تموج بالثورة والغضب، من أقصاها إلى أقصاها، وتكبر بكبرياء أبنائها الذين انتفضوا انتفاضة رجل واحد، بعدما رأوا بأم أعينهم، ما جرى فوق وطنهم من مؤامرات ودسائس حاكتها أصابع الاستعمار البريطانى والعصابات الصهيونية التى جاءت لتجعل من فلسطين المسالمة قطعة من الجحيم.. فلسطين العربية التى كانت تنتظر الخلاص من ربقة الاستعمار، وحكم الأجنبى، وجدت نفسها مستهدفة، مما حدا بأهلها الى العمل الجاد من اجل التخلص من الخطر المحدق بهم من كل جانب، حتى يطهروا وطنهم من الغاصب المعتدى.. فوعد بلفور المشؤوم الصادر سنة ١٩١٧، والذى ينص على اقامة وطن قومى للصهاينة فى فلسطين، بدأت خيوطه السوداء تتكشف للجميع كدليل على تكريس العدوان والعمل الدؤوب من أجل تمكين اليهود من إنشاء وطن لهم، دفع بالعرب، أبناء البلاد الشرعيين إلى الاحتجاج فى بادىء الأمر بتشكيل اللجان، وارسال برقيات الاستنكار الى زعماء العالم من أجل رفع الظلم عنهم، ثم تطور الأمر الى المظاهرات والاضرابات التى انتهت الى الكفاح المسلح. وقد وقعت اكثر من ثورة مسلحة، بدأت سنة ١٩٢٠ فى القدس وفى يافا وسائر المدن الفلسطينية الأخرى.



ومن أكبر الثورات التى شهدتها فلسطين فى الثلث الأول من هذا القرن ثورة **«البراق الشريف»** التى بدأت حوادثها فى الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩٢٩م وامتد لظاها الى كل بقعة من بقاع فلسطين، واستمرت خمسة عشر يوما قتل وجرح فيها العشرات من العرب واليهود. وهذه الأحداث الخطيرة والمهمة التى شهدتها فلسطين، تم تسجيلها فى كتاب **«فلسطين العربيسة بين الانتداب والصهيونية»** تأليف الأستاذ عيسى السفرى وقد صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب فى سنة ١٩٣٧، إبان احتدام نيران الثورة العربية الكبرى فى فلسطين، وذلك عن مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة بيافا، وجاء فى كتابين ضمهما مجلد واحد.

الكتاب الأول: اشتمل الكتاب الأول على تاريخ القضية العربية الفلسطينية منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين سنة ١٩١٧، حتى نشوب ثورة نيسان الكبرى سنة ١٩٣٦م.. وبمناسبة مرور نصف قرن على صدوره يسرنا أن نقدم عرضا موجزا له.



● فى الصورة جنود الاحتلال البريطانى يقمعون مظاهرة فلسطينية نظمت احتجاجاً على الهجرة الجماعية للصهاينة فى موقع باب الجديد بمدينة القدس سنة ١٩٣٣ ●

مؤلف الكتـــاب :

مؤلف هذا الكتـاب عيسى السفـرى صحفى وأديب فلسطينى، ولد فى مدينة الرملة وقد عمل فى التعليم والصحـافـة، وكـانت له نشاطات بارزة فى المجـال الاجتماعى والنشاط القومى الثقافى. وعمل محررا فى جريدة «فلسطين» اليومية حيث كان يكتب فيها المقالات والخواطر والمعالجات السياسية . . «ومن على صفحـاتها دافـع عن فلسطين التى تهددهـا الأطـماع الصهيـونيـة، وعن شعبهـا العـربى الذى يتعـرض لقمـع سلطات الانتداب ولطغيانها. ودعا

الى محاربة الانتداب والصهيونية. والى التنبه والحذر من مخططات العدو وألاعيبه الغادرة، وبعد أن ترك جريدة فلسطين أسس مكتبة فى يافا، كانت ندوة للأدباء ومطبعة تجارية، وواصل الكتابة فى الصحف، ثم اعتقلته السلطات البريطانية فى سجن المزرعة بعكا ثلاثة أشهر. وبعد الافراج عنه عاد بعدها الى سابق كفاحه القلمى ضد الصهيونيين والمستعمرين».

وشاءت الأقدار أن يهاجر من وطنه فلسطين سنة **١٩٤٨** مع من هاجروا من أبناء بلده الى مدينة السلط، فأقام فيها قرابة سنة، انتقل بعدها الى عمان، وأخذ يشارك فى تحرير جريدة «فلسطين» إلا أن المنية عاجلته، وتوفى إثر أزمة قلبية سنة **١٩٤٩** مخلفا وراءه عدداً من المؤلفات نذكر منها:

١ - رسالتي: وهى مجموعة مقالات فى الأدب والوطن والاجتماع سنة ١٩٣٧.

٢ - دماء ودموع.

٣ - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية (١٩٣٧).

وقد رحل فى الوقت الذى كان فيه الشعب الفلسطينى يلم نفسه فى محاولة للخروج من مأساته.. ولهذا لم يسمع بهذا الأديب إلا قلة من الناس، رغم ان كتابه «**فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**» من اهم المراجع عن القضية الفلسطينية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٧.

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المجال، أن دار منشورات صلاح الدين فى القدس المحتلة، أعادت طباعة الكتاب سنة ١٩٨١.

مدخل إلى الكتاب:

وأهمية هذا الكتاب، تتمثل فى أنه أول كتاب عربى جامع للقضية العربية الفلسطينية منذ نشأتها حتى تاريخ صدوره سنة ١٩٣٧، حيث سجل فيه مؤلفه أولا بأول، ويوما بعد يوم بالكلمات والصور ما جرى على أرض فلسطين العربية من أحداث خطيرة ومؤامرات ودسائس وجرائم وُجِّهت ضد الشعب العربى فى فلسطين، منذ أن احتلتها بريطانيا، وراحت تنفذ خططها من أجل تمكين العصابات الصهيونية من إقامة دولة (يهودية) فى فلسطين العربية.. وقدم الكتاب سماحة الحاج أمين الحسينى، المفتى الأكبر رئيس اللجنة العربية العليا فى فلسطين حيث أثنى على الكتاب ومؤلفه.. جاء الجزء الاول من الكتاب فى ٢٧٠ صفحة من الحجم الكبير، وقسَّمه مؤلفه الى ستين فصلا.

مأساة ذات فصول:

فى الفصل الأول من الكتاب تحدث المؤلف بإيجاز عن دور بريطانيا فى عدم معاونة العرب من اجل ردع الاحتلال الصهيونى كما أنها اعتبرت نفسها حليفة لهم، جاءت لتخلصهم من ظلم الأتراك، الى أن كشفت عن نيتها بعد أن احتلت فلسطين، لتعمل على تنفيذ الوعد الذى يقضى بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، الصادر عن وزير خارجية بريطانيا بلفور سنة ١٩١٧.. وفى الفصول الأخرى تحدث المؤلف عن جغرافية فلسطين، وموقعها التاريخى، وسكانها الاصليين وعن الحركة الصهيونية وتطوراتها وعن فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى.

وعن المؤتمرات السياسية منها: «**المؤتمر العربى السورى العام - المؤتمر العربى الفلسطينى الثانى - الجمعية العربية الفلسطينية - المؤتمر العربى الفلسطينى الثالث.**» تلك المؤتمرات التى جاءت لتؤكد أن العرب أمة واحدة، وان فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير.

وتم عقد أول مؤتمر للعرب، بعد دخول بريطانيا إلى فلسطين فى دمشق فى شهر حزيران سنة ١٩١٩. وقد اشتركت فيه فلسطين اشتراكا فعليا إذ أرسلت نُوّابا يمثلونها فى المؤتمر المذكور، واعتبره الفلسطينيون أول مؤتمر لهم واتخذوا قراراته قاعدة للسياسة الوطنية يجب أن يسيروا عليها فى جهادهم.

وعقد المؤتمر الثانى فى دمشق ايضا يوم ٢٧ شباط سنة ١٩٢٠ واشترك فيه مندوبو اللجنة العليا للدفاع الوطنى فى دمشق، ومفوضون عن الاحزاب السياسية فيها وجمعياتها وزعماء الدنادشة وحوران والترك وشيوخ بنى صخر. وقد اتخذ المؤتمرون قرارات هامة وحيوية.

أول صحيفة فى فلسطين:

وصدرت فى القدس بتاريخ ٨ أيلول سنة ١٩١٩ جريدة «سورية الجنوبية» لصاحبها الأستاذ عارف العارف، فكانت قوية الحجة شديدة اللهجة وطنية الغاية، مبدأها الوحدة السورية والاستقلال التام ورفض الهجرة الصهيونية. وقد حملت هذه الجريدة بنوع خاص لواء الجهاد ضد الصهيونيين وتحدث المؤلف فى فصل خاص عن معاهدة سايكيس - بيكو. وعن بدء الاضطرابات فى القدس سنة ١٩٢٠ وعن صك الانتداب على فلسطين. وناقش فى فصل آخر الأسس الواهية فى بناء الوطن القومى اليهودى، وعن أغراض الصهيونية كما كشفت عنها أقوال كبار رجالها وزعمائها.

●● وعن اضطرابات يافا سنة ١٩٢١ وثورة البراق سنة ١٩٢٩ واعدام الابطال الثلاثة عطا الزير وفؤاد حجازى ومحمد جمجوم فى السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ بتهمة اشتراكهم فى ثورة البراق، ودور المرأة العربية وحركة الشباب العربى فى الدفاع عن وطنهم فلسطين وأفرد فصلا خاصا للحديث عن الصحف العربية اليومية التى كانت تصدر آنذاك وهى جريدة فلسطين، وجريدة الجامعة الاسلامية، وجريدة الدفاع، وجريدة اللواء.. وتحدث عن ثورة الشهيد عز الدين القسام الذى استشهد قرب قرية يعبد فى لواء جنين فى العشرين من شهر تشرين الثانى سنة ١٩٣٦ وكان لاستشهاده ردة فعل قوية عند أبناء فلسطين الذين صعدوا من كفاحهم وقامت الثورة الكبرى لوضع حد لتعسف السلطات البريطانية، والعصابات الصهيونية التى كانت تتسلح وتتدرب بالسر من أجل تنفيذ مآربها العدوانية. وعن تطور الحركة السياسية فى البلاد حيث تم تشكيل الاحزاب الفلسطينية المختلفة.

الكتاب الثانى واشتمل الكتاب الثانى على تاريخ الثورة العربية الكبرى التى تفجرت فى فلسطين فى اليوم التاسع عشر من نيسان سنة ١٩٣٦ حتى نهاية عام ١٩٣٧ وفيه ما يهم كل عربى للوقوف عليه من دقائق الثورة التى اندلعت إثر الاحداث الخطيرة التى جرت على أرض فلسطين، وتطوراتها خلال الاضراب الطويل الذى استمر مدة ستة أشهر، فكان أطول إضراب عرفه العالم.

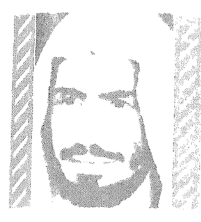
●● ففى السادس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٣٦ دعت الهيئات الوطنية فى فلسطين الى الاضراب العام احتجاجا على المواقف الاجرامية التى وقفتها بريطانيا من الشعب العربى فى فلسطين. وبعد أيام من الاضراب تم تنظيم الحركة الوطنية فى البلاد بتأليف «اللجنة العربية العليا» التى ضمت مختلف الاحزاب الوطنية للوقوف صفا واحدا فى وجه الأعداء، وقد استمر هذا الاضراب ستة شهور، أثبت فيها الشعب الفلسطينى أنه قادر على تقرير مصيره.

ووقعت فى هذه الفترة عشرات المعارك وسقط الكثير من الشهداء ومن أبرز تلك المعارك: **«معركة نور شمس - معركة عقيرة - معركة وادى عرعرة - معركة عين دور... الخ»**.

وكان لهذه المعارك أثرها الكبير فى تكبيد القوات البريطانية والعصابات الصهيونية إصابات كبيرة وموجعة.

وكما نرى، فقد احتوى الكتاب على معلومات شبه وافية عن أخطر مرحلة مرت بها القضية الفلسطينية حيث كانت الأحداث تتسارع وتكبر لتشكل منعطفات جديدة فى تاريخ فلسطين والأمة العربية.





يجيب عليها فضيلة الشيخ صالح اللحيدان

تسأل: هند ط. ى . . . جده

إمرأة شربت دواء مضراً وكانت تعلم أنه يضر الجنين لكنه لا يؤدى الى وفاته وحين شربته سقط الجنين ميتاً فهل يلحقها إثم وماذا يترتب على هذا . . ؟

جواب: هذه المرأة تسببت فى قتل نفس عن طريق شبه معلوم أنه مضر حسب ما جاء فى السؤال فيلزمها ما يلزم القاتل. قال ابن قدامة رحمه الله فى «المغنى» ج٧ ص٨١٦ «وعليها عتق رقبه كما قدمنا ولوكان الجانى المسقط للجنين أباه أو غيره من ورثته فعليه غرة لا يرث منها شيئا ويعتق رقبة وهذا قول الزهرى والشافعى وغيرهما».

قلت فإن لم تستطع عتق الرقبة فيلزمها صيام شهرين متتابعين وهذا منصوص عليه فى كتاب الله وان كان إبن قدامة لم يذكره هنا.

يسأل: سعد العبد العزيز الجبارى . . جوفان

رجل توفى عن ذوى أرحام وليس له من الورثة على قيد الحياة إلا هم فهل يرثونه . . ؟

جواب: الصحيح من قولى العلماء أن من خلف ذوى أرحام دون سواهم أنهم يرثونه وهذا قول أبى حنيفة واسحاق بن راهوية والثورى واكثر السلف لقوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾. . ولما ورد عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «الخال وارث من لا وارث له. يرث ماله، ويفك عانه».

الاستاذ: سليمان بن على العودة . . إدارة المجاهدين . . الرياض:

ما قرأته فى بعض الصحف مما تنشره دون مراقبة مثل الصور وأخبار لا تسر ولا تجوز شرعاً لا نقول أمام هذا إلا حسبنا الله ونعم الوكيل، واسم «أحمد على الله» هذا الاسم اطلاقه باطل إذ قد جعل جده موافقاً للفظ الجلالة فسماه «الله» وحتى وان كان من باب الاضافة فهو مردود. وليت الصحيفة التى اشارت الى هذا بينت عدم جوازه.

الاستاذ: قيس مراد قيس . . الجمهورية العراقية ـ بغداد:
(على بن أبى طالب) صحابى جليل له حق القرابة وحق الصحبة فرضى الله عنه وأرضاه وأنعِمْ به من عالم تقى عابد ورع طلق الدنيا بالثلاث كذلك رواه ثقاة المؤرخين والحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة كما جاءت بذلك النصوص، ولم أسمع ما نقلته لى وقد استغربته كما استغربته أنت فعلى وطلحة والزبير اخوان كلهم شهد لهم الرسول بالجنة هم والسبعة، أرجو ذكر المصدر الذى جاء فيه ما ذكرت لى.

الطالب الفاضل: عبد الله . م . ل . . ثانوية اليمامة . . ٢/ث
اعتمادك على الله واللجوء إليه حال السراء والضرّاء يعطيك ما لم يكن لديك بالحسبان يعطيك قوة معنوية وتكون مرفوع الرأس واثق النفس ثقيل الخطوة، وموضوعك سوف أتابعه عند إدارة التعليم فقط انتبه لدروسك.

الشيخ: عبد الله بن فهاد السلمى ـ نجران
الشيخ: قاعد فهاد السلمى ـ نجران
الطالب: بدر . م . أ ـ مكة طريق السيل
الطالب: داود سليمان بكر ـ جدة
الطالب: أ . م . أ . ن ـ الرياض ـ ثانوية اليمامة

من أهم كتب القضاء فى الاسلام:
«اعلام الموقعين ـ المُغْنى ـ المحلى ـ المبسوط ـ الطرق الحكمية ـ أخبار القضاة ـ السياسة الشرعية».
وهذه الكتب مشهورة جداً ومتداولة والقضاء لا يكفى فيه العلم فقط بل لابد من الفهم وقوة الشخصية والامانة والورع جداً.

خاص
يرد إلينا ملابس جديدة غالية الثمن من: السعودية . . والكويت . . وقطر . . والامارات العربية يرسلون هذا بعد أن أعلنا أننا نقبل الزكاة وقد ظن هؤلاء المسلمون الاخيار أننا نقبل ذلك.
نفيد الجميع أن باب الفتاوى يقبل الزكاة المالية فقط ويجعلها بايدى المستحقين المستترين الذين لا يسألون الناس إلحافاً وما وردنا من ملابس فقد وضعناها فى موضعها بيد أهلها من الفقراء، ويمكنكم الكتابة بهذا على ص. ب (٢٩٢٥) جدة أو ص. ب (٥٩٨١) الرياض.

إطلالة على

مجمع الفقه الاسلامي بجدة



سمو الامير سعود بن عبد المحسن يفتتح اعمال الدوره الرابعة لمجمع الفقه الاسلامى بجدة نيابة عن خادم الحرمين الشريفين.

جاء الاسلام ليضع للبشرية منهاج حياة سويّة متّزنة قوامها إخلاص العبودية لله وحده واتباع منهجه.. وجاء رسول الهدى ﴿ﷺ﴾ خير قدوة يُقتدى به، وتلقّى الصحابةُ منه التشريعَ والعمل بمقتضاه وتلاقت قلوبُهم مع حركة حياتهم واتحد القول والعمل فأصبحوا منارة حق ونجوم هداية.. وتوالت السلسلة النورية يتقلدها التابعون ومن تبعهم بإحسان.. وجاءت عصور الانكسار والاضمحلال واتسعت الفجوة وزادت اتساعاً ما بين المنهج الأمثل للحياة وبين الواقع المعاش. وركن كثير الى الواقع - رغم بعده عن الشرع السوى - الا من بعض صالحين ظلوا على رأس قمم

أعده وأجرى الحوار
السمانى كمال الدين
قسم التحقيقات بالمجلة

متباعدة.. ويصبح أمر الدين أمرا فرديا وتصدر الفتوى فيه فى بعض الاحيان باجتهاد فردى.

ويعود الزمان لسيرته الأولى وتعلو ملامح أيامنا صحوةٌ اسلامية ويتّسع مداها.. صحوة تبغى الرجوع الى شرع الله وتطبيقه واقعا فى الحياة.. فقد سلكنا كل المسالك ولم نفلح.. ولا فلاح الا بالرجوع لشرع الله سبحانه ونبذ كل شىء دونه..

وكما انتشر الاسلام فى القرون المباركة الأولى وعم ارجاء المعمورة كلها نجد الآن حركة متنامية متصاعدة للمد الاسلامى فى أنحاء العالم كله حيث تنتشر المراكز الاسلامية والهيئات والمنظمات الاسلامية التى تجمع هؤلاء المسلمين وتوحد ذات بينهم.

ولهذه الصحوة المتصلة الحلقات ولهذا المد المتلاقى الأطراف واظهاراً لدين الله سبحانه وايضاح شرعه باسلوب علمى دقيق ومدروس لابد من تأسيس وانشاء ما يؤدى هذا الغرض بصفة جماعية واعية.

ولذا كانت رابطة العالم الاسلامى والتى انبثق عنها منظمة المؤتمر الاسلامى ومجمع الفقه الاسلامى الذى نحن بصدده الآن.. ويوضح هذا الاتجاه معالى الاستاذ شريف الدين بيرزادة الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى بقوله «إن الدعوة الى انشاء مجمع عالمى للفقه الاسلامى تشكل ضرورة حتمية فى هذه المرحلة من مراحل تطور الأمة الاسلامية حيث تجد فيها الاجابة الاسلامية الأصيلة لكل سؤال تطرحه أمامها تحديات الحياة المعاصرة من أجل إسعاد البشرية عامة والمسلمين خاصة.. وذلك يقتضى حشد جهود فقهاء وعلماء وحكماء ومفكرى العالم الاسلامى للاجابة على الأسئلة التى تطرحها تحديات العصر من واقع شريعتنا السمحة..»

ويوضح هذه الفكرة ايضا معالى الدكتور الحبيب بلخوجه الأمين العام لمجمع الفقه الاسلامى بقوله: **«ونحن فى هذا العصر وتجاه ما يحدث فيه من قضايا تمس كل مجالات الحياة من مذهبية فكرية واجتماعية اقتصادية وعلمية ونحوها نلقى الناس عامة فى كل البلاد الاسلامية وفى غيرها يسائلون عن موقف الدين منها موازنين فى حيرة وبلبلة بين الاقوال المتضاربة والآراء المتهافتة.. وهم جميعا ينتظرون من اهل الفقه والعلم بالاحكام الشرعية دراسة مختلف الآراء فى المسألة الواحدة والنظر فى الادلة والقواعد التى تحكمها والنظر فى كل ذلك جميعاً للتوصل الى اختيار أقربها للحق وأوفقها لمسايرة مصالح الناس.. وان الاجتهاد ليصبح اقوى وأسلم حين يكون جماعيا وتخلص فيه النية وتغلب على القائمين به الخشية من الله والتقوى له والتفكير فى مصالح الافراد والجماعة الاسلامية».**

كان إنشاء مجمع الفقه الاسلامى ناتجاً عن القرار الذى اتخذه مؤتمر القمة الاسلامى الثالث المنعقد فى مكة المكرمة فى ربيع الاول ١٤٠١هـ الموافق (يناير ١٩٨١م).

ويأخذ المجمع فى اعتباره:

● تحقيق ارادة الامة الاسلامية فى الوحدة نظرياً وعمليا وفقاً لأحكام الشريعة الاسلامية.

● الدور الحضارى الذى اضطلعت به الشريعة الاسلامية والتراث الاسلامى والذى اثرى المعرفة الانسانية.

● تمكين المسلمين من مواجهة مشكلات الحياة المعاصرة بتقديم الحلول المناسبة النابعة من الشريعة الاسلامية عن طريق الاجتهاد الصحيح والأصيل.

انعقد بحمد الله تعالى المؤتمر التأسيسى لمجمع الفقه الاسلامى فى مكة المكرمة فى شهر شعبان ١٤٠٣هـ الموافق لشهر يونيو ١٩٨٣م تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.. وقد جاء فى كلمته بهذه المناسبة **«ان بيان حكم الله ووجوب الخضوع له حكاماً ومحكومين سوف يؤدى الى حقن الدماء وحفظ الأموال وصيانة الاعراض.. كما أن بيان حكم الله سوف يجعل المسلمين دعاة رحمة وأمن ولسوف يوجه جهودهم ضد عدوهم فى وقت تتداعى فيه الامم على حضارتنا وتراثنا وأمتنا.. إننا نؤمن ان الاسلام دين يخاطب العقل ويناهض التخلف ويشجع حرية الفكر ويستوعب منجزات العصر ويحض على متابعتها ويضع قواعد السلوك الانسانى وينظم العلاقات الاجتماعية والدولية على أساس من الرحمة».**

واستطاع مجمع الفقه الاسلامى أن يستقطب الى عضويته العاملة مجموعة متميزة من الفقهاء والمفكرين والعلماء فى شتى مجالات المعرفة الاسلامية من كافة الدول الإسلامية وذات الاقليات المسلمة حيث شاركت فيه ٣٩ دولة.. وتتمثل عضويته فى كل الدول المشتركة فى منظمة المؤتمر الاسلامى.. ولقد وضع المجمع أهدافاً طموحة لمنهج اعماله وخطة ابحاثه ودراساته تتناول الجوانب ذات الأهمية الملحة فى حياة المسلمين..

■ وجاء ضمن الوسائل المتاحة لتحقيق تلك الاهداف والغايات:

١ ـ وضع معجم للمصطلحات الفقهية ييسر على المسلمين ادراك معناها لغة واصطلاحاً عن طريق لجان متخصصة.

٢ ـ كتابة الفقة الاسلامى بالطريقة التى تسهل على الدارس والناظر أخذ ما يحتاجه وذلك بوضع موسوعة فقهية شاملة.

٣ ـ التعاون والتنسيق مع المجامع واللجان والمؤسسات الفقهية القائمة فى العالم الاسلامى.

٤ ـ تقنين الفقه الاسلامى عن طريق لجان متخصصة.

٥ ـ تشجيع البحث الفقهى فى نطاق الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية حول تحديات العصر وقضاياه الطارئة.

٦ ـ اقامة مراكز بحوث للدراسات الاسلامية فى بعض انحاء العالم تخدم أهداف المجمع.

٧ ـ نشر بحوث المجمع بشتى الوسائل المتاحة على أوسع نطاق.

٨ ـ العمل على احياء التراث الفقهى الاسلامى والعناية بأصول الفقه وكتب الخلاف.

ويقوم المجمع فى اداء اعماله على خمس شُعَب أساسية هى:

- شعبة التخطيط.
- شعبة الدراسة والبحث.
- شعبة الافتاء.
- شعبة التقريب بين المذاهب.
- شعبة الترجمة والنشر.

■ ولكل شُعبة من هذه الشعب خطة عملها حسب تخصصها العلمى وجدول أعمالها وينبغى انجازها وتقديمها فى جلسات المؤتمر المخصصة لدراستها واتخاذ الرأى فيها وقد عقد مجمع الفقه الاسلامى منذ تأسيسه حتى الآن أربعة مؤتمرات.

الاول منها فى شهر صفر ١٤٠٥هـ/ نوفمبر ١٩٨٤م.
وناقش فيها جوانب ادارية وتنظيمية.

الثانى فى ربيع الثانى ١٤٠٦هـ/ ديسمبر ١٩٨٥م
وناقش المجمع فيه عدة قضايا منها:

● زكاة الديون ـ زكاة العقارات والأراضى المأجورة غير الزراعية.
● استفتاء المعهد العالمى للفكر الاسلامى بواشنطن.
● أطفال الأنابيب.
● بنوك الحليب.
● اجهزة الانعاش.

وقد قدم المختصون من العلماء الدراسات والبحوث لدورة المجمع وتمت مناقشتها واتخذت قرارات فى بعضها
كما ناقش المجمع ايضا:

● استفسارات البنك الاسلامى للتنمية.
● التأمين واعادة التأمين.
● حكم التعامل المصرفى المعاصر بالفوائد.
● حكم التعامل فى المصارف الاسلامية.
● توحيد بدايات الشهور القمرية.
● خطاب الضمان.

وقد أخذ قرارات فى بعض هذه الموضوعات وأجَّل بعضها للدورة القادمة لاستيفاء دراساتها

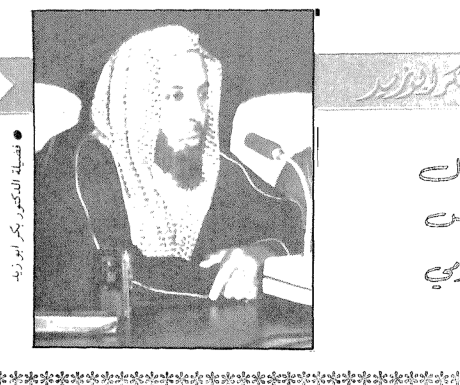
ومن الموضوعات التى ناقشها مجمع الفقه الاسلامى فى دورته الثالثة المنعقدة بعمان/الاردن فى صفر ١٤٠٧هـ:

● استفسارات البنك الاسلامى للتنمية.
● اطفال الانابيب.
● اجهزة الانعاش.
● توحيد بدايات الشهور القمرية.
● الاحرام للقادم للحج والعمرة بالطائرة والباخرة.
● صرف الزكاة لصالح صندوق التضامن الاسلامى.
● أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة.
● سندات المقارضة وسندات التنمية والاستثمار.

■ وعقد المجمع دورته الرابعة فى مدينة جدة فى جمادى الاخرة ١٤٠٨هـ/فبراير ١٩٨٨م وناقش فيها عدداً من الموضوعات والبحوث كما اتخذ عدداً من القرارات والتوصيات بشأنها.
ومن هذه الموضوعات:

● انتفاع الانسان باعضاء جسم انسان آخر حياً كان أو ميتاً.
● زكاة الاسهم فى الشركات.
● انتزاع الملكية للمصلحة العامة.
● سندات المقارضة وسندات الاستثمار.
■ بدل الخلو.
● بيع الاسم التجارى والترخيص.
● التأجير المنتهى فى التمليك والمرابحه للآمر بالشراء وتغيير قيمة العملة.

● البهائيـــة .
● مشروع تيسير الفقه .
● مشروع الموسوعة الفقهية .
● مشروع موسوعة القواعد الفقهية .



● فضيلة الدكتور بكر ابو زيد

وبمناسبة انعقاد الدورة الرابعة لمجمع الفقه الاسلامي الذي يضطلع بدور علمي واسلامي على درجة كبيرة من الأهمية يسر مجلة المنهل أن تلتقي بفضيلة الأستاذ الدكتور بكر أبو زيد وكيل وزارة العدل في المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس مجمع الفقه الاسلامي.

□ المستجدات في مجال الطب وما يتصل به من علوم سخرت لخدمة الانسان في معالجته وتطبيبه كثير منها كان يترك علامات استفهام تدور حول التعامل معها من حيث حرمتها أو حليتها من الناحية الشرعية مما يتوجب سرعة البت فيها . . ومجمع الفقه الاسلامي ـ الآن ـ باعتباره الجهة المسؤولة عن ايراد هذا الرأي القاطع لا يستطيع ذلك الا في اجتماع مؤتمره في زمنه المحدد له سلفا ولذلك يكون تعامل الناس مع هذه المستجدات قائما على اجتهاداتهم الخاصة . . فهل ترون فضيلتكم سبيلا لمواكبة هذه المستجدات في حينها . . ؟؟

●● أمام هذا الفارق الزمني بين المستجدات وبيان الحكم الشرعي لها أقول هناك أمران :

الأول : أن أهل العلم لا يبتون الحكم على نازلة أو أمر مستجد إلا بعد استكمال التصور لطبيعة الواقعة بجميع ما يحف بها . وهذا من مجالات الاجتهاد فيما لا نص فيه عن طريق الاستنباط أو التنظير والقياس .

وكم من واقعة أول ما تبدأ تكون ضعيفة ثم تأخذ في التقـوية بما يغير صفتها أو بعض جوانبها فيكون سبباً لتغير الحكم ، وعليه : فإن وجود الفارق الزمني بين الـواقعـة وبـين بيان الحكم بشكله المجمعي أو الجماعي لا يعني عدم المواكبة لبيان الحكم الشرعي إذ في كل قطـر مستجـدات فيجب على علماء القطـر بيانها ، حتى إذا كان لها صفة العموم أو كانت بحاجة الى بيان رأي جماعي فالمجمع يبسط يد القبول بعد

اعـداد الابحاث والدراسات التقنية والشرعية حتى تلتقى الحقيقة الشرعية مع الحقيقة الطبعية الواقعية للمستجدات والنوازل .

الثاني: أن قاعدة الاسلام العامة التى يسير عليها المسلم فى حياته عدم الاقدام على أمر يعمله فى حياته إلا بعـد معـرفـة موقعـه من أحكام التكليف جوازاً أوحرمة أو كراهية أو وجوباً أو سنّية ، وإن كانت البراءة الأصلية «الاباحة» تستصحب فى بعض الجوانب غير التعبدية .

ولو أن الجهات الطبية مثلا لا تستوفد المستجدات الطبية التى يتردد فيها النظر وتحتاج الى بيان حكمها الشـرعى الا بعـد عرض التصـور الطبى وصـدور الفتـوى به لكـانـوا بهذا يبـذلـون فى الاسـلام يداً يشكرون عليها وتبقى الأمور على الصفاء خالية من التموج والوقوع فى الآثام .

■ *وهذه المستجدات العلمية والطبية ظهرت تجاهها سلوكيات خاطئة ولا أخلاقية من عدد من أصحاب مهنة الطب فيا يتعلق ـ بخاصة ـ بنقل الاعضاء ـ أطفال الانابيب حيث اصبح الامر تجارة رابحة لدى البعض من هؤلاء . . وما نخشاه ان تنتقل هذه العدوى الى عالمنا الاسلامى مما يجعلنا نأخذ الحيطة والمبادرة فى اتخاذ القرارات الفقهية والدينية اللازمة تجاه هذه الاشياء فى حينها؟*

●● أحب أن أبينّ هنا أن الفتوى فى أمر ما إذا صدرت بشـروطهـا وضـاناتها الشرعية ثم وقعت الممارسات تحت مظلة الفتوى دون التطبيق لشروطها، فإن هذه الممارسة لا تكون على ذمة الفتوى، وإنما هى عمل بالتشهى فالممارسة إذاً تكون غير شرعية .

ومثلا الفتوى بالتحريم فى واقعة يكون تحريماً لذات الشيىء فهو محرم تحريم غاية كتحريم طفل الأنابيب من غير الزوجين على فراش الزوجية . ويكون تحريماً لا لذاته ولكن لما يفضى إليه من سوالب فهذا من باب الموازنة بين المصـالـح والمفاسد وهنا صار تجاذب النظر مثلا فى طفل الأنابيب بين الزوجين فى صورتيه فى رحم الزوجة ذاتها لا فى رحم ضرتها . . وقد أفتى المجمع بالاكثرية بجوازها فى اطار شروطها الشرعية . . وقد توقفت فيها والله اعلم .

■ تعدد المذاهب الفقهية والعمل بمقتضاها فى مجتمعات عالمنا الاسلامى تطرح امامنا سؤالا له أهميته يتعلق بموضوع (الموسوعة الفقهية) ونعلم ان مجمع الفقه الاسلامى قد بدأ فى هذا المشروع . . . فهل نتوقع الانتهاء منه قريبا . ؟؟

●● السؤال ينبغى أن يكون: فهل نتوقع البدء بالموسوعة الفقهيـة قريباً. فأقول: إن المشاريع الرئيسية حاليا لدى المجمع وهى: «**الموسوعة الفقهية ـ معلمة القواعد الفقهية ـ تيسير الفقه ـ مدونة الأدلة**» . . انتهت الترتيبات لمناهج البحث بالنسبة للمشاريع الثلاثة الأولى وبدأ الاستكتاب فى «**الموسوعة الفقهية**» . . وهى فى نظرى خطوات جادة فى عمر المجمع الفتى .

■ الفقه الاسلامى فى مجالاته المتعددة ناقش كل قضايا الحياة والمجتمع . وبموسوعيته يجعله يناقش كل مستجدات الحياة وقضاياها . . مما يضاعف من مسؤوليات مجمع الفقه الاسلامى تجاه البحث العلمى فى هذه القضايا المطروحة الان فى مجتمعاتنا الاسلامية . . فهل نطمع فى توسيع دائرة نشر هذه الدراسات القيمة . . ؟؟

●● دأب المجمع بنشر بحوثه وقراراته فى دوريات أعقاب كل دورة. وتوزع على دول العالم الاسلامى . . وستطبع قراراته منفردة لتكون أكثر تداولا . وهكذا يأخذ المجمع بسبل توسيع دائرة النشر.

■ (الدعوة ـ وسائل الاعلام ـ قضايا الاستلاب الثقافى ـ التعليم ـ الاسرة) ـ (الوحدة الاسلامية ومجالاتها ـ أسلمة التعليم).

هذه كلها وغيرها قضايا عاجلة ومُلحّة فى عالمنا الاسلامى اليوم . . لا شك ان هذا المجمـع المـوقـر قد وجّه لها كثيرا من البحـوث والدراسات . . بما توصون فضيلتكم فى نطاقها . . ؟؟

●● إن (الـوحـدة الاسـلاميـة) تستلهم كل القضـايا الاسلامية ومن أبرزها ما ورد فى السؤال. وشد الامة الى وحـدتهـا هو رأس فى أهـداف هذا المجمع . وقد أصدر المجمـع بشأنها القواعد الأساسية للوحدة الاسلامية كما أصـدر بشأن: مكـافحـة المفـاسـد الأخـلاقية وبشأن: إسلامية التعليم ما يراه من قواعد ضابطة ليعيش المسلمون فى أطـر الشريعة الاسلامية ومناشدة الامور بها فى العالم الاسـلامى، لأنها من أعظم الواجبات وأهم المهمات . . والذى أوصى به فى هذا النطاق: انه يجب على من بسط الله يده على البلاد والعباد فى العالم الاسلامى ، أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ويقيموا شرع الله فى رعاياهم ، وأن يهرعوا إلى الكتاب والسُنّة ففيها الشفاء ، ولن يتحقق نصر إلا لمن اعتصم بهما. والله ولى الهداية والتوفيق .

المختار

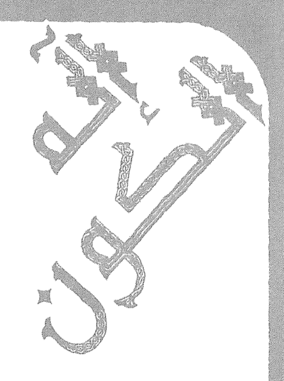
إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

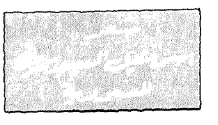
قصائد العدد

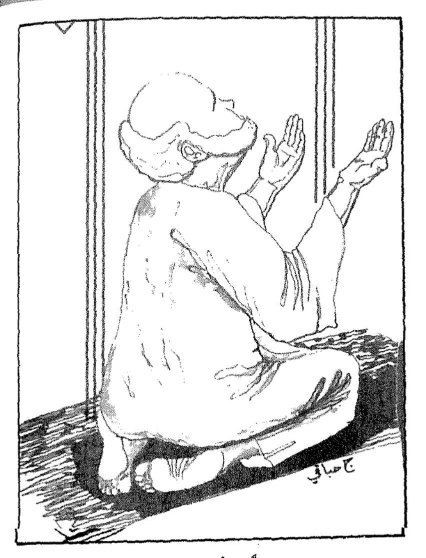
العدد الأربعون - شعبان ١٤٠٨هـ

المشرف

محمود عارف



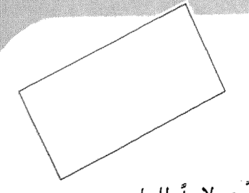




أنا مازلتُ أخشاه
لعلمى أنهُ اللهُ
إلهُ الكونْ خالقُهُ
وما للكونِ إلاّه
يلبّى دعوة الداعى
ولا ينسى رعاياه
ويقبلُ توبةَ العاصى
وإن جلَّتْ خطاياه
يراه القلبُ يدركُهُ
فيدركُ كُنْهَ معناه
تعالى ربُّنا اللهُ
كريمٌ فى عطاياه

هو المنَّانُ ذو نِعَمٍ
وكم نحظى بنُعْماه
هو الشافِ هو العافِ
هو المحمودُ عقباه
هو المُعطِى.. هو المُنجى
هو المأمولُ لُقياه
هو الباقى.. هو الساقى
هو الرحمنُ لولاه
أنا مازلتُ أخشاه
لعلمى أنَّهُ اللهُ
إلهُ الكونِ خالقُهُ
وما للكونِ إلاّه

تحليقة روح



نفســى عرفتُـــك بين أحـ

ـضــانِ الكــآبــة والجـراحْ

نفسى، فصـبراً إنما الدنيا . .

. . وإن رقَّــتْ كفــاحْ

❊ ❊ ❊

كم فارسٍ ضحكتْ له االدنيا

. . . فزمجَــرَ واســتــبــاحْ

ومــشــى على هامِ الــزمـا

نِ مغـــرِّداً صعــبَ الجِـماحْ

❊ ❊ ❊

يســعــى لغــايــتِــه وقـد

جعــلَ الــرجــاء له سلاحْ

فمضى عن الـدنيـا وخلَّفَ

. . . بعــدَه طيفَ النُّـوَاحْ

❊ ❊ ❊

كم جامــعٍ للمال يا

نفــســى ، قتيــلَ الارتيــاحْ

يسعى وراء المال ـ أنّى . . .

. . . كان ـ مغلولَ السراحْ

❊ ❊ ❊

ترك الحــيــاة فما اســتـفــا

دَ من الحــيــاة ولا اســتراحْ

نفــســى ، وإن عصـفـتْ بآ

مالــى وأشــواقى الــريــاح

❊ ❊ ❊

فتصـــبَّرى لابدَّ لليل . . .

. . . الطـويـلِ من الصباحْ

واغدي مع الدَّربِ السديد

فمنــــه يا نفــســى الــرَّواحْ

❊ ❊ ❊

ربَّـاه عفــواً ليس يقتل . . .

. . . لوعــتــى إلا الـبَــوَاحْ

إنــى لجأتُ إلــيــك يا

ربــى لأطــلبــكَ الســماحْ

فاغفــرْ ذنوبى واجعلِ الســ

ـعىَ الحثيث الى نجـاحْ

من إيحاء المسابقة الدولية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم والتي تعقد سنويا في قاعة التضامن الإسلامي بمكة المكرمة



في رحاب القرآن الكريم

شعر
محمد حسن علوي الحداد
مكة المكرمة

فى رحابِ القرآنِ طابَ التلاقِى
فى سباقٍ ما مثله من سباقِ
ما أحيْلاه من سباق بهيجٍ
ناشىءٍ عن محبةٍ ووفاقِ
أيها الوافدونَ من كلِّ فجٍ
جمعتكم عنايةُ الخلّاق
فى رُبى مكة التقينا وفيها
مهبطُ الوحيِ نقطةُ الانطلاق
من حراء بدت.. وما هو عنا
ببعيد.. بشائر الانبثاقِ
وأطلّتْ على العوالمِ «إقرأ»
بدرُ تمّ فما له من محاقِ

وتوالتْ مواكبُ النورِ تترى
فى صفاء وروعةٍ وائتلاقِ
هذه قاعةُ «التضامن» تبدو
كسماء وضّاءة الآفاقِ
تُوّجتْ هذه السماء نجوماً
تتراءى للعين فى إشراقِ
ما اعتلى ذُروة المنصة تال
فى سباق مشمّراً عن ساقِ
ما تغنّى بصوته العذب يتلو
آيةً تلو آية باتساقِ
ما تغنّى إلا وجادتْ عيونٌ
فى خشوع بدَمْعها المهراق



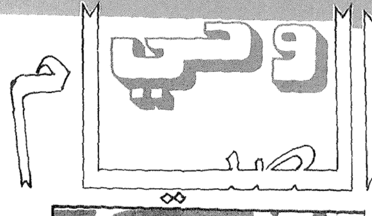
واطـمأنَّـتْ منـا الـقـلوبُ بآى
نرتـوى من معِـينِهـا الـدفَّـاقِ

كلما غادرَ المـنـصـةَ شبـلٌ
طار شبـلٌ الـى المنصـة راقـى
ما حديث المنى ووشـوشـة الأز
هار ما العـزفُ ما هديرُ السواقى
إنَّ أحـلى الأصَـواتِ نغمـةُ تالٍ
للكـتــابِ المــبـين حلو المـذاق
يسكبُ النـورَ والسكينـةَ فى القـ
ـلب ويـسـمـو بنـا الى الآفـاقِ
أنـا إن مسَّـنـى اكـتئـابٌ لضـرٍّ
لا أقــولُ اسقِنِى بكـاسٍ دهـاقِ
فى ظلالِ الـقـرآنِ راحـةُ قلبـى
وشـفـاء للنـفـسِ مما تُلاقـي
أيـهـا المـسـلمـونَ هذا كتـابٌ
باهـرٌ معجـزٌ بديـعُ السـيـاقِ

إنَّ هذا القـرآنَ دستوُرنـا الـوضّـ
ـاء يجلو عنَّـا دُجـى الافـتراقِ
فليـكُـنْ فى صدورنـا مستـقِـراً
قبـل أن يسـتـقـرَّ فى الأوراقِ
وأقيمُـوا قبـل الحـروفِ حُدوداً
إن أقيـمتْ زالت بذورُ الشقـاقِ
والـتـقـينـا وفى الـقـلوبِ وئـامٌ
فى لقـاء متـوجٍ باتـفـاقِ
أيهـا النـاشئـونَ فى روضةِ القر
آنِ هذا هو الـنـعـيـمُ الـبـاقـى
أيهـا النـاهـلونُ من منبـع العـ
ـلم ارتـويتُمْ من نبعـه الرَّقْـرَاقِ
فاتَّقُـوا اللهَ مَا استطعتُمْ وكـونُـوا
قدوة فى مكـارمِ الأخـلاقِ
واسألـوا الـلهَ أن يهيىء للديـ
ـنِ حماة تبرُّ بالمـيـثـاق
تتـلاقـى على دروب الـتـآخـى
تراْب الصَّدْع بعد طولِ انشقاقِ

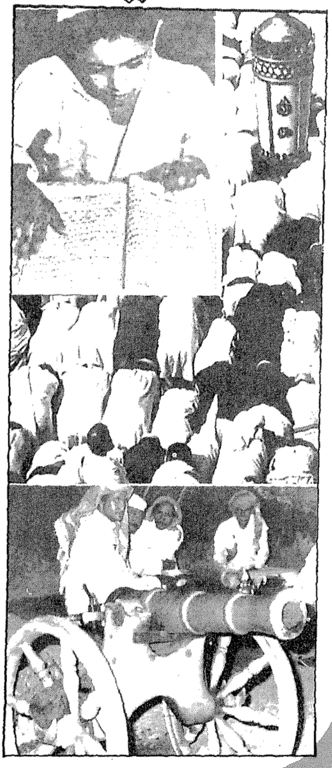
* * *

يا شبـابَ القـرآنِ يا فتيـة الاسـ
ـلام من سابـقٍ ومـن سبَّـاقِ
صغتُ من معـدنِ المحبـة لحنـاً
سامـق الـفـرع طيبَ الأعـراقِ
هو منِّـى إلـيـكـمـو رمـز حبٍّ
ودلـيـل الـتـقـديـرِ والاشـواقِ
وسـلامـاً يفيض شوقـاً وحبـاً
بأرقِّ المُـنـى من الأعـماقِ





جدة



شهرٌ تضيءُ بنوره الأعوامُ
من بدء.. بدء الخلق وهو حرامُ
شهرٌ أغرُّ.. بفجره نزلَ الهُدى
وتحطّمت من نوره.. أصنامُ
الصبحُ فيه من السَّنا.. متألقٌ
والليلُ فيه مع الصَّدى.. أنغامُ
قممٌ تلوذُ بهدْيِهِ.. وجمال ما
يوحى به.. للكائناتِ صيامُ
ويلوذ سفحٌ للورى.. بهدايةٍ
منه.. وتسمو للورى أفهامُ
هذا يثوبُ لرشدِه.. عن غيِّهِ
ويسودُ ذاك.. محبةٌ وسلامُ
أحلى الحياة.. بأن يسودَ ضميرَنا
شرفٌ.. وأن لا تُقْطَع الأرحام
فالنَّفسُ إن أصْغت لوحي عقاربٍ
جرُحت.. ولم تهنأ لها أيامُ

* * *

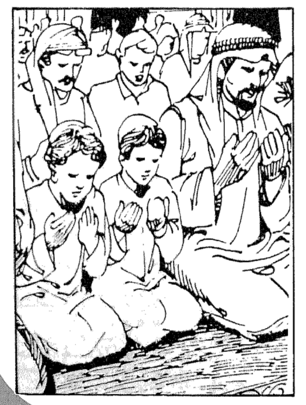
كم فى معانى الصوم من ايماءة
بفضائل.. يدعو لها الاسلام
صُقلت على مرِّ الزمان.. حروفُهُ
بالطُّهر.. لا نزقٌ ولا آثامُ
وجميل ما يوحى به شرف الفتى
وصروح مجدٍ.. للضعيف تُقام
مجدُ الصيام.. شقاء كل معذّبٍ
لا يرتضيه.. فمجده أنغامُ
البذلُ فيه.. لمن يعانى خصاصةً
فرضٌ على أهل الغنى وذمام
والعفو.. أغلى العفو فيه لمذنبٍ
زلّت به.. من طيشهِ أقدامُ
لكنَّ عفو الذنب أن لا يكتوى
منك الضميرُ الحرُّ.. والأقوام
ظلم الأنام.. وإن تقادم عَهْدُه
جرحٌ.. كجرح النفس حين تُضَامُ
قيمٌ من الأخلاق تُوحى للورى
أنَّ الحياة.. لمعتدٍ.. آلامُ
والحسن كلّ الحسن حين تصونها
قممٌ.. وتفشى عطرها أكمامُ

* * *

رمضانُ يا شهرَ العبادة والتُّقى
أيكونُ لى.. فيما آراه ملامُ؟؟
مالى أرى دُنيا العروبة مسرحاً
لغوايةٍ.. شاهت بها الأيام؟؟
تتساقط الأقمار فى ساحاتها
هدراً.. وتتلقى حتفها أيتام
ويظل انسان الفداء على المدى
رجع الصدى من جرحه ابهام
ما أضيع الأنسان يحفر.. قَبْرَه
بيديه.. والداء المميت خصام
والخُلْفُ فى نهج الكفاح ودربه
حَتْفُ.. وفى قلب الشعوبِ سهامُ

* * *

أيكون عشقى للجمال.. وحرفِه
وهماً.. ويبقى فى يدىَّ رغُامُ
والطير ان لاذت بظل خميلة
أغفت.. وداعب جفنها أحلامُ
يغفو على راحات نبضك يادمي
جفنى.. ولكنَّ الفؤاد حطامُ
الطِّيب ما اشتملت عليه مدينتى
لكنَّ هذا القلب.. كيف ينامُ





العيد والأمل الحائر

شعر
ياسين الفيل
مصر

والعيدُ يخطو الى الدنيا . . فيملؤها
عطراً وبشراً وأنواراً وإيمانا

وبسمةُ العيد فى أثوابِ فرحته
تلقى علينا عبيرَ الصفو ألوانا

وبهجةُ العيد بعد الصوم تحملنا
على شراع الهدى والطهر اخوانا

اهدى إليكم من الأعماق تهنئةً
تبقى مدى العمر للتقديرِ عُنوانا

أهدى إليكم تحيات معطرة
بالحبِّ حينا، وبالإخلاصِ أحيانا

اهدى إليكم . . ولكن ما يحيرنى
أن التوهج لم يسعفنىَ الآنا

وأن كلَّ معانى الصدق فى شفتى
حَيْرَى . . تذوبُ حشاشاتٍ ووجدانا

تخاف إن هى دوَّتْ فى محافلكُمْ
عنها تصدُّونَ أبصاراً وآذانا

* * *

يا إخوة الحبِّ ما للحب فى زمنى
قد عاد منْ رحلة الأشواقِ حزنانا؟

كلٌّ، تمزق لا يدرى لأيِّ مدى
يمضى، وأحقادُنا تجتاحُ دنيانا

هنا عِداء، هنا جوعٌ، هنا فِتَنٌ
هنا حروبٌ، هنا ضَلَّتْ نوايانا

هنا تفرَّقَ شملٌ، وانطوت ثقةٌ
والعدلُ فى يدنا يختلُّ ميزانا

ونحن لاهون، لم يكبح جماحَ فمٍ
صومٌ، ولم نَصْحُ من نوم تغشَّانا

حتى متى يا رفاقَ الدرب، يبعدنا
كُرْه تمطّى زماناً فى حنايانا؟

ثوبوا إلى رشدكم، والعيدُ يجمعكم
وامْضُوا الى الأمل المرجوِّ فِرْسَانا

يا إخوة الحبِّ والايمان فى وطنى
لستم ضعافا، ونبعُ الحبِّ ما هانا

عودوا إليه بحق العَيدِ، وانطلقوا
فى وحدة تتخطَّى كلَّ ما كانا

فقد يعودُ لكم ما ضاعَ من يدكم
وقد تعودونَ أعلى منكمُ شانا

أنتم بوحدتكم عزمٌ، فإن عصفتْ
ريحٌ، زحفتُم بهذا العزم طُوفانا

نطاق النور ٢

شعر
د. عاتكة الخزرجي
- بغداد -



وقام على الغاب قصرٌ عجيب
توهَّجَ بالنور أستارُه
تُحَفُّ مداخله بالكروم
ويُشرق بالبهو نوَّارُه
ورفَّ النُّضارُ على صفحتيه
ورُصِّعَ بالدرِّ أحجارُه
وقد ضرَبَ النورُ من حوله
نطاقاً توشّيه أقمارُه
ونافورة الحبِّ فى قلبه
تنثُّ فيسكر سُمَّارُه
نداماه كلُّ نجوم السماء
وكلُّ العنادل أوتارُه
وإمَّا جرى الماء من تحته
وسَقْسَقَ فى الدّوح أطيارُه
فقل إنَّهُ الخُلدُ بل روْحُه
ودارتُنا هذه داره

* * *

وجاءتْ تَهادى على رسْلها
عروس تجلَّت بركب الأثيرْ
يُتَوِّجُها النُّورُ والنَّوْرُ فى
غلائل وردٍ ودرّ نثيرْ
وإسمُ الجلالة فى تاجها
يشعّ كما شعّ نجمٌ منير

وحلّى الجمانُ الجمالَ الرفيعَ
وحلّاه . . كلُّ لكلِّ ظهيرْ
وباهى الفريدُ سناء العروس
فبارَتْهُ كُلُّ لكل نظير
وغارت يواقيتُ من ثغرها
فلاذتْ ببسمتها تستجيرُ
وحفَّ بها السحرُ من فرعها
الى قدميها فكادت تطير
وأهدى لها الوردُ قارورة
يبارك هذا الجمال البهيرْ

* * *

وجاءت تهادى فصلّى الجمال
وسبَّح بالحمد سبحانَه
وبارك فيها السَّنى والسناء
يقيمان للحسن بُرهانَه



وقبّـل فى ناظـريهـا الصفـاء
فكـانـا من الطهـر عنـوانـه
ملاكٌ من النـور قد فُصِّلَتْ
ونـضَّتْ عن الجسم أدرانـه

كأن بها من سمات البتـول
وتُعلى على الصَّـدْر قرآنـه
وهلَّتْ فجلَّتْ وفى خَطوهـا
فتـونٌ ترى العـينُ أفنانَـهُ

وحين استوتْ واعتلتْ عرشَها
وحيَّتْ من الـروحِ ريحانَـهُ
عنـا وجهُهَـا للفضـاء البعيدِ
وسـبَّـح للهِ سبـحـانَـه

* * *

وقـامت تُصلِّى ملاكُ الجمال
وقـد أسـدلَ الليـلُ أستاره
ونـامـت عيـونٌ ولـكـنهـا
تُنـاجـى الإلـه وأسـراره

ومحـرابهـا من خشـوع زهـا
وشعشـع فى الغـاب أنـواره
فنبَّـه بالـوحى من قد سهـا
عن الـذكـر واحتثَّ تذكـاره
فقـامتْ تُصلِّى بنـاتُ الهديل
وتـوقـظُ لليـلِ ذُكَّـاره
وفى لحظةٍ صار غابُ الجمالِ
مصلّىً بنـو الغـاب حُضّـاره
وقـامـوا على الذِّكرِ حتى إذا
تنـادى سُحـيرٌ وأطـيـاره
مضـى الجمـعُ كلٌّ الى داره
يعـمِّـر بالـله ديَّـاره

* * *

ويـومـاً تجلَّتْ عروسُ الجمال
على شرفـة القصر عند السَّحَرْ
تُداعبُهـا نسمـةٌ فى ونـاء
فتكشفُ من حسنها ما استترْ
فتبـدو كحـواء عُريسانـة
تُغـير الضحى(*) فتنةً والقمرْ
وطـالعهـا من ثنـايا الغصون
فتى الإنس يرُمقهـا فى حذرْ
فأغضتْ حيـاء وفى نفسهـا
تقولُ عسى أن يغضّ النظر . .
ورامق أُخـرى فصـاحتْ به
تُحذِّرُ لوكـانَ يُجدى الحـذر
وتُـوصـد من دونـه شرفـةً
وتـستعصُم الله من كل شرّ
وتحمد للغاب تلك الوحوش
لأنهـم فوق هذا الـبشـر

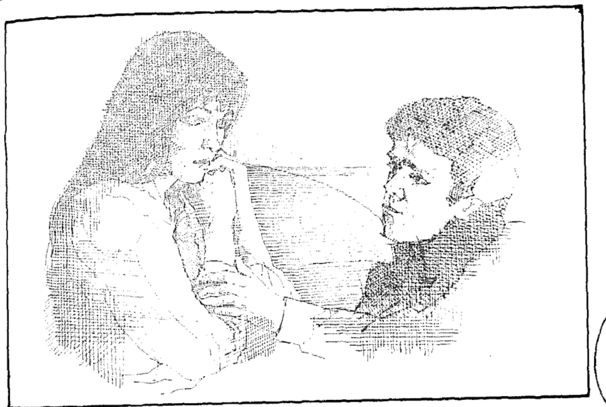
* * *

وخفَّ فتى الإنس عند الصباح
الى قصـرها فى ركاب الأمير
يُجرِّدُ فى إثـره موكـبـاً
سَنِيَّـا وقـلبـا بها يستجـير
يكـاد فتـى الإنس مما به
الى ملكـة النُّـور توَّا يطـيرْ
ومـرَّتْ ثوان وجـاءت ثوان
وقلبُ الفتى فى صراع خطير
يُقـدِّم خطـواً ويحجب خطـواً
يخاف ويرجو . ولا من مُشير
وأُدخِـلَ بهواً فأبصـر مُلكـاً
وجـاهـاً وتـاجاً يزين السَّرير
وصـرحـاً من الـدُّرِّ من فوقه
مليـكـتُـه فى جلال بهير
وقـد ضرب النّـور من دونها
«نطـاقـاً» فما إن اليهـا يصـير
ومـرت ليـالٍ وجـاءت ليالٍ
توالى سراعـاً ومـرَّتْ أُخـرْ
وحطت على القصر زُجْل الحمام
وكـل تنـاقـلَ هذا الخـبرْ
بأن فتـى الإنس من يأسـه
تنـكّـر للحب ثمّ انتحـرْ

(*) الضحى: الشمس

قراءة في قسمات وجه حزين

شعر: حسين محمد البجمى - أبها



لا تخفى ما فعلت بك الأشواقُ
ويلفُّك التفكيرُ والإطراقُ
فلقد بَدَتْ فوق الجبين كآبةٌ
وخبا بصفحةِ وجهك الإشراقُ
ومضى زمانُ الحزنِ يرسُمُ أسطراً
فى وجنتيك ويظهرُ الإخفاقُ
ولمحتُ فى عينيك نظرة حائر
تحكى حقيقة سره الأحداقُ
وقرأتُ فيها كُلّ ماضيك الذى
شهدت على أسراره الآفاقُ
قد لفَّهُ ليلُ الضَّنَى بسواده
وأطلَّ من أهدابِه الإملاقُ
يحكى حكايتك التى لم تنته
وتضمُّها الأحزانُ والأشواقُ

تزهو بها قصصُ الغرام فخورة
ويذوبُ فى أحلامها العُشَّاقُ
وإلى خُطاها تشرئبُّ عيونُهُمْ
ويسيلُ منها دمعها الرَّقراقُ
قد كُنْت تدفعُك الصبابةُ والهوى
ويصدُّك الإيمانُ والأخلاقُ
ولقد عرفنا فيك أنك دائماً
نحو الهداية والتُّقى سبَّاقُ
أثبتْ على درب السلام ولا تكن
ممن يكدِّر صفْوه الفُسَّاقُ
لا تسمعَنَّ من العذول وشايةً
فينالُ منك الحاسدُ الأفَّاقُ
واصغ ِ الىّ فقد رأيتُك ساهماً
يكوى بك التسهيدُ والإشفاقُ
فعلمتُ أنك فى المحبةِ هائمٌ
وعلمتُ ما فعلت بك الأشواقُ

سمير الليل



أرقٌ ذرا فى العـين ملْحـهْ
وسرى يُدسُّ إليك جُرْحَـه
والليـلُ سُلطانُ القلو
ب إذا يشاء يُبيح، صَرْحَهْ
أو يَهْصـرُ الُمهجَ البريـ
ـئة بالعذاب يضُمُّ جُنْحَـهْ
هلا قطفْـت زنابـق الـ
ـحُبِّ اللعوب يُهزّ كشْحَهْ
وشدوتَ بالسحـر المعطَّـ
ـر باست الأسماعُ صدحـهْ
والراقصات يذبـن من
فرط الجوى فى كل رنحه
يستيقظُ الماضى بقلـ
ـبك مُشْرعا بالحُزْن رُمْحَهْ

والعمـرُ يمضى والطريـ
ـقُ طويلةُ العقَبات نَدْحهْ
والحاضر الغضُّ الاها
ب يموتُ أتراحاً وفَرْحَه
تقتـاتُ أشبـاحا وآ
لاً بين نغماتٍ ونبْحَـهْ
فلترسُم العمرَ المؤرَّ
ق: لوحة فى إثـر لوْحـهْ
أرقٌ يطولُ كأنما
ضلَّتْ دروبُ الليلِ صُبحهْ
سطِّرْ، سميرَ الليل، هُمِّى
لا تدعْ فى الليلِ صَفْحَـهْ
فإذا غفوْتُ . . إليكَ عنىِّ
كُلما سطَّـرْتَ فاتحـهْ





شعر

ابراهيم فودة

السعودية

فديتك

فديتك لا أحبُّ سواكِ بعدُ
وأشهدُ ليس فى دُنياكِ نِدُّ

علوٌّ فى الكرامة والمعانى
وطوعٌ فى المحبّة لا يُحدُّ

ومن غطّى الخطيئة باعتذار
يكافئُها فقد وفّاه رُشدُ

وكم وعدَ المحبة فى قلوبٍ
غرورٌ جرّه جهلٌ وعِندُ

ومن أمر الوفاء له فؤاداً
فما عرف السبيلَ إليه حقد

وما فوق المروءة من رباط
و من أرضى المروءة لا يُردُّ

وحبلُ الودِّ متصلٌ برفقٍ
ويقطعُهُ من الطرفين شدُّ

وضعف الغانيات سلاح حب
بأكبادِ الأماجد يستبدُّ

تدين له طواعيةً وعزاً
ومن صدَّ الكرامة لا يُعدُّ

رأيت الله فى أسمى عُلاه
وفى كرسيّه للتوب مهدُ

وطُوبى للتى سبقتك عهداً
فإن الود لا يمحوه ودُّ

إليك حبيبتي

قطر



إليكِ حبيبتي خفقَ الفؤادُ
وحرَّقهُ التنائي والبعادُ
وأرهقهُ الحنينُ وطولُ شوقٍ
ونارٌ فيه حاميةٌ تُقادُ
وأقلقَ مُهجتي ليلٌ بهيمٌ
وأرّقها التحسُّرُ والسُّهادُ
رنتْ عينِي لطيفِك رغمَ بُعْدي
ولم تفتُر فأنتِ بها السَّوادُ
ولن أخشَى العواذلَ والأعادي
وما حاكوُه من زورٍ وكادُوا
وإن وضعُوا الحواجزَ في طريقي
فسوفَ يزيدُ في قلبي الودادُ
لقد قالوا علاه اليوَم شيْبٌ
ولا تهواه ليلى أو ودِادُ
وأضحى مُثْقلاً يمشي بوهْنٍ
وسُخفاً أن تميلَ لهُ سعادُ
بِمنْسأة يسيرُ وفي شعابٍ
تلاحقُهُ السلاحفُ والجرادُ
تحيط به العقاربُ والأفاعي
وتنبحُهُ الكلابُ فهل يُرادُ؟

دعيه فما لهُ سندٌ وأهلٌ
ولا مالٌ لديه ولا جيادُ
وخُطّابٌ أتوا لك من بعيدٍ
علوْا بمتهارة وبنوا وشادُوا
فقالت جئتُم إفكاً وزوراً
وإنَّ عصاه منِّي والفؤادُ
يُهشُّ بها على من رام ضرِّي
ويحطِمُ رأس أوغادٍ تمادُوا
فقلتُ لها: صدقتِ وأيم ربِّي
فأنتِ النورُ في قلبي وزادُ
ومِنْ زيتونِك العالي ضياء
وفوق ترابِكَ الغالي معادُ
على بُسُط الربيع لنا لقاء
يطيبُ به التواصلُ والمرادُ
ويشدُو الطيرُ أحلى أُغنياتٍ
وتبتسمُ الجداولُ والوهادُ
فصبراً يا سوادَ العينِ حتى
يزُيلَ العارَ أبرارٌ شِدادُ
فبعدَ الليلِ يسْفرُ نورُ صبح
وبعد العُسْر يسر لا نكادُ
سيأتي البشْرُ مهما طال نأيٌ
بأفراحٍ ويجمَعُنا جهادُ

سمراء

الدكتور
أحمد عبد القادر المهندس

سمراء يا خمرية الخدين   صُبّي الشجى المعسولْ

في مطلبي المعقولْ

لا تبخلي باللحظ والشفتين   إني أنا متبولْ

بل إنني المقتولْ

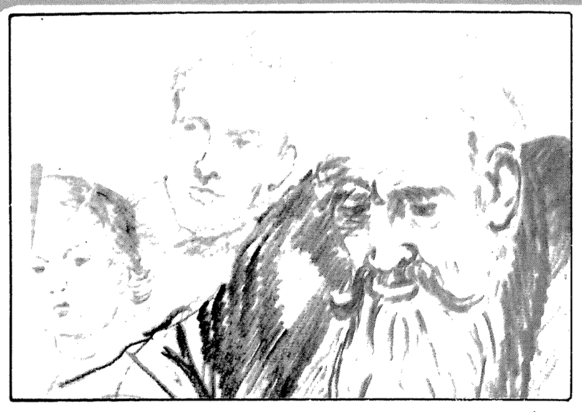
ياليلة الوجد التي عبرت   بأنجمي الغيدْ ..

كم لثمة أعطيت فانهمرت   طلًّا على عودْ ..

يا عذبة الشفتين قد سهرت   شفتايَ للجود ..

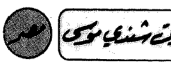
مُدّي يدًا معطارة زرعت   مباهج العيد ....

أو اجرحي قلبي بما خطرت   مِنّي المواعيد ..





الشعرة البيضاء



شعر د. عزت شندى موسى

رخصتْ عندنا الحياة وهانتْ
مذ بُلينا بالشعرة البيضاء
يا نذير الحِمام.. يا معولَ الهد
م، ويا أس شقوتى وبلائى
كنت أهفو إلى (بياض) العذارى
فكرهت البياض.. بعد ابتلائى

* * *

كم بنينا فوقَ الرمال قصورا
فتداعتْ يا حسرتا للبناء
وعقدنا الرجاء فوق كثيب
من رمالٍ فانْهار كلُّ رجاء

* * *

أين زهرى الذى ذوَى من رياض
أين نجمِى الذى هوى من سمائى

أين عُودى .. وكان غضاً نديّاً
مورق الغصنِ وارف الأفياء
كيف كان القوامُ رمز اعتدال
ثم أمسى .. فى رجفةٍ وانحناء

* * *

كيف كنتُ الطروب بين صحابى
فإذا بى فى عزلةٍ وانطواء
أين صوتى وكان عذباً شجيا
ناعم الجرس .. منعش الأصداء
أين راحت فُتوّتى واكتهالى
أين ولّى مع الزمانِ مضائِى
كيف ضاع اعتداد نفسى بنفسى
أين عهد الطموح والخيلاء
كيف أخبو؟ .. وكنت جذوة نارٍ
كيف يخبو جوى الهوى من دمائى؟

شعر

أحمد محمود مبارك
- مصر -

لستُ أبدى بالقولِ ما يعترينى
من هُيامٍ ولهفةٍ وحنينِ

رغم أنّى أظل ليلى أناجى
طيفكِ المستبيحَ أفق عيونى

وإذا لاحَ لؤلؤ الثّغْـرِ يُهدى
بسمـةَ الـودِّ للفؤادِ الحزينِ

يتثنى القلبُ فى ضُلوعى ويغدو
عندليباً يشدو بعذبِ اللحونِ

وإذا ما فاحتْ عطورُك حولى
يورقُ الوردُ فى جفافِ غصونى

* * *

هل لأنى أخـافُ ألّا تكونى
مثلما ترتجيـهِ فيـكِ ظنونى

أحجبُ البوحَ فى فؤادٍ ولُوعٍ
خشيةَ البوحِ أن يهزّ حصونى

لستُ أدرى ماذا بيحركِ .. قولى
هل سألقى به هلاكَ سفينى؟

أنتِ لُغْزٌ .. فكّى الطلاسِمَ إنى
بين شكّى وبين أمنِ يقينى

حائـرٌ فيكِ حيرةً جعلتنى
مثل طفلٍ برغم شيب سنينى

فاطْرحى عنكِ سِتْرَ ما قد توارى
وأبينى ما بالخفاء .. أبينى

فإذا كان ما يلوحُ سراباً
فسأنسى إحباطَهُ بعد حين

وإذا كانَ ما يلوحُ غديراً
فدعينى أروى الفؤاد دعينى



وَيْلاه من جرح الفؤاد

شعر
محمد محمود بخيت
مصر

مالـى أراكَ بغـير ما أتـوقـعُ؟ . .
ولـغـيرِ ما أرجـو تحنُّ . . وتنـزِعُ؟
فتـزيـدُ خوفى، ليس منـكَ . . وإنـما
أخـشـى عليـكَ ثمارَ مالا ينـفـعُ
ويـمـوتُ فى الحلق الكـلامُ جميعُـهُ
وأبـيـتُ من فرطِ الأسـى أتـوجَّـعُ
قد كنـتَ روضـاً يانعـاً مُعْشـوشِباً
فإذا بروضـكَ ليس إلا بَلْقَـعُ
قد كنـتَ طيفـاً، بل ملاكـاً هائـما
عن كلِّ ما يُزرى به يترفَّـعُ
قد جاء من فردوْسِـهِ، لا يبتـغـى
إلا صلاحـاً . . ليس فيـه مطـمـعُ
ويـرومُ للدنـيـا الـنقـاء شريعـةً
ويـرى المقـاصـدَ للوسيلةِ تشفـعُ

* * *

ويـلاه من جُرح الـفؤاد إذا رأى
آمـالَـه . . بُنـيـانها يتـصـدَّعُ
شتّـان ما بين الـذى بصـنـيـعـه
قرنَ الـكـلامَ، وبـين من لا يصنـعُ
أنـت الـذى قد كنـتَ تأمـرُنـا بها
نرجـوه منـك، وليت أنـك تصدعُ
ولـقـد عرفتُـك للحقيقـةِ ناصـراً
كالـريـح منطـلقـاً، ولا تتـورَّعُ
ولـقـد ألـفتُ لك الـوقـارَ سجيـةً
أم كنـتَ رعـديـداً . . له تتـصنَّـعُ



مازلـتَ تهذى . . ثم تنـزقُ لاهـيـاً
وتظـن أنـك ناعـمٌ تتـمـتـعُ
أكـذا تردى العقـل فى دنيـا الـورى
واضيعـة الأحـلام . . أنّـى ترجـعُ
واضـيـعـةً لمبـادىء ندعـو لها،
إيـمـانُـنـا بصـوابها لا ينـزعُ
ما قيمـةُ الـدنيا بغـير فضائـل؟ . .
أنـعيشُ كالأنـعـام؟ . بئسَ المطمـعُ

* * *

لا تهدمِ الـصـرحَ الـذى قد صغتـهُ
من فيض روحـك زهـرة . . بل أروعُ
لا تسـحـقِ الآمـالَ . . أنت بريقُهـا
ها إنهـا ـ وبحـرقـة ـ تتـضـرّعُ
لا تهرق الـكأسَ الـتى أتـرعتـهـا
سحـراً، وإلهـامـاً . . له نتـجـرّعُ

أرى الصبر محمود



أرى الصبرَ محموداً وعَنْهُ مذاهبٌ
فكيف إذا ما لم يكُنْ عنه مذهبُ؟(١)
هناك يحقُّ الصَّبرُ والصَّبرُ واجبٌ
وما كان منه كالضَّرورة أوْجبُ(٢)
فشدَّ امرؤ بالصَّبر كفّاً فإنَّه
له عِصْمةٌ أسبابُها لا تُقَضَّبُ(٣)
هو المَهْربُ المُنْجِي لمن أحْدقتْ به
مكارِه دهرٍ ليس مِنْهُنَّ مَهْرَبُ(٤)
أعُدُّ خلالاً فيه ليس لعاقلٍ
من الناس، إن أنصفْن عنهن مرْغَبُ(٥)
لَبُوسُ جمالٍ، جُنَّةٌ من شماتةٍ
شفاء أسى يُثْنى به ويُثَوبُ(٦)
فيا عجباً للشَّيء هذي خلالُهُ
وتاركُ ما فيه من الحظِّ أعجبُ(٧)
وقد يتظنَّى النَّاسُ أنَّ أساهُمُ
وصبرهُمُ فيهم طباعٌ مُركَّبُ(٨)
وأنَّهما ليسا كشيء مُصرَّفٍ
يُصرِّفُهُ ذو نكبةٍ حين يُنْكَبُ(٩)
فإنْ شاء أن يأسى أطاع له الأسى
وإن شاء صبراً جاءه الصبرُ يُجْلَبُ(١٠)
ولكنْ ضروريَّان كالشيء يُبْتلى
به المرء مغلوباً وكالشَّيء يذْهبُ(١١)
وليسا كما ظنّوهما بل كلاهما
لكُلِّ لبيبٍ مستطاعٌ مُسبّبُ(١٢)

يُصرِّفُهُ المختارُ منَّا: فتارة
يُرادُ فيأتي أو يذادُ فيذْهَبُ(١٣)
إذا احتجَّ مُحْتجٌّ على النفس لم تكدْ
على قدرٍ يُمْنى لها تتعتَّبُ(١٤)

وســاعــدهــا الصــبرُ الجميــلُ فأقبلتْ
إلــيهـــا له طوعـــاً جنــائــبُ تُجنب(١٥)

وإنْ هو منّــاهـــا الأبــاطيــلَ لم تزلْ
تُقــاتـــلُ بالــعتْب القضــاء وتُغْلبُ(١٦)

تَتُضحِى جزوعـــاً إن أصابتْ مصيبةٌ
وتمــسى هلوعــا إن تعــذر مطلب(١٧)

فلا يعــذرنَّ التــاركُ الصــبرَ نَفْســهُ
بأن قيــل: إنَّ الصــبرَ لا يُتكسّبُ(١٨)

---

(١) يعنى أن صبر الانسان على ما يناله من مكروه أو عما يريد نيله من محبوب محمود، ولو أنه يجد طرقا كثيرة يتخلص بها من المكاره أو يحصل بها على الرغائب فراراً من الصبر. فكيف اذا لم يجد وسيلة الى إزالة المكروه أو ادراك المرغوب؟ فلا شك ان الصبر يكون أحمد.

(٢) يحق يجب. ومـا كان منـه كالضـرورة أوجب ومـا يشبه الضرورة منه أعظم وجوباً.

(٣) يعنى ان المرء يتقوى بالصبر على حمل المكاره. عصمة: منع. أسبابها لا تقضب حبالها: لا تقطع: يعنى عصمة وثيقة.

(٤) الصبر ملجأ من أحاطت به نوائب الدهر التى لا مفر منها.

(٥) يعنى ان فى الصبر صفات لا يصح لعاقل أن يتركها اذا كان فيه انصاف لها.

(٦) لبوس جمال يريد أنه وقاية وزينة معا. جُنة من شماته أى منع من فرح الاعداء بما يصاب به الانسان. شفاء أسى مذهب للحزن. يثنى به يعنى انه سبب للحصول على الثناء. ويثوب أى يكافأ عليه.

(٧) أى عجبا لشىء جمع كل هذه الصفات الجليلة. والعجب اكثر ممن يترك هذا الشىء الجامع لهذه الصفات.

(٨) يتظنن الناس أى يعملون الظن بمعنى يذهبون مع ظنهم. أن أساهم: أن حزنهم. طباع مركب طبع مخلوق فيهم. يعنى وقد يظن الناس أن الحزن طبع أو ان الصبر طبع: لا حيلة لمن طبعه الحزن فى الصبر، ولا يعدل من طبعه الصبر عنه الى الحزن.

(٩) وأنهما ليسـا كشىء مصرف وان كلا منهما ليس كالشىء الممكن تحويله من حال الى حال أخـرى. يصرفه يحوله. ذو نكبة صاحب مصيبة. حين ينكب حين يبتلى بالمصيبة.

(١٠) فان شاء أن يأسى أطاع له الأسى: يعنى فاذا أراد الحزن أطاعـه الحـزن. وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب وان أراد التجلد كان له جلد. وهذا مما يظن الناس انه ليس بيد الانسان.

(١١) ولكن ضروريان ولكن يظن الناس ان كلا من الأسى والصبر شىء لابد منه.

(١٢) وليس الأسى والصبر كما حسبهما الناس. بل كل منهما مقدور عليه وممكن أن يكون له سبب من الاسباب يدور معه وجوداً وعدما.

(١٣) يصرفه المختار منا يتصرف فيه صاحب الارادة القوية منا. فتارة يراد فيأتى فتارة تتعلق الارادة باتيانه فيجىء. وتارة يذاد فيذهب وطوراً تتعلق الارادة بابعاده فيروح.

(١٤) يعنى خلقت النفس ميالة الى الاذعان الى الحجج والبراهين.

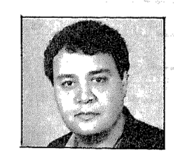
(١٥) الجنائب جمع جنيب وهو الفرس تجنب الى الفرس حتى اذا فترت المـركـوبـة ركبت المجنوبة. وله متعلق بجنائب أى جنائب له أى للصبر. والمعنى متى ارتاحت النفس الى الدليل على أن الصبر مكتسب وتركت عتاب القدر ساعدها على تحمل مصائبها صبر جميل يأتى اليها بقوة.

(١٦) أما اذا تركت النفس تذهب مع الخرافات فانها لا تزال تعاقب القضاء على ما يصيبها وتبقى فى مقاتلة مع القدر ومع ذلك فهى مغلوبة لا محالة.

(١٧) فيشتد جزعها وعدم صبرها اذا أصابتها مصيبة، ويصير جزعهـا أعظم اذا فاتهـا مطلب من مطالبها. والجزوع عديم الصبر. والهلوع الضجور الذى لا صبر له.

(١٨) أى لا عذر لمن يترك الصبر اغـتراراً بقول القائل: ان الصبر طبع غير مكتسب: فقد ظهر فساد هذا القول وان الحق ان الصبر اكتسابى. وهذه القصيدة من ابدع ما قيل فى الصبر والجزع وانهما اختياريان لا اضطراريان.





نادر صلاح الدين
دراسات عليا في الأدب

لا أزعم بمقاربتي لقصائد مشتار المنهل ومختاره العدد ٤٦١ - أنني أقدم دراسة نقدية بقدر ما هي قراءة تلمست فيها بعض الملاحظات التي جاءت متلونة بذوقي الشخصي، وللمنهل خالص التحية لإتاحتها الفرصة لظهور هذه الملاحظات في نطاق النور.. ولنبدأ القراءة:

■ يستهل المشتار قصائده بقصيدة من الوجدان الديني وهي معراج الرسول (ﷺ) للشاعر سيد عبد الرءوف.. وجه ليس غريباً على قراء المنهل فله قصائد منشورة من قبل.. (معراج الرسول) قصيدة تأتي ككل قصائد هذا العدد على الايقاع الخليلي يرصد فيها الشاعر معجزة المعراج خارجياً دون محاولة الدخول في تفاصيلها.. وتأتي مقسمة الى أربعة أقسام فنتوقع أن كل قسم يؤدي فكرة جديدة.. بيد أننا نستطيع أن نبدأ القسم الثاني - إذا أردنا التقسيم - بداية من البيت التاسع:

كوكبُ المسلم إذا قيس به
خرّ مغشيا عليه لا مراء

■ ثم تأتي بداية القسم الثالث بالبيت العشرين:

يا إلهي قبساً منك فقد
غلب الطينُ ولسنا أبرياء

■ اما القسم الرابع فيأتي بداية بالبيت السادس والعشرين:

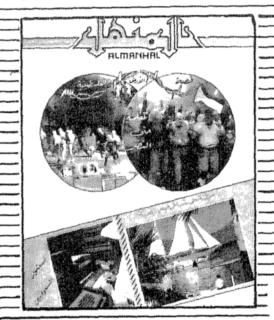
أيها المعراجُ إني مؤمن
بالذي أجرى وأرسى كيف شاء

■ كما كان من الافضل أن ينهي الشاعر قصيدته بالبيت الثاني عشر:

كل ما للرسل من معجزة
دونه المسلم فيا يروى ظماء

وقد وردت فيه (ظماء) (ظلماء) وهو خطأ طباعي لا شك.

■ وفي الشطر الاول من البيت السابع عشر كسر





قاربة لقصائد العدد ٤٦١

عروضي:

عجباً ينكسر الآه
بشرٌ عمره طيناً وسماء

■ ولأن الشاعر يعتمد على ما يسمى بالمجاز البنائي الذي تحققه علاقات النص نجده يلجأ الى المخاطبة من ناحية ومن ناحية أخرى تأتي القصيدة خالية من البناء المجازي فتقترب لغتها من اللغة الاعتيادية، حيث تطالعنا بعض الاستخدامات النثرية من خلال لغة الخطاب الشعري (خرّ مغشيّاً عليه) (تكشف عن العلم الغطاء) (يروى ظماء) (فاق ذكاء..).

وكان من الممكن أن تُثرى التجربة بالخيال خاصة وأن الموضوع يعين على ذلك.

●● ونقرأ بعد ذلك قصيدة للشاعر خير الدين وانلي من سوريا.. «عبدتك يارب» زهدية قصيرة يتوجه فيها الشاعر الى الله تبارك وتعالى مذعنا خاشعا - تسودها النغمة الخيامية. والشاعر يعمد أيضاً الى لغة الخطاب الشعري الذي تميزه الذاتية الواضحة والحضور القوي لأنا المتكلم مما يجعلنا امام تكثيف للتوقع الايقاعي فنقرأ (شر الحسود - يسلك سبيل - حنيت الجبين - سراً جهاراً).

■ ونقف في الشطر الثاني من البيت الرابع على كسر عروضي:

ومن يسلك سبيل الدين يسلم
من العذاب فالإسلام حسبي

ولو استبدل الشاعر العذاب بـ (الأسقام) مثلاً لاستقام له الوزن.

●● أما قصيدة شعب أفغانستان المجاهد للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري فهي زفرة تنبع من وجدان اجتماعي يبثها الشاعر أحاسيسه الصادقة وتضامنه وتأييده لنضال شعب أفغانستان المسلم واستنفاره للشعوب المسلمة من أجل مؤازرته وتخليصه

من بلواه . .

يا شعوب الاسلام للكفر جيش
مضمحل ونحن جيشٌ عرمرم

والقصيدة تمتاز بألفاظها القوية تناغماً مع موضوعها، وتطل علينا من خلالها ثقافة الشاعر الواسعة وامتلاكه ناصية اللغة . . وهى تعد بحق سجلاً تاريخيا يذكرنا بسجلات المتنبى . . أما الخيال فيكاد يختفى أو يخفت لدرجة لا تمكننا من الوقوف عليه بيسر فى القصيدة، ومردُّ ذلك إلى لغة الخطاب الشعرى فى القصيدة .

●● وتأتى قصيدة (حلم دمية) للشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجى قصيدة متفردة نبعد معها فيها عن المدائن وأهلها .

سئمتُ المدائن بل أهلها
وما قبلها من شرور . . وما

وتحلق بنا بعيداً فى أجواء دُنا الفطرة الاولى فلا شرور ولا مرارة بل تناغم وانسجام .

الحدس الشعرى ملموس وواضح فى قصيدة د. عاتكة التى تعتمد على البناء الاستعارى بحيث لا يكاد بيت من أبياتها يخلو من هذا البناء المجازى . . نحن إذاً أمام بناء متميز ولغة متميزة نجحت فيها الشاعرة من خلال هذا الشكل (الفانتازى) .

وجاءتْ إلىّ خذولَ الخُطى
كمشى القطاة أو كدلّ الصبا

وقد وقع كسر عروضى فى الشطر الثانى من البيت وكان الوزن يستقيم لو حذفت الشاعرة (أو)

وراح الهزبر يعب الجمال
ويكرع فى راحتيه الطّلا

وأظن أن (كالشنى) فى البيت الثالث قبل الأخير صحتها (كالثنى) وهو خطأ طباعى .

وتكتمل رؤية الشاعرة فى شطر البيت الأخير (لو يدوم الهناء) فتترك فى أنفسنا حسرة توجساً من انتهاء الهنا . .

وهناك لوحة متممة لهذه اللوحة نظن أن المشتار سيطالعنا بها فى عدده القادم .

●● ومن الوجدان الذاتى تنبع قصيدة «الصبر إن فاق الحدود» للشاعر خالد الهامى متخذة شكل حوار مما يلونها بصبغة قصصية . . والشاعر هنا أمام حبيب مراوغ معاند يأبى إلا أن يتأبى ويصد فيتصدى له الشاعر بكل كبرياء وحسم :

ما عدتُ أعبأ بالذى
أخفى جنانك لى وأبدى
ما عدتُ أصبر للأسى
وأعيشُ فى الهجران فردا

والقصيدة تتحرك فى حركة دائرية حيث تنتهى الى ما بدأت به . . وخلال ذلك يكتشف الشاعر ما كان من أحاسيس متبادلة متوهجة تذكرنا بحنين وشوق ابن زيدون فتأتى الألفاظ عذبة نتلمس فيها الرقة غير أنه يقع فى التكرار الذى تلجئه إليه القافية أحيانا .

فـ (يعذب شربها) هى (يطيب وردا) و(يقرّ) هى (يهدا). . كما يقع أحيانا فى التقريرية المباشرة لاستخدام لغة التواصل اليومى. (نار الشوق) (حرقة الأشواق) (يشتاق جداً) (خاب ظن) (أنت التى ضيعته). . وكان من الممكن إعادة التخييل فالتجربة تساعد على ذلك.

●● أما الشاعر سعد البواردى فتأتى قصيدته «حبيب أم جرح» على مجزوء الرمل يشتاق فيها لحبيب احتجب فيناجيه عله يطل من سماء الحب:

فلتطلى من سماء الحب
يا زين الملاح

مقابلا هذا الصدود بكل حب ومودة حفاظ عليه ووصولاً اليه:

ارشفى كأس الهوى يـ
ـأتيك وجدانى وراحى
وإذا اشتقت رواحاً
ليكن فيك رواحى

■ وقد جاءت بعض الاستخدامات اللغوية مباشرة أحياناً (ضاقت بطاحى - زين الملاح) (اشتقت رواحاً) (للحب يعيش الناس). . وإن كنا نلمس عذوبة ورقة تشوب ألفاظ القصيدة.

●● ونقرأ لشاعر الريف السعودى مفرج السيد «العطر» التى يبكى فيها حبيبا جفاه. . كان يود أن يهديه عطر (شانيل) مع أن عطر الحبيبة الذى يفوح من جسمها يفوق كل عطر؟. !

ومفرج السيد يلجأ الى مقطع حوارى تأتى نهايته مفاجأة لم نكن نتوقعها فالحبيب فارق والعطر لا لزوم له إذاً.

القصيدة كادت تخلو من الخيال فوقعت أيضا فى أسر التقريرية المباشرة (أنت لخدمة العملاء ترعى). . (جئنا بعطرك) (فتش لى وقل لى) (كفكفت من عينى دمعا).

كما أن الشطر الأخير من البيت الرابع وقع فيه كسر عروضى:

ولكن نفح جسمك دون عطر
يفوق الكل عطره كان بدعا

وكان الوزن يستقيم لو نصب الشاعر (عطراً) على التمييز.

●● ونأتى الى المختار فنطالع قصيدة «الطفل الملاك» للشاعر الكبير محمد سليمان الأحمد (بدوى الجبل) رحمه الله - وهى مناجاة للطفولة تفيض رقة وحناناً وتتفجر فيها عاطفة الأبوة النبيلة فنلمس عاطفة صادقة وتجربة صادقة لم تخل من خيال ثرّ.

وكان بودى لو بدل الشاعر الفعل (ينهب) فى البيت الثانى:

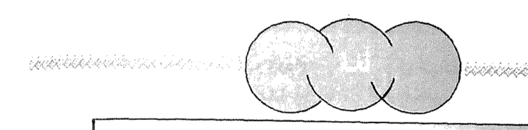
وعندى كنوز من حنان ورحمة
نعيمى أن يغرى بهن وينهبا

حتى وإن كان (المنهوب) كنوز حنان ورحمة. .

●● *ولا ننسى أن ننوه بالترتيب الذكى للقصائد من قبل المجلة. . فالاتجاه الدينى على عادة المجلة من التركيز على الجانب الروحى كان له السبق والتقديم ومثّله معجزة المعراج. . عبدتك يارب. . ثم الاتجاه الدينى والشعور القومى كما عبرت عنه قصيدة «شعب افغانستان المسلم». . وجاءت «حلم دمية» و«الصبر إن فاق الحدود» و«حبيب أم جرح». . قصائد تعبر عن العلاقة الانسانية النبيلة.*

وتغنّى شاعر الريف السعودى بالعطر وكم تغنى للجمال. . أما مختار المنهل لهذا العدد فقد كان موضوع قصيدته خاتمة العلاقات الانسانية العظيمة عاطفة الأبوة.

■ ***تلك ملاحظات كما ذكرت آنفاً تلونت بذوقى الشخصى الخاص فإن كان هناك تقصير فحسبى أنى اجتهدت.***



تقويم لغة



الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ فكان شفاء للناس وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين النبى العربى الأمين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد..

وجدت نفسى مدفوعا للكتابة فى مشكلة شغلتنى كثيرا وأرّقت البال مدة طويلة بعد أن استفحل خطرها وعمّ انتشارها، هذه المشكلة تتصل بالجانب التطبيقى للغتنا العزيزة التى نذرنا العمر بحثا عن أسرارها وانشغالا بمسائلها وقضاياها. فقد رأيت أننا أهملنا جانبا مهما يتعلق بمتابعة تطبيق قواعدها ومراعاة نظمها التى استخرجها لنا واستنبطها علماء أجلاء يستحقون منا كل تقدير هم له أهل وإن جحد الجاحدون وأنكر المنكرون، أهملنا هذا عن قصد أحيانا وبدون قصد أحيانا أخرى حتى صارت اللغة المستعملة فى كل

بقلم الدكتور
حماد حمزة البحيري
قسم اللغة والنحو
كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

مجال من مجالات حياتنا تعج بأخطاء لا نستطيع لها حصرا بعد أن سمحنا لكثير من الألفاظ الدخيلة والأساليب المترجمة والعامية أن تغزو كل ميدان تستخدم فيه هذه اللغة التى نريدها نظيفة قويمة.

يحدث هذا أمام المتخصصين فى اللغةُ والمهتمين بشئونها الذين كان من شأنهم أن تكون لهم وقفة مع ما يجرى تحت أسماعهم وأبصارهم. لكنهم اكتفوا برفع شعارات حب اللغة والاعتزاز بها.. هذا الحب الذى يشبه حب العجزة والضعفاء الذين لا يملكون من أمرهم شيئا ولا يستطيعون عمن يحبون دفاعا وإلا فإن الحب لا يكون حبا إلا إذا اقترن به عمل بمقتضاه وعلى قدره فالرجل الذى يحب ولده لا يتركه إن أصابه سوء مكتفيا بالبكاء والعويل، لأن صنيعه هذا لا يفيد شيئا أمام ما أصاب عزيزه. إنه يحاول أن يخطو الخطوة التى من شأنها أن تساعد على الخروج من المحنة

التى ألّت به وتكون تلك الخطوة بمقدار الحب والحرص اللذين يشعر بهما نحو مصابه.

إنّ حبنا للغة يتطلب منا خطوات كثيرة وواسعة على طريق إصلاحها المنشود إن أردنا ذلك. ولن تكفى الشعارات الجوفاء ولا الخطب الرنانة. فما أكثر الشعارات التى رفعت والخطب التى نسجت دفاعا عن كثير من القضايا التى ضاعت فيها ضاع ولن تكفى البحوث والدراسات الأكاديمية ما لم تصحب بمحاولة الاهتمام بالجانب التطبيقى لأن التعصب للغة فى مجال البحث يكون أحيانا من قبيل التعصب للحرفة أو الصنعة التى يستعان بها على أمور الحياة.

إنّ حبنا للغة يتطلب منا أن نحاول جادين إحياءها فى مجالات الحياة المختلفة حتى تكون قريبة من كل المستويات الثقافية ليستطاع تحصيل المعانى بها إن لم يستطع التحدث بواسطتها. وذلك بعد أن زحفت العامية والأساليب الدخيلة على كل ميدان كان ينبغى أن تكون لغته هى الفصحى حتى أصبح كثير منا لا يفرق بين بضاعتنا الأصلية والبضاعة المستوردة الدخيلة.

وقد كتب كثير من العلماء قديما وحديثا عن الصواب والخطأ تصحيحا لما حُرِّف وتقويما لما غُيِّر وتنبيها على ما أُدخل على اللغة وليس منها - جزاهم الله على قدر نياتهم واجتهادهم - لذا فإنى لن اتجه بحديثى نحو هذه الوجهة العامة لكنى سأقصره على وجوب التنبيه على تصحيح وتقويم اللغة فى مجال حيوى من مجالات الحياة ذلك المجال الذى تستخدم فيه اللغة المقيدة بعبارات موجزة وألفاظ قليلة الأمر الذى يجعل مهمة التقويم ليست بالأمر الصعب.

إننى أدعو الى الاهتمام بتقويم لغة لوحات الاعلان والارشاد التى لا تغرب عن الأعين طالما أننا نسير فى شارع أو نسافر على طريق أو نرتاد مكانا عاما مثل الوزارات والمدارس والجامعات. وتمثل هذه اللوحات أسماء المحلات والأمكنة وإشارات الاعلان عن شىء أو الارشاد الى أمر. إن المتابع لما يكتب فى هذه اللوحات يزعجه الانتهاك الصارخ لهذه اللغة التى بُحَّت الأصوات دفاعا عنها ولا أقول: إنه يفاجأ بهذا، بل أقول: إنه تعود أن يرى هذه الأخطاء تتحدى ما نحاول إصلاحه، يرى المتابع لهذه الأخطاء المتنوعة، منها استعمال اللفظ الأجنبى الذى له بديل عربى، والخطأ الاعرابى والخطأ التركيبى.

●● فمن الألفاظ الأجنبية تقابلك مثل هذه الألفاظ التى عمت وانتشرت أمثال: **مطعم سى كان - حديقة الميريلاند - أمامك كوبرى - على سبورت - رستوران - كافتيريا.**

ومن الأخطاء التركيبية نرى مثل الآتى: «**محلات الأسماك الطازجة يوميا من البحر الى المائدة**» فهذا تركيب لا نستطيع له تفسيرا لغويا قويا ودلالته تفهم من سياقه العام ليس إلا. ومثل قولهم: «مكتب صحى العتيبية» بجعل كلمتى «مكتب» و«صحى» كلمة واحدة ثم إضافتها إلى ما بعدهما وهذا خطأ تركيبى شائع، فليس من التركيب الاضافى لفساد المعنى مع إرادة الاضافة، وليس من قبيل تركيب «خمسة عشر» لأن المعنى ليس عليه أيضا، ولا يصلح على التركيب المزجى لأن معنى كل كلمة منها باق والتركيب المزجى يزول معه المعنى الأصلى لكل كلمة، ومثل التركيب السابق قولهم أيضا: «مفتش عمومى كذا» و«مدير عام شئون العاملين» ولوحة تقول: «مطعم تركى البحر الأسود». لماذا نجيز هذه التراكيب أو نحاول تسويغها مع إمكان استبدالها إذ يمكن أن يقال: المكتب الصحى للعتيبية، أو مكتب العتيبية الصحى والمدير العام لشئون العاملين، أو

مدير شئون العاملين العام ومطعم البحر الأسود التركى.

ومن الأخطاء الاعرابية نفزع بمثل هذه الأخطاء تحملها لوحات قرأها كثير منا: «السرعة لم تؤدى الى نتائج حميدة» بإثبات ياء الفعل «تؤدى» المجزوم و«ازرع خير كى تجنى خير» دون كتابة ألف التنوين بعد المفعولين دلالة على النصب، و«ازرع شجرة تجنى ثمرة» بإثبات ياء الفعل المعتل «تجنى» الواقع جوابا للطلب وحقه الجزم بحذف حرف العلة لأن النص فى الأسلوب على الجزاء و«لا تقود السيارة وأنت مسرعا» ببقاء واو الفعل «تقود» التى كان ينبغى أن تحذف لالتقاء الساكنين - سكون الجزم وسكون الواو - وأيضا نصب كلمة «مسرعا» الواقعة خبرا للمبتدأ، و«على الاخوة المتعاقدون» دون جر النعت بالياء. وغير هذا كثير.

ومن هذا القبيل لوحة إرشادية صوتية سمعتها فى إحدى الناقلات تحث السيدات على دفع أجر الركوب تقول: «إن عدم دفع الأجرة يعتبر خيانة للأمانة خصوصا وأن كثيرا من مساهمى الشركة من الأراملَ والمساكين» فى هذه اللوحة الصوتية خطآن كشف عنهما نطق المتكلم أولهما رفع كلمة «خيانة» الواقعة بعد الفعل «يعتبر» المبنى للمجهول على وهم أنها نائب الفاعل. وجر كلمة «الأراملَ» بالفتحة على وهم أنها استحقت هذا لأنها ممنوعة من الصرف، والأمر ليس هكذا. فالصواب نصب كلمة «خيانة» لأن الفعل «يعتبر» - مع التسليم بصحته - شبيه بالفعل «يعد» الذى ينصب مفعولين، فإذا بنى للمجهول ناب أحد المفعولين وبقى الآخر منصوبا، ونائب الفاعل هنا هو المفعول الأول الذى استتر، وهو عائد على عدم دفع الأجرة، كما أن الصواب كسر كلمة «الأرامل» لأن الممنوع من الصرف إذا اقترن بأل جر بالكسرة، لكنه الاجتهاد المبنى على علم بجزء القاعدة لا كلها.

نمرّ نحن المتخصصين على مثل هذه الأخطاء مرور الكرام ولا يكون منا - إن يكن شىء - إلا الضحك والسخرية والتعليق اللطيف والتخريج المتصنع الواضح السقوط. نفعل هذا وكأن الأمر لا يعنينا، وقد لا نملك من ا لأمر شيئا أحيانا، لكننا أحيانا أخرى نملك التوجيه أو التغيير لكننا لا نكلف أنفسنا مشقة هذا إذ توهمنا أننا أعطينا اللغة ما يمكن إعطاؤه إياها بعد أن كانت سببا لتكسب الوظائف والأموال.

وموقف الناس من اللغة وما يحدث معها هذه الأيام يذكرنى بقول صعصعة بن صوحان حين سأله معاوية أن يصنف له الناس حسب أحوالهم فى الحياة، فصنفهم طوائف «منها طائفة للتجارة، وطائفة خطباء، وطائفة للبأس والنجدة. ورجرجة فيما بين ذلك، يكدرون الماء ويغلون السعر ويضيقون الطريق»(١) نعم هذه أحوالنا مع اللغة، فطائفة تتاجر بها وتكسب بسببها الأموال الكثيرة، وطائفة تتباكى عليها وتخطب فى المحافل دفاعا عنها، وطائفة تحاول تكدير صفو اللغة وتضييق طرقها على أصحابها حتى لا يصل أحد إليها ولا يدرك أهميتها، وطائفة خلقها الله لنجدتها، لكنها قليلة.

وبالملاحظة نجد أن الأخطاء الشائعة فى لوحات الاعلان والارشاد تشير الى عدة حقائق أهمها ما يلى:

[أولا] أن هناك من يتعمد إفساد اللغة وتشويهها أمام أهليها حتى تظهر أمامهم عاجزة عن مواكبة العصر ومجاراة التطور وليس بخاف علينا الدعوات الخبيثة الى العامية أو الكتابة بألفاظ ليست عربية، وإلا فما معنى أن نرى من يسمى محله باسم أجنبى فى بلد لغته العربية دون ما داع، ما معنى أن نشاهد مثل هذه اللوحات «مطعم سى كان» «اورستوران»

«حديقة الهابى لاند» «أمامك كوبرى» لماذا لا يقال: «أرض السعادة» بدل «الهابى لاند» و«أمامك جسر» بدل «أمامك كوبرى»؟ الأمر سهل، لكن هؤلاء يؤثرون الاستخفاف بلغتهم وإظهار النقص أمام كل غريب والتظاهر بالتحضر من خلال الاحساس بتفوق الأجنبى.

[ثانيا] أن هناك من يؤثر الراحة. فهو يستخدم اللغة كما يعرف دونما تفكير فى قواعد ضبطها واستقامتها ويقع كثير من المثقفين فى هذا الخطأ حين يتجاهل ما درس فى استعانته باللغة المقيدة إذ لا يعبأ بتصويب ما يكتب ما أديت المصلحة. وأمثلة هذا كثيرة منها: «ازرع شجرة تجنى ثمرة» فكاتب هذه اللوحة حرص على الكتابة بألفاظ المضارع الواقع فى جواب الطلب ـ وحقه الجزم ـ دون أن يحذف منه حرف العلة. ومثله: «السرعة لم تؤدى الى نتائج حميدة» ومثله أيضا: «اللهم صلى على النبى» ويبدو أن هؤلاء حريصون على بقاء الفعل سليما معافى من الحذف.

[ثالثا] هناك صنف يغار على اللغة، فهو يحاول الالتزام بقواعدها على قدر طاقته، لكن عدته غير كافية لتقويم ما يكتب وفى الوقت ذاته لا يفكر فى مراجعة المتخصصين، لذا تكون عباراته مترددة بين الخطأ والصواب، وذلك مثل من كتب: «لا تقود السيارة وأنت مسرعا» فهذه لوحة بادٍ فيها خطآن. الأول: هو عدم حذف واو الفعل «تقود» لالتقاء الساكنين، والثانى هو نصب كلمة «مسرعا» الواقعة خبرا للمبتدأ فى الجملة الواقعة حالا، لكن الخطأ الثانى يشير الى احساس باللغة وإلمام ببعض قواعدها إذ يدل على استشعار الحال ومعرفة أنه منصوب وهو استشعار صادق فى جملته، لكن صاحب هذا غاب عنه ـ لقلة معرفته ـ أن الحال ليس هذه الكلمة إنما هو مجموع المبتدأ أو الخبر، لذا كان الخطأ ومثل هذا من كتب لوحة نجدها كثيرا فى مكاتب الصحة تقول كلماتها: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى» كاتب هذه العبارة يريد أن يقول: إن الصحة مثل التاج على رؤوس الأصحاء. وهذا التاج موصوف بأنه لا يراه إلا المرضى، وعلى هذا تكون جملة «لا يراها إلا المرضى» نعتا لكملة «تاج» الواقعة خبرا. لكنه أخطأ حين جعل الضمير فى «يراها» مؤنثا، وهو عائد على التاج المذكر فأوهم هذا التأنيث أن الضمير راجع الى الصحة وهذا يجعل الجملة تأخذ موقعا آخر يتغير معه معنى الجملة، إذ تصير خبرا ثانيا والمعنى عليه: الصحة تاج، الصحة لا يراها إلا المرضى، أو تصير مستأنفة وهذا أيضا معنى غير مقصود إنما المعنى المقصود هو ما أشرت إليه، لكن الترتيب ضل السبيل.

وترجع أهمية تقويم لغة هذه اللوحات الى عدة أشياء أهمها ما يلى:

[أولا]: أن هذه اللوحات تمثل الوجه اللغوى للشارع العربى، والشارع العربى ينبغى أن يكون وجهه عربيا إذا كنا حقا معتزين بعروبتنا ولغتنا.

[ثانيا]: أن لغة هذه اللوحات مفروضة فرضا على الناس وهذا يتيح لها أن تقرأ من عدد كبير من الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية. إذ يقرأها الصغير والكبير والمثقف وغير المثقف، ونحن بهذا التقويم نقدم للقارىء ـ خصوصا ذا الثقافة المحدودة ـ الأنماط اللغوية الصحيحة التى يستطيع حفظها فيسهل له بعد ذلك القياس عليها، والصغير أيضا الذى نبدأ فى تلقينه اللغة وتعليمه إياها يتأثر فى أثناء مرحلة التعلم بكل ما يصادف ويحاول أن يقرأ كل كتابة يمر عليها، وقراءته لهذه اللوحات تمثل عاملا مهما من عوامل التعلم لديه، وقد عايشت هذا الأمر مع ولدى ـ وحينما يكبر التلميذ ونبدأ فى تعليمه قواعد اللغة من خلال حشد من النصوص ومجموعة من القواعد ينبغى علينا أن نساعده بتهيئة الجو الذى يتيح له مشاهدة القاعدة اللغوية

حبنا للغة العربية يتطلب منا أن نحاول جاهدين إحياءها في مجالات الحياة المختلفة ...

سليمة من خلال ما يقرأ، لأنه يحاول تجربة القواعد التى درسها على العبارات التى يقرؤها، وقد حدث لنا هذا حينما كنا نحاول إعراب العبارات المكتوبة أو المسموعة التى تصادف إننا إذا لم نفعل هذا يكون التلميذ أمام أحد أمرين. إما أن يحس بأن فى هذه اللغة المكتوبة خروجا على ما درس من القواعد، وحينئذ يتولد لديه الاحساس بعدم الاقتناع نظرا للانفصام الذى أحدثناه له، وإما ألا يحس بهذا الخروج، وحينئذ يكون تأثير هذه العبارات أقوى. وتصبح القواعد التى حفظها شيئا ينبغى ألا يتجاوز استخدامه فصول الدراسة، ومن هنا تبدو أهمية كتابة هذه اللوحات بلغة سليمة تساعد على تعلم اللغة والتعرف على بعض أساليبها لا سيما أنها عبارات موجزة وحفظها سهل ميسر.

[ثالثا] : أن هذه اللغة نوع من أنواع اللغة المقيدة الثابتة والتى لا ينبغى التفريط فيها، وإذا كان لدينا العذر فى عدم التزام القواعد فى لغة المشافهة فإن هذا العذر منتفٍ مع لغة لوحة لا تتجاوز العبارة أو العبارتين لتظل ثابتة أمام الأعين مدة تصل أحيانا الى سنين عديدة، وهنا يكون الخطأ صارخا متحديا.

رابعا : أن اهتمامنا بلغة هذه اللوحات يظهر للآخرين مدى اهتمامنا بلغتنا وحرصنا عليها، حيث يبين هذا التوافق - بين ما نقول وما نفعل فقد ملأنا الدنيا كلاما عن حبنا للغة الضاد واعتزازنا بها وما بقى بعد هذا إلا الفعل لذا فإننا إذا لم نفعل هذا نصير محل سخرية الآخرين منا حين يبدو أمامهم اعوجاج منطقنا، إذ ندعى حب اللغة والدفاع عنها ونحن لا نكلف أنفسنا تقويم جملة حيث لا يحتاج الأمر إلى جهد يذكر.

وبعد نقول : لماذا لا ينكر المتخصصون ما يبتدع فى الأساليب وما يستخدم من الألفاظ الأجنبية التى شاعت وانتشرت انتشارا طاغيا. وهذا أمر لا يتناسب مع الكثرة من الأعداد التى كان من شأنها الحفاظ على اللغة؟ لقد أصبح الاطراد بين عدد المهتمين باللغة والتقويم اللغوى اطرادا عكسيا، فحينما كانت أعداد المتخصصين قليلة كان التقويم سديدا، وحينما زاد العدد قل الاهتمام باللغة فى مجالات استخدامها.

إن المتخصص ينبغى أن يقوم اليوم بمهمة الأعرابى الفصيح الذى إذا عدل به عن لغته الفصيحة الى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها - كما يقول ابن جنى(٢) - لماذا لا نتذكر ما روى من أن النبى ﴿ﷺ﴾ سمع رجلا يلحن فى كلامه فقال: «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل» وما روى أيضا من أن أحد ولاة عمر - رضى الله تعالى عنه - كتب إليه كتابا لحن فيه فكتب إليه عمر: «أن قنع كاتبك سوطا(٣)» وإننا إذا كنا لا نستطيع الالتزام بقواعد الفصحى فى لغة المعاملة المنطوقة فإن الالتزام مع هذه اللوحات غير مكلف وتركه ليس له مسوغ إلا الاستخفاف وعدم الاكتراث.

وقد يقال : **وماذا نفعل، أو ما طرق تقويم لغة هذا المجال من مجالات استخدام اللغة؟** فأقول: إن محاولة التقويم ليست بالأمر العسير إن عقدنا العزم وأحسنا القصد، ذلك أن هذه اللوحات إما أن تكون تابعة لهيئة عامة،

وإمـا أن تكـون لأشخـاص لأغراضهم علاقة بهيئة عامـة، وإما أن تكون لأشخاص ليست لهم علاقة تربطهم بهيئة.

(١) فلوحات الهيئات العامة مثل الوزارات والجامعات والمدارس وغيرها يمكن تقويمها بواسطة إدارة العلاقات العامة أمن يقوم بهذه المهمة وذلك بعد تعيين وتخصيص أشخاص لهذا الغرض شأنهم شأن كثير من الموظفين الذين تمتلىء بهم دواوين الوزارات وغيرها، وهذا أضعف الايمان إن لم تخصص إدارة للتقويم اللغوى تكون مهمتها تقويم كل مكاتبات الهيئة وتكون هذه اللوحات جزءا من عملها، وقد يثير هذا الاقتراح ضحك كثير منا، نعم، لأننا لم نتعود على أن يكـون هناك شيء اسمه الاهتمام باللغة خارج فصول درسها.

(٢) ولوحات الأفراد الذين تربطهم بهيئة عامة علاقة - وذلـك مثل أسماء المحلات التجارية والصناعية وغيرها - يقع تقويمها على عاتق هذه الجهة العامة حيث يمثل هذا الاسم وجـه المحـل الـذى سيظل رمزا مرتبطا فى أذهان النـاس بالمنفعـة التى يؤديها المحل، فكما أن هذه الجهة العـامـة تتحرى الدقة فى نواح كثيرة قبل التصريح بفتح المحـل - وذلـك مثـل الحالة الاقتصادية والحالة الصحية والحـالة الاجتماعية كذلك ينبغى عليها أن يحتل الاهتمام باسم المحل بعض هذه العناية، وعليها أن تقوم بمراجعة الاسم المقترح بواسطة الذين يتولون تقويم لوحات الهيئة أو أن يكلف صاحب المحل بمراجعة بعض المتخصصين فى اللغة مثل مدرس اللغة العربية أو أساتذتها وعليه أن يأتى بما يثبت هذه المراجعة، ولن يكلفه هذا شيئا يذكر.

(٣) أما اللوحات التى تصدر عن أفراد لا علاقة لهم أو لما يصنعون بجهة عامة فيمكن تقويمها أو الحد مما يقع فيها من أخطـاء بواسطـة المسئـول عن المكان الذى تقع فيه اللوحة إذ يجب عليه أن يطلب من صاحب اللوحة مراجعة المعنيـين باللغـة وأن يشعره بأن الشارع أو الطريق العام ليس مكانا مباحا لعرض السقيم من الكلام والمبتذل من العبارات.

ولا أدعى بهذا الاقتراح أننا سنحقق التقويم المنشود دفعة واحدة، لكننا بهذا نساعد على الوصول لهذا التقويم المطلوب المهم أن تتوفر لدينا الارادة فى الاصلاح فنعطى الاحساس لمن يكتب هذه اللوحات أو يسأل عنها بأهمية هذا الأمر الذى لا يقل خطورة عن أغراض اللوحة الأصلية.

أليس من المزعج أن تتعدد الأخطاء اللغوية فى لوحات معلقة على جدر مدارس التعليم التى تضم عددا من مدرسي اللغة العربية تلتهب أعصابهم وتبح أصواتهم بسبب تدريس هذه المـادة التى يحتاج تدريسها إلى جهد كبير؟.

أليس من التنـاقض العجيب أن تنتشـر الأخطـاء اللغوية معلقة على جوانب طرقات جامعاتنا، وكل جامعة تضم كلية أو قسما للغة العربية، وكل قسم ينضوى تحت لوائه عدد وفير من الأساتذة والمعيدين والطـلاب؟ يحدث هذا أمامهم جميعا وكأن الأمر لا يعنيهم أو لا يهمهم، ويتعلل بعضهم أحيانا بأن هذه الأخطـاء يرتكبهـا أفـراد لا علاقـة لهم باللغـة مثل موظفى المحـاسبـة أو التسجيل وهذا عذر أقبح من الذنب، لأن هؤلاء هم المحتاجون الى أن نربى فيهم الحرص على اللغة ومراعاة قوانينها، لأننا إذا لم نصلح لغة هؤلاء فلغة من نصلح، لغة المتخصصين؟

إن طريق إصـلاح اللغـة فى حاجـة الى خطـوات جادة حتى لا نفـزع بمثـل هذه الأخطاء التى تملأ الأسماع والأبصار ليل نهار، وهذه خطوة على الطريق، فلنتنبه ولا يشغلنا أداء المنـافـع عن احـترامنـا للغتنـا واحترامنا لأنفسنا أمام الآخرين.

(١) ينظر هذا الخبر فى أمالى القالى ج١ ص٢٥٧

(٣،٢) ينظر الخصائص ج٢ ص٢٦، ص٨



العدد السنوي المتخصص

رمضان - شوال ١٤٠٨هـ

الحياة الانسانية فى عطائها الفطرى التلقائى عبر العصور والاجيال المتلاحقة، يظل الانسان - فى تعامله اليومى - يكتسب منها جديدا تلو جديد فى جوانب حياته المختلفة.. وتترسب تلك المكتسبات مع الايام فوق بعضها ويتقادم بها الزمن الا انه يظل يعايشها ويعيش على معطياتها التى تحولت عنده الى موروث.

● منه ما ضمت المتاحف، وما حوته بطون كتب التاريخ والتراث.

● ومنه ما يظل حتى يومنا واقعا معاشا لديه بعد ان اكتسب مسمى العادات والتقاليد..

«العادات والتقاليد» فى: السلوك - والمعاملات اليومية بين الافراد والجماعات - الافراح والاحزان - الصناعات بكل اشكالها وانواعها - الخ...

● وما توارثته الاجيال من موروثات شعبية فى: الشعر - المثل - الحكمة - الخرافات والاساطير - الخ...

● لا شك ان فى تلك المعطيات والموروثات الشعبية ما هو خيِّر ايجابى وما هو سلبى يتناقض مع القيم الخيِّرة للانسان.

وهذا العدد الذى نحن بصدده يتزامن مع المهرجان الوطنى الرابع للتراث والثقافة ويتناول «العادات والتقاليد» باعتبارها:

وهذا العدد الذى نحن بصدده يتناول «العادات والتقاليد» باعتبارها:

أولا: موروثا انسانيا.

ثانيا: لاظهار وابراز ما انتخبته وتخيرته التجربة الطويلة كأنموذج لسلوك القيمة الانسانية الخيرة.

وهنا المرتكز الاساسى لهذا العدد المتخصص.. والذى سيشارك فى تحرير مواده كوكبة مختارة من رجالات الادب وعلم الاجتماع فى مملكتنا والعالم العربى والاسلامى.

فانتظره عزيزى القارىء.. واحرص على اقتنائه.


مجلة
ذات أداء
متخصص
العدد
الأربعون
١٤٠٨هـ



الشعر النسائي الحديث في مصر

ظهر الأدب النسائى المصرى الحديث فى أول أمره خفيا حيّياً متواريا، ثم لم يلبث أن اتسع نطاقه، وكان شعر المرأة فى أول امره يتسم «بطابع التقليد»، فشعر وردة اليازجى، وأمينة نجيب، لم يكن الا نظما أقرب إلى رصف الألفاظ، ربما كان ذلك نتيجة البيئة الأدبية التى شبّتا فيها، فلم تكن المشاعر النفسية أو التأملات والاحساسات أو التأثرات بالأحداث واضحة فى هذا الشعر.

بقلم الدكتورة
سهام راشد عثمان
كلية آداب سوهاج - مصر

ثم جاءت عائشة عصمت تيمور بشخصيتها إثر أحداثٍ عاصفة فجّرت الشعر فى نفسها على نحو جديد بعد أن تحررت من قيود التقليد، فهزت النفوس بقصائد كتبت لها اسما بارزاً فى الشعر العربى، وكانت علامة واضحة فى صفحة الشعر النسائى العربى الحديث.

ثم كان انتهاء الحرب العالميه الثانية مقدمة لتطور كبير فى الأدب فجاء جيل من المصريات تطلع الى الحياة واقتحم ميدان العلم والعمل، واختلط بالرجال وشاركهم القضايا الوطنية والقومية، وأثبتت شاعرة ما بعد الحرب الثانية جدارتها بإنتاجها الفكرى وابرزت مواهبها الشعرية واتجاهاتها للمشاركة فى العناية بمعالجة قضايا الوطن الكبرى، فلقد تأثرت بما يدور حولها من أحداث أصابت الوطن العربى فى أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وما يعتلج فى صدرها من آلام لما تعانيه البلاد على أيدى المستعمرين، فكان لكل ذلك أثر كبير فى شحذ هذه المواهب وتفجير الطاقات الكامنة، فحفل الأدب المصرى بمجموعة من الشاعرات شاركن بأقلامهن فى أحداث الوطن الكبرى فعالجن قضايا المرأة وطالبن بحقها، كما عبرن عن وجدان المرأة ومشاعرها بحرية وصراحة لم نجد لها مثيلا من قبل، وكان فى طليعتهن: ملك عبد العزيز، وجليلة رضا، وروحية القلينى، وشريفة فتحى.. ثم برزت فى السنوات الأخيرة: وفاء وجدى، ولورا الأسيوطى، وفلورى عبد الملك، ومديحة عامر، وزينب عزب، وتيرى بباوى وغيرهن.. فحلقن فى سماء الشعر

وعالجن أموراً تتصل بما يجرى فى بيئاتهن، وعالجن كثيراً من الأغراض السياسية والاجتماعية فى شعر لا يقل فى براعته وجودته عن شعر الرجال.

فلما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ تفجر شعرهن مع تفجر الثورة التى قامت، فكان شعرهن سلاحاً فى معركة التحرر من الاستعمار والقضاء على المعتدين، فشاركن بالكلمة الشاعرة التى ترتفع الى مستوى المسئولية شكلا ومضموناً، وآمنَّ بالثورة وأهدافها ومبادئها وتأثرن بها وانفعلن بأحداثها.

■ تقول الشاعرة «روحية القلينى» فى قصيدتها «أنا مؤمن بقضيتى»:

أنا مؤمن بقضيتى مهما يطل ليلى وعنف جهادى
ومقاتل حتى انتصارى فى الجهاد ولو على استشهادى
هى قصة الوطن الحبيب أنا الفداء يطول فيه سهادى
فى البر أو فى البحر أو فى الجو أنَّى كنت احمى الوادى

■ كذلك ساهمن بقدر لا بأس به من الشعر الذى يكشف عن مأساة الانسان المعاصر، ويشارك فى اقرار حق الشعوب كلها فى الحرية والمساواة، ويساهم فى تذويب التفرقة العنصرية بين الشعوب فتغنين بالمناضلين الشرفاء، وتمنين حياة بين البشر تسودها الوحدة والتعاطف بين الناس. فالشاعرة «فلورى عبد الملك» تستنكر التفرقة العنصرية فتقول:

همت السلام.. تعبت من ظلم تفشى فى الوجود
ويئست من مسعاى فى تقريبكم بيضا وسود
أسفى على بيض الوجوه.. قلوبهم سود الوعود
ورفاقكم فى كدهم يشقون بالأجر الزهيد
حاشا لرب الكون أن يرضى بتفرقة تسود
وهو الذى وهب الحياة لكل ألوان الوجود

ورفاقكم فى كدهم يشقون بالأجر الزهيد
حاشا لرب الكون أن يرضى بتفرقة تسود
وهو الذى وهب الحياة لكل ألوان الوجود

■ والحب كقضية إنسانية اتخذ شكلا جديداً فى شعر المرأة المصرية المعاصرة فطبقا لما تمر به بلادنا من أحداث سياسية واجتماعية نجد الشاعرات لم يلتفتن للتحدث عن نار الشوق والوجد للقاء الحبيب، وما يفعله بهن الصد والإعراض، وإنما نجدهن قد أدركن واقعهن، فربطن قضية الحب بقضية الوطن، بل والانسانية عامة، فالحب عند ملك عبد العزيز مثلا هو الحب الشامل الكونى العام الذى يشمل الوجود كله بكل عناصره، وكائناته، وليس ذلك الحب الذاتى الأنانى، فهى تقول فى قصيدتها **«ولو تدرى»**:

بأن الحب ليس تعانُق الأجساد
ليس المتعة الحمراء
والسلوى...
بأن الحب ليس ملاعب الكلمات،..
ليس ملاعب الأهواء
والنجوى
بأن الحب أن نُعْطَى
وأن نُعطِى..
وأن نرضى

بأن الحب يفتح طاقة الآمال والقدرة
بأن الحب يُنبت فى الحياة . .
مزاهر الأفراح . . .

خطا شعر الوجدان النسائى خطوات واسعة منذ أوائل القرن العشرين حيث نجد الشاعرات اقتحمن ميدان الوجدان والتعبير عن الذات ولواعج النفس وأشواقها فى شجاعة وصدق وإخلاص فى غير مجافاة للعفاف الذى يزيد المرأة جمالا . وإن كُنَّ فى البداية قد توجسن خيفة من كشف عواطفهن فَلُذْنَ بالوحدة وكثر حديثهن عن الغربة النفسية والصراع الداخلى والأنين والحيرة والوحدة .

كذلك شاركن بنصيب لا بأس به فى الشعر الدينى الذى نحس من خلاله بالايمان العميق النابع من القلب، كما نحس الخشوع والحب لله ولرسوله، كما لا يخلو شعرهن الدينى أيضا من نزعة فلسفية وتفكُّر عميق فى ملكوت الله وبدائع خلقه وإن كانت تغلب على هذا الشعر الدينى سمة التكرار، كذلك يتسم بكثرة الشكوى والدموع، والاسراف فيها بطريقة تلفت النظر وتشد الالتفات . وهى . . اعنى الشكوى . . سمة غالبة على طبع النساء جميعهن .

مظاهر الطبيعة موقعا محببا لدى شاعراتنا . فرحن يترجمن جمالها وسحرها، ويرددن حديث الطبيعة والحب، بل لقد لذن بها، وتمثلنها كائنا حيا فاتخذنها حبيباً يبُثْنهُ شكواهن متأثرات فى ذلك بالمدرسة الرومانسية .

■ اما الموضوعات الخاصة التى طرقتها المرأة الشاعرة فى شعرها فتشمل الزواج وتعدد الزوجات والطلاق والتعليم والعمل .

يدرس شعر المرأة المصرية المعاصرة يحس بمسحة من الحزن والأسى والانقباض والكآبة، تشيع فى هذا الشعر وتكاد تصبغه بصبغة حزينة قاتمة، وقد يكون لهذا الحزن رواسب نفسية نتيجة لظروف الوطن وحياة البؤس والفقر التى عاشتها الجماهير أثناء فترة الاحتلال، وبعد الثورات العديدة ضد المستعمر . كذلك إذا حاولنا البحث عن تفسير آخر لهذا الحزن الذى يشيع فى شعرهن، فإننا نستطيع أن نقول ان المرأة على الرغم مما وصلت إليه من حرية بحيث أصبحت قادرة على الخروج والدراسة فى الجامعة والعمل خارج البيت، ونيلها أرقى الدرجات فى الوظائف الحكومية، نقول على الرغم من كل ذلك إلا أنه لم يستطع أن يقضى على أصناف العبوديات التى تعشش فى روح المرأة وتسيطر على عقلها . فعلى الرغم من مرور فترة طويلة على حرية المرأة ومحاكاتها للمظهر الغربى، واسهامها فى الحياة العامة، إلا أننا نجد فى شعرها الألم الدفين . . ألم الأنثى الشرقية التى طال أسرها فانطلقت من قيودها دون أن تدرى ما تخطط أو تعمل، إذ ورثت الظمأ الروحى الذى خلقته لها أمها وجدتها فتراكم فى اللاشعور عبر السنين والأجيال فكان خيراً على الأدب، وبركة على الفكر، ففى شعرهن نجد أحلى الأحاسيس وأجمل الأغاريد وأروع الأنغام، وحنيناً إلى المجهول سرت فيه المعاناة الروحية . فيغلب على شعرهن طابع الحزن والحرمان حتى ليكاد يصبغه بصبغة قاتمة مظلمة . وأول مظهر من مظاهر الحزن تقابلنا فى الشعر العربى المعاصر هو ذلك الحزن الرومانسى الذى نراه فى أشعار نازك الملائكة وملك عبد العزيز . فقد اعتمدت هذه الاعمال على اليأس والكآبة الناتجين عن الاحساس بعدم التوازن النفسى بين الذات وبين الواقع الخارجى للفشل فى تحقيق

مثاليات الذات فى ظروف هذا الواقع .

فلقد سادت أشعار ملك عبد العزيز روح الحزن المتشائمة التى تشى بنوع من العزلة الروحية والاستغراق فى التفكير الذاتى المنطوى، فتهمس للحزن :

للحزن فى قلبى بئرٌ غائره
غطيته بالأغصن الخضراء بالزهور
كلماتك الحزينة المخضلة
تنكأه تفجره
يفيض حافراً صدرى بسيله المريرْ

كذلك يشيع فى شعرهن الاحساس بالضياع والغربة النفسية بين الأشياء والناس، ولذلك يكثر عندهن نتيجة لذلك الاستفهام والاضطراب والقلق الناتج عن الحيرة والتمزق النفسى، فشريفة فتحى تنشد :

أنا . . من أنا؟ أنا ثورة أنا حيرة

أنـا كذبة قد لفها وهم كبير
أنا بعض أحلام يهدهدها المنى

أنـا دمية أنا لعبة بيد المصير

■ والاحساس بالغربة وكثرة السؤال والاستفهام فى البحث عن الذات يكثر فى شعرهن بصورة واضحة، وهذا دليل على أن المرأة مازالت تفتقد الثقة فى نفسها وفى عملها، ومازالت تشعر بتفوق الرجل عليها، بعد أن حاولت خطأً المساواة به، فكانت هذه المحاولة السبب فيما تجره عليها من متاعب نفسية، فانطلقت تثبت ذاتها فى قصائدها تعبر فيها عن مكنون نفسها وتتظلم لهضم الرجل حقها .

ولذلك يكثر فى شعرهن الأنين والشكوى. واللجوء الى الطبيعة ومناجاتها . ومثل هذا النوع من القصيد الحزين يقل فى شعر الرجل إذ أن بصمات قوته تترك أثرها فى شعره فتخفف من سيولته .

وكما يلفت النظر فى شعر المرأة كذلك كثرة حديثها عن الكتمان والصبر والكبرياء والوحدة والليل والشك، ويخلو قصيدها من الحلول ومواجهة المشكلة، وكل هذا يزيدها تعقيدا ويخلف رواسب نفسية، ويجعلها تضيق بهذا النوع ذرعاً فتكسر من قيودها وتواجه مشكلتها وتأخذ مكانتها الانسانية كشريك كامل فى دورة الحياة. وتحس بحقها فتعبر عن مشاعرها وتثور على ضعفها وتحرر وجدانها، فـ «روحية القلينى» تنشد ثائرة :

أنـا . . من أنـا؟ أنـا ثورة أنـا حيرة
أنـا كذبـة قد لفـهـا وهـم كـبـير
أنـا بعض أحـلام يهدهـدها المنى
أنـا دميـة أنـا لعبـة بيـد المصـير

لقد كانت تريد الحرية فى التعبير، ولا تملك الارادة، ولذلك يسود شعرها كثيراً التمويه والتخفى والاضطراب، حتى عبرت الى شاطىء الحرية فى التعبير وتغلبت على الخوف ونظرة المجتمع إليها، فحطمت أغلالها وتلاشت عندها القيود والحدود واكتمل المد وامتزج الكل فى واحد، كما عبرت عن ذلك «ملك عبد العزيز» .

كذلك يتسم شعرهن بطابع خاص متميز، وسمات أسلوبية معينة، فلقد استطعن أن يعبرن عن وجدانهن واحساساتهن تعبيراً يختلف فى نبراته عن تعبير الرجال عن مشاعرهم ووجدانهم «ويتسم بسمات تختص بها الأنوثة دون غيرها» .



■ فالمعانى ذات الخصوصية والأفكار الذاتية التى تتصل بحياة المرأة وأحاسيسها ومشاعرها، كثيرة الشيوع فى شعرهن، مثال ذلك ما نجده فى قصيدة «عاطفة وعاصفة» ل. شريفة فتحى والتى تقول فيها:

ورأيت نفسى تشتهى
فدعوت ربى خائفة
ونهضت أكبح نزوتى
وأرد نفسى اللاهفة

■ كذلك يتبدى الطابع النسوى فى شعرهن حين يتحدثن عن الحمل والولادة والأمومة، فـ «وفاء وجدى» تحدثنا عن طفلها المنتظر وهو مازال بذرة فى اعماقها تنمو وتتحد معها، فيصبح الجنين عضواً من أعضائها وبعضاً من إحساسها فى أحشائها:

صغيرى .. وأنت هنا نبض قلبى
وبعض دمى وإنتفاضة حبى
أتدرى وقد صار ينمو معلك
شعور الأمومة يوماً فيوما
فيملأ صدرى قويا شفيقاء
فاشعر أنى عرفت الأنوثة
فنبض الأمومة إحساس انثى بدفق الأنوثة

كذلك فإن الاشراف على البيت، ورعاية الأسرة من الأعمال التى تختص بها المرأة، وقد طرقت شاعراتنا المصريات فى شعرهن قيامهن بأعباء المنزل والاشراف عليه وسياسة الصغار، تقول «جليلة رضا» من قصيدة «جولة داخل نفس»:

درأيتنى فى مطبخى مشغولة
والوقت يمضى آخذا بخناقى
بهنا سلقت، وهنا قليت وها هنا
ذقت الطعام كأمهر الذواق

■ كذلك تجد الزينة وحب التجمل شيئا فى طبيعة المرأة، وتكثر شاعراتنا من الحديث فى مثل هذه الأمور، خاصة وأن هذه الزينة وهذا التجمل إنما يكون من أجل الرجل.. مثل ذلك نجده فى قصيدة «الثوب المزق» للشاعرة روحية القلينى.

وقفت أمام أثوابى الجميلة
أجربها لساعات طويلة
أقول لها أيعجبه الموشّى
أم الثوب الذى يحكى الخميلة
وأسأل كل من حولى: أحقا
سيعجب بى بلمساتى الأصيلة

■ ونلاحظ أن شعر المعاصرات تغلب عليه الذاتية والتغنى بأحلام الذات المنفردة، والتعبير عن أحزانهن وأشواقهن الخاصة، كما يتسم بعدم الشمول وبعدم النظرة البعيدة للأمور.

كما يتسم شعرهن بالأسلوب السهل الممتنع، والعبارة الرقيقة والخيال الخصب، والأفق الواسع، والفكر العميق فى بعض القصائد، كما أن شعرهن يبتعد عن التعقيد والغموض وإن كنا نرى فيه تأثراً بالأدب الغربى، إذ تخللته بعض الألفاظ الأعجمية الدخيلة، كما نرى ذلك عند الشاعرة «لورا الأسيوطى».

وفى كثير من شعرهن نجد التكرار بصورة واضحة، ولكنه لم يكن معيباً فلم يجىء مجرد حشو وثرثرة جوفاء، وإنما استعملنه استعمالا حسنا بحيث أصبحت له وظيفة فنية لتأدية دور فنى فى القصيدة فظاهرة التكرار جاءت عندهن فى ثوبها الجديد الذى يواكب مظاهر الشعر العربى المعاصر، وذلك أن التكرار يعتبر ظاهرة رائعة وميزة من مميزات الشعر العربى الحديث.

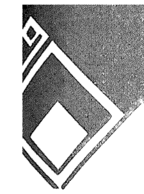
وأظننا الآن نستطيع بكل ثقة أن نقول إن المرأة المصرية المعاصرة استطاعت أن تثبت جدارتها فى دنيا الشعر، وأن الشعر النسائى يمكن أن يقف جنباً الى جنب مع شعر الرجل.



نجاح الأديب ودخوله مجال الشهرة ليس موقوفاً فقط على ابداع الأديب أو الكاتب نفسه فقط، بل إن لمتابعيه دوراً هاماً وكبيراً ويظهر ذلك من خلال تجاوبهم مع ما يخطه قلمه وما تجسده أنامله، فهو يعكس مشاعرهم وعواطفهم بما يعتلج فيها من نبض وآلام وغير ذلك. كما أنه يلامس بقدرته على التعبير قضاياهم ومشاكلهم، ودائما يكون نجاح الأديب مقرونا بابداعه فى تصوير واقع معاش يلامس ظروف معينة لأشخاص معينين والسؤال الذى يطرح نفسه هو اذا كان اديب ما قد نجح فى اخراج عمل ابداعى ونال بذلك شهرة واسعة وأصبح معروفا لدى الجميع، فهل يمكن أن يستمر نجاحه فى كل عمل يصدر عنه لكونه أصبح مشهوراً حتى إذا كان ما صدر منه لم يصل لدرجة الابداع؟ وهل يمكن أن يجد من يتجاهل المساوىء التى قد تظهر فى أخذ اعماله؟ لكونه أصبح معروفا؟ واذا سلمنا بدافع المجامله والمصلحة مثلا من أقارب أو أصدقاء أو زملاء مهنة، فهل نستطيع أن نحكم على عمل أى اديب أو كاتب ناجح، بالنجاح الدائم فى كل أعماله لمجرد أنه أبدع فى عمل ما؟ وهل يمكننا أن نسلم بحكم وآراء بعض الملازمين لهذا الشخص فقط؟، ونحن فى عصر تعانقه المجامله والمصلحة المتبادلة وخلاف ذلك من أمور أخرى.. إن هناك عوامل عديدة قد لا تتيح للأديب أو الكاتب الاستمرار فى النجاح الدائم والمتميز كما أن هناك كتاب وأدباء قد لا يصلون الى سلم المجد والشهره من أول مؤلف أو ثالث مؤلف ولكنهم قد ينجحون فيما بعد ذلك، فهل معنى هذا أننا نهملهم ونتجاهلهم ونصرف نظرنا عن انتاجهم فنبخسهم حقهم من التعريف والتكريم لأنهم لم يرتقوا الى جبل الشهرة من أول الطريق.

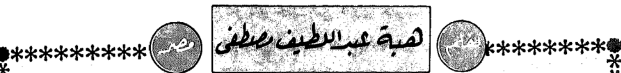
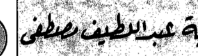
هل يمكن أن يحدث هذا فى عصر كالعصر الذى نعيشه؟! قد تكون الاجابه بالنفى وقد تكون بنعم فكثيرون الذين ارتقوا الى سلم المجد من عمل واحد فقط وكثيرون هم الذين مازالوا مغمورين لا أحد يدرك عظمة ابداعهم.. فهل نحكم ضمائرنا وعقولنا ووطنيتنا عند الحكم؟ أم سنظل نتصرف بما تمليه علينا المصلحة والمجامله، بعيداً عن رؤية الحق والعدل؟.

هذا سؤال قد يكون قضية صعبة ولكنه يحتاج الى وقفة تأمل وتحكيم عقل وتفكير جاد.



كوري مصر

أول شرقية تنال الدكتوراه في الذرة



كانت فى رحلة دراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فأطلقوا عليها «كورى المصرية» لدأبها المتواصل فى العمل والتحصيل. ولتفوقها وذكائها المنقطع النظير. فمن هى «كورى المصرية»؟.

■ فتاة من مصر نشأت فى الريف المصرى، حفظت القرآن الكريم فى السادسة من عمرها، وألفت كتابا فى الجبر لطلبة المدارس الثانوية وهى طالبة حصلت على الدكتوراة فى سنة ونصف السنة بدلا من الثلاث سنوات.

● ولدت الطفلة «سميرة موسى» فى ٣ مارس ١٩١٧م فى قرية «سنبو الكبرى» مركز «زفتى» محافظة الغربية وألحقها والدها بالكُتّاب وهى فى سنّ الطفولة الأولى وكانت مضرب المثل فى تعلم القراءة والكتابة، وكانت مثالا بارعا للنبوغ فى حفظ القرآن الكريم. وقد أولاها شيخ الكتاب إهتماما خاصا عن رفيقاتها لما يلمسه فيها من نبوغ وذكاء.

● وقد كان القدر يقف بجوار هذا النبوغ والذكاء، فقرية «سنبو» كانت محرومة من أنوار التعليم ككل القرى المصرية فى ذلك الوقت. وأنشئت بالقرية مدرسة اولية إلزامية، وكانت «سميرة» ورفيقاتها أول جيل يدخل هذه المدرسة، وذلك فى عام ١٩٢٥. وأظهرت نبوغها فى المدرسة كما أظهرته سابقا فى الكتاب، فكانت شعلة عمل وذكاء متوقدة تسأل مدرسها وتناقشه فى شروح الآيات القرآنية وتحيره بأسئلتها التى تفوق كثيرا سنها. وكان عندها نزعة غريبة جارفة لحب العلم والمعرفة، ومعرفة أسرار هذا الكون الغامض.

● ورجع أبوها يوما الى البيت ولاحظت عليه «سميرة» أثر حزن عميق، وهمٌ دفين فسألته عن السبب فى حزنه وهمه، فأجابها أن السبب فى هذا «الجورنال» فاقرأيه. وقرأت «سميرة» نبأ وفاة الزعيم «سعد زغلول».

● وظلت سميرة حزينة بسبب وفاة سعد الى أن ذهبت الى المدرسة فى اليوم التالى، وسألها المدرس عن سبب حزنها فأجابته لقد قرأت فى «الجورنال» نبأ وفاة الزعيم «سعد زغلول» وفرح المدرس لأنها تعرف القراءة جيدا فى

الجورنال، وطلب منها المدرس أن تعيد قراءة هذا النبأ مرة أخرى، فقرأته على مسمع من مدرسها وزملائها وليس من «الجورنال» وإنما من ذاكرتها، فقد حفظت ذلك النبأ عن ظهر قلب، وأدهش ذلك مدرسها، فكيف تعيد عن ظهر قلب ما قرأته بالصدفة، وهذا دليل على ذكاء ونبوغ هذه الطفلة.

وأخذها المدرس وذهب بها الى أبيها، ونصحه أن يهتم بتعليم هذه الفتاة ويتيح لها فرصة إستكمال تعليمها فى القاهرة، لما تنطوى عليه شخصيتها من عبقرية فذة، ونبوغ وذكاء منقطع النظير.

● وكان والدها فلاحا بسيطا، ولكنه كان طمُوحاً يريد أن يحقق لأولاده ما لم يحققه فى حياته من التعليم، ورحل الرجل الى القاهرة من بلدته، ومعه أولاده وبينهم الطفلة النابغة «سميرة» وافتتح «لوكاندة» لتكون عونا له بدخلها وسندا لتوفير مصاريف الأولاد، الذين ألحقهم بمدارس القاهرة.

● وأكملت «سميرة» مدرستها الابتدائية والتحقت بمدرسة «بنات الأشراف» الثانوية بالعباسية، وكانت ناظرتها نبوية موسى ـ أول ناظرة وأول فتاة تتعلم تعليما جامعيا ـ وحين اشتكى زملاء سميرة من صعوبة مادة «الجبر» فى الكتاب المقرر عليهم، ألفت كتابا للصف الأول الثانوى وهى طالبة. وأحست سميرة ميلا شديدا تجاه دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات وانتقلت الى مدرسة «الأميرة فوزية» لأن مدرسة «الاشراف» لم يكن بها معملا، ولما علمت ناظرة المدرسة بذلك، غضبت وأنشأت معملا للعلوم، من أجل طالبتها النابغة.

● وكان ترتيب سميرة فى كل مراحل التعليم الأولى دائما، فى «الكفاءة» وفى «البكالوريا» وتقدمت الى الجامعة ولكنها تأخرت فى الحضور عن زملائها عدة شهور، وذلك لاعتراض بعض الأهل على دخولها الجامعة، ولكن أمام تصميمها سمحوا لها بالالتحاق، واختارت كلية العلوم، ورغم تأخرها فى دخول الجامعة عدة شهور إلا أن ترتيبها كان الأول، وكان كذلك فى كل الأعوام أيضا.

● واعترضت الجامعة ووزارة المعارف المصرية على تعيين «سميرة» معيدة فى كلية العلوم ولكن من حسن حظها أن الدكتور «على مصطفى مشرفة» كان عميدا للكلية وأصر على تعيينها أو قبول استقالته، فاضطرت رئاسة الوزارة لاصدار قرار من مجلس الوزراء بتعيينها معيدة فى كلية العلوم.

● وكان قد قرر إيفادها فى بعثة الى انجلترا للحصول على رسالة الماجستير ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية كانت حجر عثرة فى طريقها، ولكنها لم تيأس وحصلت على الماجستير من الجامعة المصرية بتقدير «ممتاز مع مرتبة الشرف». وبعدها سافرت الى لندن للحصول على الدكتوراة، وكانت المدة المقررة لذلك هى ثلاث سنوات فأتمت رسالة الدكتوراة فى سنة ونصف سنة. وكان موضوع رسالة الدكتوراة «التأبن الناتج عن الاشتعال» واستوعبت فيها العديد من الأبحاث الخاصة بصنع نظائر مشعة يمكن استغلالها فى علاج الأمراض المستعصية، وأمضت باقى مدة البعثة لرسالة الدكتوراة فى دراسة الذرة، وقد اندهش أساتذتها فى لندن فأرسلوا الى الجامعة المصرية يبلغونها بنبوغ فتاة مصرية قادرة على تغيير وجه العلوم.

● وحصلت على الدكتوراة وكانت أول فتاة فى الشرق تحصل على الدكتوراة فى هذا الفرع من العلوم الطبيعية، وكادت أبحاثها عن النظائر المشعة أن تصل الى مفتاح السر فى الحصول على مواد تشع من مواد لا تشع، وكان هذا بمثابة العصا السحرية التى بها يمكن القضاء على أعدى أعداء الانسانية وهو مرض السرطان، وقد أشار عليها أساتذتها هناك بنشر أبحاثها ليستفيدوا منها ويستفيد كل الباحثين فى علم الاشعاع.

● عادت من لندن وعملت مدرسة فى كلية العلوم بالقاهرة، ولم يشغلها عملها بالتدريس عن مواصلة البحث عن الذرة، فكانت تذهب كل يوم إلا يوما من كل أسبوع الى مستشفى «قصر العينى» لعمل الأبحاث، وقد سخر منها بعض الزملاء عندما أعلنت بعض آمالها، ولكنها قالت: سوف أجعل العلاج بالذرة ـ الراديوم ـ مثل الاسبرين فى الشيوع والتناول. واختارتها لجنة الوقاية من

القنابل الذرية لتكون عضواً فى اللجنة الى جانب عملها فى الجامعة.

● وكانت سميرة طموحة دائما الى البحث العلمى، كانت تحاول أن تفك رموز بعض الأسرار اللانهائية فى مجال عملها وعلمها الذى اختارته، كانت تحاول السعى دائبة الى اكتشاف علاج تقضى به على مرض السرطان، من خلال استخدام الذرة.

● وتهيأ لها بعض ما تريد فقد حصلت على بعثة الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥١، وهى منحة «فولبرايت» لدراسة الذرة فى ذلك الوقت. وفى الجامعة قامت بعمل أبحاث جديدة ونجحت الأبحاث نجاحا أذهل أساتذتها والقائمين على أمر البحث العلمى فى الجامعة الامريكية وعرضوا عليها الجنسية الامريكية ولكنها رفضت رفضا قاطعا وقد أطلقوا عليها «كورى المصرية» لدأبها المتواصل فى البحث، والاصرار على الحصول على نتائج علمية.

● ولأول مرة فى تاريخ المعامل السرية للذرة فى الولايات المتحدة الامريكية، تفتح أبوابها لزائر أجنبى، ففتحت للدكتورة سميرة لتجرى فيها بعض الأبحاث.

■ وهيأت عالمة الذرة نفسها للعودة الى أرض الوطن الحبيب، بعدما حققت كثيرا من نتائج أبحاثها فى أمريكا، وآثرت أن تخص الوطن بالتطبيق العملى لنتائج تلك الأبحاث.

● وكان ذلك اليوم الموعود مع القدر، الذى كتب فيه نهاية مؤسفة لعالمة الذرة الدكتورة سميرة موسى.. ففى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ كانت فى طريقها لالقاء محاضرة بإحدى الكليات الأمريكية، وتعقبت سيارتها سيارة شحن ثقيل واصطدمت بها وألقت بالسيارة فى منحدر، فهوت السيارة الى عمق أربعين قدما وبها عالمة الذرة، وكانت النهاية المحتومة لعالمة الذرة.

● ولم تنس مصر، عالمة الذرة الأولى فأقيم لها ولاستاذها د. على مصطفى مشرف حفل تأبين فى ديسمبر ١٩٥٢م - رحم الله الدكتورة سميرة موسى كنموذج مشرف للمرأة الشرقية.



دوريس ليسنج

أشهر كاتبة قصصية معاصرة فى بريطانيا

فن القصة من الفنون الراقية للأدب وهناك كثير من الكتاب الذين يستمتعون بكتابة القصة، نبغت منهم فى هذا العصر الكاتبة الانجليزية «دوريس ليسنج». التى تقول عن ولعها بالقصة القصيرة:

«إننى أعشق القصة القصيرة وأجد متعة كبيرة فى كتابتها، وسوف أستمر فى كتابتها مادام حبى لها، ورغم قلة محبى هذا الفن الأدبى الجميل وكثرة عدد الذين يفضلون الرواية الطويلة، فهذا لا يثنينى عن ممارسة هذا الفن المحبب الى نفسى، لقد توقف بعض الكتاب عن كتابة القصة القصيرة لزعمهم بعدم رواجها فى الأسواق وعدم اقبال الناس عليها، ولكن لا يزال هناك محبون للقصة القصيرة وأنا واحدة منهم، لذا فسوف أمضى فى ممارسة هذا الفن الأدبى الرائع لو لم يعد هناك متسع له سوى أحد الأدراج الصغيرة فى منزلى».



ولدت «دوريس ليسنج» فى إيران ونشأت فى جنوب روديسيا حيث قضت فترة هناك، وكانت قد تركت المدرسة فى الرابعة عشرة من عمرها لتستمر فى التعلم بالمطالعة خاصة فى الأدبين الامريكى والانجليزى، وفى عام ١٩٤٩ أخذت ابنها الأكبر «بيتر» الى انجلترا حيث لازالت تعيش حاليا فى مدينة لندن.

حازت دوريس على أكثر من جائزة فى فن القصة وتعد من أشهر الكاتبات المعاصرات فى بريطانيا.. نشرت روايتها الأولى «العشب يغنى» عام ١٩٥٠، وصنعت مجدها الأدبى بكتابها «هذه كانت البلد القديمة للزعيم».

ثم ظهرت روايتها الشهيرة «أطفال العنف» ما بين عامى ١٩٥٢-١٩٦٩، وهى مجموعة متسلسلة من الروايات منها الروايات التالية:

«مارتا كويست» و«المدينة ذات الأربع أبواب».. و«زواج صحيح»

وفى عام ١٩٦٢ نشرت دوريس كتابها العظيم «المفكرة الذهبية»، وهو من أبرز أعمالها الأدبية.. ثم أصدرت دوريس أعمالا أخرى من الفنون الروائية مثل العودة الى البيت، رجل وسيدتان، قصة رجل متزوج وقصص أخرى، الشمس بين أقدامهم، الشمس قبل الظلام.

■ أما أحدث أعمالها فهى سلسلة من الأعمال الأدبية تحت عنوان: «من أرشيف كانوبوس» تعالج هذه الكاتبة المبدعة الموضوعات الواقعية وتتميز بها بشكل خاص رواياتها الأولى ومنها على سبيل المثال «مذكرات جين سومرز» ويدور فى هذه الرواية صراع بين نوعين من الحياة لامرأتين مختلفتين، اتجاهها متباين فى أسلوب حياتها وأوجه اهتماماتها.

الأولى: وهى جين سومرز تعمل فى احدى الصحف، وهى كاتبة نشيطة تهتم بالنجاح فى الحياة وتعنى بلباسها وأناقتها.

أما الثانية: فهى امرأة مسنة عاشت حياتها فى كفاح وفقر.. ضمن هذا الاطار الأدبى يدور هذا العمل الفنى.

وكانت قضية المرأة وحياتها بالنسبة لهذه الكاتبة المبدعة شغلها الشاغل وفى كتابها «المفكرة الذهبية» الذى يعد من أهم أعمالها الروائية تركز على موضوع المرأة، على أنها لا تلتزم بخط الرواية فهناك تقسيمات لهذا العمل الفنى إلى خمسة أقسام ضمن إطار عام يتحدث عن المرأة الواعية فى المجتمع الحديث.

وتسير الكاتبة فى التيار التقليدى للرواية الأوربية لا الانجليزية فقط.. وقد أحدثت هذه الرواية ردود فعل كثيرة فى المجتمع الأوروبى حتى ان الكاتبة استمرت فى تلقى الرسائل التى كانت تردها من القراء بعد ظهور الرواية بعدة أعوام.. وقد أعجب النقاد بالكاتبة المعاصرة «دوريس ليسنج» وبأسلوبها فى الكتابة وشبهها البعض بالكاتبة الفرنسية «سيمون دى بوفوار» وأجمعوا على أنها أعظم روائية فى أوربا فى جيل ما بعد الحرب.

وكان لأفريقيا والحياة فيها فترة من الزمن أثر كبير فى حياة وفكر دوريس ليسنج، تجلى ببراعة فى قسم كبير من أعمالها الأدبية مثل مجموعتها القصصية التى ظهرت بعنوان: «عادة الحب» وتتنوع حوادث هذه القصص فبعضها فى أفريقيا.. وخصصت مجموعة قصصية كاملة لتتحدث عن هذا العالم الحيوى والهام وكتبت من صميم وجدانها وإحساسها وبأمانة فائقة عن منطقة هامة فهى «جنوب روديسيا» وهى البلد الذى قضت فيه ردحاً طويلاً من حياتها وشبابها وعاشت هناك فى خضم أحداث الصراع الانسانى فى الحياة، وتبدى



دوريس إعجابها الكبير بأفريقيا فتقول:

«**إن أفريقيا بضخامتها تهبك إحساساً بأن الانسان مخلوق صغير من المخلوقات فى أرض رحبة جميلة**».

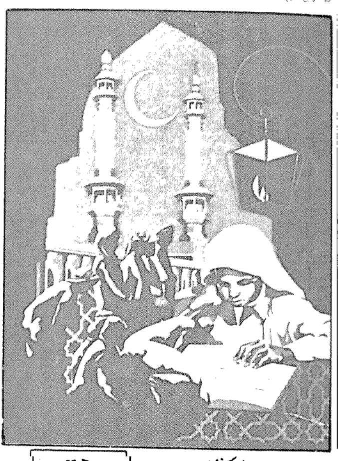
اختارت لكتابها هذا عنواناً هو «**قصص من أفريقيا**» ويتضمن بالاضافة الى مجموعة من القصص القصيرة، أربع قصص أو روايات طويلة. . وتعبر من خلال هذه القصص تعبيراً صادقاً عن الحياة المعاصرة فى أفريقيا. ولم يقتصر إبداع هذه الكاتبة فى مجال الرواية والقصة القصيرة بل إنها برعت أيضاً فى فن المقالة الأدبية ولها مجموعة من المقالات أحدث ما صدر منها مجموعة بعنوان: «**السجون التى تختار العيش فيها**» ولدوريس مسرحية أيضا بعنوان: «اللعب بالنمر» وأبرز ما قاله النقاد عنها: «**إنها تكتب بأمانة وتوحى للقارىء بصداقتها، وتتمتع بثروة من الأفكار يعبر عنها هذا الانتاج الفكرى الغزير**».

ويقول «جون وين» من صحيفة الأوبزرفر: «**تخطو دوريس ليسنج بخطوات ثابتة فهى تعرف تماماً أين تضع قدمها، وتتقن فنها بحيث يخرج للقراء متكاملاً من الناحية الفنية والفكرية، ولا أعتقد أن هناك من يبزها فى الكتابة منذ ظهور الكاتبة الانجليزية المعروفة «جين أوستن»**».

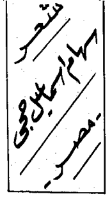
لقد أحدثت دوريس ضجة فى أوساط لندن الأدبية، لكنها لم تتخذ مسرحاً واحداً لأحداث رواياتها بل إنها فى مجموعتها القصصية أو فى روايتها: «عادة الحب» تروى لنا قصصاً جرت حوادثها فى أكثر من بلد فمن لندن إلى باريس إلى أفريقيا. . فلا غرابة إن حظيت هذه الكاتبة المعاصرة بالتقدير الأدبى فى بلدان عديدة، فحصلت على عدة جوائز أدبية منها جائزة جمعية المؤلفين المساة بجائزة «سومرست موم»، وفى عام ١٩٨١ نالت الجائزة النمساوية للأدب الأوروبى ثم جائزة شكسبير فى مدينة هامبورج عام ١٩٨٢م.

ولا تزال دوريس تمارس نشاطها الروائى فى بيتها بلندن حيث أتيح لى لقاؤها فى شتاء عام ١٩٨٦، فكان من دواعى سرورى التعرف على كاتبة أوربية معاصرة لا تعيش فى مجتمع ضيق وإنما تتفتح أفكارها ويتجلى إبداعها فى تجاوز هذا المجتمع إلى المجتمع الانسانى فى أماكن أخرى من العالم.

ويدل على مكانة «دوريس ليسنج» بين معاصريها من الأدباء أنها صنفت كأفضل كاتبة فى انجلترا استطاعت أن تظهر طاقاتها الإبداعية فى مجال الفن الأدبى الروائى.







بشـهـر الـصيـام زرعـنـا الأمـل
ليـنـبـت للروح أسـنى الجـذل
فترتـع فى عالم من صفـاء
بإشـعـاع نور.. نما واكـتـمـل
وعشنـا، بتـحـليقهـا، فى انتشـاء
وقمنـا وصمنـا وطـاب العمـل
ونـلـنـا المـنـى برضـاء الإلـه
وجـائـزة الـصـوم عيـد أطـل

* * *

جديـد الـشـيـاب، به صورة
لمعـنـى رفـيـع، تبـدى وجـل
بأنـا ظفـرنـا بأجـر عظـيـم
نتـيـه به.. فى قشـيـب الحـلل
وخـير لنـا، أن يكـون (الجـديـد)
سلوكـا رفـيـعـا.. يقـينـا الـزلـل
فنـصـلـح أحـوالـنـا فى خشـوع
ونـرأب صدع الهـوى والخـلل
لسعـد الحـيـاتـين دنيـا وأخـرى
ونـلـحـق قبـل فوات الأجـل

* * *

يشـمـر عن ساعـد تائـب
تبرأ من نزعـات الخطـل
تطـهـره أدمـع قد همت
حرارا غزارا.. كَسَيْـلٍ هطـل
كأنـى به بعـد طول الـشـرود
يروم اغـتـسـالا بماء المـقـل

* * *

لقـد كان صوم الجـوارح غنـما
فبطنتـنـا لم تعـد تحتـمـل
وصـوم الـنـفـوس عن المـوبـقـات
هو الـقـصـد، بعـد تسـامى ودل
تنص عليـه الـشـرائـع طرا
ليـسـفـر فجـر الـنـقـاء الأجـل
ويحـيـا الأنـام بظـل ظليـل
من الـصـفـو.. بين جميـع الـدول



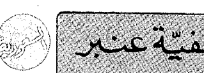
وباحة نغم

رجلي الشرقي

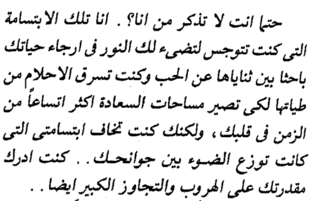
وفاء جابر عبد الحليم

انا لا احتاج الى هذا الركام الارضى . . . يصعقنى انجذابك نحو الطين . .
وانا اخاطب فيك النور . .
احتاجك عالما يبهرنى . . . ويهز الاعماق
انهض معى علّنا نقنع ان الخروج من دائرة المالوف شىء يستحق المواصلة . .
عاونّى . . كى ما يمكننا تحدى هذى الجبال المزعجات . . .
ثبت يديك على يدى . . وارتفع بى نحو اللانهائية . . واغمض عينيك معى
ترّنى فيك نجمة شرقية طازجة ذات بهار لاذع ومثير
انا لا احتاج الى طين يثاقل بى نحو المعتاد . . . اطمح فى شيىء قاس يخرّق فىّ لغة الاشياء
اليومية . . ويخرجنى عن تلك الاحلام الشفهية . . ويدفىء حتى كرات الدم
اهواك وانت تخضرّ اعمارى . . وتؤكد معنى الدنيا والاشياء
احتاجك عمرا يسعى فى اوردتى . . . ويجدد فىّ فصيلة دمى
احبك اعمارا تجرى فى شريانى . . وتضيف الدم الحار داخل نبضى
بارك ربى فى أبعادك . . .
يا . . كم طوفّتُ القُبُ عنك
يا . . كم احتاجك . .
أيا رجلا شرقيا . . يفتح بُعد الاشياء
ويجددنى كقضية عمر.

حتماً أنت لا تذكر من أنا ؟



صفيّة عنبر



حتما انت لا تذكر من انا؟ . انا تلك الابتسامة التى كنت تتوجس لتضىء لك النور فى ارجاء حياتك باحثا بين ثناياها عن الحب وكنت تسرق الاحلام من طياتها لكى تصير مساحات السعادة اكثر اتساعاً من الزمن فى قلبك، ولكنك كنت تخاف ابتسامتى التى كانت توزع الضوء بين جوانحك . . كنت ادرك مقدرتك على الهروب والتجاوز الكبير ايضا . .

فلا تخف . . حتماً سوف اهرب يوماً ما عندما استجمع شتات نفسى وربما تكون لك فرصة اجمل من غيرى ولكنى كلما فكرت فى الهروب تساورنى الشكوك باننى لا استطيع فأبتلع خوفى فتتبعثر الاشياء المسمومة فى داخلى.

تستطيع ياسيدى ان تغير ملابسك دائما ولكن لا تستطيع تغيير المستحيل طالما فى داخلك صوت يصرخ عن الربح والخساره.

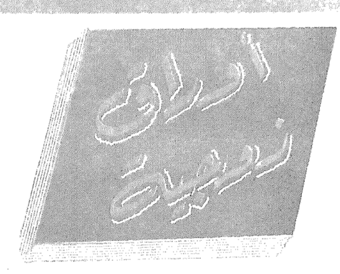
كلانا تاجر، يجيد التعامل مع الارقام ولكننا نختلف فى المبدأ . . انت تضرب وتقسم لتحصد الربح والخساره، وانا اجمع واضرب لأحصد الطمأنينة فى حبك . .

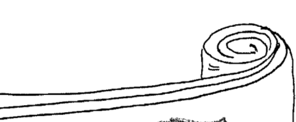
اما اشياؤك سوف تبقى . . الزمان . . والمكان . . وأغلى ما املك . .

كلانا يخاطب صاحبه ولكننا نختلف فى الاسلوب، انت تخاطبنى من سطح قريب، وانا اخاطبك من عمق بعيد، انت تجيد كثرة الكلام، ولكنك لا تجيد فن السمع والاصغاء، انا اسمع كثيراً ولكننى اجيد فن الصمت فالصمت فى موقفنا ابلغ من الكلام بكثير.

كلانا ياسيدى يشترك فى المبدأ ولكننا نختلف فى الاسلوب، انت تريد امرأة تحميك من نفسك وتهدهد الطفل النائم فى داخلك، وانا اريد رجلا يحمينى من العوز المادى والسؤال، والمبدأ الاول تتجلى فيه قدرة الحكيم والمبدأ الثانى محاه الواقع وفرضه على المرأة مجتمع هارون الرشيد . . كنت تتكلم كثيراً وكأنك تكلمنى عن فراق حتمى . . وانا متأكدة ان روحنا تلتقى فى خفقات مشاعرنا . . كنت اتصيد الضحكة فى ذبذبات صوتك المتقطع عبر موجات الاثير. وكنت اميزك بوضوح وادرك تماماً انك لا تستطيع أن تحملنى رؤية قسمات وجهك وهى ترتجف خوفاً . . تكلم لا عليك . . فالليل تنام الحركة البشريه فيه . . عفواً اذ استوقفتك اللحظة هنا . . هل انا اصبحت خارج دائرة اشيائك؟ . . فاذا كنت كذلك . . ؟ لا عليك فانا تعودت الضياع بين الاشياء . . ولكن انت وماذا عنك؟

هل سوف تبحث عن اللا شيىء فى اشيائك . . ام انك سوف تضيع من جديد بين اشيائك لتعاود البحث . . ؟ لقد ضحكت حتى الاغماء وانا اتخيلك وانت تبحث عن اللا شيىء بين الاشياء، فلا انت واجد نفسك من جديد . . فعاودت اللعبة السرية وتركت اشياءك مبعثرة ووقفت من بعيد مع احلامك المقبوض عليها تحاول جمعها من جديد مستعملا البدائل، والندم فى صفة المدح والتورية فى الكنايه والاستعاره، ولكن هيهات ان يبدأ المرء من نقطة الصفر من جديد . .





الورقة ٢٩٠

الزوجه تلجأ لتعلية الصوت واستخدام الحيل عندما لا تجد من يجلس ليستمع إليها ويناقش رأيها بتفهم أو تتصور أنها فى معركة تستلزم استخدام هذه الأساليب.

الورقة ٢٩١

غلاء المهور هو من أسوأ الاهانات التى قدمت للمرأة.. الزواج الناجح يبنى على حسن الاختيار وعدم الانبهار بالمظهر فى كل من الزوج والزوجه معاً.

الورقة ٢٩٢

كل أمور الحياة تهون إذا خططت ورتبت وتم التفاهم على حدودها فى الزمان والمكان والتكلفة مقدماً. مع الاستعداد للأخذ والعطاء هنا وهناك من حين الى آخر.

الورقة ٢٩٣

لا أدرى لماذا يتصور بعض الرجال إمكانية أن تتحكم المرأة فى إظهار وإخفاء عواطفها بطريقة ميكانيكية محكمة بينما يصرون على الاحتفاظ بحق التعبير عن مشاعرهم عندما يروق لهم ذلك. قدرة الانسان على التحكم فى انفعالاته لا تختلف من

أبو عماد



الورقة ٢٩٠

إذا كنت فعلا ممن يحرص على حياة زوجية ترفرف على جنباتها السعادة والأمان.. فتجنبى تلك الفئة من النسوة اللواتى يتحدثن بصوت جهور.. ويُحْسِنَّ فنّ القياده.. فقد لا يكون زوجك سهل الانقياد مثل غيره.. وتذهبين ضحية.

الورقة ٢٩١

عزيزتى.. من السهل أن ينخدع البعض ويطلب يدك ويزداد تمسكاً مهما غلا مهرك.. لكن حمله على الاحتفاظ بك.. قد لا يكون بنفس تلك السهوله.

رجل لامرأة.

٢٩٤

لا يختلف اثنان على أن البريق الكاذب يزول ولو بعد حين وأن العبرة بالمخبر لا بالمظهر.

٢٩٥

عندما تشعر المرأة بقيمة ما تقدمه على وجوه وفى تعبير من حولها سترفض حتماً إدخال الخادمة الى المطبخ وربما الى أماكن أخرى كثيرة من المنزل.

٢٩٦

ان كثيراً من الزوجات يشعرن بالمذلة والهوان والقهر عندما تضطرهم آذان أزواجهم المسدودة وعيونهم المقفولة وعقولهم الغائبة الى اللجوء للغير للشكوى حتى ان كثيراً من الزوجات ينسجن قصصاً خيالية لوصف صفات عظيمة لم توجد قط فى خصال أزواجهن.

٢٩٢

لا أمنعك من بِّر أهلك ولا من صلتهم والتودد إليهم. إلا اذا كانت تلك الصلة أو ذلك التردد سيتحول الى ناقوس يدق عند وسادتى.. ويطرد الكرى من أجفانى.

٢٩٣

احتفظى بمشاعرك الدافئة.. وعواطفك الجياشة الى موقف محرج.. أجد نفسى أحوج ما أكون إليها.

٢٩٤

لا تحرصى كثيراً على المظهر.. ويفوتك تحسين المخبر.. فكم من وردة جميلة المظهر.. زاهية الألوان.. تأسر الناظرين.. يتبين فيما بعد أنها بلاستيكيه لا حياة ولا شذى فيها.

٢٩٥

وأنت تطيرين فرحاً بهذه الخادمة التى أصبحت تحسن صنع كل شىء.. وطهى كل طبق.. يصبح على عينى غشاوة.. أتخيل ما يمكن أن يكون عليه حالنا بعد سفرها.. وقد نسينا صنع كل شىء.

٢٩٦

لا تتظلمى الى أحد.. ولا تبثى الشكوى لغيرى.. انهم أمام دموعك ينسون أخطاءك التى لا أنساها..





: ٢٩٧

تخيّلى أن ـ السلوك ـ مادى ـ تظهر جزئياته فى المرآة . .
اذاً . . لوجدتِ كافة مساحيق ومستحضرات التجميل لا تكفيك لعمل ميكياج ناجح . .

٢٩٨

إنّنى لا أفتش عن أخطائك ولا أتعامى عن حسناتك، وكل مافى الأمر يا سيدتى أن الثانية واجب . . والأولى تصور . . والمرء عادة لا يُشكر على واجبه . . ولكنه قد يُعاتب أو يُعاقب على قصوره .

٢٩٩

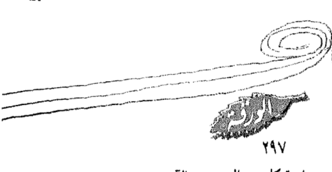
اعتذرى إلىّ عن طريق العقل . . لا الوجدان

٣٠٠

اخترتك شريكة . . لا خادمة . . اردتك أن تشاطرينى حلو أيامى ومرها وتكونى معى على الأيام لا معها علىّ . . فما بال جل تفكيرك محصور فى الحاضر . . ولا تأبهين لمستقبلنا ـ المجهول . .

٣٠١

أنا لا أدّعى الكمال . . ولست معصوماً عن الخطأ . . فجل من لا يخطىء . . لكننى امرىء اجتهد فى القيام بواجبى ـ كزوج ـ وفى اللحظة التى انتصر فيها على كل الصعاب ويتكلل مسعاى بالنجاح وأجدك انت غارقة فى بحر من التقصير فاننى لا اتمالك نفسى . . فهلا كنا شريكين فى تضحياتنا وهفواتنا؟ . .



٢٩٧

خبرة كل من الزوجين بالآخر هى خبرة مباشرة تستقبل مثيراتها بكل الحواس وليس فقط بالعين التى ترى أو اليد التى تستلم مصروف البيت كل شهر .

٢٩٨

عبارة «لا شكر على واجب» يقولها الذى قام بالعمل وليس من قُدِّم إليه هذا العمل فهى أولا وأخيراً تفضل منه والحديث الشريف يقول «من لم يشكر للناس لم يشكر لله» .

٢٩٩

الاعتذار الذى يمكن قبوله هو فى حقيقته احساس بالذنب وشعور بمدى ما أصاب الطرف الثانى من ألمٍ نتيجة لصنيع ما . كيف يخلو ذلك العمل من الوجدان؟ .

٣٠٠

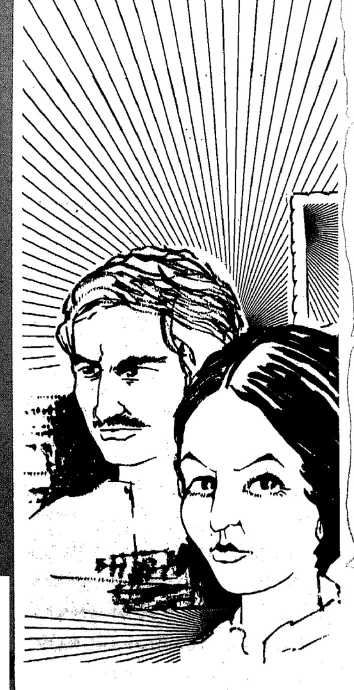
التفكير فى المستقبل والانخراط فى التحضير له تخطيط مشترك يحتاج للدعوة والتشجيع والتنازل من كل من الزوجين حتى يصبح عادة مكتسبة . . وقبل وبعد كل شىء يحتاج لظروف مطمئنة للزوجة تجعلها تشعر وتقتنع أن هناك مستقبلا يمكن التضحية له بشىء من الحاضر .

٣٠٢

أحذرك من تصديق كل ما ترينه على الشاشة واحذرى أن تكونى ضحية فيلم أو مسلسل . .



٣٠٣
تخيلى نفسك طبيبة.. وجئتُ إليك أشكو ارتفاع ضغطى مع وجود الفوضى وعدم النظام.. وبغض النظر عن اى رابطة.. كانسانة كيف تعالجينى فى هذه الحالة؟؟.





٣٠١
كثير من الرجال يركب قطاراً سريعاً جرياً وراء أهداف يعتبرها هامة وضرورية بالنسبة له وعندما يحققها ويقف يتلفت خلفه منتظراً كلمات الاعجاب والمديح والتشجيع من شريكة حياته يكتشف فقط فى هذه اللحظة أنه ترك زوجته فى المحطة السابقة وأن عليه أن يعود مرة أخرى لاحضارها.



٣٠٢
أتفق مع كل من يقول للمؤلفين والكتاب لبرامج ومسلسلات التلفزيون والاذاعة «اتقوا الله» ويقول للمتفرجين: أعصروا عدداً كبيراً من ثمار الليمون على ما تسمعونه أو تشاهدونه حتى تستطيعوا ابتلاعه ـ بلا غثيان طبعاً.



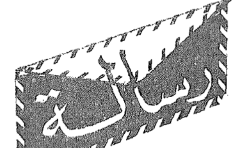
٣٠٣
عندما تكون أعباء الطبيبة أعلى من قدراتها ووقتها وجهدها على تحملها ولا تملك استئجار مساعد لا تملك الا أن توظف المريض بجزء من أجر العلاج لمساعدتها.

أم محمد

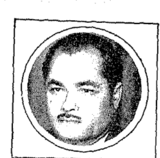


فالبطل: امرأته مطلقة.. والمخرج زواجه الثالث مهدد بالفشل.. وكاتب النص والسيناريو عجوز عازب..





محمد عبد الواحد حجازى



من النابغـــة الذبيانى

* هو زيـاد بن معاوية بن ضباب بن جابر . . أحد الأشراف وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

سيدتى المتجردة :

ياربـة البهـاء والجـمال . . ويـاربة الحسن والـدلال . . ويـاربـة العفـة والنبل . . وياذات الحكمة والعقل . .

أبعث إليك برسالتى هذه بعد أن طاردنى زوجـك ومليكنـا النعمان ابن المنـذر الـذى له أفضـال علىّ وعلى أسرتى فسبحت بحمده وأشدت بذكره فى الآفاق .

أجل طاردنى وتهددنى وتوعدنى ؛ فقـد أخـذنى بالظنة لأن الوشاة ملأوا أذنيـه بما أحفظـه علىّ وأوغـر صدره نحوى بفرية افتراها علىّ ، وما أبشعها من فرية بل ما أحقرها وأحقرهم أولئك اختلقوها وتقوّلوا بها . . الحق أقول لك ياربـة البهـاء والجمال ويـازهـرة قصر النعمان العظيم أننى عنـدمـا رأيتـك أُخـذْتُ بسحـر جمالـك فأحببت أن أسجله فى قصيدة تحمل الأيام لحنها ما بقى الـزمـان وما بقى فى الدنيا إنسان يتشوّف الى صورة زوجة النعمان فقلت بل ترنمت بتلك الأبيات :

أزِفَ الترحُّلُ غير أنَّ ركابنا
لما تزلْ برحالنا وكأنْ قَد

فى إثر غانيةٍ رمتْك بسهمها
فأصابَ قلبك غير أن لم تُقْصَدِ[1]

بالدرِّ والياقوتِ زُيِّن نحرُها
ومفصلٍ من لؤلؤٍ وزبرجدِ

سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطهُ
فتناولتْهُ واتَّقتْنا باليَدِ

بمخضَّب رَخْصٍ كأنَّ بنانهُ
عنم على أغصانه لم يُعْقَدِ

وبفاحمٍ رجلٍ أثيث نبْتُه
كالكرم مال على الدعام المسند

■ فهـل فى هذا القـول ما أحـاسب





ـــاني الـ..

عليه؟ . . كلا والله ولكن حسدتى افتروا عليَّ الكذب ولعل أشدهم على نقمة مرَّة بن سعد القريعى ، والمتنخل اليشكرى. فقد زارانى فى ليلة من الليالى وليتهما ما زارانى ، وليتنى مت قبل أن أسمعهما قصيدتى تلك. فبدافع من طيبة قلبى وحسن نيتى وصفاء سريرتى حسبت أننى أسمعها الى صديقين وليس الى عدوَّين لدودين. فما كادا يسمعانها حتى خفَّا من عندى وذهبا إلى عبد القيس بن خُفاف التميمى وأسمعاه ما قلت. فاتفق ثلاثتهما على عمل قصيدة هجاء فى مليكى النعمان وينسبونها الى أنا . . أنا ربيب بيت المنذر . فهل يعقل هذا؟ يالله، ما أحقد الإنسان على أخيه الإنسان. وقد جاء فى قصيدة الهجاء هذه :

قبَّح اللهُ ثم ثنَّى بلعنٍ
وارث الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأدنى ويعجز عن ضـ
ـر الأقاصى ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو
ثم لا يرزأ العدو فتيلا

سيدتى المتجردة :

بعد أن بلغت مسامع مولانا النعمان قصيدة الهجاء تلك ذهبوا إليه ليعيبونى عنده. . ثم أنشده مُرة بن سعد القُريعى القصيدة التى قلتها فيك وزادوا فيها أبياتا فى غاية الاسفاف والوضاعة زاعمين أن القصيدة كلها من عملى. . وامتلأ صدر مليكى النعمان غيظاً منى وأوعدنى وتهددنى وله الحق لو ان ذلك وقع منى فعلا. . ولكن علم الله كم أنا مظلوم فى هذه القضية، وكم أنا ضحية للتآمر الخسيس من هؤلاء الأشقياء المناجيس. فماذا أصنع إذن



وقد أصبحت الدنيا فى عينى أضيق من سَم الخياط؟ . . وفى ليلة من الليالى جاءنى صديقى عصام بن شهبر الجرمى، وهو كما تعلمين أحد رجال مليكنا وممن يثق فيهم، فقال لى: عليك أن تهرب الآن قبل أن يدهمك رجال النعمان فإنه ثائر هائج عليك بسبب القصيدة التى قلتها فى زوجته المتجردة. . فقلت له: والله ما نطقت بكلمة تعيبها أو تهدر من كرامتها. فقال لى: لا وقت لهذا الكلام الآن. . أنت الآن متهم فى نظر النعمان فالحكمة أن تفر من جاحم سخطه. . وتركنى عصام لتوه حتى لا يُكتشف أمره.

وراجعتنى ابنتى أميمة وحاولت أن تخفف عن نفسى القلقة الواجفة ماكَرَ بها، فقلت لها:

كلينى لهم يا أميمةُ ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همّه
تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانب
تقاعس حتى قلتُ ليس بمنقضٍ
وليس الذى يهدى النجوم بآئب

سيدتى المتجردة:

وتركت بيتى وأهلى تحت جنح الظلام وسرت هائماً على وجهى حتى صرت إلى غسان فنزلت بعمرو بن الحارث الأصغر وطلبت حمايته فأطعمنى من جوع وآمننى من خوف فقلت فيه:

علىّ لعمرو نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب

وقلت فى رجاله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا
الى الموت إرقال الجمال المصاعب

■ وليس هذا بكثير ياسيدتى المتجردة على سيد قوم اكرمنى وأسبغ علىَّ النعمة والحماية حتى أصبحت فى مأمن من بطش الملك العظيم النعمان. . نعم، أسبغ علىّ عمرو بن الحارث النعمة والحماية فهو رجل يرعى حق من يلجأ إليه ويطلب رعايته ورفده. . إن كل رجالات بنى الحارث سادة مغاوير حتى غلمانهم عليهم بشائر النجابة والفروسية بل وسمات النبل والأريحية. لقد نظر الىَّ الغلام النعمان بن الحارث أخى عمرو فراعنى بجماله وشجاعته المبكرة فقلت فيه:

هذا غلام حسن وجهه
مقتبل العمر سريع التمام



للحارث الأكبر والحارث ال
أصغر والأعرج خير الأنام
هم لهند ولهند فقد
أسرع فى الخيرات منه إمام
خمسة آباؤهم ماهم
هم خير من يشرب صوب الغمام

■ ورغم هذا يا سيدتى الجميلة فمازال قلبى متعلقا بحب سيدى ومليكى النعمان بن المنذر فأنا ربيب نعمته وبره وكذلك أبى وجدى . . ألم يجعلنا نأكل ونشرب فى آنية من ذهب وفضة؟ فهل أسىء إليه إذن كما أرجف الحاقدون والحاسدون؟

سيدتى المتجردة :

لا تظنى يا سيدتى الجميلة أننى لم أوسط أهل الخير ليزيلوا الجفوة التى وقعت بينى وبينه . . ولا تظنى يا سيدتى الجميلة أننى لم أبعث إليه بالاعتذار تلو الاعتذار، وفى كل منها كنت أوضح له أن الوشاة الحاسدين هم الذين تقوّلوا علىّ وألصقوا بقصيدتى بذىء الألفاظ ووضيعها ولكنه أبى أن يسمع لى أو أن يرق لحالى .

قلت له يوما :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه
على شعثٍ أىّ الرّجال المهذب
لئن كنت قد بُلغتَ عنى جناية
لَمُبلغُكَ الواشى أغشّ وأكذب

● وقلت له يوما :

نُبئتُ أنّ أبا قابوس أوعدنى
ولا قرار على زأر من الأسد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم
وما أثمر من مال ومن ولد
إن كنت قلت الذى بلغت معتمداً
إذا فلا رفعت سوطى إلى يدى

■ فبالله يا سيدتى الجميلة وبحق الوفاء والحب الذى يملؤ قلبى لكم ألاَّ فاتحتِ سيدى النعمان فى شأنى كى يصفح عنى ويعيدنى الى سابغ عطفه ووارف رضوانه .

الرومانسية المقنعة



بقلم الدكتورة
ابتسام صادق
الرياض

اتصلتْ به هاتفيا وبدأتْ الحديث:

- هل عرفتنى؟ أنا . . . .
- صوتك متغير.
- (معتذرة) عندى برد.
- (مجاملا) كده أحسن.

تمنت أن يقول شيئا أكثر جرأة «كده أجمل» على سبيل المثال، ولكنه لم يقل. كان متحفظا. لم يضايقها تحفظه، رغم الالحاحات النفسية التى احتدمت داخلها. سرِّتها التورية، فهى أجمل من أى تصريح، تترك فرصة للخيال كى يجمح، وتغذى روحها فى لحظات الخلوة النفسية.

تجاهلت التورية وتابعت الحديث.

- رزين . (تقصد صوتها)
- فيه بحـــة.
- على الموضـــة.

انساب الحديث بسرعة أسقطت الحواجز بينهما. كانت تخشاه. تهاب، على الأصح، جانبه الساحر. لذا ترددت كثيرا قبل أن تتصل به لتعبر عن اعجابها باحدى قصصه القصيرة. تغلبت بعد جهد وصراع على ترددها وها هو ذا يحضر على الطرف الآخر من الخط. لم تكن تدر لحظة اتصالها كيف تبدأ؟ ماذا ستقول؟ ولا أين ستنتهى؟ فالتخطيط لمثل هذه الأمور غالبا ما يفشل. وحقائقنا تنساب من بين ألسنتنا دون أن نشعر. نحاول ايقافها فنعجز. ولكن ها هى دون تخطيط تجد نفسها فى البقعة المناسبة فى الزمن المناسب.

ولكن التعبير عن الاعجاب أمر ليس سهلا. كيف تنقل احساسها بصدق وتصونه، فى نفس الآونة، من الابتذال؟ وتضخمت المشكلة أمـامهـا. كيف توائم أسلوبها البسيط الصريح، وكلماتها العفوية، غير المنتقاة، مع ردوده الذكية الساخرة؟ كيف تجاريه فى سرعة بديهته؟ كيف تحمى اعجابها به منه؟ كيف تغلف رومانسيتها فى قناع لا يستفز واقعيته؟

ولكنه ليس كاتبا واقعيا بحتا. يختلط بواقعيته شيىء من الرومانسية. اطمأنت برهة لهذا الخاطر لتعود وتسترجع نفورها من الابتذال، من المغالاة. قررت عدم الوصول اليه عبر قنواتها الرومانسية.

ألم تعجبها توريته؟ فلتحاول أن تتبع معه أسلوب التورية؛

- **اتصدق ان قلت لك أن كتابك ـ هو سبب اصابتى بالانفلونزا.**
- **يا الهى هل هو ملىء بالميكروبات الى هذا الحد؟**
- **(ضحكت) لا والله لم أقصد. ولكنى قرأته بمزاج اقلعت عن الطعام طوال اليوم فيما عدا القهوة والتدخين بقصد تكثيف طاقتى الذهنية والعاطفية فوجدت الجراثيمُ فى حنجرتى تربة خصبة وتمكنتْ من الاستيطان هناك. والنتيجة كما تسمع.**

رد متجاهلا اتجاهها الذاتى:

- **كتاب عادى فيه . . .**

وجدت مدخلا. لن تدعه يفلت. قاطعته قائلة:

- **أعجبنى بالذات قصتك المعنونة « . . . . . » قرأتها أكثر من مرة. سحرتنى مقدمتها. أسرتنى واقعيتها. صعقتنى حتميتها.**

خانها، كالمعتاد، لسانها. غدرتها عفويتها. لم تكن ترغب فى كشف النقاب عن احساسها بهذه الصراحة. ولكن التوقف لاختيار الكلمات قد يغير مجرى الحديث ويضيع فرصة التعبير. لا بأس يمكنها التحفظ وتدارك الأمر فيما تبقى من الوقت.

- **أريد أن اسألك شيئا عن قصتك. لاحظت وجود صوتين داخلها، صوت البطل، وصوت الراوى، ويهمنى أن أعرف ان كانت هذه تقنية متعمدة أم مسألة عفوية؟**

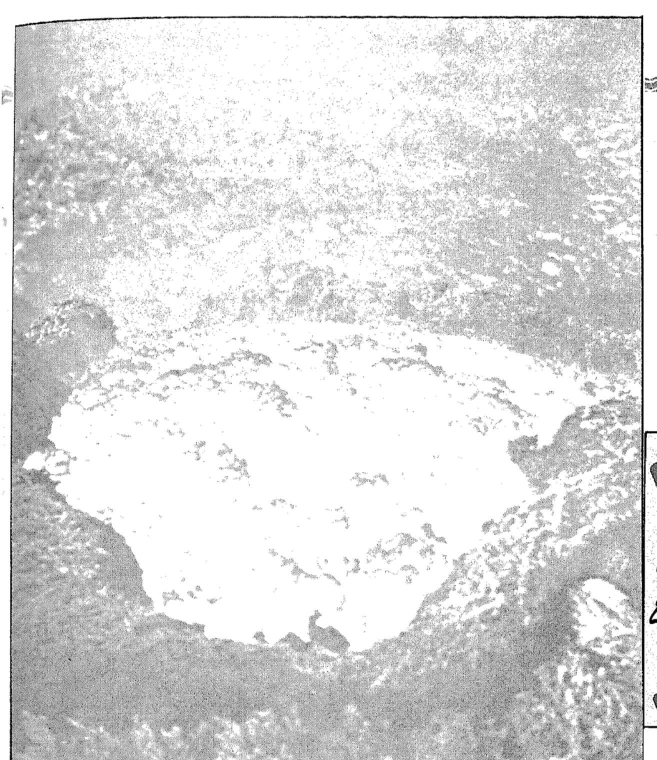
تمنت من صميم قلبها أن يؤكد عفويتها.

رد وكأنه يقرأ أفكارها قائلا:

- **لم يكن الأمر متعمدا ولكنه الدافع النفسى للتخفى.**

أعجبتها صراحته وأراحها تخليه عن أقنعته.
ـ ان لم يكن متعمدا فمدلولاته الانسانية أكبر واعمق.
لم يسألها قصدها. ولكنها واصلت الحديث:
ـ امتزاج الصوتين يوحى بأن الكاتب، لا شعوريا، يضع جزءا من نفسه فى شخصية بطله، بمعنى أنه يعجز عن التنحى بذاته عن القصة. وبطلك بالذات يحمل بعض سماتك فهو شاعر وتراثى. والا فكيف تفسر جمعه بين النظرة المادية الى الأمور وبين نظرته الشاعرة الرقيقة، التراثية المثقفة.
أعتبر تحليلها سقطة أخرى من علياء الموضوعية الفنية الى مستويات ذاتية.
فقال مدافعا:
ـ قصدت من قصتى تصوير ظاهرة عامة.
أسعفتها قراءاتها النقدية فردت تسترضيه:
ـ ليس من الضرورى أن يكون الكاتب هو نفسه الراوى. فأحيانا يخلق الكاتب شخصية أخرى بجانب شخصية البطل تروى القصة عنه، ويحلو للنقاد تسميتها بالراوى ويقومون فى دراستهم النقدية بالفصل بين انفعالاتها وبين انفعالات الكاتب.
كانت تدرك تماما أن راويه ليس شخصية خيالية مفتعلة. ألم يقل لها أن تعدد الأصوات فى القصة أمر غير متعمد؟ لم تقصد الطعن فى قصته، فهى رائعة، ولم يحملها اكتشاف أجزاء من شخصيته داخلها على الشعور بالنصر أو التفوق عليه. على العكس، خلق اكتشافها داخلها احساسا بالتعاطف الانسانى. أعتبرت عفوية التصريح (القصصى والهاتفى) كنزا غاليا. مالها «وللظواهر العامة»؟ ألسنا بشرا نلتمس التعاطف؟ لم نكتب؟ ولم ننشر؟ أليس الهدف أن نجعل الآخرين يحسون ما نحس ويتعاطفون مع ما نشعر؟ ما حاجتها الى قناع «الظواهر العامة» بعد أن وقعت سائر أقنعته وأسعدتها حقيقته؟. تجربة انسان واحد، تنقل بصدق وعمق، تكفى لأن تحرك تعاطفنا الانسانى. لا نريد التنقيب فى تفاصيل حياة البشر ولا نلتمس ذكر أسماء، ولا نسعى وراء الربط بين ما ينتج ليسمى أدبا، ويدعى نسج خيال، وبين من ينتجه. تكفينا التجربة الصادقة، تجربة الكاتب كانت، أم الراوى، أم البطل.

ـ صحيح.
(كان ذلك رده على فرضيتها بأن الراوى شخصية تلازم بجانب البطل ولا تفصح بالضرورة عن شخصية الكاتب).
ـ وهناك شيىء آخر. (ترددت قبل أن تنتقده)
ـ ما هو ؟
ـ تُجارى كثيراً من الشعراء فى المناداة بالربيع كموسم للحب.
ـ وما فى ذلك ؟
ـ أعتقد أن الشتاء هو موسم الحب. لأن الحب تحد. أكبر تحد فى حياتنا. نتحدى به استقرارنا النفسى، تقاليدنا الاجتماعية، ظروفنا الأسرية، بل ونتحدى به الطبيعة الباردة التى تجمد كل ما حولنا معتقدة أنها تحتوينا فى اطارها الكونى القاسى. نسخر من قسوتها نستهين بأكفانها البيضاء. نباهى بالدفء الذى يخلقه الحب داخلنا. كلما زادت القوى المعارضة للحب كلما احتدمت ناره.
(لم يعلق)
ترى هل يوافقها الرأى أم يخالفها؟ هل اقتنع أم لم يقتنع؟ وكيف السبيل الى اقناعه ان لم يقتنع؟ وهل اقتناعنا بوجهات نظر الآخرين ضرورة لاستثارة تعاطفنا معهم؟ وان لم يكن، فكيف يستثار التعاطف الانسانى؟ كيف نجعل من اتصالاتنا البشرية تجربة انسانية ناجحة؟
اكتفى بالتعليق على فرضية الشتاء قائلا:
ـ هناك ذكر فى قصتى لموسم الخريف.
لم تشأ أن تفصح عن الانفعالات التى يستثيرها فصل الخريف فى أعماقها. مادام قد بخل بالرد فلتبخل هى. اكتفت بمساءلة نفسها:
ـ لِمَ لَم يفصح عن رأيه فى النقطة التى أثارتها؟ هل تكتُّمه جزء من أقنعته؟ أم تراها فاجأته بصراحتها؟ ولكنها لم تصرح بشيىء. عبرت عن رأيها فى كتاباته فقط. لن تحفظ اذاً؟ هل داهمه شخص آخر فتمنَّع؟ أم تراها فشلت فى تغليف رومانسيتها فى أغلفة تلائم واقعيته؟.



بقلم
المهندس
شكرى
عبدالسميع
محمد
مصر

سطح الأرض يرتعد ويرتعش، احيانا يتشقق، حول هذه الشقوق تثور براكين، تلقى بقناطير مقنطرة بالبلايين من الحمم والغازات دلالة على ان الارض لازالت غير مستقرة.. قلقة، وما انفجار البراكين وحدوث الزلازل التى لا تكاد تخلو منها الارض فى أى عام الا بسبب ان قشرتها الصلده هشة وغير منتظمة ومصابة بالشروخ فتحدث قوى جبارة تنخلع لها القلوب، هنا نتساءل هل اختصت الارض وحدها بالبراكين دون سائر كواكب المجموعة الشمسية وتفردت دونها بكل هذه الاحداث التى تدمر وتحطم الاخضر واليابس؟ .

والواقع ان هذا السؤال حير العلماء منذ زمن بعيد، فالحق انه على بعد ملايين الاميال من الارض رصد الفلكيون منذ ازمان بعيده البقع البيضاء على سطح كوكب المريخ ذى التربة الحمراء المميزة واسموها «ثلوج اوليمبوس» وظلوا على اعتقادهم هذا حتى عام ١٩٧١ الى ان قربت منه مركبة الفضاء (مارينر ـ ٩) والتقطت للمريخ صورا واضحة مفصلة



بعدسات الكترونية فائقة الدقة.. فاذا ثلوج اوليمبوس ليست ثلوجا على الاطلاق، ولا هى ماء تجمد او حتى نشادر ثلجية.. بل طفوح بركانية تصلدت وولّدت بركاً من حمم بركانية صلدة عرفها العلماء باسم «**الكلدرات**».

معنى هذا ان كواكب المجموعة الشمسية بها براكين، كما يعنى ايضا ان كل كواكب المجموعة الشمسية وتوابعها لازالت مثل الارض.. باطناً قلقاً.. قشرة سطحية هشة تعلو قلباً نشطاً ومتفاعلا.. تنزلق طبقات القشرة ويظهر القاع الثائر فوق السطح فاذا بنا امام بركان.

والان نعرض اجابة السؤال الذى اجلنا الرد عليه.. فلأن القشرة الارضية تتكون من صخور خفيفة جامده تغلف طبقة اخرى اثقل اكثر ليونة مثلما ترتكز كتلة خشبية فوق قار سائلٍ ساخن. ويختلف سُمك الطبقة العليا من اكثر من اربعين كيلومترا تحت سلاسل الجبال الى سُمك لا يكاد يذكر فى أحواض المحيطات، ويزداد الضغط والحراره كلما تعمقنا تحت السطح الخارجى للأرض، ويحدث الانفجار البركانى عندما يتزايد الضغط فى الكتله السائله فتدفع الماده الى اعلى مخترقة احدى المناطق الضعيفه فى القشره الصلده حتى تصل سطحها الخارجى، وعندما تشرع الكتله السائله فى الخروج يخف الضغط الواقع عليها لدرجة تجعلها تنصهر، وهى فى طريقها للخارج تسبب انصهار الصخور المجاوره لها فى القشره الأرضيه، وفى الوقت نفسه فانها تنفث ابخرة وغازات تندفع احيانا الى اعلى مصحوبة بقوة انفجاريه متزايدة.

وبراكين الارض قد تهدأ بعض سنين او مئات سنين او حتى اكثر من الف سنة ثم تثور فجأه بلا مقدمات وابرز مثال بركان (شيشون) الذى ثار وسط القاره الامريكية بعد هدوء استمر حوالى ١٢٠٠ سنة، **اما لماذا خمد هذه الحقبه الزمنيه الطويلة ثم لماذا عاد للحيويه والنشاط المدمرين؟؟** فليس هناك من يعرف هذه الحقيقه حتى الآن.. وهناك بركان سانت هيلينز فى الولايات المتحده الامريكيه الذى ثار عام ١٩٨٠ فأحل الدمار محل العمار، والظلام محل النور.

وعلى الارض هناك ما يقرب من خمسمائة من البراكين النشطة لعل اهمها واخطرها بركان فيزوف الذى ثار ثورة عارمة عام ٧٩ قبل الميلاد، وخلال الستة عشر قرنا التالية ثار البركان عشر مرات فقط وكانت كل مره تعقبها فتره هدوء طويله الى ان كان ثوران عام ١٦٣١ ميلادية حيث بدا النشاط المستمر للبركان مع نشاط حاد بعد كل فتره تتراوح بين عشر، واربعين سنه.

وننطلق من الارض صوب الكواكب الاخرى ونتجه صوب المريخ الذى المحنا الى وجود براكين على سطحه مما يؤيد ويؤكد امكانية تكوّن البراكين فى اى كوكب.. او فى اى مكان ضمن اطار هذا الكون الواسع، ورغم ان العلماء لم يصدقوا فى الوهله الاولى صور مركبة الفضاء مارينو ٩ الا انهم صدقوا الصور واقروا بها ومن ثم استبدلوا اسم ثلوج اوليمبوس لتصبح جبال اوليمبوس. وحددت الصور الفضائية تحديدا واضحا مناطق بركانيه جديدة تحت الغلاف الترابى للكوكب فى مناطق بعيده عن منطقة جبال اوليمبوس التى تشبه براكينها وطفوحها البركانيه براكين جبال هاواى مونالووا.. وموتاكى وكلاهما اعلى البراكين الارضيه ارتفاعا قياسيا من سطح البحر، وفى حين حدد العلماء ارتفاع براكين المريخ بحوالى ٢٤ كيلومترا متخذة شكلا مخروطيا يبلغ قطر قاعدته حوالى ٥٠٠ كيلومترا وتنتشر طفوحه داخل محيط دائرة قطره لا يقل بحال عن ٨٠ كيلومترا وترتفع القاعده ارتفاعا حادا مكونة جرفاً شاهقاً لا يقل



ارتفاعه فى بعض مواقعه عن ٧ كيلومترا، ويعكس هذا الشكل البركانى اختلافا واضحا بين تركيب قشرتى الأرض والمريخ اذ ان قشرة الأرض عبارة عن بلاطات صخرية بعضها فوق بعض وكلها تطفو فوق الصخور السائله ومن ثم تستطيع تلك الألواح أو البركان التزحزح عن مواقعها ويتولد مكان الزحزحه بركان ومع استمرار الحركه يظهر بركان آخر وهكذا.

وموضوع زحزحة طبقات الأرض حدث فى الأرض اليابسه نتيجة عوامل ومؤثرات عديدة لا محل لذكرها الآن. . والبحر الأحمر لم يكن موجودا منذ حوالى ٤٢ مليون سنة فقد كانت أرض السعوديه واليمن متصلة مع ارض السودان ومصر ثم تكوّن شرخ ازداد اتساعا نتيجة زحزحة الطبقات أو البلاطات الأرضية والتى تكون غالبا مناطق تولد البراكين والزلازل.

وبراكين المريخ لا تندرج تحت مفهوم ديناميكية زحزحة البلاطات انها تقع تحت طائلة نظرية البقع الساخنه مولدة البراكين وتضيف حمما لملايين السنين، ولو كان نفس الأمر يحدث على الأرض لما كان هناك أكثر من بركان واحد فى جزيرة هاواى، أكثر من هذا فان الجاذبيه أعلى المريخ أقل من قدرها الأرضى وبالتالى فان كل شىء أخف وزنا هناك ومن ثم تنطلق الصخور عاليا وتتراكم بعيدا عن السطح قبل سقوطها تحت وطأة وزنها وهذا يفسر لنا استطالة وعلو قامة براكين المريخ.

وتلقى الدراسة العلمية المبسطة والمميزه التى سطرها «جاى .م. ياساشوف» على صفحات مجلة مختارات علمية الضوء على الغلاف الغازى لكوكب المريخ فإذا به سائل وغازات يستحيل تولدها سوى من تفاعلات كيميائية حرارية فى قلب الكوكب وأيضا داخل قلب توابعه ـ القمر تابع الأرض والتوابع تعنى أقمار تتبع كل كوكب ـ تحمل خصائصها وتتماثل معها تركيبيا وتتبادل معها حراريا وتنطلق على سطحها براكين جبارة لا قبل للأرض بها ولو حدث وانتقل بركان فضائى الى موقع أرضى وملك نفس قدراته الفضائيه فربما قلب مناخ الأرض كلها رأسا على عقب.

وظاهرة براكين الكون لاقت اهتماما علميا متزايدا منذ عام ١٩٧٩ يوم رصدت سفينة الفضاء الأمريكية الرحالة الأولى نشاطا بركانيا هائلا فوق سطح المشترى ـ تابع المسمى آيو ـ والذى يعتبر أقدم التوابع الكونيه اذ اكتشفه جاليلو منذ ٤٠٠ سنه، لكن ما أن اقتربت منه سفن الفضاء اذ بها امام أكثر المناطق البركانيه نشاطا فى المجموعه الشمسية وأكثر من الأرض ذاتها حيث الانفجارات البركانية وما يصحبها من أدخنة وأتربة ونيران ترتفع فوق سطح التابع الى عدة مئات من الكيلومترات كما أن المواد المتدفقه من براكينه تؤثر بطريقة أو بأخرى على مجموعة توابع المشترى، ويعتقد العلماء أن نشاط «أيو البركانى» يعود الى تحلل مواد مشعة قصيرة الأمد مثل تحلل عنصر الألمونيوم ٢٦ . . وان كان هناك رأى آخر يرى أن هذا النشاط مرجعه نشاط تحلل اشعاعى له نصف عمر طويل نسبيا مثل اليورانيوم والثوريوم والبوتاسيوم.

ومن أصحاب الرأى الثانى العالمان الامريكيان «تورس . اف. جونسون، لورانس سوندربلوم» واللذان سطرا دراسة علميه شيقة عن نشاط أيو البركانى نشراها على صفحات مجلة العلمى الأمريكى عدد ديسمبر ١٩٨٣ ونلتقط منها خطوطها العامة التى أبرزها وجود غاز ثانى أكسيد الكبريت مما حسم الأمر على أن وجود الغاز يغرى الى هذا

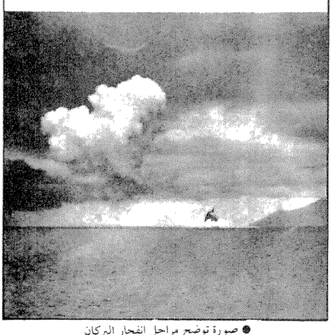


النشاط برغم أن الكبريت عنصر شبه نادر فى الكون فهو أقل انتشارا من الأكسوجين بحوالى ٤٠ مره حتى فى القشره الأرضيه يعتبر من العناصر الشحيحة رغم تواجـده فى بضعـة مواقع حول العالم، وقياسا يندر وجـوده على القمـر، وبـالتـالى فان ندرته جزء من مشكله أكبر.

إنَّ عدة أنواع من الأنشطه البركانيه ذات الخصائص الفـريـده تجرى على سطـح هذا التـابع فى الكون السحيق على بعد مسافات فضائية هائلة ومريعة، منها ثورات بركانية على هيئة ريش الطيور تمثل أكبر الأنشطـه التى تم رصـدهـا على سطحـه اذ ترتفع حوالى ٣٠٠ كيلو مترا وتنثر طفوحها على هيئة مظلة قطـرهـا قرابـة ١٤٠٠ كيلومـتر تنطلق موادهـا مثل مقذوفات جبارة وقصفات دوامية فيها أكدته مجموعة الصـور التى تم التقـاطهـا وفيها ظهرت الجسيمات الدواميه تتلاقى مع غازات نافثة وفيها تنطلق بسرعة قرابة ١٨٦٫٠٠٠ كيلومتر فى الساعة فيها فسرته الباحثه سوزان كيفر بأنه متى التقى غاز ثانى أكسيد الكبريت مع مصهـور الكـبريت يبـدأ سائل الغاز فى الغليان ويـتـمـدد المخلوط لأعلى صوب السطـح ومـع استمرارية التمدد تزداد كمية التبخر حتى يصل الغاز الى نقطـة يكـون عنـدهـا مزيجا من المواد الصلبه والسـائله والغازيه فى توازن ديناميكى مبهر ومحير فى نفس الوقت.

وقد التقطت الرحاله الأولى صورة غطت مساحة ٢٫٥ مليون كيلومتر مربع أى ما يعادل ٦٪ من مساحة سطـح أيـو وتظهـر فيهـا الكـالدرات أو الأحواض الـدائـريـه التى تحيط بمخارج البراكين نتيجة عدم انسيـابيـة الحمم لبرودتهـا وتقلصهـا، كما أظهـرت الصـوره وجود منطقة مغطاة بطبقة من ثانى أكسيد الكبريت المتجمد.





● صورة توضح مراحل انفجار البركان



● صورة توضح كيف تحول لون السماء بعد الانفجار

إنَّ الكون بخر أسرار هائل ومخزن معلومات عظيم وما توصل اليه العلماء لا يزيد حجمه عن قطرة من محيط فرغم التجـارب العلميـه العـديـده والتلسكـوبات الاشعاعيه المختلفه والمتنوعه والدراسات المكثفه التى

كنا نظن أن باطن الأرض هو الثائر وحده ولكن تشاركه في ذلك بعض كواكب المجموعة الشمسية

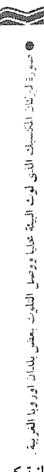
قام على اجرائها أشهر علماء الفلك وفى المقدمه منهم «كارل ساجان»، ألا انها لم تسفر عن تصور حقيقى لما يحدث على سطح أيو، وهم . . أى العلماء . . فى انتظار اطلاق مركبة الفضاء جاليلو التى سوف تتجه صوب المشترى وتحمل مجسا فضائيا سوف يرصد الكوكب وتوابعه قرابة عشرين شهرا، وأثناء سفرها سوف تقترب من هذه البراكين الى مسافة ١٠٠٠ كيلومتر أى أقرب عشرين مرة مما اقتربت اليه سفينة الفضاء الرحاله بعدها قد يحكم العلماء ويقدمون للقراء حكما علميا صادقا.

لقد خدعت هذه البراكين الفلكيين قرابة ٤٠٠ سنة حتى بعد مرور سفينتى الفضاء الرحالتين الأولى والثانية وثبت ان العالم والكون والدنيا أكثر غرابة وأكثر تعقيدا عن ذى قبل . . ومن لا يصدق . . اليه غريبة أخرى ولتكن براكين كوكب الزهرة ولنمضى اليها فقد حان الوقت لزيارة رابع كوكب من كواكب المجموعة الشمسيه . . يتصف سطحه بالنشاط البركانى . . . فالزهره كوكب محاط بالغيوم الكثيفه، لكن فى عام ١٩٧٨ أطلقت وكالة أبحاث الفضاء والطيران الأمريكيه المعروفه باسم الناسا السفينه بيونير التى اخترقت أشعة رادارها السحب والغيوم، وفى عام ١٩٨٤ دفع الاتحاد السوفيتى مركبة فضائيه أضافت بقدراتها الكبيره اضافات علمية رائدة على ما قدمته السفينه الأمريكيه فى محاولة لكشف بعض اسرار هذا الكون.

بدأت دراسة سطح كوكب الزهره فى منتصف الستينيات ضمن اطار مشروع بحث متكامل قامت على اجرائه فرق علميه استخدمت التليسكوبات الراداريه حيث نصبت فى بورتيركو وعلى أرض ولاية كاليفورنيا وسجلت الأبحاث على الكوكب بأنه أقرب ما يكون الى حجم الأرض (نصف قطر الأرض ٦٣٧٨ كيلو متر ونصف قطر كوكب الزهرة ٦٠٥٢ كيلومترا) وتبلغ عدد أيام سنة الكوكب ٢٤٣ يوما وتعلو سطحه مجموعة مرتفعات شاهقه.

وفى عام ١٩٧٧ ونتيجة بحوث مركزة أجراها مجموعة علماء من معهد الدفع النفاث خرج العلماء بنتيجة مؤداها أن هذه البروزات السطحية ما هى الا ستار أو حائط بركانى ضخم وتشبه تماما الطفوح البركانية والحمم التى تقذفها البراكين الأرضيه الى مسافات بعيده، وتلك البراكين كما أثبتت الصور أكبر من براكين هاواى وأصغر من براكين كوكب المريخ. ويذكر رونالدج برين فى دراسته المنشوره بعدد مارس من مجلة العلمى الأمريكى لعام ١٩٨٥ أن هذه النتائج أثارت جدلا واسعا كعهد العلماء بكل جديد وغريب حتى اقتربت المركبة بيونير من الزهره فى ديسمبر ١٩٧٨ وأمكن تحقيق صور فراغية راداريه على درجة دقة منخفضه شكلت عناصر خريطة سطحية مقبولة أتضح منها حدود المناطق البركانية دون تفصيلات دقيقه، لكن عندما أطلق الأتحاد السوفيتى سفينتى الزهره فينارا ١٥، فينارا١٦ خلال اكتوبر ١٩٨٣ التقطت لسطح الزهره صورا لم تلتقط

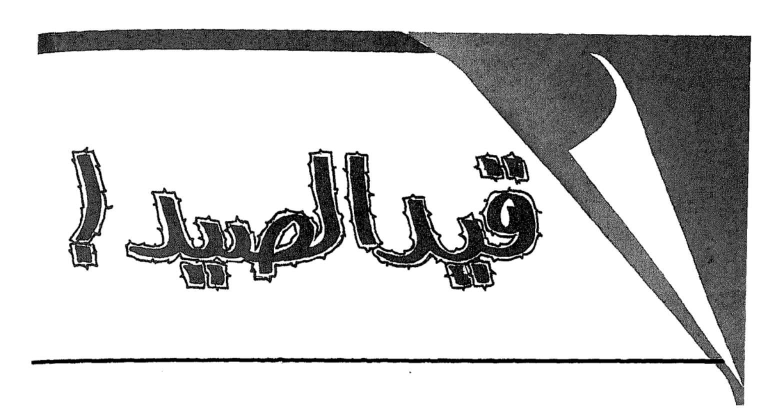




● صورة لبركان المكسيك الذى لوث البيئة عالميا ووصل التلوث بعض بلدان اوروبا الغربية.

من قبل امتازت بدرجة دقه عاليه جدا وأظهرت الصور طفوح بركانيه دائريه قطرها لا يقل عن عدة مثات من الكيلومترات، أثبت فحصها علميا داخل معامل معهد فيرنارسكى فى موسكو وجود طفوح بركانيه كبريتية لا تقل حدة وضراوة عن براكين أيو تابع كوكب المشترى.

من خلال القاء نظرة على الصور التى التقطتها بيونير نلمح خطوطاً زرقاء داكنة هى خطوط التحليل الطيفى بالأشعه فوق البنفسجيه والصور الأربعه تشير الى دوران سحابة ثانى أكسيد الكبريت بسرعه أعلى من سرعة دوران الزهره وظلت مركبة الفضاء ترقبه خمس أيام متتاليه من شهر أغسطس عام ١٩٨٤، فى الصورتين (أ)، (د) نفس الملامح أى استكمل الغلاف الغازى للزهره دورانه وثبت من الصوره أن نسبة ثانى أكسيد الكبريت لا تقل عن ٩٠٪ من جو الكوكب ولا يتأتى هذا الغلاف من الغاز الخانق السام عديم الرائحه نفاذ الرائحه مثل رائحة الكبريت المحترق اللهم ألا إن كان نتاج طفوح بركانية كبريتيه لازالت حممها تنطلق بشده نتيجة تسخين داخلى حاد ناجم عن تحلل المواد المشعه فيما أكدته قياس مركبات الفضاء السوفيتيه فينيرا ٨، ٩، ١٠ خلال قياسات أشعاعيه مستخدمة مجس أشعة جاما فيما أظهر وجود مستوى من المواد الاشعاعيه يناظر تماما ويتمشى مع نسبة هذه المواد فى باقى كواكب المجموعه الشمسيه، مثلما أكدت قياسات السفن السوفيتيه أرقام ١١، ١٢، ١٣، ١٤ تدفق غاز ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء وغازات نادرة مثل الهليوم والأرجون والتى هى بالضروره نتاج تحلل المواد المشعه، وربما تنزل هذه النتائج على أن الغلاف الهوائى للأرض والغلاف الغازى للزهره كلاهما نتيجة طفوح بركانيه منذ أزمان غابرة حددها البعض بأنها لا تقل عن ٦٠ مليون سنه وهناك من أدعى ٨٠ مليون سنة وربما أكثر وربما أقل.. لا أحد يعرف الحقيقه تماما سوى خالق الكون الذى قال له كن فكان.. وما أغرب وأعجب هذا الكون الفريد.



قال أبو تراب: كتب الفاضل عدنان أسعد من القاهرة فى العدد الماضى من «المنهل» يتعقّبنى حيث قلت: جاء فى «إنسان العيون» أن مُلاعب الأسِنّة أهدى الى رسول الله ﷺ (تُرْسَيْنِ) وراحلتين، وأظن (تُرْسَيْنْ) تصحيفاً، لأن فى سائر كتب السيرة: أنه أهدى (فَرَسًا) وراحلتين.

وقال الفاضل عدنان: انه تصحيف (فَرَسَيْن) لمشابهة البِنْيَة، وأقول: هذا لا يتعينّ إذ كان قدأهدى فَرساً، كما فى سائر المراجع، لا فَرَسَيْنْ.

قال أبو تراب: وتعقّبنى الفاضل عدنان ايضاً على أنّى كتبت العدد المُوفى للعشرات هكذا (مِئة) وهو يرى كتابته هكذا (مائة) لئلا يتصحّف الى (منه) والى (فئه)، ونسب ذلك الى اللغويين.

وأقول: دعوى خشية التصحيف غير صحيحة، وهى على إطلاقها تنسحب على كل كلمة نكتبها، وعَزْو ذلك الى اللغويين بأنهم - كما قال - كرهوا العدُولَ عن الأصل المستعمل (مائة) غيرُ صحيح ايضاً، فلا صورة (مائة) هى الصحيحة، ولا أحد قال بأنها الأصل.

قال أبو تراب: والحق أن لعلماء الخط والتصريف مذهبين فى كتابة هذه اللفظة، أحدهما: رسمُها بمراعاة حركة ما قبل الهمزة، فيكتبون الهمزة على كرسيّها هكذا (مِئة) وهذا ما درج عليه المجمع اللغوى الدمشقى، وثانيهما: رسم الهمزة على الألف نظراً لحركتها، فيكتبونها هكذا (مأة) وهذا ما وجد فى كثير من المخطوطات الموثّقة، وكتابات العلماء وخطوطهم العتيقة، وجاء بعدهم المتأخرون، فجمعوا بين المذهبين، مذهب كتابة الهمزة على النبرة، وبين كتابتها على الألف، فرسموهما معاً، وقد نُصَّ على ذلك فى حواشى تصريف الزنجانى وابن الحاجب، وليس هو بمذهب عدل، وعليه قد ينطقها الغُمْر بغير لفظها لأجل الرسم فتنبّه.

قال أبو تراب: جاء فى (ج١ ص٢٥) من لسان العرب (أثر) طبعة دار المعارف التى تولى تحقيقها الاساتذة عبد الله على الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلى ما نصه:

المئثرة، والثُّؤرورُ على تُفعوُل بالضم، حديدة يؤثر بها خف البعير ليعرف أثره فى الأرض، وقيل: الأثْرة، والثُؤثورُ والتَّأثورُ كلها: علامات تجعلها الأعراب فى باطن خُفِّ البعير.

قلت: هذا خطأ والصواب الثُؤثُورُ، والتَّأْثُورُ، لأنه تُفْعُولُ وتَفْعُولٌ، وليس فُعلولاً ولا فَعْلولاً.

وجاء ايضا فى اللسان - الطبعة المذكورة (أفل) ج١ ص٩٨.



قال ابو زيد:

أبـــو شتيمـــين من حَصَّـــاء قَد أفلَتْ
كأن أطْبــاءهـــا فى رُفْــغِهـــا رُقَــعُ

قلت: قائله ابو زبيد، لا ابو زيد.

قال أبو تراب: وفى (ج١ ص١٣٠) من اللسان ـ الطبعة المذكورة ـ سقطت عبارة مهمة من قول ابن السكيت فى مادة (أمس) نثبتها هنا بين الهلالين وتكررت بعدها قولته: «قال ابن الانباري: أدخل اللام والألف» مرتين، فلتحذف المكررة، ولتُثبتْ الساقطة التى نوردها هنا موضوعة بين القوسين، وهى:

«**قال ابن السكيّت:** تقول ما رأيته مُذْ أمس، فإن لم تره يوماً قبل ذلك قلت: ما رأيته مذ أول من أمس، فإن لم تره يومين قبل ذلك (قلت: ما رأيته مذ أول من أول من أمس).

وفى طبعة اللسان المذكورة (ج١ ص١٢٦) (أمر) قوله:

فإن قيل لِمَ ردُّوا مُرْ الى أصلها ولم يَرُدُّوا (وكُلا) • ولا أوخُذْ؟ ، ،

قلت: والصواب: ولا خُذْ، وقوله: (وكلا) إشارة الى «وكُلا منها رغداً» يعنى لِمَ لَمْ يُرَدَّا الى وأُكلا والى أُوخُذْ،

والجواب ان ذلك لسعة كلام العرب.

قال أبو تراب: وفى طبعة اللسان المذكورة (ج١ ص١٦٩) (أود):

وقال آخر يمدح أمرأة مالت عليها الميرة بالثمر:

خذامــيَّــةٌ آدتْ لها عجْــوَةُ الـقُــرَى
فتأكُــلُ بالمــأْقُــوطِ حَيْــســاً مُجعَّــدا

قلت: الصواب (جذامية) كما فى أساس البلاغة للزمخشرى.

قال أبو تراب: وفى (ج١ ص١٦٨) من طبعة اللسان المذكورة:

ثم ينــوشُ إذا آدَ الــنهـــار لها
بعــد الــترقــب من نِيــمٍ ومــن كَتَــمِ

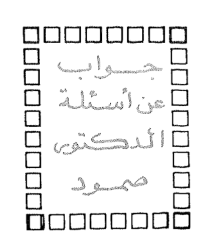
قلت: الصواب (كتم)

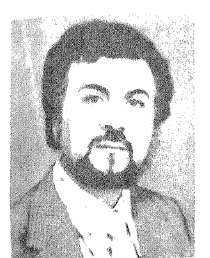
قال أبو تراب: وعلّق الاستاذ عبد الله الكبير مصحح هذه الطبعــة من اللســان على قول صاحب اللســان (ج١ ص١٦١): «ورجل آنٍ على فاعلٍ أى كثير الاناة» بقوله: «صوابه على فاعٍ لأنه منقوص نكرة مجرور محذوف اللام.

قلت: قصد صاحب اللسان الأصل، فلا اعتراض.



د. ابراهيم السامرائي





لقد قرات الأسئلة الموجهة لى من الدكتور نور الدين صمود المنشورة بباب (المتابعات الثقافية) بمجلة المنهل العدد رقم (٤٥٩) فذكرت ما جرى لى فى تونس منذ أكثر من ربع قرن مع تونسى فى ذلك الزمان قصدنى كما قصدنى صاحبى الاستاذ «صمود» هذه المرة.
كان ذاك هو محمد الحبيب العامرى الذى «تسمحت» معه مجلة الفكر (سنة ١٩٦٢) فنشرت له ما زعم انها مقالة، وهى فى الحقيقة ليست إلا ظلماً سلطته المجلة عليّ فشايعت الظلم.
قال العامرى: «ماذا يريد هذا الوارش» ولو ملكت المجلة بعض حسن المعاملة لردت على العامرى قولته لأنها وجهت الى ضيف لدى التونسيين.

وقد يتساءل القارىء عن السبب الذى حفز العامرى ـ المرجوة له الرحمة والغفران ـ الى ما أساء فيه، وأنا أكفى القارىء فأقول: كان لى أن نظرت فى كتاب تونسى هو «الادب التونسى فى القرن الرابع عشر» لزين العابدين السنوسى، فوجدت المؤلف يتسمح فى منح الالقاب العالية لمترجميه، ورأيت ان جلهم من النظامين، وقد تقف فى شعرهم على تجاوزات كثيرة وخطأ فى العربية نحواً وصرفاً ووزناً، فكيف يقال فى أحدهم وهو «الشاذلى خزنه دار» أمير الشعراء. لقد كان لى أن أجول فى هذا الكتاب جولة نقد بريئة، ولكنها لم ترض التونسيين، ولا سيما العامرى، فغضب ودعانى «الوارش» عفا الله عنه، ما علينا فقد ذهب كل شىء..
شاء أخى صمود أن يطرح «أسئلته» فى المنهل، وقد «صمدها» فى نفسه، ولو أنه أراد السؤال وحده لكتب اليّ، ولكنه شاء إفادة القراء، ولعل فى نفسه ما فى نفسه، أهو «ضمير مستتر» لا أدرى علامَ يعود عليه.
قال صاحبى الدكتور صمود مستفهماً وعارضاً من علمه فى العروض، وإنى لأقول: ان ما أشار اليه من علم فى امر ما يحذف من السين او الالف من «فاعلاتن» وحذف العين التى فى «الضرب» و«التشعيث» و«التدوير» معروف وان الشداة من الدارسين على علم بهذا، وأنا أعرفه منذ أيام الطلب، فلا ابتئس بالذى صمد إليه صاحبى الذى أكبره «صمود».
قرأت الأسئلة، وأدركت ان باب الاستفهام فى العربية باب يختزن لطف الصنعة، وأنه يخرج فى فن أهل الاحسان والتجويد الى فنون أخرى.

أقول: أخى الدكتور صمود: لى ومن حقى ان ابدل التفعيلة فى «العروض» والتفعيلة الاخيرة من «الضرب» وهى «فاعلاتن» فاجعلها «فعِلن» ولا أرى فى ذلك ضيراً. ولى أسوة بالفحول من أهل اللسن والفصاحة.
لقد ثقفت عروض الخليل حتى سمانى شيخى التونسى المغفور له السيد حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى «العروضيّ»، وكان العروض من الأدوات التى يصبو لها الشداة فى العربية فى «تقطيعهم» أعرف هذا ولكنى قصدت إليه كما «صَمَد» صاحبى الدكتور نور الدين صمّود.
هذه مقدمة بين يدى الجواب، وسأجيب عن اسئلة صاحبى «واحداً واحداً» ولا أقول قولة الدكتور صمود «رقماً رقماً».
ولا أعرف فى فصيح العربية «الرقم» للعدد، ذلك ان «رقم» تعنى كتب وحرر مثل «رقَم» المضاعف، والوشى «المرقوم» ضرب من البرود ذات الوشى، ومن معانى «الرقم» الداهية، وفوائد أخرى حفلت بها العربية.. ولكنى اقول قبل الاسراع فى الجواب: ان أخى الدكتور صمود قد تسرع فوصف الوزن الجميل أو قل وسمه بـ«الاهمال» ودعاه «مهملاً» وإنى لأحيله على طائفة من مطولات الشعر ويندرج فيها «منتهى الطلب» الذى ورد فيه الكثير مما جعله الشعراء من «مهمل» السيد صمود، غير ما أشار اليه فى مطولة الجواهرى، وميعاد ليلة الأحد لصالح جودت. ولو كان بيدى «منتهى الطلب» لوقفته على ذلك.
ولندع هذا ونسرع فى الجواب:
(١) قال الدكتور صمود: طالع هذه القصيدة: لا تراعى..
اقول: والذى عليه أهل العربية قولهم: مطلع هذه القصيدة، وعجيب انك لا ترى «الطالع» إلا فى كتب أصحابنا فى الشمالى الافريقى فى عصرنا، ولم أجده فيما كتبه قدماؤهم.
سأل أخى الدكتور صمود عن رسمى «الخُطا» بالألف القائمة، وقد رسمها بالياء «الخُطى» والجواب: اذا رجعنا الى ألف «خطا يخطو» وجدناها من بنات الواو، وعلى هذا حق أن ترسم ألفا قائمة «الخطا» غير أن الذى ينظر الى انها جمع «خطوة» يذهب الى رسمها بالياء.
وأصر المبرد على رسم «الضحا» بالألف فى قوله تعالى: ﴿والضحا والليل اذا سجا﴾ وذهب غيره الى الياء فرسموا «الضحى» ناظرين الى



أنها كالجمع، كأنها جمع «ضحوة». وعلى كل حال فلك ان ترسمها ألفاً أو ياء.
ومن اجل ذلك رسمتها على الصورتين..
(٢) قال الدكتور صمود: في البيت الثالث:

آذنتني بقربه غيرُ
غام فوقي من هولها ظلل

قال الدكتور صمود: «هل وقع تذكير «غام» للوزن لأنها مرتبطة بظلل، والأصوب ان تقول: (غامت فوقي من هولها ظلل) وعلى كل حال فهذا أسلوب قليل الاستعمال وأخشى ان يكون ركوبه من باب الضرورة الشعرية «انتهى كلام الدكتور صمود.
أقول واصحح قوله: (وقع تذكير «غام»): ان الفعل لا يذكر ولا يؤنث بل تلحقه التاء الساكنة علامة المؤنث الذي اسند اليه الفعل، كقولك جاءت فاطمة.
هذه واحدة.. فأما الثانية فأمرها عظيم: ان أخي صمود لا يعرف ان الفاعل ان كان مؤنثاً ولو كان تأنيثه حقيقياً، وفصل بينه وبين الفعل بفاصل لم تلحق التاء الفعل، مثّل النحاة لهذا بقولهم:

حضر القاضي امرأة

ثم ان الفعل لا تلحقه التاء جوازاً ان كان الفاعل جمع تكسير والجمع في العربية مؤنث على العموم الا الجمع المذكر السالم.
قال الشاعر:

لا أبالي بجمعهم ... كل جمع مؤنث

أقول: كل هذا يعرفه الشداة في أيسر كتاب من كتب النحو وكنت أود لو ان صاحبي الاستاذ صمود عرف ان في لغة التنزيل العزيز: وقال نسوة في المدينة (٣٠ سورة يوسف) و«النسوة» مؤنث حقيقي من أسماء الجمع.
ومن سماحة العربية ما نطق به الكتاب الكريم، وهو قوله عز من قائل: ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتْبَعَهُم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرقُ قال: آمنت أنّه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل﴾ (٩٠ سورة يونس) وقد لحقت التاء الفعل مع ان الفاعل «بنو اسرائيل» و«بنون» من الالفاظ التي الحقت بالجمع السالم المذكر مثل أهلون وعالمون ونحوهما.
أقول: أفبعد هذا كله يقال اني ارتكبت ضرورة.
(٣) وقال: «البيت الرابع يبدو ان كلمة «هيابة» منصوبة فما هو سبب رفع «جبل» وكيف تشكل (كذا) همزة (أن) في أول العجز، وأظن أنه يجوز الكسر والفتح».
أقول. «هيابة» نصبت على الحال. و«جبل» مرفوع، وكان ينبغي ان يعرف السائل ان اسلوب الشعر ولغته تحتمل التقدير والحذف والتقديم والتأخير وذلك كله خاص بالشعر تفرضه سطوة الشاعر إن تيسر له الطاقة الشعرية فهو يضيف الى العربية السمحة التي ترحب باضافته، والتقدير «كأنها جبل».. أليس لي ان اقول هذا؟ وأصحح من قول السائل الذي جاء فيه «فما هو سبب رفع جبل»، والصواب الفصيح المليح «فما سبب رفع جبل» لان الاستفهام عن «السبب» وليس عن جملة هي «هو سبب..».
ثم ان سؤاله عن همزة «أن» والجواب انها مفتوحة، وهي خبر من المكسورة في البيت.
(٤) وقال الأخ السائل: اود ان اعرف هل هناك نماذج شعرية ونثرية لتعدية فعل «نطيق» باللام عوض تعديته بنفسه في البيت التاسع:

كما نعاني مالا نطيق له ....

أود ان اصحح قبل كل شيء قوله: «هل هناك نماذج...» فأقول: ان «هناك» من أسماء الإشارة ليس فيها معنى الفعل «يوجد» لكن هذا مما درج عليه المعاصرون واندس في العربية من ترجمة الاساليب الاجنبية انكليزية وفرنسية، وهو في الانكليزية.. There is وفي الفرنسية.. IL ya وقال ايضاً: عوض تعديته... والصواب: عوضاً من تعديته، وتأتي «من» الجارة بعد مادة «عوض» وليس «عن» كما هو الشائع في عصرنا وأقول بعد ذلك مجيباً:
ان الفعل «أطاق» المزيد، وليس في الاستعمال «طاق» المجرد كما تساءل السائل، واستشهاده بالآية ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ في غير مكانه فالمصدر غير الفعل.
و«أطاق» المزيد يتعدى بنفسه، والذي في البيت هو كذلك، ولو عرف ان الشاعر يحذف ما دل عليه دليل، والحذف أبلغ من الذكر لادرك المراد، والتقدير: مالا أطيق له من وسائل أو نحو هذا.. واللام في قوله تعالى «لا طاقة لنا» كا للام في الفعل فهي في الآية للملك وكذلك في البيت.
(٥) وقال الأخ السائل: في البيت العاشر:

هو هم صليت وقدته
تتخفى طوراً وتشتعلُ

اولا «وقدته» كتبت بالفاء وهو خطأ مطبعي واضح ثم ألا ترى ان فعل «تتخفى» لا يكوّن طباقاً تاماً مع كلمة «تشتعل» وانه يحسن ابدالها بكلمة «تنطفي» لهذا السبب على الأقل واذا شاء الاحتفاظ بتلك الكلمة فاني أفضل عليها «تختفي». انتهى كلام السائل.
أقول: ظن الخطأ المطبعي فأحسن الظن. ثم إني لا أريد «الطباق» فما أبعدني عن هذه الصنعة البائرة. بل أريد «التخفي» وهو كالاختناء، ولو اردت الطباق كما ظن السائل لقلت كما قال «تنطفي» بتسهيل الهمزة الأخيرة.
(٦) وقال أخي السائل: في البيت الرابع عشر:

ليته أخطأ السبيل وقد
عاقه عن بلائه فشل

أرى ان «قد» ليست في محلها لأنها تفيد التحقيق مع الماضي، واول البيت «ليت» التي تفيد التمني، ولا يأتي التحقيق بعد التمني.. او الشك إلا اذا كان يقصد شيئاً آخر لم أهتد اليه».
أقول: كأن السائل في سؤاله سلك بعض العلم في بسط هذه الدقائق العلمية. ولكني اقول له: ينبغي أن تعرف ان «قد» مع الماضي تفيد شيئاً آخر غير التحقيق في مواطن أخرى، ومنها ان «قد» كما ذكر سيبويه وغيره تقرب الماضي من الحال، ألا ترى ان الذي يقيم الصلاة خلف الامام ينادي على المصلين: الله أكبر، الله أكبر قد «قامت الصلاة». يقول هذه الجملة الأخيرة والامام يوشك ان يتوجه الى الصلاة. و«قد» في البيت شيء من هذا، ولا يضير هذا وجود التمني.
(٧) وقال الأخ السائل في البيت الخامس عشر:

وطماحي ما إن نشطت له
بإبائي إلا عرت علل

اولا: أليست «الطماح» جمعاً، فاذا كانت كذلك فلماذا لم يقل: (نشطت لها) أو (طموحي ما ان نشطت له) بالافراد؟
ثانيا: اعرف أنه يقال: ما إن نشطت له.. حتى) ولا اعرف أنه يقال: (ما إن نشطت له.. إلا) فأي الاسلوبين أصح، وهل للأسلوب الثاني نماذج في الشعر والنثر الجيدين؟.. انتهى سؤال السائل.
وها أنذا أجيبه فاقول: «الطماح» مصدر مفرد للفعل «طمح» وهو أكثر من «طموح» في اللغة المعاصرة، وليس هو بجمع، وعلى ذلك فقولي: «ما إن نشطت له» صحيح. ولا أدري اين وجد السائل «الطماح» جمعاً؟ لعله جعلها مثل كبار وصغار وزناً. وأنا أقول له: ان العلم إن كان بهذه الطريقة، مظنة وهم كبير. وقولي: «ما إن نشطت له إلا» أسلوب حسن هو اسلوب الاستثناء المنفي، فاذا تقدمت «ما» تبعتها «إلا»، كقولك: ما إن بدأت أو ما بدأت إلا رأيت صاحبي سائلاً. و«إن» هذه زائدة، وتزاد

بعد «ما» النافية. ولا حاجة ان استظهر على قولي «بنهاذج في الشعر والنثر الجيدين» كما طلب اليّ السائل، فذاك أمر كثير واضح لا إشكال فيه.

(٨) وقال الأخ السائل: في البيت الخامس عشر:

أتحرّى الى السنا سبباً
فاذا لاح قصّرت سبُل

واضح ان الهمزة قبل كلمة «لاح» زائدة فهي غلطة مطبعية. والذى أعرفه ان كلمة (السنى) بالألف المقصورة معناها النور والضوء، و(السناء) الرفعة والعلو، فهل تقصد (السنى) في البيت وكتبت خطأً بالألف؟ أم نقصد «السناء» وقصرتها للضرورة الشعرية؟.

أقول: لقد جُرت عن الطريق صاحبي الدكتور. وأصبتَ ان الهمزة قبل «لاح» خطأً مطبعي.

ان «السنا» قد ترسم بالألف القائمة كثير، وقد ترسم بالياء والنحاة يختلفون بين بصريين وكوفيين، وقد قلت لك ان المبرد رسم «الضحا» بالألف القائمة في قوله تعالى: و﴿الضحا والليل اذا سجا﴾. فهي مسألة رسم، غير ان الكثير في «السنا» بالالف المقصورة كما أشرت، وقد سميت الالف التي ترسم ياء مقصورة، وهذا يعني انّك لا تسمى الألف في «عصا» مقصورة لانها ترسم ألفا قائمة.

أقول: كلاهما الف مقصورة، ورسمها بالياء او الألف مسألة رسم أما مصطلح الالف المقصورة لتفريقها عن الألف الممدودة التي يمد فيها الصوت فيستقر على الهمزة. ولا أريد «السناء» فارتكب الضرورة كما زعمت.

(٩) قال الاستاذ السائل: في البيت السابع عشر كلمة «سهمي» وأظن أن كلمة عزمي أو ما يشاكلها تتلاءم مع كلمة «منخذل» أكثر من «سهمي» لان العزم ينخذل اما السهم فلا يتخذل إلا من باب المجاز.

ضل سعيي وزاد من ألمي
ان سهمي في القوم منخذل

أقول: لو ان صاحبي صمود قد شدا شيئاً من الادب القديم لعرف ان «السهام» حين ترمى يكون فيها المصيب والأخيب والخارج عن الغرض، وقد فصلوا في هذه السهام، فصفة «منخذل» كثيرا ما وردت في هذا السياق، ولا أرى وجهاً لما قلت، وليس المقام مقام «عزم» كما ذهب إليه رأيك.

(١٠) قال الاستاذ السائل: البيت الثامن عشر أود ان تبدل منه كلمة «شقيت» «بشغلت» ليتم ما يسميه البلاغيون باسم (باب رد العجز على الصدر) وأصل البيت هكذا:

وأساتيّ قد شقيت بها
ولكم يلهب الأسى شُغُلُ

فاقرأه على الصورة التي اقترحتها، وقل لي رأيك؟.

أقول: سمعاً وطاعة أخي الدكتور صمود، ودعني أقول قبل كل شيء ان وضع «هكذا» كما وضعتها ليس من الكلام الفصيح. ثم إني أسمح لك ان «ترد العجز على الصدر» كما رأيته، ولكني لا ارضى لشعري «رد العجز» هذا الذي اشرت إليه، والابتعاد عن الصنعة أولى وأحق أن يصار إليه.

(١١) وقال أخي الدكتور صمود: البيت التاسع عشر غائم المعنى فما معناه بإيجاز؟ وأجيب فاقول: البيت هو:

لا تراعى ان اقشعرّ بنا
كل نَضْر وأوحشَت حِللَ

لا أدرى كيف أقول: أغائم هذا المعنى؟ وانا أطلب الى المخاطبة ألا تخاف إن أقشعر الناضر، وأوحشت الربوع، ألا ترى ان «الحِلَل» جمع جِلّة، وهى حيث يحلّ القوم.

(١٢) وقال الأخ السائل: البيت العشرون:

وأديلت منّا مُنوّرة
والليالي في عسفنا دُوَلُ

واضح ان السكون فوق دال «أديلت» خطأ، والصواب كسرها. ولم استسغ كلمة «منورة» لأنها نعت لكلمة غير مفهومة من السياق فيما يبدو. أما كلمة (في عسفنا) فاني أظن ان معناها: (في عسفها بنا) لذلك أفضل عليها: (عسفها)؟؟.

أقول: وهذه ثالثة الأثافي، وهي أن أخي يحذف السكون ويبدل به كسرة ويعده تصحيحاً، وهو من خطأ المطبعة.. ويقول: لم استسغ كلمة «منورة» لأنها نعت لكلمة غير مفهومة في السياق فيما يبدو.

وهذه أعظم، ألا ترى ان غيرك وهم جمهرة عظيمة قد استساغوا ما لم تستسغه وأنها ليست نعتاً لكلمة غير مفهومة، وذلك لأنها أنزلت منزلة المنعوت، والمراد بـ«منورة» الايام السمحة. وكأن صاحبي قد ذهب عنه معنى «عسف» وعسف عن الطريق جار ومال، وعسف السلطان ظلم مثل اعتسف، وأنا أريد اننا عسفنا في سيرنا ونحن نخبط الأيام، أفبعد هذا يبقى شيء غائم؟.

(١٣) وقال الأخ السائل: وأقفز بعد هذا إلى البيت الثالث والثلاثين الذي لم أهتد الى قراءته قراءة صحيحة فالوزن مختل والمعنى غامض:

حافل بالرؤى وقد يُلهبه
منها مستوسق رسلُ

وكنت أظن ان كلمة «قد» زائدة لأن وزن صدر البيت يستقيم بدونها لكني رأيت ان العجز لا يستقيم فما صواب قراءة البيت؟؟.

انتهى كلام الأخ السائل.

أقول: في البيت خطأ مطبعي سبب اختلال الوزن، وصوابه يتم بحذف الهاء من «يلهبه» فيكون البيت:

حافل بالرؤى وقد يُلهب
منها مستوسق رسل

وليس لنا ان نحذف «قد» وهي مطلوبة مرادة.

(١٤) وقال الاخ السائل: في البيت الخامس والثلاثين ينتهي (العروض) أي آخر صدر البيت بمتحرك، وهذا لا يجوز... إلا في بعض البحور القليلة كالمتقارب او اذا كان البيت مصرعاً أي أن يكون الصدر مقفىً بنفس قافية العجز. وإذن لا يجوز في مثل البيت:

لا تراعي ان اوجعَ النغمُ
واستسرّت مسعورة جمل

لان الميم مضمومة ويجب ان ينتهي البيت بساكن: حي أوميت، وانظر للتدليل على ذلك كامل أعجاز القصيدة. والملاحظ ان (الهاء) يجب مدها حتى يخرج منها ساكن ميت، لكن يجوز ان يكون آخر العروض متحركاً في البيت «المصرع» مثل البيت الاول الذي يكثر تصريعه في الشعر القديم والحديث ومثل قول السامرائي في البيتين ٣٧-٣٨ منها مصرع:

أأداجي به وأنخذل
أم أصادي به وانفعل
أيكون المراح والجذل
وديار للعرب تختزلُ

انتهى كلام الاخ السائل.

أقول: على رسلك أخي، لقد عرّفت لي «العروض» وكأنه سر من الاسرار مقصور على أهل المعرفة، ثم عدت وعرفت «التصريع» وكأنه لغز لا يعرفه إلا عالم بالعروض. دع عنك هذا.. وأقول: هذا الذى ذكرته صحيح وهو قول أهل العروض ولكني أرى فيه تعسفاً ما كان لي ولغيري الذين يملكون المعرفة بموسيقى الشعر أن يتقبلوا قيداً لا يأباه الوزن. ومالنا «بالساكن الحي او الميت.. ومع إكباري للعروضيين واجلالي لهم، وانهم أحسنوا فإني أرى ايضاً أنهم تحروا التعقيد لتخلص اليهم ناصية هذا العلم.

(١٥) فى البيت التاسع والثلاثين توجد «هاء» على الوزن، ويستقيم معنى البيت بدونها:

فربوع فى «القدس» منهبة
ورحابه بالفرش (كذا) تؤتكل

لعل صوابه: «ورحاب» على أنى لم استسغ «منهبة» و«بالفرش» التى لا تبدو واضحة، وكذلك صيغة «تؤتكل».

أقول: ولمَ لم تحمل الهاء فى «رحابه» على الخطأ المطبعى؟ وهى خطأ مطبعى. وبحذفها يستقيم الوزن؟.

أما «منهبة» فلا اعرف الموجه فى عدم استساغتك لها؟ وليس فيها ثقل أو نحوه مما يستكره. وانظر «تؤتكل» فى لامية الاعشى ثم لم قبلت «الفرش» ألم تسأل، ما معناها وما وجودها فى البيت؟ كنت أود ان تفطن الى انها خطأ مطبعى، والصواب: الفرس (اى الايرانيون)، واين هذا من «الفرش»؟.

(١٦) وقال الأخ السائل: ومثل هذا البيت البيت (٤٧) حيث يجب حذف «الهاء» من كلمة «فمطلبه» لنفس السبب:

لا تراعى إن اوحشت نغماً
كلمات «فمطلبه» خجل

واعتقد ان الشاعر يوافقنى على ان «الهاء» أضيفت خطأ فى البيتين.

اقول: نعم أوافقك، وإثبات الهاء فى البيتين خطأ مطبعى، والأصل عندى يخلو من الهاء فيهما.

(١٧) وقال الأخ السائل: واعود الى البيت ٤٢ لأسأل الاستاذ السامرائى وهو.. عن كلمة «فضول» هل هى مفرد أم جمع لأنى رأيته يقول:

أو تريني قد صانني ادبي
عن فضول قد «شانها» خطل

فاذا كانت مفرداً فعليه أن يقول: «عن فضول قد شانه خطل» ولا يختل الوزن ولا المعنى ولا النحو لأننا نعرف انه يقال: «هذا فضول من فلان» ولم أسمع أحداً يقول: «هذه فضول من فلان».

انتهى كلام الأخ السائل.

وأقول له: أقصرْ ولا تُطل، فالأمر خطأ مطبعى، والأصل لدى فيه «قد شانه خطله ثم ان «الفضول» مصدر، والمصدر مفرد، ولا يجمع إلا اذا تحول الى اسم كقولنا فى العربية المعاصرة: نجاحات ونشاطات واحتيالات وغيرها. ومثل هذا فى العربية القديمة اذ قالوا: خصومات وفتوحات وغيرهما. و«الفضول» وهو مصدر، فصفته التذكير أبداً وأريد ان أصحح شيئاً ورد فى السؤال وهو: هل هى (اى فضول) مفرد أم جمع؟

أقول: ولا ترد «أم» المعادلة بعد «هل» فى الاستفهام، واذا جاءت فهى بمعنى «بل» كذا قال أهل العربية، انظر: المغنى لابن هشام. وفى هذا الحال يقال: أمفرد هى أم جمع، والاستفهام يقضى ان يلى اداة الاستفهام المستفهم عنه وهو «مفرد».

(١٨) وقال الأخ السائل: فى البيت (٤٣):

أو أكن لم أنل سماحته
فخلوّى عن حليه عطل

أود أن اعرف هل يتعدى فعل «خلا» بعن كما فى البيت أم بمن كما هو شائع، وتبعاً لذلك هل يقال «فخلوى عن حليه» أم «فخلوى من حليه».. انتهى كلام الأخ السائل.

أقول: الصواب «فخلوى من حليه» وهى كذلك عندى فى الأصل، وهذا قد يكون من خطأ المطبعة او العامل أو السهو من أحد منا. غير أنى اود ان أقول: ان «عن» و«من» يتبادلان فى طائفة من الأفعال، وهو باب التضمين، وقد نصوا على هذا وقالوا: خلا عن الأمر (انظر حاشية الهورينى على القاموس المحيط).

(١٩) وقال الاخ السائل: البيت (٤٦) شكلت كلمة «فأنهله» بفتح اللام فهل هى منصوبة فى البيت ام مرفوعة، وما ناصبها، وهل تعد هذه الفاء فاء السببية أم عاطفة على المرفوع؟ أأسيغ الأسى فانهله ...

أقول: هو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفاء السببية ينصب بعدها الفعل اذا كان فى جواب الاستفهام والنهى والعرض و...

(٢٠) وقال الاخ السائل: انا استثقل البيت الاخير (٥٠) جاء هكذا:

ليت من ودّعوا وقد رحلوا أفتديهم .....

انا استثقل هذا التركيب لأن ليت مرتبطة بافتديهم فى عجز هذا البيت وأفضل عليه: «ان من ودعوا ... الخ».. أو «كل من ودعوا ... الخ»

انتهى كلام السائل.

أقول: أنت تستثقل هذا التركيب، وأى تركيب هذا؟ انه جملة مصدرة بـ«ليت يتبعها اسمها ثم يأتى الخبر بعد جملة حالية معترضة. لا أرى وجهاً «للاستثقال» وغيرك كثير لا يرون ما رأيت، أما الذى فضلته فلا ارى له وجهاً.

(٢٠) وقال السائل وقد ختم الاسئلة: بعد السؤال عن هذا التركيب أريد أن اسأل... عن رأيه فى استعمال الكلمات العويصة خاصة فى الروى او القافية مثل كلمات: «وذل» و«رتل» و«وهل» و«رئل» و«مستوسق رسل» و«تؤتكل».

أقول: والجواب ان مادة شعرى عربية صحبتها اربعين سنة، والذى بدا لك ولغيرك ممن لم تأسرهم العربية، عويصاً كان بينى وبينه صحبة حبيبة، وكان هذا الذى صحبته قد استسر فى نفسى منه شىء فعرفته على حقيقته وعلى ما يومىء إليه، فهل ترانى بعد ذلك غير وفىّ لهذه الصحبة؟ وانى لأستبعد الوصف «العويص» ولو استبدلت به غيره لعدلت.

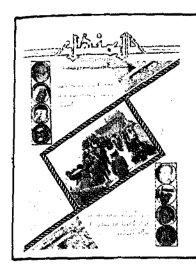
وبعد فهذه مناسبة ان أجيب عن اسئلة الاخ السائل الذى سأل فى بعضها وكأنه لم يسأل، وما أظن أنى أطلت على القراء فقد أفادوا من هذا الحوار المفيد.

د. إبراهيم السامرائى

المعرض الرابع للآثار بدول مجلس التعاون

■ تحت شعار «وحدة الخليج فى الآثار والتاريخ» جاء معرض الخليج المشترك للآثار متزامناً مع المؤتمر الثامن لقمة الخليج العربى واقيم المعرض فى صالة الفنون التشكيلية فى معهد العاصمة النموذجى فى الرياض.

وقال وكيل وزارة المعارف المساعد لشؤون الاثار والمتاحف ورئيس اللجنة المنظمة للمعرض الرابع الدكتور عبد الله المصرى ان المعرض يشتمل على اثار قديمة تعود لعصور مختلفة وكذلك آثار اسلامية تبرز الجانب الحضارى والثقافى لتراثنا الاسلامى الى جانب مواد للتراث الشعبى ومخطوطات ومستنسخات وخرائط عن المواقع الاثرية ولوحات توضح تطور الكتابة العربية وصور فوتوغرافية عن آثار نادرة. ويعرض فى احد جنبات المعرض مراكز التطور الاقتصادى لتصنيع المواد الخام فى الخليج.بالاضافة الى عرض ملامح توضح بوادر ونمو الملاحة فى الخليج والعلاقات بين حضارة الخليج القديمة مثل حضارة وادى الرافدين وبلاد السند وحضارة وادى النيل. ويوضح المعرض من خلال معروضات اخرى بزوغ فجر المجتمع العربى الأصيل ونمو حضارته ومسيرة وحدة الاسلام وتاريخ الجزيرة العربية والخليج عقيدة وعملا.. وكان العرض عن طريق تسليط الضوء على مفاهيم عامة لمسيرة الوحدة التاريخية لمنطقة الخليج خاصة والجزيرة العربية عامة وذلك من خلال دمج جميع المعروضات والصور الفوتوغرافية واللوحات التوضيحية فى بوتقة واحدة بحيث تكون وحدة ثقافية وحضارية وجاء العرض بطريقة متسلسلة تبين ارتباط دول الخليج بتاريخ وحضارة متماسكة منذ ١٧٠٠ ق.م معتمدة على عدم تقسيم الاجنحة واستقلالية كل عرض.



شبابنا الى أين ؟؟

سؤال موجع

تعقيب على افتتاحية المنهل عدد جمادى الأولى ١٤٠٨هـ

بهدوء شديد يبدو أنه من طبعه وسجيته، وحنان كبير يسيل على صفحة وجهه الطيب الودود وملامحه الصافية، ورحمة غامرة تشرق من نظرات عينيه الحانيتين المترقرقتين وراء زجاج نظارته الشفيفة الرائقة، أوجع رئيس تحرير «المنهل» الاستاذ نبيه الأنصارى قلبى، وآلم نفسى، وأثار شجونى بحديثه الصادق البسيط فى افتتاحية عدد جمادى الأولى ١٤٠٨هـ/ يناير ١٩٨٨م تحت عنوان: «الشباب .. إلى أين ؟».

وكأنما انطلق ببراعة من حديث عابر عن حب الذرية والأبناء ليصل الى قمة سامقة ينظر منها ويلفت قراءه الى النظر معه نحو سفح الوادى السحيق الذى يموج فيه واقع الحياة العصرية فى مجتمعات العرب والمسلمين: تخلف .. تخلف .. تخلف .. تخلف .. وإذا الأمل فى مستقبل أفضل لأجيالنا الصاعدة سراب .. ويتساءل الكاتب الكبير: كيف ولماذا يتحطم الحلم. وما هوالخلل .. وأين .. وكيف علاجه؟؟.

لماذا تنهض الأمم فى الشرق والغرب وتنجح فى تحقيق التقدم والرقى فتصل القمة فى التصنيع والاقتصاد والاكتفاء الذاتى فى حين يسقط شبابنا العربى والمسلم فى تيه المشكلات الخارجية والداخلية: البطالة والتمزق وعدم الاستقرار .. وعدم الانتماء، بالاضافة الى (الغزو الثقافى) من مطبوعات وسينما ومسرح وفيديو تسعى كلها لتحطيم الشباب الذين اعتنق اكثرهم مبدأ «اللامبالاة» .. (وتظل المنهل ترفع النداء تلوالنداء .. شبابنا الى أين .. ؟ ماذا يراد به؟ ويتردد صدى هذا النداء المخلص فى أنحاء عالمنا العربى المسلم.

فما قيمة الانسان العربى اليوم؟.

الشباب .. الى أين؟ افتتاحية المنهل، تثير فى النفس سؤالا موجعاً حقاً عن: قيمة الانسان العربى المسلم فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية اليوم؟. وما أفدحه من سؤال.

إنه سؤال يفجِّر قضية العصر وكل العصور بالنسبة لمستقبلنا الحضارى، بل بالنسبة لوجودنا كأمة جديرة بالحياة بين الأمم المعاصرة.

وهو كذلك تفجير لقضية ينبغى أن يتصدى لها الألوف من أبناء هذه الأمة من الخليج الى المحيط، بل لا بأس أن يشارك فى التصدى لها قادة الرأى والفكر والتعليم والتربية والثقافة والبحث العلمى والفنون والاعلام فى أرجاء المجتمعات الاسلامية المترامية الأطراف من أقصى الشرق الى أقصى الغرب بكل جدية وإخلاص.

ولعل «المنهل» العذب يتدفق ويموج ويضطرم لتحريك الرواكد الساكنة المستقرة فى أعماق هذه الأمة الحية العظيمة الجديرة بالحياة، لعلها تجد سبيلاً للخروج من التيه .. فهل تبادر المجلة السعودية الأم بطرح هذه القضية المصيرية الكبرى للبحث والمناقشة والحوار الخصب الخلاق، وتنسق لهذه الحملة الصحفية الفريدة على مستوى الوطن العربى، بل والاسلامى كله .. ؟ ولا ريب أن يكون فى هذه الحملة الصحفية والفكرية الممتازة بإذن الله نصيب كبير لآراء الشباب العربى والمسلم أنفسهم من مختلف القطاعات وعلى جميع المستويات ..

ومن يدرى، فربما أسفرت هذه الحملة الصحفية المباركة تحت عنوان: «**شبابنا .. إلى أين ؟**»

عن نتائج صائبة وحلول موفقة واقتراحات حاسمة لتصويب مسيرة المجتمعات العربية والاسلامية نحو آفاق العصر الحديث والعصور المقبلة.

العرب .. «مثال» للمسلمين.

فى كتابه الشهير: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، يرى المفكر الاسلامى أبو الحسن الندوى، أن العالم البشرى اليوم وهو يتخبط تحت مطارق الحضارة المادية المسعورة ومفاسدها، أصبح فاقدا للثقة بقدرة هذه الحضارة على إسعاده وتخليصه من شرورها وأهوالها ... وفى رأى الندوى أن العالم البشرى المعاصر يرقب ويتطلع الى العالم الاسلامى كمنقذ له بما يحمله الاسلام من قيم روحية ومعنوية فاضلة.

وفى رأى الندوى ـ من ناحية أخرى ـ أن العالم الاسلامى المعاصر يرقب ويتطلع الى العالم العربى كمنقذ له، باعتباره منبع الدين الاسلامى نفسه .. فما أفدح المفارقة إذا نظرنا الى واقع عالمنا العربى الممزق المضيع المسكين .. ما أفدح الفارق بين الواقع المر، وبين المثال المبهر البراق.

الوقوف سنة . . . حداداً علينا .

اعتاد الناس أن يقفوا دقيقة حداداً على فقيد أو شهيد . . وعندما تبادر الى ذهنى أننا نحن العرب والمسلمين فى حاجة الى الوقوف حداداً على مجدنا وعظمتنا ووحدتنا وحضارتنا . . بل وحداداً على شبابنا وهو مستقبلنا المضيع بين الجهل والفقر والمخدرات . . عندما تبادر كل ذلك إلى ذهنى ، خطر لى أنه لا يكفينا الوقوف حداداً دقائق ولا ساعات ولا شهوراً . .

على الأقل يعوزنا الوقوف سنة كاملة . . حداداً علينا وعلى أجيالنا القادمة . . يعوزنا الوقوف حداداً سنة كاملة نتوقف فيها بإرادتنا الحرة الواعية عن سفاهات الجرى وراء سراب الضياع فى مهاوى الزيف والضلال .

ولعلنا خلال سنة الحداد هذه نستطيع الوصول الى وضع الأسس الفكرية والتربوية والتعليمية والتصنيعية التى تحقق لنا الاجابة الصائبة عن سؤال المنهل: *شبابنا الى أين؟* . . . وكيف نبنى الانسان العربى المسلم «المثال» الذى يتطلع إليه العالم الاسلامى .

لعلنا نستطيع بهذه الحملة الصحفية الفكرية الكبرى أن نصل الى إجابات شافية تطفىء اللظى وتبل الغليل وأوطاننا العربية تعلم علم اليقين: أن العدو الأول للعرب والمسلمين ـ اسرائيل ـ أصبحت اليوم فى المركز السادس بين أقوى وأكبر دول العالم فى صناعة وتصدير السلاح . . وأن إسرائيل هذه تمتلك اليوم بضع مئات من القنابل الذرية . . . وأن اسرائيل كذلك تمتلك بضع مئات من الصواريخ البعيدة المدى والتى يمكن تزويدها برؤوس نووية . .

هل يكفينا الوقوف سنة حداداً علينا . . ؟

بشرط أن نلتف بصدق وعزم وثبات حول قادتنا وعلمائنا وأساتذتنا المخلصين الأبرار الذين يأخذون بأيدينا للاجابة عن سؤال المنهل :

الشباب العربى المسلم . . الى أين؟ . وكيف . . ولماذا يتحطم الحلم . . ؟ وما هو الخلل . . ؟ وكيف وأين علاجه . . ؟ .

يالها من فكرة ، لحملة صحفية فكرية رائعة .

فوزي ناصف

المنهل اذ تتوجه بالشكر على هذا التعقيب، وتشير إلى ان هذه الافتتاحية مثار هذا الحديث قصدنا فيها ان يكون لها ما بعدها . . فهى مجرد إضاءة ومؤشر لموضوع على درجة من الاهمية نود بحثه ودراسته وبهذه المناسبه يسعدنا ان نشير الى ان افتتاحيات المنهل بعامة تحاول مناقشة قضية من القضايا ذات الاهمية أو على أقل تقدير تسلط عليها الاضواء .

المنهل تطرح هذه القضية الهامة على صفحاتها داعية أقلام المفكرين وواضعة فى الاعتبار إتاحة الفرصة لأقلام الشباب للتعبير عن آرائهم والوقوف على وجهات نظرهم واقتراحاتهم من أجل مستقبل أفضل لأمة مسلمة يعمها الخير ويسودها الايمان والقيم الاسلامية العظيمة .

حول أسطر في الشعر

سعادة الاستاذ/ نبيه ـ السلام عليكم . . وبعد

فأود ان ابدى تعليقاً حول مقال للأستاذ/ يحيى عبد الله المعلمى بعنوان «أسطر فى الشعر» المنشور فى العدد رقم ٤٥٩ وهذا التعليق يدور حول نقد الأستاذ يحيى لأوزان قصيدة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى :

أولا : قال تعليقا على البيت القائل :

هيه حدث عن أمتى يازمان
وارو عن قومى فى العلا كيف كانوا

إن الشطر الثانى فى هذا البيت لا يستقيم وزنه إلا بحذف الياء من (قومى) . . وارى أن الوزن مستقيم دون حذف للياء حيث إن القصيدة من البحر الخفيف وتفاعيله هى :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن . . . فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

ويقطع الشطر الثانى هكذا : .

واروعن قو/ مى فى العلا / كيف كانوا
فاعلاتن / مستفع لن / فاعلاتن

وحذف الياء يصير التفعيلة مخبونة وهذا أمر ليس بلازم .

ثانيا : قال تعليقا على البيت القائل :

أمة الاسلام العظيم ومن دوّ
لها فى ذرا الفخار المكان

(فالشطر الأول غير مستقيم الوزن ويمكن أن يستقيم إذا جعلناه هكذا :

أمة المجد والسلام ومن دو
ى لها فى ذرا الفخار المكان

وأرى أن الوزن مستقيم حيث يقطع كالآتى :

أمة الاس/ لام العظي/ م ومن دو
فاعلاتن / مستفع لن / فعلاتن

ولا حاجة الى التعديل المقترح الذى يجعل التفعيلة الثانية مخبونة ليس إلا ويبدو أن الأستاذ الناقد مولع بخبن التفعيلات وكل ما يحتاجه هذا البيت أن كلمة (دوى) المشددة الواو، الواو الأولى منها للشطر الأول والثانية للثانى . . لذا أردت الاشارة خشية أن تكون كل ملاحظات الأستاذ الناقد من هذا القبيل إذ قال ; ولو مضينا نتتبع مافى القصيدة من اضطراب فى الوزن لطال بنا أمد القول واتسع مجال الحديث وحسبنا أن نقول: إن أبيات القصيدة أربعة وخمسون بيتا منها تسعة عشر بيتا مختلة الأوزان» . . وقد سوغ له هذا عدم النظر فى الجانب الابداعى فى القصيدة مستشهدا بقول الدكتور بدوى طبانة :

«إذا لم يصل الشاعر إلى مستوى الصحة والصواب فلا مجال للنظر فى شعره من جهة الفن والاجادة والابداع» .

هذا والله الموفق والهادى الى الصواب .

د . حماد البحيري

لله درّك يا وداد



■ أثلجت صدري وأخمدت نار يأسي الكاتبة العربية وداد سكاكيني بمقالها القيم «المجاملة فى الادب ونقده»، التى نشرت بالمجلة (هنّ) ضمن «المنهل الأم» العدد ٤٥٦ المحرم ١٤٠٨هـ/ سبتمبر ١٩٨٨م ص١٦٦ «النساء شقائق الرجال» والكاتبة العربية الكبيرة وداد سكاكينى عودتنا على الفكر الثاقب والرؤية العميقة والجدية ورفع راية الحق ودفع الظلم بقلمها الحر وبعقليتها الواعية فى مؤلفاتها القيمة وكما رأيناها فى مقالها الآنف الذكر.

تناولت الكاتبة الفاضلة قضية المجاملة فى الادب ونقده بجرأة دون خدش وبحماس دون اندفاع وبحيدة دون ميل وبموضوعية خالصة. تلك القضية القديمة المتجددة بأبعادها الخطيرة وآثارها الهدامة ونحن ان فتشنا عن جذور نكباتنا واسباب أزماتنا نرى ان المجاملة هى أكبر الاسباب واعظم الطرق لقلب الأمور رأساً على عقب.

لست هنا بصدد الحديث عن المجاملة أو غيرها من افرع المقال ولكنى هنا امتشق اليراع من اجل بيت شعرى استشهدت به الكاتبة الفاضلة وداد سكاكينى فى مقالها القيم. البيت للشاعر الجاهلى الفحل زهير بن ابى سلمى:

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة
يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

فى تمهل وتعقل التمست الكاتبة الفاضلة وداد سكاكينى العذر للشاعر الجاهلى زهير بن ابى سلمى على هذه المداراة والمداهنة وتساءلت هل كان زهير فى قوله هذا سديد الرأى؟

وبعد الاستقراء والتمحيص رأت الكاتبة الفاضلة ان المصانعة التى أرادها زهير بن ابى سلمى ترادف السياسة والكياسة فى أيامنا. لكن القراءة الشعرية والاستنباط الحسى للبيت يعطينا ابعاداً للموقف ووضوحاً للمعنى وتصوراً غير تصور الكاتبة الفاضلة الاستقرائى الذى بُني على نية صافية وحسن ظن وعذر صادق.

هذا البيت ومن لا يصانع فى امور كثيرة الخ.. هو البيت الواحد والخمسون من معلقة زهير بن ابى سلمى التى مطلعها:

أمِن أم أوفى دمنة لم تكلّم
بحومانة الدرّاج فالمتثلّم

وهى اولى قصائد زهير فى مدح هرم بن سنان الذى تحمل مع الحارث بن عوف ديات القتلى من حرب عبس وذبيان وكانت الديات ثلاثة آلاف بعير. فزهير قد استخدم فى معلقته التى بلغت تسعا وخمسين بيتاً - أسلوب السخرية والتهكم فى بعض مناحى الحياة الجاهلية وحروبها كما فى المعلقة. وقد يندهش البعض - كما اندهشت الكاتبة الفاضلة وداد سكاكينى - من هذا التناقض فى شخصية زهير المثالية الانسانية النزعة، فهو يدعو لفضائل الاخلاق ثم ينادى بالمصانعة والعنف وغيرها من المنكرات. ولكننا إذا قرأنا الابيات التالية ازلنا الغموض وكشفنا اللبس وفهمنا الأمر على حقيقته:

ومن لا يصانع فى امور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

فزهير يعطينا هنا صورة لعصره بعد ان سلط عليه فكره ورؤاه، فيكشف النقاب ويزيل الاقنعة من على الوجوه لتبدو على حقيقتها فى اسلوب ساخر تهكمى وهى ليست دعوة للمصانعة كما يُظن منذ الوهلة الأولى لقراءة الابيات وليست تحريضا لحمل السلاح والسباب والشتم والظلم وانما هى دعاء لفضائل الاخلاق وحث على العمل بها واقل ما يقال عن تلك الأبيات انها للدفاع المشروع عن النفس فى عصر يرى فى الدفاع عيباً وفى الهجوم مزايا وبطولة. ولعل مفتاح المعلقة يعطينا دليلا يؤكد ما ذهبنا إليه من ان هذه الابيات لا تناقض مثالية زهير. ان جو النص الذى قال فيه زهير هذه المعلقة كان مرحلة السلام وانبلاجه بين عبس وذبيان ونهاية الحرب بينهما. فليس من المعقول ولا من المنطق ان يثير زهير الفتنة ويزكى من اُوار الحرب بهذه الأبيات.

فالمعلقة لم تكن إلا كشف حساب أو تحقيقاً صحفياً او تحليلا اخبارياً بلغة العصر لحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان وفيها استعرض زهير بن ابى سلمى اسباب الحرب والقتلى ومدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان وأشاد بمناقبهما لدورهما فى مساعى السلام ونند بالحصين لاثارته الفريقين الوقيعة بينهما وهما على مائدة السلام.

فلا يمكن لمن عرف الحق وذاق حلاوته وتجرع الاذى وناله الضير ان يدعو للظلم والعنف:

فان الحق مقطعه ثلاث
يمين او نفار او جلاء

وكان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه معجبا بشعر زهير وحينما انشد هذا البيت قال عمر رضى الله عنه: «لو ادركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته بمقاطع الحق».

وفى رأيى ان زهيراً لم يكن ينقصه إلا النطق بشهادة النبوة للرسول ﴿ﷺ﴾ فقد كان زهير مؤمنا بالله سبحانه وتعالى وهو القائل:

بدا لى ان الله حق فزادنى
الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وديوان زهير مليء بهذه اللفتات الايمانية والهالات الروحانية والأنوار الاسلامية. هيهات هيهات يا سيدتى الفاضلة أن يدعو زهير للعنف واراقة الدماء والظلم.

نحن معك ياسيدتى الفاضلة فى اننا فى أمسّ الحاجة الى نقاد على نهج الجاحظ وخطى ابن قتيبة وعلى منوال المبرد ودرب ابن المعتز وابن سلام والآمدى والجرجانى وابن رشيق وغيرهم من فحول النقاد فى تاريخنا العربى للادب والفكر والعلوم. لقد صدقت الخنساء حين قالت وكأنها تقصد هذا العصر:

إن الزمان (وما يفنى له عجب)
أبقى لنا ذنباً واستؤصل الراس

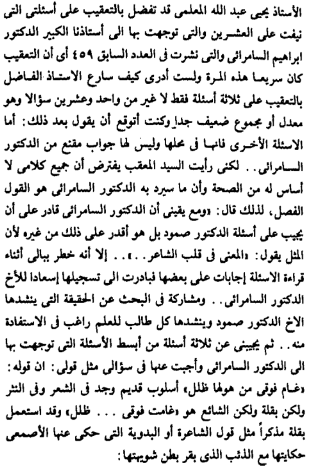
عبدالرحمن عوض

إلى: الأستاذ المعلمي

جواب على "تعقيب على أسئلة"




أ. يحيى المعلمي



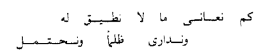
الأستاذ يحيى عبد الله المعلمي قد تفضل بالتعقيب على أسئلتي التي نيفت على العشرين والتي توجهت بها الى أستاذنا الكبير الدكتور ابراهيم السامرائي والتي نشرت في العدد السابق ٤٥٩ أي أن التعقيب كان سريعا هذه المرة ولست أدري كيف سارع الاستاذ الفاضل بالتعقيب على ثلاثة أسئلة فقط لا غير من واحد وعشرين سؤالا وهو معدل أو مجموع ضعيف جدا وكنت أتوقع أن يقول بعد ذلك: أما الاسئلة الأخرى فانها في محلها وليس لها جواب مقنع من الدكتور السامرائي.. لكنى رأيت السيد المعقب يفترض أن جميع كلامي لا أساس له من الصحة وأن ما سيرد به الدكتور السامرائي هو القول الفصل، لذلك قال: «ومع يقيني أن الدكتور السامرائي قادر على أن يجيب على أسئلة الدكتور صمود بل هو أقدر على ذلك من غيره لأن المثل يقول: «المعنى في قلب الشاعر..».. إلا أنه خطر ببالي أثناء قراءة الاسئلة إجابات على بعضها فبادرت الى تسجيلها إسعادا للأخ الدكتور السامرائي.. ومشاركة في البحث عن الحقيقة التي ينشدها الاخ الدكتور صمود وينشدها كل طالب للعلم راغب في الاستفادة منه.. ثم يجيبني عن ثلاثة أسئلة من أبسط الأسئلة التي توجهت بها الى الدكتور السامرائي وأجبت عنها في سؤالي مثل قولي: ان قوله: «غام فوقي من هولها ظلل» أسلوب قديم وجد في الشعر وفي النثر ولكن بقلة ولكن الشائع هو «غامت فوقي ... ظلل» وقد استعمل بقلة مذكراً مثل قول الشاعرة أو البدوية التي حكى عنها الأصمعي حكايتها مع الذئب الذي بقر بطن شويهتها:

إذا كان الطباع طباع سوء
فلا أدب يفيد ولا أديب

وإذن ما دمت أعرف ذلك وقد أشرت إلى جوازه في الأسلوب القديم، وتجنبه من قبل الاجيال الموالية، وخاصة في العصر الحديث، فلماذا تفضل الاستاذ المعلمي بالحديث عنه.

وأما القاعدة النحوية المقررة التي أشار اليها وهي «تأنيث الفعل يكون واجبا إذا كان الفاعل مؤنثا حقيقيا متصلا بفعله أو كان الفاعل ضميراً يعود على مؤنث متقدم حقيقي أو مجازي... الخ أو كان الفاعل مفصولا، بينه وبين الفعل» بكلمة او عدد من الكلمات جاز أن يؤنث الفعل أو لا يؤنث» فهذه أشياء معروفة منها قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، ولكن البيت الشعري الآنف الذكر يكذب صور هذه القاعدة اذ لم يفصل بين 'كان' والطباع أي فاصل، ومع ذلك وقع تذكير الفعل «كان» مع «الطباع».

٢ ـ تساءلت في السؤال الرابع: هل هناك نماذج شعرية ونثرية لتعدية فعل (نطيق) باللام عوض تعديته بنفسه في قول الشاعر:



كم نعاني ما لا نطيق له
ونداري ظلماً ونحتمل

وسألت عن ماضي فعل (نطيق) وهل هو مجرد أم مزيد (طاق ـ أطاق) وهل من بابه قوله تعالى: ﴿ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ وهل اللام هنا تساوي اللام هناك.. لكن الاستاذ الناقد سكت عن أهم جزء من السؤال وهو: هل توجد نماذج شعرية ونثرية لذلك. ومضى يذكر أبسط قواعد الصرف في قوله: (إن كلمة نطيق) في البيت مضارع الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أطاق) ويجوز أن تكون مضارعاً للفعل المجرد (طاق) إذا كان حرف المضارعة (النون) مفتوحا ولكن الضم أدل لأنه كذلك جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ هذا بديهي ومعروف في القواعد المرعية لكن الذي لاحظته ويعرفه الاستاذ المعجمي والباحث اللغوي ـ د. السامرائي ـ أنه يقال في اللغة (طاق الشيء: قدر عليه) ويقال أيضا في المزيد: (أطاق الشيء: قدر عليه) أيضا ولم أجد: (نطيق له) بفتح حرف المضارعة أو ضمها لذلك سألت عن صلة الآية الكريمة بالبيت... وأما بقية الكلام فهو فضلة..

أما السؤال التاسع عشر الذي توجهت به إلى الاستاذ السامرائي فقد جعله السيد المعلمي الثالث في اجوبته التي تفضل بها فقد قال: ان كلمة (فأنهله) منصوبة بفاء السببية، كما قلت في سؤالي وذلك في قول الدكتور السامرائي:

أأسيغ الأسى فأنهله
وهو ملح يشقى به علل

وبما أني لم أكن غافلا عن فاء السببية وأشرت إليها في سؤالي فمن الواضح أني كنت أريد أن أعرف من اللغوي الكبير والنحوي القدير أشياء أخرى.

وأما قول السيد المعلمي: (إن الدكتور صمود قد أجاب على سؤاله بنفسه، فما دام أن اللام في كلمته (فأنهله) مضبوطة شكلا بفتح اللام فهذا دليل على أن الفعل (أنهل) منصوب، ووجود الفاء مسبوقة باستفهام يدل على أنها فاء السببية وبديهي أن ضبط كلمة ما شكلا بالفتح دليل على أنها منصوبة، لكني أتساءل عن ناصبها ولو لم تشكل في البيت لما تساءلت عن سبب نصبها ولقرأتها كما أراه صوابا ولست أدري هل من الضروري أن تسبق فاء السببية بالاستفهام؟ كما رأى الاستاذ الناقد وهل لا تكون هذه الفاء الا فاء السببية؟.

د. نور الدين صمود



جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

خاص بالمنهل

يتم قريبا الاعلان عن جائزة مكتب التربية العربى لدول الخليج للدورة المالية لعامى ١٤٠٨ و١٤٠٩هـ.

صرح بذلك لـ«المنهل» سعادة الدكتور على بن محمد التويجرى المدير العام لمكتب التربية العربى لدول الخليج، وقال أنه سوف تشكل لجنة للنظر فى النتاج الذى سيقدم للمنافسة فى مسابقة الجائزة.. وتابع سعادته بأن الجائزة ستمنح لأفضل دراسة بحثية مبتكرة فى أى مجال من المجالات التالية:

- التربيـــة
- اللغة العربية والدراسات الاسلامية
- العلوم الاجتماعية
- العلـــوم والتقنيـــة

وحول الشروط المطلوبة للتقدم لنيل هذه الجائزة قال الدكتور على بن محمد التويجرى بأن هذه الشروط تتلخص فى أن تكون الدراسة المقدمة باللغة العربية الفصحى، وأن يكون المؤلف من أبناء منطقة الخليج العربى، وأن يكون قد مضى على نشر الدراسة مدة تزيد عن خمس سنوات من تاريخ نشر الاعلان، ويفضل أن تكون الدراسات متعلقة بمنطقة الخليج العربى وألا تكون الدراسة قد نالت جائزة ذات صبغة دولية أو اقليمية، وألا يكون قد سبق التقدم بها وإجازتها لمنح صاحبها درجة علمية كالماجستير والدكتوراه، وألا تكون من التأليف المشترك، ولا تكون ترجمة، كما أن الشعر والرواية والقصة والمقال من الابداع الفنى والادبى ولكنها ليست من الدراسات الادبية ولا تدخل ضمن نطاق العلوم الانسانية التى يعنيها المكتب.

وأكد الدكتور التويجرى على أنه يجوز الترشيح لنيل الجائزة من الجامعات والهيئات والمراكز العلمية والهيئات الحكومية الاخرى المعنية بالبحث العلمى أو بالنهضة الادبية والفكرية فى الدول الاعضاء، كما يجوز التقدم لنيل الجائزة بطريقة فردية وتكون مصحوبة بما يلى:

● عشر نسخ من العمل المقدم لنيل الجائزة - بيان تفصيلى عن المرشح يبين حياته العلمية والعملية ومؤلفاته المنشورة - ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح مقاس ٦×٩سم، وعنوانه البريدى ورقم هاتفه.

وأضاف الدكتور التويجرى بأنه لا تقبل الترشيحات من المنظمات والهيئات والاحزاب السياسية كما أن المكتب سيمنح الفائز فى أى المجالات الاربعة المذكورة جائزة مالية قدرها (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف ريال سعودى وبراءة منح الجائزة وستقوم بتحكيم الانتاج المقدم لنيل الجائزة لجان من المتخصصين فى موضوعاته.

وأهاب الدكتور على بن محمد التويجرى المدير العام لمكتب التربية العربى لدول الخليج بالراغبين فى الاشتراك فى أحد مجالات الجائزة أن يرسلوا ما لديهم من اعمال ونتاج - بعد الاعلان عن الجائزة - والتى تنطبق عليها الشروط المذكورة آنفا باسم المدير العام لمكتب التربية العربى لدول الخليج، ص.ب (٣٩٠٨) الرياض ١١٤٨١.

الحافز



المحفوز



د. عبدالله محمد الزيد
مدير التعليم بالمنطقة الغربية

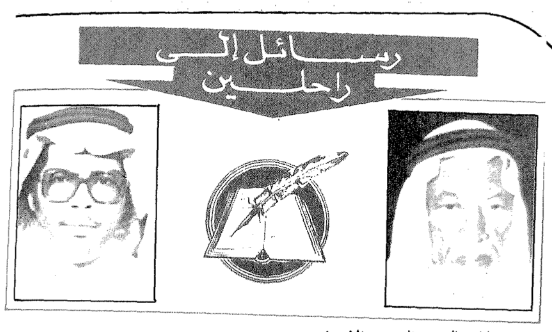
علمت أن باحثا كنديا أجرى مؤخرا بحثا تربويا يختص بتأثير ما يتوقعه الطلاب من معلميهم كباعث لزيادة تعلمهم على عكس ما كان سائدا فى التعليم عادة من تأثير ما يتوقعه المعلمون من طلابهم على كم وكيف ما يتعلمونه..

ولقد قام الباحث باختيار عينة من فصل معين وجلب لهم معلما جديدا لا يعرفونه من قبل وقسم طلابه الى مجموعتين، الأولى وتتكون من نصف العدد الكلى للطلاب وتحوى الثانية بقية الطلاب.. ثم عمد الى اعطاء واحدة من المجموعتين معلومات عن المعلم الجديد وأثنى عليه بالخير، وأشاد بتمكنه من مادته وتميزه فى أدائه من بين زملائه خلال عمله السابق... الخ.

أما المجموعة الأخرى فقد تركت عمدا تتعامل مع المعلم الجديد من غير أن تعرف عنه أى شىء الا أنه المعلم الجديد.. ثم شرع المعلم فى أداء واجبه حسب الخطة المعدة، وبعد انقضاء أجلها المحدد صار الباحث الى قياس النتيجة وتحديد أثر تجربته فى الفريقين، فوجد أن الفريق الذى تم تزويدهم بمعلومات مسبقة عن المعلم قد حققت نتائج أفضل من زملائهم الآخرين فى الفريق الآخر ثم أوصى الباحث بالعناية بتزويد التلاميذ بمعلومات وافية عن معلميهم لأن معرفتهم المسبقة ستحفزهم على الارتقاء بأدائهم الى مستوى توقعات معلميهم.. الخ.

قلت.. لا بأس من اعطاء التلاميذ كل الحقائق عن معلميهم فقد يكون فيما يعرفونه عنهم حافزا لهم على التعلم الأفضل.. لكن ماذا نقول لطلابنا عن بعض أساتذتنا ممن لا تتوفر لهم كل أو بعض صفات التميز الدافعة لحماسة طلابهم.. بل ماذا نقول لطلابنا عن العلم الذى يزاول مهنته كواجب ثقيل من غير ولع أو شعور بقوة الانتماء لها؟؟

وأقول أيضا بأن لا ضير من توظيف هذه الطريقة لمعالجة بعض المواقف التعليمية عند توفر المعلم القدوة.. لكن لابد أن لا ننسى أن ما درجنا عليه من وضع الطلاب تحت الحاح الشعور بما يتوقعه معلموهم منهم أمر هام فى العمل التربوى ولا يقلل من أهمية التجربة بعض مافيها من نقص فهى تبقى بمثابة رافد جديد يصب صوب تحسين أداء المعلم والمتعلم على حد سواء... ان معلمينا مدعوون لادراك حساسية دورهم الحاسم فى تربية الناشئة لأنهم يظلون بما يتوقعون من طلابهم أو بما يتوقعه طلابهم منهم على حد سواء القواسم المشتركة التى ترتكز على كل جزئياتها عملية التعلم والتعليم.



١ - الاستاذ/ عبد القدوس الانصارى:

اليك يا من لا تزال ماثلا فى مخيلتى . .

وذكراك عاطرة على لسانى . .

اليك يا من وجهتنى بعد الله فكنت لى ولأمثالى خير موجِّه . .

اليك يا من أحببت الخير وفعلته . . وتجردت من الانانية وحاربتها . .

اليك يا من كنت مثال التواضع والاستقامه والخلق . .

اليك يا من كنت مثال الاخلاص لأمتك ومليكك ووطنك . .

اليك يا أبا نبيه فى ذكراك الخامسه : جم دعائى فى ان يتغمدك الله بواسع رحمته وان يسكنك فسيح جناته وان ينزلك منازل الصالحين انه جوّاد كريم .

٢ - الشاعر اللواء على صالح الغامدى:

عندما اهديتنى آخر اعمالك الشعريه (عواطف هائمة)(١) اكبرت فيك حيويتك ونشاطك واصرارك على مواصلة المسيره رغم المعاناه التى كنت تعيشها مع المرض وتنتقل نتيجة لها من بلد لاخر طلبا للعلاج نعم . . عندما اهديتنى اخر اعمالك الشعريه اشرت لك فى ليلتها اننى سأدرسه على صفحات هذه المجلة دراسة تليق به وبكل عُصامى مثلك عاش حلو الحياه ومرها فتبسمت ابتسامتك المعهوده وقلت لى لعل وعسى فما اكثر - الدواوين التى تلفظ بها المطابع بين الفينة والاخرى

وتظل حبيسة الرفوف تعلوها الاتربه وتأكلها الارضية دون مادح او قادح[3]. ولم تلبث بعد هذا الحديث الشائق سوى ليال اربع واذا بك فى عداد الخالدين تاركا وراءك ما يخلد ذكراك على مر الايام . . رحمك الله فقد كنت مثالا للعصاميه فى مسيرتك العملية والادبية والحياتية وكنت بحقٍ مثالا لقول الشاعر:

دقــاتُ قلب المــرء قائــلة له إنَّ الحــيـاة دقــائـق وثــوان
فارفــع لنــفــسـك بعــد موتــك ذكــرهـا فالــذكــر للانــســان عمــر ثان

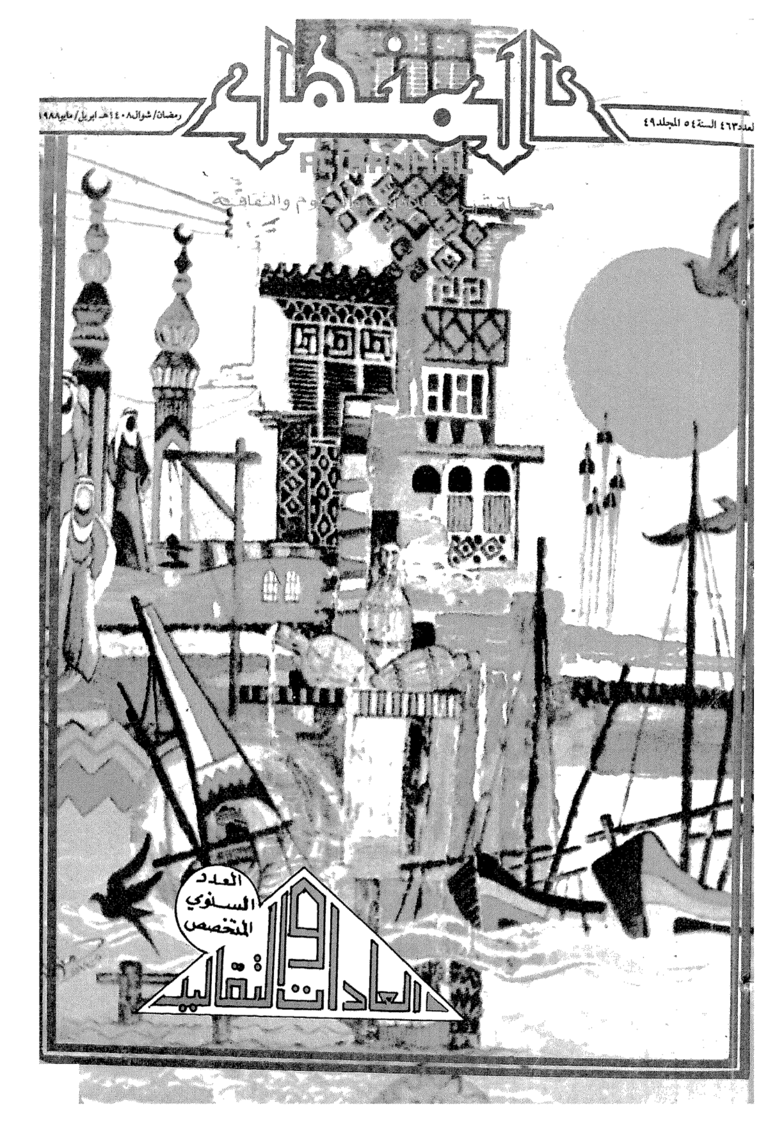
٣ ـ الاستاذ سباعى احمد عثمان:

كانت أمسيــة ماتعــة ما اشبهــا بأمــاسى وليــالى سوق عكــاظ الخالده . . نعم كانت ليلة جميلة بالنسبة لى إذ ـ التقيت فيها بصديق عرفتـه عن كثب وعملت معـه عن قرب فكان مثالا للوفاء مخلصا فى الاداء امينا فى توجيه الاقلام الواعده من خلال ملحق المدينه الادبى الـذى كان يشرف عليه من بداية الثمانينيات وكان له دور ريادي فى تنشيـط الحركة الادبية فى بلادنا خلال تلك الفتره ثم شاءت ظروف المعيشـه ان يعيش كل منـا بعيـدا عن الاخـر بضـع سنوات الا من اتصالات هاتفية فى بعض الاحايين. ثم يشاء الله ان نلتقى فى الطائف ومن خلال تلك الامسيـه القصصيه التى احياها الراحل مع قاصّين آخـرين بنـادى الطـائف الادبى فكـان لقاء اخويا جميلا تبودلت فيه الاحاديث الوديه وتاريخ المسيره الكتابيه بدءاً ونهاية وكان كل منا يرشح الآخر فى أن يؤرخ للمسيرة الصحفية من اوائل الثمانينيات وحتى الآن فابديت له اعتذارى ورشحته فى أن يتبنى الفكره لتفرغه فوافق ولكنّ ابا احمد ذهب ولم يمهله القدر لأن يبر بوعده حيث وافاه الاجل بعد غيبوبة وصمت طويلين .

رحم الله سباعى عثمان فقد قدم لنا ما يجعله يظل حاضراً بيننا على مر الايام .

---

(١) سأقدم هذه الدراسة للمنهل قريباً ان شاء الله .



المنهل
العدد ٤٦٣ السنة ٥٤ المجلد ٤٩
رمضان/ شوال ١٤٠٨هـ ابريل/ مايو ١٩٨٨
العدد السنوي المتخصص
العادات والتقاليد

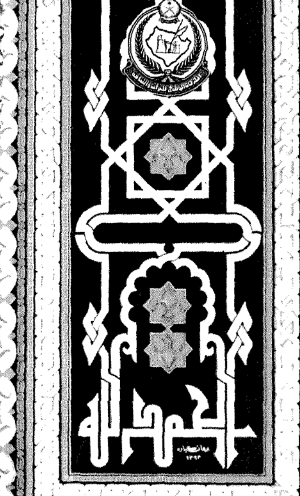
فكرة العدد

محاولة جادة وثرية لرصد وتقييم هيكلية بنـاء العـادات والتقـاليد من خلال البحـوث الثمينـة التى اوجـزهـا المشاركون الاماثل.
لسنا فى عددنا هذا فى مجال التشكيل ولكننا بتخصصية غير مفرطة نسعى الى اختراق التنظير تواصلا وعطاء



الفنان التشكيلى المبدع/ منور أزرعى - من مواليد مكة المكرمة ١٣٧٦هـ يحمل بكـالـوريـوس فى التـربيـة الفنيـة ١٤٠١هـ - له مشاركات عديدة فى الـداخـل والخارج واستحوذ برهافة حسـه الـفـنى على ميـداليـات وشهـادات تقـدير ولوحته هذه تشع بلمسـات المـاضى والحاضر ممزوجة بآفـاقـه الفنيـة . . وقد اختار المنهل لوحته اعلاه لتكون:

غلاف هذا العدد



دار الاصفهاني للطباعة بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

ALMANHAL

مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة

أسسها : **عبد القدوس الانصاري** سنة ١٣٥٥هـ

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

نائب رئيس التحرير

زهير نبيه الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج

- القاهرة : د. احمد الحفناوى
- عمان : روكس بن زائد العزيزى
- الرباط : عبد الرحيم عبد السلام
- تونس : د. نور الدين صمود
- انقرة : د. انور طاهر رضا
- الجزائر : د. بكرى عبد الكريم

- التحرير : السمانى كمال الدين
  نادر صلاح الدين
- خطوط : يعقوب السيد
- الجمع التصويرى :
  عبد الفتاح السيد سليمان
- العلاقات العامة :
  مصطفى محمد مصطفى

المركز الرئيسى

جدة ـ الشرفية

ص.ب : ٢٩٢٥

رمز بريدى : ٢١٤٦١

برقيا : المنهل

ت : ٦٤٢٧٨٣١

ت : ٦٤٣٩٧٦٥

فاكسيملي :

٦٤٣٢١٢٤

مكتب الرياض

ص.ب : ٢٩٠

ت : ٤٥٤٢٤٣٢

الاخراج الفنى

صلاح عبد الغني

الاشتراكات

- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

تخاطب بشأنها الادارة ت : ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

- السعودية : ٨ ريال
- البحرين : ٨٠٠ فلس
- قطر : ٨ ريال
- الامارات : ٨ دراهم
- اليمن : ١٢ ريال
- الاردن : ٥٠٠ فلس
- مصر : ١٥٠ قرش
- تونس : ٨٠٠ مليم
- المغرب : ١٠ دراهم
- موريتانيا : ١٠٠ أوقيه
- لندن : ١ جنيه

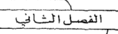
المجلة السعودية الأم

العادات والتقاليد

العدد السنوي المتخصص .. رمضان - شوال ١٤٠٨هـ - ابريل - مايو - ١٩٨٨ م

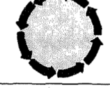
الفصل الأول

الموروث .. المنهج والمتصور



الفصل الثاني

العادات والتقاليد .. المكتسب والموروث



الفصل الثالث

مصنفات العادة .. وتطبيقات التقليد

الفصل الرابع

لغة الأزياء .. وموروث الموسيقى

الفصل الخامس

معطيات في العادة



استهلال

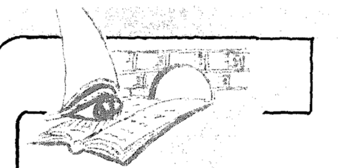
سئلت في مجتمع ادبي ـ وبصوت بارز ـ ما بال (المنهل) يخصص بعض اعداده لمواضيع شائكة يخوض غمارها في جرأة رسالته دون سواه من امثاله. اليس من الاجدر به ـ مثلا ـ ان يتفاعل كثيرا مع الاصداء البراقة الماثلة من.. حداثه وألسنية.. ومعاظلات وذاتية.. تستهوي القارىء ويجد فيها مبتغاه الذي اخذ يتنامى في غفلة شخوص الادب الواعد.. والفكر المبدع.. والعطاء السخي..,

فقلت: «كل اناء بما فيه ينضح».. قاعدة عفوية لا تحتاج الى تفجير النص ولا الى شرذمة السياق ـ بل ـ ولا تحتاج الى قاعدة ألسنية عجماء ولا الى مسطحات بنيوية لكناء ـ نفرط في (نشرها) بين العامة والخاصة.. فالمنهل ـ مثلا ـ بعدده المتخصص هذا عن (العادات.. والتقاليد) لم يطرح (لوغريتمات) غريبة جاء بها من عل.. ولم يفرض (ميثولوجيا) عجيبة استودعها خياله ـ فهو من ضمن سوابقه الغر المتخصصة «**الفن ـ الأمن والأمان ـ الثقافة العربية ـ الأثر والآثار**».. يمثل قفزة عالية تتطاول لمصاف المصادر التراثية.. والمنابر المعرفية.. والمناهل الثقافية.. ويمثل في جوهرها أحد أهم أرصدته ومدوناته ـ وربما بعض أولياته التي يفخر بها ـ و«**على قدر اهل العزم.. تأتي العزائم**».

وإذا ما انحرزت ـ قليلا ـ لهذا العدد الذي بين ايدينا فإني استميح القارىء الكريم العذر لأتعمق ـ قليلا ـ بعض فحواه وكثيراً من نجواه فأقول بصوت بارز ايضا:

●● ***إن احساسنا بالاستلاب والاغتراب في هذا الزمن اللاهب اللاحب يفرض ـ علينا ـ كثيرا ان نستمسك بعروتنا الوثقى الخالدة.. وان نتحسس اشعاع رسالتنا وهديها.. وان نستنفر تراثنا الانساني ليصدح في فيء تراثنا السامق ـ اذ ليس لنا بين هذه المتاهات الماثلة في.. فعل.. أو قول.. أو عمل.. إلا أن نحاول ـ معا ـ وضع ذواتنا في خانة القدرة على صياغة هويتنا الثقافية.. والحفاظ على انماط قيمنا ومثلنا بعيدا عن الفرضيات والجدليات والتهويمات ـ وفي منأى عن الممارسات الزائغة غير المسؤولة.***

من هذا التقييم كان التفكير في هذا العدد.. ومن هذا التقدير جاء هذا العدد الذي خص بموضوعه المتعدد المشارب والنابذ للمثالب.



وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓا

وهذا العدد اذ ينعطف كليا على دراسة الاطر المعـرفيـة والسلوكيـة . . والاعتقـاديـة والحـركيـة . . والحيـاتية والاجتماعية . . والتعبيرية والتصويرية ـ فانه فى وعاء العادة ومساطر التقاليد يشكل اساسا الملامح المشتركة لانسان هذا العصر ـ هذا الانسان المتواصل «آنيا وآتيا» مع مجموعته الاممية المنتمى اليهـا والمتجانسة معه . ومن هنا تأتى اهمية «عـددنـا» ليظل وعاءا (مستطرقا) يحفل بكل تلك الاشكال والصور ويعمل على مسكها . . وبثها . . وتلقينهـا ـ متـزامنـاً مع عرس «الرياض» الموروث والمبذول فى الجنادرية» .

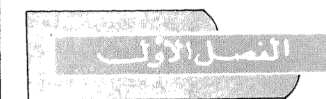
وغيـر خفـى . . ما قد يتبادر (للبعض) من جراء ذلك التداخل المفروض ما بين العادة والتقليد ـ والمـوروث الشعبى . فعلى الرغم من صعوبة الفصل بينهما فانه من المستبعد منهجا والمستغرب تعليلا ان نضع تقسيمات صناعية بين الظواهر الثقافية المتعددة ايا كان مصدرها ـ او ايا كان مذهبها . .

وغيـر بهـى . . ان نحجم عن فهم طبيعة مجتمع بعينه . . ونسيج علاقات بذاتها . . واساليب تعابيره بصياغاتها ـ ذلك لان منتهى المعرفة بهذه الوثائق عموما يجعلنا بالمقابل نقف على المغزى والنسيج الذى يكسب «العادة والتقليد» قيمتهما . . ويقيد قيادتهما . . ويقوض شواردهما .

وهذا العدد كما اختير وبوب صحبة كتابه الاماثل الاحافل الذين استجابوا لندائه ـ مزيج بين هذا وذاك . . وفى مجمـل (حـالاتـه) فقـد وضـع النـاس لانفسهم وسائل تعبيرهـم . . وسلوكيات معاشهم . . وبنية مآلهم . . فلا يحق لنا نحن الواثقين ان نخلفهم ونحن وجلين .

«اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . . واعمل لآخرتك كانك تموت غدا»

نبيه الانصاري



الموروث .. المنهج والتصور

◎◎◎◎◎◎◎◎



د. عبد العزيز شرف

● دكتوراة فى الاعلام.
● يحمل زماله كثير من معاهد الصحافة الدولية.
● يتبوأ - ولا زال - مناصب اعلامية وثقافية عدة.. وعضو عامل فى كثير من النوادى والجمعيات الادبية.
● له واحد وعشرون مؤلفاً.
● حصل على جوائز ادبية لها قيمتها وقدرها.



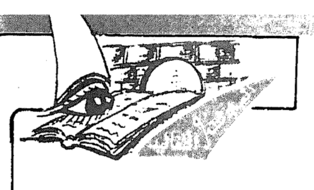
أبو تراب الظاهرى

● حصل على (العالمية) من جامعة بهاولبور فى باكستان.
● حصل على اجازات علميه فى الحرمين الشريفين (المكى والمدنى) ومصر واليمن والهند.
● عالم من علماء اللغة العربية والدين.
● له من المؤلفات ما يقرب من اربعين مؤلفاً.



د. محمد عبد المنعم خفاجى

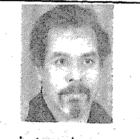
● حصل على الدكتوراة من جامعة الازهر فى ١٩٤٦م.
● حقق كثيراً من كتب التراث واخرج موسوعة كاملة عن الادب العربى فى جميع عصوره.
● تخرج على علمه كثير من طلاب الماجستير والدكتوراه.
● عمل عميداً لكلية اللغة العربية جامعة الازهر واستاذاً بها.





●●ويتوارد التراث دلالات عطاء فى الحياة . . يتمثله الأجداد والآباء وتتوارثه الأبناء . . منهاجاً مختطاً تعمقه فى نفوسهم . . مضامينه ودلالاته ريثما يصبح عرفا فقانونا . . وتظل لهذه المعطيات من الموروثات الشعبية فى كل ميادينها سيطرتها وسطوتها فى نفوس أصحابها إلا من قليل من التبديل والتعديل . .

وتأتى وسائل التخليد والتسجيل والتدوين (الشعر - المثل - الحكمة - الأغنية) لتصبح الذاكرة الحافظة لهذا التراث . . والشعر له خصوصيته فى ذلك . . فهو ديوان العرب وسجل أيامهم .



د. محمد احمد حمدون

● دكتوراة الفلسفة عام ١٩٧٦م من جامعة تمبل بامريكا.
● عمل استاذاً مساعداً ومستشاراً لدراسات الشرق الاوسط/ جامعة جاكسونفيل بفلوريدا.
● يعمل حاليا استاذاً مساعداً للادب الحديث كلية البنات/ جدة.

وقبل ذلك يأتينا المنظور الاسلامى حكما وفيصلا فتحدد لنا الوجهة الاسلامية ما يمكن ان تأخذ به من تلك العادات والتقاليد وما ينبغى أن نستبعده منها تماما . . لا سيما وان هذا الموروث فى قديمه ومستحدثه فيه الايجابى الخيّر والسلبى المرفوض.

والوجهة الدينية هى ومن غير شك الفيصل فيما نُبْقِى وما نَدَعُ

المنهل



عبد الله بن محمد بن خميس

● عمل مديراً لكليتى الشريعة واللغة بالرياض.
● مدير عام رئاسة القضاء.
● شاعر وعالم بحاثه . . شارك فى الكثير من المجالات الادبية .
● نال جائزة الدولة للآداب عام ١٤٠٣هـ

د. عبد العزيز شرف

وسـائل الإعـلام وهندسة العـادات والتقاليـد

(المصطلح والمفهوم)

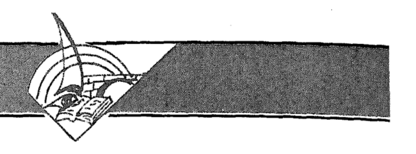
مصـر

يقوم النظام الاجتماعى فى كل مجتمع بأربع مهام أساسية ـ حدد «هارولد لازويل» ثلاثة منها هى: «مراقبة البيئة.. وربط فئات المجتمع فى استجابتها للبيئة.. ونقل التراث

الاجتماعى». وقد استخدم «ولبورشرام» اصطلاحات أبسط وهى: «الحارس.. والمنبر.. والمعلم».. ويضيف شرام وغيره مهمة رابعة وهى: الترفيه.

ذلك أن المجتمع يستخدم نظامه الاتصالى استخداما وظيفيا، وهو لذلك فى حاجة الى طريقة للوصول الى اتفاق عما ستكون عليه أساليبه والتغيرات التى تطرأ عليها. وبدون اتفاق قد يصاب النظام الاجتماعى بالاغلال.

ولذلك يقول «ريفرن» ان المجتمع يقرر عادة اتجاه التغيير لكى يعمل الافراد والجماعات معا كمجتمع. وقد تصل المجتمعات البسيطة الى الاتفاق عن طريق النقاش الشخصى وجها ولكن المجتمعات الصناعية المركبة تعتمد عموما على وسائل الاعلام.



ويستخدم المجتمع نظامه الاعلامى كمعلم لنقل التراث الاجتماعى من جيل الى الجيل التالى بما يتضمنه هذا التراث من أنماط سلوكية.. ومعلومات وعادات وتقاليد معينة يكاد يكون لها قوة القانون ـ ذلك ان التراث الاجتماعى اساس هام فى كل نوع من انواع النشاط واليه يرجع الفضل فى تنظيم حياة المجتمع تنظيما يقرب بين وسائل حياة الافراد ويجعل منهم مجتمعا متماسكا.

ولذلك يذهب علماء الاجتماع الى تقسيم التراث الاجتماعى قسمين: قسم منهما حضاري: ويشمل اللغة.. والعادات.. والعرف والتقاليد.. والمعتدات والقانون والنظم الاجتماعية المختلفة.. ويطلقون عليه اسم الجانب الثقافى او الجانب غير المادى فى التراث الاجتماعى.. والقسم الأخر ثقافي يشمل كل ما يستطيع الانسان ادراكه عن طريق الحواس ويطلقون عليه اسم الجانب الحضارى المادى فى التراث الاجتماعى.. ويستخدم الغربيون اصطلاحا واحدا هو (Culture) ليدل على الجانبين الثقافى والحضارى معا.. ولكن علماء الاجتماع العرب يفضلون استخدام كلمة «ثقافة» لتدل على الجانب غير المادى فى التراث الاجتماعى.. وكلمة «حضارة» لتدل على الجانب المادى فى التراث الاجتماعى(١).

يعتمد فى اساسه على أفكار تتركز فى عقول الافراد، وهنا تقوم وسائل الاعلام بوظيفة ربط عناصره المادية فى اذهان الناس بالأفكار والقيم التى تجعلهم يستخدمون هذا العنصر المادى او يهملونه. وهكذا تتغير أفكار الناس بالتدريج، ويقبلون على استعمال العناصر المادية النافعة التى تروج لها وسائل الاعلام حتى يصبح استعمالها شائعا بينهم بعد مرور فترة من الزمان مثل الهاتف.. ومكبر الصوت.

ويذكر المؤرخون للملك عبد العزيز موقفا هاما ورائداً فى هذا السياق ـ حينما بدأ يأخذ بأساليب الحضارة الجديدة حتى قال رحمه الله: «من اليوم سنحيا حياة جديدة»(٢).

وكسر مشروع توطين المجتمع القبلى وأبدله بمجتمع حضرى مقيم حول موارد الماء فى الواحات وعمل سكانه فى الزراعة. وكان هذا اكبر تغيير اجتماعى اقتصادى فى الجزيرة العربية نجم عنه تأثير كبير على حياة المملكة العربية السعودية ومستقبلها وفتح الباب امام تحول اجتماعى كبير(٣).

وقد ادرك الملك عبد العزيز دور التعليم والتثقيف الدينى فى هذه المرحلة التحولية الخطيرة.. فأرسل الى البدو العلماء والمتطوعين.. وغرس قيما جديدة جعلت عند البدو نظرة أعمق للحياة.. وعندما دارت المناقشة حول المخترعات الاوروبية الحديثة كالسيارة والهاتف والبرق.. الخ، قال المغفور له موحد كيان السعودية لطلائع مؤيديه أولئك: «تطالبوننى بعدم استعمال هذه لأنها من

صنـع الافرنج فأنا اوافق معكم على شرط أن تحرقوا جميع بنادقكم لأنها من صنع الافرنج كذلك» .

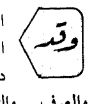
وبهذه الرؤية العلمية : استطاع ـ رحمه الله ـ ان يوحد دولته وان يبدأ فيها عهدا من الاصلاح والتجديد . . فإلى جانب اهتمامه بالتعليم انتشرت مجموعة من المكتبات العامة والمكتبات المدرسية الى جانب مجموعة من المكتبات القديمة(٤) .



انشأت الحكومة السعودية دار الاذاعة فى مكة سنة ١٩٤٩م ولأول مرة فى تاريخ الجزيرة العربية تدخل الاذاعة ، ومع انها كانت فى بداية الأمر مقتصرة على قراءة القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وما يتصل بهما من تفسير الا انها اتحدت مع مرافق نشر الثقافة الدينية والمدنية فى البلاد السعودية(٥) .

وادت الصحافة دورا هاما فى هذا المجال . . ففي العهد السعودى وحتي فترة حكم (ابن سعود) كانت فى البلاد مجموعة من الجرائد والمجلات ـ فكانت جريدة ام القرى . . وجريدة البلاد السعودية ـ وقد صدرتا بعد دخول ابن سعود الحجاز . . وجريدة صوت الحجاز . . وجريدة المدينة المنورة . . ومن المجلات مجلة المنهل . . ومجلة الحج . . ومجلة الاصلاح . . والمجلة الزراعية(٦) .

وسرعان ما سار بعجلة الاصلاح معتمدا على التعليم والتنوير والاقناع بفائدة العناصر الجديدة . . وهكذا اتسم منهجه الاصلاحى بالعلمية فى تغيير أفكار الناس بالتدريج . . واقبالهم على استعمال العناصر المادية بالتدريج ايضا حتى يصبح استعمالها شائعا ومألوفا بينهم بعد مرور فترة من الزمان .

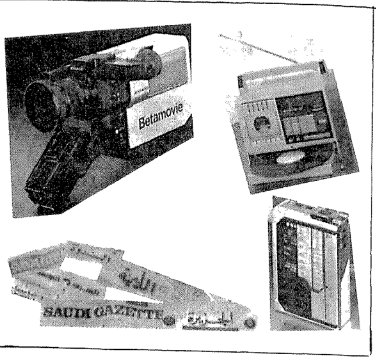


اتخـذنـا من التجربة السعودية نموذجا يوضح ارتباط العناصر المادية بغير المادية فى التراث الاجتماعى الأمر الذى يجعل لوسائل الاعلام دورا وظيفيا فى تنوير الناس ـ من جهة . . وفى دعم العنـاصر الثقافية فى التراث الاجتماعى وأهمها : «**المعتقدات واللغة . . والعادات . . والعرف . . والتقاليد المختلفة**» .

وسنركز هنا على الجانب الخاص بالعادات والتقاليد التي تخضع لمنهج «الدعم» و«التغيير» لما تحتوى عليه من عناصر «ايجابية» واخرى «سلبية» .

اما العادات : فهى انواع من السلوك اليومى لأفراد الجماعة تتعلق بنظام معيشتهم من مأكل وملبس . . ومسكن وعمل وترويح عن النفس . . ومعاملات اجتماعية أخرى . ولذلك يذهب علماء الاجتماع الى ان من أهم وظـائف الجماعة الاسرية تعليم افرادها الصغار انماط مختلفة من الافعال والسلوك ـ فاذا تكرر حدوث أفعال معينة فى مناسبات معينة تأصلت هذه الأفعال فى نفوس الأفراد وصارت نظاما رتيبا لا يتغير . . ويصعب عليهم التحرر من القيود وبخاصة اذا كانت تصادف قبولا عاما من افراد الجماعة .

ومن الخصائص الايجابية للعادات انها تيسر الحياة وتجعل الافراد يؤدون الافعال ويتصرفون فى المواقف بسهولة وسرعة معتادين فى ذلك على ما اعتادوا عليه فى مثل هذه المواقف . . ولذلك كانت مكمن العادات

الاقتصادية فى نتائجها اذ تختصر الوقت وتقلل الجهد الذى يبذل فى التفكير فى تفاصيل كل فعل يتكرر حدوثه(٧).

■■ فالعادة الجمعية : صورة من صور السلوك الاجتماعى استمرت فترة طويلة من الزمان واستقرت فى مجتمع معين واصبحت تقليدية ـ واصطبغت الى حد ما بصبغة رسمية . والعادات الجمعية اساليب للفكر والعمل ترتبط بجماعة فرعية أو بالمجتمع بأسره . . وقد اكتسب المصطلح مكانة خاصة فى الانثروبولوجيا كمفهوم محدد يمكن الاستعانة به فى التأويل الوصفى للثقافة(٨) .

وقد اسبغ علماء الانثروبولوجيا على مصطلح العادة الجمعية مستويات مختلفة من التجريد، فهو يعنى الاهتمام بالافعال المتكررة فى الحياة اليومية . . والقواعد التى تكمن خلف هذه الافعال . . والنماذج الثقافية المميزة التى يمكن استخلاصها من كل ذلك . . ويؤكد «فورتس» ان الاهتمام الرئيسى للانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ينصبُّ على العادات الجمعية اذ يتعين على الباحثين فى هذين العلمين ملاحظة وتسجيل العادات وانماط السلوك الاخرى المرتبطة بها . . كما نظر «مالينوفسكى» الى دراسة العادات الجمعية على انها تمثل موضوعا رئيسيا يجب ان تركز عليه الملاحظة المباشرة(٩) .

■■ ويمثل تحليل العادات الجمعية فى ارتباطها بالعرف والطرائف الشعبية احد الاهتمامات الرئيسية لعالم الاجتماع الامريكى «وليام سومنر» فهى كلها من القوى التى تمارس على الافراد قدرا من القهر والالزام . . أما «تيلور» فقد ادخل «العادة الجمعية» ضمن تعريفه للثقافة . . واشار «سابير» الى أن المصطلح له قيمة خاصة فى تطوير التصور

الانثروبولوجى للثقافة. وقد بذلت بعض المحاولات لتحديد مفهوم العادات الجمعية والتفرقة بينها وبين مفاهيم اخرى مثل: الطرق الشعبية. . والاعراف، لكن هذه المحاولات اعتمدت على محكات غامضة مثل التقليدية. . والتلقائية. . والدوام. . والمعنى الاجتماعى. . ولذلك لم تظهر كثيرا فى تعريفه وتحديده وربما كان ذلك هو السبب الذى دفع «ماكيفر وبيج» الى اعتبار العادات الجمعية جانبا فرعيا للطرق الشعبية والاعراف - على حين جعل «كنجزلى دافيز» من المصطلح مفهوما شاملا تتفرع عنه الطرق الشعبية والاعراف(١٠).

والأعراف: يقصد بها المعايير الاجتماعية التى توفر المستويات الاخلاقية للسلوك فى الجماعة والمجتمع. ويشعر اعضاء الجماعة بارتباط عاطفى باعرافها ويرون ان الحفاظ عليها ضرورى لرفاهية الجماعة. . ويشير المصطلح فى الغالب الى مستويات السلوك التى تعتمد على الجزاءات غير الرسمية والتى تندرج تحت قانون محدد. . وعند عدد ضئيل من المؤلفين تعرف «الاعراف» على انها كل قواعد السلوك التى يوافق عليها اعضاء المجتمع او الجماعة. . وقد يشير المصطلح الى انماط السلوك المقبولة والتقليدية التى يمكن التنبؤ بها ويعاقب الفرد اذا نقض عرفا معاقبة أشد واكثر صرامة مما لو تجاوزت العادات الشعبية ولا يتغير العرف الا ببطء شديد نظرا لأهميته البالغة فى حفظ النظام الاجتماعى(١١).

●● وعلى ذلك يوصف «العرف» بانه عادات مقتبسة اقتباسا افقيا فى الجيل الواحد - اى تنتقل بين الأفراد من واحد الى اخر عن طريق الاختلاط والتجاوز فى زمن معين. . وكلما ذاعت العادة وانتشرت تعارف الناس عليها أى صارت عرفا بينهم واصبح لها صفة الالتزام.

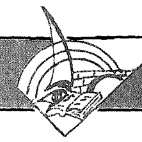
اما التقاليد: فيمكن تعريفها بأنها عادات مقتبسة رأسيا - اى من الماضى الى الحاضر ثم من الحاضر الى المستقبل. . فهى تنتقل من جيل الى جيل ومن سلف الى خلف على مر الزمان. . وبينما يصادف الاقتباس الافقى للعادات اى «العرف» مقاومة شديدة - فمن لا يسهل استهواؤهم بسرعة فان اقتباس التقاليد لا تقف فى طريقه الموانع لما بين المقتبس والمعطى من التباين الكبير فى التأثير. فالطفل مثلا يميل الى التقليد كما انه سريع التأثر بما يشاهده من سلوك الكبار الذين يتعاملون معه ولذلك كان تأثره بوالديه وبالكبار وبالتليفزيون ووسائل الاعلام كبيرا، وكذلك الحال بين الامى والمتعلم. . والقروى والبدوى والمتحضر.

ويزداد

تمسك الانسان بالتقاليد مع مرور الزمن لأن ما يفعله الانسان مرة ويستحسنه يميل الى فعله مرة اخرى فمرات. . واذا ما تكرر فعله وكان لا يزال يستحسنه ويستسهله فانه يود لو أن غيره يفعله ايضا - ولا سيما اذا كان هذا «الغير» عزيزا عنده كإبنه مثلا. . واذا استمر هذا الميل من جيل الى جيل قوى التقليد كثيرا.

وهكذا يمكن القول: ان التقاليد والعادات كالطريق الذى كلما سلكه الناس تمهدوا سهل السير فيه حتى انهم يستصعبون فى آخر الأمر العدول عنه الى طريق آخر غير مطروق(١٢).

ولذلك يطلق مصطلح «التقاليد» على انتقال بعض المعتقدات وانماط السلوك والانشطة من جيل الى



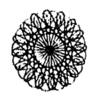
آخر، كما تقدم . . وقد يستخدم بمعنى «التراث» او كعنصر ثقافى ينتقل عبر الزمان ويحقق درجة من الدوام والاستمرار.

والتراث قد يكون شفاهيا . . أو مأثورا شعبيا . . او رواية شعبية. وبالنسبة للنظم الاجتماعية ينتقل التراث عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية حيث يكتسب الطفل العرف وانماط السلوك المعتادة من الاسرة والمدرسة . . وجماعة الرفاق ووسائل الاعلام. وقد يطلق المصطلح ايضا على بعض العناصر الثقافية التى تنتقل من جيل الى آخر . . وهنا يستخدم ـ كما تقدم بمعنى التقاليد اى انماط السلوك المقننة التى تنتجها الجماعة وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها ـ كما تحظى بالقبول من جانب الاعضاء.

وتأسيسا على هذا الفهم: نستطيع ان نقول ان نظم الاعلام لكونها تعمل على الاستقرار فانها تميل دائما الى عرض القيم والمعتقدات فى المجتمع الذى تعمل فيه. وعلى ذلك فان مضمون الاعلام ـ فى اى مجتمع ـ يصطبغ بالعادات والعرف والتقاليد فى هذا المجتمع . . ولكن وسائل الاعلام فى الجانب المقابل تقوم باحداث التغييرات ذلك أنها احدى الوسائل التى تسير وفقا لقانون «التحدى» فى مقابل قانون «الاستجابة» ومن ثم فوسائل الاعلام ـ (بالقياس الى مفهوم العادات والتقاليد فى المجتمع) تميل الى المحافظة عليها من جهة والى تقويضها من جهة اخرى.

ولنظام الاعلام كمؤسسة سلطة كبرى فى حد ذاتها . . وهو كذلك وسيلة تستطيع بها المؤسسات الأخرى ان تجعل قوتها ملموسة ـ ذلك أن قدرة النظام الاعلامى على نشر الرسائل الى الجماهير كما يقول «رفرز» تجعل هذا النظام الاعلامى مصدرا للسلطة بصرف النظر عما يحمله من معلومات وأفكار ـ ولذلك تسعى المؤسسات الاخرى الى استخدام النظام الاعلامى لاغراضها الخاصة عن طريق التأثير على ما يحمله ذلك النظام من وسائل.

وهناك بعض المفكرين الذين لا يذهبون الى نهاية الشوط فى اسناد تلك القوة الكبيرة الى وسائل الاعلام ومع ذلك فهم يعتبرون وسائل الاعلام أداة قوية للضبط الاجتماعى وذراعا للنظام الحاكم فى المجتمع ـ وفى ذلك خروج كبير على النظرية الليبرالية التى تنظر الى الصحافة على أنها تحرر الناس من طغيان الجهل والخرافات الموروثة وبذلك تمكنهم من حكم انفسهم بالفكر السليم والضمير الفردى، وان كانت النظرية الحديثة لا تنفى بالضرورة الأهمية التقليدية للصحافة فى تنوير الجماهير ولكنها لا تقدم زاوية رؤية جديدة للنظر الى وسائل الاعلام دون مراعاة لما ينبغى ان تفعله او تكون عليه(١٣).



ووظيفة الضبط الاجتماعى عن طريق وسائل الاعلام تجعلنا نذهب الى كونها الوظيفة الرئيسية للعادات والتقاليد فى التراث الاجتماعى الذى تعمل من خلاله هذه الوسائل بهدف تحقيق التماسك بين الأفراد حينما يشعرون شعورا متشابها فى معظم الظروف والمناسبات ويخضعون فى سلوكهم للغة، ولعادات ولعرف ولتقاليد ولمعتقدات ولافكار متشابهة تجعلهم يختلفون عن غيرهم من افراد المجتمعات الأخرى.

ولذلك نرى ان «اصطلاح هندسة الرضا» الذى يطلقه (جوزيف كلابر) على عملية الضبط الاجتماعى من اهم ملامح وسائل الاعلام. ومحاولات هندسة الرضا ليست جديدة او مقصورة على الدوافع الشريرة طبعا وقد كانت احدى مهام وسائل الاعلام دائما: هندسة الرضا الضرورى للمجتمع المستقر.

●● غير ان بعض علماء الاجتماع يرون انه لم يحدث من قبل ان كانت هندسة الرضا على مثل هذا النطاق الواسع وعن طريق وسائل الاعلام التى تشترك فى العمل بنغمة واحدة لا تسمح سوى بالقليل من الهندسة المضادة(١٤).

وقد تؤدى هذه الهندسة المضادة الى التقليل من اهمية العادات والتقاليد لانها تعنى عناية كبيرة بحاضر المجتمع كما هو بغضِّ النظر عن اصوله السالفة. ولكن استقرار اى مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان يتم الا نتيجة وجود العناصر التى تكون التراث الاجتماعى ـ ذلك ان الفرد يولد فيجد عناصر التراث موجودة فيقتبسها ويخضع لها كما اقتبسها وخضع لها غيره من الكبار.. وهذا يبين قيمة التراث الاجتماعى فى تماسك المجتمع وتحقيق الاستقرار فيه.

ولذلك لا يجمع المراقبون على أن الضبط الاجتماعى الذى تقوم به وسائل الاعلام له ذلك الاتساع وتلك الخطورة التى يتحدث عنها «كلابر» و«لازرسفيلد» و«ميرتون» وينضم الى المخالفين لهذا الرأى كثيرون ممن يتحدثون عن وسائل الاعلام حديثا مفعما بالخوف(١٥).

فمثلا : يعترف «لويس ويرث» بأن المواطن يزداد اعتماده على وسائل الاعلام من اجل الحصول على المعلومات والارشادات ولكنه يقول ان الدرجة العالية من الاتفاق الموجود من قبل فى المجتمع يعطى لوسائل الاعلام الكثير من تأثيرها الظاهرى.. ويذهب الى أن وسائل الاعلام تعمل فى مواقف معدة لها من قبل فى العملية الاجتماعية.. ومن السهل ان نحصل على (انطباع خاطىء).. انها هى او مضمونها ورموزها التى تنشرها تقوم بالعمل.

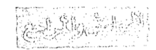
ويذهب «رتشاردث لامبير» فى كتابه **«نظرية الضبط الاجتماعى»** الى ان عضوية الجماعات الصغيرة الاولية كالاسرة والدائرة الحميمة من الاصدقاء ـ أقوى تأثيرا فى تقرير قيم الفرد واتجاهاته.. وسلوكه.. من اى تأثيرات تقوم بها وسائل الاعلام فيلجأ الناس الى وسائل الاعلام سعيا وراء ما يريدونه وليس ما تريد وسائل الاعلام ان تحدث فيهم من آثار.. وللناس فى ذلك خيار ضخم نظرا لتعدد وسائل الاعلام وكثرة وحداتها... كما ان للناس دفاعاتهم فهم يدافعون عن معتقداتهم الراسخة.. ويميل الناس الى ان يعتمدوا اعتمادا كبيراً على فئاتهم الاجتماعية ومرشديهم الخصوصيين. وتعمل القنوات الشخصية للاعلام جنبا الى جنب مع وسائل الاعلام وتقوم بتصفية الرسائل الصادرة من وسائل الاعلام.. ولما كان كل فرد مطمورا فى شبكات من الاتصال الشخصى فان نجاح أى رسالة صادرة عن وسائل الاعلام يتوقف على مدى تأييد البيئة الاجتماعية او الشبكة أو معارضتها للرسالة.

وتستطيع وسائل الاعلام ان تحدث تغيرا «وتقوم به فعلا» ولا سيما عندما يتفق العديد من الوسائل على ذلك وعندما يحسن استخدامها حتى لا تنشر الأكاذيب او تضلل الرأى العام ـ مما يؤدى الى اثارة القلق واشاعة الاضطراب فى هندسة الاتفاق الاجتماعى.

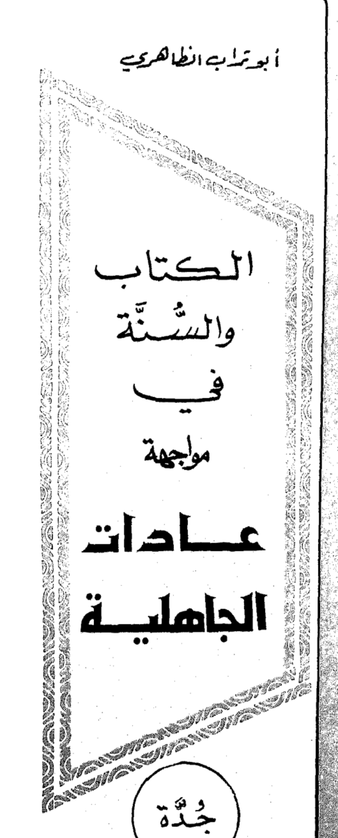
إن وظيفة «التغيير» فى الاعلام حينما تستهدف العادات والتقاليد، يجب ان تؤدى بوعى شديد حتى لا يكون المستهدف «الايجابى» منها بل «السلبى» ـ والسلبى وحده.. وحتى تؤدى دورها فى «التغيير الاجتماعى» الذى يتسم بالسرعة فى جانبه الحضارى والبطء فى الظواهر الثقافية التى تشمل فى اعطافها العادات والتقاليد والمثل العليا عند افراد المجتمع.. ولذلك ينبغى ان يكون المنهج التعادلى هو الأساس الذى تنطلق منه وسائل الاعلام حتى لا يحدث اختلال فى التوازن بين الظواهر الحضارية والظواهر الثقافية ـ وحتى تجنب النظام الاجتماعى الذى تعمل فى اطاره خطر «الانحلال او التفكك بين العلاقات الاجتماعية».

●● ومعنى ذلك أن الجوانب المادية فى التراث الاجتماعى تصبح ذات قيمة اذا استطاعت وسائل الاعلام ان تربط فى الاذهان بينها وبين بعض المعانى او القيم المستمدة من الدين ـ ذلك ان قيم المجتمع هى الاساس الذى يبنى عليه نظامه الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية التى يرتبط بها الافراد.

●● وهكذا نقول مع احد الدارسين ينبغى الا ننظر الى قوة وسائل الاعلام كموجة عالية وانها كنهر عظيم يغذى الارض التى يلمسها متبعا خطوط التضاريس الحالية ولكنه يمهد الطريق للتغير على مدى طويل. وقد يجد احيانا بقعة تكون فيها الأرض رخوة ومهيأة.. وهناك يشق مجرى جديداً.. واحيانا يكتسح امامه جزءا من الأرض مما يعطى مجرى النهر شكلا جديدا.



(١) د. حسنى الساعاتى وآخرون: علم الاجتماع ـ القاهرة ١٩٦٢.
(٢) حافظ وهبة: ص٣٠٣ ـ جزيرة العرب فى القرن العشرين.
(٣) د. عبد الفتاح حسن ابو عليه: السابق ص١٦٦.
(٤) عبد الله عبد الجبار: المكتبات فى قلب جزيرة العرب، فى مجلة (المنهل) عدد ذى القعدة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ص١٩، السابق ايضا ص٢٥١.
(٥) د. عبد الفتاح حسن ابو عليه: السابق، ص٢٥١. Lipsky, George, Saudi Arabia, its People, its Society, its culture, P.I35
(٦) محمد سعيد العامودى: من تاريخنا، ص١٩٣.
(٧) د. حسن الساعاتى وآخرون: السابق، ص٥٢.
(٨) د. محمد عاطف غيب وآخرون: قاموس علم الاجتماع ص١٥ ـ نفسه ص١١٥
(٩) Malinowski, Crime and Custom in sabage society, I926, p. I25.
(١٠، ١١) د. محمد عاطف عيث وآخرون: السابق، ص١١٥، R. M. Macivar £ C. H. Page: Society, N.Y. The macmillan Co., 1955, P. I9. نفسه ص٢٩٧
(١٢) د. حسن الساعاتى وآخرون: السابق، ص٥٣
(١٣، ١٤، ١٥) وليام ريفرز وتيودور بيترسون، ترجمة د. ابراهيم امام: وسائل الاعلام والمجتمع الحديث ص١٥ ـ نفسه ص٥١ ـ نفسه ص٥٣.



قال أبو تراب: لا جرم ان الاسـلام جاء لإصـلاح حال الشعوب والقبائل وهداية الأمم، وإراءة النـاس الصراط المستقيم، ليجـانبـوا الجهـل وينبـذوا الجهـالة، وقد حارب الجهالة في معتقداتها الناشزة، وأمر بترك أمورها وأرشد الى التمسك بأهداب الدين الحنيف.

والجاهلية هي الزمان الذي كثر فيه الجهال وهو ما قبل الاسلام وقيل: الجاهلية الزمن بين الرسُولَيْن، وهي أيام الفترة، وتطلق الجاهلية على زمن الكفر مطلقاً، وتطلق على ما قبل الفتح، وعلى ما كان بين مولد النبي «ﷺ» وبين المبعث.

قال ابـن خالـويـه: هذا الاسـم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وهذا هو الغالب، ومنه «يظنون بالله غير الحق ظن الجـاهليـة». وأمـا جزم النووي في شرح صحيح مسلم بأن هذا هو المراد حيث أتى ففيه نظر، فإن هذا اللفظ يطلق على ما مضى - والمـراد ما قبل الاسلام، وضابط آخره فتح مكة.

قال الآلـوسي: وتفصيـل الكـلام أن لفـظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة.. وقد يكون اسماً لذي

الحال. فمن الأول قول النبى ﴿ﷺ﴾ لأبى ذر رضى الله عنه: انك امرؤ فيك جاهلية.. وقول عمر رضى الله عنه: إنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة.. وقول عائشة رضى الله عنها: كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء.. وقولهم: يا رسول الله كنا فى جاهلية وشر ـ أى فى حال جاهلية.. أو طريقة جاهلية.. أو عادة جاهلية.. ونحو ذلك ـ فإن الجاهلية وإن كانت فى الأصل صفة ولكن غلب عليه الاستعمال حتى صار اسماً ومعناه قريب من معنى المصدر.. وأما الثانى فتقول: «طائفة جاهلية.. وشاعر جاهلى» وذلك نسبة الى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ـ فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً ـ فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل ايضاً ـ كما قال الله تعالى ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل» ـ ومن هذا قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلَنْ أحد علينا
فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

كذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق. كما قال سبحانه وتعالى ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ قال أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾: «كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ـ وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل. فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه أو ضعفه فى القلب بمقاومته ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار.

فاذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث النبى ﴿ﷺ﴾ فى حال جاهلية جهلاً منسوباً الى الجاهل ـ فان ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وانما يفعله جاهل. وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية أو نصرانية فهى جاهلية ـ وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول ﴿ﷺ﴾ فالجاهلية المطلقة قد تكون فى مصر دون مصر كما هى فى دار غير الاسلام.. وقد تكون فى شخص دون شخص: كالرجل قبل أن يسلم فانه فى جاهلية وإن كان فى دار الاسلام.. فأما فى زمانٍ مطلقاً فلا جاهلية بعد بعث محمد ﴿ﷺ﴾ فانه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق الى قيام الساعة كما فى الحديث الشريف.

أبطل الإسلام الكثير من العادات الجاهلية

والجاهلية المقيدة قد تقوم فى بعض ديار المسلمين وفى كثير من الاشخاص المسلمين كما قال عليه السلام :
أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : «الفخر بالأحساب . . والطعن فى الأنساب . . والاستسقاء بالنجوم . . والنياحة على الموتى» .
وقال لأبى ذر رضى الله عنه لما عيَّر رجلاً بأمه : إنك امرؤ فيك جاهلية ، فهذه كلها جاهلية وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً الا على حال العرب التى كانوا عليها قبل الاسلام لما كانوا عليه من مزيد الجهل فى كثير من الأعمال والأحكام .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة فى سورة الأنعام . . «قد خسر الذى قتلوا أولادهم سفها بغير علم . . وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله . . قد ضلوا وما كانوا مهتدين» .

وقد اختلف المفسرون فى المراد من الجاهلية الأولى فى قوله تعالى : ﴿وَقَرْن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ فقيل : كانت فى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام ، فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى فى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقيل : كانت بين آدم ونوح عليهما السلام وهى ثمانمئة سنة . وقيل : ما بين نوح وإدريس عليهما السلام . . وقيل : ما بين نوح وابراهيم عليهما السلام كانت المرأة تلبس غير مخيط الجانبين . . وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنها . وقيل : ما بين موسى وعيسى

عليهما السلام . وقيل : ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام . وقيل : هى زمان داوود وسليمان عليهما السلام اذ كان النساء يظهرن ما يقبح إظهاره ويفعلن ما يحرم ذكره . . وكانت المرأة تمشى بين الرجال ، فذلك هو التبرج .

قال ابن عطية في تفسيره : والذى يظهر عندى أنه تعالى أشار الى الجاهلية التى أدركنها فأمرن بالنُّقْلة عن سيرتهن فيها وهى ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لأنهم كانوا لاغيرة عندهم ، فكان أمر النساء دون حجبة وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه ـ وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التى قبل الاسلام كما لا يخفى .

قال ابو تراب :

■■ وقد أبطل الاسلام كثيراً من أمور الجاهلية الجهلاء وأحل محلها أمور التوحيد والعبادة لله وحده . . والالتزام بالآداب الاسلامية السامية . . واتباع سنن نبى الهدى عليه الصلاة والسلام ـ وعلى سبيل الاشارة لا الاستيعاب : فقد أبطل الكهانة . . والعرافة . . والزجر . . والعقر فى الابل . . والهامة . . والصفر . . والطيرة . . والاستعاذة بالجن ـ وتعليق العوذة والخرزات . . والفرع . . والعتيرة . . والاستقسام بالازلام ـ الى غير ذلك .

■■ وكان من مذاهبهم الجاهلية التى ذكرها القرآن «**البحيرة والسائبة**» فقال تعالى : **﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾** . . والبحيرة هى الناقة التى كانوا يبحرون ـ أى يشقون أذنها بعد نتاج خمسة أبطن آخرها ذكر ـ ويمتنعون من نحرها وركوبها . . ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى . . فإن ماتت أكلوها ـ وكانوا لا يحلون لبنها للنساء «**فهو للطواغيت**» . . والسائبة هى الناقة تبطن عشرة أبطن إناث . . فتهمل ولا تركب عندهم . . ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف . وقيل : هى التى تُسيَّب للأصنام فيأخذها السدنة ـ وقيل غير ذلك . . والوصيلة هى الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين . . واذا ولدت فى آخرها عناقا وجدياً قيل : وصلت أخاها ـ فلا يشرب لبن الأم الا الرجال دون النساء وتجرى مجرى السائبة ـ وقيل غير ذلك .

■■ وأما الحامى فهو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون : قد حمى ظهره فيحمل ولا يطرد عن ماء ولا مرعى . وقيل : انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن . وقيل غير ذلك وقد رد عليهم القرآن .

ومن مذاهبهم الجاهلية التى أبطلها الاسلام «النّسىء» قال السهيلى فى الروض الأنف . وكان على ضربين احدهما : تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات ـ والثانى : تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ـ فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر

يوماً حتى يدور الدور فيه الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته.

فلما كانت حجة الوداع وافق عود الحج الى وقته فى ذى الحجة فلذلك قال عليه السلام: إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض. يعنى ان الحج قد عاد فى ذى الحجة.

نص القرآن الكريم على ابطال نسيئهم فقال: **﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين، انما النسيىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين﴾**.

وفى سيرة ابن إسحاق: أن أول من نسأ القلمَّس وهو حذيفة بن فقيم وأخذته العرب وراثة. قال الحافظ فى شرح صحيح البخارى: كانت العرب فى الجاهلية على أنحاء.. منهم من يسمى المحرم صفراً فيحل فيه القتال ويحرم القتال فى صفر ويسميه المحرم.. ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا.. ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا.

قال ابو تراب:

■■ ومن مذاهب الجاهلية التى حرمها الاسلام: «وأد البنات».. فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار ـ وتفصيل ذلك ذكره الميدانى.. ومنهم من كان يئدهن للعاهة تشاؤماً بهن.. ومنهم من كان يقتل الأولاد خشية الانفاق وخوف الفقر ـ وهؤلاء فقراء القبائل. وجاء الكتاب العزيز شاملاً للجميع فقال تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطْأً كبيراً﴾**.

مذاهبهم الجاهلية الباطلة: «الميسر» وقد أفرد ابن قتيبة فيه كتاباً بيَّن فيه مذاهب العرب الجاهلية بياناً شافياً.. وقد حرمته الشريعة الاسلامية ـ وهو من أنواع القمار. قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان الرجل يخاطر على أهله وماله ونزل القرآن: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

أبطله الاسلام ايضاً من عاداتهم فى الجاهلية: «الفرع والعتيرة» ففى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال: لا فرع ولا عتيرة. والفرع هو أول نتاج الابل والغنم كانوا يذبحونه لأصنامهم ثم يأكلونه ويلقون جلده على الشجر ـ وقيل غير ذلك. والعتيرة هى الذبيحة الرجبية كانوا يذبحونها للأصنام.

وكان من سلوكهم فى الجاهلية ما أنكره القرآن قائلاً: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية﴾.. والمكاء هو التصفير بالفم، والتصدية التصفيق والمكاء كذلك التشبيك بالاصابع والنفخ فيها.

ومما أنكره الاسلام على الجاهلية طوافهم بالبيت عراة بحجة أنهم لا يطوفون فى ثياب قد أذنبوا فيها. وفى صحيح البخارى: أن النساء كن يقلن وهن يطفن عاريات تضع احداهن يدها على الفرج واليد الأخرى من خلفها وهى تقول:

اليوم يبدو بعضه أوكله فما بدا بعد فلا أحله

ومما أنكر على الجاهلية الاسلام أساميها التى تحمل ألفاظاً مشركة فقد غير النبى ﴿ﷺ﴾ كل ذلك - وخير الاسماء ما حمد وعبد كما غير تحية أهل الجاهلية (عم صباحاً أو مساءاً) بالسلام عليكم ورحمة الله وغير تهنئة الجاهلية بالعرس (بالرفاء والبنين) ببارك الله فيكما وبارك عليكما.. ورزقكما بنين صالحين..

وكان أهل الجاهلية يستمطرون بالانواء، وجاء الاسلام فأبطل هذا المعتقد فقد قال عليه السلام يقول الله عز وجل: ان من عبادى من أصبح مؤمناً بى كافراً بالكوكب، وإن منهم من أصبح كافراً بى مؤمنا بالكوكب، فمن قال مطرنا برحمة الله فقد آمن بالله وكفر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا فقد كفر بالله وآمن بالكوكب.

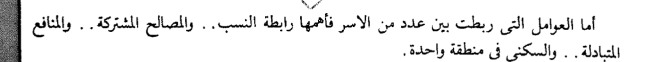
وكانوا يعتقدون أن العدوى هى الفعّالة بذاتها فجاء الاسلام فأبطل هذا المعتقد الجاهلى فقال: لا عدوى، ذلك لأن الفعال الحقيقى هو الخالق البارىء. لذلك قال النبى ﴿ﷺ﴾: فمن أجرب الأول من الابل.

قال النووى فى شرح صحيح مسلم: الكهانة فى الجاهلية ثلاثة أضرب:
احدها: ان يكون للانسان رئىٌّ - أى تابع - فى الجن يخبره بما يسترقه من السمع.
وثانيها: ان يخبره بما يطرأ فى أقطار الأرض وما خفى عنه مما قرب أو بعد.
الثالث: التنجيم، والكذب فيه أغلب.
قال: والزجر والطرق بالحصى كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم.

هذا: وبالجملة فان الاسلام قد رد كل هذه المذاهب الجاهلية بكتابه وسنته كما أشرنا الى بعض ذلك آنفاً، ولسنا هنا فى معرض استقصاء تلك العادات والمعتقدات وهى كثير فإن مجال مقال المجلة ضيق وهذا الموضوع خليق بأن يفرد له كتاب ضخم، وهذا النزر القليل وافٍ ان شاء الله بإسهام المقل ونسأل الله أن يطهر مبزتنا من أية جاهلية تتنزل الينا فإنا من أمة نبية وإنها لمرحومة ان شاء الله.



تعد الاسرة اهم الهيئات الاجتماعية فى تحديد نوع العلاقات الاجتماعية التى تسود بين افراد المجتمع، وما تشتمل عليه من عادات وتقاليد ترسم حقوق كل فرد وواجباته على نحو ييسر اشباع الحاجات.. الزوجية والمادية. وقد تطور نظام الاسرة على مر العصور من حيث الحقوق والواجبات.. ومن حيث العلاقة التى تربط الزوج بزوجته. «ففى عصر العبيد كانت السلطة العليا للاسرة فى يد الام وكان الاطفال ينسبون الى امهاتهم.. وكان الزوج ينتقل الى منزل زوجته وعندما بدأ الانسان فى زراعة الأرض تغير نظام الاسرة فأصبحت للأب الكلمة العليا فى تدبير شئون اسرته. وتغير نظام النسب واصبح الاطفال ينسبون الى الاب وظلت الاسرة على الرغم من تغير نظامها الداخلى تعيش منفصلة عن غيرها الى أن طرأت عليها عوامل جديدة جمعت بين عدد من الاسر وجعلت منهم مجتمعا جديداً متماسكا أوسع دائرة - يرتبط اعضاؤه بروابط خاصة.. ويسعون الى اهداف مشتركة كالدفاع عن حياتهم وكالحصول على ما يشبع حاجات المعيشة الاساسية»(١).



أما العوامل التى ربطت بين عدد من الاسر فأهمها رابطة النسب. . والمصالح المشتركة. . والمنافع المتبادلة. . والسكنى فى منطقة واحدة.

الأسرة على شخصية الفرد أقوى وأعمق من تأثير أية جماعة أخرى لأن الاسرة تقوم بتغذية الطفل واسكانه وتعلمه اللغة وآداب المعاملة ـ وتعلمه المبادىء الاساسية فى دينه. . والعادات والتقاليد التى يحترمها. . وتربى فيه وعيا برأى الافراد الآخرين. . وتعلمه احترام القانون والحق والواجب.

ولذلك يذهب علماء الاجتماع الى أن الاسرة تعد الى حد كبير أهم جماعة اولية فى المجتمع. وهناك عدد كبير من الدراسات حول الأسرة الحديثة تركز على مشتملاتها التى تشترك فى خاصية واحدة هامة وهى التركيز على تغيير قيم المرأة بهدف هدم الكيان الأسرى على نحو ما تنص على ذلك «بروتوكولات حكماء صهيون» وما تفرع عنها من مذاهب مادية ومن ذلك ما يزعم النظام المادى للمرأة من:

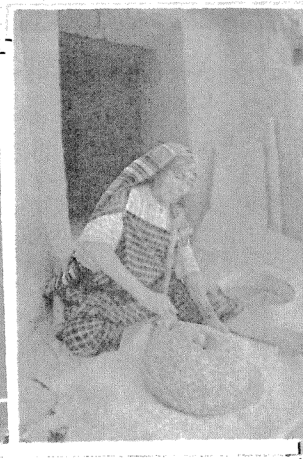
«حقوق مساوية لحقوق الرجل فى كافة ميادين الحياة العامة: الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية، لها ما له من حقوق. . وعليها ما عليه من التزامات. . فهى مجبرة على العمل لتأكل لأن «من لا يعمل لا يأكل». . وهى على قدم المساواة فى المنزل وخارجه. . ولها مطلق الحرية فى سلوكها الشخصى دون رقابة الزوج. . وتعمل فى المزارع والمصانع. . وهى عاملة وموظفة.

والزواج سهل ميسور: يكفى أن يقيد الزوجان اسميهما فى سجلات الزواج المدنية وهما يعملان فى الصباح. وتسلم الام اولادها الى ملاجىء الطفولة. . وعند عودتها للمنزل مساء تأخذهم معها. ويشترك الزوجان فى شئون المنزل. . ولها اجازتها من العمل قبل الوضع وبعده. . ولكل منهما حرية الانفصال عن الاخر متى شاء.

وكل فتى راشد او فتاة مسئول عن نفسه. . لا يعتمد فى معاشه على احد يقبض اجره ويتصرف فيه. . وله أن يحمل اسم امه أو اسم أبيه أو يستقل باسمه.

■ هذا منطق المادية. أما الاسلام فيرى فى الاسرة المثل الأعلى فى الاصلاح. . فقد كفل للمرأة جميع الحقوق المدنية والمالية والاجتماعية. . وأطلق لها حرية الرأى والتعبير. . والحرية فى التعلم والتعليم وخدمة المجتمع. . وقرر حريتها الشخصية وكيانها المعنوى. . وساواها بالرجل فى كثير من الحقوق والواجبات. . والاسلام يجيز اشتراكها فى الشئون العامة ـ وأن تشير وتستشار فيها ـ وان كان لا يخصصها لذلك وحده حفظا للأنوثة وواجباتها. وقد حرّم الاسلام ألوانا كثيرة من رق المرأة كالزنا والبغاء وجعل صلتها قائمة برباط مقدس هو الزواج الذى لا يتم الا برضاها. . وجعلها راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها. . وأوجب معاشرتها بالمعروف. . وجعل مهمتها الأساسية هى رعاية المنزل وتربية الأبناء والتعاون مع الرجل فى الحياة. . ونفقة المرأة على أبيها أو ولى أمرها قبل الزواج ـ وعلى زوجها بعده





غنيــة كانت او فقيرة. . فان لم يكن لها عائل فنفقتها من بيت المال ولها مهرها وحقها فى الميراث ـ والانثى نصف الذكر. . وقيد اباحة تعدد الزوجات والطلاق بقيود شديدة لأهداف اجتماعية سامية.

وآراء الاسلام فى المرأة والأسرة تنافى ما تذهب إليه المادية. فهو يحترم المرأة ويجعل مملكتها البيت. . وهى ليست مسئولة عن معاشها فى نظر الاسلام. . وهو يجعل الزوج رقيبا على سلوكها. . ويعهد اليها ـ لا الى دور الحضانة ـ بتربية الأطفال. . ويخلق من الأسرة وحدة اجتماعية سليمة قوية.

ولم يغفل الاسلام الاسرة من حسابه بل لقد دعمها وقواها وربطها برباط مقدس شريف وبعث فيها الحب والتعـاون والمـودة والاخلاص. فالاسرة هى الوحدة الاجتماعية الاولى فى الامة والنواة الصغيرة التى يتكون منها المجتمع الكبير.

وأساس الأسرة المرأة والرجل: وقد جمعها الله لغرض عظيم وفى ظل رابطة مقدسة ـ هى رابطة الزواج.

■■ والزواج شركة مقدسة جعله الاسلام قائما على رضا الزوجين ومحبتهما وتعاونهما، **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**.

■■ ولا يتم عقد الزواج الا بعد خطوات دقيقة ـ الهدف الاول منها اعزاز المرأة ورفع مكانتها. ومنها كفاءة الرجل وحده ـ والتزامه بمهرها وبنفقتها ونفقة أولادها وبحسن معاملتها ورعايتها.

فاذا وجد للأسرة بنون أو بنات فعلى الزوجين تعهدهم ورعايتهم وتأديبهم وتهذيبهم.

● وعلى الزوجين أن يتصرفا فى مالهما تصرفا سليما يقيهما شر الفقر ويكفل لأولادهما قسطا من الرفاهية والحياة الطيبة.

● وعلى المرأة أن تكون امينة على مال زوجها وأن تحافظ عليه محافظتها على مالها ونفسها.

● وعلى الابن متى كان قادرا أن يقوم بشئون أبيه وأمه واخوته الصغار. ويعول أقاربه ويحسن اليهم جميعا ما استطاع الى ذلك سبيلا.

■ فاذا مات الزوج أو الزوجة ورث كل منهما الاخر فى بعض ماله ووزع الباقى على من يستحقه بفريضة الميراث ووفق شريعة الاسلام.

ونهى الاسلام عن الوصية للوارث: قال الرسول ﴿ﷺ﴾ «لا وصية لوارث» كما نهى عن الوصية لغير الوارث بأكثر من الثلث ـ وذلك لينتفع اكبر عدد من الاقارب بالميراث.. ولتتوزع الثروات الكبيرة فتقل الفروق الاجتماعية بين الناس. فأين هذا من تشريعات اوروبا التى تجيز ان تنقل ثروة الميت الى الابن الأكبر وحده ويترك أخوات هذا الابن عالة على المجتمع وعلى أخيه، وتجيز للرجل أن يوصى بماله كيفما شاء ولمن شاء؟.

فاذا كان الزوج قادرا ووثق من نفسه العدل والانصاف أباح له الاسلام أن يجمع فى عصمته بين أربع زوجات.

وإذا تعسرت الحياة الزوجية واستحال الوفاق ولم يجد التحكيم، أجاز له الاسلام الطلاق.. ويحرم الاسلام شتى أنواع العلاقات الجنسية الاثيمة من زنا وبغاء.. ومصادقة ومتعة ـ حفظا للاسرة ولكيانها المقدس.. ويكفل الاسلام حرية الأبناء.. ويساوى بعضهم فى المعاملة ببعض.. ويفرض على الآباء القيام على رعايتهم وتهذيبهم وتوجيههم توجيها صالحا فى الحياة.

الى غير ذلك مما شرعه الاسلام لتكوين الاسرة ودعمها فى المجتمع الاسلامى ـ لتنظيم كيان الوطن الاسلامى والسمو به الى الخير والحق والعدالة والطهر والشرف والاخاء.

كفل الاسلام للمرأة جميع الحقوق المدنية وأطلق لها الحرية فى العلم والتعليم وخدمة المجتمع.. واعطاها حقوقها المالية والاجتماعية التى حرمتها الشرائع الاخرى منها.. واحتفظ لها بحريتها الشخصية وكيانها المعنوى.. وساواها بالرجل فى الحقوق والواجبات.. واعطاها حقها فى الميراث للانثى نصف الذكر: بقدر اعبائها المادية فى الاسرة.

للمرأة الحق فى ان تملك وتبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعقد باسمها العقود.. وتتصرف فى مالها بسائر ألوان التصرف دون حاجة الى اذن زوجها أو ولى أمرها ـ ولا يوزن الاسلام فى ذلك بأى تشريع حديث فان حالة المرأة فى فرنسا لا تزال حتى الآن اشبه بحالة الرق المدنى فقد نزع القانون منها صفة الأهلية فى كثير من الشئون المدنية، فلا يجوز للمتزوجة بيع ولا شراء ولا هبة ولا رهن ولا وصية ولا أى عقد من هذا اللون الا بإذن زوجها وتصديقه، وفى أغلب القوانين الحديثة تفقد المرأة بمجرد زواجها اسمها واسم اسرتها وتنسب الى زوجها واسرة زوجها ـ وفقدان الاسم رمز وعنوان لفقد الشخصية المدنية باندماجها فى شخصية الزوج كما يقرر علماء القانون.

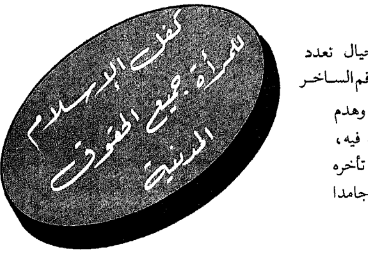
■ **والاسلام يفرض نفقة المرأة على ابيها أو ولى امرها قبل الزواج وعلى زوجها بعده ـ غنية كانت او فقيرة. فان**

لم يكن لها عائل فنفقتها ونفقة أولادها من بيت المال.

●● وجعل شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد، لأن المرأة اكثر عاطفة وتأثرا وقبولا للاغراء، فاحتاط الاسلام للعدالة اكبر احتياط.

ويقول رسول الله ﴿ﷺ﴾ من خطبته فى حجة الوداع: «يا أيها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا. لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا انهن لا يملكن لانفسهن شيئا، وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

■ ان الحرية التى أعطاها الاسلام للمرأة لا نظير لها فى أية شريعة من الشرائع ـ وليست الحرية عنده الا بالشرف والعفاف والكرامة المعنوية.



وقف كثير من الباحثين الغربيين حيال تعدد الزوجات فى الشرق موقف الناقم الساخر المتهكم، وقالوا: لقد ظلم الشرق المرأة، وهدم الاسرة، وقوض دعائم الحياة الاجتماعية فيه، بإباحة تعدد الزوجات مما كان سببا فى تأخره وضعفه ووقوفه فى معترك الحياة الانسانية جامدا أجيالا طوالا، وكذبوا فيما قالوا.

ذاقت المجتمعات الغربية الآلام التى لا نهاية لها من وراء تحديد الزواج بامرأة واحدة، فانتشرت الرذائل الاجتماعية بينهم وقل وفاء الرجل لزوجته واخلاص الزوجة لزوجها، واتخذ الرجل له صديقات واتخذت المرأة لها أصدقاء.

وشقى الرجل بتربية أولاد قد يكونوا غير اولاد له.. كما شقى بحرمانه من الزوجة الطاهرة السعيدة فى كثير من الاحيان وكان هذا كله مثار افكار جديدة جهر بها علماء الاجتماع فى اوربا. فنقدوا هذا الحجر الفاسد الذى افسد الاخلاق ودعوا الى التحرر من نيره الثقيل.

الاسلام والحياة الزوجية فى فوضى جامحة لا تقيد الناس بعدد محدود من الزوجات. فقد يجمعون بين عشرات الزوجات ويجورون فى معاملتهن ومعاشرتهن فكان بين خطتين: فإما أن يمنع تعدد الزوجات منعا باتا فيفرض الاقتصار على واحدة ـ واما أن يخفف وطأة هذا التعدد الجامح وينظم تلك الفوضى باتخاذ طريق وسط فلا يحرم الرجل من التمتع بأكثر من واحدة ويقطع

التعنس والعزوبة . . وقد آثر الاسلام الاتجاه الثانى فأباح للمسلم الجمع بين اربع زوجات بشرط أن يعدل بينهن وألا يجور فى معاملتهن.

المشركون قد ألفوا الزواج بعشرات النساء ورأوه ضرورة من ضرورات الحياة فهل يطالبهم بالاقتصار على واحدة؟ . . ذلك نشوز على أوضاع الحياة وضرورات الاجتماع وفيه الطفرة التى لا يؤمن معها من الهلاك ـ ولو فعل ذلك لأوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة ليطفئوا ظمأ الشهوة . . وكيف يضع الاسلام قانونا يوقع الناس فى العنت . . والارهاق . . وهو دين البشرية الخالد وشريعة السماء الباقية . . وما منهجه فى التشريع الا التدرج الطبيعى فى أمور الدين رفقا بالناس وسعيا بهم الى الكمال الاجتماعى المنشود.

وحكمة ثانية لهذا التعدد الحكيم : هى أن الاسلام يرمى الى الاكثار من العدد، وخير سبيل الى ذلك هو اباحة التعدد وقد تكون الزوجة عقيمة لا تلد فلو ألزم الرجل بواحدة دون سواها انقطع نسله وذهب أثره . . . ولو قلنا له طلقها وتزوج سواها لكنا ثائرين على شرعة العدالة والوفاء ولأخرجنا المطلقة من حياة الزوجية الى حياة تعيش فيها كلاّ على الناس . . ولو لم نقل بالتعدد لدفعنا بها الى الفناء البطىء ولحببنا الفاحشة والرذائل الى نفوس المحرومين من التعداد.

على ان عماد الاسرة فى الريف وغير الريف على أبنائها فهم الذين يديرون حركة البيت ويقومون بأعباء الأعمال . . وكلما كانت الاسرة أكثر عددا كانت أقدر على تحمل مآسى الحياة . . وكلما كانت الأمة اكثر عددا تستطيع حماية الوطن والدفاع عنه . . ولهذا نحن فى حاجة الى أن نسند الاسرة الاسلامية بجنود الله وبالأيدى العاملة الكثيرة ولا سبيل الى ذلك الا بإباحة تعدد الزوجات لمن يريد، حتى يشعر الرجل بأن من ورائه أيادى تؤيده وسواعد تعينه على حمل أثقال الحياة وشدائد الدهر وآلام الكهولة.

قضت الحرب الماضية على زهرة الشباب فى اوربا فأصبحت الأمم تواجه أزمة خطيرة من كثرة النساء وقلة الرجال ـ ولا سبيل الى علاج تلك الأزمة الا بالرجوع الى مبادىء الاسلام بإباحة تعدد الزوجات لحفظ النظام الاجتماعى وتيسير الحياة على الناس.

ومع ذلك فانه يجوز تقييد التعدد برأى الماضى وعدم اباحته الا لضرورة ملحة مع التأكد من مقدرة الزوج المادية . . ومقدرته على التزام العدالة بين الزوجات اذا دعت الى ذلك ضرورة اجتماعية.

---

(١) د. حسن الساعاتى وآخرون : علم الاجتماع ص ١٩ .

د. عبدالعظيم الشبلي

عـادات العرب و تقاليدهم

مصر

التقـاليـد والعـادات أعـمال رضى بها الشعب واستقـرت فى أعـماقه وأخذت صفـة الاستمرار ويؤديها راضيا، وقد كسبت مع الأيام قوة واصبحت دستورا وبرنامج عمل.. ولم تكن تقاليد العرب وقفا على الرجال فحسب بل طرأ على المجتمـع العـربى تقاليد تعطى للمرأة العربية حقها من التقدير والاحترام.. واشـتراكهـا فى مجال الفن والأدب.. وظهورها فى ميادين القتال والجهاد.. وهـذه التقـاليد كانت من أهم عوامل ظهـور حضـارة عربيـة رفيعـة الشأن جعلت الشعـوب العـربيـة تعيش فى تعاون وهدوء واستقرار.

وكان للاسلام اكبر الأثر فى ابرازها وتدعيمها ومزجها بالاخاء والمساواة.



[١] الكرم :

كان الكرم من أوضح الصفات عند العرب . . وكان إكرام الضيف من أفضل تقاليدهم حيث كانوا يشعلون النار أمام ديارهم وخيامهم فرحين بكل ضيف قادم وكأنهم يقولون له : تقدم نحن نشرف بقدومك ونسعد بوجودك . . كما كان تخليهم عن إكرام الضعيف وصمة عار وذم بين الناس ـ فهذا شاعرهم الحطيئة يصور موقف أعرابى فقير جاءه ضيف فى قصيدة له قال فيها :

رأى شبحا وسط الظلام فراعه
فلما رأى ضيفا تشمر واهتما

فقال هيا رباه ضيف ولا قرى
بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحنى ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم علّ الذى طرا
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

صوّر

الحطيئة أعرابيا فقيرا يعيش فى قفر من الأرض وينزل به ضيف، فيلبى الأعرابى نداء الكرم الأصيل فى نفسه وراح يهتف من أعماقه . . يارب . . ضيف قادم ولا طعام له، فبحقك لا تحرمه فى هذه الليلة اللحم . . . ويرى الابن أباه فى هم وحيرة فيسرع إليه ليقول له : يا أبت اذبحنى لتقدم لضيفك العزيز طعامه ولا تعتذر بالفقر خشية أن يظن لنا مالا قد منعناه عنه فيبالغ فى ذمنا ـ وقد حال بينه وبين ذلك حصوله على صيد جعله طعام ضيفه وفداء ابنه فبات مسرورا عندما استطاع إكرام ضيفه وقد صوره الشاعر بقوله :

وبات أبوهم من بشاشته أبا ... لضيفهم والأم من بشرها أما

[٢] نجدة الضعيف :

ومن عجيب ما يروى عن نجدة الضعيف عن حاتم الطائى انه خرج مرة فى حاجة له بعيدا عن أرضه، فاستجار به أمير وناداه فقال له :

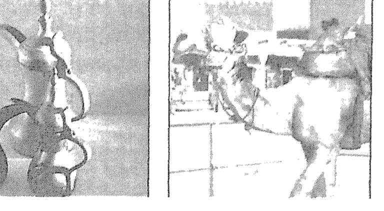
يا أبا سفانة أهلكنى الأسر، فما كان من حاتم إلا أن اشتراه من بنى عنزة وأقام فى القيد مكانه حتى فدى نفسه فأطلقوا سراحه .

[٣] حبهم للرجوله :

ومن عاداتهم حبهم للرجولة وكرههم للضعف والتخنث تصور ذلك القصة التالية «رزق معن بن زائدة أولادا عدة عاشوا فى حياة رغدة فلم يسلكوا مسلك أبيهم فى الشجاعة والاقدام فبرم بهم ويئس من





تقويمهم وانصرف عنهم كأن لم يكونوا أبناءه، وأقبل على يزيد بن أخيه يكفله ويرعاه ويصحبه الى مجالس القوم وحروبهم ويعتمد عليه فى جلائل الأمور، فقد توسم فيه الخير، ورأى بشائره عليه من جرأة فى الحق.. وتجلد فى الشدة.. وصبر على الأهوال.. الى نفاذ بصيرة وبعد عن سفاسف الأمور وميل الى عظائمها.. واستمر يتعهده ويرعاه حتى حنقت زوجه عليه وعاتبته على تقديم يزيد على أولادها فقال لها:

■■ لو كنت ارفع يزيد لقرابة لكان أولادك أحق منه ولكنى أرفعه لفضله وسأوضح لك ما يخفف لومك عنى وصاح معن قائلا:

■ يا غلام: اذهب فادع أولادى - قل لهم: إن أباكم يدعوكم الساعة.. فذهب اليهم الغلام ودعاهم فأقبلوا فى الثياب الحريرية ثم سلموا وجلسوا وكان ذلك بعد هدأة الليل - ثم صاح معن وقال:

■ يا غلام أدع لى يزيد فدعاه فأقبل مسرعا ومعه سيفه ورمحه ودرعه.

■ فلما رآه معن قال:

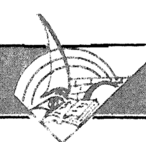
ما هذه الهيئة يا يزيد؟ قال:

■■ جاءنى رسول الأمير فى هذه الساعة من الليل. فقلت: إنك لا تريدنى فى إلا لخطب كبير.

■■ فقالت زوجه: الآن بان لى عذرك وأدركت أن أمثال هؤلاء الغارقين فى النعيم هم الذين سماهم الامام على أشباه الرجال ولا رجال.

[٤] الشجاعة

وتأصلت الشجاعة فى نفس العربى منذ نشأته الأولى، وجاء الاسلام فأعطى الشجاعة والفروسية العربية مدلولاً آخر وهو مزجها بالعقيدة الاسلامية لإعلاء كلمة الله - ولهذا استطاعت الفروسية العربية أن تهزم أكبر امبراطوريتين هما امبراطورية الفرس.. وامبراطورية الروم.



تأصلت الشجاعة فى نفس العربى منذ نشأته الأولى ..

وهنا نذكر موقف خالد بن الوليد حينما استنجد به ليلحق بجيش العرب فى اليرموك لقتال الروم وكانت هناك طرق عديدة، واختار خالد أوعر الطرق لأنه أقصر الطرق وطلب خالد بن الوليد عشرين جملا وسقاها حتى امتلأت وكممها حتى لا تجتر، وكانت هذه الجمال هى صهاريج الماء الذى اجتاز بها جيش خالد أشق جزء من بادية الشام فى خمس ليال وكان كلما نزل الى الراحة استخرج ما فى اكراش الابل من الماء فمزجه باللبن وسقاه للخيل، وبعد ثمانية عشر يوما وصل خالد الى اليرموك وانتصر على جيش الروم الذى يزيد على جيشه اضعافا مضاعفة من حيث العدد والعتاد وما ذلك إلا لأنه كان مسلحا وجيشه بروح التضحية والفداء والعقيدة الاسلامية.

[٥] شجاعة المرأة:

ولم تقتصر الشجاعة على الرجل فحسب بل كانت عند النساء أيضا ولكى نصور شجاعة المرأة العربية نذكر (**خولة بنت الأزور**) وبقية المجاهدات من النساء حيث تقدمت فرقة من جند الروم نحو المعسكر الذى تحرسه خولة . . فأخذت خولة تثير حمية النساء وتحرك شجاعتهن وهى تقول: يا بنات حمير وتبع أتقبلن عار الروم وذلهم . . أتقبلن أن يكون أولادكن عبيدا لأعدائكن . . فصحن جميعا فى صوت واحد قائلات: **لن نقبل هذا الذل وهذا العار يا بنت الأزور فصاحت بنت الأزور تقول:**

■■ يا بنات تبع وحمير احملن أعمدة الخيام لنهاجم بها رجال الروم فلعل الله ينصرنا فنستريح من هذا العار. . فصحن جميعا فى صوت واحد نحن طوع أمرك ياخولة . . . هيا بنا يابنات العرب . . واندفعن يضربن وبنت الأزور تتقدم الصفوف وهى تصيح قائلة:

■■ الموت أفضل من ذل الأسر وعاره، وبعد جولات كُتِبَ لهن السلامة وفرّ جند الأعداء هاربين، ولحقت خولة بجيش العرب وهى تقول لقومها: كنا فى موقف نختار فيه أحد أمرين: الموت مع الشرف والكرامة أو الحياة مع الذل والهوان . . فاخترنا الأول وقلنا:

■■ **«رُبَّ جرىء كتبت له السلامة . . ورُبَّ جبان لقى حتفه فى مكمنه».**

[٦] حرص الحاكم على متابعة أحوال الرعية والثأر لهم:

ومما أثر أيضا القصة التالية:

■■ ذهبت امرأة عربية لأحد أسواق عمورية فأخذت تساوم تاجرا روميا فى ثمن بضاعة، فشتمها ولطمها فصاحت فائلة «وامعتصماه» فسخر منها التاجر الرومى قائلا: ماذا يستطيع المعتصم أن يفعل لك - انتظريه حتى يأتى لك على فرسه ويأخذ بثأرك. . وشاهد هذا الحادث رجل عربى فطلب من هذا التاجر أن يعتذر لهذه السيدة فرفض فلم يجد بدا من رفع سيفه ولكن الروم أحاطوا به فأفلت التاجر من يده ورجع الرجل العربى عائدا إلى الخليفة المعتصم وأبلغه القصة، فغضب المعتصم ونهض من مقعده وقال:

■■ لبيك أيتها المرأة العربية لقد سمع المعتصم إغاثتك والويل للروم من أجلك، وقاد الخليفة المعتصم جيشه سائرا فى طريقه الى عمورية فتحصن أهلها خلف الأسوار وفى الحصون المنيعة، وأشاع المنجمون أن المعتصم لن ينجح فى فتح عمورية - فصاح الخليفة المعتصم قائلا: «لا أقبل أن يقول التاريخ إننى حاصرت عمورية وعجزت عن فتحها». . وجمع قواده واستطاع فتح عمورية وهو يقول:

كذب المنجمون. . كذب المنجمون . . . وأمر المعتصم أن تحضر أمامه المرأة التى استجارت به وطلبت نجدته - فجاءت فرحة تقول: «حفظك الله أيها الخليفة فخرا للعرب وعزا للاسلام» وأحضر الخليفة التاجر الرومى وجعله عبدا لهذه المرأة وكل ما يملكه هو ملك لها» فقالت المرأة:

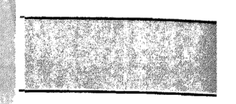
■■ اعز الله أمير المؤمنين: يكفينى أنك ثأرت لى. . هل تأذن لى أن أعفو عن هذا الرجل الجبان وأن أترك له ماله. . فاعجب الخليفة برأيها وحسن قولها - وقال:

«أنت جديرة بأن أحارب من أجلك . . أذنت لك بالعفو عن هذا الرجل ليعلم الروم أننا خصوم شرفاء نرفض الظلم. . وأننا نعفوا ونحن قادرون».

[٧] حلق المرأة رأسها إذا أصيبت فى كريم:

وكان التقليد الجاهلى فى الحزن أن المرأة إذا أصيب لها كريم حلقت رأسها. . ولبست صدارا من الشعر. . وأخذت تضرب رأسها بنعلين حتى تعقره. . وقد نعى عبد مناف بن ربع الهذلى على أختيه هذا الصنيع الذى لا جدوى منه ولفت نظرهما الى ما فيه من طيش وسفاهة فى شعر ذكره ناشر ديوان الخنساء (ص٦١، ص٦٢) قال عبد مناف:

ماذا يفيد ابنتى ربع عويلهما
لا ترقدان ولا يؤسى لمن رقدا
كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا
من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا
إذا تأوب نوح قامتا معه
ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا



تمسك العرب
بما ورثوه عن
آبائهم .. كالأنفة
والفخر .. والتفاخر
بالأحساب والأنساب

فالشاعر هنا يصور لنا هذا التقليد الجاهلى قائلا: إنه لا يفيد ابنتى ربع بكاؤهما على راحل لا يرده عويل ولا سهر. ويبكيان مُصْدرين صوتا ذا نفس طويل له نغم خاص وكأنه يخرج من مزمار. تستفزهما أى نائحة تنوح فتقومان آخذتين بنعل متجردة تظلان تضربان بها رأسيهما حتى تعقراهما.

[٨] لبس المرأة صدار من الشَّعر:

نقل ناشر ديوان الخنساء (ص١٠) صنيع معن السلمى مع الخنساء فقال: (وكانت الخنساء تلبس الصدار من الشّعر وهو ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر بلا كُمين غير مشقوق، تلبسه نساء العرب فى الحـزن) فحدثها معن السلمى فى طرحه فقالت: يا أحمق.. أنا أحسن منك غرسا.. وأطيب منك نفسا.. وأوسع منك فضلا).. ولئن كان هذا الخبر يبدو فيه الوضع ظاهرا إلا أنه يصور حدثا كان بينهما - فمعن طلب منها التحلل من هذا التقليد الجاهلى فى الحزن فعز عليها ان يطلب منها ذلك واستكبرت استكبارا جعلها تنهر هذا الرجل وتلفت نظره الى أنها لا تلبس الصدار لفقر أو لعدم قدرة وإنما إجلالا لنفسها الحزينة وتكريما لأبطال ذهبوا.

[٩] المبالغة فى معنى الإباء والعزة والشرف:

حب العربى لنفسه وعشيرته جعله يبالغ فى فهم معنى الشرف فالعصبية والأثرة الواضحة فى حياتهم أوجدت فيهم الحمية الجاهلية المشهورة عنهم، فكانوا يثورون لأتفه الأسباب.. فرب كلمة لا يريد قائلها بها شرا أو نظرة عابرة غير مقصودة لإحدى الفتيات تثير حربا شعواء لاعتقادهم أن شرف القبيلة قد مُسَّ وأن كرامتهم قد أهينت.

[١٠] لم يكن للحرية الاجتماعية عندهم وجود:

كان من أثر العصبية القبلية أن وجدت الحرية الشخصية دون الحرية الاجتماعية فشاعت الفوضى، وكانت الغلبة للقوة والبطش والسيادة والظلم ـ فالضعيف مهان والقوى مهاب.

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقى صولة المستأسد الحامى

زجر الطير وضرب الحصى وخط الرمل:

فالعرب كانوا إذا أرادوا فعل أمر أوتركه زجروا الطير حتى يطير. . فإن طار يمينا كان له حكم وإن طار شمالا كان له حكم. وإن طار من فوق رأسه كان له حكم ـ ومن ثم سميت الطيرة أخذا من الطير. . وأكثر ما عولوا عليه فى ذلك الغراب ثم تعدوه الى غيره من الحيوانات والجمادات من كسر أو صدع.

كما شاع فيهم طرق الحصى ببعضها عند السؤال. . فيدعى الطارق بذلك معرفة الجواب. . وكذلك خط الرمل. . وقد قيل فى الزجر والطرق شعر كثير منه قول حل بن عامر الهمدانى:

تخبرنـــى بالنجـاة القطـاة   وقـول الغـراب بهـا شاهد

إلا أن كثيرا من الشعراء أنكروا الزجر ولم يعترفوا به، قال لبيد:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانع

تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ ليشفى: يعللون ذلك بأن اللديغ إن نام سرى السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلى والجلاجل وأصواتها عن النوم ـ وكانوا يقولون عن اللديغ: السليم تفاؤلا بسلامته وشفائه ـ كما سموا البادية وهى المهلكة بالمفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة.

تعلق القبائل بأفرادها وتعلق الفرد بقبيلته: حيث وقف الفرد بجانب أخيه من قبيلته فى جميع الأحوال ظالما كان أو مظلوما ـ حتى جاء الاسلام وعرفهم كيف ينصرونه ظالما لأنهم كانوا يعرفون كيف ينصرونه مظلوماً حيث سأل بعض الصحابه رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقالوا: «عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟». . فقال لهم الرسول ﴿ﷺ﴾ منعه من ظلمه فإن ذلك نصرة له(١).

وبلغ التمسك بالعادات والتقاليد فى نفوس العرب حدا كبيرا، فنراهم يتمسكون بما ورثوه عن آبائهم كالانفة والفخر. . والتعالى بالأحساب والانساب. . والتغنى بالبطولة والشهامة. . وشن الغارات والعدد. . والخيل والابل والسلاح. . وإثارة الفزع فى نفوس الأعداء. . وأصالة الرأى وسداد القول وكمال العقل. . والمروءة والوفاء والمحبة والصفاء بين العشيرة وسد حاجة المحتاج منهم. . والصفح فيما بينهم. . وتضامنهم وبعدهم عن الفحش والصغار. . ورعاية الجار والمحافظة على شرفه وأمواله. . وتلبية النداء فى

غير ما توان أو تلكؤ. . كما تفاخروا بالفصاحة والبيان وجيد القول وروائع الشعر والغلبة فى المناقشة والجدال.

ومن هذه العادات ما مس نظام الأسرة مسا مباشرا فقد تفشت عادة تفضيل الذكر على الأنثى ـ وكان لهذه العادة جذورها فى المجتمعات البدوية إذ كان الاعتماد على الذكر فى القتال والسعى للرزق دون الانثى. وقد صور القرآن استقبالهم للأنثى فى قوله تعالى: **﴿وإذا بُشّر أحدُهم بالأنثى ظلّ وجهه مُسْوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به أيمسكه على هون أم يدُسّه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾** (سورة النحل آية ٥٧). . كما نعى عليهم قتل البنات خشية الفقر **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾** (سورة الاسراء آية ٣١).

ومن العادات السيئة أكل الميتة والدم ولحم الخنزير. . ولقد نزل القرآن بتحريمها **﴿إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحمَ الخنزير وما أهلّ لغير الله به﴾** (سورة النحل آية ١١٥).

ومن العادات أيضا الزنا وقد نهى الاسلام عن هذه العادة فى قوله **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾** (الأسراء آية ٣٢).

ومنها أيضا عادة الثأر حيث لا وجود للقانون العام الذى يحكم الناس: **﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾** (الاسراء آية ٣٣).

وكان من عاداتهم الربا. . وعدم ايفاء الكيل. . وأكل مال اليتيم. **﴿أوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** (الاسراء آية ٣٥). . **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾** (الاسراء آية ٣٤).

كانت المرأة تتجه الى الرجل طلبا للمتعة ـ وهذا الاقبال أخذ صورا متعددة. . منها ما هو مشروع مثل الزواج. . ومنها ما هو غير مشروع كالزنا. . فجاء الاسلام ونظم هذه الأساليب وأمر المرأة الا تجاهر بعرض مفاتنها على الرجال بغية شيوع الفاحشة **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾** (سورة الاحزاب ٣٣) **﴿غير متبرجات بزينة﴾** (سورة الاحزاب ٦٠). . وفى موضع ثالث يحض على الاحتشام فى قوله تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾**. .

فالمجتمع العربى مر بمراحل مختلفة عبر التاريخ وكل مرحلة من المراحل كان لها طابعها وكانت لها خصائصها التى تميزت بها تبعا للظروف التى مرت بها والحياة الأدبية هى مجمع فكرهم. . وتبيان سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم.



د. محمد أحمد حمدون

تأخـذ الصلة بين الأدب من ناحيـة . . والعادات والتقاليد من ناحية أخرى أحد مظهرين:

الأول: مظهر «الموضوع» وفيه تصبح العادات والتقاليد فى المجتمعات المختلفة «موضوعاً» للأدب فى تلك المجتمعات ـ ربما حث ذلك الأدب على استمرارها أو تعديلها أو رفضها سواء بصورة مباشرة أو بميزته الإيحائية.

اما المظهر الثانى: فتصبح فيه العادات والتقاليد «موروثاً» أدبيا أو «منظورا» نقديا يدخل معه الأدب «أثناء تطوره» فى حوار مستمر ـ أى أن تلك العادات والتقاليد تصبح «أدبية» فى ذاتها ومعبرة عن «معطيات» فنية استقرت عليها حركة الأدب فى مرحلة سابقة وتوارثتها مراحل تالية فى أطر تشجع على استمرارها أو تعديلها أو رفضها ـ مرة أخرى ـ بصورة مباشرة أو بميزة الأدب الإيحائية.



هذا فإن علاقة الأدب بالعادات والتقاليد ـ وكما نتوجه إليها فى هذه الدراسة ـ مرهونة بفاعليته مؤثرا حضاريا له قوة الابقاء أو التعديل أو التغيير لجوانب من الفكر والسلوك سواء أكانت تلك الجوانب من «المواضعات» الاجتماعية التى يتناولها ضمن «موضوعاته» أو من «الأطر» الفنية التى صارت عادات وتقاليد أدبية متوارثة .

المظهر الأول يتطابق مفهوم «العادات والتقاليد» مع «قيم وظواهر» سلوكية جمعية يشترك فى تناولها وتحليلها ـ مع الادباء ـ أنثروبولوجيون . . واجتماعيون . . ونفسيون . . وإن وقف أكثر هؤلاء عند حد الوصف المنهجى لها[1] دون أن يحاولوا توجيهها ـ استمرارا أو تعديلا أو رفضا ـ كما يفعل الأدباء . . وتتنوع هذه العادات والتقاليد وتتفاوت فى مظاهرها وقيمها حتى يصبح منها ما يصل إلى حد «المعتقد» ـ الشعبى بالذات ـ أو ما يُعد ركنا من ذاتية الجماعة تحاول أن تميز به نفسها عن سواها ـ أو ما يكون هامشياً فى حياتها سرعان ما تنساه أو تستبدل غيره به . .

والأدب العربى منذ أقدم عصوره المروية والمدونة يفيض بهذا المظهر من مظاهر العادات والتقاليد، فكان الشعر الجاهلى سجلا حافلا بها موضحا لمظاهرها وأشكالها مع أنه لم يأتنا منه «إلا أقله» على حد تعبير أبى عمرو بن العلاء[2] ـ ومن ثم استطاع الدارسون أن يتصوروا أكثر جوانب الحيـاة الجاهلية وما سادها من عادات وتقاليد لونت «معتقداتهم» وشكلت أفكارهم عن الحياة والأحياء والموت والأموات ـ بل ربما لا نبالغ إن قلنا إنها كانت المنطلق الأساسى لتصوراتهم الكونية فى مجملها . . كانوا «يشقون الرداء لتقوية الحب» ، و«تطأ المقلاة[3] دم الشريف» ليعيش ولدها و«عقروا الابل على قبور الموتى» تكريما لهم وإشهاراً . . وكان من عاداتهم «النسيىء» و«الزجر والعيافة» و«الرتّم»[4] و«تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ» ليشغله صلصالها عن النوم فلا يسرى السم فيه فيهلك . . و«ضربوا الثور لتشرب البقر» و«كووا السليم ليصح الأجرب» . . وتفانوا فى «الكرم» . . وتباهوا بمجالس «الخمر» و«الميسر» . . وكانت لهم فى ذلك كله عادات كما كانت لهم «تمائم من الجن والحسد» ـ بل إن عاداتهم وتقاليدهم التى صورها الشعر تمتد الى كل جوانب لهوهم وجدهم . . وصحوهم وسكرهم . . من «قرضهم الشعر» بوحى من شياطينه الى «أسفارهم» فى البوادى والوديان وتيههم بتضليل من «شياطين الجان» .

والمعروف أن هذه العادات والتقاليد الجاهلية إنما تم «توجيهها» ـ توكيدا أو تعديلا أو رفضا ـ من خلال تعاليم الاسلام وتنظيمه لشؤون العقيدة والفكر والحياة. ولكن المتأمل للبقايا الثابتة من الأدب الجـاهلى، شعره وأمثاله ـ على الخصوص ـ يدرك دور هذا الأدب الذى ربما عد «إرهاصا» للتوجيه الاسلامى لتلك العادات والتقاليد على اختلافها . . فإذا كان «الكرم» أحد الصفـات أو الأخـلاق العـربيـة التى صارت «عادة وتقليدا» لأسباب عاشوا بها فى «حلهم» و«ترحالهم» فإن أدبهم ما فتىء يشيد بهذه الصفة ويرسخ دعائمها فى المجتمع البادى والمتحضر على السـواء ليجعلهـا تقليـدا مرعيا عند العربى الكلف بحسن الأحدوثة وطيب الثناء يعد الخروج عليه خروجا على الجماعة وأعرافها[5] .

وصفا

حاتم الطائى يسن ـ بما يسمح به الشعر ـ قواعد العرف والتقليد فى هذه الخلة حتى صارت العرب ـ كما يقول الجاحظ «تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقى من حقوق القرى فقالوا: ومن تمام الضيافة: الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤاكلة»(٦) يقول حاتم:

سلى الجائعَ الغرثان يا أمَّ منـــذر إذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
هل ابسُـط وجهى أنـه أول القـرى وأبـذلُ معروفـى لـه دون منكر؟(٧)

● ويشير الى «ناره» التى يوقدها غلمانه لتهدى الضيفان فى الليل وأنه يأمر هؤلاء الغلمان بالتوسع فيها لتكبر وتعلو:

إذا ما البخيلُ الخبُّ أخمـد نارَهُ أقول لمن يصلى بنارى أوقدوا
توسَّعْ قليـلا أو يكُن ثـم حسْبنـا وموقدها البـادى أعـفُّ وأحمد

ولعل هذا الاهتمام بالنار وإيقادها . . والتفنن فى وضعها على المرتفعات أحيانا «لتكون أوضح وأبين» . . وفى مدها بعطر «المُندَل» الهندى الرطب ليتبخر فيهتدى اليها العميان ـ لعل هذا كله صار بمثابة العادات والتقاليد التى سوغت الكناية البلاغية الشهيرة: «كثير الرماد» حتى أصبحت تستخدم فيما بعد بصورة مستهلكة للدلالة على الكرم.

والمتتبع لشعر المدح والفخر فى العصر الجاهلى لا يخطىء دور هذا الشعر فى تأسيس مجموعة من «العادات والتقاليد» المرتبطة بهذه الصفة كتقديمهم «دهن سنام البعير» وهو أشهى وأنفس ما فيه، فيقول مضرس بن ربْعى:

وإنــى لأدعــو الـضَّـيـفَ بالــضـوء بعــدمـا
كســا الأرضَ نضّـاحُ الجـليـد وجـامِـدُه
لأكــرمَــهُ إن الــكــرامــةَ حقُّـــهُ
ومــثــلان عنــدى قربُــه وتـبــاعُـــدُه
أبـيــت أُعـشّـيــه «الـسـديـفَ» وإنـــى
بمــا نــال ـ حتـى يتـرك الحـىَّ ـ حامــدُه(٨)

●● ومنه قول ملحم بن فراس فى مرثيته لابنى المسجاح:

ومن فتىً يملأ الشيزى مُكلَّلة شحم «السديف» ندى الحمد مِطْعَامُ(٩)

●● كما ارتبطت بصفة الكرم عادة توسيع الجفان «وامتلائها» لأنها تدل على كثرة الآكلين . . وفى هذا يصور الأعشى جفنة المحلّق قائلا:

تروحُ على آل المحلّق جفنة كجابيةِ السيَّح العرقىّ تفهقُ(١٠)

■ فهى لاتساعها وامتلائها مثل الحوض الذى يُجبى فيه الماء ويكاد يفيض عن جانبيه. وربما أضيف الى امتلاء واتساع الجفان كثرتها حتى كان من بعض ظواهر النقد الأدبى الجاهلى أن عاب النابغة ـ أو الخنساء

ـ على حسان بن ثابت قوله:

لنا الجفنات الغُرُّ يلمعن بالضحى   وأسيافُنا يَقْطُرنَ من نجدة دما

إذ استعمل فى «الجفنات» جمع القلة والموقف يستدعى جمع الكثرة، فقال «جفنات» ولم يقل «جفانا». وسواء وافقنا بعض المحدثين من أن ذهن حسان لم يكن كذهن الخليل يفرق بين هذه الأشياء(١١) أم لم نوافق ستظل الدلالة الاجتماعية لتوسيع الجفان وكثرتها أمرا لا يقبل الجدل.

على أن أهم ما أسفر عنه «الكرم» ـ صفة عربية جاهلية ـ هو إرساء بعض التقاليد المنبثقة عن طبيعة الحياة العربية التى ترى الكرم «فى كل وقت» أمراً مرغوباً، ولكنه أكثر رغبة حين تكف السماء وتجدب الأرض إذ تدفع هذه الحالة النفوس الى الشح بما لديها.. ولهذا يعدد مالك بن حريم الهمدانى مناقبه فى الكرم، وهى أربعة تحدد ما يتصل بالكرم من مظاهر خاصة فى أوقات الشدة، يقول:

فواحدة: أن لا أبيتَ بغِرةٍ
إذا ما سوَامُ الحى حولى تضوعا
وثانية: أن لا أصمِّت كلبنا
إذا نزل الأضياف حرصاً لنودعا
وثالثة: ألا تُقذِّع جارتى
إذا كان جار القوم فيهم مُقذَّعا
ورابعة: أن لا أُحجِّل قدْرَنا
على لَحمِهَا حين الشتاء لنشبعا(١٢)

وإذا كان هذا الشاعر يؤكد فى منقبته الرابعة على أهمية الكرم شتاء حين تعظم الحاجة فإن العديد من الشعراء أكدوا هذا المعنى أيضا فكانوا يمدحون بالكرم حين تهب «رياح أبى عقيل» وهى عندهم مكروهة لبردها وذهابها بالغيم والحياة والخصب(١٣) كما يفخرون بالكرم فى «اليهماء» - أى الأرض التى لا يُهتدى فيها لطريق أو «السهماء» أى السنة الشديدة المُهْزِلة للأجسام(١٤).

وربما كان أبرز ما ارتبط بالكرم من أعراف وتقاليد هو جنوحه نحو التكافل الاجتماعى ليصبح تعبيراً عن حس إنسانى رهيف فى الاهتمام بالأرامل واليتامى والسائلين وذوى الأرحام. واللافت للنظر أن ارتباط هذا النوع من التقاليد والأعراف بالكرم يظهر أكثر ما يظهر فى المراثى. كما فى مرثية الخنساء الشهيرة لأخيها صخر(١٥) ـ ومثلها مرثية ابنة وثيمة لأبيها وثيمة بن عثمان وفيها تقول:

الواهبُ المالَ التِّلا   د ندىً ويكفينا العظيمه
ويكون مِدْرَهَنا إذا   نزلت مُجَلِّحَةُ عظيمه
واحْمرّ آفاق السما   ء ولم تقع فى الأرض ديمه

وتعـــذَّر الآكـال حتـــى	كـان أحمدهـا الوشيمـه
لا ثلـــة ترعــــى ولا	إبل ولا بقـــر مسيمـه
الفيتـــه مـــأوى الأرا	مـل والمدفَّعـــة اليتيمــة

«مدرهنا = المدافع عنا بلساننا، مجلِّحة = داهية، الهشيمة = ما تهشم من الشجر، الثلة =الضأن الكثيرة أو الضأن والمعز معاً»(١٦).

■ وهناك مراثٍ أخرى عديدة تظهر فيها هذه المعانى كمرثية أوس بن حجر فى رثاء فضالة بن كلدة وفيها يقول:

أبا دليجة من يوصى بأرملة أم من لأشعث ذى هدمين طملال؟(١٧)

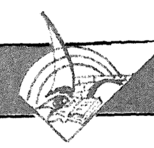
■ ومرثية ابن ربع الهذلى فى رثاء دُبيَّة السلمى وفيها يقول:

أعيـنُ ألا فابْكى رُقيْبـة إنـه وصولٌ لأرحام ومعطاء سائل(١٨)

■ وكلها تشير الى دور الشعر الجاهلى فى ترسيخ أعراف وقيم صارت من العادات بحيث لا تنفصل عن الذات العربية حين نحاول تحديد هويتها الحضارية فى ذلك العصر وهى قيم تؤكد قدرا كبيراً من الروح «الجمعى» الذى هيمن على الحضارة العربية والاسلامية فيما بعد، دون إلغاء للفرد وحاجاته ومسؤولياته.

وإذا كانت المعتقدات والتقاليد الشعبية والعادات جوهرية فى التكوين الأدبى لدى أى شعب من الشعوب فإن تقاليد الجاهلية ومعتقداتها الشعبية قد ظهرت بصفة واضحة على صفحات شعرها وأمثالها. ومع أن غالبية هذه المعتقدات والتقاليد لم تكن صحيحة فى أفكارها مائة فى المائة إلا أنها كانت مؤثرة بدرجة كبيرة على الفكر. ومن هنا كانت قيمتها ـ لا سيما بعد ظهور الاسلام وتصحيحه لمسار الفكر والعقيدة ـ فى قدرة الأدباء والنقاد على إعادة شرحها وتفسيرها بما يُمكِّن لها فى منظومة الفكر الجديد.. ولذلك كان أن أقر الفكر الاسلامى كثيرا من القيم المرتبطة بالكرم.. ورأينا الأصفهانى يعلق فى أغانيه على وصية قيس بن عاصم لبنيه أن «يحفظوا المال» بقوله: «والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً»(١٩).. وكان أن هدم الفكر الاسلامى كذلك كثيراً من القيم المرتبطة بالخرافة أو المعتقد الشعبى حتى أصبحت مجرد أخبار مروية عن العرب نادرا ما نجد لها صدى فى السلوك الاجتماعى فيما بعد. ومن ذلك مثلا عادة وطء المقلاة دم الشريف التى أشرنا اليها من قبل (هامش٣) والتى يذكر الدكتور أحمد محمد الحوفى أن مما يتصل بها «ما تفعله بعض النساء الجاهلات فى مصر من تخطيهن القتيل للبرء من العقم»(٢٠).

على أن من العادات والتقاليد ما لم يعد له أثر بالمرة فى الحياة أو الأدب بعد الاسلام وذلك كالنسيء الذى حرمه القرآن صراحة، حيث قال تعالى ﴿إنما النسيء زيادة فى الكفر﴾ (التوبة: ٣٧).. والمعنى فيه ـ كما يذكر القالى ـ «أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بنى كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة. فقال: أنا الذى لا أعاب ولا يرد لى قضاء.. فيقولون له: أنسئنا شهراً ـ أى أخِّر عنا حرمة المحرم فاجعلها فى صفر ـ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها.. فيحل لهم المحرم ويحرم عليهم صفراً.. فإذا كان فى السنة المقبلة حرم عليهم المحرم وأحل لهم صفرا..»(٢١) ومما سجله الشعر العربى



القديم فى هذه العادة:

ألسنا الناسئين على معدٍّ　　　شهور الحل نجعلها حراما؟

■ وقول الآخر:

نسئوا الشهورَ بها وكانوا أهلها　　　من قبلكم والعز لم يتحوَّل(٢٢)

(بها = بمكة)

والغريب أن بعض العادات والتقاليد التى صورها الشعر والمثل فى الحياة الجاهلية نجد لها نظائر فى ثقافات أخرى معاصرة.. فمثلا الرَّتْم - وكان من عادات العرب كما ذكرنا - يتراوح بين عدة معان منها: «عقد خيط فى غصن شجرة أو ساقها» دليلا على انتظار المرأة لزوجها الغائب وحفظها لغيبته فإذا جاء ووجده محلولا علم أنها خانته، وربما كان من معانيه «نبت معروف كان يعقده الرجل إذا سافر»، أو هو «الخيط المعقود فى الأصبع للتذكير»(٢٣). ولعل هذه المعانى جميعا متقاربة فيما يوحى بهذه العادة أو التقليد عند العرب كما يصورها الشعر وكما تنبىء عن هذا الحلف بين الرجل وزوجته إذا غاب عنها.. ولعلها أيضا أصل لعادة « الشريط الأصفر Yellow Ribbon التى ظهرت بوضوح فى الولايات المتحدة إبان حالة الرهائن الأمريكيين فى ايران فى مطلع الثمانينيات الحالية والتى يحتمل أن تكون قد انتقلت إلى الثقافة الغربية عامة أثناء احتكاكها بالثقافة العربية الاسلامية خلال العصور الوسطى والحروب الصليبية.

من أهم ملاحظاتنا على الشعر الجاهلى فيما يتصل بهذه العادة أنه بدا هادماً لها غير مقتنع بوجودها:

لا تحسبنَّ رتائماً عقَّدْتَها　　　تُنبيك عنها باليقين الصادق

■ وفى تقديرنا أنها أصبحت فى الفترة التى صورها لنا هذا الشعر أشبه بشعيرة بدائية فقدت سلطانها على النفوس، ولذا:

خانتهُ لما رأت شيباً بمفرقه　　　وغرَّه حلْفُها والعقْدُ للرَّتْم

■ وربما كان الأصح أنهم كانوا يخدعون أنفسهم ويعللونها بهذه الرتائم:

يعلّلُ عمرو بالرتائم قلبه　　　وفى الحىّ ظبىٌ قد أُحِلَّت محارمه(٢٤)

وهنا يمكن أن نقول وبناء على هذه الظاهرة - وإن كنا نعترف بضرورة تتبعها فى ظواهر أخرى - أن هذا الشعر كان يجنح الى إخراج العادات والتقاليد من دائرة الشعائر البدائية و«المعتقدات الشعبية» الى مجال التجريد العقائدى، ومن ثم حاول أن يحل «الوفاء» - قيمة ومثالا إنسانيا نبيلا - محل تلك العادة التى فقدت تأثيرها بسبب انتقالها العفوى(٢٥) من جيل الى جيل.

●● ونشير فى هذا الى قصة تصور وفاء زوجة عربية من بنى سليم تناقلتها المصادر عن الأصمعى: حدث رجل من بنى ضبة قال: ضلت لى إبل فخرجت فى طلبها حتى أتيت بلاد بنى سليم، فلما كنت فى بعض أجومها إذا جارية غشى بصرى إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك؟ إنى أراك مولها. قلت: إبل ضلت لى

فأنا فى طلبها. قالت فتحب أن أرشدك إلى من هى عنده؟ قلت: نعم. قالت: الذى أعطاكهن هو الذى أخذهن فإن شاء ردهن فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فأعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعل؟ قالت: كان والله، فدُعى فأجاب إلى ما منه خُلق ونعم البعل كان. قلت لها: فهل لك من بعل لا تُذم خلائقُه ولا تُخشى بوائقه؟ فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً وأنشأت:

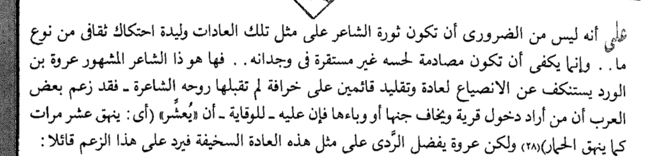
كُنّا كغُصْنَيْن من بانٍ غذاؤهما
ماء الجداول فى روضات جنات
فاجتثَّ صاحبها من جنب صاحبه
دهرٌ يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدنى إن خاننى زمنٌ
ألا يضاجع أنثى بعد موتاتى
وكنت عاهدته أيضا فعاجله
ريبُ المنون قريبا مذ سنينات
فاصرف عتابك عمَّن ليس يصرفه
عن الوفاء له خِلْبُ التحيات

قال: فانصرفت وتركتها(٢٦).

●● ومهما يكن من شأن هذه القصة فإنها تدل ـ إلى جانب نصوص أخرى مماثلة ـ على أن الوفاء ـ كالكرم ـ ربما بدأ يستقطب حوله مجموعة من العادات والتقاليد تحل محل الرتم ـ ولكن هذا فرض لا ندعيه حتى يثبت تماما.. والذى يمكن أن ندَّعيه هو أننا نجد بين الأدباء فى الجاهلية وفى كل عصر وجيل ـ من يقف من بعض العادات والتقاليد السائدة موقف الرافض لمذمومها الذى لا يسوغه عقل ولا تقره شرعة لينفيه تماما عن الحياة الاجتماعية أو ليحل محله عادات وتقاليد أخرى ذات قيم «جمعية» أو «فردية» ربما استمدها من احتكاك فكرى أو ثقافى جديد وربما اعتمد فيها على حسة الانسانى وذوقه الشعرى.

ويصور لنا الدكتور ناصر الدين الأسد كيف يعبر المقطع الشعرى التالى لخُزَز بن لوْذان السدوسى عن أن هذا الشاعر قد قرأ الكتب الدينية القديمة واشتق منها هذه المعانى التى يصورها.. وفيها ينكر ما كان الجاهليون يعتقدونه ـ فى زمانه ـ من «التشاؤم والتفاؤل بالسوانح والبوارح وعقد التمائم لدفع الغوائل.. ويقرر فيها أن الدهر قُلَّب لا يدوم له خير ولا يتصل له شر»(٢٧) يقول خزز:

لا يمنعنَّك من بُغا	ء الخير تَعْقادُ التمائمْ
ولقد غدوت وكنت لا	أغدو على واقٍ وحائمْ
فإذا الأشائم كالأيا	من والأيامنُ كالأشائم
وكذاك لا خيرٌ ولا	شرٌّ على أحد بدائم
قد خُطَّ ذلك فى الزُّبو	رِ الأوليات القدائم



على أنه ليس من الضرورى أن تكون ثورة الشاعر على مثل تلك العادات وليدة احتكاك ثقافى من نوع ما . . وإنما يكفى أن تكون مصادمة لحسه غير مستقرة فى وجدانه . . فها هو ذا الشاعر المشهور عروة بن الورد يستنكف عن الانصياع لعادة وتقليد قائمين على خرافة لم تقبلها روحه الشاعرة - فقد زعم بعض العرب أن من أراد دخول قرية ويخاف جنها أو وباءها فإن عليه - للوقاية - أن «يُعشِّر» (أى : ينهق عشر مرات كما ينهق الحمار)(٢٨) ولكن عروة يفضل الرَّدى على مثل هذه العادة السخيفة فيرد على هذا الزعم قائلا :

وقالوا احْبُ وانهقْ لا تضرك خيبــر ... وذلك من دين اليهــود ولوع

لعمرى لئن عشَّرتُ من خشية الردى ... نُهاق الحمير . . إننى لجزوع

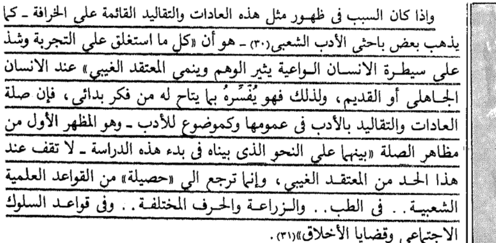
ولعله فى رفضه هذا لم يزد عن بيان موقفه من هذا المعتقد «السخيف» الذى ارتبط بأفكار غيبية عن الجن والشياطين لا يرى لها عروة مكاناً فى عقله وشرعته ومجتمعه الذى يريده أن يكون ، إن قلنا إن الشاعر بموقفه من العادات والتقاليد صانع مجتمعات . وهو يختلف فى ذلك عن شعراء آخرين مهدوا لإحلال «القضاء» - قيمة مجردة - محل تلك العادة حين ذهب بعضهم الى أنه :

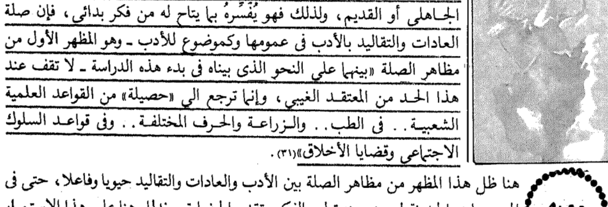
ولا ينفع التعشيرُ فى جنب جِرمةٍ ... ولا «دعدعٌ» يُغْنى ولا كعبُ أرنب

(جرمة = جزء من النخلة ؛ دعدع : كلمة تقال عند العثار)

وذهب آخر إلى :

ولا ينجيك من حمامٍ واقع ... كعْبٌ تعلقه ولا تعشيرُ(٢٩)





واذا كان السبب فى ظهور مثل هذه العادات والتقاليد القائمة على الخرافة - كما يذهب بعض باحثي الأدب الشعبى(٣٠) - هو أن «كل ما استغلق علي التجربة وشذ علي سيطرة الانسان الواعية يثير الوهم وينمي المعتقد الغيبي» عند الانسان الجاهلى أو القديم ، ولذلك فهو يُفَسِّرُهُ بما يتاح له من فكر بدائى ، فإن صلة العادات والتقاليد بالأدب فى عمومها وكموضوع للأدب - وهو المظهر الأول من مظاهر الصلة «بينهما علي النحو الذى بيناه فى بدء هذه الدراسة - لا تقف عند هذا الحد من المعتقد الغيبي ، وإنما ترجع الي «حصيلة» من القواعد العلمية الشعبية . . فى الطب . . والزراعة والحرف المختلفة . . وفى قواعد السلوك الاجتماعي وقضايا الأخلاق»(٣١) .

ومن هنا ظل هذا المظهر من مظاهر الصلة بين الأدب والعادات والتقاليد حيويا وفاعلا ، حتى فى المجتمعات الحديثة لم يمنع منه تطور الفكر وتقدم الحضارة . ونذلل هنا على هذا الاستمرار - متخطين كل المراحل التاريخية لتلك الصلة فى الأدب العربى - بقصة قنديل أم هاشم ليحى حقى ، وفيها - خلافاً لعروة بن الورد - «إسماعيل عشَّر» . إن إسماعيل - بطل القصة - لم يكن من «الجهلة»

الذين إذا دخلوا الأرض اليباب قالوا: «دستور كم يا أسيادى»[٣٢] اعتقادا منهم بملكية هذه الأرض للقوى الروحية» أو «شياطين الجان». انه عالم.. طبيب.. بل ودرس الطب فى أوربا.. وعاد متخصصا فى طب العيون ممتلئا علما وثقة بما علم، ورغبة فى أن يضىء بعلمه بعض جوانب الحياة المصرية المملوءة بالجهل والتقاليد.. أو بمعنى أصح: التى «أعمتها» بعض التقاليد ـ ومن هنا كان أستاذه قد مزح معه وهو عائد الى وطنه بقوله:

«إن وطنك بحاجة اليك فإنك ذاهب الى أرض العميان».

ولم يكن بالتأكيد أدل على هذا العمى ـ من وجهة نظر اسماعيل وبعد عودته من الدراسة على الأقل ـ مما كان يجرى حول ضريح السيدة زينب (أم هاشم): الذين يلتمسون «البركة» والباحثين عن «الشفاء».. والراغبات فى الانجاب. ومثلهم جميعا «عشر إسماعيل».

إن مأساة إسماعيل الحقيقية لم تكن فقط فى تلك التناقضات القائمة بين «ما تعلم» وما يفعلون من منطلق العادة والتقليد ـ ولكنها فوق ذلك فى إصرارهم على أن يغمضوا أعينهم ويصموا آذانهم عن كل ما يريد أن يعطى أو يقول لهم.. «أنيام هم»؟.. لقد تمنى لو أمسك باحدهم وهو يسير فى الشارع وهزه بعنف قائلا له: «استيقظ».. وحتى فاطمة النبوية التى ربما صارت زوجته ـ لو لم يسافر ـ وأمه.. كلاهما لا يثق بما أحضره معه من علوم الطب.. إن «الرمد» الذى أصاب عيون فاطمة لن يشفيه إلا «زيت مصباح أم هاشم».. وقفز إسماعيل غضباً «لا زيت أم هاشم.. ولا العفاريت».. ثم لم يعد قادراً على المقاومة.. شىء ما ـ فيما يفعلون ـ أقوى.. و«عشر إسماعيل» وكحل عيون فاطمة بزيت المصباح لتفقد بصرها الى الأبد[٣٣].

كيف استطاع عروة بن الورد ألا ينهق عشر مرات؟.. ونهق اسماعيل؟؟ إنه الشاعر.. بحسه ووجدانه ينفذ إلى عمق «العادة فيراها ببصيرة نفاذة قادرة على أن تميت تلك العادة أو تعدلها أو تبث فيها روح الاستمرار.. وهو فى كل ذلك يملك سلاحا لم يملكه اسماعيل الذى «قاوم» «العادة» بحقائق العلم ولقد ة؛ ثم «خضع» لها متخليا عن حقائق العلم المجردة.. وفى الحالتين أخطأ.. إن منظومة العادات والتقاليد خيطها «المعتقد».. وما كان عليه إلا أن يبحث فى هذا الخيط عن الطرف الصحيح بعد أن يحل المنظومة ليعيدها بدءاً من هذا الطرف.. إيمان بما هو أهم من «الدواء» ـ وحقائق العلم المجردة لا يمنع من إعطاء «الدواء» و«العلم» حقهما المطلق فى إحداث الأثر المطلوب؛ إيمان تدركه روح الشاعر. منظومة صعبة على «العالم» اسماعيل ولكن ما كان أيسرها على «الشاعر» عروة.

ولعل هذا القدر الذى أوردنا من صلة الأدب بالعادات والتقاليد حين تكون «موضوعا» له يلخص لنا هذه الصلة على النحو التالى:

[١] ربما اهتم الأدب باعتباره أداة فاعلة فى توجيه السلوك الاجتماعى والفردى (حتى فى أكثر مذاهبه بعداً عن «الخارجية» و«المباشرة»[٣٤]) بتطوير علاقة حوارية مع العادات والتقاليد رفضاً أو تعديلا أو تشجيعاً.



[٢] قد يملك الأديب فى هذه الصلة ـ وذلك بقدرته على التفاعل مع القيم والمجردات ـ ما لا يملكه العالم الذى يتناولها فى إطار «وصفى» يحللها، أو «معيارى» يحكم عليها.

[٣] يبدو أن أكثر مظاهر هذه الصلة حيوية هو ما يرتبط بمعتقدات غيبية مرفوضة تحاول الجماعة أن تتجاوزها فى مرحلة من مراحل تطورها الفكرى وازدياد وعيها بهويتها «الجمعية».

ونتنقل الى المظهر الثانى من مظاهر الصلة بين «الأدب» و«العادات والتقاليد» ـ أعنى حين تكون هذه الأخيرة أطرا أدبية فى جوهرها.. حين تكون «عادات وتقاليد» فنية اتخذها الأدباء والنقاد محاور فى تأسيس الانواع الأدبية ودراستها وتطويرها.

■ ولعل أول وأبرز هذه المظاهر بالنسبة للأدب العربى هو «المطلع الطللى» فى القصيدة الجاهلية. فما كاد يبدأ تنظير النقد الأدبى العربى على يد ابن سلام وابن قتيبة وابن رشيق وأمثالهم ـ بعد مرحلة من الروايات المتناثرة والأحكام الجزئية حتى وجدنا ما يشبه الاجماع عندهم على أن نمط القصيدة الجاهلية ـ وهو ما دعوا إلى ضرورة احتذائه عند المعاصرين لهم ـ يبدأ بالمطلع الأطلالى. فمُقصِّد القصيد فى رأيهم ـ كما يلخصه ابن رشيق ـ «إنما بدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها»(٣٥).. وذهبوا الى أبعد من ذلك فقرروا أن امرأ القيس (بن حجر الكندى) هو أول من استن هذه العادة الشعرية فوقف واستوقف.. وبكى واستبكى(٣٦)..

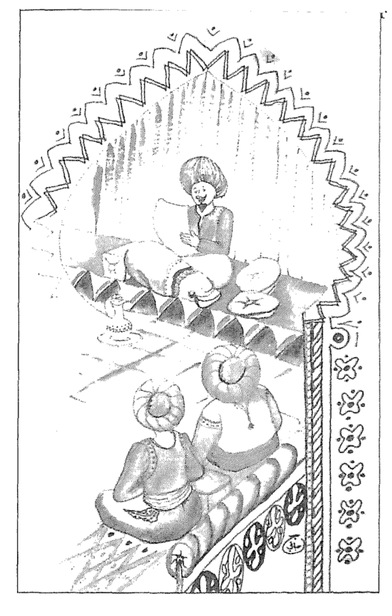
وهذه «الأولية التى زعمها ابن سلام الجمحى هى التى جاء ابن قتيبة وقررها فذكر أن من الأشياء التى ابتدعها امرؤ القيس وسار الشعراء من بعده على نهجه فيها «استيقاف صحبه فى الديار»(٣٧) وإن كنا نفهم من عرض ابن قتيبة أن المقصود هنا هو امرؤ القيس بن حارثة بن حمام الذى عناه امرؤ القيس (بن حجر الكندى» بقوله:

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكى الديار كما بكى ابن حذام(٣٨)

ولقد حاول الدكتور مصطفى عبد الواحد فى محاضرة له بعنوان «الوقوف على الأطلال عند شعراء المعلقات» أن يناقش ما تنطوى عليه هذه «الأولية» من زعمٍ أقصى ما نُسلِّم به حياله هو «أن امـرأ القيس أول شاعـر بلغنـا عنـه شعـر فى بكـاء الطلول.. لا أن يكـون هو مخترعـه ومبتدئه(٣٩).. وللدكتور الحوفى رأى لا يختلف عن هذا، فيقرر أن امرأ القيس قد حاكى من هو أقدم منه وهو ابن خذام أو حذام أو حمام، وهو «شاعر مجهول الشخصية يقول فيه ابن سلام: هو رجل من طىء لم يسمع شعره الذى بكى فيه»(٤٠).. أو لعل المهلهل (توفى ٥٣١م) هو الأسبق فى هذا المضمار من امرىء القيس (توفى ٥٤٨م)(٤١).

والحقيقـة أننا حين نرجع الى دواوين الشعر الجاهلى وما ثبت منه فى مختارات الأصمعى والمفضل الضبى وغيرها من المصادر الموثوقة(٤٢) لن نجد «المطلع الأطلالى» ضربة لازب فى القصيدة الجاهلية بل إن بعضها يخلو تماما من الشعر الأطلالى.. وبعضها يرد فيه المقطع الأطلالى فى غير مطالع القصائد.. وقد ذكر الدكتور مصطفى عبد

الشعر العربي يُعدُّ سجلاً حافلاً للعادات والتقاليد..



الواحد أن متابعته لديوان امرىء القيس الذى نسبت إليه هذه «الأولية» انتهت بعجب . . فقصائد الديوان تخلو من ذكر الأطلال «إلا فى بضع عشرة قصيدة» . . وتبتدى أكثر قصائده بغير الوقوف على الأطلال(٤٣)ونحن نؤكد بدورنا هذه الحقيقة من خلال متابعتنا لمختارات الأصمعى فأكثرها لا يذكر الأطلال ـ وبعض ما اشتمل على الأطلال يرد المقطع الأطلالى فيه خلال القصيدة وليس فى مطلعها(٤٤).

لكن القضية التى نحن بصددها هنا تتجاوز هذا كله . . إنها قضية «التقليد الأدبى» الذى ينشأ ربما «مجهول المصدر» ودائما غير معلل ليصبح إطارا فنيا يتبناه الناقد فيقيس به وعليه ـ طوعاً أو كرها ـ ما يستجد من إبداعات خلال التراث الأدبى الواحد حتى نجد ناقدا مثل ابن قتيبة «قد سنَّ فى مقدمة كتابه أنه لن يقدم متقدما لسبقه الزمنى ولن يؤخر متأخراً لتأخره(٤٥) . . نجده يقف من

هؤلاء المتأخرين موقف المقنن الصارم الذى يقول إنه ليس لأحدهم أن يقف على مصادر المياه والآبار وقد وقف القدماء على الدمن والدوارس بل وليس لأحدهم أن يرحل لممدوحه على بغل أو حصان وقد رحل الأقدمون على البعير.

إنها العادة والتقليد الأدبى اللذان يولدان فى بؤرة البحث عن نمط إذن هى التى جعلت المطلع الأطلالى للقصيدة قضية أدبية عباسية تستمر موضع حوار خلال التاريخ الأدبى العربى كله. فإذا كان قيس بن الخطيم الجاهلى ـ أو المخضرم(٤٦) ـ قد تساءل: لم لا يقفون حتى يسائل أطلاله:

رد الخليطَ الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا؟
لو وقفوا ساعة نسائلهم ريث يُضحِّى جماله السّلف(٤٧)

■ فإن أبا نواس ـ العباسى ـ قد تساءل: «لم يقفون؟»:

قل لمن يبكى على رسم درس . . . واقفا: ماضر لو كان جلس

ليس المهم إذن: من كان أول من قصد القصائد ووقف فى مطلعها على الأطلال.. وليس المهم أيضا أن تكون هناك تفسيرات لهذا «التقصيد» إن صح من أساسه. المهم أنه صار «تقليدا» يقف أمامه نقاد مرحلة التأليف النقدى العربى (من القرن الثالث الى السابع) موقف المقنن والمعاير الذى لا يستطيع منه فكاكا حتى صارت أركان «عمود الشعر» كما رأوها سبعاً منها التحام أجزاء النظم والتئامها(٤٨) حسب ما جرت به التقاليد التى لم تقبل بالوقوف على الأطلال بديلا(٤٩) حتى عند شاعر الحاضرة المأنوسة الى الحد الذى أضجر حافظ ابراهيم شاعر النيل المتوفى ١٩٣٢م فقال:

حملوك العناء من حب ليلى . . . وسليمى ووقفة الأطلال

وإذا كان قد أمكن تفسير قضية «المطلع الأطلالى» على أنها تقليد أدبى حاول أن يفرضه نقاد العصر العباسى على إبداعات مبدعيه فثاروا عليه ـ أوثار بعضهم ـ فإن كثيرا من قضايا الأدب، تقع فى هذه الدائرة دون أن نتنبه لها ـ فربما كان اتباع قافية موحدة فى القصيدة كلها تقليد من هذا النوع استمر ولفترة أطول من المطلع الأطلالى مهيمناً على بناء القصيدة. ويمكن تفسير استمرار هذا التقليد وسيطرته ـ وإن كان بلا شك راجعاً لطبيعة الشعر الموسيقية ـ بأن الشعراء نظروا إليه كتقليد يظل فى تحد مستمر مع «الابداع» فامرؤ القيس يصطفى من القوافى الكثيرة التى تجود بها قريحته طواعية ما يراه فى مكانة «الدر» المستجاد:

أذود القوافى عنى ذيا داً ذياد غلام جرىء جوادا
فلما كثرن وعنّيننى تخيرت منهن ستا جيادا
فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا(٥٠)

■ وهنا تصبح نقطة «القافية» ـ بعملية النقل الاستعارى ـ تعبيرا عن الشعر نفسه، تتحدى قدرة المبدعين وكأنها رصيد من التقاليد الراسخة تحملها فوق ظهورها النوق وأسراب المها والوحش وليست مجرد نمط موسيقى يلحق آخر الأبيات . . فيظل سويد بن كراع ـ وهو شاعر أموى ـ يلاحقها بالصيد والطرد :

أبيتُ بأبواب القوافى كأنما   أصادى بها سرباً من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرّس بعدما   يكون سُحيْرٌ أو بُعيْدُ فأهجعا
عواصِىَ إلا ما جعلتُ أمامها   عصا مربد تغشى نحوراً وأذرعا
أهبت بغير الآبدات فراجعت   طريقا أملَّتْهُ القصائد أجمعا(٥١)

■ ولكن المتنبى يأبى . . يأبى أن يصطفى القوافى . . يأبى أن يسر من أجلها . . فقط :

أنام ملء جفونى عن شواردها   ويسهر الخلق جراها ويختصم

■ انه الحوار بين «التقاليد» و«إبداع الفرد» ـ وكما وصفه ت. س. اليوت :

Tradition and the Individual Talent

هو الذى يجعل الموروث الأدبى لأمة من الأمم خطا موصولا من القيم الفنية فيه نقرأ حواراً مستمرا بين «المساطر» القياسية الموروثة وإبداعات الأدباء فى العصور المتوالية . . هو الذى تتحول فيه وتحولت ـ مصطلحات شعرية ـ «كمطالع القصيد» و«الوزن» و«القافية» «والانشاد» ـ وغير شعرية ـ كالتحبير والوشى والرقم . . بل وغير أدبية كالرمح والسيف والخيل والليل والبيداء ـ لتصبح تقاليد أدبية تناولها الأدباء فيما يشبه «السرق» و«الاختلاس» و«الاغارة» وما إليها . إنها «التقاليد ـ القصيدة» التى بالحوار الدائم ـ الواعى واللاواعى ـ معها صنعت وتصنع كل القصائد التالية، وحسب زهير بن أبى سلمى :

ما أرانا نقول إلا معاراً   أو معادا من لفظنا مكرورا

■ ولكنها الاعادة والتكرار انطلاقا من حل الصور المرتبطة بهذه التقاليد لاعادة بنائها من جديد . وذلك ما دفع بإليوت الى مهاجمة فكرة «الأصالة» الرومانسية وأن القصيدة تعبير عن شخصية الشاعر . . ان القصيدة تؤكد وجودها من خلال صلتها بطبقة من قصائد الشعراء الموتى(٥٢) ـ وكما ارتبط الشعر بتقاليد ارتبطت الأنواع الأدبية الأخرى : ألم نسمها «البتراء»؟ . . خطبة زياد بن أبيه . . فلقد كان أن استقر ذلك الجنس الأدبى (الخطابة) على قاعدة البدء بالتحميد والثناء على الله قبل الدخول فى الموضوع . . ولكن زياداً يكسر النمط ليحدث التأثير الفنى المطلوب(٥٣) . . ليقول ـ وإن يقل ـ إن غياب «التقليد» فى «لحظة إبداع» سوف يعطيه ـ وقد أعطاه بالفعل ـ فرصة الاستمرار الحوارى مع الموروث مما يحدث التحول من «العفوية» الى «القصد» فأصبحت الخطبة ـ خطبته ـ حدثا أدبيا متفردا من خلال بعض خصائص الخطبة الموروثة وتقاليدها التى لم يحل كسرها لحظة دون استمرارها فى كل اللحظات .

ولا نبالغ ـ فى النهاية ـ إذا قلنا : إن كل جنس أو نوع أدبى تتراكم تقاليده خلال العصور . . وفى إطار تزاحم التقاليد وتفاعلها وتصارعها تتحدد قيمة هذا الجنس وقدرته على الاستمرار والفاعلية التى يتميز بها العطاء الأدبى الى الحد الذى نزعم معه ونحن مطمئنون أن انتهاء جنس المقامة فى الأدب العربى الحديث إنما كان بسبب انبعاج

تقليـديْـه الـرئيسيين (الرواية والكدية) وصيرورته إلى تقاليد «القصة القصيرة» (حرارة الانفعال ومحاولة اكتشاف الذات)(٥٤) بدلا من أن يكون للمقامات جديدها الداخل مع قديمها فى حوار مع تقاليدها الموروثة .

◎◎◎

■ *فخلاصة القول فى صلة الأدب بالعادات والتقاليد حين تكون هذه الأخيرة «منظورا نقديا وإطارا فنيا» تتلخص فى :*

(١) إن مثل هذا النوع من العادات والتقاليد إنما يولد فى بؤرة البحث عن «نمط» أو «أنماط» ؛ ومثل العادات والتقاليد التى تكون موضوعا للأدب ليس من الضرورى أن يكون هذا النوع مبنيا على أفكار صحيحة مائة فى المائة كما يتأكد من موضوع الأطلال .

(٢) يعمد الدارسون غالباً الى استخدام هذا النوع من التقاليد «مساطر» يقيسون بها إبداع العصور التالية مما قد يؤدى الى ثورة للأدباء على تلك «المساطر» نفسها .

(٣) يبـدو هذا النـوع من التقـاليد ضروريا فى عملية نمو الأنواع الأدبية وتطورها «استمرارا» . . أو «تعديلا» . . أو «رفضا» . . كما هو الشأن فى صلة الأدب بالعادات والتقاليد التى هى موضوعه .

◎◎◎

وهكذا نستطيع أن نقول فى النهاية إن صلة الأدب بالعادات والتقاليد فى مظهريها السابقين حيوية وجوهرية فى طريقة فهمنا لعملية بناء وتشكيل المجتمع ، ثم إعادة بنائه وتشكيله المستمرين سواء على مستوى «السلوك» والفكر الموجه له أو على مستوى «الذوق الجمعى» والأنماط الفنية المشكّلة له .

الهوامش والمراجع

(١) انظر مثلا كتاب : النظم والعادات والتقاليد للدكتور على عبد الواحد وافى (، القاهرة ،) حيث يظهر عليه هذا التناول من وجهة نظر الاجتماعيين .

(٢) يذكر ابن سلام الجمحى فى طبقاته أن أبا عمرو قال : «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه . . وقد هلك من العرب من هلك . . فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره» (ص٢٣) . والعبارة بنفس المعنى فى أكثر المصادر الاخرى .

(٣) كان من معتقدات العرب الشعبية أن المقلاة (المرأة التى لا يعيش لها ولد) إذا وطئت دم الشريف بأن تخطته «سبع مرات» عاش ولدها . وقد صور الشعر هذه العادة فقال أحدهم :

تباشرت المقاليت حين قالوا : . . . ثوى عمرو بن مُرّة بالحُفر

وقال بشر بن أبى خازم ـ ولعله يشير الى بدء تهتك هذه العادة :

تظل مقاليت النساء يطأنه . . . يقلن : ألا يلقى على المرء مئزر؟

انظر أحمد محمد الحوفى : الحياة العربية من الشعر الجاهلى (دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٢م) . ص٤٩٨ .

(٤) النسىء : هو استقراض حرمة شهر لشهر آخر مكانه ، فربما أحلوا المحرم وحرموا صفر ، مثلا .

و«الزجر والعيافة» : اعتبار بأسماء الطير ومساقطها وأنوائها ، يبنون عليه تفاؤلهم وتشاؤمهم على نحو ما سنعرض قريبا .

والرتم : قيل نبت معروف كان يعقده الرجل إذا سافر ؛ وفيه معان أخرى سوف ترد .

(٥) ولذا كانت (التقليديه = Traditionalism) فى أبسط مفهوماتها قائمة على حب التقاليد والتعلق بها والقول بوجوب المحافظة عليها، لا لأن التقليديين يقيمون الدليل العقلى على ضرورتها بل لاعتقادهم أنها تعبير طبيعى عن حاجات المجتمع الضرورية ولعلمهم أن إصرار العقل على نقدها قد ينتج الشر والفساد. انظر جميل صليبا: المعجم الفلسفى (دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢) ج١، ص٢٢٨.

(٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى القاهرة، ط٤، ١٩٧٥م) ج١ ص١٠.

(٧) السابق، ص١٠ وفى بعض المصادر (الحماسة: ٢/٢٤٦ وشعراء النصرانية: ٩٢١) تنسب هذه الابيات لعروة بن الورد. انظر أحمد محمد الحوفى؛ السالف الذكر ص٣١١ هـ٤.

(٨) السابق ص٣١١ عن الحماسة: (٢/٣٠٢).

(٩) السابق، ج٢ ص٢٧٢.

(١٠) أبو على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى: الأمالى، مراجعة لجنة إحياء التراث العربى (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج٢ ص٢٩٦.

(١١) انظر مثلا الأستاذ محمد طه ابراهيم: تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى الى القرن الرابع الهجرى (دار الحكمة، بيروت، د. ت) ص١٩.

(١٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى: الأصمعيات، اختيار الاصمعى، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون (ديوان العرب، ٢، بيروت، لبنان، ط٥ د. ت) ص٦٤.

(١٣) أحمد محمد الحوفى: السالف الذكر، ص٣١٤.

(١٤) هذا المعنى الثانى ما ذكره المصدر السابق لبيت ابن أحمر العمرَّد:

وكم حلّها من تيِّحان سُمَيْدعَ مصاقى الندى ساقٍ (بسهاء) مطعم

وفى رواية البيان والتبيين للجاحظ ـ وقد استند إليها المصدر السابق(؟) ـ اللفظة (بهاء) وليست (سهاء).

(١٥) ومنها:

وإن صخراً لكافينا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتو لنحّارُ

(١٦) الجاحظ، السالف الذكر، ج١ ص١٨٣.

(١٧) السابق، ج١ ص١٨٠.

(١٨) السابق، ج١ ص ص٢١٢-٢١٣.

(١٩) أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى (ط ١٩٣٢ التقدم) ج١٢ ص١٢٠.

(٢٠) المرجع السالف الذكر: ص٤٩٨.

(٢١) القالى: المرجع السالف الذكر، ج١ ص٤.

(٢٢) السابق: نفس الجزء والصفحة.

(٢٣) انظر مادة «رتم» فى القاموس المحيط، وأساس البلاغة.

(٢٤) انظر لهذه النماذج: الحوفى، السالف الذكر، ص ص٥٠٩-٥١٠ والمراجع المشار اليها.

(٢٥) كان كونفيشيوس من أقدم من تنبهوا الى أن «التقاليد والعادات» تفقد تأثيرها بواسطة الانتقال العفوى Spontaneous من جيل الى جيل ـ ولذا نبه الى أهمية التقاليد المقصورة deliberate انظر:

Huston Smith: The Way of Deliberate Tradition The Ways of Religion, ed by R. Eastman Canfield Press, San Francisco, 1975) pp. 196-204.

(٢٦) يسند الدكتور الحوفى هذه القصة الى أخبار النساء لابن القيم الجوزية وعيون الاخبار (لابن قتيبة) (هـ١، ص٣٦٢، المرجع السالف الذكر) وفى البيت الثانى دلالة على «الدهرية» وهى عقيدة جاهلية، ولكن هذا يصاحبه ـ فى رأينا ـ مسحة صوفية طاغية على الجزء النثرى من الرواية يثير تساؤلاً ليس هنا موضعه حول تاريخية القصة.

(٢٧) الدكتور ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية (دار المعارف القاهرة ط٦، ١٩٨٢) ص١٢٣.

(٢٨) ذكر د/ الحوفى (السالف الذكر، ص٥٠٠) أن الألوسى زاد عبارة: «ثم علق عليه كعب أرنب». أى أن التعشير وتعليق كعب الأرنب معاً كانا يمثلان عوذة ورقية من الوباء والجن. والظريف أن «كعب الأرنب» فى التقاليد الشعبية الأمريكية المعاصرة يجلب حسن الحظ، ولعل ذلك أيضا راجع لصلات ثقافية عربية خلال العصور الوسطى.

(٢٩) شواهد التعشير الثلاثة من الحوفى السالف الذكر ص٥٠٠.

(٣٠) أحمد رشدى صالح : الأدب الشعبى (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧١م) (ص١٣٨)

(٣١) السابق ، ص١٢٣ .

(٣٢) هذه عبارة تترى فى الموروث الشعبى فى مصر على ألسنة بعض العامة حين يدخلون أماكن خربة أو مرهوبة؛ ولعلها وجه مُحَوَّر من وجوه «التعشير».

(٣٣) طبعت «قنديل أم هاشم» لأول مرة ضمن مجموعة قصصية ليحيى حقى تحمل عنوان هذه القصة عام ١٩٤٢ . ولقيت عناية كثير من الدارسين فترجمها د/ مصطفى بدوى الى الانجليزية بعنوان :

The Saints Lamp and Other Stories (Leiden E.J. Brill, 1973) مع مقدمة دراسية ضافية .

(٣٤) فلا يستبعد مثلا فى دراسة قصة مثل «المطلوب . . رأس الشاعر» لمحمد علوان (انظر د/ منصور الحازمى : فن القصة فى الأدب السعودى، دار العلوم، الرياض ١٤٠١هـ) وهى من أمثلة القصة النقيض التى تنتمى الى المدرسة النصية الداخلية، لا يستبعد استنباط توجهات نحو العادات والتقاليد : ما تعودناه من السير فى جنازة فرس النائب ونسيان جنازة الرجل المجهول . . بل ان نفس ما يثيره إسماعيل عند يحيى حقى حين يريد أن يصرخ فى إنسانه : «استيقظ» نحس به فى شاعر قرية الناعمة النائمة .

(٣٥) أبو على الحسن بن رشيق القيروانى : العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (١٩٣٤م) ج١ ص٢٢٦ .

(٣٦) محمد ابن سلام الجمحى : طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر (دار المعارف ، القاهرة) ج١ ص٥٥

(٣٧) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر (عيسى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٦٤م) ج١ ص٢٠ .

(٣٨) هذه رواية الديوان، وفى روايات أخرى : «ابن جمام» .

(٣٩) جامعة أم القرى؛ محاضرات الموسم الثقافى لكلية اللغة العربية ١٤٠٢/١٤٠٣هـ (١٩٨٢/١٩٨٣م) ص٤ .

(٤٠) د/ احمد محمد الحوفى : المرجع السالف الذكر، ص١٧٨ .

(٤١) السابق ، ص١٨١ .

(٤٢) أشار الدكتور شوقى ضيف فى حديث لصحيفة الشرق الأوسط (الأحد ٣/ ٦/ ١٤٠٧هـ) الى أن الأقدمين «أقاموا مراصد تتيح لهم أن يقبلوا من هذا الشعر ما يقبلون ويرفضون عن يقين وتثبت علمى قويم» .

(٤٣) د/ مصطفى عبد الواحد المرجع السالف الذكر ، ص ص٤-٥ .

(٤٤) انظر للأول ١، ٢، ٣، ٤، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩ . . الخ وللثانى ١١ (١٣-٢٠) و٢٥ (٢١-٢٣) و٦٥ (٢٤ الخ) و٧٦(٦-١١)،

(٤٥) يذهب نيكلسون الى أنه أول من أعلن ذلك . . انظر :

R.A. Nicholson ALiterary History of the Arabs (CUP 1962) P.286.

(٤٦) قيل إنه قدم مكة وسمع القرآن من الرسول ﴿ﷺ﴾ . . ولكنه طلب أن يؤجل عاما حين دعى الى الاسلام . . ومات قبل أن يحول الحول . . (الأصمعيات، ص١٩٦ هامش الترجمة) .

(٤٧) السابق ، نفس الصفحة .

(٤٨) لعمود الشعر و«المطلع الاطلالى» انظر د/ محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث (ط٣، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م) ص ص١٧٢-١٧٩ .

(٤٩) يذهب الدكتور محمد غنيمى هلال : السابق ص ص١٩٢-١٩٣ الى أن المتنبى بدأ بعض قصائده بوصف الخيل لا الابل، وأن بعض الشعراء ذكر رحلته على قدميه لا ناقته؛ وقد أيد بن رشيق هذا «لا سيما إذا كان المادح من سكان بلد الممدوح . . فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ» ويعلق الدكتور هلال على هذا بقوله : «وكان هذا إيذانا بالقضاء على مقدمة القصيدة التقليدية فى العصر الحديث لتكلفها واصطناعها ومجانبتها الحقيقة» ولا نوافقه على أن مجانبة «ظاهرة ما للحقيقة» تكفى فى استبعادها من التقاليد الأدبية . . وإنما الذى يميتها هو عدم قدرتها على تحريك مزيد من الابداع والدخول فى حوار مستمر معه .

(٥٠) ولعل الأبيات لامرىء قيس اخر من الجاهليين (غير بن حجر) ـ انظر الحوفى، السالف الذكر، ص١٧٥ .

(٥١) السابق ، ص١٧٦ .

(٥٢) H. Adams (ed.) : Critical Theory Since Plato, (HBJ, 1971) PP. 784-790

(٥٣) انظر خطبة زياد فى البيان والتبيين السالف الذكر (ج٢ ص٦١) وقارنها بالخطب الواردة فى نفس الجزء.

(٥٤) فى هذه القضية انظر : د/ شكرى محمد عياد : القصة القصيرة فى مصر، دراسة فى تأصيل فن أدبى (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٦٧/١٩٦٨م) ص ص٦٨-٩٩ .



هل تعد أمتنا بما تُجلّ من تقاليد وعادات أمة نمطية كأمة الرومان التى خلدت أنماطا من أبناء شعبها منهم الجندى المدعي الشجاعة.. والبخيل والخادم.. ومكّنت لهم فى أشعار لبلوتس وتيرنس.. وأورثتهم لأشياعها من أبناء النهضة من الفرنسيين حين نشط هؤلاء للتنقيب عن تراث ملائم لقوائم أوربا ترفع عليه قامتها بعد أن تجاوزها المسلمون ـ ثم طيرت بالعقل هذه الأنماط الهزلية الحرفية فى اضحاكيات لموليير.. بل فرضت خامات أصول لشبيهاتها فى جنس المأساة على الشعراء الفرنسيين كى تكون مواردهم التى ينطلقون منها ملزمين تعصمهم من تقمص أنماط أخرى كالمدهش المسيحى (مثلا) وتكلؤهم من المصادرة والانتقاد والبوار.

وهل لنا سمات نمطية فى التحدث والكتابة، مثل تلك التى يفرغ فيها الانجليزى أو الأمريكى مشيئته القولية ويوجه إليها نوازعه، والتى ربما أخرجته من الصرامة الى شىء من فكاهة أو دعابة، ومن حقل من حقول المعرفة الى آخر بعيد له استقلاله وشواغله من الفواعل والمكان والزمان، كما نجد أحيانا عند البعض من المتحدثين من أبناء هذين الجنسين عندما يفتحون لمداركهم ميادين بعيدة

أو وسيطة «لكنها مضيئة» من حقل الرياضة . . أو الهندسة أو الكيمياء . . أو غزو الفضاء . . أو البيسبول . . وهم بصدد تشريح قصيدة بما لا يسيغه الناقد العربى الذى يجب أن يظل فاتحا عينيه على كتب البلاغة متعلقا بأهداب اللفظ والمعنى أو النظم . . متحدثا الى تقاليد الكتابة فى القرطاس . . غير متكلم مع قرائه عن شواغلهم .

وهل لنا جملة شعرية أو نثرية نقدية تنتقد ذاتها فى أثناء الكتابة بجملة اعتراضية لها وسائل من الاحالة ، أو الالتفات للماضى ، أو الاستدراك بما أورثته أوربا الوسيطة لأوربا الآن ـ ولا أقصد أشباه الجمل شبه العربية المعترضة ، المرصوفة بين فاصلتين ، التى أكتب كثيرا منها الآن ، فهذه أمرها هين ويمكن تجاوزها للاتصال بالسياق اللفظى . كما لا أعنى الجمل المنصوصة فى شرطتين فهذه قد يعوض عنها ما بعدها ويشترط قصرها ، وهى تمتزج بالعين كما يمتزج الهدب بالسواد ، ويحدد قراءتها مكانها من الخطر ـ بل أومىء لتلك الشبكات الصائدة من التجاهلات والتداخلات مع شبكات سالفة من القول فى الكتابة الغربية التى يقال ان فضاء الورق أصبح هو الذى يحكمها بما لم يضع الكاتبون خطته من قبل .



لنا تلك الأمثلة الكثيرة التى لدى الهنود والفرس التى تتجاوز الأميال وتنوء بحملها الجمال ، التى تنوب عن وضح القول وقد تتنكر فيها أغراض وأغراض ، وتتخفى المرامى بما يشبه البنى المقفلة ، والتى تحددت لها نواة فى حوار قادسية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه حين عاد العرب الى الثغور وقد بُعث فيهم نبى كريم ليصلحوا ما فاتهم ولينتصروا فإذا صاروا على أبواب فارس وعلى مسمع منها وعلى بصر إذا هم فى حُمّيا وحماسة لم يُشهد لها نظير من قبل ـ وإذا هم مع حمياهم وحماستهم وحرارتهم يؤكدون لمتحدثى الفرس أنهم ندبوا وأميرهم سعد لأكل حبة تجود وتصلح فى تراب فارس . ويضرب الفرس مثلهم عن ثعلب يحكى أنه طمع فى بستان يكثر فيه العنب . . وأنه تمكن من أن يصبح فى داخله . . وأن ينال من عنبه . . لكنه أفرط فى المأكل بصورة لم يستطع بها أن يذهب الى الخارج كما صار فى الداخل والذى جاءه وأعجله هو صاحب البستان الذى حل لينظر فى أمره وليؤدبه . . فالبيان الفارسى المداور لا يتوافر للخطاب الرمزى العربى السهل مثلما لم يتوافر من بعد لزجل الفرس الذى أعقبه «يوم أرماث» عند ثغر القادسية إزاء رجز للعرب صريح انتسب به كل رجل الى أبرز أمجاد أبيه . . ولقبيله وقومه وعزوته من المسلمين . . وهو فى ذياك الطريق الذى سيصبح فيه قاتلا أو مقتولا . . إنها العادات والتقاليد فى القول والتحدث .

ويمكن أن نمثل لخطاب عرب القادسية ببيت لشاعرهم يقول :

ذهب الذين أحبهم   وبقيت مثل السيف فردا

■ والشاعر فى هذا البيت لن يعدو أن يكون فارس اليمن فى عصره ، وصاحب الصمصامة الشهيرة ، والغارات

الذائعة فى الجاهلية والاسلام، عمرو بن معدى كرب الزبيدى، وهو القائل أيضا:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

■ فالسيف هنا حجر الزاوية فى تشبيه عمرو حالة تفرده به، وهو ما بقى فرداً ـ مثل السيف ـ إلا لأن الذين غادروه كانوا مما فى كنانته سيوفاً.

■ وللعرب انشغال بالسيف وولوع به ومن ثم كان مدحهم مجرِّديه ومستلّيه وثيقا بهم وقابلا للاضافة والتحسين وغير محبذ للترك أو الاهمال أو الاضراب.

●● يقول المتنبى واصفاً فضائل شفرة سيف الدولة:

تبكى على الأنصلِ الغُمودُ إذا أنذره أنه يُجرِّدها

لعلمها أنها تصير دماً وأنه فى الرقاب يغمدها

لقد حقق الاستبدال الوظيفة القصوى التى ترجى له حين ناب السيف عما يتمناه علىٌّ الحمدانى فى باطنه من وجوب الخلاص من الرقاب المناوئة وجعل السيف غمودا لها، فالمعاداة المقررة بين الناس فى كوكبنا الردىء تكلف الناس من الهم ما يتمنون به أن يغنيهم عنه الجهاد المسخر للناس، ومنه الحديد والنحاس والرصاص، بما أن الناس ينبغى أن يظلوا ينزون من أبدانهم مفتوحى الأعين مفتولى السواعد فى دائرة من النفاد لقراءة ما يبطن غيرهم وما يظهرون.. وليدينوهم كما يدينونهم.. ويستعدوا لهم بالخصومة وبالفتيا وبالشكاسة كما يستعد لهم أولئك بالخصومة وبالفتيا وبالشكاسة.. وبالفجوة كما يصنعون لهم الفجوة.

ومن الخلل أن نظن أن المتنبى كان رائد بنائه فى صنع البيتين.. وأنه لم يركن الى لبنات من شعر من سلفه إذ المتنبى يتبع أعرافا وسننا ويحافظ عليها، فلقد أنشد ابن قتيبة البيت التالى ونسبه الى زبينا النصرانى:

وما انتضينا السيوف يوم وغى إلا وفى الهام نحن نغمدها

ومن دارسى التراث الشعرى العربى من جزم أن المتنبى سرق هذا البيت وأسس عليه بيتيه السالفين. ونرى أن حرص المتنبى على الاخلاد الى بناء يُعلى تقليداً من التقاليد الموقرة لدى العرب جعله يجاور البيت مجاورة.. ويجادله مجادلة.. ويأنس له دون أن ينسخ رسوم حروفه التى هى من قبل أصوات وشارات وشفرات تشير الى حقول مرجعية من آلة القتال وأعضاء المقاتل.. وتنم عن دلالة غير مطابقة بدقة لما أذاعه المتنبى من أبواق حروف تجمعت عن أصوات تختلف فى الكم والمدة عما احتازته تلك التى انبنى منها بيت زبينا.

بل إن من دارسى التراث الشعرى من ظنوا أن المتنبى سطا على بيتين آخرين للحمانىّ العلوى عن خيار السيف فى فرض السلطان مطلعها «وانا لتصبح اسيافنا».

وما يمكن أن يقال فى تبرئة المتنبى من تهمة الطواف الوافى والاصطياد من جراب من سبقه ما ذكرناه من قبل عن حتم الاخلاد الى طارفة سالفة يسوق جل جذورها الصوتية . . وما عده الدارسون سطوا هو بقانون آخر محافظة على السنن وكبح جماح الشرود التأليفى والتماس لأردية الآباء واستقبال أوديتهم القولية . . والبرهان على عدم فوت المتنبى جسور العادات والتقاليد الى بواكير من معايير تعزب عنها، إلحاحه على إسناد الفاعلية ذاتها للسيف مرارا . . وإحلال المقاتل فيه بما يصوره نواة تتجمع حولها كل الارادات والهتاف ـ فلا تترك عدوا بمنجاة منها فى تشظيها شذرات وذرات. ولنتأمل هذا البيت الذى أحسن المتنبى التطبع له وأنتجه متصلا بتصاريف السيوف.

إذا أضل الهمام مهجته يوما فأطرافهن تنشدها

■ فالسيوف هنا تقوى على الأجساد قوة أخطبوط متسود بعضلاته وأطرافه ـ وهى حرب على الأعداء وحدهم وصديق لأصحابها.

■ والمتنبى لم ينشىء هذا البيت إنشاء بل له فضل التحول اليه والشعور به ـ فالبيت مما يزعم متابعو الآثار الشعرية وجه آخر لبيت زعموا أن المتنبى استظهره وأساغه وينسب لمسلم.

يقول البيت:

فاتوا الردى وظبات البيض تنشدهم
وأنت نصب المنايا، غير منشود

■ ففى الحالين هناك سيف لوذعى يسأل عما فات الردى أن يتلقفه إذ سينشده ولن يخطىء سبيل نشدانه لأنه هو الموت الذى سيلاقى كل ذى عنق . . لكن بيت مسلم به استثناء ورخصة للممدوح إذ انه هو وحده غير المنشود من السيوف وهو المتنع منها وامتناع الممدوح من الموت واستثناؤه مما يقدر له من غا ئلة ذاع فى فن المديح وفى السيفيات نجده وطيدا فالمتنبى يسلك فيه سيف الدولة . . يقول:

أغركمو طول الجيوش وعرضها
علىّ شروب للجيوش أكول

والتقاليد التعبيرية حافظت على صيغ المدح وأسسه إلى أزمنة قريبة ـ ربما هى تلك التى شطبنا فيها أغراض الشعر العربى وفنونه ما خلا ذم الحياة وشكوى الزمان الذى دغمناه فى نقد الحياة المأثور عن (ماثيو أرنولد) وهو هذا الجديد الذى حمله الينا المتشاعرون من الغرب ممهورا بـ(اليوت) ومعقّباً عليه بالطرح المالارمى ومصطلحه التغييبى.

ومادة ما يمدح المرء من أجله حافظت علىأن يكون المديح للبذل والكرم والعطاء وعلىأن يكون الممدوح من العلية وذوى النفوذ والأيادى البيضاء والشهامة وإن تبدلت صورة الممدوح وتفاصيله فى بعض الأحيان

وذهبت الى الوطن أو الأمة بأسرها أو قل دائرة الاسْلام والمنحى الاسلامى أرساه بلا منازع (حسان بن ثابت).

قال شوقي في حب الوطن:

وطنى لو شُغِلْتُ بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

■ ثم قال:

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق، وكان العزاء فى أحزانه

●● على أن ربط السيف بالمعجزة فى يد المتشق «وهو التقليد العربى الذى أنيط به مدح الملوك القواد أمثال النعمان والمعتصم وسيف الدولة»ظل اصطلاحا تراثيا يفجر عمق العروبة وينبه كنوزها بما يضاعف من قامة السلاح العصرى ذاته إذا دعى هو سيفا وسمى به حتى لو لم يكن السيف متسقا مع حومات الحروب الحديثة ـ فالحومات قد لا تصلح أيضا للتعبير عن ساحة الحرب كما لا يصلح التعبير الانجليزى كذلك وهو حقل المعركة مع انطلاق الذرة من عقالها. . ووجود ضربة المباغتة الاولى ضد المدن الآهلة بالسكان. . وضربة الرد والاحباط. . والحراسة المدارية المشددة. . وحرب النجوم.

■ وشوقى الذى أوتى العلم فى مصر ثم انتقل إليه فى فرنسا ولمسه، وحدد منه خياره ـ وهو الخيار الجزل المعتصم باللياقة والتقاليد الحفيظة على البناء دون كسره أو الذهاب به الى تحت الحس أو فوقه بمفاتيح تنكير الوضوح، هو الذى تابع السيف مجازا وتقليدا واسماً لما يمكن أن يكون البندقية أو المدفع أو الرشاش مما أجازت صياغته اللفظية فى الشعر والقصة دعوى الواقعية بعد إفلاسها فى حقول إنابة الأديب وندبه للتعبير عما ليس له اسم فى قاموس العرب، وتجويزها الازدواج بين العامية والفصحى ثم العامية لسان حال وخطاب.

●● يقول فى مقدمة قصيدة سياسية وهو يستحضر طرائف الاقدمين فى التوطئة لموضوعه بالغزل البدوى:

اثنِ عنان القلب واسلم به
من ربربٍ الرمل، ومن سربه
ومِنْ تثنى الغيد عن بانه
مرتجة الأرداف عن كثبه
ظباؤها المنكسرات الظبا
يغلبن ذا اللب على لبه



■ فالظبا التى هى فى البيت الثالث بعث للبُنى الوثيقة وامساك بها ربما عن قصد وعن عمد، وعن عنف بحاسدين ربما سيأخذون إجادته على أنها صدور عن مفهوم الخيال وحده دون الصواب العلمى والقراءة فى الموضوع الذى يريد أن يكتب فيه. وإن من هؤلاء الحسدة من زعم بأن الفصحى نقيق الضفادع بنحوها وألح على الاشتقاق الذى نرى مسوخا منه الآن لا نستطيع ملاحقتها ونحس معها أنها هى النقيق بعينه وليست أصول اللغة.

ونجد شوقى فى حافظ ابراهيم.. إذ غردا على فنن واحد هو فنن العادات والتقاليد العربية وان اختلفا فى تركيبها وتوجيهها اصواتا وجملا ذات دلالات ـ فها هو حافظ يلاحق ربات الجسارة من بنات اليابان بقصيدة لا يعزب عنها السيف متحدة بلسان إحدى الفتيات.

لا تلُمْ كفى إذا السيف نبا
صح منى العزم والدهر أبى
أنا يابانية لا أنثنى
عن مرادى أو أذوق العطبا
أنا إن لم أحسن الرمى ولم
تستطع كفاى تقليب الظبا
أخدم المرضى وأرعى حقهم
وأواسى فى الوغى من نُكِبَا

أي ظبا تلك التى ستقلبها كفا الفتاة اليابانية؟ انها السيوف العربية التى تعيش فى رأس حافظ ـ كما هى ـ دون أن تجردها الفتاة اليابانية وهل كانت حربنا لشذاذ الآفاق فى (فلسطين) زمان النكبة طلوعا بالسيف وتصدية به حتى يقول على محمود طه الذى لا يبعد كثيرا عن مدرسة شوقى التراثية الاحيائية.

أخى جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون العروبة
مجد الأبوة والسؤددا؟
وليسوا بغير صليل السيوف
يجيبون صوتا لنا أو صدى

عبدالله بن محمد بن خميس

موقف الشعر من الموروث الشعبي

السعودية

يعتبر الشعر - خصوصا الجاهلى منه - مستودعاً هاما من أعظم المستودعات التى تضم جملة كبيرة من الموروثات العربية ومن أهمها اللغة العربية بجميع مفرداتها ومصطلحاتها وعلومها وآدابها . . فمنه دونت المعجمات اللغوية وأُمهات كتب اللغة . . فيندر أن توجد مفردة أو مصطلح أو فن من فنون اللغة العربية وتقسيماتها لا يوجد له أصل فى الشعر العربى. وإذا أردنا أن نستعرض الموروثات الشعبية من أسماء ومن أمثال ومن حِكَم ومن آلات وما بقى متداولا أو غير متداول وجدناه كله قد تحدث عنه الشعر وبيّن حقائقه.

فهذا هو امرؤ القيس بن حجر يتحدث لنا فى معلقته عن (الأساريع) وعن (المساويك). فأما (الأساريع) فهى مالم نجده متداولا بيننا الآن ولكن الشعر قد أبقاه . . وهو جمع أسروع - حشرة حمراء شديدة الحمرة تخرج فى الربيع وتوجد بين تضاعيف العشب وتُشَبَّه بها أصابع العذارى لشدة حمرتها ونعومتها . . وأما (المساويك) فهى جمع مسواك وهى معروفة بيننا الآن . . وما يستجاد منها هو الأحمر الناعم - وتشبه به أصابع العذارى أيضا لنعومته ورخصه . . وكل من (الأساريع) و (المساويك) له أمكنة مشهورة ومعروفة.



فـ (**الأساريع**) ما كان فى منطقة (ظبى). . و(**المساويك**) ما كان فى منطقة (اسحل) ـ وكلاهما له أمكنة معروفة جيدة بنبت الأراك (الاسحل). . ومشهورة بجودة (الأساريع) يقول امرؤ القيس:

وتعطو بَرخص غير شَثْنٍ كأنه
أساريع ظبى أو مساويك إسحل

ويقول امرؤ القيس فى وصفه لجوادٍ من معلقته أيضا فى أبيات أسهب فيها فى ذكر هذا الجواد حتى وصفه بالخذروف وهو ما نسميه فى اصطلاحاتنا (الوشاشة) وهى عبارة عن لعبة خفيفة من الخشب مخروقة فى وسطها خرقين يدخل فيها خيط بما يمكن أن يكون نصف متر مزدوج فيمره الصبى حتى يشتد دورانه بها لا يكاد يميزه الرائى فهو يشبه عدو هذا الحصان بالخذروف (الوشاشة) إذا اشتد إمرارها ـ وهذه اللعبة قد لا تسمى بهذا الاسم فى الوقت الحاضر وإنما تسمى بالوشاشه عند بعضهم وربما يكون لها أسماء غير ذلك.

يقول امرؤ القيس:

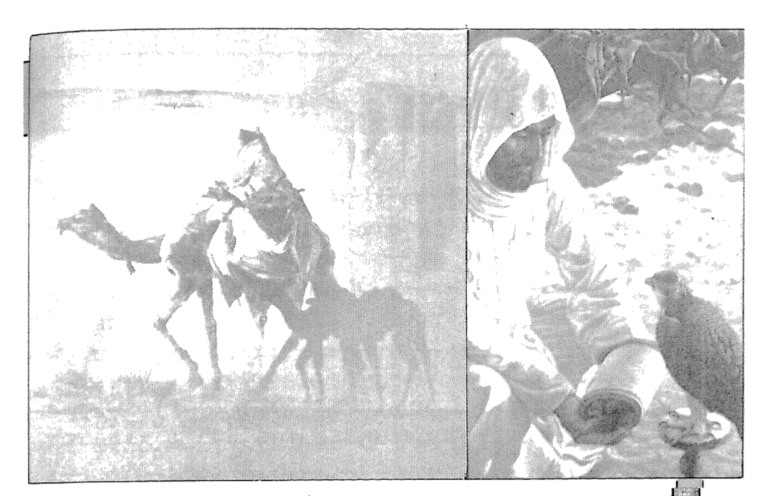
درير كخذروف الوليد أمرَّهْ
تتابع كفيه بخيط موصَّلِ

ويقول امرؤ القيس أيضا يصف غيثاً بأنه عظيم وخطير حتى أنك لا تكاد ترى رؤوس الجبال فى وسط هذا الغيث إلا كفلكة المغزل ـ والمغزل هو آلة الغزل عند النساء له رأس معترض فوق العصا التى تحمله وهذا الرأس فيه ما يشبه السنارة يلوى عليها خيط الغزل ويدار المغزل بواسطتها. وهذه الفلكة هى ما شبه به امرؤ القيس رأس الجبل الباقى مما غمره السيل يقول:

كأن ذرا رأس المجيمر غدوة
من السيل والغثاء فلكة مغزل

أما زهير بن أبى سلمى فيصف الدِّمَن الخوالى. . ويصف ما فى هذه الدمن من آثار كأنها مراجيع الوشم فى نواشر المعصم. . وما يدرج بها من الظباء والآرام وأولادهن ينهضن منها يمنة ويسرة.

ويصف أثافيها السفع والنؤى لدرءالسيل كأن هذا النؤى جذم الحوض. . فهو يصف هذا النؤى فى ارتفاعه وعدم تثلمه كأنه جذم الحوض والحوض هنا ما يتخذ من جلد يركب على عصى محنية. . ويفرغ فيه الماء لسقى الابل يقول:



أثافى سفعا فى مُعرَّس مرجل
ونؤى كجذم الحوض لم يتثلم

■ ويقول زهير بن أبى سلمى ذاكرا عطر منشم وهى امرأة تبيع العطر وتبيع الكافور الذى يوضع على الأموات.. ومنشم هذه مشهورة عند العرب وهومشهور ومعروف عند العرب ايضا ـ يوضع فى مراق لحم الميت حتى الآن قال زهير:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

■ والرماح معروفة بأعاليها وأسافلها فالعوالى هى الحراب.. والأسافل هى الزِجاج بالكسر ـ وهذا معروف لدى كثير من الناس حتى الآن.. يقول زهير:

ومن يعص أطراف الزِّجاج فإنه
يطيع العوالى ركبت كل لهذم

■ ومن شأن ذباب الربيع أن يكون له زنين حينما يطير على العشب وهو يأخذ فى حك ذراعيه بعضهما كأنه مكب على زناد أجذم ليولع به النار ـ وهى صورة شعرية غريبة صورها عنترة العبسى فى بيتيه بوصف الربيع قال:

وخلا الذباب بها فليس ببارح
غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الأجذم

■ فهو بهذه الصورة يصف الذباب ويصف زنينه وهو يحك ذراعيه كأنه قادح زناد أجذم

والعظلم شجر أحمر يصبغ به العذارى أيديهن ووجوههن وأرجلهن وينقشن به كالحلى وما أراه مستعملاً الآن فهو قديماً مما يستعمله النساء فى اغراضهن يقول عنتر:

عهدى به مد النهار كأنما
خضب البنان ورأسه بالعظلم

■ وأشطان البئر هى أرشيتها تتحرك عند السنى واقبال الدواب وإدبارها، شبه عنترة هذا المنظر بتخالف الارماح فى القتال يقول:

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم

■ والشطن واحد الأشطان وهى مجموعة غروب السوانى لا تزال معروفة عند الفلاحين.

■ والأخذ باليمين فى الشرب والأكل وما إلى ذلك من شأن العرب فهى عادة متبعة عندهم منذ العصر الجاهلى حتى اليوم تعرض لهذا كثير من الشعراء ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبى قال:

صددت الكأس عنا أمَّ عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا

والحق بضم الحاء إناء خشبى مخضب فى حجم اليد تتخذه المرأة لزينتها وعطرها وذرورها.. شبه عمرو بن كلثوم ثدى المرأه بهذا الحق وهو موجود حتى الآن قال عمرو بن كلثوم:

وثدى مثل حُقِّ العاج رخصا
حَصَانٌ من أكف اللامسينا

والمخراق جمعه مخاريق وهى نوع من العصى يلعب بها الشبان ولا أدرى هل هى موجودة حتى الآن أم لا؟.
وإنما تصور هذه اللعبة وقع السيوف أثناء الحرب ويقول عمرو بن كلثوم:

كأن سيوفنا فينا وفيهم
مخاريق بأيدى لاعبينا

وهكذا نجد الشعر العربى خصوصا الجاهلى غنى بالمورثات الشعبية وبالأوصاف والألعاب وما إلى ذلك مما هو باق بين ظهر انينا الآن وما ليس بباق.

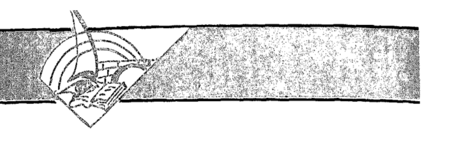
د. على على صبح



قال عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه:
«علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق»

كانت التقاليد فى المجتمع القبلى هى النمط العرفى، تولد من خلال ممارسات العرب فى العصر الجاهلى للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية والحربية وأصبحت فى حياتهم كاللائحة الدستورية التى يحتكم ويتحاكم إليها كل فرد فى القبيلة ويخضع لأصولها الجميع، فللزواج والأفراح عندهم أعراف وتقاليد.. وللأحزان والرثاء أعراف وتقاليد.. وللهزائم والانتصارات أعراف وتقاليد.. وللثأر والديّة أعراف وتقاليد.. وهكذا فى كل ما يتصل بالحياة القبلية فى العصر الجاهلى.

وحين خرج امرؤ القيس على أعراف وتقاليد قبيلته أهدر دمه أبوه رئيس القبيلة، وظل الشاعر هائما على وجهه ولم يعد إليها إلا ليأخذ بثأر أبيه وقال قولته المشهورة: (اليوم خمر وغداً أمر) وكذلك حين خرج بعض الشعراء فى العصر الجاهلى على قبائلهم وتمردوا على أعراف



مجتمعهم وتقاليده ـ فشنوا عدوانهم على النظام القبلى وتقاليده فسلخهم المجتمع من سلطانه وأهدر دمهم، وخلعهم من سياج الأعراف والتقاليد، وأطلق عليهم : «الصعاليك» ليكون لهم بعد شعار التمرد والخروج.



والصعلكة فى معاجم اللغة العربية كالشأن فى كل لفظ عربى لها معان كثيرة تدور حولها، ليتجاوب اللفظ فى حيوية وتطور ونمو مع شتى الجوانب العملية والنظرية فى الحياة، وإلا أصبح اللفظ قاصراً لا يتسع لألوان الحضارة والرقى ولهذا كانت اللغة العربية أغنى وأعزز لغات العالم، فأصبحت جديرة منذ عصر البعثة المحمدية بالاعجاز القرآنى العظيم.

فالصعلكة وردت بمعنى : (الفقر) وصعلكه (أفقره) ـ والصعلوك : (الفقير)، فعروة الصعاليك هو شاعرهم عروة بن الورد، لأنه كان يقتسم مع الفقراء غنيمته. وتكون أيضا بمعنى (التجرد) قالوا تصعلكت الابل فى الربيع أى تجردت من وبرها. قال الأصمعى : (دققن وطار عفاؤها عنها) كما فى قول أبى دؤاد يصف خيلا :

«قد تصعلكن فى الربيع وقرع جلد الفرائض الأقدام»

والصعلوك أيضا هو الفقير الذى يعتمد على نفسه وليس عالة على غيره فلا يخضع لذل المسألة.

قال الأزهرى: الصعلوك (الفقير الذى لا مال له ولا اعتماد).

قال حاتم :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... فكـلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وقال بكر النطاح أحد الصعاليك :

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

■ والصعلوك كذلك (اللص) يسرق من الناس كالذ ئب.

قال ابن منظور: «يقال لصعاليك العرب ولصوصها ذؤبان لأنهم كالذئاب. . وذؤبان العرب لصوصهم الذين يتلصصون ويتصعلكون».

وقد يطلق على الصعلوك (الفاتك. . والشيطان. . والشاطر. . والخليع). . وهى الفاظ يشترك فيها الصعلوك وغيره فالفاتك هو الشجاع المغتال المعتد بنفسه، والخليع : من تخلى عنه قومه وتبرأوا منه فهو مخلوع عنهم لا يُآخذون بجناياته وبذلك يخرج عن تقاليد العرب وأعرافهم، فقد وصف الصعلوك بالخليع مثل صخر الغى الهذلى. . وأبى الطحان القينى، ، وقيس ابن منقذ الحدادية. . والأحيمر السعدى وغيرهم(١)، وكذلك الأمر فى معانى : شيطان وشاطر وفاتك وذئب وكلها روافد للصعلوك ـ وهى فى ذاتها ومسمياتها تحجب سميها عن الإسار القبلى وتخرجه من أفراد القبيلة لتمرده على أعرافهم وتقاليدهم فهو لا يرجع إليها ولا الى قومه ولا يستشيرهم، بل يرجع الى نفسه وذاته.

يقول أحدهم وهو سعد بن ناشب:

أخى غمرات لا يريد على الذى
يهم به من مفظع الأمر صاحبا
إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه
ولم يرض إلا قائم السيف جانبا(٢)

ومن مسميات هذه المعانى اللغوية ـ وهى خارجة عن الأعراف والتقاليد فى الواقع العملى الجاهلى ـ انتهى إليها المعنى الأدبى لمضمون الصعلكة، فالشاعر عروة بن الورد لا يرضى عن الصعلوك المستكين الذى لا يتخذ الاغارة والغزو سبيله فى الحصول على المال معتزا بنفسه يرهب الآخرين بشجاعته وبأسه وعدوانه يقول:

لحى اللهُ صعلوكاً إذا جنَّ ليلُه
مضى فى المشاش آلفا كل مجزر
يعد الفتى من دهره كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسر
قليل التماس المال إلا لنفسه
إذا هو أضحى كالعريش المجود
ينام عشاء ثم يصبح قاعداً
يحث الحصى عن جنبه المتعفر
ولله صعلوك صفيحة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهر
فذاك إن يلق المنية يلقها
حميداً وإن يستغن يوما فأجدر(٣)

ومن خلال الروافد السابقة التى أخرجت الصعلوك عن التقاليد اتخذ الباحثون منها المفهوم الأدبى من خلال نظرته، فقال بعضهم: الصعلكة هى الغزو والاغارة للسلب والنهب.. وقال البعض: هى الاحتراف العدوانى للغنيمة وقال آخرون: هى الخروج على العرف العربى والثورة على المجتمع القبلى بالتمرد والاغارة والفتك والاعتداء للانتقام من الأغنياء وإنصاف الفقراء(٤) وغيرها.

يقول الشنفرى ثائراً ومتمرداً:

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميل
وفى الأرضْ منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما فى الأرض ضيق على امرىء
سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولى دونكم أهلون سِيْدٌ عملَّس
وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الرهط لا مستودع السر شائع
لديهم ولا الجانى بما جر يخذل
وإنى كفانى من ليس جازياً
بحُسْنى ولا فى قربه مُتَعَلَّل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع
وأبيض إصليت وصفراء عيطل(٥)

فالصعلوك متمرد على المجتمع لا يخضع لسلطان ولا يأتمر بأمر بل يغير على القبائل ويتحدى سلطان القبيلة فلا يهاب أحداً ولا يخشى قتالا - بل هو جرىء جسور يعلن تمرده صراحة . . غير مقيد بقوم ولا حى فهو طليق تتسع له الأرض والبوادى وطناً له . .

لا يستقر فى مكان ولا ترهبه سطوة

يقول مالك بن الريب متمرداً على آل مروان والحجاج الثقفى :

وان تنصفونا يآل مروان نقترب
إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فإن لنا عنكم مراحاً ومرحلا
بعيس الى ريح الفلاة صوادى
ففى الأرض عن دار المذلة مذهب
وكل بلاد أوطنت كبلادى
فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده
إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف
كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذلة
يراوح صبيان القرى ويغادى(٦)



دوافع التمرد على التقاليد

تتجاوز النفس فطرتها المستقيمة فتميل الى الظلم وتجد المتعة فى الاعتداء على الآخرين والاغارة عليهم، وهذا نوع من الشذوذ الذى يتجاوز فيه الانسان أعراف المجتمع وتقاليده فهناك من سادة القبائل - وهم من غير الصعاليك - كانـوا يجدون فى الظلم والاعتداء على الآخرين مجالا للفخر والاعتزاز والشجاعة والاقدام مثل عمرو بن معد يكـرب . . ودريـد بن الصمـة . . وعـامـر بن الطفيل - وغيرهم . . وكذلك تجد الخروج والتمرد عند الصعاليك لإحساسهم بالظلم الواقع عليهم من الزعامات والأغنياء، فلا يجدون غضاضة فى الانتقام لأنفسهم بإيقاع الظلم على من حرموهم من حقوقهم بل كانوا يفتخرون بذلك ويتعالون به على الأنداد.

يقول شاعر الصعاليك:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ويرجع التمرد حينا الى الشعور بالغربة بين أفراد القبيلة والسيادة فيهم لأسباب ترجع الى ألوانهم أو إلى أنسابهم فهم أبناء عبيدهم فيترفعون عنهم لأسباب خارجة عن إرادتهم ومنهم أغربة العرب، فكم شقى عنترة بن شداد بنسبه وسواد لونه حتى تمرد على القبيلة معتدا بشجاعته وبسالته وتميزه بالقيادة بينها - وكذلك السليك بن السلكة وخفاف بن ندبة وغيرهم.

وأحيانا يكون الأسر سببا فى التمرد والعصيان على قومه لأنه يرى من شجاعته وبسالته ما يفوق أفرادها فيضنون عليه بهذا الشرف بينهم وهو جدير به بل يعاملونه بقسوة وباحتقار وذلك مثل الشنفرى حين قتل قومه والد زوجته قعسوس السلامية لأنه زوجها منه وهو أسير قومه فهو دونهم فى الشرف، فخرج عليهم وتصعلك وقتل منهم مائة رجل.

يقول الشنفرى يتحدى بنى سلامان:

ألا هل أتى فتيان قومى جماعة ... بما لطمت كف الفتاة هجينها
ولو علمت تلك الفتاة مناسبى ... ونسبتها ظلت تقاصر دونها
إذا ما أروم الود بينى وبينها ... يؤم بياض الوجه منى يمينها(٧)

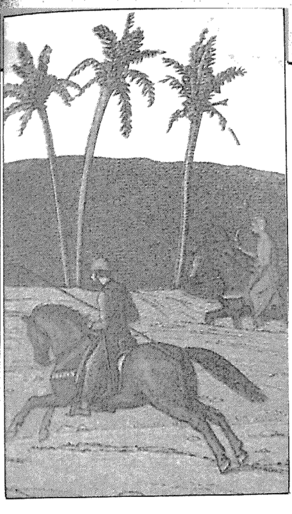
والحياة فى القبيلة يملؤها الفراغ لأن قسوة البيئة وجفافها يساعد على الشعور بالخمول وتؤدى إلى البطالة فلا يجد الانسان ما يشغله أو يتخذه عملا أو وسيلة للكسب أو العيش فيستعين به على الحياة ـ فيدفعه الفراغ والبطالة الى الخروج على أعراف القبيلة ويتخذ طريقه فى الصعلكة والاغارة والغزو ـ ويعد هذا عملا شريفا يتكسب به بل ينفق منه على أمثاله من الفقراء الصعاليك ومن ثم يلوم العاطلين الذين استكانوا للفراغ وأضاعتهم البطالة ويسخر عروة بن الورد من هؤلاء فيقول:

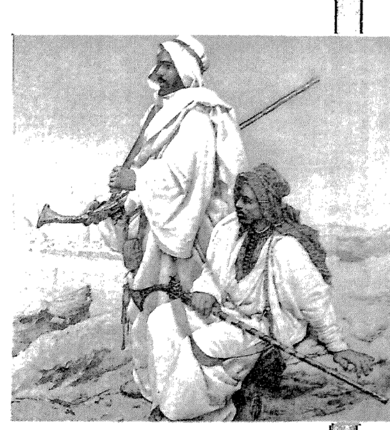
ينام عشاء ثم يصبح ناعسا ... يحث الحصا عن جنبه المتعفر
يعين نساء الحى ما استعنّه ... ويمسى طليحا كالبعير المحسر(٨)

●● وينعى الشنفرى على من ألفوا الفراغ والبطالة؛ فهم أرباب النساء يعيشون تحت أقدامهن.. ويتزينون لهن.. ويتغزلون بهن.. يقول:

ولست بمهياف يعشى سوامه ... مجدعة سقبانها وهى بهل
ولا جبأ أكهى مرب بعرسه ... يطالعها فى شأنه كيف يفعل
ولا خرق هيق كأن فؤاده ... يظل المكاء به يعلو ويسفل
ولا خالف دارية متغزل ... يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بعل شره دون خيره ... ألف إذا مارحت أهتاج أعزل(٩)

وليس من أسباب التمرد أيضا الفوارق الطبقية بين الفقراء والأغنياء فهناك من العرب من بلغ الغاية فى الثراء ويضن به على الفقراء بينما نجد الفقراء حوله لا يجدون قوت يومهم ـ أو قد يجدونه عند الأغنياء ولا يرضون به، لأنه فتات موائدهم فهم يريدون أن يقاسموهم الشرف والأموال ولما لم يجدوا منهم إلا الاطعام ـ أو البخل والحرص على أموالهم وأن يظل الفقراء دائما فى حاجة إليهم.. تمردوا عليهم وأغاروا على أموالهم لتكون تحت أيديهم فيوزعوا منها على الفقراء من الصعاليك وغيرهم.





يصور ذلك عروة بن الورد حين يخاطب امرأته(١٠):

ذريني للغنى أسعى فإني
رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم
وإن أمسى له كرم وخير
يباعده القريب وتزدريه
حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم
ولكن للغنى رب غفور

ومن دوافع تمرد الصعاليك أيضا تسلط الزعامات القبلية على السلطة فى القبيلة وعلى توريثها لأولادهم ـ ثم تسلطهم على مصادر الخير والثراء فيحبسون على أنفسهم الأموال وأخصب المراعى والحمى بينما لا يجد غيرهم مرعى ولا مصدراً للثراء على النحوالذى تستأثر به زعامات القبائل ـ فوجد الصعاليك أنفسهم على مثالهم من الشجاعة والبسالة . . بل ربما يكونون أشد منهم واقوى ولا يستطيعون بالعرف والتقاليد أن يشاركوهم منزلهم وحماهم وأموالهم فيخرجوا على تقاليدهم ويعلنوهم بالعصيان والتمرد ويتخذوا من صعلكتهم ما يردون به لأنفسهم اعتبارها بالسلب والاغارة والغزو على أموالهم وحماهم . .

■ يقول الشنفرى فى غزوة أزعجت الحى حتى ظنوا أن الجن هى التى أثارت فزعهم وزعزعت كيانهم: (١١):

فأيمت نسوانا وأيتمت إلدة
وعدت كما بدأت والليل أليل
فأصبح عنى بالغميصاء خالسا
فريقان مسئول وآخر يسأل
فقالوا لقد هرت بليل كلابنا
فقلت أذئب عسَّ أم عسَّ فرعل
فلم يك إلا نبأة ثم هومت
فقلنا: قطاة ريع أم ريع أجدل
فإن يك من جن لأبرح طارقا
وإن يك إنساً ماكها الانس يفعل

هذه دوافع التمرد عند الشعراء الصعاليك على المجتمع القبلى والخروج بسببها غالبا على التقاليد والأعراف والعادات مما يجعل لهذه الطائفة من الشعراء شعراً قويا وصفه بعض النقاد بأن شعراءه هم شعراء الثورة الاجتماعية على الأغنياء فى العصر الجاهلى . . . صور فيه الشعراء حركة الصعلكة لتكون وسيلة للحصول على حقوقهم من الأغنياء للحفاظ على حياتهم وحياة الفقراء وعلى إبائهم مما يتناسب مع شجاعته وبأسهم.

●● *والبعض الآخر يقف دون هذه الثورة الاجتماعية وشرفها لأنهم اتخذوا إليها سبيل الغزو والاغارة والظلم وان كان هذا وسيلة لبعض القبائل فى الجاهلية حين يحل بها القحط فتغزو القبائل الأخرى . . فالبقاء عندهم للأقوى وتؤول إليهم الأموال والغنائم والحمى.*

وأرى أن حركة الصعاليك لم تكن ثورة اجتماعية بالمعنى المتعارف عليه عند المفكرين والعلماء ـ فلم تكن الأهداف كلها شريفة ولم تخل أيضا من الأهداف الشريفة وإنما كانت تمرداً وخروجا على العرف والتقاليد والعادات ـ ومع ذلك نجد فى شعرهم كثيراً من القيم النبيلة والشيم العربية الأصيلة التى يعتز بها العربى قديما وقبل الاسلام وجاء النبى ﷺ بشريعة أقرتها ونادت بها وذلك مثل: الصبر والعفة . . والشجاعة والاقدام . . والكرم والبذل . . والاباء والقوة . . والصلابة وغيرها.

■ *لذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى لامية العرب للشنفرى:*

«علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق»



(١) المعاجم اللغوية والقواميس العربية: لسان العرب ـ والقاموس المحيط، وأساس البلاغة والتهذيب.
(٢) الحماسة: أبو تمام ١/ ١٤
(٣) الأصمعيات: الأصمعى: ص٣٥.
(٤) د. يوسف خليف، ود. عبد الحليم حفنى وغيرهما.
(٥، ٨، ٩، ١١) الأمالى: القالى ١/ ١٥٦، ١/ ٤٨، ١/ ١٦٠، ١/ ١٦١.
(٦) الكامل: المبرد ١/ ٣٠١
(٧) مجمع الأمثال: الميدانى
(١٠) العقد الفريد: ابن عبد ربه ١/ ٢٣٧

د. أحمد الحفناوي

الموروث الشعبي بين الإيجابي المؤيد والسلبي المرفوض

مصر

بين عالم العروبة اليوم وعالم العروبة بالأمس اتصال وثيق.. ينساه كثيرون.. يحسبون ان ما طرأ علينا منذ العصور السحيقة من تطورات فى جميع نواحى الحياة قد فصل بين هذه الأمة الحاضرة وبين الأمة العربية قديما فصلاً حاسما.. وهم يعللون ذلك بعظم هذه التطورات.

■■ يقولون: بانقطاع الاتصال بيننا وبين أجدادنا، لأننا تعلمنا غير تعليمهم.. وفهمنا الحياة غير فهمهم إياها.. وخضعنا لنظم من الحكم غير التى خضعوا لها.. وصرنا نتكلم بلغة غير اللغات التى كانوا يتكلمون.. وننظر إلى العقيدة الدينية بغير العين التى كانوا بها ينظرون.

والحقيقة: أننا - فى الظاهر - نختلف عن هؤلاء الأجداد جد الاختلاف - وقد يحسب من رآهم ويرانا أننا لسنا منهم وانهم ليسوا منا، لكن ذلك لا يزيد على أنه الظاهر.

■■ اما الحقيقة - العميقة - التى نشعر بها ويثبتها العلم: فهى أن بيننا وبين اجدادنا اتصالاً وثيقاً لا سبيل إلى إنكاره وإن جهله الناس وإن جهلنا نحن فهذا الدم الذى يجرى فى عروقهم يجرى فى عروقنا، وهذه الانفعالات التى كانت تدفعهم فى حياتهم هى التى تدفعنا فى حياتنا، ونحن محكوم علينا - طائعين أو كارهين - أن نخضع

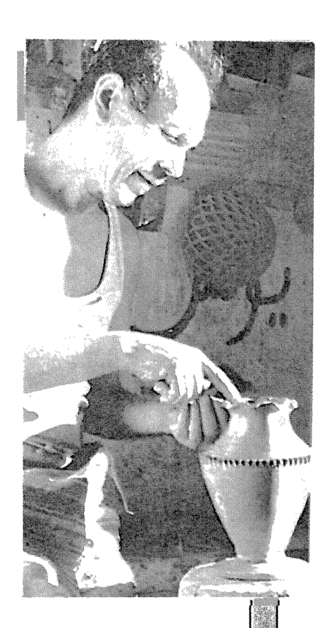
للوراثة التى أورثونا إياها، فإذا نحن دخلنا يوما إلى نفوسنا نحاسبها على أعمالها، وإذا نحن امتحنا يوما خُلُقنا، وحللنا فطرتنا وتعرفنا سجيتنا.. إذن لرأينا جوهر أجدادنا قد انتقل إلينا ولو خضعنا بحكم الحياة المحيطة بنا لصورة غير صورتهم وظاهر غير ظاهرهم.

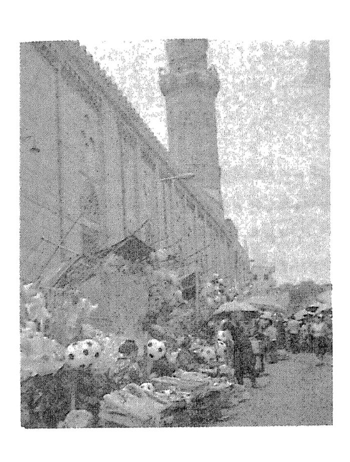
ولقد ندهش أن نعلم أن بعض الحفلات والمراسم التى تعتبر دينية عند بعض الأقباط وبعض المسلمين فى مصر مثلا - وهى جزء من عالم العروبه - تتشابه إلى حد كبير وبخاصة فى الريف حيث الوراثة لم تعصف بمظاهرها الحضارة.. هذا مع أن هذه الحفلات والمراسم تختلف عند مسلمى مصر عنها عند مسلمى تركيا مثلا.. وتختلف عند أقباط مصر عنها عند نصارى الدول الأخرى. فهل تستطيع أن تجد لذلك تفسيرا - إلا أن هذه الحفلات وتلك المراسم سابقة فى مصر على كل ما عداها.. وانها ترجع الى تواريخ ربما كانت سابقة على كثير مما كشف عنه التاريخ.

لقد أشار البعض الى أن هذا «موروث شعبي» يعيد الى الأذهان بعض صور الطقوس للأفراح والدفن عند قدماء المصريين، وإن دل ذلك على شيىء فإنما يدل على أن هناك بعض المراسم المختلفة قد تسللت الى المصريين فى العصر الحديث من أزمان قديمة - كذلك كانت مظاهر الحزن على الميت عند المصريين تختلف اختلافا عظيما عنها عند أهل البلاد الأخرى، فكما نرى النسوة من أهل الميت وقد انتقلن مع جنازته فى الأزمان القديمة نادبات مولولات لاطمات خدودهن مجللات بالسواد إذا بك ترى مثل ذلك تماما عند الكثيرين من أهل الريف المصريين.. ولعلك إن بحثت عن سبب الافراط فى الحزن وعدم النظر الى انتهاء الحياة بشيىء من السلوة وجدته فيما كان يعتقده المصريون الأقدمون.

وقد ذكر بعض الباحثين فى التاريخ المصرى القديم: ان ما يقوم به بعض المسلمين فى مصر من أتباع الطرق الصوفية اليوم من طقوس تجاه أوليائهم وما يخلعونه عليهم من قدرة وسلطان أشبه بما كان يقوم به قدماء المصريين (لالهتهم) أوزوريس من طقوس وما كانوا يعتقدونه من قدرتهم وقوتهم..

لا سبيل إذن الى انكار ذلك الاتصال الوثيق الذى يربط بين عالمنا اليوم وعالم آبائنا الأقدمين بالأمس، ولئن تبدلت أسباب العيش ما تبدلت ولئن قربت المواصلات بين أجزائه بل لئن تهدمت الحدود الدولية وفنيت العاطفة الوطنية والقومية فسيبقى أبدا هذا الاتصال الوثيق الذى يجعل من اقطارنا وحدة تاريخية أزلية خالدة فيما تصل إليه عقولنا من تصور الأزل ما دام ناس يقيمون فيه.. يورث الأجداد الأحفاد ما سكبته طبيعة هذه الأرض فى وجودهم من حياة إن تأثرت بمظاهر العيش وألوان التفكير وصور الحكم فستظل أبداً أكثر خضوعا للسلائق الفطرية المتحكمة فى كيان الانسانية والتى لم تتغير منذ خلق الانسان الى يومنا هذا - ولا شىء يدل على أنها ستتغير ما دام الانسان إنسانا.





ومن هنا كان واجبنا أن نبحث عن مواضع هذا الاتصال . . ومن أهم ميادين البحث : «الموروث الشعبى بكل ألوانه» . . **فما هو هذا الموروث؟ .**

إن الموروث أولا : هو مجموع من القيم والمواقف الفكرية والسلوكية المرتبطة بزمان ومكان محددين والحفاظ عليه هو عمل اختيارى .

والموروث ثانيا : لم يعد علما هامشيا فى حياة المثقفين العرب بل إنه علم المستقبل الذى سيعطى للثقافة العربية المعاصرة دماء جديدة ويبنى قاعدة صلبة للتطور الثقافى والاجتماعى للأمة .

ومن هنا اصبح من الضرورى أن نعترف بأهميته لارتباطه ارتباطا وثيقا بالحياة الموصولة للمجتمعات الانسانية ، بل لعله الذى يشكل ـ بأقصى حد ـ نمط السلوك الانسانى فى الاطار الاجتماعى وهذا يوضح لنا أهمية الوصول الى هيكله العام . . لنستطيع تبيان العناصر المختلفة التى تؤلف قوامه وهى : العادات والتقاليد التى يستجيب فيها الانسان الى قواعد استقرت فى نفس الجماعة للقيام بتوثيق الروابط والعلاقات بين الأفراد وبين الوحدات الاجتماعية التى يتألف منها الشعب .

والمهمة الكبرى فى التعرف على هذا الموروث تكمن فى المواجهة الموضوعية له بالتركيز على وظيفته الأساسية ووظائفه الثانوية لأن ذلك يعين على العلم به وتقدير مكانته. وليس من شك فى أن استمرار الوظيفة الحيوية أو الاجتماعية أو الروحية لهذا الموروث أو ذلك هى التى تستبقيه وتحافظ عليه - وإن بقى بدون هذه الوظيفة فإنما يكون ذلك راجعاً الى مكونه من ناحية واختباره الموصول من ناحية أخرى.

وأوضح: إنه لن يكون لهذا «الموروث» وظيفة ضرورية أيا كانت إلا إذا كان موروثا إيجابيا يؤدى دوراً بنّاء لصناعة مستقبل الأمة. . ومن هنا فإننا يجب أن نحتفظ بما يتفق منه مع التطور وأن نستغنى عما يلفظه وأن نعدل ما يستحق التعديل وبذلك نكون قد وظفناه توظيفا بناء يخدم مستقبلنا.

إن وسائل الاتصال تكاد تطمس الهويات بما تذيعه من الإنتاج الواسع للثقافة المعاصرة..

خذ مثلا: ما ورثناه من عادة «المغالاة فى المهور» والتفنن فى التكاليف الباهظة للزواج» ألا يستحق هذا الموروث أن ننظر إليه نظرة جديدة تؤدى الى العدول عنه - ولو تدريجيا - حتى يتمكن الجيل الجديد من الشباب والشابات فى عالمنا العربى - وهم عدة المستقبل وصانعوه - من حل مشكلة الزواج التى أصبحت من أعقد المشكلات فى تاريخنا الاجتماعى المعاصر وبدلا من هذا الانهيار الخلقى الذى بدأنا نحسه فى جيلنا الجديد.

على

انه فى تقديرى لا يمكن أن نتحدث عن وجود قومى أو عن حضارة فعلية للثقافة العربية وللمجتمع العربى الا عندما ننطلق أساسا من احترام فعلى لطبيعة «الموروث الشعبى» وبعد ذلك من الحرص الفعلى على «الايجابى» منه فقط بصفته سمة أساسية لروح مجتمعنا العربى. . ونحن إذا طالعنا حركة المجتمع الدولى عموما لاحظنا ان وسائل الاتصال تكاد تطمس الهويات بما تذيعه من الانتاج الواسع للثقافة المعاصرة ولهذا فإننى أرى أن مسعانا الأساسى يجب أن يأتى من أجل السعى

الموروث يرتبط

ارتباطا وثيقا

بالحياة الموصولة

للمجتمعات

الإنسانية.



للابقاء على هذه الهوية التى تقترن اقترانا وثيقا «**بالايجابى من الموروث الشعبى**» الذى يمثل سمات حياتنا كما يمثل أيضا بعض أسس ركائز هذه الحياة.

على اننا يجب أن نعرف: ان موروثنا هذا لا يجب أن يحجب عنا ما حدث من تطور فى التفكير البشرى.

وتمسكنا «**بالايجابى**» منه لا يجوز أن يحد من حريتنا فى التفكير بمنظور جديد لم يعرفه الأقدمون وهذا بالطبع قضية تكاد تكون بديهية وإلا حرمنا أنفسنا من الواقع الذى نحياه ومن المشاركة فى التطور الانسانى الذى هو ركيزة أساسية من ركائز الوصول الى تحقيق طموحاتنا.

ووسيلة معرفة « الايجابى من الموروث الشعبى: هى تحرير الأفكار سلفا قبل البحث والنظر فيه فهذا الموروث ليس غريبا عنا بل هو موروثنا.. هو الذى شكّل صبانا.. وهو الذى يحتمى وراءه سكان أطلال الماضى، فإذا نحن نظرنا إليه نظرة مؤمن به ـ ككل ـ لن نستطيع أن نجرده من السلبى الذى يشدنا الى الخلف والى التخلف، أما اذا حررنا أفكارنا بحيث صارت صالحة لبحثه والتنقيب فيه ومعرفة مبلغ تأثير «الايجابى» منه فى الجامعات كان لنا بعد ذلك أن ننقيه مما علق بالبعض منه من مفاهيم العجز والتخلف ليكون من الأسس التى يقوم عليها مستقبلنا المرتقب.

هذا ويحق لنا أن نتساءل: هل الموروث الشعبي بالنسبة لنا مثل الاب للابن؟ . .

■■ هل يحمل هذا الموروث صفات وراثية تطبعنا بطابعها ونتلقاها دون اختيار؟ . . أم أن العلاقة بيننا وبين هذا الموروث علاقة من نوع آخر . . نكون مسئولين عنها وتتم باختيارنا وعملنا؟ .

■■ لو ان علاقتنا «بالموروث» هذا هى مثل علاقة الابن بالاب فلا حيلة لنا فيها وليس علينا إلا أن نقبلها صاغرين أردنا أم لم نُرد؟ ولكننا نعلم أن قوانين الوراثة ـ على جبريتها ـ خاضعة للتغير والتكيف والتأثير بمؤثرات أخرى . . وأحكامها تخضع لظروف متغيرة ولتأثيرات مختلفة تعمل فيها خصائص الأم والاجداد الأخرين والبيئة والمصادفة وغير ذلك . . ومن هنا فإن حرصنا على استمرار الموروث هو عمل اختيارى . . ولما كان ذلك كذلك فإننا يجب أن نحرص على استمرار «الايجابى» منه فقط .

وسيمكننا أن نحقق ذلك اذا اعتمدنا ـ بعد الله ـ على عدد من العلماء القادرين بجهدهم وصبرهم أن يصيغوا آلة الزمان التى يركبونها لأرض هذا الموروث فيعايشونه ويصبح جزءا لا يتجزأ من ضميرهم ومن فكرهم ويقفون فى قلبه موقف الانسان الحر المختار الذى يقلب القيم والأفكار ويختار جواهرها بإرادته وذوقه ليصبح ذلك كله دماء تجرى فى هويته وموروثا حقيقيا له وليس مجرد قشرة خارجية من الأعراف والتقاليد يصنعها العرف والتنشئة الاجتماعية على ما فيها من قصور ومحدودية .

نعم كلنا يفهم التطور ويؤمن به ويدعو اليه ولكن هذا التطور للمستقبل يلزمه أن يكون ذا جذور مع الماضى ـ وهذا الماضى يشمل موروثا شعبيا بعضه سلبى يمكن لو تمسكنا بمفاهيمه أن يعود بنا الى الوراء؛ ولهذا فان على هؤلاء الأفذاذ الذين تحدثت عنهم واجب تنقية هذا الموروث وإيضاح الايجابى منه والسلبى حتى نستطيع أن نحيا زماننا وأن يكون لنا موضع قدم على خريطة المستقبل .





تمضى قافلة قصـائده وبيت قصيده هو الحادى. . عادات وتقـاليد. . سنها الشعر والشاعر. . واحد غَنَّى أنشوده الزمن الذى مضى. . «ليتهُ بَسّ اشْويّة طوِّل». . أطلال من نوع جديد. . والكل منها يعُبّ فى حُبّ. . هوادج الغيد. . وسُعْدى. . والخيل والليل. . وكلمات «أسمعت من به صمم» سيرهـا الشعـر لآلىء يدل بها صاحبها. . وبيت القصيد أنها لم ينلها كاذب خزف». . الأطلال والزمن. . وقوافل الحسان. . والقوافى. . أهى عادات توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل؟. . أم أنها فقط بيت القصيد؟؟.

سيَّرتُ مـن كَلمـى الـلاَّئى أدل بـهـا
لئـالئـاً لـم ينـلهـا كاذب خـزف

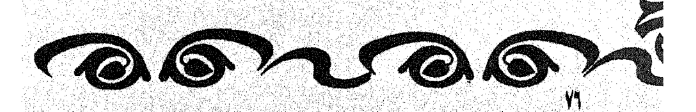
* * *

لا تِذكِّرنـــى . . . ابرمـــانٍ
ليـتُـه بسَّ أشـويِّـه طَوِّلْ

* * *

وهــوادج الـغـيـد الحـسان مضـت
بســعــاد فـى أعــقـابها هـنـد

المنهل



١

جنلة الأماني

شعر
د. ابراهيم السامرائي
العراق

هى المُنى نتصبّاهـا وتَنْحـرفُ
وتستبينـا، وكم يَشْقى بنـا هدفُ
إنّـا لَتـصـرفُـنـا الأيـام عن أربٍ
ونـرتـضيـهـا على عسْفٍ ونَعْتَسِفُ
بينـا نراهـا وقـد رُحْنـا نُخـالسُهـا
لْهواً اذا هي خطبٌ ضامَهُ أزَفُ
وقـد نـزيـدُ على الأيـام من نُوَبٍ
تلُفُّنـا، فوق ما زدنـا بها سُدَفُ
يسُـومُنـا الـلهـوُ لا نرْضى به بدلاً
وبئسَ ما يعـترينـا الـزهـوُ والسَرفُ
يَنْتـابُنـا العبثُ الغـاوي بزُخْـرفـه
فنـركَـبُ اللُّجّ جبّـاراً ونـنْجـرفُ
والعمـرُ يُطـوَى، ولم نحمَدْ مسيرَتـه
وكـم تَهُدُّكَ فى سَيْرٍ نوىً قَذَفُ
ونَجْتَـوى الجـدَّ تكـوينـا معـاطِبُهَ
والجِـدُّ أعظَـمُ ما نَخشـاه والتَـلَفُ
أزرَى بنا القـدر الطـاغى فنحن كمن
أغضى عن الشـرِّ إذْ أوحى له الـتَرَفُ
إنّـا رَضينـا من الـدنيـا حلاوتَهـا
والحُلوُ منهـا سخيفٌ نَسْجُـه شَظِفُ
نَسْعَـى إليهـا ويحْـدونـا لها الـتّرفُ
فيـسـتـبـدُّ بنـا من سوئهـا صَلَفُ

* * *

عَلَّلْتُ نفـسـي بما ثمّـرتُ من أدبٍ
وقـد تطـاول لى من مجدِه شَرَفُ
وقـد تخلّيـتُ عن إرثٍ بأوفـر ما
يُرضـي المـروءة لا طيشٌ ولا ضَفـفُ
ورُحـتُ للصَّحْب أدنيهم بعـارفـةٍ
وعـزَّ من جمعـهـم فى دارتـي كَنَفُ
مِن كلّ من كنـتُ أرجـوه لنـائـبـةٍ
ونـالَ منّـيَ فى معـسـولـهِ لَطَـفُ
فأُبـتُ منهـم بزادٍ لا غنـاء بـه
وبئسَ ما نِلتُ منـه القُـلُّ والحَفَفُ
حبوتُهـم حُرَّ ما أسـديتُ من كرمٍ
وأين منـه حُسـافُ الغِمْـرِ والحَنَفُ!
«يُـزمِّـلون حنـين الـضِّغْـنِ بينَهُـمُ
والضِّغْنُ (أصْهبُ) أو فى وجهِهِ كلفُ»
وكنتُ أرهَفْتُ من طبْـعٍ سعِـدتُ به
فما بلغْـتُ بما أوفى به رَهَـفُ
ونـابنـى نُبْـل ما وفَّـرتُ خالصـه،
من اللئـالىء لاما . أومض الصـدفُ
هى الـعـوارف عِلْقٌ طابَ معـدِنُـهُ
وأين من طيبهِ المرصوفةُ الـرَّصَفُ!

* * *



أقصِرْ، ولا يَحزُ بِنْكَ البارعُ الحَرِفُ
غُولُ الزمان، ولا يذهبْ بكَ الأَسَفُ
وعـدِّ عمَّنْ قضيتَ العمـرَ ترفـدُهمُ
مِمَّنْ ألِـفـتَ ومِمَّـنْ رُحْـتَ تأتـلِفُ

فلَسْتَ منهم وإنْ عاشـرتَهُـم زمنـاً
وفيـك عنهم، وإنْ طال المدى جَنَفُ

* * *

يا واحـدَ الـدَّربِ ما تنفـكُّ تدَّلِفُ
والـليـلُ ينثـالُ من أطبـاقِـهِ غُلُفُ
ماذا شَجـاكَ بأرضٍ لستَ تدُركُهـا
فأنـتَ من ذكـرهـا صبٌّ بها دَنِـفُ
حلفـتَ ألّا تني تشـدو بقـافـيـةٍ
وطـفـاءَ حقٌّ بها روَّتْ به حَلِفُ
أرسلتَـه لحنَ من يسعـىَ الى أمـلٍ
فنـدَّ عنـه فؤاد من أسـى يَجِفُ
صدى تخلَّفَ فى أذنـى أطـايـبُـهُ
فراحَ منـه بعـيـنـى هاطـلٌ يكِفُ
إنـى رضيتُ من الـدنيـا بأيسـر ما
شجـاه صاحبُ حرْفٍ صانـعٌ ثقِفُ
سيرتُ من كلمـى الـلائـى أدلُّ بها
لئـالئـاً لم ينـلهـا كاذب خَرَفُ
تاهتْ بها أحْـرزتْ من صدقٍ عامـرةٍ
من الألاحـين لا ما قمَّشَـتْ صُحُفُ
ولم أزلْ أتـصبَّـاهـا وقـد مَنَحتْ
لنفسهـا ما اسْتَوى من سَمْتِها كَفَفُ
وأُبْتُ منهـا وقـد أحـرزتُ عينتَهـا
مما تفـرَّق، تُسْتَـحـلـى به تُحَفُ
إنـى لأوثِـرُ منهـا فوقَ ما أصِـفُ
من الـلواتـى تولَّـى سَمْحَهـا رَفَـفُ



من الحسـان ورثْنَ الحسنَ صافيـةً
عيـونـه فاستـوى فى حسنهـا هَيَفُ
مَشَتْ إلىَّ بشي من سحـرهـا طَرفُ
وغـاب عني من أسـرارهـا طرفُ
لكـنـنـى بالـذى أدنـو وأزدلِـفُ
وأجتَـوى خَبَثَ الماضى وأنعطِفُ
وبـالسَّنـا رفَّ عنـدى من سماحتـه
ما غمَّ من فعْـلِ أنكـادٍ ومـا هَرَفـوا
نأيـتُ عنهـم فلم آمَـنْ غُوايتَـهـم
ومـا برمـتُ بما همّوا ومـا ظَلِفـوا
حبـوْتُهـم طَيِّبـاتٍ لا أُمُـنُّ بها
فذاك منـى بما يُمـلى به الـنَّـصَفُ

* * *

أقْصِرْ فأنتَ بهمِّ الأهلِ مغتربٌ
وأنت فيه، ومن جَرَّاه مختطفُ
إن غيضَ نَبْعٌ فمحرورٌ ومُنْخطفٌ
أو هيضَ فرعٌ مُرْبَدٌّ ومُنْقصفُ
أو ضيمَ كلُّ وريفٍ من غضارتِهِ
هاجتْ بما رفَّ منه، روضه أُنُفُ
أنالك الحزنُ لا تدري مرارته
وهالك الهمُّ لا يُجْلَى فينكشفُ؟

* * *

لهفي على الحُسْنِ يسرى منه مؤتلفٌ
ويرتمى منه مأنوسٌ ومختلفُ
بَعُدْتُ عنه وبى قُرْبَى وآصرةٌ
تشُدُّنى فيفى من عرقها شَغَفُ
فإن نأيتُ فلى فى كل قافيةٍ
شخيبُ درٍّ به أرضى وأنتصِفُ
قيَّدتُ نفسى بعِلقٍ من سماحتها
فنعم ما يَستبيكَ القيدُ والرَّسَفُ
أسديتُه إلف ما استحْليْتُ صحبتَه
وصُحْبتى صحبةٌ، بل دونها كَلَفُ
لم يبقَ منها وقد جوَّلتُ فى عُمُرٍ
إلا أثارة ذِكْرى غالها شَنَفُ
وذاك أنّى ابتلانى الهمّ والنَّطفُ
أو بعضُه، وبعجزي رُحْتُ أعترفُ

* * *

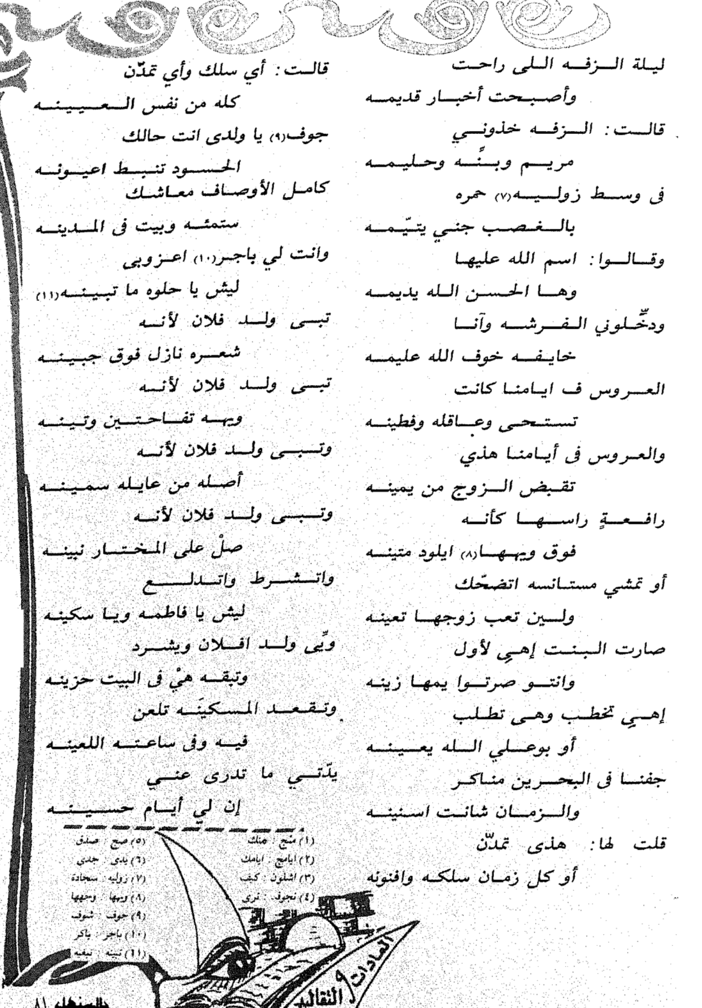
غرستُ حرفى وقد روَّيتُ غرْسَته
فلاحَ مما أتى فى صَنْعَتي رشَفُ
أنضجتُهُ فسمتْ طيباً مكارمُه
ولم أسُمْه بما يبلوه مُحْترفُ
يكاد يُوقِعُ فى ظنٍّ فيرتشفُ
أو لا، فإنى أُماريهِ فأغترِفُ
ولم أنسلْ بعض كِبْرٍ من فخامته
ولا تداعى له طيْشٌ ولا زَهَفُ
أرسلتُه حيث أضْوتْنى مُراجعةٌ
من الحنين وأولانيهِ مُنْصَرَفُ
لحناً إلى البَلد الشاوى بمحنته
والظلمُ يحزُبُه والحقدُ والخَرَفُ
أمحضته الجدَّ لم أقصدْ به تَرَفاً
ولا غَزَتْنى به، فى غفلةٍ طُرَفُ
وذاك أنَّ الخيار الحُرَّ يُنْكِرُ ما
يَشْقَى به الأدبُ الكابى ويزْدهِفُ
قصدتُه ودليلى لا يُبارِحُنى
الى الذى قد تملّى صدقَهُ السَّلَفُ
وقد هُرِعْتُ لمظلومٍ به وتَرٌ
لحناً تطامَنَ منّى دونَه أنَفُ
أنشدتُه وكأنّى قد رحلتُ الى
مشْبوبِ لحنٍ سما فاصطاده السَّعَفُ

سوالف أمي العودة (٢)

بشعر
عبد الرحمن الرفيع
البحرين

جدتـي، أمـي الـعـوده
طيبـه من نسـوانـه لأوَّل
اقـعـديـت مره معـاهـا
قلت لها: سولفـي عن أوَّل
أبّـى جم سالـفـه منج(١)
تذكـريـن أيـامـج(٢) أول
أوصفـي لى اشلون أهلهـا
كانـوا اكـرام والا اشكَـل
علّمينى اشلون(٣) زمـانـج
كان مثل ما نجوف(٤) أو أكمل
اضحـكـت منى وقـالـت:
هذى شىْ يا ولـدى كمَّـل
لا يْذَكْرنـى ابـزمـانٍ
ليتـه بسّ اشوْيـه طوّلْ
آه على ايامنا لأول:
قلت لها: يوم كنتـى شابـه
اصغـيره قط حبيتي أحـد
اضـحـكـت وايـد او تمتْ
تنتفض والـدنيـه موب برد
قالـت: استـغـفـر من الله
لا تكـفـر يا لهيس لأربـد
كانـت البـنـت فى زمـانـه
فى السكيـك مول ما اتـردد
لو اطـلعـت من بيتهـا مره
فى السنـه اتـروح امحمّـد

ولـو اطبقـوهـا من الدريشه
اتطـل. من الخـوف اتبريد
موب مثـل أيـامـنـا هذي
تمشى فى السـوق واتصيـد
قلت لها: اشـكـان يهازج
وجـسم دفـع فى مهـرج اليد
قالـت: اشـويـه ربـابـى
ما آتـعـده ترسـة الـيـد
والـيـهـاز كان بقشـه عوده
كل شىْء فيـهـا إمـكـوَّد
فيـهـا دفـه أم عمايـل
صـوف الـلـمّاع لأسـود
وثـوب نشـل واحـلـه كله
ابـزري صح(٥)، ما يتيعّـد
وفيهـا ميداسين أو ملفـع
نغـمـده من يرِّع امـورّد
والمشـط سيسم اضـروسـه
ما اتـعـوَّه ومـا اتمـدد
وقـالـبـين صابـون بنـاتي
اللي ريحتـه ريحـة الـورد
وحـنـه عيـار فى خريطـه
وتـولـه دهن العـود أو أزيـد
قلت لها: هذى يهازج
يلدتى(٦)، قالت: أنـا أشهـد
قلت لها: يا يده سولـفـى
لى عن الـليله العظيمـه



ليلة الـزفـه اللى راحـت
وأصـبـحت أخبـار قديمـه
قالـت: الـزفـه خذونـي
مريـم وبنّـه وحليمـه
فى وسـط زوليـه(٧) حمره
بالـغصب جني يتيّمـه
وقالـوا: اسم الله عليها
وهـا الحسن اللـه يديمـه
ودخّلوني الـفرشـه وآنـا
خايفـه خوف الله عليمـه
العـروس فـ ايامنا كانت
تستحى وعـاقله وفطينـه
والعـروس فى أيامنا هذي
تقبض الـزوج من يمينـه
رافـعـةٍ راسـهـا كأنـه
فوق ويهـا(٨) ايلود متينـه
أو تمشي مستانسه اتضحّك
ولـين تعب زوجهـا تعينـه
صارت البنـت إهـيِ لأول
وانتـو صرتـوا يمهـا زينـه
إهـيِ تخطـب وهـى تطلـب
أو بوعـلي الـله يعـينـه
جفنـا فى البحـرين مناكـر
والـزمـان شانـت اسنينـه
قلت لها: هذى تمدّن
أو كل زمـان سلكـه وافنونه

قالـت: أي سلك وأي تمدّن
كله من نفس الـعـيينـه
جوف(٩) يا ولدى انت حالك
الحسـود تنبـط اعيونـه
كامـل الأوصاف معـاشك
ستمئـه وبيت فى المـدينـه
وانت لي باجـر(١٠) اعـزوبى
ليش يا حلوه ما تبينـه(١١)
تبـى ولـد فلان لأنـه
شعـره نازل فوق جبينـه
تبـى ولـد فلان لأنـه
ويهـه تفـاحـتـين وتـينـه
وتـبـى ولـد فلان لأنـه
أصـله من عايلـه سمينـه
وتـبـى ولـد فلان لأنـه
صلْ على المخـتـار نبينـه
واتـشـرط واتـدلـع
ليش يا فاطمـه ويـا سكينـه
وبِّى ولـد افـلان ويشـرد
وتبقـه هيْ فى البيت حزينه
وتـقـعـد المسكينَـه تلعن
فيـه وفى ساعتـه اللعينـه
يدّتـي ما تدرى عنـي
إن لي أيـام حسـينـه

(١) منج: منك
(٢) ايامج: ايامك
(٣) اشلون: كيف
(٤) تجوف: ترى
(٥) صج: صدق
(٦) يادى: جدي
(٧) زوليه: سجادة
(٨) ويهها: وجهها
(٩) جوف: شوف
(١٠) باجر: باكر
(١١) تبينه: تبغيه



نجد (٣)

شعر
د. نور الدين صمود
تونس

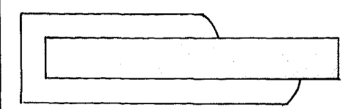
هذى القلوبُ تشوقُها نجدُ
عاد الصِّبا وتبسّمتْ دعْدُ
لعنيزةٍ ذكرى محبَّبةٌ
ولخولةٍ اطلالُها الجُرْدُ
وعكاظُ يَحْلمُ بالأُلى رحلوا
وعليه من أمجادِهمْ بُنْدُ
شمختْ معاطسهُمُ وقد بلغتْ
هام الجبالِ كأنهم أُسْدُ
ساروا على الرَّمضاء يدفعُهم
عزمٌ قويٌ صامدٌ صَلْدُ
ومفاوزُ الصحراء يغمُرُها
وعدُ السَّرابِ وملْؤه وَقْدُ
ويظلُّ يسألُ مَنْ يمر بها
وله فؤاد فوقها جَلْدُ
ما بالُ هذا الأفق منسرحاً
ومهامِه الصحراء تمتدُّ
وتلوح فله قوافلُ ضربت
كبدَ الصحارى سيرها وَخْدُ
فاذا شَدَا الحادى مضتْ قُدُماً
ويظل فوقَ بعيرِهِ يحدو
وهوادجُ الغيد الحسانِ مضتْ
بسعادَ فى أعقابها هند
ويلوح لى نسجُ الرياح على
ذهبِ الرمالِ كأنَّهُ بُرْد
تَتَفَنَّنُ الصحرا فكم رسمتْ
صورَ الجمالِ وما لها قَصْدُ
وتظلّ تُنْضدُ إذ تهبّ على
«سقطِ اللّوى» فيروقنا النضدُ
والرملُ فى الرمضاء مُضْطرِبٌ
فيه يلوحُ الجزرُ والمدُّ
فكأنَّه سيل له ثَبَجٌ
عالى الغواربِ ماله سَدُّ
قد جاده هَطّلٌ فواعجباً
تبكى السماء فيضحك الورد
وتهبُّ أنسامٌ مُعْطَّرة
فترى الزهورَ على الرُّبى تَعْدو
فكأنَّها قلبُ المحبِّ إذا
ذُكِرَ الحبيبُ يشوقُه وَعْدُ
تتسابقُ الأزهار فى شغفٍ
ويكادُ يُنْطِقُ ثغرَها الوجْدُ

وعـرارُ نجدٍ يستبى خَلدى
وتـروقنى بجمـالهـا نجـد
وأرى «اليمامة» فى «الرياض» شَدَتْ
فتمـايلتْ أغصـانُهـا المُلْدُ
قمـريـةٌ تشـدو على فننٍ
إن الغصـونَ لشـدْوها مَهْدُ
من أين يأتى الحـزْنُ غانية
فى صدرهـا يتلألأ العقـدُ؟

وتخضَّبتْ مثلَ العروسِ وذا
لونُ الخضـابِ بسـاقها يبدو
وتـرنمـتْ بهديلهـا فلهـا
تتراقصُ الأغصـانُ إذ تشـدو
غنـتْ بأمجـاد الألى زرعـوا
ما طاب منـه القطفُ والحصد
وامتـدّ منهـم تحت كل سما
عيشٌ رخـىٌّ ناعـمٌ رَغْـد
فغـدتْ رمالُ البيد ضاحكةٌ
فيهـا يرفّ الطـيرُ والـوردُ
كانـوا ليـوثـاً لا ينـالهمـو
ضيـمٌ ولـيس لعـزِّهـم حدّ
لا يؤمنـون بغـير عزَّتهم
إن الـذليـل لديهـمُ عبـدُ

ويهـلّ فى الصحراء فجرُ سَنَى
عنـوانُـه الاسلامُ والحمدُ
جمع الألى كانـوا بها شيعـاً
ضلت خطـاهم ما لهم رشد
كانت مشـاعـرهم بمقـدمـه
كالـروض حين يقهقه الرَّعْدُ
رفعـوا على البيـداء رايتَهم
وغـزا المـدائن ذلـك البَنْدُ
كانـوا غُيـوثـاً أينما نزلـوا
يخضـرّ منهـا السهـلُ والنَّجْدُ
وانـزاحَ فى الآفـاقِ متّسقـا
مثـل الصَّدى فى الأفق يمتد
فحـدوده فى الغـرب أندلسٌ
وحـدوده فى المشـرقِ الهنـد
وجنـوده آىُ الكتـاب وكم
فتـح المعـاقـل ذلـك الجنـدُ
ملؤا الـدُّنـا عدلاً ومفخـرة
ومـآثـرا ما إن لها جَحْـدُ
كنَّـا لهذا الـكـون سادتـه
وبنـا يكـون الحـلّ والعقـدُ
ومنـارة تهدى الأُلى عَشِيَتْ
أبصـارُهم فعيـونُهم رُمْـدُ
أيـامَ قادت زحـفنـا فئـةٌ
ما فيـهـمُ إلا الـفتـى الجَلْدُ





العادات والتقاليد .. المكتسب والموروث

◎◎◎◎◎◎◎◎◎



د. عبد الحميد يونس

● استاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة
● مستشار التحرير بمجلة الفنون الشعبية
● له تخصصه فى الدراسات الشعبية.



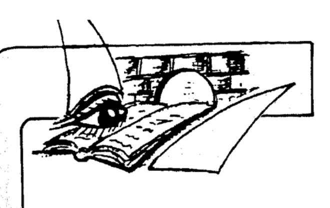
د. محمد على الملحم

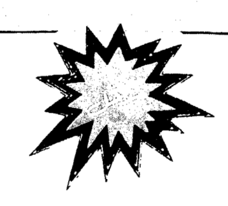
● دكتوراة فى علم الاجتماع الجنائى من جامعة ولاية المسيسبى
● عضو هيئة التدريس ـ جامعة الملك سعود بالرياض قسم الدراسات الاجتماعيه.



علال البوزيدى

● كاتب وأديب مغربى
● له اسهامات عدة فى المجلات العربية
● مهتم بالكتابة فى قضايا الشباب.





•• التقبل النفسى للموروث من العادات والتقاليد والتعامل معها - فى إيجابياتها بالطبع - مرحلة تسبقها مجموعة مراحل من الاختبار والتخيّر والانتقاء إذ يأتى فى اعقاب عملية هذا التقبل الجماعى دور العادات والتقاليد «المتخيره» فى بلورة وإظهار تكوين البنية الاجتماعية.. وهذه تمثل ركيزه التحرك الذاتى فى البناء الاجتماعى نحو مواجهة الجديد المكتسب من مستحدثات الحياة ومعطيات التلاقى الحضارى بين الأمم والشعوب - إذ أن هذا الأخير سيترك بصماته «من غير شك» إضافة.. أو تعديلا.. او مزجا لبعض أعراف الناس وعاداتهم.. ولعل هذا الجديد يعتبر مؤشراً الى مدى قابلية المجتمعات له.. وفى هذا يكون دور مقومات الرأى العام وانطباعها على وسائل الاعلام ووسائل الاتصال المتعدده.

وبالتالى مردود رجعها على عمليات الترسيخ أو الاستبعاد حسب التقبل النفسى والاجتماعى للمتلقين.

عـلوط محمـد

● استـاذ الادب العـربى - الدار البيضاء
● قـاص وناقـــد.
● له اسهامات ادبية ونقدية فى عدد من المجلات العربية

المنهل



د. عمر بن عبد الرحمن المفدى

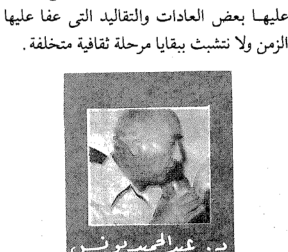
● دكتوراة فى علم النفس من جامعة ولاية أوهايو
● مدير مركز البحوث التربوية وأستاذ بقسم علم النفس/ جامعة الملك سعود.

العادات والتق...
مكانها من الت...

إن المزيَّة الأولى للكائن الإنساني هي الوعي بذاته وبغيره من الأفراد والجماعات وهو ما جعله يعيش باعتباره شخصية لها خصائصها التي تجعل ملامحه لا تشبه غيره ولو كان توأما له من ناحية، ومع ذلك فإنه يعي ارتباطه بمجتمعه وأسرته ارتباطا وثيقا من ناحية أخرى.. ومن هنا درج المجتمع الانساني في كل بيئة ثقافية او مرحلة من مراحل التطور على الاعتماد على محصلة خبرات المجتمع الذي أثمر الكائن الانساني وجعل له الأصول والقواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات وهي ما تعرف في كل البيئات والأقاليم بالعادات والتقاليد - وما من أسرة أو عشيرة أو أمة في هذا العالم إلا ولها احترامها لهذه العادات والتقاليد.

وأثبتت دراستي للتراث الشعبي القيمة الكبرى للعادات والتقاليد.. وأنا أردد للأجيال التي تُعنى بالوجدان الجماعي أن العادات والتقاليد تساير حياة الفرد وحياة الجماعة مسايرة تامة. وأنها إذا كانت ثمرة تجربة أو خبرة فإنها تحتفظ بأصالة الفطرة الانسانية من جهة ومسايرة هذا التطور من جهة أخرى.. ومن هنا يعد الفرد محصلة العلاقات والمراحل.. وقد يفطن الدارس الى غياب بعض العادات والتقاليد والى تعديلها ولكن التعمق في أحوال السلوك الانساني يظهر تواصل هذه العادات والتقاليد وإن اتخذت من حيث الظاهر أزياء جديدة أو مستعارة.

والكشف عن وظيفة العادات والتقاليد هو الذي يعين على التطور.. وهو الذي يبين في الوقت نفسه مدى نفعها أو ضررها في مجتمع متغير أبداً. ونحن في هذا العصر الذي تكاد الحياة فيه تصبح طفرة بين الماضي والحاضر والمستقبل علينا أن نتخلص من الأضرار والأخطاء الفردية والجماعية التي تنطوي عليها بعض العادات والتقاليد التي عفا عليها الزمن ولا نتشبث ببقايا مرحلة ثقافية متخلفة.



...ـالـيـد
...ـراث الشـعبى

تعـرضت العادات والتقاليد للتغير فإن الكثير منها يظل ثابتا ـ كما أن الـدلالات والـرمـوز التى تنطـوى عليها الطقوس لا تزال تقوم بوظائفها حتى وإن كانت من بقايا المراحل الاجتماعية الأولى فى حياة الثقـافـات والحضارات. . ولنضرب لذلك مثلا الحفلات الخاصة بالزواج باعتباره العروة الوثقى فى الحياة الاجتماعية.

ويقول وسترمارك فى كتابه «الزواج» «وتقوم الى جانب حفـل الـزواج عادات وتقـاليـد لها معانٍ خاصة وتخدم أغراضا معينة، هذه العادات وتلك التقاليد هى التى نسميها بالطقوس».

ولا تزال أكثر العادات والتقاليد الخاصة بالزواج مرعية الى الآن فى كثير من أرجاء العالم ومن ذلك تنـاول العروسين الطعام أو الشراب معا. . من صحن واحـد. . أو كأس واحده ـ وهذه العادة ترمز الى المحبة بين الزوجين.

والعادات والتقاليد الخاصة بالزواج من أهم معالم التراث الشعبى ومهما قيل عن نظام الزواج من ناحيـة التعـاقد والشرعية ووجوب الاعتراف الكـامل به فإن الاحتفال بتحقيقه يحمل فى كل ظاهـرة من ظواهـره القيم التى يحرص المجتمع على تأكيـدها، لا بين الشريكين وحدهما ولكن بين الاطار الاجتماعى بأسره. . وتنظم العادات والتقاليد والطقوس جميع الشروط التى تلتزم بها أسرة كل طرف من الطرفين فى اختيار المرشحين من حيث العمر والكفاءة. وقد تختلف الطقوس والشعـائر باختلاف البيئات الثقافية أو الطبقات الاجتـماعيـة ولكنـه اختـلاف يقوم على الشكل ويحتفـظ ...ما بالمضمـون الذى يعبر بجلاء عن مكانة الزواج فى حياة الناس. . وعلماء الاجتماع الـذين عنوا بتسجيل كل ما يرتبط بعقد الزواج المـدون أو غير المـدون نوهـوا بالتماثل فى أعراف الـزواج وتقـاليده وطقوسه عند شعوب تباعدت أوطانها لأن الاشهار العلنى للزواج إنما قامت به ولا تزال تقـوم به طقوس وشعائر أو بتعبير آخر: تقوم به اختبارات وحفلات(٢).

ويكشف التراث الشعبى عن الوظيفة الحيوية والاجتـماعيـة للزواج، ويبدو ذلك واضحـا فى العادات التى لا تزال مرعية فى حفلات الزواج ومنها عادة «النقطة». . ومما يدعو إلى الدهشة ما كشفت عنه وظيفة هذه العـادة العريقة. ولفظ «النقطة» كان يدل قديما على أول نقطة ماء تنزل من الأمطار على الارض



ثم أصبح لها معنى آخر: هو المال الذى يمنح على سبيل الهدية للعروس.

■ ويحتفل الناس بظهور المولود الجديد ـ ويحمل الاحتفال كل ما يريد المجتمع أن يعبر عنه من الفرح بخصب الحياة الانسانية.

■ ويتم الاحتفال فى اليوم السابع من ميلاد الطفل ويعرف باسم «السبوع».. فإذا كان المولود ذكرا يحضر له أهله «إبريقا».. وإن كان أنثى يحضرون له «قلة» وفى الحالتين يعبر عن الفرح بتزيين الإبريق أو القلة.. وتوقد الشموع برمزها على النور من ناحية وعلى تبديد الشر من ناحية أخرى.. وفى هذا اليوم يرش الملح فى أرجاء البيت حفظا للمولود من العين الحاسدة(*).. ويعامل معاملة «العريس أو العروس».. ويزف مع الغناء.. ويسمعونه دقات الهاون ليعتاد الطفل سماع الصوت القوى.. ويعم البشر الكبار والصغار.. وتوزع الحلوى على الجميع(٣).

وللطفولة عادة أخرى فى مجتمعنا الاسلامى وهو «الختان» الذى يدل على انتقال الطفل من مرحلة الى مرحلة أخرى، وهو يؤكد التواصل فى الحياة الانسانية ويحتفل بالختان وتؤلف الأسرة بهذه المناسبة موشحا حافلا يسير فيه الأهل والأصدقاء والجيران. وكانت العادة فى بعض المجتمعات أن يركب المُخْتَتَن جواداً أو عربة ـ وهنا أيضا يعامل معاملة (العريس) وتسبقه الزغاريد والأغانى.. وتحيط به الطبول والمزامير.. ويطاف به فى القرية أو الحى.. ويجتمع الكل فى مأدبة كبيرة تقام احتفالا بهذه المناسبة ويقدم المدعوون الهدايا والهبات(٤).

شأن كبير فى كثير من المناسبات
وبخاصة عند العروس قبل الزفاف
فى ليلة تعرف «بليلة الحناء»..
ويقول الاستاذ أحمد امين فى معجمه عن العادات والتقاليد ان «بعض النساء يضعن عليها مواد

تجعلها خضراء أو سوداء ثم ينقشن بها نقوشا مختلفة - وأحيانا قليلة يستعملها الرجال. . وبعض الرجال يخضبون بها لحاهم اذا شاب الشعر ويمزجونها بالخل لتثبت. . ويضعونها على رأس المحموم لتخفف حرارته. . وخضاب الحناء منتشر من قديم. . ومن الأغانى المشهورة عند المصريين:

الحنَّا يا الحنَّا يا قطر الندى . . .

وربما كانت الأغنية قديمة ترجع الى قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون لما زُفَّت الى الخليفة فى بغداد(٥).

●● ومن المعروف أن الحناء «شجرة طويلة رفيعة يبلغ طولها ما بين ٩ و١٢ قدما ولها زهر أبيض عنقودى عطر وأوراق ناعمة كاملة وتنبت فى جميع نواحى إفريقية الشمالية وبلاد فارس والهند. . ويستخرج من زهرها الروائح العطرية والطيب. . ولزهور الحناء وثمرها وأوراقها فوائد طيبة»(٦).

وتستوعب المأثورات الشعبية معالم بارزة فى الأزياء والحلى ذلك لأنها ثمرة إيجابية واضحة من ثمرات العادات والتقاليد. . وللأزياء ما يقوم بوظيفة اجتماعية - بل إن لها ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات العامة. . وأول ما نلاحظه على الأزياء اختيار الألوان لأنها تبرز المناسبة التى تعبر عن مشاعر الجماعة. . ونحن جميعا نعرف دلالة اللون الأسود الذى يكشف عن الحزن والحداد - مع الاعتراف بأن هذا اللون الأسود قد تكون له آثار الجد فى المجتمع. . وهو يصور غلبة الجو الرسمى فى الحياة. . وتختلف الألوان فى الأزياء باختلاف المشاعر العاطفية. . وفى الزى أيضا ما يبين الطبقة الاجتماعية وفيها ما يسجل التخصص فى العلم أو العمل. . ثم إن تأثير غلبة قوم على آخرين فيه ما نجده فى فرض زى على الجماعة. .

واجه جيلنا الحيرة فى اختيار «لباس الرأس» إذ اعتدنا أن نضع «الطربوش» على رؤوس الذكور من المتعلمين وما لبثنا بعد فترة أن خلعناه. . ويختلف الأفراد فى المدينة باختلاف الأزياء التى تكشف عن الأصول القروية والبدوية. . والمجتمع يبين التخصص فى الطبقة والمهنة أيضا بشارات لها رموزها التقليدية للدلالة على ما يريد المجتمع أن يسجله تأكيدا لمكانة العاملين المتخصصين. ونحن نترك جانبا المعروف عند الجميع من تعبير الأزياء الى جانب هذا كله على الجنس والسن والبيئة.

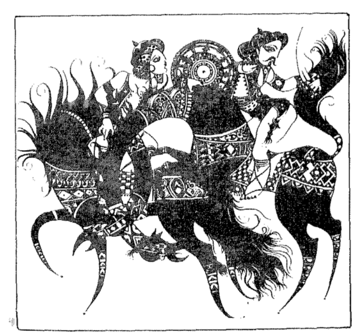
واختلاف الظواهر الطبيعية يستتبع بالضرورة تقاليد تناسب كل ظاهرة من هذه الظواهر. . ومن المشاهد عند جميع الشعوب أن تحمل تلك التقاليد محاولة لتفسير التغيرات التى تطرأ على النظام المتواتر فى البيئات الطبيعية. ولقد تركز انتباه الانسان من قديم على مسايرة الأفلاك وما لها من تأثير فى الكون والطبيعة والحياة - حسب معتقده - ولذلك تصور الانسان الكسوف والخسوف فى الشمس والقمر خروجاً على النظام المتواتر، وعدها من الكوارث التى يدعو ربه الى رفعها.

● والأنهار الكبيرة حفزت الناس الى الاحتفاء بها باعتبارها المصدر الأكبر للخصب والنماء وازدهار الحياة فى ربوعها. ونحن نجد المواسم الطبيعية والزراعية ترتبط هى وهذه الأنهار - مثل. . الكنج. . ومثل دجلة والفرات وغيرها. . واتخذ الموسم الطبيعى المنهج نفسه فى تشخيص الظاهرة. . ولذلك حمل الاحتفاء بالفيضان إذا أثمر الخصب والنماء البهجة والسرور بالعادات المعتادة نفسها فى الزواج.

ومن اليسير أن يلاحظ الدارس للتراث الشعبى عراقة العادات الخاصة بالغرس والحصاد وتكاد تجمع الشعوب على الاحتفال البهيج باستقبال الثمرات الأولى للزراعة وهي تتحول الى مواسم طبيعية - الى أعياد اجتماعية.

مثلا على ذلك العيد الذى يقام لحصاد القمح الذى كان المجتمع بأسره يحتفل به وسط مباهج السعادة باعتباره رمز الخير والبركة. وكانت الحضارات القديمة تعد حبة القمح شارة على الحياة وتأكل بواكيرها - وتجعل سنابلها وسيقانها زخارف على الحيطان والأبواب تفاؤلا بما أصابهم من خير وما يأملونه من استمرار الخصب فى الأرض وفى الحياة.. ومن ذلك أيضا ما تسبغه بعض الشعوب من تقديس لبعض الأشجار لما يجدونه فيها من الظل والدفء والثمر.. وما حفرته فى ذاكرة التاريخ من أحداث تدعو الى التفاؤل. أو السلام: كشجرات الزيتون والجميز والنخيل والتين.. وهناك مجتمعات اتخذت أعيادا للحصاد والقطاف فيها طقوس صاخبة.. ويلبس فيها الناس الأزياء التنكرية.. ويمثلون مشاهد من عقائد بائدة ومن السهل أن يجد الدارس فيها وفى غيرها من الحفلات ما يعيد الى الذاكرة تفاسير أسطورية عن آلهة قديمة مصرية ويونانية وبابلية... الخ.

وللحيوان والنبات عادات تدل على الرغبة فى الخير أو دفع الشر - ولكل حيوان دلالته على موقف الشعوب من الألفة أوالنفور.. ولقد ظلت محاولة تفسير وجودها وطبيعتها باقية الى الآن كالبقرة أو الفرس.. أوالقطة أو الحية أو التمساح. وما من شعب إلا وفى عاداته ما يجسم علاقته بالحيوان الأليف أوالمفترس - وتزيين الفرس أو البقرة لا يقصد منه مجرد التعبير عن مكانة فرد أو جماعة وإنما يعكس بقية من التقديس الذى استهدف فى الثقافات القديمة الاستزادة من الخير والتخلص من الأذى أو الشر.. بل إن إسباغ صفة الوعى والتعقل على تلك الحيوانات لم يكن من قبيل التشبيه فحسب بل من عقيدة بائدة كانت لها، فى ذواتها أو بكائيات مقدسة - القوة القادرة على النفع أو الضرر - كانت البقرة تزين عند بعض الشعوب بعقود من الحلى أو الأزهار.. وكان التمساح يعلق على القبور حماية لها من الأرواح الشريرة.. وكانت القطة حيوانا أليفا تخاف أكثر الشعوب إيذاءها ولا يزال بعض الناس يخافونها فى الليل ويتصورون أن بعض الأرواح تتقمصها(٧).



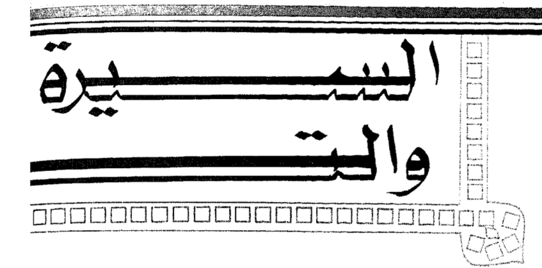
والعادات والتقاليد والأعراف تضع قواعد عامة فى العلاقات وضروب السلوك عند الفرد وعند الجماعة.. ويعد الشذوذ عنها مدعاة للسخرية والفكاهة ولذلك اشتهرت أنماط إنسانية فى الآداب الشعبية وأصبحت تصرفاتها وأقوالها والأحكام عليها طرائف أو نوادر يتبادلها الأفراد وتتناقلها الأجيال - ومن ذلك على سبيل المثال النوادر التى شاعت عن البخلاء والطفيليين والحمقى والعميان... الخ.. وحافظت الروايات على كثير من تلك الأنماط وما اشتهر بها فى القول والسلوك.. وتجاوزت مجال الأدب الشعبى إلى الأدب الخاص ودونت فى كثير من المصنفات.. وربما كان الواقع التاريخى أو الاجتماعى هو الذى دعا الى ذلك.. ولكننا نضيف أن نوادر هؤلاء ربما كانت مجرد نواة تولدت منها الطرائف والنكات.. وكما يزول الحاجز بين التعبير الشعبى وبين الأدب الخاص فاننا كثيرا ما نجد ضروبا من المناظرات فى الشعر والنثر الفنى - كما نجد الأحداث والأقوال التى تشتهر حتى تتجاوز الفكاهة والسمر إلى التبرير وضرب المثل(٨).

وتأخذ العادات والتقاليد موقفا يجعل الكثيرين الذين يحكمون عليها حكما سطحيا بأنها فى طريقها الى الزوال أو الانقراض وهم يحسون بأن الجماعات البشرية تتقارب حتى تكاد تلتحم.. ولكن النظرة النفسية الاجتماعية تكشف عن عمق تأثير العادات والتقاليد، وفيها ما يزال مؤثراً فى السلوك.. بل إن ما اختفى أو انقرض منها يعمل على التأثير حتى عن طريق اللاوعى.. والدارسون يسجلون الكثير من تلك العادات والتقاليد التى شاعت حتى فى العصور القديمة.. والتى لها تأثيرها فى العلاقات والمواقف الانسانية عند بعض الأفراد والجماعات.. ثم إن العصر الحديث الذى نعيشه جعل الأطفال يصدرون فى سلوكهم عما قرَّ فى أذهانهم ونفوسهم بتأثير وسائل الاتصال بالجماهير وبخاصة الاذاعة والتليفزيون.. ويدفعنا التطور الاجتماعى «الذى يشبه الطفرة» الى أن نسجل تراثنا الشعبى بصفة عامة وعاداتنا وتقاليدنا بصفة خاصة وأن تقوم هذه الدراسة على أساس التسجيل كثمرة واقعية للبحث الميدانى وذلك لكى نطور معاهد ومراكز دراسة التراث الشعبى حتى نعرف مكانتنا وأنفسنا من العالم.





(١) وسترمارك، الزواج، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس.
(٢، ٣، ٤، ٧، ٨) د. عبد الحميد يونس، التراث الشعبى.
(٥) احمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية.
(٦) د. عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور.
(*) المنهل: ومن المعروف ان هذه العادات والطقوس ليس مما ورد فى اصل السنة.



تعمد السيرة الشعبية الى تحويل المكون التاريخى نحو الأسطورى والخارق ذى الطبيعة الملحمية. إنها تنطلق من حقيقة تاريخية تمتلك أحداثها وأبطالها مواصفات ارجاعية (retrospective) لشخصيات وأحداث حقيقية من التاريخ، لكن التداول الشفهى لهذا النوع من الأدب والمرتبط بسياقات اجتماعية وحضارية وبيئية والتأثير الناتج عن ظروف اجتماعية وسياسية كل ذلك يحرف الحقيقة التاريخية تحريفا أدبيا فنيا فتؤسس السيرة الشعبية «حقيقتها الخاصة» ذات الطبيعة المجازية (الاستعارية) وهو فى العمق تحويل يسحب الفعل فيها من الواقع التاريخى الى «واقعية الخيالى» (La realite de I maginaire).

إن الخيالى هنا ليس بريئا البتة.. إنه يجسد فى العمق وعياً اجتماعيا مضمراً.. وفعلا لتصرف حاذق يعود فى مصدره إلى حركة اللاوعى المؤثرة فى تأسيس مكونات الخيالى - وعليه: ففعل الابداع يقوم على هذا الانزياح أو الانزلاق القائم على تدرج تحولى لمكونات من التاريخ يجعلها تأخذ بذلك سياقا جديداً.

إن شخصيات «عنترة.. وأبو زيد الهلالى.. وحمزة البهلوان.. وسيف ذى يزن.. والاميرة ذات الهمة.. وعلى الزيبق. الخ» فى السير الشعبية تملك أصلا مرجعياً مع فعل التنكر لهذا المرجع... انها بفعل هذا التنكر للمرجع التاريخى تؤسس خصوصيتها كأحد الفنون الأدبية التى تستند الى المتخيل.. اننا قد نجد فى البدء أهل السيرة الوثوقيين والمفسرين كـ«عماد الدين بن كثير» يحتجون على هذا الصنيع ويعتبرونه كذبا ووضعا وافتراء جاهل(١) وليس لنا أن نلومهم فى ذلك فلهم دواعيهم التى تبرر موقفهم - ولكنه بالنسبة للرؤية الفنية فإن «الكذب» حين يتحول إلى قيمة فنية ويخضع لتصرف أدبى يصير مقبولا فى حدود كونه أحد العناصر الفنية والدعامة الكبرى لكل ما هو متخيل.



الشعبية
تاريخ



ولنا أن نجد مثالا آخر فى الحكايات الخرافية أو العجائبية التى تلجأ إلى اعتماد عناصر لا واقعية ومكونات خيالية غير صادقة لتعبر عن الواقع - وعن ما هو حقيقى وصادق.

فالخرافة والسيرة الشعبية تكمن جماليتها فى هذا الزعم الخيالى الذى يضع بينها وبين التاريخ الحقيقى مسافة هى مسافة المتخيل تسمح بقراءة التاريخ والواقع والتعبير عنه بطريق غير مباشر ونقده - وهى فى ذلك تخالف فناً آخر هو السيرة الذاتية (Autobiographie) والسيرة الغيرية (Biographie) أيضا.. وكلتاهما أمنية للحقيقة التاريخية والمرجعية - وفى اقترابها (هذا) من الصدق التاريخى تؤسسان طبيعتها الفنية ولكل فن أسسه.

السيرة الغيرية (Biographie) تظل «بأى معنى جزءا من التاريخ»(٢) أما السير الشعبية فإنها تخرق الميثاق التاريخى.. قد تورد حقيقة تاريخية فى سياق خيالى.. أو قد تتناقض فيها الوقائع التاريخية.. أو تتصرف بطريقتها الخاصة فى المادة التاريخية. يقول د. محمد رجب النجار: «إن الجمع بين المتناقضات التاريخية ليس امراً جديداً على التراث الفنى (وضمنه السيرة الشعبية) ذلك أن العبرة دائما بمغزى التجربة التاريخية وهو ما يدفع القاص الشعبى إلى انتخاب أحداث بعينها.. وشخوص بأعينهم.. والجمع بينهم فى زمن روائى وبيئة روائية لا علاقة لها بالواقع التاريخى المتضارب - الى جانب اصطناع مواقف وأحداث أخرى «خيالية» بطبيعة الحال»(٣).

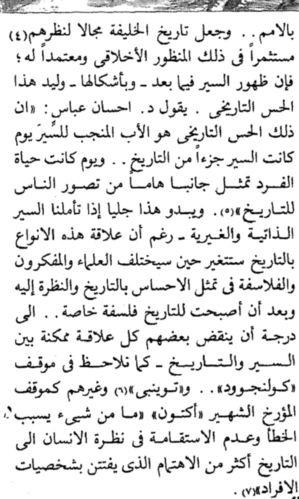
الحديث عن المغزى (مغزى التجربة التاريخية فى القول السابق) يحيلنا الى الحديث عن نقطة أخرى تتعلق بالحافز المؤثر فى الكتابة ويسمى أيضا الهدف أو الوظيفة.

كان القرآن الكريم قد عمق الاحساس بالتاريخ لدى العرب - كما يقول احسان عباس - وذلك «حين قص عليهم قصص الامم الخالية.. وحين وصلهم





بالامم . . وجعل تاريخ الخليفة مجالا لنظرهم(٤) مستثمراً فى ذلك المنظور الأخلاقى ومعتمداً له ؛ فإن ظهور السير فيها بعد ـ وبأشكالها ـ وليد هذا الحس التاريخى . يقول د. احسان عباس : «ان ذلك الحس التاريخى هو الأب المنجب للسِّيَر يوم كانت السير جزءاً من التاريخ . . ويوم كانت حياة الفرد تمثل جانبا هاما من تصور الناس للتاريخ»(٥). ويبدو هذا جليا إذا تأملنا السير الذاتية والغيرية ـ رغم أن علاقة هذه الانواع بالتاريخ ستتغير حين سيختلف العلماء والمفكرون والفلاسفة فى تمثل الاحساس بالتاريخ والنظرة إليه وبعد أن أصبحت للتاريخ فلسفة خاصة . . الى درجة أن ينقض بعضهم كل علاقة ممكنة بين السير والتاريخ ـ كما نلاحظ فى موقف «كولنجوود» . . و«توينبى»(٦) وغيرهم كموقف المؤرخ الشهير «أكتون» «ما من شيء يسبب الخطأ وعدم الاستقامة فى نظرة الانسان الى التاريخ أكثر من الاهتمام الذى يفتتن بشخصيات الافراد»(٧) .



لكن الوظيفة تختلف بالنسبة للسيرة الشعبية فبالاضافة الى المتعة الفنية التى تتحقق ضمنيا ـ على اعتبار كونها فنا جماليا ـ فثمة أيضا كل من الهدف الاخلاقى والايديولوجى وكلها تعمل بشكل متكامل وتكيف علاقة السيرة الشعبية بالتاريخ . . فإذا كانت السيرة الشعبية تجسيداً أدبياً لعالم البطولة المنجزة والمحققة لرغبات وتطلعات المجموع الاجتماعى والكاشفة عن عمقه الوجدانى وجوهره الانسانى فإن لها القدرة على تحقيق ذلك بطرق فنية «تمتزج فيها المعلومات التاريخية والعلمية بمعطيات الخيال والعاطفة»(٨) وذلك من خلال «عقلية الفنان المبدع التى تفتح نفسه المرهفة أبواباً ونوافذ تتجاوز الحقيقة التاريخية والمسلمة العلمية الى ظلال وأعماق أبعد منها بكثير وأكثر قرباً الى معطيات القلب ومعطيات النفس»(٩) وعليه يكون التاريخ له استقلاله الخاص به كعلم . . وتكون السير الشعبية هى التعبير الفنى الوجدانى الجمالى لحركة التاريخ وأبعاده .

وتتجلى نوعية العلاقة الوطيدة بين السيرة الشعبية والتاريخ إذا توجهنا لفحص نقطة جوهرية وهى بالذات

المقارنة بين التاريخ والمحمول المضمونى للسيرة الشعبية ـ هذا المحمول الذى سوى شبكة العناصر والمواد المكونة لـ«الذاكرة الجمالية» .

نص السير الشعبى هو تجسيد وتمثيل رمزى لمجموع القيم التى تؤمن بها الجماعة وتستند إليها ـ وليس ثمة شك أن السيرة استوعبت هذه القيم وتضمنتها إما بشكل مباشر أحيانا أو بشكل رمزى أحيانا أخرى . . والمحمول العام لهذه القيم يشكل الذاكرة الجماعية الفاعلة فى محتوى النص والمرتبة لعلاقاته المضمونية . فما هى اذن العلاقة بين التاريخ والذاكرة الجماعية التى تنهض انطلاقا منها السيرة الشعبية؟ .

الذاكرة الجماعية ليست اولا غرفة تسجيلات . وليست صدى للتاريخ . . فإذا كان صحيحاً أن معطيات التاريخ تؤثر فى طبيعة الذاكرة الجماعية فإن هذه الأخيرة «هى الأخرى» تؤثر فيه ـ فعلاقتهما علاقة تفاعل . فالذاكرة الجماعية تحدد السلوك البشرى (كما يؤكد علماء الاجتماع) مثلما أنها تجسد تاريخ الجماعة الاجتماعية من خلال التقاليد والمواصفات المشتركة التى تسعى الجماعة للحفاظ عليها ـ كمقوم لهويتها . وعليه فإنها ليست خاضعة للفعل التاريخى بل تتأثر به وتؤثر فيه . . فالجماعة من صنع التاريخ والتاريخ من صنع الجماعة . . يفعل فيها وتفعل فيه .

نضيف فى هذا السياق أنه إذا كانت العلاقة بهذا الشكل بين الذاكرة الجماعية والتاريخ فإنه يقع بالمثل . . فيما يخص العلاقة بين السيرة الشعبية والتاريخ ـ لأنه ما دامت الذاكرة تتشخص من خلال مختلف التعبيرات الرمزية (أحداث . . سلوك . . معتقدات . . قيم) فإن السيرة الشعبية ـ نتيجة لذلك ـ ستكون تعبيراً رمزيا لحركة الجماعة فى التاريخ . . وتشخيصاً لنوع من الحوار الذى تقيمه الجماعة مع الوضع التاريخى(*) . . ولذلك تخلت عن الصبغة التقريرية فى تعاملها مع التاريخ وعبرت عن علاقتها به انطلاقا من منظور رمزى وفنى .

المتخيل الاجتماعى هو فى العمق الأرشيف الرمزى لحركة التاريخ . ينبغى أن لا نكون متحمسين فى احداث جفوة واسعة بين الفن والحقيقة ـ فالسيرة الشعبية عادة ما تتضمن اشارات قوية الى ما يمكن أن يحدث من محو فى التاريخ ذاته . . وعادة ما تلجأ الى القيام باعادة كتابة رمزية لأحداث من التاريخ بطريقة مضللة ـ حيث يكون التضليل دعامة فنية ماكرة لتأسيس ذاكرة ـ مضادة لما يمكن أن يحدث فى التاريخ من تضليل .

---

(١) يوسف الشارونى: السير الشعبية : النشأة والبطل ص٨٦، من مجلة (الكويت) عدد ٨ مايو ١٩٨١ .

(٢) ادريس الناقورى «البطولة والعبقرية فى اللغة والتاريخ والتراجم» ص٤٠ . دار النشر المغربية ١٩٨٤ .

(٣) د. محمد رجب النجار «حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى» ص٣٢٢، عالم المعرفة، عدد ٤٥ ـ سبتمبر١٩٨١ .

(٤، ٥، ٦) د. احسان عباس «فن السيرة» دار الثقافة ـ بيروت ط٥ ـ ١٩٨١ ص ١٢، ٩، ٩ـ١٠ .

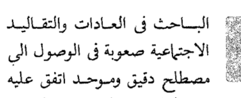
(٧) ادوارد كار «ماهو التاريخ؟» ت. ماهر كيالى، بيار عقل، ص٥١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط٢ ـ ١٩٨٠ .

(٨، ٩) فاروق خورشيد «اضواء على السيرة الشعبية» منشورات اقرأ ـ بيروت ص١٦ .

(*) من المفيد العودة فى هذا السياق الى مقالة د. عبد الرحمن أيوب (الاداب الشعبية والتحولات التاريخية الاجتماعية) بمجلة عالم الفكر عددا وبالخصوص الجزء المعنون (سيرة بنى هلال والتصور الشعبى للتاريخ) .

أثر العادات والتقـ

على البنيـ

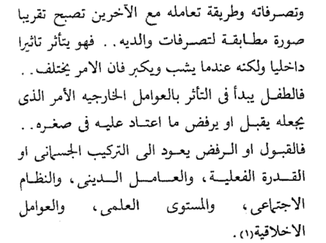


يجد الباحث فى العادات والتقاليد الاجتماعية صعوبة فى الوصول الى مصطلح دقيق وموحد اتفق عليه من قبل كثير من العلماء، وهذه احدى المشاكل التى يواجهها العلماء المشتغلون بالعلوم الانسانية فى تحديد معانى مثل تلك المصطلحات.

فمن المعروف ان اى عمل يقوم به مجموعة من الافراد ثم يكررون هذا العمل فى مناسبات عديدة ومختلفة يتحول الى عادة وحين تأتى مجموعة أخرى وتحاول ان تعمل مثل هذا العمل الذى عملت به المجموعة السابقة يصير هذا العمل تقليداً. فاذا اجمع افراد مجتمع ما على قبول مثل هذه العادات او التقاليد فانها سوف تكون ضابطة لسلوك الأفراد المنتمين لذلك المجتمع.

فالعادات والتقاليد هى افعال واعمال يقبلها افراد المجتمع ويؤدونها بكل رضى، ومع مرور الأيام تصبح كأنها برنامج يؤديه الأفراد فى حياتهم اليومية. ويرى كثير من علماء الاجتماع ان العادات والتقاليد تنشأ فى كل جماعة من الجماعات كما أنها تؤدى دورا هاما فى عملية الضبط الأجتماعى بين الأفراد داخل الجماعة.

■ فالانسان حين يولد يبدأ بالاحساس بمن حوله وكلما تقدم فى النمو زاد احساسه. فمن طبيعة الطفل ان يتأثر بوالديه لأنه يأخذ عنهما عاداتهما وتقاليدهما ايا كان



نوعها فهو فى هذه المرحلة اى المرحلة الأولى من طفولته يصبح ملازما لوالديه طوال الوقت.. فاسلوب حياته وتصرفاته وطريقة تعامله مع الآخرين تصبح تقريبا صورة مطابقة لتصرفات والديه.. فهو يتأثر تاثيرا داخليا ولكنه عندما يشب ويكبر فان الامر يختلف.. فالطفل يبدأ فى التأثر بالعوامل الخارجيه الأمر الذى يجعله يقبل او يرفض ما اعتاد عليه فى صغره.. فالقبول او الرفض يعود الى التركيب الجسمانى او القدرة الفعلية، والعامل الدينى، والنظام الاجتماعى، والمستوى العلمى، والعوامل الاخلاقية(١).



ومن الطبيعى ان العادات والتقاليد تخضع للتطور وبذلك يمكن أن تضعف وقد تزول فى بعض الأوقات وذلك حينما يقابل المجتمع ظروفاً طارئه فالفرد قد يترك ما أَلِفه من عادات وتقاليد تمشيا مع النمط الجديد. وقد تتطور وهذا التطور يقاس حسب الزمان والمكان والحاجه(٢).

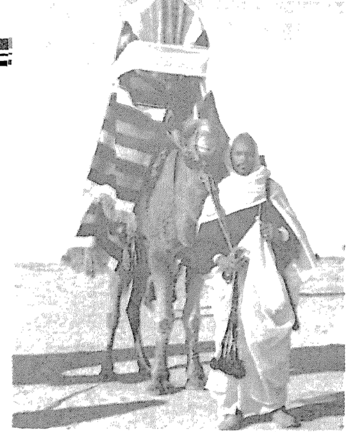
العادات والتقاليد تؤثر على حياة الأفراد، فالانسان بطبعه يهوى الأخذ بالشىء الجديد وخاصة بالعادات والتقاليد ولكن بشرط الا تكون تلك العادات والتقاليد تهدم كيانه الاجتماعى.. فالتربية، والتقدم العلمى، والوسط الأجتماعى، والظروف المحيطه لها الأثر الفعال فى تطور العادات والتقاليد وكذلك فى تطور الاشخاص.. فالعلماء يرون انه ليس

ـــاليـــــد
ـــة الاجتماعيـــــة

من السهل القضاء على العادات والتقاليد نهائيا فى خلال مدة قصيرة من الزمن بل لابد لها من الاختفاء تدريجيا كل ذلك له من جيل وظهور نوع جديد من العادات والتقاليد فى الجيل الجديد.

شك ان العادات والتقاليد التى وجدت فى المجتمعات البدائيه القديمة - فى الواقع لا يوجد فى الوقت الحاضر مجتمع بدائى معزول عن العالم كما كان فى السابق بل ان التقدم التكنولوجى والعلمى والصحى.. دخل المجتمعات البشرية بنسب ودرجات متفاوته ومختلفه - هذه العادات تمثل نمطا اجتماعيا ذا تأثير على اسلوب الحياة فى تلك المجتمعات. فالعادات والتقاليد من السنن الاجتماعية التى تعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.. والواقع اننا لا نستطيع ان نجد مجتمعا بدون عادات وتقاليد. ونجد ان بعض المجتمعات البدائية القديمة المعزوله تتصل باساطير خرافية او سحرية حيث ان مثل هذا النمط من المجتمعات يغلب على تفكيره النظره السطحية لتفسير الأمور وذلك لتأثره بالبيئة التى يعيش فيها.. ومثل هذا السلوك الخرافى لدى تلك المجتمعات يرجع الى عجز الفرد عن البحث فى المعرفة وقلة خبراته مما جعله قاصراً على عدم الوصول الى تفسير واضح لتلك العادات والتقاليد.. كما اننا نجد فى بعض المجتمعات فى الوقت الحاضر بعضاً من العادات والتقاليد التى تتصل ببعض انماط السلوك الخرافى وذلك رغم ما وصلت اليه تلك المجتمعات من تقدم فى العلوم والمعارف العلمية الا ان اولئك الافراد الذين يمارسون مثل تلك العادات والتقاليد ذات التأثير الخرافى هم اناس خبراتهم محدودة ولم يحصلوا إلا على قدر قليل من التربية والتعليم كما أن قدرتهم على التفكير المنطقى والعلمى الصحيح معدومة(٣).

ان العادات والتقاليد كما يرى كثير من علماء الاجتماع هى اتفاق فى سلوك معين بين افراد المجتمع ينتقلان من جيل الى جيل ولكن هذا الانتقال قد يصاحبه عادة بعض التغير اى ان الجيل الجديد قد يقبل بعضها ويزيد او يغير من بعضها.. ولا شك



ان بعض تلك العادات والتقاليد تؤثر اما سلبا واما ايجابا فى بعض العوامل والنظم الاجتماعية السائدة فى المجتمع . . فتأثيرها يكون اشد واقوى فى المجتمعات البدائية ثم يليها المجتمعات النامية والمجتمعات المتقدمه والصناعية واقلها تأثرا . . فالعادات والتقاليد تقوم بعملية تنظيميه لمعظم نواحى الحياة الاجتماعية(٤) . . فتماسك البناء الاجتماعى للمجتمع وما يؤديه من ترابط بين النظم الاجتماعية الأخرى كالنظام الاسرى والنظام الاقتصادى، والنظام التربوى وغيرها يجعل هناك تفاعلاً بين مجموع العلاقات الاجتماعية الموجودة بين افراد الجماعة او بين جماعة واخرى .

أى العادات والتقاليد ذات الأساس الدينى والاجتماعى او الثقافى تسعى الى جعل الفرد يسلك سلوكاً وفقا لما اتفقت عليه الجماعة . . فبعض الحكم والأمثال والاغانى الشعبية والأفعال الاجتماعية تخالف الدين الا ان كثيراً من الأفراد يزاولونها وذلك بما لها من تأثير عليهم . . فمثلا العلاقات الاجتماعية القائمة على الزواج تكون محددة كأن يكون الزواج داخل فئة معينة على الرغم من ان الدين لم يحدد الزواج من فئة دون أخرى .



مجتمعات اخرى نجد العلاقات الاجتماعية تحدد من قبل مجموعة معينة فالفرد حين يولد يجد نفسه قد صنف ضمن تلك المجموعة ولذلك فقدراته وخبراته وطموحاته لا تقبل لدى الفئة الأخرى . . وكما هو معروف فى مجتمعاتنا فان بعض العادات والتقاليد تمنع وتعيق كثيراً من الأفراد من مزاولة بعض الاعمال التى ترى أنها غير لائقة او انها ذا مستوى اقل مما هو مطلوب . . فبعض الاعمال الفنية التى يرى كثير من الناس ان القيام بها غير مرغوب فيه يرجع السبب فى ذلك الى العادات والتقاليد على الرغم من أن هذا يؤدى الى خلق مشكلة اجتماعية واقتصادية تواجه القائمين على خطط التنمية فى تلك المجتمعات .

فالعادات والتقاليد يتبعها الافراد نتيجة لتعودهم عليها وشعورهم بان التمسك بها والاستمرار فيها يعطيهم الطمأنينة والأمان من اى تغيرات جديدة تهدد تماسكهم . والواقع ان التأكيد على اهمية تلك العادات والتقاليد فى أى مجتمع على الرغم من التغيرات التى تطرأ عليها يجعلها تعمل على تقوية وتماسك البيئه الاجتماعية .

تنوع واختلاف العادات والتقاليد :

لكل مجتمع من المجتمعات عاداته وتقاليده فهناك اتفاق فى الشكل ولكن المضمون مختلف . فا لعادات والتقاليد المتبعة مثلا فى عملية الخطبة فى مجتمعنا العربى السعودى اعتراها بعض التغير حيث كانت الام والاب والاسرة معا هم الذين

يقومون بعملية الخطبة حيث لا رأى للمخطوبين فى ذلك بل عليهما ان يقبلا ما اتفقت عليه الأسرتان معاً . ولكننا فى الوقت الحاضر ونظرا للمتغيرات الجديدة التى حدثت فى هذا المجتمع سواء الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية اصبح فى كثير من الاوقات يؤخذ فى الحسبان رأيهما.

وفى بعض المجتمعات كان لابد من موافقة الأسرتين على الاقل فى حالة الخطبة.



فى حالات الزواج فاختيار الزوج او الزوجة شىء مهم فالعرب الأوائل كانوا يفتخرون بانسابهم ولذلك كان من عادتهم وتقاليدهم عدم الزواج من قبيلة اقل من قبيلتهم . . وعندما ظهر الدين الاسلامى ووحد تلك القبائل فى مجتمع واحد لم يجعل من النسب الشىء الرئيسى والمهم فى الزواج بل انه جعل من الدين العنصر الهام فى الزواج فالرجل او المرأة لابد ان يكونا مسلمين ولابد لكل منهما ان يكون على درجة قوية من التمسك بالدين هذا بالاضافة الى بعض العوامل الاخرى كالمال والجمال والنسب . . بينما فى مجتمعات اخرى لا ترى ذلك ضروريا ولكنها تحرم الزواج من الاقارب كأبناء وبنات الاعمام.

كذلك الحال فى عادات وتقاليد الاكل والشرب ففى بعض المجتمعات اعتادوا على شراب او طعام معين . . ففى مجتمعنا اعتاد الناس على تقديم القهوة العربية والشاى للضيف عند قدومه بينما فى مجتمعات اخرى اعتادوا على شراب خاص بهم . . اما فى مجتمعنا الاسلامى فنحن نأكل لحم الضان او البقر بينما هناك مجتمعات اخرى ترى ان أكل لحم البقر من المحرمات . . وهناك مجتمعات اخرى تأكل لحوم الضفادع وتعتبر من اكلاتهم المفضله . . كما ان هناك اختلافاً فى كيفية اعداد الطعام.

الاهتمام بتنشئة الطفل نجد ان لكل مجتمع وسائله الخاصه حيث ان بعض المجتمعات تعود الطفل منذ صغره على ان يسلك ويتعرف على تصرفات خاصة بالرجال اذا كان الطفل ذكرا وبتصرفات خاصة بالنساء اذا كان الطفل انثى . .

اما فيما يتعلق بالعادات والتقاليد التى تستخدم فى حالات الوفاة فهى كذلك تختلف من مجتمع الى آخر . . ففى المجتمع الاسلامى نجد ان الامر يخضع الى السنة النبوية الواردة فى هذا الشأن حيث ان الميت يغسل ويكفن ثم يصلى عليه ثم بعد ذلك يؤخذ الى مثواه الأخير . . بينما فى مجتمعات اخرى نجد ان اظهار الحزن ولطم الخدود والصراخ قبل وبعد دفن الميت شىء عجيب وقد يمتد الحزن الى ايام عديدة . . كما انه فى مجتمعات اخرى توضع جثة الميت فى صندوق ثم تدفن وفى بعض منها يقوم الأفراد بحرق جثة الميت كما هو معمول به فى بعض مناطق الهند(٥).

والعادات والتقاليد المستعمله فى اللباس هى الاخرى تختلف فهناك لباس خاص بالرجال واخر بالاطفال ولباس آخر خاص بالنساء وآخر خاص برجال الدين . فالعادات والتقاليد تعد وسائل الضبط الاجتماعى لسلوك الافراد غير المقنن وهى تؤدى وظيفة اجتماعية محددة لدى اى مجتمع من المجتمعات البشرية.

(١) اثر التقاليد د. فوزى هنانو ص٩-١٠ ـ المطبعة العصرية ـ صيدا ١٩٥٠.
(٢) نفس المرجع ص١٣-١٤
(٣) القيم والعادات الاجتماعية ـ د. فوزية دياب ص١٢٤-١٢٦ ـ دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠.
(٤) نفس المرجع ص ١٠٩.
(٥) نفس المرجع ص ١٢٨-١٣١
(٦) العادات الاجتماعية لدورة الحياة فى المجتمع الكويتى ـ صلاح عطية صبيح . ط١ مؤسسة الصباح ـ الكويت ١٩٨٠.

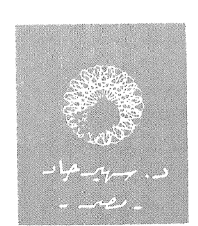
العادات والتق

ومقوِّمات الـــ

للرأى العام تعريف واحد يتفق عليه الباحثون والدارسون.. فالجهود التى بذلت لتعريفه قد ادت الى اكثر من خمسين تعريفا(١) ولكن الدارسين يتفقون على أن الرأى العام يمثل مجموعة من آراء جمع كبير من الافراد ـ وأن هذه الآراء تتصل بالمسائل المختلف عليها وذات الصالح العام.. وأن هذه الآراء يمكن أن تمارس تأثيرا على سلوك الافراد والمجتمعات.. ويضيف البعض الى هذه العوامل، أنه لابد من توفر المناقشة المنظمة للوصول الى رأى عام سواء كان هذا الرأى هو حاصل جمع أو حاصل ضرب الآراء المختلفة(٢).

وكذلك تركز الدراسات حول علاقة الرأى العام بالاتجاهات والقانون.. والعادات والعرف والتقاليد.. ويذهب «جون ديوى» الى أن الرأى العام يستلزم «استعلاما فعالا ومنظما من اجل الوصول الى الاتفاق عن طريق المناقشة ـ وتأسيسا على ذلك ينتج الرأى العام عن الاهتمام المشترك لجمع كبير من الافراد بالنسبة للمسائل المختلف عليها. ويقول «ويليام ألبج» إن وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير تعتبر مرآة عاكسة للقيم السائدة فى كل أمة.. حيث تعكس اتجاهات هذه الأمة ومخاوفها وأمانيها وأحلامها.. بل تعكس ايضا كثيرا من الصور المشوهة أو التبريرات المحرفة التى يفضل الرجل العادى ظهورها كذلك ـ ذلك لأنه لا يفضل العيش فى مواجهة الحقائق الموضوعية المجردة.. بل يستمد رضاه وسعادته من العيش فى الخيال والتصور وتؤدى الأساطير وظيفتها فى هذا الاتجاه.. فهى تقدم له أساسا لما يراه تصرفات موضوعية هادفة.. كما تعمل على ارضاء حاجاته النفسية كذلك.

ومن اجل ذلك يركز التعريف الشائع للرأى العام (Public Opinion) على أنه مجموع آراء جمهور معين ـ أو هو الجماعة التى يشترك أعضاؤها فى بعض الاهتمامات أو الآراء العامة.. ويعتقد بعض الدارسين أن الآراء تشمل التفصيلات العامة، والاتجاهات، والعادات الجماعية، والعرف ومن ثمَّ فالرأى العام من الناحية السياسية يعبر عن الارادة العامة. ولذلك تهتم الدراسات الحديثة بكيفية تأثر



ـــاليــد
ـــرأى العـــام

محتوى الرأى العام بكل من القيم والمعايير المشتقة من الـدين والأخـلاق والعـرف من ناحيـة وكيفيـة تأثره بالمصالح الاجتماعية من ناحية أخرى.

■■ ويـذهـب بعض الدارسين الى أن انـماط الثقـافـة المؤثـرة فى الرأى العام تتمثل فيما يلى :

[١] نمط مجتمعي : العقائد الدينية للجمهور. . والعادات والتقاليد. . والقيم الخلقيـة التى تنتشـر بواسطـة القطـاعات المجتمعية الكبيرة.

[٢] نمط جماعي : المعتقدات الدينية للجمهـور. . والسـير الشعبيـة وأسـاليب الحيـاة المألـوفـة فى مختلف الجماعات التى ينتمى اليها الفرد العادى.

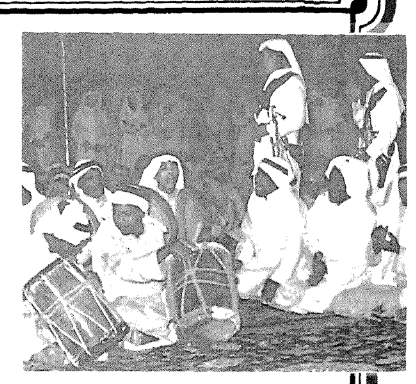
[٣] نمط شخصي : العقائد الدينية الشخصيـة. . وممـارسـات الفرد وعواطفه التى يبديها فى حياته العائلية والمجتمعية.

[٤] نمط ذاتي : المواقف والعواطف الواعية والمكبوتة أو غير الواعية التى يتمسك بها بشأن القضايا الدينية وما يتصل بالدين.

والنـماذج المجتمعية وخاصة النماذج الخلقية ذات التأثير الإلزامى على الآخرين من نوع أصولى ذى شعائر. . فالجماعات والأشخاص ملزمون بأن يسوغوا ما يمارسونه من الاتجـاهـات الشعبيـة وأساليب الحياة والآراء الشخصيـة وغيرها من الممارسات ـ بل حتى المواقف والعواطف تسويغا عقليا منسجـما مع التقـاليـد المجتمعيـة وخاصة الخلقية منها(٣).

على هذا الفهم، تصبـح التقاليد هى النماذج المألوفة فى المسـتـوى المـجـتـمعى باعتبـارهـا الاشكـال السليمـة لسلوك الـفــرد. . وهـى تتـضـمن الانــماط المجتمعية للرأى العام أو آراء الجمهور.

هى «انـماط مثـالية للتفكير والسلوك نشأت عقب فترات طويـلة من الـزمـن خلال عمليات التعميم والتسويغ العقلى من النـماذج التى تحترمهـا الجـماعــات والطبقــات والطــوائف وغــيرهــا من قطـاعـات المجتمـع الأخـرى وتعدها مثالية. . وهذه التقاليد تبدو فى اسلوب يزعم أنه قاطع جازم ولكنها تتميز بأنها عامـة وبراقة سواء من جهة الشعار أو التصــور. . وبأنهـا مطلقـة غير محددة



اشارة الى امكان السماح بالغاء ما يقضى التسويغ العقلى بالغائه منها فى نطاق الحدود العريضة لما يظهر من معارضة لها أو تناقض معها.

والتقاليد تهيء نماذج للسير الشعبية للجماعة.. والمواقف الشخصية.. واللغة العامة لبلد ما - أى «لغة القاموس» التى يضمها قاموس موجز صغير - والتى «يشتمل على التعبيرات الدارجة وغيرها من الكلمات الخاصة بهذه الجماعة.. والصيغ والمعانى» وطرق الالقاء، هى جزء كبير من تقاليد مجتمع ما.. فأعضاء أية جماعة أخرى لا يتكلمون تماما بنفس الطريقة.. ولكن جمهور كل الجماعات يستخدمون الكلمات بطرق تشبه تقريبا «لغة القاموس» وتشبهها شبها يكفى للتسليم بأنها «نفس اللغة»(٤).

●● والقيم الخلقية تقاليد استقر الحكم على انها تحقق خير المجتمع فى التقاليد المركزية المتكاملة التى تهيء درجة من تنظيم مثالى للثقافة على المستوى المجتمعى - وبتعبير آخر انها القيم العامة المألوفة بشأن الصحيح والباطل والحقوق والواجبات. والمحرمات الخاصة بالمسائل التى تهم المجتمع التى توارثتها أجيال عديدة وسنت عادة فى شكل مجموعة من الوصايا والقوانين الخلقية.

وتبدو أهمية القيم الخلقية الرئيسية فى صياغة المثل الذاتية العليا للشباب.. وفى وصف الواجهات المجتمعية للاوضاع والجمعيات وواجبات من يعملون فى نطاق هذه الاوضاع كالاطباء والامهات والآباء وزعماء العمال والعلماء ورجال الاعمال وكبار موظفى الحكومة.. وفى تزويد الدعاة باللوازم الرئيسية لعملهم.

ولذلك يتطلع أعضاء المجتمع الى القيم الخلقية على انها المقدمات أو الفروض المنطقية الرئيسية العريضة للمناقشات والاعمال على مستوى مجتمعى.. والمتحدثون فى هذا الموضوع يحاولون أن يروجوا لشروح تدهش اكبر عدد ممكن من الناس باعتبار أن كلا منهم سيردد أن هذه الشروح هى «نفس ما كنت أفكر فيه».

ومن أجل ذلك تعنى دراسات الرأى العام بدراسة القوانين والمعايير الاجتماعية.. والعادات.. والاعراف.. والقوانين.. كما تعنى ايضا بدراسة السلوك الذى يتعارض مع هذه القواعد والمعايير..

وقد كانت دراسة «وليم جراهام سمنر» وهو أحد علماء الاجتماع الاوائل فى امريكا من الدراسات الرائدة فى العادات الاجتماعية Folkways وقد وجد «سمنر» بالدراسة المقارنة لأنواع السلوك المتعارف عليه فى مجتمعات مختلفة: أن هناك أشكالا متوقعة من السلوك لا يؤدى الخروج عليها الى جزاء قاسٍ من المجتمع فأطلق عليها اسم.. **العادات الاجتماعية**.. كما أن هناك أيضا أشكالا اخرى من السلوك يفرض عليها المجتمع عقوبات قاسية فأطلق عليها اسم «**القواعد الاجتماعية**».. فالعادات الاجتماعية تقوم وتتطور بأسلوب غير شعورى عن طريق الخبرة وتنتقل من جيل الى جيل عن طريق التقاليد وضبط سلوك الاشخاص ولكن دون أن يصحبها أى تهديد أو إلزام.. وفى هذا قال «سمنر»: «*كانت حياة الانسان على مر السنين ومراحل الثقافات تضبط ضبطا اوليا بحشد كبير من العادات الاجتماعية التى انتقلت اليها من الوجود المبكر للجنس البشرى والتى كانت تشابه مثيلتها فى الحيوانات الأخرى الى حد كبير.. وكانت مظاهرها السطحية فقط هى التى تتعرض للتغيير والضبط تعدلت الى حد ما عن طريق الفلسفة الانسانية والاخلاق والدين*».

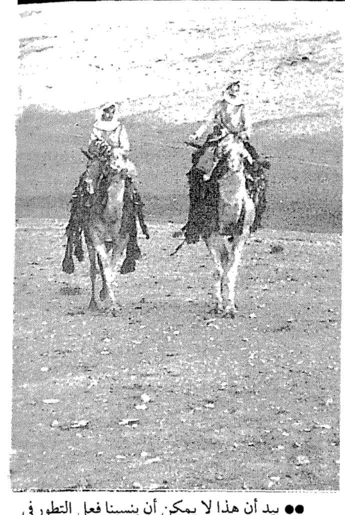
■ فالجزاءات المرتبطة بالعادات الاجتماعية أيا كان نوعها من صنع جماعات مفردة وليست ملزمة لكل أعضاء المجتمع ومثال ذلك: طريقة لبس الجامعيين فى الجماعات الامريكية ـ وفى هذا المقال قال «دافيس» إن العادات الاجتماعية «ثابتة ومقننة نسبيا وتعتبر ملزمة فى الموقف المناسب.. ولكن الالتزام بها ليس مطلقا فهى تطبق بحكم الضوابط الاجتماعية غير الرسمية (الاغتياب ـ السخرة ـ والنبذ.. وتنشأ هذه العادات الاجتماعية بطريقة غير منظمة وغامضة لا عن قصد وتدبير)(٥).

وقد أصبح مفهوم العادات الاجتماعية مقبولا فى دراسات الرأى العام.. وقد أطلق «سمنر» اسم القواعد الاجتماعية Mores على تلك الانواع من العادات التى تتضمن فرض عقوبات بالقوة على الافراد اذا لم يخضع هؤلاء لاشكال السلوك التى ينتظرها المجتمع و Mores جمع لكلمة Mos باللاتينية ومعناها «عادة».

وتتناول القواعد الاجتماعية مجالات السلوك التى يؤمن بها أعضاء ثقافة معينة ويعتقدون أنه لا غنى عنه لاستمرار رفاهتهم الجماعية.. فالقواعد الاجتماعية حازمة وضابطة ومعظمها راسخ فى القوانين المدنية والجنائية ـ كما قد تكون جزءا من عقوبات الجماعات المنظمة.. وينظر المجتمع الى الافعال التى تنهى عنها القواعد الاجتماعية على انها من المحرمات Taboos فى المجتمع(٦).

وفى مطلع العصر الحديث واجهت المجتمع المصرى مشكلة جعلته يتوقف ويتحير ويتساءل عن هذه العادات والتقاليد فقد اتصل بالحضارة الغربية ووجد فيها عادات أخرى وتقاليد أخرى تختلف فى بواعثها وصورها ووظائفها عما ألفه.. وتطور المجتمع المصرى بفعل هذا الاتصال الحضرى وما استحدثه من صراع.. ومقاومة.. وتسرب.. وكان لزاما عليه أن يعدل فى بعض عاداته وتقاليده بحيث تلائم تطوره.. وانقسمت الطبقات المفكرة الى قسمين: **أحدهما** يتشبث بالواقع المألوف **وثانيهما**: يدعو الى الأخذ جملة أو الى الانتخاب من العادات الجديدة غير المألوفة والتقاليد الوافدة غير المتمثلة ما يلائم نزوع المجتمع الى التقدم.. وسار المجتمع فى طريقه فأخذ من القديم والحديث ما ساغه ذوقه واحس بنفعه العام له.. وكانت طبقات المجتمع تتفاوت

في درجات المحافظة والأخذ جميعا . . وتغيرت أنماط وازياء وطقوس ومراسيم . . وبقى الجديد على سطح الكيان الاجتماعى ولم ينفذ منه إلا قليلا . . وظل القديم الصالح واضحا يعمل عمله ـ وكما ما تصور البعض انه غير صالح فى أطوار المجتمع . . ولم تنعدم وظيفته انعداما تاما . . ومن هنا تحول التفاعل بين التليد والطارف الى ما يشبه الصراع النفسى فى أعماق الوجدان الشعبى . وفى مكنون الوجدان الفردى معا» على حد تعبير أستاذنا الدكتور عبد الحميد يونس(٧) الذى يقول: إن الادب الفصيح والشعبى جميعا قد صور هذا الصراع وشغل العلماء به فى كل مجال يرصدونه ويصنفون عناصره ويدعو بعضهم الى رأى معين فيه ولو أن الجميع التفتوا الى وظائف العادات والتقاليد لأعانوا التطور . . وخففوا عن الوجدان عبء الصراع ـ وقللوا من ضحاياه وشاركوا مشاركة أجدى فى توجيه الحياة .



● بيد أن هذا لا يمكن أن ينسينا فعل التطور فى المجتمع وتأثيره بالتالى فى عاداته وتقاليده؛ ومن ثم كان لزاما على المجتمع القوى كما يقول «د. يونس» أن يقوم بعملين أساسيين :

أولهما: المحافظة على العادات والتقاليد ذات الوظائف الايجابية التى تنزع الى النفع العام والتى تستهدف تماسك الجماعة ونزوعها الفطرى الى الوحدة ـ وهذا النزوع فى مجتمعنا العربى أصل من الاصول التى تفرضها الشخصية العربية فرضا . . وتدفع اليها البنية العربية دفعا . .

وثانيهما: أن يعدل المجتمع فى وعى وأناة وادراك كامل لمقتضيات التطور وغاياته من صور العادات والتقاليد التى ضعفت وظائفها او انقرضت . . والتى كمنت فى اطواء الوجدان الشعبى تخليصا لهذا الوجدان من الصراع النفسى فى الفرد والجماعة ـ وهو الصراع الذى

ووظيفة العادات والتقاليد فى الوجدان الشعبى تحدد مسار تأثيرها فى الرأى العام كمقوم أساسى من مقوماته ذلك أنها ترفع من روحنا المعنوى . . وتربطنا بمجتمعنا . . وتعطينا دائما النموذج العام الذى نحاكيه فى تصرفاتنا . . والجماعة كلها عادات وتقاليد تحكى تجانسها وتماسكها ونزوعها الدائم الى التوحد . . ولكل مجتمع صغير ينتظم داخل المجتمع الكبير عاداته وتقاليده أيضا ، بعضها نماذج اقتبسها عن الاطار العام وبعضها أنشأه بنفسه . . وهى وان اختلفت فى صورها إلا أنها تلتقى فى حوافزها ووظائفها وغاياتها . . فهى جميعا نماذج يجسمها المجتمع الصغير لكى يسير على غرارها أفراده وطبقاته وعناصره وهى جميعا تقوم بخلق علاقة أو تقوية آصرة أو تأكيد رابطة تعين على بقاء المجتمع متآزر الوحدات متماسك الاجزاء .

يبدد القوى.. ويضعف الهمة.. ويفكك الاواصر. ويكاد يطمس الهدف المنشود.. والمجتمع فى هذين العملين مطالب بوساطة عقوله المفكرة وعواطفه المعبرة وارادته المدبرة أن يبرىء العادات والتقاليد مما تسرب فى تضاعيفها من السحر.. ومن الشعوذة.. ومن بقايا الوثنية.. وأن يخلصها من الاستهواء المضلِّل بها ـ ذلك أن العادات والتقاليد الصالحة انما تشحذ الهمة وترفع الروح المعنوى عند النهوض بتبعة من التبعات(٨).

■ والوفاء قديم.. والكرم قديم.. وكل خلق كريم قديم.. وفى الوفاء يقول الناس: من فات قديمه تاه.. والقديم هنا ليس فقط الصديق القديم ولكن الأم وهى قديمة.. والأب وهو قديم.. وعلائقه القدم جميعها ـ فهى روابط تربط صاحبها بالارض كما تربط الاحبال السفن فتحفظها من الرياح الهوج.

يقول د. احمد زكى ـ رحمه الله ـ: «ان الشىء القديم قد يحسن ولا يستطيع فوات زمانه أن يغير من حسنه والشىء الحديث قد يسوء ولا تستطيع حداثته أن تقلل من سوئه واكثر أصول الحياة ثابت لا يتغير مع الزمان. لُبُّ الحياة ثابت على تتابع القرون وانما الذى يتغير قشر الحياة ومظاهرها وأشكالها.. فالفضيلة فى صميمها ثابتة.. والحسن والقبيح فى جوهرهما ثابتان ثبوت الجبال ـ وهما كالجبال لا يطلب منها احد أن يتغيرا بتغير الدهر فيتجددا.

«ان فى الناس عادات.. فى مأكل أو مشرب أو ملبس أو مسكن.. وعادات فى سلوك وآداب.. وعادات فى اللغة وأساليبها.. وعادات فى الفكر وأنماطه. وصاحب العادة به احتفاظ بها لأنه تعودها ولأنها عادة فهى بحكم الطبع تعود. تجد ذلك فى جبلة الناس ـ وهى لم تخلق عبثا. ان الاشياء دائما فى تغير وتطور. والتطور قد يكون فاجئا فيؤذى كنازل جبلا، يتعجل نزوله فيفقد السيطرة على رجليه فيهبطه تدهورا.. وكان جديرا بقدميه ـ اول الامر ـ أن يكون بها أثقال تهدىء من خطوها وتقصر.. فهذه هى المحافظة التى تكون فى بعض الناس.. وهى فى الحياة تعمل عملها فكأنما هى قانون من قوانين الطبيعة(٩).

ونختم هذا المقال بكلمات دالة للدكتور احمد زكى رحمه الله تفصل القول فيمن يربط بين القدم والتقدم. وهو رباط «برغم العرف مقطوع. انه رباط غير مقدس، لا يباركه فكر ولا هو يقوم عليه منطق» يقول (ومن الناس من يريد أن يفهمنى ان التجدّد فى التمرّد، باحتكار رأى الأب، واستخفاف بحنان الأم، أو هو فى التحرر بالرقص فى الصالات، او بصور شتى من هذه السخافات فهؤلاء لى على الله رجاء منهم: أن يزيد أقفيتهم عرضا ويزيدها شحما، حتى تمتلىء كفى بها عند الصفع، ويكون لها رنين يسمع فى الآفاق».

الهوامش والمصادر

(١) د. احمد بدر: صوت الشعب ص٤٩،
Childs, Har wood L. Public opinion, Nature, Formatio-Role. p.12.28
(٢) د. احمد بدر: نفسه ص٥٠.
(٣) الفريد مككنج لى: العوامل الاجتماعية المحددة للرأى العام فى الاعلام والرأى العام، تحرير رانييل كاتز وآخرون ـ ترجمة د. محمود كامل، ص١٢٧
(٤) نفسه، ص١٣١
(٥) Dawis, Kingsley: Humen Society, P.57
(٦) جورج سيمسون: الانسان فى المجتمع، ترجمة د. عبد المنعم شوقى، ص١٥٩
(٧) د. عبد الحميد يونس: مجتمعنا، ص٤٧
(٨) نفسه، ص٥٦
(٩) د. احمد زكى ـ ساعات السحر ص١٤٢.

العادات وال...

من منظور نفس...

تمثل العادات والتقاليد جزءا كبيرا من النشاط الاجتماعى للأفراد فى أى مجتمع من المجتمعات اذ لا نجد مجتمعا من المجتمعات المعروفة يخلو من بعض العادات والتقاليد.. ويختلف حجم واتساع العادات الاجتماعية من اقتصارها على عدد قليل من الأفراد الى شمولها المجتمع بأسره.. كما أن العادات والتقاليد الاجتماعية تختلف فى مدى وضوحها. فبينما نجد أن طريقة السلام بعد السفر فى مجتمعنا السعودى والمتمثل فى العناق واضحة يعرفها الجميع ولا يختلفون عليها نجد أن العادة فى ترتيب الحفلات الخاصة ليست بنفس درجة وضوح عادة السلام آنفة الذكر.

والعادات والتقاليد الاجتماعية تمارس ضغطا على أفراد المجتمع لا يستهان به وان كان معظم الأفراد لا يحسون به.. واذا أردنا أن نعرف مدى ذلك الضغط الذى تمارسه علينا العادات الاجتماعية فليتخيل أحدنا وضعه وما سيواجهه به الآخرون لو خالف احدى العادات الاجتماعية.. فعلى سبيل المثال ماذا يتوقع الشخص لو لبس غترة زرقاء مثلا أو قدم لضيوفه خبزا وعسلا لوجبة الغداء.. لا شك أن الشخص سيجد صعوبة فى القيام بذلك السلوك الذى يخالف العادة.

والذى يجب أن نشير اليه أن هذا الضغط الذى تمارسه العادات الاجتماعية على أفراد المجتمع يتمثل فى عقاب غير واقعى يتخيل فيه الفرد أن المجتمع سيقوم به.. أى أن الزام المجتمع للفرد باتباع عادة اجتماعية معينة لا يأخذ الصورة القانونية وهذا ما يميز العادات الاجتماعية والتقاليد عن القوانين السائدة فى المجتمع أو المعايير الأخلاقية التى تعارف عليها أفراد



تقاليـــد

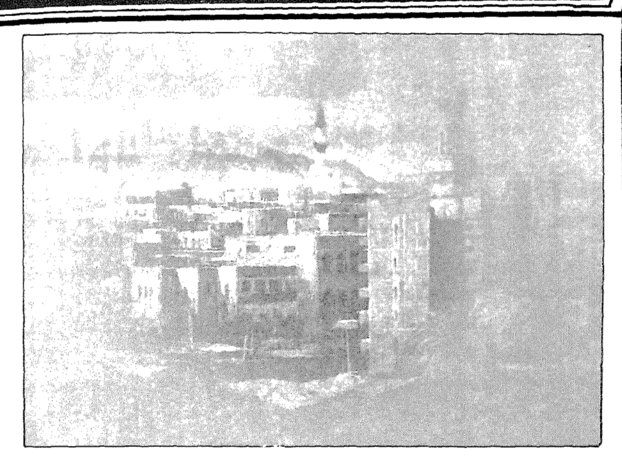
ـــي اجتـماعي

المجتمع . . ففى مثالنا السابق وهو لبس غترة زرقاء لا نجد قوة تلزم ذلك الفرد بعدم لبسها بل ربما لا يسأله أى شخص لماذا يلبس هذا النوع من اللباس لكن فى حقيقة نفسه يحس باستنكار الآخرين لهذا السلوك واستهجانهم له حتى لو لم يتحدثوا بذلك.

ونجد فى كثير من الحالات أن الشخص يبالغ فى تخيل هذا العقاب الاجتماعى - ان جاز لنا أن نسميه كذلك - بل قد يتخيل فى بعض الأحيان رد فعل سلبى عندما يخالف عادة اجتماعية فى حين أنه لا وجود لرد الفعل هذا . . فقد يتخيل الشخص مثلا أنه لو خالف العادة المتبعة فى اقامة حفلات الزواج المتمثلة فى اقامة حفل كبير فان الآخرين سيستنكرون ذلك فى حين أن الواقع غير ذلك بل نجد فى كثير من الحالات أن الناس يشجعون ويؤيدون ذلك التصرف . . إذاً فتخيل الشخص للعقاب قد لا يطابق الواقع.

وقد يفهم مما سبق من حديث ومما سقناه من أمثلة أن الضغط الاجتماعى الذى تمارسه العادات والتقاليد هو سلبى دائما أو انه أمر غير مرغوب فيه . . فهل هذا صحيح؟ والاجابة بلا شك لا . . وسلبية الضغط الاجتماعى أو إيجابيته تعتمد الى حد كبير على طبيعة تلك العادة أو التقليد الاجتماعى فاذا كانت العادة أو التقليد الاجتماعى حسنا فإن ذلك الضغط يعتبر شيئا مطلوباً ومرغوباً فيه من جانب المجتمع وان لم يكن مرغوبا فيه من وجهة نظر الفرد . . أما اذا كانت تلك العادة غير حسنة فان





ذلك الضغط يعتبر سيئا ومثال الحاله الأولى عادة التزاور فى أيام الأعياد ولا سيما لذوى الرحم أما مثال الحالة الثانية فهو لبس فستان جديد عند كل حفلة تقام.

[نشأة العادات والتقاليد]

ذكرنا فى بداية الحديث أنه لا يخلو أى مجتمع انسانى من مجموعة من العادات والتقاليد. . والفرد يخرج الى الحياة ويجد نفسه محاطا بهذه العادات والتقاليد دون أن يدرك كيف نشأت وكيف انتشرت الى أن وصلت الى شكلها الذى عليه بل قد تظهر أثناء حياة الفرد بعض العادات الجديدة ولكن لا يستطيع الفرد تتبع نشأتها.

أن الحقيقة الأولى حول نشأة العادات والتقاليد الاجتماعية أنها لا تظهر بين يوم وليلة بل تأخذ سنوات طويلة قد تتجاوز الجيل الواحد حتى تثبت وتستقر. . كما أنها تأخذ وقتا طويلا أيضا حتى تتغير أو تتحول.

والحقيقة الثانية أن العادة الاجتماعية غالبا ما تنشأ لوظيفة اجتماعية وفائدة للأفراد الذين نشأت فيهم هذه العادة أو على الأقل لبعض أفرادها وقلنا غالبا لأن هناك بعض العادات التى يمكن أن تنشأ بدون وظيفة محددة واضحة وانما نشأت لتقليد فرد لفرد آخر.

اما الحقيقة الثالثة فهى أن الوظيفة الاجتماعية للعادة قد تتلاشى أو تنتهى نتيجة لتغير الظروف المادية أو الاجتماعية ولكن العادة تبقى نتيجة

للضغط النفسى الذى تمارسه على الأفراد وهذا ما يفسر لنا وجود بعض العادات الاجتماعية التى قد لا يبدو لها وظيفة اجتماعية فى الوقت الحاضر.

العادات الاجتماعية كثيرا ما تمثل ضغطا على الأفراد يتخيلون فيه عقاباً غير متوقع فى حالة تخليهم عن بعض العادات

الى ما سبق فإنَّ هناك ميلاً طبيعيّاً لدى الانسان للسلوك كما يفعله الآخرون وهذا ما يبدو واضحا فى السؤال الذى دائما ما نسمعه وهو «ما هى العادة فى فعل كذا وكذا؟» وذلك عندما يريد الشخص القيام بنشاط من الأنشطة الاجتماعية.

ووجود العادات بصفة عامة يسهل كثيرا من الاجراءات والأنشطة اليومية لأفراد المجتمع فيجعل الفرد يتوقع سلوك الآخرين فى موقف من المواقف ويعمل بناءا على هذا التوقع فعندما تدعى الى مأدبة غداء فأنت تعرف الوقت التقريبى الذى يصل فيه بقية المدعوين وتتوقع ماذا سيقدم لك المضيف وتعرف أيضا ما هو المطلوب منك أو التصرف الذى تتصرفه أو القول الذى تقوله وهكذا والفضل فى هذا يعود الى العادة فهى التى اراحتك من كثير من الحيرة.. وتتضح هذه الفائدة للعادات الاجتماعية عندما ينتقل الشخص الى مجتمع آخر لا يعرف العادات السائدة فيه حيث نجد ذلك الشخص كثيرا ما يقع فى حرج وحيرة لأنه لا يعرف ماذا يتوقع الأفراد الآخرون منه فى المواقف الاجتماعية المختلفة.. فعلى سبيل المثال اعتاد بعض الأفراد فى بعض المجتمعات أن لا يخلعوا أحذيتهم عند الدخول فى المجالس بينما تعتبر احدى عاداتنا الاجتماعية.. فما هو موقف الشخص الذى يسافر الى تلك المجتمعات ويقوم بخلع حذائه عند دخوله لأحد المجالس؟ أو عندما يأتى أحد أفراد ذلك المجتمع الى مجتمعنا ويدخل الى أحد المجالس بحذائه؟ لا شك أنه موقف محرج والحالات المماثلة لهذه الحالة كثيرة وهى تنشأ من عدم المعرفة ببعض العادات الاجتماعية للشعوب.

والإسلام عند ظهوره أبقى على العادات الحسنة كالضيافة ومساعدة الغريب وحارب العادات السيئة وجعل المحك لقبول العادة أو رفضها هو مدى صلاحيتها ومناسبتها لما جاء به القرآن والسنة وليس الضغط الاجتماعى الذى تمارسه حيث نجد القرآن فى أكثر من موضع يعيب على من يحتج بأنه وجد آباءه على عادة فهو يحذو حذوهم ونجد أن السنة المطهرة تنهى المسلمين أن يكونوا إمَّعة يفعلون كما يفعل الناس بدون تفكر.. وهذا ما يجب أن يكون عليه موقفنا تجاه أى عادة من العادات.

العادات والتق

المكتسبات الحض

مقدمة

لا ارغب فى ان أجعل هذا الحديث خاصاً بشرح فكرة محدودة حول تقليد معين او عادة مشهورة من تقاليد وعادات المغرب، كما لا ارغب فى ان يكون هذا الحديث صورة شفافة لوصف حفلة عرس من الاعـراس وما اكثرها او حفلة عقيقة لتسمية مولود جديد فى بيت أسرة مغربية تعيش فى المدينة او البادية بل أود ان لا يخرج هذا الحديث عن كونه مجرد لمحات لنبش الموضـوع فى اعـماقـه والحوم حوله فى محاولة لتسليـط بعض الاضـواء عليـه من جوانب كفيلة باعطاء فكرة قريبة من الشمولية ان لم تكن كذلك.

وسأتحـاشى ما امكن التطـويـل الممـل والسرد المسهب وأعتمد بدل ذلك ادراج بعض ما له علاقة بالموضوع باختصار وحسب المحاور التالية:

[المحور الاول]

ضرورة ربط الماضى بالحاضر من اجل المستقبل

القيام بجرد شمولى ومسح متكامل لمختلف اوجه التراث بما فى ذلك العادات والتقاليد والتركيز فى البحث عن المـدن التـاريخيـة العتيقـة والعالم القروى فيما يخص المواسم والحفلات والاعياد والمناسبات.

نمـوذج (١): الفـلاحة والزراعة «موسما الحرث والحصاد» ففى هذا المجال وحده سلسلة من العادات والتقـاليد الايجابية تحتاج الى دراسة مستقلة وتأليف خاص لما تتميـز به من حث وتـرشيـد للفـلاح على الالتصاق بارضه وكذا ما لتلك العادات والتقاليد من دور هام فى تنشيـط الحـركـة الاقتصادية والاجتماعية وتنمية الروح التعاونية بين السكان القرويين ويمكن الاشارة على وجه الخصوص الى عمليتين، «التويزة والـوزيعـة» وهما تقليـد وعـادة متعـارف عليهما منذ القدم. ويدخلان ضمن العادات والتقاليد الحضارية الاصيلة ولم يؤثر فى مثل هذه المظاهر الحضارية الجادة عنصر الانفتاح على الافاق المستقبلية انطلاقا من ربط الماضى بالحاضر، واتخاذ المسار التواصلى وسيلة لهذا الـربـط الـذى يعتـبر ضرورة حتمية. غير ان مسألة استقطـاب العنـاصـر الاسـاسيـة والمصـادر التاريخية تقتضى تعميق البحث فى نشأة تلك العادات والتقاليد وتحليـل ظروفـه فى المجتمـع المحلى ذلك لان هناك اختـلافاً فى بعض العادات والتقاليد داخل المجتمع المحلى يرجـع الى الاختـلاف فى بعض العـادات والتقاليد داخل المجتمع الواحد الموحد،، كما ان عامل التواصل والهجرة من البادية الى المدينة.. يؤدى الى انتقال وتوارث تقليد او عادة من جهة الى أخرى فى اطار موقع جغرافى معين. لذلك فان عملية البحث فى هذا المجال تقتضى تحديد الهوية بعد جمع المعلومات وتصنيف ما يمكن انتقاؤه من اشياء لها علاقة بالتراث - ولابـد من منهجية هادفة لتحليل المعطيات.. وفى هذا الحديث سوف نحاول الاحاطة ما امكن بالجوهر

ـــاليد في ضـــوء
ـارية والتوجّهات المستقبلية

والعمق دون الاقتصار على تنميق الكلام بل سنعتمد على الرؤية الواضحة بدل الرؤية الضبابية ولعل تلك هي رغبة القارىء والباحث على حد سواء. ولكل غاية مفيدة نخلص الى المنظور المعلوماتي الذى يترصد ما يزخر به المجتمع من عادات وتقاليد تتشكل منها مقومات التراث.

[المحور الثانى]

أضواء على التراث عبر اطوار التاريخ

لا نجافى الحقيقة اذا قلنا ان كل المدن والبوادى المغربية التى توجد بها عادات وتقاليد أصيلة.. ومظاهر حضارية اثيلة.. ولوحات من التراث تختلف من جهة الى أخرى.



نموذج (٢): الفنون الشعبية «الفولكلور» من بين العادات والتقاليد هناك العديد من اللوحات التى تندرج فى مجال الفنون الشعبية وهذا الجانب هو الاخر يحتاج الى ان يكتب فيه الكاتبون ويبحث فى كنوزه الباحثون لما يزخر به من تنوع - وما تتميز به كل جهة من الجهات. فهناك تقاليد وعادات محتفظ بها عبر العصور فى منطقة من مناطق المجتمع الوطنى فى شماله او جنوبه.. فى شرقه او غربه.. ولم يكن متعارف عليها من طرف كل افراد المجتمع - بل لم يتأت تعميمها والاطلاع عليها الا بعد ان جاءت وسائل الاتصال والإعلام الحديثة وهذا يشكل الجانب الايجابى لهذه الوسائل فى تقريب المسافات واشاعة الثقافة العامة والتثقيف الشعبى.. غير انه مع الاطلاع والاكتشاف لبعض الكنوز التراثية.. والعادات والتقاليد.. التى كان بعضها فى طريق الانقراض بحكم التطور والعنصرية فان الاقتناع بتقليد او عادة ليس من السهل اذ كل يعتز بتقاليده وعاداته لكونه يرى فيها مقوماته الشخصية ويلمس فيها الحنين الى ارومته واصالته فيقول البعض: هذا من عاداتنا.. وهذا ليس من عاداتنا ويتضح هذا فى سلوكيات أفراد المجتمع وتعاملهم مع الوقائع والمناسبات.. والولائم والاعياد.. والعلاقات الانسانية العامة. وتشير كل الدلائل إلى ان التمسك بالعادات والتقاليد مسألة اخلاقية وقيمة من القيم الحضارية يتوارثها الابناء عن الاباء والاجداد ورغم مرور السنين الطوال ورغم غزو المعاصرة للاصالة فى عقر الدار - ظل التراث شامخا أصيلاً وله كل اعتزاز وافتخار فى القلوب.. فالفنون الشعبية بما فيها

الفولكلور لازالت تستهوى الكثير من الناس لان الاتها وادوات آدائها نابعة من الاصل ـ كما انها تعبر عن الامجاد والمفاخر والملاحم وواقع الحياة بايقاعاتها الشعبية الصميمة التى تمس المشاعر وتحرك الوجدان لكونها تتحدث بروح الاصالة عن المعارك البطولية والنخوة والشيم والاثار بتعبير تلقائى بعيد عن التكلف والتمويه والاساليب الدخيلة الملغومة التى تفرغ القلوب من الايمان والنفوس من الاطمئنان ذلك ان «ميكا نيز مات» الحضارة الحديثة تروم الى تشويه معالم التراث وتنفير الشباب والاجيال الصاعدة منه وطمس معالمه واخفاء حقائقه بكل المزاعم التى تفرغ القيم والعادات والتقاليد من معطياتها الفكرية والعلمية والاجتماعية مع ان تلك التقاليد والعادات هى عناصر متفاعلة مع التراث كما انها تجسد الرموز والكنوز الكبيرة التى لا ينبغى التفريط فيها.

[المحور الثالث]

الادب الشعبي كمصدر من مصادر التراث وبمدخل من مداخل التقاليد والعادات

نموذج (٣) «الكلام الملحون».

على الرغم من ان الادب الشعبى هو الطريق للحديث عن التراث وتدوينه وبحثه ودراسته ـ نجد ان الأقدمين لم يحظ هذا النوع من الاداب منهم بما يستحق من الاهتمام. . ولعل قلة الاهتمام بهذا الجانب انعكست على ابداعات المحدثين بحيث لم نر ما يشبع ويشفى الغليل فى هذا المجال. وحتى اذا بحث باحث هذا الموضوع قليلا ما يتخذ لبحثه منهجا يستفاد منه ما لهذا المجال من معطيات وقيمة حضارية وفنية ـ وما يندرج فيه من تقاليد وعادات واعتقادات ونوادر وطرائف وحكايات وقصص واساطير كان لها اثرها فى زمان من الازمان ووقت من الاوقات. . ولولا القيمة الفكرية والفنية والاجتماعية للادب الشعبى ما كان ليحظى بالبحث والدراسة من طرف فلاسفة وعلماء لهم تاريخ حافل بجلائل الاعمال ومن بينهم الفيلسوف الاجتماعى الكبير «عبد الرحمن بن خلدون» الذى خصص جانبا من اهتماماته العلمية لبحث الادب الشعبى بما فيه الكلام الملحون.

ان اهل الاندلس والمغرب فاقوا غيرهم فى الثروة الادبية بكل فنونها الابداعية. . فى القريض والاوزان ـ وغير ذلك من امكانات الخلق والابداع الادبى والفنى. . واذا اعتمدنا اقوال ابن خلدون حكما على الواقع الادبى والفنى نلاحظ ان هناك تقهقرا فى هذا المجال ـ لسنا ندرى لمن يعزى هذا التقهقر او التراجع؟. هل يعزى الى ركود الاقلام. . او ركود العقول والافكار؟.

وهذا التساؤل سيبقى مطروحا الى ان تجيب عليه الابحاث والدراسات التى تغوص فى اعماق القضية.

ان التراث هو قاموس الشعوب يؤرخ لاحداث ووقائع وحقب مهمة يعيد من خلالها التاريخ نفسه. . ويراجع فى ضوئها الانسان موقعه وحقيقة وجدانه وعلاقته بمجتمعه. . ولذلك ينبغى اعادة الاعتبار للادب الشعبى وعدم تهميشه ـ بل ينبغى بالضرورة تنقيحه وتصحيح مفاهيمه وبعثه من جديد فى اطار بعث التراث. ولا يتسنى هذا الا بتشجيع المبادرات التى تعنى بهذا الميدان وطبع ونشر الابداعات التى تنبثق عما يمت بصلة للتراث جملة وتفصيلا.

[المحور الرابع]

إطلالة على التراث في بيئته المحلية

الاطلالة التى ينبغى ان تكون على دنيا التراث هى التركيز فى البحث والدراسة والتقييم لمعطياته المختلفة وتصنيف هذه المعطيات وتحليلها بعقلية تتجاوب مع الابعاد الطموحة والتوجهات المستقبلية وليست اطلالة ظرفية تستهدف الاستمتاع والفرجة، بل اطلالة تقارع الحجة بالحجة وتستشف منها دلالات

ومعانى ترمز الى أهمية التراث وينطبق عليها القول المأثور «ليس من رأى كمن سمع» لان الرغبة فى الاقتناع باهمية التراث لا تتم الا بالمعاينة وعند المعاينة لن يبقى هناك غموض، بل المرجح اذ ذاك هو الاقتناع بضرورة تحويل التراث من وضعه الهامشى الى وضع متحرك بروح الاستمرارية والفائدة وليس بتلك الحركية الظرفية التى تجعل من التراث فى بعض الاحيان وسيلة من وسائل التهريج والشعوذة ـ وهذا فى الحقيقة عمل لا يخدم التراث ولا يساعد على الحفاظ عليه وتعزيز مكانته فى مجتمع القيم الحضارية. ولا مجازفة فى القول ان مجال التراث غنى بالابداع والعطاء، بل هو مادة خام بحاجة ماسة الى من يستخرج منها الكثير من الروائع الفنية لأنه مهما اجتهدت القرائح والافكار فى معايشة هذا التراث والاحتكاك به فى مصدره وبيئته واكتشاف معطياته يظل مع ذلك فى مسيس الحاجة الى الاعتناء والرعاية والاهتمام. . وبانتهاج هذه السبل يكون التراث بمثابة عملية غسل الادمغة التى سيطرت عليها سفاسف الحضارة الحديثة وبالتالى يمكن اعطاء البديل لما يروج فى اوساطنا. . ويغزو ثقافتنا وعقولنا. . ويؤثر فى شبابنا. . ويشكك فى الرصيد الحضارى الهائل والتراث الزاخر بالابداع والعطاء. . وليس هذا البديل بالشيء الصعب او العسير ـ بل من السهل والهين اذا تأملنا تاريخ السلالات. . وما (العادات. . والتقاليد) الا صنع من صنيع الاقوام الذين سبقوا وتركوا سجاياهم وفضائلهم التى توحى بالسمو والرفعة والقوة والمناعة والشجاعة والكرم حتى ان كل واحد يفتخر بتقاليده وعاداته التى ورثها عن الاباء والاجداد. . وما اقامة المناسبات والولائم واحياء الليالى الرمضانية وتخليد الاعياد الدينية الا برهان على رسوخ الاصالة وتعميق الحضارة. . وهذه السجايا هى قسم مشترك بين المدينة والبادية. . واصول مرعية فى العلاقات الانسانية العامة فردية وجماعية. وكما جاء فى الاثر: التاريخ اساطير الاولين.

[المحور الخامس]

المحافظة على التراث امانة جيل ورسالة اجيال

هناك عادات وتقاليد مرعية يحتفظ بها الخلف عن السلف ويرى فيها الكل. . نوازعه واصالته. . ومواهب وعبقريات من سبقوه. . ولذلك يساير الانسان التطور والتجديد ولكن ليس على حساب التفريط فى امجاد الماضى وقيمه الحضارية الحافلة بالتراث المتميز بسلسلة من العادات والتقاليد. وبهذا الاعتبار ينبغى ان تنصرف الاهتمامات التربوية والتعليمية الى حث الجيل الحاضر على الاستمساك بما هو صالح من العادات الحميدة والتقاليد السليمة المفيدة حفاظا على الهوية وترسيخا للعقيدة فى النفوس وديباجة الواقع وتعميم المفيد منه رعيا لكون هذه المسألة تعنى امانة على كاهل الجيل الحاضر ورسالة للاجيال المقبلة. وتلك بالفعل نظرة فاحصة لتفاعلات الماضى والحاضر وتشوف للمستقبل. والاقتناع بهذه الفكرة يحتاج الى توضيح وترشيد ذلك لان التصادم الحضارى. . والغزو الاستيلابى. . وطغيان الحياة المادية على الحياة الروحية عوامل بالمرصاد لاستمرارية الانسان على المنهج السليم والطريق السوى ـ بل تلك فى الواقع فتنة و«الفتنة اشد من القتل» ولعل هذا ما جعل الانسان الحديث مقتحما مجالات الهوس والصراع. . ومواجها تحديات العصر بروح ضعيفة واهنة لكونه اصبح اشل بعد ان أخذ يتخلى عن اصالته وقيمه الحضارية وتراثه بما فى ذلك عاداته وتقاليده.

[المحور السادس]

تغيرت الكلمات وبقيت المفاهيم

لقد اكتسح ناموس التطور كل جوانب الحياة. . وانعكس هذا التطور على سلوكيات وممارسات الافراد والجماعات حتى ان البعض

اصبح يتنكر لما هو اساس فى حياته الاجتماعية . .

ويتخلى تدريجيا عن القيم والمثل العليا التى لها علاقة بالعادات والتقاليد المرعية ـ اذ هناك تقاليد وعادات يعتبر التخلى عنها تخليا عن قيمة تراثية وحضارية، وبالتالى ان من يتخلى عن ذلك يمكن ان يتخلى عن قيم اخلاقية.

ولعل ذلك يتضح من خلال طبيعة معتادة وسلوك وممارسة مألوفة فى حياة الناس ـ وتدخل بالتالى فى عاداتهم وتقاليدهم فيقولون دون تردد: من العادة ان نحتفل بهذه المناسبة على الكيفية التى تتلاءم وتقاليدنا الاجتماعية . . فنقوم بكذا . . ونهيىء كذا ونقدم كذا . . ونؤخر كذا الخ . . . واذا تعمقنا فى دراسة مفاهيم **«العادات . . والتقاليد»** نجد انها (بروتوكول) فى اطارها الرسمى . . وسلوك يمس العديد من القيم من المنظور الشعبى ـ مَنْ حادَ عنه يعتبر خارجاً عن الجماعة ليس بالمفهوم الاعتقادى ولكن بالمفهوم الاجتماعى . . ذلك أن منْ حاد عن عادات وتقاليد مجتمعه يعد غير مندمج فى المجتمع، بل ويوصف بكونه غير ملتزم باصالته ومنساقاً مع تيار المعاصرة، وبالفعل أخذ البعض يتحول عن الاتجاه الاعتيادى والمنهج التقليدى حيث يخضع للواقع ـ ونلاحظ ذلك لدى بعض الناس الذين اصبحوا لا يقيمون وزنا لبعض العادات والتقاليد وان كانت لها علاقة بالجانب الاخلاقى والروحى . فمثلا: لا يقومون ببعض الالتزامات الاجتماعية وعلى سبيل المثال لا الحصر:

■■ يختصرون الزواج فى كتْب الكتاب ويستغنون عن ما يعرف **«بالعرس . . او الزفاف . . او الدخلة»** بتعليل عدم الامكانيات ـ فى حين يتألقون فى شراء اشياء استهلاكية جاء بها العصر . . نفس الحالة نلاحظها عند البعض الاخر حيث يأتى المولود الجديد ولا تقام له العقيقة بمراسمها التقليدية المعروفة . . وهذه مجرد امثلة بسيطة ناهيك باشياء أخرى أخذ يغزرها ناموس التطور والتحديث فى حياة الناس وهذه عملية تفريغية خطيرة من شأنها ان تنعكس على سلوكيات ومعتقدات الاجيال الصاعدة وتؤدى لا قدر الله الى اندثار وانقراض عادات وتقاليد لها موقعها الهام فى التراث والحضارة.

أن الحياد السلبى عن العادات والتقاليد والمعتقدات الاساسية فى مقابل تبعية وتقليد اعمى لسفاسف المعاصرة وقشور الحضارة الحديثة عملية تفقد الانسان هويته . . وتحبط معنوياته . . وتحد من شخصيته.

والمعنى الواضح هنا ان التغيير فيها لا يحتاج الى تغيير معناه المسخ والخروج عن الجادة والصواب ان لم يكن اشبه بالارتداد والتراجع عن مبادىء وقيم حري بالانسان ان يقتنع بها حتى يعيش حياة سليمة ومطمئنة تشوبها السكينة والاستقرار، وكم هى كثيرة المشكلات والعوارض الاجتماعية والسلوكية والاخلاقية التى سارت بذكرها الركبان فى هذا العصر وتأتى وسائل الاعلام من حين لآخر بنشر مأساتها التى يشمئز منها الضمير الانسانى السليم.

[المحور السابع]

العادات والتقاليد واثرها على شخصية الانسان

يولد الانسان وهو على الفطرة التى فطره الله عليها وقيل فى حقه وهو طفل بانه امانة فى عنق والديه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه، اى بمعنى انه يتعود على نمط من الحياة بكل ما يرتبط بهذا النمط الحيوىّ من معتقدات وعادات وتقاليد . . . وهذا التعود يمكن ان يقال عنه بأنه اكثر ارتباطاً وانسجاماً مع العادة بمفرد العادات . . وسلوكيا يقترن العنصر الاول بالثانى ولذلك فالتغيير غير وارد ما دام المفهوم كما عبر عنه بعض العلماء الذين اخذت من اهتماماتهم قضايا الانسان والظروف والتطورات التى تطرأ على حياته ـ ونجد اقربهم الى هذا الموضوع فيلسوف المغرب ابن طفيل فى قولته الشعرية التالية:

ما كـل من يشـم نال رائحـة

للناس فـى ذا تباين عجـب
قـوم لهم فكرة تجول بهـم
بين المعانى ، اولئك النجب
وفرقـة فـى النشـور قـد وقفـوا

وليس بـدون لـب ما طلبوا
لا غايــة ينجلـى لناظرهـم
منـه ولا ينقضـى لهـم
ارب
لا يتعـدى امــرؤ جيلــه
قد قسمت فى الطبيعة
الــرتــب

شخَّص تأثير العادات فى النفس البشرية وفى التكوين الشخصى للانسان الكاتب العربى الكبير مصطفى صادق الرافعى فى الجزء الثالث من مؤلفه «وحى القلم» نقتطف منه الفقرة التالية :

«والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئا نفسيا حقيقيا حتى ليشعر الانسان ان لارضه امومة الام التى ولدته . . ولقومه أبوة الاب الذى جاء به الى الحياة . . وليس يعرف هذا الا من اغترب عن وطنه . . وخالط غير قومه . . واستوحش من غير عاداته : فهناك ، هنالك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا» واضاف الرافعى يقول «وباللغة والدين والعادات ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوماتها فلا يسهل انتزاعه منها» . . الخ .

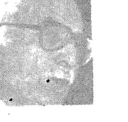
نجد كل التعريفات المعرفية تفيد ان العادات والتقاليد لها اثرها وتأثيرها فى الناس وفى تحديد اتجاهاتهم وانماط حياتهم . . وقد شرح ذلك غير واحد من العلماء المسلمين ومن بينهم (احمد بن عبد الملك الاندلسى) المعروف بابن الشهيد والذى اشاد به (ابن بسام) فى كتابه المعروف بالذخيرة . والى جانب هؤلاء الكثرة من الاعلام الذين تميزت مواقفهم باحترام العادات والتقاليد ما لم تكن متناقضة ومتصادمه مع العقيدة السليمة والايمان الصحيح بالكتاب والسنة وهما قمة الشريعة الاسلامية الخالدة . . ومصدر السلوك السوى والعبادات الحقة ونحن لا نود الخوض فى تحليل مفهوم العادات والتقاليد بوجه عام فهذا شىء يحتاج الى الكتابة المسهبة ولكن فقط أردنا الاقتصار على علاقة الموضوع بالحياة الاجتماعية للفرد وضرورة تكيف واندماج هذا الفرد داخل الاسرة والمجتمع . . وتهذيب كل ما هو عالق بشخصية الانسان ـ وجعله محلًى بالاخلاق الحميدة . . والمعاملات الطيبة . . والسلوك الطيب . . والسيرة الحسنة . . ذلك لان هناك اناساً اصبحت تؤثر فيهم عادات غير عاداتهم تتسلل الى افكارهم وعقولهم الساذجة عن طريق تيارات مختلفة معادية للاسلام ـ وكثيرا ما يتم هذا التسلل والتسرب للعادات والتقاليد الفاسدة المعادية عن طريق وسائل الاعلام الملغومة فى شكل . . صحافة غير ملتزمة . . ومجلات حافلة بالصور الخليعة . . واباحية مفضوحة فى افلام واشرطة الفيديو . . وغير ذلك من مظاهر الفساد والاباحية والانحلال والالحاد .

[المحور الثامن]

كلمة أخيرة

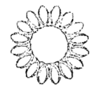
ان من تأمل جيدا ما جاء فى هذا الموضوع سيلاحظ انه ذو افكار غير متجانسة ولا متلازمة ولكن مع ذلك سيجد فى ثناياه اقواسا مفتوحة . . وعلامات استفهام كثيرة . . ينبغى الوقوف عندها نظرا لكونها تشير الى ضرورة اعداد بحوث ودراسات تحليلية وعملية وادبية فى هذا المجال الواسع الشائك المتشعب الذى له علاقة بالقيم والمثل الانسانية العليا .

ولا ريب فإن موضوعا هذه مواصفاته قمين بالاهتمام به من اصحاب الرأى وحملة الاقلام ـ وان ما سمحت فى الظروف بكتابته هو مجرد نقطة من بحر وللنقطة دلالات كثيرة وكما يقول المثل المغربى «بالنقطة يحمل الواد» . . ولله الامر من قبل ومن بعد .




د. نقولا زيادة

● نال الدكتوراة من جامعة لندن.
● عمل أستاذا فى الكلية الرشيدية فى القدس.
● عمل رئيساً لقسم التاريخ فى الجامعة الامريكية فى بيروت.
● بعد احالته على المعاش عمل استاذاً للتاريخ فى الجامعة الاردنية.
● له مؤلفات عديدة فى التاريخ الاسلامى والتاريخ القديم والحديث.



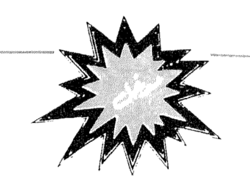


حسن ناجى

● كاتب مسرحى وشاعر
● صدرت له مجموعة من المسرحيات الشعرية منها: «الكنز - العصفور التائب - عرار وديوان شعر بعنوان (فارس كنعان)

مصنفات المادة .. وتطبيقات التقليد

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎



•• الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى . . ومن مضمون هذا المأثـور جاءتنـا المأثـورات الشعبيـة من حكم وأمثال تدعو للوقاية اولا والتداوى ثانياً . . وتتحد الامثال الشعبية والحكم فى مضمونها وان اختلفت فى التعبير عنها من حيث تركيب الجمله . . ويتبع هذا ـ كجـانب تطبيقى ـ خصـائص الاعشـاب والنباتات فى التداوى والعلاج . . وهى ما عرفت فى مجتمعاتنا بالعطارة إذ يستخدم جزء كبير منها فى الوصفة العلاجية الشعبية وجزء منها يدخل فى مستحضرات التجميل والعطور كما هو معلوم عند أصحابها والمهتمين بامرها .

وإن كان هذا الفصـــل قد جمع بين الصحـة والتـداوى والعطارة فإنه يلج الى الأسواق قديمها وحديثها لالقاء نظرة عليها . . ونشأتها ومحتوياتها وتطورها .

وتأتى السبيل والحمامات ضمن معطيات تراثنا الخالد بما لها من أهمية فى اطارها ومضمونها .

د.كمال الدين البتانونى

- استاذ كلية العلوم/ جامعة قطر
- له العـديـد من الـدراسـات والابحاث العلمية .
- له مشـاركـات فى الصحف والمجلات الخليجية .

المنهل



محمد ابراهيم بخات

- أديب وكاتـــب
- له العـديـد من المشاركات فى الدراسات الاجتماعية والتراث المغربى .

العادات الصحية في الأمثال الشعبية

حسن ناجي

الأردن

قال تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾

الطب الشعبي بين الأسطورة والخرافة:

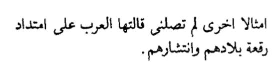
الانسان، هذا المخلوق القادر العاجز خلق فى كبد ومعاناه قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ ومكابدته ومعاناته التى تعنينا هنا امراضه الصحية البدنية فاذا نظرنا اليه من هذه الزاوية فاننا لا نستطيع بداية ان نستدل على الطريقة التى بدأ بها سلوكا لدفع علة اصابته ولكننا نستطيع ان نجزم جهله بسبب العلة وهذا الجهل قد ادى به الى سلوك طريقة التجريب فى حماية نفسه من العلل - فهو يجرب طعاما او كلاما (تعويذة) او سلوكا (كأن يجرح مكان الالم).. وفى حالة التجريب هذه يكتشف «خاطئا» أن ما قام به قد أدى الى شفائه وبالتالى فهو يعتمد هذا السلوك او ذاك فى مداواة ألم مشابه. من هنا نجد أن الانسان المريض فى قديم الزمان قد لجأ الى من هو أكبر منه سناً أو قدراً لعلمه أنه يعرف أكثر منه لأن الايام قد صقلته والتجارب قد علمته.. وليس غريبا على هذه الفئة التى ادعت المعرفة بالطب ان تدون ما توصلت اليه... وليس غريباً ايضا أن من جاء بعدهم يتخذ اقوالهم حقائق علمية تجل عن النقاش. وقد شاعت هذه الاقوال والافعال بين العامة والخاصة فكثر السحرة.. والمشعوذون.. والمنجمون.. وحين زادت حاجة الناس الى هذه الفئة من الدجالين ادرك رجال الدين ذلك فخصوا انفسهم بالمعرفة وتصدوا لأولئك.. ونستطيع هنا ان نصنف من عمل بالطب فى العصور القديمة الى ثلاث فئات هى:

[١] رجال الدين
[٢] السحرة والمنجمون
[٣] الاطباء ذووا المعرفة التجريبية.

وحتى نكون منصفين للفئة الثالثة «الاطباء» يجب أن نذكر أن كثيرا منهم قد اجتهد صادقا من اجل الوصول الى المعرفة الحقيقية وقد اصابوا فى قليل واخطأوا فى كثير. . ومن المفاهيم السطحية والخاطئة التى اعتمدها اطباء العصور القديمة ما جاء على لسان ابى الطب ابقراط حيث يؤكد «ان البدن يتكون من الدم والبلغم والصفراء والسوداء وان الانسان يتمتع بالصحة الكاملة اذا امتزجت فيه هذه العناصر بنسبها الصحيحة»(١).

والعرب فى القديم هي امة كغيرها من الامم سادها جهل وسيطرت عليها خرافات واساطير ـ وحول مفاهيم الطب يقول الدكتور عبد المعطي امين فى تحقيقه لكتاب الطب النبوى فى الصفحة العاشرة «لم تكن معارف العرب قبل السابع للميلاد الا بعض معلومات فى فن الشفاء التي كانت شائعة بين معاصريهم تلك الايام. . المبنية علي تجارب قاصرة ووصفات متوارثه عن مشايخ الحي وعجائزه. . هذا وكان الكي عماد معالجتهم لكل مرض معضل. . واعتقدوا كذلك بالارواح الشريرة وانها سبب الامراض ولا يشفي منها الا السحر والتمائم علي يد الكهان والعرافين وزاجرى الطير».

والمثل الشعبي وليد تجربة ومعاناه. . وسرعة انتشاره بين الناس دليل اعتقاد بصدقه ومطابقته للواقعة. . وسيبقى المثل الشعبى حيا متواترا بين الناس ما داموا يؤمنون بما جاء فيه وان كنا نلاحظ ان بعض الامثال تخبو فى زمن ما لتحيا كمثال تساير الزمن حضارة وسلوكا وثقافة فترديد المثل اذن دليل وعى وثقافة وحكمة فانت حين تقول **«الايد اللى ما تقدر تدوسها بوسها وادعى عليها بالكسر»** أو **«بوس الكلب من فمه تأخذ حاجتك منه»** تكون عند قولك مثل هذه الامثال فى ظرف ما. . وزمن ما. . يدفعانك الى قول ذلك وهو غير الظرف ـ الموقف الذى نقول فيه **«ما بيضيع حق وراه مطالب»** وعليه فان استشهادنا بالامثال الشعبية فى هذه الدراسة ليس دافعه ايماننا بها بعد ان واجهنا العلم بحقائقه ومعلوماته ولكن ذلك للوقوف على مدى ما للمثل الشعبى العربى من صدق الاحساس بالتجربة التى تمخض عنها وافرزته كلمات موجزة مختصرة. ولكثرة الامثال الشعبية التى بين يدينا حول الصحة العامة فاننا قد وجدنا التصنيف فى الدراسة واجبا. واريد ان اثبت هنا ان هذه الامثال ليست هى كل ما قيل فى هذا المجال ولكن هى ما توصلت اليه واستطعت الحصول عليه من كتب توفرت لدى او لقاءات شخصية مع رجال كبار فى السن. واعلم ان هناك امثالا اخرى لم تصلنى قالتها العرب على امتداد رقعة بلادهم وانتشارهم.



إن الحضارات الانسانية هى نتاج تجارب واختبارات وتطبيقات وما يصل اليه الانسان فى عصر ما هو وليد ما وصل اليه من سبقه، فالترابط الفكرى والروحى بين البشر سر ازدهار الحضارة وتطورها. . وقد عزا الاطباء الصينيون بعض اسباب الامراض الى الحر والبرد والجفاف والرطوبة. . كما ان الانسان منذ القدم عرف اثر الطعام على الجسم ـ ومن هنا نلاحظ ان الطب الشعبى يراوح بين الظواهر الطبيعية والاعشاب، ويؤكد على ضرورة التغذية الجيده كحصن حصين للامراض. وقد وجدنا عند دراستنا للامثال الشعبية العامية العربية انها ايضا تدور حول ما اوردناه وهذا دليل على ان العرب عرفت حضارات من سبقها واخذت منهم وزادت وحسنت وجاء الاسلام ليهذب اخلاقها ويقوم اعوجاجها فاضاف العامة لمفاهيم الطب الشعبى الايمان بالقضاء والقدر كحقيقة يؤمنون بها.

اخـلاقها ويقوم اعوجاجها فاضاف العامة لمفاهيم الطب الشعبى الايمان بالقضاء والقدر كحقيقة يؤمنون بها .

الطب الشعبى العربى عادات ومفاهيم

استفـاد العـرب ممن سبقهم فى مضمار الطب الشعبى . . واضـافـوا على ما وصـل اليهم بعض مشاهداتهم ومعتقداتهم . . ونسخوا ما يتعارض مع عاداتهم وتقاليدهم . . ونستطيع ان نستدل على هذه العادات والمفاهيم الطبية عندهم من خلال ما وصلنا من امثالهم الشعبية ايمانا منا ان المثل لسان العامة ووجدانها وقد قسمنا الموضوع من خلال المثل الشعبى الى ست نقاط هى :

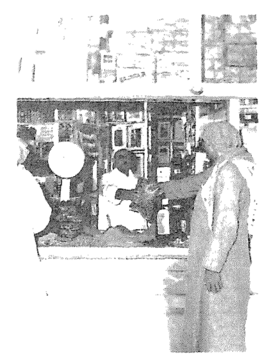
[١] الصحة والطعام .
[٢] الصحة والظواهر الطبيعية .
[٣] الايمان بالقضاء والقدر .
[٤] الحالات النفسية .
[٥] الوراثـة .
[٦] التطبيب والمعالجة .

وفى دراستنا لهذه النقاط الست نرجو أن نوفق فى حسن العرض وحسن الدلالة .

١ الصحة والطعام :

اول ما يتبادر الى الذهن فى هذا الموضوع القول المأثور «المعدة بيت الداء . . والحمية رأس كل دواء» ففيه من الايجاز الكثير ومن الصحة الكثير، وقد ادرك اهل الطب العرب هذا المفهوم وركزوا فى وصفاتهم على اهمية الغذاء «طعام . . شراب» للجسم ، وقـد كانت ادويتهم نفسهـا مستخرجة من اعشاب أو من عصير . . فالطعام يمنح الجسم مقاومة كبيرة .

«لقمـة قليلة تمنع منايا كثيرة . . .
اللى يوكل قد الزبيبة ما فى ولا مصيبة» .



فالطعـام الـذى يكسب الجسم مناعة ضد الامراض كافة وخاصة الخطير منها الذى قد يؤدى الى الموت «منايا كثيرة» ايضا فانه يكسب الجسم فى عرف المثـل الشعبى القـوة على اداء أصعب الامور ومواجهة المشاكل الجسمية والنفسية .

«افطر بكير . . هموم الدنيا كثير»

فهو هنا اساس فى مد الجسم بالقدرة على الحركة والعمـل . . وقـد جاءت كلمـة الافطـار هنـا لتعنى ضرورة الاكـل قبـل العمـل . . وكلمة «بكير» حتى يكون الجسم قد ارتاح من حركة الطعام ليستعد بعدها لحركـة العمـل . والطعـام عند العرب اصناف لكل صنف خاصيـة وفـائـدة . . فمثلا الزيت يمنح القوة الجسميـة . . والـبروتينـات المـوجـوده فى اللحم ضرورية . . وقليل من الرز واللبن يكسب الجسم عافية . .

غمس زيت وناطح الحيط
ان قل الضانى . . عليك بالقطانى
رز ولبن . . عافية على البدن» .

■ وكما ادركوا خواص وفوائد الطعام ايضا ادركوا كيفية حفظ الطعام بل ومارسوا ذلك بالتجفيف والتمليح .

«ان كان مالح . . صالح»

■ والغذاء عند العرب ليس ذا فائدة آنية بل هو اساس لبناء الجسم له استمرارية الفائدة حتى الهرم.

اللى بتوكله . . تكسبه

اللى يوكل على ضرسه . . ينفع نفسه

■ ومن هنا كان عندهم الجوع سببا فى الجنوح.

«الجوع كافر»

■ وفائدة الطعام فى نفسه وفيما طبخ فيه ايضا - وتتم فائدته اذا ما كان سهل الهضم عندها لا خوف منه.

ان فاتك اللحم عليك بالمرقه

كلوا من المهمد وصلوا على محمد».

٢ الصحة والظواهر الطبيعية:

والمقصود هنا بالظواهر الطبيعيه تقلبات الطقس من حرارة الى برودة ورطوبه وجفاف وان كان اقواها اثرا سيئا على المرء فى عرف المثل الشعبى هو البرد. والبرد عند العرب بردان «برد الصيف . . وبرد الشتاء». وفى الحالتين قالوا الكثير وحذروا من خطورة البرد على الاجسام.

«البرد سبب كل عله - برد السبل يهد الجبل - برد الصيف أحدّ من السيف - كل البلاوى بتهون الا عتمات كانون».

فقد بدأوا بالعام المطلق فالبرد اساس كل علة لينتهوا الى الخاص فالتحذير واجب من برد الصيف اكثر بسبب استهتار الناس فى هذا الفصل بالذات بالبرد - ولم ينسوا ليالى كانون الاول والثانى حيث البرد الشديد القاسى الذى بحاجه لتدفئة أكثر من غيره ويلازم التحذير من البرد تحذير من الحر.

«اللى يوقى من البرد يوقى من الحر - شمس كانون مثل الطاعون - شمس شباط بتخلى الراس مثل المخباط».

وكما أن المرء مطالب بالتوقى من البرد عليه ايضا ان يوقى من الحر وخاصة فى ايام الشتاء التى يسعى الناس فيها الى الشمس لكسب طاقة حراريه منها فالطب الشعبى يحذر من هذه الشمس لانها تقع بين بردين فقد سبقها برد وسيليها برد فيجب عدم تخفيف الثياب ابتهاجا بظهور الشمس لان هذا الظهور مؤقت وسريع الذهاب - وعليه فان التدفئه ضروريه بل هى من اسباب سلامة الجسم ودواء لبعض امراض البرد.

«نام دافى . . تصبح متعافى»

■ والتدفئه ايضا اسلوب وقاية وحمايه فالجسم بحاجه له فى كل الاوقات حتى فى الصيف وخاصة للاطفال الذين يولدون فى الصيف فان امهاتهم قد يلجأن الى تخفيف ثيابهم فالمثل الشعبى يحذر من ذلك ويوجب التدفئه للصغير والكبير.

«الدفا عفا ولو بعز الصيف - جيبوهم بتموز وغطوهم بالفرا».

■ وقد يغتر الانسان بنفسه فيحاول ان يقاوم البرد بالادعاء والمكابره جهلا منه ان البرد لا يعاند.

«راوس السقعه ولا ترافسها»

■ والبعض قد يتأذى من رائحة وكثافة الدخان الذى تفرزه بعض المدافىء القديمة وخاصة «كانون النار» فالمثل الشعبى يصرخ فى وجهه:

دخان يعمى ولا برد يقتل

■ فالبرد هنا قد وصل الى درجة القتل وليس العمى.

٣ الايمان بالقضاء والقدر:

بجانب ايمان المسلم بقضاء الله فانه يؤمن بالاخذ بالاسباب - فمع يقين علمه ان الموت والمرض والشفاء بيد الله الا انه يسعى جاهدا الى الاستشفاء وليس فى ذلك ما يتعارض مع ايمانه لان الرسول ﴿ﷺ﴾ حث على التداوى والأخذ بالاسباب فلابد من السعى خلف الدواء فالسماء لا تمطر شفاء وقد تداوى آباؤنا بكلمات الله . . بترتيل القرآن الكريم . . ومع ذلك فقد لجأوا الى التطبيب حتى ان رسول الله عليه

الصلاة والسلام قد اوصى بالتطبب عند الحارث بن كلده(٢).

■ **وقد انحصر مفهوم الايمان بالقضاء والقدر فى امور ثلاثه**

(أ) **محدودية العمر: وفى ذلك قالت العرب**

«اجا الفنا للى عمره دنا» - «العمر محدود والرب موجود» - «ما حدا بيموت تاتيجى ساعته».

(ب) ان الشفاء من الله تعالى والعبد والدواء واسطة لذلك وفى هذا قالت العرب:

«احنا بالتفكير والله بالتدبير - انا اريد وانت تريد والله يفعل ما يريد - خذ من عبد الله واتوكل على الله.. هذا دواك وعلى الله شفاك».

(ج) الايمان بلطف قضاء الله وقدره وفى ذلك قالوا:

«اللى كاتبه الله بدو يصير - اللى جاب العمر يوخذه - اللى رايده الله، حياه الله».

ونلاحظ هنا عجز الطب بل والانسان بشكل عام امام قدر الله وهذا العجز مصاحب الاعتراف والايمان بقدرة الله وان كان هذا الاعتراف قد حمل قبل الاسلام تبريرا لهزيمة الطب الا انه يحمل الان ايمانا بقدرة الله تعالى وبأن - علة الموت مالها دوا.

٤ الحالات النفسية :

مع اتساع الثقافة وانتشار المعرفة ادرك العرب ما للامور النفسيه من أثر فى المريض سلبا أو ايجابا فمالوا الى التخفيف من الألم على المريض بسرد ما يريحه من قصص أو عبر أو كلام خاص بعيداً عن وهم الدجالين والمشعوذين.

«اتوهموهم بتلاقوهم - الوهم قتل صاحبه».

■ والوهم حقيقة ذو نتائج سلبيه جدا على الانسان وان كان المثل قد غالى فى ذلك فانه يؤدى الى الموت وكثيرا ما لجأ العرب الى الايمان بقضاء الله واجله للتخفيف عن المريض.

«اللى كاتبه الله بدو يصير - ما حدا بيموت تاتيجى ساعته».

■ فهذان المثلان مع ما يحملان من ايمان مطلق بقضاء الله فانهما يبعثان على الراحه النفسيه عند المؤمن خاصة وان المثل الشعبى يكمل دوره فى هذا الجانب بالقول.

«الله خلق الاذى والطب والدوا - كل داء والو دوا»

■ فلا يأس مع الايمان لان الله اوجد الداء والدواء - واذا كان ذلك موجوداً فعلا فعلينا البحث ولن يعيقنا شىء لان «**العله اللى دواها المصارى ما هى شىء**».

■ ففى هذا القول بعض الامل وبعض التخفيف من الالم والمصاب ومع هذا القول يأتى الفعل الحقيقى ذو العلاج النفسى.

«بشاشة الوجه عطية ثانية - بالضحك والمزاح تشتفى الارواح».

■ ويدرك العرب قيمة ذكر المصائب الكبيره عند المقارنة للتخفيف مما يعانى مريضهم ولا يذكرون ذلك الا فى حالة المقارنة لا حالة التذكير والمذاكره لان فى التذكير جلب الهم.

«بلا اهون من بلا - والكساح اهون من العمى».

■ والحالة النفسية التى تصيب المريض مؤداها الرؤية او السمع، لذا فقد ابعدوا عن مريضهم كل ما يذكره بالسوء، ومنعوا ذكر مثل ذلك حرصا عليه واعتقادا منهم.

«عين ما تشوف وقلب ما يحزن»

■ لذلك ومن اجل نقل المصاب من جو المرض الى جو المرح فانهم نادوا بتغيير المكان والسكان احيانا مما يدخل ذلك بنفس المريض راحة.

«تغيير المكان يذهب الاحزان»

■ ونفس المريض فى الغالب قلقة مضطربة خائفه متوهمة وما تغيير المكان او الحديث الا لطرد هذا القلق والانتصار على الخوف.

«الخوف قطاع الجوف»

■ واذكر هنا ابياتا لشاعر عربى جاهلى فى ادب عيادة المريض ففيها من مراعاة الحالة النفسية الكثير الكثير.

ادب العيادة ان تكون مسلما
وتكون فى اثر السلام مودعا[٣]
فاذا نظرت الى العليل فلا تكن
متخشعا فى اللمح او متوجعا
بل كن اذا ابدى الحراك مسكنا
منه وعن ذالخوف منه مشجعا
واحذر بان تنعى اليه ميتا
او ان تذكره لميت مصرعا

ونلاحظ فى وقتنا الحاضر ان بعض الاخوان يؤمن بطبيب دون الآخر او بلد دون الاخر لا لشيء ابدا سوى انه يرتاح له نفسيا وربما يكون الطبيب الاخر الذى اعرض عنه اكثر علما واجتهادا الا انه لا يقربه لانه لا يرتاح حقيقة اليه ومن هنا قالت العرب مجازا طبعا.

«امن بالحجر تبرا»

هذا بالنسبة للطبيب وايضا بالنسبة للدواء الذى يمنحه الطبيب فان الكثير فى وقتنا هذا يميل الى الدواء الشراب دون غيره او الى الكبسول ويقول لك كله دواء.

«خذ من عبد الله واتوكل على الله»

■ فهنا ليس فقط موضوع التوكل بل هناك موضوع اخر هو الارتياح النفسى لهذا الطبيب او لهذا الدواء.

٥ الوراثة:

ان المشاهدة والملاحظة درب الانسان للوصول الى متشابهات.. وقد منح طولُ العمر البعض رصيدا كبيرا من التجارب والمعرفة.. ولا نستغرب ابدا ذكر الوراثة فى الامثال الشعبية لان العربى قد عُرف بالفراسة ومنحته الصحراء بفضائها الواسع وسمائها الصافية صفاء النفس والروح فصقلت حواسه وفتحت مداركه على مفاهيم جديدة من خلال المشاهدة وبالنسبة لعلم الوراثة والذى يثبت انتقال الصفات من الاب او الام الى الابناء.. قالت العرب:

«فرخ البط عوام - طب الجره على فمها تطلع البنت لامها»

■ وكانوا لا يستغربون ذلك بل يعيبون على من لا يشابهه اباه فى الخلق والسلوك.

«اللى ما يشبه ابوه بندوق»

■ والوراثة عند العرب كما هى عند (ماندل) عالم الوراثة المشهور لا تتوقف عند الاب او الام بل تتعدى ذلك الى الاجداد والاعمام والاخوال.

«العرق دساس - العرق عراق والزيت براق - ثلثين الولد لخاله - الولد معمم».

■ فالعرق دساس والولد اما لخاله او لعمه ان لم يكن للاجداد واذا كان الامر كذلك فان صلة الدم قويه جدا.

«الدم بيحن - الدم ما بيصير ميه - البطن ما بيخلف عدو»

■ فكما يقول المثل المأثور - هذا الشبل من ذاك الاسد - فان الابناء له يكونون فى اغلب الحالات الا يدعون للاباء.

٦ الطبيب والمعالجة

وان كنا لا ننكر قيمة المثل الشعبى فى جانب المعالجة الشعبية إلا انه لا يحمل الحقيقة فى كل جوانبه.. وما صاحب الطب الشعبى من افراد وجماعات استغلته وتاجرت به جعل بعض وصفاته وامثاله تميل الى الخرافة والدجل.. فالجهل والحاجة وقساوة المرض وتفشى بعض الخرافات يدفع بالبعض للجوء الى مثل هؤلاء، وهذه ظاهرة موجودة حتى الان فى كل بلدان العالم المتحضره والمتطوره، فالعرافون والمنجمون فى امريكا واوروبا يعدون بالالاف، وعندنا نحن الامة العربية المسلمة نجد ان المثل الشعبى ساعد كثيرا فى ذلك.

«اسأل مجرب ولا تسأل طبيب»

■ فانظر الى هذه المفارقة وهذا الجهل.. وهذا الظلم للطب والعلم - فالمجرب هو الاخبر والاعلم بالداء والدواء.. ولو انك جئت لهذا المجرب لتسأله عن دواء معين لقال لك بكل فخر وثقة.

«اللى ما بيضر، بنفع - اللى بنفع الكبد، ما بيضر الطحال»

■ فاذا كنا قد بدأنا حديثنا عن هذا المجرب الذى اخطأ فهناك بعض الحقائق توصل لها الانسان وصاغها المثل الشعبى جديرة بان نقف عندها للدراسة احيانا وللتطبيق احيانا اخرى.

«اخلع السن واخلع وجعه»

■ وهذا المثل جاء فى وقت لم ينتشر فيه طب الاسنان كما هو الان، وهو فى عصره صحيح لعدم معرفة المعالجين بفن حشو السن وتلبيسه، وان طابق هذا المثل عصره فى جانب وطابق عصرنا فى جانب اخر «الالتهاب» فان هناك ما هو مطابق للحقيقة العلمية.

«نص البطن يغنى عن ملاته - البطنه تذهب الفطنه - البطن والنار ما عليهم معيار»

■ فهذه دعوة الى الاعتدال فى الاكل لان الاكل وسيلة لا غاية فقليل منه يغنى عن كثير. وكما جاء فى هذه الدراسة عن اهمية الطعام «اللى يوكل قد زبيبه ما فى ولا مصيبه» ولا له اخرى على الاعتدال، وعلى ان العبرة فى النوع لا فى الكمية - بل على العكس من ذلك فان كثرة الطعام تؤذى الجسم ولا خلاف فى ذلك لانها تذهب الذكاء وتورث البلاده والكسل وما على التخمة من معيار فهى مؤذيه كالنار تماما.

«امتلأت الحواصل وارتخت المفاصل»

■ فالانسان الشره نراه كسولا بليدا يميل الى الدعة والراحة يبتعد عن كل ما هو محرك ومنشط بينما يؤكد الطب الشعبى ان الانسان القوى هو النشيط المتحرك دائما.

«فى الحركة بركة - ايام السعود، اللى ما بينهن قعود»

■ واعتماد الطب على ظواهر واضحة وعلامات بينة اعتماد كبير فاذا ما غزا المرء فى مرضه القمل ففى ذلك اشارة الى قرب موته.. وكذلك فان بعض الامراض مستعصية على الطب ولا فائدة من مداواتها.

«ان فاعت مقملته، بشروا مقبرته - ان كان فالج، لا تعالج - كحلة العين الرمدا، خسارة».

■ وهذا العجز كان منتشرا لعدم وجود المضادات الحيوية ولكنه مبرر دائما بأن الله اراد هذا وما بيدنا من حيلة ومن اعتماد الطب على مشاهدات يومية حياتية هذا القول.

«ما عمر الا بعد حصبة ولا زين الا بعد جدرة - نقطة دم بتفرج الهم - ان سال دمك انفرج همك - ان وجعت رأسك اكرمه.. وان وجعك بطنك احرمه».

فقد كان لفترة قريبة وجوب - الحصبه - للاطفال فالطب الشعبى لا يكترث له ولا للجدرى الذى يصيب الجلد لان ذلك فى عرفه ضرورة لابد منها. واما بالنسبة لخروج الدم فهذا مرده الى ان ضغط الجسم يكون مرتفعا فعند نزول الدم ينخفض الضغط.. وجرح الجسم يسمى - حجامة - عند العرب.. واكرام وجع الرأس بالطعام وجميع وجع المعده امران ضروريان اثبتهما لدى العارفين المشاهدات والتجارب.

●● ولا يفوتنا ان نذكر بعض ما حرص عليه الطب الشعبى من ناحية الوقاية من المرض قبل وقوعه.

«الوقاية خير من العلاج - نام بكير وفيق بكير وشوف الصحة كيف بتصير - السهر سوس العظام».

فهذه الامثال تدعو الى الوقاية وتبين مخاطر السهر على الجسم ونستدل على ذلك بتجربة النوم البكير والصحو المبكر - وهذه كلها وليدة تجارب ومشاهدات.. ونحن لا نعيب على الطب الشعبى استفادته واعتماده على المشاهدات والتجارب لان ذلك هو وسيلته الوحيدة فى غياب العلم الصحيح - كما قلنا فقد اصابوا فى بعض واخطأوا فى بعض.

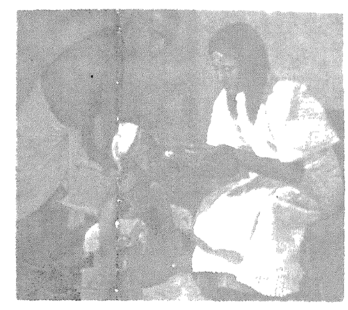
«اربط جرحك مليح، لا بيدمى ولا بيقيح - دق الشطب وهو رطب»

■ هنا وعند معالجة الجريح يبدو الكلام معقولا ومفيدا اما كيفية المعالجة فهى غير معقولة ابدا فى بعض الاحيان - فكيف يربط الجرح وكيف يدق الشطب هذا ما كان يمارس خطأ لانهم يقولون فى الطريقه.

«عليك بالنار يا حمار - وجع ساعة ولا وجع كل ساعة».

■ **ومثل هذه الممارسة نجدها فى عمل كاسات هواء للمريض.**

«كاسات الهوا بتقيم علة بلا دوا»



■ مع ان الطب الشعبى قد وفق فى حالات غيرهـا ومعالجة افضل الا انه ما زال يميل الى الكى وكاسات الهواء.

«العين لولا اللمس طابت من امس - تغيير الهوا احسن من الطب والدواء».

■ فهاتان الوصفتان فيهما بعض الحقيقه لان كثرة لمس مكان الالم اينما كان وخاصة فى العين يؤخر فى الشفاء ويـزيـد الالم. هذا وقد اعتقد الطب الشعبى ان الم الرأس قاتل لا محاله.

«حيد من الراس واضرب - لا تخلى رأسك رأس ترى الرأس اشد الا وجاع».

■ وهناك امراض شعبية دائمة الحضور فى المجتمع لذا فان الطب الشعبى حاول وصف حالتها دون معالجتها.

«الرشح والزكام عنا كل عام - اول الرشح افرش ونام واخره روح على الحمام».

■ واذا كان العـرب يهتمـون بالانسـاب ويشـورون للشـرف ويعتقدون جازمين بأن الولد شبيه ابيه ومع احتمال ان تلد الام ابنا اسمر وابنا اخر ابيض فلابد والحالة كذلك من مخرج لهذا الامر للدفاع عن شرف الام فكان المثل الشعبى خير محام.

«البطن بستان، يلد اشكال الوان»

■ وقـد شاع فى الطب الشعبى بعض المفاهيم التى مفادها ان بعض الاغذية لها خاصية معينة فى مداواة الاجسام.

«الخبز الحاف يعرض الكتاف - كول زعتر لسانك ما بتدعثر».

■ وهـذه المفاهيم اخذت مساحة كبيرة من الاعتقاد الشعبى مما جعلها باقية حتى يومنا هذا تمارس على صعيد واسع.

●● واخر ما نعرضه فى الطب الشعبى بعض النصائح التى يحرص عليها العامة حتى باتت عادة عندهم:

- **اتغدى واتمدى ولو دقيقتين واتعشى واتمشى ولو خطوتين.**
- **كول من الكافر ولا توكل مع طويل الاظافر.**
- **نوم العصر جنون ونوم الضحى يزيد الرجال فنون.**

وبعد: فان عرض هذه الامثال الشعبية فى العادات الصحيه دون تفصيل دقيق منبعه انها على كل لسان يفهمه الخاص والعام وانما اردنا بهذا العرض الوقوف على مدى ما وصل اليه المثل الشعبى فى خدمة الطب الشعبى مع التأكيد على ان المفاهيم الطبية القديمة والتى سادت عند شعوب اخرى كان لها اكبر الاثر فيما ورد عنـا نحن العـرب.. ولابد من الاشارة الى ان الحـديث عن الطب الشعبى عنـد العرب من خلال المثل الشعبى فقط لا يعنى مطلقا دراسة الطب عند العـرب فجميعنـا يعـرف ان اباءنا قد ارسوا مفاهيم علميـة وجـديـدة فى الطب امثـال - ابن سينـا ابن النفيس.. وغيرهما كثير.

وسنبقى نتلو قول الله تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**.

المراجع

(١) قصة الحضارة - ول ديورانت

(٢) الطب النبوى - ص١٢

(٣) غرر الخصائص - الكتبى

(*) الامثال الشعبية من الكتب التالية:

أ - الامثال الشعبية الاردنية - د. هانى العمد.

ب - الامثال العامية الفلسطينية - محمد ابو حمده.

ج - التراث الفلسطينى والطبقات - على الخليلى.

د - مقابلات شخصية.

العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون

دكتور
كمال الدين البتانوني
قطر

العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة والعطارون العطارة

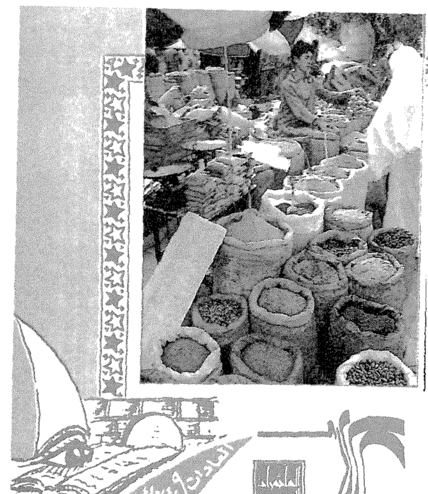
العطارة والعطارون في الوطن العربي

■■ فى كل مدينة من مدن العالم العربى نجد مخازن للعطارة وحوانيت للعطارين خاصة فى الأحياء القديمة من هذه المدن حيث كان السوق الرئيسى للمدينة العربية قبل أن تتضخم هذه المدن وتمتد إليها يد التحديث. ومن هذه الحوانيت التى توجد عادة فى الدروب والحارات الضيقة تنبعث روائح الاعشاب والنباتات الطبية حيث تكتظ محلات العطارة بالعديد من العقاقير النباتية والحيوانية والمعدنية.. فإذا ما دلف الانسان الى الزقاقات التى توجد على جانبيها حوانيت العطارين، اشتم روائح مختلفة، ما بين زكى عطر، أو أخاذ مسبب للعطاس، تجمع بين روائح الكمون، الزنجبيل، الجعد، القرفة، الهال، الكسبرة والكركم.

■ وبالرغم من انتشار الصيدليات والمخازن لبيع الأدوية فى معظم مدن ـ بل وقرى ـ العالم العربى، ورغم التقدم العلمى فى العلوم الصيدلية وصناعة الدواء وتشييد الالوف من المركّبات الدوائية فإن خزانة العطار بما تحويه من عقاقير لا تزال مصدراً رئيسياً للتداوى، ولا يزال دورها معترفا به فى العلاج وشفاء الأمراض.

■ ورغم بقاء العطار فى مكانه من المدينة القديمة التى امتد بها العمران، وبعد عن هذا المركز العتيق لها، إلا ان زواره بقصد التداوى يأتون إليه من كل حدب وصوب، ومن الطريف أن الانسان فى دروب العطارين وحوانيتهم لا يمكنه أن يجد فروقا واسعة بين درب فى القاهرة وآخر فى الدوحة، فمحلات العطارين تكاد تتشابه والعقاقير التى تباع فيها لا تختلف كثيرا. وقد قمنا بجمع العقاقير من ست مدن عربية هى مكة المكرمة والقاهرة والدوحة وصنعاء وتونس والرباط ووجدنا انها تشترك فيما يزيد على ثمانين بالمائة من

العقاقير التى فى محلات هذه المدن، ولعل هذا التشابه ناجم عن وحدة الأصول التراثية فى هذا المجال.



(نبذة تاريخية عن التداوى بالأعشاب والعقاقير):

دأب الانسان ولا يزال مستمرا فى دأبه منذ أن أهبط الى الارض على السعى فى سبيل توفير مأكله، وكسائه ودوائه ومسكنه الذى يأوى إليه. ولا ريب أن النباتات كانت ولا تزال تمثل أهم مصدر وفر له احتياجاته. وكان الانسان فى بحثه عن النباتات وجمعه لها ليسد حاجته يتعرض للصواب والخطأ فبعض النباتات مغذ مفيد وبعضها الآخر ضار مهلك وهكذا منذ حقب موغلة فى القدم سارت تجربة الصواب والخطأ عبر التاريخ البشرى واهتدى الانسان بفطرته وخبرته الى أن تناول نبات معين قد يزيل آلام معدته، وأن نباتا آخر وجده بالتجربة يشفيه من الصداع أو يخفف عنه آثار الحمى.

وبتجمع المعارف لدى الانسان لجأ لتدوين هذه المعلومات، واهتمت الحضارات القديمة بتسجيل الوصفات الطبية. وقد حفظ ذلك فى الوثائق البابلية والبرديات المصرية والدساتير الصينية، والخبرة الهندية، وفى كتب الحشائش والمادة الطبية الاغريقية.

ولعل أن ظهر الاسلام ونشأ مناخ إسلامى غطى مساحات شاسعة من أرجاء المعمورة تكونت ثقافة وحضارة علمية جديدة نتج عنها تراث إسلامى ذو هوية مستقلة وشخصية متميزة الخصائص. وخلال العصور الاسلامية المتتالية نشأ الاطباء والعشابون وقد سموا بالعشابين لما يستخدمونه من أعشاب للتداوى ولم يكن هناك تخصص للطبيب وآخر للصيدلى بل كان العشاب أو الطبيب يقوم بتشخيص الداء ووصف الدواء وتحضيره.

ولعل أفضل مسرد تاريخى وأبسطه ما عرضه داود بن عمر الانطاكى المتوفى ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م حيث يقول فى تذكرته المشهورة **«تذكرة اولى الألباب والجامع للعجب العجاب»**(١):

«وأول من ألف شمل هذا النمط، وبسط للناس فيه ما انبسط ديوسقوريدس اليونانى فى كتابه الموسوم بـ المقالات فى الحشائش، ولكنه لم يذكر إلا الأقل حتى إنه أغفل ما كثر تداوله وامتلأ الكون بوجوده كالكمون والسقمونيا والفاريقون.. ثم روفس فكان كلامه قريباً من كلام الأول.. ثم فولس فاقتصر على ما يقع فى الأكحال خاصة ـ على أنه أخل بمعظمها كاللؤلؤ والاثمد.. ثم اندروماخس الأصغر ـ فذكر مفردات الترياق الكبير فقط.. ثم رأس البغل

الملقب بجالينوس ـ وهو غير الطبيب المشهور، فجمع كثيراً من المفردات ولكنه لم يذكر إلا المنافع خاصة دون باقي الأحوال. . ولم أعلم من الروم مؤلفاً غير هؤلاء. . ثم انتقلت الصناعة الى أيدى النصارى فأول من هذب المفردات اليونانية ونقلها الى اللسان السرياني دويدرس البابلى، ولم يزد على ما ذكروه شيئاً حتى جاء الفاضل المعرب والكامل المجرب إسحاق بن حنين النيسابورى فعرب اليونانيات والسريانيات وأضاف إليها مصطلح الأقباط ـ لأنه اخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكية. . واستخرج مضار الأدوية ومصالحها. . ثم تلاه ولده حنين ففصل الأغذية من الأدوية فقط ـ ولم أعلم من النصارى من أفراد هذا الفن غير هؤلاء، أما النجاشعة فلهم كثير من الكناشات. ثم انتقلت الصناعة الى الاسلام، وأول واضع فيها الكتب من هذا القسم الامام محمد بن زكريا الرازى. . ثم الأفضل الأمثل الحسين بن عبد الله بن سينا، رئيس الحكماء فضلا عن الأطباء فوضع الكتاب الثانى من القانون: وهو أول من مهد لكل مفرد سبعة أشياء وأخل بالأغلب إما لاشتغال باله أو لعدم مساعدة الزمان له ثم ترادف المصنفون على اختلاف احوالهم فوضعوا فى هذا الفن كتباً كثيرة، من أجلها مفردات ابن الأشعث. . وابى حنيفة. . والشريف بن الجرار. . والصائغ. . وجرجس بن يوحنا. . وأمين الدولة. . وابن التلميذ. . وابن البيطار. . وصاحب ما لا يسع جهله. . وأجل هذه الكتب ـ الكتاب الموسوم (بمنهاج البيان) صناعة الطبيب الفاضل يحيى بن جزلة رحمه الله تعالى، فقد جمع المهم من قسمى الأفراد والتركيب فى ألطف قالب واحسن ترتيب، وأظن أن آخر من وضع فى هذا الفن الحاذق الفاضل محمد بن على الصورى.

(مصنفات العلماء المسلمين فى العقاقير):

بين أيدينا الآن مئات المصنفات التى كتبها العلماء المسلمون عبر العصور الاسلامية والتى تهتم بالطب والصيدلة، وبالأدوية المفردة والمركبة والأقرابازين وغير ذلك، بالاضافة الى مئات المخطوطات التى لما تحقق حتى الآن، وتضم هذه المصنفات أسماء لمئات من الأنواع النباتية الطبية والعقاقير التى استعملت وجربت فى العلاج.

ولا شك أن المسلمين هم واضعوا أسس فن الصيدلة وأول من اشتغل فى تحضير الأدوية فضلا عما استنبطوه من الأدوية الجديدة، وأنهم أول من ألف الاقرابازين على الصورة التى وصلت إلينا. وقد كانوا يعتمدون على الاقربازين فى البيمارستانات ودكاكين الصيدلة، بل إنهم اول من انشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة ومن أقرب الشواهد على سبقهم اسماء العقاقير التي أخذها الافرنج عن اللغة العربية أو عن الفارسية والهندية التى عربت.



ومؤلفات علماء العرب والمسلمين فى مجال الطب والصيدلة ظلت مرجعا هاما للدارسين فى أوربا اللاتينية، تقول زيجريد هونكه(٢)«قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة فى العالم لا تحتوى إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربى كبير هو ابو بكر الرازى، وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل أن ملك النصرانية الشهير لويس الحادى عشر اضطر الى دفع اثنى عشر ماركاً من الفضة ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالى، رغبة منه فى أن ينسخ له اطباؤه نسخة يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته أو صحة عائلته.».

وقد ترجم العديد من مصنفات العلماء المسلمين الى اللاتينية وغيرها من اللغات، ولا غرابة ان كتاب القانون فى الطب لابن سينا مثَّل المرجع الرئيس لطلاب الطب فى أوروبا عبر عدة قرون، وقد ترجم عدة مرات الى اللاتينية.

وهناك العديد من مصنفات العلماء المسلمين، التى ترجمت الى اللاتينية وطبعت فى أوروبا قبل أن تحقق او تطبع بالعربية.

ومن الطريف أن بعض العلماء المسلمين قد كتب عديداً من المصنفات تفيد مناسبات خاصة، مثل ابن الجزار، أبو جعفر احمد بن ابراهيم، المعروف بابن الجزار، المتوفى ٣٦٩هـ/ ١٠٠٥م، الذى ألف كتاباً ينفع المسافرين هو زاد المسافر وقوت الحاضر(٣) وكتابا فى طب الاطفال أسماه سياسة الصبيان وتدبيرهم(٤) وآخر فى طب المشايخ.. وغيره فى طب الفقراء.

ولقد وضع العلماء المسلمون بمنهج علمى سليم كيفية جمع النباتات لاتخاذها ادوية، ومواعيد ومواسم جمعها، وطرق حفظها وشرائط تجريبها، انظر كتاب: القانون فى الطب لابن سينا(٥).

والحديث عن مصنفات العلماء المسلمين طويل لا تسع له مثل هذه الدراسة لكنه من الواضح أن ما ذكروه من نباتات وعقاقير تعدى المئات من الانواع لا يزال موجوداً ومنتشراً فى البلدان التى غطتها الدولة الاسلامية وما برح كثير من الناس فى الدول المختلفة يستعملونه فى التداوى - والنباتات والعقاقير التى نجدها فى محلات العطارين ما هى إلا أمثلة من هذه الأنواع بل إن كثيراً منها اصبح ضمن المواد الدستورية فى كثير من دساتير الأدوية العالمية الحديثة، وتلك الدساتير تحدد مواصفات العقار.. ومكوناته وآثار هذه المكونات على الجسم البشرى.. وقدر الجرعات اللازمة للعلاج.. والعطارون اليوم يمثلون امتداداً لهذا التراث القديم الذى أدى دوراً كبيراً فى تقدم الحضارة الأوروبية فى أوروبا اللاتينية - بل إن العطارين حتى يومنا هذا يفيدون من عديد من المصنفات التى وضعها العلماء المسلمون وتمثل هذه المصنفات دساتير الأدوية لهم. وكثير من هذه المصنفات وضع ليلائم هذا الغرض: فبعض المصنفات مثل كتاب المعتمد فى الأدوية المفردة للملك المظفر(٦) يمثل دستوراً دوائيا يلبى حاجة الطبيب الذى يزاول المهنة عملاً لا الباحث الذى يعنى بتطور تاريخ المادة.. وكتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان الذى وضعه كوهين العطار وعميد الصيادلة فى أيام الأيوبيين فى القاهرة المتوفى ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م(٧) والكتاب دستور الصيادلة يومئذ ولا يزال العطارون يستعملونه حتى اليوم فى وصفاتهم وقد طبع خمس طبعات فى القاهرة منذ ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م.

وهذه النبذة المختصرة عن تاريخ التداوى بالاعشاب والعقاقير، وعن مصنفات المسلمين تبين بوضوح امتداد الجذور الى أعماق بعيدة ومدى امتداد التراث القديم وبقاء أثره حتى يومنا هذا.

(حانوت العطار):

وحانوت العطار - رغم ضيقه فى معظم الأحيان - يكتظ بالمئات من الأعشاب والعقاقير التى يضعها العطار فى صفائح ينسقها على رفوف كثيرة وقد يحل محلها أدراجا ذوات أشكال مختلفة مميزة ويكتب على صفائحه أو أدراجه أسماء ما بها من عقاقير وغالبا ما تكون الكتابة بخط واضح لافت للنظر وهناك ما يضعه العطار فى أوانٍ زجاجية صفت فى عرض جذاب تحوى الغالى والنادر من العقاقير، وامام حانوته يعرض عشرات العقاقير فى جوالات مفتوحة تعطى شكلا جذابا بألوانها الزاهية وطريقة تنسيقها اللافتة، فالعطار يرص فيها أوراق السنامكى.. والعشرق.. واللاورل.. وقطع القرفة.. والدار صينى.. وريزومات الزنجبيل.. والكركم.. والخلنجان.. وثمار جوزة الطيب والعناب. كل هذا يرتبه بطريقة تدعو للاعجاب.

والى جوار الميزان الكبير نجد ميزاناً أكثر حساسية يزن العطار عليه الغالى من العقاقير والعطور، كما يضم حانوت العطار مطحناً وقد يكون امام دكانه معصرة للزيت أو محمصة للبذور.

وعادة ما يعرض العطار التوابل والأفاويه والعقاقير الشائعة الاستعمال - التى تعرفها ربة البيت عادة - امام متجره. اما العقاقير قليلة الاستعمال والتى تستعمل فى التداوى بجرعات محدودة فإنه يحتفظ بها داخل محله.

(ما يقدمه العطار):

وفى كثير من الأحيان لا تقتصر مهمة العطار ووظيفته على بيع الأعشاب والمساحيق وبعض المواد الكيميائية والعطور بل إنه يقوم كثيراً بتحضير مخاليط من بعض هذه العقاقير ليكون أدوية مركبة بناء على وصفات تعتمد فى كثير من الأحوال على كتب الأدوية التى خلفها العلماء المسلمون أو على خبرة يتوارثونها ابناً عن أب عن جد، ولعل أهم المصادر التى يعتمد عليها العطارون فى البلاد العربية كتاب ابن البيطار.. والتذكرة للأنطاكى.. ومنهاج الدكان لكوهين العطار.

ولا شك أن للعطارين القدامى خبرات مكنتهم من عمل قراطيس طبية مفيدة وبعض العطارين المتمرسين يقومون بتحضير الأمزجة وتركيب الأدوية السائلة والمركبة مثل شراب الجلاب.. وشراب الورد.. ويحضرون الجوارشنات التى تساعد على الهضم، والسفوف، والمروخ، واللعوق، والسعوط، والترياق، وشراب السعال، ويذيبون بعض المواد فى الزيت لتحضير الدهانات التى تشفى الجروح والحروق والقرحات، واللبخات التى تزيل الورم والألم.

ولا تقتصر مهمة العطار على تحضير الأدوية المفردة والمركبة بغرض العلاج والتداوى من العلل والأمراض بل إنه يقوم بتحضير بعض مستحضرات التجميل من دهان للوجه وحمرة

للخد وكحل للعينين، وصبغ للشعر. بل إن الوصفات التى يقدمها العطارون للتسمين والتخسيس وتقوية الناحية الجنسية أصبحت أهم ما يجذب كثيرا من العملاء للتردد على محلات العطارين وحوانيتهم - ويؤكد ذلك اكتظاظ هذه المحلات بالرواد من جميع المستويات والأجناس ولكل بغيته ومطلبه والعطار كفيل بذلك سواء عن علم أو عن غير علم، ومن الأمور المألوفة أن ترى رجلا أو سيدة يعرض ما أصابه من مرض على العطار - أو بائع الحشائش كما يسمى فى تونس وبعض بلدان المغرب العربى - ويدلف العطار الى متجره ويجمع من كل صندوق ما يرتئيه ويقدمه دواء للمريض.

وفى بعض الأحايين يعتمد العطار على خرافات أو تكهنات ليست لها أسس علمية فهناك بعض الوصفات التى يقدمها العطارون وتتنافى مع الادراك السليم، بل إنه قد يصف البخور ومواد تصنع منها الأحجبة لطرد الأرواح الشريرة رغم علمه بعدم جدواها، إلا انه يعتقد فى أثرها النفسى فى إنعاش الحالة النفسية ورفع معنويات المريض مما قد يساعد احيانا على الشفاء.

(العقاقير فى حانوت العطارة):

سبق وأشرنا الى احتواء حانوت العطار على كثير من العقاقير ذوات الأصول المختلفة، من نباتية وحيوانية ومعدنية وأن هناك نسبة عالية من هذه العقاقير تشترك فيها محلات العطارة فى أنحاء الوطن العربى، وبدهى أن استعراض هذه العقاقير امر ليس باليسير ولا تكفى هذه الدراسة له.. وعرضها فى مجموعات أو تصنيفها أمر اكثر صعوبة فقد تقسم حسب أصلها وحسب عضو النبات الذى أخذت منه، أو تقسم نباتيا الى فصائل وأجناس.. أو تقسم حسب التركيب الكيميائى للمادة الفعالة.. وقد اتخذ المؤلفون فى علم العقاقير هذه المناهج المختلفة فى تصنيفها فاتبع كل مؤلف ما يراه من هذه الأنظمة، انظر: [٨، ٩، ١٠].

وفى هذه الدراسة سنعرض لتصنيف هذه العقاقير بطريقتين: الأولى حسب الجزء المستعمل من النبات.. والثانية حسب استعمال العقار.

(أنواع العقاقير حسب الجزء المستعمل)

وتصنيف العقاقير على هذه الطريقة اتبعه عديد من العلماء المحدثين فى كتاباتهم عن العقاقير والنباتات الطبية، وفى دراستنا الحالية نعتبر أن هذه الطريقة أيسر الطرق للتعرف على العقار حيث إن مستعمل العقار يستطيع أن يميز بين الساق والجذر والورقة والقلف والخشب والثمرة والبذرة وإفراد النبات كما أن المستعمل للعقار فى محلات العطارة لا يهمه شكل النبات العام كثيراً فهو لا يراه فى حانوت العطار بقدر ما يهمه شكل وخصائص الجزء المستعمل. كما أن تصنيف العقاقير حسب المواد الكيميائية الفعالة يضفى على التصنيف صبغة كيميائية لا يهتم بها سوى المتخصصين.

■■ والعقاقير الموجودة فى محلات العطارين فى الوطن العربى يمكن تصنيفها على النحو الآتى[١١]:

[أولا]: الاصباغ والراتنجات والأفرازات والعصارات النباتية:

مثل: اللبان (الكندر) الصبر، المصطكى، اللبانة المغربية، المر، الكثيراء، العنزروت، الصمغ، الميعة، الجاوى، الجاوشير، الأشق.

[ثانيا]: أعضاء النبات الأرضية من جذور وريزومات ودرنات وابصال:

مثل: الخولنجان، الزنجبيل، عرق السوس، عود الصليب، الفاوانيا، القُسْط، الكركم، خميرة العرب (اللحلاح)، المغات، الرَّوانـد، السحلب، السِّواك، الفُوَّه، الجنطيانا، عرق الأنجبار، عرق إيكر.

[ثالثا]: الثمار والبذور:

مثل: جوز الطيب، حب الرشاد (الثُّفَّاء) الحبه الخضراء، الحبة السوداء، حرمل، حلبة، حنظل، خردل، خروع، خلة، خيار شنبر، رمان، سمسم، شمر (حبة حلوة)، عرعر، عناب، الفلفل الأبيض والفلفل الأسود، فوفل، قرظ، كراوية، كسبرة، كشمش كابلى، كمون، كمون كرمانى، محلب، نخوة هندى، هال (الحبان)إهليلج، ينسون.

[رابعا]: الأوراق ـ وحدها أو مع جزء آخر:

مثل: الآس، البردقوش، الحرجل، الحناء، السدر، السنامكى، الصعتر، المريمية، النعناع، العشرق، الأورل.

[خامسا]: الأزهار أو أجزاء منها:

مثل: البابونج، التَّليو، الخزامى، الزعفران، العصفر، القرنفل (المسمار) الكركدية، الورد.

[سادسا]: النبات الكامل أو معظم العشب:

مثل: الاذخر (الحلف بر، المحريب)، الأشَّنه، البقدونس، الجعدة، السَّكران، الأشياح، القيصوم، القنطريون، كف مريم.

[سابعا]: القلف الذى يحيط بسيقان النبات:

مثل: القرفة، الدارصين، الكينا، ساسفراس، غطى طرشى.

[ثامنا]: الخشب:

مثل: الخشب المر، العود، الصندل.

[تاسعا]: منتجات مختلفة:

مثل: العفص وعنوق الكريز.

وتتخذ أسماء مختلفة لهذه العقاقير حتى فى البلد الواحد لكننا ذكرنا اكثرها شيوعا، وبعض هذه الأسماء عربى الأصل وبعضها الآخر قد يكون فارسيا، أو هنديا، أو بنغاليا أو سنسكريتيا أو يونانيا. ونرجو أن نوفق فى دراسات مقبلة فى تدارس أسماء ومسميات هذه العقاقير وأماكن وجودها وانتشارها وصفاتها ومكوناتها الفعالة واستعمالها.

(انواع العقاقير حسب استعمالها)

إن تصنيف العقاقير حسب استعمالها لم يدرج العلماء على اتباعه إنما نضعه هنا محاولين تبسيط التعرف على العقاقير، وإن كان هذا التصنيف يشوبه بعض العيوب فقد يكون للعقار اكثر من استعمال ولذلك سنضطر الى وضع أقسام ذوات استعمالات مختلفة تحت قسم واحد. ورغم أنه تصنيف بدائى إلا أنه ييسر التعرف على طبيعة



العقاقير وقد قدم حسن عبد السلام(١٢) تصنيفا للعقاقير على هذا النحو:

[اولا]: العقاقير والعطارات المرة:

مثل: الخشب المر، والكينا، والراوند والجوز المقيىء، والصبر، والبابونج، والكسكرة وهذه العقاقير تنبه الغدة اللعابية وتزيد من إفرازاتها كما أنها تنشط المعدة وتزيد من عصارتها، وبذا فإنها تدخل فى الأدوية الفاتحة للشهية وبعضها يحتوى على تاتينات (عفصيات) وهى مواد قابضة تسبب الامساك وبعضها الآخر يساعد على طرد الغازات.

[ثانيا]: التوابل والأفاويه:

ومنها التوابل العطرية مثل الشمَّر (حبة حلوة) والبهار والزنجبيل والقرنفل (المسمار) وجوز الطيب ومنها، البسباسة والكراوية والينسون. ومنها الاعشاب مثل النعناع والعتر والصعتر والبردقوش والمريمية ومنها الحار مثل الفلفل الأسود والأبيض والفلفل الأحمر والشطة.

[ثالثا]: البلاسم:

وهى مواد راتنجية صمغية، يستعمل بعضها فى البخور ومنها اللادن والكندر، والجاوى والميعة والمر والحنتيت، والأشق (أنا وشق) وبيرو.

[رابعا]: العطارات المسهلة والملينة:

مثل: الصبر والكسكرة والعشرق والسنامكى والراوند وزيت الخروع وخيار شنبر.

[خامسا]: العطارات القابضة:

مثل: خشب الكينا، وقشور القرفة وأوراق الشاى والعفص وقشر الرمان.

[سادسا]: العطارات المنومة والمخدرة:

مثل: الداتورة والبلادونا والسكران.

[سابعا]: عطارات متنوعة:

مثل: عرق السوس والزعفران والكركم والعصفر.

[ثامنا]: عطارات معدنية:

مثل: كبريت العامود، والنطرون والبورق والشب والمانيزيا والتوتيا.

[تاسعا]: أنواع المربيات والخلطات المغذية:

أمثلة من العقاقير فى حانوت العطار

[١] **العِشْرق** (Cassia Italica) ويطلق اسم السنا أو السنامكى على نوع آخر هو (Cassia Senna) وتستعمل أوراق وثمار النبات مسهلا والنباتان من النباتات الطبية المشهورة فى البلاد العربية ويستعملان منذ قرون عديدة وهما نباتان دستوريان تستخرج منها الأدوية الحديثة لنفس الغرض الذى تستعمل من أجله فى الطب الشعبى.

[٢] **الحبة السوداء** «حبة البركة، الشونيز» (Nigella Sativa) وتستعمل البذور السوداء اللون فى حالات الكحة والربو والمرارة والكبد. وقد ورد ذكر هذا النبات فى حديث نبوى شريف. فقد روى البخارى فى كتاب الطب ـ باب٧ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا

السام، قال ابن شهاب: والسام الموت، والحبة السوداء الشونيز(١٣).

[٣] **الجعدة** (Teucrium Polium): ويقدمه العطارون ضمن وصفاتهم لمرضى البول السكرى.

[٤] **الصبر** (Aloe Vera): وهو العصارة المجففة لنبات الصبار، ويؤتى به من سومطرة واليمن ويستعمل الصبر ملينا وتحاميل فى حالات البواسير: وقد ورد ذكر الصبر فى حديث نبوى شريف، فقد جاء فى صحيح مسلم - كتاب الحج باب ١٢ حديث ١٢٠٤ - عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الرجل إذا اشتكى عينيه وهو محرم، ضمدهما بالصبر(١٤).

[٥] **جوزة الطيب** (Myristica Fragrans) وقد تستعمل بعض اجزاء الثمرة التى تعرف بالبسباسة ولها رائحة عطرية وتستعمل جوزة الطيب مقويا للأعصاب ومحسناً لمذاق الأطعمة.

(٦] **الكندر**، «اللبان الذكر» (Boswelliea Carteri) وهو إفرازات راتنجية عطرة الرائحة وتستعمل منقوعه لطرد البلغم والكحة ويضعف الحموضة.

[٧] **الحنظل** «الشَّرى» (Citrallus Colucynthia) وهو نبات صحراوى ثماره الغضة شديدة المرارة ولها خطورتها، ويستعمل اللب بعد جفاف الثمرة مسهلا شديدا أو تحاميل فى حالات البواسير.

[٨] **كف مريم** (Anastatica Hierochuntica) وهو نبات صحراوى منتشر فى صحارى الوطن العربى ويستعمل منقوعه مقوياً لعضلات القلب ويشرب عند الوضع.

[٩] **الزعفران** (Crocus Sativus) ويستعمل من النبات الأجزاء المجففة من المياسم والقلم، ويستعمل لاضفاء اللون والطعم للمأكولات والأشربة ويضيفه العطارون فى قراطيس مختلفة ويستعمل مفرحاً للقلب ومدراً للحيض وفاتحاً للشهية.

[١٠] **الهال** «الحبهان» (Elettaria Cardamomum) وتحتوى بذوره على زيوت عطرية طيارة وتستعمل لتطييب طعم الأطعمة والأشربة، وله صفات مسكنة للمغص المعوى وتنشيط الهضم وتنبيه القلب، وضد التشنج والتخمة وانحباس الطمث والضعف الجنسى.

[١١] **الزنجبيل** (Zingiber Officinale) وهو من العقاقير الدستورية ويستعمل لتطييب الطعام وهو طارد للغازات وفاتح للشهية ويدخل فى بعض أدوية توسيع الأوعية الدموية وزيادة العرق والشعور بالدفء والحرارة وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم.

[١٢] **التمر هندى** «الحمر» Tmarindu Indica ويستعمل منقوع ثماره لمنع العطش والحموضة فى المعدة، وكملين.

[١٣] **بزر خلة**: Ammivis Maga وتستعمل الثمار لعلاج حصى الكلى وتوسيع الحالب وتستخرج منه مواد تدخل فى تحضير عدد من الأدوية الحديثة.

[١٤] **خيار شنبر**: Cassia Fistuloa ويستعمل لب الثمار ملينا، ويطهر الأمعاء والقولون.

[١٥] **القرنفل**، «المسمار»: Eugenia Aromatica وهو مقو للمعدة والاسنان ويضاف الى الاطعمة والاشربة لتطييب نكهتها.

[١٦] **قشر الرمان**: Punica Granatum وهو قابض للاسهال ونزف الدم، لما يحتويه من تانينات «مواد عفصية».



●● وبالاضافة الى الأدوية المفردة التى يقدمها العطار فإنه يقدم وصفات من الأدوية المركبة التى تضم اكثر من عقار ويخلطها بنسب معينة وللأسف تختلف هذه النسب حسب توفر العقاقير وارتفاع أسعارها، ففى حالة الرعاف والنزف من الأنف يوصف القرط وهو ثمار السنط والأنواع القريبة منه، وفى حالات الكحة والربو يقدم العطار وصفة تتكون من عرق السوس «عود حلو» والحبة السوداء «حبة البركة» وبذر الكتان واللبان الذكر والمحلب والتليو وبذر الخلة.

وصف العطار دواء للاسهال، يتكون من قرط وزهر بابونج وقشر رمان ونخوة هندى، ولالتهاب عرق النسا يقدم وصفة تضم بذر الحرمل وحبة البركة والقرنفل «المسمار» والصبر(١٥).

ولا تقتصر وصفات العطار على العقاقير ذوات الأصول النباتية إنما تضم عقاقير معدنية، ففى حالات الجرب يصف كبريت العمود الذى يعجنه بزيت ويدهن به.

وتعدت وصفات العطارين وقراطيسهم الطبية للأمراض العضوية وعلاجها الى تقديم وصفات للأرق والضيق النفسى فيعطون لذلك وصفات تضم الينسون وزهور البابونج والزعفران.

مشكلات استعمال العقاقير من حانوت العطار

لا شك أن اكثر العقاقير الموجودة لدى العطارين والتى جمعت من بلدان عديدة عربية وغير عربية مثل الهند وإيران وتركيا وجنوبى أوروبا وهى البلدان التى ضمتها الدولة الاسلامية فى وقت ما، أو لا تزال اسلامية هذه العقاقير قد جربت عبر قرون من الزمان وأثبت الكثير منها أثره الفعال فى علاج الأمراض، وبعضها يعد ضمن المواد الدستورية فى دساتير الأدوية العالمية، إلا أنه ينبغى أن نعلم أن هناك مشكلات تعترض استعمال هذه العقاقير التى تباع لدى العطارين، نفصلها على النحو الآتى:

[اولا]: كمية المواد الفعالة فى العقار:

كل عقار يتميز بوجود قدر معين من المواد الفعالة إذا ما تم جمعه فى موسم معين، وقد لا نضمن أن جمع العقار تم طبقاً لهذه المواصفات لا سيما وأنه لا تجرى دراسة لتحديد كمية المادة الفعالة ونسبتها فى العقار. وهناك عقاقير كثيرة ينبغى أن تجمع فى وقت معين من العام أو من اليوم أو عند طور معين من أطوار حياة النبات

حتى يكون بها من المواد الفعالة الكفيلة بإحداث الأثر المطلوب فى العلاج. وهناك احتمال أن تكون النباتات والعقاقير لدى بعض العطارين لا تنطبق عليها هذه المواصفات.

[ثانيا]: كيفية تخزين العقار عند العطار وفترة تخزينه

وكيفية تخزين وفترة التخزين للعقار من الأمور الهامة، فلكل عقار كيفية معينة لتخزينه، فقد يؤدى تعرضه للرطوبة، أو لدرجات حرارة مرتفعة، أو للضوء والشمس الى احداث نقص فى قدر المواد الفعالة فيه، وطول فترة التخزين فى بعض العقاقير مدعاة لنقص فاعلية العقار. وفى هذا الصدد نذكر أن العلماء المسلمين الأوائل ذكروا فى مصنفاتهم طول الفترة التى يبقى فيها العقار محتفظاً بفاعليته.

[ثالثا]: مقدار الجرعة اللازمة:

وأهم مشكلة تجابه مستعمل العقاقير فى محلات العطارة، هى قدر الجرعة اللازمة، فلا شك أن تناول أكثر من جرعة محددة أو الاسراف فى استعمال العقار له آثاره الضارة، وتختلف الجرعة من انسان الى آخر حسب عمره ووزنه وصحته العامة. ولذلك فإن تقدير الجرعة من الأمور الهامة التى لا يتقنها إلا المدربون من العطارين.

[رابعا]: عدم المعرفة والغش:

ومن المشكلات التى تعترض استعمال عقاقير العطارين عدم علم العطار ببعض الأنواع المطلوبة وإبدالها بما يتيسر له من عقاقير قد تكون غير مفيدة، وفى ضوء نقص بعض العقاقير يلجأ العطارون الى إيجاد بدائل لها وقد يكون البديل مفيداً أو غير مفيد وقد يكون الابدال عن قصد الغش.

وغش العقاقير خاصة المسحوقة منها بإضافة مواد رخيصة الثمن عديمة الأثر من الأمور المتوقعة فى أحيان كثيرة.

[خامسا]: تعدد اسماء العقار الواحد:

لمعظم العقاقير أسماء متعددة ذوات أصول مختلفة بل إن العقار الواحد قد يكون له أكثر من اسم فى البلد الواحد، ولا شك أن هذه تسبب مشكلات، فهذا التعدد فى الأسماء يفسح المجال أمام استعمال بدائل غير مضمونة أو استعمال عقاقير فى غير ما تفيد فيه. ونضرب مثلا لتعدد الأسماء التى وردت فى المعاجم ومصنفات العلماء المسلمين عن نبات مثل السحلب، فيطلق عليه الأسماء التالية: نبات السحلب ـ خُصى الكلب ـ خصى الثعلب ـ بوزيدان مغربى ـ قاتل أخيه ـ الحى والميت ـ ذو الثلاث ورقات ـ طريفُلن ـ عجْمة ـ بهج ـ لعبْة مُرَّة ـ عِرق إنطِراب ـ مُسْتَعجلة(١٦)، وقد حاول كثير من العلماء المسلمين مثل ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية جمع أسماء العقار المختلفة عند الحديث عن كل عقار(١٧).

ورغم ما سبق ذكره من مشكلات تعترض استعمال العقاقير من حانوت العطار والتداوى بها إلا أن هناك بعض العطارين لديهم المعرفة الجيدة والأمانة والصدق مما يدعو للاطمئنان إليهم بدرجة كبيرة.

الخاتمة

إن ما وصلت اليه نتائج تحاليل العقاقير الحديثة يؤكد احتواء كثير من العقاقير التى يبيعها العطارون على عديد من المواد الفعالة ذوات الأثر الطبى الناجح فى علاج عديد من الحالات المرضية، ولا شك أن هذا يؤيد الدعوة الى استعمال العقاقير الطبيعية أو المواد المفصولة منها دون استعمال المواد المصنعة كيميائيا والتى ثبت أن لها آثارا جانبية، وهى دعوة انتشرت فى أنحاء العالم ولاقت قبولا لدى عديد من الناس فى مختلف الدول. وإذا كان لنا هذا التراث الثر الغنى والمصنفات التى كتبت عن النباتات الطبية والعقاقير، فإن الأمر يحتاج الى دراسات مستفيضة تهتم بهذا التراث وتستقصى مكونات وفعالية العقاقير الموجودة فى محلات العطارين وبائعى الحشائش والنباتات الطبية خاصة أن هذا التراث يضرب بجذوره الى قرون عديدة. وفى عصر ما سمى بالنهضة الأوروبية نقل هذا التراث من الشرق الى أوروبا حيث أفادوا منه الكثير. ولا شك أننا أولى بتراثنا خاصة أن هناك الكثير من النباتات الطبية التى تنمو فى بلدان الوطن العربى.

المراجع

(١) الانطاكى، داود بن عمر، تذكرة اولى الألباب والجامع للعجب العجاب، المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

(٢) هونكة زيجريد شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة بيضون رسوكى - بيروت ١٩٦٩م.

(٣) ابن الجزار. أبو جعفر احمد بن ابراهيم، زاد المسافر وقوت الحاضر. المقالات الثلاث الاولى، تحقيق الدكتور محمد سويس والدكتور الراضى الجازى - الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٦م.

(٤) ابن الجزار، أبو جعفر احمد بن ابراهيم، كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم: تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحبيب الهيلة - دار الغرب الاسلامى - بيروت ١٩٨٤م.

(٥) ابن سينا، أبو على الحسين، القانون فى الطب، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق، دار صادر، بيروت - بدون تاريخ.

(٦) الملك المظفر، يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى، المعتمد فى الأدوية المفردة، صححه وفهرسه الاستاذ مصطفى السقا - دار القلم - بيروت، بدون تاريخ.

(٧) الكوهين العطار، أبو المنى ابن أبى نصر. منهاج الدكان، ودستور الاعيان، فى أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان - طبع بولاق سنة ١٢٨٧هـ.

(8) Fahmy lbrahim ragab. 1932. Pharmacognosy. Medicinal Plants and their vegetable drugs-Cairo.

(9) Claus, Edwardp. 1961. Pharmacognosy. 4th ed. Lea £ Febiger, Philadelphia.

(10) Bouos, L. 1983. Medicinal Plants of north Africa. Reference Publications inc, Michigan.

(١١) البتانونى، كمال الدين حسن، أسرار التداوى بالعقار، بين العلم الحديث والعطار، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، تحت الطبع.

(١٢) عبد السلام، حسن، بين الصيدلى والعطار، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الاولى ١٩٧٣م.

(١٣، ١٤) البتانونى، كمال الدين حسن، نباتات فى أحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾، إدارة إحياء التراث الاسلامى - قطر - تحت الطبع.

(15) Ahmed, Salah Gisho Honda and Wataru Miki. 1982. Herb drugs and herbalists in the Middle East. Inst. For the study of languages and Cultures of Asia and Africa-Studia Culturae Islamicae-no. 8-tokyo.

(١٦) عيسى، الدكتور احمد عيسى بك، معجم اسماء النبات، وزارة المعارف العمومية، مصر - المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

(١٧) ابن البيطار، ضياء الدين، كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة ١٢٩١هـ.

عالـــم النقـــش بالحناء

تأليف
فاطمة نعيم

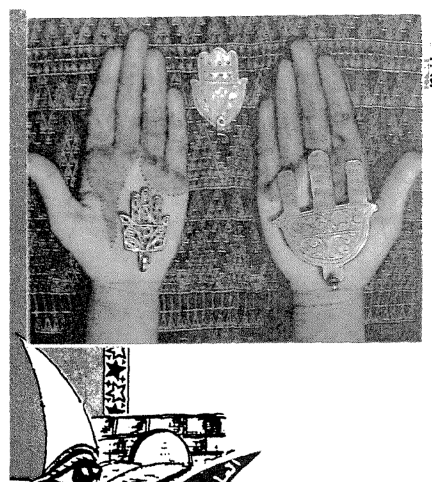
عرض وتقديم
محمد بن محمد العلمي

هذه دراسة انثربولوجية مهمة تقع فى ٧٩ صفحة من القطع المتوسط. والكتاب مطبوع طبعة كاليغرافية متقنة والمؤلفة قمينة بكل تشجيع وتنويه. لانها عملت انتاجا قائم الذات رغم قلة المراجع وقدمت نماذج من المملكة المغربية بالمقارنة مع نماذج من المملكة العربية السعودية والهند وسواهما، علما بأن المؤلفة زاولت لمدة طويلة النقش بالحناء حسبما جرى عليه هذا الفن الموروث جيلا بعد جيل، فقد شاع وذاع بين مختلف طبقات المجتمع وبالاخص فى الاوساط النسوية، فالحناء ـ كما هو معلوم ـ متعددة الاستعمالات، كمعالجة الحمى، وتشقق الجلد، والالتهابات وتزيين شعر الرأس وتخضيب اللحى، والنقش على الايدى والارجل، مع بعض المبتكرات الجديدة التى لا تخلو من ابداع وعطاء.

والحناء نبات صبغي من فصيلة الحنائيات «لوسونيا البا» وتعرف عند العرب باسم «فاغية واليرناء والرقان والرقون والارقان حيث انشدوا فى ذلك:

مستمعة اذا ما شئت غنت
مضمخة الترائب بالرقان

ومعرفة الحناء ضاربة جذورها فى اعماق التاريخ نظرا لما لها من الاستعمالات الطبية العديدة ويعظم نباتها حتى يصير شجرة معمرة، متساقطة الاوراق، من موسم لآخر، ويصل علوها ما بين ٨٠ سنتمترا الى ١٢٠ سنتمترا، وقد يصل علوها احيانا الى زهاء سبعة امتار. وموطنها الاصلى بلاد فارس، ومصر القديمة ثم انتقلت الى افريقيا واوروبا، وقد سبق لرمسيس الاول ان ارسل بعثة للبحث عن بعض الاعشاب فى اسيا، فاحضرت له الحناء، وكانت تستعمل عند الفراعنة فى التحنيط والتجميل وإستخراج العطور وانتقل ذلك الى اليونان والبطالمة والرومان الذين كانوا يتخذون



منها أكاليلهم الجنائزية، ومنذ آلاف السنين كانت الشعوب القديمة تستعملها فى التجميل والتزيين، كما كان الشأن عند كليوباطرة، ثم شجرة الدر زوجة الملك الصالح ايوب، كما استعملتها المرأة العربية والاسلامية ضد تساقط الشعر، وجفاف الجلد، وتلوين الثياب والمنتوجات وصناعة شتى الادوية فاذا ما مزجت مع **«الخل البلدى»** او **«القطران»** او **«الشبة»** كانت لها استعمالات شتى ويستخرج من ازهار الحناء وزيتها مادة جوهرية لصناعة بعض العطور.

واستعمالها مع الماء البارد يجعل السائل بعد ساعات يتلون بصفرة مشوبة بحمرة، ويزيد اللون مع مرور الايام بحيث لا تنحل فى الماء ولا يستخرج اللون الحقيقي للحناء الا اذا كان بالماء الحار او غليت الحناء فيه، وتعالج بالايثر، بعد اخذ الكلوروفيل جزئياً منها. وهو اخضر جميل اللون مرن لين. كما تعالج بالكحول من درجة ٩٠ فتذوب المادة الملونة، والحناء بعد استحضارها وهى صلبة، تكون عديمة الشكل، لونها اسمر قاتم، تذوب جزئيا فى الماء البارد، وكليا فى الماء المغلى، ومحلولاتها جميلة الصبغ، تقارب اللون البرتقالى الزاهى.

والحناء فى المغرب انواع منها النوع الفيلالى، وهو على درجة عالية من الجودة وقوتها الفائقة تكون فى اوراقها، وهناك نوع ثان يعنى الحناء الدراوية الموجودة بدرعة. ونوع ثالث: الشتوكية نسبة الى قبيلة شتوكة، وبعد استعمال الاسمدة الازوتية ازداد نمو نباتات الحناء خارج مواسم مايو، ويوليو، وسبتمبر وتتقلص جودتها حسب مراحل استغلالها الى ان تصبح فى الاخير ضعيفة ذات لون اصفر او برتقالى عند استعمالها.

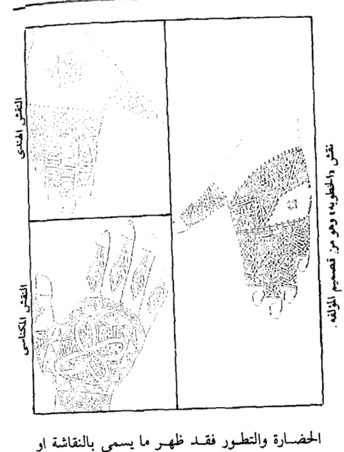
وكان المغرب ينتج من الحناء سنة ١٩٢٠ ما يزيد على ٨٠ هكتاراً وتقلصت بعد ذلك المساحة المخصصة لزراعة الحناء، الى ان اصبحت مقتصرة على مناطق معينة مثل دكالة والشاوية وازمور وتعمر شجرات الحناء ما بين ١٢ و٢٠ سنة، ويمكن ان نتعرف بسهولة الى النوع الرفيع من الحناء، فهو الذى اذا عركنا بعض اوراقه تناثر منه بعض الغبار الذى نشم منه رائحة قوية خاصة. وتستطيع الحناية او النقاشة ان تعرف نوع الحناء وجودتها، بمجرد القاء نظرة عليها، او تذوقها لبعض طحين اوراق الحناء.

ودخلت الحناء الى المغرب عن طريق القرطاجيين الذين كانوا ينتقلون بموادهم من المشرق الى المغرب وكانت المرأة المغربية تستعملها بطريقة عادية وبسيطة، اذ كانت تأخذ الحناء، وتعرضها لأشعة الشمس، ثم تنقيها من الشوائب وتدقها او تطحنها، وبعد غربلتها حتى تصير ناعمة، تضيف اليها الماء الحار، مع قليل من الحامض والسكر او الشبة، وتعجنها وتتركها قليلا تخمر

لتصير بعد ذلك جاهزة للاستعمال ثم تتناول المرأة العجين بسبابتها وتشرع فى وضعه على اليد أو الرجل، بعد تمديده من دون التقيد بشكل من الاشكال وقد تساعدها فى ذلك امرأة ثانية، ويتم تجفيف الحناء على نار الفحم، ثم تلفها بقطع من القماش حتى الصباح لتزيلها ثم تدهن يدها ورجلها بزيت الزيتون لتعطيها جمالا ورونقا، وهذا ما يسمى «التقصيصة» او «المغاطس» لكن هذا النوع لم يبق مقتصرا الا على العجائز، او اللواتى يقصدن زيارة الديار المقدسة لاداء فريضة الحج او مناسك العمرة حماية لليد او الرجل من التشقق بتأثير الجو الحار. والحناء تلطف الحرارة على كل حال، ويمكن ملاحظة ذلك عند وضع الحناء على اليد او الرجل لنشعر بنبضات فيهما هى اشبه ما تكون بنبضات القلب.

■ وعرف التزيين بالحناء عدة تطورات ذات اهمية بالغة بالنسبة للمرأة مهما كان وسطها الاجتماعى وهذا راجع الى التجديد الذى تجاوز الطريقة القديمة، يعنى «التقصيصة» او «المغاطس» اذ تم تعويضها برسوم واشكال هندسية مختلفة بواسطة المرود بدل السبابة، وهو عبارة عن عود ثقاب، او قطعة رقيقة من الخشب، مُشَكَّلة على هيئة مسمار صغير، وحتى كيفية تحضير الحناء تطورت هى الاخرى اذ اصبحت تغربل فى قطعة من القماش الشفاف لتصبح اكثر نعومة، وذلك المسحوق الناعم يوضع فى اناء رفيع مع قليل من الحامض المخلوط بالماء الدافىء ويعجن بملعقة حتى لا يبقى فيه اى اثر للحبيبات التى تتخلل عادة عجين الحناء فى عملية التحضير. ثم تضع المرأة بعضا من العسل الحر على هذه النقوش بعد استعمالها، وذلك من اجل اضفاء طابع الرونق والنضارة على النقوش.

■ وعرفت الحناء ايضا عصرنة مرموقة، تمشيا مع سنة



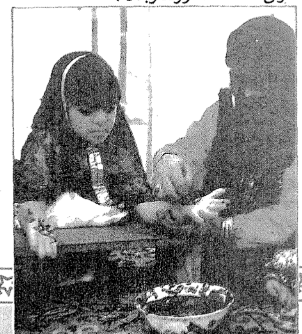
نقش والخطوبة وهو من تصميم المؤلفه.

الحضارة والتطور فقد ظهر ما يسمى بالنقاشة او الحناية، وهى امرأة او فتاة، لها دراية بالغة فى هذا الميدان، بطرق هندسية رائعة. . فلم تتعلم هذه المهنة عن طريق الدراسة الاكاديمية ولكن عن طريق الممارسة الحرة والرغبة فى الابداع، فاصبحنا نرى رسوما وزخارف شبيهة بتلك المستعملة فى الطرز وصناعة الزرابى، وقد ساير هذا الفن التقدم الحضارى والعصرى فاحتل مكانته الخاصة الى جانب الفنون الاخرى فهناك ما يسمى نقش الكوزة ويتخذ شكلا مستطيل الاضلاع، ونقش الهلال وكل هذه الانواع تتوسطها نقوش اخرى من اشكال الزهور ومربعات، ومفردات صغيرة الحجم، مع خطوط دقيقة ومتداخلة فى هندسة تشكيلية رائعة.

■ وتكون الحناء فى الحفلات والاعراس او عند الخطبة وعقد القران. . فعندما ترغب العروس فى النقش فانها تعقد مع الحناية ميعادا وتحدد معها الثمن مسبقا وتدفع لها العربون وتضرب لها موعدا. وفى اليوم الموعود تكون العروسة قد استدعت الاهل

والاحباب واحضرت مستلزمات المناسبة من قميص مزركش. . وتهيىء العروس درة اى منديلاً أو قطعة من الثوب متوسطة الحجم واربع درات اخرى تكون قد طرزت جنباتها باللون الاخضر او مزيج من الالوان الاخرى وهو ما يسمى «زيف الحناء» كما تحضر الشموع والبخور بالاضافة الى المشروبات المرطبة والحلوى والحليب والتمر.

■ وتشرع النقاشة فى تهيىء الحناء الكافية للنقش مع السقوة وهى عبارة عن مزيج من ماء الزهر والقرنفل ثم الثوم والحامض والبهار (الابزار) ولا تشرع النقاشة فى عملها الا بعد ان تكون العروس قد اخذت زينتها وهيأت كل شىء فتشعل الشموع وتطلق البخور. . وغالبا ما تضع ام العروس قالبا من السكر وهو ما يسمى الغرامة او البياض. وقد تكون هناك بالاضافة الى ذلك نقود تغدقها النساء المدعوات للحفل وتكون من نصيب النقاشة قليلة كانت ام كثيرة، وقد سارت العادة على هذا النهج، واظهار الحناء فى لون جميل يكون بمثابة فأل خير وسعادة فى اعتقاد الناس. وفى الوقت الذى تشرع فيه النقاشة فى عملها تطلق الزغاريد والصلوات على النبى ﴿ﷺ﴾ وتشرع النساء فى الغناء الذى يكون محوره حنة العروس وهو من الكلام الجميل ذى الايقاع والرنة وكلما جفت الرسوم توضع عليها السقوة حتى يكون لها مفعول اكبر فى اعطاء الحنة رونقا وجمالا.



وهناك عادات وتقاليد تتعلق خاصة بالحناء من اهمها:

■ الاداة المستعملة فى رسم النقوش على اليد، لم تعد هى المرود بل هى المحقنة التى تستعمل عادة فى ميدان الطب، وكيفية ذلك ان يكسر قليلا رأس الابرة الرفيع حتى لا تحدث جروحا او خدوشا على جلد اليد او الرجل اثناء استخدامها. . ومن الافضل استعمال المحقنة الزجاجية بدلا من البلاستيكية فذلك اضمن لانجاز عمل متقن ودقيق، وتلك ثورة على المستوى التقنى لانها شكلت تحولا فى الكم والكيف على صعيد هذا الفن اليوم. وفى ذلك اختزال لوقت العمل وتحقيق ارباح مادية اضافية. . وتعطى المحقنة خلال النقش خطوطا دقيقة وبحجم رفيع على عكس (المرود) الذى يعطينا دائما خطوطا عريضة ومتسعة يصعب التحكم فيها لانجاز بعض الاشكال، وقد احدثت (المحقنة) ضررا كبيرا بالنسبة للنقاشات اللاتى لم يتكيفن معها الى الان فتراهن يحاولن الانتقاص من القيمة الفنية للنقوش المنجزة بهذه الاداة بدعوى ان هذه النقوش لا تدوم طويلا الا ان هذا باطل، فالحقيقة ان النقش بالمحقنة يظل احسن بكثير نظرا للميزات المشار اليها انفا. فكل شىء فى الحناء واستعمالها يتوقف على درجة جودتها واحتفاظها بمقوماتها الاساسية، علما بان الحناء تظهر بلون قاتم او شديد الحمرة حسب عامل الحرارة الموجودة فى جسم المرأة ويظهر ذلك جليا فى كون بعض النساء يستعملن نفس الحناء فنلاحظ اختلافا فى اللون من يد لاخرى. فاما ان تكون الحناء ذات سواد جميل واما ان تكون فى حمرة قانية داكنة، واما ان تكون بالتوالى اما برتقالية، او صفراء باهتة، فالامر ليس يرجع الى النقاشة بالذات ولكن يرجع بالاخص الى طبيعة الحرارة الجسدية للمرأة المنقوش لها.

●● وتحضير الحناء قد عرف هو الاخر تغييرا ملحوظا، فقد ادخل فيه، الغاز الطبيعى بدلا من الحامض والسكر، فذلك - بالاضافة الى الماء الدافىء - يعطيها قوة ويزيدها رونقا وسطوعا ولمعانا، ويضمن بقاءها لمدة اطول دون ان

تكـون هنـاك اضرار على المرأة التى تستعملها. . لكن يُلفت الانتباه الى كون العملية تتم خلال خلط العجين وليس على النقوش مباشرة.

■ وعنـدمـا نقيم المقـارنـة بين الهنـد، والمملكـة لعربية السعـودية والمملكة المغربية، نلاحظ ان النقوش الهندية باهـرة الجـمال والـروعـة والاشكـال نظرا لما ترمز اليه فى المعتقـدات الدينية على حسب الشرائح الاجتماعية وفى الجزيرة العربية. . فان للحناء هنالك تاريخا طويلا، منذ الجاهلية حتى دخول الاسلام. . كان عبد المطلب اول من خضب بالسـواد من العـرب. . وكان رجل من حمير خضبه بذلك فى بلاد اليمن. فلما استعمله بمكة المكرمة اقتدى به اهلها.

والحناء والحناءة ما يخضب به والجمع حنات، كما ورد فى قول الشاعر:

ولـقــد اروح بلمــة فينـــانـــة

سواء لم تخضـــب من الحـنــات

■ وقد تغزل كعب بن الاشرف بامرأة قد طلت جسمها بالطيب والزعفران وتخضبت بالحناء والكتم، فأعجبه ذلك وانشد:

صفـراء وادعـة، لو تعصـر انعصـرت

من ذى الـقــواريــر والحنـاء والكتم

■ وهذا دليل على اهمية الحناء بالجزيرة العربية.

أما عن النقوش المغربية والهندية ـ فبينها قاسم مشترك من خلال طريقـة الاستعــمالات والنقــوش: (دائـما المـاء الدافىء. . والحامض والسكر والمرود). . ثم ان المهندى عند الهنديين هو اسم الحناء وشكلها عندهم شبيه بالحناء المعـروفـة لدينـا. . وللحناء حضور قوى فى المهرجانات والاعياد عند الهنود نظرا لتقديسهم اياها فهى فى اعتقادهم الـوثنى تبعث على ارضـاء الالهة. . وتعمل على ابعاد الشـرور والارواح الخبيثـة. . ولها اهمية بالغة فى طقوس الـزواج فالعـروسان يضعان كوريرة من عجين الحناء فى الكف الايمن لكل واحد منهما ثم يضع العريس يده فى يد العروسة ويشد عليها مدة من الزمن، وبعد ذلك ينظران الى لون الحنـاء. فكلما كانت قاتمة كان ذلك تعبيرا عن حياة سعيدة للزوجين وكذلك الشأن اذا ازداد احمرار الحناء ليلة الزفاف.

■ وتتزين كل من المرأة والرجل بنقطة من عجين الحنـاء بوضعهـا على جبين كل منهما تعبيرا عن فرحهـما بالزواج، وفى الهند يبقى التزين بالحناء حكـرا على النسـاء المتزوجات وهو محظور على الفتيات الابكار فاذا ما تزينت العذراء بالحناء فان ذلـك يعد منها منافيا للاخلاق واللياقة والسلوك الحسن فتعتبر ساقطة. . ويحرم على المرأة الهندية الحامل التزين بالحناء الا بعد ان تضع فالعقرب فى النقش الحنائى الهندى يرمز الى الحب العفيف البرىء بين الرجل والمرأة. . ويكون هذا النوع سائدا فى فصل الصيف. . والطاووس فى النقش يدل على المرأة المطلقة او التى نزح زوجها الى بلد بعيد طلبا للشغل حيث تنظر اليه على اساس انـه انيسهـا فى وحـدتهـا. . والببغـاء فى النقش الحنـائى يعـبر عن حب الغنـاء والتغنى والـترنم والحناء فى معتقدات الهنود من مقدمات الزفاف اذ تحمى الحيــاة الــزوجيـة من الانهيـار والتمـزق والتصدع وليس الشأن كذلك فى المغرب، فالحناء ليست مقدسة الى هذه الدرجة وان كانت تهدى للاولياء والصالحين وتستعمل بالاضرحة. . وعند الهنـود يكـون احمرار لون عجين الحناء او سواده على جبـين العـروس مصـدر تطير وشؤم والمرأة المغربية بصفة عامة تتزين بالحناء فى مختلف اطوار عمـرهـا: من طفـولتهـا الى شبـابهـا والى شيخـوختهـا. . فالفتـاة تستعملهـا عند صيامها الاول أو فى عيــد ميــلادهـا. . او زواج احـد اقاربها. . وللمرأة الحامل صلاحية استعمالها بدون حرج. وبعض العادات والتقاليد المغربية تفرض على المرأة الحـامـل ان تنقش الحناء فى شهرها

السابع من الحمل الاول وتلبس احسن ما لديها من ثياب وسط زغاريد النساء وغنائهن.

وفي المملكة العربية السعودية هناك حناء حمراء وحناء سوداء. وهي متشابهة الاوراق ولا تميز بينها الا المرأة الخبيرة فالحناء السوداء لتزيين الكفين وقاعدة القدمين واصابع اليدين والقدمين - بينما تستعمل الحناء الحمراء في تزيين الرؤوس وغالبا ما تستعملها الفتيات كذلك في تزيين الايدي واصابع الاقدام دون بقيتها - وهذا الاستعمال يضرب بجذوره في اعماق التاريخ. والمرأة السعودية تقوم بوضع الحناء على يديها ثم تجمع اصابعها وسط كفيها ثم تضع الحناء على رجليها بطريقة عادية وتتركها لبضع ساعات فتزيل الحناء من غير ان تضيف إليها اى شيء وخطوط كفيّ اليدين لا تصل اليها الحناء عند وضعها. وبعد ازالتها تظهر تلك الخطوط التى لم تخضب من تشكيل بديع، والمرأة السعودية تزيل الحناء نهائيا ولا تنام بها على عكس ما هى عليه الحال فى كل من المغرب والهند، والنقش بالطريقة العصرية لم تعرفه بعض المناطق السعودية الا مؤخرا عن طريق الاحتكاك بالشعوب المجاورة فى الخليج العربى او بعض الدول كالمغرب الذى انتشر فيه هذا النوع من الاستعمال، الا ان انتشاره ما زال محدودا فى أواسط المدن السعودية الآهلة يقتصر على المدن الكبرى كالطائف.. وهناك فى البوادى والتخوم والمرابع تكون نقوش الحناء مستوحاة من البيئة الطبيعية.

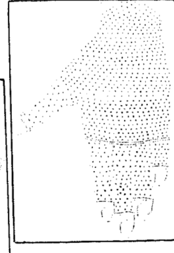
وترى المرأة المغربية ان استعمال الحناء يدخل فى العالم الصوفى وفى ذلك اقتراب من الاجواء السيكولوجية التى تتجاوز عالم التزين والتطيب.. ففيها وسيلة لاثبات الذات والانسية والشخصانية - او للتعبير عن مكنونات عميقة تغوص فى اغوار ماض بعيد.. انها تصوير لحالة نفسانية من حالة النشوة والفرح والانتصار على الالم.. ان المرأة المتزينة بالحناء تشعر بالزهو والمباهاة فكأنها تملك شيئا ثمينا تحافظ عليه من الضياع فتنفر من الاعمال المنزلية خوفا من اختفاء الحناء - فالحناء عندها تمثل لحظة متعة وحبور ونشاط.. والمرأة العجوز تكاد تطير من الفرح عندما يضرب لها احد اهلها موعدا مع النقاشة.. انها تشعر بشحنة من الدفء والقوة العارمة داخلها فتنسى اعباء السنين التى اثقلت كاهلها وتعود بها الذكريات الى عهد الشباب والطفولة وكأنها عادت الى الوراء - وهذا شيء له دلالته الخاصة - فالحناء عنوان المسرات وتجاوز الازمات.. والمرأة تشعر فى لحظة الحناء انها ادخلت



البهجة والسرور على قلبها. . فالنقوش البديعة فى حد ذاتها منظر رائع يشد اليه الانظار. . وعندما تنقش المرأة الحناء بالليل تراها تحترق شوقا لرؤيتها ومعرفة اللون الذى ستؤول اليه صباحا فتستيقظ مبكرة لتلك الغاية، وكم تكون مسرتها عظيمة حينما تشاهد الحناء فى لون قاتم او مائل الى الحمرة المحببة الى قلبها والرجال هم الآخرون يعشقون ويتشهون رؤية الحناء الزاهية على ايدى وارجل نسائهم ـ فاذا كانت الحناء مائلة الى الاصفرار او اللون البرتقالى ففى ذلك ما يبعث الحسرة والغضب فى النفس. . والحناء طيب تعتز باستعماله المرأة ايما اعتزاز وهى جديرة بأن تتمسك وتتشبث بها وتكثر من استعمالها.

العادات الغريبة المتعلقة بالحناء ان اسرة العروس فى المغرب تقوم بوضع البيض فوق اناء الحناء وعند الصباح تأخذ العروس ذلك البيض وتسلقه ثم تتناوله صحبة عريسها، املا فى ان تكون حياتها بيضاء خالية من كل تكدير وتعكير.

●● وباختصار فان ظاهرة النقش بالحناء كانت قائمة منذ فجر التاريخ والمرأة العربية الاسلامية استعملت النقش بالحناء منذ مئات السنين. . وهى عملية تحتل مكانة مرموقة فى المجتمع بحيث اصبحت من ضروريات الافراح والاعياد والمهرجانات. . ووجود النقاشات المتخصصات دليل على ما لهذا الفن من اصالة وعراقة وتمسك بتقاليدنا التى هى مقومات قيمنا الحضارية ـ والذاكرة الشعبية لا تنسى اذاً هويتها وطابعها الموصول العهد عبر الاجيال والعصور. . والنقش بالحناء فى حد ذاته فن من الفنون التشكيلية ما دام نزهة للعين وفرحة للقلب ومهما بلغ الشعب من درجات الرقى فى مجال الزينة فلن يستطيع ان يمر مرور الكرام على اصالته وجذوره التاريخية فما تزال طبيعتنا



ـ نقش «لالة عيشة»



ـ نقش المراكش الحديث

الجميلة تغدق علينا الالوان الوهاجة التى علينا ان نصونها ونعض عليها بالنواجذ.

وقد اعتمدت المؤلفة فى دراستها هذه على مراجع منها: الموسوعة العربية الميسرة، ودائرة المعارف للبستانى المطبوعة سنة ١٨٨٣ حرف الحاء، والمجلة العربية عدد ديسمبر ١٩٨٦ صفحة ١٠٢، وكتاب عايدة كنفانى حول الحنة والوشم ما بين لبنان ودولة الامارات العربية، الصفحتان ٨٢-٨٣، ومجلة فنون عربية العدد السابع الصادر سنة ١٩٨٢ ومجلة سيدتى العدد ١٤٩ الصفحة ١٤٩ بتاريخ يونية ١٩٨٤ وبحث اليونسكو الصفحات من ١٨ الى ٢٢ عدد فبراير ١٩٧٧)

●● وقد تخللت الدراسة رسوم تتعلق بانواع النقش بالحناء وقد وردت ضمن هذه الدراسة:

- «التقصيصة» وهو نوع ما يزال مستعملا الى يومنا هذا، وهى طريقة شرقية، بالاضافة الى كونها تستعمل بالمغرب.

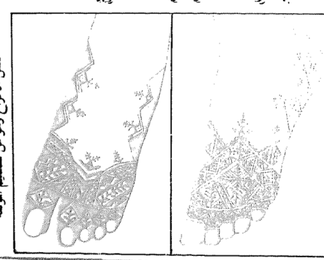
- «المغاطس» أو «الخطبة» وكان يستعمل عادة عند خطبة الفتاة، فى جل المناطق المغربية.

- وهناك نوع خاص من النقش بمنطقة الشاوية والغرب.

- ونوع منفرد بمنطقة دكالة.
- والنقش المراكشى العتيق.
- ونقش المرأة البيضاوية البدوية ويشمل القلب والشمس، والقمر، والالتواءات الموجودة بطرق البادية.
- والنقش المراكشى الحديث ذو الاطار الجميل، ويسمى النقش الكامل اذ فيه تنقش اليدان والرجلان الى حد الكعبين وفق نماذج متنوعة فى منتهى الرونق والابداع.
- والنقش الفاسى المتأثر برسوم وهندسة الطرز الفاسى.
- النقش الفاسى والمكناسى الذى لا يتجاوز حد الكعبين.
- النقش المكناسى الخاص الذى يطغى عليه نوع من التكديس (الثقل) فى وضع الحناء فلا ينقش الاجزاء من اليد والرجل، وهو متأثر بالطرز المكناسى خاصة طرز «المعمر» وهو نوع ثقيل الوزن والعمل.
- نقش للاعيشة، ويتشكل من نقط توضع على حجم واحد من اليد والرجل معا.
- النقش الهندى، وقد تكون فيه رسوم للعقارب على الانامل.
- النوع المستعمل بالمشرق العربى وكذا المغرب العربى واذا ما كان المغرب قد استغنى فان الشرق ما يزال محتفظا به.
- نقش «الفيدح» وهو منتشر بمراكش.
- النوع البحرينى ويطغى فى النقوش رسم القلب معا يدل على ان المرأة البحرينية تترجم فرحتها مباشرة بنقشها للقلب على يديها هذا القلب الذى هو مصدر الفرحة، وهى فى الواقع صورة قريبة ومرئية لعين المرأة نفسها والمقربين من حولها.
- وهناك تصميمات خاصة اجتهادية منها (نقش الافراح) و(نقش الخطوبة) و(نقش الربيع على القدم (من نوعين اثنين)

و(نقش الخلود) وهو على نموذجين اثنين، و(النقش الهندى) على القدم، ونموذج من النقش الهندى على اليد.
- ونقش النعيم على اليد والرجل، ويلاحظ ان هذا النقش قد اتخذ رسومه فى شكل دائرى مع تغيير ما يسمى بالقبة (المثلث) بمثلثين اثنين.
- ونوع جديد من النقش الهندى الذى يشبه الى حد ما النقش المستعمل بالمغرب ويظهر ذلك من خلال المربعات المنقوشة على القدم.
- وهناك نقش الفوز على القدم واليد.
- واخيرا نقش الشباب على اليد وهو يدل على ذوق رفيع واحساس مرهف.

●● والدراسة فى مجملها تنم عن مجهود كبير فى البحث والاستقصاء والعرض المشوق. ومهما يكن من امر، فاننا نشد بحرارة على يد المؤلفة الاخت فاطمة نعيم، ونتمنى لها المزيد من التوفيق والنجاح فيما هو اهم وأفيد، خصوصا وانها فى ميعة الشباب واشراقته الاولى فهى جديرة بكل تشجيع خصوصا وانها تتطرق الى مواضيع عذراء يتبلور فيها الاجتهاد والابداع، وتخوض غمار الدراسات الانثروبولوجية الطريفة التى تعرف بمكونات حضارتنا واصالتنا المغربية.


نقش الافراح وهو من تصميم المؤلفة

النقش على الرجلين فى منطقة فاس

الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟

عبد القادر الخلادي

- المغرب -

الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟ الحمامات لمن؟

الحمام في المجتمع الإسلامي

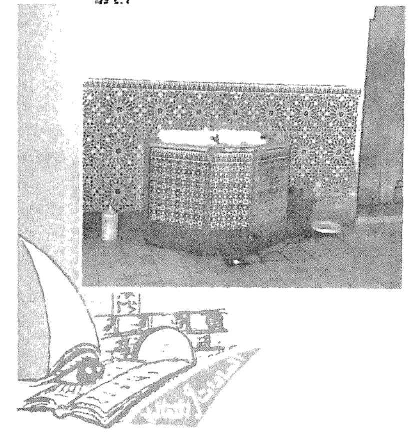
لمحة تاريخية وأدبية عن

رفع الاسلام شأن النظافة، واعلى قدرها، حتى جعل المتطهرين المتنظفين احباء الله إذ قال جل جلاله: ﴿**إن الله يُحبُّ التَّوابين ويُحبُّ المتطهرين**﴾ فالمشرع الاسلامى يعتبر الطهارة شطر الايمان، ويعدها من شروط صحة العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف كما يلزم على الواقف بين يدى الله ان يكون طاهر النفس طاهر البدن، طاهر الثياب، حيث يجب التطهر على كل جُنُب وحائض ونفساء، وذلك بالاغتسال وافاضة الماء مع الدلك، بل يجب غسل الميت قبل ان يوارى التراب حتى يعود الى ربه طاهر البدن، وقد رويت احاديث كثيرة فى فضيلة الغسل يوم الجمعة: منها قوله صلى الله عليه وسلم: «**من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل افضل**» وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر المسلمين، هذا يوم جعله الله عيدا للمسلمين فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه، وعليكم بالسواك**».

وبما ان المسلم رجلا كان او امرأة ينبغي ان يكون نظيفا حسن المظهر كان الحديث عن المياه وعن التطهر بها الباب الاول فى جميع كتب الفقه.. وكان اهتمام المسلمين بانشاء الحمامات الخصوصية والعمومية يضاهي اهتمامهم ببناء المساجد والمدارس والمستشفيات التى هى بمثابة مراكز للصحة الروحية والصحة العقلية والصحة البدنية.

عرفت جميع الامم المتحضرة القديمة الحمامات واعتنت بتشييدها وزخرفتها كما اعتنت بتسيير مجارى مياهها وإتقان أحواضها وصهاريجها وتزيين مجالسها، اذ كان يتخذها مترفوها وموسروها اماكن للنظافة والاستحمام واندية للهو والتمتع

بألـوان المـلاذ، ومن تلك الامم البـابليـون والاشوريون والمصريون والحبشيون واليونانيون . . الخ . . يروى المؤرخ اليونانى بلوترك ان اسكندر المقدونى لما دخل حمامات «دارا» ملك الفرس بعد ان هزمه اندهش غاية الاندهاش مما شاهده فيها من انابيب ومباخر واوانى اكثرها مصنوع بالذهب وبالفضة.



إننا لا نكـاد نجـد فى دواوين شعـراء العـصـر الجـاهـلى والشعـراء المخضـرمين ذكرا للحمامات، ومن المؤكد أن النبى ﴿ﷺ﴾ واكثر الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يغتسلون فى بيوتهم وان العرب البدو كانوا يغتسلون فى الغدران، الا ان جل المسلمين الاولين الذين نزحوا الى الشام عرفوا الحمامات العامة والخاصة ومنهم من استطابوا الاغتسال بها كما ان منهم من استنكروا دخولها وبالخصوص التشاغل بها عن مصالح الامة. وقد ورد ذكرها فى اقوال كثيرة منسوبة لبعض الصحابة منها قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: **«الحمام من النعيم الذى أحدثوه»**. . وقول الامام على كرم الله وجهه: **«بئس البيت الحمام، تُكْشف فيه العورات وتُرفع فيه الاصوات ولا تُقرأ فيه آيات من كتاب الله»**. . وروى أنّ معاوية قدم من الشام على امير المؤمنين عمر بن الخطاب فضرب بيده على عضده فتكشفت له عن عضد بضة ناعمة، فقال له عمر: **«هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوى الحاجات تقطّع أنفسهم حسرات على بابك»**.

وأما حديث دخوله صلى الله عليه وسلم حماما بالجحفة فهو موضوع باتفاق الحفاظ لانه لم يكن بها زمن النبى ﴿ﷺ﴾ حمامات(١).

وذكر البلاذرى أنّ الحمامات المبرزة بلغت بالبصرة فى عهد زياد بن ابيه وابنه عبيد الله تسعة، ثلاثة منها يملكها نساء. . وكان الاول منها لعبد الله بن عثمان بن ابى العاص. . والثانى لفيل(٢) مولى وحاجب زياد بن أبيه. . والثالث لمسلم بن ابى بكرة.

وكان يضرب المثل بحمام فيل قال ابو عبيدة: حدثنى يونس قال: لما بنى فيل مولى زياد داره وحمامه بالسبابخة(٣) عمل طعاما لاصحاب زياد ودعاهم الى داره وادخلهم حمامه ثم غذاهم وخرج معهم فركب على برذون هملاج. فقال ابو الاسود الدؤلى:

لعمر أبيك ما حمام كسرى
على الثلثين من حمام «فيل»

■ فقال الجرود بن ابى سبرة متذمرا من الغبار الذى كان يثيره برذون ذلك المولى:

ولا ارقـاصنـا خلف المـوالى
بسُنَّتنـا على عهـد الرسول(٤)

■ واشار يزيد بن مفرغ الى ما كان لهذا الحمام من شهرة، فى قوله لطلحة الطلحات:

متمنينى، طليحة، ألف ألف
لقـد منـيتنى امـلا بعيـدا
فلسـت لماجـدٍ حرٍّ ولـكـن
لسـمـراء التى تلد العبيـدا
ولـو ادخـلت فى حمام فيـل
والبست المطـارف والبرودا(٥)

وكانت الحمامات فى ذلك العهد - كما هى فى زماننا هذا - بابا واسعـا من ابواب الكسب والارتزاق.. قال ابو بكرة لابنه مسلم «يا بُنى والله ما تلى عملا قط وما اراك تقصر عن اخوتك فى النفقة» فقال: «إنْ كتمتَ علىَّ أخبرك؟» قال «فانى أفعل» قال: «فانى اغتل من حمامى هذا فى كل يوم الف درهم وطعاما كثيرا» ثم ان مسلما مرض فأوصى الى اخيه عبد الرحمن بن ابى بكرة واخبره بغلة الحمام فأفشى ذلك واستأذن السلطان فى بناء حمام واستأذن غيره فاذن له وكثـرت الحمامات. فافاق مسلم من مرضه وقد فسد عليه حمامه فجعل يلعن عبد الرحمن ويقول: «ما له؟ قطع الله رحمه».. يتجلى مما سبق ان الحمامات كانت منذ ذلك الوقت لا تُبنى الا باذن من الـولاة - وهـذا مفهـوم - لانـه من الضرورى ان تختار لها المواقع اللائقة لئلا يُلحق دخانها الضرر بالجيران.. وان يُراقب بناؤهـا لئلا تهوى على داخليهـا.. وان يكـون اصحـابها من ذوى العفة والامانة - ويتجلى ايضا ان المقبلين على الحمامات كانوا كثيرين.. وان اجرة الدخول اليها كانت «دراهما وطعـامـا».. وان كان هنـاك حمامات يشرف عليها النساء.

لم يغفـل الادبـاء الـرحـالـون ومؤلفـو كتب المسـالـك والممالك عن الاشارة الى ما شاهـدوه من حمـامـات اثناء تجوالهم.. ومنهم من اعتنى بعـد ما عرف منهـا بالمدن والحواضر لانها اضافت الى «فن العمارة» كثيرا من الفن والجمال والى الاداب الاجتماعية الوانا من العادات والتقـاليـد، واتخـذهـا بعض الشعـراء والكتـاب موضـوعـا طريفا اطلقوا فيه العنان لمخيلاتهم متنافسين فى تشخيص ما بها من زخـارف وصـور وزجـاج ملون.. واثـاث ورياش الخ.. ومن التعبـير عن احسـاسـاتهم بجـانـب احواضها السخينة ووسط ابخرتها الحارة.

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: «انها (أى بغداد) اربعون مدينة وان الحمامات بلغ عددها فى ايام المأمون ٦٥٠٠٠ حمام» وقد اراد صاحب سير الملوك بيان مقدار عمارة بغداد فقال: : «وكان عدد الحمامات فى ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمام.. واقل ما يكون فى كل حمام خمسة نفر: حمامى، وقيم وزبال، ووقاد، وسقاء، ويكون ذلك ثلاثمائة الف رجل.. وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد ويكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد وتقدير ذلك ان اقل ما يكون فى كل مسجد خمسة نفر، يكون ذلك الف الف وخمسمائة انسان(٦).

إنَّ طريقة الاحصاء هذه تبدو مضطربة اذ بنى تقدير عدد السكان على الذكور - اللهم الا اذا كانت هناك مساجد وحمامات لا يشرف عليها ولا يدخلها الا النساء - والطريقة التى ذكرت فى دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية «فى المقال الخاص ببغداد». تظهر اصح وإن وقع تطابق بين نتيجتى الحسابين: جاء فيه: «عدت الحمامات ببغداد سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م فاذا بها الف وخمسمائة حمام.. فاذا كان كل حمام مقصوداً من لدن سكان مائتى دار وكان بكل دار خمسة نفر - فان سكان بغداد يكونون حوالى مليون وخمسمائة الف».

وزار ابن جبير بغداد سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م فذكر ان جانبها الشرقى «كانت العمارة به محدثة، ومع استيلاء الخراب عليه كان يحتوى على سبعة عشر محلة، كل محلة منها مدينة مستقلة، وفى كل منها الحمامان والثلاثة والثمانية» وقال: «والشرقية فهى اليوم دار الخلافة، وهى حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب، واما حماماتها فلا تحصى عدا ذكر لنا احد اشياخ البلاد انها بين الشرقية والغربية نحو الالف حمام واكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل».

ألَّف يوسف عبد الهادي وهو من رجال القرنين التاسع والعاشر كتابا سماه: «عدة الملمات فى تعداد الحمامات»(٧) خصه لحمامات دمشق الكثيرة..

وورد فى كتب التاريخ ان عدد حمامات القاهرة فى القرن السابع الهجرى بلغ ثمانين حماما فقط فى الوقت الذى كان بالفسطاط اكثر من الف حمام(٨).. قال جرجى زيدان فى كتابه تاريخ التمدن الاسلامى (٢ص ١٧٤) ذكر مؤرخو العرب من مقدار عمارتها «الفسطاط» انه كان فيها ٣٦،٠٠٠ مسجد و٨،٠٠٠ شارع مسلوك و١،١٧٠ حماما، وقد يستبعد ذلك ولكن ايراده يدل فى كل حال على العظمة والعمران.

وفيما يخص الحمامات بالمغرب فقد جاء فى كتاب «صبح الاعشى» رواية عن ابن سعيد احد مؤلفى كتاب «المُغْرِب فى حلى المغرب» وقد ضاع الجزء الخاص بهذه البلاد» انه قال: «لم ار قط حمامات داخلها عين تنبع الا فى فاس»(٩) وقال «وهى اكثرها مياها من دمشق».

وقال ابن ابى زرع فى كتابه «الانيس المطرب بروض القرطاس» اثناء وصفه لمدينة فاس فى ايام زناته.. «فبنيت بها الفنادق والحمامات والارجاء والمساجد.. وبلغت مدينة فاس فى ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب واحصيت الحمامات منها المبرزة للناس، فى تلك المدة، فكانت ٩٣ حماما - وذلك فى عهد المنصور وولده الناصر(١٠) واحسن المؤلف هنا حينما اكد انه لم يذكر الا «الحمامات المبرزة للناس» ولم يتعرض للحمامات الخصوصية.

كتب الاستاذ محمد المنوني في مجلة البحث العلمي «وصف المغرب ايام السلطان ابي الحسن المريني» ذكر فيه معلومات استقاها من كتاب «مسالك الابصار في ممالك الامصار» لابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٨هـ/ ١٣٠٠-١٣٤٨م) جاء فيه اثناء الكلام عن فاس: «وغالب اغنيائهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم انفة من الدخول مع عامة الناس لان حماماتهم صحن واحد لا خلوة فيه تستر بعض الناس من بعض» وفيه عن مراكش: قال ابن سعيد «وحضرة مراكش - سكنت بها وعرفتها ظاهرا وباطنا ولا ادري هل العبارة تفي بما تحتوي عليه، ويكفي ان كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك».

ونشر بمجلة تطوان «عدد ٣-٤» للاستاذ محمد بن تاويت حول كتاب لابي عبد الله محمد بن القاسم الانصاري عنوانه «اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار» وابو عبد الله من اعيان سبتة وقد هاجر إليها لما غزاها البرتغال، انتهى من تأليف كتابه سنة ٨٢٥هـ وسجل فيه (كما يقول الاستاذ ابن تاويت) سبتة في مرحلتها الاخيرة الاسلامية قال: «... وعدد الحمامات المبرزة للناس اثنان وعشرون حماما اعظمها هيكلا واشهرها ذكرا حمام القائد - وهو القائد ابو علي ناصح الدين الذي كان بناؤه على يده رحمه الله.. هذا الحمام الغاية في الكبر يسع المئين من الناس مرتفع السمك طيب الهواء قائم على اعمدة الرخام، معروش بالواحه الساطعة البياض.. والمسلخ(١١) متسع الساحة له بابان اثنان وسقفه قبة مرتبة متقنة على اربع حنيات، وبالصحن صهريج كبير مرتفع عن الارض وفي وسط الصهريج سارية مجوفة فوقها طيفور من الرخام المرصوف - يصعد الماء في جوف السارية الى ان يفور في الطيفور وفيضه يملأ الصهريج.. هذا وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل.. ولقد كان بمنزلنا حمامان اثنان ومسجد، طهر الله تلك المنازل من عبادة الاوثان والاصنام واعاد اليه بمنه وفضله كلمة الاسلام.

●● ولنذكر الان ما جمعته قرية «بنيونش» جوار سبتة المشهورة في الافاق، التي اربت على القرى وفاقت شعب بوان في اقصى العراق، فعدد العيون والانهار التي بها ستة وثمانون وارفعها قدرا واشهرها في النفع ذكرا نهر (إمزار) وعدد الحمامات بالاربعة المبرزة للناس مائة وستة وعشرون حماما».

عرفت

الحمامات بالمغرب بواسطة الرومان الا ان الادارسة والمرابطين والموحدين قد استفادوا كثيرا مما شاهدوه بالاندلس من حمامات اسلامية فبنوا مثلها بالمغرب.

■■ يروى عن ابن عذارى المراكشي انه كان بقرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر نحو الثلاثمائة حمام خاصة بالنساء.. وورد في كتاب نفح الطيب: «كان بقرطبة في «عهد الناصر» وحدها من الدور العامة ١٠٣٫٠٠٠ ومن الدور الخاصة ٦٣٠ ومن الحمامات ٨٠٠ ومن المساجد ٣٨٣٧».

■■ وآثار الحمامات بل هياكل الكثير منها لا زالت شاهدة الى الان بما شيده المسلمون من حمامات خصوصية وعمومية فى كافة مدن الاندلس وقراها - كما لازالت كتب التاريخ والجغرافية حافلة بذكر الحمامات ووصف ما فيها من زخارف وما اوحت به من اشعار وقصص للشعراء والادباء . .

■■ والاهتمام بالنظافة وبالاغتسال هو الذى لفت انظار رجال الكنيسة الى المسلمين المدجنين فى الفردوس المفقود ايام تأجج نيران «محاكم التفتيش» فأوقعوا بهم الشنائع والفظائع .

■■ ومهما يكن من امر فان حمامات المغرب ولا سيما تلك التى بنيت منذ عهد المرينيين تمتاز بهندسة تكاد تنفرد بها حمامات افريقية الشمالية وذلك من حيث التصميم لا من حيث ما تتسم به بعض الحمامات المشهورة من زخارف واعمدة رخامية وفسيفساء الخ . .

■■ فاننا نجد مثلا كثيرا من اوجه الشبه(١٢) فى تخطيط الحمام القديم بوجدة (٦٩٦هـ - ١٢٩٦م) وحمام سيدى بنعباد بسلا «باسم بانيه الذى ولد سنة ١٣٣٨م ومات ١٣٩٠م» وحمام المخفية بفاس. فكل هذه الحمامات بنيت فى العهد المرينى - وكذا حمام شالة والحمام الجديد بالرباط المعروف بحمام العلو الذى بناه ابو عنان المرينى وجعله من جملة الأوقاف التى حبست على اطعام الطعام لمن يأوى الى شالة من فضلاء وعظماء «كما وجد ذلك اثرا لابى عنان فى مضمون التحبيس المنقوش على الرخامة التى اكتشفت بجدار القوس الوسط فى صحن الجامع الاعظم الرباطى ونص ما وجد: الحمد لله حق حمده - مما حبسه مولانا الخليفة المتوكل على الله . . ابو عنان بن ابى الحسن بن ابى سعيد بن يوسف يعقوب بن عبد الحق تقبل الله عمله وبلغه فى نصر الاسلام امله، الحمام الجديد برباط الفتح حرسه الله، على ضريح مولانا المرحوم والدهم رضوان الله عليه، واطعام المساكين بشالة عمَّرها الله تعالى وذلك فى عام ٧٥٥ عرف الله خيره(١٣) . . وذكر مولاى عبد الرحمن ابن زيدان فى كتابه «اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار مكناس» حمامات بنيت بها فى عهد الموحدين وما آلت اليه اليوم، وقال «وعدد حمامات المدينة اليوم احد عشر» وذكر اسماءها - ويقصد طبعا الحمامات الاثرية» وذكر ان عدد حوماتها تسعة وعشرون وعدد سكانها الاهالى المسلمين ٢٨٢٠٧ الا انه شك فى ضبط الاحصاء، «طبع الجزء الاول من هذا الكتاب سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٩٢م».

والحمامات سواء منها الخاصة والعامة المبرزة للناس كان يعتنى بها فى كل عهد غاية الاعتناء فيختار لها الموقع اللائق والمواد البنائية الملائمة ويهتم بمجارى الماء ووسائل التسخين. . وفى الحمامات المبرزة كان يعتنى على وجه الخصوص بالمسلخ وهو المكان الذى تنزع فيه الثياب ويستراح فيه بعد الاستحمام وقد يتخذ منتدى تقام فيه الحفلات العائلية ويتباهى فيه بانواع الملابس الفاخرة وتوزع فيه المشروبات.

قال ابو عبد الله محمد بن غالب «وهو من كتاب المملكة البلنسية - توفى سنة ٥٧٢هـ بمالقة» على لسان حمام:

انظر إلى نقشى البديع
يسليك عن زهرة الربيع
لو جنى البحر من رياض
كان جنى روضى المريع
سقانى الله دمع عينى
ولا وقانى جوى ضلوعى

فما ابالى شقاء بعضى
اذا تشفيت فى جميعى
كيف ترانى ـ وقيت ما بى
ألست من أعجب الربوع؟

■ كان الاندلسيون يتسامحون فى اقامة التماثيل فى قصورهم وفى ميادينهم العامة. كان منها ثمانية على باب الزهراء.

وكان بحمام الشطارة باشبيلية فى عهد ابن عباد عدة من التماثيل المرمارية ومنها تمثال امرأة بيدها صبى وصفه الشاعر ابو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام وهو من قلعة رباح غربى طليطلة قال:

ودمية مرمر تزهو بجيد
تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا
ولا المت باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن
تتيمنا بالحاظ مراض

وصف

ابن بطوطة(١٤) فى رحلته احد حمامات بغداد «وذلك فى منتصف القرن التاسع الهجرى» قال:

«وحمامات بغداد كثيرة وهى من ابدع الحمامات واكثرها، مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه انه رخام اسود.. وفى كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار ـ مطلى بالقار نصف حائطها مما يلى الارض به ـ والنصف الاعلى مطلى بالجص الابيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفى داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان احدهما بجرى بالماء الحار والاخر بالماء البارد، فيدخل الانسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه احد الا ان اراد ذلك وفى زاوية كل خلوة ايضا حوض آخر للاغتسال فيه ايضا انبوبان يجريان بالحار والبارد.. وكل داخل



يعطى ثلاثا من الفوط.. احداها يتزر بها عند دخوله.. والاخرى يتزر بها عند خروجه.. والاخرى ينشف بها الماء عن جسده.. ولم ار هذا الاتفاق كله فى مدينة سوى فى بغداد وبعض البلاد تقاربها فى ذلك(١٥).

وقال الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه عن فنون الاسلام بعد كلام طويل عن الحمامات: «ولا ننسى فى هذه المناسبة ان مصر كانت تمتاز على سائر الاقاليم الاسلامية بابداع حماماتها، وحسبنا ما كتبه فى هذا الصدد عبد اللطيف البغدادى حين زار مصر فى نهاية القرن السادس الهجرى (١٢م) قال: «واما حماماتهم فلم اشاهد فى البلاد اتقن منها وصفا، ولا اتم حكمة، ولا احسن منظرا ومخبرا.. اما اولا فان احواضها يسع الواحد منها ما بين روايتين الى اربع راويا واكثر من ذلك، يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد، وقبل ذلك يصبان فى حوض صغير جدا مرتفع، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير.

وهـذا الحـوض نحـو ربعـه فوق الارض وسـائره فى عمقهـا، ينـزل اليـه المستحم فيستنقع فيه. وداخل الحـمام مقـاصـير بابواب، وفى المسلخ ايضا مقاصير لاربـاب التخصيص حتى لا يختلطـوا بالعـوام ولا يظهـروا على عوراتهم.. وهـذا المسلخ بمقـاصـيره حسن القسمة مليح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها اعمـدة وقبـة وجميـع ذلك مزوق السقوف.. مفوف الجـدران مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام.. مجزع باختـلاف الوانه ـ وترخيم الداخل يكون ابدا احسن من ترخيم الخارج. وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفـع الازاج.. جماماتـه مختلفـة الالـوان صافيـة الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه لانـه اذا بالـغ بعض الـرؤساء ان يتخذ دارا لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن احسن منه. وفى موقده حكمة عجيبة ـ وذلك ان يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار، ويصف على افاريزها اربـع قدور رصـاص كقدور الهراس لكنها اكبر منها وتتصـل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من انابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها باردا على حاله.. ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن اكثر من ذلك.. ثم الى الـرابعـة فيتنـاهى حره.. ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام ـ فلا يزال الماء جاريا وحارا بايسر كلفة واهون سعى واقصر زمان.. ويفرشون ارض الاتون التى هى مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا ـ وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة».

●● وجاء فى كتاب «نفح الطيب» وصف لحمام خصـوصى يشهـد للفن المعمارى الاسـلامى بالبراعة والاتقان ويبين مدى اهتمام المشرفين على الحـمامـات ومغالاتهم فى زخرفتها واعداد وسائل الراحة والملذة بها. قال: «تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلى المتطبب اذ قال: رأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هارون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجوينى، حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار. فادخلنى اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشىء الاربلى.

وكان سائس الحمام خادما كبير السن والقدر، فطاف بى عليه وابصرت مياهه وشبابيكه وانابيبه المتخـذ بعضهـا من فضـة مطليـة بالذهـب وغير مطليـة، وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها المـاء صوّت باصـوات طيبة ومنها احواض رخام بديعـة الصنعة، والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحـواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان. ثم ارانى نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها احسن من صنعة اختها.. ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب مقفل حديـد ففتحـه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب اربعة انفس اذا كانوا قعـودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما.. ورأيت من العجـائب فى هذه الخلوة ان حيطـانهـا الاربعـة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسـان سائـر بشرته فى اى حائط شاء منها.. ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومـذهبـة وكلهـا متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفـر وبعضـه احمـر. فامـا الاخضر فيقال انه حجـارة تأتى من الـروم.. واما المذهب فزجاج ملبس بالـذهـب ـ وتلك الصورة فى غاية الحسن والجمال على هيئة مختلفة فى اللون وغيره.

وخصص الطبيب الضـريـر الشيـخ داود الانطاكى فى كتابه «تذكرة اولى الالباب.. والجامع للعجب العجاب» عدة صفحات (ج١ ص١١٩ وما

بعدها) بين فيها كيف ينبغى ان يكون الحمام من حيث الموقع وهندسة البناء ومتى ينبغى ان يدخل له معللا ذلك بملاحظات تنم عما كان له من خبرة بوسائل علاج الاجسام وانعاش النفوس وتنشيط الحركات قال: «وصورته (اى الحمام) التى ينبغى ان يكون عليها التربيع لقرب هذا الشكل من الصحة. . وافضل الحمام مطلقا حمام عال مرتفع فى البناء لئلا يحصر الانفاس المختلفة فيفسد بها، وينحل الهواء فيه بسرعة بعد تخلخل ذراته ويلطف البخار الصاعد. . فان اتسع مع ذلك كان اقوى فى تفريق الهواء وتلطيفه. . لا سيما ان طال عهده ـ اى قدم بناؤه ـ لان الجديد فاسد بابخرة الاحجار والطين وعفونة ما يشرب من الماء فى اجزائه. . ولا يصدق على الحمام القدم الا بعد سبع سنين فحينئذ يكون غاية ـ خصوصا ان عذب ماؤه ولطف هواؤه واحكم صانعه مزاجه. . وينبغى مع ذلك ان يكون مسلخه الذى تجعل فيه الثياب لطيف الصنعة واسع الفضاء وهو مع هذا مصور اكثره بما لطف من الصور الانيقة كالاشجار والازهار والاشكال الدقيقة والعجائب لاجل راحة تحصل بالنظر فيها عند الاتكاء. . وقد حلل الحمام القوى وان يكون فيه ماء كثير قد نظف فان الحمام آخذ من القوى محلل بلا شبهة خصوصا اذا طال المقام فيه ـ والنظر فى الاشياء المذكورة منعش مقو وان يشتمل داخله على البيوت الكثيرة الرطوبة.

والحمام موضوع بأصل وضعه للتنظيف من نحو الاوساخ والدرن والعفونات والعمل، ولدفع امراض كثيرة كالحميات والتخم والاعياء وانواع الهيضة والنزلات ـ ولما كان من العروق ما هو بعيد الاغوار ارق من الشعر. . وكان الدواء انما يجذب الاقرب من المعدة فالاقرب. . والدهن انما يحلل ما فى الجلد خاصة. . وكانت الضرورة قاضية باجتماع عفونات فى امكنة لا يبلغها الدهن ولا الدواء. . وان اجتماعها على تطاول المدد لابد وان يحدث امراضاً ضارة جعل الحمام للتلطيف والتحليل لكل ما استعصى ومن ثم امروا به غِبَّ الدواء، وفيه تنشيط وتخفيف وكأنَّ البدن بعده كالذى بدأ فى الوجود.

ولكنه مع هذه المنافع غير خال عن ضرر الجاهل بالتدبير فان الدخول اليه على الخواء اعنى الجوع المفرط ـ يصدع بالابخرة وهيجان الحرارة ويرعش بالتحليل واليبس العرضى. . ودخوله على الشبع ايضا مولد للرياح والسدد والتخم الكثيرة.

«واصبر الناس على الحمام البلغميون. . فالسودانيون. . واسرع الناس ضررا الصفرويون خصوصا على الجوع وزمن الحر. . وليكن الدخول للحمام تدريجا بان يمكث اولا فى الاول حتى يألف الهواء الحار بالنسبة الى الذى كان فيه. . ثم الثانى فانه يشبه الاول بوجه ما. . ولا يدخل الثالث الا عند ارادة الخروج فانه مخفف قوى التحليل. . وينبغى ان تكون افعال الحمام مع اعتدال بلا افراط. . وليترك فيه انواع الاستفراغ والاكل والحجامة لغليظ خلط ـ فان جعل هذه ونحوها مجلبة للسقم والهرم.

فاذا انتهت حاجته خرج تدريجا بشرط تبريد الاطراف بالماء البارد وينبغى بعدها الراحة كالنوم».

إن ما ذكره الشيخ داود الانطاكى فى الشكل الذى ينبغى ان يكون عليه الحمام النموذجى وفى الشروط الواجب توفرها لمن يريد ان يستفيد كامل الاستفادة من الاغتسال فى الحمامات يؤدى بنا الى الكلام عن «المستحمين» وعما اوحى به الحمام لرجال الادب.

●● دخل اعرابى الحمام فلما احس بوهجته انشأ يقول:

أُدخلتُ فى بيتٍ لهم مُهَنْدَس
قد ضربوه بالرخام الأملسِ
فسكّ سمعى واستطار نفسى
وقلت فى نفسى بالتوسوس:
«أُدخلتُ فى النار ولم ارمس(١٦)»

يحفل بالآتى ذكره: مع جديد مجلاتنا الداخلية الثبة والموجهة والتى يراسلها ويعتنى بعطائها الدارسون الاحافل.

(١) مدارات الرؤية .. تزكى تراثنا:

نقلات حية فى الاثر الباقى الخالد تتجول فى رياضه ووهاده قصيدة رائقة .. الرؤية تراثية .. شعر الدكتور «نذير العظمه».

(٢) ملف طبى .. لمستحدثات العصر .. ومعطيات الاعجاز.

(٣) علوم العرب .. الشوق الغيس بين العلق والحديد .. والذهب الابريز .. ومطارحات دلالاتهم.

(٤) استطلاع مصور .. عن الشاى ذلك والكيف الذائع الصيت .. سلبياته وايجابياته.

●● ويرق الوجدان .. ويتلظى الاحساس .. وتتفاعل المشاعر.

((فنقرأ جديد شعر))

أ. محمد بن احمد العقيلى .. أ. فلور الورطاسى ..

د. عبد العزيز شرف .. أ. احمد عبد الهادى.

■ ونستحث الارتواء فى زمن سماته الجفاف .. ونقلب الصحاف لنذكر الخالدين .. هم بالتناوب والحضور الزمنى الذى لا ينقطع ولا ينفصم .. القصاص: المغفور له احمد السباعى .. الشاعر المغفور له طاهر زمخشرى .. الشاعر المغفور له محمد بن على السنوسى.

وفى ذكراهم نأتى على بعض حقهم .. ومن ذاكرتهم نعالج بعض آثارهم.

الهوامش

(١) عن كتاب «علوم الحديث ومصطلحه» تأليف الدكتور صبحى الصالح.

(٢) هو عنبسة بن معدان .. وكان معدان يروض فيلا لزياد .. وكان عنبسة تلميذا لابى الاسود الدؤلى ويُعدّ من النحويين الاولين الحذاق

(٣) السبابخة .. هم قوم من الهند كانوا بالبصرة، جلاوزة وحداس السجن، وكانت خطط البصرة كما فى غيرها من المدن تسمى باسم الطوائف والقبائل النازلة بها.

(٤) معجم البلدان، كتاب الحيوان.

(٥) معجم البلدان.

(٦) تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج٢ ص١٧٥.

(٧) عن كتاب «ملامح من المجتمع العربى» للاستاذ محمد عبد الغنى حسن سلسلة «اقرأ».

(٨) نفس المصدر.

(٩) وهذا الحمام هو حمام سيدى محمد بن عباد.

(١٠) يتكلم المؤلف هنا عن فاس فى عهد الموحدين. والمعلومات التى ذكرها هنا وردت فى مؤلف ابى الحسن على الجزنائى «زهرة الاس فى بناء مدينة فاس» نقلا عن وثيقة للمشرف على مدينة فاس فى عهد المنصور، الخليفة الموحدى الثالث.

(١١) المسلخ ما يسمى فى المغرب بـ(الجلسة) من سلخت المرأة درعها، نزعته.

(١٢) يرجع الى البحثين التاليين وهما بالفرنسية:

أ ـ نظرة عامة عن حمامات الرباط سلا ـ للمسيو بوطى الذى كان مهندسا بالرباط.

ب ـ ثلاثة حمامات مرينية للاستاذ هنرى تيراس مدير معهد الدراسات العليا سابقا.

(١٣) مقدمة الفتح فى تاريخ رباط الفتح لابى عبد الله محمد بو جندار .. وقد حذفنا من النص بعض العبارات اقتضابا وتخفيفا.

(١٤) خرج من طنجة سنة ٧٢٦هـ وبعد سفرات ثلاث استقر بالمغرب فى عهد ابى عنان المرينى توفى سنة ٧٧٩هـ.

(١٥) تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار.

(١٦) ذيل زهر الاداب لابى اسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤٥٣هـ.



الحمامات الساخنة :

لم يكن بناء الحمامات الساخنة عادة عربية . . فقد كان العرب فى جزيرتهم لا يعرفونها ، وإنما كانوا يغتسلون فى (الجفن) كما هو معروف فى تاريخ العرب ، وقد ورد فى السنة طريقة الغسل عند المسلمين . . على أن النساء العربيات عرفن الاستحمام فى الدارات .

وعندما اتصل العرب بالرومان فى (دمشق) أخذوا عنهم عادة الاغتسال فى الحمام الساخن - وبقى بعض العرب فى الجزيرة يستنكر الاغتسال فى الحمام العمومى صيانة للعورة ولم يمل العرب فى أول أمرهم الى الحمامات لأسباب ذكرها الامام على فيما يؤثر عنه : بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات . . وترتفع الأصوات . . ولا تقرأ فيه آية فى كتاب الله . . على أن الحمامات انتشرت فى كل العواصم الاسلامية ففى جغرافية اليعقوبى كان فى الجانب الشرقى من بغداد وحده فى القرن الثالث الهجرى خمسة آلاف حمام .

وفى كتاب القرطاس بتاريخ مدينة فاس : أن عدد الحمامات التى كانت فى مدينة (فاس) من الكثرة حيث يوجد فى كل حي حمام . . وكان بالفسطاط ألف ومئة وسبعون حماما . . . وانتشرت الحمامات فى مختلف البلاد الاسلامية متأثرة بالحمامات الدمشقية . . واهتمت العمارة الاسلامية بها فكانت تزين بالصور وتصور فيها العنقاء على الخصوص وهى طائر رأسه على صورة انسان .

وشغف الأندلسيون ببناء الحمامات حتى ان محاكم التفتيش كانت تعرف المسلمين بدخولهم للحمامات فتحاكمهم لأنها حجة على أنهم مسلمون (بالتقية)رغم ادعاءاتهم الخروج من الاسلام.

الحمامات فى الأندلس عبارة عن قصور صغيرة تزين بالتماثيل والمقاعد الوثيرة.. وتحلى جدرانها بالزليج الملون وأرضها بالفسيفساء.. وفى وسط بهوها نافورة الماء، كما كانت يزين بهوها بالتماثيل المنحوتة، وقد وصف شاعر أندلسى تمثالا بديعا بحمام الشطارة باشبيلية بقوله:

ودمية مرمر تزهى بجيد
تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا
ولا ألمت بأوجاع المخاض
ويعلم أنها حجر ولكن
تتيمنا بألحاظ مراض

الحمام وهندسة المنازل الإسلامية :

كانت منازل عواصم البلاد الاسلامية على طريقة واحدة (تقريبا من البناء).. وفى معظم الدور أفنية صغرى ثانوية تشتمل على أماكن للمرافق المنزلية ولا تخلو الدور من حمامات ومجار تحت الأرض.

حمام مشؤوم :

وذكر المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) أن فى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م خلع الخليفة المعتز ويقول بعض المؤرخين أنه قتل فى الحمام. فقد أجبر على دخول حمام محمى ومنع الخروج منه، وترك فى الحمام حتى فاضت نفسه، وقيل انه أخرج منه بعد أن كاد يتلف وسقى ماء مقرورا بالثلج فنثر كبده وأمعاءه وخمد من فوره.

حمام ما بعد الرياضة :

وفى العصر العباسى كان كبراء القوم من الوزراء والاعيان الذين يمارسون رياضة الصوالجة وهى ضرب الكرة من على ظهور الخيل كما كان الخلفاء يقيمون فى قصورهم ميادين خاصة للعب «الصوالجة» وكان من العادة المألوفة أن يدخل اللاعبون بعد الفراغ من لعبهم الى (حمام ساخن) ويدلكون.



من إكرام الضيف :

وحكى التنوخى المتوفى سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) عن جماعة من الكتاب من القرن الرابع دعاهم رجل كريم من دمشق الى منزله فأكرمهم غاية الاكرام. فبدأ الضيافة بأن عرض عليهم (الحمام) فدخلوه ودخل معهم من خدمهم ثم خرجوا الى مجلس آخر وقدمت إليهم مائدة عليها خير أنواع الطعام وكان الحمام بداية بالاكرام.

من علامات الزهد :

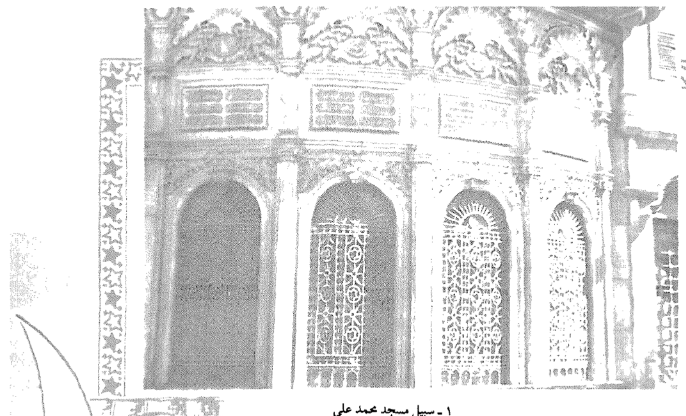
وفى سنة ٤٠٤هـ توفى ابن البغدادى الزاهد الذى بلغ من الزهد درجة كبرى فكان لا يدخل حماما ولا يحلق رأسه ويقص شعره إذا طال بالجلم.

وكان الخليفة عمر رضى الله عنه يستدلّ على رفاهية عماله فى الاقاليم بدخولهم للحمام.

السبيل

السبيل هو واحد من المنشات التى ساهمت فى تقديم خدمة من خدمات الرعاية الاجتماعية لمواطنى القاهرة وذلك بتوفير ماء النيل المعد للشرب طوال النهار على مدار السنة فى الوقت الذى لم تعرف فيه الوسائل الحديثة للامداد بالمياه وغالبا ما كان بين السبيل والكُتاب مبنى واحد ولكن هذا لا يمنع من وجود الكتاتيب والاسبله المنفصلة . . . والاسبلة هى الدليل القاطع على رعاية الاسلام للانسان مهما كان جنسه أو دينه من خلال توفير المياه العذبة لشربه وهو ما لم تحققه أوروبا فى عصر إنشاء السبيل العربى الاسلامى.

السبيل: تغنى به شعراء الهوى كنبع يروى العطاشا من ظمأ الحب . . واتخذه القصاصون محورا تدور حوله أحداث اعمالهم . . وأبدع الفنانون فى تصميمه وتزيينه وزخرفته . . انه السبيل مقصد الظمآن من لفح الهجير عندما تصبح جرعة الماء هى اكسير الحياة . . ومن تعاليم الاسلام الدين الذى يحث على العطف والقيام بالعمل الصالح لكسب الثواب الكبير أن يوفر المسلم لأخيه شربة ماء . . ورغم مرور مئات السنين بقى السبيل شاهد احداث التاريخ يضفى قيمة رائعة على جماليات العمارة الاسلامية . . حادى القافلة ورحلته القاسية عبر الصحارى المقفرة والجيوش الراحلة والراكبة فى الزمن القديم تتسابق حول مورد الماء . . والمحبون الذين أضناهم العشق والشوق الى الحبيب كلهم كانوا يبحثون عن الارتواء فتغنوا بالماء ـ ولأن بلادنا العربية تغدق



١ - سبيل مسجد محمد على

عليها الشمس حرارتها طوال العام أصبح للماء اهميته الكبرى، ولمن يمتلك عيونه وموارده الحق للفخر على بقية القبائل - ولن ننسى قول عمرو بن كلثوم فى موضع فخره بقومه.

ونشرب إن وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

■ وفى العصر الحديث ومن تراثنا فى الغناء الشعبى الذى بقى متألقا يردد ذكره الناس فى كل مكان.. واستخدمه الفنانون فى الغناء وصياغة اللحن بل والأعمال التشكيلية - وأيضا طرقته الجملة الشعبية الخالدة «**عطشان يا صبايا دلونى على السبيل**».

وعندما تغرب الشاعر الشعبى المبدع بيرم التونسى منفياً الى ميناء مرسيليا الفرنسى ليعيش غربة فرضتها عليه السلطة لأنه أدان الاستعمار بكل اشكاله تجلت عبقريته التى اختصه بها الله وكتب زجلا أودع فى كلماته الصادقة حنينه الى الوطن جاء فيها:

عطشان يا صبايا
عطشان يا مصريين
عطشان والنيل فى بلادكم
ولا نهر الرين يروينى
ولا ميّة نهر السين
ودموع العين ما تروى
نار القلب الحزين
يا بنت املأى واسقينى
كاسات البندكتين
فاضل على العتبة الخضرا
خمسين يوم بالهجين

لقد وضحت أهمية السبيل الاسلامى للقيمة التى اضفاها القرآن الكريم على المياه فى بعض الآيات مثل ﴿**وسقاهم ربهم شرابا طهورا**﴾.. و﴿**إنّا اعطيناك الكوثر**﴾..

﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيء حي﴾ . . وقد كان شرف لبنى هاشم قبل ظهور الاسلام أن تختص بالسقاية فى زمن الحجيج الى مكة - وقد سئل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن خير عمل من اعمال البر فقال: «سقاية الناس».

والسبيل الاسلامى عاش عصره الذهبى فى العصرين المملوكى والعثمانى داخل القاهرة المعزية. . وقد تأثرت عمارته بالطرز المعمارية الأوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وخاصة طرازى الباروك والروكوكد وكانت هذه الأسبلة تقام داخل المنازل والمساجد والمدارس والخنقاوات ثم انفصلت لتصبح مستقلة على أن يعلوها مدارس او كتاتيب لتعليم الاطفال - ثم انتشرت على طول الطرق بين القرى والمدن واتخذت فى الريف طابعا بسيطا فهى اما زير فخارى يستقر تحت ظلال شجرة عتيقة ويثبت فى غطائه سطل من الصفيح ، او عدة عيون اسمنتية فوقها قبة صغيرة وتملأ كل عين بالمياه النقية مع عدة كيزان نحاسية تثبت فى النوافذ الصغيرة الخاصة بالسبيل - وربما تغير السبيل الى مجموعة من القلل والأزيار الفخارية يتسابق على تزويدها بالماء عابرو السبيل. . وكانت الاسبلة تقام عادة فى الأماكن المزدحمة وفى الاسواق والوكالات ولم تكن تفتح إلا بين صلاة الظهر والعصر وفى وقت الحر الشديد. . وكان الشبيل فى بادىء الأمر يتشكل من مبنى مربع الواجهة تزينه من ناحية أو من ثلاث نواح نوافذ نحاسية مزخرفة يستطيع عابر السبيل أن يمد يده ليشرب من الماء الصافى المسكوب فى حوضها الرخامى.

وفى اعلى السبيل يقع كُتَّاب تعليم الاطفال يصعدون اليه بواسطة سلم يقود الى غرفة الدارسين المتصلة بشرفة واسعة متجددة الهواء. . وكانت الصهاريج يتم تنظيفها خاصة قبل الفيضان ويتم تطهيرها وتبخيرها - أما للزملاتى فهو الشخص المكلف بنقل مياه السبيل وهذه الوظيفة يطلق عليها تسبيل المياه. . وكان لأصحاب الاوقاف التى تنفق على انشاء السبيل وتزويده بالمياه شروطهم التى يسجلونها فى اوراق الوقف وتتناول ما يجب أن يطبق على المزملاتى من شروط وخصال اخلاقية - فقد كان من المحتم كما يقول الدكتور «محمد امين» فى كتابه عن الاوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر: أن يكون المزملاتى رجل ثقة. . أمينا. . جميل الهيئة. . نظيف الثياب. . وسليم البدن والجسم من العاهات. . وذا قوة وشطارة. . ونهضة ومروءة. . وأن يسهل الشرب على الناس. . ويعاملهم بالحسنى والرفق ليكون ابلغ فى ادخال الراحة على الواردين صدقة دائمة وحسنة مستمرة. . وكان على المزملاتى تنظيف رخام السبيل ومسحه والعناية بالأدوات المستخدمة فى السبيل وهى: الليف والكتان للتنظيف. . وأوانى الشرب والمكانس الخوص. . والأسطال النحاس. . والأباريق و(القلل) الفخار. . وفوط المسح.

وكانت مياه السبيل تعطر بماء الورد ورائحة ازهار الليمون مع الحرص على أن تكون باردة - والأمر يرجع فى ذلك الى السلسبيل أو (الشذروان) كما كان يسميه الفاطميون - وهو لوح من الرخام عالجه الفنان الاسلامى بحفر سطحه باشكال والوان من الرسوم البارزة تمثل الطيور والأسماك والأمواج والأشكال الهندسية وتحيط بسطح لوح الرخام الممتد لمسافة ثلاثة امتار والذى تنساب فوقه المياه ببطء متخللة ثنايا

الرسوم وحين وصولها الى الحوض تكون قد امتصت برودة الرخام واستحقت أن تسمى بالماء السلسبيل. . واسم العين التى ذكرت فى القرآن ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ وكان بناة الاسبلة يفتخرون بما بنوه ويحرصون على نقش اسم من انشأ السبيل ولذلك تبارى عليه القوم والعامة والنساء أيضا فى بنائها ـ ففى جوار باب زويلة سبيل «رقية دورو» وبدوية شاهين بدرب الحجر قرب السيدة زينب. . وسبيل منزل حسبية غزال بمدينة رشيد. . وسبيل ام محمد على الصغير بميدان المحطة.

والسبيل الاسلامى له تاريخ طويل رصده المؤرخون فى كتبهم وعلى رأسهم على باشا مبارك فى خططه التوفيقية والمستشرق الفرنسى اندريه ريمون فى كتابه «فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة «العثمانية» والمستشرق الانجليزى ادوار وليم لين «المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم».

يقول على باشا مبارك «الزمان اواخر القرن التاسع عشر. . يوجد الان بمدينة القاهرة مائتا سبيل ـ والسبيل عادة يتركب من ثلاث طبقات. . الاولى: تحت الارض وهى الصهريج، وهو اما كبير او صغير، وتحمل عقوده على أعمدة، ولكل صهريج خرزة من الرخام او الحجر مثل خرزة البئر، والطبقة الثانية مع مستوى الأرض أو فوقه بقليل، وفيها المزملة لتغريف الماء بكيزان من النحاس مربوطة بسلاسل، وللمزملة شباك من النحاس والثالثة: بمكتب لتعليم الأطفال».

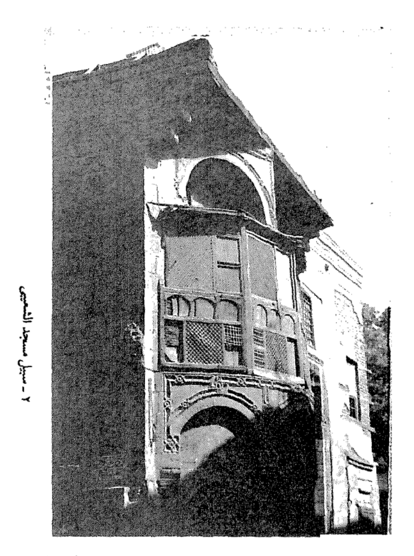
الخدمة التى وفرها السبيل والوظائف المتعلقة به:

وجد بكل سبيل مجموعة من العاملين يتولون ادارته وتقديم الخدمة بصورة دائمة ومنتظمة للمواطنين. . وأول هذه الوظائف المزملاتى وهو المختص بالعمل فى السبيل وكان عليه أن يقوم بتسبيل الماء للناس وملأ الصهريج الخاص بالسبيل ووضع ماء الورد فى احواض الشرب كما يقوم ايضا بحراسة اوانى الشرب ويتولى انارة السبيل من الداخل والخارج.

هذا وكان لابد أن تتوافر فيه شروط عدة من الصحة وحسن الخلق منها: أن يكون سليماً من العاهات والامراض. . وان يكون عفيفا ديناً خيراً. . وان يسهل الشرب على الناس ويعاملهم بالحسنى. . وكانت بعض الاسبلة توفر سكنا خاصاً للمزملاتى وأسرته بأعلى السبيل ـ وفى هذه الحالة كان يشترط أن يقيم به عند مواعيد تقديم الخدمة بالسبيل. حرص المنشئون على أن يضمنوا كتب وقفهم المواعيد التى يقدم فيها السبيل خدماته للمواطنين أو تركت احيانا لرأى ناظر الوقف وغالبا ما كان تسبيل الماء طوال النهار فى الايام العادية أما فى شهر رمضان فكان تسبيل الماء من وقت الغروب الى ما بعد صلاة التراويح.

ويذكر حسن عبد الوهاب أن السبيل ظهر فى العصر الايوبى وكان ملحقا بالمدارس وكذلك احواض الدواب وان اقدم ما عرف منها كان يوجد خلف الجامع الاقمر وإن كان بعض المؤرخين يرى أن تسمية سبيل عرفت لأول مرة فى القرن ٨هـ/١٤م.

ويقول المؤرخ العربى المقريزى: إن الأسبلة كانت وسيلة لنيل الثواب لمن بناها. . وقد نظمت وثائق الوقف أجر العريف الذى يعلم الصبية فى كتاب السبيل. . وكان من حق كل تلميذ يتيم أن يمنح كسوة فى الشتاء وأخرى فى الأعياد والصيف ومبلغاً من النقود فى المواسم. . ويمنح كل تلميذ مكافأة بعد حفظه القرآن.



٢ - سبيل مسجد الشعبى

■ ويقـول الـدكتـور حسن القصـاص: «السبيـل عرفه المصـريـون منـذ العصور الوسطى فكان الملوك والامراء يشيدون المساجد ملحقا بها سبيل ماء - لهذا ليس غريبا أن يعود سبيل هذه الايام وان اختلف عنه فى الماضى حيث كان يشيد كمبنى له قبة ويزخرف بالايات القرآنية الكريمة وتضع له نوافذ عليها قضبان من النحاس او الفضة».

■ ويـذكـر على مبـارك أن أقدم الاسبلة بالقاهرة أنشأه السلطان المنصور قلاوون وأنه كان قائما بشارع سوق المؤيد وجدد عام ١١٧١هـ ولا أثر له الآن. . ونشير هنا الى أنه لم يرد ذكر الاسبلة بأى من وثائق وقف السلطان قلاوون الثلاثة وانما أشارت الى حوض للسبيل لسقى الدواب كان أمام الباب الرئيسى للبيمارستان وقد قام الامير اقوش نائب الكـرك بازالة هذا الحوض الذى كان الناس يتأذون منه وأقام سبيلا لسقيا الناس بدلا منه وذلك فى ايام الناصر محمد بن قلاوون ومازال هذا السبيل قائما فى زاوية واجهة مجموعة ولادن ويرجع تاريخه الى عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م.

ولا نستطيـع القطع بالكيفية التى كان عليها شكل السبيـل من الخـارج عنـد انشـائـه وقد رأى بعض الباحثين أنه كان يشبه حجاباً من خشب الخرط فيما بين الاعمدة - وهناك احتمال ايضا بانه كان مفتوحاً بلا حجاب ولكن ما يمكن أن نؤكده أنه لم يكن يشتمل على التكـوين المعـمارى المتعارف عليه للسبيل من وجـود صهريج فى باطن الارض وغيره من العناصر اللازمة لرفع المياه.

واذا استعـرضنـا الطـراز الاول من الاسبله: يقول المستشرق «الفرنسى» أندريه ريمون (انه كان يوجد بالقـاهـرة عام ١٨٠٦م ثلاثمائة سبيل معظمها كان عبـارة عن منشـآت خيريـة أسسهـا بعض الأمـراء الأغنيـاء لمنفعـة السكان - وكان هناك أيضا السبيل المتنقل الممثل فيما يسمى بالسقاشربة وهو بائع المياه بالقطـاعى فى الشوارع - وكان ومازال هؤلاء الباعة يمثلون طائفـة من السقايين انتشرت فى القاهرة. . ومصـر القـديمـة. . وحى بولاق. . وهؤلاء الباعة أثاروا انتباه الرحالة الاوربيين يكاد لا يوجد رحالة لم يتحدث عن السقاشربة الحامل تحت ابطه قربة من الجلد ذات خرطـوم طويـل من النحـاس أو برميلا صغيرا - والذى يعلن عن نفسه بنداء يعوض الله.

ويقول ادوار دلين ان بعض اسبلة القاهرة زودت بأحواض خارجها تأخذ منها السيدات ما يلزمهن من الميـاه مجانـا كما كانت هنـاك خراطيم ليشـرب منهـا العطشى من المـارة - بل لقـد كان بعض السقايين انفسهم يترددون على هذه الاسبلة ليتـزودوا بالميـاه التى سيبيعونها للمارة بالقطاعى.

وفى زمن الفـرنسـاوية كان الموجود من الاسبلة نحو

مائتين وخمسة وأربعين سبيلا منها حوالى ستين سبيلا من أعظم المبانى المتقنة الفخمة، وبالنسبة للباقى منها الآن يكون عدد ما اندثر منها فى ظرف تسعين سنة خمسة واربعين سبيلا بسبب الاهمال والترك.. وقبل احداث تقسيم مياه القاهرة كان لتلك المبانى أهمية عظيمة خصوصا فى زمن تحاريق النيل، والآن قلت هذه الأهمية، ومع ذلك مازال اكثرها مستعملا، وقدرت بوجه التقريب ما يمكن خزنه فيه من الماء فوجدته قريباً من ستمائة الف قربة كل خمسة عشر منها مكعب، والباقى من المكاتب التى فوق الاسبلة المذكورة هو ست وسبعون مكتبا.

ومن امثلة الاسبلة ذات المبانى المستقلة غير الملحقه القائمة الآن سبيل الامير شيخوا العمرى بالخطابة ٧٠٠هـ/١٣٠٤م.. ويليه سبيل الونائية ٨٤٦هـ/١٤٤٢م بالخيامية.. وسبيل السلطان قايتباى بالصلبية ٨٨٤هـ/١٤٧٩م.

ويوجد بالقاهرة أيضا حيضان لسقى الدواب، وكانت فى الأزمان السابقة يعتنى بها، وكان اغلبها بقرب الاسبلة، وهى عبارة عن حيضان من الحجر تعمل فى فجوة معقودة مزينة بأعمدة وقباب أعتنى بزخرفتها، وكانت مخصصة لسقى الدواب على اختلاف أجناسها، وكان لها اوقاف يصرف عليها من ريعها لبقائها ـ والآن لم يبق منها الا النادر وهو غير مستعمل.

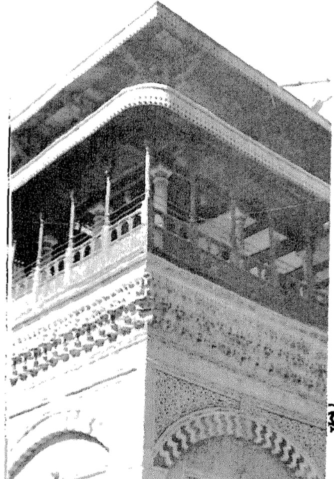
ومن امثلة الاسبلة ذات الثلاثة شبابيك الملحقة بالمدارس والخوانق.. السبيل الملحق بخانقاه اينال بالصحراء.. وسبيل السلطان لاجين الملحق بخانقاه بزيارة الجامع الطولونى وقد جدده السلطان قايتباى.. والسبيل الملحق بمدرسة خاير بك والسبيل الملحق بقبة الغورى ٦٠٩هـ/١٢٠٣م.

التكوين المعمارى للسبيل:

مهما اختلفت طرز السبيل وأشكاله فقد كان تكوينه المعمارى واحد ا وهو تكوين يخدم وظيفته من حيث خزن الماء واعداده للتسبيل ثم تقديمه للناس.. واستغلال اعلى السبيل فى اقامة كُتّاب لتعليم الاطفال الايتام أو لاقامة مسكن للزملاتى او لكليهما معا وقد يكون عادة من ثلاثة طوابق.

الاول يكون فى تخوم الارض: وهو الصهريج.. وكان يبنى عادة من الآجر والخافقى وتغطيه قباب تقوم على اكتاف وعقود تمثل ارضية الطابق الثانى.. وكانت فوهة الصهريج تغطى من الرخام.. وكان لبعض الاسبلة اكثر من صهريج واحد.. وكانت لهذه الصهاريج سلالم ضيقة تهبط الى قاع الصهريج.. وكانت الصهاريج تملأ سنوياً فى وقت الفيضان.

الطابق الثانى: تكون ارضه على مستوى ارتفاع ارض



الشارع أو فوقه بقليل وهى حجرة السبيل. . وتخضع فى تخطيطها للمساحة المتاحة. . وارضيتها هى سقف الصهريج ـ وبهذه الحجرة تفتح الشبابيك للتسبيل. . وبداخلها احواض الشرب ويصل اليها الماء بواسطة أقصاب من الرصاص تنقل الماء من الحوض الذى يكون اسفل السلسبيل ـ والسلسبيل هو لوح من الرخام الممرج أو المنقوش، واسفله حوض من الرخام الملون او فسقية من الرخام الخردة، وخلف السلسبيل حوض كبير ترفع اليه الماء ثم تنزل المياه بواسطة أقباب مغيبة فى الجدران حتى يصل الى حوض آخر. . اعلى السبيل تتجمع فيه المياه ثم تنساب على السطح البارز البطيء فتبرد لملامستها سطح الرخام البارد.

الطابق الثالث: يمثل هذا الطابق غالباً قاعة الكتاب، وفيه الاسبلة ومكان خصص للسكن.

وهذا العدد الكبير من الاسبلة الموزعة على أحياء القاهرة كان يكفى حتى نهاية القرن التاسع عشر لضمان وجود المياه الصالحة للأهالى، اللهم إلا اذا مالت الاحداث الخارجية دون تموين هذه الاسبلة.

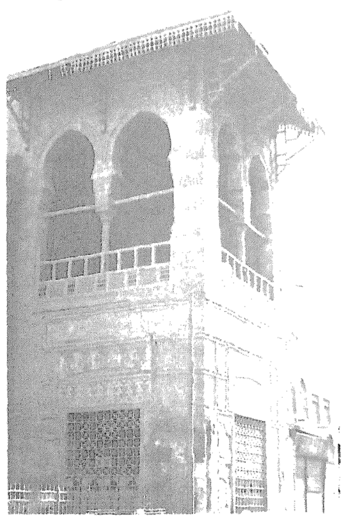
وكان يلحق بهذا السبيل أحواض جميلة المنظر خصصت لسقاية الماشية وهو الطراز الذى يغطى واجهته حجاب من خشب الخرط به فتحات يسيل منها الماء فى احواض ـ واول امثلته السبيل الملحق بواجهة مجموعة قلاوون. . والسبيل الملحق بمسجد استبقا لأبى بكرى.

ومن الاسبلة ما كان له شباك واحد للتسبيل وعادة ما يكوّن ملحقاً بمسجد أو مدرسة أو خانقاه أو غيرها. . ويرجع تكوين السبيل ذى الشباك الواحد الى أن المساحة المتاحة من واجهة المبنى لم تكن تسمح باكثر من ذلك ـ وليس لارتباطه بأى تطور معمارى. . ومن امثلته الباقية السبيل الملحق بمدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠هـ/١٣٦٨م بشارع التبانه ـ وكذلك مدرسة جمال الدين الاستادار بالجمالية ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. . وسبيل الوفائية بالخيامية ٨٤٦هـ. . وسبيل مدرسة قاى باى بالقلعة. كما وجد من الاسبلة ما سمحت مساحته وموقعه من المبنى بأن يفتح به شباكان للتسبيل حيث يقع فى ضلعين من زاوية المبنى.

ومن امثلته السبيل الملحق بخانقاه شيخو وسبيلا خانقاه الناصر فرج ابن برقوقه بالصحراء ١٤٠٠-١٤١١. . وسبيل بمسجد تحت الربع ٨١١م. . وسبيل ملحق بمدرسة الاشرف برسامى بالخانكة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م. . وسبيل ملحق بمدرسة السلطان قايتباى بالصحراء ٨٧٩هـ/١٤٧٤م. . والسبيل الملحق بوكالته بالازهر ٨٨١هـ/ ١٤٧٧م. . وسبيل قايتباى بالطلبية ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م. . وسبيل مدرسة قجماس الاسحاقى ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م والسبيل الملحق بمدرسة قرقماس بالصحراء. . وسبيل السلطان قايتباى الذى أخذ الشكل المستقل وظهرت على جدرانه روعة الفن الزخرفى المملوكى وذلك لان عصر السلطان قايتباى فى اواخر القرن التاسع الهجرى تميز بالزخارف المتقنة خاصة على مستوى النحت بالحجر ـ وواجهات هذا السبيل يمكن اعتبارها معرضا لفن النحت فى ذلك العصر لكثرة واختلاف النقوش الحجرية عليها ـ كما أنها زينت ايضا بالرخام الملون المعشق ذى لونين او ثلاثة وعلى جدرانه أيضا كتابات قرآنية واسم السلطان قايتباى.

<u>وفى اواخر العصر العثمانى كانت الاسبلة تقام على شكل واجهة نصف مستديرة على طراز أسبلة استنبول.</u>

ويقول عبد الله العطار مدير الآثار الاسلامية بهيئة الاثار المصرية «ان ما تبقى من الاسبلة اليوم تجرى داخله وحوله أعمال الترميم والتنظيف وأقدمها سبيل



٤ - سبيل عبد الرحمن كتخدا

السلطان محمد بن قلاوون، وكان هذا السلطان قد بنى مجموعته المعمارية المتميزة بمنطقة النحاسين فى قلب القاهرة المعزية، وألحق بها الى يسار الداخل حوضا لسقى الدواب مما جعل الأهالى يضجون بالشكوى، الى أن جاء الأمير كمال الدين أقوش المعروف بنائب الكعك فهدم هذا الحوض وبنى سبيلا بدلا منه.»

يقول جودة يس مدير اثار القاهرة.. «كان هناك وظائف منها «السباك» وكان صاحب الوظيفة الثانية فى كثير من الاسبلة وكان عليه ان يقوم بعمليات الصيانة الدائمة والاصلاح حتى لا يتوقف اداء السبيل لخدماته.

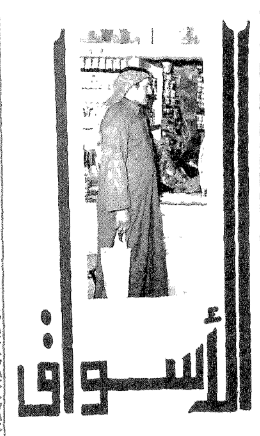
●● اما صاحب الوظيفة الاولى فهو السقا وهو من يتولى نقل الماء من النيل المبارك الى صهريج السبيل لملئه بالروايا والقرب، وكانوا يقومون بهذا العمل غالبا فى أيام الفيضان.»

ومن اسبلة القاهرة الهامة كما يقول الاثرى محمود حسن.. سبيل الأمير عبد الرحمن كتخدا.. هذا الرجل الذى تكاد تصل رسالته فى رعاية الفن المعمارى الى أهمية رسالة آل المديتش فى فلورنسا - فهو صاحب الروائع المعمارية فى مسجد السيدة زينب وقبة الامام الحسين.

■ ويقع سبيل الأمير كتخدا فى شارع المعز بقلب القاهرة. وسبيل ابراهيم باشا. وأنشأته زوجة احمد باشا شقيقة الخديو اسماعيل.. وواجهته مقوسة أو شبه مستديرة بنيت بالرخام الأبيض وعليها زخارف كثيفة مذهبة ومحفورة فى الرخام.. وطراز البناء والنقوش ليس من الطراز الاسلامى التقليدى الذى يميز العمارة المملوكية فى العصور الوسطى ولكنه شديد التأثر بالفن الاوروبى.. وفوق هذا السبيل كان يوجد كُتاب كما جرت بذلك العادة ولكنه لم يكن كُتابا بالشكل القديم التقليدى لحفظ القرآن الكريم فقط بل كانت تدرس فيه ايضا مختلف العلوم الاخرى مثل الرياضة واللغات والعلوم الحديثة... وكانت الأسبلة تبنى بحيث يكون لها واجهتان لكى يسهل مرور الهواء وليظل الماء بارداً فى نفس الوقت وليسمح لعدد كبير من الناس بالوصول اليه.

ويقول: الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة السابق فى كتابه «القيمة الجمالية فى العمارة الاسلامية» انه رغم الاختلاف بين العمارات الاسلامية فى بعض التفاصيل أو فى العناصر المعمارية الانشائية إلا أنها جميعا تشترك فى وحدة الروح الاسلامية الكامنة وراء التشكيلات والتكوينات الزخرفية التى أصبحت تقليدا معماريا يحفظه البناءون عن ظهر قلب.





الأسواق الإسلامية

بما يعرض فيها من سلع وبمن يؤمها من متاجرين توضح الدرجة التى وصلت اليها التجارة خاصة والحياة الاقتصادية عامة. . فاذا رافق الاتجار لون من الوان الادب واحتفال بالمواسم الدينية كانت الاسواق صورة للحياة العقلية والاجتماعية كذلك. . وكلما تعددت الاسواق وازداد العرض والتبادل فيها دل ذلك على النشاط فى حياة الجماعات وركود الاسواق ـ على العكس من ذلك. . دليل على اضطراب شؤون المعاش والاحوال المالية وغيرها فى الدولة.

واذا عرضنا للأمم والشعوب وجدنا ان البدوى منها له اسواق موسمية تقام فى اماكن معينة ـ مرة فى السنة او الفصل او الشهر او الاسبوع. . والسنوى او الفصلى منها اعم وأشيع لارتباطه بالانتاج الزراعى والحيوانى. . اما الجماعات الحضرية فتغلب عليها الاسواق الثابتة لان لكل مدينة اسواقها: تباع فيها مصنوعاتها وغلاتها وتحمل اليها ما تحتاج اليه مما تنتجه البلاد الاخرى.

كان العرب فى الجاهلية تغلب على تجارتهم الاسواق الموسمية. . وكانت تقوم فى ملتقى الطرق التجارية الكبرى فيفد اليها الناس من اطراف الجزيرة مثل عكاظ ودومة الجندل ـ وقد يأتيها قوم من الخارج مثل اسواق عدن وصنعاء.

وصلت الينا اخبار كثيرة عن هذه الاسواق وايامها(١) وعما كان يدور فيها من المفاخرة والمعاظمة والمنافرة. . وعمن كان يقصدها من الماجنين والمتماجنين وهذه الاخبار ثروة ادبية، فى قراءتها متعة ولذة. وعكاظ اشهر الاسواق التى

حفظ لنا التاريخ والادب اخبارها. . ولا ريب فى انها كانت اكبر الاسواق التى وصلت الينا انباؤها وهى تربى على عشرين. فقد كانت الى تجارتها الواسعة ـ مجتمعاً ادبياً له محكمون تضرب لهم القباب ويتناشد الشعراء بين ايديهم وحكمهم لا يحتمل تجريحاً. . بل ثمة من كان يأتى عكاظ ببناته بقصد تزويجهن وفيها كان الرجل يستلحق آخر بنسبه او يتبرأ منه. ويلى عكاظ فى المقام المجنة والمجاز ـ وهذه الاسواق الثلاث كانت تقام فى موسم الحج.

اما بعد الاسلام وبعد الفتوح التى مكنت العرب من اقطار من الارض غنية واسعة فقد كفوا مؤونة الترحال ومصروا الامصار وسكنوا المدن فصار لهم فى الاسواق الثابتة غنى عن الاسواق الموسمية. لكن الذى نود ان نوجه النظر اليه هو ان بعض الاماكن القريبة من منازل البداوة بقيت لها نزعة بدوية فكانت تقام فى نواحيها الاسواق التى يؤمها اهل الترحال المستمر «يبيعون فيها ويشترون» شأن سوق المربد فى البصرة. . واسواق بزاعة الى الشرق من حلب. . وسوق زاوية ابن ادهم فى جبله. . والسوقان الاخيرتان روى خبرهما المتأخرون من الرحالين العرب ـ فالاول ذكره ابن جبير(٢). . والثانى حدثنا عنه ابن بطوطة(٣).

■■ والمربد ـ سوق البصرة، انشىء لما مصرت فى زمن عمر بن الخطاب. . والاصل فيه انه متسع للابل يعرض فيه للبيع. . واتسعت تجارته فى عهد الراشدين فشملت السلاح والتمر وصار مركزاً للدباغين. . ثم اصبح على عهد الامويين سوقاً عامة تتخذ فيها المجالس. . وتتعدد الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز. . ويؤمها الاشراف، فيتناشدون ويتهاجون ويتشاجرون ـ وهكذا جمع المربد الى التجارة الادب والسياسة(٤).

■■ وفى المربد تهاجى جرير والاخطل والفرزدق اما فى العصر العباسى فكان المربد مدرسة يقصدها الشعراء كبشار وابى نواس ليأخذوا عن اعرابه الملكة الشعرية. . وكان يؤمه اللغويون يأخذون عن اهله ويدونون ما يسمعون ـ لكن هذه السوق كانت فذة فى الاسلام فلسنا نعرف لها شبيهاً. . ولا شك فى ان موقع البصرة على اول مدر من العراق وآخر حجر من الصحراء كان له تأثير كبير فى طبعها بهذا الطابع الخاص.

أما اسواق المدن الثابتة ـ فقد كانت تتأثر فى شكلها وتنظيمها وتنسيقها. . وموقعها وسلعها واعمالها بالاقليم والمدينة. . والمكان الذى تحتله الاسواق من المدينة كان يتوقف على عوامل كثيرة: فدمشق وحلب ـ وهما من المدن القديمة بقيت اسواقها حيث كانت قبلا. . ولما بنى ابو جعفر المنصور بغداد صير الاسواق فى طاقات مدينته من كل جانب. . فلما قدم عليه وفد ملك الروم امر ان يطاف بهم فى المدينة ثم دعاهم وسألهم كيف وجدوها. . فقال رئيسهم: **«رأيت امرها كاملا الا فى خلة واحدة، فان عدوك يخترقها متى يشاء وانت لا تعلم لان الاسواق فيها وهذه غير ممنوع عنها احد».**

فزعموا ان المنصور امر عندها باخراج الاسواق الى الكرخ. وكانت الدكاكين فى اسواق مصر وغرب آسية تمتد على طول الشارع من الجانبين ـ على كل جانب صف منها. وكانت اسواق حماة ايام ان زارهـا ابن جبير. حسنة التنظيم.. بديعة الترتيب والتقسيم(٥). اما فى المدن الايرانية فكانت الاسواق الجزء التجارى المنفصل عن المدينة الرسمية وعن القلعة ـ ولذلك جمعت الدكاكين فى مكان واحد.

وبنى عضد الدولة اسواقاً عند مدينة جامع رام هرمز غاية فى الحسن كانت نظيفة مبلطة مبربقة مظللة.

والغالب على الاسواق ان تسقف وتظلل. فقد روى ابن جبير ان اسواق منبج فسيحة.. وسككها متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعاً وكبراً.. واعالى اسواقها مسقفة.. وعلى هذا الترتيب اكثر المدن فى شمال سورية ـ وقال عن اسواق حلب انها مسقفة بالخشب(٦) وروى بركارد ان عكا كانت فى القرن الثالث عشر (قبل وقوعها بأيدى المماليك) ذات ارباض غنية واسواق مترعة بالمتاجر(٧).

يراعى فى اختيار اسماء الاسواق امور كثيرة فهناك سوق الثلاثاء فى شرق بغداد ـ وهذا يدل على ان السوق كانت اصلا اسبوعية.. ومثل ذلك سوق القيروان التى كانت تعقد فى يومى الاحد والخميس. وربما كان قوام كثير من هذه الاسواق فى بادىء الامر دكاكين لا تمتلىء وتعمر الا فى يوم السوق ثم تغيرت طبعتها واحتفظت باسمها. وفى المغرب اماكن كثيرة تسمى سوقاً بالاضافة الى يوم من ايام الاسبوع ـ منها: ثلاثة قائمة فى الغرب «بين طنجة.. والرباط» **اسمها سوق الثلاثاء وسوق الاربعاء وسوق الخميس ـ وبين المكان والآخر ما يعادل مسيرة يوم على الدواب.**

وثمة الاسواق التى كانت تسمى باسم منشئها ـ فقد سميت «**سوق اسد**» بالكوفة نسبة الى اسد بن عبد الله القسرى.. وسميت سوق وردان بالفسطاط باسم منشئها.. وهناك الاسماء التى ترجع الى القوم النازلين فيها ـ كسوق البربر فى الفسطاط. ولكن الغالب على التسمية ان تعرف السوق باسم السلعة التى تغلب عليها او العمل الذى يتم فيها ـ ومثل ذلك: سوق الخشب فى الاسكندرية.. وسوق الصرافين بأصفهان ـ وكان

يجلس فيها مائتان منهم. . وسوق العطارين والبزازين فى جامع هرمز. . وسوق الرقيق فى سامراء. . وسوق الارز فى عكا. . وسوق الوراقين ـ وجميع هذه الاسواق اسماؤها تابعة لسلعها ومتاجرها.

وكانت الاسواق مراكز للصناعة كما كانت للتجارة ـ ومن ثم كانت اسواق للجوهريين وللدباغين والصيادلة والغزالين وللمرجان وغير ذلك. وقد بنى عضد الدولة بن بويه بمدينة كازرون داراً جعلها لنسج الكتان. . وكان دخلها فى كل يوم عشرة الاف درهم (اى اقل من اربعمائة دينار بقليل)(٨).

رحلة كل من ناصري خسرو وابن جبير وابن بطوطة وغيرهم ـ وفيها ترك جغرافيو العرب كثير من المعلومات عن الاسواق الاسلامية واوصافها. فلما وصل ابن جبير الى الاسكندرية استوقف نظره «حسن وضع البلد واتساع مبانيه»(٩) حتى انه ما شاهد بلداً اوسع مسالك منه. . ولا اعلى مبنى ولا احفل ـ واسواقه فى نهاية الاحتفال. . وتأتى اهليه الخيرات من جميع البلاد فينصرفون فى الليل بالبيع والشراء كتصرفهم به فى النهار». وكان فى الاسكندرية اثنا عشر الف دكان ـ ويصف ابن بطوطة رحلته من الاسكندرية الى مصر ويذكر مروره «بسمنود والمحلة الكبرى» ثم يقول: «والاسواق متصلة بين الاسكندرية ومصر وهذه الاخيرة مركز الوارد والصادر»(١٠). . وكانت بغداد مشتبكة ارضها بالعمارة واسواقها رائجة التجارة ـ فيها ما تشتهى الأنفس ويلذ الأعين ـ اذ انها فى نهاية الاحتفال وقد جمعت اخلاط التجار الا سوق الصاغة فيها فانه منفرد بالفرس وقد بلغوا من الاجادة انهم رصعوا الزجاج بالجوهر. . وكانت سوق الجوارى فيها الحبشيات والروميات والجرجيات والشركسيات. . وكان الدلال ينادى بمن حوله من المشترين ويصف الجوارى بما لهن من الاوصاف الحسان وهم يتسابقون الى شرائهن(١١).

ويرى المحدثون من الباحثين ان الاسكندرية وبغداد كانتا تعينان اسعار الحاجات على الاقل فيما يختص بالكماليات(١٢).

وقد تركت دمشق اثرا جميلا فى نفس ابن جبير فقال عنها «واسواق هذه البلدة من احفل اسواق البلاد. . واحسنها انتظاماً. . وابدعها وصفاً ـ ولا سيما قيسارياتها: وهى مرتفعات كأنها الفنادق. . مثقفة كلها بابواب حديد كأنها ابواب القصور. . وكل قيسارية منفردة بصيغتها واعلاقها الجديدة ـ ولها كذلك سوق تعرف بالسوق الكبيرة تجتاز المدينة من باب الجابية الى باب شرقى»(١٣).

وكان البيع والشراء يتمان بالمقايضة. . وتغلب المناداة باسماء البضائع قبل الاتفاق كالذى عرفناه عن سوق الجوارى ببغداد. . والمناداة بسرمين على ما رواه ياقوت وابن بطوطة(١٤) وقد روى ان المقايضة كانت اساساً للبيع والشراء فى بعض الاحوال. كما ان ياقوت(١٥) يذكر بلدة بالمغرب الاقصى اسمها البصرة عرفت «ببصرة الكتان» لان البيع والشراء كان اساسه قماش الكتان لكن استعمال النقود كان القاعدة الشائعة والغالبة فى الاتجار فى العالم الاسلامى ـ بل ان التعامل المالى فى العالم الاسلامى عرف نظام الصرافين فلم يكن عن الصراف غنى فى سوق البصرة ـ وكان العمل ان كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه رقاعاً ثم يشترى ما يلزمه ويحول ثمنه على الصراف ولا يعطون شيئاً غير الرقاع ما داموا فى المدينة.

الامثلة التالية على الاموال الطائلة التى كانت تروج فى الاسواق . . كان فى القرن الثالث الهجرى بمدينة همدان خان كبير تباع فيه الامتعة المختارة قدر صاحبه دخله منه بمليون ومائتى الف من الدراهم (نحو اربعين الفاً من الدنانير) . . واشترى تاجران فى عصر المأمون غلات العراق فأشرفا على ربح عشرة ملايين درهم ثم اتضع السعر فخسرا ستة ملايين درهم . . وروى ياقوت انه كان فى قيسارية البز فى حلب فى القرن الخامس للهجرة عشرون دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار (نحو عشرة آلاف دينار) وان ذلك مستمر منذ عشرين سنة(١٦) .

وكان المتحصل من مكس القمح بدمشق فى اواخر القرن الثامن الهجرى يزيد على مليون من الدراهم ـ وكانت رسوم الدبح فى طرابلس الشام فى الوقت عينه ثمانين درهماً فى اليوم الواحد .

■ ويروى ابن بطوطة لطيفة عن اسواق سرمين بين حماة وحلب . . جاء فيها وبها اى سرمين يصنع الصابون . . ويجلب الى مصر والشام . . واهلها سبابون يبغضون العشرة . . وينادى سماسرتهم بالاسواق على السلع فاذا بلغوا الى العشرة قالوا تسعة وواحد . . »(١٧) .

■ ونقل المحدثون عن الثعالبى ان اكثر ما كان يباع من الثمار فى الاسواق البطيخ ولذلك كانت سوق بيع الفاكهة تسمى دار البطيخ . . وروى ان شاعراً مدح وزيراً بقصيدة اكثر فيها من ذكر الفاكهة فسماها عامة بغداد «دار البطيخ» تشبيهاً لها بمكان بيع الفواكه .

■ زار بتاحيا اليهودى الاوروبى العراق فى عصره الزاهى وروى ان التاجر اذا وصل الى بغداد او غيرها يضع امتعته فى بيت رجل من الناس ورجع فيحملون هذه الامتعة الى جميع الاسواق للبيع . فاذا دفع ثمنها المقرر كان به والا حملوها الى جميع السماسرة ، فان رأوا انها اقل قيمة باعوها بهذا الثمن القليل وكل هذا مع غاية الامانة والذمة(١٨) .

من اغرب ما روى عن طريقة الاتجار هو انه كان وراء سجلماسة(١٩) من ارض المغرب وبأقصى خراسان مما يلى الترك(٢٠) قوم يتبايعون من غير مشاهدة ولا مخاطبة فيتركون عند كل متاع ثمنه من اعمدة الذهب . . فاذا جاء صاحب المتاع اختار الذهب وترك المتاع اذا وافقه والا اخذ سلعته وترك الذهب .

الهوامش

(١) راجع سعيد الافغانى، «اسواق العرب» دمشق١٩٣٧
(٢) ابن جبير، «الرحلة» (ليدن ١٩٠٧ ص٣٤٩ .
(٣) ابن بطوطة، تحفة النظار (باريس ١٨٧٤-١٨٧٩ ج٢ ص٢٥٤ ، ٢٥٦ .
(٤) راجع صالح أحمد العلى . En cyclopedia of Islam (2nd Ed), arx. Basra
(٥، ٦، ٩، ١٣) ابن جبير ص٣٤٩-٣٥٠ ، ص٢٤٩ ، ص٤٠ ، ص٢٨٨-٢١٠
(٧) نقولا زيادة، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٣) ص١٦٤ .
(٨) راجع ادم متز، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، القاهرة ١٩٤٠ ج٢ ص٣٢٥-٣٢٧ Encyclopedia of Islam (2nd Ed.), I, p. 838.
(١٠) ابن بطوطة ج١ ص٥٦ ، ٦٦ ، ج٢ ص٢٥٣ ، ج٤ ص٣٢٢ .
(١١) متز ، ج٢ ص٣٦٩-٣٧١
(١٢) نفس المكان ص٢٠٨-٢١٠ .
(١٤) راجع ياقوت، معجم البلدان (بيروت ١٩٥٧) ج٣ ص٢١٥ ، وابن بطوطة ج٤ ص٣١٨ .
(١٥) نفس المكان ج١ ص٤٤٠ .
(١٦) نفس المكان ج٤ ص١٢١-٤٢٢ .
(١٧) ابن بطوطة ج١ ص١٤٥-١٤٦ .
(١٨) متز، ج٢ ص٢٨٦ .
(١٩) نفس المكان ج٢ ص٢٨٦ .
(٢٠) رسالة ابن فضلان (تحقيق سامى الدهان، دمشق، ١٩٥٩) ص٧٩ .

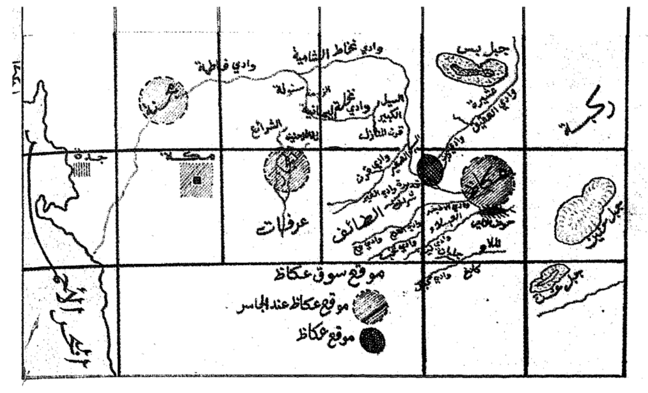
لمحة عن الأسواق

محمد ابراهيم بخات - المغرب -

إن بنـاء قرية تراثية على نمط العمارة النجدية بصحراء الجنادرية هو إحياء عصري للتراث العربي بشكل يعرفنا بالماضي وما يحتوي عليه من ذخائر الفنون ومفاخر الآداب علاوة على تجديده لتاريخ سوق عكاظ القديم الذي كان من أشهر الأسواق ابتداء من القرن الخامس الميلادي الى سنة ١٢٩هـ.. أما الأسواق العربية الأخرى فلم تعمر طويلا باستثناء سوق المربد بالبصرة، ذلك أن الدور الأدبي البعيد المدى الذي كان لعكاظ قبل الاسلام أخذه منه سوق المربد بل وتفوق به على عكاظ في الناحية الادبية واللغوية خدمة للقرآن ولغته في عهود الاسلام، وما زال المربد ميداناً للتباري ومجالا للتفوق لاظهار المواهب في شتى الفنون والآداب حتى عصرنا هذا.



● سوق عبدنيه ورزازات بجنوب المغرب



● خارطة تقريبية لموقع سوق عكاظ من تصميم المصور عبد الجليل شيبوب اعتماداً على كتاب (سوق عكاظ فى الجاهلية والاسلام) لمؤلفه د. ناصر الرشيد

وسوق المربد أو مربد البصرة كان متسعا للابل تربد فيه للبيع وكان فى الأصل سوقاً للابل حتى إذا كان عهد الامويين صار سوقاً عامة تتخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم فهو معرض لكل قبيلة، ومجتمع العرب ومتنزه البصريين ومازال يعلو شأنه وتستجيب له اسباب الكمال حتى اشتد ولوع الناس به وارتيادهم له فكان سوق تجارة وادب وسياسة.

قال القلقشندى: وخلف عكاظ فى هذا المعنى الادبى بعد الاسلام مربد البصرة وهو من أشهر معالمها.. به كانت مفاخرات الاشراف ومجالس الخطباء يتوافدون إليه ساعة من نهار للحديث والمناشدة والمفاخرة، ويجتمع إليه الناس فيهدر الشعراء ويخطب الخطباء ويتكلم العلماء ولهم فيه مقامات مأثورة ومواقف مشهورة.. ولا يعرف لهم من أسواق الكلام غير المربد وعكاظ.

تلك لمحة قصيرة عن السوقين الكبيرين فى المشرق العربى أما فى المغرب العربى فهناك أسواق القيروان المدينة الأم الاسلامية فى ذلك الجناح الغربى الاسلامى، فقد حكى ابن العذارى فى (البيان المغرب) قال: «قدم يزيد بن حاتم افريقية وأصلحها، ورتب أسواق القيروان، وجعل لكل صناعة مكانا» يقصد سوقا معينة، والظاهر أن الترتيب الذى وضعه يزيد للأسواق كان على قاعدة ما كان متعارفا ومألوفا فى المدائن التى احدثها العرب فى العراق، أى البصرة والكوفة، ثم واسط وبغداد.

ولا يخفى أن نشأة يزيد ـ وجميع آل المهلب الازديين ـ انما كانت فى البصرة فلا غرابة حينئذ فى تقليده لما كان جاريا فى مسقط رأسه، وكأنه اعتبر فى ترتيبها ما يوجد من العلاقة بين التجارات والصناعات بعضها ببعض فنسقها، وقد جعل الدكاكين صفا متصلا يقابله صف مثله، وعين لكل سوق مكاناً خاصا مستقلا، وجعل على رأس كل صف منها عريفا اختاره من بين وجوه تلك الصناعة. ووظيفة العريف ـ ويسمى أميناً أيضا ـ أن يشرف على سيرها، ويقاوم ما يطرقها من الغش، ويسهر على حسن العلاقات بين اصحاب المهنة وعمالهم

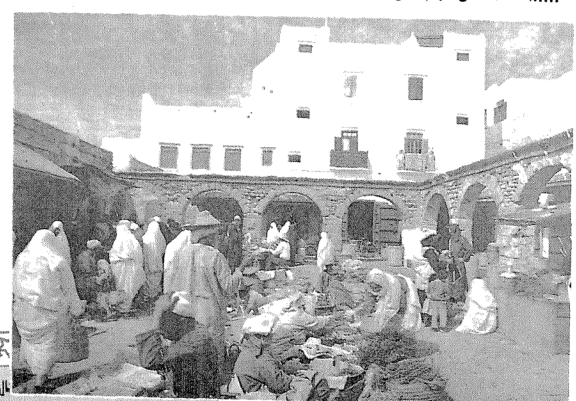
واعوانهم ويحرص على ضمان حقوق الأجير كبيراً كان أو صغيراً.

وليس من شك أن نظام الاسواق على ما رتبه يزيد بن حاتم في القيروان سرى دستوره الى بقية المدائن الافريقية مثل تونس، وصفاقس وسوسة، وغيرها وامتدت سننه بعد حين الى عواصم المغرب مثل (تاهوت) قاعدة بني رستم.. و(سجلماسة) عاصمة بني مدرار. و(فاس) التي احدثها الادارسة العلويون.. ثم انها تحولت الى ما هو أبعد من ذلك حيث عبرت مجاز طارق ودخلت الى عدوة الأندلس وصقلية وأستقرت بقواعدها الكبيرة مثل (قرطبة) و(طليطلة) و(إشبيلية) و(بلرم) وغيرها، وكانت نتيجة هذا الانسجام أن أصبحت قسمية الأسواق واحدة أو متقاربة في عموم اسواق العروبة والاسلام.

وقد لفت انتباهي شكل بناء السوق بالقرية التراثية فهو قد بني حسب هذا الوصف: (تقوم الدكاكين في جوانبه بشكل قريب من الدائري ووسط السوق تبقى مساحة مكشوفة لوقوف ما يجلب إليه من الابل والغنم والبقر الى جانب البضائع التي تصل إليه لبيعها.. وتتكون الدكاكين من غرف صغيرة تختلف مساحتها من بلد الى آخر وتبنى بالطين واللبن وتسقف بخشب الأثل والطين، أبوابها ضيقة وتصنع من الخشب المتين.



في ختام هذه اللمحة أقول: إنني أعتبر صدور صحيفة عكاظ منذ سنين عديدة وانعقاد المهرجان الوطني السعودي للتراث والثقافة - الجنادرية - كل عام - وتأسيس دار منشورات عكاظ مؤخرا بالرباط بمثابة الاعتراف العملي والحركي بالدور الرائد لعكاظ قديماً وحديثاً، فتحية إكبار وتقدير لمن عمل ويعمل من أجل تجديد أدوار ذلك السوق بكل خصائصه وعطاءاته.



● سوق العطارين بمدينة فاس



التراث يظل دائماً العقدة المركزية الفاعلة فى حياة الامم والشعوب.. ولهذا تظل روحه سارية فى اعماق الاجيال عبر «تعاقب الايام وتراكم السنين».

وبهذا التلاقى والتعاقب المستمر بين التراث والأجيال من الامة الواحدة فان التمسك به وإحياءه لا يمثل ظاهرة تقهقرية متخلفة عن ركب الحضارة كما يقولون ولا ينبغى ذلك بل هو ربط للماضى بالحاضر فى حركة تواصلية غير منقطعة ولا مبتورة لان اى فجوة فى هذا التواصل سيقطع الامة - حتماً - عن جزء فاعل فى حياتها، واحياء التراث وتجدد الروح السارية فى كيانه هو من ناحية أخرى البقاء الشاخص الماثل لقيم ومفاهيم وحكم تزيد الحياة نماء وازدهارا لانها عصارة تجارب اجيال واجيال.

وغنيّ عن القول أيضا ان التمسك بالتراث واحيائه ليس لمجرد التعلق بحبال الماضين وانما للتمسك باحسن وأفضل ما انتجته ودونته العقلية العربية عبر عصورها المتعاقبة - وبهذا المفهوم فان السيىء والردىء يُطرح خلف القفا من غير شك.. وهنا يمكننا القول بان «التراث» فى معناه

الاعم والاشمل يعنى (ثقافة) الأمة. . ثقافتها فى كل جوانب حياتها فى كل معطياتها. . السياسة - الاقتصاد - المعاملات - السلوك - الزراعة - الصناعة - الخ. . وحتى فى جوانب حياتها الاجتماعية والعاطفية والانسانية بعامة - ولعل هذا هو المفهوم الاوسع للتراث ومخطىء من يظن فى إحياء تراث الامة وموروثاتها الشعبية اقليمة أو محدودية لأن موروثات العالم العربى كله متلاقية متعانقة اذ ان جذورها واحدة وأصلها واحد وان اختلفت فى شيىء من الجزئيات فى الموروث الشعبى فإنه إثراء وزيادة.


هذا الاطار تأتى فعاليات المهرجان الوطنى الرابع للتراث والثقافة الممتد من ١٨ شعبان ١٤٠٨هـ وحتى ٢٦ شعبان ١٤٠٨هـ مؤكدا:

- ***الاهتمام بالتراث والعمل بكل جهد على احيائه.***
- ***ايضاح العلاقة التبادلية بين التراث والنمو الثقافى . . فكلاهما يؤثر ويتأثر بالاخر. . والهدف الشاغل لكل منهما هو صنع حضارة الامم.***
- ***اظهار الوجه الحضارى المشرق للمملكة من خلال التعريف باوجه النشاطات الثقافية والفنية المختلفة المتوفرة فى المملكة.***
- ***اتاحة الفرصة امام الشباب لزيادة معلوماتهم عن تراثهم الشعبى كتربة خصبة لشتى المجالات الثقافية والفنية.***

وتتسع اعمال المهرجان الوطنى لتقيم اكبر قدر من الفعاليات الثقافية والفكرية والتراثية ليس على المستوى المحلى فقط بل على مستوى العالم العربى وهذه شمولية أخذ بها المهرجان الوطنى للتراث والثقافة فى ندواته الفكرية والثقافية والادبية التى يعقدها خلال اعمال المهرجان ويشمل العطاء الادبى والثقافى لهذا المهرجان عدة ندوات ولقاءات منها: الندوة الكبرى وتدور حول (**الرواية وعلاقتها بالموروث الشعبى العربى**) وقدمت فيها ست مشاركات ودراسات.

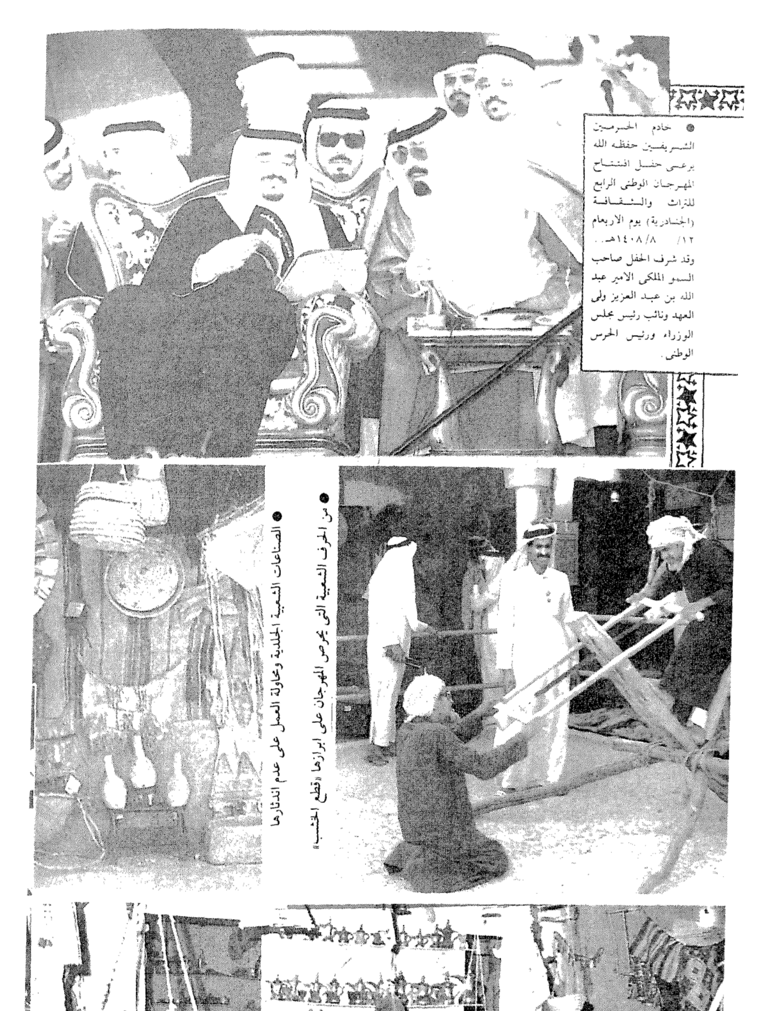
■ وهناك مجموعة ندوات اخرى حول (هل العقل العربى فى ازمة؟ - الغزو الثقافى - فلسطين صراع حضارى - الشعر الجاهلى وجذوره - التراث ما نبعث منه وما نترك - تجربة التنمية).

■ اشترك فى هذه الندوات واللقاءات ما يربو على ثلاثمائة اديب ومفكر من العالم العربى ومن المستشرقين المهتمين بالدراسات الشرقية ومكوناتها.

■ وحفل المهرجان بالعديد من اللقاءات والندوات حول الشعر والنقد وغيره من الموضوعات الاخرى. . وهذه المعطيات فى مجملها احتضنها برنامج مهرجان هذا العام.

■ ولا شك ان كل هذه العطاءات التى حفل المهرجان الوطنى الرابع للتراث والثقافة برفدها موروث حضارى يظل هو المنطلق الاساسى لكل انواع هذا الاداء الفاعل.





● خادم الحرمين الشريفين حفظه الله يرعى حفل افتتاح المهرجان الوطنى الرابع للتراث والثقافة (الجنادرية) يوم الاربعاء ١٢/ ٨/ ١٤٠٨هـ.. وقد شرف الحفل صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى.

● الصناعات الشعبية الجلدية ومحاولة العمل على عدم اندثارها

● من الحرف الشعبية التى يحرص المهرجان على ابرازها «قطع الخشب»

● دكان بيع دلال وادوات القهوة فى السوق الشعبى بارض المهرجان

● صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى يشارك فى العرضة النجدية خلال حفل افتتاح المهرجان والذى افتتحه خادم الحرمين الشريفين ايده الله

حضرة صاحب السمو الامير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطنى ورئيس اللجنة العليا للمهرجان.

الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان.

معاشر «زفة العريس» م
تراث منطقة المدينة المنور



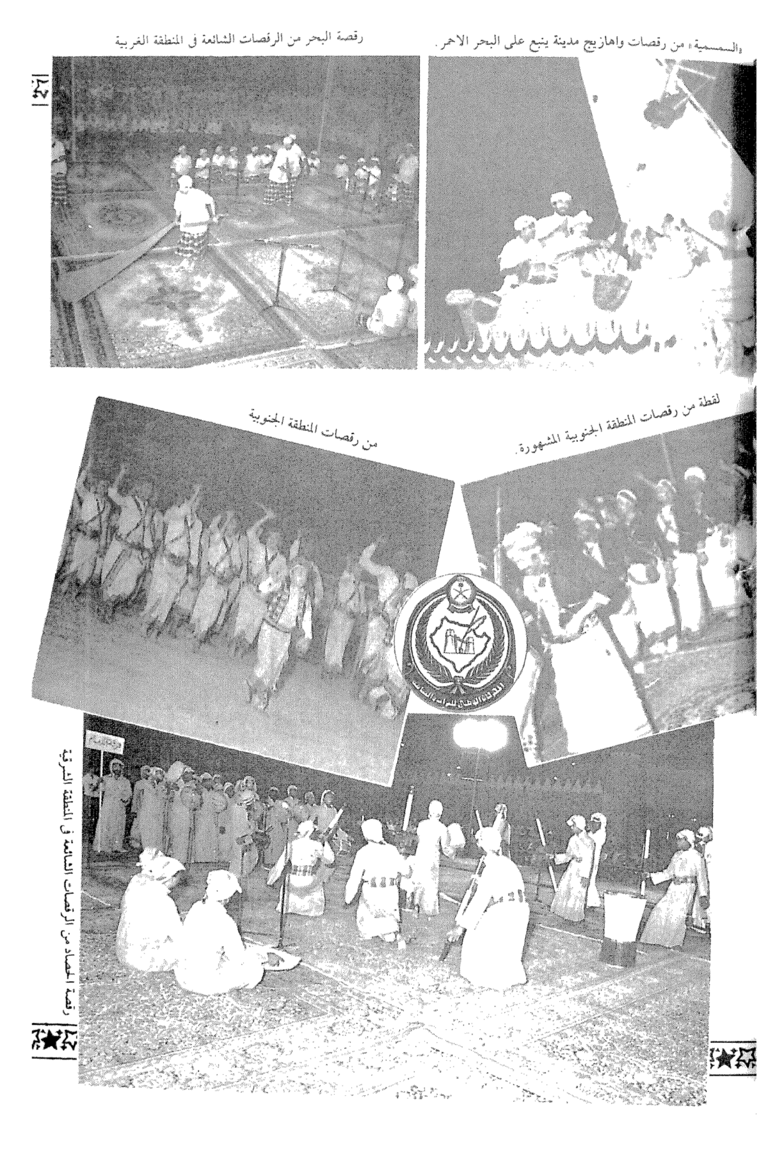
● « السوانى » من الحرف الشعبية التى انقرضت.

...من النحاس والبرونز عليها اسماء الله الحسنى وقد
...ضت ضمن خيمة الفن التشكيلي . . بارض المهرجان .

السوق الشعبي بالجنادرية

صناعة الفخار . . من الحرف الشعبية التي يعمل المهرجان على تأصيلها والتعريف بها

سباق الهجن السنوي والذي يتوافق مع فعاليات مهرجان الجنادرية السنوي ويشرفه خادم الحرمين الشريفين ايده الله



«السمسمية» من رقصات واهازيج مدينة ينبع على البحر الاحمر.

رقصة البحر من الرقصات الشائعة في المنطقة الغربية

لقطة من رقصات المنطقة الجنوبية المشهورة.

من رقصات المنطقة الجنوبية

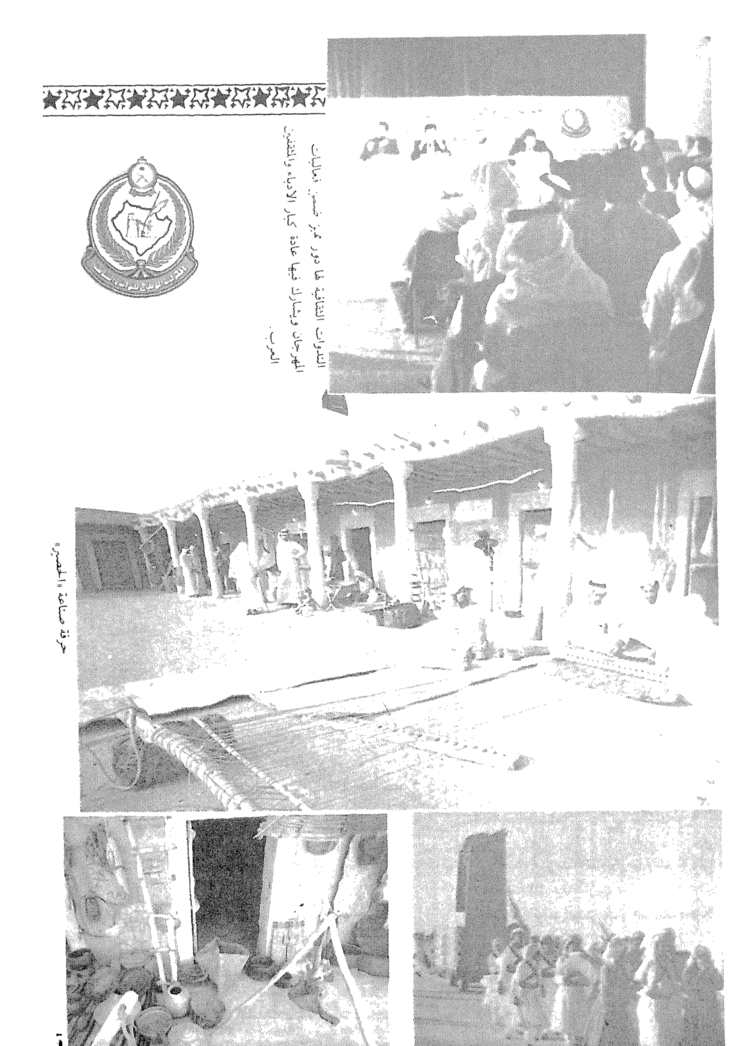
رقصة الحصاد من الرقصات الشائعة في المنطقة الشرقية



من الحرف
الشعبية النادرة

تعليم الكتاتيب النواة الاولى لانتشار التعليم (من الحرف الشعبية المنقرضة).

«العرضه النجدية» من الرقصات المشهورة فى منطقة الرياض



الندوات الثقافية لها دور كبير ضمن فعاليات المهرجان ويشارك فيها عادة كبار الأدباء والمثقفين العرب.

حرفة صناعة «الحصير»

لقطة من رقصات الطائف.

في السوق الشعبي بالجنادرية تتوفر جميع المقتنيات القديمة

لغة الأزياء..
وموروث الموسيقى

◎◎◎◎◎◎◎

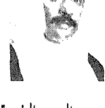


د. عبد الرحمن النفيسة

● دكتوراة فى القانون الجزائى جامعة ديوك/ امريكا

● مستشار فى ديوان رئاسة مجلس الوزراء.

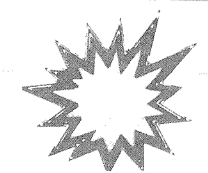
● كاتب وأديب ولـه مشاركاته القيمة الفاعلة فى هذه المجالات.



د. سعيد فالح الغامدى

● استاذ مساعد الانتروبولوجيا وعلم الاجتماع - جامعة الملك عبد العزيز.

● له العديد من المشاركات فى الصحف والمجلات السعودية والعربية.



كثيرة هى اللغات غير المكتوبة والمنطوقة منها لغة الاشارة واللمحة والرسم والألوان - ومنها الأزياء والموسيقى . . وغيرها مما يؤدى غرض التواصل والافهام .

د. نبيل راغب

● عميد معهد النقد الفنى اكاديمية الفنون بالقاهرة

● له اهتمامات فى مجال الكتابة عن الأزياء والعادات والتقاليد الشعبية .

● له الكثير من المؤلفات والأبحاث

الأزياء : تلك اللغة الصامتة نراها ونستقرؤها ونستبين أمرها فتحدثنا عن الكثير الكثير . . المكانة الاجتماعية . . ملامح التكوين النفسى . . ملامح السلوك . . خطوط عامة قد توحى بها هذه اللغة الصامته .

الموسيقى : لغة النغم والوتر . . والنغم توصيف العاطفة . . العاطفة الانسانية فى فرحها وحزنها . . حربها وسلمها . . غناها وفقرها .

الأزياء/ الموسيقى ثنائى يشكل طبيعة التلاقى الفطرى ويكشفان عن صفحة النفس وملامحها .

حالمنهاله

د. طارق حسون فريد

● يعمل فى وحدة الموسيقى والرقص الشعبى بمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى .

● له الكثير من الابحاث فى مجال الدراسات الموسيقية والتراث الابداعى للموسيقى العربية .



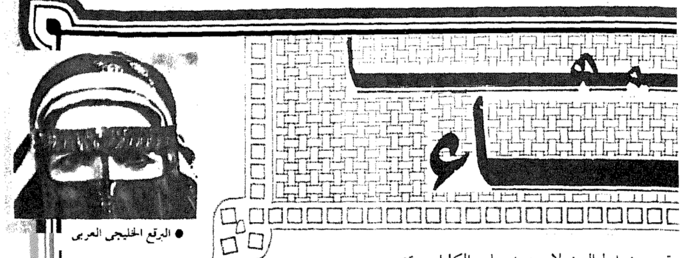
● الزى السودانى

معظم الناس أن اللغة هى ذلك الحوار الذى يدور بينهم وما عدا ذلك فليس من اللغة فى شىء، ولكنهم لا يعلمون أن اللغة التى تعتمد على الأصوات هى مجرد لغة من بين عديد من اللغات الممكنة، لأن اللغة بمفهومها الواسع والشامل تدل على أى فعل موجه وتعبيرى من أفعال الجسم ـ أيا كان هذا الجزء من الجسم. وهذا يشككنا فى الاعتقاد فى وجود طريقة واحدة للتعبير ويقصد بذلك «الكلام» أو الأفعال الصادرة عن الأجهزة الصوتية، وأحيانا يقال بوجود سبب فسيولوجى لتفسير هذا الزعم، فيقال اننا عندما نستخدم أجهزتنا الصوتية نستطيع أداء أفعال تعبيرية تتصف بزيادة دقتها وتنوعها ومن ثم فانها تكون أقدر من أى مركب من الأجزاء الأخرى على التحول الى اللغة. . ولكن من الواضح أنه لا يوجد اختلاف جوهرى بين أى فعل من أفعال الجسم والأفعال الأخرى من ناحية قدرتها على التعبير، ولكن هذا الاختلاف نتج عن أن اللغة الصوتية كوسيلة للتعبير قد تبلورت وتخصصت فى أدوات التعبير حتى تحولت الى علم قائم بذاته بينما وسائل التعبير الأخرى مثل الايماءة والنظرة والضحكة وحركات اليدين والأصابع والسلوك الاجتماعى عامة والمظهر الذى يحب الانسان أن التعبير هذه لم تصل بعد الى المنهج العلمى الذى بلغته اللغة الصوتية، ولذلك لا نعتبرها لغة على الاطلاق برغم أنها تشارك اللغة الصوتية فى اكمال التعبير واتمامه، وأحيانا تقف اللغة الصوتية عاجزة عن التعبير وتترك هذه المهمة لحركات الجسم والوجه المختلفة التى تقوم بها على خير وجه لأنها تعتمد على الغريزة بالدرجة الأولى.

نهضت الحضارات المختلفة بلغات متعددة لتحقيق غاياتها ولم تكن هذه اللغات مجرد أشكال مختلفة من الكلام، يمكن التمييز بينها، كما تميز اللغة الانجليزية عن اللغة الفرنسية مثلا، انما كان هذا الاختلاف أعمق من ذلك بكثير، فالايماءة مثلا يمكن أن تعبر عن فكرة فلسفية عميقة كما يعتقد بوذا، وأيضا فإن أى جدال بين



د. نبيل راغب
مصر



● البرقع الخليجى العربى

قرويين ايطاليين لا يعتمد على الكلمات بقدر اعتماده على ايماءات اليد ولغتها التى تتصف ببراعة فائقة.. ولقد عاقت عادة ارتداء ملابس ثقيلة القدرة التعبيرية فى كل أجزاء الجسم ما عدا الوجه، وهذا ينطبق على معظم سكان المناطق الباردة والثلجية وبالطبع فانه عندما يزداد ثقل الثياب فلن تحتفظ اعضاء الجسم بالقدرة على التعبير - أى تعبيرات خلاف تلك التى يستطاع ادراكها دون أن تُرى مثل تعبيرات الأجهزة الصوتية.. اللهم الا اذا كانت الملابس معبرة فى ذاتها وهذا ما يهمنا فى هذا المقال.

[الملابس والشخصية القومية]:

لا شك أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشخصية القومية لأى شعب والملابس التى يرتديها أفراده.. فالملابس تعبر عن الصفات العامة والملامح الأساسية للشعب كما أنها تعبر عن الصفات الشخصية والسلوك الخاص بالفرد - وعندما زار المفكر الانجليزى (روبرت بروك) أمريكا فى مطلع هذا القرن كتب الى أصدقائه فى انجلترا يقول: «ان الأمريكيين يمشون فى صورة أفضل منا.. اذ أن مشيتهم تتسم بأنها أكثر انطلاقا ففيها تخايل جذاب يكاد يبدو كأنه رشاقة.. فهل يرجع ذلك الى الجو الديمقراطى الذى يحيون فيه أو الى عدم ارتدائهم للحمالات.. انه أمر يتعذر الوصول الى رأى حاسم فيه».

كتب المغامر الانجليزى (م.ك. مولفانى) عن مغامراته فى الهند فى أواخر القرن الماضى فقال انه عندما تخلى عن سرواله الانجليزى وارتدى المئزر الهندى بدأ يشعر كأنه قد تحول الى مواطن هندى - بل انه لاحظ شيئا أعمق من هذا وهو أن أسلوبه فى التعبير عن نفسه قد تخلى عن العجرفة الاستعمارية والعنجهية الأوروبية ومال الى الوداعة الهندية والرقة الشرقية.. ومن هذا يتضح أن الوعى بمشاركة الآخرين فى الزى هو وعى بوجود صلة عاطفية تحتم انتهاج أسلوب فى التعبير يتمشى مع التقاليد والعادات المرتبطة بهذا النوع من الملابس.

[الملابس والتعبير السياسى]:

والاهتمام المبالغ فيه بالزى الموحد يتحول الى عداء عاطفى تجاه الأفراد الذين لا ينتمون الى هذه الجماعة ولدينا أمثلة كثيرة فى تاريخ الأحزاب والطبقات من أمثال القمصان السود والزرق... الخ.

ويقول الفيلسوف الانجليزى (روبين جورج كولنجوود) إنه فى الحياة السياسية الحرة حيث يتم الفصل بين الاتجاهات السياسية والعداوة



● الزى الخليجى

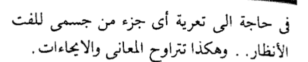
من الزى السعودى (فستان الزفاف) للمصمم ابراهيم عواد

العاطفية بين الأفراد المؤيدين لهذه الاتجاهات يتحتم عدم الاعتماد على الزى والملابس الموحدة بين الأحزاب . . وأنت اذا جعلت الأحزاب ترتدى زيا موحدا ستصبح على الفور العداوة العاطفية أعظم أهمية فى اثارة المشاحنات عن الاختلافات السياسية .

[الملابس: لغة الأنوثة المفضلة]:

ولأن الملابس توحى ولا تحدد . . ترمز ولا تتكلم . . أى أنها تقول بصراحة ووضوح ما يعجز اللسان أو ما تخجل الأنثى عن النطق به لاعتبارات اجتماعية أو دينية أو أخلاقية فإن المرأة قد تفننت عبر عصور التاريخ المختلفة فى استخدام كل امكانيات الملابس فى التعبير عن شخصيتها وتفكيرها ورغباتها ونزواتها ـ وخاصة أن الرجل قد حرمها الكثير من التعبير عن نفسها بالكلام لأنه كان يعتبر ذلك حقه فقط ويجب على المرأة ألا تشاركه فيه . . وربما كان هذا هو السبب فى التنوع الذى يمثل ملابس المرأة عامة بينما تميل ملابس الرجال الى المحافظة على خطوطها العريضة لأزمان طويلة . . ولكن الأساس فى استخدام المرأة لملابسها هو التعبير عن أنوثتها وجمالها وجاذبيتها .

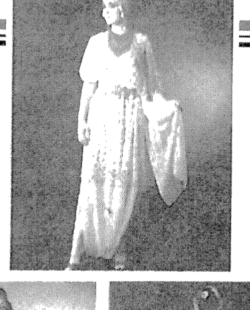
والعجيب أن لغة الملابس تستطيع أن توحى بأشياء كثيرة ومتناقضة فى نفس الوقت وهى فى هذا تعد لغة أكثر خصوبة فى المعانى والايحاءات من لغة الكلام العادى . . فالمرأة تستطيع أن تقول نفس الشىء من خلال أزياء مختلفة تمام الاختلاف . . وتستطيع أن تعبر عن ثقتها بنفسها بلبس غاية فى الوقار والاحتشام لا يظهر من جسدها سوى الوجه واليدين والقدمين فقط وكأنها تقول للناس: أنا أعرف قيمة نفسى تماما ولست



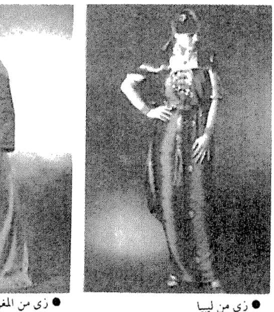
فى حاجة الى تعرية أى جزء من جسمى للفت الأنظار . . وهكذا تتراوح المعانى والايحاءات .

[مصممو الأزياء = أساتذة اللغة] :

ولا شك فإن مصممى الأزياء يؤدون دورا كبيرا فى تحديد مفاهيم لغة الملابس طبقا لروح العصر لأن النساء عموما يطعن أوامرهم لاعتقادهن أنهم يفهمون لغة الأنوثة وفصاحتها أكثر من أى انسان آخر . . فاذا صدر الأمر بتقصير الفساتين فإنه ينفذ فى الحال وعلى معظم المستويات لأن المرأة بطبيعتها الأنثوية تحب أن تجذب الرجل دائما بهذه اللغة الغامضة المبهمة التى تحمل فى طياتها من المعانى مالا يمكن حصره . وعندما تستنفذ هذه المعانى وتفقد دلالتها بسبب التكرار والعادة فان الامر يصدر فى الحال بتطويل الفساتين . . وهكذا تتنوع دلالات لغة أزياء المرأة حتى تجبر الرجل على قراءة رغباتها باستمرار من خلال ما تلبسه وبذلك لا يفقد اهتمامه بها أبدا بل يحاول دائما أن يستكشف ما تريد أن تقوله من خلال نوع القماش ولونه والأسلوب الذى فصل به .

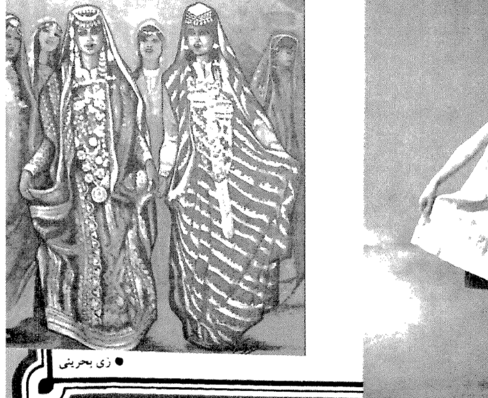


● زى من الجزائر



● زى من ليبيا

● زى من المغرب



● زى بحرينى



● زى من تونس

● زى شعبى فلسطينى



● زى شعبى أردنى



● زى عروس مغربية

[الملابس لغة المجتمع]:

واذا نظرنا الى المجتمع ككل فسنجد أن كل طبقة تحاول أن تعبر عن نفسها وعن تماسكها بالمحافظة على زيها وهذا يفسر وجود البذلة الأوروبية بجوار الجلابية البلدى والفستان العصرى بجوار الملاية اللف فى المجتمع المصرى المعاصر ـ فلسان حال لابس البذلة يقول إنه متحضر ومساير لروح العصر وثقافته وبيئته ورقيه يتمثل فى البذلة الأنيقة المهندمة . . بينما لسان حال ابن البلد الذى يرتدى الجلابية البلدى يقول إن الجلابية رمز (الجدعنة) والرجولة والشهامة والجرأة والشجاعة والاقدام وأنه بمحافظته عليها يحافظ على تقاليد بلده التاريخية القديمة وشخصيته القومية المستقلة وفى نفس الوقت فهو يقاوم الوقوع فى براثن الحضارة الأوروبية المتمثلة فى البذلة التى يلبسها (المتفرنجون) (الافرانكا).

وفى الوظائف العامة وخاصة تلك التى تتعامل مع الجمهور تحدد الملابس الموحدة أو الزى الموحد نوع الوظيفة التى يقوم بها الموظف دون أية محاولة للتعريف بها ـ فمثلا فى مصر لابد أن يلبس الساعى فى أية مصلحة حكومية ذلك الزى الأصفر أو الكاكى التقليدى حتى يميزه الجمهور المتردد على المصلحة ولا يخلط بينه وبين موظف يجلس الى مكتبه ويباشر أعماله بالبذلة الأوروبية. والملابس ضرورية جدا بالنسبة للكمسارى فى الأوتوبيس والا فلن يدفع له أى راكب ثمن التذكرة ـ فزى الكمسارى معناه أنه يتحتم على الركاب أن يدفعوا ثمن التذكرة لهذا الشخص المسئول . . ونفس الحال بالنسبة لعسكرى المرور الذى يطيع أوامره سائقو السيارات بسبب زيه الرسمى فقط الذى يعنى بالنسبة لهم السلطة وفرض العقوبات على

المخالفين للقانون.

بعض عصور التاريخ تعبر الثورة الاجتماعية عن نفسها بالملابس كما حدث فى ثورة المتطهرين التى قادها «أوليفر كروموبل» ضد ملك انجلترا «شارل الأول» والتى انتهت باعدام الملك عام ١٦٤٩ . . وكان تعبير المتطهرين عن ثورتهم يتمثل فى الملابس البسيطة الرخيصة المتقشفة التى تمثل الطبقة الفقيرة الكادحة التى حاولت أن تحصل على حقوقها الأولية . . من ذلك الملك المستبد والذى كان مغرما بالثياب الغالية المبالغة فى الزخرفة والمرصعة بالأحجار الكريمة ـ وكذلك الطبقات الأرستقراطية السائرة فى ركابه . . وعندما قام المتطهرون بثورتهم رفضوا كل مظاهر الأبهة والفخامة وخاصة فى الملابس والمظهر عموما لدرجة أنهم قصوا شعورهم حتى يظهروا للناس أن الشعر الطويل ليس سوى رمز الطبقة المستغلة . . والعجيب أن ما يحدث فى انجلترا فى أيامنا هذه هو عكس ما حدث فى انجلترا فى القرن السابع عشر: فالثورة الاجتماعية التى حمل لواءها شباب الهيبيز ضد تقاليد العصر الفيكتورى التى ما زالت مترسبة فى المجتمع الانجليزى ـ هذه الثورة تتمثل فى الشعر الطويل للرجال والملابس التى لا تمت للهندام والأناقة بصلة . . فألوانها متناقصة وشاذة ومزعجة . . والفتيات الانجليزيات فى ثورتهن سارعن الى لبس الفساتين التى تصل الى أسفل البطن بالكاد.

ولا داعي لذكر المناسبات الاجتماعية التى تتطلب ارتداء ملابس معينة من جهة الشكل واللون ـ فحفلات الزفاف والمآتم والمناسبات الخاصة تفرض على الحاضرين أو المدعوين الملابس المناسبة طبقا للعادات والتقاليد المرعية . . فاذا قامت سيدة مثلا بواجب التعزية تجاه احدى صديقاتها فى وفاة عزيز لديها وهى ترتدى فستانا أحمر أو أى لون فاقع ويهيج فإن هذا يقابل بالاستهجان وكأن الفستان الأحمر يخرج لسانه لأهل المصاب ويقول لهم إن صاحبتى التى ترتدينى لا تحترم المناسبة لانها لا تؤمن بها وبما تفعل ولكنها تؤدى مجرد الواجب الذى فرضه عليها المجتمع . . وهى غير متعاطفة معكم وهى تكره لبس الأسود مثلا لأنها تتشاءم منه وإن لم يعجبكم قيامها بالواجب بطريقتها الخاصة فهذا يخصكم.

[الفانلة الحمراء]:

والزى الموحد بالنسبة للرياضيين يفيد فى التعرف بسهولة على أفراد الفريق الواحد ولكن التعصب لفريق معين قد استحال لعبادة اللون الذى يتميز به ـ وكلنا نعلم دلالة الفانلة الحمراء بالنسبة لمشجعى النادى الأهلى مثلا فقد تحولت الى رمز البطولة والانتصارات . . . الخ . وقد ترفرف الأعلام الحمراء ـ مثلا ـ حول مقر المباراة ومع المشجعين وفوق العربات المسرعة والجميع يتمنون الانتصار للفانلة الحمراء . . بل إن المشجعين أنفسهم يرتدون الملابس الحمراء رمزا لتأييدهم ورغبتهم الحارة فى انتصار النادى، وليس هذا الوضع محدودا بنادٍ ما ولكنه منطلق لاندية العالم معا.

[الملابس وعلم النفس]:

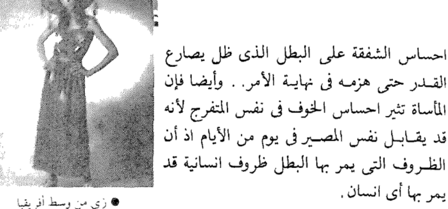
والملابس تساعد الطبيب النفسانى على التعرف على معظم مركبات النقص والعقد النفسية ونقاط الضعف التى تتحكم فى شخصية

مريضة لأن المظهر الخارجى غالبا ما يعبر بصراحة تزيد عن الاعترافات التى يدلى بها على كرسى الاعتراف . . ولكن على الطبيب النفسانى ألا يعتمد اعتمادا كاملا على المعانى التى يمكن أن يستنتجها من ملابس مريضه لأنها قد توحى بالشىء وضده فى نفس الوقت ـ فالمريض الذى يهتم بملابسه الى درجة الأناقة المبالغ فيها ربما يوحى باعتقاده فى أهميته البالغة كشخص يعتبر نفسه محور الكون بينما يحاول مريض آخر أن يوحى بنفس المعنى عن طريق اهمال ملابسه لكى يؤكد أنه لا يملك الوقت الكافى لمشاغله العديدة الأكثر أهمية . . ولذلك لا يمكن وضع قواعد عامة للمعانى التى توحى بها الملابس والأزياء المتعددة لأنها تختلف من شخص لآخر ومن حالة لأخرى .

تلك هى اللغة الخصبة التى تتكلمها الملابس . . وأنت بدورك اذا تمعنت فى الملابس التى يرتديها الناس حولك من أصدقاء ومعارف وأقرباء فقد يمكنك أن تعرف الكثير عنهم دون أن يخبروك به . . وقد يمكنك أن تعرف أشياء عن نفسك كنت تجهلها من خلال سؤالك لنفسك : لماذا تلبس بهذه الطريقة المعينة . . وما الدافع وراء هذا المظهر بالذات؟ . . ومن خلال الاجابة الصادقة على هذا السؤال قد تصل الى نتائج لم تكن فى حسبانك على

[ملابس الشحاذين] .

والشحاذون أيضا يستعملون لغة الملابس بحنكة تفوق الوصف فنجد معظمهم يلبسون الملابس الرثة البالية المهلهلة لاثارة عطف المحسنين عليهم . وبعض الشحاذين يكتفون بالقدرة التعبيرية للملابس فيسيرون فى صمت مطبق مادين أيديهم للمارة . . وبالطبع فإن المارة يفهمون هذه اللغة بسرعة . . ولكن هناك نوعا آخر من الشحاذين يحاول أن يكمل ما تقوله ملابسه البالية بكلمات كلها مسكنة وذل وتهديد فى نفس الوقت وخاصة عندما يقول الشحاذ : حسنة قليلة تمنع بلاوى كثيرة . . أى أن القرش الذى سيدفعه المحسن سوف يجنبه هذا المصير الرهيب الذى قد يضطره فى يوم من الأيام الى أن يسير فى الشارع بنفس الخرق البالية . . واذا لم يدفع القرش فعليه أن يواجه «البلاوى الكثيرة» التى ستنتج عن بخله وقلبه القاسى . . ويوجد نوع ثالث من الشحاذين يحاول أن يستدر عطف الناس واحترامهم فى نفس الوقت عن طريق ارتداء الملابس النظيفة المكوية واستعمال أسلوب لبق فى الحديث الى الناس لكى يعلموا أن الشحاذ الذى يقف أمامهم ليس شحاذا بالمرة ولكنه ابن أكابر غدر به الزمان وأخذه على غرة بدليل مظهره الأنيق الذى لا يريد التخلى عنه برغم المأساة التى يعيشها والتى أجبرته أن يمد يده الى الناس من أجل قرش حقير لا يسمن ولا يغنى من جوع . . ومن المضحك أن كثيرا من المحسنين الذين يقلون عنه فى الأناقة والهندام يجدون لذة كبرى فى الاحسان على مثل هذا الشحاذ الذى تحول فى نظرهم الى بطل مأساة مثل «هاملت . . أو عطيل . . أو ماكبث» . . ونحن نعلم أن المأساة التى تقدم على المسرح تثير فى نفوس المتفرجين



● زى من وسط أفريقيا

احساس الشفقة على البطل الذى ظل يصارع القدر حتى هزمه فى نهاية الأمر . . وأيضا فإن المأساة تثير احساس الخوف فى نفس المتفرج لأنه قد يقابل نفس المصير فى يوم من الأيام اذ أن الظروف التى يمر بها البطل ظروف انسانية قد يمر بها أى انسان .

[الملابس ولغة الفن]:

والملابس تؤدى دورا كبيرا فى التعبير عن الشخصيات فى السينما والمسرح والفنون التشكيلية . . وقد بدأ الاهتمام بالملابس كلغة فنية من عهد الفراعنة ولكنها أخذت شكلها المتكامل فى عصر النهضة على أيدى «مايكل انجلو . . ورافايل» وغيرهما من الفنانين التشكيليين الذين برعوا فى التعبير عن جمال الجسم الانسانى من خلال تماوج الملابس فوقه ـ وهذا واضح فى اللوحات والتماثيل التى يبدو فيها الرخام الثقيل وقد تحول الى غلالة شفافة . . وعندما تطورت الفنون وتفرعت أصبحت الملابس جزءا هاما جدا من الديكور الذى يعبر الفنان به عن أشياء قد يعجز الكلام أو الضوء أو الحركة عن التعبير عنها ـ فالملابس تعبر عن العصر الذى تدور فيه الأحداث دون أية اشارة مباشرة الى ذلك العصر . . وفى نفس الوقت تعبر الملابس عن نوع الشخصية التى تتحرك فوق خشبة المسرح سواء من ناحية السن أو السلوك أو التفكير أو النضج . . . الخ .

وفى المسرحيات والأفلام الكوميدية تؤدى الملابس دورا هاما فى اضحاك الناس واثارة سخريتهم ـ وليس من النادر أن نجد مدير قلم المستخدمين يدخل فى الصباح الى مكتبه وهو يرتدى مايوها وطربوشا مثلا . . . وبالطبع



● زى لبناني شعبي

● الزى الباكستاني

فالكاتب الذى يعتمد على الرمزية فى أسلوبه يحاول أن يقول أشياء من خلال الملابس الهزلية قد لا يتمكن من أن يقولها فى الحوار المسرحى . وكلنا رأى فنان العصر (شارلى شابلن) فى دور الصعلوك ذى السروال الواسع المتهدل . . والحذاء الكبير المتآكل . . والجاكتة الطويلة السوداء التى أكل عليها الزمان وشرب . . والقبعة التى تستعمل فى كل أغراض المعيشة بما فيها حمايته من الأمطار . . وعصاه التقليدية التى يدافع بها عن نفسه وقت اللزوم . . ولم يحاول شارلى شابلن أن يغير هذه الملابس التى ارتبطت بشخصية الصعلوك لأنه وجد فيها امكانيات عديدة للتعبير عن بؤس الطبقة الفقيرة التى تفعل كل ما لا يخطر على بالك من أجل الحصول على رزقها اليومى .

التراث الموسيقى كاصطلاح ودلالات

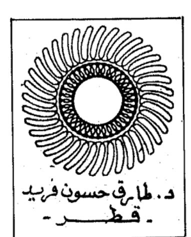
■■ التراث الموسيقى والموروث الموسيقى هما حصيلة تراكم حضـارى انتجتـه المئـات بل الآلاف من الأجيال المتعاقبة بتـوافق تام مع كل ذلـك الـذى ابتكرته فى حقول الفنون ومجالات العلوم، وشرعته من قوانين وأحكام، وآمنت به من قيم وأعـراف ومعتقـدات ومـارستـه من عادات وطقـوس ونشاطات وفعاليات.

فجميـع أنـواع هذا التراكم الحضارى الذى وجد إما اكتشافاً أو اختراعا كان الهدف منه تلبية احتياجات الجماعة والانسـان الفطـريـة والغريزية والروحية والمادية والجمالية والذوقية وغير ذلك، وتنظيم العلاقات الحياتية والاجتماعية المختلفة بين الأفراد والجماعات عبر العصور المتعاقبة ولذلك فهو المعيار الحقيقى لشخصية مبتكريه ومكتشفيه ومستهلكيه ومتذوقيه فى الأزمنة المختلفة.

المـوسيقى والمـوروث المـوسيقى هما المـادة والنسيـج المـوسيقى الممثل لمجموع الارث الحضارى الموسيقى الذى يبتكر ويؤدى ويعاد أداؤه فى عصر من العصور والذى ازدادت نسبة استهلاكه وانتشاره فى هذا العصـر تبعـاً للزيادة الكبيرة فى أمكنة الأداء وتنوع أجهزة الحفـظ والنشـر وانتشـار الوعى بأهميته، وارتفاع المستوى الثقافى والتعليمى.

جانب الاهتمام بمعرفة قيم ومفاهيم عصرنا الـذوقيـة والجـماليـة والنفسيـة والفكـريـة وبمعـرفـة المميـزات والخـواص الصـوتية والفيزيائية والرياضية للمادة والنسيج الموسيقى المتداول، ازداد الاهتمام أيضاً لمعرفة دور التراث الموسيقى والموروث الموسيقى فى المجتمع ووظيفتهما فى حياة الناس أينما كانوا فى هذا العالم.

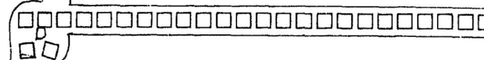
الموسيقى والموروث الموسيقى لا تفهم مراحـل تطور عناصرهما وتبلورها إلا بدراستهما فى نطاق التكامل الوظيفى فى سيـاق حركة الحياة والمجتمع الذى يؤدى ويتداول ويستهلك فيه، وسعياً للوصول إلى فهم أعمق لتبلور تلك العناصر فى مراحلها المختلفة أحاول فى هذا النص طرح اصطـلاحى الـتراث والموروث طرحاً مختلفاً بعض الشىء عما قبـل، وبهـذا أروم تسهيـل استيعاب مادتهما المـوسيقية، كما أهدف الى توضيح بعض ذلك التداخل الحـاصـل فى مفهـوم الاصطلاحين من الزاوية الموسيقية ومـدى ارتبـاطهـما بمختلف أشكـال الابـداع الأخـرى

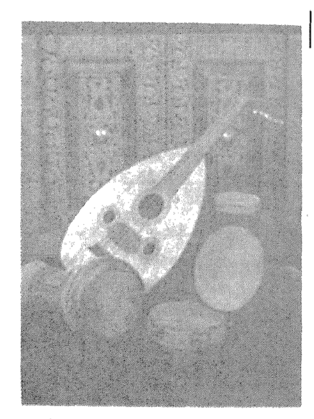




ع الموروث الموسيقى

ـــــ وخـــواص





للانسان والجماعة والأجناس العرقية والقبائل والشعوب والأمم المختلفة.

أسعى من وراء هذا الطرح الجديد لاصطلاحى التراث والموروث الموسيقيين الى الخروج عما هو متعارف عليه أو متفق حوله فى مختلف الاصدارات التنظيرية لعلم الفولكلور أو التراث الشعبى أو المأثور الشعبى وغير ذلك، ولكن رغبة بزيادة دقة تحديد مفهومها المرتبط بمجموع الارث الموسيقى المتناقل إلينا بهذه الصورة أو بذلك الشكل؛ وكذلك أدرك بهذا الخصوص سعة مفهوم كلمة (التراث) وكلمة (الشعب) وبالتالى اصطلاح (التراث الشعبى) الذى شاع استعماله فى الوطن العربى، وما قصد من وراء اصطلاح الفنون الشعبية، وسعة مفهوم اصطلاح «المأثور الشعبى» كبديل عن اصطلاح (التراث الشعبى) أو اسطلاح (الفلولكلور) الذى استعمل فى بعض الأطروحات النظرية الأكاديمية وفى بعض المراكز والمؤسسات الإقليمية المعنية بأمر جمع وتوثيق ودراسة ونشر هذا الكم من الإرث الفنى المدون أو المتناقل إلينا شفاهاً.

الاصطلاحات المتداولة تتبدل مع تبدل مدلولاتها ومعانيها وكما تغيرت فى الماضى ستتغير هذه المدلولات والمعانى مع كل زيادة فى نسبة التعمق فى مجالات البحث المختلفة، فمع كل اكتشاف دراسي منهجي علمي جديد لعناصر المادة الفنية وانسجتها ووظيفتها وعلاقتها مع الفنون والعلوم الأخرى تضاف لمدلولات ومعانى الاصطلاحات السابقة مدلولات ومعان جديدة؛ وعندما يقف مجال هذا التوسع فى ذروته ـ ولكل شىء حدود ـ يظهر البديل الموضوعى، فهو إما اصطلاح جديد لمدلولات ومعان قديمة، أو اصطلاح قديم لمدلولات ومعان جديدة.

● عازف هندى متجول يعزف على الربابه



ولو عدنا الى سبعينيات القرن الثامن عشر - والى سنة ١٧٧٢م على وجه التحديد - لوجدنا الباحث الفولكلورى الألمانى (يوهان جوتفريد فون هردر - ١٧٤٤-١٨٠٤م) عندما استعمل اصطلاح (**فولكسليد**): وهى كلمة المانية مركبة من كلمة (**فولكس**) أى شعب، وكلمة (ليد) أى أغنية كان يتحدث عن ثلاثة معان أو أنواع من الأغنية الالمانية المتداولة فى عصره فكان يتحدث عن (**الأغنية الشعبية**) كما كان يتحدث عن (**أغانى الوطن**) أو (**أغانى الشعب**) فالمصطلحات الثلاثة هذه كانت تعنى عنده الشىء نفسه.

وعندما شاع اصطلاح (**الأغنية الشعبية**) كمقابل عربى لاصطلاح (فولكسليد) أو عندما انتشرت ترجمات اصطلاح الباحث (هردر) إلى اللغات الأوربية والعالمية المختلفة لم يكن مدلول الاصطلاح هذا متشابهاً أيضاً ولا غرابة فيما حصل ما دام الاتفاق لما يحصل بعد حول ما هو (**شعبى**) وما هو (**غير شعبى**) وأى الأغانى تعتبر شعبية؟ وما هى مواصفاتها؟ وهل يشترط أن تكون نتيجة إبداع جماعى فقط أو إبداع فردى تستسيغه الجماعة؟ وما هو الموقف من الالحان المدونة الأقدم، أو الالحان القديمة التى تغيرت نصوصها أو تنوعت جملها ومساراتها اللحنية؟ وأى الأشكال والأنواع الموسيقية الغنائية، أو الموسيقية الراقصة، أو الغنائية الراقصة المنتشرة فى الريف والقرية والمدينة - تبعا للبيئات المختلفة - تعتبر شعبية؟ وبأى دليل أو برهان نحجب هذه الصفة عن الأشكال والأنواع الأخرى؟ وهل التسمية المطلقة على بعض الأغانى بأنها شعبية نابعة من بعد اجتماعى ام من بعد موسيقى لكونها تحمل مميزات نغمية ولونية وديناميكية خاصة؟ فالتساؤلات كثيرة حقاً والاجابة عليها بحاجة الى المزيد من البحث.

ولو تناولنا اصطلاحاً آخر لتوضيح هذا الامر فسنجد ان ما حصل مع اصطلاح الباحث (هردر) قد حصل فيما بعد أيضاً مع اصطلاح الباحث الانكليزى (**وليم جون تومز**) الذى استعمل اصطلاح (**فولكلور**) فى أربعينيات القرن التاسع عشر - وفى سنة ١٨٤٦م على وجه التحديد - فكلمة (**فولك**) هى ككلمة (**فولكس**) الألمانية وتعنى الشعب.

اما كلمة (لور) الانكليزية فإنها متعددة المعانى، إذ وجدناها تعنى مدلولات: (**علم**) و(**حكمة**) و(**معرفة تقليدية**) و(**معرفة مكتسبة عن طريق الدرس والخبرة**) و(**معتقد تقليدى**) و(**مجموعة من المعارف أو التقاليد**) عند بحثنا عن معناها فى قواميس اللغة اما فى واقع الممارسة والتطبيق فقد تعددت معانيها الى جميع محاور الارث الحضارى الصوتية والمادية والقولية.

وهكذا نجد ان ما أتى به الباحث (**وليم جون تومز**) من اصطلاح ودلالة ومعنى - وبعد حوالى سبعين عاماً على ما أتى به الأديب الفيلسوف (**يوهان جوتفريد فون هردر**) - كان اكثر سعة وشمولية فيما يعنيه، وهذا مما ساعد على إدخال أنواع مختلفة من الارث الحضارى الشفهى والمدون تحت لوائه، ولعلنا بسبب هذه الشمولية نفسر أيضاً سبب التعلق باصطلاح الفولكلور فى مناطق شتى من العالم الى يومنا هذا.

لقد اخذت تظهر تدريجيا بعد شيوع اصطلاح الفولكلور تفسيرات عديدة له وتصنيفات للمواضيع والمواد والأفكار والابتكارات وشتى أنواع الابداع الانسانى التى توارثناها بهذه الطريقة أو تلك من الأجيال السابقة، والتى اهتمت بها جمعاً وبحثاً ودراسة، ويمكننا اليوم وبعد قرن ونصف تقريباً على استعماله الاطلاع على عدة تعاريف له وضعت من قبل طليعة المتخصصين العرب ومجموعة خيرة من المتخصصين الأجانب.

وبسبب التنوع الذى ظهر لمعنى الاصطلاح وما يشمله وللأهمية المتزايدة الملقاة على مدلولاته ومعانيه ولدور مواده فى الانبثاق الحضارى الجديد المعاصر لمختلف شعوب العالم، انشغلت مؤسسات تخصصية وطنية وإقليمية ودولية أيضاً بموضوع تحديد مفهوم الفولكلور فعقدت المؤتمرات الأولية بعد سلسلة الحلقات الدراسية والندوات فى شتى بقاع العالم لتدارس أمر تصنيف مواده التى باتت علماً من العلوم الانسانية المعاصرة، ومن تلك المؤتمرات نذكر على سبيل المثال مؤتمر (أرنهايم) المنعقد عام ١٩٥٥م وتصنيفه الرباعى المعروف.

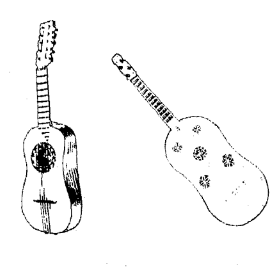
إن تقسيمات مادة علم الفولكلور حسب مؤتمر (أرنهايم) هى:

● الأدب الشعبى، العادات والتقاليد الشعبية، المعتقدات والمعارف الشعبية، الفنون الشعبية والثقافة المادية، ومع الوقت أضيفت فنون ومواد أخرى الى الفروع أو الأقسام الأربعة الأساسية لما اتفق عليه فى (أرنهايم) أو دمجت بعض الأقسام واستقلت أخرى، فبعضهم يضيف فنون المحاكاة الى الأدب الشعبى، أو يفصل الفنون الشعبية (أى فنون الغناء والموسيقى والرقص الشعبى) عن الثقافة المادية (أى الحرف والصناعات والأزياء والعمارة الشعبية وغير ذلك) وبعضهم الآخر يدمج العادات والتقاليد الشعبية مع المعتقدات والمعارف الشعبية ويضيف إليها الطب الشعبى، كإضافة الألعاب الشعبية الى الفنون الشعبية أى الى الغناء والموسيقى والرقص الشعبى.

● ولا يعود سبب الاضافة أو الدمج الذى حصل فى محاور تصنيف علم الفولكلور الى ترجيح هذا المحور على ذاك أو تقليل اهمية هذه المادة الفولكلورية على تلك، ولكن إلى تخصص الباحث المنظر لهذا العلم - الحديث نسبياً - وزاوية الرؤية التى يعالج بها الموضوع برمته، إضافة الى الأهداف القريبة والبعيدة المتوخاة من كل تقسيم.

● لقد اعتمد مركزالتراث الشعبى لدول الخليج العربية التقسيم الأساسى لمادة الفولكلور كما ورد فى مؤتمر (أرنهايم) قبل ثلاثين عاما مع كل الاضافات الممكنة التى تلائم جمع وتوثيق وبحث الارث الحضارى الشعبى لمنطقة الخليج والجزيرة العربية، والتى وردت فى توصيات ندواته الفولكورية الأربع المنعقدة ما بين ١٩٨٤/١١/٤م و١٩٨٥/٢/٦م. وأسماء هذه الوحدات الفنية الأربع وفق آخر تسميات لها هى:

«وحدة الأدب الشعبى، وحدة الثقافة المادية، وحدة العادات والتقاليد، وحدة الموسيقى والرقص الشعبى».



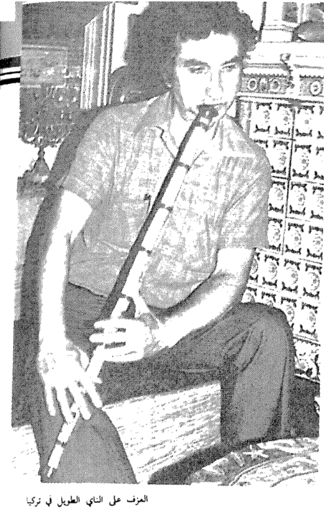
■ فهويلا من القرن ١٦

جيتارا إيطالية رخيمة من القرن ١٦

وبتأثير من الدعوات المتتالية التى نادى بها بعض المتخصصين الغيارى على الارث الحضارى الشعبى أولا، واستجابة للنداءات الجماعية التى اخذت تتعالى بعد كل حلقة دراسية وندوة ثانياً، ونتيجة للضغط الذى مارسته الدول التى نالت استقلالها وانتمت الى منظمة الأمم المتحدة بعد تأسيسها عام ١٩٤٥م ثالثاً، ـ كان عدد الدول المشاركة عند التأسيس ٥١ دولة وتضم اليوم الى عضويتها ١٥٩ دولة ـ شرعت مختلف القوانين الهادفة لحماية الفولكلور وصونه؛ ولأجل تطبيق تلك القوانين الدولية كان لابد من تحديد دقيق لكلمة الفولكلور أيضاً إضافة لمعرفة معانيه ودلالاته وإلا احتار الحكام فى تطبيق بنود القانون.

ولهذا عقدت لجان تخصصية وأجريت استبيانات على نطاق الدول المختلفة للوصول الى كل ما هو مطلوب، وكان آخرها ما قامت به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـ لجنة الخبراء الحكوميين الثانية المختصة بصون الفولكلور ـ حيث انجزت دراسة (على شكل استبيان خاص بحماية الفولكلور) أجريت فى سبعين دولة من دول الأعضاء، وقد ورد فى هذه الدراسة ضمن ما ورد تحديد لكلمة الفولكلور يتصف بالشمولية لكل ما سيشمله التشريع الخاص بصون الفولكلور. فذكر فى الصفحة الاولى من وثيقة اللجنة الصادرة فى مطلع عام ١٩٨٥م بأن:

«الفولكلور هو إبداع نابع من جماعة وقائم على التقاليد تعبّر عنه جماعة أو أفراد معترف بهم يصورون تطلعات المجتمع وذلك بوصفه تعبيراً عن الذاتية الثقافية والاجتماعية لذلك المجتمع، وتتناقل معاييره وقيمه شفهياً، أو عن طريق المحاكاة، أو بغير ذلك من الطرق، وتضم اشكاله فيما تضم اللغة والأدب والموسيقى والرقص والالعاب والاساطير والطقوس والعادات والحرف والعمارة وغير ذلك من الفنون.



العزف على الناي الطويل في تركيا

وهكذا

وبعد هذا السرد الموجز السابق لبعض الاصطلاحات التى شاع استعمالها منذ عهد الباحث الألمانى (هردر) فى سبعينيات القرن الثامن عشر، وما استعرضته حول معانيها ودلالاتها الذاتية أو الجماعية أو الدولية أجد من الأنسب أن احدد مفهوم الاصطلاحين (التراث الموسيقى) و(الموروث الموسيقى) بالشكل الذى يسهل على إيصال مادة هذا النص للقارىء ويبعدنى عن أى التباس قد يحصل، ولا أجد نفسى بحاجة لتذكير القارىء بما أوردته حول مبررات استعمال هذين الاصطلاحين فى بداية هذا النص.

فالمقصود باصطلاح (التراث الموسيقى) كل ذلك الذى حفظ لنا حول الارث الحضارى الموسيقى مدوناً ـ ويشمل هذا الارث الغنائى والرقص طبعاً ـ ونتج عن جهد إبداعى منهجى ذهنى، وابتكر بتوافق مع معطيات العصر الذى ظهر فيه، واختزنت فيه مختلف المسارات اللحنية والايقاعية والظواهر الصوتية الطبيعية والحياتية المتداولة بشكل إرادى شعورى أو غير إرادى لا شعورى.

اما (الموروث الموسيقى) الذى هو جزء من الارث الحضارى الموسيقى ويختلف حجمه باختلاف الارث الفنى ذاته، فاقصد من وراء استعماله فى هذا النص الاشارة الى تلك الفنون الغنائية والموسيقية والراقصة التى توارثناها من خلال الملاحظة والمشاهدة والاستماع، والتى هى ذات طابع جماعى ويعرف مادتها الغنائية الموسيقية (الغناسيقية) والموسيقية اللغوية (الموسلغوية) والحركية التعبيرية الراقصة، الجميع الذين يستطيعون المشاركة فى أدائها تلقائياً.

كما أشير بهذا الاصطلاح الى الفنون الموسيقية الغنائية الراقصة المجهولة المؤلف والتى تتنوع عناصرها اللغوية واللحنية والايقاعية والحركية خلال كل أداء جديد من جراء حذف أو إضافة ما، ومما يجعلها لا تتطابق مع ما سبق أو مع ما سيأتى فى التفاصيل ومع المحافظة على الخصائص الجوهرية لجميع عناصرها الرئيسة.

ولا بدّ من التأكيد هنا ـ وأنا اجزىء الارث الحضارى الموسيقى الى جزأين، وكأنى اتحدث عن سقف الارث وأرضه أو اتحدث عن النسغ النازل والنسغ الصاعد لديناميكية حركة الارث الحضارى ـ أن اقول بأن ما يبتكر ويدون من فن موسيقى هو تراثنا المعاصر الذى سيضاف للتراث الموسيقى المدون الماضى، والذى سيتحول بعضه موروثاً موسيقياً للأجيال القادمة، كما أصبح الكثير من التراث الموسيقى الماضى موروثاً لنا. وسيبقى الكثير من تراثنا الموسيقى المعاصر لا يصلح للتداول من قبل أجيال النصف الثانى من القرن الواحد والعشرين، وذلك كما أصبح الكثير من التراث الموسيقى للقرن الماضى لا يصلح للتداول فى عصرنا.

وهنا التحديد لمفهوم الاصطلاحين لا اتناسى التأثير المتبادل بين مادتيهما الفنية، أى بين ما جاء نتيجة لابتكار فردى وجهد إبداعى منهجى مقنن وبين ما يصدر تلقائيا وعفويا من الجماعة بل اؤكد ضرورة وحتمية حدوثه وسأتطرق لذلك فى أكثر من موقع من هذا النص.

لقد أصبح موضوع ايضاح الخواص الفنية للعصر الذى انجز فيه او تداول الناس فيه أى عمل موسيقى، وإدراك أشكاله الموسيقية مجردة كانت (أى موسيقية بحتة) أو مرتبطة بنص وحركة معاً، امرا أكثر سهولة ويسراً وذلك نتيجة لما انجز من بحوث ودراسات فى مجال التراث والموروث الموسيقى العالمى المعاصر، وبالأخص ما تم فى هذا المجال منذ مطلع القرن الماضى ـ ولا تزال الدراسات والبحوث تتابع كل يوم ـ والى جوار معرفة الخواص الفنية للعصر الذى ينتمى إليه العمل الموسيقى الفنى أو أشكاله الموسيقية يمكن ايضاً تحديد مراحل تصور عناصره الاساسية والمنهج الفنى الذى ينتسب اليه ومميزاته وخصائصه وملامحه ضمن سياق التطور العام لمسيرة لغة الفن الموسيقية.

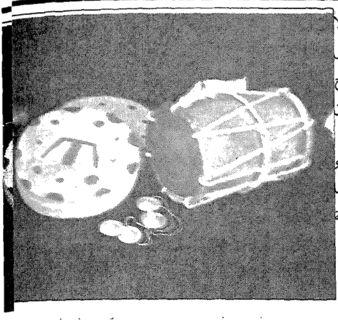
وتبعا لما حفظ مدوناً أو تنوقل شفاهاً وانطلاقا من مساهمة هذا الشعب أو ذاك وحجم انجازاته ضمن مسيرة الخط التطورى الموسيقى العام يمكننا تقسيم التراث والموروث الموسيقى العالمى الى ثلاثة مستويات اساسية، وهذه كما يأتى:

المستوى الأول: هو ذلك الموروث الموسيقى الخاص بالأجناس العرقية والجماعات والقبائل والشعوب التى عاشت بمعزل عن التأثير الحضارى الانسانى، وربما لا يزال بعضها يعيش بالمستوى الذى كان عليه فى السابق.

ولا نجد فى المستوى الأول من الموروث الموسيقى تراثاً مدوناً يعكس حالة متقدمة حضاريا فى عصر من العصور السابقة فالظواهر الفنية الموسيقية غناء كانت أم رقصاً ـ

إضافة للعزف بأساليبه المختلفة ـ هى فى حدودها الدنيا ولا تزال تبتكر وتؤدى تلقائيا وعفويا ولهذا السبب أطلق بعضهم اصطلاح الموسيقى البدائية أو الفطرية على نتائج هذا المستوى الذى تذوب فيه شخصية المبتكر ضمن عملية الخلق الجماعى.

فلا وجود لكلمة (أنا) التى يطلقها الفنان المبتكر أو المؤدى فى المستويين الآخرين الاكثر تطوراً بل حل محلها كلمة (نحن) التى تعنى الجماعة المبتكرة والمؤدية والمستهلكة فى وقت واحد.



المستوى الثانى: يشمل موروث وتراث الشعوب والأمم التى ساهمت بدور رائد وبارز فى الحياة الثقافية والفنية والعلمية ومختلف جوانب الحضارة الأخرى ضمن المسيرة الانسانية. وكانت حضارتها تمثل إحدى ذروات تلك المسيرة الطويلة فى عصر من العصور المتعاقبة.

فلهذه الشعوب موروثها الموسيقى المميز الخصائص والسمات، كما لها فى ذات الوقت تراثها الموسيقى الفنى المنهجى الذى حفظ لها مدوناً وانعكست جوانب عديدة منه على نظرية موروثها الموسيقى المتناقل شفاهاً.

أن الشعوب التى يقع تراثها وموروثها الموسيقى تحت هذا التقسيم لها قيمها الجمالية الخاصة بها، وتنفرد بخصائص حسية وذوقية فريدة، ولفنونها مواصفات ليس بالامكان إدراكها واستهلاكها وتقبلها بدون استيعاب مختلف جوانب حضارتها السابقة وقيمها الفلسفية والروحية والمادية.

ولقد تبلور نتاج هذه الشعوب الموسيقى بأشكال وقوالب وانماط وصيغ تعددت اساليب أدائها من خلال مختلف الآلات الموسيقية الايقاعية الجلدية (الممبرافونية) والهوائية الخشبية أو النحاسية (الأيروفونية) والوترية (الكوردوفونية) والمصوتة (الأيديوفونية).

وتبرز فى المستوى الثانى ملامح شخصية الفنان الموسيقى مبتكراً كان أم مؤدياً ووفق مختلف أشكال الابتكار والأداء المبدع فى مجال الموسيقى والغناء والرقص، وبحيث يتمكن هذا الفنان من استقطاب ابرز ملامح وخواص عملية التعاطف الجماعى، فهو لسان حال الجماعة المعبر عن آمالها وأحاسيسها وآلامها ومعاناتها: والى جوار ذلك تبرز أيضا ملامح الغناء أو الانشاد أو الترتيل الجماعى المحكم لحناً وإيقاعاً ونصا، والمتأتى من خبرة ذهنية فردية يعكسها منهج واضح كيفت طاقاتها الى إمكانات الجماعة المؤدية محترفة كانت أو هاوية.

المستوى الثالث لهذا التقسيم: هو تراث وموروث الشعوب والأمم التى لم ينقطع بعد اتصالها بنتائج القرون الماضية الأخيرة الموسيقى الفنى ولنقل منذ عصر النهضة (الرنساس) فتراث هذه الشعوب الوثيق الارتباط بإنجازات مسيرة الفن الموسيقى المنهجى العالمى لا يزال خصباً، وعطاؤه المتجدد مستمر من خلال العديد من المؤلفين الموسيقيين الرواد الذين أنجبتهم حركة التعليم الموسيقى والحياة الثقافية المتقدمة.

إن الموروث الموسيقى لشعوب المستوى الثالث متطور العناصر ولم ينقطع تفاعله مع ما يبتكر من فن موسيقى جديد داخل أوطانها أو فى المراكز الموسيقية العالمية التى تقع خارجها. فهو متجدد الصفات والملامح وفقاً لتأثيرات المدارس الفنية المتعاقبة، ويؤثر ويتأثر بها وفق حركة

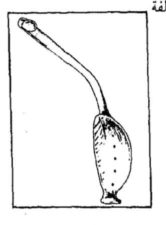
وفى الوقت الذى تتقوقع الشعوب المنتسبة للمستوى الثانى على موروثها الفنى وتنكمش على تراثهـا المبتكـر منهجيـاً ونجـد الشعـوب المنتسبـة للمستوى الأول ـ وقد انحسر عددها الى أضيق الحـدود فى هذا القـرن ـ تعـيش مرحـلة الـتطـور الـتلقـائى والعفـوى لموروثهـا المـوسيقى فقط، اقـتربت الشعـوب المنتسبة للمستوى الثالث أو باتت اقرب ما تكون لذلك اليـوم الـذى سوف تتوقف فيه ينابيع وروافد موروثها الموسيقى من التدفق بالاطار التلقائى العفوى الغريزى وقد جفت بعض تلك اليـنـابيـع والروافد التلقائية فعلاً.

■■ فمـع انتشار التعليم وارتفاع المستوى الثقافى العام انحسرت التلقائية والعفوية والدوافع الفطرية الغريزية فى التعبـير الجماعى أو الفردى الى أضيق حدودها الممكنة، وسـاد مذهـب تغليب العقـل على الحس والـذهن على العاطفة فى التعبير والسلوك والتصرف وفق التزام جماعى داخلى بأداء موروث موسيقى روحى أو دنيوى اكتسب من خلال مناهج تعليمية مختلفة ومتداخلة.

ومن المـلاحـظ أن المستـويـات الـثـلاثة لمادة التراث والمـوروث قد كانت حدودهـا الفـاصلة أكثر وضوحاً فى القرنين الماضيين مقارنة بما هى عليه فى هذا القرن وذلك بسبب عوامل التغير والتبدل التى طرأت عليها كتحصيل حاصـل للاحتكاك الثقافى والازدهار الحضارى العالمى، إلا أن هذا التغير أو التبدل، ومهما كانت كميته، فى مجال تداخـل المستويات لم يستطع إزالة تلك الحدود الفاصلة المشخصـة بينهـا قيـاسـاً لما حصل فى المجالات العلمية وأساليب استعمال التقنيات والمعدات والأجهزة المستخدمة فيها.

■■ فوجود المؤسسات العلمية التخصصية، والتعليمية، والإدارية، ومؤسسات الخدمات الصحية، والمعامل والمصـانـع والمـزارع فى أقطار الشعوب التابعة للمستوى الأول والثـانى فى هذا العصر، وتطبيق أحدث التقنيات العالمية فيها، وتشغيل أعقد الأجهزة والمعدات والمكائن من قبل أبناء الوطن المؤهلين علميًّا، لا يعنى بالضرورة أنهم أيضـاً فى ذات المستوى فنيا (وموسيقيا) من حيث الوعى الثقـافى والتجـاوب والادراك والاستهلاك الفنى، فهناك تفـاوت ملحـوظ لديهم من حيث الاكتسـاب العلمى والتقنى الـذى اكتسبـوه خلال مراحل الدراسة المختلفة والاكتساب الثقافى الفنى الذى اكتسبوه من البيئة والمجتمع والعائلة، وما ينطبق على فنون الموسيقى والغناء والرقص قد ينطبق فى أحيان كثيرة على الفنون التعبيرية الأخرى.

الأعمال الفنية الموسيقية المبتكرة للآلات الموسيقية والصـوت البشـرى وتعبيره الحركى، مهما كانت أشكالها ومضامينها ومجاميعها وأساليب أدائها هى امتداد لتراث الجماعة المدون وموروثها الشفهى، وإن كان اصطلاح (الموروث الشفهى الموسيقى) يعنى كل ذلـك الـذى تنـاقـل إلينا من الأجيال السـابقة حاملا بين طياته أغلب خواص التراث المـدون، فإن (تـراث الجـماعة) ـ وبالتالى تراث الشعوب والأمم ـ يعنى كل ذلك الذى حفظ لنا مدونـاً من الأفكـار والانجـازات الفنيـة التى تعاقبت، أو ممثليها من الفنانين البارزين كأسماء شاخصة تبلورت حولها قيم العصر الفنية المختلفة



آلة وترية مصرية قديمة

فكل انتاج فني أصيل لابد له من الاعتماد على الخصائص الايجابية للتراث والموروث في انسجام وتوافق مبتكر، وهذا الأمر ليس بجديد بل هو ما كان حاصلاً فعلاً، ومنذ قرنين تقريبا، فكانت بداياته ظهور تلك المؤلفات الموسيقية في أقطار وسط وغربي أوروبا، ومن ثم في شرقها، وبعد عهود قليلة انتشر هذا الأسلوب الموسيقى في التأليف إلى مختلف اقطار العالم الأخرى، ومنها: أقطار الوطن العربي.

وإن كان الأمر بهذا الاعتماد والصلة بين التراث والموروث الموسيقى وبالأخص عند شعوب المستوى الثانى، فهناك أيضاً مؤلفات موسيقية مبتكرة للأوركسترا والأوبرا والباليه، ومختلف أنواع الموسيقى الآلية والغنائية والراقصة التعبيرية لا تعتمد على الموروث الموسيقى الشعبى بقدر اعتمادها على آخر ما توصلت إليه مسيرة التراث الموسيقى المحلى والعالمى، فهى تتصل بذروة إنجازات الخط المنهجى الموسيقى المبتكر من قبل سلسلة المؤلفين الموسيقيين الطليعيين الذين تتابعوا فى الألف سنة الأخيرة من حركة التاريخ الحضارى.

وتلاحظ مثل هذه الأعمال (أى المؤلفات والانتاجات الموسيقية) بشكل خاص عند نوابغ المراكز الموسيقية فى الاقطار التى تصنف ضمن نطاق المستوى الثالث والذين أصبحت الفنون الموسيقية لديهم لغة تعبيرية مستقلة تجاوزت مادتها الصوتية ومضامينها الجمالية والفلسفية الحدود الوطنية والقومية التى كانت الشغل الشاغل لفنانى ومبدعى القرن الماضى من فنانى المدرسة الرومانتيكية والرومانتيكية الجديدة وغير ذلك.

ليس من الممكن اليوم إدراك التراث والموروث الموسيقى للشعوب والأمم المختلفة وتفهمها بطريقة واحدة أو بأسلوب منهجى محدد. فالتراث الموسيقى العالمى يمكن أن يقرأ أو يدرس. ومؤسساته التعليمية لمختلف المراحل الدراسية قد شيدت منذ عصور الحضارة العربية الاسلامية، وبالتأكيد قبل ذلك بكثير بينما تفهم الموروث الموسيقى وإدراك عناصره وخصائصه ومميزاته، وبالأخص الموروث الموسيقى لشعوب المستوى الثانى والأول لا يزال بحاجة الى المزيد من الجهد العلمى المثابر. وإن سبب هذه الحاجة الى العمل الاكاديمى التخصصى فى زمن منظور قادم نابع من كون الموروث الموسيقى لهذا الشعب أو ذاك، لهذه القبيلة أو تلك الجماعة، لما يجمع بعد بالشكل المطلوب فكيف إذن نستطيع الحديث عن خصائصه ومميزاته وعناصره الأساسية، وأجواء أدائه واستهلاكه ضمن سياق الأنشطة الاجتماعية المختلفة؟ وهنا يدخل موضوع دوافع الابتكار ومبرراته، ومسببات الانكماش والازدهار. وجميع هذا الموروث لا يستغنى عن المراحل التى تعقب مرحلة الجمع الميدانى كعمليات التوثيق والبحث والدراسة والدراسة المقارنة المنهجية المتخصصة.

● ومع ذلك ومن منطلق الشمولية فى النظرة، واستناداً الى ما أنجز حتى الآن فى نطاق علم الفولكلور وتداخلاته مع العلوم الأخرى، وتطبيقاته الميدانية فى حقل الفنون الموسيقية يمكننا أن نتناول ونستعرض بإيجاز بعض ما له علاقة بخصائص عناصر الارث الفنى وسماته الفنية كمداخل أو مؤشرات أساسية لها الأسبقية فى مساعدتنا على استكشاف دلالات وخواص الموروث والتراث الموسيقى ومعرفته بشكل أفضل، وتحديد مكانته ضمن تتابع مراحل حركة تطور الارث الحضارى.

● ومن هذه المداخل أو المؤشرات التى نأخذها بنظر الاعتبار ولها الصدارة هو ما له علاقة بموضوع الطابع الصوتى والطابع الحركى للارث الفنى فالطابع الصوتى هو لون النغمة أو الحرف الموسيقى أو الدرجة الصوتية.. الخ.. وليس هو عدد ذبذباتها المقاس ترددها فى الثانية الواحدة أو مدة استمراريتها النسبية، وليس هو درجة قوة حدوثها مقاسة بالديسى بيل أيضاً.

والانســـان قبـل أن يتعـرف إلى ارتفـاع رنـين النغمـة وطـولها وقوتها يتعـرف الى لونهـا بالفطـرة. ولوجود إمكانية التعرف الفطرية هذه تتعرف صغـار الكـائنات الحية الى امهاتها، ونحن نتعـرف الى الطـابـع الصوتي لكـلام أو إلقاء أو إنشاد أو غناء من نتربى بين احضـانهم بفطـرتنا أيضاً، وعلى هذه الـتربيـة تبنى اسس قيمنا الجمالية الصوتية.

● إن الطابع الصوتي الذى يصدر عن أى وسيط بشرى أو حيوانى أو طبيعى أو آلى هو بالنسبة الى الغناء والعزف وكذلك الكلام والإلقاء والانشاد كاللون فى فنون التصميم والزخرفة والرسم والخط والموزايك والسراميك. فالزخرف الواحد يمكن أن يلون بما لا نهاية من الالوان ومع كل تغيير لونى يتغـير تأثيره على الناظر أيضا. وهذا ما يمكن أن يحصل مع أى نغمات أو تونات تكون لنا مساراً لحنيا ما. وكما أن التنوع اللونى للشكل أو الجسم الواحد ـ ولنقل التنوع اللونى لزهرة أو ثمرة ما، أو حتى لصخرة أو حجر ـ يثير فينا مختلف الاحساسات الفطرية والغريزية كذلك تغير الطابع الصوتى لمقطع لغوى معين أو مسار لحنى ما يولد فينا الشيء ذاته.

● ولأجل معرفة أشمل بموضوع الطابع الصوتى نشير الى دوره أيضـاً فى مساعدتنا على إدراك الفروق اللونية بين المسارات الصوتية الحية والطبيعية والآلية التى تحيط بنا فى البيت والمجتمع والبيئة التى نحيا فيها، والتى تجعلنا نتفهم بعمق الجانب التعبيرى لمضمون ما ينبعث من حولنا من أصوات طبيعية وحية ومبتكرة فنية، وذلك فى لحظة سماعها لأول مرة أو عند تكرار عملية الاستماع اليها.

● ولا تقل اهمية الطابع الحركى عن الطابع الصوتى فى إدراك النـاحيـة التعبيرية لمحتوى ما نصدره من أصوات وأنغام ونداءات، ولعل من المؤكد أن الحركة التعبيرية ذات الطـابـع المميز قد سبقت التفاهم والتخاطب من خلال الكلمـة. والحركة التعبيرية استعملت ولا تزال تستعمل كوسيلة هامة فى وسائل ايصال الافكار بين الناس انفسهم فى مجتمع ما أو بين الناس والكائنات الحية الاخرى. والمثل العربى يقول: الحر تكفيه الاشارة. والاشارة هذه ـ التى هى فى الأصل تكوين تشكيلى ـ قد تكون متشنجة عنيفة أو انسيـابيـة هادئة، سريعة او بطيئة حادة قاسية أو لينة رجيمة وغير ذلك من الصفات التى جميعها تحدد لنا طابعها الحركى العام مع المحافظة على تكوينها التشكيلى الأساسى.

■■ إن لكـل شعب من الشعوب وجماعة من الجماعات طابعاً لحنيا تعبر بواسطته وتعكس من خلاله جزءا اساسيا من مسيرتها الحضارية وإن هذا الطابع اللحنى والحركى الغنـائى أو الموسيقى او الراقص يتنوع عند التجمعات العـرقيـة والقبـائـل والعشـائر والمجتمعات المختلفة تبعا لتأثـيرات فسيـولـوجيـة ونفسيـة وفلسفية ولغوية ومناخية وجغرافية واقتصادية وروحية وغير ذلك.

وهكذا بات الطابع اللحنى لما يستخرجه الانسان من جهازه الصوتى أو آلاته الموسيقية والطابع الحركى لما يقوم به من تعبـير حركى يعـبر عن كيـانه وكيان الجماعة التى ينتسب إليهـا، لكـونهـما انعكـاساً صوتيا منظما ومنسقاً، وحركيا متجانساً مع اسلوب الحياة اليومى خلال ساعات العمـل والـراحـة. ومنـاخـات أداء ذلـك الجهد ضمن الممارسـات التى تؤدى فى أوقـات التـوتـر والانفعـال أو الاسترخاء والانبساط.

■■ إن الطابعين الصوتى والحركى يتغيران مع تغير طرق المعايشة وأساليب التعايش مع الحياة والطبيعة ضمن بيئة محددة.. فالتطـور أو التـدهـور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى، وكل تبدل آخر ضمن مجمل حركة الحياة له تأثيره تلقـائيا على تغير نفسية الانسان وفلسفته وفكره وسلوكه وبالتالى على الجماعة التى ينتمى إليها والمجتمع ككل، ونتيجـة لهذا التغير يتبدل الطابع الصوتى والحركى أيضاً لكـونهـما نتـاجاً طبيعيا لمجموع ما يصدر عنه من أفعال وممارسات ونشاطات.

تعرف الطابع اللحنى للموروث الموسيقى بواسطة نوعية الأداء الغنائى منفردا كان ام جماعيا نسائيا كان أم رجاليا، وكذلك بواسطة نوعية الأداء الألى الناتج من العزف المنفرد أو الجماعى لمختلف الآلات الموسيقية المحلية أو العالمية. فلكل جهاز صوتى بشرى (ويقال كل حنجرة أيضا) أو آلة موسيقية طابعها الصوتى، أى لونها الموسيقى المميز الخاص بها والمتأتى من مجموع لون المسارات النغمية المستخرجة منها، أو لون التونات (الطبقات) التى تصدر منها إذا أردنا أن نكون أكثر دقة فى التعبير. وأرجو ألا ننسى بأن تلك التونات المستخرجة من الآلات الموسيقية أو الأجهزة الصوتية المختلفة من حيث الطبقة، وإن تشابهت ترددات موجاتها الصوتية، ومدة الاستمرارية فى زمن محدد، أى فى أوزانها، فإنها تبقى متباينة فى لونها الصوتى، وعن طريق هذا التباين ومهما كان طفيفاً تتحدد شخصيتها المميزة ونستطيع بالتالى أن نميز هذه النغمة أو هذا المسار النغمى عن غيره.

فاللون الموسيقى أو الطابع الصوتى هنا هو بمثابة العلامة المسجلة الدالة على مصدره. وإن لم تكن هذه الخاصية فى عالم الأصوات لما استطعنا أن نميز أصوات الناس بعضها عن بعض أو نميز انغام الآلات الموسيقية وتكويناتها عن بعض، وكذلك جميع الأصوات الطبيعية والحية والآلية التى تصدر من حولنا يومياً. وميزة اختلاف الطابع الصوتى بين آلة موسيقية وأخرى، أو بين مغن وآخر هى انها تترك فينا كمستمعين تأثيرات غير متشابهة، ولهذا السبب يختلف مقدار تجاوبنا مع مغنيتين تنشدان اغنية واحدة، أو آلتين موسيقيتين تعزفان لحناً واحداً أو جملة موسيقية قصيرة واحدة.

نوعان من الأبوا (التي على اليمين من القرن ١٨) (التي على اليسار من القرن ١٩)

إن معرفة نص الغناء أو الالقاء أو الحديث يجعلنا نفهم محتواه.. بينما طابعه الصوتى يجعلنا ندرك مصدره. والعلاقة بين المحتوى والطابع، أو بين اللون والشكل، يعرف التعامل معها جيداً الفنانون مبدعو الأعمال الفنية لترك أعمق الأثر الممكن على مدارك السامع المتلقى المستهلك، سواء أكان هذا فى عالم المسرح والسينما والتلفزيون والاذاعة أم كان هذا فى عالم الغناء والأوبريت والأوبرا والأوركسترا وموسيقى الآلات المختلفة المجاميع.

ولو أردنا بإيجاز استرجاع مكانة الطابع الصوتى وأهميته عند التأليف وأداء مؤلفات التراث الموسيقى العالمى ـ ونقصد بذلك التراث الموسيقى المبتكر المنهجى الطابع وفق التقسيم المطروح فى هذا البحث ـ للاحظنا تأخر بروز هذه المكانة وقلّة أهميته نسبيا ضمن الخط الموسيقى التصورى العام قياساً بالأهمية التى اعطيت لعناصر الإيقاع واللحن والحركة التعبيرية والنص اللغوى.

فالمؤلفون الموسيقيون قبل عصر باروك، أى قبل عصر كوررللى وفيفالدى وسكارلاتى وباخ وهندل الذى انتهى سنة ١٧٥٠م تقريباً:

«لم يكن يتوافر لديهم الحس المرهف بالنسبة للطابع الصوتى للآلات الموسيقية» «ولم يهتموا بأن نعزف موسيقاهم ذات التوزيعات الأربعة مثلا أربع من الآلات الوترية أو أربع من آلات النفخ الخشبية» (كوبلاند: كيف تتذوق الموسيقى، ص١١٠). فاستخدم الطابع الصوتى فى التأليف الموسيقى كعنصر موسيقى أساسى تدريجيا، ولأجل تحقيق هذا الاستخدام بطريقة واعية كان لا بد من اختراع الآلة الموسيقية المناسبة لهذا الغرض ثم استكمال وتحسين لون مساراتها اللحنية ومجالها الصوتى من خلال تحسن المهارة الفنية لأساليب العزف عليها. وهذا ما لم يحصل فى السابق بل حصل فى عصر باروك والعصور الموسيقية الثلاثة التى تلته: ونعنى بذلك: الروكوكو والكلاسيكى والرومانتيكى، ففى هذه العصور الموسيقية الأربعة التى استمرت ثلاثة قرون تقريباً ـ من مطلع القرن السابع عشر للميلاد وحتى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد ـ اخترعت معظم الآلات الأوركسترالية المعروفة حاليا، وتكاملت صناعة ما كان يعرف منها قبل عصر باروك، كما تحسنت ألوان مساراتها اللحنية ومجالاتها الصوتية.

وفى عالم الغناء التعبيرى المنهجى (ويقال الأوبرالى) تبلورت المجالات الصوتية الرجالية والنسائية وحددت ألوانها بالشكل الذى تستنفد فيه كل الامكانات التعبيرية الممكن استخراجها من الجهاز الصوتى الانسانى وذلك للاستفادة منها فى فن الأوبرا الذى بدأت إنتاجاته تظهر فى مدن مثل روما ونابولى والبندقية فى عصر باروك أيضاً.

وبتأثير من العناية بالطابع الصوتى قام الفنانون المنهجيون بتجديد آلات موسيقية أو أصوات بشرية معينة لأداء الجمل اللحنية الرئيسة فى مؤلفاتهم الأوركسترالية والأوبرالية ولموسيقى العزف وغير ذلك. وبات من غير الممكن استبدال آلة موسيقية بأخرى أو صوت مغن أوبرالى بآخر، وحتى لو كان هذا الصوت أو هذه الآلة المستبدلة فى حدود النطاق الصوتى (المجال الصوتى) للآلة أو الصوت الأول، وهذا ما نلاحظه فى مؤلفات العصر الرومانتيكى على وجه الخصوص.

وعندما تلت الانطباعية الموسيقية كمذهب فنى وتيار فكرى عصر الرومانتيكية الموسيقية لم يكتف بذلك، أى عدم السماح باستبدال آلة موسيقية بأخرى أو صوت مغنٍ بآخر، أو استبدال مجموعة من الآلات بأخرى عند عزف المسارات اللحنية العمودية المجرى (الهارمونية) بل أخذ الموسيقيون الانطباعيون يسعون جادين لتحقيق أفكار الرسامين الانطباعيين التى تحققت بالفعل فى ثمانينيات القرن التاسع عشر.

ونتيجة لهذا المسعى أصبح اللون الموسيقى وقضية إبراز الطابع الموسيقى (الانطباع الصوتى؛ على غرار الانطباع اللونى) الشغل الشاغل لعباقرة المراكز الموسيقية العالمية. ومن يستمع مثلا الى المؤلفين الموسيقيين أمثال: ديبوسى

ورافيل وموسورسكى ونياجيك يجد لديهم تلك المهارة الفائقة فى استغلال أقصى الامكانات اللونية الممكنة للألات الموسيقية الأوركسترالية ولـلصـوت البشـرى التعبيـرى المنهجى (الأوبرالى) بمختلف الأساليب والطرق المتاحة .

في العصـور المـوسيقية التى سبقت عصر باروك ؛ أى ابتداء من العصر الرومانسكى وحتى عصر النهضة (الرنسانس) لم يكن التراث الموسيقى للمستوى الثالث من حيث مكانة الطابع الموسيقى فى التأليف والأداء مختلفا عن قيمته فى الموروث الموسيقى كثيراً . وفى هذه الخاصية الفنية يقترب كثيراً لمكانة الطـابع الصـوتى فى التراث والموروث الموسيقى حسب المستوى الثانى الذى تندرج حضارتنا الغنائية الموسيقية (الغناسيقية) والحركية تحت لوائه . ويعنى هذا القول إذا حاولنـا تفسـيره بكلمات أخـرى ، أن أى لحن غنـائى أو موسيقى أو راقص يمكن أن يعاد أداؤه بأى آلة موسيقية أخرى أو يغنيه أى مغن متمكن ومع ذلك يبقى التأثير غير مختلف فى جميع الحالات . فالمهم هنا هو المحافظة على البناء اللحنى والشكل الفنى والمسايرة الايقاعية والتتابع النغمى وعدم الخروج عن الوزن المقرر وغير ذلك .

وهذه الخصوصية الفنية لا تزال سارية المفعـول فى تراثنا ومـوروثنـا الموسيقى . فالأغنية الشعبية المتناقلة إلينا شفاهاً يمكن أن يغنيها الرجل والمرأة والصبى منفـردين أو مجتمعين على حد سواء ولا أحد يتساءل عن الطابع الصوتى وما حصل فيـه من تغيير فى حالة تبدله ، والامثلة كثـيرة جدا فى تراثنـا الموسيقى . والأمثلة كثيرة أيضا فى الأغنيـة الحـديثـة ، التى ندرجهـا تحت الـتراث المبتكر المعاصر فيمكن أن تؤديها عدة مطـربات أو مطربين ولا أحد يلاحظ الفرق الناتج فى الطابع الصوتى بين المؤدين المختلفين فى الوانهم الصوتية .

وإنْ تساءلنـا لماذا لا نعطى الطـابـع الصوتى الأهمية التى يستحقها فى تراثنا الموسيقى؟ فالجواب مرتبط بمدى حاجة المؤلف الى الطابع اللحنى كعنصر موسيقى تعبيرى فى عملية إيصال أفكـاره . ومـدى حاجة المستمع إليه فى عملية استيعاب القيم الفنية التى يختزنها العمل الموسيقى الفنى . فالمؤلف الموسيقى نفسـه لا يفكـر بالطـابـع الصوتى فى لحظات الابتكار الفنى ولا يدرى (واقصد هنا أغلبهم) بأن لكل آلة موسيقية أو صوت غنائى صفات وملامح وحدوداً لابد وأن تعتمد من قبله فى لحظات استلهام اللحن وتبلوره . وعندما يكون المؤلف الموسيقى أمام جملة لحنية يمكن عزفها بالـتسـاوى من مختـلف الآلات كالكـمان والـفـلوت والكـلارنيت وغير ذلك فعليه أن يعرف كيف يختار هذه الآلة أو تلك بحيث يعبر طابعها الصوتى عن المعنى الذى

لقرون عديدة كانت الموسيقى العسكرية بالغة الأهمية في الرصيد الموسيقي الرسمي أو التراث الموسيقي

يقصده، ولا يترك الأمر الى الصدفة أو أى عامل خارجى تحتمه لحظة الأداء أو التسجيل.

● إن حال الفنان الموسيقى الذى لا يدرك الطابع الصوتى كحال الشاعر الذى لا يفكر باللون الصوتى للقافية والمفردات التى يستعملها فى قصيدته، أو كحال الرسام الذى يهتم بالخطوط التفصيلية للوحة مقلداً مختلف الاشكال والأجسام والسطوح ومتناسبا دور العلاقة بين الألوان وظلالها فى التعبير عن مضمون اللوحة.

وبالطبع لا أريد أن يتصور القارىء بأن الطابع الصوتى غير موجود أو قليل الأهمية فى موروثنا الغنائى الموسيقى (الغناسيقى) وأن الفنان الشعبى أو الحس الفطرى الموسيقى الشعبى لم يلتفت إلى هذا الأمر الذى هو أحد مكوناته الأساسية كما اشرت إلى ذلك، ولكن العكس هو الصحيح حيث ساهم الفنان الشعبى وبالتدريج، وعبر تعاقب الأزمنة والدهور، فى بلورة الطابع الصوتى والحركى وذلك بتأثير مباشر من محيطه وبيئته ونمط حياته وأسلوب عيشه، وغير ذلك من التأثيرات الحسية والروحية والفسيولوجية والمادية الجماعية والتى عبر عنها بصدق وتلقائية.

● وإن كان التراث والموروث الموسيقى والغنائى يمكن تقسيمها استناداً إلى اختلاف الطابع الصوتى والحركى وتباينه الناتج من اختلاف الآلات الموسيقية والأصوات البشرية والحركية التعبيرية المستعملة والمتداولة وفق المستويات الثلاثة فيمكن تقسيمها أيضاً من زاوية تركيبها الموسيقى البحت، هذه الزاوية التى تمس طبيعة المادة الصوتية المستعملة فى تركيب الجمل الموسيقية والمسارات النغمية وبنائها.

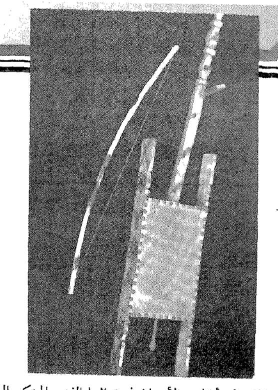
فكما يتكون الخط من عدة نقاط والحركة الراقصة من عدة خطوات وإشارات والكلمة أو الجملة المفيدة من عدة حروف والجسم الحى من عدة خلايا، كذلك الجمل الموسيقية المفيدة المعنى (أو المسار النغمى المتكامل لأى حديث أو إنشاد أو ترتيل أو عزف أو غناء) تتكون من عدة نوبات ـ وهنا كذلك أصوات أو درجات أو حروف أو نغمات كمرادفات لكلمة تونات.. وصحيح كذلك إذا قلنا بأن الجملة الموسيقية المفيدة تتكون من عدة أبعاد موسيقية أو مسافات صوتية لأن البعد الموسيقى الواحد، الذى يصطلح عليه بكلمة «إنترفال» فى اللغة الانكليزية، هو أصغر خلية موسيقية ذات شخصية نغمية مميزة. وذلك بغض النظر عن نوع المسافة الصوتية (أى البعد الموسيقى أو الانترفال) التى يحددها تونان متتاليان بمختلف الأشكال الممكنة، أى حركتهما نحو الأعلى أو الأسفل من حيث اختلاف الطبقة أو بتكرار التون نفسه مع عدم تغيير الطبقة.

وهنا نعود الى التشبيه السابق ونقول: إن النقطة اللونية أو الحرف الواحد فى أى لغة، أو الحركة الواحدة فى أى تعبير حركى، تبقى مجردة من المعنى ولا تتكامل دلالتها إلا بما يليها من حركة أخرى أو حرف آخر (حرف متحرك ـ حرف علة) أو نقطة لونية أخرى.

والبعد الموسيقى الواحد يتكون من تتابع تونين (نغمتين) وبغض النظر عن اختلاف ذبذبتهما أو مسارهما، أى كون التون الثانى اعلى أو أخفض من التون الاول، وهذه الابعاد التى تتابع بشكل ما فى اللحن أو الجملة الموسيقية (أى فى المسار الصوتى) وتبعاً لنوعيتها وطريقة تتابعها ومدة استمرارية الواحدة منها، هى التى تحدد الخصائص الموسيقية البحتة للجملة أو الجمل الموسيقية لأى موروث غنائى أو موسيقى وما شابه ذلك.

لقد تنوعت ألحان الشعوب فى فولكلورها الموسيقى تبعاً لطبيعة الأبعاد (الانترفالات) المستعملة فى موروثها،

واستطـاع الانسـان ومنـذ أقـدم العصـور أن يكتشف أو يستخـرج القـواعـد النظـريـة لتتـابع الأبعاد فى الطبيعة والحياة ووجد أن التون الواحد عندما يرن لا يرن لوحده بل ترن معه اجزاؤه وكان فيثاغورث احد البارزين الكبـار من الذين لا تزال اكتشافاتهم الموسيقية فى عالم الصوت باقية نأخذ بها الى يومنا هذا.



وكذلك فى أغلب الأحيان فى تراثها الفنى المبتكر السابق (المدون) أو المعاصر. وغالباً ما نشاهد بعض الاختلاف بين أبعاد الموروث وأبعاد التراث الروحى أو الدنيوى عند بعض الشعوب وإن كان هذا الأمر غير واضح فيما نتداوله من موسيقى فى أقطارنا العربية المختلفة.

وهذا لا يعنى بأن ليس هناك اختلاف فى الأبعاد الموسيقية المستعملة بين قطر عربى وآخر أو المستعملة فى القطر الواحد، وبالأخص فى الأقطـار المتنوعة فى بيئاتها وتضاريسها وتركيبها السكانى ومنـاخـاتـهـا الاجتـماعيـة. فالأبعاد الموسيقية المتداولة فى السودان ليست هى التى تتداول فى مصر، كما أن الأبعاد التى تسمـع فى العـراق تختلف عما نسمعه فى الكويت. والكثير من الأبعـاد المنتشـرة فى سلطنة عمان لا تتطابق بالضرورة مع ما هو منتشر فى قطر أو البحرين. وإن هذا التنوع فى الأبعاد الموسيقية فى أقطار الوطن العربى لهو حقاً رمز غنى هذه الأمة الموسيقى.

■■ عندما يتتابع أكثر من بعد وراء بعض يحدث نوع من المسار الصوتى أو النغمى أو اللحنى، وكل شكل أو قالب أو صيغـة أو نمـط موسيقى أو غنـائى ما هو بالتالى إلا مجمـوعـة مسارات لحنية يزداد عددها أو يقل تبعا للاناء الفنى الذى توضع فيه، أى تبعا للشكل أو للقالب الذى يمثله.

[الأبعاد والأجناس والسلالم الموسيقية]:

وتبعـا لنوعية الابعاد المستعملة فى مسارات الموروث الموسيقى، ومركبات بعض هذه الابعاد كتكوينات نغمية نظرية مجددة تصلح لأن تكون قواسم مشتركة عظمى لكم هائـل من المسـارات المـوسيقيـة الغنـائية (الموسلغوية)، سميت هذه القـواسم المشـتركـة العظمى النغمية بأسماء مختلفة لا نزال نتداولها كما عرفت منذ أقدم الحضارات الانسانية.

■■ فالأجنـاس النغميـة الـربـاعيـة (التـتراخوردات أو التراكوردات) هى إحدى هذه القواسم المشتركة العظمى التى تتكون عادة من ثلاثة أبعاد أو أربع تونات. ومن اتحاد جنسـين نغميين رباعيين بإحدى الطرق المعروفة يتكون لدينا ما يعرف بالسلم الموسيقى السباعى الأبعاد أو الثمانى التونات. ومن اتحاد أجناس أخرى وبطرق أخرى يتكون شىء آخر أوسع مدى من مفهوم السلم الثمانى التونات ونتيجة لاختلاف أبعاد الأجناس وطرق تلاحمها مع بعض اختلفت أسـماء القـواسم المشـتركـة العظمى التى أشرنا إليها، سواء أكانت أجناساً أم سلالم.

■■ فجنس (تـتراخـورد) البيات أو البياتى يختلف عن جنس الـراست أو النهـاونـد أوالسيكـاه أو الكرد بسبب الاختلاف البعدى المكون لكل واحد منها، ولنفس السبب اختلفت أسـماء السـلالم المـوسيقيـة التى هى جنسـان (تتراوخوردیران) اتحدا بهذا الشكل أو ذاك. فنقول: هذه

سلالم دياتونيكية كبيرة (ميجور أو ميجر أو دور) وهذه سلالم دياتونيكية صغيرة (مينور أو ماينر أو مول) وهذه سلالم كروماتيكية وأخرى بنتاتونيكية أو سلالم شرقية (عربية)، أو سلالم طبيعية أو غير ذلك.

الموروث والتراث الموسيقى العربى هناك قاسم مشترك أعظم آخر غير الاجناس والسلالم المعروفة فالمقام المعروف أيضاً فى أقطار إسلامية وشرقية أخرى لا يمكننا إخضاعه قسراً لنظام الاجناس والسلالم وإن كانت مادته الموسيقية تعتمد على ذلك ونقصد هنا بكلمة (المقام) ذات المعانى والدلالات المختلفة، ذلك التراث الغنائى الشائع فى المدن العراقية الكبيرة (بغداد وغيرها) وما شابهه إن وجد فى الأقطار العربية أو غير العربية الأخرى.

■■ فخلاصة أو زبدة أو جوهر مسارات غناء المقام اللحنية هو كم من الأجناس المتنوعة التى تتداخل مع بعض وتتراكب فوق بعض فتكون لنا اشبه ما يكون بالعنقود الموسيقى. **وإن كانت حبات العنقود تتشابه فى احجامها وطعمها فإن حبات العنقود الموسيقى للمقام (وكل حبة تمثل جنساً أو اقل او اكثر منه) لا تتشابه فى احجامها (سعتها الصوتية) وطعمها (نوعية ابعادها الموسيقية) وما تثيره فى الذهن والحس من تأثير.**

■■ ومن الاخطاء الشائعة فى بعض الكتب الموسيقية النظرية التى ظهرت بعد مؤتمر الموسيقى العربية الاول الذى انعقد فى القاهرة عام ١٩٣٢م أن بعضهم اعتبر التكوين النغمى النظرى للتراث الموسيقى المعروف باسم المقام أو (المقام العراقى) نوعاً من السلالم تشبيها بالسلالم الدياتونيكية أو غير ذلك، وعلى أى حال ونحن لا نريد أن نبخس جهد أى مجتهد كان هذا التشبيه يخلو من الدقة المطلوبة التى تعتمد على دراسة وتحليل المادة الموسيقية

[الطابع الايقاعى والطابع اللحنى]

إن الحديث هنا حول التركيب الموسيقى البحت للألحان أو الجمل الموسيقية للتراث أو الموروث يدفعنا لذكر التقسيم التالى لها، المنطلق من صفة اللحن وطبيعته.

فالألحان أو الجمل الموسيقية المتنوعة المسارات ومهما كانت أبعادها وأجناسها وسلالمها ومقاماتها يمكن أن تكون إيقاعية الطابع، وهكذا هى اغلب الالحان التى يرافقها الرقص أو انواع الحركة الاخرى: كالمشى والقفز والهرولة والتعبير الحركى المرافق لمختلف الممارسات اليومية ولشتى الاغراض ولمختلف الدوافع.

ويمكن أن تكون لحنية (ميلودية) الطابع وهى الألحان التى تؤدى فى أجواء الاسترخاء والخمول وكذلك التوجع والانكسار النفسى أيضا والذى يميز كون هذا اللحن أو ذاك إيقاعيا أو لحنى الطابع، وبغض النظر عن كونه لحناً موسيقيا بحتا، أو لحنا موسلغويا (أى يدخل فيه نص لغوى ما). هو العلاقة بين عدد توناته وعدد ضربات الايقاع الحركى المرافق له. فإن كان العدد متطابقا أو أقرب ما يكون للتطابق أصبح اللحن ايقاعيا، وإذا كان عدد تونات اللحن اكثر بكثير من عدد ضربات الوزن الايقاعى المرافق له أصبح اللحن لحنى الطابع.

ولـلايضاح نقول: لو أنشدنا أو غنينا نصا ما وكان كل مقطع من النص يقابل ضربة أو وحدة من وحدات الوزن الايقاعى (ولنقل خلال المسير أو التصفيق باليد ونحن جالسون) آنذاك نحن ننشد أو نغنى لحنا إيقاعيا. أما إذا كان مقطع النص الواحد (المتكون من حرف صامت وحرف متحرك) يقابله خلال إنشاده

أو غنائه عدة ضربات من الوزن الايقاعي، أو تكرار الوزن نفسه اكثر من مرة فنحن آنذاك امام لحن لحني، وبالتالي امام جملة موسيقية أو موسيقية غنائية لحنية الطابع. وكل موروث وتراث موسيقي غني بهذه وتلك وبشديد التنوع.

[المسار الأفقي والمسار العمودي]

إن الحديث حول خصوصية التركيب النغمي للموروث والتراث يحتم علينا أن نذكر أيضا بأن اللحن المتداول الواحد أو الجملة الموسيقية المتكاملة الشخصية يمكن أن تتكون من مسار أفقي، أي مسار تتابع فيه عدة تونات جنب بعض، أو بكلام آخر عدة أبعاد وراء بعض كتساقط قطرات الماء من فوهة صنبور (حنفية)، أو تتابع النقاط في خط مستقيم أو مائل أو متعرج وغير ذلك، وهذا ما هو شائع في الموسيقى العربية الاسلامية.

ويمكن أن تتكون، أي الجملة الموسيقية المتكاملة الشخصية، من مسار أفقي يرافقه مسار عمودي في الوقت نفسه، أو من مسار عمودي فقط، وآنذاك يكون المسار الأفقي ليس في سطح النسيج الموسيقي المتعدد التونات، بل أيضاً في قعره وما بينهما تبعا لتعدد التونات المكونة لذلك النسيج وملامحه الفنية العامة. إن هذا النوع من الموروث والتراث الموسيقي يندر تداوله في الفن الموسيقي العربي: الاسلامي أو الشرقي عموماً حسب الاصطلاح الشائع.

إن المقصود بالمسار العمودي هنا هو غناء أو عزف (أي رنين) اكثر من تون واحد في وقت واحد خلال الأداء الشعبي أو الفني المنهجي المتقن، وبغض النظر عن طرق هذه المسارات ومناهجها، فقد يصل عدد التونات التي ترن في وقت واحد من خلال الأجهزة الصوتية البشرية (ويقال الحناجر) أو الآلات الموسيقية أو كليهما معاً إلى أربعة تونات (أنغام) أو اكثر من ذلك.

علما أن هناك قواعد نظرية تثبت في علم الكونترابوينت وعلم الهارموني لتنظم عملية المحافظة والالتزام بنوعية الأبعاد التي تفصل بين تون وآخر والعلاقة بين مسار عمودي وآخر للجمل الموسيقية المتتابعة ضمن صيغة أو شكل من أشكال الموروث أو التراث الموسيقي. وتبعاً لنوعية الأبعاد التي تفصل بين التونات العالية(الصادحة) والواطئة (المكتومة الغليظة) وما يقع بينهما، أو الأبعاد التي تقع تحت أو فوق أوبين المسار اللحني الرئيس، أو غير ذلك، حددت تسمية النسيج الموسيقي باصطلاحات معينة تعكس للدارس مراحل حركة تطور النسيج الموسيقي، أيا كان عبر القرون المتعاقبة في الألف الثاني بعد الميلاد بشكل خاص.

[مضمون المادة الموسيقية ونسيجها الفني]

● هناك تقسيم آخر للتراث والموروث الموسيقي يعتمد على نوعية مضمون المادة الموسيقية ونسيجها الفني فنحن نتحدث هنا عن محتوى العمل الموسيقي إضافة الى دوره في المجتمع والوظيفة التي يؤديها فيه. ومهما يكن مستوى وضوح التشخيص في هذا الجانب من التقسيم فإن المقياس الذي يساعدنا على الوصول الى الدقة المطلوبة اعتماداً على نسيج المادة الموسيقية ليس بذلك المقياس الدقيق الذي يمكنه إبعاد التداخل والتشابك في عملية تحديد محتويات الأعمال الموسيقية.

● السبب في صعوبة تحديد المضمون أو المحتوى الفني للعمل الموسيقي يعود الى طبيعة المادة الموسيقية ذاتها، التي تتميز بتجردها مقارنة بالأعمال الفنية الأخرى التي تعتمد على الحركة والكلمة واللون والكتلة والايحاءات والرموز التعبيرية المباشرة.

● فقد يكون مضمون العمل الموسيقي دنيويا ودوره الاجتماعي ترفيهيا إلا أننا نجد مادته الموسيقية تستخدم في إطار روحي (ديني) والعكس صحيح. أو يكون المسار اللحني حزيناً ومضمونه مفرحاً. ومهما يكن الأمر، فإن الحديث عن المضمون والدور والوظيفة في الموروث

الموسيقى المتناقل شفاها يرتبط قبل كل شىء بمحتوى النص الشعرى أو النثرى الذى يرافقه وكذلك بالحركة المرافقة له فى سياق الأداء العام ضمن جو احتفالى معين، حزيناً كان أم مفرحاً، دنيويا كان أم دينيا. وإنه يرتبط بالضرورة بالأبعاد الموسيقية الداخلة فى تركيب جمل نسيجه الموسيقى، ويقصد هنا جمل نسيج الموروث الموسيقى للمستوى الثانى خاصة.



الحديث عن المضمون والمحتوى الفكرى والجمالى والفلسفى للتراث الموسيقى المبتكر السابق أو المعاصر، وبالأخص ما هو موجود فى المستوى الثالث من التقسيم السابق، فإنه يعتمد قبل كل شىء على التعبير الفنى لعناصر المادة الموسيقية الأساسية ذاتها، أى على المسار الأفقى والعمودى للأبعاد وعلى نوعية الايقاعات المستعملة والطابع الصوتى وغير ذلك.

التعبير الفنى لعناصر المادة الموسيقية لتراث المستوى الثالث ينبثق من لغة موسيقية متطورة يتحكم فيها منهج نظرى تحليلى أكاديمى قابل للنماء غير مقفل لا يمكن التغافل أو التلاعب فى قوانينه ونظرياته واحكامه. وفى حالة تداخل النص اللغوى أو الحركة التعبيرية أو كليهما معاً مع هذا النوع من التأليف الفنى الموسيقى، كما فى فن الباليه والأوبرا وما شابههما فلا يكون هذا التداخل والتمازج على الموسيقية أو بعضها. فالمقاسات والموازين الفنية باتت اليوم بذلك المستوى من الدقة بحيث لا تسمح بحصول أى خلل فى نطاق أى تقييم يطرح، وهذا ما تم فعلا فى نطاق جميع الفنون المبتكرة الأخرى للمجتمعات المتطورة.

علاقة عناصر الموسيقى بتلقائية التعبير للموروث وبمنهجية التعبير الفنى

التراث الموسيقى المدون السابق أو المبتكر المعاصر، الذى ابتكرته أجيال من الفنانين المعروفين فى عصورهم أو أولئك الذين عرفوا فيها بعد ـ ولم يشتهر الكثير من المبدعين الموسيقيين إلا فى عصور تالية ـ يمثل خلاصة الفكر الانسانى متبلوراً فى جمل لحنية صيغت بأشكال وقوالب وأنواع فنية متوارثة أو مستحدثة وهذه المؤلفات والأعمال الموسيقية رغم العفوية والتلقائية الظاهرة عليها إلا أنها وليدة منهج دراسى علمى ومعالجات ذهنية لأفكار العصر ومفاهيمه اتخذت من مادة عناصر الموسيقى الأساسية



● لاعب الطبلة

أما الموروث الموسيقي فإنه يتصف بالبساطة والوضوح وبالعفوية وتلقائية التعبير الفنى من خلال مادة عناصر الموسيقى واللغة والحركة، التى توارثتها الأجيال عن طريق التناقل الشفهى والاستماع المباشر. وإننا نجد هذه الخواص والسمات للموروث الموسيقى بوضوح تام فى المستوى الأول خاصة. ولا يعنى هذا أننا لانجدها فى المستوى الثانى أيضاً وكذلك فى المستوى الثالث فى حدود معينة.

إن الفرق الممكن تشخيصه بين المستوى الأول والثانى هو أن الأول اكثر عرضة للتبدل فى عناصره الموسيقية الأساسية وبالأخص فيما يتعلق بعنصرى اللحن والايقاع، وإن بناءه الداخلى وشكله الفنى لا يزال فى طور النمو، كما أن اساليب التعبير فيه تقترب الى حد كبير من العفوية والمباشرة التى تمليها الغريزة وإشباع احتياجاتها النفسية والفسيولوجية المختلفة.

إن بعض صفات وسمات موروث المستوى الأول غير المرتبط بأى تراث مدون سابق نجدها فى موروث المستوى الثانى المرتبط بأكثر من علاقة من التراث المدون السابق، وهذا أمر طبيعى لأن الحدود هنا غير فاصلة فمن السمات المشتركة بينهما تنوع عناصر المادة الموسيقية الأساسية وبالأخص خلال تكرار عنصرى اللحن والايقاع عند الأداء الارتجالى أو الاستطرادى ولكن هذا التنوع فى المسار اللحنى والتركيب الايقاعى الحاصل فى موروث المستوى الثانى يفهم على أساس أنه نوع من الاضافة أو الاستطراد الآنى يحصل كإضافات على جوانب البنية الأساسية للحن والايقاع المتوارث.

إن هذه الاضافات لا تغير المسار اللحنى بل تغنيه بزخارف جديدة تستوجبها الحالة النفسية للمؤدى أو المؤدين ضمن السياق الأدائى العام المرتبط بالمناسبة أو أى نوع كان من الممارسة الاجتماعية اليومية. والمقصود هنا بعملية إغناء المسار اللحنى أو الجمل اللحنية هو عدم تغيير الأبعاد الموسيقية أو الاجناس المتكونة منها بل تكرار بعضها أو تغيير تتابعها بطريقة تنال الاستحسان من المستمعين.

كما أنها لا تغير التركيب الايقاعى الأساسى (الوزن الايقاعى) بل تُجَزِّىء بعض وحداته القوية أو الضعيفة التى تؤديها آلة إيقاعية واحدة أو مجموعة من الآلات الايقاعية ويعنى هذا عدم حصول أى تغير فى مواقع القوة والضعف فى الوزن الايقاعى بل تجزئة بعضها الى مدد زمنية اصغر ضمن الوزن الايقاعى الواحد.

إنَّ إغناء المسار اللحنى أو الجملة الموسيقية الغنائية الواحدة بتكرار أبعادها أو بعض أبعادها عند الاستطراد فى الغناء أو الرقص أو العزف، وضمن قالب فنى معين لموروث ما، لا يغير

طبيعة المسار اللحنى الأساسى أو نوع الجنس أو الأجناس التى تكونه، وهذا أمر مطلوب ومستساغ فى أكثر الأحيان وإن تضاعفت مدة استمرارية المسار اللحنى ككل. ولكن إغناء الوزن الايقاعى بوحدات (ضربات) قوية أو ضعيفة جديدة يجب أن يكون فى حدود العدد الأصلى لمجموع وحدات ذلك الوزن الايقاعى ونوعيتها قوية كانت تلك الوحدات أو ضعيفة مع الحفاظ على الوقت الذى يستغرقه كل منها. فإن أى تغيير فى نوعية الوحدات الاساسية للوزن ومدد استمراريتها سيسبب الخروج عن تركيب الوزن الايقاعى الأساسى أو التحول إلى وزن ايقاعى آخر. وهذا ما يعتبر خروجا عن الضروب (الأصول) الايقاعية المتوارثة.

[الأشكال الموسيقية الفنية]:

لقد ابتكر الموروث الموسيقى الشعبى والتراث الموسيقى المنهجى وتبلور تدريجيا جيلا بعد جيل وفق أشكال فنية محددة اختزنت بالتالى النسيج الموسيقى الأحادى اللحن (أفقى المجرى) أو المتعدد الالحان (عمودى المجرى) وقد يكون النسيج الموسيقى هذا إيقاعيا صرفا أو لحنيا بحتا واللحنى منه قد يكون إيقاعى الطابع أو لحنى الطابع مشبعا بالزخارف والتحليات النغمية. ويمكن أن تؤدى النسيج الموسيقى الآلات الموسيقية لوحدها أو الأجهزة الصوتية (الحناجر) لوحدها أو بالمشاركة معا. وقد يرافق أداء الآلات أو الحناجر الحركة التعبيرية (الرقص المنفرد أو الجماعى) أو قد تكون جميعها مجتمعة فى شكل فنى واحد.

إن الشكل الفنى (الفورم) إطار عام أو إناء معين غير منظور نتحسسه خلال المتابعة الواعية وتتحدد بموجبه الصفات والملامح الخارجية والداخلية لأى ظاهرة صوتية أو صوتية حركية طبيعية أو أى عمل موسيقى مبتكر عفويا أو منهجيا. فالشكل الفنى يحدد لنا بداية ونهاية ومسار الظاهرة الصوتية التى تسمع فى الطبيعة أو من الكائنات الحية، ويحدد بداية ونهاية الجمل اللحنية الداخلة فى تركيبه وخط نمو مساراتها اللحنية وطريقة التتابع أو التفاعل فيما بينها.

والتتابع فى المسارات اللحنية هو ما نلاحظه عادة فى الموروث الموسيقى. وأما التفاعل (أى التمازج والتداخل فى المسارات اللحنية) فهو ما نلاحظه فى التراث الموسيقى المبتكر وبالأخص فيما يتعلق بتراث المستوى الثالث.

■■ وصحيح ان الابتكار الموسيقى العفوى الفردى أو الجماعى، بمفهوم إذابة شخصية الفرد المبدع فى المحيط الجماعى لا يحسب حسابا لموضوع الشكل الفنى، الذى يحدد للسامع الاطار العام لمادة النسيج الموسيقى، إلا أنه ومهما كانت بساطة ذلك الابتكار ونوعية مادة ذلك النسيج فإنه يحدث فى النهاية شكلا فنيا ما. ولولا وجود هذا الشكل المميز لما استطعنا التعرف عليه أو لما استطاع المؤدون أو المؤدى إعادة أدائه مرة ثانية. وهذا ما ينطبق على الشكل الموسيقى للظواهر الصوتية الطبيعية أو المستحدثة أو الحية فهى انسجة صوتية أو مسارات لحنية ذات أشكال خاصة يمكن تمييزها بعد سماعها الأول.

إنّ هذا التكوين أوالاستحداث التدريجى للشكل الموسيقى الفنى لا يتم لو توقفت عملية تكرار عزف أو غناء أو رقص المسارات اللحنية والتكوينات الحركية بعد نشوئها أو أدائها الأول فى مختلف الحالات الحسية والشعورية الفردية أو الجماعية. والأمر هنا يختلف بعض الشيء مع الفنون الموسيقية المنهجية المبتكرة التى قد تبتكر وتدون ولا تؤدى إلا بعد فترة من الزمن قد تتجاوز العشرات من السنين.

■■ وقبل ظهور أولى الاشكال الفنية (الموسيقية) ولا نقصد هنا أولى الظواهر الصوتية للكائنات الحية أو ما يسمع فى الطبيعة كان لابد أن تتبلور استعمالات التونات الموسيقية وأبعادها ثم مساراتها المختلفة وذلك بتوافق تام مع تبلور المقاطع الأولى للغة الانسان وافعاله الحركية خلال مختلف أنشطته الحياتية المنظمة.

■■ وهكذا عبر مئات القرون التى سبقت مرحلة التاريخ المدون المعروف، أى قبل الحضارات القديمة المعروفة

كحضارة وادى الرافدين ووادى النيل على وجه الخصوص، تبلورت تدريجيا أولى التكوينات اللحنية والايقاعية الداخلة فى أشكال الموروث الموسيقى.

الإنسان ابن بيئته ومحيطه، وهذه البيئة أو تلك الطبيعة التى ترعرع بين أحضانها الانسان الاول ضمن مسيرته الطويلة فى شتى بقاع الأرض، كانت ولا تزال غنية بأصواتها الموسيقية (بتوناتها وأبعادها ومساراتها اللحنية) وغير الموسيقية (بضجيجها وضوضائها) أيضاً.

ونتيجة للامكانات الفائقة التى يتمتع بها الانسان فى استخراج الأصوات من جهازه الصوتى المتطور قياساً بالكائنات الحية الأخرى وتذكرها وفهم مدلولاتها وبتأثير مباشر من عالم الأصوات الذى يحيط به فى البيئة التى أقام فيها، ومنها أصوات مفردات حواراته اللغوية اليومية تبلورت تدريجياً مادة النسيج الصوتى الموسيقى الذى احتوته أشكاله الموسيقية الأولى.

■■ فالشكل الفنى للموروث الموسيقى، ومهما كانت سعته ونوعية أبعاده وعدد جمله الموسيقية وطريقة تتابعها يرتبط بمسألة التعبير عن الحالة الحسية الجماعية أو الحسية الفردية المجسدة لأحاسيس الجماعة من جهة، وفى ذات الوقت يرتبط بالمادة الموسيقية التى يمكن استخراجها من الجهاز أو الأجهزة الصوتية المعتمدة على التصور النظرى الموسيقى المتوارث ومجموع الآلات الموسيقية المساندة أو المكملة لذلك الجهاز أو الأجهزة الصوتية من جهة أخرى.

■■ ولا ننسى هنا ارتباط مادة الشكل الفنى للموروث الموسيقى بكل التغيرات الحاصلة على المادة الصوتية فى الطبيعة والبيئة والحياة، ومنها تغيرات النسيج الموسيقى لأشكال التراث الموسيقى والتى جميعها كانت ولا تزال المعين الأساسى لكل تحول فنى وفق مستويات الموروث الثلاثة، وإن كانت الطبيعة محافظة نسبياً فى عطائها الصوتى بإن عطاء البيئة والحياة الصوتى، وعطاء المؤلفين الموسيقيين المبدعين أكثر عرضة للتغير والتبدل، فلعصر الماكنة عطاء صوتى يختلف فى مكونات مادته الموسيقية عن عطاء عصر العجلة ولعطاء البداوة عطاء صوتى لا يشبه ما تبعثه المدينة أو حياة البحر من أصوات. كما أن النسيج الموسيقى يختلف من مؤلف لآخر ومن مدرسة لأخرى.

■■ والمادة الموسيقية فى البيئة والمحيط الاجتماعى وفق المستوى الثانى لتقسيم الموروث والتراث، وإن كانت تتناقل وتؤدى شفاهاً وسماعاً إلا أنها لا تعكس العواطف والأحاسيس والتوترات والخلجات النفسية فقط، أى هى ليست حسية فقط كما قد يتصور بعضنا، بل هى ذهنية منهجية كذلك وحتى فى أبسط أشكالها فهى تعكس للمتتبع والباحث والدارس جملة قواعد وأسس وقوانين نظرية محكمة تناقلت إلينا من خلال ما حفظته العقول والتزمت به أجيال العارفين الموهوبين وأساتذة الفن من الفنانين الشعبيين.

وبسبب هذه المنهجية الذهنية المتوارثة باتت الأشكال الفنية للموروث الموسيقى وفق المستوى الثانى من التقسيم أكثر تماسكاً وأصلب تبلوراً، ولا يسمح بأى خروج عن جوهر القوانين والأنظمة والنظريات السابقة التى حفظت فى الأذهان.

إن الأشكال (والقوالب والأنماط والصيغ الفنية) وبسبب مباشر من تلقائية التعبير الأدائى وعفويته الطافحة على السطح نجد أنها لا تتكرر كما هى بالضبط فهناك دائما شىء من الاضافة أو الحذف فى كل أداء فردى أو جماعى، ولهذا السبب يتنوع المسار اللحنى والنسيج الموسيقى والطابع الصوتى والنص اللغوى والتعبير الحركى ضمن الأشكال المختلفة.

ونتيجة لهذه الاضافات أو الاختزالات، التوسعات أو الانكماشات تحصل أيضاً تغيرات جزئية على اقسام الشكل الفنى الأساسية أوعلى بنية الشكل الفنى الواحد ككل. ونتيجة لهذه التغيرات الجزئية (الهامشية) للشكل الفنى، وبتأثير مباشر من تنوع أو تبدل نسيجه الموسيقى العام، تعددت أسماء الأشكال أو القوالب أو الانماط أو الصيغ الفنية، وتعددت أسماء الشكل الفنى الواحد أيضاً، وذلك لأجل حفظ وتذكر ما استجد واستحدث ما دام الاعتماد على التدوين الموسيقى معدوماً. وهذا الأمر نجده بوضوح تام فى المورث الموسيقى للمستوى الثانى ومنه الموروث الموسيقى للحضارة العربية الاسلامية وما يؤدى فى مختلف الأقطار العربية فى هذا العصر.

الأشكال الفنية للموروث الموسيقى حسب المستوى الثالث ليست متبلورة ومتماسكة أو محفوظة فى عقول الأجيال المتعاقبة فقط، بل إنها أيضاً حفظت مدونة بأسلوب من أساليب التدوين المعروفة، أو إنه قد استكمل تدوينها منذ فترة ليست بالقصيرة.

فمنذ عصر النهضة (عصر الرنسانس) أو قبل ذلك دونت المئات من الألحان والأغانى الشعبية لمختلف شعوب أوربا. وبسبب الوعى الثقافى وإدراك أهمية فولكلور الشعب، الذى برز فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر فى أوروبا (بتأثير مباشر من أفكار الثورة الفرنسية) نشطت حركة تدوين أو استكمال تدوين الألحان والأغانى والرقصات الشعبية، فجمعت المادة الموسيقية الشعبية نصاً ولحناً من افواه حامليها الثقات، ونشر أغلب ما دون فى مطبوعات لمختلف الأغراض والأهداف المنسجمة مع روح العصر.

★ لیرا یونانية ★

ولعل من أبرز تلك الأهداف الى جانب معرفة الابداع الشعبى التلقائى وتقصى منابعه وأصوله الأولى كان نشر الثقافة الوطنية قومية الطابع على شكل مؤلفات قصيرة يمكن أداؤها داخل البيوت وفى الحفلات العامة عوضاً عن المؤلفات الأجنبية. ومن تلك الأهداف أيضاً كانت الاستفادة من النسيج الصوتى الأصيل للشعب ضمن الأطر التأليفية المنهجية العالمية الأكثر تطوراً للأوبرا والباليه والكونسرت بالشكل الذى يساعد بالتالى إمكانية انتقالها خارج الحدود الاقليمية لمنابعها الأصلية وفسح المجال امام الشعوب الأخرى إمكانية التعرف عليها واستيعابها والتجاوب معها.

فظهرت المئات من الأعمال الموسيقية المبتكرة المنهجية للأوركسترا ومجاميع الآلات الوترية والهوائية والآلات المنفردة (كالبيانو خاصة) وللمجاميع الغنائية ولفن الأوبرا ومؤلفات الباليه وغير ذلك بتأثير من قيم الثورة الفرنسية التى طالبت بالعودة الى الشعب واستلهام موروثه وتراثه

تتوقف هذه المساعى فى القرن العشرين فى أوربا، كما انه لم ينحصر الأمر على فنانيها فقط فتدريجياً حصل شيء مماثل فى اقطار القارات الاخرى فى القرن العشرين مع بداية تحررها ووضع أسس نهضتها الجديدة.

وكذلك لم يتوقف الأمر على الفن الموسيقى أو الفنون اللغوية والتعبيرية الأخرى المعروفة من قبل ولكن على فنون جديدة أخرى ساعدت على ظهورها الانجازات العلمية الهائلة التى تمت فى هذا القرن.



حصل فى مختلف مجالات الانجاز الثقافى العالمى ونحن نتخطى السنوات الأخيرة للقرن العشرين، فلما يصل الكثير من الشعوب حد الاكتفاء الثقافى والفنى ولما يصل بعد المستوى المطلوب من الانجاز الفنى، ذلك الانجاز الفنى الذى يبرز الشخصية الحقيقية لهذه الشعوب كما يجب اعتماداً على موروثها وتراثها، ويسد النقص الملموس لاستمرارية عمل مسارحها وقاعات معارضها واستوديوهاتها السينمائية والتلفزيونية وحفلاتها الغنائية الموسيقية (الغناسيقية) الراقصة. ويسد النقص فى توفر المطبوع المعبر عن عاداتها وتقاليدها وموروثها وتراثها المادى واللغوى وبشتى انواعها.

سواء أكان قديماً مدوناً أم معاصراً متداولا.

لقد تأثرت تلك الأعمال الفنية الموسيقية المتنوعة بالألحان الشعبية وأنسجتها الموسيقية وإيقاعاتها وطابعها الصوتى الآلى أو البشرى وكذلك بطبيعة بنائها الداخلى والأساليب التى تحدد أطر ذلك البناء الفنى وذلك عن طريق الاقتباس المباشر أو الاستلهام المستند على تفهم جوهر خواص النسيج الصوتى الشعبى.

وتبعا لمساع مختلفة استطاع فنانو القرن التاسع عشر من الرومانتيكيين أن يأتوا بإضافات نوعية فى مجال التأليف الموسيقى المنهجى لم تعرف من قبل إن لم تكن مستحيلة ونتيجة لجهود أولئك الرواد الموسيقيين فى التأليف والأداء وطرح المضامين الجديدة تعرف رواد الحفلات الموسيقية (فى قاعات الكونسرت) وعشاق الغناء المنهجى المبتكر (الغناء الأوبرالى) والرقص التعبيرى المنهجى (فن الباليه) على فنون وفنانى الشعوب الأوربية المختلفة وفى بعض الأحيان على موروث وتراث الشعوب غير الأوربية أيضاً.



أرامكو والصناعة المحلية

قامت ارامكـو عبر السنين بتقديم المساعدة لتشجيع تطور وازدهار البيئة التجارية والاقتصادية . . ومع النمو الكبير الذى شهده الاقتصاد السعودى خلال السنوات الاخيرة ، تطورت طبيعة المساعدة التى تقدمها ارامكو فأصبحت تتركز فى الدرجة الاولى على الصناعة المحلية .

تنتهـج الشـركـة خطة تهدف الى تشجيع التطور المستمر لصناعة سعودية قوية ذات قاعدة عريضة فى منطقة اعمالها . وفى نطاق تنفيذ هذه الخطة زادت ارامكو مشترياتها من المصانع المحلية الى الحد الاقصى . كما دأبت ادارة التنميـة العمـرانيـة وتملك البيـوت فى ارامكو على تقديم المساعدة الى عدد كبير من المصانع لكى تصبح مصادر محتملة لتوريد المنتجات السعودية الى ارامكو . . وقد بلغ عدد المصانع التى اعتمدت بموجب هذا البرنامج المستمر حوالى ٦٠٠ مصنع حتى الان .

ويجـرى فى فترات دورية توزيع نشرات معدة على الكمبيوتر الى الجهات المعنية فى ارامكو والشركات التابعة لها فيها وراء البحار تحتوى على اسماء هذه المصانع وانواع منتجاتها . . وبالاضافة الى ذلك تتعاون ارامكـو بصـورة فعـالة مع غرفة التجارة والصناعة فى المنطقة الشرقية لترويج استعمال المنتجات المصنوعة محليا . كما يطلب من المقاولين الذين يقومون بتنفيذ مشاريع ارامكو استعمال المنتجات السعودية كلما امكن ذلك .

يمكن الحصول على مزيد من المعلومات عن توفر المنتجات المصنوعة محليا واستعمالها من :

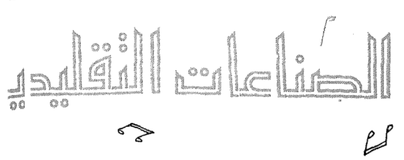
ادارة التنمية العمرانية وتملك البيوت فى ارامكو

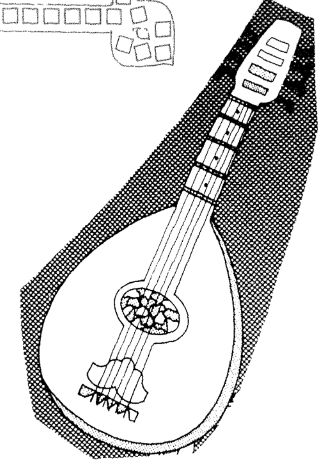
الغرفة ٢٢٤٤ ـ مبنى الادارة الشرقى

الظهران ـ المملكة العربية السعودية

هاتف ٢٣٣٧ ـ ٨٧٤ او ٤١٧١ ـ ٨٧٤



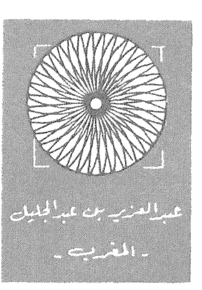




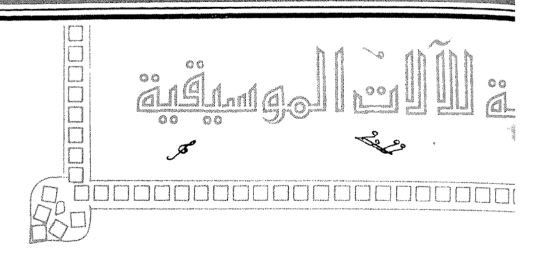
مدخل

يعتبر البحث فى الآلات الموسيقية علما قائما بذاته . . ويختص «علم الالات» بالنظر فى كل ما يتعلق بالآلات الموسيقية سواء من حيث تاريخ ظهورها ونشأتها ومراحل تطويرها أو من حيث تركيبها وطبيعة أصواتها ومنطقتها الصوتية ووظيفتها ومنزلتها وصناعتها . . ومراكز هذه الصناعة وطرق تسويتها .

ويشكل علم الآلات ـ الى جانب العزف عليها ـ الناحية العملية التطبيقية لعلوم الموسيقى وذلك فى مقابل الناحية النظرية التى تهتم بالبحث فى قواعد الموسيقى وتاريخ الفن الموسيقى ووجوه تفاعله أخذا وعطاء .



ونظرا لسعة الميادين التى تنضوى تحت «علم الموسيقى» فقد بات طبيعيا أن تتجاوز الاستفادة من علم الآلات حدود المهتمين بالموسيقى ـ سواء منهم الممارسون للعزف والغناء أو النظريون الباحثون فى ضوابطها أو المؤرخون لها والمنظِّرون ـ لتشمل ميادين أخرى ربما لا تقل عن غيرها رحابة وأهمية ـ وأعنى بها كل ما يتعلق بصناعة تركيب الالآت التى تعتبر ـ الى جانب الصوت البشرى ـ الوسائل الضرورية لتجسيم كل الآثار الموسيقية والتى بدونها لن يكون لتلك الآثار أي صدى مسموع .



وفي هذا الصـدد يقول اخوان الصفا(١): انّ الحكماء قد صنعوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى وألحان الغناء. . متفننة الاشكال. . كثيرة الانواع ـ مثل الطبول والدفوف. . والنايات والصنوج. . والمزامير والسرنايات. . والصفارات والسلبان. . والشواشل والعيدان. . والطنابير والجنك والرباب. . والمعازف والاراغن والارمونيقى. . وما شاكلها من الآلات والادوات المصوتة(٢).

وهكذا ارتبطت الموسيقى بميدان الصناعات اليدوية منذ القديم وأصبح للصناع الحرفيين اليد الطولى التى تتحكم فى هذا الفن طالما أنهم المسؤولون عن إعداد وتوفير الوسائل الكفيلة بتبليغ آثاره الى الآذان ـ وليست هذه الوسائل سوى الالآت الموسيقية ذاتها.

وإن مما يؤكد أصالة الطابع الحِرفى لصناعة الآلات الموسيقية أن يخضع جلها لتسميات ذات مدلولات صناعية صرفة ـ وذلك كأن تسمى باسم المادة التى تصنع منها أو بما يدل على نوع أداتها أو شكل صنعها فمن الآلات التي تحمل أسماء موادها: العود ـ ومعناه الخشب ـ والرق ـ ومعناه الجلد ـ والقرب ـ وهى قرب الاستسقاء ـ والقصبة ـ أى الناى المصنوع من القصب.

ومن الالآت التى سميت بما يدل على نوع أدائها: الدربكة ـ ومعناه الضجيج والدف والصفارة والمزمار.

ومن الآلات التى سميت بأسماء تدل على شكلها: المربع ـ وهو الدف ـ مربع الشكل. . والمجنب ـ وهو دف ذو جوانب. . والقوس.

واكب التطور الحاصل فى الصناعة التقليدية تطور «مماثل» فى صناعة الآلات الموسيقية بدورها، ومن ثم فنحن لا نستبعد أن تكون المناطق الصناعية بالمغرب ـ مثلا ـ قد احتضنت خلال فترات ازدهـارها ونشاطها صناعات آلية لا ريب أنها كانت متنوعة بتنوع الحرف التى سادت فيها. وهكذا فقد أفادت صناعة الأنسجة والخيوط الحريرية فى صنع الاقواس والأوتار. . كما أفادت صناعة الجلد فى تجليد الطبول والبنادير. . وساهم تطور النجارة فى ابتكار أشكال صناديق العيدان وأطر الطبول. . كما ساهمت صناعة الخزف فى صنع التعاريج والدرابك وما شاكلها من آلات ايقاعية. . وصناعة الحدادة فى صناعة الصنوج ونواقيس الروايس وغيرها.

ولا ريب أنه كان للصناعات التقليدية دور كبير فى اغناء أسرة الآلات الموسيقية بما ابتكره الصناع من نماذج وأشكال مستحدثة، وأضافوه اليها من زخارف ونقوش أو أضفوه عليها من تحسينات زادت من بهاء مظهرها ودقة وحسن عطائها.

ولعل من أروع ما تتميز به صناعة الآلات الموسيقية ذلك التكامل الذى يحصل بين الصناع الحرفيين فى صناعة الآلة الواحدة حتى لكأنها حقل تلتقى فيه المهارات وتلتئم حوله الجهود: فهذه آلة العود يلتقى فى إعداد أجزائها كل من النجار والنقاش والعواد والخراط والنساج ـ ثم هذه آلة الرباب على بساطة مظهرها يتضافر فى تجميع أجزائها النجار والدباغ والنساج والخراط.

أفضت ممارسة صناعة الآلات بكثير من الحرفيين الى تعاطى الموسيقى والغناء فظهر من بينهم المغنون والعازفون.. وارتقى الحس الفنى ببعضهم الى قرض الشعر وصوغ الالحان.. وكان لرجال الملحون(٣) خاصة قصب السبق فى هذه المجالات ـ فظهر فيهم رجال جمعوا الى صناعة الموسيقى ممارسة الحرف المختلفة.. كما حفلت قصائد أشياخ الملحون بذكر الآلات الموسيقية حتى لكأنها سجل لتدوين أسمائها.

من المناسب قبل الخوض فى موضوع صناعة الآلات الموسيقية أن نقوم باطلالة سريعة على نشأة هذه الآلات ومراحل تطورها وأن نتعرف على أنواعها.

ويفضى بنا النظر فى هذا الموضوع الى التساؤل عن تاريخ ظهور الالآت، فيطالعنا الجواب بأن الموسيقى ـ وان تكن قديمة قدم الانسانية ـ فإن ابتكار الآلات واستعمالها فى احداث الأثار الصائتة جاءا متأخرين بالنسبة للغناء. وعلة ذلك أن الغناء ألصق بالفرد وأن أداته ـ وهى الصوت ـ من صميم تكوينه فلا عجب أن يهتدى اليها والى استعمالها فى احداث أصوات منغومة قبل أن يتعدّى الى غيرها من الآلات المصطنعة.

على أننا نستطيع اعتبار أعضاء الجسم من أقدم ما اهتدى الانسان الى استعماله كأدوات موسيقية ويدخل ضمن ذلك ما يسمى بالموسيقى الجسدية.. وهى كل أنواع التصفيق ولطم الوجوه والصدور والافخاذ ـ فلقد صفق الانسان بيديه وضرب بهما على فخذيه.. ووقّع بقدميه على الارض.. ولعل ذلك كان تعبيرا عن حالة نفسية أو مصلحة طارئة. ثم ولّد فيه ذلك التصفيق وهذا الضرب إحساسا بتساوق الحركات ورتابة الايقاع فاستشعر اللذة فى تكرارها.. وراح يعيد التصفيق ويكرر الضرب ليدرك بعد ذلك أن من ورائها إيقاعا مضبوطا.. ثم راح يبحث عما يعوض به يديه ورجليه فاتخذ من عيدان الشجر أدوات يوقع بها.. واتخذ من الجذوع مواقع ينقر عليها فكانت تلك خطوته الاولى فى طريق اكتشاف آلات النقر ـ فظهرت المقارع والشخاشيخ ونحوها.. ثم اهتدى الى العظام المجوفة والقرون المفتوحة الجانب فنفخ فيها ومضى فى درب الابتكار والاختراع يحث الخطى نحو الاستزادة من صنوف الآلات حتى انتهى به المطاف الى صنع الآلات الوترية التى تعتبر قمة ما ابتكره الانسان فى مجال صنع الآلات.

وهكذا تشكل قصة نشوء الآلات وتطورها رواية أخرى لقصة تطور الانسان عبر العصور وهى رواية تتسم بحيوية الابتكار وتشد اليها المتتبع لفصولها شدا وثيقا.

ومجمل القول: فقد أجمعت كتب التاريخ العام على القول باكمال ظهور الآلات الموسيقية فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ وأمكن منذئذ تصنيفها ضمن أسر ثلاثة هى آلات القرع.. وآلات النفخ.. وآلات الوتر.

وفى ضوء هذا التصنيف سنحاول أن نتعرف على أنواع الآلات الموسيقية التى استعملت ببلاد المغرب خاصة اعتمادها بالدرجة الاولى على الواقع المشاهد فى الاوساط المعنية ـ ثم بالرجوع الى ما أمكن توفره

من آثار مكتوبة فى هذا الموضوع.

ولابد هنا من الاعتراف بندرة المصادر التى عنيت بسرد أسماء الآلات الموسيقية المتداولة. فاذا استثنينا مقدمة ابن خلدون لا نكاد نعثر فى كتب التاريخ المغربى الا على عبارات وردت فيها اشارات الى الآلات الموسيقية تأتى أحيانا مفرطة فى الاقتضاب لدرجة تشعر (القارىء) بتنكب (المؤلف) عن ذكر اسمائها عمدا ترفعا منه وتأففا فان هو اضطر الى تسميتها نعتها بالملاهى أو بآلات الطرب. وأمام هذا الاجحاف لا يسع الباحث الا أن يولى وجهه شطر مصادر أخرى ككتب التراجم والاعلام وفتاوى الفقهاء وما شاكل ذلك ـ بغية لَمّ ما تفرق فيها من أخبار ومعلومات عن الآلات تأتى أحيانا نادرة فى فصول خاصة.. وتأتى أغلب الاحايين فى استطرادات عابرة.. وإذ نلمّ شتات هذه المعلومات فاننا لنعجب للحصيلة الضخمة التى نجدها بين أيدينا

الفضل فى الوقوف على أسماء هذه الآلات وأوصافها وطرق استعمالها الى عالمين جليلين هما «محمد بن الدراج السبتى» المتوفى سنة ٦٩٣ فى كتابه «الامتاع والانتفاع فى مسألة سماع السماع» و«عبد الرحمن بن خلدون» فى «مقدمته» فلقد أتيا على ذكر ما يناهز الاربعين آلة حَرُصًا على وصفها وصفا يبلغ فى بعض الاحيان درجة متناهية من الدقة الامر الذى يدل بوضوح على مدى اهتمامهما بموضوع الآلات ويجعل من كلا المصدرين وثيقة فنية لها قيمتها ولا غنى للمختصين عن الرجوع اليها.. وللتدليل على أهمية ما قدماه من معلومات فى مجال التعريف بالآلات على عهدها نكتفى بايراد تعريفهما للشبابة.

قال ابن خلدون: هى قصبة جوفاء بأبخاش فى جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت فتخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الابخاش.. ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابخاش وضعا متعارفا.

ويقول ابن الدراج: أنها آلة محدثة مركب أولها على الصفارة الجوفاء التى يصفر فيها الغلام.

والآن ما هى سبل التعرف على المواصفات الخاصة بصناعة الآلات الموسيقية؟.. وما هى القطع والاجزاء التى تركب منها هذه الآلات؟

●● تتطلب الاجابة عن هذا التساؤل الرجوع الى مصدرين اثنين لا محيد عنهما فى مثل هذا الموضوع:

أولهما: ما أمكن الوقوف عليه من الآثار المكتوبة التى تطرقت عفوا أو عن قصد لهذه الصناعة.

وثانيهما: الاتصال بالصناع التقليديين الذين يمارسون صناعة الآلات بأنواعها.

وهنا لابد من الاعتراف أن ما دُوِّن من معلومات حول هذه الصناعات يكاد ينحصر فى وصف سطحى لاشكال الآلات فى صورها المكتملة مع الاشارة العابرة أحيانا الى أسماء صانعيها أو الى المادة أو المواد التى رُكِّبَتْ منها.

ومن هذه المعلومات النادرة ما يومىء الى نسبة صناعة الآلات فى العصور القديمة ـ من ذلك ما حكاه المسعودى اذ يقول: اتخذ قوم لوط الطنابير. والاكراد نوعا مما يصفر به.. وللروم من الملاهى: الارغل.. والسلبان.. واللورا ـ وهى الرباب وهى من خشب.. ولهم القيثارة.. والصنج.. والارغن.. وللهند الكنكلة(٤).

ومن تلك المعلومات أيضا ما قد يدل على طريقة صنع الآلات.. ذكر عبد الله بن خرداذبه أنه سأل

الخليفة المعتمد عن صناعة العود فقال: أول من اتخذ العود لمك بن متوشلح - وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع. فأخذ خشباً فرققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ.. وعنقه كالساق.. ورأسه كالقدم.. والملاوى كالاصابع.. والاوتار كالعروق. ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود(٥).

●● وبالرغم مما تتسم به أخبار «ابن خرداذبه» من غرابة حملت «أبا الفرج الاصبهانى» وغيره على عدم الاطمئنان اليها.. ثم بالرغم من المسحة الاسطورية التى تشوب هذه الحكاية فانها تنطوى على ما يوشك أن يكون رسما لشكل العود.. ومهما يكن من أمر: فان المعلومات التى تجود بها الآثار المكتوبة لا تشكل سوى حصيلة نزرة اذا ما قورنت بما يمكن تجميعه من معلومات مستفيضة فيما لو أقبل الباحث على أوراش الصناع الحرفيين يرصد أسلوبهم فى اعداد أجزاء الآلات وطريقتهم فى تركيبها.

ونعود الى المواد التى تصنع منها أجزاء الآلات فنجد أمامنا لائحة طويلة استعرضها فيما يلى تباعا مع ذكر مجالات استعمالها:

الخشب: يستعمل فى صناعة صناديق سائر الآلات الوترية وبعض أجزائها الصغرى كالعنق والقرمودة، كما تصنع منها دوائر الآلات الايقاعية كالطر والبنديره.

العود: تصنع منه لوالب الآلات الوترية وأقواسها وقضبان النقر والحمار وبيت السطعة والشمامنة والعتبة.

القصب: تتخذ منها النايات والنيرة ومبسم الغيطة.

الحرير: يجدل وتصنع منه الاوتار.. ويذكر أبو اسحاق التادلى فى كتابه «أغانى السقا» أن عازف العود كان يضبط بها أوتاره الاربعة فيجعل لوتر البم ٦٤ خيطا.. وللمثلث ٣٨.. وللمثنى ٣٦.. وللزير ٢٧. أما شوطان(٦).. ففى رأيه أن استعمال الاوتار الحريرية انقطع بالمغرب وعوض بمصران الضأن.

الاصداف: نعنى بها أصداف السلاحف. وكانت تقوم مقام الصندوق الخشبى فى كنبرى الجنوب المغربى. وتستعمل قطع أصداف البحر أيضا فى ترصيع وجوه العود والقانون.

القرن: يصنع منه عراض الغيطة وهو قطعة صغيرة مستديرة تفصل بين المزمار والمبسم.

الامعاء: تصنع منها حبال البندير وأوتار المصران فى بعض أصناف الكمان.

الريش: يتخذ مضرابا لنقر أوتار العود - وهو ما يسمى السطعة. ويقال إن زرياب كان أول من جعل المضراب من ريش النسر.

الجلد: يستعمل فى الغالب جلد الماعز رقا للطر والبندير والكنبرى والطبيلة والكدرة والزمرة، وهى قربة يلصق بجانبها مزمار ينفخ فيه.. وتتخذ أيضا من الجلد خيوط الهندقة التى تربطها بأصابع اليد.. ويتخذ من جلد الحوت (الراية) وجه القانون.

النحاس: تصنع منه صنوج الطر ونواقيس الروايس والعوادات وهى نايات سوس.. والنفير.. والهندقة - وهى صناجات صغيرة صوتها كصوت الاجراس تستعملها راقصات الشلوح وخواتم أجزاء النيرة الامازيغية. وتصنع من النحاس أحيانا الدرابك.

الحديد: تصنع منه أمشاط العود وبعض أوتار الكمان الحادة، والمثلثات والطاسة.

الطـــين: يستعمل فى صناعة الآلات الخزفية كالتعارج بمختلف أحجامها واكوال والدرابك والبرازى. وهى عبارة عن خوابى كبيرة يضرب عليها بالايدى أتباع طائفة احمادشة.

ومن خلال الزيارات التى قمت بها الى بعض أوراش العمل أمكننى الوقوف على طرق صناعة آلات العود والقانون والناى والكنبرى.
وسوف أقصر الحديث فيما يلى على هذه الالآت.

(١) ورش صناعة العـود:

يعتبر العود دون منازع أقدم الآلات الموسيقية التى شقت طريقها من المشرق الى المغرب والاندلس - تحتضنه أجواق الملْحون وبعض أجواق الموسيقى الشعبية. وهو يحتل مركز الصدارة من بين آلات جوق «الالة الاندلسية». . كانت أوتاره قديما أربعة ثم أضاف اليها زرياب وترا خامسا. ويبدو أن عددها على عهد المولى اسماعيل عاد الى أربعة حسبما نقله محمد بن الطيب العلمى فى الانيس المطرب عن استاذه محمد البوعصامى، والعود المغربى فى واقعه اليوم ذو خمسة أوتار مزدوجة ووتر اضافى منفرد. . وقد تحرى صانعو العيدان منذ القديم أن ينتقوا لها من الخشب ما كان جيدا يابسا - فيذكر ابن سيده فى المخصص: أنها كانت على عهد العباسيين تصنع من خشب الوعس. وهو حسب الفيرو زابادى: شجر تعمل منه البرابط والاعواد. ويذكر التنوخى فى نشوار المحاضرة(٦) أن العود العباسى كان يصنع من العود الهندى العطر المستورد من بلاد الشرق الاقصى.





ويشترط (اخوان الصفا) فى رسائلهم فى العود أن يكون ألواحا رقاقا متخذة من خشب خفيف وأن يكون الوجه رقيقا من خشب صلب خفيف يطن اذا نُقر. . كما تحرى هؤلاء ضبط صندوقه على مقاييس معينة خوفا من تقلبات الطقس الخارجى وحرصا على حصول تجاوب متكافىء بين الاوتار اشترطوا فى الصندوق أن يكون طوله وعرضه وعمقه على النسبة الشريفة وهى أن طوله مثل عرضه ومثل نصفه، ويكون عمقه مثل نصف العرض وعنق العود مثل ربع الطول. فاذا افترضنا مثلا أن عرض عود ما يبلغ ٣٠سم كان قياس العود على النحو التالى:

العرض: ٣٠سم ـ الطول: ٤٥سم ـ العمق: ١٥سم ـ العنق ١١.

وقد استأثر العود باهتمام الادباء والشعراء فهذا اسحاق الموصلى يمر برجل ينحت عودا فيقول له: لمن ترهف هذا السيف؟..

وهذا الحمدونى يقول فى نفس الآلة:

وناطق بلسان لا ضمير له
كأنه فخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه فى الكلام كما
يبدى ضمير سواه منطق القلم(٧)

ولمكانته الاولى بين آلات الجوق يقول أحدهم:

كأنما العود فى بيتنا ملك
يمشى الهوينا وتتلوه عساكره
كأنه اذ تمطى وهى تتبعه
كسرى بن هرمز تقفوه أساوره

ويقول ابن عبد ربه:

يارّب صوت يصوغه عصب
نيطت بساق من فوقها قدم
جوفاء مضمومة أصابعها
فى ساكنات تحريكها نغم

●● ومن أروع الصور التى استعيرت من شكل العود ما قاله مالك بن المرحل(٨) فى تشخيص منظر مدينة سبتة السليبة.

أخطر على سبتة وانظر الى
جمالها تصب الى حسنه
كأنها عود غناء وقد
ألقى فى البحر على بطنه

وان من ألطف ما حكاه الاصبهانى عن فصاحة أوتار العود قوله فى كتابه «الاغانى» كانت رقطاء الحبطية من أضرب الناس، فدخل رجل من أهل المدينة بيتها فغنته صوتا، فقال له بعض من حضر: هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه؟ فطرب المدنى وقال: على العهد ان لم يكن وترها من معى بشكست النحوى فكيف لا يكون فصيحا؟ . وبشكست هذا كان نحويا بالمدينة قتل مع خوارج عبد الله بن يحيى الكندى.

●● وبفضل المعلومات التى أمكننا تجميعها حول صناعة العيدان توصلنا الى أن آلة العود تقوم على الأجزاء التالية:

الصندوق: يتركب من قسمين: الجبح والوجه.

الجبح: هو ظهر الصندوق. ويقوم على أضلع خشبية مستطيلة يتراوح عددها ما بين ١٣ و٢١ ضلعا يمكن الفصل بين الاضلع بقضبان من العود أو البلاستيك قصد تزيين صهر العود. وأجود انواع الاضلع ما يصنع من خشب الكركاع لمتانته وخفته ورطوبة سطحه ورنته المنغومة. ويزين ظهر العود أحيانا بقطع من الصدف أو من البلاستيك.

الوردة: قطعة خشبية نصف هرمية على رأسها ثقب ثلاثى الاضلع وتركب بالجانب الاعلى من داخل الصندوق وفى الطرف المقابل لها تثبت لوحة خشبية نصف دائرية . . وتعتبر الوردة واللوحة المقابلة لها بمثابة أعمدة لأضلع الجبح.

الذراع: هو عنق العود ـ ويغطى وجهه أحيانا بلوحة من العود أو الصدف تعرف باسم «المرليا» والذراع هو محطة الاصابع عند العزف.

العتبة: قطعة من العود الصامت عليها ١١ ثقبا لتمرير أوتار العود (خمسة مزدوجة ووتر واحد منفرد).

القرمودة: قطعة خشبية تركب على رأس الذراع وبجانبيها ١١ ثقبا بعدد الاوتار: خمسة الى أسفل العود وستة الى أعلاه بالنسبة لوضعه عند العزف.

اللوالب: قطع من العود مثقوبة تمرر بثقوبها الاوتار ثم تشد الى ثقوب العتبة للتسوية.

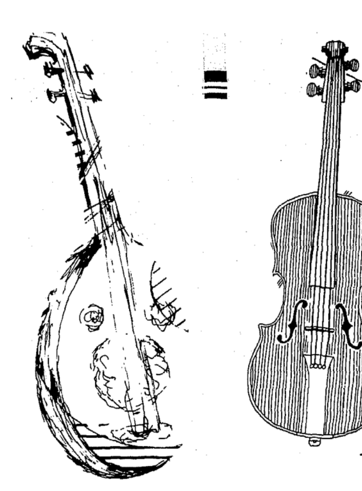
الوجـــه: لوحة رقيقة جدا تصنع من خشب الارز غالبا . . ولا يتجاوز سمك اللوحة ٢ مم ويخضع شكلها لشكل الجبح . . وتمتد على عرض اللوحة من داخل الصندوق مساطر خشبية دقيقة تكسب الآلة اهتزازا ورنينا ويتراوح عددها بين ٦و٨.

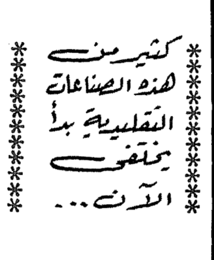
الحمـــار: خشبية من عود تثبت على وجه الصندوق وتربط عليها أطراف الاوتار فى مقابل القرمودة.

الفتحـات: ثقوب تحفر على وجه العود وتتخذ اشكالا مختلفة . . وهى من واحدة الى ثلاث فتحات.

الشماسة: لوحة من العود رقيقة مصنوعة على شاكلة شماسات النوافذ الجبصية تغطى فتحات العود . . والشماسات بالاضافة الى مظهرها الزخرفى ضرورية لاحداث الرنين فى الصندوق. وقد لوحظ فى السنوات الاخيرة جنوح بعض الصناع الى الاستغناء عن وضع الشماسات على فتحات العود ـ وهذه ظاهرة مؤسفة تخل بالمظهر الجمالى للالآة وتقرب شكلها من شكل القيثارة وتفقدها طابعها الاصيل.

بيت السطعة: لوحة رقيقة جدا تلصق على الوجه فى أعلى الحمار وهى تحمى اللوحة من خدش السطعة عند العزف.





السطعة: ريشة ينقر بها على الاوتار وهى من ريش أو صدف أو بلاستيك.
الاوتار: كانت حتى الخمسينيات تصنع من مصران العنزى.

ورش القانون: القانون آلة وترية قديمة يعود الى العرب الفضل فى اكتمالها ومنحها خصائصها الفنية. حمله العرب الفاتحون الى المغرب والاندلس وعرف فيهما باسم القانون أحيانا والسنطور أو السنطير أحيانا أخرى. ذكره ابن خلدون من بين الالآت الوترية الشائعة على عهده بالمغرب. ومنذ عهد بنى مرين لم نعد نسمع لهذه الآلة ذكرا حتى قامت الدولة العلوية ـ فإذا بالعلمى يحيى ذكرها فى «أنيسه» تحت اسم السنطير. وتلاه التادلى المتوفى عام ١٣١١ فساقها تحت اسم القانون.

●● ويبدو أن المغاربة لم يكونوا يقيمون وزنا للفوارق الموجودة بين القانون والسنطور ـ فالمدلول واحد مهما تعددت الاسماء.

وقد شاع استعمال القانون لدى أجواق الموسيقى الغرناطية بالرباط منذ استقرار الموريسكوس بها ـ ويتأكد هذا بمقتضى شهادة العالم الرباطى ابراهيم التادلى الذى منح هذه الآلة المرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب. وقد انتقل استعمالها بعد ذلك الى حظيرة الآلة الاندلسية بنفس المدينة على يد الفنان الرباطى المعلم أحمد بالمحجوب زنيبر الذى كان يجيد الفنين معا: الغرناطى والآلة.

وبفضل ما أمكننا تجميعه من معلومات حول هذه الآلة نستطيع التعرف على طريقة صنعها.

صندوق القانون: هو مربع منحرف. ضلعه اليسرى موازية لضلعه اليمنى وأطول منها. سمك الصندوق حوالى ٦ سم وغاربه السفلى متحركة بمثابة بويبة صغرى تغطى عقد الاوتار(٩).

الارواح: هى مساطر خشبية تمسك أطراف الصندوق الى بعضها وتلصق فى جوف الصندوق على النحو

التالى :

ثلاثة مائلة الى اليسار فى القسم الاعلى من الصندوق.

واحدة أفقية فى القسم الاسفل من الصندوق.

وسمك هذه الاربعة نحو ٢ سم.

أربعة عمودية تمتد بين أسفل الصندوق والروح الافقية. وسمكها نحو نصف سم.

الوجـــه: هو الوجه البارز للقانون ويصنع من الارز أو الكركاع.

الفتحـات: ثقـوب على وجـه القـانـون عددها من ثلاثة الى أربعة بحسب حجم الصندوق وتختلف أشكالها. . وفى الجزء الاسفل من وجه الصندوق بين الروح الافقية وأسفله فتحات كبرى تقسمها الارواح العمودية الى خمس فتحات متساوية.

الشماسات: لوحات رقيقة مصنوعة من عود على شاكلة شماسات العود. وتغطى الفتحات العليا من وجه الصندوق.

الجلـد: خمس قطع جلدية من جلد سمك الراية والعنزى تغطى الفتحات الخمسة السفلى.

القرمودة: قطعة خشبية مستطيلة الشكل تلصق فى محاذاة الضلع المائل من الصندوق وهى محطة لوالب القانون. . ويحفر على وجه القرمودة ٧٨ ثقبا موزعة بالتعادل على ثلاثة صفوف.

المرايا: قطعة خشبية من عود صلب توضع بيسار القرمودة موازية لها. . وهى حاملة العراب.

الحمـار: قضيب من خشب صلب يمتد على عرض الصندوق فوق القطع الجلدية ودور الحمار هو الفصل بين الصندوق والاوتار.

كراسى الحمار: دوائر خشبية مخروطة توضع وسط القطع الجلدية بمثابة أعمدة لرفع الحمار الذى تمر فوقه الاوتار.

العتبـة: رؤوس خشبية صغيرة من عود توضع على امتداد طول المرايا. . عددها ٢٦ رأسا، على رأس كل منها ثلاثة شقوق تسمح بتمرير ثلاثة أوتار. . وتسمى العتبة أيضا المنشار.

الاوتـــار: تمتد فى وضع عمودى على امتداد طول القانون ويبلغ عددها ٧٨ بعدد ثقوب القرمودة.

العـــراب: قطع نحاسية صغيرة صفراء مصنوعة على شكل معكوس الوضع. . ويقابل كل وتر خمس أو سبع أو تسع عرابات بحسب حجم القانون وضع أولها ثابت بجذر رأس العتبة والباقى منها متحرك. . ويبلغ العدد الاجمالى للعرابات ٣٩٠ أو ٥٤٦ أو ٧١١.

اللوالـــب: هى كلوالب العود. . وعددها كعدد الاوتار. . وتصنع من شجر الليمون (الحامض).

الساروت: قطعة معدنية شبيهة بمفتاح الساعة الدقاقة، مهمتها تسوية الأوتار عن طريق تحريكها.

الحلقتـان: قطعتان نحاسيتان على شكل خاتم تركبان فى السبابتين عند العزف.

الـريشـــة: قطعة من قرن الحيوان تهذب بصقلها حتى تصبح رقيقة مرنة بقدر كاف وتولج بين باطن الاصابع وبين الحلقة.

ورش النـاى: تعتبـر النـايـات بسائر أنواعها رفيقة الفنان الموسيقى، وينتشر استعمالها فى سائر أصناف الموسيقى المغربية باستثناء موسيقى الآلة وطرب الملحون. ويمتاز الناى عن غيره من المزامير بشيئين:

[١] النفخ فيه يجرى مباشرة على حافته بخلاف الغيطة مثلا.

[٢] أن صنعه يعتمد على مادة القصب دون غيرها.

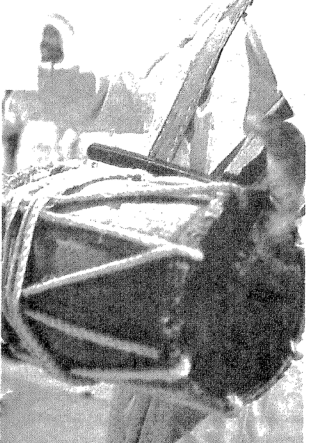
طريقة صنع الناى

نوع القصب: تصنع النايات من ذكر القصب البورى.. وتنتقى قصباتها من رؤوس القصبات العليا. وينبغى فى القصبة أن تكون عقودها ثمانية مهما كان نوع الناى المرغوب.. وأن تحمل جعابا تسعة لا يزيد طولها على ثمانية أصابع ولا يقصر عن أصبعين اثنين.. وبعد انتقاء القصبة المناسبة تجوف من داخلها بحيث يمر الهواء بسهولة ثم تحدث الثقوب على جانبيها.. وتحدد مواقع الثقوب بشكل دقيق للغاية انطلاقا من الطرف الاسفل للقصبة فى وضع العزف وبعيدا عنه بمسافة لا تزيد على عشرة سم بالنسبة للنايات الكبرى ولا تقل عن ثلاثة سم بالنسبة للصغرى.

يبلغ عدد الثقوب ستة على الوجه وثقبا واحدا من الخلف، ويكون وضعها على النحو التالى :

على الوجه : ثقبان تحت العقدة الثانية
* ثقب واحد فوق العقدة الثانية
* ثقب واحد تحت العقدة الثالثة
* ثقبان فوق العقدة الثالثة

فى الخلف : ثقب واحد وسط الجعبة الخامسة



للصناعات والحرف التقليدية دور كبير فى إغناء أسرة الآلات الموسيقية بما ابتكره الصناع من نماذج وأشكال مستحدثة..

وتختلف مقاييس النايات باختلاف مقاماتها الثمانية تدرجا من نغمة ضو الى نغمة الجواب، وبذلك تبلغ المجموعة الواحدة ثمانية أنواع يسوى كل نوع على احدى الطرق التالية:

تسوية الديابازون العادية

تسوية على دوكاه رصد.. وهى تنزل بالقرار طنينا واحدا

تسوية على فادييز وهى تنزل عن قرار العادية بنصف طنين.

أفضت ممارسة صناعة الآلات الموسيقية بكثير من الحرفيين الى تعاطى الموسيقى والغناء بل وقرض الشعر وصوغ الألحان

وبذلك يبلغ عدد النايات ٢٤ نوعا:

[١] الحجاز كار: قرارها ضو

[٢] الدوكـاه: قرارها رى

[٣] بوسليـك: قرارها مى

[٤] جهاركـاه: قرارها فا

[٥] نـوى: قرارها صول

[٦] حسينـى: قرارها لا

[٧] الاوج: قرارها سى

[٨] الكردان (جواب الحجاز كار) قرارها ضو

وتقضى العادة الا يمارس صنع النايات الا من يحسن العزف عليها، وذلك لان تسوية نغماتها تتم خلال احداث الثقوب، الامر الذى يفسر ندرة العثور على النايات الجيدة.

ورش الكنبرى:

تتصل صناعة الكنبرى بحرفة تاسراجت (صناعة سروج الخيل) وتدخل فيها مجموعة من المواد هى العود والجلد والسلك والحرير والنيلون والمصران.

وتندرج تحت تسمية الكنبرى ثلاثة أصناف تتفاوت أحجامها:

السوسان: هو أصغر الكنابر وأكثرها حدة وعلو نغمة ويتراوح طول حجمه بين ٢٠ و٣٥سم.

الفـرخ: أوسط الكنابر حجما - يتراوح طول حجمه بين ٤٠ و٥٠سم.

الهجهوج: هو أكبرها حجما وأكثر أوتارها غلظة - طول حجمه ٥٥سم تقريبا.

ومن الملاحظ أنه كلما صغر الكنبرى كلما زاد صوت أوتاره حدة.

يستخدم الكنبرى فى الموسيقى الشعبية الامازيغية بوتر أو وترين فى أصنافه الصغرى وبأربعة أوتار فى الهجهوج.

وفيما يلى وصف لطريقة صنع هذه الآلة:

الجبـح: هو صندوق الكنبرى. يتخذ من عود شجر الكركاع أو الصفصاف بحيث تؤخذ قطعة منه ثم تحفر



* آلات القرع والنفخ والوتر اكتمل ظهورها في القرن الرابع قبل الميلاد ..

من أحد جانبيها بمنقاش حديدى الرأس يدعى «الغنجاب» ويستمر الحفر لغاية أن تصبح القطعة على هيأة نصف اجاصة مفرغة لا يتجاوز سمكها سنتمترا واحدا أو ثلاثة أرباع السم الواحد.

الذراع: عصا طويلة مخروطة من نفس العود ـ يخرط رأسها الأعلى على شكل «جامور» القبة. . ويشق طرفها الاسفل على هيئة مشط ذات أسنان ثلاثة ثم يولج فى جوف الجبح من حلقه. . وتحت «الجامور» تحدث ثلاثة ثقوب أسفلها الى الامام وأوسطها الى اليمين وأعلاها الى اليسار بالنسبة لوضع العازف.

الروح: قطعة صغيرة من العود، توضع فى جوف الجبح تحت أسنان العصا ـ وهى فى آن واحد تمسك العصا وتساعد على احداث الرنين.

الجلد: قطعة من جلد الماعز تغطى وجه الجبح وفم الحلق وتلوى على جنبات الصندوق حيث تلصق باللعاقة (غراء الطحين) ثم تخاط أطرافها بخيط جلدى.

الفتحة: ثقب يحدث بالجلد فى الطرف الاسفل من الوجه. . وهى تسمح ببروز أسنان العصا حيث تركب رؤوس الاوتار.

الحمار: خشبة مخروقة على هيأة هلال على سطحها شقوق لتمرير الاوتار وتحط على جلد الكنبرى.

اللوالب: قطع خشبية مخروطة دقيقة الرأس تولج فى ثقوب العصا وتشد عليها الاوتار للتسوية.

الاوتار: تصنع أوتار الكنبرى من السلك العادى أو المفتول. . كما تصنع من الحرير المغلف بالنحاس (البندقى) ومن المصران ويقوم النيلون مقام المصران اليوم.

الحزام: خيط من المصران أو النيلون يلوى على الاوتار أسفل موقع اللوالب. وهو يقوم مقام العتبة من العود.

المضراب: أداة نقر الاوتار. . وهى من الخشب أو الريش.



هى المراكز التى أسعفنى الوقت للوقوف عليها خلال اعداد هذا العرض. واذا كان عليّ أن اعترف بقصور هذه الدراسة عن استيفاء سائر المراكز الصناعية القائمة حقها من الوصف فان من واجبى أيضا أن أذكر أن هذه المراكز عرفت فى السنوات الاخيرة تناقصا فادحا،

ويتجلى ذلك فى عدول بعض الصناع عن انتاج الآلات الموسيقية الى انتاج بضائع استهلاكية أخرى - وكذا فى عزوف هؤلاء - الا قليلا منهم - عن أداء الرسالة التى قلدهم اياها معلموهم وهى مواصلة تعليم أصول صناعة الآلات الموسيقية.

ونتيجة هذا أو ذاك أصبح من النادر جدا العثور على صُنَّاع ماهرين فى مستوى «المعلمين» الذين عرفهم هذا الميدان فى العقود الاولى من القرن الحالى - كما أصبح الحصول على الآلات الجيدة من قبيل المستحيل اللهم الا ما تستورده دور التجارة الموسيقية من بضاعات أجنبية متعددة الجنسيات.

وإن من أخطر الانعكاسات السلبية على وضع هذه الصناعة أن تتسرب اليوم الى أوراشها أساليب دخيلة ومتطورة فى طرق صنع الآلات. . وأن تغيب عن ساحتها مواد أولية كانت بالامس عمدة أساسية فى تركيب أجزائها - كالمصران بالنسبة للاوتار لتعوضها مواد أخرى اصطناعية كالبلاستيك والنيلون. فان أنت أمسكت بين يديك ما تنتجه تلك الاوراش من آلات ألفيتها غير ذات جنسية محددة فلا هى شرقية ولا هى غربية. وان أنت انتهت الى سمعك أصداء أوتارها افتقدت فيها ذلك الطعم القديم وتلك الرنات الموسيقية الاصيلة وألقت بك فى أجواء نفسية بعيدة عن الواقع المغربى.

وإن من أشد ما نخشى حدوثه أن ينقطع يوما أرباب الحرف التقليدية عن تداول المعارف التى تزخر بها دنيا صناعة الآلات الموسيقية - وهى معارف تشكل فى نظرنا تراثا غنيا على المستوى النظرى بمصطلحات عميقة الدلالة وذات مفاهيم حضارية تستوقف الباحث المتقصى وتملأ نفسه اعجابا واكبارا.

■ ولعلنى فى غير حاجة بعد هذا الى مناشدة أرباب صناعة الآلات الموسيقية أن يولوا اهتمامهم بهذا القطاع. . وأن يعملوا فى دأب على ضمان تعليم أصوله. . ومضاعفة الجهد من أجل الرفع من مستوى انتاجه حتى يعيدوا لهذه الصناعة مجدها ويحفظوا للآلة هويتها.

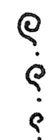
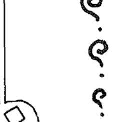
■ وما من ريب فى أن دعوة كهذه انما هى فى الواقع دعوة الى حماية وترسيخ المقومات الفنية التى ترتكز عليها الموسيقى فى ألوانها وأنماطها.

الفهارس

(١) رسائل إخوان الصفا ج٢ ص٢٠٢.
(٢) هو عند المسعودى فى مروج الذهب: السلبان. وشرحه المسعودى بأنه ذو أربعة وعشرين وترا. وتفسيره الفصوت ج٤. ص٢٢١
(٣) يراد بطرب الملحون لون موسيقى شعبى ويستمد تسميته من شعره الذى ينظم بالعربية الملحونة على لهجة العامة بالمغرب.
(٤) مروج الذهب ج، ٤. ص٢٢٠-٢٢١.
(٥) نفس المرجع ج. ٤. ص٢٢٠.
(٦) الكيس شوطان، باحث موسيقى فرنسى كان يشغل منصب مديراً للمعهد الوطنى بالرباط.
(٧) مروج الذهب. المسعودى ج٤ .ص٢٢٠
(٨) توفى سنة ٦٩٠.
(٩) الغارب: هو جانب الصندوق عند أصحاب حرفة النجارة.



هل هناك عادات وتقاليد غابرة ندعوها؟

السؤال: هل هناك عادات وتقاليد غابرة ندعوها؟.

الجواب: منهج يجب المحافظة عليه:



نحن نؤمن ان شهر رمضان المبارك شهر القوة الذاتية والعطاء والتضحية المنبثقة من المنهج الروحى الذى أمرنا الله بالتزامه أداء وسلوكا.. فى هذا الشهر المبارك تتجلى ارادة الانسان وعزيمته وقدرته على الوفاء بالتزامه تجاه خالقه فيما أمره به ونهاه عنه.



وفي الوقت نفسه نؤمن ان للصوم منافع روحية مؤكدة، ومنافع مادية محسوسة.. «فالمنفعة الروحية» مدخرة للانسان عند عودته الى خالقه حيث وعد الله الصائم - ووعده الحق - بجزاء خاص أوضحه رسول الهدى محمد ﴿ﷺ﴾ فى قوله: يقول الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى**»(١).. وقوله عليه الصلاة والسلام «**والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى**»(٢)

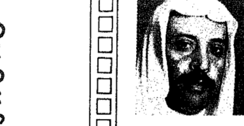
والمنفعة المادية محسوسة فى التخفيف على الجسم المادى من الاعباء التى تثقله وتأسره طيلة احد عشر شهرا. وقد اثبتت الحقائق الطبية المعاصرة ان معظم امراض الجسم تنتج عن اثقاله وارهاقه بالطعام.

وارادة القوة فى الصوم تستلزم التعبير عنها تعبيرا ظاهرا بحيث لا يبدو فى الصائم اى وهن او ضعف قد يظن معه ظان او يشك شاك ان للصوم تأثيرا على قوته البدنية(٣).. لقد تجلت هذه الارادة فى منهج الرسول وسلوكه وقوته ﴿ﷺ﴾ فى شهر رمضان وكانت غزوة بدر الكبرى فى رمضان - التى علت فيها راية الاسلام وانهزمت فيها راية الجاهلية العمياء - دليلا على قوة الارادة وان الصوم لا يؤثر بأى حال على هذه الارادة بل يزيدها قوة على قوة وعطاء على عطاء.

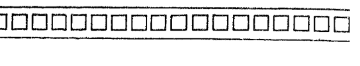
لقد عشنا مظاهر قوة الارادة والتصميم على العطاء فى وقت قريب حين كان الصائمون ينتشرون على اختلاف اعمارهم فى فواتيح النهار يعملون بلا ملل ويكدحون بلا ضجر لا تبدو عليهم أى علامة من علامات الوهن او الضعف.. وما كان احدهم ليرغب فى الراحة سوى اغفاءة بسيطة فى القيلولة عندما يكون الصوم فى حمارة القيظ.

أما الليل فى رمضان فكان وقت عبادة وراحة امتثالا لقول الله تعالى ﴿**وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا**﴾(٤) العبادة تتجلى فى اداء صلاة التراويح من اول ليلة من رمضان والتهجد فى العشر الاواخر منه اتباعا لما درج عليه الصالحون وابتغاء المزيد من الحسنات خاصة فى ليلة القدر التى

؟ . ؟ . ؟



د. عبدالرحمن بن حسن النفيسة
- السعودية -





دلت الآثار على فضائلها واستجابة الدعاء فيها.

قلت: ان مظهر العبادة فى ليل رمضان ومظهر القوة فى نهاره ونبذ الكسل فيه يعتبر نمطا من سلوك اسلافنا الصالحين يستلزم منا الاقتفاء والاتباع.

■ ان اتجاه الصائم الى العمل فى معظم ليل رمضان بحجة قضاء حاجته فى أى أمر من أمور الدنيا مدعاة لاسترخائه ووهنه فى معظم نهاره مما ينعكس بالتأكيد على ادائه فى عمله وعلى علاقته بغيره ومختلف تصرفاته وبالتالى يعد مظهرا منافيا لحكمة الصوم واهدافه الروحية والمادية.

■ ان القول بان الاسترخاء فى نهار رمضان مبعثه الصيام فترة من الوقت قول غير صحيح البتة.. فالطلاب الذين عاشوا ولا زالوا يعيشون الغربة فى بلاد الغرب للدراسة كانوا يصومون اكثر من خمس عشرة ساعة دون ان تظهر عليهم علامات الاسترخاء.. لقد عايشنا هذا الوضع وما كان احد يشكو من التعب او الوهن بل ربما كان التحصيل فى رمضان اكثر من غيره من الشهور.

قلت: فالأمر اذن يعتمد على تعويد النفس وعلى اتباع منهج السلف الصالح فيما كانوا يفعلونه فى ليل ونهار رمضان.. والله المستعان.

الهوامش

(١) هذا لفظ البخارى وفى رواية مسلم «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف» قال الله تعالى: «الا الصوم فانه لى وانا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى»..

(٢) متفق عليه.

(٣) يفترى المعادون للاسلام فيزعمون ان للصيام تأثيراً على القوة البدنية ومازال هذا الزعم يتردد بين وقت وآخر لعل آخره ما تعرض له المسلمون الاتراك فى احدى الدول الشرقية.

(٤) سورة النبأ الاية (١٠، ١١).

سؤال ؟

العادات والتقاليد منظور إقليمي



هذا هو السؤال الذى وصلنى من مجلة «المنهل» وهى بصدد اصدار عدد متخصص عن العادات والتقاليد. ولعلها بذلك تريد مواكبة المهرجان الرابع للتراث الذى سيبدأ قريباً فى العاصمة الرياض. . وهذه خطوة رائعة من المنهل تواكب بها حدثاً هاماً على مستوى المجتمع العربى السعودى. ولكى نصل الى محاولة للاجابة على السؤال نعتقد أن التوطئة ضرورية للدخول فى الموضوع المحدد: العادات والتقاليد.

ان جميع افراد المجتمع أى مجتمع العمال والموظفون الأمى والمتعلم الطبيب والمزارع الجندى واستاذ الجامعة وغيرهم من فئات المجتمع يشتركون معاً فى خاصية كونهم «شعبا» فهم جميعاً «حملة للأشكال الثقافية الجديدة والتقليدية» وان اختلفت كثافة العنصر الشعبى وشدته من فئة الى أخرى غير أنه لا يوجد انسان بدونها إطلاقاً ولا يوجد انسان يخضع لسلطان العقل خضوعاً كليا باستطاعته تنظيم جميع أنماط سلوكه وفقاً لقواعد المنطق. وهذا يعنى أنه لا وجود لانسان فى ميدان الاحساس والعواطف يستطيع المحافظة على كونه فرداً متميزا لا يتأثر بمعايير السلوك الكثيرة المعقدة التى يمليها «التراث» بل ولا يستطيع أكثر الناس استقلالا داخل ثقافة ما. . حتى لو تصور نفسه أنه أبعد ما يكون عن كل تأثير تقليدى وأنه يمكنه الهروب من تأثير التراث أو تفاديه. .

■ والحقيقة أنه لا يوجد انسان لا يشارك فى التقاليد ولو للحظات يسميها البعض افتراء «**لحظات لا عقلانية**» ولذلك فان التراث الشعبى ليس موضوع طبقة معينة وانما هو موضوع الانسان بعامة الانسان الذى يحمل التراث فى الجماعة والمجتمع الذى ولد ونشأ فيه. . والتراث الذى يهتم به الدارسون ذلك الذى ينتقل من الأب الى الابن ومن الجيل الى الجيل. وهم يستبعدون من ذلك ما اكتسبه الانسان من المعارف العقلية كتلك التى يتعلمها فى المدارس والمعاهد والجامعات وما شاكلها.

■ وبما أن الثقافة نتاج عملية امتدت آلاف السنين وتتضمن قدراً كبيراً من الحكمة فى معاييرها وانماطها الشديدة التنوع فلا يمكن الخلاص من تأثيرها فى أى مجتمع سواء كان مجتمعاً بدائيا بسيطا أو من ذلك النوع الأكثر تطوراً وتعقيداً. . والتراث الشعبى عند دراسته ينقسم الى اربعة اقسام رئيسية هى: المعتقدات والمعارف الشعبية. الادب الشعبى وفنون المحاكاة. . الفنون الشعبية والثقافة المادية. العادات والتقاليد. . والتراث فى معناه ليس وقفاً على أمة دون أخرى. فالناس كلهم قديما وحديثاً يشتركون فى كونهم حملة التراث أولا وهم الذين يمارسونه ثانيا. . واشتراكهم فى هذه الصفة لا يعنى التماثل فى عناصره كلها. بل ان الاختلاف هو الأكثر وضوحا فى كثير من

...ليمى أم قومي ؟

عناصر التراث الشعبى فإذا سلمنا بالاختلاف فى عناصره الفكرية فإنه لابد من التسليم بالاختلاف فى عناصره المادية . . لكننا لا نستطيع مثلا فيما يتعلق بالامثال والحكم كجزء من التراث الشعبى ، القول بأنها حكر على شعب بعينه أو أنها من صنع مجتمع دون آخر أو أن ننسبها الى حضارة ما. ومن خلال معرفتنا لهذا الجزء نحقق فائدة هامة . . تتمثل فى السفر بأفكارنا فى رحلة الى الماضى خلال العصور. وسنرى مدى تغير المؤثرات على الانسان وبقاء دوافع أخرى ثابتة مهما تغيرت المظاهر المادية . . فشمس الصحراء المحرقة . وثلوج سيبريا . وغابات أفريقيا



د . سعيد فالح الغامدي
السعودية

الموحشة . لم تغيرمن أفكار الناس أو مواقفهم نحو المشكلات الكبرى التى كانت تقلقهم أو لا تزال . . فنجد مثلا أن أمثال الشعوب وإن اختلفت فى صيغها وأشكالها التعبيرية تتشابه فى افكارها حول مشكلة أو موقف يعانيه الانسان .



نستطيع أن نقول ان هذا المثل سابق لذاك أو أنه منقول عن ذاك الا بالرجوع الى المصادر التى تؤرخ لاسبقية مجتمع من حيث الوجود على الآخر. وعلى سبيل المثال فقد نجد فى التراث العربى المثل الذى يقول: «كمستبضع التمر الى هجر» . . وفى الانجليزية نجد نفس المعنى لكن باختلاف المستخدم فيقولون : (Carrying Coale To New Castle) . . ولعل هذا يشير الى حقيقة هامة هى أن الامثال المتداولة ملك للانسانية وأن محاولة نسبتها الى أمة من الامم امر فى غاية الصعوبة بل ومن المستحيل . . وبعد هذا نعود فى محاولة للاجابة على سؤال المنهل.

■ العادات والتقاليد شأنها شأن عناصر التراث الشعبى الأخرى ليست حكراً على أمة دون أخرى . فلكل مجتمع عاداته وتقاليده التى يتوارثها جيل عن آخر. ولا يمكن التسليم بتماثلها بين الثقافات فما يحرص عليه الناس فى ثقافة قد يكون

مكروها فى ثقافة أخرى. . وما هو حسن هنا قد لا يكون كذلك هناك والعكس. وهكذا يدفعنا الى القول بأن العادات والتقاليد من صنع الثقافة نفسهـا ونعنى بها الثقـافة الكلية لمنطقة أو أمة. فشـرب الخمـر فى بعض المنـاسبات من التقاليد والعـادات الأصيلة فى بعض المجتمعات. لكنه محرم تحريـماً قاطعـاً وبـاتاً فى المجتمع الاسلامى وتحت أى ظرف أو منـاسبة وعلى هذا الأساس فتقسيم المجتمعـات الانسـانيـة بحسب المناطق الثقـافيـة نسبـة الى عاداتهـا وتقـاليدها والعرف السائد بها تقسيم منطقى الى حد كبير فهناك مثلا العادات والتقاليد الأوروبية ويقابلها على سبيل المثال العادات والتقاليد العربية. . فالكرم ظاهرة

محمـودة فى الثقافة العربية وهو تبذير واسراف فى الثقـافـة الغربية. . ويمكن أن نقيس على هذا الكثير والكثير. وعليه فإنه يمكن التسليم بالنظر الى العـادات والتقـاليد من منظور قومى لا من منظور محلى إذا كنا ندرك تماماً أن الأصل فى هذا المنظور هو الثقافة.

لكننا من ناحية أخرى لا نسلم بهذا المنظور اذا حاولنا النظر من منظور الثقافة الفرعية فالشعب الانجليزى مثلا على اعتبار أنه شعب له تاريخ يلتزم بالكثير من التقاليد فى بعض المناسبات وهو التـزام تاريخى أيضا. عكس المجتمع الامريكى الـذى تتنـوع فيه العادات والتقاليد وفقاً لمناطق الهجـرة على اعتبـار أن الغـالبيـة العظمى من مواطنيه هاجروا من مناطق ثقافية متعددة ومختلفة لم تندمج مع بعضها لتشكل كُلًّا يمكن أن نطلق عليه (تقاليد).

وإذا ما انتقلنـا الى العـالم العـربى الذى نسميه بمنطقة الثقافة العربية، نلاحظ أيضا رغم الاتحاد فى الثقـافة الكلية اختلافاً فى الثقافات الفرعية. فللمشرق العربى ثقافته التى تحدد ملامح وسمات الفرد فيه والتى تختلف فى مجملها عن ما هو عليه فى المغرب العربى. فهل يمكن أن نأخذ بفكرة المنظور المحلى وفقاً للتقسيم الجغرافى لمنطقة العالم العربى؟.

الاجابة على هذا بالنفى أو الاثبات. نتقل الى المجتمع العربى السعودى فى محاولـة للتعرف على بعض عاداته وتقاليده فى هذه العجالة. فبصرف النظر عن بعض ما اندثر من العادت والتقاليد التى كانت سائدة فيه فإنه يمكن القول بصفة عامة أنه مجتمع تتعدد فيه الثقافات الفرعية والتى بدورها تدخل فى تشكيل عاداته وتقاليده قديمهـا وحديثها. فهو من حيث التركيب السكانى ينقسم الى ثلاثـة أقسـام: البـاديـة. . والـريف. . والمدينة. ولكل من هذه الاقسام عاداته وتقاليده التى تختلف فى بعضها وقد تلتقى فى أخرى.

كان الاختـلاف أكثـر وضـوحاً قبل ما نسميـه بعمليـة الاتصال الثقافى سواء ذلك الذى تم بين المجتمعات المحلية أو بين المجتمـع العـربى السعـودى بصفة عامة والمجتمعات الخارجية. على اعتبار أن للاتصال الثقـافى دوره الهـام فى تغيـير كثـير من العادات والتقاليد. . فإذا أخذنا المظاهر المصاحبة للزواج أو الاعيـاد والمنـاسبـات لدى الاقسام الثلاثة فى المجتمـع العـربى السعـودى التى أشـرنا اليها. وحاولنا أن نستخلص منها بعض العادات نجد ان هنـاك اختـلافاً كبيراً بين كل منطقة واخرى فيما يتعلق بما ذكـرنـا خاصـة إذا نظـرنا اليها قبل ما أسميناه بعملية الاتصال الثقافى. فابتداء بمرحلة الخطـوبـة وعقـد القِران وانتهاء بمراسم الزفاف تفرض التقاليد بعض أنماط من السلوك فى منطقته

والـذى قد لا يتفق مع ما هو سائد فى منطقة أخرى. ففى الوقت الذى كان يتم فيه عقد القران فى دار العريس بمدينة جدة مثلا نجد أن عقد القران فى منطقة الباحة لا يتم الا فى دار العروس وفى الوقت الذى لا تبدو فيه ما يسمى (بمرحلة الخطوبة) واضحة فى مدينة جدة أو منطقة الباحة فانها كانت ضرورية عند البادية أو لنقل تفرضها الظروف.

وفى الوقت الذى كانت العروس تزف الى دار عريسها فان العريس فى البادية كان يدخل على عروسه فى دار أهلها. بل ولا تنتقل الى داره أحياناً إلا بعد أن تنجب عدداً من الاطفال.

ولا نريد الدخول فى تفصيلات لايضاح اسباب هذا الاختلاف أو تأصيله لان هذا يحتاج منا لمساحة اكبر ووقت أطول.. أما فى الاعياد والمناسبات فتوشك الاختلافات أن تكون أكثر وضوحاً.. وإذا اخذنا مظاهر الفرح التى تقام فى المناسبات نجد انها تختلف ربما بسبب اختلاف الظروف الثقافية والطبيعية بين كل منطقة واخرى. ومن ذلك مثلا الالعاب الشعبية فلدينا ما يعرف (بالعرضة) التى تتنوع الى عدة أنواع حسب المناطق، ففى الجنوب تمارس بطريقة تختلف عن مثيلتها فى الشمال أو فى المنطقة الشرقية والوسطى.. وبما أن العرضة «رقصة حرب» كانت قديماً بمثابة انذار أو استدعاء للرجال للمساهمة فى غزو أورد غاز فإنه كان لابد أن تختلف من حيث الاداء والايقاع حتى بين المناطق المجاورة. والاختلاف هنا ضرورة املتها الظروف الطبيعية والتى قسمت المجتمع الى مناطق بحكم الحياة القبلية التى كان يحياها.

■ ومناسبة ختان المولود الذكر تكشف لنا عن اختلافات جذرية من حيث المظاهر المصاحبة لها.

فعند البادية وبعض المناطق الاخرى كان ختان الذكر يتم فى مرحلة عمرية متأخرة حتى يمكن اختبار مدى صلابته وقدرته على تحمل آلام الختان بين جمع كبير من الرجال وفى حالة صموده وابداء مقدرة كبيرة على الصبر والاحتمال يضيف شرفاً الى أسرته ويمنحها قوة تضاف الى مالديها.. اما فى المدينة فلم تكن مظاهر العنف والشدة تصاحب عملية الختان كما هى فى مناطق اخرى. وهذا بالتأكيد له علاقة بمفهوم الحياة فى القرية والبادية والمدينة.



فى هذا الاختلاف الذى أشرنا اليه اشارات موجزة ما يمكننا من الاجابة على السؤال عنوان هذا الموضوع. فنقول ان العادات والتقاليد بأشكالها وصورها المختلفة ترتبط بالثقافة المحلية التى نسميها احياناً بالثقافة الفرعية. وعلى هذا فإنه ينبغى النظر اليها من منظور اقليمى أولا. وعندما ترتبط ببعضها فى اطار الثقافة الكلية للمجتمع فإنها تصعد الى مستوى الاقليمية اذا كنا نقصد بالاقليمية هنا «المجتمع» ثم يمكن ربطها بالقومية إذا نظرنا اليها فى صيغتها الكلية أيضا فى بعض عناصرها وليس كلها كما هو الحال بالنسبة للثقافة العربية أو الثقافة الغربية. ويظل كل مجتمع محلى له عاداته وتقاليده التى قد تشاركه فيها مجتمعات محلية أخرى وقد تختلف فلا يمكن مثلا أن نقول: ان العادات والتقاليد فى المجتمع المحلى البدوى أو الريفى يتماثل مع العادات والتقاليد فى المجتمع المحلى فى المدينة لاختلاف قائم فى عادات وتقاليد تبدأ بعادات الاكل والشرب وتنتهى بالتقاليد التى يلتزم بها كل فرد بحسب انتمائه الى منطقة ثقافية معينة.. ونأمل ان نستكمل هذا فى عدد قادم ان شاء الله.

سؤال ؟ ؟ ؟

لابـد من إحيـ

اشتُقَّت كلمة «العرف» من جذرها «عرف» وهى تتضمن معانى العلم بالشىء والتيقن منه، وهى مشتركة مع كلمة «العرفان». تأتى العادة من التعود على ممارسة سلوك ما، بحيث تصبح جزءاً من الفرد وشخصيته والمجتمع وحياته.. اما التقاليد فهى انماط السلوك التى تزاول من قِبَل الفرد والمجتمع، وهى فى هذا وذاك تقليد لسلوك الاخرين.. والعرف اصطلاحا يتكون من التقاليد والعادات المقدسة المنتشرة بين الناس.. وهذه المصطلحات الثلاثة متقاربة من بعضها البعض.

يصنف الحقوقيون الاعراف والعادات والتقاليد الى ما هى جيدة واخرى سيئة. فالتى تنسجم مع الاسس الاسلاميه جيدة والتى لا تنسجم مع هذه الاسس سيئة.

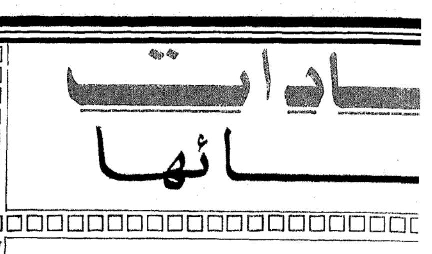
■ يمكن تقسيم الاعراف والعادات والتقاليد حسب انتشارها بين الناس الى قسمين: العامة وهى المنتشرة فى جميع انحاء البلد.. والخاصة وهى المنتشرة فى بقاع محدودة بين ناس معينين.

■ يمكن اعطاء امثلة كثيرة عن الاعراف العادات والتقاليد الجيدة والسيئة، العامة والخاصة واقتصر هنا على اعطاء ثلاث عادات اجتماعية جيدة خاصة رأيتها رأى العيان خلال تجوالى فى المناطق المختلفة من تركيا.



●● كنت قبل خمس عشرة سنة تماما طالبا فى المعهد الاسلامى العالى فى ازمير.. ذهبت مرة مع صديق الى زيارة حميه (أب زوجته). كان حمو هذا الصديق نموذجا للرجل المؤمن بالله فقد ترسخت العقيدة الاسلامية فى قلبه وتخلق بالخلق الاسلامية الرفيعة وأتمر باوامره وامتنع عن نواهيه فشعرت نحو هذا الرجل بكثير من الاحترام.

●● حان المساء، ورجع اثنان من ابنائهما من العمل فدقا الباب ثم دخلا وسلما على الحاضرين



وقبلا ايادى امهما وابيهما بالترتيب وسألاهما عن احوالهما. . رحبا بى وبصهرهما مصافحين ايانا. . جلسا فى مكان مناسب بكل أدب. . رحب الابوان بهما وسألاهما عن احوالهما فاجاباهما بكل احترام. . دخلت زوجتاهما بعد قليل بكمال الادب ورحبا بزوجيهما وقبلتا يديهما. . جاء بعدهما اطفالهما وقبلوا يدى ابيهم وعمهم.

●● بدأنا مسامرة حلوة فى ذلك البيت وكل فرد مستبشر يوزع الابتسامات من فيه. مرت ساعة على هذه الحالة فقطع صوت المؤذن الجميل احاديثنا. . انصت الجميع الى آذان المغرب بخشوع.

■ لقد افضت بعد الاذان بكلام قصير الى صاحب البيت الحاج عما يعبر عن اعجابى وتقديرى لخلق العائلة الرفيعه. اجابنى العم الحاج قائلا:

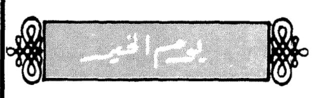
■ لقد قدمنا الى تركيا مهاجرين من

إعداد
نورالدين توركاري

ترجمة
د. أنور طاهر رضا
- تركيا -

يوغسلافيا. . ولان الاعراف والعادات والتقاليد فى المنطقة التى نشأنا فيها تعتمد اصلا على القرآن الكريم فقد عشنا ونشأنا بين احضانها وربينا اطفالنا على هديها.

●● ورغم مرور هذا الوقت الطويل فانى لا انسى حياة هذه العائلة الاسلامية المتواضعة.



■ مرت سنوات طويلة عينت خلالها واعظا فى مدينة مانيسا. . تجولت فى مناطق مختلفة منها - تضمنت الاقضية والنواحى والقرى - امارس مهنتى كواعظ اوضح الآيات القرآنية والاحاديث النبوية.

■ وفى ربيع احدى السنوات دعيت الى قرية (أينز) التابعة الى قضاء (صوما) - وقد ذهبت الى هناك بعد ان قيل لى ان جمعية للخير مجتمعة هناك وان الناس يقبلون عليها من كل حدب وصوب. . طلب منى ان اتولى مهمة وعظ الناس موعظة حسنة.

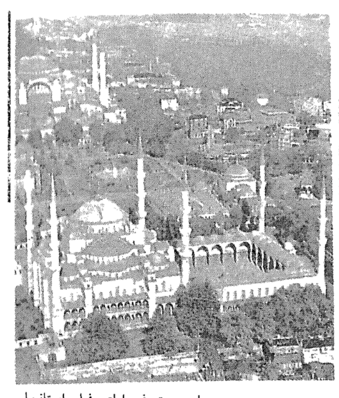
■ لقد كانت المنطقة مكتظة بالناس فعلا اذ اجتمع اهالى عشر قرى مجاورة واشتركوا جميعا فى اقامة الولائم. لقد جلس الرجال والنساء على شكل جماعات مستقلة كبيرة.



■ بدأ الحفاظ يقرأون آيات من القرآن الكريم . . وعظت بعدها الناس حوالى ساعة من الزمان ثم قرأت الادعية وسألت الله للجميع الخير والتوفيق وهم صامتون يستمعون الى كل كلمة بدقة متناهية . حان وقت صلاة الظهر وأذن المؤذن وصلينا جماعة . . التقى الناس ببعضهم البعض ممن لم تسمح لهم الظروف ان يلتقوا خلال السنة بسبب انشغالاتهم وانهيت القطيعات وحُلّت الخصومات . . تناول الجميع غذاءهم معا ثم رجعوا قافلين .

كان ذلك اليوم عبارة عن يوم خير وسلام فقد حضر فى هذه التظاهرة جميع سكان المنطقة والتقوا ببعضهم البعض فأزيلت الاحقاد ورفعت الحزازات وانهيت الخلافات . . وعمت الصداقات وانتشرت الالفة والمحبة والوئام .

■ لقد علمت ان مثل هذا اليوم يكون فى موسم الربيع من كل سنة وقد ورثوا تنظيم هذا اليوم من آبائهم واجدادهم ـ واصبح يوم الخير عادة اجتماعية راسخة فى حياة هذه القرى المجاورة لبعضها البعض .



جامع ومتحف اياصوفيا ـ استانبول



مجالس العلم

■ لقد توليت مهمة الوعظ فى مدينة (بالكسير) حوالى سنتين . . كنت اقوم بهذه المهمة يوميا فاذهب الى احد الجوامع الموجودة فى المدينة او احد الاقضية ونواحيها وقراها ألتقى بالجماعة المتواجدين هناك فأقرأ لهم آيات من القرآن الكريم واشرح معانيها ـ واعطى امثلة من الاحاديث النبوية الشريفة واتحدث لهم عن خلق نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ السامية واتوقف عند علم الفقه فاشرح لهم الحلال والحرام .

■ ذهبت فى احد الايام خلال تجوالى الى قرية (الداغستانيين)، لقد جاء سكان هذه القرية من روسيا واستقروا

هنـاك . . اقمت فى هذه القـرية يومين التقى خلالهـا بالنـاس فى الجـامـع او المقهى واتحدث معهم عن مواضيع دينية متباينة . . قضيت الليل فى بيت احد الاصدقاء .

■ بعـد صلاة العشاء من تلك الليلة اقبل اكثر من ١٠ رجال الى بيت هذا الصديق وجلسوا بكل أدب فى احدى الغـرف . . جلس كبار السن منهم فى صدر الغرفة اما الشبان فقد جلسوا فى اماكن مناسبة بالقرب من الباب .

■ قرأ احدهم آيات من القرآن الكريم وبعضا من الاحـاديث النبوية الشريفة وشرحها للحاضرين فأنصت الجميع بكل هدوء وبعد ان استمروا على هذه الحـالـة ساعة من الزمن ارتاحوا فترة شربوا خلالها الشاى وتسامروا . . كان الشباب يقومون بخدمة من هم اكثر منهم سنا فيقدمون لهم الشاى والماء وما يحتاجون اليه .

■ قرأ احـدهم فى كتاب فقهىّ ساعة من الزمن واجــاب على الاسئـلة الـتـى طرحـت فى هذا الخصوص ـ وفى نهاية الدرس ذهب الجميع الى بيوتهم .

■ تأثـرت كثـيرا بهدوء الجـماعـة واحـترام وأدب الشبـاب وبقراءاتهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والمسائل الفقهية . . انتابنى الفرح وشعرت بكثير من السعادة وعبرت عن مشاعرى لصاحب البيت فعلق على قولى بما يأتى :

●● نجتمـع مرة فى كل اسبوع يا سيدى نتعلم خلالـه القـرآن الكريم والاحـاديث النبـويـة والفقـه الاسـلامى ، ان الهـدف الاسـاسى من هذه الاجتماعات هو تعليم هذه المـواضيـع لاطفـالـنـا وشبـابنا بشكل خاص . لقـد عاش اجـدادنا فى القفقاس على هذا المنوال . . وادام اباؤنا هذه العادة الجميلة بعـد الهجرة . . وسرنا من بعدهم على ذلـك ندرب اطفـالنـا لكى يستمروا عليهـا من بعدنا ـ ذلك لان الله سبحانه وتعالى ورسوله الاكرم محمد ﴿ﷺ﴾ وكافة العلماء اكــدوا كون العلم ضرورة لحيــاة الانسان وواجبا على كل مسلم ومسلمة ـ واوضحوا لنا فضائل العلم واهميته اذ هو ينير طريق الانسان ويبعده عن الجهل ومخلفاته .

وفى هذا الصـدد يقول نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ حديثا رواه لنا مسلم وابو داود والترمذى : **«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتـاب الله ويتـدارسـونه بينهم الا نزلت عليهم السكينـة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»** .

■ لقـد فرحت بكلام هذا الرجل ايما فرح وكم تمنيت ان تنتشر العادات والتقاليد بين المسلمين التى تؤكد على العلم والادب والعرفان والتربية الرشيدة والخلق الرفيعة .

●● ●● ●●

هذه ثلاث عادات وتقــاليـد جيـدة ومفيدة أوردتها كنماذج حية تمثل ثمار تربيـة القـرآن وتفيـد الفرد والعائلة والمجتمـــع فى آن واحـد . . وهنـاك عادات وتقاليد اخرى مضرة تناقض القرآن الكريم والسنة النبوية والشرع الاسلامى ـ فنحن احوج ما نكون الى احيـاء العـادات والتقاليد التى تنسجم مع الاسلام وترك ونبذ تلك التى لا تنسجم معه .

هذا هو «بيت القصيد» فى الشعر كله . . كما أن لكل قصيدة بيتاً . .
بيت القصيد فى الشعر كله . . قرأه الأصمعى والمفضل الضبى وأبو عمرو بن العلاء . . وكلهم له رواة ؛ فتسابقوا إلى البحث عن شوارده وأوابده . . وسجلوا ملاحظاتهم على الحياة العربية كلها كما استشفوها منه . . ووجدوه يفيض بالتعبير الصادق عن عاداتهم وتقاليدهم الراسخة التى توارثتها أجيال واجيال . . قبل وبعد عصر التدوين . . وهى تقاليد قد تختلف صورتها عند حضرى وبدوى ولكن جوهرها عند الجميع واحد . . ومن هنا، حين يمدح الشاعر البدوى الخليفة بقوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للود
د وكالتَّيس فى قراع الخطوب

يطربون . . حتى الخليفة . . فالجوهر : الوفاء والشجاعة . . وهذا هو بيت القصيد . .

☆☆

ألم تعلمى أنى إذا الضيفُ نابنى
وعزَّ القوى أقرى السَّديفَ المُسَرهَدا

☆☆☆

وما تشتكينى جارتى، غير أننى
إذا غاب عنها بعلُها لا أزورها

☆☆☆

إنى من القوم الذين إذا انتدوا
بدأوا بحقِ الله ثم النائل

☆☆☆

فلا خير فى ودّ إذا رثّ حبله
وخير حبال الواصلين جديدها

☆☆☆

نحن أبناء يعرب أعرب النا
س لساناً وانضر الناس عودا



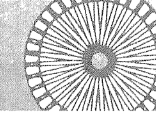
قال حاتم الطائي :

وعـاذلـةٍ هَبَّـتْ بليـلٍ تلومُـنـى(١)
وقـد غاب عَيّـوق الثـريـا فعـرّدا(٢)
تلوم على إعطـائـى المـالَ ضَلّةً
إذا ضنَّ بالمـال البخيـلُ وصـرّدا(٣)
تقـولُ ألا أمْسِـكْ عليـك، فإنـنى
أرى المـالَ عنـد المسكين مُعَبَّدا(٤)
ذرينـى ومـالـي، إنَّ مالـكِ وافـرٌ
وكـلُّ امـرىءٍ جارٍ على ما تعـوّدا
أعـاذلُ لا آلـوكِ إلَّا خليـقـتـى
فلا تجعـلى فوقـى لسـانـكِ مِبردا
ذرينـى يكُـنْ مالـى لعـرضـى جُنَّـةً
يقـى المـالُ عرضـى قبـل أن يتبـددا
أريـنـى جواداً مات هَزْلاً لعـلنـى
أرى ما تريْـنَ، أو بخيـلا مُخلَّدا
وإلا فكُفّـى بعضَ لومِـكِ واجْـعَلى
إلى رأى من تَلْحيـنَ رأيَـك مُسْنَـدا
ألم تعـلمـى أنّـى إذا الـضيـفُ نابـنى
وعـزَّ القِـرَى أقـرِى السَّـديف(٥) المسرْهدا(٦)
أُسـوِّدُ ساداتِ الـعـشـيرة عارفـاً
ومـن دون قومى فى الشـدائـدِ مِذْودا
وأُلـقـى لأعـراضِ العشيرة حافظـاً
وحـقّـهُـمُ حتـى أكونَ المسـوَّدا
يقـولـون لى أهلكت مالك فاقتصد
ومـا كنتُ، لولا ما يقـولـون سيّدا
كلوا اليـوم منِ رزقِ الإلـهِ وأيسـرُوا
... رزقـكُـمُ غدا

(١) العيّوق : كوكب يطلع قبل الجوزاء.
(٢) عرّد: غار .
(٣) (صرد) : أعطى القليل.
(٤) معبدا: مذلل للناس .
(٥) السديف: لحم السنام .
(٦) المسرهد: السمين أنظر (الديوان) تحقيق دكتور عادل سليمان جمال .

وقال حاتم الطائي أيضا :

وإنّـا نُهينُ المـالَ فى غير ظِنَّـةٍ
ومـا يشتكينـا فى السنـين ضريـرُهـا
إذا ما بخيـل النـاس هرَّتْ(١) كلابُـه
وشقَّ على الضيفِ الضعيفِ عقُورُها
فإنـى جبـانُ الكـلبِ، بيتـى موطَّأ
أجـودُ إذا ما النفسُ شحَّ ضمـيرُهـا
وإنَّ كلابـى قد أُقـرَّتْ وعُـوِّدتْ
قليـلٌ على مَنْ يعـترينى هريـرُهـا
ومـا تشتكـى قِدرى إذا النـاسُ أمحلوا(٢)
أُوثـقـهـا طوراً وطـوراً أميـرُهـا(٣)
وأبْـرِزُ قِدرى بالـفضـاء، قليلُهـا
يُرى، غيرَ مضنـونٍ به، وكثـيرُهـا
وإبْـلِى رهْـنٌ أن يكـونَ كريـمـهـا
عقـيراً، أمـام البيت حين أُثـيرُهـا
أشـاورُ نَفْسَ الجُـودِ حتى تُطيعَنى
وأتـركُ نفسَ البخـلِ ما أستشـيرُهـا
ولـيس على نارى حجـابٌ يكُـنّهـا
لُمْسـتـوبص(٥) ليـلاً ولكنْ أُنـيرُهـا
فلا وأبـيـك ما يظـلُ ابْـنُ جارتـى
يطـوفُ حوالَىْ قِدْرِنـا ما يُطـورُهـا(٦)



وما تشتكيني جارتي، غير أنني
إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلُغها خيري ويرجع بعلُها
إليها، ولم يُقْصَر عليَّ ستُورُها

(١) هرير الكلب: صوته دون نباحه (الرازى مختار الصحاح)
(٢) أمحلوا: أجدبوا
(٣) أثف القدر: وضع لها الأثافى، وهى الحجارة التى تقوم عليها القدر.
(٤) أميرها: من الميرة، وهى الطعام.
(٥) المستوبص: الذى يحب أن ينظر الى بريق النار: (الديوان)
(٦) ما يطورها: ما يأتيها.

ليسوا بأنكاس(٨) ولا ميل(٩) إذا
ما الحربُ شُبَّتْ أشعلوا بالشَّاعِل

(١) جلسوا فى النادى ديوان الحماسة أبو تمام شرح التبريزى.
(٢) لم يتركوا ضيفهم يأكل وحده، بل جمعوا له حشدا يأكلون معه ويؤنسونه.
(٣) سيد القوم.
(٤) الحديد الذى يلبس فى الرأس.
(٥) الذى يطرد الابل.
(٦) الآبل: صاحب الابل.
(٧) الخزر: النظر بأحد الشقين.
(٨) النكس: الرجل الذى لاخير فيه.
(٩) الميل جمع أميل: وهو الذى لا يثبت على الفرس.

٢ قال عمرو بن الأطنابة:

إنِّي من القوم الذين إذا انتَدَوا(١)
بدؤا بحقِّ اللهِ ثم النائلِ
المانعين من الخنا جاراتِهم
والحاشدين(٢) على طعامِ النَّازلِ
والخالطين فقيرهُم بغنيِّهم
والباذلين عطاءهم للسائلِ
الضاربين الكبش(٣) يَبْرُقُ بَيْضُه(٤)
ضربَ المُهجهج(٥) عن حياض الآبلِ(٦)
والقاتلين لدى الوغى أقرانَهُم
إنَّ المنيَّة من وراء الوائلِ
والقائلون فلا يُعابُ كلامُهُم
يومَ المقامة بالقضاء الفاصلِ
خُزْرٌ(٧) عُيونُهم إلى أعدائهم
يمشون مَشْيَ الأُسْدِ تحت الوابلِ

قال عامر بن الطفيل:

لقد تعلمُ الخيلُ المغيرةُ أنَّنا
إذا ابتدر الناسُ الفعالَ، أسودُها
على ربذٍ(١) يزداد جَوداً(٢) إذا جرى
وقد قلقت تحت السروج لُبُودُها
وقد خُضِبَتْ بالماء حتى كأنَّما
تشبَّه كُمْتَ الخيل منهنَّ سُودُها
إذا سنةٌ عزَّتْ وطال طوالُها
وأقحط عنها القطرُ واصْفر عودُها
وجدْنا كراماً لا يُحَوِّلُ ضيفَنَا
إذا جفَّ فوقَ المنزلاتِ جليدُها
وقد أصبحتْ عِرْسى الغداة تلومنى
على غير ذنب هجرُها وصدودُها
فإنى إذا ما قلتُ قوليَّ فانقضى
أتتنى بأخرى خُطَّةٌ لا أريدها

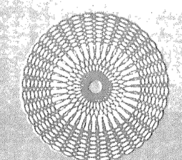
فلا خيرَ فى ودٍّ إذا رثَّ حبـلُهُ
وخـيرُ حبـالِ الـواصلين جديـدُها

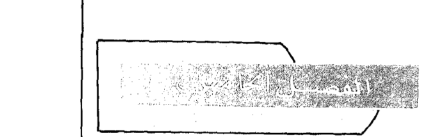
(١) الربذ: السريع (الديوان)
(٢) جودا: جريا (الديوان)

بلد ينـبـتُ المـعـالـى فما يثّغِـرُ(١)
الطـفـل فيـه حتـى يسـودا
ولـيـوثٌ من طىِّء وغـيـوثٌ
هُمُ المـجـدُ طارفـاً وتـليـدا
فإذا المـحـلُ جاء جاؤوا سيولاً
وإذا الـنَّـقْـعُ ثار ثاروا أسـودا
يحسُـنُ الـذكـرُ عنهُـمُ والأحـاديـ
ـثُ إذا حدَّث الحـديـدُ الحـديـدا
فى مقـامٍ تخُرُ فى ضَنْكـه الـبيـ
ـضُ على البيض رُكَّعـاً وسجـودا
معشـرٌ يُنْجزون بالخـير والشـرِّ
يَدَ الـدَّهـر، مَوْعـدا ووعـيـدا
يَفْـرجـون الـوغى، إذا ما أثـار الـ
ـضربُ من مُصْمتِ الحديد صعيدا
بوجـوه تُعْـشِـى السـيوفَ ضيـاء
وسـيـوفٍ تُعْشِى الـوجـوه وقـودا
عدلـوا الهضْـبَ، من تهامـةِ أحـلا
ماً ثِقـالا ورمْـل نجـدٍ عديـدا

ملكـوا الأرضَ قبـل أن تُملكَ الأر
ضُ، وقـادوا فى حافَتَيْـهـا الجنـودا
فهُـمُ قومُ تُبَّـعٍ، خيرُ قومٍ
لَهُمُ الـلهُ بالـفـخـار شهـيـدا
بمسـاعٍ منظـومـةٍ ألبَسْتُهُنَّ الـ
ـلآلـى قلائـدا وعـقـودا
سائـلِ الـدهـرَ مُذْ عرفناه هل يعـ
ـرف منـا إلا الـفَـعَـال الحمـيـدا
قد لعـمْـرى رُزْنَـاه كهـلا وشيخـا
ورأيـنـاه ناشئـاً ولـيـدا
وطـويـنـا أيّـامـه ولـيـالـيـ
ـه على المكْـرُمـات بيضـاً وسـودا
لم نزل قطُّ مُذْ ترعـرع نكسـو
ه ندى ليِّـنـاً وبأسـاً شديـدا
فهـو من مجدنـا يروحُ ويـغـدو
فى عُلاً لا تبـيـدُ حتـى يبـيـدا
عبـدُ شمس، شمسُ العريب أبونا
ملكَ النَّاسَ واصطفـاهـم عبيـدا
وطـىء السَّهْـل والحُـزُونَـةَ بالأبـ
ـطـال شُعْثـاً والخيـل قُبَّـاً وقُـودا
وأبـو الأنـجـم الـتـى لا تنى تجـ
ـرى على النـاس أنْحُسـاً وسُعُـودا
نحـنُ أبنـاء يَعْـرب أعـربُ الـنَّـا
س لسـانـاً وأنـضـرُ الـنـاس عودا
وكأنَّ الإلـه قال لنـا فى الـ
ـحـرب كونـوا حجـارة أو حديـدا

(١) يثغر: ينبت ثغره (الديوان)
المجلد الثانى دار صادر بيروت.





معطيات في العادة



عاتق بن غيث البلادى

● مؤرخ وباحث فى جغرافية المملكة العربية السعودية.
● له اهتمام واسع فى مجال تدوين اماكن وانساب القبائل وتحقيقها.
● له جمهرة من المؤلفات القيمة التى أثرت المكتبة العربية فى هذه المجالات.
● له مشاركاته العلمية والأدبية فى العديد من المجلات العربية.



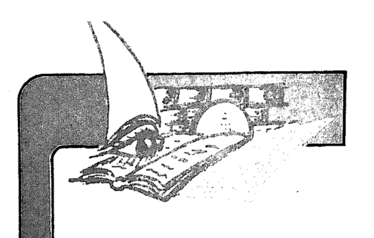
روكس بن زائد العزيزى

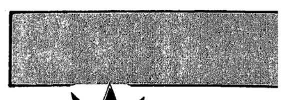
● عضو مجمع اللغة العربية بالاردن
● عضو لجنة حقوق الانسان.
● محقق وباحث فى مجال اللغة العربية
● له العديد من المؤلفات فى مجال التراث الاردنى.
● وله اسهامات علمية عدة فى الصحف العربية.

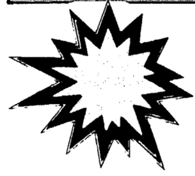


محمد بن عبد العزيز الدباغ

● محافظ خزانة القرويين بفاس.
● عمل استاذا بكلية الادب - جامعة محمد الخامس بفاس.
● له مجموعة من المؤلفات فى الجانب الثقافى.







الشعوب فى معطيات حياتها ومدارج آمالها خلدت عادات . . أصبحت النموذج المحتذى فى أجيالها التالية ـ سواء دخلها شىء من التعديل أم بقيت على حالها ـ وفى هذا الفصل نقتطع شرائح من تلك العادات والتقاليد فى المولد ـ الختان ـ الاعراس ـ المهات . . فى مظاهر الحياة الاجتماعية جميعها . . فى ترانيم الطفولة وتغريدها . . وفى مراسم دفن الموتى . . فى الخرافة والأساطير وحكايات الجدات . .



محمد الفاكيانى

● كاتب واديب سورى
● له اهتمام خاص بالدراسات الشعبية فى العالم العربى .

فى كل ذلك يتجول بنا هذا الفصل المفرز لهذه الغاية فى سراديب ومنعطفات معطيات تلك الشعوب فى نماذج خاطفة سريعة .

المنهل

د. محمود سلام زناتى

● عميد كلية الحقوق/ جامعة اسيوط ـ مصر
● عمل عميداً بكلية الحقوق فى كل من جامعتى الأسكندرية وعين شمس.
● قام بالتدريس فى كل من الكويت والخرطوم.



عاتق بن غيث البلادي

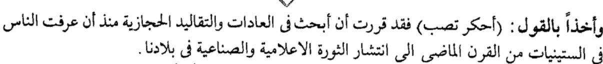
عادات بادت وتقاليد سادت

السعودية

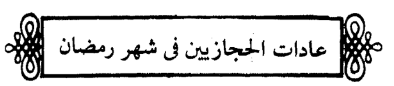
سبحان من يُغيِّر ولا يَتغيّر.. مدرج الفلك.. المحيي المميت.. كل يوم هو فى شأن.. أما بعد:

فان هذا العنوان هو من وضع مجلتنا الحبيبة طلبت منى الكتابة على ضوئه.. رامزة بذلك الى أن العادات والتقاليد تتغير بتغير الاجيال.. وباحتكاك الأمم بعضها ببعض.. والعنوان كما نراه واسع متشعب وبلادنا واسعة مترامية الأطراف.. وكانت فى السنين السالفة تعيش كمجتمعات منعزلة تختلف فى العادات واللهجات - وحتى سحنات الناس كانت مختلفة: ففى ما قبل السبعينيات من القرن الماضي كان الطائفى يختلف عن المكى لباساً ولهجة وسحنة.. وكان المدنى يختلف عن القصيمى - مثلا - فى نفس ما ذكرنا.. ناهيك عن اليمنى والأردنى وغيرهما.





وأخذاً بالقول: (أحكر تصب) فقد قررت أن أبحث فى العادات والتقاليد الحجازية منذ أن عرفت الناس فى الستينيات من القرن الماضى الى انتشار الثورة الاعلامية والصناعية فى بلادنا.
ولما أن هذا البحث سينشر ـ فيما علمت ـ فى شهر رمضان فقد فضلت أن أخصصه عن العادات والتقاليد التى كانت تسود فى شهر رمضان.. وما مات منها أو أميت وما بقى.. وما حل محل الداثر.



عادات الحجازيين فى شهر رمضان

قد يكون بينهم بعض الاختلافات نتيجة ما أشرنا إليه سابقاً غير أنها اختلافات لا تستحق الافراد وقد اندثرت فيها اندثر. وإليك يساق الحديث:

الاستعداد لشهر رمضان:

يبدأ الناس من أواخر شهر شعبان من كل سنة في الاستعداد لاستقبال الضيف الكريم (شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن).. وأى ضيف أكرم من شهر تُصفَّد فيه الشياطين وتُضاعف فيه الحسنات ويكون: (أوله رحمة.. وأوسطه مغفرة وآخره عتقه من النار).



فترى الناس فى تلك الفترة الوجيزة يسعون الى الأسواق.. يشترون الفرش الزاهية والشِّراب البيضاء المصنوعة فى المدينة المنورة ـ وقد يكتفى الفقراء بحك الأزيار القديمة والشِّراب كذلك، حكاً يجعلها قادرة على تبريد الماء مثل الجديدة تماماً.. ويشترون الطيس (جمع طاسة) التى يشربون فيها الماء، والقدور النحاس المربوبة أو المعدن النظيف بعد أن ساد.. ويشترون البهارات التى تضاف الى الشُّربة (ولا تقل الشوربة) فالشُّربة كقُربة: هى الحساء الذى يتناوله الصائم من طحين البُرّ وغيره.. وأهل الحجاز يفضلون الدشيشة على غيرها تخلط باللبن عند الشرب ومن لم يجد فالليمون ونحوه.

حلول الصوم :

وما أن يبشر المبشر برؤية هلال رمضان حتى تسرع المدافع قاذفة بالبارود من حناجرها مزمجرة بسمه «كان» الذى على مسافة (٦٠) كيلا . . وهنا تبدأ مظاهر الفرح على وجوه البشر، وأول ظاهرة هى تجمهر الصغار فى الشوارع والازقة صائحين . . «جابوه، جابوه» ويتصافح الناس مهنئين بعضهم بعضاً.

■ ويتخذ الأولاد فوانيس تسمى فوانيس رمضان تسرج بالغاز . . ويتجولون بها فى الأحياء تعبيرا بريئاً عن امتداد فرحة الآباء إلى الأبناء الذين لا يعلم بعضهم عَلاَمَ هذا الفرح . . واذا جاءت الصلاة : صلاة العشاء . . أسرع الناس فى صفوف لصلاة التراويح . ولأهل مكة والمدينة تفضيل للحرمين يصلون فيهما التراويح خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم : «الصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة الف صلاة فيما سواه» رواه البخارى ومسلم .

وعند السحور، تسمع الأبواب تقرع، ينبه الأخوان بعضهم على القيام للسحور، وبعده صلاة الفجر فتسمع : (السحور يا ابو فلان) يُكرر أمام كل بيت تقريباً .

وقد كان هناك من الفقراء من يمتهن التسحير فاندثرت هذه العادة.

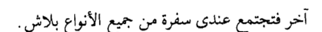
ولا تختلف بوادى الحرمين وقراهما عما ذكرنا، إلا أنه ليس لابناء البوادي فوانيس . . وعندما حل عليّ أول رمضان فى مكة المكرمة سنة ١٣٦٤هـ اتخذت فانوساً وجعلت أركض به واجلس به على الرصيف حتى يؤذن لصلاة الفجر . . عادات عندما يستعيدها المرء يشعر بالحنين إليها . . وعلى قرب الفترة، وأنها امتداد لقرون عديدة فقد اختفت هذه العادة حتى إن ابناءنا اليوم لا يعرفون إسراج الفانوس ـ ولعل بعضهم لا يعرفه اصلا.

أطعمة الافطار :

يمر اليوم الاول من رمضان فاذا أقبل المساء ظن الصائم أنه بامكانه أن يأكل أضعاف ما عنده ـ فترى النسـاء قد ملأن مطـابخهن بانواع الأطعمة مثل الشربة . . والسنبوسة . . واللقيميات وغيرها . ويسرع الرجل الى السوق فيجد الأسواق قد تحولت الى معارض للأطعمة الرمضانية وقد رشت الشوارع وتعالت أصوات الباعة : (أبشر بالجنة يا صائم . . وليك الله يا صائم) . . فهذا يبيع السوبية البيضاء المبردة فى الزير . . وذاك يبيع منقوع الزبيب أو التين . . وهذا يبيع الحبحب . . وآخر تستعر النار تحت مقلاته وقد نضد السنبوسة والفالوذج الذى يسميه اهل مكة (الطرمبة) والزلابية وغير ذلك كثيراً .

فلا ترى عائداً الى بيته الا وهو حامل خيراً . . حبحبة أو خربزة أو سوبية . . وهكذا التهادى : كان من عادات أهل الحجاز أن يهدى كل منهم الى جيرانه مما عُمِلَ فى بيته وربما مما اشترى من السوق . . ومن عاداتهم أن يعيد المُهْدَى إليه الإناء وقد وضع فيه مما عنده من صنف غير ما أهدى إليه ـ فترى الأولاد قبيل الافطار يتراكضون بين البيوت حاملين ما ارسلوا به فيكثر الخير ويتحاب الناس . بل كثيراً ما تزول شحناء سابقة ويعود الصفاء بين الجيران والأقارب بفضل هذا الشهر الفضيل .

وقد رويت فى كتابى «الأدب الشعبى فى الحجاز» قصة طريفة ـ فقد دعانى صديق للافطار فى بيته «لا أذكر الا انه كان فى الثمانينيات» . . فبكرت فوجدته يوقد على قدر كبير ملأه بشربة الدشيشه . . فسألت عن سبب تحضـير هذه الشـربـة الكثـيرة فقـال : (يـا أخى ما وجدت أربح من هذه الشغلة) . . ارسل الى كل جيرانى قدحاً قدحاً من الشربة فيرد لى كل منهم قدحاً من صنف



آخر فتجتمع عندى سفرة من جميع الأنواع بلاش.

والحقيقة أن هذا من التكافل الاجتماعى المحبب. وقد كانوا يخصون الفقراء بأطايب مالا يستطيعون شراءه. . وكانوا يوصون الصغار عندما يرسلونه الى الفقراءبأن يحتالوا بارجاع القدح فارغاً لئلا يحرج الفقير لعدم وجود ما يقدمه، فكنا نسرع اذا رأينا إناءاً فارغاً عند دخولنا بيوتهم فنضع ما معنا فيه ونسرع عائدين. . وقد لا يرانا أحد لانشغال المرأة باعداد الافطار ويكون الذى فتح لنا الباب من الصغار ولا يرسلون الى البيوت الا من لم يبلغ الحلم الا فى حالات الاضطرار.

الحسنات :



وهكذا يكثر أهل الخير فى هذا الشهر من بذل الصدقات ضروب البر. . ويقوم الناس بعمل ولائم يسمونها (حسنة عن الميت). . فهـذا يحسن عن والديه. ـ وذاك عن أخيه أو ولده أو زوجته التى توفيت وهكذا. . فتكثر الولائم خاصة فى البادية والقرى حتى يكاد يكون سحورهم كل يوم فى بيت من بيوت الحى على (حسنة) ويُرسل منها للعاجز الذى لا يستطيع الحضور وللنساء والاطفال ـ والدعوة إليها عامة للفقير والغنى وقلما يتأخر أحد. . ومما يحرصون على توزيعه من الصدقات على الفقراء التمر ـ ذلك أن الناس أول ما يفطرون بالتمر والمتصدق هنا يلتمس وجوب الحديث الشريف: «من فطَّر صائماً فله مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيء». . أو كما قال.

ويخصون ذوى الخصاصة من الناس لعلمهم أن الصدقة أنفع ما تكون حيث الاستحقاق. . وكثير من الأغنياء يتحرون بزكاة أموالهم رمضان ليصيبوا مخصة الناس لما ينفقونه فى هذا الشهر من كسوة وشراء للحم والكماليات التى لا يهتمون بها فى بقية الشهور. . ومن عادات أهل هذه الطريقة أن يكون لهم نصحاء فى كل حى يدلونهم على من يستحق فيسجلونهم فى سجلات معلومة وعناوين واضحة ويلحقون بها كل سنة ما يصل اليهم من اسماء محدثة.

السمر في رمضان وقراءة القرآن :

في رمضان تخف الاعمال بالنهار فيحصل الصائم على قسط من النوم والراحة. . ويأتى مردود هذا فى الليـل حيث يقسمـه الى قسمـين: احـدهما ـ صلاة التراويح. . والآخر يقضيه غالب الناس فى الاجتماعات. . والسمار والسهارى ينقسمون بدورهم الى ثلاث مجموعات:

■ **القسم الاول:** العباد. . والفقهاء، والعلماء يقضون ذلك فى المساجد وخاصة أهل مكة وأهل المدينة فانهم يقضون ذلك فى المسجد الحرام والمسجد النبوى صلاة وتعبداً ونظراً فى امهات الكتب المفيدة.

■ **القسم الثانى:** هم القراء وهؤلاء يجتمعون فى أحد المساجد اذا كانوا بعيدين عن المسجد الحرام، فيظلون يتدارسون كتاب الله ويقرأونه أحزاباً بينهم «تلاوة وحفظاً».

■■ **القسم الثالث:** فهم ليسوا فى شىء من كل ما تقدم . . وهؤلاء يجتمعون فى ـ شلل ـ ويقضونه مسامرة بما يرغبون . . كلعب الورق والضومنه . . وأمثال ذلك . . وقد يذهب بعض الذين لا يقرأون القرآن فيدعو القراء ليقضوا ليلة أو ليالى فى بيته ويظل يخدمهم ابتغاء الأجر وسماع كلام الله عز وجل هو وأهل بيته معه .

الضيافه في رمضان :

العرب أهل ضيافة من أيام جاهليتهم . . ولما حباهم الله بالاسلام تبت هذه الخلة الكريمة ، فقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» . . وصفة رمضان تحتم على كل انسان أن يكون لديه طعام وشراب عند غروب الشمس ـ أى طعام وأى شراب ـ ولكن بعض الضاربين فى الأرض لا يجدون ما يفطرون عليه وقد لا يجدون من ينزلون عليه أيضا . . لذا كان أهل بادية الحجاز يرسلون أولادهم بعد صلاة العصر يقعدون على الطرق يتلقفون الطراقى (الضاربين فى الأرض) واحدهم طُرُقي يدعونهم للنزول على أهلهم للافطار . . ولذا فانك لا تستغرب أن ترى قوماً قد أولموا عند الافطار ليقدموا للضيف ذبيحة هى فى عرفهم قِرَى الضيف ولا يقريه غيرها .

فاذا كان الضيف غريباً قالوا له: (الليل بحر، والغريب أعمى) ولابد لك أن تتسحر حيث أنت ، ثم (إن لك فى النهار سبحاً طويلا) .

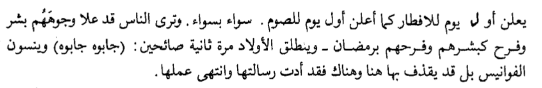
الاستعداد للعيد :

تنظل

ليالى رمضان وأيامه تتكرر ولا يكاد يتغير يوم عن يوم ولا ليل عن ليل حتى يقبل العيد . . فإذا أنت ترى الناس قد شمروا وبدأوا عملاً آخر غير ما هم فيه . فأخذوا يفصلون الثياب . . ويتفننون فى اختيار الالوان . . والتخير بين الخياطين والخياطات . . أما فى القرى والبوادى فتسرج (لمبات الغاز) يخيط الناس على ضوئها لأنهم لا يعرفون الخياطين ولا الخياطات . . فربة البيت وبناتها هنَّ يفصلن ويخطن لكل الأسرة . . وترى اهل المدن يحاولون تنظيف كل شيء «الفرش . . الجدران . . المتاكى» . وقد يستبدلها البعض بجديد طلباً للوجاهة (وما يسير أحد خير منا) . . وتشترى الذبائح . . ويكثر الناس من شراء الحلوى لأيام العيد . . وتتنادى البوادى ليجتمعوا فى مكان معين فيقطروا البيوت فى صفين طويلين بينهما المنتدى والملعب ووراء كل صف مكان الجرم ومسرح الحلال ومضواه .

زكاة البدن: يسن للمسلم أن يخرج صاعاً من طعام عن بدنه . . وعن كل من عاله طيلة شهر رمضان ولو لم يكن من أهله . . وهذا الصاع يخرج من غالب قوت أهل البلاد . . وقد جوز بعض العلماء المتأخرين اخراج ثمنه نقوداً لمن تسد حاجته النقود أكثر من الطعام . . ويسن أن تعطى صائماً الا أن يكون من أهل الأعذار ـ فاذا لم يكن منهم ولم يصم رمضان تحجب عنه ولو كان افقر أهل البلد . . وتخرج بعد اعلان هلال شهر شوال وقبيل الذهاب الى صلاة العيد . . وهذا ما عليه الناس فى الحقبة التى نتحدث عنها أى نهاية القرن الرابع عشر.

العيد :



يعلن أو ل يوم للافطار كما أعلن أول يوم للصوم . سواء بسواء . وترى الناس قد علا وجوهَهُم بشر وفرح كبشرهم وفرحهم برمضان ـ وينطلق الأولاد مرة ثانية صائحين : (جابوه جابوه) وينسون الفوانيس بل قد يقذف بها هنا وهناك فقد أدت رسالتها وانتهى عملها.

ويتحضر الناس فى الصباح الباكر للذهاب الى المصلى . . ويتناول المحافظون على السنة تمرات وتر قبل الخروج الى الصلاة . . أما القرى والبوادى فلهم فى هذه الفترة الوجيزه تقليد عجيب : فهم يحضرون طعاماً قد حلى بالسكر وأرهق سمناً ـ يأتى كل منهم بصحن كبير (قصعة) أو قدح واسع فيجتمعون فى رحبة بين البيوت ويظلون ينتقلون فى الأكل متذوقين تلك الأطايب . . ولا يعاب فى ذلك اليوم أن يتنقل الانسان فى الاكل ويعاب عليه فى بقية الأيام .

الذهاب الى الصلاة: مع احمرار الشمس فى مطلعها ترى الطرقات قد اكتظت بالناس زرافات ووحدانا كباراً وصغاراً . . يرتدون الثياب الملونة ـ هذا لابس أزرق . . وهذا ملة . . وذاك آخر . . وغالب الشيوخ يلبسون الأبيض . . وعلى النساء شراشف ملونة وقباءات وقنع . . فترى منظراً مبهجاً جميلا كالحديقة الغناء ذات الأزاهير الملونة . وتسمع لهم عجيجاً بالتكبير (الله أكبر، الله اكبر . . الله أكبر، لا إله الا الله ، الله اكبر ولله الحمد . . الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا . . . الخ) .

المعايـدة : يعود الناس من الصلاة وتبدأ المعايدة وتفتح البيوت وتوضع أمام المجالس الجزات (كوانين الفحم) وعليها الدلال ملأى بالقهوة المبهرة، ويمر المعايدون لا يتركون بيتاً عرفوا أهله أم لم يعرفوهم، فإذا كان رب البيت غائباً يقول المعايد ـ بعد أن يدخل البيت ويصب لنفسه فنجاناً من القهوة ـ يقول عند خروجه : (ياهوه يا أهل البيت: قولوا لفلان إن فلانا جاء وعيَّد عليك) .



ويحفـظ أهـل البيت ـ الـذين لم يرهم المعيّدون ـ يحفظون كل هذه الاسماء . . فاذا عاد صاحب البيت ـ الذى غالباً ما يكون غيابه فى معايدة الآخرين ـ وقالوا له : جاء فلان وجاء فلان . . . الخ .

فاذا انتهى العيد تفقد الرجل اصحابه ـ ومن لم يعيد عليه يعاتبه عتاباً اخوياً شديداً.

والعيد فى العرف السائد ثلاثة أيام ـ ولكن كثيراً من الناس وخاصة أهل القرى والبوادى من عاداتهم أن يذبح كل منهم ذبيحة فى العيد ويـرونهـا لازمة لا يتم عيدهم الا بها، حتى الأرملة والقـاعـدة اذا لم تُدَعْ تذبـح قالت : (هـبيتم ببيتى) من الهبـوة وهى (الاحتقـار والهوان) وهذه الذبائح توزع على الأيام فاذا كثـرت قد يمتد العيد الى سبعة أيام أو أكثر ويحدث هذا فى بعض أحياء مكة الى اليوم .

من العائدين :

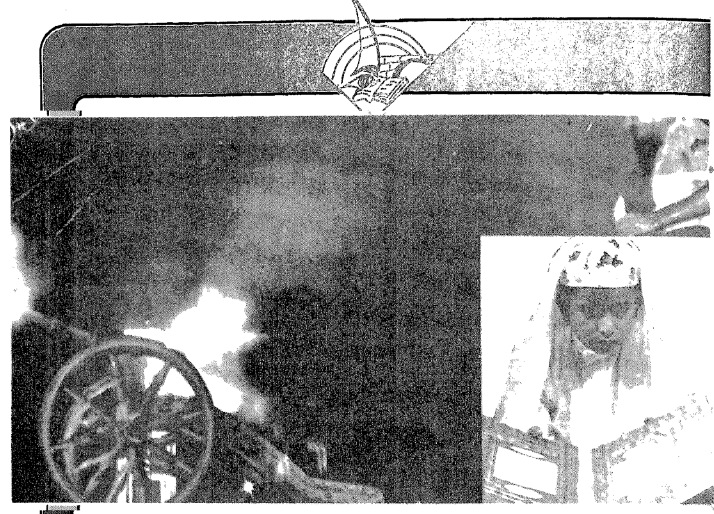
فى أيام العيد يسير الاولاد وصغار البنات جماعات ووحدانا فى الثياب الملونة المزركشة والحلى والقبعات الجميلة فيطرقون البيوت قائلين : من العائدين .



الكلمة ليس جوابها كلاما انما تسرع فتناولهم بعض الحلوى التى يضعونها فى حقائب صغيرة اشتريت لهذا الغرض ـ وبعضهم ـ وهم قلة ـ يحتاطون (بفليسات) تصرف لهذا الغرض لتهدى للأطفال وذوى القربى منهم بالذات ـ وهكذا يمرون على بيت هذا وبيت ذاك فيعودون (بجر الحقائب) .

●● وفى أمسيات العيد ينتشر ما يسمى بالملاعب وهى انواع من اللهو البرىء . . فهذه ملعبة يطبل فيها، وتلك ينشد فيها الشعر، وخاصة ما يسمى بالبادع ـ وهو مساجلة يبدع فيها الشاعر بيتاً فيرد عليه آخر فى نفس الموقف وهو من اعسر ضروب الشعر.

وتقام للأطفال (المداريه . . والمراجيح . . وقد يقيمون السبق فى البراح . . ويلعبون النقزة والدجة ـ وغيرها) . .



بقية ماكان :

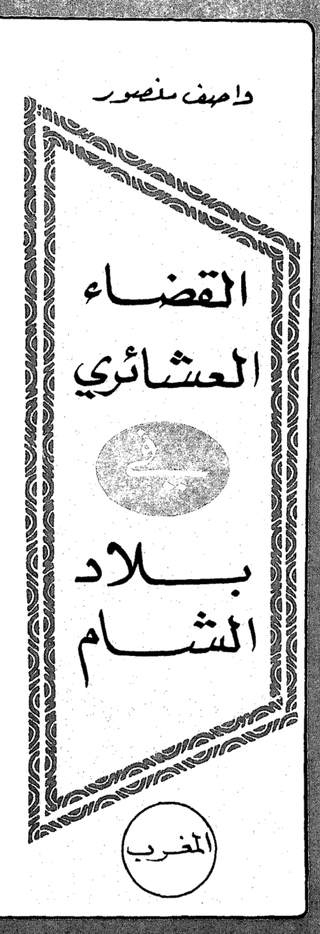
هذا ما ادركناه فى الثلث الأخير من القرن الرابع عشر فما بقى منه يا ترى؟.
لقد تكثف الاعلام فى بلادنا.. ودخل بدخوله ـ شعرنا أم لم نشعر ـ غزو فكرى وثورة على كل موروث حتى أصبح الناس يشكّون فيما يفعلون ـ اصحيح هو أم غلط.. وطفرت الثروة وانساح الناس حتى الأميين الى خارج البلاد ورأوا ما لم يروا من قبل.. وعاد بعضهم وهو يظن ما رآه صالحاً ـ فاختلفت العادات.. واختفت كلمة (هذا عيب).. وأصبح كثير من النساء يسمرن حتى الساعة الثانية عشرة.. وقد يترك الرجل أهله ويعيّد فى الخارج.

● ومن كل هذا طرأ على عادات رمضان أمور وأمور.

فلم يعد احد يعيّد على أحد واذا أراد احدهم أن يعيّد على عزيز عيّد عليه بالهاتف.. وقد تطرق البيت فيقال لك: ذهبوا يعيدون فى بلد كذا.

ولم يعد للأولاد فوانيس لأن الشوارع صارت مضاءة بالكهرباء «والحمد لله» وانشغل الناس بالتلفزيون والفديو عن المسامرة.. ولم تعد الملاعب تقام الا فيما ندر.. ومراجيح الاولاد صارت لها مدن خاصة تقام طوال السنة ـ فلم تعد لها تلك الطلاوة.. وقلّ التهادى بين الناس بل أصبح بعضهم ـ للأسف ـ يرفضه بحجة انهم ما هم فقراء.. وتوحد اللباس فلم يعد يستطيع الرجل أن يلبس ثوباً غير الأبيض.. ولم يعد الأولاد يأخذون الحلاوة فقد استبدلوا حبة الحلاوة بالريال والدينار.

وهذا رمضان بين أيديكم.. جعلكم الله من صوامه وقوامه.. وكل عام وانتم بخير.



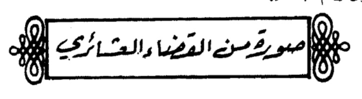
فى بلاد الشام قبائل رُحَّل تنتقل فى البوادى وراء الكلأ والماء. وهذه القبائل تنشأ فى داخلها او فيما بينها نزاعات ـ هذه النزاعات لا توجد محاكم نظامية للبت فيها نظرا للتنقل الدائم لهذه القبائل ولبعدها عن المراكز الحضرية. لذلك فقد تعارف ابناء القبائل على حل نزاعاتهم بطريقتهم الخاصة.

ولما كانت الاعراف والتقاليد هى التى تسود حياة القبيلة وتقضى هذه الاعراف والتقاليد بان شيخ القبيلة هو صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فيها فانه هو الذى يقضى فى المنازعات التى تنشأ بين ابناء القبيلة ويكون حكمه نافذا ونهائيا.

ولكن هناك منازعات تنشأ بين افراد من قبائل مختلفة. فكيف يتم الفصل فيها؟.. هناك بعض الرجال اتفق الناس من مختلف القبائل على الاحتكام اليهم لحل المنازعات التى تنشأ بينهم لما يتوفر فيهم من صفات اهمها: رجاحة العقل والقيافة والفراسة والمعرفة بتاريخ القبائل وعاداتها وتقاليدها.. والمكانة المرموقة فى قبيلتهم وفى غالب الاحيان يكونون رؤساء قبائلهم.. والشجاعة والصراحة فى قول الحق.. والكرم والغنى الامر الذى يجعلهم بعيدين عن الرشوة.. والاستقامة والامانة والبعد عن الفحش والسوء.

■ وهؤلاء الرجال يطلق عليهم العديد من الاسماء مثل القاضى . . والخطاط . . والمعدود . . والمفك . . وغيرها .

■ وهؤلاء القضاة يحكمون حسب الاعراف والتقاليد السائدة حتى لو كان بعضها يتنافى مع الشرع وتكون احكامهم نافذة ونهائية . والطريف فى الامر ان السلطات الحكومية تحيل احيانا بعض القضايا العويصة الى هؤلاء القضاة . . كما ان قضايا ابناء القبائل حتى لو عرضت امام المحاكم النظامية وتم البت فيها فانها لا تعتبر منتهية اذا لم تعرض على القضاء العشائرى ويتم البت فيها .



[١] قضية مدنية :

اذا اختلف شخصان من قبيلتين مختلفتين فى قضية مدنية كأن يستدين احدهما مالا من آخر وفى موعد السداد ينكر المدين استدانته . . عندها يقول الدائن للمدين (حقى عندك) فيقول المدين : اختر قاضيك . فيختار الدائن قاضيا معينا قد يقبله المدين وقد لا يقبله فيختار قاضيا آخر، الى ان يتفقا على قاض معين يذهبان اليه ويبلغانه بانهما اختاراه قاضيا لحل نزاعهما فيطلب من كل واحد منهما تقديم (أمارة) اى شىء كمسبحته او سيفه او قوسه ليبقى عند القاضى كضمانة لقبوله الحكم .

■■ ثم يتفقون على يوم التقاضى : وفى اليوم المحدد يذهب المتقاضيان الى بيت القاضى ويجلسان متجاورين امامه ويعرض كل منهما حجته . بعد ذلك يعيد القاضى كلام كل واحد منهما حرفيا وكأنه آلة تسجيل وذلك للدلالة على انه استوعب حجة كل منهما كاملة .

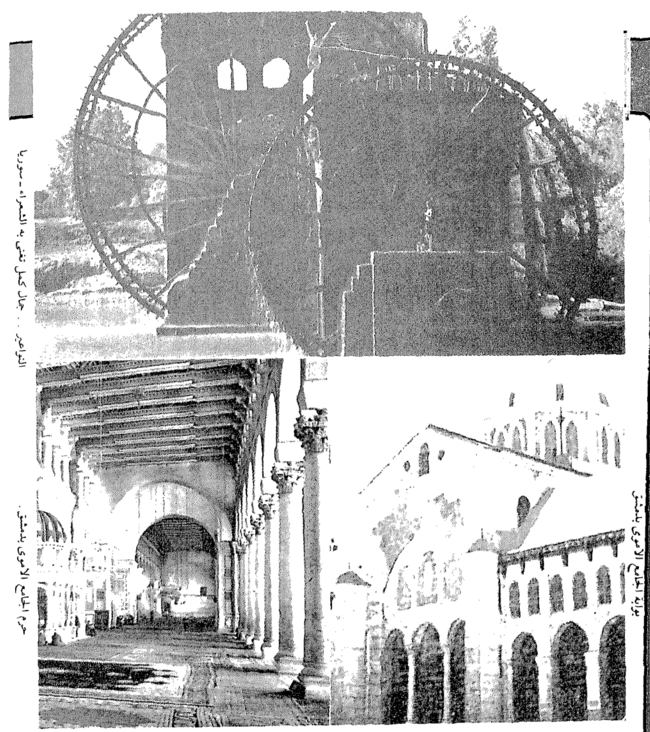
■■ اثناء استماع القاضى لحجة الخصمين، فإنه يوازن الحجج . وما ان ينتهيا من عرض حججهما حتى يكون قد وصل الى قراره . . فيقف القاضى ويعطى لاحد الخصمين (أمارته) مما يعنى انه صاحب الحق وان على خصمه - اذا كان المدين - اداء ما عليه من دين - وتبقى (أمارته) عند القاضى الى ان يفى بدينه .

■■ ويستعمل القاضى وسائل شتى للوصول الى ما يعتقده العدالة - مثل المحاججة والاستماع الى الشهود . . وفى بعض الاحيان لا يستطيع الوصول الى الحقيقة فيلجأ الى ما يسمى (البشعة) وهى اداة معدنية تقلى فيها القهوة . . فتوضع البشعة على النار حتى تحمر ويؤتى بالمتهم ويطلب منه ان يخرج لسانه ليضع القاضى عليه (البشعة) فاذا كان بريئا فانه لا يحس بالاحتراق (كما يزعمون) .

[٢] قضية جنائية :

اخطر ما يعرض على القضاء العشائرى هو قضايا الدم . . وفى حالة اقدام شخص على قتل شخص من قبيلة اخرى فان ذلك يعنى ان اهل القتيل سيطلبون الثأر . . وهنا يقوم القاتل بالاستجارة بأحد وجهاء قبيلة أخرى وتعنى الاستجارة ان القاتل امين على نفسه من اعدائه يحميه المجير وقبيلته من أى اعتداء .

■■ ويقوم اهل القاتل بالسعى لأخذ (عطوة) اى هدنة من اجل اتمام الصلح . . وتكون مدة (العطوة) فى الغالب



النواعير .. جمال كحل تغنى به الشعراء - سوريا

بوابة الجامع الاموى بدمشق

حرم الجامع الاموى بدمشق.

ثلاثة ايام ـ ان لم يتم الاتفاق على اجراءات الصلح تجدد المدة ثلاثة ايام اخرى.

■■ خلال مدة العطوة يبعث اهل القاتل (جاهة) اى مجموعة من الوجهاء الى اهل القتيل يعلمونهم اعترافهم بالحق واستعدادهم لقبول المثول امام احد قضاة العشائر للتقاضى امامه . . ويتم الاتفاق على هذا القاضى ويحدد موعد التقاضى .

ويذهب اهل القتيل مع شيخ ووجهاء قبيلتهم ويذهب اهل القاتل مع شيخ ووجهاء قبيلتهم مع مجيرا لقاتل ووجهاء قبيلته . . ويأتى القاتل وعقاله مدلى فى رقبته وفى بعض البوادى يكون حاملا على راحتيه كفنا ـ هذه الحالة تعنى اعترافه بجريمته واستعداده لتلقى اى عقاب حتى لو كان الموت . . ويجلس راكعا امام القاضى طيلة فترة المحاكمة ، منكس الرأس .

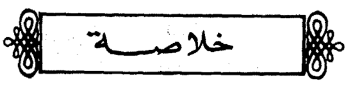


وتجدر الاشارة الى انه اثناء فترة العطوة وخلال التفاوض على اجراءات الصلح يتم الاتفاق على مبلغ الدية التى يجب ان يدفعها اهل القاتل.

■■ وعند بدء المحاكمة يعرض القاتل ظروف الجريمة كما يشهد بعض ممن شهدوا الحادث بما رأوا وعلموا.. وبعد استجواب كل من القاتل والشهود من طرف القاضى يقف القاضى وبيده سيفه فينزله على عنق القاتل ثلاث مرات وهو يردد أهل انت مذنب؟

■■ فيجيب القاتل: نعم وانا حاضر للحق: بعدها يقول القاضى (حملناك مبلغ كذا) وفى العادة يكون المبلغ كبيرا جدا فيقول القاتل (الحمل ثقيل).. فتتجه الجاهة الى اهل القتيل ويقولون لهم (كرما الله) فينقصون من المبلغ.. فيقول القاتل (الحمل ثقيل) فتقول الجاهة (كرما لرسول الله ﴿ﷺ﴾) فينقص اهل القتيل مبلغا اخر. ثم تقول الجاهة (ومنشان الجاهة) فينقصون مبلغا آخر.. (ومنشان الملك او الرئيس) ثم (منشان القاضى).. الخ الى ان يصلوا الى المبلغ المتفق عليه..وبعدها يقول القاتل (انا حمال).. فينزل القاضى سيفه وينهض القاتل لاهل القتيل ووجهاء القبائل المجاورة.. والصلح بهذا الشكل يعنى ان اهل القتيل لن يقوموا باخذ ثأر قتيلهم.

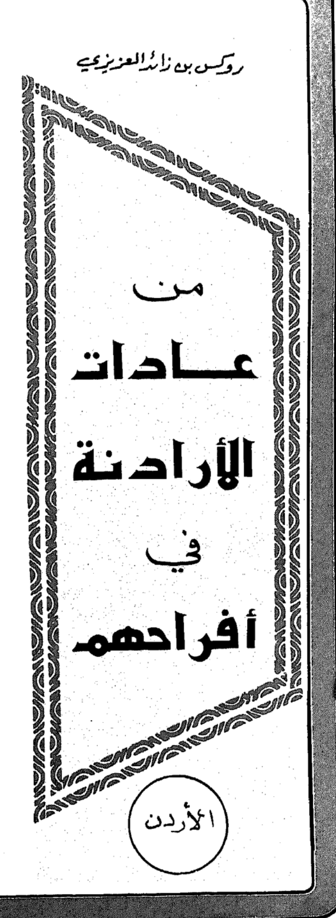
وتجدر الاشارة هنا انه فى كثير من الاحيان يحضر ممثلون عن الدولة.. مجلس القضاء ـ ولكن حضورهم لا يعنى التدخل فى شؤون القضاء الذى هو مستقل استقلالا تاما وينطلق من اعراف وتقاليد القبائل.



خلاصة

ان هذا النوع من القضاء لا يخضع لاى ضوابط فى اجراءاته.. ولا يطبق قاعدة معينة فى احكامه.. ولا رقيب عليه. فهو يخضع اولا واخيرا وفى كل شىء للعادات والتقاليد والاعراف السائدة عند القبائل.. هذه الاعراف والتقاليد ـ ونتيجة للجهل والامية والتخلف وقسوة البادية ـ تجافى الحق والشرع فى كثير من الاحيان.. كما انها تنافى ما نصبو اليه من تطوير القضاء وتسهيله وتقريبه من العدالة التى ننشدها جميعا.. كما انه لا يتماشى مع التقدم العلمى وتعقيدات الحضارة المعاصرة الامر الذى يدعو الى انهاء هذا النوع من القضاء ليس على الصعيد الرسمى فقط بل وعلى صعيد الواقع العملى.

ولعل مما يدعو الى التفاؤل ان كل اقطار بلاد الشام قد الغت رسميا هذا القضاء.



العادات جمع عادة . . والعادة نوعان :
أ ـ عادة شخصية منها المحمود ومنها المذموم وهى خاصة بصاحبها .
ب ـ وعادة عامة : وهى التى يمارسها مجتمع ما فى مناسبة معينة . . وقد نشأت العادات ـ فى الاصل ـ لتحقيق منفعة مادية او معنوية .

وهنـاك فرق بين العـادات والتقـاليـد . . فالتقاليد ممارسات موروثة تحدرت من جيل الى جيل .

كانت مناسبـات الافـراح الكـبرى عنـد الارادنة محصورة فى :

- الزواج .
- الطهور ـ الختان .
- ولادة الذكور .
- الرجوع من الحج .
- الـرجوع من الغزو بالسلامة والغنائم وقد شاع فى احاديثهم (السلامة راس المال) .

مقدمـات الـزواج عنـد البـدو وعند الحضر : كان ـ قديما ـ يسمح للفتاة البدوية ان تسهر مع الرجل الذى تحبه ويحبها وترى انه

راغب فى الزواج بها ـ وكانت الفتاة البدوية تفتخر بكثرة المعجبين بها وتعرف هذه السهرة بـ(التعليلة) او (التِّعلِلَّة) وكانت هذه (التعليلة) تجرى مع الفتاة وهى فى بيت ابيها وولى امرها لكنها بعيدة ـ مع ذلك ـ عن رقابة الاهل لاعتقادهم ان الفتاة امنة على شرفها. ومن اقوالهم المأثورة: «العرض ما ينحمى بالسيف» اى الشرف لا يصان بقوة السلاح ـ وتكون الفتاة فى بيتها والذى يهواها فى خارج البيت يسامرها، وياويله اذا اتهم بانه قبل الفتاة التى سامرها ـ انه يلاحق كما يلاحق القاتل لانهم يقولون: «من باس داس» وهناك قضايا طورد فيها المتهم الى ان ثبتت براءته بـ (البشعة)(١) وكانت البدويات يعيِّرن الفتاة الخاملة بقولهن «ايوها اللى ما عمرها ادركت التعليلة» (٢) وقد كانت التعليلة خاصة بسمر المحبين لكنها اطلقت يوم قالوا: «**تعليلة الرجال**» بمعنى سهرة الرجال.

تبدأ بما يسمونه (الطِّلبة. . البدو يلفظون الكلمة بكسر الطاء المشددة لانهم ينفرون من الضم ويميلون الى الكسر ـ لان الكسرة اخت الضمة(٣) اما الحضر فانهم يلفظونها بضم الطاء المشددة. وكانت تتم هذه الطلبة بجاهة ومنهم من يلفظها وجاهة. والجاهة تعنى جمهوراً من ذوى الجاه، يذهبون الى بيت والد المطلوبة وولى امرها بعد ان تكون قد زالت من الطريق كل العراقيل:

كاعتراض احد ابناء العم الذى يدعى انه اولى بابنة عمه من الغريب. . او اعتراض الخال مثلا او البنت نفسها ـ لان البدو الاصلاء لا يرغمون البنت على الزواج ممن لا تحب، لانهم يقولون: «المغصوبة مالها عرض» (٤).

■ *وعند وصول الجاهة تقدم القهوة العربية لرئيس الجاهة ومرافقيه فيمتنع رئيس الجاهة ومرافقوه من شرب القهوة الى ان يقول لهم ابو الفتاة ويقول: «جيناكم طلابين، عسانا من عند الله ومن عندكم ما حنا خايبين. . نريد منكم مهرة تآكل بايدها ما تآكل باتمها»* (٥)

■ *فيرد عليه ابو الفتاة او ولى امرها بما حرفه: «حياكم الله من مشيتم لما لقيتم، اشربوا قهوتكم ترها جتكم عطيّة ما من وراهـا جزيـة»، وهم يفتخرون بهذا النوع من المصاهرة ـ وان كان المهر قد اتفق عليه سلفاً. . قال (نمر العدوان) معتزاً بامرأته (وضحا):*

جتني عطا، ما سقت بيها متامين
(وضحا) وزين الروح، ما له تتامين

■ فالرجل الذى يهبون له عروسه من غير مهر مشروط علناً يعتز بذلك لان فى ذلك اعترافاً بمنزلة العريس الاجتماعية. . والانثى التى تعلم مقامها ومقام اهلها وتسمع ان خاطبها قد تبرع لابيها بما يزيد على المهر المعروف تفتخر بذلك لانها تعد ذلك تنزيها لها عن المساومة. . وترى ان مهرها كان غالياً وان لم يطالب بذلك علانية. وقد كانت الفتيات يفاخرن بغلاء مهورهن فشاع على السنة الطبقات المتأخرة القول:



«**جمل ميّة الله يستره، وجمل مصرية الله يكسره**» اى حفظ جمل العروس ذات المهر الغالى وحطم الله الجمل الذى يحمل العروس ذات المهر القليل وكنوا عنه بالمصرية، وهى نقد مصرى زهيد القيمة يشبه الفلس.

وهناك نوع ثان من العطاء يقول فيه ابو البنت او ولى امرها ما يلى:

«حياكم الله ما انتم مكروهين، اشربوا قهوتكم.. جتكم (فلانة) مير هذى سياقها غالى:

أ ـ مية ناقة.
ب ـ وفرس صقلاوية فدرائية (٦).
ج ـ وعبد وعبدة.
د ـ وعباة الخال.
هـ ـ ولبسة لعمها.

فيجيب كبير الجاهة: «بنت فلان تستحق هذا واكثر لكن وش تفوت اكراماً لله والرسول؟ ثم للجاهة وللحاضرين، ويظل يتنازل الى ما هو متفق عليه سلفاً قبل انْ تكد الجاهة. (٧)

ومثل هذه الطلبات فى السياق لا تكون الا اذا كان العريس اجنبياً ـ ومفهوم الاجنبى عندهم هو كل من كان ليس من العشيرة.

لان سياق ابنة العم معروف عندهم ـ قديما ـ قبل ان يحصل الناس على ثروات لم يكونوا يحلمون بها. وكانت المغالاة فى المهر خاصة بالغريب اظهاراً لمكانة الفتاة المخطوبة ما دام لم يعترض على زواجها بالاجانب ابن عم لها. لا يهام الناس ان اهل البنت طلبوا مهراً عالياً امتحاناً للعريس وعملا بقولهم المأثور: «اللى يريد الزينات ما يهمه سياقهن» (٨) وهو ينظر الى قول الشاعر:

ومن يخطب الحسناء... لم يغله المهر

وقد ارتفعت المهور ارتفاعاً كاد يجعلها غرامات باهظة تحول بين الشبان والاقدام على الزواج وصار من واجب الناس ان يخافوا الله ويفكروا فى سوء المصير. ونسى الناس ان المهر كان فى بعض القبائل زهيداً جداً.

عندما ينطق ولى الانثى بها، سواء اكان السماح من نوع العطية التى ما من وراها جزية ام كان نوع تحديد المهر، فان النساء يغنين ـ عادة ـ مادحات كرم والد الخطيبة بعد ان يرد كبير الجاهة او مقدمها على كرم والد الخطيبة اوولى امرها مقابلا كرمه بكرم ـ اذا كان قد سمح بابنته (عطية ما من وراها جزية) بقوله: «**اجزين بفرس ومائة نعجة يراعها. . او اجزين بفرس وعشرين ناقة مثلاً**». . اما العطاء المشروط بمهر معين، فيشكر رئيس الجاهة والد الفتاة او ولى امرها بعد التنازلات، وتأخذ النساء اللواتى حضرن الجاهة يغنين من الاغانى المعروفة، وها نحن اولا نذكر انموذجا منها: فى مدح والد العروس:

يا مرحبا بالخيل، والـلى عليهنّه
عليهن ابو (فلان) مطلع جداهنّه
يا مرحباً بالخيل إن جن مع الدّوح
عليهن ابو (فلان) يا وزين الروح
يا مرحباً بالخيل، ان جن مع الوادى
عليهن ابو (فلان) مثل القمر بادى
يا مرحباً بالخيل، ان جن مع الحارة
عليهن ابو (فلان) نجمة الغرّاره

ثم يعلن:

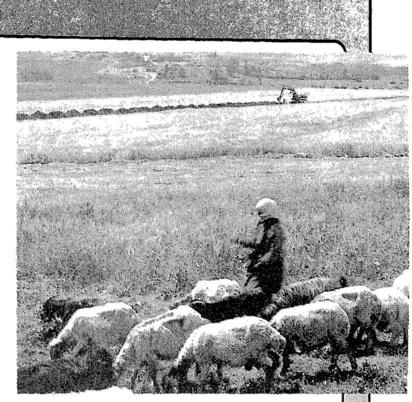
فرِّش الديوان يا بىّ (فلان)
والضيوف عزاز جن زاروا بيتك
فرِّش الديوان

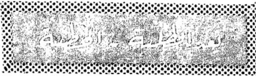
●● ومن اقوالهن التى تخص كل عشيرة نفسها بها: وهو اعتزاز المرأة ببنات عشيرتها:
حنّاً (الا عزيزات) ما فينا دنس . . . وانحوّل الخيال من ظهر الفرس

■ ويقلن فى مدح والد العروس او كبير الجاهة او اى رجل بارز:

متل ارقاب الوزِّ يا ادلال أبو (فلان)
من قرايا غزّه جاب الفهاوى
لاحتزم واهتم يابىّ (فلان)
من تلاع الدم مطلع خوية .







بعد ان يبارك والد الفتاة او ولى امرها للخاطب تدعى الفتاة (نطوق فيها) او نطوق بيها حسب الديار ويعينون يوما لشراء جهاز العرس. وقد اعتادت بعض الاجزاء من الاردن ان ترسل جاهة ثانية تمتنع من شرب القهوة الى ان يبارك والد العروس او ولى امرها بها، والغرض من هذه الجاهة هو قطع الطريق على المعترضين من ابناء العم.

وقد كانت العادة فى الحواضر ان تعرض هدية الخطبة على كل واحد من الحاضرين ذكوراً واناثاً لكى يفهمن الخطيب انه ليس هناك اى اعتراض من احد. وفى مادبا وضواحيها لا وجود للجاهة الثانية لانها تكاد تكون خاصة بـ (السلط) وضواحيها. فابن العم يستطيع ان يلغى اى اتفاق ومن اقوالهم المأثورة: «**ابن عمها يطيحها عن ظهر جملها**» ويقولون: «**إبن عمها يطلعها من برزتها**». ويدعى هذا الاعتراض (الفِوال) والمعترض يدعى (الا مفول)[٩].

وقد كانت العادة الشائعة، ان لا تعطى العروس من مهرها الا النزر اليسير وتدعى هذه الهبة القليلة بـ(الاقوفة) وكانت العروس تحتفظ بهذا القدر القليل من المال.

ومع هذه الاشياء (الاقوامة)[١٠] وهدية الخال للعروس التى يحصلها من العريس، وكانوا يسمونها: «تسعة الخال» اى القروش التسعة التى يدفعها العريس مع عباءة الخال. ويزيد عليها الخال مثلها ويضعها فى يد ابنة اخته، ثم صارت تسعة مجيديات، وفيما بعد صارت تسعة الخال تسعة جنيهات.

رند كان المتعارف عليه ـ من التقاليد ـ ان الخطيبين لا يسمح لهما بان يلتقيا هذا فى (الكرك) وضواحيها و(مادبا) وضواحيها. والاختلاط البرىء الذى كان مسموحاً به قبل (الخطبة) والطلبة يصبح محظورا بعدهما. فيجب على البنت التى طلبت او خطبت ان تتهرب من لقاء خطيبها اذا رأته عن بعد لئلا تتعرض الى قالة السوء: هى واهلها وعشيرتها. وقد اتفق ـ مرة ـ ان خطيبة رأت خطيبها مقبلا ـ وكانت الدرب تمر من على سطوح المنازل المتلاصقة، فتلاقيا لذلك اللقاء، قفزت من السطح وقد أصيبت برضوض الزمتها الفراش اياما ومن هنا ندرك سطوة العادات والتقاليد فى ذلك الزمن.

● قبل عقد الزواج يمارسون (النصّة) وهى كلمة عربية فصيحة من نص الشيىء ينصه اى رفعه.. وكانت النصة ـ عادة قديمة ـ تسبق العرس بسبعة ايام.. وكان الاثرياء يجعلونها اربعة عشر يوما (سبوعين) ـ اسبوعين ـ والنصة فى اصطلاحهم هى نشر الملابس الخاصة بالعروسين على حبال فى ساحة الدار او عند بيت الشعر فى البادية. وقد استعاض المتحضرون عن ذلك بعرض الملابس الخاصة بالعروس فى غرفة من غرف المنزل لتراها الزائرات.



البدو يلفظون الكلمة بكسر القاف والحضر بفتحها، وتعنى الكلمة جمهوراً من الرجال والنساء يرتدون خير ما عندهم من ملابس، ويركبون الخيل ويذهبون لاحضار العروس، اذا كانت تقيم فى بلد غير البلد الذى يقيم فيه العريس، وتقيم فى حى بعيد مضارب اهلها، وقد سمى القطار باسمه هذا لان الابل تسير فيه ـ مع الخيل ـ وقد قطر بعض الابل الى بعض ولان القوم كانوا يلبسون القطرية وقد كانت اجود الملابس. لان البرود القطرية اشتهرت قديما.. جاء فى (لسان العرب) مادة (ق ط ر) والقطرية ضرب من البرود بالكسر والقطر نوع من البرود:

كساك الحنظلى كساء صوف ... وقطرياً، فانت به تفيد

وقد كان القطار يستعد للقتال فكثيرا ما كانت تنشب معركة بين اهل العريس، واهل العروس من اجل ما يسمونه (شاة الشباب) اذ كان شبان الحى الذى تخرج منه العروس يطلبون شاة لكى يتسامحوا باخراج العروس ـ التى على زعمهم هم بها اولى ـ فاذا احس اهل العريس ان الغرض من فرض هذه الذبيحة الاذلال، رفضوا تقديمها.

ولعل هذا العراك ناجم من تقليد قديم، ما يزال معمولا به فى بعض القبائل الافريقية ـ كما قرأنا ـ وهو ان الشبان المتقدمين لخطبة فتاة يفضل من بينهم اقدرهم على تحمل الضرب، والجلد. وكأن هذا العراك يقصد منه الرجولة والبطولة فى اهل العريس، وهل هم قادرون على حماية العروس من السبى؟ فيما لو هاجمهم الاعداء؟ ومازال الارادنة عامة يقولون «البيض ودهن من يحميهن».

وقد تقع معركة بين اهل العريس واهل العروس بسبب اعتراض احد ابناء عم العروس بقوله: «انا ابدى فى بنت عمى» وهو ما يسمونه (أَلْفَوَال) او البداة فيدعى ابن العم هذا واهله ان له الحق، حق الاولوية بالعروس وتدعى هذه الاولوية (البداة) والتنبيه نفسه يسمى (الفوالى) ومن امثالهم المبررة لهذا الاعتراض قولهم (جحا) أبدى فى لحم ابوه) ومنهم من يقول (جحا فى لحم ابوه ابدى».

واذا مر القطار بقرب عشيرة ما، وجب على تلك العشيرة ان تولم تكريما له وبعض العشائر تتحرج من دعوة القطار واهل العريس لاعتقادها ان ذلك القرى يفقدها بعض اعزائها ومثل هذا التشاؤم يتشاءمه بعض الناس، فلا يدعون ـ المجبرين ـ كما يسمى اهل مادبا وضواحيها اهل الميت ويدعوهم غيرهم من الارادنة (المناقيص) يتشاءمون بدعوة اهل الميت بعد دفنه مباشرة، لاعتقادهم ان الميت التالى سيكون من عشيرتهم او من اسرتهم، وهو تقليد نرجو ان يزول.

ومن اغرب ما رأيت عند بعض العشائر الضاربة مضاربها عند (مادبا) سنة ١٩٢٤ انها بعد ان تدعو القطار الى القرى، ويستجيب القطار للدعوة تهجم نساء الداعين على النساء المرافقات القطار، ويهجم الرجال على الرجال ويوسعونهم ضربا وافراد القطار يدافعون عن انفسهم بالحجارة حينا وبالعصى احياناً وبالسيوف ان احتاج الامر ولا تستعمل الاسلحة النارية وبعد مقدار نصف ساعة من هذه المعمعة يقوم بعض العقلاء بالفصل بين المتشاجرين ويدعونهم جميعاً لتناول الطعام وكأن شيئا لم يكن قد حدث.

الفاردة

جاءت الكلمة من (فرده ـ يفرده) وكلمة فاردة فى اللغة تعنى الشاة افردتها فى بيتك عن الغنم وعند عودة العروس مع القطار يسمى الفاردة وقد اطلقت الكلمة على العروس التى فى الحى او فى الحارة ـ فاردة ـ تسامحا لان فاردة الحى نفسه او الحارة فيها تكون من النساء ليس معهن اى رجل. . يذهبن لمشط العروس، وحمامها، وصبغ يديها واخمص قدميها بالحناء وكانت التقاليد ـ قديما ـ تقضى ان تهرب العروس من وجه الفاردة لئلا يقال «انها متهالكة على الزواج لان العروس تزداد قيمتها الاجتماعية كلما ابدت امتناعاً من الاستسلام للفاردة غير ان الفرادات يرغمنها على الاستسلام، وقبول التجمل وقد يضربنها ـ احيانا ضربا رمزيا ليقال انها لا تود مفارقة بيت ابيها خوفاً ان لا تجد من يهب لها الدلال الذى كانت تنعم به عند اهلها.

السامر

هذه الكلمة من سمر. . والسامر فى اللغة: الجماعة من الحى يسمرون ليلا قال الازهرى: «وقد جاءت حروفه على لفظ فاعل وهى جمع من العرب فمنها: «**الجامل، والسامر، والباقر، والحاضر، والجامل للابل**

ـ ويكون فيها الذكور والاناث». . السامر الجماعة من الحى يسمرون ليلا . . والحاضر الحى فيها الذكور والاناث . . السامر الجماعة من الحى يسمرون ليلا . . والحاضر الحى النزول على الماء . . والباقر البقر فيها الفحول والاناث. انتهى . . . والارادنة يستعملون الكلمة على وجهها الصحيح فى العربية ـ فالسامر جماعة من الرجال يقفون فى شبه نصف دائرة وفى وسطهم سيدة يسمونها (الحاشى) تأتى بحركات راقصة بسيف تستخدمه لتصد الرجال عن الدنو منها ولمسها وفى هذه الاثناء يكون البداع مواصلا أهازيجه وقد تكون قصيدته غرامية ، او ملحمة تخلد حادثة جرت فيها معركة ساحقة مثل قصيدة (الطور) وهى من روائع الشعر الشعبى الاردنى ، وكلما اورد البداع بيتاً رد عليه السامر بقوله :

يا هــلا بــك يا هــــلا . . . يا حنفـــى يا ولـــد

- ومنهم من يقلب النون لاما فيقول يا حلفى ياولد.
- وفى الكرك وضواحيها يقولون بدلا من هذه اللازمة لازمة اخرى هى راحت تقول الرّواح .
- ومنهم من يقول: «**راحت تقول نريده**» .

■ **اما فى (عجلوك) وضواحيها فيقولون :**

يــوه لحــاً او يـــوه لحـــد(١١)

أما فى قرى (فلسطين) وفى مدنها ذات الطابع العربى كـ(رام الله) و(البيرة) و(بيت لحم) و(بيت جالا) فيرددون هذه اللازمة «ياحلالى يامالى ـ بتضخيم الميم واللام ـ يا ربعى ردوا عليّه وبعضهم يقول : «عليّ»

■ اما قصيدة الطور فنورد مطلعها وهى من الشعر المتطور:

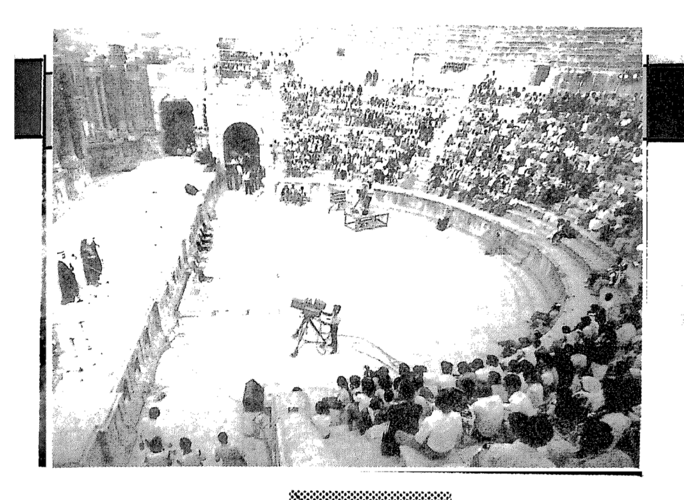
شديــت تمامــا مــع ثنــتين
عشـــراً يدهــجــن الـــليــــل
لصــار الحاشـــى صملـــه

فيردون عليه بقولهم :

يا هــــلا بــك يا هـــلا يـــا حنفـــى يـــا ولـــد

وهى مؤلفة من اثنتين وثلاثين ثلاثية فيها :

أ ـ وصف بارع .
ب ـ تسجيل لاسماء الفرسان الذين قادوا المعركة .
ج ـ انها جزء من تاريخنا غير المدون .
د ـ اسلوبها قصصى .
هـ ـ فيها تجديد اذ جعل البيت مؤلفا من ثلاث شطرات .
و ـ التزم الشاعر فيها كلها قافية واحدة للشطرين الاولين وقافية خاصة بالشطرة الثالثة .



الحاشى

نعود الى (الحاشى) والتسمية جاءت من كون هذه السيدة تكون فى وسط حلقة السامر كانها حشو له وتكون عادة ـ راقصة بارعة من ابرع نساء الحى جمالا وارشقهن حركة بيدها سيف مصمت تدافع به عن نفسها لانه يحق لكل من الرجال المشاركين فى الحلقة ان يلمسها وتبدو مهارة (الحاشى) من قدرتها على حماية نفسها من ايدى اللامسين.

التروبد

الواحدة تريدة ـ الجمع تراويد. . والتراويد هى الاغانى التى تغنيها صويحبات العروس عند جملها او فرسها قبل ان يذهب الى بيت عريسها. . وقد كانت العروس ـ قديما ـ يغطى وجهها بحطة من الحرير الاحمر المقصب بخيوط من الذهب او الفضة. . ويوضع على رأسها ريش النعام. . ويغطى رأسها وكتفاها بما يسمى (الشنبر) وهو من الحرير الاحمر نسجه مجعد. وقد لبست كل ما عندها من حلى.

النقوط

النقوط اصطلاح خاص بما يهدى للعريس وللعروس من هدايا. . وقد كان المقصود بالنقوط ـ قديما ـ ما يقدم للعريس من مال لمساعدته على ما ينفق فى اثناء المهاهاة والنقوط دين اجتماعى يجب تسديده فى مناسبة مماثلة، ويتم هذا النقوط فى اثناء المهاهاة لكى ينال كل مهد حظه من الثناء الطيب من افواه الفتيات

والسيدات واذا تخلف احد عن تسديد هذا الدين الاجتماعى حق لصاحب النقوط السابق ان يطالبه بها نقطه عند القاضى العشائرى فيحكم له بذلك. وقد كان النقود يسيراً لندرة النقود، ولقوتها الشرائية. . اما اذا كان النقوط نقدا فيكون مبلغاً محترماً.

● **الحلية والصبحة والقرى، والزوارة ـ الزيارة ما يلقى العريس قبل دخوله البرزة:**

الحلية هى شاة يذبحها العريس قبل ان يدخل البرزه. وتدعى الحلية لان العريس يقول: «حلى حللك الله. . وتقدم عشاء للذين لم يحضروا عشاء العريس. . وقبل ان يدخل العريس ان كان ليس من الحضر يستعد الشبان لضربه بالعصى او بالحجارة لهذا يركض باقصى السرعة لينجو من ذلك. ولعل هذه العادة متخلفة عن عادة ما تزال فى القبائل الافريقية التى تعد تحمل العريس الضرب برهان على قدرته على تحمل اعباء الحياة الزوجية، وقدرته على حماية العروس ـ لان تلك القبائل الافريقية كانت تجعل المهر مقصوراً على قدرة العريس على تحمل الجلد. وبعد دخول العريس على عروسه تقف الكشافات فى انتظار شهادة البكارة.

اما القـرى وسهـرات ما بعـد العـرس فهذه تستمر سبعة ايام يقدم فيها اهل العريس الطعام لجماهير المدعوين. . وكثير من المدعوين يحضر معه شاة لمساعدة الاهل. . هذه هى عادات الارادنة التى اخذت الحضارة تغزوها وتطويها.

الهوامش

(١) البشعة وبعضهم يسميها (البلعه) هى الامتحان بالنار بحيث يضع مشولى هذه القضية يد محماسة يحميها بالنار ويضعها على لسان المتهم فان اثرت الحديدة المحماه بلسان المتهم عد مجرما والابرىء وقد ابطلت الحكومة الاردنية ذلك سنة ١٩٧٥م.

(٢) القلية ـ هى سهرة المحبين وقد كان يسمح للفتاة غير المتزوجة ان تسهر مع المعجب بها فى بيت اهلها وتكون هى داخل المضرب وهو خارجه المضرب عند الرواق لكن هذه العادة بطلت.

(٣) الكسرة اخت الضمة لسان العرب لابن منظور.

(٤) لا يجوز ان نطالب التى ترغم على الزواج بمن لا تحب صيانة شرفها.

(٥) يقلبون الفاء تاء فيقول تم بدلا من فم ـ وهى كناية عن الفتاة.

(٦) احدى سلالات الخيل المشهورة فى الاردن راجع بحث الخيل فى الجزء الرابع من (معلمة للتراث الاردنى) للعزيزى.

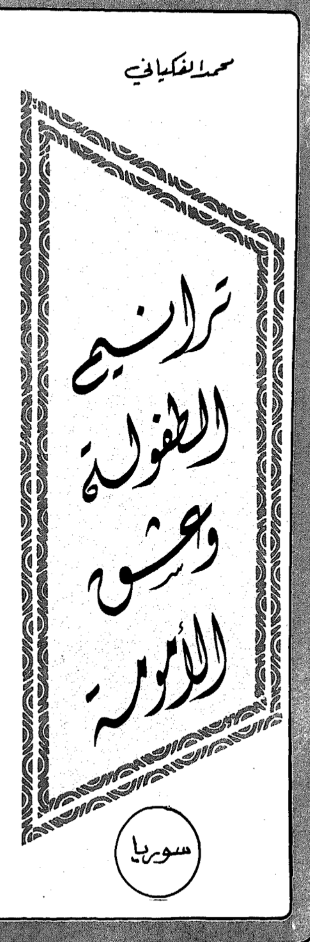
(٧) الجاهة جمهور من الوجهاء يذهبون لطلب الامور الصعبة.

(٨) الزينات الجميلات.

(٩) نطق فى الامر، اى وعد بتنفيذه.

(١٠) الا مفول ـ المعترض.

(١١) الاقوامه ـ هدية يقدمها الوالد لابنته العروس قبل ان تغادر منزله.



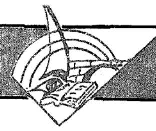
لا شك أن الأمهات يفرحن بصغارهن وهن يرددن مقاطع كلمات بينما يضعنهم بين أيديهن وأذرعهن.. والأم التي لا تنجب تجدها دائماً مهمومة نتيجة عقمها وكثيراً ما تلجأ الى العطارين وبائعي الحشائش والأعشاب وتنذر النذور لله تعالى حتى يفرج عنها همها فتنجب وكذلك كانت الام البدائية تخرج الى الاسواق وتطوف بمحلات بيع العطارة وتستعمل كل ما له علاقة من اعشاب بالحمل.

الولد حفظ [illegible]

ان انجاب المرأة بالنسبة للعقلية القبلية هو حفظ البقاء.. لذلك يعتبر عقمها كارثة حيث يعرضها للطلاق أو الهجر - أو الى أن يتزوج زوجها من أخرى، فالاطفال ضمان لاستقرارها واسماع صوتها والدفاع عنها ان اقتضى الحال.

الأم تتمسك [illegible]

فى المجتمع العشائرى والقروى نجد الام تتمسك بأبنائها اكثر من اللازم حيث يعتبر الابناء بالنسبة الى الام الضمانة الحقيقية والملجأ الوحيد. فالام عندما تغنى للطفل فانها لا تغنى من اجل الطفل فقط وانما تشكو وتبث طفلها همومها وتطلعاتها قبل ان يخرج الى الحياة العملية حيث تصبح السيادة للأب، وبالتالى للمجتمع الرجالى (الاقوى).



نظرة العشيرة للطفل :

ان المجتمع العشائرى ينظر الى الطفل لا كطفل وانما كعملة متداولة، أو كشىء يعطى ريعا، فالمحافظة عليه تدخل فى المحافظة على الممتلكات. . لذلك نرى الطفل يقرن بالمال، فيقال عند العرب فى زمن الجاهلية (الراجل ما يموت غير على ارضوا أو على اولادوا). وجاء فى المثل المغربى: «ان الزوجة بلا ولد مثل الخيمة بلا وتد». . اى انها عرضة لتقلبات مزاج الزوج ان شناء أبقى عليها، وان شاء طلقها واتى بغيرها.

أغانى الأم لوليدها :

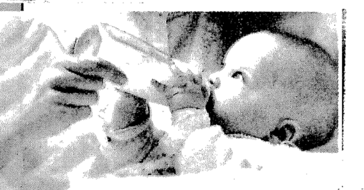
ان امهات اليوم غير امهات الماضى: كانت الامهات فى الماضى تعطى للولد حقه من الحنان وتمنحه حقوق الطفولة الى ان دخلت المرأة معترك الحياة. . واختفى الغناء من حياة اطفالنا. . وفقد الطفل الاسلوب الذى كانت تتبعه الامهات فى تنويمه ومداعبته وترقيصه وتعليمه النطق والوقوف والمشى. . وتناول الاشياء والتعرف عليها وعلى ما يحيط بهم من عالمهم الصغير.

كانت عادة الام عند تنويم طفلها تعمد الى نصب ارجوحة فى سقف الغرفة أو فى احدى اركانها تجعلها على شكل مهد يستلقى فيه الطفل لتأمين راحته فى نومه. . وتهزه برفق وحنان وهى تهنهن له وتهلل بترانيم عذبة وبصوت هادىء رتيب، تبث الام من خلالها عواطفها ومشاعرها نحو الطفل. ومعظم تلك الترانيم التى تتغنى بها الام كان يدور حول هيام الامومة بالطفولة وفرحة الام بطفلها وطرح مشاعرها تجاهه.

مناغاة الأطفال وتنويمهم عند الشعوب العربية

هناك فرق بسيط بين بلد وبلد وقطر وقطر آخر فالعادات ـ تقريبا ـ متقاربة مع بعضها.

■ ولنأخذ تنويم الطفل عند السوريين:



اوله : نام يالا حبيبى مثلك النسوان ماجابوا
لو انحنوا وشابوا
لو اعطوا الدايات
مثلك ما جابوا

أوله : نام: يا ابنى نحن مثلك ما جبنا
يا آلب جبنا
يا خبز بيت السلطان
ابيض ما بيعجبنا

ما أحوجنا لإحياء عاداتنا ذات الدلالات.

نام يابنى مثلك النسوان ما جابوا

أوله : نام : يا ابنى أنت سعدى ومسعدى

وانت اطيب زمردى

وانت للعين منظرة

وانت بالقلب سكرة

يجمع شملى وشملك على ناموسية مزررة.

■ تمثل هذه الصورة العاطفة البريئة والانفعالات البسيطة الاسلوب . . السهلة التناول الرقيقة المعانى . . ما احوجنا لان نستدرك ما فاتنا سواء ما جاءت به العادة الحسنة او ما تناوله التقليد الحميد.

مشاعر الأمومة : اذا قست الايام على الام انعكست احاسيسها على شكل شكوى تبث من خلالها احزانها وقسوتها :

نامى يا بنتى نامى . . .

نامى لأذبح لك طير الحمام . . .

نامى عين الله ما نامت . .

شوها القلوب يلى الهن يا بنتى . .

اسيت القلوب وما لانت . .

راح على الذى راح يا بنتى . .

وحاجى تنتضوا الجراح . .

نامى يا بنتى نامى . . نامى

ان شاء الله يا بنتى ما بتنضامى . .

وعيونك يا بنتى بالهنا نامت . .

■ لم يكن الغناء للطفل الشيء الوحيد الذى اختفى من عالم اطفال عصرنا ولكن حتى طريقة تنويمهم وترقيصهم قد اختفت ايضا . . اين نحن ـ الان ـ من عطف جداتنا اللاتى كن يضعن الطفل فى المهد ثم يبدأن بهز المهد وينشدن احلى الترانيم الهادفة الموجهة ـ ترى هل نضع اللوم على التلفزيون الذى حل محل الجدة ومحل العائلة كلها ولم يترك مجالا لتعليم الطفل ـ ولا حتى لمن يريد ان يتكلم ـ او نضعه على كاهل المرأة ـ الام ـ التى شغلت بالوظيفة ومباهج الحياة النسوية فافتقدت وليدها؟ . .

تناجى الام الدمشقية طفلتها فتقول :

أوله : نامى يا بنتى نامى وانت ستى وست الكل

وانا من نأدك بربط ومن نأدك بحل
وانا من نأدك بطعم الجوعان
وانا من نأدك بكسى العريان
ومن نأدك بنادي العيش ياجوعان .
نامى يا نور عينيا نامى
انتى ستى وست الكل وست بيتى
وانت كبرتى وانتشيتى . . .
وانت صار طولك طول الاخة
وصار صوتك يملأ بيتى . . .
نامى يا نور عينيا
انت على قلبى حبيبة . . .
وانا ما بزوجك غريبة . .
ما بزوجك غير لعندى
لتكونى منى قريبة . . .
نامى يا نور عينيا . . .



●● وتتميز هذه الاغانى بانها قصيرة، مكونة من مقطوعة صغيرة كما انها هادئة، ويصحبها غالبا تحريك الطفل (بعض اجزاء جسمه فتهز الام هزات خفيفة متناسبة تتناسب مع ايقاع الغناء . . حتى ينام أو يكف عن البكاء . .

لقد حفظ لنا تراثنا الشعبى مجموعة عظيمة من الاغانى المجهولة النشأة التى ظهرت فى وجدان المرأة ولبثت تجرى على لسان الامهات جيلا اثر جيل حتى اصبحت ماثلة فى اذهان بعض الامهات ـ وفى كل مرة كانت الام تضيف اليها جديداً أو تشذب وفق معطيات الحياة وظروف الاسرة وما تعانيه .

نام يا ابنى نام .
نوم العافية ونوم الحمام .
نام لنيمك بالليل الطويل . .
وانا واقعة على المولى دخيل . .
واقول للرب اهد لى الجنين . .
ولدى وغالى عليا . .
ريت العافية تدوم لك دوم . .
ما تنقطع منك ساعة ولا يوم
ريت العافية تعافى جسمك . .
والبيت والدنيا لا يخلا من اسمك . .



ردت لكم ما ردت ليا . .
وما اريد منكم عطية . .
ردت لكم سالمين تكونوا . .
ليا ، وردت لكم العافية والموت ليا .
وردت لكم تناموا نومة هنية . .
نومة الغزلان بالبرية . .
ردت لكم تناموا نومة خرفان السمان
تحت الشجرة والتوت ريان
خبيتكم لعازات الزمان جنبى
حتى اتكى ورأسى ما ينهان
خبيتكم لتكونوا شيالين الجنائز
وتكفنونى بأيديكم مثل مأنا عايزه
واقعد بالقبر وانا مرتاحة البال . .

الام هنا تقول انها تريد الاطفال ولا تريد المال ولا الجواهر، وتقول ايضا ان تربية الاطفال تربية شاقة وصعبة لذلك فهى تريدهم للشدائد ولكى تعتمد عليهم.

وهذه تنغيمة اهل الرقة والجزيرة، وما تقول الوالدة لابنها الوحيد فريد من نوعه، بحيث لا يوجد مثله لا بالشام ولا بحلب ـ وكانت اهل الجزيرة تعتبر هاتين المدينتين من المدن الجميلة وكل شيء متوفر فيهما ـ وهنا تتمنى الام ان يكون والده حاجا ذائع الصيت يذكر فى كل مكان وان تكون هى ذات مال وجاه وحظ سعيد. فتقول:

لا أنجاب ولا أنجاب
لا بالشام ولا بحلب
ريت الظهر الذى بذرك
حجي ويذيع صيته بحلب
ريت البطن اللى حملك
يكون ديوان والكرسى من ذهب

■ ومن ذلك ـ ايضا ـ ما تترنم به الام مناجية وليدها اذ تقول:

فاطمة أم الثوب النرجس . .
شوف كيف الحسن عليها جالس . .
وأبوها اذا تحرك . .
سقطت كل المجالس . .
ألف ليرة ذهب نقدها . .
ومية ألماس صبحتها . .
وصاية وصدرية للمختار . .

وخمسين رطل ملبس للجيران
هذا كله أخوها قام زعلان.

■ فالام - هنا - تتباهى بالبنت وتتباهى بالفساتين وبانواع الاقمشة وتقول ان ابنتها غداً تملك الجمال كله وعلاوة على ذلك فان أباها شجاع ومسموع ومحترم.

●● ونستعرض بعضا من ترانيم الامهات لأطفالهن فى القطر العراقى فالمرأة فى العراق تهازج الانثى اكثر من الذكور. وهذا بعض من الترانيم العراقية اسوقها للاستشهاد:

بنتى كبيرة صارت . .
بعد سنتها ما دارت . .
خطبها شيخ خوام . .
وزوجته الكبيرة غارت . .

■ أى ان الفتاة لازالت دون الستة من العمر ومع هذا فقد كبرت وتقدم اليها احد الشيوخ الكبار طالبا الزواج منها وان زوجته الاولى غارت منها ومن جمالها.

●● وهذه والدة ثانية من اللاتى يحببن البنات تقول بحقهن:

أم البنات - أم البنات . .
وين ما بتمشى هى بتبات . .
وين درب الصايغ يا مسعدات.

تقول الام هنا ان كثرة البنات نعمة وفائدة اذا انها اينما تذهب تحل ضيفة معززة مكرمة - أى ان كل بناتها ذات بيت خاص لها. . وان الوالدة تجد الدار الرحبة والضيافة الكريمة عند بناتها. . وان طريقها دائما يكون باتجاه الصايغ لصياغة الحلى الذهبية لبناتها التى سوف تتباهى بها الام امام صديقاتها يوم المهر. . وأن ام البنت لا تقف عند هذا الحد وانما تعود وتسمع جارتها أم الصبيان: وتقول:

أم البنين - أم البنين . .
وين ما بتمشى بتميل . .
وين درب المحكمة يا مسلمين . .
ما أريد الولد خلى يولى . .
دفن أمه وجاء يغنى . .
أم الولد على ايش حصلت . .
ما هى مثلنا فصلت . .
هم أخذ وليدها . .
فوك وليدها اتيتمت.

■ فتروى المرأة العراقية ان ام الاولاد تكون دائما حزينة ومهمومة لانها لا تجد الترحاب فى بيوت اولادها وعلاوة على كل هذا فان طريقها دائما يكون فى اتجاه المحكمة ترفع الدعاوى على اولادها ليعيلوها فى شيخوختها. . وبعد ذلك يرجع الولد بعد تشييع جثمان والدته يرجع فرحا وهو يغنى لزوجته التى تخلصت من حماتها. وبالاضافة لذلك ام الاولاد الذكور لا تكون مشغولة مثل ام البنت بشراء الملابس والخياطة والتفصيل والزيارة لصاغة الذهب. واخيرا تأتى العروس وتسرق الولد من امه وتبقى الام حزينة.

الموصـل :

هذه محافظة الموصل تختلف عن غيرها من محافظات العراق فهم يحبون الذكور اكثر من الاناث. فنقتطف ما حصل لأسماعنا بهذا الخصوص. فهنا نجد الام تتغنى بقوة الصبيان حين يصلوا الى سن الشباب والرجولة تتغنى الام بقوتهم ورجولتهم وشجاعتهم وبأسهم ورباطة جأشهم. واكثر تسمية اولادهم باسم (محمد) تيمنا باسم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

شوجبلك حمودى لفة أم عباءة . .
حتى تقابل الحكام يمشى كلامك . .

تقول ان ابنها يليق به لبس العباءة الجيدة كما ان كلمته مسموعة عند ذوى الشأن ونلاحظ هنا طابع الفخر والاعتزاز.

حمودى الاسمر مد ايدك يا حنونى
مثل الاسد ، وعلى كيسك در فتونى . .

أى ان الولد هنا تصفه امه مثل رئيس العشيرة ماشيا فى المقدمة ومتقدما افراد عشيرته فى اى مسيرة تقوم بها العشيرة.

محافظة الشمال : الأكراد :

كانت زيارتى للشمال عند الاكراد فى عام (١٩٨١) وسأورد ما سمعته ودونته فى موسوعتى عن الفولوكلور الشعبى بتلك المحافظات.

شوبدى سميك حتى سميك . .
هادا اسمك الى فيك حصة . .
والى شمعة بنصه . .
واللى دبج ياللى يعوى عليا . .

هنا تمنى الام نفسها باليوم الذى ترى فيه ابنها رجلا ويحصل على مال وجاه كل البيت والحيوانات التى هى بمثابة الثروة.

■ هـذه ترنيمة كما حصلت عليها من دولة الكويت: تقول بترنيمها عن زواج الاب على الام، فتقول:

اذا ابوك راح الى الغاصة (أى الخاطبة التى تزوج)
جاب لأمك البلوى . .
ومرت أبوك ريتها تجيها رصاصة .

■ تلك نظرة خاطفة على ما يجرى فى بعض البلاد العربية من ترنيمات الاطفال.. وهذا قليل من كثير.

ترانيم الامهات فى المغرب العربى :

من عادات الامهات أن يفرحن بصغارهن ويداعبنهم وهن يرددن كلمات أو مقاطع غنائية وهم بين اذرعهن أو على ظهورهن وذلك استجلابا للنوم أو لطمأنتهم أو اسكاتهم عند البكاء وكذلك يرددن مقاطع وكلمات اثناء ايقاظهم من النوم.

فى عام ١٩٨٢ ـ كانت لى زيارتى الى اسبانيا، وقد تنقلت باحدى مدنها (برشلونة). وشاءت الظروف فى هذه المدينة أن أقابل شقيقتين وتناقشت معهما عن عادات الزواج وعن الحمل والولادة والافراح التى تقام فى المغرب.. فشرحتا لى كيف تنيم الام اولادها فتغنى لهم وتهدهدهم.. وهذه الترانيم لها معنى عظيم.. فتشكو همها اذا كانت غير مرتاحة مع زوجها.. كما تشكو همها اذا لم تنجب الأولاد وكيف أن زوجها يهجرها ويريد بالتالى ان يتزوج عليها.

فدونت ذلك واحتفظت به كما تحتفظ الام بولدها. وذلك لتكملة دراستى عن الفولكور الشعبى.
وها أنا ذا احاول ان اطرح بعضاً من النماذج عن مناغاة الطفل والطفلة فى المغرب العربى.
■ هـذه اغنية تغنى للطفل عند نومه.. والام تصف حياتها مع زوجها ومع ضرتها التى تزوجها عليها من خلالها.



الله الله الله . . . الله الله يامولانا
الله الله الله . . . وكلشى مكتوب من الله
شاب رأسى شاب . . . وحنى ظهرى
ربـى ويا مـــولاى . . . ولا حيلتى حيلا
ربـى ويا مـــولاى . . . وشكون يصير صبرى
خليت الدار طايحا . . . وجبرتها قصر مبنى
ربـى ويا مـــولاى . . . وشكون يصير صبرى
خليت المرأة عاقرة . . . واجبرت الطفل يجرى
ربـى ويا مـــولاى . . . وشكون يصير صبرى

■ نجد من خلال هذا الوصف كيف أن المرأة تصف وضعها فرغم ما عانت وكافحت وصبرت فان زوجها قد تزوج عليها وكان عزاؤها وفرحها ان ضرتها عاقر لم تنجب اولاداً و هذا اعتزاز وفخر لها ان الله رزقها هى بطفل ولد وبقيت صاحبة القول والفصل.. وقد غضبت ضرتها وذهبت لدار ابيها قبل ان تنجب ضرتها الاولى وحين صالحها ابوها ورجعت الى الدار وجدت شيئاً لم تتوقعه. وجدت ضرتها ولدت غلاما.. وان هذا الطفل كما تقول الزوجة الثانية قد اعطى امه قيمة كانت تفتقر لها، وقد ازاح عنها هذا الذل الذى كانت تعانيه قبل الحمل والولادة وبالتالى حطم كبرياء زوجة ابيه.
■ هـذه قصة ثانية روتها لى زوجة مغربية وقد استفدت الكثير حقا من بلاغتها ومعرفتها واطلاعها. فتقول أن زوجها بخيل عليها ولا يرحمها ولا يؤمن لها طلباتها، وعندما رزقها المولى سبحانه وتعالى بمولود طلبت من الله ان يسلمه لها ويحفظه لها من اجل ان يؤمن لها ما افتقدته من السعادة التى كانت محرومة منها من زوجها. وان يكون ابنها ملء السمع والبصر.. وان يكون ناجحا فى تعليمه ليتاح لها الفرصة للاحتفال به كلما انهى جزءا من القرآن - فاذا كبر يكون اماماً مرموقا.. وخطيبا قديرا تتناقل الناس خطبه.. وتاجرا يجوب الاسواق ليحمل لها الهدايا والاطايب من الطعـام حيثما حل أو ارتحل موزعا السلع التى يجلبها من خارج البلاد.. من اجل تلك الامال، ومراعاة لذلك المجهود الكبير تطلب من الله ان يحفظه حتى يكبر ويصير شيخا طويل اللحية مهاب الجانب موفور العزة. فتقول:

سلموا يارب واحضيه - أى احفظه
حتى يبوس الخدم يديه - أى الخدم تبوس يديه.
وتدوم حياته.
من المسايد تجى حتماتوا - من الجوامع وعلى المنابر تتناقل الناس خطبه
من السواق تجى نفقاتوا - يؤمن نفقات والدته كل ما تحتاجه عن طريق الخدم.
من السفن تجى سلعاتوا - أى السفن تحمل بضائعه.
سلموا يارب العزة.
من لحيته تعمل دزه - أى تعمل من لحيته دزه صوف مثل الذى يقص من الغنم.
سلموا يارب القادر - من لحيته نعمل شىء نادر.

لقد قلت لمحدثتي ان الذى حدثتنى عنهم كلهم من الذكور فهل الإناث لم يكن لهن نصيب من هذه التناغيم. فابتسمت وقالت: البنت لها الكثير وايضا يحدث حوار لطيف بين أم البنت وأم الصبى. وضربت لى مثلاً، وقالت (الذى ما عنده بنات ما عرفوا حد باش مات). والذى عنده سبع بنات تضمن لوالديها الجنة، فتربية البنت على كل حال (فيها الاجر والثواب).

- **وهذه أم لبنت تصف ابنتها وتقول:**
- **بنتى فوطا دلحرير**
- **والذهب فى حواشيها**
- **م تباع م تشرى**
- **م ينعطى مال فيها.**

■ هكذا كانت نهاية مطافنا عن تنويم الاطفال ومناغاة الام لطفلها، كيف تشكو فيه حزنها وآلامها وبالتالى اذا كانت الام موفقة والفرح مخيم عليها ايضا تبث وليدها افراحها وسرورها. وكما قال الشاعر:

اذا حلت السعادة فى دار قوم . . . فما على الساكنين سوى السرور

وفى الختام: لقد اهدانى بعض الاصدقاء كتيبين مترجمين الى اللغة العربية عن الفولوكلور الشعبى واحد منهم (انكليزى) والآخر (روسى) فاخترت منهم بعض الترانيم لنرى الفارق بين ترانيم الاوروبيين والعرب. وهذه بعض منها:

الترانيم الانكليزية:

- **تأرجح يا طفلى تأرجح**
- **بمهدك الاخضر . .**
- **أن أباك لنبيل . .**
- **وأمـك لملكة . .**
- **وبنتى السيدة المبجلة .**
- **وتلبس خاتما ذهبيا . .**
- **وجونى لطبال . .**
- **يطبل للملك . .**

■ وهـذه والدة ثانية تلعب ابنها وتحكى له قصة حياتها وفقرها فى الترانيم: فتقول الام لبنتها الصغيرة وهى فى انتظار زوجها صياد السمك وتمنى بنتها بسمكة صغيرة عند عودة والدها.

■ هنا نرى التفاوت بين الانشودة هذه والاولى: فالعائلة هنا لا تتمنى اكثر من قوتها اليومى وهنا تقول الانشودة:

- **أرقص لأبيك يا طفلى الصغير**
- **أرقص لأبيك يا حملى الصغير**
- **سوف تحصل على سمكة صغيرة فى صحن صغير**
- **سوف تحصل على سمكة عندما ترسو الزوارق**

■ وهذه انشودة اخرى تنشدها الام عند تنويمها لطفلها.

- **نام يا طفلى نام . .**
- **أبوك يرعى الاغنام . .**
- **أملك تهز شجرة الاحلام . .**
- **ولتتساقط منها عليك احلى الاحلام . .**



نام يا طفلى نام.

■ هذه انشودة لطيفة ـ والملاحظ ان الاناشيد التى تنشدها زوجات العاملين تحمل المعانى الكثيرة وتعكس حب الوالدة لابنها، ولا يأتى ببال الأم هذه المملكة أو الملك أو حتى المال الذى ينقصهم.. انها تحاول ان تبسط الحياة لابنها وتريد للعائلة السعادة غير المشوهة. واللطيف ان الام تهز شجرة الاحلام.. هذا كما شبهته لابنها.

الترانيم الروسية:

ولنلق الآن نظرة على بعض الترانيم الروسية:

مرة فى فصل الشتاء.
وبجوار حجر الثعلب.
سار الدب الى بيته..
فى رداء من الفرو الدافىء..

● ● ● ●

سار هو... سار الى بيته..
فى الطريق الريفى..
عبر الجسر..
وطأ ذيل الثعلب..
زعقت الثعلبة صارخة..
واهتزت الغابة المعتمة ذعرا..
وذعر الدب وبسرعة البرق
تسلق شجرة السرو الكبيرة..
وعلى شجرة السرو كان الهدهد مسرورا
يصلح بيت السنجاب..
فصرخ به قائلا: هيه ايها الدب
يجب ان تفتح عينيك وتنظر امامك

● ● ● ●

وعندها قرر الدب
بأنه يجب ان ينام فى الشتاء
وان لا يسير فى الطرقات..
وان لا يطأ ذيول الثعالب.

●● يلاحظ من هذه الانشودة وهى على شكل قصة من خلالها تعطى الام طفلها درسا فى الانتباه والحذر وعدم التعدى ـ وبنفس الوقت درسا بسيطا فى علم الحيوان. ان الطفل قد يرفض النصيحة المباشرة لذا وردت النصيحة هذه ضمن اغنية أو نشيد وبذلك ترسخ فى مخيلة الطفل.. وكان درس فى علم الحيوان فان الام تخبر الطفل ان الدب ينام عادة فى فصل الشتاء كما انه يتعرف على حيوانات أخرى مثل الهدهد والسنجاب.. وبما ان عفوية الطفل وحب الاستطلاع عند الاطفال يجعلهم يكثرون من الاسئلة فقد يسأل امه عن الحيوانات هذه ـ وهكذا منذ نعومة اظفاره تتكون لديه فكرة عامة عن الحيوانات.

لو قارنا الترانيم الانكليزية بالروسية لوجدنا ان الحيوانات وعاداتها ومعاملاتها تشكل قسما كبيرا من الترانيم هذه.

إعداد الدكتور
أورخان سليمى بوجه ترك
- تركيا -

إفطار الأطفال لدى الأتراك المسلمين

ترجمة
د. أنور طاهر رضا
تركيا

إن الاتراك الذين قبلوا الدين الاسلامى عن طيب خاطر بدون اى نوع من انواع الضغط والاكراه تحملوا مسؤولية الحفاظ على دينهم الجديد ونشروه اينما حلوا.

لقد ادرك العالم الغربى ان مستقبل وآمال الشعوب انما وضعت فى الاطفال والشباب ولذلك فقد وجهوا اكثر الاعراف والعادات الدينية الى فعاليات لها مساس بالاطفال. كما ان الغصن الرطيب يمكن ان يتمايل بسرعة، كذلك المعلومات والاعراف والعادات التى لها علاقة بالدين اذا ما عُلمت فى فترة الطفولة فانها تُكتسب بسهولة ويسر ولا تُنسى مدى العمر.

وفى تركيا اليوم: بدأ بعض الناس يدركون هذه الحقيقة فانشأوا مؤسسات ثقافية (كالاوقاف) تقوم ببعض الفعاليات التى من شأنها ان تبعث حب الحياة الدينية وتعزز السلوك الذى يقوى هذا النوع من الحب - وهكذا.. فقد اثبتوا ان الحياة الدينية ليست سلوكا خاصا بالفرد ينبع من ذاته فحسب بل هى سلوك جماعى لابد من تعليمه وصقله من قبل الاخرين.

لعل احدى الفعاليات التى يقوم بها هؤلاء.. هى اقامة دعوات الافطار خلال شهر رمضان المبارك سواء كانت هذه الدعوات فى البيوت او فى المطاعم.

■ تستعد العائلة او المؤسسة التى تريد ان تقيم افطار الاطفال بهذه المناسبة قبل كل شىء.. تحضر الهدايا ومكافآت اجرة الاسنان(*) للاطفال الذين سيشتركون فى الافطار. كذلك يتم الاتفاق

مع الاشخاص او المؤسسات التى تتولى اداء العاب «قرة قوز».

■ يحضر المدعوون الصغار فى اليوم المحدد.. يشترك الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين (٧-١٥) سنة فقط فى مثل هذه الولائم.. يودع الاباء والامهات اولادهم فى البيت الذى تقام فيه الوليمة ثم يعودون فى ساعة متأخرة من الليل لاخذهم من هناك.

■ تعد موائد الطعام على الارض او على مناضد حسب أوضاع البيت او المؤسسة.. يأخذ كل فرد محله ساعة الافطار. تنطلق عبارات الدعاء خلال هذه الفترة من افواه الاطفال الذين يكون معظمهم عادة صائمين.. يعيش الاطفال لحظة الافطار المقدسة بشكل جماعى فى سعادة معنوية عالية لا مثيل لها.. ومع سماع الاذان الذى يعلن انتهاء الصيام ترتفع الايادى الصغيرة الى السماء ويدعو اصحابها فى آن واحد قائلين: **«اللهم لك صمنا.. وبك امنا.. وعليك توكلنا.. وعلى رزقك افطرنا»**.

يبدأ الافطار بعد ذلك (بسم الله).. وبالمواد التى اعدت لرمضان بشكل خاص من تمر وزيتون ومربى وعسل وسجق وجبن - الخ.. ثم تشبع البطون باكلات متنوعة يحبها الاطفال كثيرا من شوربة واكلات مالحة وحلوة.. اذا تكلم احد اثناء الطعام فانه انما يتكلم بصوت خافت.. وقبل مغادرة مائدة الطعام يحمد الجميع الله سبحانه وتعالى على النعم التى انعمها اياهم بعد قراءة البسملة بالشكل التالى:

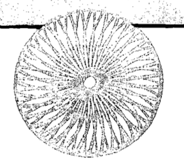
- *الحمد لله الحمد لله.*
- *اللهم لا ترزقنا الحرام.*
- *اللهم لا تدعنا منفردين.*
- *اللهم اعنا فى اعمالنا.*
- *اللهم لا تدع احدا محتاجا.*
- *اللهم لا تدع ناسا جياعا.*
- *اللهم لا تدع وجه اليتيم مصفرا.*
- *اللهم اشف مرضانا*
- *اللهم تقبل دعاءنا.*
- *ولمرضاة الله الفاتحة.*

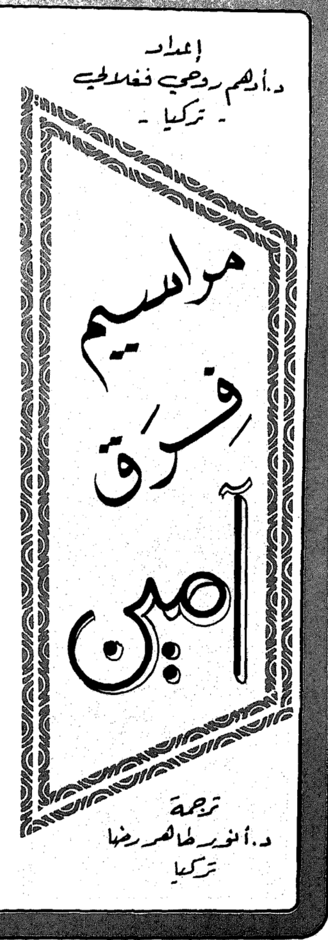
يترك الجميع بعد ذلك مائدة الطعام - وعندما تغسل الايادى والافواه يجدد الوضوء ثم يصلى الجميع صلاة المغرب جماعة.. يتحدث احد الكبار عن روعة شهر رمضان وبركته وفيضه المعنوى قبل صلاة العشاء.. تروى الذكريات والنكات اللطيفة الخاصة المتعلقة برمضان والصيام.. تقرأ التواشيح بهذه المناسبة من قبل الاطفال الذين لهم القابلية على اداء ذلك.. تصلى صلاة العشاء جماعة وتؤدى صلاة التراويح بشكل لا يمل او يتضجر منه الاطفال.

يتابع الجميع بعد ذلك بمنتهى السعادة والمرح العاب «قرة قوز» والعاب اخرى.. يجد الاطفال فى الحلويات التى توزع اليهم ارقاما تؤهلهم الحصول على هدايا خاصة اعدت مسبقا - وهكذا تتقدم الليلة بدعائها وعبادتها ولهوها.. يتوافد الاباء والامهات واحدا بعد الاخر لاخذ اطفالهم.

يودع المدعوون الصغار بعد اعطائهم هدايا اجور الاسنان التى تتكون من حلويات ونقود غلفت مسبقا على شكل رزم.

وهكذا يكون كل طفل صاحب ذكرى لا يمكن ان ينساها عن شهر رمضان طول حياته بكونه شهر سعادة وبركة.

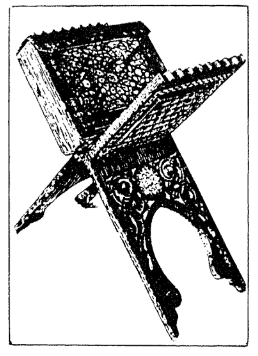


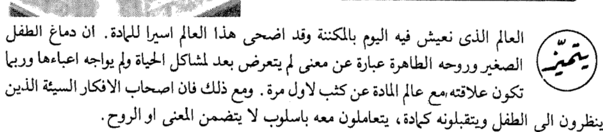


يحتفظ الانسان بالتعاليم الدينية التى يتلقاها فى فترة طفولته.. ويحرص عليها تمام الحرص طول حياته وخاصة اذا ما طبقت هذه التعاليم بطريقة حية تحمل معانى كبيرة وتنسجم مع ميول ورغبات الاطفال فى هذه الفترة من تنشئتهم الاجتماعية.

من المعلوم ان الاطفال يحيون حياة مفعمة بالحيوية والنشاط.. ويقضون ايامهم متنعمين باحلامهم الوردية المليئة بخيال عالم المُثل. يعتبر تحويل عالم المُثل الذى يسرح فيه الاطفال - من غير ان تكدر حياتهم إلى عالم الواقع امرا من الحساسية بمكان ويتطلب فهما كاملا وبصيرة قوية.

يشبه تعريف الاطفال بامور لا يرونها ضرورية.. ومتطلبات لا يحسون باهميتها فى عالمهم الخاص بمقاييس واتجاهات مجردة - الرغبة فى انتاج الورود بدون تربة.. اما الخصال الحميدة والقيم الاخلاقية والمعنوية التى نريد ان يتملكها الاطفال وما نرغب ان يتابعوه من علم وعرفان بصبر واناة كل هذا يكون سهلا غرسه فى نفوسهم اذا ما قدم لهم بطرائق حية ومقاييس جميلة يميلون اليها - وتحمل معانى بامثلة واقعية فانها تضمن انتقالهم الى دنيا الواقع دون الشعور بالغربة فيها.





يتميّز العالم الذى نعيش فيه اليوم بالمكننة وقد اضحى هذا العالم اسيرا للمادة. ان دماغ الطفل الصغير وروحه الطاهرة عبارة عن معنى لم يتعرض بعد لمشاكل الحياة ولم يواجه اعباءها وربما تكون علاقته مع عالم المادة عن كثب لاول مرة. ومع ذلك فان اصحاب الافكار السيئة الذين ينظرون الى الطفل ويتقبلونه كمادة، يتعاملون معه باسلوب لا يتضمن المعنى او الروح.

نعـــم: ان طفل اليوم ذو طالع سىء اذ انه يدفع باولى خطواته الجدية الى حياته المدرسية فى عالم اسير للمادة وفى قالب مجرد من الروح والغاية ـ ويطلب منه ان يتعلم ويؤمن بمراسيم مليئة بالكلمات الجافة التى قد تكون نظمت باسمه فى مدرسة وحياة مدرسية لا يجد انها ضرورية لحياته.

ينظم **«اسبوع التعليم الابتدائى»** بهدف اثارة حب الاطفال للتعليم وابراز حاجتهم اليه. . ان الاعتقاد بان مثل هذه المسألة انها تنحل باجراء مراسيم تنظم بالمذياع بعيدة عن مخاطبة عقول الاطفال انما يعبر عن كثير من السذاجة وهو على الارجح نموذج لعدم التبصر السليم لاولئك الذين يتحدثون عن تربية الاطفال بشكل مستمر فى مثل هذا الامر.

إذا كان الهـدف اثارة حب الاطفال نحو القراءة. . وبيان حاجة الناس الى العلوم والمدارس واقناعهم بذلك. . فان هذا الامر يقتضى قبل كل شيء النفاذ الى عوالم الاطفال الوردية وعوالم معانيهم المتيقظة تماما. وقد حققت ذلك فعلا خلال عصور سالفة اعرافنا وعاداتنا الاجتماعية الخاصة «بفرق آمين» وذلك بحساب دقائق الامور ووضع الخطط موضع التنفيذ فى عالم مليء بالجمال والمعنى مما يستحيل ان نصل الى مستواه فى هذا اليوم.

تشكل مراسيم الابتداء بالمدرسة التى عرفت لدى عامة الناس بـ «فرق آمين» والتى ثبتت فى الوثائق التأريخية باسم «**جمعية الابتداء بالبسملة**» احدى الصفحات الحية من تأريخ مدنيتنا.

كانت هذه المراسيم تجرى عادة فى الايام المباركة اذا صادفتها، او فى ايام السبت، او على الاكثر فى ايام الخميس.. وتخلق جو العرس لعائلة الطفل واقاربه والساكنين فى المنطقة.

كان الطفل فى صباح اليوم الذى تجرى فيه المراسيم يلبس احسن ملابسه فى وقت مبكر.. ويتزين بالمجوهرات الثمينة التى ورثتها العائلة من الاباء والاجداد.. ويعلق على رقبته شالا ثمينا وكيسا مزخرفا للكتب.. وينتظر امام البيت فى هذه الوضعية لاستقبال الضيوف القادمين الى البيت.

تستمر الحال حتى الضحى - الى ان تأتى مجموعة آمين او مجموعة التواشيح.. وهم من الطلبة المتقدمين فى مدرسة المنطقة التى اخبرت سلفا بالحدث ويركبون مع الطفل الذى سيسجل فى المدرسة لاول مرة فى عربة علقت باحد مصابيحها اشرطة من قماش بطول عدة امتار.

يتقدم الطفل إلى العربة التى تمشى ببطء كبير وقد حمل مخدة مزركشة بالحرير عليها كيس مزخرف للكتب يتضمن كتاب الالف باء.. يعقب هذا الطفل طفل آخر وقد حمل على رأسه مخدة زخرفت بالحرير مع كرسى من النوع الذى يطوى مزين بالاصداف والبلاستك.. ومع حركة العربة يتقدم رئيس فرقة آمين ويقرأ الموشحات الخاصة بالاطفال بصوت جهورى.. يعقب أب الطفل والاقارب والمعارف والمدعوون فرقة آمين والموشحات.. كانت موشحات يونس أمرة ونيازى المصرى تقرأ كثيرا فى مثل هذه المراسيم وكلما قرىء بيت من الموشح يتوقف الجميع ويصيح التلاميذ فى آن واحد: «آمين».. يواصل الموكب سيره فى طريق حدد مسبقا



يقابل الناس هذه المراسيم بعيون مليئة بالفرح خلال الطريق الطويل الذى تختاره فرقة آمين فهم مسرورون لتمكنهم من رؤية طفل يبدأ حياته الدراسية - ويتمنى من له طفل ان يبدأ هو الاخر دراسته بمثل هذه المراسيم البراقة. وتكون مراسيم «فرق آمين» مصدر الشوق والمحبة فيما يتعلق بدفع اولياء الامور الى تعليم

اولادهم ويحث الاولاد الى ان ينتظروا بلهفة واشتياق مثل هذا اليوم لينعموا بمثل هذه المراسيم ويبدأوا تعلمهم القراءة والكتابة. ان الحياة التركية التى اضفت المعانى لكل محتوياتها على احسن وجه وفى ادق تفرعاته جعلت التعليم فى موقع عنصر حيوى بمصاف الحاجات التى لا يمكن للمرء ان يتخلى عنها ولهذا فقد اجرت مثل هذه المراسيم بكل راحة واطمئنان.

ترجع فرقة آمين الى بيت الطفل وتقف امام الباب بعد ان تجولت وهى تقرأ التواشيح الدينية.. وتبث صيحات آمين وتخلق لدى مئات الاطفال والاباء والامهات حب القراءة.. وتزيد فيهم الرغبة بهذه الطريقة الواقعية. تقرأ الفرقة امام البيت فاصلا آخر من التواشيح ويختتم القسم الاول من الاحتفال بعد ان تقرأ الادعية على لسان واحد وحسب مقام خاص.

■■ يغير قرع الطبل ويبدأ رئيس فرقة آمين والطفل والمدعوون جميعا بقراءة الدعاء معا كما يأتى:

«الله ـ الله، لا اله الا الله، الجليل الجبار، المعين الستار، خالق الليل والنهار، ذو الجلال، الله الاحد. لنقل بحبّ الله، من اجل الدين المبين، من اجل الغزاة الشهداء».

الله، الله، الله دائم حى... (ثلاث مرات)

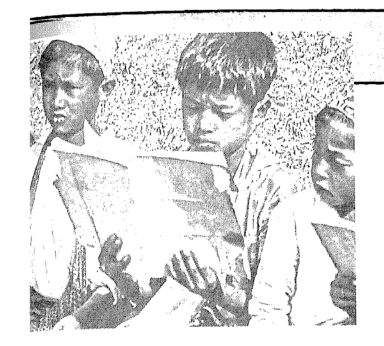
اوله القرآن، وآخره القرآن، تبارك الذى نزل الفرقان. لنقل بحبّ الله، من اجل المجاهدين الذين استشهدوا دفاعا عن الدين المبين، اياديهم دامية، سيوفهم دامية، صدورهم عارية، قلوبهم جياشة.

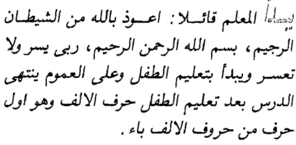
الله، الله، الله دائم حى.. (ثلاث مرات)

اوله الجهاد، وآخره الجهاد، بعناية الله، لصد الاعداء لنقل بحبّ الله، من اجل المجاهدين الذين استشهدوا دفاعا عن الدين المبين.

الله، الله، الله دائم حى... (ثلاث مرات)

يدخل الجميع بعد قراءة هذه الادعية الى البيت.. يحرق عود من شجرة ذات رائحة زكية ويشمم به الطفل ـ ثم يذهب الطفل ويجلس على سجادة او مخدة مقابل استاذه الذى ينتظره ويستخرج من كيسه المعلق على رقبته كتاب الالف باء ويضعه على كرسيه الموجود امامه ويفتح اول صفحة من كتاب الالف باء الذى زخرف زخرفة جميلة قد تطعم بالذهب.. يمسك بيده هلاله البرونزى او الفضى او حتى الذهبى وينتظر اشارة من معلمه.





يبدأ المعلم قائلا: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ربى يسر ولا تعسر ويبدأ بتعليم الطفل وعلى العموم ينتهى الدرس بعد تعليم الطفل حرف الالف وهو اول حرف من حروف الالف باء.

■■ وفى نهاية الدرس يدعو المعلم الله سبحانه وتعالى قائلا: «ربى زدنى علما وفهما» ويطلب من الطفل ان يكرره.

وهكذا ينتهى فصل المراسيم المتعلق بالدرس. . يُقبِّل الطفل يد والده وكبار العائلة واقربائه والمدعوين فردا فردا ويدعو الجميع له بالخير. يبدأ الحفظة من الطلبة بقراءة ايات من القرآن الكريم وتكمل جمعية فرق آمين بالدعاء للاستاذ والطفل متمنية له ان يكون ولدا صالحا وخيرا لقومه ودينه ومكرما لوالديه طالبة من الله له التوفيق فى كل شىء.



يبدأ تقديم التهانى والتبريكات للطفل ولابويه ويتقدم الحاضرون نحو مائدة الطعام التى اعدت فى اوسع جزء من البيت لتناول الطعام. يوزع على كل طفل اشترك فى الاحتفال قرشين او ثلاثة قروش. تهدى للمعلم ومساعده المبالغ المالية والاقمشة الثمينة من الجوخ. وبعد فترة قصيرة من الاحاديث التى تدور بين المدعوين تعطى الهدايا للطفل ثم يغادر المدعوون البيت. وفى اليوم التالى يؤخذ الطفل من قبل ابيه واقربائه المقربين الى المدرسة ويسلم الى معلمه.

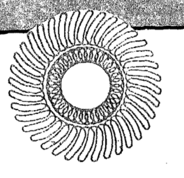
لقد اهملت اليوم تماما مراسيم «فرق آمين» التى اثارت فى امتنا هذا الحب الكبير والرغبة الجارفة نحو التربية والتعليم والعلوم بطريقة حية. . وحرمنا من المراسيم ذات المعاني الكبيرة وانتقلت الى التاريخ لتسجل علي صفحاته البارزة. . ونستطيع اليوم ان نتصل بكنوز امتنا الدفينة ونعيد ادخالها فى حياتنا الفكرية والاجتماعية والوجدانية لتكون اعرافا وعادات لا تتجزأ منها ـ ونحييها على الاقل بين الناس الغيورين والحريصين علي ماضي امتنا علي ان تعدل هذه المراسيم بشكل ينسجم مع متطلبات المدرسة الحديثة ويتفق مع تعاليم العقيدة السمحاء وتشريعها المتين. . ونكون بذلك قدمنا مراسيم التعليم هذه الي الاطفال كذكرى حلوة وذات معني مشكلين لديهم احلي ساعات العمر ومكونين نموذجا ممتازا لما يحيط بهم.

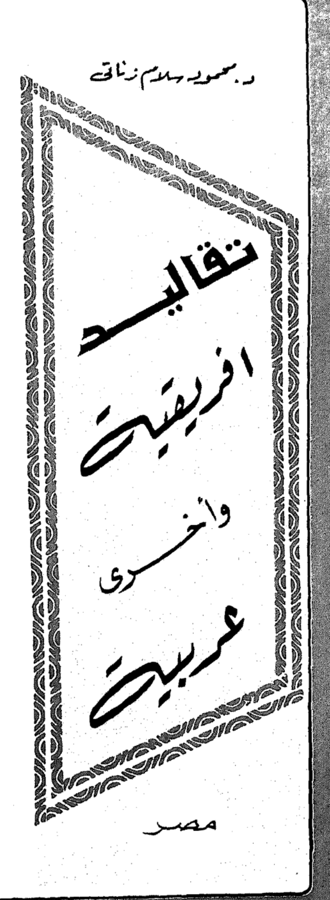
إنـا كنا نريد ان نثبت ما خفى فى اعماق ماضينا من مفاخر واعراف وعادات حضارتنا ونجعلها عنصرا لا يتجـزأ من حيـاة شبابنا فلابد من الاستفادة من الامكانات والفرص المختلفة لاحياء هذه المراسيم لتكون ذخيرة لمستقبلنا.



يرفع المنهل واسرته التهنئة المباركة بعيد الفطر المبارك لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ايده الله.. ولولى عهده الأمين صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز.. وللنائب الثانى صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز ولكافة الاسرة المالكة الكريمة.. والشعب السعودى والامة الاسلامية والعربية.. ولقراء ومحبى المنهل - يرفعها ويقدمها محفوفة بالدعاء - بالعزّ والنصر والتأييد المشمول بمشيئة المولى وتوفيقه انه على كل شىء قدير..

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

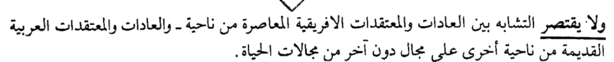




عندما استعمرت بعض الدول الاوربية اجزاء كبيرة من القارة الافريقية حرصت على تشجيع بنيها على دراسة احوال المجتمعات القبليّة التى وقعت تحت سيطرتها. وكانت لتلك الدول من وراء هذه الدراسة غايات متعددة: سياسية.. وادارية.. واقتصادية.. وتبشيرية.. الخ. وتولى القيام بهذه الدراسات اشخاص مختلفو المشارب متباينو التكوين: منهم رحّالة وموظفون اداريون.. ومنهم مبشرون وعلماء متخصصون.

وتمخضت جهود الباحثين عن الآلاف من التقارير والمقالات.. والابحاث والمؤلفات - وبذا أصبحت لدينا الآن ثروة هائلة من المعلومات عن افريقية قلما اتيح مثلها لغيرها من القارات.

وقد اتيحت لى الفرصة خلال سنوات طوال - لدراسة التقاليد القبلية الافريقية.. كما اتيحت لى فرصة التعرف على تقاليد العرب قبل الاسلام.. ولقد أدهشنى ان لاحظت تشابها كبيرا بين التقاليد الافريقية والتقاليد العربية. وراعنى أن هذا التشابه لا يقتصر على الخطوط العريضة بل يمتد فى كثير من الاحيان الى التفاصيل والجزئيات.



ولا يقتصر التشابه بين العادات والمعتقدات الافريقية المعاصرة من ناحية ـ والعادات والمعتقدات العربية القديمة من ناحية أخرى على مجال دون آخر من مجالات الحياة.

وسوف نعرض فيما يلى ـ بصورة موجزة ـ بعضا من هذه العادات والمعتقدات المتماثلة.



١ امتياز الابن الأكبر

من الشائع فى المجتمعات القبلية الافريقية الاعتراف للابن الأكبر بمركز متميز. . وينطوى هذا المركز على بعض الحقوق والالتزامات. . ويتفاوت مدى هذه الحقوق والامتيازات تبعا للقبائل. . ففى بعضها يمنح الابن الأكبر فى تركة أبيه حقوقا تبلغ فى أهميتها حدا يمكن القول معه بأن الابن الأكبر هو الوارث الوحيد لرب الأسرة ـ بينما لا يعترف له البعض الآخر الا بالقليل من الامتيازات. . وتتراوح القبائل الأخرى بين الميل نحو هذا الاتجاه أو ذاك.

فلدى التسوانا (دولة بوتسوانا فى جنوب افريقيه) مثلا يعتبر الابن الأكبر الوارث الرئيسى ـ وبصفته هذه يرث كل ماشية أبيه التى لم يخصصها أبوه قبل وفاته لشخص معين. . كما تؤول اليه الماشية التى تم تخصيصها من قبل لبيت أمه. . وفضلا عن ذلك يرث الابن الأكبر حقل الأب (دون الحقول التى خصصت لكل زوجة من زوجاته) والأراضى التى لم تستصلح بعد ـ بالاضافة الى العربات والمحاريث والبنادق والخيل والأشياء الأخرى الخاصة بالذكور والتى لم يسبق تخصيصها لبيت أو شخص ما(١).

بينما لدى الكبسجى (فى جمهورية كينيا) يحصل الابن الأكبر على طائفة من أموال ابيه قبل قسمتها. وهى عبارة عن بقرتين وثور. . وقدر العسل. . وقدر الجعة الكبيرة. . وحربة والده. ثم تقسم التركة بعد ذلك على قدم المساواة بين أكواخ البيت. فيحصل أبناء كل كوخ على نصيب مساو لما يحصل عليه أبناء الكوخ الآخر(٢).

وهناك من الشواهد ما يدل على وجود امتياز الابن الأكبر عند العرب قبل الاسلام.

فقد ذكر الطبرى أن أهل الجاهلية، كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده، ممن كان لا يلاقى العدو ولا يقاتل فى الحروب من صغار ولده ولا النساء منهم، وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية. . فكانوا لا يعطون الميراث الا من قاتل، «ويعطونه الأكبر فالأكبر».

ولا زال بعض البدو الى يومنا هذا يعترفون للابن الأكبر بقدر من التفضيل يتمثل فى اختصاصه بأموال معينة من تركة أبيه خارج القسمة.

فلدى عشائر العراق للمكّلف: وهو فى اصطلاح العشائر الخلف الصالح لاشغال مقام المتوفى والقيام بجميع واجبات ذلك السلف ولا يشترط فيه أن يكون ابنا بل مجرد كونه من ذوى القربى على شرط أن يساكن المتوفى ويشترك

معه حال حياته فى تكوين ثروة العائلة ، حصة تسمى «الكُبرْة» وهذه الحصة تخرج من التركة قبل تقسيمها على بقية الورثة . . فاذا كان المكلف وارثا فهذه الحصة لا تمنعه عن حصته من الميراث الشرعى . أما مقدار الكبرة فيختلف باختلاف الأحوال ، وتتردد فى الغالب بين الثلث والربع ، بالاضافة الى ما يأخذه من الأموال المنقولة وهى «**الحبوة**» و«**منايح المضيف**» و«**الحبوة**» هى من متروكات المتوفى الخاصة به كسلاحه الخاص وآلة ركوبه وألبسته وختمه وساعته ومسبحته وأشباهها. و«منايح المضيف» من المواشى كالبقر والجمس والابل والأغنام فقط على أن تكون حلوبا(٣) .




فى المجتمعات الرعوية وتلك التى تجمع بين الرعى والزراعة يعتبر الرعى من اختصاص الرجال . . وفى هذه المجتمعات تستبعد المرأة من كل عمل يتصل بالماشية . . فالرجال والصبية هم الذين يقومون برعى الماشية والعناية بها . . ويصل الأمر فى بعض القبائل الى حد منع النساء من القيام بحلب الماشية . . ففى هذه القبائل يعتبر حلب الماشية عملا مقصورا على الذكور ليس للاناث فيه نصيب .

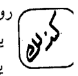
من ذلك مثلا ما يجرى به العرف لدى الشيلوك (فى جمهورية السودان) حيث يقوم بالحلب الصبية والرجال ولا يسمح للنساء بذلك(٤) .

■ ولدى اللانجو (فى أوغنده) يقوم صاحب البقرة بحلبها بنفسه أو يقوم بذلك أبناؤه نيابة عنه اذا كان غائبا، واذا لم يكن له أبناء قام بذلك الراعى. أما المرأة فليس لها على أية حال أن تقوم بهذا العمل(٥).

■ ولدى النوبة (فى جمهورية السودان) الرجال وحدهم هم الذين يقومون برعى الأبقار وحلبها ويحظر على النساء شرب اللبن أثناء فترة الحيض(٦).

وهناك من الشواهد ما يدل على أن البدو من العرب كانوا يتخذون قبل الاسلام موقفا مماثلا لموقف هذه القبائل حيث كانوا يحظرون على المرأة أن تقوم بحلب شاتها أو ناقتها.. وكان الحلب يعد عملا من أعمال الذكور.. يدلنا على ذلك المثل العربى «يحلب بُنَى وأشد على يديه» ويضرب هذا المثل لمن يفعل الفعل وينسبه الى غيره.

وقد ذكر الميدانى فى شرحه لهذا المثل أن أصله هو أن امرأة بدوية احتاجت الى لبن ولم يحضرها من يحلب لها شاتها أو ناقتها، والنساء لا يحلبن بالبادية لأنه عار عندهن انها يحلب الرجال، فدعت بنيا لها فأقبضته على الحلف وجعلت هى كفها فوق كفه ـ فقالت يحلب بنى وأشد على يديه(٧).



روى أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بنى يربوع فقتل الرجال، والحارث يومئذ غلام فبقيت النساء وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها، ويبكين رجالهن ويبكى الحارث معهن، فنشأ على بغض خالد(٨).



[illegible] الذكر على الأنثى

رغم تفاوت موقف المجتمعات القبلية الافريقية من ولادة الذكور والاناث من الممكن القول بأن الافريقيين ـ كقاعدة عامة ـ يفضلون الذكر على الأنثى ويكون ذلك أكثر ما يكون فى المجتمعات التى تجعل النسب من جهة الأب. فهذه المجتمعات تعلق أهمية كبرى على الابن بوصفه الوسيلة الى استمرار الأسرة وبقاء العشيرة.. والذكور هم فى كل مكان حماة القبيلة والمدافعون عن قطعانها وأراضيها.. وهم وسيلتها الى زيادة ثروتها بالاغارة على القبائل المجاورة واستلاب ماشيتها.

ويظهر التمييز بين الذكر والأنثى منذ الولادة.. وينعكس تفضيل الذكر على الأنثى فى شتى العادات والتقاليد.

فالهوتنتوت (وهم قبيلة رعوية فى جنوب افريقيه) يفضلون ـ كقاعدة عامة ـ الذكور على الاناث لأنهم يزيدون القوة الحربية للقبيلة.. ويعاونون فى الحفاظ على قطعانها.. ويساهمون فى زيادتها.. ويظهر تفضيل الذكر على الأنثى فى العادات المرتبطة بالولادة ـ فعندما تشعر الحامل بأن وقت الولادة قد اقترب تستدعى عجوزاً ذات خبرة لمعاونتها وتحصل العجوز مقابل خدماتها على رأسين من الماعز اذا كان المولود ذكرا ورأس واحدة اذا كان أنثى.. كذلك من عادتهم الترحيب بولادة توأم اذا كان التوأم من الذكور حيث يقيم الأب وليمة كبيرة يذبح من أجلها ثورين سمينين لاطعام أهل المضرب جميعا ـ أما اذا كان التوأم من الاناث لم يكن هناك سوى القليل من الابتهاج أو لم يكن هناك

ابتهاج على الاطلاق ويذبح ـ على الأكثر ـ زوجاً من الشياه. . ومن الشائع فى هذه الحالة أن يرفض الوالدان تربية الطفلتين ويتخلصان من أقبحهما متعللين بالفقر أو قلة لبن الأم.

واذا كان التوأم من جنسين مختلفين نبذت الأنثى وأقيمت من أجل الذكر أفراح عظيمة(٩).

ولدى قبائل البربر فى جمهورية الجزائر، يرحبون بولادة الذكر غاية الترحيب أما الأنثى فلا تلقى سوى القليل من الاهتمام. فبمجرد أن تتبين السيدات اللاتى يحطن بالنفساء أن المولود ذكر يطلقن الزغاريد، وفى الحال يتجمع رجال القرية ويجيبون على زغاريد النساء بطلقات الرصاص. ويأتى أقارب الزوجين، وقد ارتدوا أفضل ثيابهم لتقديم التهانى والهدايا. ويضعون على جبهة الوالدة قطعة من الحلى مستديرة الشكل تعلن للجميع أنها أنجبت للقرية مدافعا. ولكن عليها أن تنحى هذه القطعة اذا شاء لها سوء الطالع أن يكون مولودها القادم أنثى. ويدفع الأب للقرية ـ اذا كان المولود ذكرا ـ جعلا معينا وكثيرا ما يضاعف الأب هذا الجعل اعتزازا بمولوده. . أما إذا كان المولود أنثى فليس ثمة زغاريد ولا طلقات رصاص ولا جعل يدفعه الأب للقرية ويقتصر الأمر على احتفالات بسيطة لا يحضرها غير النساء(١٠).



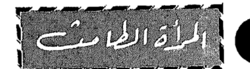
ورغم أن من العرب من كان يحيط البنات بكل مشاعر العطف والاعزاز فان من الشواهد ما يدل على أنهم كانوا كقاعدة عامة لا سيما البدو منهم يفضلون الذكور على الاناث.

وأبلغ شاهد وأعظم دليل على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم من وصف لما كان يحس به بعضهم من مرارة وأسى عندما تولد لهم أنثى. قال تعالى: ﴿واذا بُشّر أحدُهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سُوء ما بُشّر به أيمسكه على هون أم يدُسّه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (سورة النحل: ٥٨ـ٥٩).

ومن الشواهد على ذلك أيضا قول الزبرقان بن بدر: «أحب كنائنى الىَّ الذليلة فى نفسها العزيزة فى رهطها، البرزة الحيية، التى فى بطنها غلام ويتبعها غلام. وأبغض كنائنى الىّ الطلعة الخبأة، التى تمشى الدِّفقّى وتجلس الهبنقعة، الذليلة فى رهطها العزيزة فى نفسها، التى فى بطنها جارية وتتبعها جارية(١١).

ومن ذلك قولهم «مشيمة تحملها مئنات» وهو مثل يضرب للرجل لا يسر به أحد ولا يرجى منه خير(١٢).

وكانت القبيلة تهنأ وتقيم العرس لثلاث: غلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تُنتج(١٣).

٤ 

تجرى التقاليد، فى كثير من القبائل الافريقية ـ ان لم يكن فيها جميعا ـ بتحريم الاتصال الجنسى بالمرأة اثناء دورتها الشهرية حيث ان الاتصال بامرأة طامث من شأنه ان يلحق بالرجل اذى عظيما. . فقد يصيب الرجل من جراء ذلك مرض عضال بل قد يؤدى ذلك الى موته. . وفى الواقع تعتبر المرأة الحائض مصدر خطر عظيم ولذا فهى تضطر غالبا للحياة فى عزلة ويحرم عليها القيام بالكثير من وجوه النشاط التى تنطوى عليها الحياة اليومية.

فلدى النوبة (فى جبال كردفان فى جمهورية السودان) لا تقوم المرأة الحائض بطبخ او خبز ولا تمس اى شىء يخص زوجها أو اى رجل آخر. وتتولى قريباتها طهى الطعام من أجلها.. وتتناوله بمفردها بملعقة خاصة.. وتشرب الماء من قرعة خاصة بها وبعد خمسة أيام تأخذ قرعة من الماء تحضرها لها احدى قريباتها وتذهب الى مكان منعزل حيث تغتسل ـ وتكسر القرعة وتلقى باجزائها بعيدا.. وخلال فترة طمثها تقوم احدى قريباتها أو قريبات زوجها بعملها فى البيت.

ولدى الباكونجو (فى جمهورية زائير) تخضع المرأة اثناء فترة الطمث لمحظورات متعددة: وهى تحتجب فى بيت خاص فحضورها يؤذى ويميت.. ولا يمكنها الاختلاط بالآخرين الا لضرورة قصوى.. ويتجنب الزوج الاقتراب منها.

تذكر

كان العرب فى جاهليتهم ينظرون الى المرأة الطامث نفس النظرة فكانوا يفرضون عليها العزلة ويخشون الاقتراب منها، روى ابن جرير الطبرى فى تفسير الآية الكريمة «ويسألونك عن المحيض» أن أهل الجاهلية كانوا لا تساكنهم حائض فى بيت ولا تؤاكلهم فى اناء. فانزل الله تعالى ذكره فى ذلك فحرم فرجها مادامت حائضا وأحل ما سوى ذلك: اذا كان عليها ازار متحجزة به دونك.

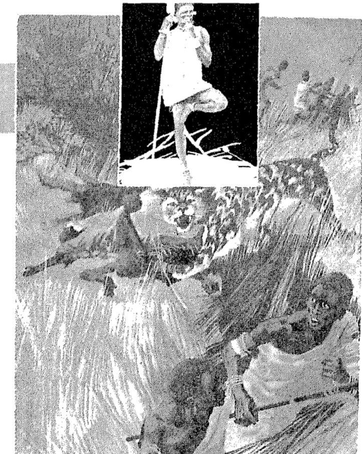
٥ تفضيل فى تبكير المرأة بأنثى

يشكل الحصول على ذرية وبخاصة ذرية من الذكور أملا عزيزا لدى كل رجل افريقى ويسعى الرجل الى تحقيق هذا الامل بكل ما يملك من وسائل.. ومع ذلك ففى بعض القبائل الافريقية يفضل الرجل ان يكون أول اولاد زوجته بنتا وقد يكون السبب فى ذلك الاعتقاد فى ان أول اولاد المرأة يكون أقل نجابة من اولادها التالين.. وقد يكون السبب فى ذلك الرغبة فى الحصول على مهر هذه البنت عند تزويجها.

فالفندا مثلا (فى جنوب القارة الافريقية) لا يرحبون بأن يكون الأولاد جميعا من جنس واحد.. ويفضلون ان يكون عدد الاناث اكبر من عدد الذكور.. ويعدون انجاب ذكور فحسب اكبر شىء غير مرغوب فيه. اذ كيف يمكن مدهم بزوجات؟ واذا كان أول أولاد المرأة انثى كان موضع ترحيب شديد.. فهم يعتقدون ان اول مولود لا يكون مطلقا على قدر كبير من الذكاء وغالبا ما يكون احمق.. وفضلا عن ذلك فعندما تولد انثى يقولون: «ماشيتنا (اى الماشية التى دفعت من أجل الام على سبيل المهر) عادت الينا».. وعندما يكون المولود الاول ذكرا يقولون «الآن بدأت متاعبنا مع القضايا».. وهناك من الشواهد ما يدل على ان العرب قبل الاسلام كان لهم موقف مماثل.

جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ: «وبيض ابكار الطير اصغر، وكذلك اولاد النساء الا ان تتسع الارحام وتنفتح الجوانب.. ويحبون ان تبكر بجارية وأظن ان ذلك انما هو من شدة خوفهم على الذكر.. وفى الجملة لا يتمنون للبكر الذكر.





٦

يتشاءم الافريقيون اذا خرجت رجل المولود قبل رأسه خلافا للمألوف . . وفي كثير من القبائل كانوا يلجأون الى وأد مثل هذا المولود باعتبار ان ولادته تمثل شؤما ونحسا لاسرته وتهدد بمصيبة او كارثة لها . **فالإيبيبو** (في جنوب شرق نيجيريا) كانوا يتركون الاطفال الذين تبرز اقدامهم اولا عند الولادة ليلاقوا حتفهم وكانوا يلقون بجثثهم بعيدا وفي بعض الجهات كانوا يطردون امهات هؤلاء الاطفال الى الغابة ولا يسمحون لهن بالعودة مطلقا . **كذلك كان التسوانا** (في جنوب افريقية) يئدون الاطفال الذين تخرج اقدامهم اولا بدلا من رؤسهم وكانوا ينظرون الى هؤلاء الاطفال باعتبارهم نذير شؤم ومن الواجب المسارعة الى التخلص منهم خوفا من أن يتسببوا في كارثة لوالديهم . . **وهناك ما يشير الى ان العرب قبل الاسلام كانوا يتشاءمون من الاطفال الذين يخرجون باقدامهم أولا وربما كانوا يعمدون الى وأدهم .**

جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ان ام تأبط شرا قالت: والله ما ولدته يتنا . . ولا سقيته غيلا . . ولا أبته على مأقة . فأما اليتن فخروج رجل المولود قبل رأسه وذلك علامة سوء ودليل على الفساد» . . فالجاحظ يشرح كلمة سقى الغيل فيقول «إنها إرتضاع لبن الحبلى وذلك فساد شديد» .

٧



من العادات الشائعة في المجتمعات القبلية الافريقية أن المرأة اذا حملت امتنع على زوجها ان يعاشرها مدة حملها واثناء فترة الرضاع - ويرجع هذا الحظر الى اعتقادهم بأن الاتصال الجنسي الذي يحدث في هذا الوقت من شأنه ان

يلحق الاذى بالجنين أو الرضيع . ويسود فى بعض المجتمعات الاعتقاد فى أن الطفل الذى تحمل به امه عقب اتصالها بزوجها اثناء فترة رضاع طفل سابق سوف يولد مريضا وسوف يكون مصيره الموت.

فلدى الكبسجى مثلا (فى كينيا) عندما تلاحظ المرأة انقطاع دم الحيض تخبر زوجها وتتوقف العلاقات الجنسية بينهما منذ هذه اللحظة ولا تستأنف الا بعد فطام المولود.

ولدى الفندا (فى اتحاد جنوب افريقية) لا يستأنف الزوج الاتصال بزوجته الا بعد مضى عام على الولادة والبعض يمتنع عن الاتصال بزوجته حتى فطام الطفل أى لفترة تتراوح بين ثلاث وخمس سنين.

ولدى معظم القبائل النيجيرية القاعدة العامة امتناع الزوج عن الاتصال بزوجته حتى فطام طفلها.

وهناك من الشواهد ما يدل على أن من العرب قبل الاسلام من كانوا يحظرون اتصال الرجال بزوجته اثناء فترة الحمل والارضاع.

يقول أبو الكبير الهندى:

ومبرأ من كل غُبَّر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل

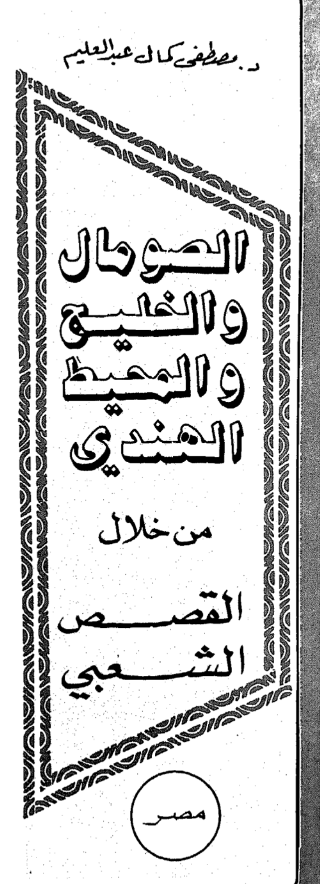
ويقول الراجز: «كان أبوه غائبا حتى فطم» أى لم يسق غيلا.

ويقول الشاعر:

ثم نمى ولم ترضع فلوا
ورضاع المحج عيب كبير

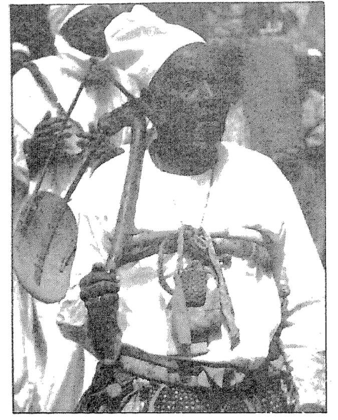
الهوامش

(١) Schapera, A Handbook of Tswana Law, P. 230.
(٢) Peristiany, The social institutions, P. 212.
(٣) فريق المزهر آل فرعون، القضاء العشائرى، بغداد ١٩٤١، ص١٥٠.
(٤) Seligman, Pagan Tribes, P. 38.
(٥) Driberg, The Lange, P. 91.
(٦) Seligman, Pagan Tribes, P. 368.
(٧) الميدانى، مجمع الأمثال، ج٢ ص٢٤٩.
(٨) الأغانى، ج١٠، ص١٦. أشار اليها دكتور أحمد الحوفى، المرأة فى الشعر الجاهلى، ص٤٠٥.
(٩) Schapera, The Khoisan, P. 266.
(١٠) Handteau et Letourneux, La Kabylie et les Cautumes Kabyles, Paris 1893, Pt.z 20g.
(١١) كتاب النساء لابن قتيبة، ص٤.
(١٢) مجمع الأمثال للميدانى، ج١، ص١٨٠.
(١٤) العمدة لابن رشيق ١، ص٣٧.



منذ القرن الثالث ق.م، وربما قبل ذلك بكثير قامت علاقات تجارية نشطة فيما بين الهند والخليج العربى وبين الصومال وكان هناك خط ملاحى منتظم تأتى عبره سلع الهند الى رأس «جوار دافوى» أو «رأس البخور» كما كان يعرف فى المصادر الكلاسيكية وحيث كان التجار الهنود يبادلون بسلعهم السلع الصومالية والسلع العربية، ذلك لان باب المندب كان المحطة النهائية بالنسبة لهم.. اما نقل السلع الى البحر الاحمر أو «البحر الأروترى» فقد كان وقفا على تجار جنوب غرب الجزيرة العربية.. وقد اعتاد هؤلاء ارسال سفنهم الى ساحل الصومال بل والى الهند نفسها.. وزادت أهمية الصومال فى استقبال ما تأتى به سفن الهند فى العصور الهلينسية والرومانية وكذلك فى العصور البيزنطية وما تلاها من العصور الاسلامية.. ونظراً لأهمية المحيط الهندى فقد نظمت هيئة اليونسكو ندوة عقدت فى مدينة بورت لويس فى الموريشس فى شهر يوليو ١٩٧٤م - نشرت أبحاثها تحت عنوان العلاقات التاريخية عبر المحيط الهندى(١)... وقد شارك موسى جلال فى هذه الندوة ببحث طريف موضوعه «العلاقات التاريخية بين القرن الافريقى والخليج الفارسى (العربى) والمحيط الهندى فى عصور الاسلام(٢).

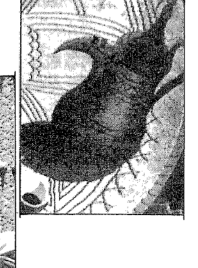
وقد أبرز الباحث عددا من النتائج من أهمها:



أولا: أن التراث الثقافى للصومال يشتمل على معلومات هامة عن بلاد الخليج العربى وشعوبه.

ثانيا: أن الصوماليين توارثوا لعدة أجيال معلومات طيبة عن بعض جزر المحيط الهندى ذات الموقع الجغرافى المتميز وذات الأهمية الاقتصادية بالنسبة للصومال، وأن التراث الشعبى الصومالى لا يتضمن ذكر جزر أخرى تكبرها مساحة مثل جزيرة مدغشقر.

ثالثا: **للعاملين فى مجال النقل البحرى - قديما وحديثا - طريقتهم الخاصة فى التعريف بالجزر التى تصلها سفنهم إذ يتخيرون لكل مجموعة جزر اسم واحدة منها يطلقون عليها ربما لأن هذه الجزيرة تفوق بقية الجزر فى أهميتها.**





ويقرر الكاتب أنه وحتى عام ١٩٧٢ لم يكن للغة الصومالية نظام للكتابة ولذلك كانت الروايات التى يتناقلها الصوماليون - وبخاصة الشعرية منها - الوعاء الذى حفظ لهم أفكارهم وأخبار نشاطهم ويقرر الكاتب انه اعتمد فى دراسته على تلك الروايات غير المكتوبة.

وتعكس الرواية الشفهية: التى يتناقلها أهل الصومال لمحات عن العلاقات التجارية التى كانت بين القرن الافريقى وجزر البحار المجاورة وهذا يتضح فى كثير من الكلمات الصومالية التى تعرف بها السلع التى تأتى الى الصومال. من ذلك وشاح السيدة الجميلة اسمه «هندية» والأرز اسمه «بنغالى». . ويطلق اسم بومباى على شوكة مدببة تغرس فى أكياس الأرز للكشف عن جودته. . ويعرف الأرز القادم من كراتشى باسم كراراشى. . والجاوى

هو البخور الطيب ومصدره جاوة . . و«الموريس» هو السكر الذى يجلب من الموريشس . . واسم المنسوجات القطنية المصنوعة فى زنزبار «سنجيبارى» . . والأقمشة المصنوعة فى الحبشة اسمها «كساباشى» و«يلجى» اسم القماش القطنى السميك اللون المصنوع فى بلجيكا ـ أما القماش الأمريكى الخشن فاسمه «مارياكان».

وتظهر أهازيج الملاحين مدى ما كانوا يتعرضون له فى ابحارهم الى مراكز التجارة فى الهند من مخاطر وما يصادفونه من عقبات ـ فالرجل الذى يبحر الى شرق افريقيا لا يعود فى موعده . . والتاجر الذى تقدر له العودة من الهند يكون قد مر بتجربة مريرة.

والتيار البحرى الذى يمر بالقرب من القرن الافريقى «شامى» أو «هندى» وذلك حسب اتجاهه ـ بل ويسود الاعتقاد بأن بعض مدن الصومال ترجع أسماؤها الى أصول إيرانية . فمثلا «مقديشو» تعنى بالايرانية «مقعد شاه»(*) ومدينة «جندرشى» تعنى جندرشاه واسطمبولى نوع من العطر مصدره مدينة اسطنبول.

وقد اخترت من التراث الشعبى الصومالى قصة لا أنقلها للقراء لذاتها ولكن لأنها تكشف عن الاتصال الذى كان قائما بين الصومال وبين الخليج العربى وجزر المحيط الهندى فى العصر الاسلامى ، ويتردد فيها صدى العلاقات بين هذه المناطق بعضها البعض فى العصور القديمة عندما كانت الصومال جزءاً من أرض نبت «ارض الاله» عند فراعنة مصر.

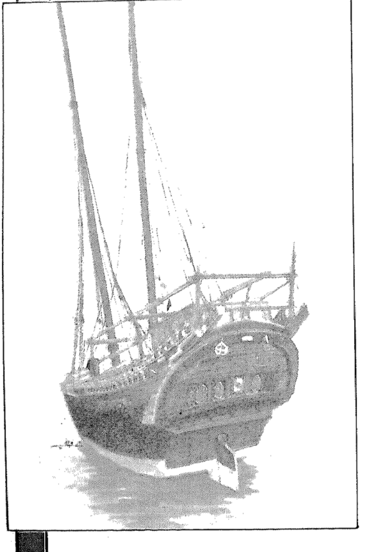
[وفيما يلى اسوق ملخصا لهذه القصة]

●● كانت مدينة (زيلع) فى العصور الوسطى مركزاً مزدهراً للتجارة ضرب بحظ وافر فى الثراء والرخاء . وقيل ان ثمة فتى طويلاً نحيفا قوياً أسمر اللون أحب فتاة جميلة كانت جارة له ـ وما كان يسمح للفتيات بالاختلاط بالفتيان الا اذا أسدلن خمرهن على جيوبهن وفى صحبةِ رقيب . وعند بئر فى توخوشى ـ وهى قرية تبعد خمسة أميال عن زيلع رأى الفتى فتاته وكتم حبه فى قلبه وأحست به الفتاة ولكنهما لا يستطيعان الحديث فيما بينهما جهراً فكان يغنى لها :

أنا أحبك ، وأنت تحبيننى
فلندع قلبينا العليلين يحيى أحدهما الآخر
ولنتركهما يشيدان بيتاً لنا .

وكان الفتى ابنا لتاجر ثرى اعتاد أن يرسله الى ايران والهند ومصر . وكان صديقاً لوالد الفتاة الذى كان يمتلك مغزلا للقطن . وكان والد الفتى قد فطن الى عمق الحب الذى تمكن من قلب ابنه فتقدم الى والد الفتاة ليفاوضه فى زواجها منه . . ولكن والد الفتاة كان قد ارتبط بخطبة ابنته الى سيد آخر . فألح عليه والد الفتى

ليفسخ تلك الخطبة عارضا صداقا ضخما رضى به والد الفتاة. . واتفق الوالدان على اتمام الزواج فى مدى ستة أشهر وأرسل الفتى الى الهند فى تجارة لأبيه على أن يعود فى الموعد المحدد.



كان السفر بالبحر أمراً تكتنفه الأخطار قد يكون بعضها وخيم العاقبة ـ ولم يكن فى وسع السفن القديمة مواجهة ظروف معاكسة لذلك كان أهل الصومال يحررون وصاياهم قبل الانطلاق الى البحر.

■ وكانت أحوال البحر فى العام الذى أبحر خلاله فتانا غاية من السوء. . وقد دمرت العواصف كثيرا من السفن وأبعدت الكثير منها عن مسارها ـ وهذا ما حدث لسفينة الفتى فقد ضلت طريقها فى أعالى البحار وتمكنت منها العواصف العاتية وألقت بها الى ما وراء العالم وفشلت كل الجهود فى اعادتها الى الطريق الملاحى الى (زيلع).

■ وكان الوقت يمر حثيثاً ـ وتملك اليأس من الفتى وفقد كل أمل فى امكان العودة الى فتاته فى الوقت المحدد. . ويزداد البحر اضطرابا وتحيط العواصف بالسفينة من كل مكان. . وكان ربانها وملاحوها على علم بما يعتمل فى صدر الفتى وحاولوا عبثا توجيه السفينة وجهتها الصحيحة. . ومرت بالطبع الأشهر الستة والسفينة تتقاذفها الامواج ويرى ملاحوها حطام السفن الغارقة وجثث الغرقى متناثرة على مياه المحيط.

●● ومرت سنتان أخريان: وأخيراً هدأ البحر وسكنت العاصفة ولكن السفينة ذهبت بعيداً عن مسارها ولابد من أن تمر سنة أخرى حتى ترسو السفينة على أرض الصومال. ولم يكن فى مقدور الفتى أن تمر سنة أخرى حتى ترسو السفينة على أرض الصومال. ولم يكن فى مقدور الفتى أن يأكل أو أن يشرب أو أن ينام فقد قبع فى أحد اركان السفينة تلفه غلالة قاتمة من الحزن والأسى وكان الملاحون يسمعونه يئن أنيناً موجعا ويغنى غناء يثير الشجن حتى أصابه الهزال.

أما فى موطن الفتى فقد كان أبوه قد شيد له بيت الزوجية من حجر. . وأعدت الساحة المخصصة للرقص أسفل حجرة نوم العروسين حتى يتمكن العروسان من متابعة الراقصين ومظاهر الاحتفال بزفافهما وهما يطلان من نافذتها ـ ولكن غياب الفتى زاد يوما بعد يوم وبدأ اليأس يسرى الى قلب الأبوين. . وتناقضت الأخبار عن مصير السفينة. . فمن قائل انها غرقت ومن قائل انها أصابها عطب لا يلبث أن يصلح وتعود السفينة سيما وان كافة السفن التى أبحرت الى الهند لم تعد بعد.

ولما مضت الأعوام فقدت أسر الملاحين الأمل فى عودتهم وشرعوا فى قراءة صلوات الجنازة ولكن الفتاة لم تتخل أبدا عن الأمل فى عودة فتاها.

وجدد الخطيب الأول خطبته للفتاة عارضا صداقا أكبر. . وشاع الاضطراب فى نفس الفتاة. . ووجدت متنفساً فى دعوات تتضرع بها الى الله فى اماكن منعزلة على الساحل وكانت تنشد وهى ترنو ببصرها الى البحر:

عادت السفن التى أبحرت من سوريا وزنجبار
أين تلك التى فى طريقها من بومباى
هل أصابها ضرر أم لحقها الدمار

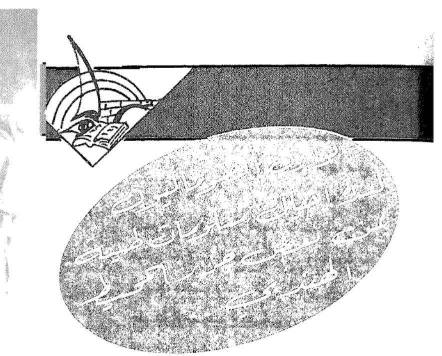
وكان الريح يحمل صوتها بعيداً فى البحر فيطرق سمع الفتى وهو قابع فى جلسته تلك على ظهر سفينته ـ ولنا أن نتصور مدى الفرحة التى غمرته عندما كان يسمع هذا الصوت الموسيقى وهو يسرى بعذوبته وصداه يتردد فى الافاق فقد قفز من مكانه مردداً أنشودة فتاته. وراح ينشد بدوره:

وأنا أيضا أريد العودة فى موعدى
ولكن رياح الشتاء العاتية
قذفت بى بعيدا عن طريقى

وعلى ساحل (زيلع) كانت الفتاة تبسط كفيها كما لو كانت تريد تجميع صوت فتاها. . واستجابت السماء لتضرعها فسمعت نشيده وعادت الى منزلها تعيده وتكرره ـ وحدثت أقاربها الأدنين عن المعجزة. قليل من صدقها وكثيرون ظنوا بها الخبل. . وكذبها أبوها واتهمها بزيف قصتها وأنها انها افتعلتها لتتجنب الزواج من الرجل الذى اختاره لها زوجا.

●● وما لبثت أن جاءت قومها بنشيد جديد زعمت أن فتاها همس به الى الريح فحمله إليها.

أيها الطائر الطيب الأثير عند الصالحين
اجعلنى أحلق عاليا فى السماء على جناحيك
واحملنى فوق الأمواج
لأصل الى من قلبى يهفو اليه



وسأم أبوها ما ظنه طيشاً وزيفا فأهوى عليها بعصاه الثقيلة وأشبعها ضربا وصمم أن يتم زواجها على الفور. . ومن ثم شيد لها بيتاً جديدا فى وقت قصير. وتمت جميع الاستعدادات وتولت النساء اصطحاب العروس الى بيتها الجديد وسار موكبها يتهادى فى وقت متأخر من الليل وقد تعالت أصوات الدفوف وعزف المزامير والغناء الحلو العذب. وبذلك تمت مراسم الزواج.

●● وأعد مخدع الزوجية فى البر الواسع لتبدأ أيام الفرح السبعة. . وفى أثناء ذلك وصلت سفينة الفتى الغائب وساحلت بالقرب من الشاطىء. . ولم ينتظر الفتى حتى تلقى السفينة مراسيها فألقى بنفسه فى الماء وذهب الى الشاطىء سبحاً. . واندفع يعدو الى داخل المدينة وسمع أصوات الدفوف والموسيقى والغناء فسأل عجوزاً كانت أول من قابلها ـ عن هذا الحفل الصاخب فعرف أنه حفل زفاف فتاته من شخص آخر فانطلق وهو يصرخ حتى بلغ المنزل الذى يجرى فيه الحفل.

وما أن دخل الفتى الى بهو المنزل حتى رأى فتاته بين ذراعى الرجل الذى أجبرت على الزواج منه. . ولمح على وجهها نظرات الرفض لهذا الزواج ـ فاندفع الى حلبة الرقص مشاركا الراقصين رقصهم واندس تحت مخدع الزوجين وأنشد مع وقع الدفوف وقصف الأيدى:

أيتها العيون الحلوة
أيتها العيون النجلاء
آه يا للحظ القاسى

●● وما أن سمعت فتاته صوته العذب ورأت وجهه الحبيب حتى قفزت من النافذة تاركة الرجل الذى لم ترغبه زوجا وهى ترقص وتنشد:

انتظرت طويلا
ولم يكن بوسعى الانتظار أكثر
آه ياللحظ القاسى

■ **وما أن فرغ الفتى والفتاة من تبادل هذا الانشاد واندفع كل منهما ليلقى بنفسه بين ذراعى الآخر حتى فاضت روحاهما على الفور.**

محمد بن عبد العزيز الدباغ

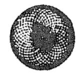
ارتسامات حول بعض العادات والتقاليد المغربية

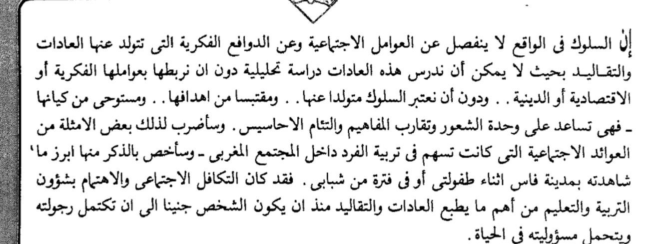
المغرب

العادات والتقاليد: مرآة تنعكس عليها صور الحضـارة لكـل أمـة من الامم أو شعب من الشعوب.. وهي تتغير أحيانا إما تلقائيا بمزاحمة عوائـد أخرى تتولد مع التطور.. وإما بمقاومة متعمـدة مقصـودة تبنى على اسـاس نظـريات جديـدة أو مفـاهيم خاصـة يرى متزعموها انها أحسن من غيرها وأقوم.

وليس من السهـل ان تمحى العوائد القديمة نهائيـا بمجـرد ظهـور غيرهـا لان التوقان الى الماضي لا يمحى من النفوس ولا يزول خصوصا إذا كان في الماضي ما يدعو الى العزة وما يدفع الى المصلحة العامة.

إن الانسـان قد يكـون مستقبليـا بطبعـه رغم ارتبـاطه بالعوائد والتقاليد إلا أنه ينبغي له ألا ينسـاق مع التيـارات الجديدة باندفاع دون أن يميز بين الصالح والطالح.. إنه يجب عليه أن يختار منها ما يلائم مجتمعه وما ينسجم مع قيمه المثلى وما لا يتنافى مع الثوابت الضرورية المتصلة بالعقيدة والاخلاق ـ فليست العبرة بالتغير ولكن العـبرة بمـدى قيمـة هذا التغـير في مجرى الحضـارات وبـدراسـة الاسبـاب الثقـافيـة أو الفكـريـة التي تجعل السلوك البشري خاضعا لعادة من العادات أو ثائرا عليها أو متحررا من قيودها.





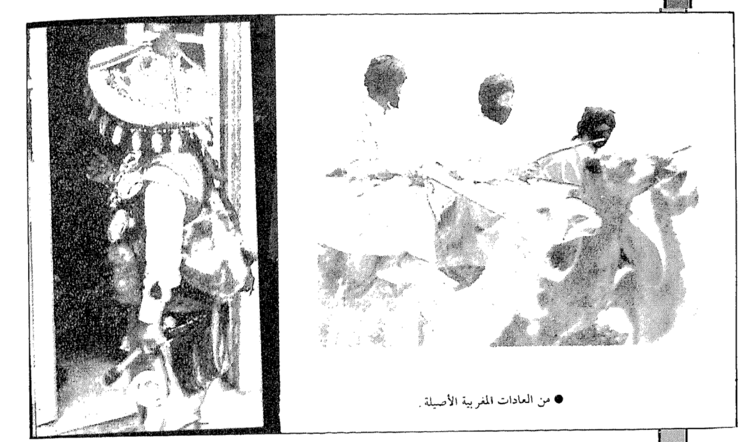
إن السلوك فى الواقع لا ينفصل عن العوامل الاجتماعية وعن الدوافع الفكرية التى تتولد عنها العادات والتقاليد بحيث لا يمكن أن ندرس هذه العادات دراسة تحليلية دون ان نربطها بعواملها الفكرية أو الاقتصادية أو الدينية . . ودون أن نعتبر السلوك متولدا عنها . . ومقتبسا من اهدافها . . ومستوحى من كيانها ـ فهى تساعد على وحدة الشعور وتقارب المفاهيم والتئام الاحاسيس. وسأضرب لذلك بعض الامثلة من العوائد الاجتماعية التى كانت تسهم فى تربية الفرد داخل المجتمع المغربى ـ وسأخص بالذكر منها ابرز ما شاهدته بمدينة فاس اثناء طفولتى أو فى فترة من شبابى. فقد كان التكافل الاجتماعى والاهتمام بشؤون التربية والتعليم من أهم ما يطبع العادات والتقاليد منذ ان يكون الشخص جنينا الى ان تكتمل رجولته ويتحمل مسؤوليته فى الحياة.

فمن ذلك: الحرص على سلامة الجنين فى بطن أمه . . فإن العادة جرت أن تعامل المرأة الحامل بكل لطف حتى لا يصاب جنينها بأى اذى . . وان تلبى رغبتها إذا ما اشتهت فاكهة أو طعاما معينا لانهم كانوا يلاحظون أن حرمانها من ذلك قد يؤدى الى سقوط الجنين قبل اكتمال تكوينه. ولهذا كان الجيران يحرصون على ان يقدموا لجارتهم الحامل شيئا من طبيخهم إذا كانت تتولد عنه رائحة زكية تصل إليها ليتلافوا بذلك ما يمكن ان يقع لها من ضرر. وكانت هذه المعاملة الطيبة تخلق تواصلا بين الجيران وتآلفا بينهم ينعكس عليهم فى شتى أنواع المعاملات(١).

حسن المعاملة أن يُبحث لها عند بلوغ الوقت المحدد لولادتها عن امرأة خبيرة بتوليد النساء تعرف (بالقابلة) تساعدها بكل أنواع المساعدة حتى يتم إخراج الجنين الى الوجود. ولكن اذا تعذر الامر وعسر فإن الطب لم يكن آنذاك قد بلغ مبلغا يؤدى الى التوليد عن طريق الجراحة فلم تكن هناك وسيلة عملية إلا الالتجاء الى الله بالدعاء والتقرب إليه بكل أنواع التضرع . . وكانت العادة المتبعة فى ذلك أن أهل المرأة يتوجهون الى فقيه الحى الذى يعلم القرآن للاطفال فى «المسيد(٢)» ويرجون منه ان يتوسل الى الله بجاه القرآن الكريم أن يحفظ هذه المرأة وأن ينجيها مما هى فيه . . وحينئذ كان يأمر الاطفال أن يحملوا إزاراً ينشرونه بين أيديهم ويأمرهم بالخروج الى أسواق المدينة وأزقتها ليبتهلوا الى الله علانية وليدعوه تبارك وتعالى ان ينجى هذه المرأة. ويقولون فى ابتهالهم ودعائهم العبارات التالية التى يرددونها بشكل جماعى وبلحن مؤثر:

النفيسة طال بها النفاس
يا رب واعطها الخلاص
حرمة طه يسينا
والقرآن حكيمنا

ويظلون كذلك والناس من حولهم يباركون دعواتهم ويرجون من الله ان يخفف عن هذه المرأة ما تحس



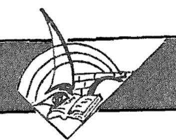
● من العادات المغربية الأصيلة.

به من آلام.. وأن يسهل عليها عملية الطلق والولادة.. وفى الوقت ذاته يرمون فى الازار بعض النقود التى تمنح للفقيه فى النهاية إعانة له على عمله التعليمى ولا يرجع الاطفال الى منزل النفساء إلا إذا تكسرت البيضة داخل الازار لانهم بكسرها يتفاءلون وحينئذ يعودون مطمئنين فإذا بهم ـ فى الغالب ـ وبمنّ المولى القدير يجدون المرأة وقد يسر الله عسرها وازال عنها ما كانت فيه من ضيق وهلع وخوف واضطراب.

إن هذه العـادة كانت تثبت أيضـا المشاركة الفعالة لأفراد المجتمع فى تحمل آلام الآخرين.. وفى الاسهام من أجل التخفيف عنهم كلما حزبهم أمر. وتبين أن الالتجاء الى الله أمر ضرورى كلما ضاقت بالانسان المسالك ـ فلا منجاة لأحد إلا بالرجوع إليه وبالركون الى فضله ورحمته.

● وهى فى الوقت ذاته تثبت العلاقة الرابطة بين المجتمع وبين الفقيه الذى يتولى تعليم أبنائهم القرآن ـ فهم يشركونه فى مشاكلهم ويخلقون المناسبات لاعانته ومكافأته على مجهوداته.

إنه الفقيه كان محترما أشد الاحترام.. وكم كانت تصله من الهدايا حينما يحفظ الطفل السور الاربع الاولى من القرآن: الفاتحة والمعوذتين والاخلاص. إنه كان يشعر أمام الآباء أنه قد ساعدهم على توجيه ابنائهم الوجهة السليمة ـ فهو قد علمهم آيات من القرآن يستطيعون بها أن يقيموا صلواتهم حينما يعلمون بوجوبها عليهم.



إن فرحتهم هاته كانت تدفعهم الى اقامة حفلة فى بيت الطفل يحضرها أصدقاؤه.. ويحضرها أقاربه.. تعرف بحفلة (جايبوه) حيث كانت تلقى بصفة جماعية وبنغمات إيقاعية العبارة التالية.

جايبوه جايبوه يا فرحة يماه وبـــوه

■ وكيف لا يفرح الوالدان وهما يريان الطفل قادرا على استظهار سور قرآنية هى أصل التوحيد وشعار العبادة ومنطلق الحماية من شر كل ذى شر.

ولا ريب أن هذه الحفلة كانت تترك أثرا طيبا فى نفوس الاطفال وتجعلهم يتطلعون الى ما بعدها ـ ذلك أن الاحتفال بحفظ القرآن كان يمر على مراحل الى أن يصل الى المرحلة الكبرى المعروفة بحبيبنا وهى المرحلة التى يحفظ فيها المتعلم القرآن ويقدر على استظهاره استظهارا جيدا وعلى كتابته وأدائه من غير تصحيف ولا تحريف. وكـان الآباء الذين لهم قدرة على إقامة حفل (حبيبنا) يجعلونه بمثابة مهرجان كبير يحضره الفقهاء والعلماء وأرباب الحرف والمنشدون فتتلى فيه الآيات القرآنية مرتلة.. وتلقى فيه الاشعار ملحنة.. وتقدم فيه الهدايا للفقراء والمحتاجين.

إنها أفراح تلقائية كنا نراها فى مجتمعنا كلما استطاع الافراد أن يحفظوا قدرا معينا من القرآن وتبلغ قمتها مع حفلة (حبيبنا) هاته.. وهى تدل على مدى اعتزاز المسلم بحفظ أصول دينه.. وتمثل الطريق التى كانت تتبع فى التعلم حيث يبدأ الطفل دراسته بالمسيد وهى دراسة مشتركة بين مختلف الافراد.. ينتقل الطفل بعدها إما الى الحياة العامة حيث يتعلم صناعة أو يقوم بتجارة وإما أن يلتحق بجامع القرويين لينهل من حياض علومها ما ينمى به ثقافته وما يصبح به عضوا صالحا لتحمل أعباء المسؤولية العلمية الملقاة على عاتقه.

ومن المفيد جدا أن نشير الى أن الطريقة التي كانت تتبع فى تعلم القرآن بالنسبة الى الطفل فى ابتداء أمره هى الطريقة التلقينية ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تعلم الكتابة والخط وتستغل فيها أحيانا بعض محفوظاته القرانية وبعض الكلمات التى لها إيحاءات اجتماعية مفيدة والتى لها وزنها فى تربية الذوق وتهذيب النفوس. وقد ذكر صديقى العلامة الدكتور عبد الله الطيب أيام انتدابه للتعليم الجامعي بالمغرب أن هذه الطريقة كانت متبعة فى السودان ايضا وقال: «إنهـا إذا استعملت من جديـد فى التعليم فسيعود نفعها على اللغة العربية وستحيا الاساليب البيانية المؤثرة.. وستنطبع سور القران فى النفوس وسيكون للعرب شأن كبير. فشتان بين جلال القرآن وما يوحيه من قيم مثلى وبين كليات عادية جافة لا تهذب روحا ولا تصقل ذوقا».

هذا وإن العـوائـد الاجتـماعية التى تتصل بالفرد فى طفولته قد يرجع بعضها الى تنفيذ بعض التعاليم الاسلامية أو الى القيام ببعض السنن المرغوب فيها وذلك مثل الختان مثلا.

إن عملية الختان يعتبرها المغاربة تطهيرا للطفل واعترافا عمليا بأنه سيخرج من حياة الطفولة الاولى ليستقبل الحياة بكل تكاليفها ولذلك كانوا يؤجلون هذه العملية عادة الى دخول الطفل سنته السابعة ليكون واعيا

بما سيقع، وهم يسمونها (الطهارة) لتحمل فى اسمها أبعادها المعنوية.

العوائد المتبعة غالبا فى مدينة فاس أن الاب لا يتولى شؤون الختان بنفسه وإنما تتفق الام مع أحد أقاربها أو أقارب زوجها فيهيؤون للطفل ما يحتاج اليه من ألبسة المناسبة ويتعمدون ابعاد الاب عن بيته بطريقة لا يشعر بها. ثم يستدعون الحجام الذى يتكفل بذلك ويأتون بجوقة موسيقية تقليدية تستعمل الطبل والغيطة وينتظرون الاب الذى سيعيده الى البيت من ألهاه حتى تتم العملية التى تسمى بـ(السرقة) حينئذ ينغمر الاب فى فرحته مع اقاربه الذين ساعدوه على القيام بهذه السنة الكريمة.

إن عمليـة الختـان لا تتيسـر إجراءاتها لكل فرد لانها تتطلب أجرة للحجام ولباسا للطفل وملهيات تقدم له بعد العملية فإنه قد جرت العادة أن يقام موسم فى مدينة فاس كل سنة يخصص لتطهير كل طفل أتى به أهله سواء من المدينة أو من ضواحيها وتقدم له ولاهله بعض المساعدات المادية اثناء هذه المناسبة.

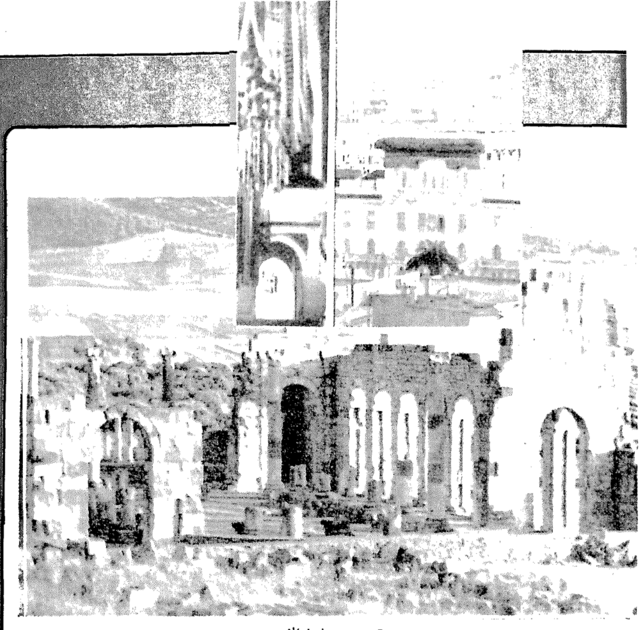
وما زالت هذه العادة الى الآن قائمة ولها أوقاف معينة جعلوها مظهرا من مظاهر الاحسان الذى اشتهر به المسلمون فى كل مكان.

وكان الاباء بعد ختان اولادهم يشعرونهم بأنهم قد اقبلوا على عهد جديد تجاوزوا فيه عهد الطفولة المبكرة وينبهونهم الى القيام ببعض الفرائض الدينية ليتدربوا عليها قبل الزامهم بها.. وكانوا يصحبونهم معهم فى المساجد ليتعودوا الدخول إليها.. وكانوا يجلسونهم معهم فى بعض حلقات الوعظ والذكر التى تقام فى مساجد فاس على اختلافها لان غالب السكان كانوا يجدون فى كل مسجد ما يلبى رغبتهم المعرفية من حيث: كراسى الـوعـظ والتـوريق للعوام والمبتدئين.. وكراسى العلم للطلبة وأهل الدراية بالقرآن والحديث. وما زلنا الى الان حينما نتتبع سجلات الحوالات وهى السجلات التى تحتفظ بأنواع الاوقاف التى كانت بالمـدينـة نجـد فيها عددا من الاوقاف المخصصة لكراسى الوعظ أو العلم: فهذا مخصص للتفسير.. وهذا للحديث.. وذاك للسيرة.. والآخر للنحو أو الفقه. وهلم جرا.

كتبت دراسات وأبحاث قيمة فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال دراسة للفقيه (**محمد المنونى**) نشرها بمجلة دعوة الحق العدد الرابع من السنة التاسعة عام ١٩٦٦.. ودراسة للدكتور (**يوسف الكتانى**) نشرها بمجلة دعوة الحق أيضا العدد ٢٤٤ يناير ١٩٨٥.. ودراسة مطولة للدكتـور (**عبـد الهـادى التازى**) توجد بكتابه القيم الذى خصه لجامع القرويين(٤).. ومن خلال هذه الدراسات يمكن حصر أماكن هذه الكراسى وأنواع العلوم التى كانت تدرس بها ـ وأسماء كثير من العلماء الذين كانوا يختصون بها.



المعلوم أن بعضها كان مقصورا على دراسة كتاب بعينه وذلك مثل الكرسى الذى كان قد أحدثه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى عبد الله الشيخ الوطاسى المخصص لتدريس الجامع الصحيح للبخارى بشرح فتح البارى لابن حجر العسقلانى الموجود يسار الطالع من الباب



● صور عن تاريخ المغرب

الموجود شرق الجامع والموالى للفندق الكبير. وقد حبس عليه لهذه الغاية نسخة من الشرح المذكور بتاريخ ٩٣٩هـ مكتوبة بخط الحافظ محمد بن أبى عبد الله التنسى المتوفى عام ٨٩٩. وما زالت هذه النسخة الى الآن محفوظة بخزانة القرويين ومسجلة بها تحت رقم ١٠٠ وهى منقولة من نسخة عليها خط المؤلف ومقروءة عليه وقد قرأ بهذا الفرع التنسى الشيخ أبو محمد عبد الواحد الونشريشى ولد صاحب العيار(٥).

●● ومثله كرسى صحيح مسلم الموجود قرب باب الكتبيين وكان يقرأ فيه أبو العباس المنجور بين المغرب والعشاء ثم تداول التدريس عليه من بعده القاضى عبد الواحد بن احمد الحميدى المتوفى عام ١٠٠٣هـ(٦).

●● وقد جدد جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله ظاهرة الكراسى بعد اندثارها وبعثها من مرقدها سواء فى مدينة فاس أو فى غيرها من المدن الكبيرة بالمغرب وإنا لنتمنى لها الازدهار والديمومة ووجود الاقبال عليها من لدن أهل العلم والتقوى.

ولا يسعنا ونحن نتحدث عن المساجد إلا أن نذكر العادة التى كانت متبعة فيها والمتعلقة بتخصيص أوقاف معينة لقراءة حزب من القرآن بشكل جماعى مرة فى الفجر وأخرى بعد صلاة المغرب أو فى وقت معين من أوقات النهار.



وهذه العادة لم يكن الفقهاء أول الامر مجمعين على قبولها فإن الامام مالكا رحمه الله لم يأخذ بالاجتماع لقراءة الحزب لكن بعض الفقهاء من بعده لاحظوا أن هذا الاجتماع يعين على تكرار تلاوة القرآن وعلى الاستعانة بذلك فى حفظه واستظهاره والتبرك منه واعتبروا ذلك داخلا فى مفهوم قول رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» ولذلك أباحوه وشجعوه حتى أصبحت هذه الظاهرة من العوائد الراسخة فى المغرب وما زالت الى الآن قائمة فى جل مساجد فاس.

ويوجد نوع آخر من الاهتمام بالعلم مرجعه الى وجود وقف بجامع القرويين مخصص لاستظهار متن الشيخ خليل حيث يقرأ كما يقرأ الحزب ومقصد واضعه الحرص على حفظ هذا المتن الفقهى واعانة الطلبة على مراجعته والتأمل فيه ـ حتى إذا توجهوا الى شيوخهم ليشرحوه لهم كانوا على بينة من أمره غير غرباء عن أسلوبه ورموزه.

ولقد أصبحت هذه العادة قوية ومتداولة كثيرا أيام السلطان المولى سليمان(٧) الذى كان معجبا كامل الاعجاب بهذا الكتاب الفقهى ولذلك كان يكافىء من يحفظه كما يكافىء من يفهمه. ونحن لا ننسى أبدا حلقات الدروس التى كنا نستمع فيها الى شيوخنا وهم يشرحون لنا هذا الكتاب بكل إعجاب.. ولن انسى منها بالخصوص الفقيه السيد محمد بن عبد السلام بنانى رحمه الله.. والفقيه السيد أبا بكر جسوس.. والفقيه السيد عبد الله الداودى.. فقد منح هؤلاء الفقهاء قدرة على التبليغ مرجعها فى الغالب الى تمكنهم من مادتهم التى كانوا يعلمون.

ومن العوائد التى كنا نلاحظها بمدينة فاس، حرص كثير من الناس على القيام مبكرين صباح يوم عاشوراء ليؤدوا عملا من الاعمال، لانهم يرون أن أى عمل يمارس فى ذلك اليوم يكون تسهيلا لما بعده ـ ولهذا نجد الكتاتيب القرآنية مفتوحة فى ذلك الصباح ليتلقى التلاميذ حصة من دروسهم . . ونجد معامل الصناع مفتوحة ليقوم كل صانع بقدر من عمله . . ونجد الامهات فى البيت وقد تناولن بعض الاعمال اليدوية التى يرجون منها أن تكون تمهيد خير لهم طوال السنة . . ونجد الآباء يقدمون هدايا مختلفة لابنائهم وزوجاتهم ـ كما نجدهم يستعدون لتوزيع الزكوات واستخدام أبنائهم أحيانا فى إرسالها الى مستحقيها لتنطبع الروح الاحسانية فى نفوسهم وليعرفوا من يستحقها من أقاربهم أو جيرانهم ـ وبذلك يرثون هذه الصورة الاحسانية المفروضة . . ويرثون معها الاشخاص الذين يستحقونها والذين كانوا مدار عناية آبائهم رحمهم الله .

ومن العادات التى تظهر صلاحيتها الاحتفاء الذى كنا نلاحظه فى مدينة (فاس) فى اليوم التاسع والعشرين من شعبان واليوم الثلاثين حيث يقوم الاطفال بشراء عدد من الحراقيات والمتفجرات يستعملونها فى المساء قبل غروب الشمس ليسهموا فى الاعلان بوصول شهر رمضان ـ وليعلم الجميع أن هذا الشهر المبارك هو شهر الله الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس . . وأنه يستحق من العناية الشىء الكثير ـ فهو الشهر المطهر الذى يقوى إرادة الفرد . . ويعلمه مقاومة النفس والهوى وقد جرت العادة بعد انتهاء رمضان أن يودعه الناس وهم إليه مشتاقون .

صباح العيد قبل التوجه الى المصلى كانت توزع زكاة الفطر وتشارك الاسرة فى إعدادها . . ويسمع الطفل آنذاك من والديه فضل هذه الصدقة . . ويعرف مقدار كيلها وعلاقة ذلك بالمد النبوى . . ويتوجه أحيانا الى تقديمها الى من يستحقها بنفسه . . وقد توزع الزكاة قبل ذلك بيوم أو يومين حسب الرخصة المتبعة فى ذلك .

وإن هذه العادة لتترك روحا دينية كبرى فى نفوسنا ما أحرانا ألا نبدلها بغيرها ولهذا يجب التنبيه الى مغزاها الاجتماعى البعيد وهذا هو السبب فى اننى شخصيا لا أستحسن قول من أباح تفويض زكاة الفطر التى تقدم بذورا بمال يوازى قيمتها لان ذلك المال قد يدفعه الاب خارج البيت من غير أن يحس به الاطفال الذين هم فى حاجة الى تكوين رصيد من العادات الطيبة الموجهة لهم الى طريق الخير والفلاح .

كان المجتمع حريصا على وضع عادات تنطبع فى ذهن الاولاد أيام نشأتهم الاولى فإن هناك عادات أخرى تنتقل مع الطفل الى أيام شبابه حينما يقدم على الزواج فيهىء له المجتمع فرصة يعى فيها مسؤوليته . ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال العوائد المتبعة فى الاحتفال بهذه المناسبة الكبرى فى حياة الانسان .

فمن حيث الزوجة يقام لها حفل فى منزل والدها ويعنى بها العناية الكاملة من حيث الهندام والتزيين والاستعداد للقاء الزوج. . وأما من حيث الزوج فإنه تخصص له حفلات متصلة أولها: فى الغالب تكون خاصة بالعلماء والفقهاء وتكون سابقة ليوم الزفاف. . والثانية: تنقسم الى نوعين يوزع على دارين: الاول يسمى دار العرس وهى مخصصة للوجهاء وأهل الحشمة من الناس ويستخدم فيه عادة جوق الآلة ـ وتكون خالية من أى ابتذال. . والثانية: دار إسْلان وتكون مخصصة لأصدقاء العروس ولمن أراد ولوجها من الذين يبيحون لانفسهم أن يسمعوا بعض انواع المزاح ـ بحيث لا يلجها الاب مع ابنه عادة. . ولا الشخص الوقور مع غيره. . لان الحاضرين قد يتناولون الحديث مع العريس فى شؤون تتعلق بالجوانب الجنسية التى كانوا يستحيون أن يتحدثوا عنها أمام عموم الناس. . وتستعمل فى هذه الدار عادة الاجواق الشعبية المعروفة بـ(الاشياخ) حيث تنشد قصائد الملحون. . وحيث يباح لمن يستمع لهم أن يعبر عن انفعالاته بكل حرية وبدون أى حواجز اجتماعية، الشيىء الذى لا يباح استعماله فى دار العروس. ويستمر الحفل فى الدارين



● مدينة فاس التى تحدث الكاتب عن بعض عادات وتقاليد سكانها

معا الى أواخر الليل حيث يتوجه المدعوون الى دار العروسة فيقف الرجال ببابها ولا يدخلون وإنما تدخل بعض النساء فقط حيث يخرجن العروسة والجميع يردد :

اعطونا ديالنا ما بقاتش ديالكم

أو يقولون :

عباها عباها والله ما خلاها

وعند خروج العروسة مع بعض اهلها يتوجه الجميع الى دار العرس مرددين نفس الاناشيد والشعارات وحين وصولهم يدخل النساء مع العروسة الى الدار ويبقى الرجال واقفين بالباب لحظات قليلة ليقدموا التهانى مرة أخرى لأسرة العروسين وليرفعوا أكفهم بالدعاء عسى أن يكون هذا الزواج مباركا سعيدا وأن يكون سببا من أسباب الوئام والاطمئنان .

وحيث إن بعض الاسر الفقيرة لم يكن لها من الامكانيات ما تستطيع به أن تقوم بهذه المراسم المعتادة فقد جرت العادة قديما أن توضع رهن المتزوجين الفقراء دور معينة عليها أوقاف جارية يقيم بها المتزوجون أفراحهم مجانا ـ ثم يذهبون بعد ذلك الى مقر سكناهم بعد أن يتوصلوا بكثير من الهدايا من مختلف المحسنين . وقد أشار المؤرخون الى دور ثلاثة من هذه الدور إحدها بعدوة الاندلس والآخران بعدوة القرويين .

ولعلى بهذا العرض قد أسهمت فى ذكر بعض العادات والتقاليد الطيبة الصالحة التى أرجو أن تبقى مقاصدها صورة لاخلاقنا فى الوجود . وهناك فى مجتمعنا رصيد آخر من هذه العادات والتقاليد ما أجدر علماء الاجتماع أن يتتبعوه . . وأن يدرسوه . . وأن يستخلصوا منه العبر . . ولكن مالا يدرك كله لا يهمل بعضه وفوق كل ذى علم عليم والسلام .



(١) المهل وهذا ما كان عليه الحال فى كثير من حوارى وبيوتات مكة المكرمة . المدينة المنورة . . جدة . . وباعالى تهامة وحواضرها ولعل تشابهه فى العادة والتقليد ينطلق الى امهات مدن العروبة فى الشرق والغرب على حد سواء .

(٢) المراد بالمسيد الكتاب وهناك من يقول إنه اختزال لكلمة المسجد حيث كان فى الايام الاولى مركزا للعبادة والتعليم . وهناك من يقول إن المسيد مشتقة من كلمة السيادة من غير اعتداد بأصلها فالمراد الذى يجعل الانسان سيدا نظرا لكونه سيحفظ فيه القران ويتوجه بواسطته الى مسايرة طريق العلم والعرفان .

(٣) المجلد الثانى ابتداء من صفحة ٣٧١ الطبعة الاولى .

(٤) فهرست خزانة القرويين لسيدى العابد الفاسى الجزء الاول صفحة ١١٨ .

(٥) الكراسى العلمية للدكتور يوسف الكتانى دعوة الحق عدد ٢٤٤ يناير ١٩٨٥ .

(٦) لب الأزهار اليمنية على الأنوار السنية فى الالفاظ السنية الشرح للقلصادى والكتاب المشروح لابى القاسم ابن جزى مطبعة السعادة بمصر ص٦١ .

(٧) بويع رحمه الله بمدينة فاس يوم السبت سابع عشر رجب عام ستة ومائتين وألف موافق ١١ فبراير ١٧٩٢ وتوفى فى رابع عشر ربيع الاول عام ثمانية وثلاثين ومائتين والف موافق ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٢٢ كان هذا الملك حريصا على إحياء السنة ومحاربة كل انواع البدع

الناصر البقلوطي

المرأة في الحكاية الخرافية التونسية

تونس

منذ البداية عرف الانسان سرد القصص.. والقصة لون من ألوان التعبير والتواصل البشرى يمارسه الانسان بصفة طبيعية وتلقائية ليعبر عن موقفه من الحياة والكون وعن تصوره للعالم وللعلاقات البشرية. قديما، كان «الفداوى»(١) ينتصب فى المقاهى أو الساحات العمومية أمام جمهور غفير يروى له بعض الملاحم والسير المتداولة كتغريبة بنى هلال وقصة سيدنا على ورأس الغول. أما فى الأرياف فكان الأقارب والأجوار يلتفون حول «الغنّاى» أو «لـديب»(٢) بمناسبة سهرة عائلية أو اقامة مراسم ختان أو زواج فيستمعون الى أشعار تحكى بطولات حقيقية أو خيالية لبعض فرسان «العرش»(٣) أو مغامرات غرامية بين فتيات وفتيان العشيرة. وفى دفء البيوت، عندما يسدل الظلام جناحه وقبل أن يستسلم الأطفال للنوم، نروى لهم أمهم أو جدتهم خرافة الغول أو (محمد بن السلطان). والخرافة لون من ألوان الأدب الشعبى. ومن المقومات الأساسية المحددة لمفهوم هذا النوع من الأدب: لغته العامية ومجهولية مؤلفيه.. والتداول الشفهى له.. ومضمونه الثقافى الجماعى(٤). ولئن وردت كلمة: «خرافة» فى اللهجة العامية التونسية بمدلول لا يبتعد عما حدده ابن منظور فى لسان العرب حيث قال: ان الخرافة هى «الحديث

المستملح من الكذب والخرافات الموضوعة من أحاديث الليل». فان دارسي الأدب الشعبي أطلقوا على هذا النوع من القصص مصطلح الحكاية الخرافية. . وسيأتي تعريف لهذا النمط من القصص من الداخل أي بالاعتماد على ما جاء في النصوص نفسها. كما أن الكلام عن المرأة سيكون بوصفها شخصية أدبية يقع التطرق الى مكانتها وصورها في القصة الشعبية ـ وليس من خلالها ـ أي داخل النص وحوله لا خارجه، وفي عالم الحكاية الخيالي وليس في العالم الحقيقي المعيش، هذا مع الاعتقاد أن للواقع الحياتي التقليدي انعكاساً لا شك فيه على عالم الخرافة.

الخرافة اذن هي لون أدبي نصوصه مجهولة المؤلف، كانت تتنقل مشافهة من جيل الى جيل عن طريق النساء خاصة وصولا الى الأطفال. ولكن هل يعني هذا أننا أمام نصوص قارة وثابتة؟ . . في الحقيقة، كلما روت امرأة خرافة الا وأعادت صياغتها حسب ملكتها الفنية وقدرتها على السرد فان وجدت عملية ابداع فانها تحصل من خلال طريقة الايصال. ومن بين المفارقات التي تميز القصة الشعبية والمأثور الشعبي عامة المحافظة والخلق المتجدد. . فالراوية لا تؤلف وانها تنقل ما حفظته عن غيرها من النساء، لذلك يتحتم عليها حذق قوانين «اللعبة» اذ وجب عليها أن تستوعب المعطيات الفنية المتاحة في تراث المجموعة التي تنتمي اليها(٥). . وأن تعرف ضمنيا النموذج القصصي الذي هي بصدده. . وأن تتبع سننا ومراسم مضبوطة بصفة عرفية ـ وهكذا تكتمل عندها كفاءة فطرية تؤهلها لسرد القصص وتتجلى في مختلف المستويات. . اللفظية. . والبنيوية. . والدلالية. . والتمثيلية(٦). وهذا مفهوم بعيد كل البعد كما يقول بعض النقاد(٧) عن النبوغ أو العبقرية بمدلولها الر ومنسي وكأنها سر شخصي يصعب تفسيره، غير أن سن المرأة يلعب دوراً أساسياً بحكم التراث الزمني *في امتلاك تلك المقدرة على رواية الحكاية الخرافية*.

ونذكر من بين سنن السرد القصصي:

[١] **الظرف الزمني للقص:** قلنا ان الخرافة تروى ليلاً وهذه قاعدة لابد من اتباعها اذ أنه حسب المعتقد الشعبي فإن المرأة التي تسرد قصة بالنهار يسقط شعر بناتها. . والليل يحلو فيه السهر ويطيب فيه السمر بعد يوم من الدراسة أو من الأعمال المنزلية.

[٢] **علامات لغوية متواترة:** تأتي في مستهل النص وتختمه كأن تقول الراوية: «توحدوا الله. . ولا إله الا الله. . ومن عليه الذنب يقول استغفر الله. يا سادة ويا مادة يدلنا ويدلكم على طريق الخير والسعادة. . كلامنا ترتيب أحلى عجيب. . احنا واياكم نصليوا ع النبي الحبيب» أو «خرافتنا هابه هابه وكل عام تجينا صابه». وهذه الجمل علاوة على أنها تعد المستمع لاقتبال القصة وتتفاءل عند انتهائها بعام خير فهي تعطينا في نفس الوقت تعريفا للون الادبي الذي نحن بصدده. فعبارة «**كلامنا ترتيب أحلى عجيب**» تعني أن الخرافة كلام مرتب حسب قواعد بنيوية معروفة ضمنيا وهو كذلك ممتع وعجيب. فتمتع السامع. . وذكر الخوارق من الأعمال هي اذن من مقومات الحكاية الشعبية.

[٣] **علامات المشافهة ومن بينها الصوت والحركة**: تتحكم المرأة الراوية فى صوتها بحذق كبير بتغيير النبرات والنسق حسب متطلبات الأحداث المروية كأن تسرع فى الكلام اذا أرادت الايحاء بأحداث تدور بسرعة أو أن تتقمص دور هذه الشخصية أو تلك بتغيير نبرات صوتها. أما الحركة فهى عنصر أساسى فى عملية السرد رغم طبيعتها البعيدة كل البعد عن اللغة ـ وهى عنصر ابداع يجلب انتباه المستمع ويثير مشاعره. وتنقسم الحركة التعبيرية فى السرد الى قسمين:

أ ـ حركات التأكيد: وهى التى تضاعف الكلام وتعين على ابلاغ مدلوله كأن تصاحب الراوية الاستفهام بحركة من يدها، والاثبات بهز الرأس، والنفى بحركة من الرأس يمينا وشمالا.. فالحركة هنا تصاحب الكلام وتدعمه. فى قصة من القصص تقول الراوية ما مفاده: أن أمًّا وضعت حصاة تحت لسان ابنها حتى لا ينفك عن البكاء ليتفطن الأب. فتقول: «عملت له حصحاصة هكه تحت لسانه»(٨) وصاحبت القول بإشارة من أصابعها الى لسانها.. فهنا أتت الحركة لتفسر الفعل وتوضحه.

ب ـ الحركات المعوضة: وهى التى تقوم مقام النص وتأتى باعلام دلالى غير مضمن به.. فحين يعجز الكلام عن تأدية المعنى تأتى الحركة لتساهم فى عملية التبليغ بالمرور من طريقة تعبير لغوية شفوية الى طريقة تعبير جسدية. فى احدى الخرافات أرادت امرأة اختبار قوة رجل فقالت له: «**برَّ قيم هاكَ العبار**»(٩)وتردف الراوية قائلة: «**العبار هاكه حجرة يهزوها أربعين ويحطوها أربعين**». **قَلْهَا هَكَّة وتَمْ بيها**»(١٠) هنا يشوب الكلام بعض الغموض لولا الحركة التى صاحبته والتى قامت بها القاصة محاكاة لرفع ثقل.

وخلاصة القول: ان الصوت والحركة يتحدان ويساهمان فى ابلاغ الرسالة بصفة كلية وتامة كما يدخلان فى الخطاب القصصى بعدا مسرحيا يبدى للعيان بصفة تشخيصية جلية بعض أحداث القصة فيجعل منها «فرجة» ـ ان صح القول ـ لامتاع الاطفال والسامعين عموما.

وهذا النشاط الأدبى والفنى تقوم به المرأة الراوية، وبصفة تلقائية طبيعية. وأغلبية جداتنا كن يحذقن فنون السرد والرواية.

تتعاطى المرأة اذن بصفتها راوية نشاطا أدبيا هاما وهى كذلك شخصية من شخصيات الخرافة تستقطب فى نفس الوقت جل أحداثها وتتمحور حولها معظم دلالاتها ويظهر ذلك من خلال البنية القصصية.

تركيب الخرافة من حيث بنيتها القصصية من مقطوعة أو أكثر. . والمقطوعة هى وحدة بنيوية مستقلة أساسها اكتمال تام أو جزئى للمعنى وتستهل بظهور اساءة تمس شخصية من شخصيات القصة أو المجموعة البشرية المعنية برمتها أو بالتفطن لانعدام شىء أو غياب شخص ما. . وقد تقتصر القصة على مقطوعة واحدة كما تشمل أحيانا عدة مقطوعات مرتبطة ببعضها البعض اما عن طريقة التتابع أو التضمين(١١) والمقطوعة عبارة عن سلسلة من الوحدات القصصية الدنيا المرتبطة ببعضها ارتباطا ركنيا وكل وحدة تمثل اطارا شكليا يمكن توظيفه لاحتواء مضامين مختلفة مفتتة الى «موتيفات» أو جزيئات، والجزء كما يعرفه طومسون هو «أصغر عنصر روائى له المقدرة على الاستمرار خلال الزمان والمكان كجزء من التقاليد/ المأثورات فى ثقافة معينة». . أى أنه يحمل معنى أو قيمة ثقافية موظفة فى البنية الشكلية.

وتبعا لهذه الهيكلية يمكن تصنيف الحكايات الخرافية التونسية الى نمطين. وتنطلق القصة فى النمط الأول من شعور بانعدام شىء أو شخص يحس به الأب أو الابن مثلا فيوكل الأول للثانى مهمة البحث عن العنصر المفقود (دواء سحرى. . قصر سحرى. . فتاة كاملة الأوصاف. . أو من طينة سحرية عجيبة). وبعد المرور من اختبار تأهيلى يتحصل اثره البطل على المعلومات أو الأدوات السحرية التى ستعينه فى بحثه ثم من اختبار أساسى يواجه فيه قوى معادية ـ وبذلك تكتمل ذاته ويرتقى الى أعلى درجات الثروة والسلطة والمجد.

ويحتوى النمط القصصى الثانى على نفس الاختبارات، غير أن الانطلاق يكون هنا من شعور بفساد الاوضاع العائلية أو الاجتماعية عامة بتعرضها لضرر تسبب فيه اما قصور فرد من أفراد المجموعة الكبار كالأب أو الأم أو امرأة الأب. . واما ارادة شريرة غريبة عن المجموعة. . واما تهور فرد من أفراد المجموعة الصغار. . فيهب البطل أو بالأحرى البطلة لاصلاح ما فسد من الأوضاع بعد اجتياز الاختبار التأهيلى ثم الاختبار الأساسى كما قلنا.

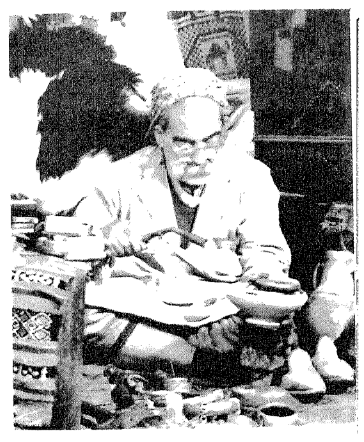
قلنا البطلة لأنه فى جل الحكايات التابعة للنمط القصصى الثانى الشخصية المركزية هى الفتاة بما أنها تقوم بكل الأعمال «البطولية». . أما فى النمط الأول فهى تمثل الشخص المفقود المؤهل لبلوغ السلطة. . وتتضمن هذه البنية القصصية الثنائية نظاما مكتملا من الدلالات والقيم التى تهيكل المجتمع التقليدى كما يظهر فى الخرافة. . وتتمحور تلك الدلالات حول الشخصيات بوصفها فواعل ولكل فاعل دائرة اعمال ثابتة لا يخرج عنها. ففى الرواية بصفة عامة لا تتضح معالم شخصية ما الا عند انتهاء الرواية أى بتراكم العلامات الدالة طوال تسلسل الأحداث، أما بالنسبة للحكاية الخرافية فالوضع مغاير تماما اذ أن المستمع بحكم ممارسته لهذا النوع من الأدب يعرف بصفة مسبقة أن (**عجوزة الستوت**) مثلا امرأة شريرة ولا يمكن لها بأية حالة من الحالات التحول الى عنصر خيرـ فالشخصية هنا سجينة قالب دلالى قار وثابت. . وعدد القوالب أو دوائر الأعمال محدد بعدد الفواعل وهم: الباحث أو المصلح. . وموضوع البحث. . والحاث عن

البحث أو الاصلاح أو طالبه. . والمنتفع من البحث أو الاصلاح (يكون أحيانا الباحث أو المصلح نفسه) والمساعد على البحث أو الاصلاح ـ وأخيرا مصدر الضرر والاساءة والمعراض لعملية الاصلاح أو البحث.

وفى هذا الصدد تتحرك المرأة ضمن دوائر معروفة:

[١] **المرأة بصفتها الشخص المفقود** الذى يبحث عنه بطل القصة ولا يصل اليه الا بعد المرور من عدة اختبارات شاقة ومثيرة. . وهى غاية فى حد ذاتها ووسيلة للتعبير عن اكتمال الذات وللحصول على أعلى المراتب كالسلطة مثلا إن كانت الفتاة ابنة سلطان. والمرأة بوصفها موضوع البحث هى ذات جمال أو نسب عال أو لها سلطة سحرية خارقة. . وهى زوجة مثالية لابن سلطان أو لرجل متواضع الحال ينوى تحطيم الفروق الاجتماعية.

[٢] **المرأة كمصدر إساءة**: وفى هذه الحال تكون ضحية الضرر المرأة نفسها أو الأطفال ذكورا واناثا ومن أوجه الاساءة نذكر: امرأة عاقر تتلف أبناء سلفتها. . أمّ تحاول ذبح ابنتها لأنها تفوقها جمالا. . امرأة تحاول تحويل ضرتها الى بقرة وأخرى تحرق ضرائرها. . فيتضح من خلال الأمثلة التى سبقت أن الاساءة تدخل فى اطار صراعات رهيبة تدور بين أفراد العائلة من اجل الحصول على السلطة داخل البيت. . ففى الخرافة لا نفوذ للمرأة العاقر داخل المجموعة، وان لم تنجب المرأة ولدا ذكرا يكون عنصر استمرار للسلالة تفقد مكانتها أو تكاد وتتعرض لحضور ضرة تنافسها وتقتسم معها السلطة ان لم تنفرد بها. فالقصة الشعبية التونسية تقف ضد تعدد الزوجات.



[٣] **المرأة ضحية الاساءة وبطلة تصفى الاساءة وتنهيها**: لقد رأينا أن الاطار الاجتماعى للقصة الشعبية التى تنطلق أحداثها ابتداء من ظهور الضرر والاساءة هى العائلة المصغرة. وفى كثير من الحالات تحتوى العائلة نفسها على بذور الفساد. . رأينا منها تعدد الزوجات الذى قد يمثل مصدرا من مصادر توتر العلاقات بين أفراد العائلة بانعكاساته السلبية على الأطفال والبنات خاصة. ومنها أيضا: تغيب الرجل (الزوج أو الأب) الذى يجعل العنصر النسائى عرضة لأخطار خارجية كتدخل الغول مثلا ـ وغياب الأم ـ وهنا يتحتم على البنت الكبرى أن

تعوضها وأن تقوم مقامها فتترك عالم الطفولة وتدخل عالم الكبار وتصبح أما عليها أن تؤدى كل وظائف الأم الحقيقية من عناية باخوانها وبأبيها. وتهور البطلة يهدد كذلك توازن العائلة واستقرارها - كأن تكون جشعة أو كثيرة الفضول أو كأن تعتدى بالعنف على أحد أفراد العائلة مثل «حبيبة الرمان» التى تتسبب فى موت أمها لكى يتزوج أبوها معلمتها محبة لها فتعوض بالتالى صلة القرابة بصلة الصداقة وهذا العمل يتحدى الطبيعة ويعرض العائلة الى خطر قد يقوض أواصرها وتنقلب الصديقة الى امرأة أب شريرة.

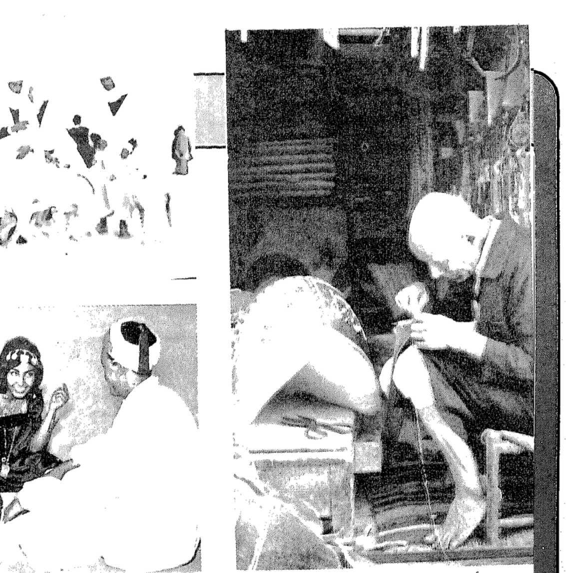
وتمثل حالة العزوبة بالنسبة للفتاة خطرا عليها وبالتالى على كل العائلة - فهى حالة وقتية قد تعرض الفتاة لعدة مشاكل ولا يكون المفر إلا بالزواج فهو الذى يصحح الأوضاع ويعطى للمرأة الاطار الطبيعى لحياتها ويمنحها الاستقرار النفسى والاجتماعى. غير ان المبادرة لا تأتى من طرف الفتاة بل من الرجل والاختيار يكون للأب أو للزوج نفسه. **ولكن من يتزوج من؟**.. تتزوج المرأة رجلا من نفس الطبقة والوضع الاجتماعى «**وهذا شيء عادى**».. فقد رأينا أن الزواج غاية فى حد ذاته. وفى بعض الخرافات يتزوج أبناء سلاطين فتيات من أوساط متواضعة لجمالهن وصفاتهن الأخلاقية وحذقهن للأعمال المنزلية. ويحق لنا أن نتساءل هل هذا يمثل سلوكا تعويضيا لمستهلكي القصة من الفتيات؟..

أما الحب بوصفه شعورا سابقا للزواج متبادلا بين طرفين.. وتكاملا أو تقاربا فى الأفكار والأذواق والطموحات - الحب بهذا المفهوم لا مكان له فى القصة الشعبية أو يكاد، فالمؤهل بالنسبة للمرأة جمالها كما قلنا وأخلاقها وصفاتها وأحيانا نبل نسبها أو طبيعتها السحرية.. أما بالنسبة للرجل فيكفى أن يكون رجلا وياحبذا لو كان ثريا أو ابن سلطان.. ويأتى الحب بعد الزواج ويكون بمثابة ارتباط وتعلق قويين يشدان الزوجين لبعضهما بحكم المعاشرة.

المرأة اذن هى البطلة التى تقضى على الاساءة وتصلح الاوضاع وتعيدها الى سالف نصابها بعد الضرر الذى حصل لها، وهى كذلك المستفيدة الأولى من هذه العملية ولكنها لا تتوصل الى مثل هذه النتيجة الايجابية الا بعد اختبارات شاقة تلجأ فيها الى استعمال كل الوسائل لكى تخرج منتصرة ومن بينها الحيلة والعنف. فعالم الخرافة عالم قاس كله صراعات ومنافسات لا تتوانى فيه المرأة فى القضاء على العنصر الضار بقتله، وان كان أختا أو أما فالخرافة من حيث مدلولها ليست مبنية على صراع الخير مع الشر بل على التوق لمراتب اجتماعية عالية والعمل على ضمان استمرار المجموعة بقطع النظر عن الوسائل.

الغولة:

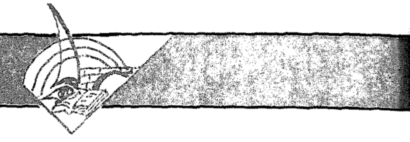
لقد تركنا جانبا شخصية يمكن اعتبارها عنصرا نسائيا وهى «الغولة» أى السعلاة - فمن مفارقات القصة الشعبية وجود هذه الشخصية المزدوجة، فهى - حسب ما رأيناه فى البنية القصصية - عنصر سوء وكذلك



عنصر «مُعين» على تخطى الصعاب وعلى «التحصل» على الشيء المفقود والقضاء على «الاساءة» وهى مخلوق ضبابى الملامح بين الحيوان والانسان فتارة تسكن مغارة فى «الخلاء المخلى» وتارة قصرا فخما.. وتملك قدرة على «الانمساخ» فتتصور فى شكل امرأة لتلحق الضرر بالآدميين وتقوم بأعمال آدمية ـ كأن تطحن الحبوب وتطبخ وتغزل الصوف.. وهى تتوق الى الحصول على طبيعة بشرية فتحاول الزواج من الآدميين لكن بدون جدوى اذ يقع كشفها ويقضى عليها.. كما تصبو للأمومة لكن طبيعتها تمنعها من ذلك: ففى قصة «مقيديش» تأكل خطأ ابنتها فتقضى بهذه الصفة على ابناء جنسها. و«الغولة» مصدر اساءة بحكم طبيعتها: تأكل اللحم البشرى وبالتالى تمثل نفى الوجود البشرى. وهى معينة: تحتضن بنتين شاردتين.. تعطى للفتاة التى تبحث عن «مكتوبها» سر ملاقاته.. تسلم لمحمد بن السلطان مفاتيح الحديقة السحرية... الخ.

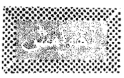
يكفي أن يعرف الانسان كيف يتعامل معها: فان خاطبها وكأنها من جنس البشر وقال لها: يا امي أو يا أختي تحصل منها على مراده. لكن بعد نيل المبتغي يغدر الانسان بالغولة ويسبب لها الهلاك والفناء.

فبعد أداء وظيفتها تموت الغولة بل تقتل وتحرق ورغم اساءتها تمثل عنصر توازن اجتماعى ـ فهى الوسيطة بين الجهل والمعرفة.. والغموض والوضوح.. وبين الظلام والنور. تملك المعرفة فتبلغها للانسان.. وتمنح الثراء والسعادة وتدفع حياتها ثمنا لذلك. هى مصدر تفكك المجموعة البشرية لكنها أيضا سبب انبعاثه ـ فهى تفوق الانسان الذى يفتك منها المعرفة والحياة معا وفى



القصة الشعبية نلاحظ محاولة للقدح فى الغولة وذمها فتظهرها لنا النصوص فى مظهر مزرٍ تأكل الجيف ولحم الانسان وتسهل مغالطتها لحمقها. فهل نحن أمام وسيلة يستعملها البشر للحط من قيمة مخلوق يفوقه معرفة ومقدرة؟.

وتمثل المرأة اذن مركز الثقل فى الخرافة فكل الأحداث تدور حولها: هى الغاية والوسيلة.. هى الفاعل والمفعول به.. هى البطل والبطل المضاد.. تكيف مصيرها ومصير عائلتها باستعمال كل الوسائل حتى العنف.. همها إثبات وجودها والعيش حياة سعيدة. وعالم الخرافة الدلالى بنمطيها نمط الاساءة ونمط الشيء المفقود مبنى على سلطة السلف: سلطة الأب الذى يجسم نظاما من القيم الأخلاقية والاجتماعية يضمن تماسك المجموعة ولحمتها ويؤهل الصغار للاضطلاع بمسؤوليات تفرضها الحياة. فالحكاية الخرافية تندرج ضمن النظام التربوى التقليدى اذ تغذى خيال الطفل وتساعده على معرفة الأسس والقيم التى تنظم المجموعة وتسوسها ـ وزيادة عن وظيفتها التعويضية هى تهيء الفتاة لتحمل نوائب الدهر وتخطى الصعاب ولكى تصبح ربة بيت كاملة وأماً تنجب وترعى فتكون بمثابة الركيزة التى تسند المجتمع.



---

(١) اسم فاعل فى صيغة عامية من فعل (فد) رفع صوته

(٢) المغنى والأديب.

(٣) القبيلة.

(٤) د. سيد حامد حريز، تحديد مفهوم الادب الشعبى العربى مجلة المأثورات الشعبية العدد الثالث ص٢٧ الدوحة ١٩٨٦.

(٥) نفس المصدر ص٣٢.

(٦) د. نبيلة ابراهيم. القصص الشعبى، جمعه وتصنيفه. المأثورات الشعبية عدد٣ ص٤٨.

(٧) رولان بارت. مدخل الى تحليل بنيوى للقصص مجلة ابلاغات، عدد٨، باريس ١٩٦٦، ص٢.

(٨) الرشيد الغزى. مسألية القصة من خلال النظريات الحديثة، ص٩٠-١٠٣، مجلة الحياة الثقافية، عدد١، اكتوبر ١٩٧٧، تونس.

(٩) د. حسن الشامى «انساق وفهرسة مواد المأثورات الشعبية». مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية، الدوحة ١٩٨٧. وانماط القصص الشعبى لارن وتومسن. هلنسكى ١٩٦٤.

نماذج من الحكاية الخرافية التونسية:

زرق الوشمة

■ ثمْ مرا(١) مكسبها بنت، هاك البنت تقول للشمس أزرقى والا خلْ نزرق. تشبح فيها كل يوم تزيد. شْوَىْ قالت: «كيفاش نجيب طفلة أشب مني ني(٢) نغرت(٣) من بنتها. تهزها(٤) مِ الصبح للصبح للشمس تقول لها: «ياشمس يا شمِّيسة اما خير أني وانت والا زرق الوشمة بنتي؟» تقول لها: «انت زَيْ واني زى.

وزرق الوشمة زايدة شْوَىْ. قالت: «رالله لا يجى اشب مني ني، وْوَلّتْ أشب مِ الشمس الي تضوى ع البلاد صحيحة. إلا ما نهّزها للبّطْوار(٥) يذبحوها ونشرب كاس من دمها».

■ أىَّ جات إلْ واحد جزار وقالت له: «اسمع، ها الطفلة هذه تذبحها وتجيب لى كاس من دمها نشربه» قال لها: «باهى مش دسْها فى حوشه قال: «طفلة زى هذه تتذبح. ذبح شاة وجابلها كاس من دمها، زرْطاته(٦) وهاكِ الطفلة عرَّس عليها.

الطفلة عنـدها سَبْع إخْوة. هناك السَّبْع اولاد قعدوا يهوموا من بلاد لبلاد يْدَوروا فى اختهم(٧)، لا يحجّموا لْحِيهم، لا يقصوا اظافرهم ولا يبدلوا، نهار مِ النهارات، شبحتهم مِ الشباك. نابت(٨) على واحد من اولادها الثلاثة قالت له: «اهبط إل باباك قول له: «هاك السبعة المتعديين من ضيافنا الليلة». بدا يجرى هاك الراجل:

يا فرسان. يا فرسان. يا فرسان السبعة.

اشَ ثَمَّ؟

الليلة، قال لهم، راكم من ضيافنا.

قالوا له: «باهى» أىَّ طيبت وصنفت وتّتْ روحها(٩) وقالت لذراريها: «وقت عقب ما يتعشوا وانت قول: «يا اميمتى، خرفى لنا يا اميمتى خرفى لنا. نقول لكم: «نخرف لكم على هم قلبى؟ قول: خرفى لنا حتى عل هم قلبك.

■ أىَّ جوا هاك الفرسان، تعشوا، وتشكروا وقعدوا يسهروا ويطيبوا فى التاى. ناطوا الاولاد: «يا اميمتى، خرفى لنا يا اميمتى خرفى لنا. قالت لهم: «كونش(١٠) نخرف لكم على هم قلبى «قال لها: «خرفى لنا حتى على هم قلبك» قعدت تحكى: «هكّ ما صار لى، هكّ ما صار لى، امى دارت لى هك وهك...» نقزوا عليها(١١) هاك السبع اولاد وبدوا الكل يبكوا. قالوا لها: «أمَّا لا إنت اختنا زرق الوشمة؟ «قالت لهم: «انا اختكم».

■ اى قالوا: «باش شاطر(١٢) بَرَّقص لها راسها هاك العزوز ها البنت وها الزين هوناتهم للموت. فى ليلتهم خِشَّشَتْهم للحمام وعومتهم وبَدْلِتْ لهم، حجمت لهم هاك اللحى وقصت لهم اظفارهم ومن بعد، خذت لهم نساء. وخرافتنا هابه هابة(١٣) وكل عام تجينا صابة.



(١) امرأة - (٢) انا - (٣) غارت - (٤) تحملها - (٥) المسلخ - (٦) جرعته - (٧) يبحثون عن اختهم - (٨) نادت - (٩) اعدت نفسها - (١٠) بمعنى ربما - (١١) وارتموا عليها - (١٢) السياف.

(١٣) بمعنى ان الحكاية قد انتهت وهذه الكلمة توافق كلمة صابة والعبارة كلها تقال تبركا وتفاؤلا بمحصول زراعى وفير.



نعيد صياغة النص الخرافى فى حكاية «زرق الوشمة» كنموذج يمكِّنُ الدارسين من تطبيق المقارنات بين لهجة وأخرى.

زرقاء الوشمة

■ ثمة امرأة لم تنجب الا بنتا جميلة تقول للشمس: أشرقى وإلا دعينى أشرق.. وكانت تراها كل يوم تزيد حسنا فقالت فى نفسها: كيف ألد طفلة أجمل منى أنا؟. وغارت من ابنتها وكانت تحملها كل صباح الى الشمس وتقول لها: يا شمس يا شموسة أينا أجمل أنا أم أنت؟ ام زرقاء الوشمة بنتى؟ فتقول لها: انت شىء وانا شىء وزرقاء الوشمة اجمل منا قليلا، فقالت المرأة فى نفسها: والله لا يمكن أن يوجد أجمل منى أنا، لقد صارت ابنتى أجمل من الشمس التى تضيىء البلاد بأكملها.. لأحملنها الى المسلخ لتذبح وأشرب كاسا من دمها، فذهبت الى احد الجزارين وقالت له: اسمع.. هذه الطفلة اذبحها واتنى بكأس من دمها لأشربه فقال لها: حسنا وذهب بها الى منزله حيث اخفاها وقال فى نفسه: فتاة مثل هذه تذبح..

وكان لتلك الطفلة سبع إخوة ذكور ظلوا يهيمون من بلاد الى بلاد يبحثون عن أختهم، وتفرغوا للبحث الى درجة انهم تركوا حلق لحاهم وقص أظافرهم وتغيير ثيابهم. وفى يوم من الايام رأتهم أختهم من الشباك فنادت واحدا من أولادها الثلاثة من ذلك الجزار وقالت له: اذهب الى أبيك وقل له: أولئك المارة السبعة من اضيافنا هذه الليلة فاخذ ذلك الرجل يجرى:

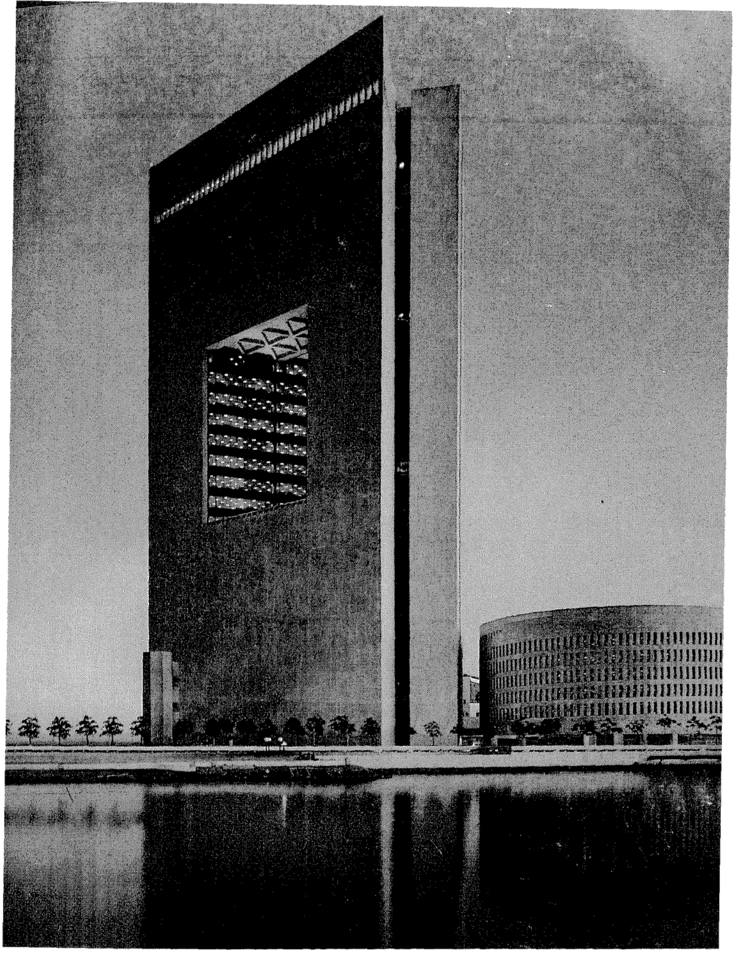
يا فرسان يا فرسان ايها الفرسان السبعة
ماذا هناك؟
الليلة أنتم من أضيافنا
قالوا له حسنا

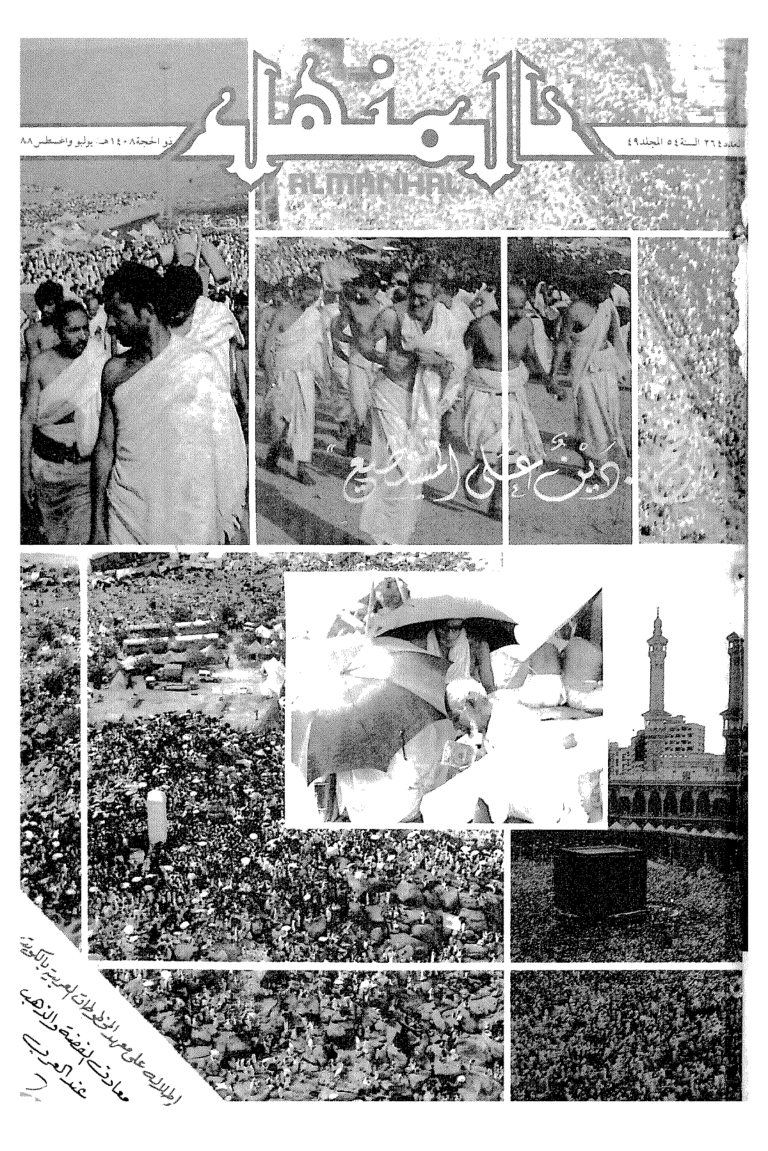
■ وطبخت زوجته وصنفت وأعدت نفسها وقالت لأولادها: عندما ينتهون من عشائهم قولوا: يا أميمتى قصى علينا خرافة. فأقول لكم هل أخرفكم عن هم قلبى؟.. قولوا: خرفينا حتى عن هم قلبك.

وجاء أولئك الفرسان فتعشوا وحمدوا الله وشكروه وجلسوا يسهرون ويطبخون الشاى فاندفع الأولاد: يا اميمتى خرفى لنا قالت لهم: إلا اذا كانت خرافتى عن هم قلبى لما قالوا لها: خرفى لنا عن هم قلبك. فأخذت تحكى.. هذا ما وقع لى! وهذا ما وقع لى أمى فعلت لى هكذا وهكذا.. فارتمى عليها أولئك الاولاد السبعة واخذوا يبكون جميعا ونادوا: أيها السياف اذهب واقطع رأس تلك العجوز كيف هونت هذه البنت وهذا الجمال للموت.

وفى تلك الليلة أدخلتهم الحمام ونظفهم وغيرت ثيابهم وحلقة لحاهم وقصت أظافرهم، وبعد ذلك زوجتهم..

وخرافتنا تسير تسير، وكل عام يأتينا بمحصول زراعى وفير.





المنهل
AL MANHAL
العدد ٤٦٤ السنة ٥٤ المجلد ٤٩
ذو الحجة ١٤٠٨هـ يوليو واغسطس ٨٨
دين على المستطيع
إطلالة على معرض المخطوطات العربية بالكويت
معادن الفضة والذهب عند العرب



إن إنشاء مجمع لغوى فى هذا البلد الكريم هو أمر يعتبر بمثابة وضع الرأس المفكر الموجه على جسم النهضة الثقافية . . فالامة الحية ذات التاريخ العريق والعلم الغزير كالامة العربية السعودية التى فى بلادها هبط الوحى ونشأت اللغة جديرة بان تعمل شيئا فى هذه البلاد ، لهذه اللغة . .

ان من اهم مهمات المجمع اللغوى اذا انشىء فى هذه البلاد ، ان يبتدىء بوضع «موسوعة» لغوية يستأنس حين اقرار موادها ومفاهيمها بما تبقى فى لهجتنا العامية فى شتى مناطق المملكة من تعابير صحيحة فصيحة لم يستطع الحدثان أن يمحوها من صفحة الدهر فبقيت سليمة كالذهب الابريز بين اكوام التراب . . فى حاضرتها كثيرا ، وفى باديتها أكثر.

وان الحاجة لتدعونا الى انشاء مجمع ثان وثالث حفظا لكيان تراثنا واثباتا لوجودنا . . والمجمع الثانى الذى أرى أن ينشأ عاجلا وارى أن يدعم ويشد ازره بكل الامكانات العلمية والعملية هو «المجمع العلمى» الذى يبحث فى علوم الطبيعة بالزراعة والصناعة والحياة والجيولوجيا وغيرها . . ان لدينا اليوم بعض خريجين من الجامعات فى هذه العلوم وغدا يكثرون . . فارى ان يشد ازر نشاطهم الحكومى بنشاط آخر اكاديمى . . ينفعهم ويقوى معلوماتهم ، وينفع مواطنيهم وينهض بالصناعة والزراعة والتجارة لدينا بما يقدمه الباحثون فى هذا المجمع من توجيه علمى وعملى مركز الى تبسيط للعلوم المعقدة بالنسبة لاواسط المتعلمين الى حقائق واستكشافات علمية مجردة قيمة بالنسبة للعلماء الباحثين فى العالم . . ولذلك ارى ان هذا المجمع اذا اريد ان ينشأ فسيكون فتحا مبينا لتطوير العلم الذى تقوم عليه حياة الدول اليوم . . ولذلك اقترح ان يسمى: «المجمع اللغوى العلمى» ومن سار على الدرب وصل.

جمادى الاولى
١٣٨٣هـ

عبد القدوس الأنصاري

دار الاصفهانى للطباعة بجدة



كل عام وأنتم بخير

بعد أيام معدودات سنودع عاما .. ولنستقبل عاما جديدا بمشيئة الله تعالى .. وهذه سنة الحياة تعاقب وتلاحق ..

ولكن .. هل الأمر لا يعنى شيئا سوى الوداع والاستقبال .. عام انقضى نلقيه خلف ظهورنا ولنسلخه من أعمارنا .. وعام آت نستقبله ؟

إن الامر أكبر من ذلك .. عمر الانسان لا يعد بالايام والسنين إنما بما قدم وأعطى وأفاد .. هذا العام الذى انقضى يعنى فى " تضريبته الحسابية " مجموع القيم الخيرة التى عاشها الانسان فى بيته وأسرته - فى مجتمعه - فى عمله .. الخ .

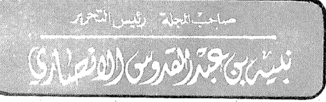
هذا العام يعنى مجموع الناتج الايجابى لعطاء الانسان .. وفوق ذلك فهو التجربة التى ينبغى الافادة منها فى مقبل أيامه " يزيد فى الايجاب ويمحو السلب "

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها: عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ



المركز الرئيسى

جدة ـ الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

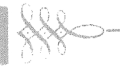
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

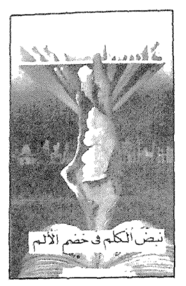
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

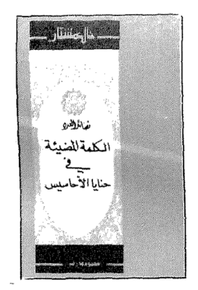
سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطـر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ١٢ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصـر: ١٠٠ قرش
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ١٠ دراهم
- موريتانيا: ١٠٠ أوقيه
- لنـدن: ١ جنيه

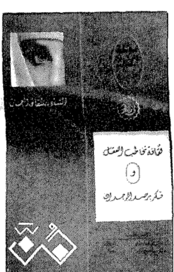
المجلة السعودية الأم











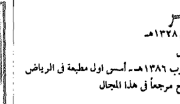
فقرات مستقلة

● المخطوطات العربية تراث علمي وفكرى يتحتم الحفاظ عليه وافادة الدارسين منه ـ ص٣١

● أحسن العرب استخدامهم للذهب فرافقهم فى طريق حضارتهم ـ ص ١٣٤

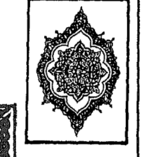
● عصر القرصنة العلمية سرق كثيراً من علوم العرب ونتا ج قرائحهم ـ ص ١٤٠





حمد الجاسر

- من مواليد قرية البرود فى اقليم السر بمنطقة نجد عام ١٣٢٨هـ
- عمل مديراً لكليتى الشريعة واللغة العربية فى الرياض
- أصدر صحيفة اليمامة عام ١٣٧٢هـ - أصدر مجلة العرب ١٣٨٦هـ - أسس اول مطبعة فى الرياض ١٣٧٤هـ - اهتم بتاريخ وجغرافية الجزيرة العربية وأصبح مرجعاً فى هذا المجال
- عضو عامل فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة
- له مجموعة من المؤلفات فى مجال التاريخ والتراث.



فتحى الدويك

- من مواليد مدينة الخليل بالضفة الغربية
- له مشاركات أدبية فى المجلات العربية
- يعمل على إصدار مؤلفين هما:
  - فلسطين فى الشعر السعودى
  - من شعراء السعودية المعاصرين



د. واصف عبد الحليم عبد الله

- من مواليد محافظة دمياط/ مصر
- مدرس بكلية العلوم جامعة الازهر
- له مشاركات علمية فى العديد من الاصدارات العربية

وكلاء التوزيع:

تهامة للتوزيع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠ - وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥ - دار المسيرة للطباعة/ ابو



محمد بن احمد العقيلي

● من مواليد مدينة (صبياء) جازان

● قدم للمكتبة العربية مجموعة من المؤلفات التاريخية والأدبية منها:

- المخلاف السليماني ثلاثة أجزاء أرخ فيه لمنطقة جازان ـ الآثار التاريخية فى منطقة جازان ـ كتاب ديوان السلطانين ـ الانغام المضيئة ـ ديوان شعر ـ من الشعراء الرواد المجيدين فى المملكة العربية السعودية



احمد سعيد الدمرداش

● عضو اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم

● من العلماء العاملين فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا

● تمتاز دراسته بالدقة والعمق

● اهتم بدراسات تاريخ العلوم عند العرب



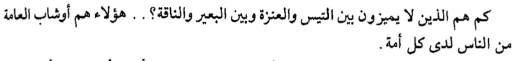
جمال تركي

● اديب وكاتب سعودى

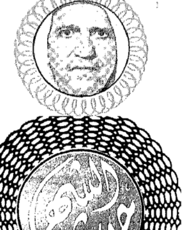
● عشق الحرف وعرف طرقه



ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت٦٣٥١٥٢ ـ العربية للوكالات والتوزيع/ المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦



واقع الدين اليقيني



كم هم الذين لا يميزون بين التيس والعنزة وبين البعير والناقة؟ . . هؤلاء هم أوشاب العامة من الناس لدى كل أمة.

● هذا شخص من هؤلاء دخل على الأعمش فى منزله يريد أن يسأله عن مسألة وهو لا يعرفه. . وكانت المفاجأة أن الأعمش كان جالسا هو وزوجته فى ديوان منزله. . وواضح أن منظر الرجل غير منظر المرأة مهما طال بهما العمر، ولكن صاحبنا لم يفرق بينهما فنادى بهما معا مقلبا كفه. . أيكما الأعمش؟ فضحك الأعمش لغبائه وأشار إلى زوجته ساخراً به. .

■■ ولا تعجب. . فمثل هذا الغباء تجده فى كثير ممن هبَّ ودبّ.

■■ ويشهد الله أنى أذكر قصة وقعت لى إبان طلبى العلم فى القاهرة فى الأزهر الشريف، هى أعجب وأعجب من قصة الأعمش وزوجته.



كنت أذهب الى حلاق كان محله أمام باب المزينين للجامع الأزهر ـ وكان محل ذلك الحلاق واسعاً. . هو يحلق فى صدر المحل للعلماء ومن كان على شاكلتهم من أهل اليسار ـ وكان على جانبى المحل مقاعد متواضعة للحلاقة يمارس فيها المهنة شباب يتقاضون أجراً زهيدا من طلبة الأزهر وهم يتدربون لديه.

فجلست على مقعد من مقاعد هؤلاء الشباب الذين يتدربون لديه، وأخذ الشاب الحلاق العمامة من رأسى وشرع يعدّ أدوات الحلاقة. . وسألنى من أين أنت؟.

قلت: من المدينة المنورة.

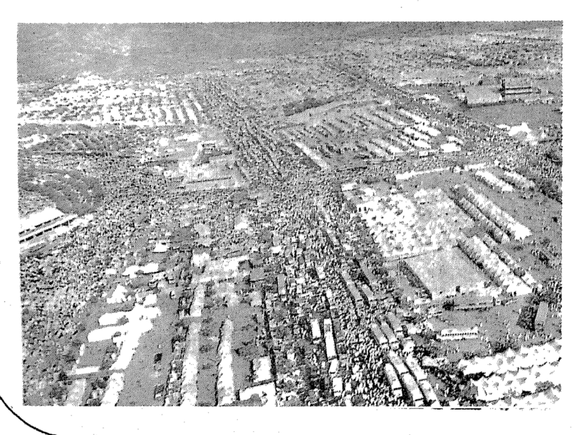
قال: فى كل عام يذهب أناس من بلدنا عندكم.

قلت: نعم هم يذهبون الى المدينة المنورة لأن رسول الله ﴿ﷺ﴾ مدفون بها فيزورون مسجده ويسلمون عليه ﴿ﷺ﴾.

هو: (سكت يفكر ثم قال). . الآن عرفت ان الحجاج يذهبون كذلك الى مكة ويطوفون حول الكعبة لأن «ربنا» مدفون فيها.

انتفضت إنتفاضة عصفور بلله القطر لما سمعت منه كلمة الجاهلية الأولى فى عقيدتهم بآلهتهم، من الأرواح المزعومة أنها تسكن الأصنام والأوثان. ومع ذلك لم يقولوا إنها تموت والبيت لم يقل احد إنه مسكن روح ما: أجل خفق قلبى خفقانا متتابعا بشدة وعنف.. ويشهد الله أنى ما تصورت أن الغفلة تسفل بمسلم إلى أسحق دركة من سخافة الأساطير فى المعتقد الذى يتوقف عليه النجاة من المهالك.

وأشفقت عليه إشفاقا وأخذت أفهمه العقيدة الاسلامية الصحيحة التى أوحاها الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾، بلين وتؤدة ويســر، قلت له: أنت من أوجـدك فى هذا الـوجـود أليس الله؟.. قال نعم.. وقلت وأنا كذلك أوجدنى الله ـ والله جل جلاله هو الذى أوجد كل شىء تراه ليلا فى السماء من قمر ونجوم، وأشياء كثيرة نعم نحن لم نرها ولكن الله الذى أوجدها، هو أخبرنا عنها فى آياته المنزلة.. وكذلك العلماء الذين يطالعونها بالاتهم ويدرسونها أخبرونا عنها كذلك.



وعلى كل حال يجب أن تعلم أن المحرك لما علمنا من أمر العوالم ـ وما لم نعلم هو الله المهيمن على كل شىء وهو وحده الموجد الخالق الذى ليس له شريك ينازعه فى ملكه أبداً ـ أبداً.
ثم قلت له ببساطة هل أحد هنا منكم ينازع المعلِّم فى محله؟ . . قال لا . .
قلت : إذن فاعلم أن الملك كله فى هذه العوالم والأكوان كافة سواء التى علمناها والتى لم نعلمها بعد هى جميعا ملك الله الذى خلقها وحده دون شريك ومعين . . ودون منازع له . . وهو وحده الحى القيوم الذى لا يموت ـ بل هو الذى خلق الموت والحياة.

هنا أخذته خفقة الايمان فى قلبه وقال سبحان الله . . . إن الله حى لا يموت . . وهو كبير.
قلت له : صدقت إن الله حى لا يموت وهو كبير جداً . . جداً. وأنت تستطيع أن تعلم شيئا من صفاته الأزلية وأسمائه العلية.
ثم ذكرت له بعض صفات الله . . وذكرت بعض أسمائه فى أيام متتابعات . . وأصبح فى أوقات فراغه يتردد على غرفتى فى رواق الحرمين فى الأزهر الشريف . . وهكذا أفهمته أن الله جل جلاله ما هو مثل مخلوقاته ـ يفتقر الى مكان يأوى إليه ويسكن فيه . . ويحيط به . . لا ـ لا . . بل هو المحيط بكل شىء ولا يحيط به شىء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وتلوت عليه قول الله تعالى فى خاتم وحيه القرآن المجيد . . ﴿ألا إنَّهم فى مِرْية من لقاء ربِّهم ألا إنَّه بكلِّ شىء محيط﴾ وقوله تعالى ﴿واللهُ من ورائهم محيط﴾
ثم قلت له . . فهل يدخل فى تصورك بعد ذلك أن الكعبة الشريفة مهما كبرت تحيط به جل وعز؟ . . هذا محال المحال . . ولا يصح أبداً بحال من الأحوال ـ وأنَّى تحيط به الأكوان التى خلقها والسماوات وما هو أكبر من السماوات والأرض وكل ما فيها مطويات فى يمينه سبحانه وتعالى . . **﴿وما قدروا الله حقَّ قدْرِه والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يوم القيامةِ والسماواتُ مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يُشركون﴾.**



والله وحده هو الذى يسير الوجود وما يحويه من مخلوقات . . وهو سبحانه وتعالى الحى القيوم الذى لا يموت . . وكيف تصورت أن الله مات ودفن فى الكعبة ـ والله ليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير.
بل كيف يمكن أن يموت وهو الذى يمسك عوالم الوجود أن تزولا ولو لم يمسكها لزالت وتأمل فيما يقوله الله جل وعز فى ذلك . . **﴿إنَّ الله يُمْسكُ السماواتِ والأرضِ أن تزولا ولئنْ زالتا إنْ أمسكهُما منْ أحدٍ منْ بعده﴾.**

بل هب أن الله أمسكها بعمد نراها من الفولاذ فهل يدخل فى تصورك أن الله يمكن أن يمسك السماوات بعمد لا ترى كما هو مشاهد. إقرأ واخشع وفكر وقدر وآمن: إن العمد التى لا ترى ولا تلمس أقوى من عمد الفولاذ ﴿الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ (١٣-٣٠).

والعمد التى لا ترى يدرسونها فى الحضارة الحديثة ـ فحرام أن تقول إن الله روح حل فى الكعبة ومات ودفن فيها. وهنا قال لى: إنى سمعت هذا القول من بعض الأفندية المتعلمين ـ تحدث به فى بلدنا. . واستغفر الله عز وجل من كل ذلك وسواه واتوب اليه.

قلت له: لا يا أخى إن الذين يتحدثون بمثل هذا الكلام الشيطانى إن كانوا مسلمين فهم أغبياء وجهال يصدقون كل ما يقال لهم، وإن كانوا يعلمون فهم أبالسة أشرار موظفون لاشاعة الخرافات بين طبقة الأمين من المسلمين ودس الأساطير بينهم من حيث لا يعلمون.

◎◎◎

الإيمان بالله حق يقيني يملأ أقطار النفس بالطمأنينة..

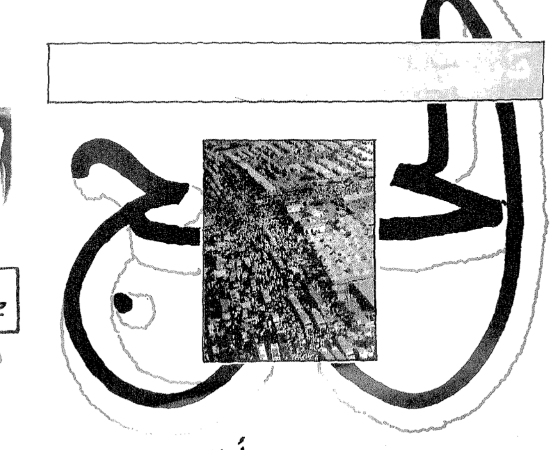
◎◎◎



الذين يذيعون أمثال هذه الجهالات فى أوساط علماء الحضارة هم أبالسة مغرضون ومنفرون لا يريدون يقين العلم ولا عين الواقع أن يعرف لدى أمم الحضارة الحديثة وذلك شر يهلكهم قبل سواهم من الناس. . وهؤلاء إذا كانوا يعلمون أنها أساطير مدسوسة. . ويذيعونها أنها وقائع يقينية تضليلاً فهم مجرمون أفاكون. . وان لم يعلموا ذلك فليس بعار ولا نقيصة أن يراجعوا الدراسة بأمانة العلم والحق والصدق.

اللهم آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.





جمال تركي

السعودية

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمناً، واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل حج البيت من الشريعة ركناً، وصرف وجوهنا إلى قبلته فكان ذلك من نعمه العظمى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من طاف بالبيت العتيق، ذاكراً أسماء ربه الحسنى، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الهداة الأكرمين، الى يوم الدين.

أما بعد

فيقول الله عز وجل فى كتابه الكريم: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ (سورة آل عمران آية ٩٧).

هذه أيام فريضة من أعظم فرائض الاسلام، فريضة الحج الى بيت الله الحرام، وهى دين على المستطيع من الناس، واجب الاداء لله واهب النعم، ولذلك قال سبحانه: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾.. ومن المعلوم لدى كل مسلم أن فرائض هذا الدين قد روعى فى تشريعها دائماً أن تكون ذات نفع فردى دنيوى وأخروى، وذات نفع جماعى، يتحقق للجماعة المسلمة، متى أدت الفريضة على وجهها، كما أمر الله، ولا ريب أن هذا النفع الجماعى مع النفع الفردى، هو ضمن المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم بشأن صلاة

الجماعة: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» رواه البخارى ومسلم.

من العبادات التى يتحقق بها للمسلم الفذ، وللجماعة المسلمة منافع كثيرة متى التزم الناس فى أدائه وآدابه وشعائره بعيداً عن الضجة والضوضاء والغوغاء والجدل والفسوق.. فأما ما يعود على المسلم من الحج، إلى جانب أدائه للفرض فإننا نقف منه على أمور ثلاثة:

أولها: تلك المشاهدة المثيرة لوجدان المؤمن، حين يواجه بيت الله الحرام، وهو طالما توجه الى الكعبة وتخيل مشهدها، وتشوق الى الطواف حولها، كلما وقف بين يدى الله فى صلاته.

هذه المشاهدة والمعاينة تربط المؤمن ربطاً مباشراً، بشعائر دينه، وهى تتم فى جو رائع، روحانى، أقبلت فيه مئات الألوف من المؤمنين، على هذه المعاينة المباركة، وفى ذلك حياة، أى حياة لمشاعر حجاج بيت الله.

وثانيها: أن المؤمن يقضى فترة طويلة لا هم له إلا ذكر الله والتلبية، والتجرد لهما من كل شواغل الحياة الدنيا، لقد أمضى عمراً طويلاً فى أمور معاشه العاجل، وآن له أن يهتم بتقديم شيىء لمصيره الآجل، وليس كالذكر والتلبية وسيلة الى التقرب من الله ذى الجلال، وهو ذكر يحدث فى أطهر بقعة على وجه البسيطة، وفى ظروف تجرد تام، يرفع الدعاء الى مستوى الاستجابة: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (سورة البقرة/ ١٨٦).. ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم﴾ (سورة غافر/ ٦٠).. ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ (سورة الشورى/٢٦).

ومن المأثور فى هذا عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «إن داود النبى عليه السلام قال: إلهى. مالعبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك؟.. قال: إن لكل زائر حقاً على المزور، يا داود: لهم عليّ حق أن أعافيهم فى الدنيا واغفر لهم إذا لقيتهم» رواه الطبرانى فى الأوسط.

وثالثها: ما يعود على المسلم من الحج: تجربة تربوية لا يتعرض لمثلها مدة حياته أبداً، ذلك أن الدين يفرض على سلوك المؤمن رقابة صارمة، لا تفوت له أدنى مخالفة، بل إنها لتحاسبه حساباً عسيراً على كل ما يرتكب من مخالفات ولو يسيرة.. وقد حددت الآيات القرآنية المحظورات فى قوله تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ (سورة البقرة آية١٩٧).. وهذه المحظورات قد يستوجب فعلها فرض عقوبة على مرتكبها، من صدقة أو إهراق دم، غير أن ذلك يتم ضبطه بواسطة المؤمن نفسه، لا بوساطة سلطة دينية أو دنيوية، وهكذا ينصب الاسلام من المؤمن رقيباً على نفسه، يحاسبها ويضبط أهواءها ويقرّر عقوبتها، فالعبد فى وقت واحد متهم وقاض ومنفذ، والله وحده هو المطلع عليه فى ذلك، ينظر تصرفاته ويسجل نزاهة عمله فى موسم الذكر والتقرب - وفى ذلك أعظم تربية لضميره - ويتفق مع الآية السابقة قوله صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه البخارى ومسلم.

■■ هذا كله الى جانب ما قد يمارسه المؤمن من تجارة نافعة فى الموسم، أباحها الله له فليس من الممكن أن تستقيم حياة هذا التجمع العظيم، بدون تجارة توفر لكل

فرد احتياجاته من الطعام والشراب والملبس والمسكن، وفى كل ذلك منافع عظيمة تفضل الله سبحانه بها على أهل الموسم، وهو ما نفيده من قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ (سورة البقرة: ١٩٨) . . وقوله سبحانه: ﴿وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله﴾(سورة الحج: ٢٧و٢٨) . .

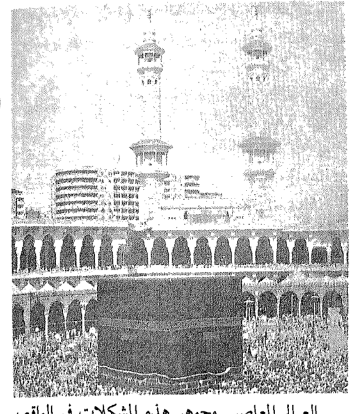


أعظم ما يتحقق فى مناسبة هذه الفريضة العظيمة من فرائض الاسلام هو اجتماع هذا الحشد الضخم من سائر أنحاء الأرض المسلمة وهى فائدة تعود ببركتها وخيرها على جماعة المسلمين، إلى جانب ما تحقق لكل فرد منهم . . ومن المستحيل فى أى مكان آخر أن يجتمع هذا العدد الهائل من ذوى القلوب النقية، والمشاعر التقية، فى مكان واحد، لهدف واحد، وبوجهة واحدة، يهتفون بنداء واحد متصاعد الى عنان السماء تردده معهم الأودية والجبال: «لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

<u>هذا التجمع العظيم هو فى الواقع أصدق ما يمثل الأمة الاسلامية اليوم، ويمهد لحل جذرى لمشكلاتها على اختلاف الأوطان، فان مشكلة هذه الأمة فى عصرنا هذا ليست إلا فى بعدنا عن عقيدتنا وكتاب ربنا وسنة نبينا، فاذا جاء هؤلاء إلى البقاع المقدسة، مخلفين وراءهم الدنيا حاملين معهم آمال ذويهم وهموم أوطانهم، لم يكن اكثر خيراً من أن يعرضوا هذه الهموم للتذاكر والتدبر والمناقشة فى مؤتمرهم الكبير العظيم، ومحاولة التوصل الى حل لها فى هذا الجو الروحانى الشفاف.</u>



مشكلات الوطن العربى والاسلامى تزداد على مر الأيام تضخماً ويزيد من تعقدها اتصالها بالمشكلات الأخرى فى



العالم المعاصر. وجوهر هذه المشكلات فى الواقع، متمثل فى موجات الألحاد الكاسحة التى غطت مساحات كبيرة من الأرض، وأخضعت ملايين هائلة من الناس، ومع ذلك فان الألحاد لم يحل مشكلة أصحابه والمنحرفين إليه، بل زادهم بلاء.

كما أنه متمثل فى بعد أصحاب الدين عنه بعداً نتج عنه تعطيل أحكام قدس الله أمرها، وائتمن عباده عليها، وبذلك عم الشك فى قيمة الدين كحل لمشكلات البشر، لأن أصحاب الدين لم يعطوا القدوة من أنفسهم، ولم يقدموا التجربة الحية لتطبيق تعاليمه واحكامه، فتراكمت سحب الأهمال على جوانب الدين، وهذه هى المشكلة الروحية فى عالم اليوم . .

اضافة الى المشكلات ذات الطابع الاقتصادى المتجسمة فى الجوع الذى يداهم البشر، من سوء توزيع الثروات، حيث تتركز منها كميات ضخمة فى مناطق من العالم، على حين يندر وجودها أو ينعدم فى مناطق أخرى، وفى بعض هذه المناطق الأخيرة مسلمون، كما فى الهند وباكستان، وغيرهما من بلاد آسيا وأفريقيا.

مشكلة لا يمكن معـالجتها إلا على أساس إنساني دعا إليه الاسلام، وليس كالحج مناسبة لبحث هذه المشكلات في إطارها الاسلامي، وفي إطارها الانساني، لمحاولة إيجاد حل لها، يواجه الأزمة المتوقعة في شتى أنحاء العالم، فالمشكلة مشكلة حرمان وجوع: جوع مادي، هو خواء البطون، وجوع روحي، هو خراب الضمائر، والصرخات التي تصم الأذان إما صرخات معدة خاوية تطلب طعاماً، وإما صرخات ضمير معذب يطلب إيماناً.

يدكم أنتم أيها المسلمون حل المشكلة الاقتصادية الملحة، على أساس من العدالة التي امتاز بها دينكم، ذلك الدين الذي حض على التعاون ودعا الى التكافل ورغب في العمل، وندبكم إلى الاجتماع من أجل مراجعة النفس، ومناقشة الحساب، كما أن في يدكم حل المشكلة الروحية المتأزمة على أساس من هدى الحيارى الى الايمان بالله، ونشر ما حوى تراث دينكم من علم نافع، وخلق متين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

الحج مناسبة كبيرة تتذاكرون فيها آلام الانسانية، ومشكلات بلادكم الخاصة هنالك شعوب مسلمة مازالت تحت سياط الاستعمار البغيض على ترابه ـ فالصهيونية شردت أصحاب الارض في انحاء الارض، وهذه الشيوعية تسوم أهل الأرض سوء العذاب.

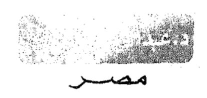
وقد ثبتت أقدام هذا الاستعمار بسبب ابتعادنا عن كتاب الله، وعدم اتباعنا الى ما جاء به رسول الله، وتمزقنا بسبب تفرق كلمتنا، وتمزق وحدتنا، وارتمائنا في أحضان أعداء الله واتباعنا سياسات لا تستهدف نصرة الاسلام ولا تحرير الأرض المقدسة من عصابات اليهود.. وستدوم هذه الحال إذا استمر وضعنا الراهن، من التناحر والفرقة، ومن الانصراف من مجابهة المشكلات الطارئة بالحل الحاسم.

فهل يأذن الله لنا أن نلتقي على خير في هذا الموسم المبارك، فنعرض مشكلة هذا الوطن السليب على جماهير المسلمين وما يعانيه المسلمون المجاهدون ليزدادوا وعياً بما بلغته هذه المشكلة ـ ويقوموا بتغذية هذا الروح المجاهد في سبيل دينه ووطنه بالمال والسلاح ويساعدوهم في مراحل كفاحهم المرير، بما يحققون لهم من نتائج إيجابية، وبما ينتظرونه من معونة إخوانهم المسلمين في شتى البقاع، ضريبة واجبة على كل فرد فيهم، يدفعها عن سخاء وبذل، في انتظار يوم الفصل، ﴿ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾ (سورة الاسراء: ٥١).

■■ تلكم أيها الأخوة دروس مستفادة من الحج، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، وهي دروس تصلح للتأمل في سبيل استخراج ما فيها من خير يتحول عند صدق النيات الى عمل نافع وإحساس بالرضا يملأ نفس المؤمن.

اسأل الله أن يكتب لنا ولكم أداء هذه الفريضة المحكمة، وأن يمتعنا بزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى تتزود قلوبنا إيماناً بالله، ونعيش جوارحنا ساعات جهاد في سبيل الله، وما ذلك على الله بعزيز.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «سئل رسول الله ﴿ﷺ﴾: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله.. قيل: ثم ماذا؟.. قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟.. قال: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه البخاري ومسلم.

العقيـــدة والقيـــم الأخلاقيـــة



مصـــر

لابـد لكـل فرد ولكل إنسان من نسق قيمى يوجه مسيرته فى الحياة ويحدد سلوكياته وينظم أحكامه ويقود تصرفاته.

فالنسق القيمى هو المعيار الذى فى ضوئه تتـم الاختيـارات والتفضيـلات، بل هو المحك الذى نزن به سائر أعمال الانسان، وخط سيره فى الحياة بل هو مرجع أحكامه كلهـا فيـما يصدر عنه من أقوال وأفعال.. وشأن المجتمع فى ذلك شأن الافراد، لابد له من إطار قيمى يحظى بالاحترام والتأييد من غالبيـة افـراده، ليضمن قدرا مشتـركا من التناسق والانسجام فى نسيجه الاجتماعى، وبنيته العـامـة، ومن ثم يحمى نفسـه من الهزات الاجتماعية العنيفة، والاضطرابات التى قد تأتى على بنيانه من الأساس.

وكلما كان هذا الاطـار القيمى مرتكزا على مصـادر قويـة، مصـادر أولـى لها قداستها، وشدة تأثيرها تمتع المجتمع بقدر من التماسـك بين أفـراده، والتجاوب مع اهـدافـه العليـا، لأنهـا حينئذ تلزم الجميع باحترامها وتقديرها.

لكن القيم بعـامـة، أصبحت فى الـوقت الراهن، عرضة لتهديد خطير، مبعثه التحول الاجتماعى السريع القفزات، نتيجة للتطبيقات العلمية المتزايدة على مجالات الحياة المختلفة، وغدت كل صورة من صور المجتمع تفسح الطريق أمام نوع من التهديد لتلك القيم، مما أدى الـى الاضطـراب والتخبـط فى مقيـاس القيمـة ومستوياتها التى تحظى بالقبول والاحترام.

وأصبح إنسـان اليوم ـ نتيجة لهذا التخبط ـ فريسة لنـزاع حاد مع وجوده، ومجتمعه، وعالمه، وعصره، فهو يجد كل ما ورثه من الوان الثقافة والقيم معرضا للامتحان، وكل شىء مما كان يؤمن به يعتوره التغير فى سرعـة تقفـز به فى طفرات لم يعد يسعفه المنطق المعتاد من التنبؤ بها، أوملاحقتها، أو توقعها، مما قد ينشأ عنه نوع من عدم التآلف والترابط بين معتقداته فى نسق موحد، وبين فكره وتصرفه فى طريقة متسقة.



الى واقع مجتمعاتنا العربية والاسلامية لا يعوزه الدليل والبرهان على غياب هذا النسق القيمى بل وغياب الوعى به إن كان ثمة نسق موجود، فقد طفت على سطح الأحداث والسلوكيات أنماط من القيم الغريبة عنا، كانت تنزوى ـ فى الماضى القريب ـ فى قاع السلم القيمى، ولكنها الآن، قد أصبح لها السيادة والتحكم فى جميع المناشط اليومية، وتوارت بالتالى القيم الاسلامية الأصيلة، أو ما تسمى بالقيم المحورية المستمدة من عقيدتنا وتراثنا وثقافتنا، والتى شكلت ـ فى يوم ما ـ أقوى وأعظم أمة عرفها التاريخ.

وعندما اختلطت مفاهيم القيم وتعدد تصنيفاتها ـ بحسب المنظور والأيديولوجيات والفلسفات ـ أصبحنا نرى أنساقا عديدة للقيم، لكل منها أنصاره ومؤيدوه والداعون الى تسييده وتشربه.

والغريب فى الأمر، أننا ـ فى مجتمعاتنا العربية والاسلامية ـ أصبحنا ننظر الى هذه الأنماط القيمية ـ المستوردة ـ نظرة انبهار واحترام، بل تعدى الأمر ببعضنا الى الدعاية لها وترويجها على خطأ فى زعمهم، بأنها النماذج التى حققت التقدم فى مجتمعاتها، وبالتالى فهى كفيلة بتحقيق التقدم فى مجتمعاتنا متغافلين بذلك عن منطق التاريخ والثقافة وحقائق علم الاجتماع.

■■ ولكن الملاحظ على هذه التصنيفات أو الانساق، أنها فى معظمها، إن لم يكن فى جميعها، قد تجاهلت القيم الأخلاقية أو الدينية وإن ذكرت فى بعضها فانما تذكر على استحياء أو لماماً فى عرض الحديث(١).



كان لهؤلاء العلماء والمفكرين مبرراتهم العقلية أو الاجتماعية التى حدت بهم الى الميل نحو هذا التصنيف أو ذاك، فما هو قولنا فى شأن المفكرين الذين ينتمون إلى مجتمعاتنا الاسلامية والعربية، والتى تؤمن برسالات السماء، وتتخذ من الدين الاسلامى شرعة ومنهاجا لحياتها؟ أين القيم الأخلاقية المستمدة من هذا الدين الحنيف ـ من التنظيم الهرمى للقيم؟ وأين مكانتها فى النسق القيمى للمجتمع؟ فى اعتقادى أن القيم جميعها ينبغى أن تكون قيماً أخلاقية فإن مأساة الانسانية اليوم تتمثل فى حاجتها الى هذا النسق القيمى الأخلاقى الذى ينبغى له أن يوجه مسيرة الحياة.. فلا ينبغى أن تشتق هذه القيم الأخلاقية من مصادر هى نفسها مفتقرة الى مصداقيتها فضلا عن الثقة بها.

يقيننا أن المصدر الأكيد الثقة للقيم المحورية التى ينبغى أن تشكل الاطار العام للنسق القيمى فى مجتمعاتنا الاسلامية والعربية، هو العقيدة الاسلامية، كما نستمدها من كتاب الله وسنة رسوله المطهرة فهى وحدها الجديرة بالتقديس والاحترام والالزام لدى جميع المؤمنين بها.

فعقيدة الانسان هى مذهبه، وما يعتقد بصحته كما أنها دلالة على ما بين الايمان والأخلاق من وشائج وصلات، حيث ان استناد الأخلاق الى أصل أولى، ليس من أجل الضرورة فحسب ولا لكى تحتفظ الأحكام الأخلاقية بنقائها، أو قدسيتها فقط، وإنما لأن هذه الاصول موضوع اعتقاد وإيمان، ولا يتسنى قيام أخلاق بدون معتقدات على حد تعبير «سانتهليز» فالايمان يجب أن يسبق العمل، واليقين أساس طمأنينة النفس قبل أن تحدد لنفسها السلوك، فليست الأخلاق مجرد سلوك يمارسه الأفراد، وإنما لا يصدر السلوك إلا عن اعتقاد، فالايمان القلبى هو الذي يحرك الارادة، والارادة تحرك السلوك(٢).

تعنى الايمان بحقيقة معينة إيمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل، أو هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. وما نعنيه هنا هى العقيدة الدينية الصادرة

عن الله الكامل والتى تشبع حاجة الانسان الناقص لهذا الكمال وهو ما نعنى به «حاجة الانسان الفطرية إلى الايمان»(٤).

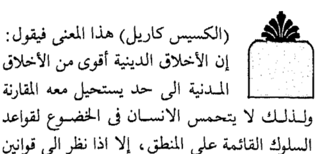
وتلك الحاجة الفطرية الى الايمان توجد فى الانسان منذ مولده، فكل إنسان يولد وبه ايمان فطرى بوجود قوة خفية تسيطر عليه، وعلى الحياة من حوله، هذه القوة يفزع إليها الانسان عند الحاجة، وعند تعرضه للمخاطر، كما أن هذه النزعة (نزعة الايمان بالله) قديمة فى الانسان منذ خلقه، وطبيعته فى نفسه كطبيعة حياته(٥).

■■ فالاقرار بوجود الله - سبحانه وتعالى - والاعتراف به ربا وخالقا، مالكا ومدبرا لكل ما يجرى فى الملكوت ثابت ومقرر حتى من الذين يظهرون الكفر والالحاد، وآية صدق هذا الاقرار، أننا لم نسمع - ولن نسمع - يوما أن عالما، أو مجموعة من العلماء قد ادعوا خلق السموات، أو الأرض أو خلق النجوم أو الكواكب، أو خلق إنسان أو حيوان.. وكل ما ساقوه، وما قالوه من نظريات وأفكار حول بدء خلق الأرض أو السموات أو النجوم والافلاك، أو تطور الانسان فانه لا يزال يفتقر - حتى الآن - الى الأدلة العلمية القاطعة التى تثبت صحة ما زعموه.

يقول: «سيرآثركيث» - محاولا فى عناد إنكار الإله الواحد - إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميا، ولا سبيل الى إثباتها بالبرهان ونحن لا نؤمن بها، إلا أن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الايمان بالخلق الخاص المباشر، وهذا مالايمكن التفكير فيه»(٦).

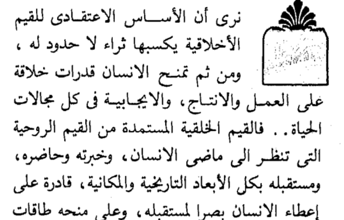
■■ كما أن السائد الآن بين علماء القرن العشرين، أن قوانين العلم التجريبى - مهما بلغت من الدقة - انما هى احتمالية وليست يقينية.

تواترت أقوال المنصفين من علماء الغرب بأهمية العقيدة الدينية فى أخلاق الانسان وقيمه وسلوكه، يقول «فوريل»: إن الايمان يجعل الانسان يعيش ساكنا قويا فى كل الأحوال وفى كل ظروف الحياة، وعن طريق التعليم الدينى يمكن أن يعرف الانسان واجباته والقيام بأدائها(٧).



(الكسيس كاريل) هذا المعنى فيقول: إن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية الى حد يستحيل معه المقارنة ولذلك لا يتحمس الانسان فى الخضوع لقواعد السلوك القائمة على المنطق، إلا اذا نظر الى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية(٨).

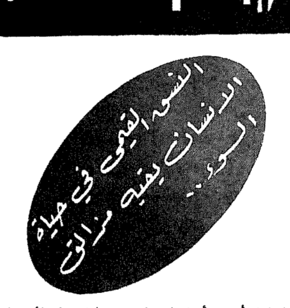
ويرى «بستالونزى» أن حياة الانسان الأدبية ونموه فى الفضيلة يتوقف على إحياء الايمان بالله فى فؤاده(٩).



نرى أن الأساس الاعتقادى للقيم الأخلاقية يكسبها ثراء لا حدود له، ومن ثم تمنح الانسان قدرات خلاقة على العمل والانتاج، والايجابية فى كل مجالات الحياة.. فالقيم الخلقية المستمدة من القيم الروحية التى تنظر الى ماضى الانسان، وخبرته وحاضره، ومستقبله بكل الأبعاد التاريخية والمكانية، قادرة على إعطاء الانسان بصرا لمستقبله، وعلى منحه طاقات للعمل الخلاق فى كل الميادين لا حدود لها(١٠).

وتتضح أهمية الأساس الاعتقادى للقيم الأخلاقية، اذا علمنا بأن الاعتقاد لابد أن يسبق العمل، فلا عمل بدون عقيدة يقوم عليها، ويستمد منها القوة والأصالة حيث لا يتسنى قيام أخلاق بدون معتقدات فالايمان يجب أن يسبق العمل، واليقين أساس طمأنينة النفس قبل أن تحدد لنفسها السلوك الذى تطمئن الى سلامته وصحته.

■■ ولا يقتصر أثر الأساس الاعتقادى فى البناء القيمى الأخلاقى على تهذيب السلوك، وتقويم الأخلاق على المستوى الفردى فحسب، بل يمتد هذا الأثر ليصبح أكثر



ايجابية وأعمق تأثيرا على المستوى الجماعى فى الأمة كلها، فيربط بين قلوب أفراد المجتمع الواحد برباط المحبة والتراحم والبر والتعاون، والاقدام المتبادل، ومراعاة كل فرد من الأفراد حق الآخرين عليه، بمقدار ما يراعى ماله من الحقوق.

ومعيار قوة العقيدة الدينية السماوية يكمن فى قدرتها على تقديم التفسير الصحيح، والمقنع، لكل ما يجهله الانسان من أمور الغيب، وأسرار الكون، التى تستعصى على إدراكه وفهمه.

كما يقاس ثراء العقيدة الدينية، بشمولها واتساعها، ومرونتها فى معالجة قضايا العصر المختلفة، وتقديم الحلول السليمة لكل ما يستجد من مشكلات لدى المؤمنين بها.

ولقد نزلت العقيدة الاسلامية فى الوقت الملائم لنزولها خاتمة لرسالات السماء تكريما للعقل البشرى، واعترافا بنضجه وارتقائه، وتساميا به الى المجددات والمعقولات التى أصبح أهلا لها ووفاء بطموحاته وتطلعاته إلى أرقى مستويات الحياة الانسانية.

وكيفي دليلا على صدق ذلك، أن العقيدة الاسلامية قد صححت مفهوم الألوهية بما ينبغى أن يكون عليه هذا المفهوم من التوحيد الخالص، وتوجيه العبادة الى إله واحد خالق قدير، كما أنها قدمت للانسان تصورا شاملا متكاملا لكل من الكون والحياة والانسان، بما يضمن تحقيق هدف خلافة الانسان فى الأرض.

ويشهد العلامة الفرنسى «جوستاف لوبون» بأن للاسلام وحده كل الفخار بأنه أول دين أدخل الى العالم التوحيد المحض» ثم يضيف قوله: «وتشتق سهولة الاسلام العظيمة من التوحيد الخالص، وفى هذه السهولة سر قوة الاسلام، فالاسلام خال مما نراه فى الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض»(١١).

والاسلام والعبادة

بهذا الانجاز يعدل مسار الانسان الى الطريق المستقيم، إذا ما انحرفت به الأهواء عنه وتكون النتيجة المباشرة غرس معنى العبودية لله فى القلب، وتحرر الوجدان البشرى من عبادة أحد غير الله، أو الخضوع لأية قوة إلا لله سبحانه وتعالى.

ـ كما ينبغى أن نفهمها من الاسلام ـ مفهوم شامل لكل ما يقوم به المرء من عمل أو فكر أو شعور، أو بمعنى آخر، هى منهج حياة يستغرق كل أنشطة الحياة ويشتمل على كل ما يقوم به العبد المؤمن من أقوال وأفعال وأحاسيس وتصرفات.

ولحكمة مقصودة جاء الاسلام بنظام عام للحياة الانسانية حدد فيه سلوك الانسان وأقواله تفصيلا فيما ينبغى تفصيله ومجملا فيما ينبغى إجماله، وقد راعى فى هذا وذاك طبيعة هذا الوجود بوجه عام، وطبيعة

الانسان ـ موضع التكليف ـ بوجه خاص، كما حدد له مركزه فى هذا الوجود ومصيره، وكذلك الأهداف التى ينبغى أن يحققها، وقد ربط فى كل ذلك بين العقيدة، وواقع الانسان ـ المادى والروحى ـ وسلوكه فى هذه الحياة، ومصيره فيما بعد هذه الحياة، كل ذلك بحكمة بالغة، وهدف مقصود.

نظم الحياة الدنيا، وتشريعات مجتمعاتها وقوانين معيشتها ونظم حياتها، لابد وأن تتغير وأن تتطور، وفقا لمتطلبات كل عصر، وانسجاما مع معطيات العلم، كما ينبغى لها أن تكون متمايزة تبعا لاختلاف المواطن، وتغير الظروف والملابسات تلك كانت الحكمة، ومن ثم كان القصد هو «إطلاق العنان للعقل الانسانى المسلم كى يبدع ويخلق ويضيف، ويجدد ويغير فى نظمه الدنيوية، دونما قيد يقيده، اللهم إلا مصلحة الجماعة المسترشدة بالتجربة الانسانية وبالكليات والمقاصد والمثل العليا التى جاء بها الوحى فلسفة للنظم الدنيوية وأطراً لها، لا نظما وقوانين تحدد القوالب وتصنع التفصيلات(١٢).

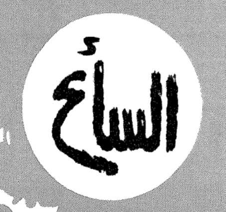
وثراء العقيدة الاسلامية أنها شملت كل قيم الحياة واتسعت لكل ما يراه المجتمع صالحا عبر الزمان وامتداد المكان، فبجانب اهتمامها بالقيم الروحية والمعنوية، لم تنكر القيم الاقتصادية التى يرتكز عليها التقدم المادى للأمم، بل إنها لم تهمل القيم المادية الأخرى التى يزدهر فى ظلها العلم وتساعد الأمة على تحقيق نهضتها ولكنها قد جمعت بين كل هذه القيم وتلك فى إطار من الانسجام والتوافق والاتساق.

خلاصة القول: أن صعود الأمم وهبوطها على سلم الحضارة ـ يتوقف على مقدار ما لديها من تمسك بعقيدة دينية صحيحة، حيث يقرر لنا التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الانسانية، أثر أقوى وأعظم من عامل الدين، وكل ما عداه من العوامل المؤثرة فى حضارة الأمم وحركتها الديناميكية، فإنما تتفاوت فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية من المشابهة فى التمكن من أصالة الشعور وبواطن السريرة.

أهم الهوامش والمراجع

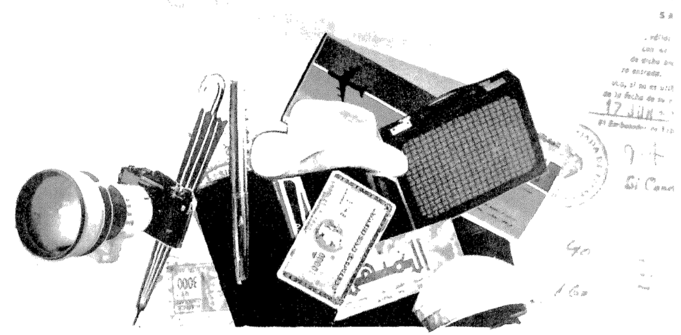
(١) انظر على سبيل المثال، اشهر تصنيف للقيم، وهو تصنيف «سبرانجر» فى كتابه أنماط الرجال، حيث قسمها الى ستة أنماط هى: «القيم النظرية، والاقتصادية، والجمالية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية على الترتيب».
(٢) أحمد محمود صبحى ـ الفلسفة الاخلاقية فى الفكر الاسلامى ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٩م ص٢٧.
(٣) عبد الغنى عبود: العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ـ الكتاب الأول من سلسلة الاسلام وتحديات العصر ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الأولى يونية ١٩٧٦ ص١٨.
(٤) عبد الكريم الخطيب: الله ذاتا وموضوعا ـ دار الكتاب العربى ١٩٧١م ص٩٠.
(٥) عبد الرزاق نوفل: الله والعلم الحديث ـ الناشرون العرب ـ دار الشعب ١٩٧١م ص١٦.
(٦) وحيد الدين خان: الاسلام يتحدى ـ مدخل علمى الى الايمان ـ ترجمة: ظفر الاسلام خان مراجعة وتقديم عبد الصبور شاهين ـ ط٥ ـ المختار الاسلامى ١٩٧٤م ص٤٣.
(٧) أبادير حكيم: التربية الأخلاقية ـ مطبعة اليقظة ـ القاهرة ١٩٢٢م ص١٤.
(٨) الكسيس كاريل: تأملات فى سلوك الانسان ـ الحضارة الحديثة فى الميزان ـ ترجمة محمد محمد القصاص ـ مراجعة: محمود قاسم ـ القاهرة ـ مكتبة مصر ـ د. ت ص١٤٠.
(٩) أبادير حكيم: المرجع السابق ص١١٩.
(١٠) محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٠م ص٤٠٤.
(١١) جوستاف لوبون: حضارة العرب ـ ترجمة: عادل زعيتر ط٣ ـ دار المعارف بالقاهرة د. ت ص١٥٨.
(١٢) محمد عمارة: الاسلام والمستقبل ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص٣٦.

المجلة الأولى



العدد السابع والثلاثون - ذو الحجة ١٤٠٨هـ

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد





مجمع اللغة العربية الأردني

اللغة العربية هذا اللسان الخالد الذى اختاره الحق سبحانه لقرآنه الكريم تزداد الحاجة فى الحفاظ عليها بحسن تعلمها واهتمام أهلها بها وصونها مما يراد بها من إضعاف وإبعاد من مجال الحياة والعلم.. ومجامع اللغة العربية فى وطننا العربى ومن يقومون عليها من العلماء الأجلاء تتضاعف عليهم المسؤولية فى تجلية ما ران على هذه اللغة الجميلة من صدأ. وجلة (السائح) يسعدها أن تقدم هذا الاستطلاع عن مجمع اللغة العربية الاردنى أحد المعالم الشامخة فى ميدان العربية. وفى هذا المجال أيضا يقدم لنا السائح رافداً آخر من روافد العطاء العلمى وهو معهد المخطوطات العربية نتعرف من خلاله على شىء من هذا التراث الخالد فى مخطوطاتنا العربية.

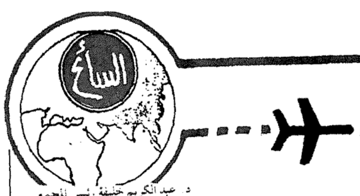


رئيس مجمع اللغة
العربية الأردني

تعود فكرة انشاء مجمع اللغة العربية الاردنى الى السنوات الأولى من تأسيس امارة شرقى الأردن. فقد نشرت مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق فى كانون الثانى ١٩٢٤م فى الجزء الأول من المجلد الرابع على صفحتها السادسة والأربعين تحت عنوان: «مجمع علمى فى شرق الأردن» ما نصه:

«جاءتنا نشرة مآلها أن سمو الامير عبد الله أصدر أمره بتأسيس مجمع علمى فى عمان، عاصمة شرق الأردن العربى، وانتخب رئيساً له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمى، وكيل الشؤون الشرعية، وأما أعضاؤه فهم العلماء رضا توفيق بك الفيلسوف التركى المشهور والشيخ مصطفى الغلايينى ورصيفنا رشيد بك بقدونسى ومحمد بك الشريفى مدير جريدة (الشرق العربى) المنشأة فى تلك البقعة منذ زمن قريب. وعلمنا أنه انتخب أعضاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكى باشا ورئيس مجمعنا السيد محمد كرد على والشيخ عباس الأزهرى والأب أنستانس الكرملى والسيد اسعاف النشاشيبى. وفى تلك النشرة أن المجمع سيعنى باحياء اللغة العربية ونشر المدارس والقاء المحاضرات وانشاء دار كتب واصدار مجلة شهرية.. فنرحب بهذا الرصيف الجديد».

ولكن مع الأسف لم يقدر لهذا المجمع الحياة وذلك لقلة المال والرجال ـ على حد تعبير المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد على ـ.



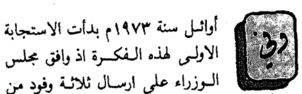
من منشورات المجمع

د. عبد الكريم خليفة رئيس المجمع

سنة ١٩٦١م أنشئت فى وزارة التربية والتعليم بعمان اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، استجابة لأحدى توصيات مؤتمر التعريب الأول الذى عقد فى الرباط فى شهر نيسان من العام ذاته. وكان أول رئيس لهذه اللجنة المرحوم الأستاذ قدرى طوقان وكان شرف لكاتب هذه السطور أن يكون عضوا فيها منذ تأسيسها. وعقدت اللجنة اجتماعها الأول فى مدينة نابلس فى بيت المرحوم الاستاذ قدرى طوقان. ثم توالت اجتماعات اللجنة. وعلى الرغم من الظروف المادية الصعبة فقد قامت هذه اللجنة بأعمال كانت موضع التنويه ولا سيما من الاخوة فى مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

كانت فكرة انشاء مجمع للغة العربية قد اصطدمت بالصعاب والعقبات، ولكنها كانت تتراجع حتى تعود من جديد الى الظهور والى الالحاح.

أوائل سنة ١٩٧٣م بدأت الاستجابة الاولى لهذه الفكرة اذ وافق مجلس الوزراء على ارسال ثلاثة وفود من أعضاء اللجنة لزيارة مجامع دمشق والقاهرة وبغداد، للتعارف، ولدراسة أعمال هذه المجامع وأنظمتها وأساليب العمل فيها والاطلاع على أجهزتها العاملة، والتعرف عن كثب على آراء أعضائها والافادة من تجاربهم الخصبة وكان من نصيبى زيارة





مجمع بغداد بصحبة الزميل الدكتور محمود ابراهيم، ورحب بنا الاخوة فى المجمع العلمى العراقى أجمل ترحيب، وأفدنا من تجاربهم وآرائهم السديدة. وهنا أجد من الواجب علىّ أن أذكر بالتقدير والاحترام موقف رئيس المجمع المرحوم الاستاذ عبد الرزاق محيى الدين فى دعمه للمجمع الاردنى بما كان يبديه من آراء سديدة، منذ كان فكرة حتى زارنا وشارك فى أعمال مجمعه بعمان مشاركة أصيلة رحمه الله رحمة واسعة.

عادت الوفود الثلاثة الى عمان وقد لاقت جميعها الترحاب الكريم فى المجامع الشقيقة وجمعت آراء هذه الوفود وصيغ منها تقرير مفصل كان له الأثر الكبير فى ارساء القواعد الأساسية التى قام عليها المجمع فى الأردن.



أواخر عام ١٩٧٣م وافق مجلس الوزراء الأردنى بصورة مبدئية على طلب وزير التربية والتعليم تأسيس المجمع. فبدأت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر بوضع مشروع نظام للمجمع وجرت مناقشته أكثر من مرة قبل أن يرفع الى مجلس الوزراء.. وأعيدت صياغته فى ديوان التشريع ليخرج بشكل «قانون» بدلاً من النظام فصدر قانون مجمع اللغة العربية الاردنى - قانون مؤقت رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م (صادر فى عدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١٩٧٦/٧/١م.

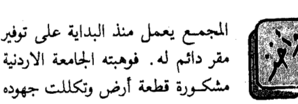


هذا القانون على أن يؤسس فى المملكة الأردنية الهاشمية مجمع يسمى «مجمع اللغة العربية الأردنى» يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالى وادارى، وعلى أن تتولى اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر أعمال مجلس المجمع والمكتب التنفيذى لمدة ثلاثة شهور. ويقوم وزير التربية فى أثناء هذه المدة بتنسيب خمسة أشخاص الى مجلس الوزراء لتعيينهم أعضاء عاملين فى المجمع، ويعتبر هؤلاء الخمسة نواة لمجلس المجمع، والمكتب التنفيذى الأول له، على أن يقترن قرار المجلس بالارادة الملكية السامية ويعين أحدهم رئيساً وفقاً لأحكام هذا القانون. وكان شرف كبير لكاتب هذه السطور أن يكون رئيساً لهذا المجمع.

وبدأ المجمع يزاول أعماله بصورة رسمية منذ اليوم الأول من شهر تشرين الاول سنة ١٩٧٦م بعد أن انتهى عمل اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر.



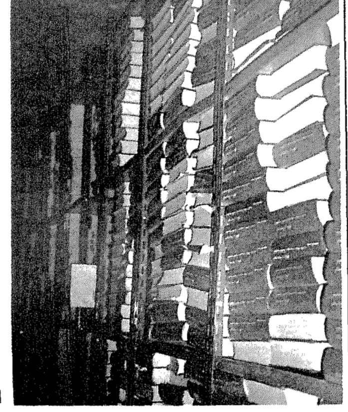
تمت الخطوات التأسيسية الاولى للمجمع. ولكى يستطيع المجمع مباشرة أعماله حولت المخصصات المتوافرة لدى لجنة التعريب والترجمة والنشر فى موازنة وزارة التربية والتعليم الى حساب المجمع. وكان مقدارها حوالى أربعة عشر ألف دينار.. ثم جاءت موازنة سنة ١٩٧٧م، فقدمت الحكومة للمجمع مبلغاً وقدره واحد وستون ألف دينار تسلمها المجمع من وزارة المالية على أربعة أقساط خلال العام.



المجمع يعمل منذ البداية على توفير مقر دائم له. فوهبته الجامعة الاردنية مشكورة قطعة أرض وتكللت جهوده بالنجاح فى انشاء مقره الدائم وقد تم الانتقال اليه بتاريخ ١٩٨٠/٦/١م وقبل أن يعد «البناء اعداداً نهائياً».. ونحن نعتقد أن المجمع ضرورة وطنية وقومية تقتضيها حاجة أمتنا العربية فى ظروف تخلفها العلمى



ـ مخازن الكتب فى المجمع



الراهن، ويقتضيها الحرص على سلامة اللغة العربية، وعلى تطويرها لتساير روح العصر ولا سيما بعد أن عادت الآن لغة عالمية رسمية ودخلت الى أروقة هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة.

وقد تحددت أهداف المجمع الاردنى ووسائله لتحقيقها وكانت هى ذاتها التى قامت لأجلها المجامع اللغوية العربية الأخرى. فأوجزها قانون المجمع رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م فيما يلى:

المادة (٤): يعمل المجمع على تحقيق الأهداف التالية:

[أ] ـ الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة.

[ب] ـ توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون ووضع المعاجم والمشاركة فى ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها.

[ج] احياء التراث العربى والاسلامى فى العلوم والآداب والفنون.

المادة (٥): تحقيقا للغايات المقصودة من هذا القانون يقوم المجمع بما يلى:

[أ] ـ الدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية.

[ب] ـ تشجيع التأليف والترجمة والنشر واجراء المسابقات لذلك، وانشاء مكتبة للمجمع.

[ج] ـ ترجمة الروائع العالمية ونشر الكتب المترجمة الى العربية ومنها.

[د]ـ عقد المؤتمرات اللغوية فى المملكة وخارجها واقامة المواسم والندوات الثقافية.

[هـ] ـ نشر المصطلحات الجديدة التى يتم توحيدها فى اللغة العربية بمختلف وسائل الاعلام وتعميمها على أجهزة الدولة.

[و] ـ اصدار مجلة دورية تعرف باسم: «مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى».

ويتألف المجمع كما ينص عليه قانونه من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين وأعضاء شرف ويشترط فى العضو العامل أن يكون أردنيا وعمره ما بين ثلاثين سنة وسبعين وأن تكون له كتب منشورة فى أحد فروع العلم والمعرفة، أو بحوث وترجمات معروفة وتصدر بتعيينه ارادة ملكية سامية.

ومثله أيضا العضو المؤازر الا أنه يستثنى من شرط الجنسية الأردنية ولا تصدر ارادة ملكية سامية بتعيينه بل يكتفى بقرار مجلس المجمع.

وأما عضوية الشرف فتمنح بقرار من وزير التربية والتعليم، بناء على تنسيب المكتب التنفيذى للمجمع لمن يقوم بخدمات جليلة للدراسات العربية أو للعضو العامل فى المجمع عند بلوغه السبعين من



العمر أو حين يصبح غير قادر على المشاركة فى أعمال المجمع.

ويحصر قانون المجمع عدد الأعضاء العاملين بما لا يزيد عن عشرين عضوا وأما الاعضاء المؤازرون فعددهم مفتوح وكذلك أعضاء الشرف.

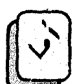
ويبلغ الآن عدد الأعضاء العاملين فى المجمع أربعة عشر عضوا وأصبح عدد أعضاء الشرف فيه أربعة وعشرين عضوا وأما الاعضاء المؤازرون فيه فقد بلغ عددهم واحداً وستين عضوا.

حرص المجمع الأردنى على أن يجعل من نفسه نافذة مفتوحة على النهضة الثقافية والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى بعامة وفى الأردن بخاصة. وهو فى ذلك كله يصدر عن فلسفة محددة أستطيع أن أجملها بقضيتين أساسيتين.

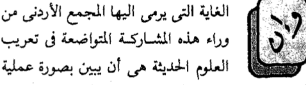
الأولى: ايمانه بوجوب وجود مجمع واحد للغة العربية لغة القرآن الكريم ترفده جميع الأقطار العربية بحصيلة جهود علمائها ولغوييها ويسعدنا فى المجمع الأردنى أن نكون لجنة فى هذا المجمع العتيد.

وأما القضية الأخرى، فهى الاجابة على السؤال الكبير الذى حان الوقت لكى تطرحه مجامعنا اللغوية وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية، وهو: كيف يمكن أن تصبح لغتنا العربية لغة التدريس فى جميع مراحل التعليم وبخاصة فى التعليم العالى والجامعى وكيف يمكن أن تكون العربية لغة البحث العلمى والدوريات العلمية.

بالنسبة للقطعة الاولى فقد انضم المجمع الى اتحاد المجامع اللغوية العربية سنة ١٩٧٧م أى بعد انشائه بسنة تقريبا وقد رحبت المجامع العربية الثلاثة بقيام المجمع الأردنى كل الترحيب وأصبح عضوا فى اتحاد المجامع والأمل يراوده ان شاء الله أن يتطور هذا الاتحاد كى يصبح مجمعا واحدا. فان الضرورة القومية والعلمية تقتضى بأن تكون هنالك لغة واحدة فى الوطن العربى.



فيما يتعلق بالقضية الأخرى، فقد رأى المجمع الاردنى بأن يخرج من حيز الجدل والمناقشات حول صلاحية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب العلوم الحديثة الى حيز التطبيق العملى. فأخذ على عاتقه تنفيذ مشروع محدد ضمن امكانات مادية ضيقة ومحدودة جدا. فقرر أن يعرب الكتب العلمية التى تدرس فى كلية العلوم واختار كلية العلوم لأنها هى الكلية الأم التى تنشأ حولها الكليات العلمية المهنية الأخرى قبل كليات الطب والهندسة والتمريض والزراعة والصيدلة.. فكون لجانا من الاساتذة المتخصصين لاختيار الكتب العلمية فى حقول الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة (البيولوجيا) وطبقات الأرض (الجيولوجيا) فاختارت أحدث الكتب العلمية وأرقاها مستوى.. وأخبر المجمع جميع الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالى فى الوطن العربى عن عزمه على ترجمة هذه الكتب حتى اذا كانت هنالك جهة من الجهات تقوم بترجمة أى كتاب منها فيمكن أن تتحول الى كتاب آخر وذلك من أجل التنسيق وعدم تكرار الجهد.



الغاية التى يرمى اليها المجمع الأردنى من وراء هذه المشاركة المتواضعة فى تعريب العلوم الحديثة هى أن يبين بصورة عملية أن هذا الطريق على صعوبته ممكن اذا توافرت الارادة الطيبة.

ومن انجازات مجمع اللغة العربية الاردنى:

[أولا]: حرص المجمع منذ انشائه على أن يصدر مجلته

قاعة مجلس المجمع

بشكل منتظم وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة وثلاثون عدداً وهى مجلة متخصصة تهتم بالبحوث المتعلقة بتراثنا اللغوى والأدبى والعلمى، وتصدر مرتين فى السنة.

[ثانيا]: معالجة أسباب ضعف العرب فى اللغة العربية وفى سبيل تحقيق هذا الهدف قام المجمع بما يلى:

١ ـ عقد لقاءات مع المسؤولين فى وزارة التربية والتعليم الأردنية من أجل بحث الوسائل الكفيلة بمعالجة الضعف عند الطلبة فى اللغة العربية.

٢ ـ حث السلطات الرسمية على الغاء التسميات الأجنبية للمؤسسات والشركات الاردنية والمحال التجارية واستبدال التسميات العربية بها.

٣ ـ التوصية بعقد دورات منتظمة للمذيعين والمنتجين فى وزارة الأعلام يشارك فيها المجمع لمعالجة الضعف فى لغة وسائل الأعلام.

٤ ـ عقد اتحاد المجامع اللغوية والعلمية ندوته الرابعة فى مجمع اللغة العربية الاردنى من ١٠/٣١ الى ١٩٧٨/١١/٣م وكان موضوعها «تعليم اللغة العربية خلال ربع القرن الأخير» ومن خلال هذا الموضوع عولج موضوع «ضعف العرب فى اللغة العربية» بعدد من البحوث واتخذ بشأنه عدد من التوصيات والمقررات التى خرجت بها الندوة.

٥ ـ ورأى المجمع فى معالجة جميع هذه القضايا التى تخص اللغة العربية وسيادتها فى وطنها أنه لابد من تشريع تسنه الدولة فى أعلى أجهزتها التشريعية فتقدم بمشروع «قانون اللغة العربية» الى المجلس الاستشارى سابقا والى المجلس النيابى فى الوقت الحاضر، وما يزال يأمل أن يجد هذا التشريع المهم، طريقه فى الاجازة والتنفيذ.

[ثالثا]: احياء التراث العربى الاسلامى ونشر فهارس المخطوطات:

صدر عن المجمع فى هذا المجال:

١ ـ ***كتاب رسائل أبى العلاء المعرى فى ثلاثة أجزاء تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه.***

٢ ـ ***كتاب المقنع فى الفلاحة لابن حجاج الأشبيلى تحقيق الدكتور جاسر أبو صفية والدكتور صلاح جرار واشراف الدكتور عبد العزيز الدورى. عمان ١٩٨٢م.***

٣ ـ ***مخطوطات فضائل بيت المقدس ـ الدكتور كامل العسلى ١٩٨١م.***

٤ ـ ***فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية فى عكا، محمود على عطا الله ١٩٨٣م.***

٥ ـ ***فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسى فى نابلس ١٩٨٣م،***



٦ - فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمى فى الخليل ١٩٨٣م
٧ - فهرس مخطوطات المكتبة الاسلامية فى يافا ١٩٨٤م.

[رابعا]: تعريب المصطلحات الأجنبية:

صدر عن المجمع فى هذا المجال المنشورات التالية:

١ - تعريب رموز وحدات النظام الدولى ومصطلحاتها.
٢ - مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف.
٣ - مصطلحات الأرصاد الجوية.
٤ - مصطلحات الزراعة.
٥ - مصطلحات سلاح الجو.
٦ - مصطلحات سلاح المشاة.
٧ - مصطلحات سلاح الصيانة.
٨ - مصطلحات سلاح التموين والنقل.

[خامسا]: تعريب التعليم العلمى الجامعى:

صدر عن المجمع فى هذا المجال الكتب العلمية المترجمة التالية:

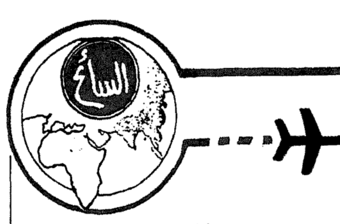
١ - التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية تأليف سووكوفسكى ترجمة عدد من الاساتذة الجزء الاول.
٢ - التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية - الجزء الثانى.
٣ - الفيزياء الكلاسيكية والحديثة - تأليف كينث فورد، ترجمة همام غصيب، وعيسى شاهين - الجزء الاول.
٤ - الكيمياء العامة، تأليف فريدريك لونغو، ترجمة عدد من الاساتذة.
٥ - البيولوجيا، تأليف غولدسبى، ترجمة عدد من الاساتذة - الجزء الأول.
٦ - البيولوجيا، الجزء الثانى، ترجمة عدد من الاساتذة.
٧ - الجيولوجيا، تأليف فوستر، ترجمة عدد من الاساتذة.
٨ - الجبر المجرد، تأليف ديفدسون وجوليف، ترجمة ديب حسين.
٩ - مقدمة للتكوين الجنينى، تأليف ستيفن أو بنهايمر، ترجمة رمسيس لطفى.
١٠ - مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة، تأليف مايرآرندت، ترجمة عمر الشيخ.
١١ - الكيمياء غير العضوية - الأول - تأليف ج أى هيوهى، ترجمة حمد الله الهودلى، ومنار الفياض.
١٢ - الكيمياء غير العضوية - الثانى - تأليف ج أى هيوهى، ترجمة حمد الله الهودلى، ومنار الفياض.
١٣ - الكيمياء التحليلية: تأليف بيترزنك وفرانك - ترجمة عبد اللطيف جابر وسليمان سعسع.
١٤ - المعادلات التفاضلية: تأليف ديريك وغراسمان، ترجمة أحمد سعيدان.
١٥ - مبادىء التحليل الرياضى - تأليف أى جى ماووكس، ترجمة وليد ديب.
١٦ - مشروع مجمع اللغة العربية الأردنى للرموز العلمية العربية.

[سادسا]: الندوات والمحاضرات.

شارك المجمع فى عدد مهم من المؤتمرات والندوات داخل المملكة الأردنية الهاشمية وخارجها.

[سابعا]: المواسم الثقافية:

يقيم المجمع موسما ثقافيا سنويا منذ استقراره فى مبناه الدائم، يدعو اليه أساتذة اجلاء من خارج الاردن وداخله، يحاضرون فى موضوعات علمية وأدبية ولغوية والمجمع يحرص على أن ينشر المحاضرات والندوات التى يقيمها فى كل موسم فى كتاب خاص من أجل تعميم فائدتها. وقد صدر فى



هذا المجال كتاب الموسم الثقافى الاول لعام ١٩٨٣ وصدر كتاب الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربية الاردنى لعام ١٩٨٤م وكتاب الموسم الثقافى الثالث لعام ١٩٨٥م وما تلته من مواسم.

وكانت أغلب موضوعات الموسم الثقافى الأول تتعلق بالتراث العربى الاسلامى ومنها:

١ ـ تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى.

ندوة شارك فيها الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه، رئيس المجمع والاستاذ الدكتور اسحق الفرحان والدكتور همام غصيب.

٢ ـ مساهمة المغرب فى بناء الحضارة الاسلامية للاستاذ عبد الله كنون.

٣ ـ تصنيف العلوم عند العرب للاستاذ الدكتور احسان عباس.

٤ ـ تجربتى مع التراث العربى، للاستاذ عبد السلام هارون.

٥ ـ اللغة العربية فى مواكبة النهضة الحديثة ـ ندوة شارك فيها الاستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد والاستاذ الدكتور محمود ابراهيم والاستاذ عبد الرحمن بشناق.

٦ ـ مجتمعنا والحضارة المعاصرة لسماحة الاستاذ الشيخ المرحوم ابراهيم القطان.

٧ ـ المعاجم العربية القديمة للاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائى.

٨ ـ حول المعجم العربى الحديث للاستاذ احمد شفيق الخطيب.

٩ ـ المعجم العربى والتعريب للاستاذ حسن الكرمى.

اما الموسم الثقافى الثانى فقد تضمن الموضوعات التالية:

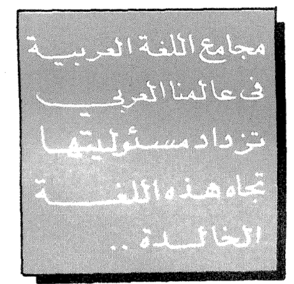
١ ـ تجارب فى التعريب للدكتور محمود الجليلى.

٢ ـ محاولات تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا، للدكتور شوقى ضيف.

٣ ـ تعريب العلوم الطبية، للدكتور محمد هيثم الخياط.

٤ ـ تكنولوجيا اللغة والتراث العربى اللغوى الأصيل، للدكتور عبد الرحمن صالح.

٥ ـ ندوة دور المجامع اللغوية فى الحياة العلمية العربية المعاصرة، شارك فيها الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه، رئيس المجمع والاستاذ الدكتور اسحق الفرحان والاستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان.



اما الموسم الثقافى الثالث فقد تضمن الموضوعات التالية:

١ ـ علم الفلك عند العرب للدكتور عبد الرحيم بدر.

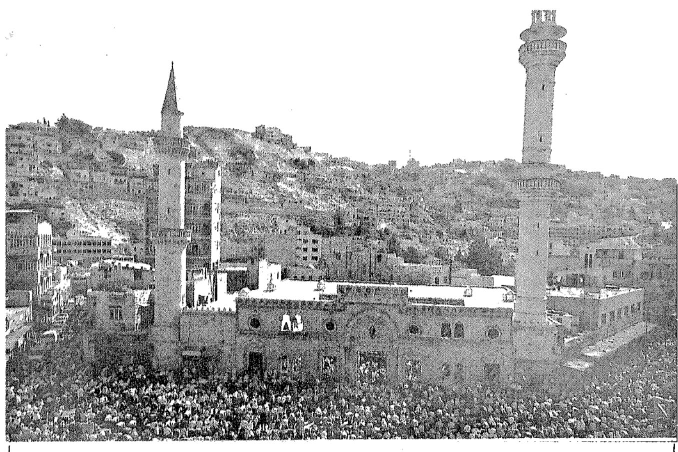
٢ ـ العمارة الاسلامية وتخطيط المدن للدكتور المهندس رزق شعبان.

٣ ـ الرياضيات عند العرب للدكتور احمد سعيدان.

٤ ـ بين العبادى والرازى فى تاريخ تراث العلوم الطبية ومصطلحاتها، للدكتور سامى خلف حمارنه.

٥ ـ دور التراث العلمى فى نهضتنا الحديثة. ندوة شارك فيها الدكتور عبد الكريم خليفه، رئيس المجمع والدكتور عبد المجيد نصير والدكتور عادل جرار.



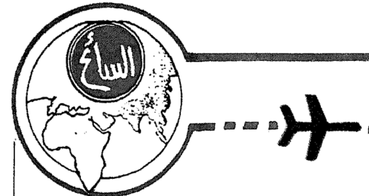


عمان : الجامع الحسينى الكبير.

[ثامنا]: مكتبة المجمع :

لدى المجمع مكتبة متخصصة تضم أمهات المصادر والمراجع فى التراث العربى والاسلامى وتبلغ محتوياتها من الكتب نحو عشرة الاف وخمسمائة كتاب، أما فيما يتعلق بالمخطوطات فلدى مكتبة المجمع غرفة حصينة أنشئت خصيصا وألحقت بالمكتبة من أجل حفظ المخطوطات النادرة والمهمة وهى الآن فى طور الاعداد وسينتهى العمل فيها قريبا، ثم يقوم المجمع بجمع ما يراه ضروريا ومناسبا لتحقيق أهدافه من المخطوطات الاصلية والمصورة وقد تشكلت لجنة من أعضاء المجمع تدعى (لجنة المخطوطات) لهذا الغرض.

هذه النظرة الشاملة لمجمعنا الفتى وانجازاته المتواضعة، من خلال امكانات مادية محدودة وضيقة وقد لا تتعدى كثيرا المبلغ الذى أشرنا اليه فى موازنة السنة الأولى أود أن أشير الى موضوعين هامين:
أما الاول فهو مشروع مجمع اللغة العربية الأردنى للرموز العلمية وقد كان هذا المشروع ثمرة جهد متواصل لجماعة من زملائنا الخبراء المتخصصين بالرياضيات والفيزياء والكيمياء برئاسة الزميل الجليل الأستاذ الدكتور احمد سعيدان عميد كلية العلوم سابقا. واستغرق من الوقت حوالى ثلاث سنوات.. وهو على حد ما نعلم أول مشروع متكامل للرموز العلمية باللغة العربية. وقد قرر مجلس اتحاد المجامع اللغوية عقد ندوة خاصة لمناقشة هذا المشروع فى مجمع اللغة العربية الأردنى فى نيسان سنة ١٩٨٦. وقد صدر بالفعل



هذا المشروع بكتاب من منشورات المجمع ووزع على جميع الجامعات والمؤسسات العلمية فى الوطن العربى لموافاتنا بملاحظاتهم فضلا عن أن اتحاد المجامع قد كلف عددا من الأساتذة الخبراء دراسة هذا المشروع توطئة لمناقشته فى الندوة المخصصة لهذا المشروع .

وأما الموضوع الآخر فقد تمخض عنه مؤتمر التعريب الخامس الذى كان لمجمع اللغة العربية الأردنى شرف استضافته وابتدأ هذا المؤتمر العتيد من يوم السبت ١٩٨٥/٩/٢١م حتى مساء الاربعاء ١٩٨٥/٩/٢٥م فى عمل متواصل وأضفى الشرعية على معجمات مهمة تحتوى على حوالى خمسين ألف مصطلح بعد أن أعدت خلال الأعوام الأربعة السابقة والقيت فيه ابحاث مهمة تدور جميعها حول تعريب العلوم . . وصدرت عدة توصيات ومن أهمها :

١ ـ ان اللغة العربية مقوم رئيس من مقومات وجود الأمة العربية وكل ضعف أو اضعاف يصيب اللغة العربية هو خطر يتهدد الكيان العربى ووجوده . .

٢ ـ ان تأصيل العلوم لا يكون الا بلغتها ولذلك فان لحاق الوطن العربى بالحضارة العالمية المعاصرة ومواكبته لها ومشاركته فيها يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس فى جميع مراحل التعليم واعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك .

٣ ـ ان تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها فى مرحلة تعليمية دون مرحلة وانما يجب أن يساير مراحل التعليم كلها منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمى بحيث يتيسر لأبناء هذه الامة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويعها وتطويرها .

٤ ـ ان اللغة العربية قد دللت فى مختلف مراحل تاريخها المديد وبحكم خصائصها أنها لغة حضارة ذات أبعاد انسانية وعالمية وهى بهذا قادرة كليا على أن تكون لغة العلم الحديث تدريسا وتأليفا وبحثا وتوليدا للمصطلح .

٥ ـ ان ما يهدف اليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمى وتطبيق هذا المصطلح واستعماله وتداوله فى كل مجالات حياتنا أداء وابلاغا .

٦ ـ ويعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الفعلى الذى حققه التعريب حتى الآن فى الوطن العربى وهم اذ يقدرون ما أسهم به العلماء والاختصاصيون العرب وما قدموا من جهود كبيرة فى تعريب فروع كثيرة من فروع المعرفة والعلم، فانهم يؤكدون مرة أخرى على أن جهودهم لا تؤتى ثمراتها كاملة اذا لم تتخذ الأمة العربية قرارها ومن أعلى مستويات المسؤولية بالزام تداول واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربى كله وفى الوقت نفسه بالزام مؤسسات التعليم العربية كلها بأن يكون التعليم فيها تأليفا وتدريسا وبحثا باللغة العربية .

ونحن فى مجمع اللغة العربية الأردنى لنتطلع الى التعاون الوثيق مع اشقائنا وزملائنا فى الوطن العربى من أجل توطيد دعائم العربية لغة القرآن الكريم، لغة العروبة والاسلام واعلاء شأنها كى تستعيد سيادتها فى أوطانها وقد أقصيت عن مواقعها الطبيعية فى أكثر الجامعات العربية وفى الكليات العلمية والمهنية كالطب والهندسة والصيدلة . . وغيرها على الخصوص لأسباب لا علاقة لها ـ والحق يقال ـ باللغة العربية من حيث هى لغة ولكنها مرتبطة بسياسات القهر والهيمنة التى تمارسها الدول الأجنبية على أمتنا العربية فى تاريخها المعاصر .



لقد خلد علماء المسلمين تراثاً علميا وأدبياً وثقافياً له وزنه العلمى وقيمته الأدبية فى مجالات بحثه ودراساته منه ما هو مخطوط وما قد تم طبعه فعلا والمخطوط منه كثير وموزع هنا وهناك بين المكتبات الخاصة ومكتبات المؤسسات والهيئات العلمية الكبرى والجامعات مما يلزم معه مضاعفة الجهد من أجل حصره وجمعه وترتيبه ثم محاولة تحقيقه وطبعه ونشره لتعم به الفائدة وينتفع به الدارسون والباحثون . .

ومن أجل هذه الغاية كان انشاء وتأسيس معهد المخطوطات العربية منذ عام ١٩٤٦ . . حيث انشىء فى القاهرة ثم تحولت إدارته الى تونس بعد نقل مقر جامعة الدول العربية اليها . . ثم استقر اخيراً فى الكويت .

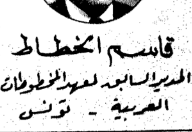
وهذا الاستطلاع عن معهد المخطوطات العربية لعله يعطى القارىء الكريم لمحة سريعة عن هذا المعهد العريق على ما قام به من انجازات وما تحتضنه خطة عمله المستقبلية من برامج تتعلق بهذا التراث الخالد .

معهد المخطوطات العربية

بقلم

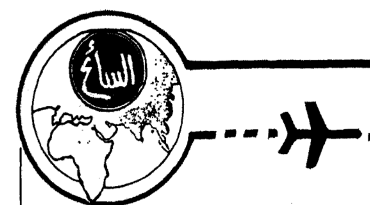


قاسم الخطاط
المدير السابق لمعهد المخطوطات العربية - تونس



١ - من مطبوعات المعهد





[انشـاء المعهد]:

بعد سنـة واحـدة من قيـام جامعـة الدول العـربيـة، وفى ١٩٤٦/٤/٤ أصـدر مجلس جامعـة الـدول العـربيـة قراراً بانشاء معهد المخطوطات العربية، وكان هذا من اهم الانجـازات التى حققتهـا جامعـة الـدول العـربية واكثـرهـا نفعـاً للعرب والمسلمين، وللعلماء المعنيين بالدراسات العربية والاسلامية فى العالم كله.

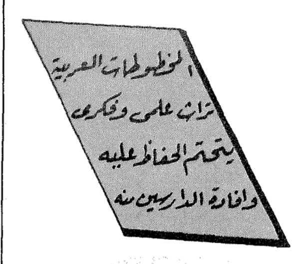
[التراث الضخم]:

والتراث العربى من الضخامة والتنوع بحيث لا يقـاس به تراث أيـة امـة أخـرى عبر التاريخ الانسانى المعروف، وهو مبعثر فى اقطار الدنيا، فى مكتبات عامة وخاصة، وما زال الشطـر الاكـبر منـه مجهـولا لوجوده فى مكتبات غير مفهـرسـة أو فى امـاكن غير معـروفـة وامـام بعثـرة المخطـوطـات العـربيـة والجهـل بمظـانهـا، تبقى الدراسات المتعلقة بنواحى الحضارة العربية ناقصة.

[أهداف المعهد]:

وهذا هو الذى جعل جامعة الدول العربية تفكـر فى انشاء هذا المعهد حتى يقوم بجـمـع اكـبر عدد ممكـن من صور المخطوطات القيمة النادرة المبعثرة فى العالم، ويضعها فى متنـاول العلماء فى مختلف اقطـار العالم للاطلاع عليها فى المعهد او تزويدهم بصور مصغرة او مكبرة لها.

ويتـولى فهـرسة المكتبات العامة والخاصة التى تحوى مخطـوطـات غير مفهـرسـة ويعمل على نشر

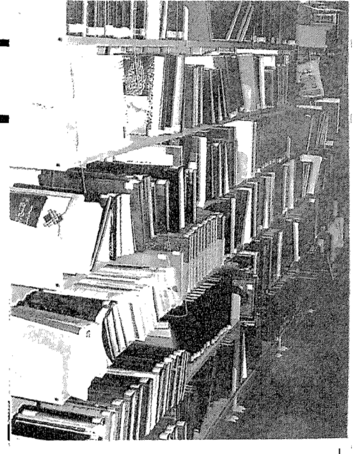


المخطوطات ذات الشأن الكبير، ويقوم باصدار نشرة دوريـة متخصصة تعنى بالمخطوطات والتعريف بها وبما يتم تحقيقه ونشره منها فى مختلف انحاء العالم، وما يجرى العمل فى تحقيقه.

ويكون هذا المعهد مركزاً علمياً يعمل على تحقيق التعـاون بين العلماء والمؤسسات العلمية فى العالم، للبحث عن المخطوطات العربية والتعريف بها وتبادل المعلومات عنها.

[المجلس الاعلى للمعهد]

فى ١٩٥٦/١/٢٣م أصـدر الاستاذ عبد الخـالق حسـونـة الامين العام لجامعة الـدول العـربية قرارا بانشاء المجلس الاعلى لمعهد المخطوطات من مجموعة من كبار العلماء فى العالم العربى. وقد اجتمع هذا المجلس، وانتخب اعضـاؤه عميـد الادب العربى الدكتور طه حسين رئيسـاً له ووضـع المجلس نظـامـه الداخلى والمالى بتاريخ ١٩٥٦/٣/٣١م.



٢ ـ جانب من مكتبة المعهد

[بعثات المعهد لتصوير المخطوطات]

بدأت أعمال المعهد التمهيدية عند انشائه بوضع بطاقات للمخطوطات التى ينبغى ان تصدر وقد عهد الى علماء مختصين وضع تلك البطاقات، كل حسب اختصاصه رجعوا فى ذلك الى تاريخ الادب العربى لبروكلمان، وانتقوا منه.

وارسلت أول بعثة الى سورية ولبنان لوضع بطاقات للمخطوطات فى مكتباتها العامة والخاصة غير المفهرسة، وهكذا تجمعت لدى المعهد آلاف البطاقات.

[انطلاق البعثات]

وفى عام ١٩٤٧م ارسل المعهد أول بعثة الى سورية وفى العام نفسه بدأ تصوير المخطوطات من مكتبات القاهرة.

وارسل بعثة الى استانبول صورت حوالى ثلاثة آلاف مخطوط وفهرست خمسة عشر الف مخطوط من سبع عشرة مكتبة.

وفى عام ١٩٥١ ارسل بعثة الى الهند بقيت هناك ستة شهور صورت خلالها مخطوطات كثيرة من اثنتين وثلاثين مكتبة.

ومنذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ ارسل المعهد بعثاته لتصوير المخطوطات الى كل من القدس والسعودية وتونس والامبروزيانا بايطاليا والمغرب وكانت آخر بعثة قد ارسلت الى ايران عام ١٩٦٠، ثم توقف ارسال البعثات فى ذلك العهد.

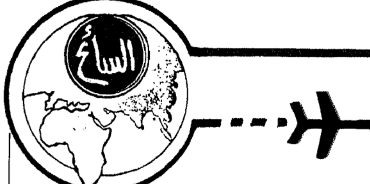
[فترات النشاط وفترات الجمود]

كانت تلك الفترة السابقة من فترات النشاط التى حقق فيها المعهد انجازات باهرة بقيادة الدكتور صلاح الدين المنجد الذى كان مديراً للمعهد آنذاك.. ثم خيمت على المعهد فترة من الجمود امتدت حوالى عشر سنوات، توقف فيها عن النهوض بواجباته على الوجه المأمول، بعد ان تركه الدكتور صلاح الدين المنجد.

[بداية عهد النشاط الثانى]

وحين تسلمت العمل فى معهد المخطوطات فى ١٩٦٩/٨/٢م مديراً للمعهد بالانابة وجدته قد توقف عن ارسال بعثاته لتصوير المخطوطات منذ عام ١٩٦٠، كما اهمل متابعة اصدار كتب التراث التى التزم باصدارها كذلك وجدت مجلته قد توقفت عن الصدور منذ عام ١٩٦٤.

وبعون من الله، استطعت استئناف ارسال البعثات اواخر سنة ١٩٦٩ نفسها حيث تم ارسال بعثة الى اسبانيا والبرتغال بعد توقف دام عشر سنوات. ثم توالى بعدها ارسال البعثات.



كما تم اصدار كل الاعداد التى كانت متأخرة من مجلة المعهد منذ عام ١٩٦٤م بحيث اصبحت مجموعة المجلة كاملة لا فجوة فيها. ومازالت تصدر مرتين فى السنة.

ولأن المجلة كانت فصلية تصدر مرتين فى السنة فقط، ورأيت الحاجة ماسة الى رابطة تربط بين المشتغلين بالتراث العربى فى العالم كله، وتوصل لهم انباء التراث اولا بأول، لهذا اصدرت «نشرة اخبار التراث العربى» فى ١٩٧١/٨/١ وكانت تصدر مرتين فى الشهر، ثم جعلناها شهرية.

[استئناف ارسال بعثات المعهد]

المعهد استئناف ارسال بعثاته لتصوير وفهرسة المخطوطات فارسل أول بعثة الى اسبانيا والبرتغال اواخر عام ١٩٦٩ ثم واصل ارسال بعثاته الى تركيا عام ١٩٧٠ والى اسبانيا عام ١٩٧١ حيث فهرست وصورت ٧٨٥ مخطوطاً والى المغرب عام ١٩٧٢ والى ليبيا فى السنة نفسها حيث تم تسجيل وفهرسة ٦٦٠ مخطوطاً والى السعودية عام ١٩٧٣ حيث صورت وفهرست ٤٢٨ مخطوطاً وفى السنة نفسها الى ايران حيث فهرست وصورت ١٨٢ مخطوطاً والى اليمن الشمالية عام ١٩٧٤ حيث فهرست وصورت ٥١٠ مخطوطات، والى المغرب عام ١٩٧٥ حيث صورت وفهرست ٤٠٥ مخطوطات والى اليمن الجنوبى عام ١٩٧٦ حيث صورت وفهرست ٢٩٧ مخطوطاً والى روسيا عام ١٩٧٧ حيث فهرست ٦٦٦ مخطوطاً واختارت للتصوير ٤٩٦ مخطوطاً طلبت من السلطات السوفييتية تصويرها، ونأمل ان يتم تصويرها وارسالها الى معهد المخطوطات كما وعدوا. كذلك ارسل بعثة الى موريتانيا.

وعندما ترك المعهد القاهرة الى تونس بعد نقل الجامعة العربية اليها كانت مكتبة افلام المعهد تضم صوراً لنحو خمسة وعشرين الف مخطوط من نوادر المخطوطات.

[نشر التراث]

المعهد بتحقيق ونشر طائفة من الكتب المطولة التى تحقق اهدافاً كبرى فى مجالات الدراسات العربية، مما يحجم الناشرون عن الاقدام عليه واختار سلسلة من النفائس عهد بتحقيقها الى اساتذة من كبار المحققين.

وحين تسلمت عملى فى المعهد كان المعهد قد اصدر ما يلى:

١ ـ كتاب سير أعلام النبلاء للذهبى، صدر منه ثلاثة أجزاء (١٩٥٥-١٩٦٢) بالتعاون مع دار المعارف فى مصر، لكن الدار توقفت عن الاستمرار فى اصداره (٢٣ مجلداً).

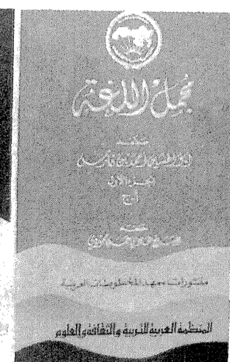
٢ ـ شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى، املاء السرخى، صدر منه ثلاثة اجزاء (١٩٥٧-١٩٦٠) بالتعاون مع مطبعة مصر التى توقفت عن الاستمرار فى اصداره (خمسة اجزاء).

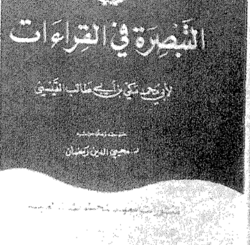
٣ ـ المحكم لابن سيده، صدر منه ثلاثة اجزاء بالتعاون مع مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر. (١٢ مجلداً).

٤ ـ انساب الاشراف للبلاذرى، وقد صدر الجزء الأول منه بالتعاون مع دار المعارف بمصر التى توقفت عن اصداره.

٥ ـ مختار الاغانى لابن منظور وقد صدر كاملاً فى ثمانية اجزاء بالتعاون مع وزارة الثقافة فى مصر.









● صورة اخرى لبعض مطبوعات المعهد.

[الذين لا يعملون ويؤذيهم ان يعمل الناس]

واستطعنا بعون من الله ان نصدر شرح السير الكبير باجزائه الخمسة كاملا عام ١٩٧١، لمحمد بن الحسن الشيبانى، املاء السرخسى، صدر من قبل المعهد وعلى نفقته. وذلك عندما كان المعهد تابعاً للجامعة العربية قبل ان يضم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد قيامها عام ١٩٧٠.

ونجحنا فى الاتفاق مع مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر على ان تستأنف اكمال اصدار الاجزاء الباقية من كتاب المحكم لابن سيده وزودناهم باجزائه المخطوطة التى كانت لدى المعهد وحتى قدوم المعهد الى تونس، صدر منه حوالى ثمانية اجزاء على ما اذكر.

أما سير اعلام النبلاء للذهبى وانساب الاشراف للبلاذرى فقد حاولنا اصدارهما بكامل اجزائهما من قبل المعهد، لكن العراقيل اقيمت فى طريقنا، وتصدى لنا اولئك الذين قال عنهم الدكتور طه حسين (الذين لا يعملون ويؤذيهم ان يعمل الناس) فلم نستطع اصدارها.

[فهارس المخطوطات المصورة]

منذ عام ١٩٥٧ حتى الآن اصدر المعهد حوالى ١٢ جزءاً تضم فهارس المخطوطات الموجودة صورها لدى المعهد فى ميادين التاريخ والعلوم والمعارف العامة والفنون المتنوعة والطب والآداب.

[التعاون مع الهيئات العلمية]

منذ انشاء المعهد بدأ تعاونه وراح يتسع مع الهيئات العلمية والجامعات والمحققين وطلاب الدراسات العليا.

ويزود المعهد هؤلاء جميعاً بالمصورات التى يطلبونها وبمطبوعاته التى يتبادلها معهم ويستقبل من يقصده منهم ويقدم له ما يطلبه.

وتبادل المعهد مخطوطاته ومطبوعاته مع دور الكتب والجامعات. وكان خير مثل على ذلك تعاونه مع جامعة يوتا بامريكا، بفضل الدكتور عزيز سوريال عطيه حيث زودت الجامعة معهد المخطوطات بالحجج والصكوك والمراسيم والفتاوى والوثائق



المصورة من ديرطور سيناء وبالمجموعة العلمية لمارتن ليفى. وزودها المعهد مقابل ذلك بصور لما طلبته من مخطوطات التاريخ.

[الدورات التدريبية]

ومنذ تسلمت العمل فى المعهد عام ١٩٦٩ فكرت فى ضرورة العمل على اعداد جيل من المتخصصين فى التراث العربى ليتكون منهم فى كل بلد عربى نواة لحفظ وصيانة ورعاية ما بها من مخطوطات وللعمل على تحقيقها ونشرها.

نجح المعهد فى تنظيم دورات تدريبية لخريجى الجامعات من مختلف البلاد العربية من المهتمين بالمخطوطات يتلقون فيها محاضرات نظرية من كبار المحققين المتمرسين بهذا الفن، فى اصول تقويم وتحقيق كتب العلوم الشرعية وعلوم اللغة والادب والتاريخ والجغرافيا والرحلات والخط العربى وتطوره، والمخطوط العربى وتطوره. كما يتلقون تدريباً عملياً على صيانة المخطوط وترميمه، وعلى تصوير المخطوطات مصغرة على الميكرفيلم ومكبرة على الورق، ثم يتدربون على فهرسة المخطوطات على النظام الحديث الذى يسير عليه المعهد.

واستطاع المعهد ان يعقد دورته الاولى عام ١٩٧١ ثم عقد دورات فى الاعوام ١٩٧٣ و١٩٧٤ و١٩٧٧، وكانت الدورة الاخيرة هى الدورة الخامسة التى عقدها المعهد فى بغداد عام ١٩٨٠.

[دعم الهيئات العلمية]

وقام المعهد بدعم بعض الهيئات العلمية العاملة فى مجال حماية المخطوطات العربية فقدم معوناته الى رئيس هيئة القدس العلمية لصيانة المخطوطات العربية فى مكتباتها.

[حلقات دراسية]

وعقد المعهد عدة حلقات دراسية، مثل حلقة حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها التى عقدت ببغداد عام ١٩٧٥، (وحلقة تحقيق التراث العربى ومناهجه التى عقدت ببغداد ايضاً فى الثمانينيات وكلتا الحلقتين وضعت توصيات هامة فى تلك المجالات.

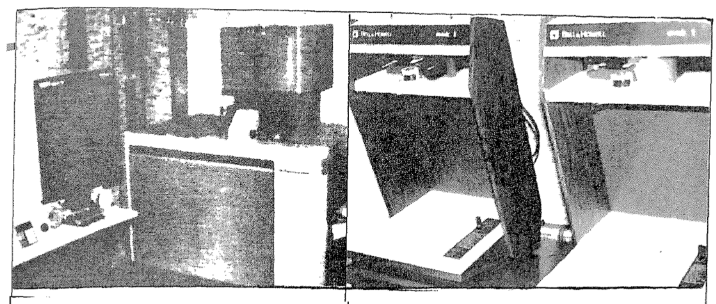
[مشروع قانون حماية المخطوطات]

وتنفيذا لتوصيات حلقة بغداد كوّن المعهد لجنة من المتخصصين فى التراث والقانون، وضعت مشروع قانون لحماية المخطوطات وارسل المعهد هذا المشروع الى الدول العربية فى ٢٦-٢-١٩٧٧م للأخذ به، أو الاسترشاد به.

[دراسة اوضاع المخطوطات فى افريقيا]

وتنفيذا لتوصيات حلقة بغداد ايضا، قام المعهد بعقد اجتماع فى نواكشوط عاصمة موريتانيا عام ١٩٧٧ حضره مندوبون عن الدول العربية فى افريقية وخبراء متخصصون درسوا اوضاع المخطوطات العربية وخاصة فى غرب افريقيا ووضعوا توصياتهم من اجل العمل على صيانتها وفهرستها والتعريف بها ودراستها، وقام المعهد بتقديم معوناته فى هذا الشأن.





. جهاز لقراءة الميكروفيلم (ريدرز)

ـ جهاز لنسخ الافلام على ورق

[نقل المعهد الى الكويت]

وحين نقلت الجامعة العربية ومنظماتها الى تونس عام ١٩٧٩ جئت الى تونس من القاهرة ومعى موظف اردنى وموظف سودانى. وبقيت وثائق معهد المخطوطات العربية وصور مخطوطاته ومطبوعاته فى القاهرة.

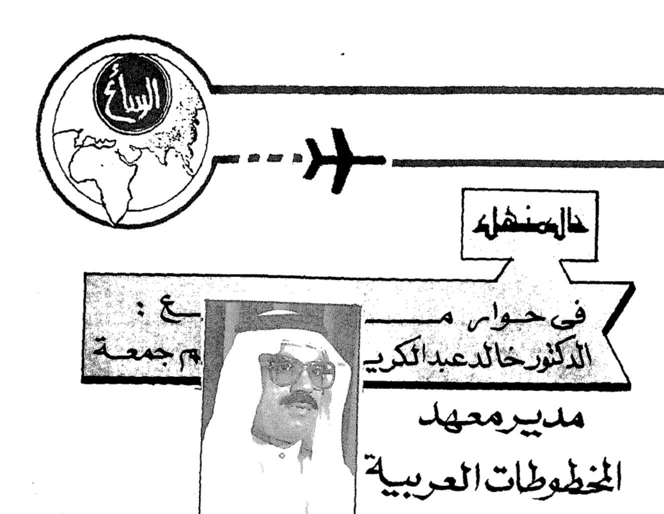
وفى تونس نجحنا فى ان نضم الى أسرة المعهد واحداً من خيرة العاملين فى ميدان التراث والمخطوطات هو الاستاذ عبد الحفيظ منصور صاحب المؤلفات التراثية الكثيرة القيمة.

وحاولنا العمل فى فهرسة دار الكتب الوطنية فى تونس وجمعنا المواد العلمية واعددنا أعداد مجلة المعهد لاصدارها هنا فى تونس. واعددنا برنامجاً لاستخدام الكومبيوتر فى حفظ فهارس المخطوطات، وفى تدوين وحفظ محتويات تلك المخطوطات موجزة مبوبة واعددنا برنامجاً لايفاد بعثة من المتخصصين لانتقاء وفهرسة وتصوير المخطوطات من مكتبات باكستان والهند. ولكن لم تكتمل هذه المشاريع.

وهكذا لم ينجح المعهد الا فى عقد الدورة التدريبية فى بغداد عام ١٩٨٠.. وفى ١٩٨١/٤/١ تم نقل المعهد الى الكويت، وعين الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مديراً للمعهد وباشر عمله هناك.

[التقنية لخدمة التراث].

ان اعظم خدمة يمكن ان تقدم لتراث هذه الامة العظيم هو ان تجند التقنية الحديثة لخدمته باستخدام العقول الالكترونية لحفظ فهارس المخطوطات المتوفرة ورصد محتوياتها من الناحية الموضوعية حتى يسهل الرجوع الى ما يريده الباحثون منها خلال ثوان او دقائق. وتجنيد بعثات من الاساتذة الجامعيين والمتخصصين فى التراث وارسالهم الى مواطن المخطوطات العربية لرصدها وفهرسة مالم يفهرس منها وتصويرها وجمعها فى مكان واحد، فى مقر معهد المخطوطات الذى يجب ان يكون، كما ارادوه مركزاً علمياً يعج بالباحثين والعلماء والدارسين، يضم أحدث الاجهزة والعقول الالكترونية والفنيين المتخصصين.



عزيزى القارىء : بعد ان استطلعنا معك تاريخ ومراحل تأسيس المعهد فى تونس. . واستكمالا للصورة فإنه يسعد المنهل ان ينشر الحوار مع مدير المعهد الحالى بالكويت لتوضيح الصورة اكثر ولاعطائنا لمحة عن المستقبل.

«المنهل»: معهد المخطوطات العربية لا شك يمثل احد المراكز ذات الأداء المتخصص فى مجاله. . والحفاظ على المخطوطات العربية وصيانتها يُعدّ حفاظاً على ذاكرة الأمة بل وعصارة تفكيرها ونتاج عقلها. . من هذا المنطلق لا شك أنكم وضعتم خطة متكاملة طموحة لخدمة ونشر المخطوطات العربية بشكل موسع، هل يمكننا أن نتعرف على بعض. .؟

■■ إن صيانة الكتب المخطوطة وحمايتها من التلف والضياع والسلب هى قضية المعهد الأولى والمعهد يعمل الآن على غربلة فهارس المخطوطات فى العالم لاختيار مجموعة منتقاة من مخطوطاتها وتصويرها. وكما أن المعهد يحاول أن ينسق بين مراكز التراث المعنية فى الوطن العربى للعمل على تقديم خدمات أفضل للتراث، وقد شكل فى هذا المجال هيئة عربية مشتركة ضمت اربع عشرة هيئة ومؤسسة عربية متخصصة كانت قد عقدت اجتماعها الأول فى مقر المعهد بالكويت.

● وقد تم وضع خطة جديدة للمعهد تفى بأهدافه التى تتلخص فى القضايا التالية :

١ ـ تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية ذات القيمة العلمية، والموجودة فى انحاء العالم، وفق نظام أولويات محدد، سواء كان ذلك التصوير عن طريق البعثات أو عن طريق التعاقد مع مؤسسات التراث فى الأقطار العربية وغيرها من أقطار العالم.



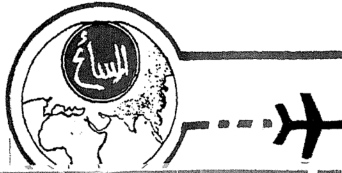
٢ ـ إعداد فهرس شامل متجدد للمخطوطات العربية الموجودة فى العالم، وآخر لما تم طبعه من كتب التراث العربى، مع اعداد فهارس تحليلية مفصلة للمخطوطات التى يصورها المعهد.
٣ ـ إعداد الدراسات العلمية الخاصة بصيانة التراث وترميمه، ومن ثم تقديم المشورة والعون للدول العربية فيما يتصل بصيانة المخطوطات فيها، وتنسيق الجهود مع المؤسسات العلمية للمحافظة على القيمة الأثرية والفنية للمخطوطات.
٤ ـ مساعدة المحققين والباحثين فى الحصول على نسخ من المخطوطات المصورة وتقديم المعلومات لهم.
٥ ـ التعاون مع المؤسسات المهتمة بالتراث لتنسيق حركة التحقيق فى العالم، مع وضع الخطط والتشريعات الكفيلة بحفظ حقوق المحققين الأدبية والمادية وصيانتها من النهب والاستلاب.
٦ ـ المساعدة على تكوين نخبة من المحققين الجيدين واعدادهم، من خلال الحلقات الدراسية، والتدريب، على أيدى أساتذة متخصصين.
٧ ـ اصدار مجلة نصف سنوية تختص بنشر البحوث المهتمة بشؤون المخطوطات العربية وبنقد النصوص المنشورة وتحليلها والتعقيب عليها، مع الاهتمام بأوضاع المخطوطات العربية فى مكتبات العالم أجمع.
٨ ـ اصدار نشرة دورية تهتم بمتابعة أخبار التراث العربى فى جميع انحاء العالم عن طريق مراسلين متخصصين.
٩ ـ اعداد فهرس شامل متجدد لما تم طبعه من كتب التراث.

وفى سبيل ذلك يسعى المعهد الى التعاون الوثيق مع المؤسسات والأفراد من المعنيين بالتراث فى الوطن العربى، ومع أى مؤسسة ثقافية ذات أهداف مماثلة فى العالم للافادة من جهودهم وخبراتهم. . هذه هى اهم انجازات المعهد فى مسيرته.

اما عن مرحلة التأسيس فى الكويت فكما تعرف ان المعهد بدأ من نقطة الصفر فقد زود المقر الجديد بالأجهزة والمعدات الحديثة اللازمة للعمل، وتم اختيار مجموعة من الموظفين القادرين على تنفيذ برامج المعهد ومشروعاته، واستطاع المعهد خلال هذه الفترة القصيرة القيام بعدة أعمال أهمها:

● الاتصال بجميع المراكز والمؤسسات والجامعات العربية المعنية بالمخطوطات، وذلك بهدف التعرف على ارصدتها من المخطوطات الأصلية والمصورة، كما زارت بعثات المعهد العديد من الجامعات ودور الكتب واختارت بعض نوادر مخطوطاتها، وصورتها. كما أطلع المعهد على نفائس دار الكتب الوطنية فى تونس، ومكتبة الأحقاف باليمن الديمقراطى، وصور مجموعة منتقاة من مخطوطاتها.

والمعهد يقوم الآن بغربلة مجموعة من فهارس المخطوطات فى المكتبات العالمية الهامة مثل: المكتبة الوطنية بباريس، والمتحف البريطانى بلندن، وجامعة كمبردج فى بريطانيا، اضافة الى جامعة برنستون الأمريكية وعدد من المكتبات فى تركيا والسويد، وذلك لاختيار مجموعة من المخطوطات النادرة وتصويرها. . وقد باشر المعهد اصدار نشرة أخبار التراث العربى، التى صدر منها حتى الآن واحد وعشرون عددا، وتتضمن أخبار العاملين فى ميدان التراث وما يتعلق به



جانب من مكتبة الافلام بالمعهد



وهى مفيدة لكل متخصص مشتغل بالتراث لأنها تساعد على التنسيق بين الباحثين والمحققين، وتوزع حاليا على أكثر من ألفى جامعة ومتحف ومركز علمى وباحث، كما باشر المعهد اصدار «مجلة معهد المخطوطات العربية» التى تهتم بالتراث العربى من جوانبه المختلفة تحقيقا ودراسة وفهرسة وتعريفا بمخطوطاته وكتبه، وقد صدر منها حتى الآن أربعة مجلدات.

● ونظرا لأهمية النشر فقد أولى المعهد جل اهتمامه لموضوع نشر كتب التراث العربى وفهارس المخطوطات وذلك أن من المهام الرئيسية للمعهد تحقيق المخطوطات ذات القيمة العلمية، وقد اختار المعهد مجموعة من نفائس المخطوطات العربية وعهد بتحقيقها الى عدد من كبار الباحثين والمحققين وقد صدر عنه حتى الآن (فى الكويت) مجموعة من الكتب القيمة أهمها:

- كتاب القولنج للرازى، تحقيق د. صبحى حمامى.
- فهارس المخطوطات العربية فى العالم، إعداد الاستاذ كوركيس عواد(جزآن).
- كتاب فهرس المخطوطات المصورة (قسم التاريخ) الجزء الأول.
- كتاب مجمل اللغة - لابن فارس، تحقيق الشيخ هادى حسن حمودى (خمسة أجزاء).
- التبصرة فى القراءات، لمكى بن أبى طالب القيسى، تحقيق د. محيى الدين رمضان.
- منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان (نصوص ودراسة) للدكتورة وديعة طه النجم.
- إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمرى فى معانى أبيات الحماسة، لابى محمد الاعرابى الملقب بالاسود الغندجانى، تحقيق د. محمد على سلطانى.



- فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة ستر اسبورغ الوطنية والجامعية بباريس، إعداد د. نزيه كسيبى.
- مجموعات مخطوطة فى مكتبات استانبول، إعداد د. طه محسن.
- فهرس الخزانة الصبيحية بسلا - المغرب، إعداد د. محمد حجى.
- من مؤلفات ابن سينا الطبية: (كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية) الأرجوزة فى الطب - كتاب الأدوية القلبية، دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا.
- أسس تحقيق التراث العربى.
- المخطوطات العربية فى الهند.
- المخطوطات العربية فى يوغسلافيا (سرايبفو).
- المخطوطات العربية فى نيجيريا.

■■ ويهتم المعهد بالكشف عن واقع المخطوطات العربية فى العالم، وتزويد مكتبته عن طريق البعثات بأكبر عدد من نفائسها وتوفيرها للباحثين والمهتمين وقد أصدر المعهد أول فهارسه لمقتنياته من المصورات - قسم التاريخ - كما أصدر خدمة للمشتغلين بفهرسة المخطوطات معجما ببليوغرافيا لفهارس المخطوطات العربية فى العالم، وهو يعمل منذ ثلاث سنوات فى اعداد معجم شامل موحد لما تم طبعه من كتب التراث العربى منذ ظهور الطباعة حتى الآن، ويحضر الآن للعمل على تدريب عدد من الشباب العرب على تحقيق النصوص ومناهج البحث وأعمال الفهرسة اضافة الى صيانة المخطوطات وترميمها. وتم ترشيح عدد منهم للالتحاق بمثل هذه الدورات التى ستنظم بالتنسيق مع احد المعاهد الاوربية.

«المنهل»: بعد نقل معهد المخطوطات العربية من تونس الى الكويت ما هى اهم طبيعة الاجراءات المنظمة لادائه؟؟

■■ فى أواخر عام ١٩٨١ تم نقل المعهد الى الكويت، فاتخذت عدة اجراءات تنفيذية لنقل المعهد الى المقر الجديد كان أهمها:

● تأليف مجلس استشارى يضم نخبة من العلماء وخبراء التراث العربى، روعى فى اختيارهم تمثيل الأقطار العربية - قدر الاستطاعة كما أوكل الى هذا المجلس وضع الخطط الجديدة للمعهد ومراجعتها ومتابعة تنفيذها.

● وضع نظام أساسى جديد للمعهد يبين دوره وأهدافه كجهاز خدمات علمية متخصص من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

● عقد اتفاقية مع دولة الكويت تبين الشخصية القانونية والأهلية للمعهد والمزايا والحصانات التى يتمتع بها موظفو المعهد.

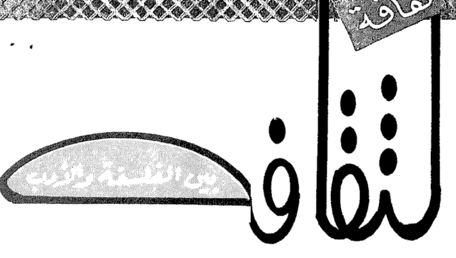
● تعيين مدير من أبناء الكويت لادارة المعهد وتنفيذ برامجه ومتابعة نتائج ما نفذ منها وتقديمها الى المدير العام وتمثيل المعهد امام الآخرين.



(المنهل): معهد المخطوطات العربية عمل منذ انشائه على تنسيق الجهود العلمية مع المؤسسات المماثلة له فى العالم فهل استطاع ان يفيد من ذلك فى ارجاع كثير من المخطوطات العربية التى سربت خارج الوطن العربى؟؟

■■ عمل المعهد منذ انشائه على تنسيق الجهود بين جميع المؤسسات المهتمة بالتراث فى الوطن العربى ومنذ اليوم الأول ونطاق تعاونه يتسع مع الهيئات العلمية والجامعات والباحثين المشتغلين بالتحقيق وطلاب الدراسات العليا. وفى هذا الاطار عقد المعهد عدة اتفاقات مع مؤسسات مثيلة للتعاون العلمى سواء فى مجال النشر أو التصوير. وتتويجا لهذا التنسيق والتعاون شكل المعهد هيئة عربية مشتركة لخدمة التراث ضمت أربع عشرة هيئة ومؤسسة عربية متخصصة، عقدت اجتماعها بمقر المعهد فى الكويت (نهاية عام ١٩٨٣) وأصدرت مجموعة من التوصيات أهمها دعم المخطوطات فى الأراضى المحتلة.

ولقد اتخذت اليونسكو قرارا باعادة الممتلكات الثقافية والحضارية الى الشعوب التى سلبت منها وهذا القرار يتطلب متابعة وجهدا نأمل أن تنهض به جامعة الدول العربية، والدول المعنية أما بخصوص دور المعهد فانه يستطيع أن يخدم فى هذا المجال ويقوم بما يلى: «فهرسة مالم يفهرس من المخطوطات الموجودة خارج الوطن العربى، ونشر هذه الفهارس، ليتعرف الباحثون على أرصدة تلك المكتبات من المخطوطات ثم تصوير المهم من المخطوطات وتيسيره للمتخصصين، وبذلك نستطيع أن نعيد الى وطننا العربى المحتوى العلمى لتلك المخطوطات.

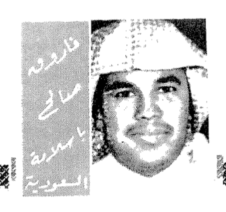


من منظور إسلامي

ماهية هذا الموضوع تسير على طريقة عرضية بمعنى الربط بين الادب والفلسفة من منظور ثقافى يطلع على العرض الفكرى للموضوع ويرتكز عليه . . وله جوهر وهو كنه الذات الموضوعى للثقافة الرابطة بين الفلسفة والادب من منظور فكرى يعتمد أساساً على العقل المبدع والواعى.

وإذا حق لنا ان نستهدف غايات هذا الموضوع فهى الأهداف الرئيسية نتيجة من ذاك الربط الثقافى بين الادب والفلسفة ـ كالنظريات الادبية والافكار الفلسفية والاسلوب المنطقى الجامع بينهما ـ فموضوعنا ثقافى بحت لا يميل الى تعقيدات الفلسفة أو ينحاز الى عاطفية الادب فى اى صورة من صوره وبأى شكل من الاشكال.

الثقافة ظاهرة حضارية نتيجة للوعى الفكرى الاجتماعى والتقدم العلمى المادى، ويكون الادب. بمختلف أغراضه وانواعه المعبر التوضيحى لهذه الظاهرة الحية بين امة من الامم أو عند مجتمع من المجتمعات البشرية فى اى عصر وخلال اى مكان فى الوجود والكون.



■ وعندما تتشكل الحضارة الانسانية نتيجة للوعى الفكرى فإننا نلاحظ عدة نقاط:

[أولا] التقدم الثقافى الادبى المستمد من التفكير الفلسفى.

[ثانيا] التقدم المادى نتيجة لتطبيق العلم فى شتى مجالات الصناعة.

[ثالثا] تعقد الحياة الاجتماعية وظهور المشكلات والحلول.

[رابعا] ظهور قصور الى حد ما فى المجتمع فى المجالين



المعنوى والحسى نتيجة للانبهار بالتقدم الحضارى الطفرى.

[خامسا] انتشار الكوارث والتلوثات تأثراً بالمجالات الصناعية وانتاجاتها المادية.

[سادسا] ليس من الظاهر أو الحتمى انعدام الامية الثقافية فى اى مجتمع حضارى فوجود الجهال أو السذج جائز فى هذا المجتمع.

[سابعا] ظهور المفكرين فى المجالين السياسى والاجتماعى لمعالجة سلبيات الحضارة ـ وايجاد الحكمة لمشكلاتها وتسيير دفة مجريات الامور السياسية والاجتماعية فى الدولة والأمة «اجتماعيا.. وثقافيا.. وفكريا».

■ وعندما نلاحظ الجانبين الايجابى والسلبى فى الثقافة الرابطة بين الفلسفة والأدب فإننا نعنى ما يلى:

(أولا) فى الجانب الايجابى يبرز دور الثقافة الأدبية والفكر الفلسفى فى الحضارة الانسانية سواء فى المجال التربوى التعليمى.. أو فى المجال الاجتماعى البشرى.. أو فى المجال السياسى والتنظيمى.

كل ذلك اعلاء من الدور المهم للثقافة فى صناعة الحضارة عند اى امة من الامم وفى اى زمان أو مكان.. لأن التقدم المادى بلا ثقافة أو ادب أو فلسفة مستحيل الوجود والتأثير والاستمرارية. وهنا تبرز أهمية العلم العام والمتخصص وأثرهما الواضحين فى كل مجال حضارى فى الامة.. والدولة.. والفكر.. مما يحدونا الى القول بأساسية الدور الطليعى للثقافة فى الحياة عموما.

(ثانيا) فى الجانب السلبى للثقافة الادبية والفلسفية فى اى مجتمع من المجتمعات أو امة من الامم قياسا للتقدم الحضارى والطفرى منه بالذات تبرز المشكلات الاجتماعية والصناعية والمادية.. ففى الجانب الاجتماعى ضرورة التركيز على التربية التعليمية فى جميع مستويات التعلم والتلقين والتدريس ـ رغم أننا نلاحظ الامية بأى نسبة كانت سواء امية مطلقة أو أمية جزئية ونسبية.. اما الامية الجزئية ومنها أمية انصاف المثقفين فهى ظاهرة يجب القضاء عليها من قبل ساسة الامة ومفكريها إما بعدم اتاحة فرصة الوصول للابتزاز لهؤلاء فى اى مجال فى الحياة القيادية العامة أو اعطائهم الفرص لتدعيم وتقوية الجانب الناقص للاكتمال العلمى.. اما المشكلات الاجتماعية والفردية فعلى العلماء ورجال التربية المساهمة فى حلها.

وفى الجانب الصناعى والمادى على الامة الحضارية مجابهة الكوارث وايجاد الحلول لآثار الصناعة السلبية فى الحياة الانسانية ـ وهذا يحتم علاج رجال الفكر والتكنولوجيا لهذه الآثار الناجمة عن حضارة العصر.

ونأتى الآن بعد البحث عن ظاهرات الثقافة الحضارية وجوانبها الايجابية والسلبية فى اى امة من الأمم الى الحديث عن ركيزة الدين القوية فى هذا المجال التقدمى.

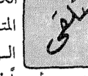
فالروح كما نعرف اساس الأجسام ـ ويدخل ضمنها النفس والذات والمعنى.. والقيم والاخلاق والخير.. والجمال.. وهذا جانب يقوى بالدين ولا يتدعم إلا به.. والاسلام هو خلاصة كل الرسالات الدينية السماوية ـ ولو ان القيم الدينية ـ بناء عليه ـ أُدخلت فى إطار كل حضارة انسانية لبرزت حضارة الانسان بوجه جميل آخر غير شكلها اليوم أو فى الأمس.

●● اما الفن وهو معنى يتخذ عدة مدلولات فى عدة مجالات فهو القيمة الجمالية الغالية والثمينة فى النفس الانسانية المدركة بوعى كامل للحضارة فى جوانبها الثقافية وبالذات فى الأدب المستمد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ من معطيات الفلسفة الفكرية لأصل الحياة الكونية والانسانية والحيوية الأخرى.

●● إن فن الادب وفن الفلسفة يجتمعان على صعيد الفكر الحضارى، به تعيش حضارة الانسان وعليه تعتمد مقومات الحياة العصرية الحديثة. بمعنى ان الفكر الفلسفى للحضارة يرتكز على دور الثقافة فى الوجود الزمانى والمكانى ـ ولحضارة الانسان يسير الادب فى غرضه الاساسى للتعبير عن مدى أصداء العلم المادى فى حياة الحضارة، وأثر الحضارة فى الانسان الفرد ـ والناس المجتمع. والتقدم الكلى هنا هو الثقافة المعرفية والحضارة المعنوية المتمثلتان فى الأدب والفلسفة.

(٢١)

بين الكاتب وقرائه



الكاتب الصحفى دائما رسائل من قرائه المتابعين لكتاباته.. وقد تكون هذه الرسائل تتضمن اعترافا ونقدا أو تتضمن تأييداً لآراء الكاتب فيما تحدث عنه من مشكلات وقضايا إجتماعية.. أو إدارية.. او تربوية تعليمية.

وهذه بعض الرسائل التى تلقيتها من قراء افاضل غمرونى بلطفهم وكانوا برسائلهم الىّ خير عون الى المضى فى سبيل الدعوة الى الخير والجهر بالحق:

الرسالة الأولى: (حول حقوق الشباب وواجباته).

الى الاب المكرم ـ احمد محمد جمال ـ استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز.

بعد التحية الاسلامية الطيبة المباركة.

يسرنى ان اكتب الى اخوتكم الاسلامية المؤمنة ـ هذه الرسالة راجيا من العلى القدير ان يوفقنى واياكم الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ـ محمد ﴿ﷺ﴾ ـ قال الله تعالى: ﴿**فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**﴾.

بناء على هذه الآية الكريمة عندما اتصلت بعنوانكم الذى يوجد فى كتاب «**من أجل الشباب**».. وبصفتى كشاب مؤمن مسلم مواطن عربى جزائرى لى حقوق وعلى واجبات، وخاصة تجاه دينى الاسلام، الذى هو دستورنا الوحيد الذى اذا اتبعناه نكون حقاً مؤمنين فائزين فى الدنيا والآخرة، ولا شك انكم تعلمون المشاكل التى يعانى منها الشاب المسلم وعلى الخصوص من طرف الهجمات الغربية الصليبية.. والشرقية الشيوعية. لهذا اطلب من فضلكم الكريم ان تنصحونى ما هى الطرق الصالحة التى نسلكها ـ



ذكريات ماتعة تتلفق عبر قنوات الزمن فتلد جليدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

تجاه الآية الشريفة: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.. اى كيف نستطيع أن نكون دعاة الى الله على بصيرة وعلى الخصوص مع اخوانى الشباب الذين تركوا الصلاة وسيطرت عليهم الشهوات.

اطلب منكم ان ترسلو الى بعض الكتب التى بواسطتها تتضح لى الافكار وتتبلور الاهداف، فنسير على يقين دون ارتجال او ارتباك.

والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه.

حرر فى ٢٩/ ربيع الاول١٣٩٧هـ.

اخوكم عيسى بن مرزوق

الرسالة الثانية: (حول تجنيد الشباب السعودى).

حضرة الاستاذ احمد محمد جمال ـ الموقر.

سيدى اشكركم شكرا جزيلا على ما بذلتموه فى جريدة الندوة تجاه الشباب من كتابات وتوجيهات.. وان دلت على شىء فانها تدل على اهتمامكم بالشباب لتزويده بالقيم الانسانية وخدمة بلده الشريف وابنائه المحترمين.

بعد هذا ارجو من سعادتكم ان تطلعوا على اقتراحى الموضح ادناه وتنشروه بجريدة الندوة لانه ذو فائدة تعود على الشباب بالخير ـ وعلى وطننا العزيز بالبركة والنصر باذن الله.

ان مملكتنا تبذل الكثير فى خدمة الوطن والمواطنين فى تعليمهم وتدريبهم ونحن نشكر مملكتنا على ذلك. ولذلك اقترح على الجهة المختصة فى المملكة ان تضع برنامجا لتدريب الطلاب فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية وفى الجامعات ايضا على النظام العسكرى.. وحمل السلاح.. واستعماله وكيفية اصلاحه ـ على ايدى الضباط السعوديين.. حتى اذا جاء اليوم الذى نحتاج فيه الى حمل السلاح لمواجهة اعدائنا وجدنا شبابنا مستعدين للدفاع عن وطنهم العزيز.

فعسى ان يلقى اقتراحى هذا من المسؤولين



الاستجابة المأمولة باذن الله وعونه والله من وراء القصد.

مسعد سرحان العتيبى
بشركة المشاريع التجارية بمكة المكرمة

هذا ما كتبه المواطن مسعد العتيبى قبل ثمانية عشر عامـا حول تدريب الشبـاب السعـودى على حمل السلاح لكى يكون مستعداً للدفاع عن وطنه وامته ودولته.

وقد تحقق امله فقد اعلن قبل بضعة شهور عن عزم الحكومة السعودية لتدريب الشباب على الاعمال العسكرية للغاية نفسها فلعل الله يهىء لنا من أمرنا رشـداً، ويـوفق ولاة أمـرنـا لكل عمل صالح وكل سياسة رشيدة. . من شأنها ان تحمى الدين والدولة والمواطنين.

حول تاريخ صحافتنا

قرأت فى المنهل الصادر فى شهر رجب ١٤٠٨هـ تعقيبا من استاذنا الكبير حمد الجاسر على ما جاء فى ذكـرياتى المنشورة فى شهر جمادى الاولى ١٤٠٨هـ وسعدت بهذا التعقيب، ويسرنى ان اجيب على ما اثـاره الاستاذ الجليل حمد الجاسر من ملاحظات فى السطور التالية:

● **أولا**: *الندوة التى انعقدت فى نادى جدة الادبى بين الدكاترة الثلاثة الحارثى وهاشم وخيريّة حول صحافتنا ـ قرأت عنها مثل ما قرأ الاستاذ حمد، ولم احضرها. ومع ما انتهى اليـه الاستـاذ الجليل من ان المتحاورين اصبحوا ينظـرون الى الصحـافـة على انها عامل مؤثر فى الحياة الثقافية ومستقبل الامة بعد ان كانت النظرة اليها على انها (صورة وخبر) أقول مع هذا الذى سرَّ أستاذنا الفاضل فان وضع صحافتنا وضع لا يسر. . لأنه ـ كما وصفته فى ختام*

.. رسـائل القـراء إلى الـكاتب وتسجيـل آرائهـم وتعليقاتهم حول مايكتب سمة طيبـة يحمدها الـكاتب ويقدرها.

ذكرياتى التى قرأها الاستاذ الجاسر ولاحظ عليها ـ وضع يتمثل فى هذا الشعار (صحافة كل شيىء تمام) أو الشعار الآخر: «صحافة كل شيىء على ما يرام».

● **ثانيا**: *ملاحظته على ما ذكرته من رأيه الذى طرحه فى جامعـة الملك سعود خلال الندوة الخاصة بصحافتنا يوم ١٤٠١/٢/٢٩هـ وما طرحه الآخرون ـ اجيب عليها انى نقلت ذلـك من الصحف والمجلات التى سجلت حوار الندوة يومذاك ولم ينكره الاستاذ الجاسر فى حينه.*

● **ثالثا**: *اما ان وزير المالية السابق ـ رحمه الله ـ هو الذى طلب نزع الصحـافة من الأفراد وتحويلها الى مؤسسات جماعيـة، وليس هو وزيـر الاعلام السابق الاستاذ جميل حجيـلان الـذى فعـل ذلـك كما رويته عن الاستاذ حمد الجاسر خلال حواره بالندوة ـ فأرجح أن حياة وزير المالية اثناء انعقاد الندوة حالت دون نسبة ذلك إليه. . اما بعد وفاته فقد اصبح الأمر مختلفاً. . فباح الاستاذ حمد بحقيقة السر.*

وفى الختـام أوكـد لأستاذنا الجليل حمد الجاسر حبى واجـلالى، وأشكره على تعليقه على مذكراتى الأدبية، وبخاصة وقد أتاحت له ان يبوح بحقيقة اسباب تحويل صحـافتنا من ادارة الافراد الى ادارة المؤسسات، وذلك تاريخ مهم لفترة من حياتنا الفكرية والادبية كان لها ما بعدها.





خيرى الهنداوى شاعر عراقى وُهِبَ جميع العناصر التى تنجب شاعراً ـ روح وثابة بديهة مطواعة، شعور قوى، ولغة طيعة. لكن شيئا واحداً حد من نشاطه الشعرى هو انه كان موظفا، وكان يحتاج الى الوظيفة لمعاشه.. ولقد تأخر فى الدراسة فلم ينتسب الى معهد عال، فيما اتيح للآخرين ذلك.

ولد خيرى الهنداوى سنة ١٣٠٣هـ وفق سنة ١٨٨٥م. وكان مولده فى لواء ديالى فى قرية تبعد نحو ثمانين كيلومترا عن بغداد.. وكان والده موظفا كثير التنقل، فلم يستقر الابن فى مدرسة ولم يتجاوز بعض التعليم الثانوى. فضلا عن ذلك فقد كان الشاب، فى اكثر الاماكن التى اقام فيها والده، بعيداً عن مراكز الحياة الادبية والثقافية والعلمية التى كانت تتمركز فى بغداد اصلا. هذا من حيث الناحية الشخصية، اما من حيث الجو الفكرى العام فان بغداد لم تعرف فى القرن التاسع عشر ما عرفته القاهرة وبيروت ودمشق من حركات النهضة الادبية ومقوماتها.. وقد ظل الارتباط الادبى، والشعرى بوجه خاص بالقديم اقوى وبالتقليد امتن.. ومن ثم فعندما نجد ان الدكتور يوسف عز الدين، المؤرخ الرئيسى للشعر والشعراء فى العراق الحديث يقول عن خيرى الهنداوى انه كان يعتبر من الشعراء المجددين، نستوثق من ان الرجل كانت له موهبة الاستشفاف المستقبلى.



كان الهنداوى فى الحادية والعشرين من سنه لما عين وكيلا لشركة «ماك اندروز» وهى شركة كانت تستخرج عرق السوس وتصدره الى الخارج.. ويمكن اعتبار السنوات التى مرت بين ١٩١٨ و١٩٥٠م سنوات الوظيفة، لكن كان يقطعها سجن او نفى او عزل او توقيف عن الترقى.. لكنها كانت مورد الرزق.

وبعد فما هى منزلة خيرى الهنداوى الشاعر، ونصر على الشاعر لان نثر الهنداوى، على الاقل الذى اطلعنا عليه، هو نثر عادى ومقالات صحفية تناولت موضوعات الساعة باسلوب لا كلفة فيه، لكن ليس فيه نبرة ولا لمعة. اما شعره ففيه جزالة وشموخ وثورة وحب وشعور بالفقر، وفيه دفاع عن الضعيف.. فيه بعبارة واحدة، قوة الشعر. اما المواضيع التى طرقها فقد تباينت بين ما قاله شابا وما قاله فى سنواته الاخيرة ـ كان فى شبابه ينظم فى الامور التى كانت شائعة فى العراق، والتى استمدت صورها من شؤون الدين والمديح والقومية والوطنية والعرب والمرأة.. ومع ان بعض هذه الموضوعات تكررت فيما بعد، فقد اصبحت وقد

دخلتها شحنات كهربائية جديدة، فتبدلت النبرة ودخلت الومضة فى حومة الشعر.

كان خيرى الهنداوى اخا سفر. وكانت له فى لبنان اقامة غير طويلة؛ فقد عولج مرتين فيه، وكانت له صداقات متينة مع ادبائه. ومن اجمل اشعاره ما قاله وهو فيه. هذا نموذج منه، وهو ابيات من قصيدة يصف فيها فتيات لبنانيات فى ضهور الشوير. قال:

سِربٌ أشيّعُه وسربٌ يقدم
هذى محدّقةٌ وهذى تبسُم
يمشين فى ظل الصنوبر حُسّرا
مشى القطا قد غاب عنها القشعم
هذى هنا تعطو بأتلع جيدها
وهناك تلك على الأليفة تبغم
والقلب يخفق تارة من ذكره
لا يطمئن وتارة يستسلم
والنجم يشهد لى اذا جن الدجى
ماذا ألاقى من هوى لا يرحم؟

فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالى حميت معركة الدفاع عن المرأة وتحريرها فى دنيا العرب, صحيح ان قاسم امين كان قد صرخ ودوى قبل ذلك، ولكن دخول الصحافة - بجرائدها ومجلاتها الاسبوعية والشهرية المصرية فى جهات ومناطق جديدة وسّع دائرة القضية، وكان ان نظم معروف الرصافى قصيدته المشهورة التى جاء فى مطلعها:

هى الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات

ومنها:

ولم ار للخلائق من محل
يربيها كحضن الامهات

■ وكان ان نظم السماوى، وهو استاذ الهنداوى وصديقه، قصيدة رد فيها على الرصافى وسفه رأيه. فانتصر خيرى الهنداوى للرصافى وعاتب استاذه برفق حيث قال:

مقال الحق اجدر باتباع
وأولى من معارضة الثقات
ولكن التعصب وهو اعمى
يضل ذوى العقول الراجحات

■ *ثم انتقل الى تعليم البنات فقال:*

وما منع العفيفة ان تمشّى
بقصد العلم نحو المدرسات
تستّر بالازار اذا ارادت
وان شاءت تستّر بالعباة

■ *وعاتب السماوى ثانية بقوله:*

اترضى يا محمد يا بن ودّى
بجهل نسائنا المتسترات؟
وهن جهلن اصل الدين حتى
جهلن الفرض فى سنن الصلاة

■ *ورد على السماوى الذى كان يقول بنقص المرأة طبيعيا بقوله:*

تقول بنقصهن إذن فلم لا
تكمّل بالعلوم الناقصات

كان خيرى الهنداوى رقيق الشعور لا تلمّ باحد من اصدقائه مصيبة الا ويكون اول المعزين. وكان شعره يفيض اسى وحسرة. وقد فجع بابنه البكر، فتجلت فى رثائه له جميع صور الالم والحزن وقد نظم لذلك قصيدة طويلة تحدث فيها عن جميع اطوار خسارة الولد - مرضه - وفاته - دفنه - آلام الأم وفجيعة الأب.

■ كانت الام فى زيارة لها للقبر، تود ان تبقى امام اللحد، لكن الاب اخذها الى البيت، قال يصف اساها:

فقامت تجرّ الذيل وهى كئيبة
تعثّر فى ذيل، من الوجد والذكر

تُســاقــطُ دمـعــاً بدّد الخطبُ عقــده
فمــن لؤلؤ نظــم ومــن لؤلؤ نثــر
فجئنــا الى بيت به الحــزن رابض
يكشّــر عن ناب حديـد وعن ظفــر
تقــابلنــا الاشجــان فى كل وجهــة
وأنــا وايــاهــا اتــينــا على قدر

في الادب العـربى قصائد رثاء كثيرة فيها العاطفـة المشبـوبة والجرح الاليم . . والخنسـاء واحـدة من الشـاعـرات صاحبـات المراثى والدكتـور يوسف عز الـدين، صاحب كتاب خيرى الهنداوى، يعقد مقارنة مقتضبة بين خيرى الهنداوى وبين شاعرين قديمين . . الاول هو أبو ذؤيب الهذلى صاحب القصيدة التى جاء مطلعها:

أمن المنون وريبـه تتـوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع

■ حيث يتفـوق خيرى الهنداوى فى رأى عز الدين على الهذلى . . اما الثانى فهو ابن الرومى، ويورد ثلاثـة ابيات من قصيدة الشاعر التى رثى فيها ابنه الاوسط حيث يقول:

لقــد قلّ بين المهــد واللحــد لبثــه
فلم ينس عهـد المهد اذ ضم فى اللحد
ألــح عليــه النــزف حتى أحــالــه
الى صفــرة الجــادى عن حمرة الـورد
وظــل على الأيــدى تسـاقـطُ نفسُه
ويـذوى كما يذوى القضيب من الرند

■ كانت تربط خيرى الهنداوى بالرصافى ـ كما ذكرنا ـ صداقـة وثيقة فلما مات الرصافى رثاه بقصيدة نائحة الرثاء التى جاء فيها قوله:

ما انــت فى حفــرة قبرت بها
وحــدك كلا بل انت والأدب
لقد عصانى الكلام من جزع
فرحــت أبــكـيكــما وأنتحب
أنا إن أبكى عليك لا عجب
علـى اقضى قليــل ما يجب
ألقى الأعـادى بوجـه مبتسم
وفى فؤادى الكلوم والنّــدب
كأن نفـســى على سجيتهــا
لم تقتصـرهـا الهموم والكرب

■ كان قائـد الفرقـة العسكـرية التى حملت «عبد الحميـد» على التنازل عن العرش هو محمود شوكة القـائد العراقى الكبير. ولا شك انه كان فى نفوس العراقيين كثير من الكبر بسبب ذلك. والابيات التالية من قصيدة اسمها العبد والمعبد (اى شوكة):

عقــد الـســعــد رايــة الأفــراح
للامــانــى على جيــوش الــنجــاح
وبــدا الشــرق ضاحكــا يسحب الـ
ـذيــل سرورا ببــهــجــة وارتيــاح
رافــعــا رايــة الهــلال ينــادى
مرحــبــا بالــرشــاد، والاصــلاح
لعــبــت فيــه راحــة المجــد فاخـ
ـتــال سرورا، كذاك شأن الــراح

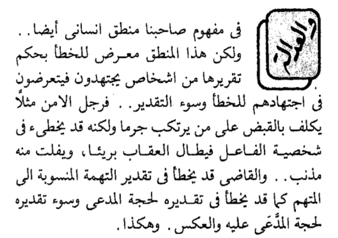
ومن روائع الهنداوى قصيدة زينب وخالد او فتاة بغداد وفتاها. وهى قصة حزن والم على حزن والم. . وتشغل زينب وخالد اثنتى عشرة صفحة من كتاب يوسف عز الدين عن خيرى الهنداوى، ذلك ان المؤلف بعد ان ترجم له وتتبع نواحى القوة والضعف فى شعره، جمع ديوانه بقدر ما تمكن من ان يجعله كاملا. وهذه القصيدة فى الديوان. لكن هذه القصيدة لا يختار منها مقطوعة او ابيـات. . وقد قرأتها مرتين محاولا ان اضع اصبعى على ابيـات انقلهـا للقارئين. . انها وحدة ـ كتبت كذلك للتعبير عن وحدة قصة ويجب ان تقرأ على انها وحدة. فليحاول الراغبون فى ذلك الرجوع الى الديوان.



العدل والرحمة

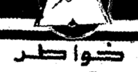
جاء من احدى البلاد العربية مبتعثا من جامعته ليدرس النظم والقوانين الامريكية وكانت إحـدى القضـايـا التى ندرسها فى النظام الدستوى الامريكى تتعلق بشكوى مواطن أمريكى من قسوة رجال الامن اثناء قبضهم عليه باحدى التهم الخطيرة.

وكانت هذه القضية مناسبة للأخ العربى ليتحدث خارج الدرس عن أهمية الرحمة ووجوب تغليبها على العدالة.. ومع شدة الاستغراب لهذا الفهم، وصعوبة تصوره ومخاطر تطبيقه على اطلاقه قال صاحبنا: إن الرحمة منطق انسانى حقيقى تنبع من احساس داخلى تتحرك فيه كل نوازع الفضيلة والتسامح فى النفس بعد ان تنحسر فيها كل عوامل الانتقام والتشفى.. ويزيد من أهمية تغليب الرحمة على العدالة انها أى الرحمة تصدر فى الغالب الاعم من نفس قوية قادرة على فعل مّا ضد نفس أخرى ولكنها تتخلى عن نوازع القوة بعد ان يغلب عليها التسامح والفضيلة.



والعدالة فى مفهوم صاحبنا منطق انسانى أيضا.. ولكن هذا المنطق معـرض للخطأ بحكم تقريرها من اشخاص يجتهدون فيتعرضون فى اجتهادهم للخطأ وسوء التقدير. فرجل الامن مثلاً يكلف بالقبض على من يرتكب جرما ولكنه قد يخطىء فى شخصية الفاعل فيطال العقاب بريئا، ويفلت منه مذنب.. والقاضى قد يخطأ فى تقدير التهمة المنسوبة الى المتهم كما قد يخطأ فى تقديره لحجة المدعى وسوء تقديره لحجة المدَّعَى عليه والعكس. وهكذا.

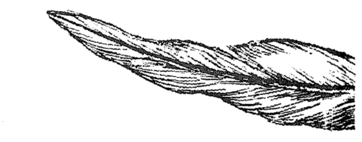
قلت: وكثيرون هم الذين يقولون مثل هذا القول.. فالمقتول عندهم أصبح فى حكم العدم ولن يعود الى الحياة الدنيا اذا قتل القاتل، فاصبحت الرحمة بالقاتل وباسرته أحق واولى بالتطبيق. وقتل ذلك المعتدى عليه فى طريق او مركبة هو الآخر لن يستفيد من عقاب الفاعل الا اذا كان يتلذذ بالتشفى والالم لغيره فهذا وضع لا يقاس عليه.



خواطر

الأدب بمفهومه العام فيه متسع للأخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات فكرية خفيفة الظل عميقة المعنى

عبد الرحمن حسن النفيسة
الرياض



والقائلون بهذا لا يقصدون تلك الحالات الضرورية الاستثنائية التي يعفو فيها المعتدى عليه او وليه عن القصاص من ظلم وقع عليه يبتغى بذلك أجراً أو يحتسب فيه مصلحة ظاهرة او هدفا أو مقصدا خيرًا، بل يقصدون تعطيل العدالة تحت غطاء الرحمة والشفقة على الانسان.

وينبنى على هذا وجوب العفو عن ذلك الشخص او الاشخاص الذين تسللوا الى مخدع انسان آمن فمزقوه إرباً إرباً أمام نظر أطفاله ودون رحمة لصيحاتهم، او حنان على دموعهم.. كما ينبنى على هذا القول العفو عمن يخطف طائرة او مركبة فيروع ركابها بقوة السلاح ثم يقتل بعضهم فى مشهد دموى مرعب بعد ان يغلّ أيديهم عن الحركة، ويكمم أفواههم عن الكلام، ويحجب ابصارهم عن النظر.

قلت: ولهذا فليس من المنطق او الحق فى شيىء العفو عن مجرم لم يرحم ضحاياه او العطف على معتد آثم أصمه واعماه هواه فروع الآمنين واخاف السالكين وعندما سأل احد القضاة الامريكان رجل أمن عن سبب شدته فى تطبيق قواعد الامن على نحو يخشى عليه فيه من المبالغة اجاب: بانه كان ينفذ العدالة ولو تراخى فى تنفيذها لنام جيرانه وسكان الولاية وهم خائفون.. ثم يتساءل عما اذا كان فى الدنيا شيىء أفضل من ان ينام الانسان وهو آمن فى داره؟

قلت: ان العدالة أمر الله حين حكم بين خلقه بعلمه الذى لا يضاهيه علم.. وبشرعه الذى لا يماثله او يشابهه شرع.. فمن يقتل غيره ظلما وعدوانا يجب القصاص منه.

ومن يروع الآمنين ويخيف السائرين يجب ردعه بما وضعه الله له من عقاب.. ولن يسود فى مجتمع أمن او يعمر له عمران، او تزدهر فيه حضارة او يكتسب له تاريخ اذا تخلى عن اقامة حدود الله بحجة الرحمة للمجرمين والشفقة على المعتدين.

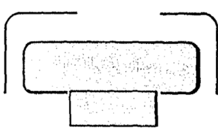
وان ما نشاهده فى زمننا الحاضر من فوضى واضطراب فى كثير من المجتمعات ما هو الا نتيجة للفهم الخاطىء لمفهوم الرحمة والتخلى عن تطبيق ما أمر الله به بعلمه الذى لا يزول ولا يحول.

وبالله التوفيق



●● يظل الانسان محور دراسات العلماء والمفكرين. . وتظل معجزة خلق الانسان فى تكويناته العضوية والنفسية مرتكز تلك الدراسات. . فقد خلقه الله سبحانه فى أحسن تقويم لا يضاهى ولا يماثل من صنع البشر وكم أدت هذه الدراسات الى ايمان كثير من الباحثين والعلماء بالله سبحانه وكل عضو وجزء وخلية فى الانسان تمثل اعجازاً. . وحسبنا ان نردد قول الحق سبحانه ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

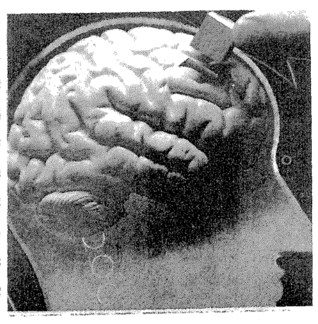




خلق الله الارض والسموات . . وجعل فى الارض ايات للموقنين. . وكرّم الله الانسان وفضّله على خلقه اجمعين وخلقه فى احسن تقويم، يقول الله سبحانه ﴿وفى أنفسكم افلا تبصرون﴾ (صدق الله العظيم). . والانسان هو الوحيد من بين خلق الله الذى يمكنه ان يبصر نفسه بنفسه ويتبصّر بها ـ ففى هذه الآية الكريمة ايماءة سامية لهذا الخلق العظيم وفطرته ودعوة كريمة للتبصّر فيها ـ فكم منا من استجاب لهذه الدعوة الربانية وتبصّر فى هذا الخلق المذهل العظيم؟. . ﴿وكأيِّن من آية فى السمواتِ والأرضِ يمرُّون عليها وهم عنها مُعْرضُون﴾ (صدق الله العظيم). . ان هذه الدعوة الالهية تستوجبنا التبصّر فى خلقنا بتفكّر وتعقل وايمان لنرى فى كل عضو من أعضاء الانسان وفى كل وظيفة من وظائفه ـ بل وفى كل جزء من اجزائه اعجازا يزيدنا ايمانا بعظمة الخالق وتقربنا اليه. . فلا حد ولا

حصر لمعجزات خلق الانسان التى اهملنا التبصّر فى معـالمها واغفلنا عظمتها لانها صارت ظواهر طبيعية اعتدنا عليها ومررنا بها مر الكرام فهى اعمق واسمى من ان تدرك بنظرات سطحية خاطفة عابرة.

هذه الآيات المعجزات فى كل جزء وفى كل عضو من اقسام جسمنا ولعل خير مجال يوضحها فى هذا الحيز الضيق هو فى جهـازه العصبى ـ فمن المفيـد استعراض بعض نواحيـه لنتبـين مدى هذا الاعجـاز وخصـوصا عند مقارنته ببعض الآلات والتقنيات الحديثة التى صارت تبهـر الكثيرين من الناس وتدهشهم فكثر حديثهم عنها وهم معرضون عن آيات ربهم فى خلقهم من دون ان يعوا مدى ضآلة هذه الآلات عند وضعها بجانب خلق البارى العظيم فيها لو تبصّروا بانفسهم قليلا.



فالجهاز العصبي هو الجهاز الذى يسيطر علي كل وظائف الجسم وفعـاليـاتـه العـديـدة الارادية منها وغير الارادية فهو الـذى ينظم حركـاتـه ويدرك حواسه وينسق وظائفه العقلية والفكـرية والعاطفية وهو مركز الـوعي والـذاكـرة والارادة والـنطـق والكـلام والسمـع والبصر وما الي ذلك، وفى كل وظيفة من وظائفه المتنوعة هذه اعجـاز مدهش لا يدرك مداه حتي المتبحـرون فى دراسـات تشريح جسم الانسان ووظائفه.

بدأنـا بذكر امثلة من حواسه العامة، وابسطهـا حس اللمس الـذى يعـرفنا بكـل ما يحيط باجسـامنـا ويـلامسها كالثـوب الـذى نرتـديه ونسمة الريح التى تمر على سطحه ونتعرف بواسطته على نعومة او خشونة او بنية الاجسام التى نلامسها.. فنفرق بين ملمس الحرير الناعم وخشونة الصوف وصلابة الحديد وقساوته.. ونفـرق بين انعمهـا وارقهـا ملمسـا حتى لو تباينت نعـومتهـا تباينا بسيطا.. ثم يتعاون هذا الحس مع حواس مقاربة ليتعرف على رطوبة قطعة القماش التى نلمسها او جفافها او على سمك الورقة اورقتها ـ ولو تحسسنـا ورقتين تختلفان فى سمكيهما ولو قليلا جدا لتعرفنا على اسمكهما من ارقهما بسهولة.. فكم من آلات دقيقـة نحتـاج لتقـوم بكـل هذه الـوظـائف مجتمعـة؟.. ولـو قارنا هذا الحس مع تلك الآلات الدقيقة التى تقوم بوظائف مشابهة لادركنا مدى دقة هذا الاحسـاس المدهش ـ فهل لاحظنا مثلا قدرتنا على التقـاط شعـرة دقيقـة من على سطـح املس باطراف اناملنا فنرفعها بسهولة تعجز عنها الكثير من الملاقط الدقيقة؟..

حس اخبارى يعلم المرء عن ما يلامس جسمه ومتى ما قام بذلك تلاشى حتى لا يزعج صاحبه بعد ذلك.. فالساعة التى نضعهـا على معصمنـا.. والنظـارات على عيوننا.. والثوب الذى نرتديه على اجسامنا يكفينا ان نتعرف على وجودها هناك متى ما وضعت من دون الالحاح على تذكيرنا بها باستمرار. وهذا هو عكس حس الالم - الحس التحذيرى الذى ينبه صاحبه عن وجود خطر داهم فى ناحية من جسمه يهدد بتخريبها او قد خربها فعلا: فهو حس انذارى لا يزول ما دام المسبب له باقيا - فاذا ما دخلت شظية فى جلد اصبعنا ولدت فيه الما مستقرا لا يزول حتى نخرجها منه.. فهو بهذا يشبه جرس الانذار الذى يستمر فى الرنين ما دام الخطر باقياً.. ومن هذا نرى ان هذا الحس على ازعاجه وكراهيته هو حس نافع ومفيد فلولاه لاهمل الكثير من المرضى امراضهم ولما لجأوا الى معالجتها - فشر الامراض تلك التى لا تؤلم ضحاياها، فسبحان الخالق.

كل عضو في الإنسان وكل خليّة فيه تمثل إعجازًا لا يُضاهى ولا يُماثل..

وحاسة البصر التي تختص بها العين التى لا يتجاوز قطرهـا البوصة الواحدة فيها الكثير من المعجزات فهى تبصر فى اقل الاضواء شدة وفى اسطعها نورا وتقوم بذلك لا بتغيير فتحة حدقتها فقط بل بتغيير درجة حساسية خلايا شبكيتها المتنوعة ايضا.. وهذه تختلف فى درجة حساسياتها للضـوء وتتمكن من تغييـرهـا عند مختلف درجات النور السـاقط على العين - وهى بهذا تشبه الة التصوير التى تحتوى على عدة افلام فى وقت واحد.. وهذا ما لا يمكن لاى آلة القيام به الا بعد تبديل افلامها - وحتى ذلك لا يتم الا ضمن حدود معينـة محددة لفـترات زمنيـة قصيرة وتبصـر العيـن بوضـوح من مسافات قصيرة جدا تقارب البضعة سنتيمترات وحتى ما لا نهاية وتقوم بذلك لا بتغيير فتحة حدقتها فقط بل بتغيير تحدب عدستها ايضا، وذلك ما لا يمكن لآلة التصوير عمله الا بتبديل عدساتها. وتقوم العين بكل هذه الوظائف من دون عناء وبصورة متواصلة وتلقـائية ولا ارادية لا تضاهيها فيها ادق آلات التصوير التى يزيد حجمها عن حجم العين بعشرات المرات.

وتبصـر العيـن المئات من الالوان حتى قيل انها تفرق بين مئتي لون - ولو علمنا ان لكل لون من هذه الالـوان.. حوالى عشرين درجة تركيز.. وحوالى خمسـمائة درجة سطوع.. لوجدنا ان تدرج الالوان التى تتمكن العيـن من ابصارها تقارب مليوني لون فهل تبصرنا بهذه المعجزة الخلقية؟.. وتتمكن العين من الـرؤية المجسمة الثلاثية الابعاد فتوفر لصاحبها ادراكـا باحجـام الاجسام المنظورة وبنياتها واشكالها وابعادها عن العين.. وتقوم بكل ذلك بطريقة تلقائية غير ارادية وغـير شعـوريـة.. وبسـرعة متناهية لا تضاهيها فيها ادق آلات التصوير وافلامها.. وحاول الكثيرون صنع آلات تقلد كل هذه الوظائف فكانت آلات ضخمـة معقـدة ورغم ذلك لم تصل صورها بدقتها ووضوحها الصورة البصرية التى تراها عين الانسان.

وتتلبد قوقعة الاذن الداخلية عضو حس السمع فى اصلب عظم من عظام الجسم ـ وهى عضو يقارب ارتفاعه النصف سنتيمتر ويقل قطر قاعدته عن السنتيمتر الواحد. . وتوضع فيها نهايات عصب حس السمع على غشاء يقارب طوله الثلاثة سنتيمترات وعرضه اقل من نصف المليمتر. . ويتذبذب ليتحسس الموجات الصوتية التى يتراوح ترددها بين الـ١٨ ـ ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية (هرتز) ولمختلف الشدد الصوتية ـ بينما تقل حدود الذبذبات التى يولدها اكبر بيانو الذى يبلغ طوله عدة امتار عن اقل من نصف هذا المدى من الاصوات. . كما تتمكن الأذنان من معرفة اتجاه مصدر الصوت الذى تسمعه بكل سهولة.

فهل هناك من كفاءة اكثر من هذه واعجاز خلقي اعجب من ذلك فسبحان الذى احسن كل شيء خلقه. . وتتمكن اذن الوطواط من ان تسمع اصواتا يصل مداها الى حوالى ١٠٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية (هرتز) ـ كما انه يولد اصواتا تصل الى هذا المدى ايضا وهو يستعمل حاسة سمعه ليهتدى بها على طريقه فى الظلام اذ يصدر هذه الاصوات عالية الذبذبة ويسمع صداها عندما تصطدم وترتد من الاجسام التى تعترضها فيقدر الوطواط موقعها وبعدها عنه بعد معرفة الفترة التى تمر بين التصويت وسماع الصدى وهذا ما قلده المخترعون الذين صمموا جهاز الرادار.

الى وظيفة اخرى: فلو رمى احدنا كرة الى شخص يقف على بعد منه لتلقفها الاخير بكل سهولة مهما تغير ارتفاع وشدة وسرعة المقذوفة فهو يقفز ويرفع يديه الى الارتفاع المناسب وفى وقت يتزامن مع وصول الكرة اليه، عملية تبدو بسيطة وبديهية لأول وهلة ولكننا لو تبصرنا تفاصيلها وحللنا مراحلها لذهلنا من دقتها وانتظامها ـ فالكرة لا تسير بخط مستقيم بل تنحنى فى سيرها لتأخذ مسارا مقوسا بفعل الجاذبية. . كما انها لا تسير بسرعة ثابتة بل تتضاءل سرعتها تدريجيا ـ ولكن المتلقى لها يقدر مسارها وسرعتها وارتفاعها واتجاهها وشدتها وثقلها وحجمها فيقفز فى الوقت المناسب وللارتفاع الصحيح ويفتح يديه فتحة تتسعها ويقبض عليها بمجرد ملامستها. . ويتم كل ذلك بصورة تلقائية لا شعورية تدهش كل المتبصّرين فى هذه الوظائف المتزامنة والمتعاقبة والمنتظمة والدقيقة حتى راح المخترعون يدرسونها بعناية وامعان محاولين تقليدها عند تصميم مدافع ضد الجو مثلا لتقيس ارتفاع الطائرة وسرعتها واتجاهها ومسار طلقات المدفع لتصلها فى الوقت المناسب لضمان التصويب.

وتوضح الوظيفة التالية مثلا اخرا لاعجاز الخلق فى الجهاز العصبى. . يعتبر الكثيرون عملية جلب الشخص لاصبعه ليلامس ارنبة انفه عملية بسيطة اذ يستطيع كل منا ان يقوم بها بكل سهولة ويسر حتى عندما نغمض اعيننا. . عملية تبدو سهلة وبسيطة لاول وهلة ولا تجلب انتباهنا لتفاصيلها ولكن دعونا نرقبها وندرسها عن قرب ـ فالذراع الساكنة وهى الى جانب صاحبها تقاوم الحركة عند البدء بفعل قصورها الذاتى فلابد للشخص من ان يتغلب على ذلك اولا لتتحرك الذراع، واستمرار حركتها يكسبها تعجيلا يسرعها حسب «القوانين الفيزيقية» فلابد للجهاز العصبى ان يتغلب على ذلك ايضا ليبطأها ويمنع ارتطامها بالانف بشدة ـ كما عليه ان يعلم اليد بموقع الانف وبعده عنها ويرشد مسيرتها كى تصل السبابة الممدودة للأنف على اقصر طريق ولا تضل او تنحرف عنه ثم تلمسه بكل لطف وهدوء ويتم كل ذلك ايضا بصورة غير ارادية وغير شعورية وتلقائية وبسرعة فائقة ـ فأية دقة متناهية هذه فى تنسيق هذا العدد من الاحساسات الحركية والوضعية التى تثير الدهشة والاعجاب بروعة الخلق فتبارك الله احسن الخالقين. . ولا تتضح دقة هذه الوظيفة الا عند

فقدانها نتيجة اصابة بعض اقسام الجهاز العصبى بخلل فلا تستطيع السبابة عند ذاك من ايجاد طريقها الى ارنبة الانف فتتحرك يمينا وشمالا باحثة عنه حتى عندما تكون العينان مفتوحتين وقد ترتطم اليد بالانف عند ذاك بشدة.

وهل لاحظنا قطة تسقط من علو؟.. فلو رمينا قطة من اى ارتفاع وباى وضع فانها تسقط دائما على اقدامها. فاذا رميناها وبطنها الى الاعلى فانها تدور جسمها فى الوقت المناسب وتمدد اذرعها الاربعة لتتفادى ارتطام بطنها بالارض كى لا تنفجر وتتمزق احشاؤها ومن ثم ترفع راسها عاليا منعا لارتطامه بالارض كى لا يكسر وهو جزء الجسم الذى يحتوى الدماغ اهم عضو من اعضائه ومرة اخرى نقول ان كل هذه العمليات تتم بصورة تلقائية.

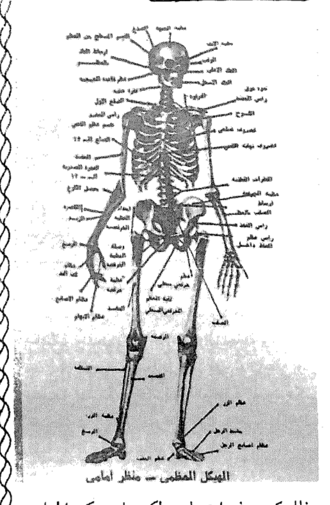
ويحتوى الجهاز العصبى على حوالى مئة الف مليون خلية عصبية، وهذا عدد خيالى وتقوم كل واحدة من هذه الخلايا بوظيفة معينة خاصة بها كما انها تترابط مع الخلايا العصبية الاخرى ترابطا وظيفيا منسقا بشكل نعجز عن تصوره وفهمه.. وبالرغم من عشرات الآلاف من الابحاث التى تحاول معرفة كنه اسرار هذا الترابط والتنسيق بين وحدات الدماغ فاننا لا نزال نجهل مكنوناته وقد قال بنفيلد، احد الباحثين فى هذا الحقل «ان معرفتنا عن جهازنا العصبى بالرغم من الكثير الذى تعلمناه عنه لا تتعدى معرفة المكتشف لجبل عال تغمر قمته الغيوم فتحجبها عن نظره وهو ما زال يبحث فى ركام حوافّ قاعدته» فهل سنصل الى قمته يوما ما؟.. لا اعتقد ذلك اذ اننا لن نصل الى سبر اغوار كل اسرار الخلق الا النزر اليسير منها.

يقوم الجهاز العصبى بالوظائف العاطفية والفكرية والعقلية العليا واحداها هى وظيفة الذاكرة التى تعنى تلقى المعلومات وجمعها وخزنها لفترات متفاوتة واستذكارها عند الحاجة اليها.. فمنها ما تخزن لفترة قصيرة ثم يتخلص منها الدماغ متى ما انتفت الحاجة اليها، ومنها ما تحفظ فيه طيلة حياة المرء.. ولا حصر ولا عد لوحدات الذاكرة التى يختزنها دماغ الانسان الراشد فهى تفوق ملايين المرات ما يمكن ان يختزنه اكبر حاسب الكتروني بالرغم من كبر حجمه بالنسبة لدماغ الانسان الذى لا يزيد وزنه عن الكيلو غرام والنصف.

دعونا ناخذ مثلا بسيطا واحدا لتوضيح ذلك: فلو حاول اى واحد منا تذكر ايام دراسته الاولى فى مدرسته الابتدائية فكم من الذكريات سيتذكر؟.. يتذكر المدرسة وموقعها واسمها.. وروائحها ومناظرها.. وصورة كل غرفة من غرفها وما علق فى كل منها.. ويتذكر رفاقه ومدرسيه.. ويتذكر عن كل منهم اسمه ولقبه وصورته وصوته وشكله ولونه وتقاسيمه وطوله ولون الملابس التى كان يرتديها ـ والكثير من اقواله ونكاته.. والحوادث والطوارىء التى مرت به مع كل واحد من هؤلاء... ولا يمكننا حصر كل الذكريات التى يمكننا تذكرها عن مدرستنا فهى تفوق مدى الحصر التى لا حدود لها. تذكرنا الذاكرة هذه بمثل مدهش آخر لها وهو للحوين المنوى للرجل الذى يتكون من خلية واحدة فقط.. فكم هى المعلومات والذكريات التى ينقلها هذا الحوين المنوى المجهرى الذى لا يرى بالعين المجردة من الاب الى ابنه؟.. انه ينقل كل خواص وصفات الاب وتراكيب جسمه وانسجته.. وكل عضو من اعضائه ووظائفها وامراضها.. وما شاكل ذلك من صفات تعد بالملايين. هذا الجوين المكون من خلية

واحدة يتمكن من نقل كل هذه الذكريات من الاب الى الابن فكم هى تلك التى يحتفظ بها دماغ الانسان وهو يحتوى على مئة الف مليون خلية؟.. فلنتبصر فى ذلك بامعان وندهش ونبهر بهذا الخلق العظيم ومن بعد ذلك ننظر الى هذه الآلة التى يقف عندها البعض فاغرى الافواه ويدهشون لما خلق الانسان لتلك التى يسميها الحاسب الالكترونى من دون ان يتبصروا بما خلقه وابدعه وسواه البارىء سبحانه وتعالى وشتان بين الخلقين.

مقارنتنا دماغ الانسان بالحاسب الالكترونى، والروبوت والاجهزة، والآلات التى تحاول ان تقلد فى عملها وظائف جسم الانسان علينا ان نتذكر ان دماغ الانسان يحوى على الف مليون وحدة وظيفية بينما لا يحوى اكبر حاسب الا على بضعة ملايين وحدة.. ولو اردنا ان نبنى حاسبا يشابه ويوازى الدماغ فى عدد وحداته ووظائفه لاقتضانا ذلك بناء جهاز يزيد حجمه عن حجم مدينة جدة - وحتى عند ذلك فلن يمكنه القيام بكل وظائف الدماغ البشرى فمها احتفظ من ذكريات فلن تكون فعالياته الا استجابات آلية خالية من العواطف والانفعالات التى ترافق استجابات الانسان فى الظروف المختلفة - فقد يرمى احدنا التحية لشخص ما فيستجيب لها بالغبطة والسرور وسيماؤه طافحة بالبشر والمسرة ولكنه فى احيان اخرى تستفزه التحية وتستثيره تبعا للهجة التى القيت بها او لذكريات الشخص لحادثة وقعت له مع المرء الذى حياه او لتذكره قولا سمعه منه او عنه وما شاكل ذلك. والرضيع يفرح ويهش لرؤية شخص ما ويبتسم له ولكنه يرتد باكيا من شخص آخر لاسباب نفسية او عاطفية عديدة، فهل يتمكن الحاسب او الروبوت من التفريق بين كل ذلك ويستجيب الاستجابة المناسبة لكل منها؟.. وعندما يصاب جسم الانسان بعطل او خلل ما فانه يتمكن من اصلاح نفسه بنفسه ولن يتوقف عن عمله او ممارسة وظائفه وحتما تستمر شعلة الحياة فيه الا اذا اصيب

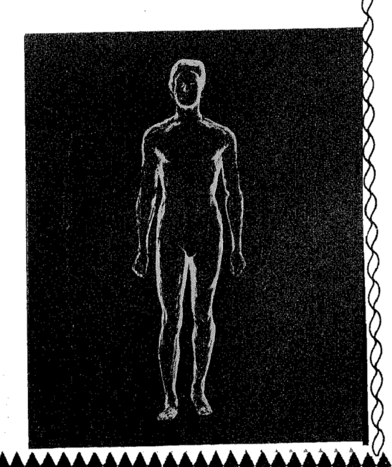


الهيكل العظمى - منظر أمامى

بخلل كبير غير اعتيادى ولكن هل يتمكن الحاسب الالكترونى او الروبوت من اصلاح الخلل الذى يصيبه بنفسه.. ام ينتظر من يصلحه له؟.. وهل يتمكن من تنويع استجاباته تبعا للانفعالات العاطفية العديدة التى ترافق مثيلاتها فى الانسان؟.. فمهما قيل ويقال عن هذا الحاسب وهذا الروبوت فلن تصل كفاءتها الا البعض من كفاءة دماغ الانسان وحتما لن يتمكنا من القيام بكل الوظائف التى يقوم بها هذا المخلوق الربانى.

وبامكان الدماغ ان يربط بين كل الذكريات التى يختزنها والقيم والاعتبارات المغروسة فيه وبين الاحساسات الآنية التى ترده من حوادث طارئة وانفعالات.. ويتمكن من أن يربط بينها كلها ليستنبط منها افكارا جديدة واستنتاجات متباينة حسب محصلة هذه الارتباطات فيؤدى ذلك به الى

التفكر والتعقل والابداع ـ ومن ثمّ اتخاذ القرارات المناسبة ليستجيب الاستجابة المناسبة . . وقد تختلف الاستجابات من شخص لآخر ومن ظرف لآخر حسب ما اختزنه كل من هؤلاء الاشخاص من فكر وذكريات . . وحسب ما تثير عند كل منهم من مشاعر وعواطف تتأثر بالقيم الخلقية التى يدين بها الشخص . . ولا يمكن لاية آلة صنعها الانسان من الابداع والاستجابة بغير الطريقة التى تفرضه عليه المنهجية المحسوبة والمقولة التى وضع قواعدها له مصممه . . ولن يمكنه الحياد عنها واستنباط واستنتاج فكر جديدة تختلف عما خططت له ـ ولذا فهى دائما متشابهة خالية من العواطف والاعتبارات والقيم الحقيقية والمجردة كالاخلاص والشجاعة والصدق. خذ مثلا طريقة نطقه للكلمات : فهى دائما على وتيرة واحدة خالية من التعابير العاطفية المعبرة عكس استجابات الدماغ المتنوعة والمليئة بالحيوية والمتلائمة دوما مع ظروف تفاعلاته مع محيطه.



مهما حقق الانسان من معجزات علمية سيظل أيضا قاصرا عن ذات نفسه

خص الله الانسان بموهبة النطق وميزه بذلك عن سائر خلقه ـ والكلام من اعقد وظائفه فهو يشمل فيزيولوجيا المقدرة عن التعبير عن الفكر بالنطق او بالكتابة . . وكذلك فهم الكلام المسموع او المقروء وقد تصاب اى من هذه الوظائف الأربع او كلها او بعضها بمرض فيؤدى ذلك الى اختلالات كلامية متنوعة . . تترابط هذه الوظائف الكلامية مع بعضها وتترافق بانسجام مدهش ولها مراكز مخية حسية وحركية متصلة مع بعضها بطرق عصبية تنسق وظائفها وتنظمها . . ويترافق النطق مع تغييرات فى شدد النبرات والتعابير وانغام الصوت وسرعته وتأكيد بعض كلماته ومقاطعه بطريقة تضيف الى الكلام المنطوق تعابير دلالية وانفعالية عاطفية تؤكد بعض معانيه ومقاصده . . كما يترافق الكلام عادة مع تغييرات فى سيماء الوجه وتعابيره وحركات بعض اجزاء الجسم كاليدين لتضيف للكلام بعدا آخر ـ وكل هذه الوظائف تتم بصورة تلقائية لا ارادية وبكل انسجام وتناسق ـ فهل هناك اى اختراع آلى يتمكن من القيام بكل هذه الوظائف مجتمعة وبكل هذه الدقة المعبرة؟ . . هل لاحظتم نطق الآلات التى تحاول تقليد النطق فتصدره على وتيرة واحدة خالية من اى من التعابير العاطفية والدلالات المعبرة؟ . . ومهما حاولوا فانهم لن يتمكنوا من صنع روبوت ينطق كما ينطق الانسان خير مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

وفي الـدماغ مراكز ومناطق عديدة يسيطر كل منها على وظيفة من وظائف الجسم الحسية والحركية والعاطفية ولكنها كلها متعاونة مع بعضها البعض وتعمل بتناسق وانتظام سواء بطريقة ارادية او لا ارادية . . كما ان هناك مراكز للابداع الفكري والموسيقى . . والحساب والعواطف . . ولتكوين الفكر الحقيقية والمجردة . . ولمعاني القيم الانسانية كالصدق والكذب . . والشجاعة والجبن . . والكرم والبخل . . والفضيلة والجريمة . . والاخلاص والخيانة . . والوفاء والعقوق . . والصداقة والعداوة . . والايمان والكفر ـ وغير ذلك من القيم والاعتبارات التي قد تتباين في مفاهيمها من شخص لآخر . . ولعل من اهم وظائف المراكز الدماغية العليا هي وظيفة الادراك الخاص والعام ـ اذ يتمكن الشخص من ادراك ذاته بذاته فهو يدرك وجوده وكيانه . . ويدرك كل عضو من اعضاء جسمه . . ولكل واحد من هذه الاعضاء مركز ادراكي خاص به لو اتلف فقد المرء قدرة ادراكه له ـ فلو اتلف مثلا مركز ادراك احد اليدين لن يعود المرء يدرك وجودها في جسمه ولن يتعرف عليها فعند الاغتسال يغسل اليد السليمة ولا يغسل اليد المصابة لانه لن يدرك وجودها في جسمه ـ ولو اصيبت المنطقة التي يتمثل فيها احد نصفي الوجه فانه يحلق الجهة السليمة من وجهه ولا يحلق النصف المصاب منه فسبحان الله احسن الخالقين.

ولهذه المناطق الدماغية العليا وظائف عديدة اخرى لا حصر لها كالتعلم والتعود . . والذاكرة والوعي . . والنوم واليقظة . . والساعة الحيوية التي تنظم الكثير من وظائف الجسم ومواقيتها ومددها ـ كساعات النوم ومدة الحمل وفترات الحيض . . ومواعيد الطعام والشبع . . والجوع والعطش . . والظمأ . . وما شاكل ذلك .

عرض موجز لبعض وظائف الجهاز العصبي التي تدلل على دقة تنظيمه وتعدد اختصاصاته . . وتدلل على الاعجاز في خلقه . . ومهما حاول الانسان تقليدها فسيبقى عاجزا عن تحقيق كل ذلك . . ويحاول علماء اليوم درس هذه الوظائف وتقليد اعمالها فيما يخترعونه من ألات فاوجدوا لذلك علما جديدا سموه علم السيطرة والاتصال (CYBERNATCS) . . يحاول درس هذه المعجزات لتقليدها وشاع هذا الاتجاه اليوم حتى راحت بعض الدول المتقدمة صناعيا التحول من صناعاتها التقليدية للتخصص في صنع الاجهزة التي تحاكي بعض وظائف جسم الانسان ـ فتحاول اليابان مثلا درس عمل عضلات الانسان وبعض الحيوانات في محاولة لتقليد حركاتها عند السير والجري آملة ان تصنع سيارة تسير على الاقدام بدل العجلات ولكنها حتى الان عاجزة عن تقليد سير الانسان على قدمين او الحصان على اربع وكيفية تنسيق حركات السيقان عند الاستدارة وما شاكل ذلك من صعوبات .

بالاضافة للاعجاز الذي يبين في خلق جهازنا العصبي هناك اعجازات مماثلة في كل عضو من اعضاء جسمنا بل وفي كل انسجته وجزيئاته التي تثير الدهشة والاعجاب وكلما تبصّرنا بها زدنا انبهارا وايمانا يقربنا الى خالقنا العلي العظيم ولذلك جاءت دعوة ربنا الينا بالتبصّر فيها ﴿وفي انفسكم افلا تبصرون﴾ . . ويهدى الله من يشاء سواء السبيل وسبحانه الخلاق العظيم.

مدخـــل: تشكل العظام هيكل الجسم فهى التى تضفى عليه قوته ومتانته كما تتيح له التنقل من مكان الى آخر دون أن يتهاوى كالسمكة الرخوة.

والعظام تحمى الأعضـاء الداخلية فعظام الجمجمة تحمى المخ. . والأضـلاع تحمى الـرئتين والقلب وإلى حد ما المعـدة والكبـد والكليتين. . كما أن عظام الحوض تحمى الأحشاء التى فى الجزء الأسفل من الجسم.

والعظام على أشكال وأحجام شتى. . فهناك العظام الطويلة مثل عظام الذراعين والساقين. . وهناك العظام القصيرة مثل عظام الأصابع. . كما أن هناك العظام المفلطحة مثل عظمى اللوح. . وكل عظم من عظام الجسم مشكل بحيث يؤدى وظيفته على أتم وجه ـ فلا تجد فى العظم بروزاً أو تجويفاً إلا وله غرض معين الأمر الذى أثار دهشة واعجاب كل مهندس درس تركيب وتكوين العظام.



عظام الانسان وسنوات العمر



(ا) نشأة العظام:

تنشأ العظام على هيئة غضاريف قبل ولادة الجنين بزمن طويل ـ والغضروف نسيج متين إلا أنه لين. . وبمضى الـزمن ينمـو الجنـين وتتعكس الغضـاريف، ومعنى هذا ترسيب أملاح الكالسيوم

فيها فتصبح نسيجاً عظمياً صلباً. وكلمة الهيكل العظمى تعنى لغوياً كل جزء عظمى فى الحيوان، ولها دلالتان:

[الأولى]: وهى العظام الداخلية.

[الثانية]: وهى العظام الخارجية وهذه فى الانسان تعنى الشعر والأظافر والأسنان.

وكلمة (Skeleton) تنحدر من الكلمة الاغريقية (Skeletos) بمعنى الشيىء الجاف الميت من العظام بعد تحضيرها للدرس بطريقة عشوائية وغير متقنة.

أما الحقيقة: فهى أن عظام الكائن الحى عبارة عن نسيج بلاستيكى الشكل ذى تركيبين أحدهما عضوى.. والآخر غير عضوى.. وهذا النسيج قادر على التغيير الجذرى مع التقدم فى السن.. وله هذه الخاصية فى الشكل والحجم وله القدرة أيضاً على التكيف شكلاً مع الجنس.. ومما هو جدير بالذكر أن عظام الجسم تتأثر بالخواص الوراثية لحاملها وبالظروف الداخلية للجسم نفسه.

(٢) عدد العظام فى جسم الانسان:

تصل عظام الانسان الى مئتى عظم اذا لم ندخل فى حسابنا العظام الثلاثة الصغيرة الموجودة فى كل أذن.

وفيما يلى قائمة بذلك العدد:

[١] الجمجمة	٢٢٠
[٢] العظم اللاص «فى مقدمة الرقبة»	١
[٣] العمود الفقرى	٢٦
[٤] الأضلاع	٢٤
[٥] القص	١
[٦] الذراعان واليدان	٦٤
[٧] الساقان والقدمان	٦٢

وبالاضافة الى ذلك فهناك حوالى (٢٠) عظمة لا تعتبر من العظام الحقيقية وتسمى العظام «السمسمية» - بمعنى أنها مشكلة فى شكل الحبّة المفلطحة. وأفضل مثال لهذه العظام: رضفة مفصل الركبة التى تنزلق أمام المفصل وتحميه فى بعض الاوقات والأوضاع كما يحدث عند الركوع.

(٣) العظام وسنوات العمر:

إذا فحصنا عظمه واحدة لشخص ما فمن الممكن أن تأخذ فكرة عن صاحبها من حيث العمر والجنس وطول الجسم وشكل البنية ودرجة تمتعه بالصحة.. وما هو طعامه وما هى عناصره.. وكذلك مكوناته الوراثية وهل تعمل غدده الصماء بتناسق واتزان أم لا - ويمكن التنبؤ ايضا إذا كان لديه أية خواص شخصية.

ولقد مكنتنا الطرق العلمية الحديثة فى دراسة علم الانسان على مدى العصور من البحث فى العظام الاثرية ودراسة أحوالها التاريخية وسلالتها.

هو جدير بالاشارة اليه أن عظام الجسم هى عضو حى ومزيج ليفى مختلط من العناصر المعدنية يقاوم الضغط والشد مع الاحتفاظ ببعض المرونة الكافية.

فإذا سحبنا المعادن من عظمة ما بوضعها فى محلول حامض مخفف احتفظت العظمة بشكلها وحجمها ولكن يمكن ثنيها وليها.. أما إذا احترقت احترق نسيجها الليفى واحتفظت بهيكلها العام - ولكنها تصبح هشة وغير مرنه تنكسر وتتفتت بسهولة وبأقل مجهود.

(٤) غـذاء العظـام:

وإذا نظرت الى عظم من العظام الطويلة فإنك ستجده مكوناً من جزء طويل رفيع يسمى جسم العظم.. ونهايتين مستديرتين تكونان رأس العظم وسطح العظم، مغطى بغشاء متين يسمى «السمحاق».. يحتوى على عدد كبير من الاوعية الدموية الدقيقة تكسبه اللون الوردى.. ذلك لأن العظام مثلها مثل أى نسيج فى الجسم لابد من تغذيتها بالدماء.

ويوجد تحت الجلد المحيط بالعظم قشرة من العظم الصلب تشبه العاج يزداد سمكها عند منتصف العظم.

■■ والعظم داخل هذه القشرة اسفنجى التركيب ويوجد النخاع الاحمر فى فجواته ويقع معظم هذا العظم الاسفنجى عند نهايتى العظم.

■ وتتكون ملايين الكرات الحمراء فى كل ثانية فى هذا النخاع العظمى الاحمر.. والكرة الدموية الحمراء نواة وهى فى داخل العظم ـ ولذلك يمكنها أن تنقسم وتتوالد وبذلك تمر الكرة الحمراء فى عدة أطوار أثناء نموها. وبمجرد أن تكون فى حالة صالحة للانضمام الى الكرات الحمراء الاخرى التى فى الدورة الدموية نرى أن النواة تختفى من وسطها.. ومن هذا نرى أن الكرة الدموية، الحمراء لا تستطيع الانقسام وهى فى الدورة الدموية ولا أن تتوالد ـ انها تستطيع ذلك فقط وهى فى النخاع العظمى داخل العظام.

(٥) هدم وبناء العظام

وبقدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى تتشكل كل عظمة حسب وظيفتها واشتراكها فى تحمل ومقاومة الأعباء الميكانيكية وهى دائبه التكيف مع هذه الوظيفة حسبما تتغير الظروف وفى جميع سنى العمر وأثناء النمو وبعد البلوغ، فمثلا: نجد أن عظام الفك الأسفل تتغير كثيراً بتقدم العمر بينما لا تتغير معظم العظام الأخرى بعد استقرار تكوينها.

والتغير فى شكل وتكوين العظام يأتى نتيجة لأى تغيير فى تراكم النسيج العظمى أو امتصاصه وهذا لا يعتمد فقط على نشاط الخلايا المختصة فى بناء أو هدم العظام وانما يعتمد على عوامل عامة فى الجسم تتعلق بمعدل التمثيل الغذائى والتوازن العام بين الهرمونات، أو اختلاف ذلك المعدل لأى سبب من الأسباب.

(٦) كيف تتكون العظام؟؟

ينقسم الهيكل العظمى الى قسمين: العظام المحورية وهى الفقرات والاضلاع وعظمة القص والجمجمة.. والعظام الطرفية وهى عظام الحوض والاكتاف والأطراف المتصلة بها.

ويصعب الدخول فى تفاصيل تكوين العظام فى الجنين لكن يمكننا القول بأن الجنين يتطور من مرحلة خلايا تتكاثر الى بداية تطورها الى أنسجة مختلفة وتنقسم هذه الانسجة عموماً الى ثلاثة أنواع:

١ ـ الخارجى.. الاوسط.. الداخلى.. أما العظام فأصلها من النسيج الاوسط المسمى بالميزودرم حيث ينقسم مبدئياً الى ٤٢ـ٤٤ زوجاً من الأجزاء التى تنتج عنها الفقرات والاضلاع.

(٧) ما الذى يؤثر فى نمو العظام؟.

عندما يتم التحام العظام النامية بعضها ببعض ليكتسب الهيكل العظمى للانسان حداً معيناً من حيث الطول والسمك والشكل تبعاً لعوامل خاصة



بكل شخص، تظل تلك الخواص المكتسبة ثابتة الى أن تتغير بفعل سنوات العمر أو بأى عوامل مرضية أخرى. وهناك عوامل عديدة تتحكم فى نمو العظام هى:

(١) العوامل الوراثية

(٢) العوامل الهرمونية.

(٣) العوامل الغذائية والميكانيكية.

(٤) العوامل العصبية.

(٨) الطول والقصر

وعلى النقيض من ذلك إذا قلت نسبة هرمونات النمو ظل الفرد قزماً والتحمت العظام بعضها ببعض قبل الاوان.

(٩) مرض لين العظام:

يعتمد نمو العظام بصفة عامة على وفرة كافية من عناصر الكالسيوم والفوسفور وفيتامين (د) الموجود فى الطعـام - فإذا نقصت تلك العناصـر قل ترسب «الكالسيوم» فى النسيج العظمى فتضعف قوته على تحمل ميكانيكية الحركة.. وباستمرار نقصان الكالسيوم يصبح **«تضخم الغضاريف»** واضحاً من نهايات العظام اللينة بسبب عدم ترسب الكالسيوم فيها **«وهذا هو مرض لين العظام أو الكساح»** - و هذه العظام قد أصبحت ذات نوعية رديئة لا تقدر على تحمل الشد والجذب للحركة اليومية للجسم - وهناك تكون الحاجة ماسة للفيتامين «ج» حيث إنه العامل المنشط لبدء تكوين النسيج الاساسى للعظام السليمة.. ونقص هذا الفيتامين يؤدى الى مرض الاسقربوط.

(١٠) دور العوامل الوراثية

يرث الطفل عدم قدرة خلايا العظام على تكوين النسيج فيولد وعظامه لينة ومشوهة وبها كسور متعددة.. وقد يكون الطفل عكس ذلك تماماً فتكون عظامه صماء مليئة بالكالسيوم وهشة قابلة للكسر وهؤلاء يعانون من الانيميا الشاملة لعدم وجود النخاع فى عظامهم.

(١١) العمود الفقرى

العمود الفقرى من أعجب التراكيب فى جسم الانسان فهو عبارة عن سلسلة من العظام تعمل فى توافق مع بعضها البعض - ونظراً لشكل هذه العظام وموقعها من الجسم يمكن تحريك الرأس دون أن يتحرك البدن.. كما يمكن تحريك البدن دون أن يتحرك القدمان.. وعندما يولد الطفل يكون عموده الفقرى مستقيماً الى حد كبير باستثناء انحناء فى أسفله.. وبتقدم الطفل فى العمر تظهر انحناءات طبيعية فيه. واحدة الى الداخل فى منطقة الرقبة - **وثانية** الى الخارج فيما يلى: الكتفين.. **وثالثة**: الى الداخل عند الوسط **ورابعة**: الى الخارج فى منتصف الحوض.. واخيراً انحناء شديد الى الداخل.

وكلما تقدم الانسان فى العمر يميل العمود الفقرى قليلاً الى احدى الجهتين ويعتقد الاطباء أن جهة هذا الميل تتوقف على طبيعة الشخص وهل هو أيسر أم أعسر.

ولما كان معظم الناس يستعملون أيديهم اليمنى فإنهم يستعملون عضلات هذا الجانب أكثر من عضلات الجانب الأيسر - ولذلك يميل العمود

الفقرى الى جهة اليمين عادة . . ويحدث العكس فى حالة الأعسر حيث يميل العمود الفقرى الى اليسار.

ويتكون العمود الفقرى من ثلاث وثلاثين عظمة أو فقرة . . وقد تجد من يقول بأن عددها ست وعشرون فقط . . والسبب فى ذلك أن الفقرات السفلى من العمود الفقرى غير منفصلة تماماً إذ يتحد خمس منها فى عظم واحد يسمى العجز - ويلى ذلك أربع متحدات فى عظم واحد آخر يسمى العصص.

المراجع

١ - عظامنا والعمر - د. فاطمه الفرباوى
٢ - كل شيىء عن جسم الانسان - كتاب تأليف «برنار جلمر»
٣ - بيولوجية الحيوان العملية الجزء الاول
٤ - المجلة الطبية.

المشاكل الصحية في السفر الجوي

الأردن

كثيرون هم الذين يسافرون جواً، منهم الصحيح، ومنهم السقيم، ولا شك أنه توجد مصاعب عدة تواجه هؤلاء المسافرين ولابد من إلقاء نظرة سريعة عليها.

ينجم عن السفر جواً بعض التغيرات الفزيولوجية بحيث يستطيع معظم المرضى أن يسافروا جواً فيها لو اتيحت لهم تجهيزات وخدمات مناسبة . . أما المشاكل الطبية فى السفر الجوى فتتسبب عن مواجهة احوال بيئية غير اعتيادية، اما لقصور فى التجهيزات أو لبيئة عمل شاذة.

تطير معظم المركبات الجوية الحديثة على ارتفاع ٦٥٠٠-١٣٠٠٠ متر، وهى مجهزة بمقصورات مكيفة الضغط بحيث تحافظ على ارتفاع فعال فى المقصورة يقل عن ٢٢٥٠ متراً «الطائرات النفاثة» أو ٢٧٠٠ متر «الطائرات المروحية» . . وقد تصادف تسارعات غير اعتيادية . . كما قد يضطرب نظم استقلاب البدن اليومى السوى وذلك بالتنقل السريع بين مناطق الزمن المختلفة.

[الضغط الجوى]:

يعادل الضغط الجوى على مستوى سطح البحر ٧٦٠ ملم زئبقى وكلما زاد الارتفاع عن سطح البحر

قل الضغط الجوى، فعلى ارتفاع عشرة الاف قدم عن سطح البحر يصبح الضغط ٥٢٣ ملم زئبقى حتى يصبح ٨٧ ملم زئبقى على ارتفاع خمسين الف قدم عن سطح البحر، وبالعكس فإن انخفاض مستوى الارض عن سطح البحر يؤدى الى ارتفاع الضغط على هذه الأرض. ويهمنا هنا أن نشير الى أن الضغط يزداد بشكل كبير تحت سطح الماء لان وزن عمود من الماء أكبر بكثير من وزن عمود من الهواء، ومن المعروف أن الضغط يزداد بمعدل ضغط جوى واحد كلما نزلنا ٣٣ قدماً تحت سطح الماء، وهكذا فعلى عمق ٣٠٠ قدم تحت الماء يعادل الضغط عشرة ضغوط جوية.

تأثير تغيرات الضغط الجوى على الانسان:

عندما يرتفع الضغط الجوى الواقع على الانسان يزداد الضغط الجزئى للغازات فى الرئة كما هو الحال عند الغواصين تحت الماء.. كما تزداد كمية النيتروجين والاكسجين وثانى اكسيد الكربون الذائبة فى الدم والانسجة.. ويتشبع الدم بالغازات خلال خمس دقائق.

أما اذا انخفض الضغط الجوى كما فى المرتفعات فيحدث العكس.. وتختلف الاعراض الناجمة عن الصعود الى مرتفعات عالية باختلاف العلو وزمن التعرض لهذا الارتفاع ودرجة التلاؤم والمقدرة الفردية على التوازن.. وأهم الاعراض الناجمة عن الصعود الى مرتفعات عالية: الصداع والدوخان.. والنعاس والتعب.. والغثيان والتقيؤ.. وفقدان التوازن العضلى.. وضعف حدة النظر وعمى الليل.. ويعزى عمى الليل الى أن نقص الاكسجين يسبب نقصاً فى وظيفة العصب الموجود فى الشبكية وبالتالى يحدث عمى الليل ـ لذلك يجب أن تزداد كمية الضوء المحيطة بالشخص على ارتفاع ٥٠٠ قدم حوالى ٢٣٪ و٥٩٪ على ارتفاع عشرة الاف قدم و١٤٠٪ على ارتفاع ١٦ ألف قدم ـ كما يصاب الشخص بفقدان الذاكرة والشلل والاغماء ومن ثم الموت.

ولابد لنا أن نذكر تناذرين فى سياق تأثير الضغط الجوى على الانسان وهما:

تناذر الضغط

ويحدث فى الاشخاص الذين يتعرضون لضغط أعلى مما كانوا عليه.. وأهم تأثيراته تبدو فى الاذن والجيوب اذا كانت قناة اوستاش مغلقة أو فتحات الجيوب مغلقة عندها قد يؤدى تزايد الضغط الخارجى الى آلام شديدة واحتقان ونزيف وقد يؤدى الى تمزق غشاء الطبل ـ كما يؤدى الى احتقان ونزف وخاصة فى حالة انتفاخ الرئة.

تناذر نزع الضغط:

اذا عرض الانسان بسرعة لضغط جوى أقل من الضغط الجوى العالى الذى كان معرضاً له تظهر بعض الاعراض النموذجية وهى: آلام شديدة فى العضلات والمفاصل.. اندفاع جلدى وحكة.. دوخان وتقيؤ آلام بطنية.. تعب ـ ضيق تنفس وصدمة ـ ومن الاعراض العصبية الشلل ـ ومن الاعراض الدورانية فشل القلب أو جلطة الرئة وقد يحدث الموت سريعاً.. وتكون هذه الاعراض نتيجة لتشكل فقاعات النيتروجين فى الدم.

نقل المرضى جواً:

من الممكن الآن الطيران دون انحراف مهم عن أحوال البيئة العادية «تجريبياً وفزيولوجياً». . كما أنه لا توجد مضادات استطباب طبية مطلقة لسفر المرضى جواً. . إلا أنه يوجد عدد من الحالات يجب الا يسافر فيها بعض المرضى جواً أبداً - وفي حالات أخرى: يجب أن تؤمن طائرة فيها مقصورات مكيفة الضغط وموظفون يمكن الاعتماد عليهم. . تنقل الخطوط الجوية التجارية كثيراً من المرضى بناء على تقدير المشرف الطبي فيها والعوامل المهمة في اتخاذ قرار نقل المرضى جواً اضافة لحالتهم الصحية وهي راحة باقي المسافرين وموافقتهم.

ونورد هنا أهم الامراض التي لها علاقة مع النقل الجوي اذ لابد من الحصول على تصريح خاص في النقل الجوي يؤخذ من المدير الطبي المسؤول فيها.

المرض القلبي:

يشكل انخفاض ضغط الاكسجين الجزئي الذي قد يصادف المسافرين أثناء الطيران أهم مانع لسفر المصابين بأمراض قلبية. . ويمكن المحافظة على اشباع اكسجيني شرياني طبيعي في كل الارتفاعات التي يصلها الطيران العادي، وذلك بتنفس الاكسجين الصرف.

ولا يوجد دليل على أن الطيران الاعتيادي يزيد في حدوث نوب خناق الصدر أو جلطة القلب أو جلطة الدماغ - ولكن قد يستفيد مرضى ضيق الصدر «الذبحة الصدرية» المحرض بالشدة الانفعالية من اعطاء بعض المهدئات قبل الطيران.

ولا يسمح بسفر المصابين بخناق شديد أو متكرر أو بارتفاع التوتر الشرياني «ارتفاع الضغط الدموي» الشديد إلا اذا توفرت طائرة مكيفة الضغط أو مزودة بالاكسجين. . وبشكل عام يفضل الا يسافر من غير ضرورة المصابون بجلطة في القلب أو في الدماغ إلا بعد مضي ستة أسابيع من حدوث المرض.

المرض الرئوي:

لا يجوز أن يسافر المصابون بالامراض الرئوية الشديدة إلا اذا توافر له الاكسجين وكافة العلاجات اللازمة لمعالجتهم. . أما المصابون بالامراض الرئوية المتوسطة الشدة فيمكنهم عادة الطيران الى ارتفاع ٣٠٠٠ متر دون صعوبة. . أما المصابون بالربو. . والذين لا يستجيبون للعلاج فيجب أن لا يسافروا أثناء النوبات الحادة من دون رعاية. . كما أن المرضى المصابين بوجود هواء بين وريقتي غشاء الجنب يجب الا يسافروا جواً ما لم يؤمن لهم مقصورة يعادل فيها الضغط ما هو عليه على مستوى الأرض.

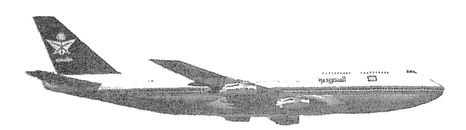
المرض الدموي:

يتحمل المرضى الذين تتراوح قوة الدم «الهيموغلوبين» فيهم بين ٧-٩غم/ ١٠٠مل والطبيعي ١٣٠٠-١٦غم/ ١٠٠مل» في غياب مرض قلبي رئوي، الطيران على ارتفاع ١٥٠٠ متر دون صعوبة أما إذا ارتفعوا اكثر من ذلك فيجب أن يكون الهيموغلويين أعلى من ١٠غم/ ١٠٠مل. كما يجب أن لا يسافر من هو مصاب بفقر الدم المنجلي - وهو احد أنواع فقر الدم الانحلالي - ما لم يؤمن لهم توتر اكسجيني جزئي يبلغ ١٥٠ملم زئبقي.

المرض الساري:

يمنع المصابون بالامراض السارية من دخول بلد أو ولاية أخرى من دون موافقة القسم الصحي فيها.





الصـــرع :

يمكن أن يطير معظم المصابين بالصرع المعالج جيداً الى ارتفاع ٣٠٠٠ متر دون صعوبة، أما الطيران لأعلى من ذلك فى طائرة غير مكيفة الضغط فقد يثير النوبات.

الســكرى :

قد يضطرب ضبط المرضى السكريين بسبب الانتقال السريع من منطقة زمنية الى أخرى. لذا يجب توقيت الطيران بدقة وحذر بالنسبة للوقت المستقصى لا للوقت المحلى مع تأمين الوجبات ـ وبذا يمكن نقل المريض السكرى المضبوط دون صعوبة.

أمراض الانف والاذن والحنجرة :

يمكن لالتهابات الجهاز التنفسى العلوى والتهاب الجيوب المزمن أن تسد نفيرى اوستاك أو أقنية الجيوب وأن تحدث التهاب الاذن أو التهاب الجيوب الضغطين اللذين يحدثان بازدياد الضغط الخارجى أثناء الهبوط. واذا كان من الضرورى سفر المريض بالتهاب الجهاز التنفسى العلوى الحاد جواً فلابد من تناول أدويته اللازمة لذلك قبل صعود الطائرة ولعدة مرات وقبل الهبوط فإن ذلك يساعد على بقاء الاقنية مفتوحة. كما أن اجراء عملية البلع مع سد الأنف يفتح عادة الاقنية ـ ويمكن اطعام الاطفال أثناء الهبوط لتشجيع البلع.

السفر بعد العمليات الجراحية :

تتمدد غازات الامعاء بتناقص الضغط الجوى لذا يفضل عموما الا ينقل المرضى جواً بعد جراحة على البطن أو جراحة كبيرة أخرى إلا بعد عشرة أيام.

ومن جهة أخرى تبين بالخبرة المكتسبة من اخلاء جرحى الحروب جواً أنه يمكن عملياً نقل جميع المرضى ذوى الحالة المستقرة حين الضرورة اذا توفرت الوسائل والعاملون الاكفاء فيمكن نقل معظم المصابين بكسور دون صعوبة ـ إلا أن لكسر الفك السفلى «وخاصة اذا كان ثابتاً» مشكلة خاصة بسبب القىء ورشف المفرزات وقد اعد سلك داعم يسهل فكه يستخدم فى الطيران لهذا الغرض.

وأخيراً

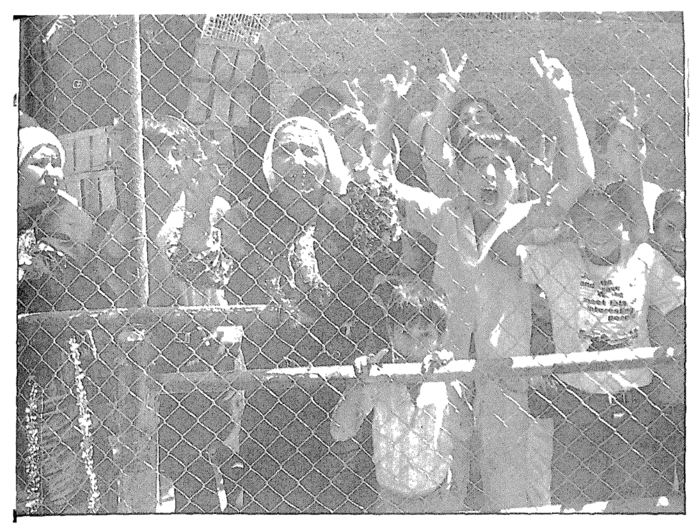
لابد من القاء نظرة سريعة عن الحمل والسفر جواً فلقد تبين بالخبرة الواسعة أنه ليس للطيران الاعتيادى تأثيرات سيئة على المرأة الحامل السوية أو على الجنين. وعليها أن تجلس «ان أمكن» مواجهة لمؤخرة الطائرة.. وأن تضع حزام المقعد على أعلى فخذيها ووركيها وليس حول بطنها.. أما اذا تضاعف الحمل بالتشنج النفاسى أو بمرض القلب الرئوى فيؤخذ بالاعتبار ما طبق على المريضة غير الحامل.


المنهل
ALMANHAL



● فلسطين فى شعر العشماوى
● تابوت بنى اسرائيل
● قرية عزموط
● محمد اسعاف النشاشيبى

حلمى الخولى
د. أبو الفتح شرف الدين
كمال شحادة
عيسى المصو



عين الحق ساهرة

صاحب الحق تظل عينه ساهرة على حقه لا يغمض جفنه حتى يسترده . . والغاصب يظل وجلاً خائفاً مرتعدا . . وما من شيء يسكت الفلسطيني عن حقه ويخرسه إلا وجربته اسرائيل . . القتل والتشريد والتدمير . . اخرجوهم من أرضهم بقوة السلاح . . شردوهم من خيامهم بقوة السلاح . . قتلوهم وهم على بعد آلاف الأميال بقوة السلاح . . ورغم كل ذلك يظل الفلسطيني صامدا . . إنَّه الحق . . وصاحب الحق لا تلين قناته ولا يسكت صوته . . رغم كل ذلك فهو صامد وسيظل كذلك .

توهم العدو أن الرصاص والغاز السام وتكسير عظام الفلسطيني بقضب البندقية وتمزيق جسده قطعة قطعة . . نقول ـ توهم ـ أن هذا فيه الكفاية لاخماد صوت صاحب الحق . . هذا الصوت الذى أقلق مضجعه . . هكذا توهم حتى أذهله (الحجر) . . نعم . . حجر . . قذيفة البغض والكراهية والثأر . . قذيفة النفس التى جرحت فى أرضها وعرضها . . جُرحت فى أغلى ما تملك . . أذهلتهم هذه القذيفة وأصبحوا كالمصروع يتخبط فى الأرض فقد مسهم طائف من لعنة الحجر . . وتقلبوا فى البلاد يُقتّلون ويُذبّحون ويستحيون . .

وفى سلسلة هذا الطيش الغاشم كان مقتل الشهيد أبى جهاد ومن سبقه من رفقاء السلاح . . وكانوا يظنون فى التصفية الجسدية لقيادات الثورة الفلسطينية تصفية للقضية الفلسطينية ذاتها . . ولكنهم أيضا يظلون فى وهمهم الكبير .

وصاحب الحق تظل عينه ساهرة

المنهل



«أريل شارون» الإرهابى اليهودى وزير الصناعة الصهيونى قال خلال جولة له فى شمال فلسطين المحتلة: (لقد قلت مراراً على مدى سنوات انه يتعين علينا أن نحذر رؤساء العمليات الارهابية ـ حسب زعمه ـ وان نؤذيهم ونقضى عليهم)

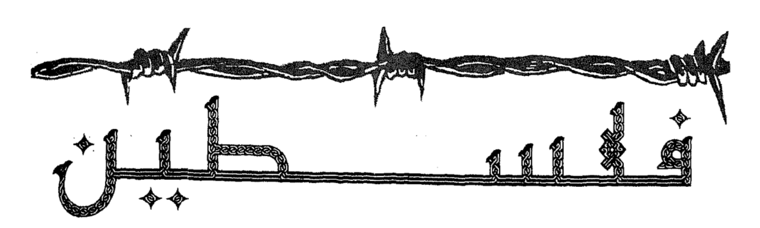
.. القضاء على الفلسطينيين يظل هو الهدف الأعلى لكل يهودى..



شعر: محمد آدم المرزوقي

ملتْ فلسطينُ المواعيد فانتفضتْ
وأقسمتْ أن تشجَّ القيدَ او تُقْبَر
إنَّا شربنا كؤوسَ الويل مُتْرعةً
فحان للَّيث بعد الصمتِ أنْ يزأر
خمسون عاماً وليل البغى يصهرُنا
لا الفجرُ لاح ولا صبر لنا أثمر
ما نفع صبرك والأحداثُ داميةٌ
والاخطبوطُ بمسرى المصطفى عَسْكَر
أبعد أن هوَّدوا الجولان صاغره
والقدسُ مطعونةٌ فى صدرها خنجر

تبيتَ ليلك والاحلام زاخرة
بها تمنى فتسترخى ولا تثأر
ما بالشكاوى والخطب يُعيدُ الارضَ مغتصبٌ
او بانطلاق القوافى من على منبر
ماجُرَّ بالعنف فى أيام فرقتنا
لا يُستردّ بغير العنف او أكثر
«كفى التغنى بمجدٍ لست صانعه»
ما عاد يطربنا دُفٌ ولا مِزْهَر
عسى الزمان الذى ولىَّ يطالعنا
فالقدس ترنو له و«المهد» و«المنبر»
خُضْها اذا استكبروا او مسَّهم صَلَفٌ
ما كان يعجزنا كسرى ولا قيصر



في شعر عبدالرحمن صالح العشماوي

المتصفح لشعر الشاعر السعودى «عبد الرحمن صالح العشماوى» يجده يحمل فى قلبه الامة الاسلامية والعربية يحمل آلامها وآمالها، يردد أمجادها الماضية ويتمنى رقيها ووحدتها فى الأيام الآتية . . يوضح الجراح ويسلط عليها الأضواء ويضع الحلول التى تشفيها.

● وفلسطين تلك البقعة العزيزة على نفس كل عربى ومسلم يحملها العشماوى فى قلبه ويجعلها أملا له يتمنى أن يتحقق. . ويؤجل الشاعر الرقيق «حبه» واللقاء بمنية القلب ـ حبيبته ـ فكيف يحلو له اللقاء والحب، وما يضفيه على النفس من فرحة وسعادة، وهناك من يبكون؟ . وهناك الأيتام يتضرعون؟ وكيف يستقيم الحب فى سويداء الفؤاد، والنفس تشتعل نارا ولهباً على الوطن السليب؟ كيف يبسم الثغر، والجرح ينزف بالألم الفظيع؟ .

● ولهذا فإن الشاعر يؤجل حبه، ولا ينعم بلقاء مهجة القلب إلا فى فلسطين فيقول فى قصيدته «ألقاك فى فلسطين» :

ربَّ ليلٍ طويتُه دامع العين
أناجيكِ من خلال الظلامِ
حلمٌ أن نعيش لحظة شوقٍ
تحت ظل الحلال رغم الحرام
غير أنى إذا تملَّك قلبى
طيفُ ذكراك فى أعزِّ منامى
همتُ فى عالمِ الخيالِ وطافتْ
صورٌ تستثيرُ كلَّ اهتمامى
أىُّ حب يصفو، وجُرْحُ بلادى
ماثلٌ فى تضرّع الايتامِ

كيف ألقاكِ باسما؟ وجراحى
وقفتْ دون ثغركِ البسام
كيف تنمو زهورُ قلبى؟ ودمعى
قطراتٌ من اللهيب الحامى
كيف أرضى بالذّل ما دمتُ حيّا؟
نابضاً بالهدى وبالإلهام
ذاك دربى ياظبيتى فاعذرينى
وأعيدى الورودَ فى الأكمام
هو حب يسمو عن الفسق، يعلو
عن دنايا النفوسِ والآثام

وإذا ما سما هوانا فيكفى
أن يتم اللقاء فى الأحلام
أنتِ جزء من الفؤاد فأولى
أن تَهُزّى اليقين فى إلهامى
فارفعى الكفَّ للسماء وناجى
خالقَ الكون أن يعزَّ مقامى
فإذا ما امتطيتُ صهوة مجدى
وتظللتُ عزة الاسلام
فهناك اللقاء، يحلو هوانا
فى فلسطين تحت ظل سلام

● ولد عام ١٣٧٥هـ فى قرية عرار منطقة الباحة وتخرج من معهد الباحة العلمى عام ١٣٩٢هـ .

● التحق بكلية اللغة العربية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٣٩٢هـ وتخرج منها عام ١٣٩٧هـ - وعمل معيدا بها.

● حصل على رسالة الماجستير ويحضر الآن رسالة الدكتوراة وموضوعها البناء الفنى للقصة التاريخية الاسلامية.

● عضو فى نادى الرياض الادبى.

● نشر قصائده فى عدد من المجلات والصحف العربية.

● أشرف على الصفحة الادبية فى مجلة الدعوة.

● يقدم برنامجا يوميا فى الاذاعة بعنوان «قراءة من كتاب» وبرنامجا تليفزيونيا بعنوان «آفاق ثقافية».

● من دواوين شعره: الى أمتى، حوار فوق شراع الزمن، صراع مع النفس، قصائد الى لبنان، وغير ذلك.

● والعيد حينما يهل بنوره حاملا معه الفرحة والبهجة والسرور، فإنه لا يكون كذلك مع الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوى فقد أصبح العيد عنده نبشا للحزن الذى يكنه الفؤاد وغدا العيد عنده مسرحا مأساويا وأمته رواية حزينة، وخاصة فلسطين ففى قصيدته «العيد الحزين» يقول فى مطلعها:

عيد ، ما هذه الخطا العجلاتُ؟
كيف تطوى أمامك السنواتُ؟
عيد ، هل جئت بالجديدِ المهنا؟
أم أعيدت بعودك الحسراتُ؟
عُدت يا عيد والجراحُ جراحٌ
لم تحقق لأمتى الأمنياتُ

■ ويعتذر الشاعر لرفاقه عن نبرة الحزن والأسى التى تظهرها قوافيه فى العيد، ويقدم للرفاق ـ فى نفس القصيدة ـ أسباب حزن قوافيه فيقول:

يا رفاقى وفى ضمير القوافى
حسراتٌ، وخاطرى حسراتُ
فاعذرونى، إذا أفاقت شجونى
يوم عيدى، وسالت العبراتُ
هو عيد لكن حملت فؤاداً
فيه من غيرة الأبىّ سماتُ

كيف يشدو، وإن أتى العيدُ يزهو
بالأماني وبالرضى يقتاتُ
كيف يشدو ولليتامى الحيارى
تحت ظلم من العدا أناتُ
كيف يشدو، ومسجد القدس يشكو
وبلادي أعيادها ويلاتُ

■ ويوضح أسباب عزوفه عن فرحة العيد اكثر فيقول:

ليس يأسا من رحمة الله لكن
لوعةٌ تستدرُّها الهفواتُ
عجباً كلما رأيت رفاقي
يتغنون هاجت الخطراتُ
فتذكّرتُ في فلسطين ثكلى
تمضغُ البؤس، والأعادي قساة
نحن نشدو وهم يقيمون ملكا
في بلادي، وملكُهم عثراتُ
كيف يبنون في بلادي ظلما
ومن الظلم تقشعرّ الرفاتُ
مل منهم ثرى بلادي وملت
من رزايا ما يصنعون الحياة
وإذا باشر المصيبة وغدٌ
فستُبدي أسراره البصماتُ

■ ثم يتوجه بالحديث الى العيد قائلا له في صراحة ما يدور في فؤاده الموار بآلام أمته فيقول:

عيدُ ، إن كنت تستطيع فبعداً
كيف تأتي وأمتي أشتاتُ
كيف تأتي؟ يا عيد تطلب شدواً
وبلادي(*) يعيث فيها الطغاة
لست بالراهب الذي يكره الشدو
ولكن لفرحتي ميقاتُ،
أيّها العيدُ لست عيدي فمهلًا
إنّ عيدي أن ترفع الراياتُ

■ وإذا كانت فلسطين عامة تحيا في قلب الشاعر «عبد الرحمن صالح العشماوي» فإن القدس خاصة مكانها شغاف القلب وسويداء الفؤاد، ومن أجلها يحترق فؤاد الشاعر، ويلاقي في سبيل حبها من لظى الشوق ما يلاقي فيقول:

القدسُ يصرخُ (آه) لو
شاهدت «ياطه» احتراقي
أو كنت تعلمُ يا صلا
ح الدين عنّي ما ألاقي
كم من فتى أحشاؤه
فسقٌ، ويبدو في ائتلاق
إني أرى الدنيا تكاد
تسيدُ من أهلِ النفاق

■ ويتألم الشاعر كثيرا، لأن الأزمة في صلبها هي أزمة الدين والأخلاق، وما آلت إليه الأمة الاسلامية من شقاق وتخلف وهموم وآلام، إنها لبعدها عن الدين الحنيف، ويخرج الشاعر آهاته معبرة عما يجيش في نفسه، من أجل الأمة والقدس فيقول:

أين الذين سموا بدين
الله عن كلّ انزلاق؟
وتجرعوا الموت الزؤا
م كأنه حلو المذاق
تركوا الحياة وأسرعوا
يتشوفون إلى البواقي
لله أنتم يا حما
ة الدين يا سمة الوفاق
لازال صرحُ فخاركم
يا قادة الاسلام راقي
يا قدسُ في الأحشاء نا
ر من أسى ولظى اشتياق
لازال حبُّك في الفؤا
د ولا تخف فالحب باقي

لكأنني بالدمعة الحرى
تُنادى فى المآقى
وبنظرة نفذت الى الـ
أعماق تطمعُ فى انطلاقى
ولسان حال لا يبين
يصيحُ هبّوا يا رفاقى
أولى بظمآنِ الفؤا
د الموتُ إن لم يلقَ ساقى

■ ويتفجر إحساس الشاعر الرقيق «عبد الرحمن صالح العشماوى» المدفون فى واقع الأمة الاسلامية، وينذى ألما وحسرة وجراحا عندما يرى الحقيقة وهى تطمس بالدعوات الهدامة المتطرفة مثل الشيوعية، والقومية وغيرها، ويغلف أصحاب الدعاوى دعواهم فى أوراق من عطور يخدعون بها من يستمع الى هدمهم، وهل يظن أن ينصرك العدو على نفسه؟ فى هذا قال الشاعر فى قصيدة: «**الى دعاة القومية**».

أأظلُ أشكو للعدو
وليست الشكوى سبيلى
وعلى معازف وعدهم
نام الكماة على الخيول
يا قدسَنا المشنوق بين
الظلم والعزم القتيل
فرسانُنا وبلا سلاح
يقدمون إلى الدخيل
فرساننا وبلا سلاحٍ
يطمحون الى الخليل
لَلمَوْتُ أهنأ للعزيز
من الركون الى الذليل
فاصرخ بهم يا قدسُ
إن سلاحهم نهج الرسول

■ ويتوجه الشاعر الى الشباب أمل الأمة فى الخلاص من آلامها قائلا:

أشبابنا والقدسُ مجـ
ـمرة لنيران العميل
هزوّا بكفٍ واحدٍ
سيف العدالة والشّمول

■ ويوضح الشاعر بفكر واع وقريحة وقادة الحقيقة المرة وهى أن من يسفكون دماءنا هم الذين يظهرون على الساحة الدولية كالأصدقاء، ففى قصيدته «**ياصنعة الحق**» قال:

بكيتُ لبنان حتى راح يهزأ بى
وتهت فى عالم بالرعب مزدحم
وقبله كم بكينا القدس من ألم
فهل منعناه من حزنٍ ومن ألم؟
يا أمةً لم أزل أشدو بعزتها
وإن تكن أصبحت ألعوبة الأمم
الشرقُ والغربُ أعداء وإن وعدوا
وهل يصون دمى من يستبيح دمى

■ ويظل جرح القدس فى قلب الشاعر ينضح بالأسى ويطل فى كل ذكرى إسلامية، وعند حلول شهر رمضان المبارك يشكو له الشاعر جراح الأمة وأولها القدس فيقول:

أعن القدس والضحايا؟ فهذا
نبأ قد عفا عليه الزمانُ؟
شغلونا عنِ شأنها بقضايا
وقفتْ دون حلها الأذهانُ
أبدلونا بجرحنا ألف جرحٍ
كلّ يوم يجتاحنا عدوانُ
صبرّ القلب أيها القادم الفذ
فأحداثُ أمتى ألوانُ
كنت - فيما مضى - أقول لك القد
سُ تعانى، وتشتكى لبنانُ
فيلوح الأسى على وجهك الغض
وتشقى بدمعها الأجفانُ
ليت شعرى ماذا تقول؟ وقد أسرف
قومى، وضاعت الجولان
ليت شعرى ماذا تقول؟ وهذى
عين لبنان، دمعها هتان
وببغداد حسرة سوف تشكو
من أساها، وتشتكى طهرانُ
مزقت أمتى الخلافاتُ حتى
صار يلهو بأمرها الشّيطانُ
انها الحربُ أيها القادم الفذ
دمارٌ، وحسرة، وهوانُ

■ ويعرج الشاعر الرقيق الحس المرهف الشعور «عبد الرحمن صالح العشماوى» على العلاج فيقول فى قصيدته «صرخة مرصعة بالإخلاص»:

لن ترتوى يا قلب إلا
بالصمود على الكفاحِ
ويحَ العدا، كم ضللوا الـ
أفكارَ كم بعثوا جراحى
هذا نداء الماردين
على الكتاب على الصلاحِ
أما نداء الله يا
قلبى فحى على الفلاح
قل للكلاب النابحا
ت: أنا الفتى رغم النباح
واصرخْ بها فى وجه كلّ
مضلل صعب الجماح
ردّوا عليكم ما صنعتم
إنَّ قرآنى سلاحِى
إن الدّمَ الجارى بذكر
الله ليس بمستباحِ
أنظلُّ نبكى ذكرى طارق بن
زياد أو ذكرى صلاح
ونحيدُ عن دربٍ به
انتصروا ونطمع فى النجاحِ

■ ويوجه دعوة عامة للجهاد متمثلة فى ثورة الأمة الاسلامية بأجمعها لتنتفى أسباب جراحها وتزول آلامها بزوال اليهود فقال:

أمتى كيف تطلبين وفاء
من غريقٍ، فى غدره بالعهودِ؟
ها هنا موعدٌ لاصلاح شأنى
وهنا نظرة الى تبديدى
وإذا أهدرت كريمة أصل
أصلها لم يعد بلطم الخدودِ
أمتى لم يزل يحرك عزمى
أملٌ فى طريقك المنشودِ
فثراك الطهور يا أمة الاسـ
ـلام كم فيه من رفات شهيدِ
أمتى ثارت الجراح فثورى
وأفيقى على زوالِ اليهودِ

■ وإن الأبواق الدعائية يجب أن تجتث من جذورها فالمأساة لن تزول إلا باجتماع الأمة حول دستورها «القرآن» فقال:

يا خجلةَ التاريخ من بشر
أغضوا على ذلٍ وإذعانِ
الناظرون دمى بأعينهم
وقلوبهم فى كف شيطان
الراكضون الى رغائبهم
واللابسون مسوحَ كهانِ
والحاملون سيوفهم كذبا
والساجدون لكلّ طغيانِ
عشنا على أبواقهم زمناً
حتى تمادى كلُّ خوانِ
ذابت دعاوى القوم واحترقت
أوراقُ «شارون» و«ريجان»
لن ينزع المأساة من وطنى
إلا اجتماعُ حول قرآنِ

■ ومع الشاعر الكبير «عبد الرحمن الصالح العشماوى» وأنشودته: «أنشودة الراحل العائد» نختتم هذه المقالة والتى قدم لها بقوله: «الى كل فلسطينى شردته يد البغى عن أرضه ظلما وعدوانا» ثم قال:

رحّالٌ والعزمُ ردائى
واللقبُ المحبوبُ «فدائى»
رحّال والمجدُ أمامى
وجلالُ التاريخِ ورائى
إيمانى بالله يقينى
من غدر وخسةِ أعدائى
يا من تستمتع برحيلى
وتذوق اللذة بشقائى
وتعيش على أمل حلو
أنسيت صمودى وإبائى؟

بهذا القدر مع الشاعر المسلم رقيق الحس «عبد الرحمن صالح العشماوى» ورحلته مع فلسطين الحبيبة ومن خلاله نرفع صوتنا عاليا الى كل الأمة الاسلامية والعربية أن انبذوا الخلافات بينكم وضموا أيديكم لتصبح يدا واحدة ترعب الأعداء وتشفى الجراح التى طال عليها الأمد.. اللهم إهد قومى الى الحق ونور الحق.. آمين.

تابوت بنى إسرائيل

بين الفكر الإسلامي واليهودي

د. أبو الفتح شرف الدين

مصر

[مكانة التابوت فى المجتمع الاسرائيلى القديم]:

تابوت العهد عرف قديماً باسم تابوت «ألوهيم» وأحيانا حرّف ذلك الاسم وصار «تابوت إله اسرائيل» أو تابوت «يهوه» أو «تابوت يهوه قائد الجيوش».

■■ والتابوت عبارة عن «صندوق» مصنوع من الخشب السنط.. كانت توضع به

التوراة المنزلة على نبىّ الله موسى عليه السلام، وبعض الألواح ومخلفات موسى وهارون . . وكان يوضع فى قبة يصلى الى جوارها بنو اسرائيل وسط خيامهم المضروبة حوله ويتعرضون للوحى - كما يزعمون - أمامها ورفعه الله سبحانه وتعالى بعد موسى عليه السلام سخطاً على قومه وكان يُؤتى بتابوت العهد الى معسكر الجيش فيستقبله اليهود بالتكبير والتهليل ليتحقق لهم النصر على الأعداء ويقع الذعر فى قلوبهم حيث كانوا يقولون : «إلَه العبريين حضر الى معسكرهم» .

[القرآن الكريم : والتابوت الذى حملته الملائكة] :

رفع الله سبحانه وتعالى تابوت العهد بعد وفاة موسى عليه السلام سخطاً على بنى اسرائيل الذين كتبت عليهم الذلة والمسكنة وأصابهم غضب الله عليهم . . وانهزموا على يد العمالقة الذين قتلوا عدداً كبيراً منهم . . وسلبوا كتابهم المقدس «التوراة» الذى كانوا يحفظونه فى التابوت . . وتشردوا وساء حالهم وذهبوا الى نبيهم شمويل يطلبون منه أن ينصب عليهم ملكاً يقاتلون تحت رايته ضد أعدائهم أسوة بالأمم المجاورة لهم ولكنه كان يعلم كذبهم ونفاقهم : أخشى ألا تقاتلوا إذا عينت لكم ملكا . .

قالوا : كيف لا نقاتل وحالنا كما ترى من ذل وهوان وتشرد . . رد عليهم النبى حسبما ورد فى القرآن الكريم فى سورة البقرة : **﴿إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنىَّ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يُؤت سعةً من المال قال إنَّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلمِ والجسم والله يُؤتى مُلْكه منْ يشاء والله واسع عليم﴾** . . لم يقتنع بنو اسرائيل وأجابوا نبيهم كيف يكون ملكاً علينا وهو رجل فقير لا مال عنده؟ . . وقال أحدهم إنه كان سقاء . وقال آخر إنه كان دباغاً . . فرد عليهم نبيهم بأن الله اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم به منكم ولست أنا الذى عينته من تلقاء نفسى وهو مع هذا أعلم منكم وأشد قوة وصبراً فى الحرب ومعرفة بها - ومن هنا ينبغى أن يكون له الملك - والله هو الحاكم وما شاء فعل ولا يُسْأل عما يفعل وهم يُسألون .

واستطرد شمويل يقول حسبما أورده القرآن الكريم : ﴿ . . إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ . . فعلامة بركة ملك طالوت أن يرد الله التابوت الذى أخذه منكم وفيه سكينة ووقار وجلال وبعض مخلفات موسى وأخيه هارون - وفعلا جاءت الملائكة تحمل التابوت حتى وضعته بين يدى طالوت والناس ينظرون . عند ذلك آمن بنو إسرائيل بطالوت ملكا عليهم وبنبوة شمويل الذى أرسله الله اليهم ليهديهم الى الطريق المستقيم .

[التابوت فى العقيدة اليهودية] :

إذا رجعنا الى سفر صمويل بالعهد القديم نجد ان اليهود قد نظروا الى ذلك التابوت على أنه عرش الإلَه «يهوه» الذى يجلس عليه - أو على أنه قد نقش عليه اسم «يهوه» قائد القوات الاسرائيلية . . ولعل أهم حديث يجب علينا أن نذكره فى هذا المقام هو ما



الفكر الصهيونى مغرم بمقولة التفوق وكثيرا ما أوهم نفسه بها..

ورد فى سفر الخروج أحد الاسفار الخمسة التى تتكون منها التوراة المقدسة عند اليهود: «وقال الرب لموسى إصعد الىّ، الى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليم بنى اسرائيل». وعندما صعد موسى الى الجبل تلقى من الآله أوصاف التابوت على النحو الذى وضعه ذلك السفر. فهو صندوق من الخشب السنط طوله ذراعان ونصف ذراع وعرضه بالمثل.. وارتفاعه ذراع ونصف. وبه حلية من الذهب النقى وعليه أكليل ذهبى أيضاً.. وله أربع حلقات ويحمل على عصوين من الخشب المحلى بالذهب.. وفوق الغطاء طائران. وتوكل حراسة التابوت لهذين الطائرين. وتذكر الالواح أن موسى نزل من الجبل ومعه «التوراه» مكتوبة بقدرة الله سبحانه وتعالى ووضعها موسى فى التابوت وأدخل به ذهباً وفضة وبعض المواثيق وسماه: «تابوت العهد» وقال لبنى اسرائيل: «إنه فى هذا السنط توجد روح الاله «يهوه».. ولم يكن يسمح لأحد أن يمسه والامات هناك أمام الله.

ويقول بعض المؤرخين: «يبدو أن قادة اسرائيل كانوا يحتفظون فى التابوت بأغلى ما يملكون من ثروات، ويوهمون الناس أن من يمسه يموت، ليضمنوا نجاة هذه الثروات، بدليل أن العرب فى إحدى جولاتهم مع اليهود أخذوا التابوت من بنى اسرائيل، ولم يمت منهم أحدا.

[إبن خلدون والتابوت الاسرائيلى]:

يقول إبن خلدون فى مقدمته المعروفة: «وذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببنى اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم اسرائيل (يعقوب) وأباه اسحق من قبله وأقاموا بأرض التيه أمره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها.. وأن يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ومنارة بقناديلها.. وأن يصنع مذبحاً للقربان. وصف ذلك كله فى التوراة فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد ـ وهو التابوت الذى فيه الألواح المصنوعة عوضاً عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت، ووضع المذبح عندها. وعهد الله الى موسى بأن يكون هارون صاحب القربان. ونصبوا تلك القبة بين خيامهم فى التيه يصلون اليها.. يتقربون فى المذبح أمامها.. ويتعرضون للوحى عندها ولما ملكوا أرض الشام أنزلوها «بكلكال» فى بلاد الأرض المقدسة ما بين قسمى (بنى بنيامين) و(بنى إفرايم).. وبقيت هناك أربع عشرة سنة: سبعاً مدة الحرب وسبعاً بعد الفتح أيام القسمة للبلاد ولما توفى يوشع عليه السلام نقلوها الى بلدة «شيلوة قريبا من «كلكال» وأداروا عليها الحيطان ـ وأقامت هناك ثلاثمئة سنة حتى ملكها بنو فلسطين فى أيديهم كما مر وتغلبوا عليهم ـ ثم ردوا عليهم القبة ونقلوها بعد وفاة عالى الكوهن الى نون.. ثم نقلت أيام طالوت الى كنعون فى بلاد بنيامين.. ولما ملك داود عليه السلام نقل التابوت

والقبـة الى بيت المقـدس، وجعـل لها خباء خاصاً ووضعها على الصخرة وبقيت تلك قبلتهم».

[التابوت والقبة يتحولان الى معبد فى عهد سليمان]:

بعد أن قام النبى داود عليه السلام بنقل التابوت والقبـة الى بيت المقـدس أراد أن يبنى معبداً على الصخرة مكان التابوت والقبة ولم يتم له ذلك، فعهد به الى ابنه سليمان عليه السلام فبناه بعد أربع سنين من ملكه وخمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصخر وجعل به صرح الزجاج الذى جاء وصفه بالقرآن الكريم: **﴿قيل لها ادخلى الصرحَ فلما رأتْهُ حسبتـه لُجةً وكشفتْ عن ساقيهـا قال إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير قالتْ ربِّ إنىِّ ظلمتُ نفسى وأسلمتُ مع سليـمان للهِ ربِّ العالمين﴾**. . وغشى أبـوابـه وحيطـانه بالذهب. . وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومناوره ومفاتيحه من الذهب. . وجعل ظهره مقبوا ليودع فيه تابوت العهد حيث كان اليهود يقبلون بفـرح وسـرور عظيمـين متـزاحمين على أورشليم ـ ويأتى الملك ويقدم قرابينه لا باسمه فحسب بل باسم الشعب الاسـرائيلى أيضـاً. . وكـان يعـاون الملك ويشاركه فى هذه الاحتفالات وكبار موظفى الدولة ـ يحيط الشعب ومليكه بأقدس ما جاءهم عن آبائهم الأولين، أعنى التابوت المقدس.

[تخريب المعبد وضياع تابوت العهد اليهودى]:

جاء السبى البابلى وانهزمت الأمة الاسرائيلية. . وأخـذ النفـوذ الأجنبى يشق طريقـه الى المجتمـع الاسـرائيلى. . وخـرب المعبـد بعـد ٨٠٠ سنة من بنائه. . وحرقت التوراة والعصا. . ونشرت الأحجار وصهرت الهياكل. . ووجد أن أدوات المعبد قد سقط منهـا تابوت العهد واستعيض عنه بحجر كان يضع عليه كبير الكهنة المنجرة يوم الاحتفال بعيد الغفران. وبذلك اختفى التابوت المقدس وتوارى من حياة اليهود.

لكنه يبقى أمامنا سؤال: كيف صارت لهذا التابوت تلك المكانة؟.

■ *على هذا السؤال يجيب الـدكتور فؤاد حسنين أستاذ الدراسات الشرقية واللغة العبرية بقوله: «التابوت ـ عند اليهود ـ هو عرش «يهوه» الذى يجلس عليه كإله أعظم. . فالتابوت فى الواقع امتداد لفكرة المركبة التى ينتقل عليها الإله ـ فهى المركب عند قدماء المصريين التى كان يسافر فيها آلهة الشمس فى المحيطات السماوية. . وفى كل مسيرة دينية نجد هذه المركب تسير وقد ركبت على عجل. وفكرة المـركـب أو المـركبـة كوسيلة من وسـائل النقل أو الانقاذ نجدها ممثلة فى أسطورة موسى».*

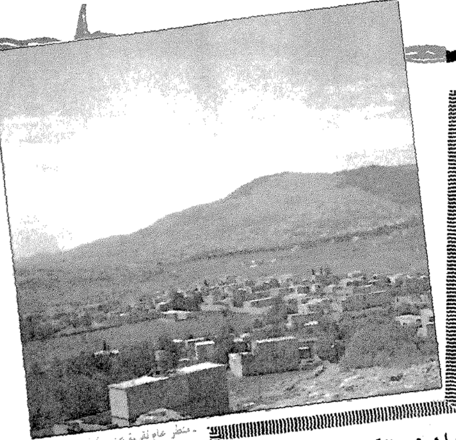
أما جوستاف ليبون: *فيرى أن تابوت العهد اقتباس من الفكر المصرى الذى كان به نظائر لهذا التابوت. . وقد ظل الاعتقاد فى قدسية التابوت حتى عهد أرميا الذى أخذ يتكلم عن إله روحانى ووضع من شأن التابوت وقال عنه:*

لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب ولا يخطر لهم ببال ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ولا يصنع من بعده

نقول إن نظرة الفكر الاسلامى الى التابوت تتجلى فى أنه آية من آيات الله فيه سكينة ووقار. . وهو فى ذاته معجـزة تقـرع الحس وتـدعو الى الايمان والتسليم بقدرة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى يأخذ بيد أنبيـائـه ويؤازرهم ويـنـاصرهم ولا يتخلى عنهم.

أما الفكر الاسرائيلى فيرى فيه علامة امتياز وتفوق عنصرى. . وآلة لكسب المعركة. . وشعاراً للحرب ومـركـب قيـادة يعتليهـا الالـه القـائـد بصفتـه إلـه عنصرى. . وآله بنى إسرائيل وحدهم. . والله غالب على أمره

قريــة عزموط فى لــواء نابــلس



- منظر عام لقرية عزموط في لواء نابلس

قرية عزموط هي إحدى القرى الفلسطينية الصامدة والمعطاءة، كانت هذه القرية موجودة قبل العهد الرومانى، والدليل على ذلك وجود الزيتون المعمر "الرومانى".

تحقيق
كمال شحادة
نابلس/فلسطين

الموقع

تقع هذه القرية الفلسطينية شمال شرق مدينة نابلس على بعد ٥كم. يحد قرية عزموط من الشرق قريتا سالم وديبر الحطب ومن الغرب ضاحية المساكن الشعبية (احد ضواحى نابلس) وقرية عصيره الشمالية، ويحد عزموط من الشمال طمون والفارعة والباذان وطلوزه ومن الجنوب يحدها مخيمات عسكر القديم والجديد ومخيم بلاطه.

سبب التسمية

كلمة عزموط كلمة سريانية تعنى القوى حتى الموت، وهناك ثلاث روايات لاسم قرية عزموط: الرواية الاولى تقول: ان العزموطى سكن وزوجه هذه المنطقة فسميت على اسمه، والرواية الثانية تقول: ان عزموط كانت على زمن الرومان سجناً للعصاة ومستشفى للمجانين وهؤلاء المرضى اتى اهلهم للسكن بالقرب منهم لرعايتهم الرعاية الكافية. . اما الرواية الثالثة وهي الاكثر ترجيحا وهى أن معركة حدثت على زمن الرومان فى سهل وهضاب وجبال هذه القرية فعز الموت فى هذه المعركة من شدتها ومن كثرة ما قتل فيها من الخيول والفرسان، فاطلق على هذه المنطقة «عز الموت» ومع الزمن حورت وتحولت الى اسم عزموط، وهو الاسم الذى مازالت تتبوأه هذه القرية على الخارطة الفلسطينية لغاية الآن.



السكان

يبلغ عدد سكان قرية عزموط حوالى الفى (٢٠٠٠) نسمة متواجدين فيها وهناك عدد كبير من سكان البلدة تركوها قبل عام ١٩٦٧ وذلك اما طلبا

للرزق او للدراسة فى احدى الدول العربية او الاجنبية ولم يتمكنوا من العودة الى وطنهم وديارهم بسبب منع السلطات العسكرية الاسرائيليه لهم فى اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ المشؤومة.

ويوجد هؤلاء المغتربون فى الاردن والسعودية والدول الخليجية والدول العربية الاخرى والدول الاوروبية كهولندا والمانيا ويبلغ عددهم اكثر من (٥٠٠) خمسمائة نسمة، هذا بالاضافة الى رحيل بعض العائلات فى بداية القرن الحالى، القرن العشرين، الى كل من دير ابو ضعيف ومدينة جنين ومدينة نابلس ويبلغ عددهم حوالى ٤٠٠ نسمة.

وقد اخذ البنيان يمتد الى مساحة واسعة فى الاراضى وخاصة السهلية منها بحيث اصبحت تمتد على مسافة ١ر٥كم ثم تباطأ بسبب صعوبة الحصول عل رخص البناء من قبل السلطات العسكرية الاسرائيليه.

وهناك ثلاث حمائل كبرى هى:

(١) حمولة العلاونه وهى اكبر حمولة فى القرية حيث تشكل حوالى ٦٥٪ من عدد سكان القرية.

(٢) حمولة الصوالحة.

(٣) حمولة الحوامده.

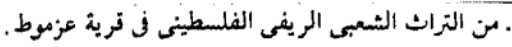
الناحية التعليمية

الامية قليلة وقليلة جدا فى قرية عزموط الفلسطينية وخاصة بين فئات الشباب وكثيرة ومنتشره عند الطاعنين فى السن والذين يبلغون السبعين فما فوق من اعمارهم، ويعطى سكان هذه القرية التعليم والتعلم اهتماماً خاصاً ومميزاً.

يوجد فى القرية مدرستان واحدة للبنين وهى مدرسة اعدادية واخرى للبنات وهى ابتدائية وقد تأسست هاتان المدرستان فى العقد الخامس من القرن العشرين وقبل هذا التاريخ كان الجامع او المسجد (كما كان الحال عند معظم القرى الفلسطينية) المكان الوحيد لتعليم القراءة والكتابة وذلك حسب الاعراف والتقاليد الاسلامية النبيلة حيث استمر هذا الامر لغاية تأسيس مدرسة فى قرية بلاطه (على بعد ٣كم عن عزموط) من ناحية الجنوب حيث اصبح ابناء قرية عزموط يلتحقون بها لحين تأسيس المدرسة فى البلدة.

والآن يكمل الطلبة الذكور والاناث تعليمهم الثانوى اما فى مدرسة «**سالم ودير الحطب الثانوية**» وهى مدرسة مشتركة للقرى الفلسطينية الثلاث «**عزموط، دير الحطب وسالم**» او فى مدارس مدينة نابلس، وقد اكمل بعض ابناء البلدة دراساتهم العليا فى معاهد عليا وجامعات وبنسبة كبيرة وفى تخصصات مختلفة، فمنهم الطبيب والمهندس والصحفى والمحامى والمعلم ومدير الشركة وسواها من التخصصات والمهن الحرة حيث اتموا تعليمهم ودراساتهم العليا اما فى الجامعات العربية الشقيقة او فى الجامعات الاوروبية والاجنبية المختلفة.. وفى عزموط من يحملون شهادات الماجستير والدكتوراه فى الطب والاقتصاد والآداب.

وبعد فتح الجامعات الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة فى العقد السابع من هذا القرن اتجه طلبة البلدة للدراسة فى جامعة النجاح الوطنية بنابلس (كبرى الجامعات الفلسطينية فى الارض المحتلة) وجامعة بيرزيت وجامعة بيت لحم وجامعة القدس وجامعة الخليل، بالاضافة الى كليات المجتمع (المعاهد العليا) المنتشرة على ارجاء الوطن المحتل باعتبارها جامعات ومعاهد وطنية فلسطينية ولها ميزات ثقافية واقتصاديه ووطنية بالنسبة لهم فالدراسة فى الوطن هى من احد مقومات الصمود والثبات فى الارض الفلسطينية المباركة والتى تتعرض يومياً لمحاولات عدة من الاحتلال الاسرائيلى لتغيير معالم الارض والتراث والانسان بشتى الطرق والوسائل.



. من التراث الشعبى الريفى الفلسطينى فى قرية عزموط.

النشاط الاقتصادى

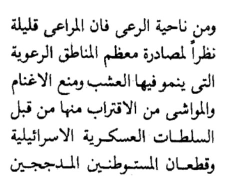
تعتمد قرية عزموط الفلسطينية على الزراعة بنسبة كبيرة حيث تشكل الزراعة العمود الفقرى والقلب النابض للناحية الاقتصادية وذلك بالرغم من كون معظم اراضى القرية جبلية، فسكان هذه البلدة نشيطون جداً يزرعون ارضهم بالمحاصيل الشتوية كالقمح والشعير والعدس والفول والمحاصيل التى تزرع من أجل اطعام المواشى والحيوانات كالكرسنه والبيكه، كما يزرعون المحاصيل الصيفية كالذرة الحمراء التى تستخدم لصناعة المكانس والسمسم والبامية وغيرها.

ويستخدم المواطنون فى قرية عزموط الالآت الزراعية الحديثة للزراعة او الحراثة او البذار او فى عملية الحصاد وجمع المحاصيل والمزروعات مثل التراكتورات والحصادات والدراسات (لفرز الحب عن القش)، بالاضافة الى استعمال الاساليب والطرق الزراعية البدائيه والتقليدية فى الاراضى الجبلية.

تشتهر قرية عزموط بزراعة ثالوث البحر الابيض المتوسط (الزيتون دائم الخضرة والحبوب والعنب) وهناك سهل يملكه مواطنو القرية وهو خصب جداً يقع جنوبى القرية الا ان السلطات العسكرية الاسرائيلية صادرته وصادرت مناطق واراضى شاسعة المساحة لبناء مستوطنه (الون موريه) التى تقع شمال القرية حيث بنيت هذه المستعمرة الاستيطانية الاسرائيلية فى العام ١٩٨٠م.. وهناك الاشجار المثمرة والتى تزرع فى اراضى القرية ولكنها تأتى فى المرتبة الثانية كاشجار اللوزيات والتين والصبار والتوت.



الثروة الحيوانية



ومن ناحية الرعى فان المراعى قليلة نظراً لمصادرة معظم المناطق الرعوية التى ينمو فيها العشب ومنع الاغنام والمواشى من الاقتراب منها من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية وقطعان المستوطنين المدججين



بالسلاح وقيامهم بمضايقة اصحاب المواشى واصحاب الاراضى وقيامهم باطلاق العيارات النارية لارهاب المواطنين.

وبالرغم من ذلك ففى القرية عدة مئات من الاغنام والابقار حيث ان سكان القرية يعتمدون على تربية المواشى كاحد موارد الرزق بالاضافة الى الاعتماد على الزراعة والعمل وتأتى تربية الابقار بنوعيها البلدى والهولندى فى المرتبة الاولى ويليها تربية الاغنام السمراء والشامية والنعاج التى تأتى فى المرتبة الثانية، وتكثر فى القريه تربية الدواجن والطيور اللاحم والبياض كالدجاج والحمام والبط.

قطاع العمل: اما القسم الباقى من سكان القرية الذين لا يعملون بالزراعة نظراً لمصادرة اراضيهم من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية او لغيرها من الاسباب فانهم يعملون فى المهن الحرة والوظائف المختلفة سواء فى الضفة الغربية او فى خارج الوطن كالاردن والسعودية ودول الخليج العربى. وقليل من العمال يشتغلون داخل فلسطين ١٩٤٨م.. ومعظم هؤلاء العمال يتركزون فى قطاع البناء حيث يحتل قطاع البناء حوالى ٥٠٪ من الحركة العمالية فى البلده.

الناحية الصناعية

يوجد فى بلدة عزموط الفلسطينية بعض المعامل الصغيرة كمناشير الحجر التى تقطع الحجارة لاستعمالها فى البناء والمطاحن كمطحنة الحبوب وخاصة لطحن القمح لاستعماله فى صناعة الخبز وكان فى السابق عدة معاصر لعصر الزيتون واستخراج الزيت منه الا ان هذه المعاصر الآن معطلة وغير صالحة للعمل حيث اكل عليها الدهر وشرب

وكان فى السابق ايضاً فرن لخبز الخبز الا انه لم يعد موجوداً الآن والمواطنون يعتمدون على «الطابون» وهو مصنع كان موجوداً فى كل بيت لصناعة الخبز يتكون من غرفة مبنية من الحجارة ومقصورة بالطين من الخارج وفى ارضيتها طابون طيننى بشكل دائرى يتسع لاربعة ارغفة فى كل مرة (قلعة) ويستخدمه القروى الفلسطينى مرتين يومياً فى الصباح والمساء، اما فى ايامنا هذه وبعد وصول التيار الكهربائى للقرية فى العام ١٩٨٤م فقد اخذ الاهالى يفضلون استخدام فرن (طنجرة) الكهرباء لصناعة الخبز، واصبح الذين يعتمدون على الطابون قلة قليلة من ابناء القرية.

وتكثر فى القرية صناعة المكانس التقليدية والتى تصنع من قش الذرة الحمراء وعلى نطاق تجارى واسع حيث يصدر الانتاج الى نابلس ويكثر ايضا تصنيع منتجات الالبان كالجبنة واللبنة.

الناحية الصحية

كان فى السابق عيادة صحية (عبارة عن غرفة صغيرة) يزورها الطبيب من فترة لاخرى ولكن زياراته متقطعة وغير منتظمة، اما اليوم فانه لا توجد عيادة ولا يوجد مستوصف ولكنه يوجد بعض الاطباء من مواطنى البلدة، اى ان الناحية الصحية تعانى من ازمة حادة فلا مستوصف ولا عيادة تسهر على صحة ابناء هذه القرية الفلسطينية الصامدة.

الناحية الدينية

سكان قرية عزموط كلهم مسلمون وفى القرية جامع قديم تأسس على اغلب الظن منذ مجيء الخليفة العادل الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الى فلسطين وفتحه مدينة القدس حيث امر ببناء المساجد فى كافة ارجاء فلسطين ويوجد فى القرية مقام للصحابى الجليل بلال بن رباح مؤذن الرسول

﴿ﷺ﴾ مما يدل على طابع عزموط الاسلامى منذ الفتح الاول للارض المباركة (فلسطين) وهذا المقام يقع على جبل الكبير الذى يشرف على الاغوار، والمتسلق لقمته يشاهد مدينة نابلس وعشرات القرى الفلسطينية والاغوار وجبال عجلون ويحيط بهذا المقام عدد من اشجار الزيتون والبلوط وفى ساحته بركة للمياه وبئر لجمع مياه الشتاء وخزنها به لاستعمالها، ألا ان السلطات العسكرية الاسرائيلية صادرت المنطقة الغربية والمحيطه به ومنعت المواطنين من الاقتراب من هذا المقام الاسلامى وتحاول تحويله الى مركز سياحى يؤمه السياح الاجانب ويترتب على اى مواطن فلسطينى يريد زيارة هذا المقام أن يحصل على اذن من المستوطنة اليهودية القريبة ويشترط أن يكون راكباً لسيارة وأن تحجز هويته الشخصية لحين عودته مما ساعد فى ارهاب المواطنين وقلل من ذهابهم الى هذا المكان الاسلامى.

وينوى ابناء عزموط اقامة مسجد كبير وحديث ليتمكن من استيعاب عدد اكبر من المصلين الذين يؤمون المسجد للصلاة فى الاوقات الخمسة الا ان السلطات العسكرية الاسرائيلية تماطل فى منح رخصه البناء للمسجد منذ حوالى سنتين.

توجد فى القرية شبكة مياه بالاضافة الى آبار جمع المياه التى تهطل فى فصل الشتاء ويكاد لا يخلو اى بيت من بئر لجمع المياه وحفظها.

وهناك شبكة كهربائية تزود عزموط بالكهرباء وهى تابعة لشبكة الكهرباء القطرية الاسرائيلية اجبر المواطنون على استخدامها بسبب منع السلطات العسكرية الاسرائيلية المستمر طيلة سنوات الاحتلال من الانتفاع من شبكة كهرباء مدينة نابلس وقد تم تزويد القرية بالتيار الكهربائى فى ايلول ١٩٨٤.. وهناك اربع دكاكين فى البلدة يشترى المواطنون منها حاجاتهم الغذائية من خضار وفواكه ومشروبات بارده.

العدو الصهيوني حوّل الحياة في القرى الفلسطينية إلى مسارات قاسية لا تطاق..

المواطنون فى قرية عزموط مثلهم مثل باقى المواطنين الفلسطينيين فى الارض المحتلة تربطهم علاقات قرابة وصداقة وحب وتسامح فيما بينهم، الا أن اقوى العلاقات موجودة بين الاقارب من ابناء العمومة الواحدة وعند انتشار العلم والتعليم بشكل واسع بين ابناء القرية اصبح الجميع تقريباً منفتحاً على الجميع حيث أدّى العلم والتعليم دوراً فعالاً فى القضاء على العصبية القبلية والتعصب والنعرة العائلية.

وفى غابر الازمان كانت هناك مضافة (ديوان قروى) يجتمع فيها اهالى القرية يتسامرون ويتحادثون ويحلون مشاكلهم، بشكل يومى وكانت تستخدم هذه المضافة لاستقبال الضيوف والزوار ولاحياء مناسبات الافراح والزواج بشكل خاص، ولاقامة بيت الاجر (العزاء) عند وفاة احد المواطنين وكان الضيوف يؤمون هذا الديوان العزموطى الفلسطينى باستمرار الا أن هذه المضافة او العادة انتهت وهذا الديوان قد ذهب، اما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية بين اهالى القرية انفسهم فانها متينة وقوية الى حد ما حيث يشارك الجميع فى مناسبات الافراح كالزواج والافراج عن المعتقلين بعد خروجهم من السجون الاسرائيلية ومناسبات الاتراح.

وهناك ظاهرة اجتماعية متعارف عليها فى عزموط وهى الزواج بين الاقارب «فابن العم ينزل عن الفرس» كما يقولون وبالرغم من ذلك فهناك العديد من المواطنين من تزوج من القرى المجاورة او من رام الله او نابلس او من جنين.

مؤسسات القرية

تعانى قرية عزموط من نقص فى المؤسسات الاجتماعية فلا يوجد مجلس قروى ولا جمعية خيرية ولا يوجد نادٍ اجتماعى للشباب، الا انه توجد لجنة الشبيبة للعمل الاجتماعى فى القرية وهى لجنة اجتماعية تعمل من اجل المصلحة العامة وخدمة القرية تأسست فى الفاتح من كانون الثانى ١٩٨٣م وتضم عشرات الشباب المثقفين والمتعلمين وتهدف الى تعميق العلاقات الاجتماعية بين ابناء القرية وسائر المواطنين الفلسطينيين وترسيخ حب الوطن والجماهير ومساعدة الفقراء والمحتاجين ورفع مستوى الشباب ثقافياً ورياضياً وصحياً وقد قامت بالعديد من الاعمال التعاونية النافعة كمساعدة المزارعين فى حراثة الارض وعملية قطف الزيتون الموسمية وغيرها.

أعلام من فلسطين

عيسى المصو

محمد اسعاف النشاشيبى

ولد الاديب الفلسطينى العلامة محمد اسعاف النشاشيبى فى بيت المقدس، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد السنة التى ولد فيها، ولئن كان تاريخ ولادته المذكور فى الوثائق الرسمية هو ١٨٩٠ الا انه ربما كان قد ولد قبل ذلك بوقت قصير. وكان والده عثمان بن سليمان النشاشيبى من ابرز رجالات عصره علما وثروة وجاها، فقد تقلب فى مناصب عدة فى الدولة حتى اصبح عضوا فى مجلس المبعوثين فى الآستانة.

ولا شك فى ان اسعافا كان فى صباه يدأب على حضور الحلقات الادبية التى كان يؤمها كبار الادباء فى ذلك العصر من امثال السادة محمد جار الله، وعارف الحسينى، وموسى عقل، واسعد الامام، وراغب الخالدى، وكامل الحسينى المفتى، وعثمان النشاشيبى، ورشيد النشاشيبى، وعبد السلام الحسينى وغيرهم. وسمع من نوادر اللغة والادب الشىء الكثير، الامر الذى وجهه الوجهة التى برع فيها بعد ذلك، كما شاهد منذ نعومة اظفاره خزانة كتب والده، وخزائن كتب الادباء النفيسة.

المشاكل والعقبات :

تعانى قرية عزموط الفلسطينية من عدة مشاكل وعقبات وأهم هذه المشاكل ما يلى :

[١] المشكلة السياسية ـ وتتمثل فى مصادرة اجزاء كبيرة من اراضى القرية واعتقال العديد من ابناء القرية والزج بهم فى السجون الاسرائيلية ، والمضايقات المستمرة ضد المواطنين مثل المنع من السفر واستفزازات المستوطنين للسكان ومنع انشاء مجلس قروى وجمعية خيرية وناد اجتماعى .

[٢] المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وتتركز فيما يلى:

أ ـ عدم وجود عيادة صحية ومستوصف طبى .

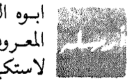
ب ـ مرور مجارى مدينة نابلس المكشوفة من جنوب القرية مما يساهم فى ايجاد امراض فى فصل الصيف

ج ـ عدم انتظام المواصلات .

د ـ الشوارع والطرق غير مرصوفة وغير معبدة باستثناء الشارع الرئيسى .

هـ ـ تفشى البطالة وخاصة بين خريجى الجامعات والمعاهد العليا .

و ـ بسبب استحالة الحصول على رخص البناء من السلطات العسكرية الاسرائيلية فان العديد من الافراد يعيشون فى بناء واحد مزدحم .



ابوه الى المدرسة البطريركية المعروفة بدار الحكمة فى بيروت لاستكمال علمه ولبث زهاء اربع سنوات يتلقى العلم على الشيخ عبد الله البستانى والشيخ محى الدين الخياط والشيخ مصطفى الغلايينى وغيرهم . وشغفته العربية باسرارها الدقيقة والفاظها الآسرة واساليبها المحكمة . وغرس فيه البستانى حب الادب القديم والكلف بالبحث عن اصول المفردات والميل عن اساليب المحدثين . وألم بالفرنسية الماما حسنا .

وعند عودته الى بلده اعتذر عن الاستجابة الى طلب ابيه ان يعينه على ادارة املاكه الواسعة وامواله الطائلة ، وبدل ذلك جال النشاشيبى وصال بقلمه فى المجلات التى ظهرت عندئذ .

ولسبب كنية اسعاف بأبى الفضل قصة يرويها صديق عمره المربى الكبير الاستاذ خليل السكاكينى الذى قال: (بعد اعلان الدستور رجعت من امريكا الى القدس ، وعاد اسعاف الى ملازمتى ، ثم جاء المرحوم حنا العيسى من يافا الى القدس وانشأ مجلة الاصمعى ولنا فيها مقالات كثيرة . كنا نحن الثلاثة على اتصال مستمر وكان اسعاف مولعا ببديع الزمان الهمذانى ، وكنت انا مولعا بأبى الطيب المتنبى وكان حنا العيسى مولعا بالاصمعى . فتوزعنا كنى الثلاثة ، اما اسعاف فكنيناه ابا الفضل ، واما انا فكان نصيبى كنية المتنبى وهى ابو الطيب واما حنا العيسى فكنيناه ابا سعيد وهى كنية الاصمعى .

لم يكتف النشاشيبى فى المساهمة فى الصحافة المحلية بل تخطاها الى عدد من الصحف العربية فى مصر وسوريا . وكان اعظم اثر للنشاشيبى قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى كتابا صغير الحجم بعنوان (امثال ابى تمام) وقرأ من اجله مئات الكتب الادبية وغيرها ، وقد اعتبره بعض الادباء الاجلاء (خير كتاب بدا فى الادب العربى فى هذا العصر) وقبل ان تضع الحرب العالمية اوزارها انضم الى الهيئة التدريسية فى الكلية الصلاحية فى بيت المقدس، وبعد الحرب عين مفتشا للغة العربية حتى سنة ١٩٢٩ .



ومن آثاره فى هذه المرحلة (مجموعة النشاشيبى) و(البستان) ويظهر فيها ذوقه الرفيع وتوجيهه القومى. ومنها (قلب عربى وعقل اوروبى) وهى محاضرة القاها فى جامعة بيروت الامريكية سنة ١٩٢٤م ينبىء اسمها عن موضوعها، قال فيها: «وهذه العربية التى هيمنا ـ ايها العربى ـ حبها.. لن يثبت فى هذا الكون حولها... الا اذا عرفت هذه المدنية الغربية والعربية كالغربية ربة مدينة، وحالها بصحبة المدنيات مشتهر».. وتعتبر كلمته فى اللغة العربية التى القاها فى جمعية الرابطة الشرقية فى القاهرة فى السنة نفسها اعظم دفاع عن اللغة العربية لا يدانيه دفاع فى الادب العربى الحديث، وضمنت له هذه الكلمة ذيوع الصيت فى البلاد العربية عامة ومصر خاصة. ومن آثاره ايضا فى هذه الفترة (العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقى) وهى خطبته فى مهرجان امير الشعراء.

بعد تركه ادارة المعارف عكف النشاشيبى على القراءة والكتابة والقيام بالرحلات. وخص مجلة الرسالة الغراء بسلسلة من المقالات بعنوان «نقل الاديب» امتدت من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٧م. وقد استحوذت هذه المقالات على اعجاب القراء الذين كانوا يتشوقون الى صدور الرسالة ليقرأوا فيها النقل، ويستوحشون لانقطاعها اذا حال دونها حائل.

وفى فترة طال انتظار القراء كتب المرحوم الدكتور زكى مبارك فى الرسالة يقول: من واجبى نحو نفسى ان اعلن انى استوحشت لغياب الشذرات النفيسة جدا التى كان ينشرها الاستاذ الجليل اسعاف النشاشيبى على صفحات الرسالة. فمتى يعود؟.

(هى مختارات منقولة من هنا وهناك. وكان الذوق فى نقلها قد بلغ الغاية فى شرف التحليق، واظنها ستصبح كتابا يحق له ان يسمى (كتاب الامة العربية).

ومن جملة من اعجب بهذه المختارات الشيخ محمد بهجت الاثرى الذى بعث اليه بالابيات التالية:

سيدى اسعاف يا أمـ ـثل خلصان وخل
انا من بستانك الزا هر فى طيب وظل

بين ورد باسم الثغـ ـر وريحان وفل
زمر نسقها الذو ق على اجمل شكل

فما سر كل ذلك الاعجاب بها يا ترى؟

يعلل الدكتور اسحق موسى الحسينى ـ الذى قدم الكتاب وترجم لمؤلفه ـ السر فى ذلك الى ميل القراء الفطرى الى الادب الذى يدخل البهجة والسرور الى النفوس،



فقد كانت الرسالة تلتزم الادب الجاد الرصين، فكانت مقالات (النقل) تحمل الى القراء لونا جديدا من الادب الطل الذى يعجب ويطرب. ويستطرد الدكتور الحسينى فيقول: «ان حسن الاختيار هو من اسباب ذلك الاعجاب، ومنها ايضا ما تحلى به النشاشيبى من رحابة الصدر وسعة الافق فلم يكن يتحرج فى اختياره ولم يتزمت».

غير ان اعظم كتاب وضعه فى هذه المرحلة هو كتاب (الاسلام الصحيح)، وهو فى رأيه اعظم اثر فى جهاده الطويل تقصى فيه آفاقا روحية بعلم غزير وتفكير نير. وترك آثارا مخطوطة حمل ثلاثة منها فى رحلته الاخيرة للقاهرة لطبعها عام ١٩٤٧ وهى: نقل الاديب، وامالى النشاشيبى، والتفاؤل عند ابى العلاء، ولكن المنية عاجلته فى ٢٢ كانون الثانى (يناير) عام ١٩٤٨م وفى مصاب العروبة باسعاف النشاشيبى يقول احمد حسن الزيات صاحب (الرسالة):

«اهكذا، وفى اسرع من رجع النفس يسكت اللسان الذليق، ويسكن العصب التائه، ويخمد الذهن المتوقد، ويقف الفؤاد الذكى ويصبح النشاشيبى نعيا فى الصحف وخبرا فى البلاد وحديثا فى المجالس، لا يقول فنسمع، ولا يكتب فنقرأ».

واستطرد الزيات يقول: (.. وتحصيله عجب من العجب، ولا تستطيع ان تذكر له كتابا من كتب العربية لم يقرأه، ولا بيتا من شعراء الفحول لم يحفظه، ولا خبرا من تاريخ العرب والاسلام لم يروه، ولا شيئا من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الامثال لم يعلمه.. انه خاتم طبقة من الادباء اللغويين المحققين، لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته ان يجود بمثله).

☆☆☆

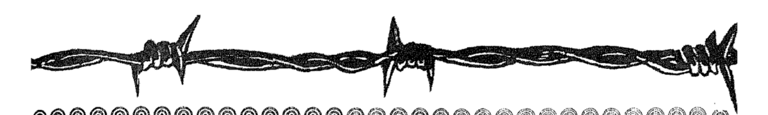
اللغة العربية هي الأمة.. والأمة هي اللغة، وضعف الأولى ضعف الثانية.. وهلاك الثانية هلاك الأولى.

☆☆☆

وقد اعجب اسعاف بأبي الطيب المتنبي وادبه وهمته القعساء فقال وهو فى معرض الاشارة اليه: (ان المتنبي شخص ثالث بين كل مثقفين، فما دار حوار بين مثقفين الا استشهد احدهما او كلاهما ببيت للمتنبي).

وفى اللغة العربية يقول اسعاف: (اللغة هي الامة والامة هي اللغة وضعف الاولي ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الاولي وكل قبيل حريص - جد حريص - على ان يستمر كونه وعلى الا يبيد، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته).

تتعذر الاشارة هنا الى مؤلفاته جميعها التى بلغت حوالى العشرين. لقد عشق اسعاف لغته العربية الى حد التدله بحيث ندر ان وصل اى محقق فى اللغة الى مستواه، كما ندر من رفع من شأنها فى خطبه وكتبه ومقالاته مقثلما فعل هو فقد كان من اعلم علماء العصر بها ومن اطولهم باعا بها ومن اشهدّهم رعاية لها وحرصا عليها. لقد كان اديبا فذا بين ادباء عصره وجاءت غيرته على لغته ووطنه العربى الكبير غيرة نادرة المثيل.



الأرض الفلسطينية في الحكم العثماني

فلسطين ذات موقع جغرافى خاص. . فهى ذلك الجزء من الوطن العربى الذى يقع بين البحر المتوسط فى الغرب ولبنان فى الشمال. . وسوريا ونهر الاردن فى الشرق. . والبحر الاحمر وشبه جزيرة سيناء فى الجنوب والجنوب الغربى. وكانت فلسطين خلال فترة الحكم العثمانى التى دامت اربعة قرون فى البلاد العربية تعرف بسوريا الجنوبية. . والطرف الشمالى من فلسطين كان يضم جزءا من «ولاية بيروت» أما الجزء الجنوبى فكان يتكون من «سنجق القدس» وتبلغ مساحة فلسطين اليابسة ٠٢٣، ٣٢٣،٢٦ دونما يضاف اليها مساحة المنطقة المائية

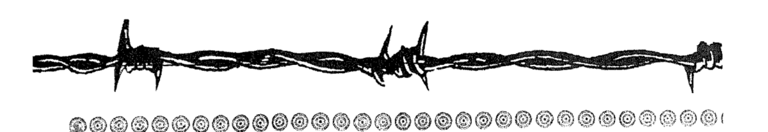
ويمكن تقسيم أرض فلسطين تضاريسيا (مورفولوجيا) الى :

منطقة التلال وتغطى ما يقارب من ٨٫٠٦٤٫٠٠٠ دونم - وهى مجموعة تلال مركزية تمتد من الجليل الاعلى الى جنوب الخليل يشطرها سهل مرج بن عامر. . وهذه التلال غالبا ما تكون حوافها منحدرة وصخرية. . وتصل اعلى قممها الى ارتفاع يتراوح بين ٨٠٠ و١٠٠٠ متر فقط وتؤلف حوالى ٢٫٥ مليون منها مرتفعات وعرة غير مأهولة فى معظمها بينما توجد فى القسم المأهول أودية مبعثرة، تربتها على درجة فائقة من الخصب - لكن بعضها يتراوح تصنيفه الزراعى العام بين متوسط الجودة الى الماحلة ومعظم القسم المأهول غير صالح للزراعة وقد جرى التخفيض جزئيا من هذا المحل عن طريق استغلال الينابيع أو الجداول الموسمية الجريان فى الوديان وعبر قرون من «التصطيب» المجهد لمنحدرات التلال - فالمحاصيل الرئيسية لهذه المنطقة ابان السنوات الاولى من هذا القرن اشتملت على الحبوب والزيتون والعنب وثمار الاشجار التى تعرى فى فصل الشتاء.

ويحيط بالتلال خمسة سهول رئيسية وهى :

(١) السهل الساحلى : ارحبها واشدها اهمية يمتد من رفح الى جبل الكرمل بحيفا ويضم القسم الشمالى منه

القاهرة



(المغمورة) التى تبلغ ٧٠٤٫٠٠٠ دونم موزعة على النحو التالى :
القسم الفلسطينى من البحر الميت ٢٥٫٠٠٠ دونم
بحيرة طبـريا ١٦٥٫٠٠٠ دونم
بحيرة الحولة ١٤٫٠٠٠ دونم

فيكون اجمالى مساحة فلسطين الكلية ما مجموعة ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٧ دونما(١) ومعظم اراضى فلسطين زراعية ـ وفى عام ١٨٩٥م قدرت مساحة الاراضى القابلة للزراعة فى فلسطين بـ ٤٫٧٠٠٫٠٠٠ دونم والاراضى المزروعة بـ ٢٫٢٢٠٫٠٠٠ دونم(٢).

سهل سارونا . . ومساحة هذا السهل ٣٫٢٥ مليون دونم تقريبا، اكثر من ثلثيه صالح للرى وتربته ممتازة لزراعة الحمضيات .

(٢) سهل عكا : يمتد على طول الشاطىء الى الشمال من مدينة حيفا وتبلغ مساحته حوالى ٥٥٠٫٠٠٠ دونم ـ وهو صالح للزراعة المكثفة جدا بأنواع متعددة من الخضار والعلف وثمار الاشجار غير الدائمة الخضرة .

(٣) سهل مرج بن عامر : تصل مساحته ٤٠٠٫٠٠٠ دونم، يتألف فى معظمه من تربة طينية مثقلة بالطمى ـ ويصلح لزراعة القطانى والاشجار المثمرة . . ويعتبر الفلسطينيون هذا الوادى الاقليم الاشد خصبا والاوفر نتاجا من بلادهم .

(٤) سهل الحولة : يقوم عند اقصى الطرف الشمالى الشرقى من فلسطين ـ ويحتوى على أنواع كثيرة من الاتربة الطمية وطرفه الجنوبى يتاخم بحيرة الحولة، ومن المرجح انها تغطى خمس مساحة التربة .

(٥) غور وادي الأردن : تبلغ مساحته ١٫٠٦٥٫٠٠٠ دونم ـ على درجة عالية من الانتاجية . . ويفوق مرج بن عامر خصبا وغنى فى بعض النواحى .

وهناك الاقليم الصحراوى الى الجنوب من بئر السبع ومساحته ١٢٫٥٧٦٫٠٠٠ دونم (حوالى ٤٨٪ من مساحة البلاد كلها) ـ يمكن لقسم من اراضيه ان تخصب فيما لو جرى تزويدها بالمياه من المصادر الشمالية فى البلاد(٣).

[ملكية الارض وتسمياتها]:

لم تكن الاراضى فى الامبراطورية العثمانية «ملكا» بمعنى الاصطلاح ـ وكانت كافة الاراضى خاضعة لسلطة الحكومة بمقتضى معاهدة أو ميثاق أو اتفاقية أو ارث .

■■ والاراضى الحكومية أو «اراضى الدولة» كانت تعرف باسم «الاراضى الاميرية» أو «الميرى» والمالك الحقيقى للارض هو السلطان الذى تسجلت الارض باسمه . . وكان عرب فلسطين يزرعون ويسكنون ويتوارثون هذه الارض جيلا بعد جيل فهى ملكهم بالتقادم وملكهم بالاستعمال . . ويجرى التصرف بها على نحو متوارث وعلى أساس حق الانتفاع . . ويمكن ابطال الحيازة نظريا لعدة أسباب منها بصورة رئيسية : التقاعس عن حراثتها أو التخلف عن تسديد الضرائب والرسوم المتوجبه عليها(٤).

(٢) ضمن املاك الحكومة أيضا : «تلك الاراضى التى استلمتها الحكومة العثمانية من السلطان عبد الحميد اثر ثورة ١٩٠٨ والتى تعرف باسم «الجفتلك» أو «المدورة»(٥) وقامت بتأجيرها كملاك وفقا لشروط طويلة الامد أو قصيرة الاجل

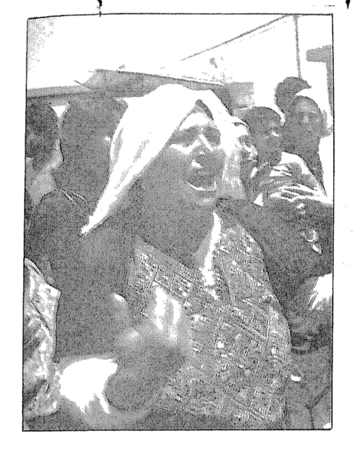
الى المزارعين مباشرة أو بواسطة كبار اصحاب الاملاك الخاصة حتى ان بعض الايجارات المعقودة لامد طويل منحت المستأجرين حقوقا ـ باستثناء تفاصيل الوراثة والانتقال ـ لا تختلف كثيراً عن حقوق «الميرى»(٦).

وفي الواقع فان جميع هذه الاراضى كان يسكنها العرب الذين يطالبون بحقهم فيها على أساس تواجدهم فيها منذ القدم ويعتبرون ان هذه الارض أرضهم يدافعون عنها ويموتون من أجلها رغم نص القانون العثمانى والفرمانات المختلفة بانهم «مالكون مستفيدون» فقط(٧).

وهناك نوع آخر من الاراضى التى لم تمنح أو تخصص لاحد وبالتالى هى غير مسجلة وغير صالحة للاستغلال الزراعى أو السكنى وتسمى بـ «الأراضى الميتة» أو «المتوات»(٨) فمثل هذه الاراضى عندما كانت تخلو من وجود اية حقوق خاصة فيها كانت تسجل باسم الحكومة.. وكثيرا ما يصعب الافتراض بانه لم يكن هناك أية منح فى الماضى. وعليه فانه لفى مأمن الافتراض بان جميع الاراضى الخالية المقفرة جنوب بئر السبع أو شرقى الخليل هى من الاراضى الميتة(٩).

وهناك نوع آخر من الاراضى عرف بـ «الاراضى المتروكة»(١٠) وعادة تكون هذه الاراضى للمجتمع بحيث يترك للشعب حق الاستعمال العام فيها ـ أو انها تخصص فى الغالب لسكان قرية ما أو مجموعة قرى.. وسلطة الحكومة على مثل هذه الاراضى محدودة الى الضرورة اللازمة لتمكين الشعب من الاستفادة منها حسبما هو مرغوب.

وكان حق التصرف بالارض واستعمالها منوطا بالجماعة وجرى التعبير عن حقوق الفرد (دوما) باعتبارها تؤلف جزءا يسيرا من الكل.. وفى معظم القرى كان يحق لكل حامولة (عائلة كبيرة) من الحاملات التى تتألف منها القرية الحصول على



حصة معينة من الارض ومن كل انواع الاراضى المخصصة لها(١١) وكانت الارض تقسم سنويا ربما اكثر من مرة قبيل الدورات الزراعية بين (الحمايل) ثم وبالتالى بين الدوائر الاصغر لكل حمولة على حدة وهى الاسر(١٢).

[فرمان خطى هايمون]

فى عام ١٨٥٦ أصدرت الحكومة العثمانية بالأستانة «الفرمان» البلاغ الشهير والمعروف بـ «خطى هايمون» ونص هذا «الفرمان» من جملة امور أخرى على تعهد الدولة باتخاذ التدابير الكفيلة بالتأمين على الارواح والعرض والمال لكل واحد من رعاياها.

ثم جاء قانون الاراضى العثمانى عام ١٨٥٨ تنفيذا لسياسة ضمان الممتلكات فى «خطى هايمون» لينص على تسجيل كل قطعة من الارض التابعة لمالك خاص فى كافة انحاء الامبراطورية وعلى استصدار سندات التملك (الطابو) تبعا للتسجيل(١٣) وعمليا كان يعنى هذا دعوة الافراد الى



تسجيل ما يفلحون من أراض لتصبح ممتلكات موثوقة باسمائهم فى دوائر تسجيل الاراضى التى اقيمت فى كل مدينة كبيرة من مدن السلطنة فى سائر الاقاليم - واوضحت السلطنة ان القانون الصادر يسمح لكل من اصلح أرضا مواتا وزرعها واقام فيها حق تملكها(١٤).

وعلى الرغم من ظهور احكام هذا القانون بمظهر «التقدمية» فقد ترتب عليه فى المدى البعيد آثار سيئة للغاية على الفلاحين والقرويين بفلسطين. ويعلق وليام بولك على هذا القانون:

«**قبل صدور تصريح بلفور بزمن طويل - وهو التصريح الذى يجرى اعتباره غالبا بمثابة المصدر لكل الخلافات حول فلسطين - كانت طبقة الفلاحين العريقة رغم عجزها فى التعبير عن مشاعرها قد انزلقت درجة على السلم الذى أودى بها - فيما بعد - الى مخيمات اللاجئين فى العام ١٩٤٨**»(١٥).

يبدو ان عملية التحديث تنطوى «دوما» على تغير جوهرى فى المؤسسات والعلاقات الاجتماعية والوظائف الاقتصادية مثلما تنطوى على توطيد دعائم القدرة والسلطة اللازمتين قبل ان يتسنى فرض تلك التغييرات الجوهرية - لكن الفلاحين بفلسطين لم يحسوا الا بالتأثير الثانى على نحو ضعيف من الاحساس أو عن طريق الحدس: فقد صحت مخاوفهم لئلا يعمد كل من جابى الضرائب والمأمور بطلب العسكر للخدمة الى الاستفادة الفعالة من السجلات الجديدة - ولم يفقهوا الاهمية الهائلة التى يعلقها مستقبلهم على السجلات الجديدة وصكوك الملكية: لذا لجأوا الى التملص بصورة فعالة جماعية وعنيدة عندما بوشر فى تطبيق احكام القانون النافذة(١٦).

[تشويش السجلات]

وسلك الفلاح الفلسطينى سبيلا محفوفا بأقل مقدار من الاذى فقام بتسجيل الارض تحت اسم وهمى أو غائب - أو شخص متوفى منذ زمن طويل مما ادى الى تشويش السجلات وتعاقب للورثة مما جعل حيازته اللاحقة للارض غير مأمونة الجانب. وقد وجد الكثير من تجار المدن وغالبا ملتزمو الضرائب من كبار أهل الاقطاع الفرصة سانحة لتسجيل مجموعات بكاملها من القرى بأسمائهم أو أسماء ابنائهم أو زوجاتهم المقيمين فى بيروت أو دمشق دون أن تكون لهم اى علاقة سابقة بهذه الارض أو بملكيتها.

كما عمد الفلاح فى حالات أخرى الى تشجيع اقطاب المدن على حمل صكوك التملك - وشجعت القيمة النامية للمحاصيل المبيعة نقدا فى أواخر القرن التاسع عشر «برجوازية» المدن فى كل من بيروت ودمشق والقدس على الاستفادة من الحظ غير المرتقب(١٧) وغالبا ما كانت الاراضى التى تملكوها تقع فى السهول والوديان حيث تصلح التربة لانتاج الغلال الضخمة التى بنيت منها الثروات.

لقد جاء قانون الاراضى العثمانى (١٨٥٨) خاليا تماما من الاحكام المتعلقة بالتوسط فى العلاقة بين مالك الارض ومستأجرها بحيث وجد الآف من الفلاحين انفسهم منذ السبعينات فصاعدا محرومين بالفعل من أبسط الحقوق الدنيا للحيازة فيها اصبحوا واقعين بشكل متزايد تحت سيطرة المالك الذى تمكن ان يجمع فى شخصه بين مالك الارض وجابى الضرائب والمرابى.

[البدايات الاولى للنشاط الاستيطانى الصهيونى]

عندما بدأ يهود الهجرة الاولى (١٨٨٢) يفدون على فلسطين كانت فلسطين تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية.. وكانت الاملاك اليهودية من اراضى فلسطين قبل ثمانينيات القرن الماضى تشكل مساحة بالغة الصغر وبقيت فى واقع الامر صغيرة جدا حتى ما قبل عام واحد من صدور قرار التقسيم فى عام ١٩٤٧.

منتصف القرن التاسع عشر ساعد «المحسنون الغربيون» فى تطوير مستعمرتين زراعيتين فى صفد وطبريا كان معظم سكانها من اليهود المقيمين بفلسطين. أما الطائفة اليهودية البارزة فى القدس ـ واهتماماتها دينية بصورة رئيسية ـ فقد كانت تغلب عليها الاقامة فى المدن واتخاذ مواقف مدنية. . واقتصرت محاولات ايجاد مجتمعات ومستعمرات زراعية يهودية قبل عام ١٨٨٢ على مؤسسات ذات طابع خيرى برعاية الماليين اليهود ـ مثل المؤسسة العبرية اللندنية لاستعمار الارض المقدسة(١٨) التى تأسست عام ١٨٦١. . والتحالف الاسرائيلى العالمى الذى كان تأسيسه فى السنة ذاتها فى فرنسا بقصد حماية اليهود وتحسين احوالهم فى العالم بشكل عام وفى الاراضى الاسلامية بشكل خاص.

وفى عام ١٨٧٠ أقام «التحالف الاسرائيلى العالمى مدرسة (ميكفية بسرائيل) (رجاء اسرائيل) الزراعية قرب يافا بهدف تدريب اليهود على الاعمال الزراعية وتوطينهم فى فلسطين على نطاق واسع(١٩).

[البرنامج السياسى الصهيونى]

فى المؤتمر الصهيونى الاول (بال ـ ١٨٩٧) وضع الصهاينة البرنامج الرسمى (برنامج بال) الذى بلور الاهداف الصهيونية وحدد وسائل تحقيق هذه الاهداف على الوجه التالى:

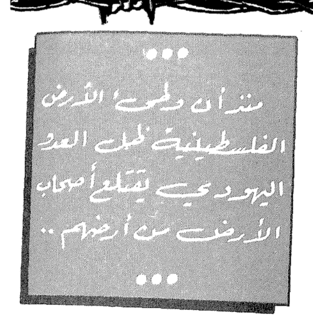
«ان غاية الصهيونية هى خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام وان المؤتمر يرى فى الوسائل التالية الطريق الى تحقيق هذه الغاية

(١) *العمل على استيطان فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.*

(٢) *انشاء منظمة لتربط يهود العالم بواسطة مؤسسات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة فى كل بلد.*

(٣) *تقوية الشعور والوعى القومى اليهودى وتغذيته.*

(٤) *اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية(٢٠).*



■ وسرعان ما بادرت الحركة الصهيونية الى انشاء المؤسسات الضرورية لاستعمار فلسطين عن طريق الهجرة وبناء المستعمرات. . مثل المصرف اليهودى للمستعمرات ١٨٩٨. . ولجنة الاستعمار ١٨٩٨ والصندوق القومى اليهودى ١٩٠١.

بادرت الحركة الصهيونية الى تملك الاراضى والاستيلاء عليها فى فلسطين بالوسائل المختلفة لا سيما بعد وفاة هرتزل حين تخلت المنظمة الصهيونية العالمية عن فكرة الحصول على «الوطن القومى اليهودى» عن طريق الوصول الى اتفاق مع الحكومات المعنية. وتبنت فكرة الاستيلاء على فلسطين تدريجيا عن طريق التسلل وفرض الوجود السياسى ووضع الاطراف المعنية تحت الامر الواقع.

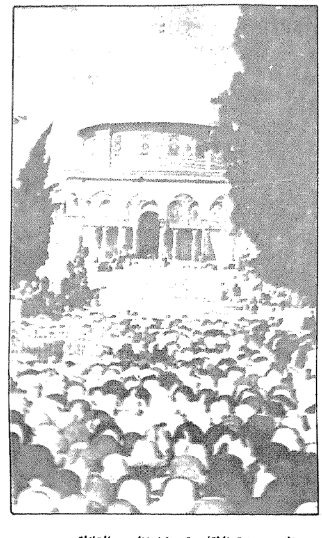
الحركة الصهيونية بتنفيذ هذا المخطط فنشطت بعد وفاة هرتزل عام ١٩٠٤ـ لاستعمار فلسطين واستيطانها بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين وشجعت الهجرة اليهودية الى فلسطين وقدمت التسهيلات. . ووفرت السبل لبناء المستعمرات فكانت النتيجة زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين (الهجرة الثانية ١٩٠٤ـ١٩١٤). . وكانت هذه الهجرة فى الواقع هى الاولى من نوعها اذ ان دوافعها كانت صهيونية. . وكان أعضاؤها متحمسين من اجل الاستيلاء والعودة الى ارض فلسطين.

وقد وضع هرتزل التصور التالى لتملك الاراضى فى فلسطين(٢١).

[أ] سوف ينضم اصحاب الاملاك الى معسكرنا.
[ب] تتم عملية تجريدهم من حق الملكية جنبا الى جنب مع ابعاد الفقراء والتخلص منهم ويجرى تنفيذ كل منها بحذر واحتراس وتكتم.
[ج] لا بأس ان اعتقد اصحاب العقارات بانهم يغشوننا أو يبيعوننا الاشياء باسعار تفوق قيمتها كثيرا فنحن لن نبيعهم شيئا منها اذا ارادوا شراءه أو استعادته.
[د] يقوم عملاؤنا السريون بانجاز عملية التجريد من الملكية على أساس طوعى وسوف تكون الشركة على استعداد تام لدفع اسعار خيالية لاصحاب العقارات والاراضى.
[هـ] متى تحقق ذلك سوف نحصر بيع الاراضى فى اليهود وحدهم دون سواهم.

بشأن الفقراء من السكان الاصليين يقول «هرتزل» سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين وظائف العمل لهم فى البلدان الانتقالية (بلدان الترانزيت المجاورة) على ان نسد فى وجوههم كل مجالات العمل والاستخدام فى البلاد.

لقد كان الصهاينة يدركون ان النتيجة الحتمية لتحقيق اهدافهم فى فلسطين هى اجلاء اصحابها العرب عنها.. وكانوا ينظرون الى العرب على انهم مجرد صراع سياسى وليس مشكلة انسانية أو ضميرية».. أوكان وجود العرب فى فلسطين يمثل فى نظرهم - كما قال كاتب صهيونى - مجرد «صدفة» كوجود بعض قطع الاثاث المنسية فى منزل أجر مؤقتا(٢٢).. وفى رأى الصهيونى البريطانى اسرائيل زانجويل - زعيم



الصهيونية الاقليمية - ان نظريته القائلة بوجوب ترحيل عرب فلسطين هى اكثر رقة من تكتيك وايزمان الهادف الى خنقهم ببطء(٢٣).

[اتجاها التسلل]

وجرت عملية التسلل التدريجى للاستعمار الصهيونى الاستيطانى فى اتجاهين:

الاول: يقضى بزيادة نسبة السكان اليهود فى المدن الرئيسية.
الثانى: يقضى بخلق وجود مادى زراعى واستراتيجى صهيونى حول المدن وعند النقاط الاستراتيجية وقرب حدود البلاد - عن طريق انشاء مستعمرات زراعية تخلق

ارتبـاطا اقتصاديا وشعورا بالتوطن بين المهاجرين وارض «الميعاد» . . وتبدل من عاداتهم الاصلية فى الاعمال التى درجوا عليها من قبل كطوائف وفئات يهودية فى المجتمعات التى أتوا منها تخصصت فى أغلب الاحيان فى اعمال غير انتـاجية بشكل مباشر . . وبالصورة المطلوبة لانشاء دولة ذات كيان مستقل قائم على السكان اليهود فقط(٢٤) .

١٩٠٢

ايغال الون فى كتابه «انشاء وتكوين الجيش الاسـرائيلى» وكـان تطـويـر وتخطيـط المستعمـرات الصهيونية الرائدة يتقرر من البداية وفقا للاحتياجات السياسية ـ الاستراتيجية . . كان اختيار الموقع مثلا لا يتأثر بالاعتبارات الاقتصادية وحدها بل كان الاهـم منهـا احتيـاجـات الـدفـاع المحلى والاستراتيجية العامة للاستيطان الصهيونى (التى كانت ترمى الى ضمان وجود سياسى يهودى فى كافـة انحـاء البـلاد . . وكـذلـك الـدور الـذى يمكن ان تلعبه هذه المجموعة أو تلك من المستعمرات فى أى صراع عام يحدث فى المستقبل والذى قد يكون حاسماً(٢٥) .

[الاستيطان الاول]

١٩٢٠

تأسيس مستعمـرة «ريشون لتسيون» الى الجنوب الشرقى من يافا بمثابة الاستيطان الصهيونى الاول فى فلسطين الحديثة وذلك بجهـود فريق من الشبـاب الصهـاينـة من جماعـة أحباء صهيـون التى أثـارت اهتـمام البـارون ادمـوند روتشيلد فكـانت النتيجـة وبمساعدة أموال روتشيلد هى تأسيس جمعيـة «البيكـا» للاستعمار اليهودى بفلسطين على غرار جمعية الاستعمار اليهودى التى أسسها البارون دى هيرش وركـزت اهتـمامهـا الرئيسى على الاستيطان اليهودى فى أميركا الجنوبية .

وكانت جمعية «البيكا» اهم هيئة كرست جهودها فى مجال تملك اليهود للاراضى الفلسطينية قبل الحرب العالمية الاولى وحتى العشرينات من هذا القرن .

١٩٢٠

القـانـون العثمانى طيلة خمسين عاما قبل الاحتلال البريطانى قد حظر رسميا تملك الاجـانب للاراضى ولهـذا لجأ ت جمعية الاستعمار اليهودى (البيكا) وغيرها من المبتاعين اليهود اثناء فترة «احباء صهيون» الى الحيل والذرائع فى التسجيل(٢٦) واستغلت التشـويش والفـوضى التى سادت عمليـات تسجيـل الاراضى بدوائـر التسجيـل . . واستخـدمت الـرشـاوى الضخمة لكبار موظفى السلطنة بغية تسهيل ابتيـاع اراضٍ فلسطينيـة عن طريق المزاد العلنى من الفلاحين اذا عجزوا عن دفع الضرائب الحكومية المستحقة وشراء اراضى الغائبين اللبنانين والسوريين بصفقات اكبر حجما واهم(٢٧) .

ويسبب اختفـاء السجـلات العثمانية أو وجـود مخالفـات للانظمـة فيها كانت الادارة العسكـرية البريطانية فى حالة من التشويش البـائس بالنسبـة لشؤون الامـلاك الثابتة مما اضطـرهـا الى تعليق كافـة عمليـات انتقال الاراضى بين تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ وايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ . ولكن عندما اعيد فتح السجلات البريطانية ـ فى الموعد الاخير ـ سرعان ما تكشف الامر عن وجود املاكات يهودية يرجـع تاريخهـا الى ما قبل ١٩٢٠ . ويقـرر مجموع مساحتها بـ ٦٥٠ الف دونم وليس بمستبعد ان يكون قسم صغير من هذه الأملاك قد تم على صورة انتقال غير مشروع فى غضـون فترة التعليق التى أستغـرقت ٢٢ شهـر(٢٨) وفيها كانت معظم الأملاك اليهودية التى قامت بها جمعيـة «البيكـا» وغيرهـا من الجماعات المماثلة خلال السنوات الممتدة بعد ١٨٨٢ تقع فى مناطق سهلية ذات قيمة مختزنة فان المشترين وجدوا انفسهم فى سوق للبائعين وغالبا ما اضطروا لشراء مساحات من أراضى المستنقعات والمغاريق أو الكثبان الرملية التى كانـت دون المسـتـوى المطلوب ، أو سيئـة

التطويـر أو غير متطورة وذلك من الملاكين الـذين اسعـدهم البيـع باسعـار مرتفعة الى السماسرة اليهود المتشوقين لاتمام الصفقة.

[٩٣٪ مقابل ٧٪]

وحتى سنة ١٩١١ كان ٩٣٪ مما انتقل الى حوزة اليهود من الاراضى الفلسطينيـة قد تم بالاسلوبـين المذكورين (اى من السلطـة العثـمانيـة بالمـزاد العلنى ومن الملاكين الغـائبـين اللبنانيين والسوريين) فيما لم تشكل الصفقات المباشرة مع الملاكين الفلسطينيين أكثر من ٧٪ من مجموع الصفقات(٢٩).

وفى عام ١٩١١ تألفت «شـركـة تطـويـر الاراضى المحـدودة بفلسطـين» لكى تقـوم بدور المشـترى لصالح أولـئك اليهـود الـذين كانـوا مولعين بالملكية الخاصة(٣٠) واصبحت هذه المؤسسة فيما بعد بمثابة العميل الشرائى الـرئيسى للصندوق القومى اليهودى الذى اصبح بدوره الساعى لامتلاك الاراضى والعامل على استيطانها تحت الاشراف العام لدائرة الاستعمار فى الوكالة اليهودية لفلسطين(٣١).

■■ وقد حدث تطور ملحوظ فى مساحة الاراضى التى كانت فى حوزة اليهود فى ظل الحكم العثمانى وحتى نهايته كما هو موضح أدناه(٣٢).

السنة	المساحة التى فى حوزة اليهود
١٨٨٢	٢٥ ألف دونم
١٨٩٠	١٠٧ الف دونم
١٩٠٠	٢٢٠ الف دونم
١٩١٤	٤٢٠ الف دونم
١٩٢٢	٥٩٤ الف دونم

ولكن امتـلاك الريف وهو الامنية التى طمح اليهود الى تحقيقها من شأنه ان يؤدى الى القضاء على ذلك الشىء بالضبط الذى تميز به المجتمع الفلسطينى الى اقصى حد لقد حارب السكان الاصليون ضد هذا الخطر وخسروا الحرب(٣٣).

وان دراسة اعمق للاستجابات الفلسطينية خلال هذه الفترة هى عمل مفيد ونافع(٣٤)

الهوامش

(*) الدونم الواحد يعادل ١٠٠٠ متر مربع

(١) سامى هداوى فلسطين تحت الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٨) بحث مقدم الى ندوة فلسطين العالمية الثانية، الكويت ١٣- ١٧/ ٢/ ١٩٧١، جمعية الخريجين الكويتية والاتحاد العام لطلبة فلسطين، دراسات فلسطينية، المجلد الاول، بدون تاريخ، ص٢٥.

(٢) عنان العامرى: التطور الزراعى والصناعى فى فلسطين (١٩٠٠-١٩٧٠) مركز الابحاث، بيروت ١٩٧٤ ص١٣.

(٣، ٤، ٥، ٦) الارقام والمعلومات مستقاة من دراسة جون رودى: حركات استلاب الارض انظر كتاب: تهويد فلسطين تحرير (ابراهيم ابو لغد، ترجمة د. اسعد رزوق، مركز الابحاث، بيروت ١٩٧٢، ص١٣٣-١٣٤ (للدراسة منشورة فى الصفحات ١٣٣-١٥٤ من الكتاب).

(٧) مجاهد على شراب: «فلسطين قضيتها تاريخها.. بايجاز» دراسة تاريخية - الجزء الاول، جريدة «السياسة» اللبنانية» بيروت ٧/ ٨/ ١٩٧١

(٨، ٩، ١٠) سامى هداوى: المصدر السابق نفسه.

(١١، ١٣، ١٥، ١٦) جون رودى: المصدر السابق

(١٢) فؤاد ابراهيم عباس: قصة الارض الفلسطينية مجلة «آفاق عربية» بغداد، تشرين اول ٧٦ ص٧

١٤) فؤاد ابراهيم عباس: المصدر نفسه.

(١٧) تقرير حكومة فلسطين، القدس، فبراير ١٩٤٦، الجزء الاول، الفصل الثالث ص٢٣٣.

(١٨) ناحوم سوكولوف: «تاريخ الصهيونية» (١٦٠٠-١٩١٨)، لندن، ١٩١٩، الجزء الثانى، ص٢٥٦.

(١٩، ٢٠) عبد الوهاب كيالى الكمبيوتر (المزارع الجماعية فى اسرائيل) مركز الابحاث، بيروت، ١٩٦٦.

(٢١) ثيودور هرتزل، اليوميات، الجزء الاول ص٨٨

(٢٢) أرثر كوستلر: الوعد والانجاز - لندن ١٩٤٩ ص٣٣-٣٤

(٢٣) مجلة جويش كرونكل - لندن ١٣-٢٠ كانون الاول ديسمبر ١٩١٨

(٢٤) محمود عزمى: اضواء حول جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية عشية حرب ١٩٤٨، مجلة شؤون فلسطينية - العدد ٢١ مركز الابحاث - بيروت، مايو ١٩٧٣ ص١٤٠

(٢٥) ايغال الون: انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلى ترجمة عثمان سعيد، مراجعة وتقديم ناجى علوش، دار العودة ١٩٧١ ص٦٦.

(٢٦، ٢٨، ٣٣، ٣٤) جون رودى: المصدر السابق.

(٢٧) فؤاد عباس: المصدر السابق ص٨

(٢٩) فؤاد عباس: المصدر نفسه.

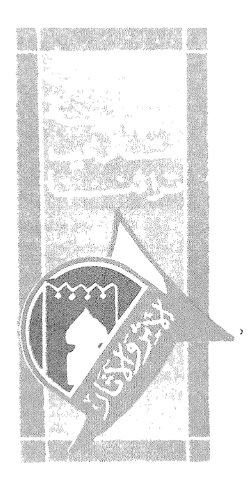
(٣٠) السيرجون هوب سمبسون: تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والتنمية فى فلسطين، رقم ٣٦٨٦، لندن، ١٩٣٠ ص٣٨-٣٩

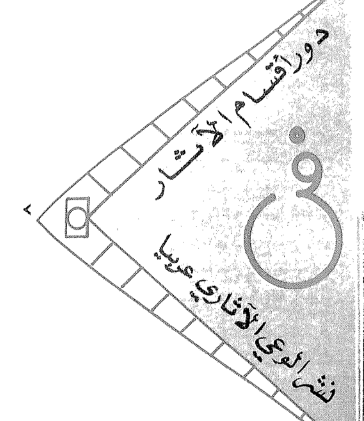
(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) تقرير حكومة فلسطين، شباط فبراير ١٩٤٦، الجزء الاول، الفصل التاسع، ص٢٧٢.

تتطلع الأمة العربية الاسلامية اليوم للمعرفة والرقى بعد أن انحدرت فى القرون الأخيرة الى أدنى مرتبة لها قياساً الى غيرها من الأمم . . ولعل ذلك عائد لابتعاد الأمة عن جذورها وهويتها الحضارية بعد أن أبعدها أعداؤها فى الداخل والخارج عن ماضيها وأمجادها بين الأمم والشعوب .

وتأتى هذه الدراسة عن دور أقسام الآثار فى نشر الوعى الآثارى فى البلدان العربية محاولة لاستنهاض واحدة من مؤسساتنا العلمية لتضطلع بالدور المنوط بها نحو الأمة العربية فى هذا المنعطف الخطير من تاريخها .





■ وإن جاء تناولنا لدور أقسام الآثار فى مختلف البلدان العربية شاملا لها جميعا فإن ذلك يعود لتشابه أو تطابق الأحوال فى تلك البلدان ويتجلى ذلك التقارب أو التطابق فى الحقائق الأساسية الآتية :

● ارتبطت نشأة علم الآثار والاهتمام به فى البلدان العربية بالمستعمرين الأوربيين فى القرن الماضى . . ومازال التنقيب عن الآثار فى كثير من البلدان العربية يعتمد على إشراف وتمويل البعثات الأثرية الأجنبية .

. . التنقيب تحت قشرة الأرض هو تنقيب عن التاريخ . . تاريخ الأقدمين . . حياتهم ـ معاملاتهم ـ علومهم ـ حضارتهم ـ وحضارات الامم والشعوب سلسلة متصلة متلاحقة جديدها يفيد من قديمها . .

ولعلها عملية التواصل بين أعداد المنهل جعلتنا ندون هذه المدارات اثراء لما سبق نشره فى عدد «الأثر والآثار» من العام الماضى .

المنهل



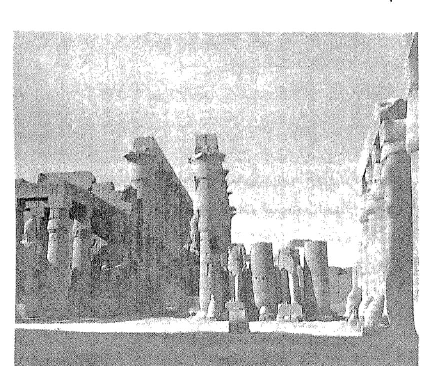

● تتصف كثير من البلدان العربية بسعة اراضيها ووعورة مسالكها مع شح فى الامكانات المادية الضرورية لاجراء المسح الآثارى والتنقيب عن الآثار.

● تشهد معظم البلدان العربية نهضة عمرانية زراعية تهدّد باتلاف اثارها.



فى معظم البلدان العربية ادارات تهتم بشئون الآثار.. وأقيمت المتاحف لحفظ وعرض الآثار.. واخيراً فتحت اقسام للآثار فى العديد من الجامعات العربية. وإن عكس اهتمام الجامعات العربية بإنشاء وتطوير أقسام للآثار بها درجة متقدمة من الوعى بأهمية الآثار غير أن دور هذه الاقسام مازال محدوداً وينحصر فى ثلاثة اوجه تقريبا ـ هى: تدريب عدد محدود من الطلاب المنتسبين لها.. إجراء بعض البحوث العلمية.. واخيراً القيام بحفريات خاصة فى حدود ميزانيات الجامعات أو بتمويل خاص.

درجات الوعى العام فى البلدان العربية متقاربة ـ وهى درجات ليست عالية ـ ولا يمكن الفصل بين الوعى الآثارى والوعى العام.





وفى هذا المضمار يلاحظ انه بينما تتسع دائرة هواة الدراسات التاريخية والتراث الشعبى بين نخبة من غير المتخصصين فى هذه الدراسات فإن الأمر معكوس تماماً بالنسبة لهواة الدراسات الأثرية، وفى تقديرنا ان مرد ذلك يرجع لعدة عوامل تعمل على تكريس التنافر بين غير المتخصصين والاهتمام بالآثار فى البلدان العربية.. ومن ذلك:

[أولا]:

إن انتشار الأمية وتدنى الوعى العام بين الكثيرين من أبناء الأمة العربية يحول بينهم وبين ادراك أهمية الكثير من المعارف الانسانية ومنها أهمية الوعى الآثارى ـ وقد لا يختلف الأمر الا قليلا بين جماعة المتعلمين من غير المتخصصين وذلك لصعوبة التعامل مع المادة الأثرية المعدة بالصورة المتخصصة التى درجنا على

تقديمها لهم بها . . لقد بات العديد من هؤلاء يجهرون بقناعتهم بعدم جدوى مثل هذه الدراسات التى تبحث فى أمور تفصلهم عنها حقب طويلة وينفرّهم منها تناول يستعصى على ادراكهم .

[ثانيا]:

وراء ضعف الوعى العام بالآثار العربية المفهوم المغلوط المستوحى من واقع الحال الظاهر، وهو ان الآثار تهم الرجل الابيض فى المقام الاول . . والناس فى ذلك معذورون ـ ذلك لان التنقيب عن الآثار مازال مرتبطاً «لحد بعيد» بالبعثات الأثرية التى يمولها أو يشرف عليها الأوربيون . . فالأمر بالنسبة للبعض لغز لا شأن لهم به . . وقد يرى فيه آخرون ترفاً فكرياً أو هواية يزجى بها الاوربيون الوقت . . وقد تبقى الآثار على مرمى حجر من الوطنيين ولا يعيرونها إلتفاتة . . وقد لا تعنى المتاحف أو مواقع الآثار بالنسبة لهم سوى اماكن معدة لاستقبال السيّاح الأجانب .

[ثالثا]:

يتعمد الكثيرون فى البلدان العربية الانصراف عن الآثار الوطنية لاعتقادهم انها ترجع لجماعات لا صلة لها بالعرب والعروبة والاسلام . ويعود ذلك لطريقة تصنيف وتسمية الآثار ونسبتها لجماعات سادت ثم بادت قبل الاستيطان العربى فى كثير من البلدان العربية (ونخص بهذا البلدان العربية الافريقية) . . كما يرى بعض هؤلاء عدم جدوى دراسة آثار الاولين السابقة لظهور الاسلام غير مدركين ان المفهوم الاسلامى مفهوم متكامل اساسه الأنسان .

وإذا كانت طبيعة ودرجات الوعى الآثارى فى البلدان العربية تلتقى فى كل أو بعض ما اوردنا فما مدى اتساع دائرة الوعى الآثارى المطلوب الذى ينتظر ان تقوم أقسام الآثار بنشره وترسيخه وما هى وسائلها لذلك؟

أن تهتم الدولة بالبحث والتنقيب عن آثار الأقدمين فإن لا يعني إحياء عصبيات اندثرت وإنما هو استقراء للتاريخ



كلمة «أركيولوجيا» التى يستخدمها المؤلفون ذات مدلول واسع وإن كان الأصل فيها الاشارة الى «علم الأشياء القديمة» أى «الآثار» . . ويصعب التفريق بين علم الآثار وغيره من العلوم التى تقوم على موضوعه مثل: الدراسات التاريخية . . وعلم الأجناس البشرية . . وتاريخ الآداب والفنون .



علم آثار ما قبل التاريخ الفرع الوحيد الذى تميزه التعاريف الضيقة لعلم الآثار وهو علم يتصل بالانسان ويبحث فى الآثار المنظورة والملموسة .



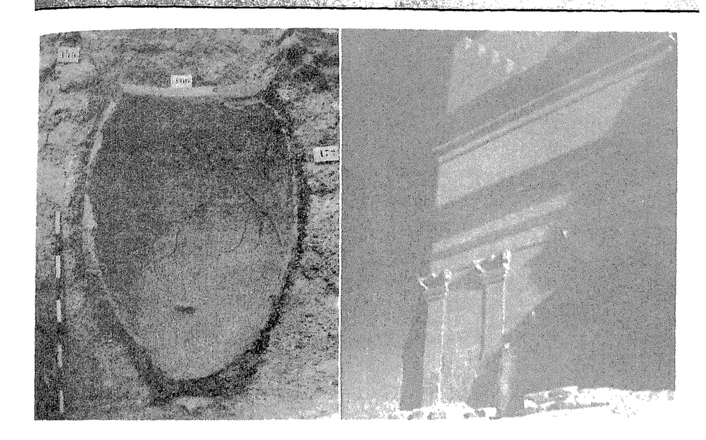
ومن هذا المفهوم الواسع لعلم الآثار فإن الوعى الآثارى المقصود نشره تتسع دائرته لتشمل كل التركة الأثرية المتوفرة فى البلدان العربية منذ أن بدأ الانسان يترك بصماته على المادة مشكلا ومطوعاً لها لخدمة أغراضه المختلفة ـ ويشمل ذلك الأثر المادى والمنقوش والمخطوط.

ولما كان الفهم الحقيقى لآثار منطقة بعينها لا يتاتى ويكتمل ـ وفى كثير من الأحيان ـ الا بالتعرف على آثار غيرها من الجماعات البشرية أو الأمم المعاصرة لها، فلابد أن تتسع الدائرة لتشمل المعرفة والوعى بآثار الأمم الأخرى التى أثرت فى مدنيتنا العربية الاسلامية أو تأثرت بها.

إن بلدان الشرق الأدنى القديم واراضى البلاد العربية بصفة خاصة، تعتبر وحسبما تكشف الدراسات والحفريات من أقدم بلدان الدنيا التى عمرها الانسان ـ كما وان التعمير فى كثير من اجزائها اتخذ صفة الاستمرارية.. وهذا يعطينا سجلا متصلا ـ وفى كثير من الأحيان ـ لمسيرة الانسانية الحضارية منذ طفولتها مروراً بمختلف العصور وحتى عصرنا هذا.

ومع ضخامة المجال وأهميته يمكن لأقسام الآثار تحقيق الدور الرائد المطلوب فى نشر الوعى الآثارى فى البلدان العربية إن هى سعت لتحقيق الآتى:

اولا: ربط اقسام الآثار فى الجامعات العربية ببعضها البعض للوقوف على ميادين نشاطاتها المختلفة. ولتحقيق ذلك يمكن تنظيم ندوات دورية تقدم فيها البحوث المبرمجة المتجانسة مثلما تفعل ندوة الدراسات النوبية السودانية التى درجت على اقامة ندوة جامعة كل اربع سنوات من اهم نتائجها مواكبة المتخصصين لما يجرى فى حقل الدراسات النوبية يتبع ذلك اصدار دورية لندوة الآثار العربية تأخذ موضوعاتها من البحوث المقدمة فى الندوة.



ثانيا: نشر الوعى الآثارى بين الافراد والجماعات فى العالم العربى . . نعلم ان ادعى دواعى الانصراف عن أمر ترغبه النفس عجزها عن ادراكه عقليا او إطالته ماديا ـ وقد بينا فى صدر هذا البحث كيف ان تقديم المادة الأثرية بلغات واسلوب يصعب ادراكه لدى القاعدة الكبيرة من الجماعات العربية يقف حائلا بينها وبين ادراك اهمية اثار أوطانها ولتذليل ذلك نرى أن يقوم اساتذة اقسام الآثار بالاتى :

[١] اصدار كتيبات تتناول موضوعات أثرية يراعى فيها النشر المبسط والمحبب.

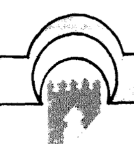
[٢] الاستفادة من اجهزة الاتصال الحديثة مثل: المذياع والتلفاز . . والصحف والمجلات . . فى توصيل المعرفة بالآثار وما تعنيه .

ثالثا: مدخل العقيدة: إن العالم العربى تقطنه أغلبية مسلمة وقد جاء فى محكم التنزيل آيات بينات تحض على السير فى الأرض ومشاهدة ودراسة آثار الأولين لأخذ العبرة.

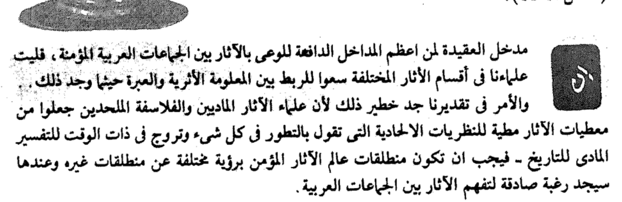
ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قلْ سيروا فى الأرضِ فانظروا كيف بدأ الخلقَ ثم اللهُ يُنْشىء النشأة الآخِرة إنَّ الله على كلِّ شىء قدير﴾ (العنكبوت٢٠).

وقال تعالى : ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كانَ عاقبةُ الذين من قبلهم وكانوا اشدَّ منهم قوة وما كان اللهُ ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض إنَّه كان عليما قديرا﴾ (فاطر٤٤).

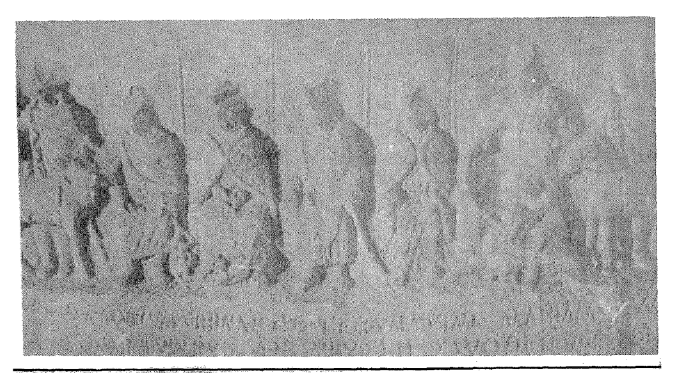
وقال تعالى : ﴿قد خلتْ من قبلكم سُننٌ فسيروا فى الأرضِ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾.

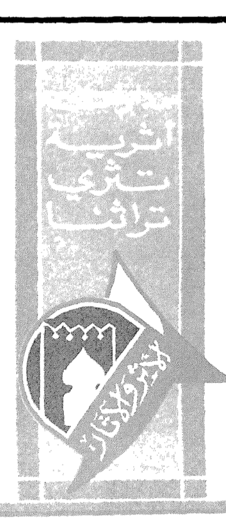


كان كل الناس ليسوا بقادرين على السير فى الأرض او ادراك ما تعنيه آثـار الاولين فليعلموا حقيقة هذا التكليف الربانى وليكن علماء الآثار بالنسبة لهم من أهـل الذكر الذين أمر الله سبحانه وتعالى بسؤالهم فى قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نُوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمـون. . بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل٤٣-٤٤).



مدخل العقيدة لمن اعظم المداخل الدافعة للوعى بالآثار بين الجماعات العربية المؤمنة، فليت علماءنا فى أقسام الآثار المختلفة سعوا للربط بين المعلومة الأثرية والعبرة حيثما وجد ذلك. والأمر فى تقديرنا جد خطير ذلك لأن علماء الآثار الماديين والفلاسفة الملحدين جعلوا من معطيات الآثار مطية للنظريات الالحادية التى تقول بالتطور فى كل شىء وتروج فى ذات الوقت للتفسير المادى للتاريخ - فيجب ان تكون منطلقات عالم الآثار المؤمن برؤية مختلفة عن منطلقات غيره وعندها سيجد رغبة صادقة لتفهم الآثار بين الجماعات العربية.





أهمية دراسة النقوش العربية في شبه القارة الهندية

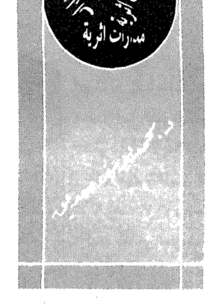
تعتبر شبه القارة الهندية من أقدم وأهم مراكز الحضارة والثقافة فى العالم . وهى أيضا من أقدم البلاد التى سكنها الانسان حيث عثر على هياكل بشرية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل آلاف السنين(١) . كما وجد بها بعض أقدم النقوش على الأحجار التى تمثل ارتقاء الحضارة الانسانية المبكرة فى هذه البقعة من الأرض.

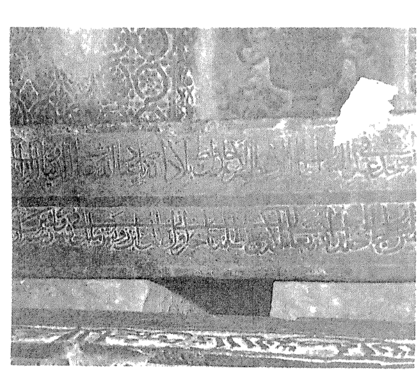
فالرسوم المنقوشة على الصخور التى عثر عليها فى أطراف وادى سوهان بمقاطعة كيمبلبور فى البنجاب وفى وادى كلكت الذى يقع بالقرب من الحدود بين باكستان والصين تدل على سكنى هذه المناطق فى عهد قديم من الحضارة فى الفترة التى ترجع الى ما قبل عشرة آلاف سنة(٢) .

ونلاحظ فى بعض هذه الرسوم المنقوشة على الصخور فى وادى سوهان أن سكان هذه المنطقة عرفوا استخدام بعض الحيوانات مثل الجاموس والبقر والفيل فى الزراعة كوسيلة من وسائل النقل . ومن الجدير بالذكر أن صورة الحصان غير موجودة فى هذه الرسوم وذلك، لأن أهالى الهند لم يعرفوا الحصان الا بعد ما جاء به الآريون خلال فتحهم لهذه البلاد.

ونعرف من هذه الأمثلة أن أهالى الهند كانوا مدركين أن النقوش والرسوم كانت من أقوى الوسائل للتعبير عن شعورهم وموهبتهم الفنية والتى كانت تبقى مصونة من التلف لمدة طويلة ولم يبدأ الناس فى استخدام الحروف للكتابة فى تلك الفترة غير أننا نلاحظ أن بعض هذه النقوش قد تشبه الهيروغليفية الى حد ما، الأمر الذى يدل على اقتراب سكان هذه المناطق من استخدام الحروف فى وقت غير بعيد من تلك الفترة.

واذا كانت هجمات الآريين على الدرافيديين قد أدت الى انهيار معظم مراكزهم الحضارية الثقافية القديمة فان هذا الشعب الفاتح الجديد قد تمكن من انشاء حضارة جديدة على أنقاض الحضارة الدرافيدية وروج الآريون فى الهند الحروف الجديدة وهى الحروف السنسكريتية التى كانت أكثر تقدما من الخطوط السابقة.





ـ نقش عربى مؤرخ ٩٣٤هـ الذى عثر عليه فى قرية براماتياباري فى بنغلاديش

ومن العسير جدا أن نعرف أقدم الخطوط أو الحروف فى شبه القارة الهندية غير أن العثور على بعض الكتابات المنقوشة على الطين أو الآجر فى المراكز الأثرية فى هريا وموهنجودارو يدل على وجود استخدام الحروف فى وادى السند منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة غير أن هذه الكتابات التى كتبت باحدى اللغات الدرافيدية السائدة فى تلك الفترة لم يتمكن أحد من قراءتها حتى الآن.

واتخذ الآريون أيضا الرسوم والنحت كوسيلة رئيسية للتعبير عن شعورهم وتسجيل أحداثهم فالرسوم والنقوش التى وجدت فى كهوف أجانتا والورا وكاجوراهو وفى جزيرة الفانتار(٣) تدل على مدى تطور فنون الرسوم فى تلك العصور. ولم يقتصر الهنود على نقش الكتابات على الصخور والكهوف فقط بل عثر على كثير من اللوحات الكتابية الحجرية والبرونزية والنحاسية والخشبية فضلا عن أوراق شجرة النخيل (Palm

Leaves) التى ترجع الى عصور ما قبل الاسلام(٤).

وقد اشتهر الامبراطور أشوكا بتشييد الأعمدة التذكارية فى شتى أماكن امبراطوريته فى الهند التى كانت تكتب عليها النظم والنصائح الدينية والأخلاقية المستنبطة من البوذية ـ ولا تزال بعض هذه الأعمدة المنقوشة بالكتابات محفوظة فى أماكن مختلفة فى الهند. ويتضح من هذا كله أن أهالى الهند شعروا بأهمية النقوش الكتابية منذ أن عرفوا الحضارة وبدأوا فى استخدامها منذ عهد بعيد.

ولا شك أن شبه القارة الهندية عاشت أهم عصورها التاريخية والحضارية منذ الفتوحات الاسلامية التى بدأت فى حقيقة الأمر فى نهاية عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م) حيث غزا الجيش الاسلامى تحت قيادة الفاتح العظيم محمد بن القاسم السند وفتحها(٥) وهكذا أصبحت هذه المنطقة فى الهند جزءا من العالم الاسلامى وبدأت تزدهر فيها الحضارة الاسلامية التى كان لها أثر عميق فى الحياة الثقافية.

ومن المعروف أن المسلمين منذ فجر الاسلام كانوا يهتمون بالكتابات العربية وتطورها وازدهارها اذ أن الاسلام شجع على القراءة والكتابة.. وكان الحكام والأمراء والأغنياء المسلمون مولعين بكتابة النقوش التذكارية على العمائر. وقد جرت العادة أيضا على نصب شواهد القبور فى المقابر والأضرحة وجميع هذه العادات والتقاليد حملها المسلمون معهم عند دخولهم بلاد السند. فلا عجب اذ نجد أن أول نقش عربى عثر عليه فى هذه المنطقة يرجع تاريخه الى سنة ١٠٩هـ ٧٢٧م بعد ما يقرب من عشرين سنة من فتح المسلمين للسند. وهذا النقش الذى يسجل اسم مروان بن محمد مولى أمير المؤمنين ـ عثر عليه فى خرائب مسجد جامع فى بنبهور على بعد ٤٠ ميلا من كراتشى فى السند(٦).

ولا نبالغ اذا قلنا: ان هذه اللوحة تمثل أحد النماذج الرائعة للخط الكوفى المبكر التى عثر عليها فى المشرق الاسلامى.. ومن هذا النقش نستطيع أن نستدل بأن الحكام والأمراء المسلمين فى الهند كانوا يستخدمون اللوحات التذكارية منذ بداية حكمهم وفضلا عن هذا: فان النقوش الكتابية كانت تعتبر من أهم العناصر الزخرفية للعمارة الاسلامية فى تلك الفترة اذ نادرا ما كانوا يشيدون العمارة خالية من الكتابات التذكارية واللوحات التأسيسية وكان الهدف من وراء ذلك تخليد اسم صاحب العمارة ومشيدها والسلطان المعاصر وكذلك تاريخ التشييد.

ولم يمتد حكم العرب فى الهند فى هذه الفترة من منطقة السند وبعض الأجزاء من البنجاب وأطرافها الى مناطق الهند الأخرى والتى كانت تشكل جزءا صغيرا من بلاد الهند على حدودها الشمالية الغربية. وبالرغم من ازدهار العمارة والفنون فى السند الاسلامية فى هذه الفترة التى تحدث عنها بعض المؤرخين العرب القدامى فان لدينا قليلا من النقوش الكتابية والتحف الفنية الأخرى التى توضح لنا مستوى الكتابة الذى وصل اليه المسلمون فى تلك الفترة. وأغلب الظن أن الفنانين المسلمين كانوا يستخدمون الخط الكوفى فى

هذه الفترة ٩٢-٥٨٧هـ/ ٧١٠-١١٩٢م حيث ان النقش الثانى المؤرخ ٢٩٤هـ/٩٠٦م والذى عثر عليه فى السند أيضا منقوش بالخط الكوفى - والجدير بالذكر أن هذه الفترة كانت فترة سيادة الخط الكوفى الذى كان يستخدم فى جميع أرجاء العالم الاسلامى لأغراض شتى.

وفى نهاية هذه الفترة شملت الفتوحات الاسلامية الجديدة المناطق الشمالية للهند تحت قيادة سلاطين غزنة. وأشهرهم السلطان محمود الغزنوى الذى غزاها سبع عشرة مرة فى مدة سبعة وعشرين عاما، فيما بين ٣٩١هـ - ٤١٧هـ/ ١٠٠٠م - ١٠٢٦م وخضع له جزء كبير من شمال الهند وغربها.

وعلى الرغم من أن السلطان محمود قد تمكن من شن الغارات الناجحة على كثير من الأماكن الهامة والتى أدت الى القضاء على القوات العسكرية الهندوكية غير انه لم يحتفظ بجميع الأراضى التى فتحها بل اكتفى بالاحتفاظ بمنطقة البنجاب والمنطقة التى تعرف الآن باقليم الشمال الغربى للباكستان(٧) وكذلك بعض أطراف هاتين المنطقتين. وكانت العاصمة لهذه السلطنة العظيمة غزنة(٨) التى ازدهرت فيها العمارة والفنون الاسلامية حتى انها أصبحت أشهر المدن الفنية فى العالم الاسلامى.. وعلى الرغم من أن سلاطين غزنة وحكامها قد تركوا لنا كثيرا من النقوش والكتابات الأثرية فى عاصمتهم فانه لم يبق منها الا القليل بسبب كثرة الحروب والأحداث التى مرت بها - وقد سبق أن أشرنا الى أن الخط الكوفى كانت له السيادة أيضا فى سلطنة غزنة وولاياتها فى الهند فى هذه الفترة. ومن النقوش الاسلامية القليلة فى الهند فى هذه الفترة نقش هوند المؤرخ ٤٨٢هـ/ ١٠٩٠م والذى كتب بالخط الكوفى(٩).



أما الفترة الثانية للحكم الاسلامى فى الهند (٥٨٧-٩٣٣هـ/ ١١٩٢-١٥٢٦م) فقد اتسعت حدود دولة المسلمين وشملت معظم البلاد تقريبا.. واتخذ الحكام والسلاطين والمسلمون دلهى حاضرة لهم لأول مرة.. وازدهرت العمارة والفنون تحت رعايتهم وتركوا لنا فى هذه الفترة كثيرا من الروائع الفنية.. ومعظمهم كانوا يهتمون بفن الكتابة ويشجعون عليه.. وقد عثر على نقوش عربية كثيرة وهى تدل على مدى اهتمامهم بفن الكتابة والخط.

وعلى الرغم من اقبال الفنانين على استخدام الخط الكوفى لفترة قصيرة فى بداية الأمر فانهم اتجهوا الى كتابة خطى النسخ والثلث فى العصور التالية. وفى نفس الوقت نلاحظ أن بعض الفنانين فى شرق الهند خاصة فى منطقة البنغال مالوا الى استخدام نوع من الكتابات المتشابكة التى عرفت فى هذه المنطقة بخط الطغرا ووصل هذا الأسلوب الى منتهى الجودة فى عهد السلاطين قبل وصول المغول الى الهند.

وقد ظهر بعض الأساليب الكتابية المحلية أيضا ومن بينها الخط البهارى الذى كان فى الغالب يستخدم لكتابة المصاحف فى بعض مناطق الهند. والواقع أن سلاطين الهند كانوا متحمسين لجودة الخط وزخرفته منذ بداية الأمر. واشتهر بعضهم فى فن الخط.. فالسلطان ناصر الدين كان خطاطا ماهرا ـ ويقال إنه كان يبيع نسخ القرآن الكريم التى يكتبها بنفسه حتى يرتزق منه هو وأهله. ويذكر لنا ابن بطوطة أنه شاهد نسخة من القرآن الكريم التى نسخها السلطان ناصر الدين محمود شاه عند القاضى كمال الدين وذلك أثناء زيارة ابن بطوطة لمدينة دلهى(١٠).. كذلك يذكر أيضا أنه قابل خلال رحلته فى الهند خطاطا ماهرا اسمه (رتن) فى مدينة جانى على شاطىء نهر السند.. كما أن الاسم يشير الى أن هذا الخطاط كان رجلا هندوكيا ونستطيع أن نستدل من هذا على أن غير المسلمين أيضا شاركوا فى الخطوط الاسلامية.

وازدهرت فى هذا العصر أسواق الكتب فى دلهى والمدن الأخري التي ساعدت علي انتشار التعليم والخط بصفة عامة. وفى نهاية هذه الفترة قبيل قدوم المغول الي الهند تعرفت البلاد أيضا علي خط النستعليق الذى أصبح خطا رئيسيا فى نهاية القرن العاشر بعد استقرار حكم المغول.

●● وكان لفتح المغول لبلاد الهند تحت قيادة السلطان ظهير الدين محمد بابرشاه فى سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م أثر كبير فى الحضارة والثقافة الهندية.. فالفترة المغولية التى هى الفترة الثالثة لحكم المسلمين فى الهند كانت لها صلات قوية بايران ووسط آسيا.. وكان سلاطين هذه الفترة على دراية كبيرة بالعلوم والفنون وكان لديهم ذوق فنى عال.. فمؤسس هذه الأسرة الامبراطور (**بابر**) كان خطاطا ماهرا وينسب اليه ابتكار خط جديد باسم «**خط بابرى**» ولكن المصادر لا تمدنا بشىء كثير من هذا الخط وليس لدينا نماذج له حتى نعرف قواعده أو أوصافه ـ ويقال ان بابر اتخذ هذا الخط لنفسه لكتابة الخطابات السرية بينه وبين أفراد حكومته.

ويزعم المستشرق الروسي الدكتور عظيم زانويها أن الخط البابري كان عبارة عن حروف جديدة يقارب عددها ٢٨ حرفا وهي تشبه الي حد كبير الحروف العربية ولكنها كانت خالية من الاعجام وضم اليها أربعة أحرف زائدة تمثل الأصوات التي لم تكن موجودة فى اللغة العربية وهي حرف ز (١١) (مثل J فى الفرنسية) وچ (CH) وپ (P) وگ (G) التي توجد باللغة الفارسية(١٢).

●● وكان ولى عهده الامبراطور همايون أيضا خطاطا ماهرا ـ ونعرف أنه بعد عودته من ايران واسترجاع ملكه فى دلهى صبغت ثقافة الهند بالصبغة الفارسية حيث دعا كثيرا من الفنانين والرسامين والخطاطين الايرانيين الى الهند وقد لقوا حفاوة بالغة فى البلاط المغولى بدلهى. وتأثرت الحياة الثقافية بهذه التطورات حتى فن الخط والكتابة حيث مال الفنانون الى استخدام خط النستعليق الذى كان أكثر الخطوط استعمالا فى ايران على الرغم من أن الحكام المغول اهتموا اهتماما كبيرا بالرسم والتصوير وتوضيح المخطوطات بالصور الملونة فانهم تركوا لنا نماذج عديدة من الكتابات الجميلة على اللوحات الحجرية التى نجدها فى المقابر والأضرحة والقلاع والقصور والمساجد وغيرها من المنشآت الفخمة فى هذا العصر. فحكام هذه الأسرة الذين خلفوا الامبراطور أكبر مثل

(جهانكير) و(شاهجهان) و(آورنكزيب) جميعهم كانوا يجيدون فن الخط مثل أجدادهم. . وكان لدى الأباطرة المغول مكتبات زاخرة بالمخطوطات وكانوا يوقعون على صفحاتها افتخارا بحوزتهم لهذه المخطوطات. ولا تزال بعض هذه المخطوطات محفوظة فى متاحف الهند ومتاحف العالم.

●● وقد اتسعت حكومة المغوليين اتساعا كبيرا حتى وصلت الى أقصى الحدود فى الهند ـ فالمناطق البعيدة مثل البنغال التى كانت دولة مستقلة فى الفترات السابقة أصبحت فى أيام المغول ولاية من الولايات المغولية. . وبالرغم من أن البنغال فقدت استقلالها السياسى إلا انها ازدهرت تحت رعاية الأباطرة المغول فى شتى مجالات العلوم والفنون حيث إن الولاة المغول اعتنوا بها اعتناء خاصا. . وقد عثر على عدد كبير من النقوش الكتابية فى البنغال التى ترجع الى هذه الفترة وهى تشير الى النهضة الحضارية والثقافية التى حدثت فى هذا العصر.

●● ولما كانت الدولة المغولية مترامية الأطراف فقد انعكس ذلك على نقوش هذه الفترة حيث تنوعت فى جودتها وأساليبها وموضوعاتها ومحتوياتها من مكان الى آخر ـ ومهما كان هذا الفرق والتنوع فى الجودة والمحتويات فان دراستها تحظى بأهمية كبيرة فهى تساعدنا فى تحديد الفترة التاريخية لبعض الدويلات والولايات البعيدة التى أهملها المؤرخون لكونها غير مهمة لديهم أو لوقوعها فى مناطق بعيدة عن مركزهم بدلهى. . وكثير من هذه النقوش يضم الحقائق التاريخية عن الحقب الزمنية المختلفة للحكام والوزراء والولاة والأمراء وغيرهم. . ففى النقوش التذكارية نجد تاريخ الانشاء وصاحبه مما يساعدنا على معرفة التسلسل التاريخى لهذه الفترة بطريقة لا يشوبها شائبة ـ والمثال على ذلك نقش السلطان محمود شاه بن حسين شاه المؤرخ ٩٣٤هـ/١٥٢٧م الذى عثر عليه فى قرية براماتيا بارى بمقاطعة بينا فى بنغلاديش.



ومن هذا النقش نعرف أن محمود شاه خرج على الحكومة وأعلن نفسه سلطانا فى وقت مبكر خلافا لما كتبه المؤرخون حيث ذكروا انه أعلن سلطنته فى سنة ٩٣٩هـ، والحقيقة أنه أعلنها فى سنة ٩٣٤هـ حسب ما جاء فى هذا النقش.

●● وفضلا عن ذلك: فان شواهد القبور تزودنا ببعض المعلومات المؤكدة عن بعض الجوانب من حياة المتوفى وخاصة تاريخ وفاته. . ونعرف من هذه النقوش أيضا كثيرا من الأسماء التى لم ترد فى المستندات التاريخية والمصادر فهى تسجل مثلا فى بعض الأحيان أسماء البنائين والمشرفين على العمائر والمعماريين والمهندسين والخطاطين الذين أغفلتهم المؤلفات التاريخية. . وقد تكون هذه الأسماء ذات أهمية كبيرة حيث تزودنا بمعلومات جديدة فهى على سبيل

ـ تتضمن هذه اللوحة الجميلة بعض الآيات الكريمة من سورة المزمل وهى نفذت بشكل جميل باسلوب الطغرا حيث مددت رؤوس حروفها العمودية الى الاعلى باسلوب منتظم. وهى محفوظة حاليا فى متحف ابحاث وريندره بمدينة راجشاهى فى بنغلاديش.



المثال تلقى بعض الضوء على التنقلات والهجرات(١٣). . وكذلك نصوص هذه النقوش يمكن أن تساعدنا فى التعرف على بعض النواحى اللغوية.

●● ويمكن أيضا أن نستنبط منها بعض المعلومات عن الأحوال الادارية والاجتماعية والدينية فى تلك الفترة حيث ان بعض هذه الأسماء قد تكون مصحوبة بالوظائف أو الحرف أو المذاهب. فهذه النقوش كما هو معلوم تشتمل على ألقاب مختلفة أو أدعية متنوعة، وفضلا عن ذلك فهى تزودنا ببعض الحقائق الهامة عن نظم الحكم ووظائف الجيش.

ومن جانب آخر: فان دراسة النقوش تفتح لنا مجالات جديدة للدراسة والمقارنة بالمصادر الأخرى من وثائق ومخطوطات ومسكوكات ومؤلفات تاريخية ـ فهى بذلك تضيف حقائق جديدة وتصحح أخطاء شائعة حيث ان نصوصها أكثر وثوقا من المصادر الأخرى فى كثير من الأحيان. فالنقوش كما هو معروف تعتبر من أصح المستندات التاريخية لأنها مصدر يصعب تزويره أو تغييره وهى فى الواقع وثائق أصلية يصعب الطعن فى قيمتها ومصدر وثائقى لا يمكن تجاهله.

ودراسة النقوش أيضا تساعدنا فى تحقيق الروابط الأسرية بين أصحاب الشواهد والأسماء الواردة فى النقوش المختلفة.. وكذلك دراسة الأحجار التى استخدمت فى كتابة هذه النقوش قد تساعدنا فى التعرف على المحاجر التى كانت تقطع منها الأحجار فى العصور المختلفة؟(١٤).

فالبنغال التى أراضيها سهلة وخصبة تندر فيها الجبال والصخور ـ ولكن معظم نقوشها من حجر البازلت الأسود الذى كان يحضر بطريق نهر غنغا من محاجر راجمحل وهى منطقة جبلية تقع فى شمال غرب البنغال على حدود ولاية بهار. ومن ناحية أخرى فان هذه اللوحات الحجرية تشير الى المهارة التى وصل اليها الفنانون فى تلك العصور فى قطع هذه الأحجار واستعمالها لأغراضهم الفنية مثل النحت والنقش.

ودراسة هذه النقوش أيضا توضح لنا مستوى الفن فى تطور الكتابة وزخرفتها وجودتها التى وصل اليها الفنانون فى تلك العصور . . وهى تمدنا بأسماء مشاهير الخطاطين فى بعض الأحيان وأسلوبهم فى الكتابة والطرق التى اتبعوها فى كتابة النقوش ـ الأمر الذى لم يعالجه المؤرخون فى كتابتهم لعدم معرفتهم به . . وهى أيضا تشير الى التفاعل الحضارى الذى وقع فى تلك الفترات بين الشعوب والبلدان المختلفة ـ فكثرة وجود النقوش باللغة العربية فى البنغال فى العصور الاسلامية المبكرة تدل على أثر انتشار الحضارة العربية الاسلامية بين أفراد الشعب. أما فى العصر المغولى فنجد نقوشها باللغة الفارسية، الأمر الذى يدل على ازدياد نفوذ الثقافة الفارسية فى هذه المناطق فى هذه العصور حيث كانت الفارسية اللغة الرسمية فى عهدهم . . ونستطيع أن نقول ان دراسة النقوش تعد حلقة تاريخية لها أهميتها تكمل الحقبة التاريخية وهى تلقى الضوء على مدى تطور بعض الجوانب فى الفنون والحضارة خلال تلك الفترة ومستوى تقدمها والتى قد تبقى مجهولة اذا لم تدرس هذه النقوش.



الهوامش

(1) P. Boryskovsky, Traces of Fossil Ape-Men' The Pakistan Times. Nov. 3, 1974.

(2) J.M.Crawford, 30,000 Years Old petroglyph The Pakistan Times, Sep.10, 1972.

(٣) هذه الجزيرة تقع بالقرب من الميناء البحرى فى بومباى على غرب الهند.

(٤) للتفاصيل انظر الكتاب: N.G. Majumdar, Insciptions of Bengal Vol 111, (Rajshahi: Varendra Research Museum, 1929)

(٥) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، ١٣٣٧هـ، ج١، ص٥٤-٦٠

(٦) Pares Islan Sayed Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy in Medieval India, (Dhake: University Press Lmited, 1979 PP 22-23.

(٧) هذه المنطقة تقع على حدود أفغانستان وعاصمتها الآن مدينة بشاور.

(٨) لا تزال هذه المدينة باقية فى أفغانستان الحالية.

(٩) Mustafizur Rahman, Islamic Calligraphy, PP 23-24.

(١٠) أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى: رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، ص٤٢٤.

(١١) صوت هذا الحرف يشبه صوت حرف J فى كلمة JOURNAL فى اللغة الفرانساوية.

(١٢) K.A. Nizami. The Twenty-Six Session of the International Congress of Orientalist, Islamic Culture (April 1964): P 163.

(١٣) دكتور حسن الباشا. «أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية» مجلة دراسة تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ، الكتاب الأول، ج١، ص٨١-٨٣.

(١٤) دكتور حسن الباشا. أهمية شواهد القبور ص٨١-٨٣.

طائر الفاو

شعر

د. نذير العظمة

حُييتِ يافاو الدواسرْ هل جئتِ من زمنٍ مغايرْ؟
حلماً له ريش اللهيب يرف من أفق الضمائر
دهراً تحدثك المنون وأنت في بطن الحفائر
نار تخمرها القرون فتخصب اللحن الحناجر
هلّا هتفت قصيدة عصماء عن زمن العساكر
وبعثتِ في نفسي شجون الأمس والركب المهاجر
هل للزمان نهاية أم أنه أبدًا مسافر؟
والقادر الإنسان في زمن الحضارة غير قادر
يبني الصروح ونبضها في القلب في مهج السرائر
ماذا أقول لجمرة بقيت على شفتي تحاذر
أنا شاعر علق اللهيب بقلبه فمتى يغادر
هل أستطيل مع الزمان وأستدير مع الدوائر؟
في بعلبك نسيت أمس عباءتي فوق المعاصر
وتركت قلبي في محافل تدمر تحت القناطر
وبترت في البتراء أغنيتي من الصخر المكابر
أعقرتُ ناقة صالح فتقسمت جسمي الخناجر
وتجرعت بئري السموم وعطلت روحي الكبائر
قل كيف يأتي بالولادة ميت الأرحام عاقر

يرد المدائن والقرى ويعود خلو الكف خاسر
يقتات من وهم الظنون ويتقي غضب العناصر
يبني السجون ويزدهي وهو المصادَر والمصادِر
لو كنت أرهفت الضمير لصيحة الطير المبادر
لخرجت من كفن الرماد مجنح الكتفين ظافر
ورفعت من فوق الزمان منائرًا فوق المنائر
أدع القياصر للأكاسر والأكاسر للقياصر
يا طائر اللهب ابتكر لي جوهرًا فوق الجواهر
ماذا تقول لجمرة في القلب تسطع والمحابر
أأنا معاوية المليك أقوم من موت الحواضر؟

وأرد قافلة الزمان إلى المخازن والمعابر
وأصيح كندةُ كيف لانلج العصور ولانغامر؟
هذي العلامات الأخيرة اسمعي وقع الحوافر
جاءت إليك من القرون لتنهضي في حلم شاعر
جاءت كأن النجم لم يغرب وربع الحي سامر
ياقرية الفاو اسمعي مثلي الشوارع والمتاجر
ماذا نقدم يازمان الفاو في زمن المباخر؟
هجنت مثلك بالحروف وزورت عيني المحاضر
فنزلت أدراج الحياة إلى الخرائب والمغاور
هل تسترد ظلال ذاكرتي شموسًا لاتناور

وكتائب مرسومة بالظل في وهج المخاطر
ثلج الحياةُ الموتَ والموتُ الحياةَ فمن يكابر؟
إني أنا الإنسان أبدعها وتبدعني البشائر
هل أستجيب لغير من ملكت السرائرَ والمصائرَ؟
ياكندة ابتكري العواصم والعوالم والمحاور
إني عرفت تفوق الإنسان في عقد الخناصر
ياكندة اختصري الزمان ووسعي فج المعابر
قومي معي نلج القرون ونسترد دم البيادر
قومي معي في البذرة الأولى وفي لهب الشعائر
ياعاثر الدهر انتبه إني بدأتك غير عاثر
وخرجت من ذهب الدمالج والخواتم والأساور
ورفعت فاو حضارة أيان فاوُ الموت فاغر
إني نفذت من الخروم حضارة في شكل طائر
وعرفت سيأتي لامحالة حيث صار الطير صائر
ياكندة استمعي إلى خفق الجوانح في المحاجر
طير يرود الشمس بالريش المجمر والمناقر
يستوعب النار الخفية كي يضيء لنا المعابر

قرية الفاو المملكة
١٥ / ٣ / ١٤٠٦هـ

قصائد العدد

العدد الأربعون - شعبان ١٤٠٨هـ

المشرف

محمود عارف

اشراقات هلال "الوحي"

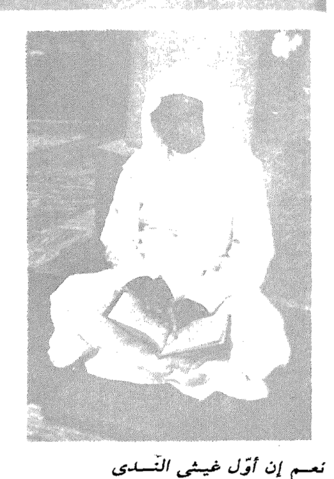
أهلَّ هلالُ «الوحي» فالقلبُ مفعم
سروراً بما اعطى الإله واكرما
فللروح فى افاقه كلّ لحظة
سموٌّ، واشراقٌ متى ما تقوَّما
ترفرف من بين الملائك منة
من الله فى طهر أجلَّ وانعما
وتُصغى الى شجو الخلود مجنحاً
يذيب الفؤاد الصلد مهما تنغما
ترى الاملَ المشعّ فى أفق المُنى
يقينا مضيئاً رائعا متجسّما
وترنُو الى «باب الريان» مفتّحاً
يلوحُ النعيمُ الحقُّ فيه متمّما
ومن خلفه صور ينادين من غدا
طوال الحياة عابداً مُتندما

يقيمُ الليّالى البعيد بالوحى راكعاً
وبالوحى ساجداً به مترنّما
يبث الأسى سمع الليّالى وأدمعٌ
على خدّه تنسابُ درا مُنظّما
ويرجو إلّه الخلق عفوا وغُفْرة
ويخشى عقاب الله فيما تقدّما
ومن بين مطلع الغزالة همّة
تقى ريثما الغروبُ يُقبلُ ريثما
فما شئت من بذلٍ نبيلٍ ورأفةٍ
وصون لسان ان يسىء ويُجرما
ففى الصوم سُلم الى قِمم العُلا
اذا ما سما الانسان فيه ودوّما
وابدى العفاف الحقَّ عن كلّ محرمٍ
لمن خلق الانسان بدعا وقوّما
وأندى يميناً فى عُفاة تدثّروا
بفقر وهمٍّ يرجون نيْلا مرمّما
وإما تنادى للجهاد نسوره
وخير أسوده كم تراه مسوَّما
فيهدى لنصرِ الديانة روحه
صدوقا، متى ولّى الجبانُ وأحجما
ففى نصرة الاسلام سلما وهيعة
سموٌ بتلك الروح قدرا ومغْنما
فما الصومُ فى الجفاءعن كلّ متعةٍ
ولكنه عما يكون محرَّما
وفى صدقِ إقبالٍ على الله طاعة
بقلبٍ سليمٍ بالتّقى قد تحطما
الا إنَّ فى التجريد من دنس الدُّنى
«مشيرا» وسلما الى نِعَمِ السَّما

* * *

هنيئاً لمن يسمو بصوم مُطهّرٍ
من الرِّجس حتى لا يغادر مأثما
فيرقى إلى كونِ الملائكِ طاهراً
كبشرى لما يلقاه فى الخلد اعظما

صحوة مسلم



نعـم إن أوّل غيثى النّـدى
سأروى به قاحلاتِ المدى
وأجعـل منه سيول الشتاء
لأغـرق فيهـا حُصـون العِدَا
أسـير وكلّى ضيـاء ونـور
لأنّـى اتبعـتُ نبىَّ الهُـدى
فإنى صحـوتُ على نهجـه
فأنّـى لى اليـوم أن أرقـدا
نعم إن دربى طويـل عسـير
ودينـى يأمـرُ أن أصْمُـدا
يرون به الشوك من كلّ جنبٍ
ولكن أرى الـورد والمورِدا
سأمضى وإن كان دربى مخيفاً
وإن كان فيـه يقيم الـردى
سنبعثُ فى كلّ جيلٍ «صلاحاً»
ونجعـلُ من بيننا «خـالـدا»
نكـونُ شعـاعاً بقلب الظلام
وحصنـاً منيعاً إذا استنجدا

وشـربـة ماء لرىّ العطـاشى
وشعلة ضوء إذا اسـترشـدا
ونفحـة ظلّ بقلب الهجـير
ودفئـاً إذ الجـو ما ابـردا
أكـون كسـاء لكـل العـرايـا
وأقـوى على الجوع كى أرفدا
سأنزعُ من بين شِدقِ الأفاعى
حقـوقى التى ضيّعوها سُدى
سأمضى الى القدس فى عزمة
وأجعـلُ «حطـين» تأتى غدا
أطهـرهـا من دنـايـا اليهـود
وأطلقُ من حبسـه المسجـدا
لتمـرح فيهـا تلالُ النخيـل
ويلعب زيتـونهـا والنّـدى
ويبسم أطفـالُهـا الـدامعـون
وأسمـع عصفـورها إن شدا
ولن أخشى قيـد المعاقل يومـاً
ولـلـه ربّـى أمـدّ الـيـدا
أنـا قادمٌ كائتـلاق الصباح
وأفـرحُ إن نورُ فجـرى بدا



يا زائر البيت الحرام سلامُ
واهنأ فإنّك لست بعدُ تُضامُ
ناداك ربُّك فاتجهت لبيته
ولديكَ للبيت العتيقِ هُيامُ
لبيّتَ ربَّك فاستضأت بنوره
وعلاكَ بين الزائرين وسامُ
ذاك الوسامُ يودُّ أن يحظى به
ألصِّيدُ والأمراء والحكامُ

* * *

لبّيكَ يا ربّاه قلتَ مردّداً
بين الجموع فزالت الآلامُ
وتلوتَ آياتِ الثناء مسبحاً
لله لما حقّقتِ الأحلامُ
كم قد تمنّيت الزيارة والطوا
ف فهاك تسعى والصّلاة تقامُ
فى حِجْر إسماعيلَ جدّ المصطفى
من ظهر ابراهيم وهو إمامُ



بل أمّة هو قانتٌ ومُهاجرٌ
في اللّه لم يحُجبْه عنه ظلامُ
وقد استلمت الركن بعد تشوّقٍ
وأخذت تبكي والدّموعُ سِجامُ

* * *

ثم اتجهت الى الصّفا في زمرة
ترجو الإله وحبها الاسلامُ
وسعيت منه لمروة وكما سعى
خيرُ الأنام ونصّت الأحكامُ
تسعى وتذكرُ هاجراً أم الذبيـ
ـح تضمُّ إسماعيلَ وهو غلامُ

ومضتْ تُهرولُ كي ترى ماء له
لكن بلا جدوى فكلُّ الهامُ
فتفجّر الماء الطهور بقدرة
من تحته فابتلت الأقدامُ
فأتت تزمُّ الماء في لهفٍ لكي
يروى ابنُها من فوره فينامُ

* * *

وسعيتَ أنت مع الحجيج الى منى
سعى المشوق ومن لديه غرامُ
وأقمتَ فيها الخمس فانتعشتْ بها
عيناك حتى زال عنك سقامُ
وترقّب الصّبح الحجيجُ فجاءهم
ليسير للجبل الأشمّ أنامُ
الله أكبر قلتَها وأعدتها
فتناقلتها البيدُ والأعلامُ
وذهبت تلتقطُ الجمار لترجم الـ
ـشّيطان وهو المفسدُ الهدامُ
ولتذكر الشيخ الجليل يجرُ فلـ
ـذته الذبيح كما قضى العلاّمُ

فيسدُ إبليسُ اللعينُ طريقه
فيزجه فيفرّ وهو مُلامُ
ويظلُ يرجمهُ الخليلُ فيختفي
بتلاحق الجمراتِ وهي سهامُ

* * *

يا زائرَ البيت الحرام تحية
ما طوّف الحجاجُ فيه وحامُوا
بيت أقيم بمكةٍ لعبادة الـ
ـمولى الكريم وتبّت الأصنامُ
لا ربَّ إلا اللهُ خيرُ عقيدة
فيها نجاة للورى وسلامُ
لا ربَّ إلا اللّه قد رددتها
عند الطواف وزيُّك الاحرامُ
طوفت بالبيت المطهر قادما
وكذا الإفاضة للحجيج ختام

* * *

أما زيارة قبر طه المصطفى
فرغيبة ومحبّةٌ وذِمامُ
من حجّ ثم سعى لرؤية قبره
أمسى له عند الشفيع مقامُ
صلّى عليه الله ربّي كلّما
هبّ النسيمُ ودارتِ الأجرامُ
أسدى لأمته أجلّ فضيلة
نشأوا بها أممًا لها إقدام
أمّا الفضيلة تلك فهي جهاده
في اللّه لا خوفٌ ولا إحجامُ
حتىّ استقامَ الدّينُ وارتفعت به
هاماتُنا واختالت الأعلامُ
صلّى عليه اللهُ دوماً كلّما
غنّى على أيك الرياضِ حمامُ



أحمد مصطفى حافظ

من كلِّ فجٍّ عميق.. ماج بالنّغم
يأتى الحجيجُ بحشدٍ سال كالدِّيم
لبّوا نداء إلـه لا شريكَ له
فى المُلكِ من أبدعَ الأكوانَ من عدم
وفى إزار سنا الاحرام قد نبذوا
سرابَ دنيا.. تدسّ السُّم فى الدّسم

* * *

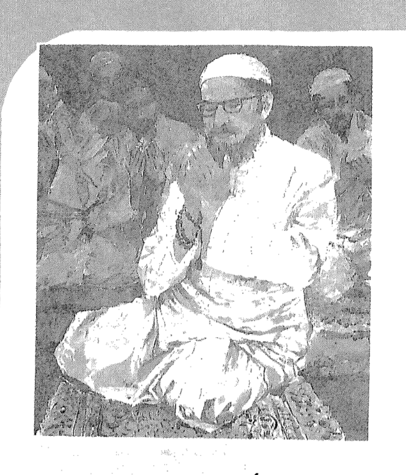
تجرى السفينُ بهم والقلب يغبطهُم
وقد تعاظم وجدٌ جدُّ مضطرِم
والطائراتُ بأفواج قد انطلقت
تشزّ فى أفقها من توقها العرم
والدّمعُ فاض من الآماق تحسبهُ
نهرا يُطهرُ أرواحاً من السّقم
يستبطئون بساط الريح مركبة
تُقلُّ - قبل ارتداءدالطرف للحرم

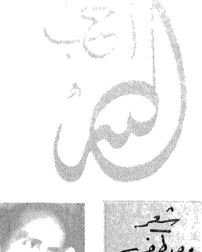
* * *

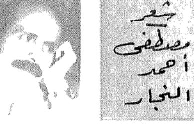
وخير زُاد لهم تقوى الإله وهم
يرنون للكعبة الغراء من أمم
ثم الطوافُ بها سبعاً ليعقبه
سعىٌ بوادى الصفا يشفى من الغمم
وفى (منى) جمرات يرجمون بها
وكرا لإبليس أس الشر والنقم
وفى رُبى (عرفات) الكلُّ قد خشعوا
فى مشهدٍ بجلال اللهِ مُتّسم

* * *

يا شِعْرُ حسبك كنت العمر لى سنداً
فمر بحورك تُزجى أنفس الكلم
إذا وقفت بأعتاب الرسول وبى
جوى تأجج فى الأضلاع كالضّرم







أُحِبُّ اللّه فى السرّ
أُحبّ اللّه فى الجهْر
وفى الرّمضاء تصهرُنى
وفى الظلماء والفجرِ
وفى الأفراح والأحزان
فى ترنيمة الطير
أحبُّ الله فى اليُسر
أحبُّ اللهَ فى العُسْر
وفى الاظلام والأضواء
فى اطلالة البدر
وفى الأنسام والاعصارِ
فى دوّامةِ البحرِ
وفى الأشجار والامطارِ
فى تسبيحةِ الزّهر
وفى ألحانِ قافيةٍ
تهادتْ بالهوى العُذْري
وفى ترتيل إصباح
رقيق السّكب والنّشرِ

على شُرفاتِ دنيانا
أذاناً عابقَ العطرِ
أُحبُّ الله فى ضعفى
وفى اشراقة الصّبر
أحبُّ اللّه أسألُهُ
عطاء الحبّ واليُسرِ
دوام محبّة غسلتَ
غُبار الحزنِ فى صدرى
فهبنى القدرة العظمى
على التّسبيح والشكرِ
إلهى.. نورّ الآفاقَ..
واشرح بالهُدى صدرى
وثبّت فى قلوب الناسِ
حبَّ الله والخيرِ
لكى أحيا على حب
عظيم الشأن والقدرِ
أحبُّ الله تسبيحى
أرددُها مدى عُمرِى

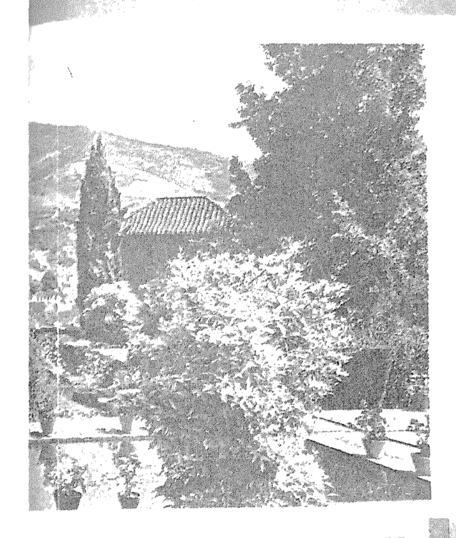


شاعر

محمد بن أحمد العقيلي

- جازان -

من إلهام مدينة قرطبة



حُيّيت «قرطبة» بكاك حراء
والمسجدان وطيبةٌ وقُباء
وسقتك - من غُرِّ الغوادي - مُزنة
طفقتْ تسحُّ - وديمة وطفاء
وغشاك عمرانٌ - يجدد ما مضى
من نهضة عربية - وبناء
وبقى على الأزمان ذكرك خالداً
فى هالة - سطعتْ بها الأضواء
ولك الخلودُ تضوعت أمجاده
عبقاً - على التاريخ - منه ثناء
وبقيت للأجيال رمزاً ساطعاً
تسرى - على أضوائه - الأبناء

* * *

قسماً لقد ألهمتنى فتخلّقتْ
- للفكر منك - خريدة عصماء
قد مار نورُ الفتح فى قسماتها
وهجاً سماوياً له إيحاء

* * *

ولقد سلكتِ طريق أروع فاتحٍ
خضعتْ له الهضبات والدأماء
تبدو على شاشات فكرى تألقْ
صورٌ - تمور بوهجها - الهيْجاء
حتى كأنّى حاضرٌ فيما مضى
تتمثّل الأشباح والأشياء

لى من وقـود الشـوق أقـوى طاقـةٍ
لم يثـن غايـتـهـا الهـوا والمـاء
أسـعـى وطـرفى بالـفـضـاء معلقـاً
حبّـا لكـى تتبـيّن الأشـيـاء
حتـى بدتْ أربـاضُ قرطبـةٍ ـ لنـا
سحـريـة موشـيّـة خضـراء

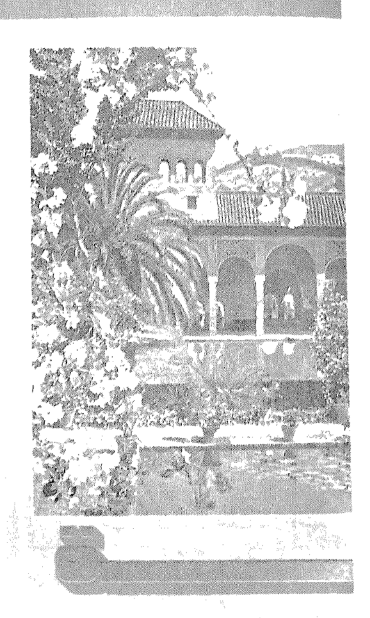
* * *

كبرت حين تألّـقـتْ أعـلامُـهـا
وبـدتْ معاهـدُ ـ كالنجـوم ـ وضاء
شاهـدتُ قرطبـة الحـزينة فى أسى
ثكـلى عليـهـا يُجتـنـى ويُـسـاء
فلثـمـتُ رمـل ثرى على أرجـائهـا
خطـر الجـدودُ عليـه والآبـاء

وتحـدّرت وكفُ الـدموع تسحّ من
عيـنـى ويـمـريهـا أسى وبكـاء
غامـتْ بى الـدنـيـا ودارت دورة
وجـهشتُ أنشـج والـدمـوعُ دمـاء
ودخلتـهـا بين التّـحـسُّـر والأسـى
أسـيـان قلب، هاضـه الإعـيـاء
وتـلفّـتـتْ عينـاى قد غطىّ على
أجـفـانهـا ـ رغـم الـنهـار ـ عماء
لا طارق يختـالُ فوق جواده
قبـل الـزّحـوفِ تلفُّـه الخُـيـلاء

كلا ولا سطـعـتْ على أرجـائـهـا
ـ شمسُ الخـلافـة ـ والجـلالُ رداء
لا الـداخـل الميمـون فى آفـاقهـا
بدراً ولا لأمـيّـة أضـواء
قد غاب مروان الـغـرانيق الأولى
وتـوارت الخـلفـاء والأمـراء
من شيّـدوا فوق المـجـرّة عرشهـم
وسـمـا لهم فوق الـسّـماكِ لواء

* * *



وأرى الجحـافـل والصـوارم والقنـا
رهـن المـنـايـا، تغـتـدى وتُجـاء
تتـخـايـلُ الـرايـاتُ فى زحـف له
زجـل تُردد رجـعـه الجـوزاء
سلوا صوارم كالـبروق تراقـصـتْ
شعـلاً موهـجـة ـ لها أضـواء
وصـواهـل كهضـاب رضوى شُزَّبٌ
تشأى الـريـاح، وقـد عراهـا عياء
وطأت سنـابكهـا الـرِّعـان فطأطأت
وزوت ـ فدافـدهـا ـ له الـبـيـداء
مازلـتُ فى سيرى مُغـدّاً لا أنـى
صبـحـاً وحـتـى ظلنى الإمسـاء

واذا أمامى الجامع الأموى فى
حزنٍ عرتهُ سفعة وعناء
وكأنه مِلكٌ تهاوى عرشُه
وسطتْ على أوطانه الأعداء
فتسمرت «قدماى» فى عتباته الغـ
ـبراء واحتصرتنى الأرزاء
ودخلتُ فى اغماءة لم أستفقْ
الا على جرسٍ له أصداء
فتطلعتْ عيناى مشدوه النهى
«لمنارة» تاهتْ بها الأجواء
فاذا الصليبُ علا بُقنّتها التى
كان الأذانُ له عليها نداء
تدوى نواقيسٌ رنين صدائها
غصّ المجالُ به وضاق فضاء
فولجت نحو الصحن أمشى خائراً
متهالكا قد خارت الأعضاء
واذا السوارى والعقودُ نوادبٌ
وعلى المصلّى قد بدا استخذاء
واذا دُمى الأحبار فى محرابه
ودُمى المسيح رُسمن والعذراء
واذا الصليبُ الضخمُ يعلو منبراً
تُليتْ عليه خطبةٌ ودعاء
كانت هنا أحياء آل أميةٍ
وبلاطُ عرشٍ قد سما ولواء
من كلّ صرحٍ كالكواكب رفعة
وله الوفود تروحه وتجاؤا
حاطتْ بقصر «المنية» السامى وقد
سطعت عليه العزة القعساء
رسختْ أواسيه الرواسى واعتلت
شرفاته وله السحابُ غشاء
مدن كأحلام العذارى بهجة
او حفل عرس قد زهاه غناء
عاشت بأرفه نضرة وغضارة
وتمدن قد شاع فيه رخاء
ومزارع وحدائق وجداول
قامتْ عليها جنائنٌ غناء
مدنٌ تطاول بالصروح شوامخ
ولروعة البنيان فيها سناء
نمطٌ من البنيان اسلامى البنى
عربىٌّ نهج قد جلاه طلاء
فى كلّ منعطفٍ وكلّ محلة
أثرٌ يلوحُ وهاتفٌ ونداء
أستاف أنفاس العروبةِ عابقاً
بين الدروب تنشه الأجواء
تبدو عباة هاهنا وعمامةٌ
تبدو هناك وحلةٌ وقُباء
وشخوصُ أبناء الجزيرة مُثّلٌ
فى كلّ زاويةٍ لهم إفشاء
أشباحهم تبدو لعينى رؤيةً
وكأنهم فوق الثّرى أحياء
فتكاد تلك الدور تندبُ حظّها
جهرا وتندبُ حظاها الأفياء

* * *

إن كان قد طوت المنونُ جُسُومهُم
فلهم بدنيا الخالدين بقاء
كانوا حضوراً راقياً وتوجُّهاً
سام كما تتطلّبُ العلياء
أبقوا لنا من وهج ماهياتهم
أثراً تخلّد لم ينله فناء
وحضارة لم تنطف جذواتُها
أو يخبُ ـ من لألئها أضواء
لم تشهد الدّنيا مثيلاتٍ لها
من كلّ ممن قد مضوا أو جاؤا
وصلُوا لعهدِ الامتلاء تقدماً
وتمدناً قد فاض فيه نماء
وتشبّعوا من كلّ ما رفع الورى
علما وعمّ وجودهم اثراء

وتفتّقت أذهانُهم عن ومضةٍ إلا
بداع فازدهرتْ بها الآناء
وتوهّجتْ غُرّ القرائح عن مدى
دنيا الفنون وأشرق الإنشاء
واذا الثقافة والعلومُ مشاعة
بين الأنام كما يشاع الماء
جمعوا الجلالة والمهابة والتُقى
فهم لآفاقِ العلوم سماء
عُقِدتْ أكاليلُ الفخار لهامهم
والأرجوانُ عمائمٌ ورداء

* * *

فردوسنا المفقود هجت مشاعرى
وعواطفى - وعزّ فيك عزاء
أوقدت فى قلبى شعوراً لاهباً
متأجِّجا صُهرتْ به الأحشاء
يُورى الحنين ويستثير خواطرا
عربية يُجْتم لها الاصغاء
يُوقِظن ذاكرة الزمانِ وقد عفت
ومشاعرَ الاسلام وهى عفاء
ذكراك تذكى فى العروبةِ حُزنها
فتهاجُ للاسلام فيك بكاء

* * *

أثروا الوجود بكل معنى فائقٍ
ولهم شعورٌ راقى ووفاء
دعموا تُوهّج نصرهم بمعاركٍ
شهدتْ عليها دولةٌ غراء
بمضاء عزم خلائقٍ عُلويةٍ
قد حققت لنضالهم آراء
فتخلخلت بنيان صرح الشرك
من أساسه وتصدعت أرجاء
ذكرى تدفق بالخواطر والرُّؤى
والذكرياتُ لها الثناء شذاء

* * *

هم صاغةُ الفتح المبين ورادتُ النـ
ـصر العظيم وللوجود ثراء
نذروا نفوسهُمُ لأسمى غايةٍ
وأجلّ ما قد خلد العظماء
لا زال فى آفاق أندلسٍ لهم
وهجٌ مشعّ فى الفضا وضياء

* * *

فتحٌ تفتّحت السماء له هُدى
وهدايةٌ شمختْ بها السمحاء
تسعى لأهداف سمت وبواعث
علياء قد طارت بها الأنباء
قد أعربتْ عن نبلِ غاياتٍ لهم
قيمٌ لها بين الأنام بقاء
صاروا (لفتح الغرب) يحدوهم الى
اعلاء دين الله - منه رجاء
غاياتُهم غاياتُ كلِّ مُوحِّدٍ
لله يبغى نصره ويشاء
عربٌ سموا عن غاية محدودة
ليُزاح - عن بصر الوجود - غطاء
لعقيدة غراء نهج شريعة
- قدسية - يُغدى بها ويُجاء
قد أُنزلتْ آياتُها وتتابعتْ
للأرض فيها والسماء سناء
فرضوا على الدنيا جلال فتوحهم
فتعالت الأفعالُ والأسماء
جمعوا لنُبل التضحيات وفخرها
مجد النِضال لهم فطاب فداء

* * *

هل تُنجبُ الأقدارُ طارقَ آخرا
فيعيدُ ما قد شاده الآباء
فترفّ أعلامُ الفتوح وتحتفل
دنيا الجلاء وتجتلى الظلماء

أمير المؤمنين عمر

وراع صاحب (كسرى) أن راى عمراً
بين الرعيّة عطلًا وهو راعيها

وعهده بملوكِ الفُرس أنّ لها
سوراً من الجند والأحراس يحميها

رآه مُستغرقا فى نومه فرأى
فيه الجلالة فى أسمى معانيها

فوق الثرى تحت ظلّ الدّوح مشتملًا
ببردة كاد طولُ العهد يُبليها

فهان فى عينه ما كان يُكبره
من الأكاسرِ والدنيا بأيديها

وقال قولة حقّ أصبحتْ مثلًا
وأصبح الجيلُ بعد الجيل يرويها

آمِنْت لما أقمْت العدل بينهُمُ
فنمت نوم قريرِ العينِ هانيها

●●●

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها
فلم يغرّك من دنياك مُغْريها

ماذا رأيتَ بباب الشام حين رأوا
أن يُلبسوك من الأثواب زاهيها

ويُركبوك على البرذون تقدُمُه
خيلُ مُطهّمةٌ تحلو مرائيها

مشى فهملج مختالا براكبه
وفى البراذين ما تُزهى بعاليها

فصحت: يا قوم كاد الزهو يقتلنى
وداخلتنى حالٌ لستُ أدريها

وكاد يصبو الى دنياكُم (عُمرٌ)
ويرتضى بيع باقيه بفانيها

ردوا ركابى فلا أبغى به بدلا
ردوا ثيابى فحسبى اليوم باليها

●●●

ومن رآه أمام القدر منبطحاً
والنارُ تأخذُ منه وهو يُذْكيها

وقد تخلّل فى أثناء لحيته
منها الدخان وفوه غاب فى فيها



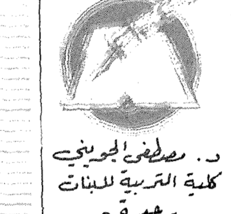
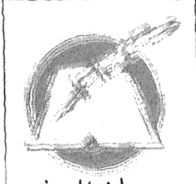
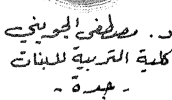
رأى هناك أمير المؤمنين على
حالٍ تروعُ ـ لعمرُ الله ـ رائيها
يستقبلُ النار خوف النّار فى غده
والعين من خشية سالتْ مآقيها

●●●

إن جاع فى شبدة قومٌ شركتهُمُ
فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوعُ الخليفة ـ والدنيا بقبضته
فى الزّهد منزلةٌ سبحانَ مُوليها
فمن يُبارى (أبا حفص) وسيرتهُ
أو منْ يُحاول (للفاروق) تشبيها
يوم اشتهت زوجُهُ الحلوى فقال لها
من أين لى ثمنُ الحلوى فأشريها
لا تمتطى شهوات النفس جامحة
فكسرة الخبز عن حلواكِ تجزيها
وهل يفى بيتُ مال المسلمين بما
توحى اليك إذا طاوعت مُوحيها

قالت: لك اللهُ إنّى لستُ أرزؤه
مالا لحاجةِ نفسٍ كنتُ أبغيها
لكن أُجنِّبُ شيئا من وظيفتنا
فى كلِّ يوم على حال أسوّيها
حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها
شريتُها ثم إنّى لا أُثنّيها
قال: اذهبى واعلمى إن كنتِ جاهلة
أن القناعة تُغْنى نفس كاسيها
وأقبلت بعد خمس وهى حاملةٌ
دريهمات لتقضى من تشهيها
فقال: نبِّهت منّى غافلا فدعى
هذى الدراهم إذ لا حقَّ لى فيها
ويلى على عمرٍ يرضى بموُفيةٍ
على الكفاف وينهى مُستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به
أولى فقومى لبيت المال رُدّيها
كذاك أخلاقه كانتْ وما عُهدتْ
بعد النّبُوّة أخلاقٌ تُحاكيها

أسطرف

د. مصطفى الجويني
كلية التربية للبنات
- جدة -

الشاعر والحرب:

لا نخطىء الاحساس بأن قصائد المنهل (عدد شعبان) عن الحب صدرت، واليه ترد، ولقد تختلف عناوين القصائد، ولكنها تتواجد جميعا لتشع هذا الحب ألوانا فيتوزع بين حب لله وللدين، وللوطن، وللانسانية، وللمحبوبة، وللشباب وللخير، ولكل قيمة خلقية . ،

بل تتعدد بيئات الشعراء وأجناسهم وأعمارهم ولكن الجميع بالحب يتحرك، وتتوزع موسيقى الصوت من وافر أو طويل أو سريع، أو كامل، أو بسيط، أو متقارب، أو رمل بل وتتمازج فيها الانفعالات غاضبة هادرة، ووادعة ساكنه قلقة وآمنة متصارعة ومتصالحة قانعة وطامعة فرحة وترحة لكنها كلها معزوفات حب.

وتتشكل الصور في تلك القصائد من فنية ملتهبة الوجدان وأخرى باردة رزينة أنضجها العقل، الأولى حب بالعاطفة والثانية حب بالعقل، ثم من هذه التحليقة الطائرة الى الإلمامة المؤشرة.

المضمون الديني:

بين خوف ورجاء يهتف الشاعر بالدعاء ليغفر له الله جوادا بغفرانه:

إننا مازلتُ أخشاه
لعلمي أنه الله

يراه القلبُ يدْركُه
فيدركُ كنهَ معناه

■ والشاعر الواجف، المدرك بقلبه لحقيقة الاله يرتقب الغفران، ويتوه الشاعر في تسبيحات وتحميدات وقد تفلّتت من بين يديه اللغة الشعرية.

وفي (تحليقة روح) يحاور الشاعر نفسه ـ وانها لنفس كل انسان ـ تهفو الى دنيا تزول، وتغفو عن آخرة تدوم.

ومع كل أمل وعمل صبر وكفاح، وفي اللجوء الى الله بالبواح عن أشواق النفس واتواقها، ايذان بمغفرة وسماح.

رباه عفواً ليس يقتل
لوعتي الا البواح

وقد اثبت (رغبتي) لا (لوعتي) فهل تراني اروق الى ما أراد الشاعر؟.

(ويلاه من جرح الفؤاد) تحكي عن هذا العراك بين القول والعقل، بين اقدام على الفضيلة واحجام عنها، والقصيدة تقريرية المنزع:

ويلاه من جرح الفؤاد اذا رأى
آماله بنيانها يتصدع

■ وقصيدة (لغز) تنتمي الى الشعر الدرامي، الذي يعالج صراع العواطف، بين شك ويقين، وأمن وخوف، وحب في أرجوحة الصدق والكذب، وتمضي الأبيات تترجم عن ذلك بأسلوب شاعري تحيد عنه بعض أبياتها، ويظل نبض





الشاعر يخفق وتتوالى حدته :

هل لأنـي أخـاف أن لا تكـونـي
مثـل ما ترتجيـه فيـك ظنـونـي

■ قصيـدة (الشعرة البيضاء) شاعرية المضمون، ولكنها عبثا تبحث عن العبارة الفنية المصورة، وتلوذ بأدوات الاستفهام واساليب التعجب للتنفيس عن الحسرة :

رخصت عنـدنـا الحيـاة وهـانت
مذ بلينـا بالشـعـرة البيضـاء

■ و(سمراء) مقطوعة مرحة نشوانة بالحب تُعنى به وتطمع في مزيد :

مُدّى يداً معطـاءة
زرعت مبـاهـجَ العيـد
او اجـرحـى قلبى بما
خطـرتْ منى المواعيـد

■ (سمير الليل) رائعة من رائعات قصيد هذا العدد تعكس وجدان الفنان يشجنه حزن دائم ويؤرقه سهاد تجتمع عليه فيه ذكريات مشجية :

سَطّـرْ سمـير الـليـل همّ
لا تدع فى الـليـل صفـحـه

■ (قراءة فى قسمات وجه فريد) شاعرية العنوان وتسير الأبيات منذ بدايتها فى طريق فنى متألق، ثم تنعرج به الشعاب الى النصح والعظة وتصور القصيدة : صراع ما بين العواطف المتناقضة وكل الهامه، برواية الشاعر :

لا تسـمـعـن من الـعـذول وشـايـةً
فيـنـال منـك الحـاسـد الأفـاق

■ (فـديتك) تتغنى بالحب فى حراسة الفضيلة والاتكاء على المعانى الحكمية على حساب الصياغة الشعرية :

وحـبـلُ الـود متـصـلٌ برفـق
ويـقـطـعـهُ من الطـرفـين شدٌّ

■ وتزف (العيد والأمل الحائر) تهنئة حب ووداد لكل من ادى فريضة الصيام، وما تلبث أبيات القصيدة أن تحث المسلمين على الوحدة ونبذ الشقاق ليعزوا وقد كانوا مع الاسلام فى عزة وان الشاعر لحزين من حال المسلمين.

يا أخـوة الحـبّ ما للحـب فى زمـنـى
قد عاد من رحـلة الأشـواق حزنـانـا

■ والالحاح على أساليب النساء وضمير المخاطب يشى بخطابيه المضمون.

وفى (رحاب القرآن) مضمون القصيدة انه على القرآن يتجمع شباب المسلمين يتبارون فى تلاوته وتفسيره. وحيث تجمعوا كان مهبط الوحى فى حراء وتوالت الآيات تترى مجمعة الناس على التوحيد.

ويتجه الشاعر بوصاياه الى ناشئة المسلمين أن يكونوا بالقرآن جميعا وليست قلوبهم شتى :

فليكــن فى صدورنــا مستــقــراً
قبــل ان يســتــقــر فى الأوراق

■ وتسلك القصيدة دروباً تؤدى بها الى الفنية حينا والتقريرية احيانا.

وقصيدة (وحى الصيام) تتغنى بقيم الاسلام التى يُهدى إليها الصوم.. وأبيات القصيدة عالية النبرة واضحة القصد الى العظة وترقيق النفوس.. ونلمح من بين ابياتها بيتا رامزا بودى لو كانته القصيدة كلها:

الطيــب ما اشتــملت عليــه مدينتى
ولــكــنّ هذا الــقــلبَ كيــف ينــامُ

■ قصيدة (نطاق النور) درة القصيد، صاحبتها تملك قدرة فائقة فى فن الشعر، وشكلت القصيدة فى قالب قصصى شعرى محبوك يحوى من عناصر الوصف والحوار والشخصيات، وعنصر التشويق يسوق القارىء سريعا الى الخاتمة، ثم ما يلبث أن يعود ثانية الى البداية يستملى جمالا جديدا يضيفه الى جمال رصده قبل، وتقتبس القصيدة من المضمون القرآنى والعبارة القرآنية المعجزة، وترمز الى ما يدور فى عالمنا من تناقض بين حب يحوطه نور الايمان وآخر يتشبث بالطين، وينتصر الحب المؤمن:

ان فتــى الإنس من يأســه
تنــكــر للحــب ثم انــتــحــر

■ و(اليك حنينى) قصيدة رامزة لحب الوطن والحنين اليه من متغرب بعد ان سرق ارضه الغاصب، والشاعر يطالعنا من وراء ستر رمزى شفاف بأن موعد الربيع فى أرضه الحبيبة فلسطين:

فمــن زيــتــونــك الــعــالــى ضيــاء
وفــوق ترابــك الــغــالــى مهــادُ

■ ونختار أبيات ابن الرومى شاعر الصورة الحسية فى أدبنا العربى لا تعطينا هذا الملمح وانما تقدم الينا صورة عقلية تجريدية فيها تحليل معرفى للصبر وضرورته، وان النفس تختاره ولا يختارها وملاك القول ان زمام الصبر بيد العقل:

هــو المــهــرب المــنــجى لمن احــدقــتْ به
مكــاره دهــرٍ ليس منهــن مهــربُ

الموسيقى

الأصوات التى استخدمها الشعراء بحسب الترتيب الابجدى هى: **الهمزة - الباء - الحاء مرتان - الدال مرتان - الراء - العين القاف مرتان - ل د موشحه - م - النون مرتان - الهاء.**

يعمد الشاعر الى ما اسميه باللحن الدائرى اذ يفتتح القصيدة بالبيت:

أ - انا مازلت اخشاه .. لعلمى انه اللّه
ب - إلّه الكون خالقه .. وما للكون إلّاه

■ ثم ينهى الشاعر لحنه بجعل ختام القصيدة البيت الثانى منها والبيت البداية يضعه قبل النهاية، وهذا التنوع فى الترتيب يعطى مذاقا جديدا للحن، وان كانت الأذن سبق ان سمعته والفته.. والشاعر وفير الحظ من النغم الموسيقى فيعزف بالأصوات المتقاربة مثل لحنه:

يراه القلب يدركه .. فيدرك كنه معناه

■ ويقسم مجزوء المتقارب مع تكرار بعض الالفاظ ليرى لحنه طربا:

هو المعطى هو المنجى .. هو المأمول لقياه

■ واحسب ان الشاعرة عاتكة الخزرجية قد صبت الحانها كما يقول اهل الموسيقى فى حركات سبع:

الاولى: الراء تعقبها هاء مقيدة تصور سحر القصر سكن أميرة النور:

فقل انه الخلد بل روحه ★★ ودارتنا هذه داره

الثانية: متهادية تصف سحر اميرة النور: موسيقاها الراء يسبقها الياء حرف اللين:

واسم الجلالة فى تاجها .. يشع كما شع نجم منير

الثالثة: وقورة متزنة تصف ما بالوجدان من ايمان، واللحن هنا بصوت النون معها الهاء المقيدة:

ملاكٌ من النور قد فُصِّلت
ونَضَّتْ عن الجسم ادرانُه

وتعزف الشاعرة لحن الهاء المقيدة، ولحن هذه المرة يسبقها حرف الراء رمز للذكر، وتصور الموسيقى هنا مشهد الصلاة تقيمها اميرة النور ومنها بنات الهديل:

قامت تُصلى بنات الهديل
وتوقظ للّيل ذكّاره

ومعها صلى الكون كله.

وتصور الشاعرة بالموسيقى كيف فتن فتى الانس بأميرة النور سحر وبهر من قلقل من الراء الساكنة ايقاع نغمتها:

وتوصد من دونه شرفة .. وتستعصم بالله من كل شرّ

■ ولصوت الراء مسبوقة بياء اللين تسرع حركة الموسيقى.. فان فتى الانس الى أميرة النور يكاد يطير:

يكاد فتى الإنس مما به
الى ملكة النور توّاً يطير

■ ويسكن صوت الراء فى حركة حزينة.. فان فتى الانس قد انتحر.

ان فتى الانس من يأسه .. تنكر للحب ثم انتحر

■والشاعر المهد حبيس الليل يقرن صوت الخاء بالهاء المقيدة:

أرقٌ ذرى فى العين ملحه ★★ وسرى يدس اليك جرحه

■ ويكوى الفؤاد بنار الشوق وهو عن الوطن بعيد فيجعل على لحن الدال يسبقها الألف وهو صوب موسيقاه المضورة لأشواقه:

وأرهقه الحنين وطول شوق ★★ ونار فيه حامية تقاد

■ وفى مقطوعة الموشح يعزف الشاعر لصوتى اللام والدال فى رقة واضحة:

سمراء يا خمرية الخدين
صبِّى الشجى المعسول
فى مطلبى المقبول

يا ليلة الوجد التى عبرت
بأنجُمى الغيد
كم لشمة أعطيت فانهمرت
طلاً على عود

■ وبالصورتين الف المد تعطل الهمزة المخفوضة، يصور الشاعر موسيقيا كيف انتهت به رحلة العمر من شباب الى شيب.. ألف المد رمز موسيقى لزمان ولى، وهمزة الخفض حال مؤليه:

اين زهرى الذى ذوى من رياضى
اين نجمى الذى هوى من سمائى

■ وتصبح أصوات الياء والألف والواو انغام موسيقى تراوح بين اشباع ومد، ورخاوة ولين احيانا، فهو بأرجحة الأمل واليأس، من محبوبته (اللغز):

والشاعر فى قصيدته كلها يشيع تلك الانغام ممدودة ومرتخية مشبعة او لينة مختلة تصويرا لحالة:

لست أدرى.. ماذا يسحرك قولى
هل سألقى بك هلاك سفينى

الصورة الفنية

تتنوع الصور فى قصيد «المشتار» بالمجلة المنهل بسيطة حينا بشكل تشبيه أو استعارة أو كناية او مجاز مرسل متناثر فى بيت أو بيتين,

يقول الشاعر:

كم فارس ضحكت له الدنيا
فزمجر واستباح
ومشى على هام الزمان
مغردا صعب الجماح

■ ويرسم آخر:

وأطلت على العوالم «إقرأ»
بدر تمّ فماله من محاق

■ ويأسى الشاعر لفرقة العرب واقتتالهم، فتتلون صورته بالقتامة:

مالى ارى دنيا العروبة مسرحا
لغوايةٍ شاهت بها الايّامُ

■ وقسمات الوجه الحزين صورة محسة، وكلها فى عين الشاعر سطور لحكاية تقرأ:

ولمحت فى عينيك نظرة حائر
تحكى حقيقة سره الاحداق
وقرأت فيها كل ماضيك الذى
شهدت على اسراره الآفاق

■ يحيل الشاعر الصورة المرئية الى صورة عقلية الى حكمة:

وحبلُ الود متصلُ برفق
ويقطعه من الطرفين شدّ

■ وقد عمد الشاعر الى رسم الصور المتضادة وقد ولى عهد الشباب وسرت فى رأسه الشعرة البيضاء:

أين زهرى الذى ذوى من رياضى
أين نجمى الذى هوى من سمائى

■ ويصور الشاعر الانسان وهو فى شد وجذب بين عالمى المثل والرذيلة:

لا تهدم الصرح الذى قد صغته
من فيض روحك زهرة بل اروع

■ ويلح الشاعر على هذا المعنى نفسه فى صورة ثانية:

لا تسحق الآمال انت بريقها .ها إنها وبحرقة تتضرع

■ وصورة ثالثة مضمونها المعنى عينه:

لا تحرق الكاس التى اترعتها . . سحرا وإلهاما له تتجرع

■ وتتحقق الصورة الفنية بحيث تصبح كيانا عضويا وظيفيا فى البناء الكلى للقصيدة.

«فالوحيدى» الشاعر صمّم قصيدته تصميما قصصيا حواريا يظلله الرمز للوطن بالمحبوبة، وللخطاب بذوى الجاه من الاعادى وكذلك بالعقارب والأفاعى والكلاب، وبالمنسأة سلاح ابن الوطن، ولوكان بسيطا ساذجا.

وفى مجال الصراع العربى اليهودى يكون لهذا الرمز الخاص والزيتون رمز لفلسطين، وحين يأذن الله بنصره يتم اللقاء بين ابناء الوطن المغتربين فى ارض المعاد، فلسطين، ويكن رمز اللقاء ربيع الحياة يسفر صبحه ويشدو طيره، وتبتسم الجداول.

وعلى هذا تصير القصيدة لدى الشاعر لوحة فنية ويكون من مناظرها صورة لشاعر من داخل وقد فاض وجدانه بحب المحبوبة:

اليك حبيبتى خفق الفؤاد
وحرّقه التنائى والبعاد
لقد قالوا علاه اليوم شيب
ولا تهواه ليلى أو وداد

■ وصوروا للمحبوبة حال الحبيب:

بمنسأة يسير وفى شباب ★★ تلاحقه السلاحف والجراد

■ وتتابع مناظر اللوحة:

وخطاب أتوا لك من بعيد
علوا بمهارة وبنوا وشادوا

■ ونقف عند هذا المشهد، مع منسأة الحبيب:

يهش بها على من رام ضرى
ويحطم رأس اوغاد تمادوا

■ وأنا اجتزىء من مناظر اللوحة القصيدة فنتلبث عند واحد من مناظرها الأخيرة:

على بسط الربيع لنا لقاء . . يطيب به التواصل والوداد

■ واذا كانت تلك القصيدة: اللوحة (اليك حبيبتى) تتابع صورها فى بناء من الحوار القصصى، فان القصيدة اللوحة (نطاق النور) قد رسمت مناظرها فى اطار من بناء قصصى سردي.

ولكن فرشاة المصورة الشاعرة كانت تحركها يد بارعة تضع حدودا من ألوان متناغمة بين كل منظر وآخر، وبحسبى أن اولى الخطوط التى يتلامس عندها كل منظر بأخيه فى مقدمة الصورة:

وقام على الغاب قصر عجيب
توهّجَ بالنور استارُه

■ ونخال أن هذا القصر المرسوم احد قصور الجنة، ومن هنا نلمس الخط الثانى من خطوط اللوحة ساكنته حورية:

وجاءت تهادى على رسلها . . عروس تحلت بركب أثير

■ والخط الثالث من خطوط اللوحة، وتنطق الشاعرة وجه الحورية بما فى قلبها من ايمان:

وجاءت تهادى فصلًى الجمال . . وسبّح بالحمد سبحانه

■ ثم فى المنظر الرابع:

وقامت تصلى ملاك الجمال
وقد اسدل الليل استاره

■ وهذا خامس المناظر:

ويوما تجلت عروس الجمال ★★ على شرفة القصر عند السحر

■ ونمضى مع اللوحة الى المنظر السادس:

وخف فتى الإنس عند الصباح
الى قصرها فى ركاب الأمير

■ وآخر مشاهد اللوحة:

ومرت ليال وجاءت ليال . . توالى سراعا ومرت أخر

■ وتظلم القصيدة اللوحة بهذا الوصف لأن الصور فى اللوحة وان نطقت بالحركة واللون والحياة فليس تضارع حيوية وحركة الصورة السينمائية او التلفزيونية حيث يجتمع فى آن واحد الصورة والصوت والحركة والانفعال ولكن الرسم فى الشعر بالكلمة ومعها ينطلق الخيال ويتوفر الاحساس.

والمشاهد التى تراها العين، هى عند الشاعر تصير الى صور عاطفية:

رغم انى أظلُّ ليلى أُناجى
طيفك المستبيح أفق عيونى
واذا لاح لؤلؤ الثغر يهدى
بسمة الودّ للفؤاد الحزين
ينتشى القلبُ فى ضلوعى ويغدو
عندليباً يشدو بعذب اللحون
واذا ما فاح عطرك حولى
يورق الورد فى جفاف غصونى

■ ويعادل الشاعر بين عطاء المحبوبة وعطاء الزرع، فيقول فى مقطوعته:

كم لثمه اعطيت فانهمرت
طلا على عود
يا عذبة الشفتين قد سهرت
شفتاى للجود
مُدّى يداً معطاءة زرعت
مباهج العيد
أو اجرحى قلبى بها خطرت
منى المواعيد

■ وتتابع الصور عند الشاعر منه حركة وحيوية . .

يقول الشاعر المصور:

أرقٌ ذرا فى العين ملحه
وسرى يدس اليك جرحه
والليلُ سلطانُ القلو
ب اذا يشاء يبيح سرحه
أو يهصر المهج البريـ
ـئة بالعذاب يضم جنحه

أ ـ الصورة العقلية:

وفنانها المفرد هو ابن الرومى فى مختار الشعر اذ رسم لوحة عقلية للصبر، ارضيتها:

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب
فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب

■ ويخطط لصورة الصبر فى كل ابعادها:

لبوس جمال جُنَّة من شماتة
شفاء اسى يُثْنى به ويشوب

■ ويرسم ابن الرومى موقف الناس من الصبر والأسى على هذا النحو:

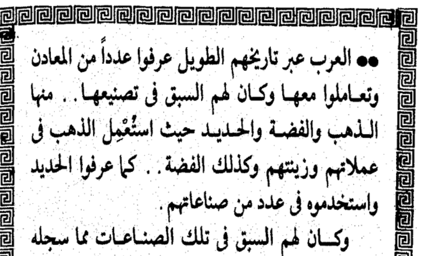
وقد يتظنى الناس أنَّ اساهم
وصبرهم فيهم طباعٌ مركب

■ ويمضى فى تحليل الفكرة ملونا الاسى بالسواد والبياض تعميقا لصورة الصبر فى النفس الانسانية، وانه مسكوب لا موهوب:

ب ـ تابع الصورة العقلية:

والانسان فيه صاحب مشيئة:

فان شاء أن يأسى أطاع له الأسى
وان شاء صبرا جاءه الصبر يجلب



●● العرب عبر تاريخهم الطويل عرفوا عدداً من المعادن وتعاملوا معها وكان لهم السبق فى تصنيعها.. منها الذهب والفضة والحديد حيث استُعْمِل الذهب فى عملاتهم وزينتهم وكذلك الفضة.. كما عرفوا الحديد واستخدموه فى عدد من صناعاتهم.

وكان لهم السبق فى تلك الصناعات مما سجله المؤرخون.. ولعل هذه المقالات توضح لنا هذه الحقيقة.

الذهب في التراث العربي والإسلامي

الذهب من أقدم المعادن التى عرفها الانسان ـ وكانت لجاذبيته الغامضة ولندرته وخواصه الطبيعية آثار خلابة فى اهتمام العرب مبكراً بهذا المعدن الاصفر البراق والبحث عنه واستخراجه.

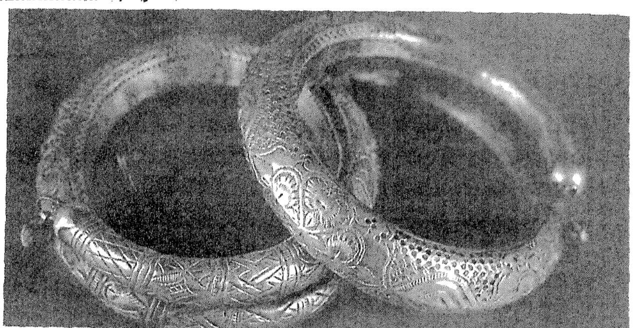
وكانت تتوفر لدى العرب مناجم متعددة فى الحجاز.. وخربة.. واليمامة.. وفى شمال اليمن. وتقول الروايات القديمة ان الفراعنة.. والملك سليمان.. وملوك بابل وآشور.. كانوا يتزودون بالذهب من المناجم المجاورة للمدينة المنورة التى ظلت نشطة كلياً من العهد الاموى الى العهد العباسى حتى عهد ليس ببعيد(*). وقد أدت الفتوحات الاسلامية للاقاليم الواقعة على شواطىء البحر الابيض المتوسط الى وضع العرب أيديهم على كميات كبيرة من الذهب التى كانت فى تلك الأقاليم، كما انهم هيمنوا على المصادر الرئيسية التى كانت تمون العالم بالذهب ـ وهى جنوب مصر.. والسودان وأفريقية.

(*) هذه المناجم موجودة فى المكان المعلوم والمعروف حالياً باسم (مهد الذهب) وكما أسمتها المصادر أيضاً.

[التبر والعقيان والذهب]:

الذهب سيد المعادن ـ وان العرب قد أعلوا من شأن الذهب منزلة على «التبر» على اعتبار ان التبر هو الذهب المستخرج من الارض، والذى مازال مختلطاً بالتراب والمعادن الأخرى. كما يتوضح ذلك من قول شاعر عربى:

كل قوم صيغة من تبرهم ... وبنو عبد مناف من ذهب



والذهب أسماء كثيرة عند العرب منها «النضاء» و«العسجد». . وكلما كان الذهب صافيا سمى «الابريز» من برز يبرز - كأنه أبرز من التراب المخلوط فيه حيث تخلص التصفية الذهب من الشوائب حتى يتصف بالابريز لخلاصه . . وبهذا يقول أبو اسحاق الصابى :

صليت بنار الهمِّ فازددتُ صفرة　　　　كذا الذهب الابريز يصفو على السبك

والذهب الصافى الخالص يسمى أيضا بـ«العقيان». . وقد جاء فى كتاب نهج البلاغة للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه : «ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان . . لفعل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء . . ».

ويقول عباس بن فرناس بمناسبة تجديد الامير محمد لمنية الرصافة التى انشأها جده عبد الرحمن الداخل:

نشت لؤلؤاً ثم استحالت زمرداً　　　　يعود الى العقيان بعد جنى البسر

أما عن كلمة الذهب ومم أتت فبعضهم يقول ان الذهب سمى بالذهب لانه سريع الذهاب . . بطىء الأياب الى أصحابه . وقيل لان من رآه من المعدن بهت ويكاد عقله يذهب - وان القول الثانى هو السائد .

[كشف أسرار المعدن الاصفر]:

يؤكد الاقتصاديون ان الذهب قد اكتسب أهميته كبقية أنواع الحلى والمعادن الثمينة ليس فقط من جمال بريقه ونعومة ملمسه ولكن أيضاً من ندرته وتجشم المشاق لطلبه واستخراجه . والعرب منذ القديم التفتوا الى هذه الناحية . . فعلى سبيل المثال : نجد أن «ابن خلدون» كان قد فهم بقدر كبير قيمة الأموال من الذهب والفضة الناتجة

عن ندرتها ـ فهو يقول فى مقدمته المشهورة:

«إن حكمة الله فى الحجرين وندورهما انهما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم، فلو حصل عليها بالصنعة لبطلت حكمة الله فى ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل أحد من إقتنائها على شىء» (ج٣، ص٢٣٨).

الذهب رمز البقاء وسلطان المعادن: وقد اهتم العرب بالتمييز بين الانواع المغشوشة.. واستعماله لاغراض متعددة بعد سبكه مع معادن أخرى.. وساعدهم على ذلك نفر من الخبراء والعلماء الذين وصل بعضهم الى درجة عالية من الفهم والخبرة بالمعادن والاحجار الكريمة.

ويعتبر الصباح الكندي ـ جد الفيلسوف المشهور يعقوب الكندي ـ من أقدم خبراء العرب فى هذا المجال ـ والى جانبه أسماء لامعة أخرى كمعون العبادى.. وايوب البصرى.. وابن الجصاص. ومن الكتب التى يعتقد انها ذات أصل عربى كتاب «الاحجار لارسطو».

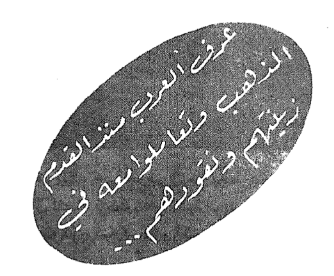
وظهرت بعد ذلك أسماء كثيرة من نوابغ العرب فى علم المعادن اكتسبوا خبرة ومراناً خاصاً بالذهب الى جانب المعادن الأخرى والاحجار الكريمة، نذكر منهم وعلى الاخص الفيلسوف الكندى الذى من المحتمل جداً ان يكون أول كيمياوى فى العرب والاسلام رفض فكرة استحالة المعادن البخسة الى ثمينة.. كما نذكر أسماء أخرى معروفة مثل الرازى.. وجابر بن حيان.. والمسعودى.. وابن سينا.. والبيرونى.. وابن العوام.. والتيفشانى. وتؤكد كتاباتهم ـ أو محتوى مؤلفاتهم ـ على سعة اطلاعهم فى ذلك الوقت المبكر. وملاحظاتهم العجيبة عن استخراج المعادن ووصف خصائصها ـ اوعن تنقيتها وطرق سبكها وكذلك تحديد الوزن النوعى لها.

الذهب ملك المعادن ـ فهو يتصف بمقاومته للصدأ والتلف من الهواء والماء مهما كانت درجة الحرارة ومهما طالت المدة.. ولا تؤثر عليه اعتيادياً الحوامض المركزة المعدنية المعروفة.. ويتصف بالمطاوعة العالية للتمدد ـ فان جراماً واحداً يمكن ان يسحب لمسافة بحيث يصبح خيطاً رفيعاً طوله ٣٥٠٠ متر. ولقد عرف العرب معظم الخواص الطبيعية للمعادن بما فيها الذهب وكما نفهمها ونحددها اليوم. وكانت لهم طرقهم الخاصة وآلاتهم التى اعتمدوا عليها فى قطع وصقل الذهب.

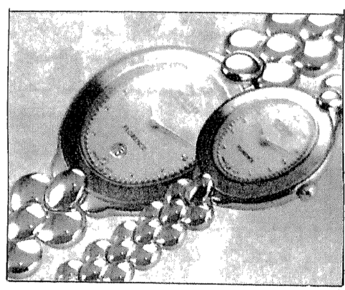
وحاول بعض علماء العرب إجراء بعض التجارب الكيمياوية على المعادن بما فى ذلك معالجتها وتسخينها فى الهواء.. وفى هذا الصدد ـ وعلى سبيل المثال ـ يذكر البيرونى فى كتابه «الجماهر فى معرفة الاحجار» شيئا عن تعدين الذهب وتصفيته وتنقيته.. ويصف الطريقة التى تستعمل لاستخراج الذهب مما شابه من التراب والحجر وصفاً دقيقاً لا يختلف كثيرا عما هو عليه الآن.. ويشرح طريقة اقتناص الذهب بواسطة الزئبق شرحاً دقيقاً وموفقاً. كما نلاحظ ـ على سبيل المثال أيضا ـ ان ابن سينا يقول: «بان التركيب الأساسى للعنصر فى الطبيعة لا يمكن تفكيكه واعادته ثانية تركيباً آخر بعنصر مغاير، ولهذا فانه نفى مثل الكندى الحصول على الذهب من المعادن البخسة».

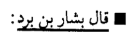
[توجيهات الاسلام وحدود الزينة]:

﴿زُيِّن للنـــاس حبّ الشهـوات من النســاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾.



الذهب من مظـاهر الزينة والجمال.. ومنذ القـديـم استفـاد العـرب من خصـائص وجاذبيـة هذا المعـدن البراق فى صنع أجمل «الحلى» التى هى بالاخص ولع المرأة وشعورها بالأمان.. وكان الرجل يحرص كل الحرص لدى العرب الاوائل على ان يطيب خاطـر المـرأة بتقـديم الحلى من الـذهب أو الفضة.. وفى بعض القبائل العربية تزين المرأة أنفها بقرط ذهبى.. أوجبينها بطوق من ذهب.. أو خصـرهـا بمنـاطق ذهبيـة.. أو ساقيهـا بخلخال.. أو معصمها باساور من ذهب.. وقد اكتسبت أمثـال هذه الأنـماط من الـزينـة أهميـة اجتماعية فى فترة من الفترات واعتبرت احياناً من مظاهر النسب بين الأقوام.




■ قال بشار بن برد:

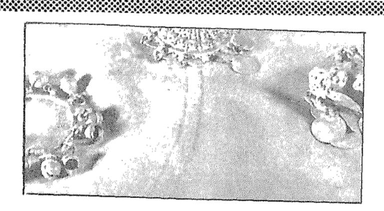
قامت تراءى لى لتقتلنى ... فى القرط والخلخال والاشب

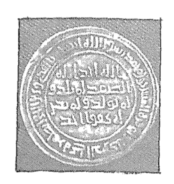
■ وقال ابن المعتز:

جاءت إلىّ تهـادى ... عشية شاطرية
فى قرطق خصرتـه ... مناطق ذهبية

وحينما جاء الاسـلام أباح لأهله التجمل بانواع الزينة على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية.. والوقوف عند الحدود الشرعية والمحافظة على صفات الرجولة. وعدّ الله سبحانه وتعالى الزينة من نعمه علينا التى يذكرنا بها فضله.. **﴿قل مَنْ حَرَّم زينة الله التى أخرجَ لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نُفَصِّل الآياتِ لقوم يعلمون﴾.**

وكان للعرب المسلمين مصاحف مذهبة فاخرة ـ من ذلك المصاحف المذهبة التى كان يكتبها ملوك وامراء «غرناطة» بانفسهم ويضعونها فى اطار مذهب فاخر ويرسلونها الى جانب الرسائل السلطانية الى المدينة





المنورة ـ وذلك حينما اجبرهم الشعور بخطر المصير منذ اواسط القرن الثامن الهجرى على عدم السفر الى المشرق لقضاء فريضة الحج خشية ان يقع المكروه فى غيابهم الطويل عن المملكة. . من ذلك المصحف الشريف الذى كتبه السلطان الكبير ابو الحسن المرينى وارسله الى المسجد النبوى فى سنة ٧٣٩هـ.

ذهب

استخدامات عديدة فى أدوات الحضارة وقد التفت العرب المسلمون الى هذه الناحية الهامة. . فالذهب يتمتع بثقة وجاذبية غامضة وسرعان ما اعتبر صورة للثروة وسلعة ثمينة ـ خاصة وان الطلب الاستهلاكى الواسع عليه يزيد كثيراً عن الانتاج السنوى. . وقد اكتسب الذهب قيمة فى صناعة بعض الادوات وأهم من هذا انهم عرفوا قيمته الاقتصادية وكان من أوائل المعادن النافعة لعملاتهم.

تعريب الدنانير الذهبية

ومن المعلوم أن العرب لم يكن لديهم قبل الاسلام عملة خاصة بهم. فكان التعامل بنوعين شائعين من النقد فى ذلك الوقت وهما:

- الدراهم الفضية الساسانية.
- الدنانير الذهبية البيزنطية.

ولما جاء الاسلام اقر الرسول ﴿ﷺ﴾ التعامل بتلك النقود. . وفرض زكاة الاموال بها. . وكذلك تقاضى بها الجزية. . وجاء الخلفاء الراشدون: فاقروا التعامل بتلك النقود أيضاً ولم يغير ابو بكر (رضى الله عنه) شيئاً ـ أما فى خلافة عمر (رضى الله عنه) وبعد فتح المسلمين لاقاليم الدولتين البيزنطية والساسانية ظهرت بعض المحاولات لتعريب النقود وتمثلت فى إضافة العبارات الاسلامية التى تدل على وحدانية الله والرسالة المحمدية الى تلك النقود مع احتفاظها بشكلها وبكل ما كانت تحمله من نقوش واشارات.

واستمرت محاولات التعريب فى عهد عثمان (رضى الله عنه) وكانت هناك محاولات أخرى قام بها معاوية.

■■ ولكن التعريب الكامل تم ـ كما يروى تاريخ بن عساكر ـ على يد عبد الملك بن مروان الذى قام بضرب أول نقود عربية إسلامية كضرورة من ضرورات الاستقرار السياسى والاقتصادى. . وتم التعريب الكامل فى سنة ٧٧هـ حين احتلت الكتابات العربية وجهى الدنانير الذهبية واختفت الدنانير المصورة وأستبدلت بعبارات تشير الى الرسالة الأسلامية.

■■ وتوجد أدلة كثيرة تشير الى معرفة العرب المسلمين للميزان المضبوط سيما فى صنع عملاتهم الذهبية . . وأثبتت التحليلات العلمية الحديثة ان العملات الذهبية فى عصر هارون الرشيد لا يختلف وزن بعضها عن البعض الآخر إلا بجزء ضئيل جداً الأمر الذى يدل دلالة واضحة على انهم قد توصلوا الى إيجاد الميزان التحليلى او ما يشابهه من حيث الكفاءة فى الوزن . ويذكر البيرونى عن وزن الذهب «ويقصد به وزنه النوعى» ويتضح انه قد أدرك العلاقة بين الحجم والوزن .

[أحلى الكلمات من الذهب]:

رمز الجمال عند العرب ، ولعل بريقه وعلو قيمته هى التى دفعت «بشار بن برد» لاستخدامه فى التشابيه والصور كما فعل كبار شعراء العرب والاسلام فى العديد من قصائدهم . .
وفى التفاخر : قال أبو فراس الحمدانى فى قصيدة من قصائد الروميات المعروفة بعنوانها أراك عصى الدمع :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيرى ما سددت اكتفوا به
وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

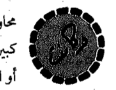
■ وفى الوصف : قال أبو نواس :

كأن صغرى وكبرى من مواقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ولم يقتصر تأثير الذهب على التشابيه والصور المستخدمة فى الاغراض المختلفة للشعر العربى بل أيضاً على عناوين مؤلفات الادباء العرب . . من ذلك :

- ●● «**الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب**» . . عنوان كتاب لابن فرحون المالكى (المتوفى سنة ٧٩٩هـ) .
- ●● و«**شذرات الذهب فى أخبار من ذهب**» لابن العماد (المتوفى سنة ١٠٤٩هـ) .
- ●● و«**سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب**» لمحمد أمين البغدادى السويدى (المتوفى سنة ١٢٨٦هـ) .

■■ وهكذا يتبين بان المعدن الاصفر البراق قد صاحب العرب فى مسيرتهم التاريخية وعرفوا كيف يسخرونه لبناء حضارتهم . . وما من شك ان الاسلام قد هذب نفوسهم ووجههم نحو حسن استخدام الذهب فى اغراض متعددة . . كالحلى والتزيين . . والصناعات الصيدلية والطبية . كما ان العرب سرعان ما استخدموا الذهب فى عملاتهم وبناء اقتصادهم وقوتهم . وكان الاسلام قد حذرهم من الاكتناز والتبهرج فى المظاهر ومن مخاطر الضعف والفتنة التى يمكن ان تنتج عن ذلك مؤكداً على ضرورة الاعتدال فى مظاهر الزينة .



محاولات علماء الكيمياء العرب فى البحث عن خصائص الذهب وطرق تصفيته وسبكه ذات قيمة كبيرة فى تطوير خبرات العرب العلمية والاستفادة من الذهب أعظم فائدة سواء من الناحية الاجتماعية أو الناحية الاقتصادية أو الحياتية .



مسيرة الحديد عند العرب عبر التاريخ

توطئـة :

﴿اتونى زُبَرَ الحديدِ حتَّى إذا سَاوى بين الصَّدفين قال انفُخُوا حتَّى إذا جعله ناراً قال ء اتونى أفرِغْ عليهِ قِطْرا﴾ (سورة الكهف/٩٥).

●● حضارات شتى اتخذت طريقها سربا فى الزمان الوجودى فوق سطح الأرض واستأثرت كل حضارة بمعـدن من المعادن، فالحضارة المصرية القديمة خاضت العصر البرونزى، والبرونز سبيكة من النحاس والزنك، ثم خاضت العصر الحديدى بعد ذلك.

●● والحضارة الاسلامية استأثرت بمعادن الذهب والفضة فى وقت من الأوقات بعد حصولها على ذهب السودان وذهب النوبة فى العصر الفاطمي.

●● وحضارة الآزتيك فى أمريكا الجنوبية كانت لها ينابيع صافية من الذهب والفضة، بل كانت مصدر ثراء لاسبانيا فى عصر التنوير، ومن ثم كانت لها الغلبة على الاسلام فى الاندلس.

وذكر الكيميـائيـون العـرب عن المعادن فهاهو الشيخ على بن موسى بن أبى القاسم بن على الانصارى الاندلسى يقول فى ديوان شذور الذهب وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ما يلى :

«اعلم أن القوم قد قسموا الاجسام الذايبة على الكواكب السبعة فجعلوا الاسرب (رصاص) لزحل والانـك (قلعى - قصـديـر) للمشترى والحديد للمريخ والذهب للشمس والنحاس للزهرة والخارصينى لعطارد والفضة للقمر، هذا قولهم مطلقا».

لقد كان هذا التقسيم معمولا به منذ عصر جابر بن الحيان فى الكوفة. . ومعدن الحديد الأهرة تراب أصفر، أو المغرة تراب أحمر بنى وكلاهما صور لأكاسيد الحديد، أو السيديريت وهو كربونات الحديد.

والكيميائيون العرب القدامى كانوا على حق عندما نسبوا الحديد للمريخ ، فسطحه مغطى بالمغرة الحمراء أو الهيماتيت، وكوكب المريخ اشعاعاته الكونية حمراء.

ويقول الكيميائى العربى عز الذين على بن ايدامير بن على (المشهور بالجلدكى) والذى عاش بين القاهرة ودمشق عام ١٣٣٩-١٣٤٢م فى مخطوطه البرهان فى علم الميزان الموجود بدار الكتب المصرية ما يلى صفحة ٢١٩:

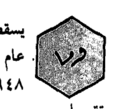
«الفـولاذ معمـول من الحديد ومصنوع منه، وبالجملة كل فولاذ فى العالم هو حديد مصفى، فالفولاذ الجيد التصفية أعلى مقاما من غيره لأن التفاوت إنما يقع فى أصناف الفولاذ، وأنواعه من التفاوت فى اتقان العمل مثل الفولاذ المصرى، فإن فيه اليبس بالنسبة الى الفولاذ الدمشقى، والفولاذ الشيرازى أطيب جوهراً من المصرى والدمشقى».

والفولاذ المستخرج من الصواعق المطبوخ فى كرة النار الخارق فى الأرض أقوى وأصفى جوهرا من الجميع فافهم ذلك..

ثم يذكر كيف يمكن تصفية الفولاذ من جميع أوساخه واحالته عن يبسه وشدته حتى يقارب الرصاص القلعى (القصدير) الظاهرى فى البياض واللين ويصير جوهره كجوهر الفضة الخالصة عن تحقيق ويقين.. وعلم الكيمياء الحديث يعرف أن الحديد يوجد فى الطبيعة قليلا جدا كفلز، وهو على نوعين:

[أولا]: ارضى ويوجد على شكل حبيبات صغيرة فى بعض الصخور البركانية.

[ثانيا]: شهبى وهو ينزل على شكل قطع صغيرة من الشهب وهذا يمتاز بكونه يحتوى على النيكل بنسبة تتراوح بين ٥، ٥ر٨٪ ولكن معظمها فى العادة يحتوى على ٧ أو ٨٪ فى حين أن الحـديـد الأرضى لا يحتوى على النيكل إلا نادرا.. ولم يكن معدن النيكل معروفا فى عصر الجلدكى لذلك فأقرب المعادن بياضا فى تفكيره هو الرصاص القلعى (القصدير) الظاهرى فى البياض واللين كما يقول: فى مكان من مخطوطه، وفى مكان آخر «إن فى طبيعة المريخ اكسيراً للحمرة بالقوة، ويظهر للفعل فى جسده المبارك الذى أنزل الله تعالى ﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.



يسقط من شهب الحديد من السماء كثير، واكبرها وزنا ما سقط فى الشرق الأقصى فى فبراير عام ١٩٤٧م إذ كان وزن الصاعقة طنين تقريبا (٧٤٥ر١ كيلو) وما سقط فى أمريكا عام ١٩٤٨م شهب من الحديد كثيرة يتراوح وزن كل منها ما بين ٥ر٣٣ الى ٢٧ الى ١٥ طن تقريبا.

والشهاب الحديد يحتوى على النيكل بنسبة ٥ر٨٪ والكوبالت ٦٠ر٪ ثم النحاس ٠٢ر٪ ثم الفوسفور ١٧ر٠٪ ثم الكبريت ٠٤ر٪ ثم الكربون ١٣ر٠٪.

ويكاد يجمع علماء الغرب على أن الصين والهند قد عرفتا الحديد من قديم الزمان أى قبل العصر البرونزى، فمعرفة الصين للحديد اذن مستقاة من شهب الحديد، وعلى ذلك يمكننا الافتراض بأن ذا القرنين عندما زحف شرقا وجد زبر الحديد حتى وصل الى قوم يأجوج ومأجوج.

وكثير من علماء الغرب يجمعون على أن المصريين القدماء عرفوا الحديد منذ معرفتهم بقطع ونحت الصخور أى منذ ابتداء عصر الاسرات، ودليلهم فى ذلك وجود بعض قطع قليلة من الحديد فى الصخور الخارجية للهرم الأكبر، ويؤيدون قولهم هذا أيضا بما ذكره هيرودوت المؤرخ الأغريقى أثناء بحثه عن مقدار تكاليف بناء هذا الهرم حيث يتساءل «كم يبلغ ثمن الحديد الذى اشتغلوا به؟».

[الفولاذ الدمشقي كان دمشقيا]

تكاد تتفق ـ تعصبًا ـ جميع مراجع تاريخ التكنولوجيا ومنها دائرة المعارف البريطانية بأن الفولاذ الدمشقى لم يكن دمشقيا، وأن دمشق كانت فقط مركزا تجاريا لاستيراد الفولاذ الهندى، وأن الصليبيين والتجار الأوروبيين اطلقوا اسم دمشق على هذا الفولاذ دون أن يكون مصنوعا فيها.



تبين من المراجع العربية المخطوطة والمطبوعة: كرسالة الكندى فى السيوف.. وكتاب الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى.. وشرح الجلدكى لكتاب الحديد لجابر بن حيان.. وكتب التاريخ والحسبة والجغرافيا والرحلات وغيرها.. نقول قد تبين أن الحديد كان يصنع فى دمشق من خامات سورية وكانت السيوف الدمشقية تنتج من فولاذ مصنوع فى دمشق.

[صناعة فولاذ البوطقة فى دمشق]

يقول «ورتايم» فى كتابه «مجىء عصر الفولاذ» ما يلى:

«لقد فهم العرب جيدا فن صب المعادن بالنسبة للبرونز والرصاص، ولكن لا تشير كتاباتهم الى صب الحديد».

ويتضح خطأ هذا الفهم عند قراءة كتاب البيرونى **«الجماهر فى معرفة الجواهر»** حيث ينقضه البيرونى كما يلى:

ولزيد بن على الحداد الدمشقى كتاب فى وصف السيوف التى اشتملت رسالة الكندى على أوصافها، ابتدأ العمل بنصاب الفولاذ وصنعة الكور وعمل البواطق ورسومها وصفة أطيانها وتعيينها.. ثم أمر أن يجعل فى كل بوطقة خمسة أرطال من نعال الدواب ومساميرها المعمولة من «النرماهن» [الحديد المطاوع] ومن كل واحد من الروسختج [مركب النحاس مع الكبريت] والمرقشيتا [زبد يعلو المعدن عند سبكه] الذهبانى، والمغنيسيا الهشة وزن عشرة دراهم ويطين البواطق، تودع الكور ويملأ فحما وينفخ عليها بالمنافيخ الرومية كل منفاخ برجلين إلى أن تذوب وتدور.

وقد أعد لها صررا فيها اهليلج وقشر رمان وملح العجين واصداف اللؤلؤ (مركبات الكلسيوم) بالسوية مجرشة فى كل صرة أربعين درهما يلقى فى كل بوطقة واحدة ثم ينفخ عليها ساعة نفخا شديدا بلا رحمة ثم تترك حتى تبرد وتخرج البياضات عن البواطق».

إن هذا الوصف التفصيلى بلغة عصره يوضح لنا كيفية صناعة فولاذ البوطقة بمعرفة زيد بن على الحداد الدمشقى، وباختصار هكذا:

[حديد مطاوع + كربون + كبريت ـ حرارة فولاذ]

[انتاج الحديد الصب فى المشرق العربى]

من الأمور المتعارف عليها بالاجماع لدى الباحثين الغربيين أن العرب لم يصهروا الحديد أى لم يعرفوا الحديد الصب.

ويقول أحدهم «ورتايم» ان الفرن العالى أو الأتون اللافح لصهر الحديد من خاماته نشأ بصورة

مستقلة فى كل من الصين واوروبا وأنه انتقل من الصين الى اليابان وكوريا والفلبين من جهة بينها انتقل من غربى اوروبا إلى شرقيها والى غرب سيبريا والى أمريكا الشمالية من جهة اخرى، ولم تعرف المنطقة العربية بين الصين واوروبا شيئا عن صهر الحديد.

هذه المغالطة ينفيها النص التالى للجلدكى الكيمائى المصرى السورى المتوفى عام ١٣٤٢م والذى عاش أثناء حكم السلطان قلاوون.

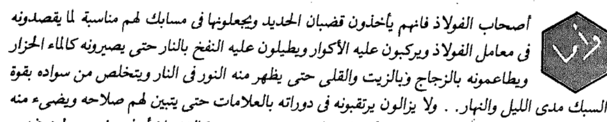
فصل: اعلم ان اصحابك أيها الاخ هم الذين يسكبون الحديد فى المسابك المعمولة برسمه بعد أن يستخرجونه من معدنه ترابا أصفر (أهرة الحديد أى اكسيده) يخالطه عروق الحديد التى لا تكاد أن تظهر فيجعلونه فى المسابك المعدة لاذابته، ويركبون عليها المنافخ القوية من ساير جهاتها بعد أن يأتون تلك الأتربة الحديدية بشيء من الزيت والقلى (النطرون وهو كربونات الصوديوم).

ويوقدون عليه بالحجر والأحطاب وينفخون عليه حتى: يجدونه قد ذاب وتخلص جسمه وجسده من ذلك التراب، ثم يستقطرونه من انجاس كالمصافى فى تلك الأكواز، فيتخلص ذلك الحديد المذاب، ويصيرونه قضبانا من ذلك التراب، ويحملونه الى الآفاق والبلدان ويستعملونه الناس فيما يحتاجون إليه من منافع الانسان».

وشرح الطريقة بلغة العصر الحاضر:

اكسيد حديد (الاهرة) + فحم نباتى من الاحطاب والزيت + حجر كربونات الكلسيوم + كربونات صوديوم من النطرون + حرارة شديدة»

«يختزل اكسيد الحديد الى حديد يصبونه قضبانا أى تماسيح الحديد».



أصحاب الفولاذ فانهم يأخذون قضبان الحديد ويجعلونها فى مسابك لهم مناسبة لما يقصدونه فى معامل الفولاذ ويركبون عليه الأكوار ويطيلون عليه النفخ بالنار حتى يصيرونه كالماء الحزار ويطاعمونه بالزجاج وبالزيت والقلى حتى يظهر منه النور فى النار ويتخلص من سواده بقوة السبك مدى الليل والنهار. ولا يزالون يرتقبونه فى دوراته بالعلامات حتى يتبين لهم صلاحه ويضيء منه مصباحه فيصبونه فى مجارى حتى يخرج كأنه الماء الجارى.. فيجمدونه كالقضبان أو فى حفر من طين مخدوم كالبواطق الكبار.. ويخرجون منه الفولاذ المصفى كبيوض النعام ويصنعون منها السيوف والخوذ وأسنة الرماح وساير العدد.. وبالجملة اعلم أن الفولاذ أصفى من الحديد وأصلب».

●● إن وصف الجلدكى هذا فى منتهى الأهمية التاريخية ولسنا نبالغ أبدا فى هذا القول فهو يشرح بصورة واضحة كل الوضوح صهر الحديد الصب أو بالأحرى تماسيح الحديد المصبوبة واستخراجه من خامات الحديد الجيولوجية، وهو يشرح فى نفس الوقت صهر الفولاذ واستخراجه من قضبان الحديد الصب.

●● وللجلدكى حوالى سبعة عشر مخطوطا فى مختلف التخصصات فى دار الكتب المصرية فهو عالم له اعتباره، ووصف الجلدكى يدل على وجود عمليات صناعية انتاجية كاملة فى البلدان التى عاش فيها ويقوم بالتدريس فى معاهدها وهى مصر والشام.. وليس على وجود عمليات حرفية صغيرة أو عمليات مخبرية تجرى فى المعامل المدرسية.

■ وطبيعى أن تتبع هذه الصناعة الثقيلة صناعات أخرى صغيرة وتبادل سلعى وتجارى ونظام اقتصادى شامل فى هذه المنتجات الفولاذية.. وكلنا لا يزال يتذكر سوق السلاح بالقلعة.

■■ لقد توفى الجلدكى عام ١٣٤٢م، ومن الطبيعى أنه كان يصف لنا صناعة مستقرة ومزدهرة قبل أن يخط كتابه. ومعنى ذلك أن صهر الحديد الصب من الخامات الجيولوجية الارضية كان معروفا جيدا فى المشرق العربى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر على الأقل بنمط مغاير لما هو معروف الآن فى الفرن العالى.

■ وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن صناعة الحديد الصب ظهرت فى أوروبا فى منتصف القرن الخامس عشر (أى حوالى عام ١٤٥٠م) تبين لنا أن صناعة الحديد الصب أو الأفران العالية بشكلها الصغير كانت معروفة فى المشرق العربى قبل حوالى ٢٠٠ عام من تاريخ ظهورها فى أوروبا الغربية.

[عصر القرصنة العلمية والتكنولوجية]:

ما ان ظهرت حركة الترجمة والنقل من العربية الى اللاتينية والقشطالية فى الاندلس بمعرفة مدارس متخصصة على رأسها ثقات رواد أمثال «جيرار القرمونى» الذى ترجم اكثر من ٨٧ كتابا فى مختلف فروع المعرفة فى القرن الثانى عشر الميلادى.. ثم اسرة طبون اليهودية وعلى رأسها يعقوب بن ماهر بن طبون الذى ولد فى مارسليا عام ١٢٣٦م ثم أقام فى مونبلييه حتى عام ١٣٠٥م باسم «بروفاتيوس» ويعتبر بحق أحد اليهود الذين قاموا باعظم قسط فى فتح كنوز الثقافة والتكنولوجيا العربية للغرب المسيحى، أما فى المشرق العربى فكانت مدرسة المترجين بحق تحت رياسة حنين بن اسحاق وثابت بن قرة واسرة بختيشوع وكان على رأس رواد علم الحيل والهيدروليكا والالات المتحركة العالم العربى بديع الزمان أبو العز اسماعيل بن الرزاز الجزرى فى ديار بكر فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وقد كنى الجزرى لأنه كان من ابناء الجزيرة الواقعة بين الدجلة والفرات.. وقد ترجمت أجزاء كثيرة من كتابه «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل».

وفى الآلات التى ترفع الماء من غمرة تجد الكثير من قطع غيارها المصممة مصنوعة من الحديد ومن النحاس مما يدل على أن الحديد كان مستخدما على نطاق واسع فى الآلات والروافع فى هذا القرن وما قبله وما بعده (شكل١).

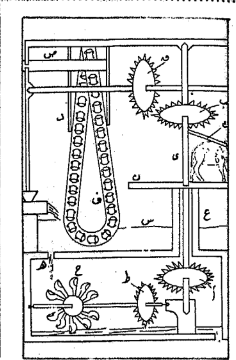
●● وسطا قراصنة العلم فى اوروبا على مؤلفات الحسن بن الهيثم ونسبوها الى انفسهم ومنهم فيتلو البولونى ورزنر النمساوى وغيرهما.

● وكان على رأس قراصنة التكنولوجيا المنقولة عن العربية هو المهندس ليوناردو دافنش (١٤٥٢-١٥١٩م) إذ خلف اكثر من تخطيط لآلات الحرب والمنجيقات ملأت حوالى ٥٠٠٠ صفحة من صفحات كتابه التى كان يصممها كصفحة المرآة المقلوبة فلا تقرأ إلا أمام المرآة خشية نقلها أو الاستفادة منها بمعرفة قراصنة آخرين.. لقد كان ليوناردو فى خدمة من يدفع أكثر من أمراء الولايات الأوروبية المطموحة.

● مهندس آخر فى صناعة التعدين يعرف باسمه اللاتينى جورج أجر يكولا (١٥٥٦م) وفى كتابه الذى ألفه فى القرن السادس عشر نجد صورة واضحة للفرن العالى (شكل رقم٢) مأخوذة فكرته من التصميات التى وضعها العلماء العرب قبله باكثر من ٣٠٠ سنة.. (شكل٣).

ويستخدم الوقود فيه فحم نباتى بدلا من الاحطاب والزيت عند الجلدكى، ويسمى الحديد المنصهر من أسفل الفرن، ثم استخدم الفحم الحجرى بعد ذلك فكان ايذانا بالتغير فى تصميم جسم الفرن ثم إيذانا بخفض أسعار المنتج من الحديد.

●● فى عصر الجلدكى كانت البواطق هى أوعية اختزال اكسيد الحديد الى حديد منصهر.. وفى عصر اجريكولا كان الوعاء هو الفرن العالى البدائى، ولم يصبح «الحديد الزهر» متاحا إلا منذ القرن الخامس عشر فى وسط





شكل (١) الجامع بين العلم والعمل فى صناعة الحيل. شكل (٢) الفرن العالى فى القرن ١٦ الميلادى شكل (٣) كور من الجلد لنفخ الهواء عام ١٥٥٦م

اوروبا، ولقد عومل هذا المنتج معاملة البرونز الذى كان الفلزيون يعرفونه بالفعل منذ عدة قرون، وانتج بالاضافة الى هذا الحديد الزهر الحديد المطاوع بأنواعه المختلفة وكذلك الصلب، وكان يتم الحصول على هذا المنتج الأخير إما بعمليات بوطقية كما كان عند العرب أو فى أنواع معينة من الافران، وكان الطلب كبيرا جدا من جانب صناع الاسلحة والأدوات وعمال ترصيع المعادن، واستخدمت «قنبلات» الحديد المطاوع أو الحديد الزهر المطروقة.

[سكب المدافع العربية فى مصر]:

تشير المراجع العربية الى موضوع استعمال العرب للمدافع فى تاريخ متقدم (عام ١٢٧٤م) فى حصار سجلماسة حسبما أورد ابن خلدون. . ويحدثنا ابن اياس المؤرخ فى كتابه «المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور» عن التجارب التى كان يجريها قانصوه الغورى فى الفترة الواقعة بين ١٥٠٥-١٥١٠م لتطوير المدافع العربية التى كانت مسبوكة من البرونز بادىء ذى بدء ثم من حديد حيث يقول بنصه:

«وفى يوم الخميس السابع من ربيع الآخر سنة عشرين وتسعمائة (١٥١٤م) نزل السلطان وتوجه الى تربة العاذل. . . وجلس هناك على المصطبة ونصب له سحابة. . ثم جربوا قدامه مكاحل نحاس وحديد فكان عدتهم نحو أربع وسبعين مكحلة فصح منهم شىء وتفرقع شىء».

ولم تنشر المدافع فى بريطانيا إلا فى منتصف القرن السادس عشر، ولم تحل محل مدافع البرونز إلا فى منتصف القرن التاسع عشر.

سكب العدد الكبير من المدافع الثقيلة البرونزية والحديدية فى مصر فى عهد السلطان الغورى يؤكد ما اورده المؤرخون السابقون حول وجود مسابك كبيرة للحديد والنحاس، وكانت هذه الصناعة جزءاً من الاقتصاد الاسلامى فى هذه الفترة وما بعدها حيث سعى السلطان سليم عند فتحه مصر بعد أن انتصر على السلطان الغورى غدرا فى موقعة «مرج دابق» نقول سعى إلى الاستيلاء عليها وترحيل فئات كبيرة من الصناع المصريين المهرة فى هذا الميدان الى تركيا.

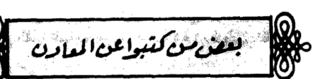


حمد الجاسر

معادن الفضة والذهب في بلاد العرب

بدعوة كريمة من بنك الرياض بجدة ألقى الاستاذ الرائد الشيخ حمد الجاسر محاضرة علمية قيمة دارت حول «معادن الفضة والذهب فى بلاد العرب» تناول خلالها الحديث عن أماكن وجود هذه المعادن فى الجزيرة العربية ومن حاول التنقيب عنها فى الازمنة السابقة وتتبع ذلك كله فى كتب المؤرخين ومن اهتموا بهذه الجوانب من القدامى والمحدثين وحضر الأمسية جمهرة من الأساتذة الأفاضل أثروا الموضوع بمناقشاتهم حول موضوع المحاضرة.

«والمنهل» يسعد بنقل هذه المحاضرة القيمة للقارىء الكريم رجاء توسيع دائرة الافادة وهى من جانب آخر تثرى هذا الباب (علوم العرب).



المتقدمون من العلماء ألَّفوا مؤلفات عن المعادن بصفة عامة، وتطرقوا لما فى جزيرة العرب منها فى العصور القديمة، كشأنهم فى كل ناحية من نواحي العلم، إلا أن ما وصل إلينا من تلك المؤلفات قليل جداً.

ويظهر أن فقدان ما ألف فى هذه الناحية، أو عدم الاهتمام بمعادن الجزيرة ناشىء عن انصراف الدولة الاسلامية عن هذه البلاد انصرافاً شمل كل جوانب الحياة فيها باستثناء ماله صلة بالمشاعر المقدسة، أو ما يمر فى سياق الأخبار التاريخية المتصلة برجال الحكم والسياسة فى العهود الغابرة.

أقدم من ألف فى هذا الموضوع الجاحظ، (عمرو بن بحر ١٦٣-٢٥٥هـ) فقد ألف كتاباً لا يزال مفقودا، ويظهر أنه مختص بطريقة التعدين وما تعالج به المعادن من وجوه الصنعة كما يتضح هذا من قوله فى مقدمة كتابه «الحيوان»: وعبتنى بكتاب المعادن، والقول فى جواهر الأرض وفى اختلاف أجناس الفلز والاخبار عن ذائبها وجامدها ومخلوقها ومصنوعها وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها ويبطىء عن بعضها وكيف صار بعض

الألوان يصبغ ولا ينصبغ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ، وبعضها يصبغ وينصبغ، وما القول فى الاكسير والتلطيف. انتهى.

ويرى المستشرق «سارتون» أن عطار بن محمد الحسيب ـ عاش فى آخر القرن الثانى وأول الثالث الهجرى ـ هو مؤلف أقدم كتاب عربى فى علم المعادن وهو كتاب **«منافع الأحجار»** الذى أشار اليه الرازى فى كتاب **«الحاوى»**.

ولعل أعظم من عرف ممن ألف عن التعدين والمعادن ـ الحسن بن احمد الهمدانى اليمنى (٢٨٠ / ٣٥٠ تقريبا) بكتابه «الجوهرتين» الذى قمت بتحقيقه ونشره، ويعد ما كتبه فى مؤلفه هذا عن التعدين بصفة عامة من أوفى ما وصل إلينا فى موضوعه، وفى كتابه **«صفة جزيرة العرب»** معلومات قيمة عن تحديد بعض أمكنة المعادن، فى بلاد نجد وتهامة، وباضافته الى مافى كتاب **«الجوهرتين»** يمد الباحث بذخيرة طيبة فى الموضوع.



الكتب التى ألفت عن تحديد المواضع والأمكنة ككتاب «بلاد العرب» للاصفهانى و«معجم البلدان» لياقوت وغيرهما، معلومات عن المعادن فى بلاد العرب، هى على قلتها تفيد دارسى هذا العلم والباحثين فيه.

ومن المتقدمين علماء تحدثوا عن المعادن فى مؤلفاتهم عن الأحجار الكريمة ـ الجواهر ـ التى تتخذ للحلية والزينة. من أشهرهم فيلسوف العرب أبو اسحاق الكندى، الذى نجد أطرافاً مما كتب عن المعادن فى بعض المؤلفات التى وصلت إلينا عن الجواهر. ومنهم محمد بن أحمد البيرونى (٣٦٢/ ٤٤٠هـ) وكتابه معروف مطبوع هو **«الجماهر فى معرفة الجواهر»**.

وأحمد بن يوسف التيفاشى التونسى المصرى (٥٨٠/٦٥١هـ) وكتابه **«أزهار الأفكار فى جواهر الاحجار»** طبع فى هولندا وايطاليا سنتى ١٧٨٤ و١٩٠٦م، ثم فى القاهرة سنة ١٩٧٧م.

ومنهم محمد بن ابراهيم بن ساعد السنحارى المعروف بابن الأكفانى المتوفى سنة ٧٤٩هـ، صاحب كتاب نخب الذخائر فى أحوال الجواهر «مطبوع أيضاً فى القاهرة سنة ١٩٣٩م بتحقيق الأب أنستاس مارى الكرملى.

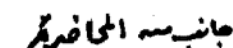


كتب أخرى عن الجواهر تعرضت للمعادن تعرضاً يكاد ينحصر فى الصنعة والخاصة. ولا تخلو الكتب التى ألفت عن خواص الأشياء من ذكر المعادن باعتبارها من وسائل الطب عند المتقدمين، ولهذا يوجد فى كتاب «الشفاء» لابن سينا و«الحاوى» للرازى، و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار، وفى كتاب «التذكرة فى الطب» لداوود الأنطاكى ـ وغيرها من المؤلفات الطبية ـ معلومات عن المعادن تتصل بالنواحى التى ألفت هذه الكتب فى موضوعها.



كتب عن المعادن من المتأخرين المستشرق الألمانى برنهارد موريتس (١٨٥٩/ ١٩٣٩م) فقد ألف رسالة دعاها «المعادن فى البلاد العربية القديمة» نشر خلاصتها الأمير شكيب أرسلان فى كتابه «الارتسامات اللطاف» ثم نشرتها مجلة «العرب» كاملة س٢ ص٥٨٠ مترجمة بقلم الدكتور أمين رويحة ـ المتوفى سنة ١٤٠٤هـ.

ونشر الاستاذ د.م. دنلوب من جامعة كولومبيا بحثا عن معادن الذهب والفضة فى الاسلام عند الهمدانى نشره فى مجلة (STUDIA ISLAMIC 8(1957) وقام الأستاذ رشدى الصالح ملحس، المتوفى قبل بضع عشرة سنة، بجمع معلومات عن معادن المملكة العربية السعودية، طبعها فى رسالة دعاها «معجم البلدان العربية ـ قسم الحجاز ونجد وملحقاتها ـ بحث المعادن».


جانب من المحاضرة



وقد حاول فى رسالته عن المعادن جمع ما عثر عليه فى المؤلفات التى كانت تحت يده، وهو جمع مع عدم استيعابه حصل فيه كثير من الخلط، مع شحن الرسالة بذكر مواضع الملح من السبخات وأسماء المياه المرة، باعتبارها تحتوى على معادن ملحية، مما هو خارج عن المعادن فى نظر المتقدمين.

وتقدم الأستاذ محسن العابد من تونس فى عام ١٩٦٦م الى جامعة (بون) فى ألمانيا برسالة عن «المناجم فى القرون الوسطى» أماكن وجودها فى البلاد العربية - عند الجغرافيين والمؤرخين، نال بها إجازة (الدكتوراة) وهى باللغة الألمانية، وتقع - مطبوعة - فى ١٣٥ صفحة، وفيها معلومات مفيدة عن المعادن فى الجزيرة، مستقاة من الكتب المعروفة.

التقارير الرسمية التى كتبت عن المعادن فى بلاد العرب فى الآونة الأخيرة فهى كثيرة ولكنها تبحث فى المعادن الموجودة فعلاً، أو التى لا تزال آثارها بارزة ومن أقدم هذه التقارير تقرير (ك. س. تويتشل) عن «المياه والمعادن فى الحجاز» وقد نشرته جريدة «أم القرى» فى تسعة أعداد منها فى خلال عام ١٣٥٩ (١٩٤١م).

ونشرت (المديرية العامة للمعادن) نشرات مختلفة فى الموضوع كلها باللغة الانكليزية ومن أوفاها بالمقصود:
(MINERAL RESOURCES OF SAUDI- BULLETIN N.I. 1965)

التعدين عند العرب:

وتحسن الاشارة الى موقف العرب المتقدمين من علم التعدين، لصلته بهذا الموضوع. ولئن كان العرب فى عصورهم الأولى ينظرون إلى كل الصناعات نظرة ازدراء واحتقار لرسوخهم فى البداوة، بحيث أصبحوا أبعد الناس عن إتقانها، فإن هذا لا ينطبق عليهم جميعاً فهناك أمم منهم تحضرت وأخذت بأساليب الحضارة التى لا تقوم الحياة بدونها، غير أن النظرة الشاملة بالنسبة لكل العرب قبل الاسلام كانت تتفق مع ما وصفوا به من ترفعهم عن الصناعات إذ طبيعة حياتهم التى تقوم على أساس التنقل تلجؤهم الى ذلك فهم يرون أن كل صناعة تربطهم بالاقامة الدائمة ما هى إلا وسيلة من وسائل الذل والضعف، ولهذا ورد فى الأثر ما معناه: «إذا أخذتم بأذناب البقر، وتركتم الغزو فى سبيل الله رماكم الله بالذل» أو ما هذا معناه.

ومن المدرك بداهة أن الأمم كلها أوغلت فى الزمن مالت إلى التحضر، ويصدق هذا على العرب، حيث نجد بعض القبائل خرجت عن مألوف العرب العام من هذه الناحية ومارست بعض الصناعات، ومن تلك القبائل:

١ - **بنو فَرَان**: الذين نسب اليهم معدن فران.

وقد اختلف فى نسب هؤلاء على قولين، أحدهما: أنهم من بقايا العرب العاربة الأولى، من بنى فاران بن عمرو بن عمليق، والقول الثانى: انهم من بنى فران بن بَلِيّ. ولعل الجمع بين هذين القولين هو الصحيح فهم فى الأصل من بقايا العرب البائدة انضم إليهم طوائف من العرب الباقية، من قبيلة بلىّ من قضاعة من قحطان ومن بنى سُلْيم من قيس عيلان من عدنان فشملهم الاسم وبهؤلاء عُرفَ معدن فران، المعروف الآن بمهد الذهب، وقديماً بمعدن بنى سُلْيم.

٢ - **بنو الأختم بن عوف بن عُصيَّة** من بنى سُلْيم، ويقال لهم (القيون) لاشتغالهم بالتعدين، وكان لهم معدن حديد يدعى (فاران) فى بلاد بنى سليم على ما ذكر البكرى فى معجمه.

٣ - **بنو حنيفة**: فقد ذكر ياقوت الحموى فى كلامه على معدن (العيصان) قال: يكون فيه ناس من بنى حنيفة..

ونجد نصوصاً أخرى تدل على أن قبائل من ربيعة كانت تشتغل فى التعدين فقد ذكر ابنُ حوقل أن بنى الأخيضر لما استولوا على اليمامة أجلوا سكانها منها الى جهات مصر، وهم من ربيعة ومضر وتميم، حتى استولوا على معادن الذهب هناك.

٤ ـ باهلة : القبيلة المشهورة، وكان بعض المتقدمين يضع من قدرها لاشتغال بعض أفراد منها بالصناعة ومنها التعدين، وما ذاك إلا لأن بلاد باهلة تكثر فيها المعادن وهى على درجة حسنة من الخصب، وبلد هذا شأنه يكون أهله أقرب إلى التحضر، وإلى مزاولة أعماله الحضرية.

ويستخلص مما تقدم أن القبيلة كلما كانت حياتها أقرب الى التحضر، إما لخصوبة أرضها أو لكثرة المعادن فيها أو لغير ذلك من الأسباب فإنها لا تجد غضاضة فى ممارسة الصناعة، كالحال فى بنى سليم الذين تكثر المعادن فى بلادهم وفى باهلة أيضاً، ومن قبائل ربيعة الذين استوطنوا اليمامة ومارسوا فيها اعمال الزراعة وغيرها من وسائل التحضر.



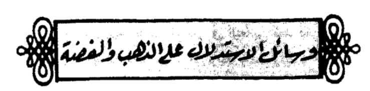
الاشارة الى وهم وقع فيه بعض الباحثين بالنسبة للتعدين، فقد جاء فى كتاب «منابع الثروة المعدنية فى البلاد العربية السعودية» أن العبيد هم الذين كانوا يعملون فى المعادن، وهذا الرأى مبنى على ما ورد فى بعض الكتب القديمة من وصف العاملين بتلك المعادن بأنهم (قيون) جمع قين وهذه الكلمة كما تطلق على المولى تطلق أيضاً على الصانع، وقد أطلقت على كثير من فروع القبائل العربية بسبب امتهانها للصناعة.

اما من حيث المعنى اللغوى لكلمة القين فهو (الحداد) فكل عامل بالحديد فهو عند العرب (قَيْنٌ) ويرى بعضهم أنه كل صانع يعالج صنعة بنفسه إلا الكاتب وتأتى كلمة (التقيين). بمعنى (التزيين) ومنه الحديث: أنا قيَّنتُ عائشة أى زينتها ولا يزال هذا التعبير مستعملاً فى بعض البلدان العربية إذ يسمون من تهيىء العروس بالزينة (المُقَيِّنَة).

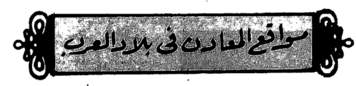




فإن القول بأن من يستخرج المعادن فى العهود القديمة كانوا من الموالى (العبيد) ليس صحيحاً على إطلاقه، فهناك أناس من العرب الصريحى النسب كانوا يشتغلون فى التعدين، هذا من حيث العموم، ولا ينفى أن كثيراً من المعادن فى جزيرة العرب كان الذين يعملون فيها إما من الموالى أو من الفرس أو من اليهود، وخاصة معادن جنوب الجزيرة كمعدن الرضراض الذى كان يُعَدِّنه أناس من الفرس، يعرفون بفرس المعدن، كما كان يوجد فى تبرة ـ المعروف الآن باسم وادى الدواسر ـ أناس من اليهود، يظهر أنهم كانوا يشتغلون ببعض الحرف المتصلة بالتعدين، ومعدن شمام فى بلاد باهلة ـ المعروف الآن باسم (إذْنَىْ شمال) تحريف (إبنى شمام) فيه أناس من المجوس من الفرس. . ومن الوهم أيضا ما ظنه بعض الباحثين من أن المشتغلين فى التعدين فى القديم كانوا من الأسرى ولا يتسع المجال لايضاح خطأ هذا القول.



كان العرب يستدلون على المعادن بعلامات ظاهرة، كطبيعة بعض المواضع أو ببروز بعضها واضحة للعيان فى الأحجار وقد اكتسبوا بطول المعاناة معرفة بمواقع الذهب والفضة، فى الأحجار التى تكثر فيها وكانوا يتخذون من وجود أحجار المْرو، وخاصة عندما تكون عروقاً ممتدة فى الأرض أو فى الجبال علامة لوجود المعدن، وكانوا يتتبعون تلك العروق بالحفر عنها وتكسيرها واستعمال الوسائل التى يعرفونها لاستخلاص التبر أو الفضة وكثيراً ما يفضى بهم الحفر إلى أعماق غائرة فى الأرض فيطغى عليهم الماء بحيث لا يستطيعون مواصلة استثمار المعدن لغزارة مائه، وقد يؤول المعدن فيما بعد الى آبار يستعملون ماءها. . اما الطرق التى كانوا يستعملونها فى التعدين فقد فصلها الهمدانى فى كتابه «الجوهرتين» وهى طرق تتلاءم مع ذلك العهد من حيث البساطة وعدم الاتقان للطريقة التى بها يستثمر المعدن استثماراً كاملاً.



لاحظ الاستاذ «مورتس» المستشرق الألمانى أن (مناطق الذهب فى البلاد العربية التى أكدتها الأخبار المتواترة موجودة الى جانب سلسلة الجبال التى تفصل بين داخل البلاد، وبين المنطقة الساحلية (تهامة). وكذلك توجد منطقة أخرى للذهب فى وسط البلاد لا نعرف بالضبط درجة اتساعها نحو الجنوب ونحو الشرق). وأضيف الى قوله: أن الذهب والفضة يوجدان أيضا فى وسط البلاد فى الأرض الواقعة بين أطراف القصيم الجنوبية ممتدة حتى أقصى جنوب الجزيرة، وهى من الناحية الشرقية لا تتجاوز إقليم السرو' أما من الناحية الغربية فتصل سفوح جبال الحجاز، حيث تختلط بالمنطقة التى أشار اليها (مورتس).

ولا يتسع المجال لتفصيل أمكنة المعادن القديمة ولا لذكرها كلها وأكتفى بالاشارة لأبرز مواقعها وذكر أشهرها.

[١] سفوح حرة بنى سُلَيْم الشرقية وما اتصل بها فيما بينها وبين السلسلة الجبلية حيث أشهر المعادن هناك معدن بنى سليم (معدن فران قديما) وهو أشهر المعادن عند ظهور الاسلام ومعدن بُحْران الواقع شماله فيما بينه وبين المدينة.

[٢] وفى تهامة فيما بين واديى اللَيْث وخُلب عرف من المعادن معدن عَشْم ومعدن ضنكان ومعدن القُفاعَة فى أعلا وادى خُلَب.

[٣] وفى شمال الحجاز حيث وادى القُرَى (العُلا) عرفت هناك معادن فى جبال شيبان المعروف الآن بهضب زَبَّالة نسبة الى فرع من فروع قبيلة بَلِيّ.

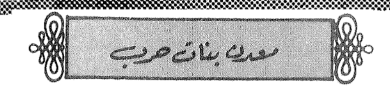
[٤] وفى منطقة بلاد عسير يقع معدن بيشة، ومعدن بنات حرب، ومعدن الهُجَيْرة.

[٥] وعرف وادى العقيق، عقيق بنى عُقَيل (وادى الدواسر الآن) بكثرة المعادن حتى تردد عنه الأثر المعروف: (مُطِرتْ أرضُ عقيلٍ ذهباً) وغربه حيث معدن عقيق غامد الى فروع اودية رنية حيث يقع معدن العبلاء (العبلة) المشهور.

[٦] ومنطقة عِرْض شمام المشهورة بعرض باهلة والمعروف الآن باسم العرض، وعرض القويعية كانت منطقة معمورة بالقرى الكثيرة وفيها معادن مشهورة كمعدن الثنية ومعدن العوسجة ومعدن شمام وغيرها.

[٧] وهناك معادن مشهورة فى جهات اخرى منها معادن القَبَلِيَّة بين المدينة وينبع ومعدن حِلِّيت فى وسط نجد، ومعدن البثر فى شمال القصيم.

وسأكتفى بايراد تعاريف موجزة لأشهر تلك المعادن مرتبة على حروف المعجم:

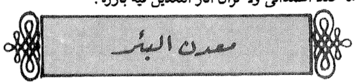


نقل الهمدانى من أرجوزة الرداعى التى وصف فيها طريق اليمن الى مكة:

تؤمُّ هِرْجابَ بسيرٍ مُعْجِلِ ‏ ‏ ‏ الى بناتِ حربٍ لم تعدل

وقال: بنات حرب قرية وقد يوجد فيها شىء من الذهب وهو واد فيه نخل وآبار. انتهى.. وأخبرنى الأستاذ عبد الله بن على بن حُمَيْد - رحمه الله - أن اسم بنات حرب يطلق على جبال حمر فى تلك الناحية الآن.

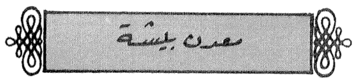
ويقع هذا المعدن بقرب خط العرض: ١٩/٤٥ وخط الطول: ٤٣/٠٠ تقريبا على مقربة من بيشة فى شرقها على مسافة ٤٣ ميلا على ما حدد الهمدانى ولا تزال آثار التعدين فيه بارزة.



معدن البئر: قال ياقوت فى «معجم البلدان» وقبله فى «بلاد العرب» للاصفهانى وفى كتاب نصر الاسكندرى: وفوق ذى العُشيْرة مُبْهل الأجردُ، وادٍ لبنى عبد الله بن غطفان وفوق مبهل معدن البئر، وهو معدن قريب من بئر بنى بريمة من بنى عبد الله بن غطفان، ويزيد الاصفهانى: وبأعلى مبهل جبل يقال له المجيمر، وجبل يقال له كتيفة. انتهى.

ولا تزال آثار معدن بئر بنى بريمة ظاهرة الى جهة الشمال الغربى من المحْلانىّ غير بعيدة عن جبل كتيفان، ويسميها البدو العماير، يريدون أنها آثار عمارة قديمة، وقد رسمت فى الخارطة: (عماير المعدن النجادى) وهذا وهْمٌ فإن معدن النجادى فى حِلّيت. اما كتيفة التى ذكر الاصفهانى فتعرف الآن باسم كتيفان: جبل أسود فيه حمرة ليس بالكبير، يقع غرب المحلانى (مبهل) على بعد عشرين كيلا، والى جهته الشرقية على بعد ثلاثة أكيال آثار تعدين قديم، والى الشمال من هذا الجبل ماء يسمى كتيفة، فى وادى الشعبة (الثلبوت).

وسبق أن نبهت الى خطا تسمية هذا المعدن باسم (النجادى) فيما كتبت عن معدن حليت فى مجلة «العرب» سنة ١٣٨٨هـ، ويقع معدن البئر بقرب خط الطول ٤٢/٣، وخط العرض: ٢٦/٠٠ غربى جبل قطن، وفى الشمال الغربى من بلدة عُقْلَة الصقور.



قال الهمدانى بعد ذكره معدن الهجيرة فى «الجوهرتين»: ولا شك أن معدن بيشة مثله فى وضوحه التبر للجوار، ولم يعمل معدن بيشة فى عصرنا وله مدة منذ انقطع عمله.

وقال بعد أن أورد من أرجوزة الرداعى فى «صفة جزيرة العرب»:

نِجادَ ثوْرٍ، ضُمَّراً سُهُوما ‏ ‏ ‏ يَجْشُمْن منها المعْدِنَ المجْشُوما

وقال: نِجاد ثور: معدن بيشة بُعْطَان، معدن الذهب.

وآثار هذا المعدن لا تزال مشاهدة، وموقعه شرق بلدة بيشة بميل نحو الشمال، كما أن فى تلك الجهة قرية تدعى المعدن، بمنطقة الخضراء على وادى هرجاب، من قرى بنى واهب من شهران، وأخرى تدعى المعامل، على وادى ابن هَشْبلَ من قرى بنى بجاد من شهران والاسمان يوحيان بوجود معادن فيهما.

معدن حِلّيت

حليت : بكسر الحاء المهملة واللام مشددة بعدها ياء مثناة تحتية فتاء مثناة فوقية ـ جبل عظيم، ليس فى حمى ضرية أعظم منه إلا شُعَبى ، وهو جبل أسود فى أرض الضباب بعيد ما بين الطرفين كثير المعادن ، كان به معدن يدعى النجادى وكان لرجل يدعى نجاد بن موسى بن سعد بن أبى وقاص، به سمى ولم يعلم فى الأرض معدن أكثر منه نيلا ، لقد أثاروه والذهب غال فى الآفاق كلها، فأرخصوا الذهب بالعراق والحجاز، ثم إنه تغير وقل نيله ، وقد عمله بنو نجاد دهرا، قوم بعد قوم، ذكر ذلك الهجرى وهو ممن عاش فى القرن الرابع الهجرى ونقله عنه السمهودى فى «وفاء الوفاء» والبكرى فى «معجم ما استعجم» ولم يصرح الاخير بالنقل.

وقال نصر الاسكندرى فى كتابه : حليت : جبل من أخيلة الحمى ، بضرية ، كثير القِنَان ، فيها معدن ذهب من ديار بنى كلاب .

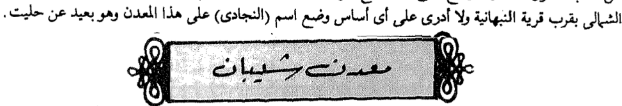
ويقع جبل حليت جنوب جبل إِمَّرة وفى الجنوب الغربى من بلدة دُخْنة الواقعة جنوب الرّس ، ولا يزال الجبل معروفا، ويشاهده المسافر من بلدة نِفَى (نفا قديما) الى بلدة ضرية على يساره رأى العين بعد أن يدع جبل مُنْية على يمينه، ويشاهد ضِخْفة وما حولها من الجبال وتقع قرية الحيد فى شرق حليت، ويشاهد على مقربة منها .

وقد ورد اسمه فى بيان مديرية المعادن (Haleet) وهذه الصورة لا تطابق النطق العربى وينبغى ان تكون (Helleit) .

ولا تزال آثار المعدن بارزة حتى الآن، وأبرز ما فيه طريق يصعد الى الجبل وفى أثنائه حتى يصل منخفضا يشبه البئر، وحوله تراب مستخرج منه ويقع المعدن فى جنوب حليت، فى سمراء منه تدعى الغرابى .

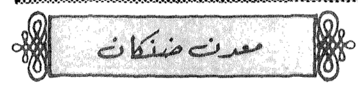
وبينما حدد موقعه فى كتاب «الثروة المعدنية» بـ ٢٤/٣٩ْ عرضا و٤٢/٢٣ْ طولا وهو قريب من ذلك فى مصور جزيرة العرب ـ طبعة سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) ـ وإن لم يذكر اسمه فقد ذكر فى مصور (أبحاث جيولوجية مختلفة رقم ب ـ ١٢٠٦ ـ أ) وحدد موضعه بـ ٢٤/٤٥ْ و٤٣/٥٩ْ. وعلى كل حال فالجبل أشهر من أن يُعَرَّف عند أهل تلك الجهة .

ويفهم من كلام المتقدمين أن معدن النجادى يقع فى حليت كما تقدم، ولكننا نجد هذا الاسم فى البيان الذى نقلناه عن كتاب «الثروة المعدنية» وضع على مكان يقع عن حليت شمالا بمسافة بعيدة يدعى (الكويفر) بطرف أبان الأسود الشمالى بقرب قرية النبهانية ولا أدرى على أى أساس وضع اسم (النجادى) على هذا المعدن وهو بعيد عن حليت .



جاء فى كتاب «بلاد العرب» للاصفهانى ـ ٣٩٧ ـ فى كلامه على وادى القرى: وفوق ذلك العوَّالى ، وهى قرى. وفوقها الحجر حجر ثمود، قرية وسوق، قرية من منازل ثمود، وهم ينزلون ناحية منها . . وعن يسار ذلك فيما بينه وبين البحر جبل يقال له شيبان، ينبت به البان والحبة الخضراء، به النخيل فى مواضع كثيرة وفيها معادن الصُّفْر والذهب والفضة، فأما المعادن التى فيها فلكل، وأما ما سوى ذلك فَلِبَلِيّ وسعد الله ـ حَيَّيْن من قضاعة .

ويظهر أن الضمير فى (فيها معادن) راجع الى (مواضع) فهى أقرب مذكور إليه وموقع هذا الجبل ـ كما فى نص كلام الاصفهانى ـ فيما بين مدينة العلا ـ التى سماها العوالى ـ وبين البحر وهو واقع فيما يعرف الآن باسم هضب زبَّالة أحد فروع قبيلة بلى، وأقرب المواضع المسكونة اليه هجرة (أبو راكة) ويقع فى الشمال الغربى من مدينة العلا بما يقارب خمسة وعشرين كيلا، ويظهر أن اسم شيبان قديما يشمل كل ما يعرف الآن باسم (هضب زبالة) وبقيت احدى قممه معروفة بالاسم القديم (شيبان) وهذا الهضب جانب من الحرة المعروفة باسم حرة العُوَيْرض بقرب خط الطول: ٢٧/٣٠ْ وخط العرض: ٤٠/٥٥ْ وهناك تكثر آثار التعدين القديمة فى مواقع أم حرب وحواويت والكحل، والكوت والشائبة وسطير والقبة والرحى وطفية والبنى وغيرها، وهذه الأسماء لست على ثقة من صحتها ولكننى نقلتها من المصور الجغرافى على علاتها.

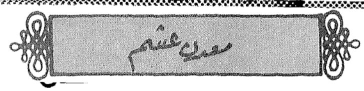


وصف الهمدانى هذا المعدن وصفا يدل على أنه كان غزير النَّيْل فى عهده ـ أول القرن الرابع فقال فى «الجوهرتين» ص٨٦: ومعدن ضنكان من أرض كنانة والأزد بينهما وقد عثر منه فى عصرنا على شىء خدَّ عليه السيل، فغنم منه السلطان والرعية، وهو دون معدن عشم فى جودة الذهب، ويأتى رطله بعيار العلوى مئة دينار ودينارا ونصفا وقال عنه فى «صفة جزيرة العرب»: بلد حرام من كنانة: وادى أتمة وضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره والحرة حرة كنانة والمعقد وحلى وهو مخلاف.

وقال: ضنكان: وهو معدن غزير ولا بأس بتبره.

ويظهر من كلام المتقدمين فى تحديد معدن ضنكان أنه يقع بين بلدتى القحمة وحلى السفلى ويوجد فى الحرة الواقعة بينهما آثار للتعدين كما يوجد بقرب القحمة آثار معدن بقرب خط العرض ١٨° وخط الطول ٥٠َ/٤١°، ومعدن ضنكان يقع فيما بين خط العرض: ١٩َ/١٨° وخط الطول: ٤٢َ/٤١°.

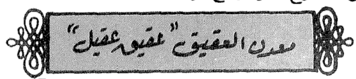
وقد زار الأستاذ الشيخ هاشم سعيد النعمى ـ أحد قضاة بلاد عسير ـ مكان معدن ضنكان فكتب عنه بحثا نشر فى مجلة «العرب» س١٨ ص٥١٧ وحدد موقعه بعد أن شاهد آثار التعدين فقال: ضنكان من ضواحى القحمة يقع فى أعلى وادى ذهبان، ويبعد عن مصب هذا الوادى فى البحر حوالى ثلاثين كيلا وذهبان يقع شمال مدينة القحمة بخمسة عشر كيلا، ويحد ضنكان من الشرق جبال شاهقة هى امتداد لسلسلة منحدرات تهامة عسير، ومن الشمال حرة بنى هلال المعروفة قديما بحرة بنى كنانة، ومن الغرب وادى ذهبان ومن الجنوب الجبال المطلة على وادى أتمة. انتهى.



من المعادن المشهورة، ذكره الهمدانى فى «الجوهرتين» -٨٦- ووصفه بالجودة والغزارة فقال: معدن عشم من أرض كنانة، وأحسبه ينسب الى عشم من قضاعة لأنه يقال: معدن عشم، وذهبه أحمر جيد، يأتى رطله بعيار العلوى مئة دينار مطوقة، وأربعة دنانير وهو جيد غزير.

ويفهم من كلام الهمدانى فى تحديد طريق حجاج اليمن المار بأعلى حلى (حلى العليا) أن معدن عشم يقع شمال وادى حلى بميل نحو الغرب إذ الطريق ينحدر من حلى الى جهة الشمال الغربى وعلى ما ذكر ياقوت فى «معجم البلدان» أن عشم بقرب الحسبة، والحسبة هذه لا تزال معروفة تقع شمال ميناء القنفدة وتبعد عنها بها يقارب ٣٠ كيلا. ولا يزال اسم عشم معروفا فى تلك الناحية يطلق على آثار قرية دارسة تقع فى الشمال الشرقى من وادى (ناوان) على بعد بضعة أكيال من وسط الوادى بقرب خط الطول: ٢/ /٤١° وخط العرض: ٣٥/١٩°.

أما آثار التعدين التى تشاهد بادية للعيان فتقع فى الجبال الواقعة شمال موقع تلك القرية غير بعيدة عنها، ومن القرى الواقعة بقربها: قرية مسعودة وقرية النصايب وقرية الحَسْبة (الأحسبة) وهذه الأخيرة تقع شرق قرية عشم بنحو عشرة أكيال ولزيادة الايضاح عن هذا الموقع يحسن الرجوع الى مجلة «العرب» س٢١ ص١٣.

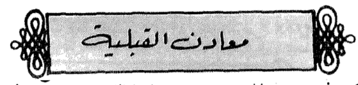


يطلق اسم العقيق على الوادى الذى يعُقّ الأرض بجريانه فهو كل مسيل شقه ماء السيل فوسعه، على ما يقوله اللغويون ثم أصبح الاسم علما لأودية معروفة فى بلاد العرب، منها عقيق بنى عقيل نسبة الى هذه القبيلة من بنى عقيل بن عامر بن صعصعة من هوازن ـ وقد يسمى عقيق تمرة نسبة الى بلدة تقع فى أسفله لا تزال معروفة ويعرف الآن باسم (وادى الدواسر) وكان هذا الوادى يعرف بعقيق جَرْم لأنهم كانوا من سكانه قديما وقد ذكر الهمدانى معدنه وموقعه فى كتاب «الجوهرتين» ٨٧ فى ذكر معادن نجد: ومنها معدن العقيق عقيق جرم بين نجران والفلح وموضعه صعاد من العقيق وهو غزير جداً ويسمون القطعة هناك دقة ولو كان فيها أرطال. . انتهى. وقال عنه فى «صفة جزيرة العرب» ١٧٧ العقيق عقيقان: العقيق الأعلى للمنتفق وفيه معدن صعاد، على يوم أو يومين، وهو أغزر معدن فى جزيرة العرب، وهو الذى ذكره النبى عليه الصلاة والسلام فى قوله: مُطرتْ أرضُ عقيل ذهبا والعقيق الأسفل لطىء.

وقال فى موضع اخر -١٥٢ ـ ثم العقيق مدينة فيها مثتا يهودى ونخل كثير وسيوح وآبار، ثم الغضا، ثم الخل، خل القسوة ثم المعدن معدن العقيق فما أخذ الى الهجيرة وقال أيضا ١٦٦: وسمى عقيقا لأنه معدن يعق عن الذهب وهو لجرم وكندة. . انتهى. واذا أمكن الاستدلال بآثار التعدين فإن أقرب موقع ينطبق عليه وصف موقع هذا المعدن هو ما يعرف الآن بالريّانية وهو معدن معروف يقع شرق معدن دحلات شباب الذى لا يستبعد أن يكون اسم معدن العقيق يشمله ايضا فى الطرف الغربى الجنوبى من عرق الوادى (نفود وادى الدواسر) ولا يستبعد أن تكون الرمال أخفت كثيرا من معالم المعدن وأطلاله، وهذا يقع على خط العرض: ٥٧/٢٠° وخط الطول ٠٦/٤٤° مع انه يفهم من كلام الهمدانى أن المعدن يقع بين العقيق والهجيرة والخل هو الطريق فى الرمل وعلى وصف الهمدانى فإن المعدن لا يقع فى الجهة التى أشرنا ليها بل يقع جنوبها بمسافة بعيدة فكأنه حسب تحديد الهمدانى يقع بقرب خطى العرض: ٣٠/٢٠° وبين خطى الطول: ٤٣/٤٤.

وينبغى أن يلاحظ أن المعادن قديما كانت كثيرة حول هذا العقيق حسب ما ذكر الهمدانى واستدل بالأثر: (مطرت أرض عقيل ذهبا) وهو الذى وصفه (موريتس) «العرب» ٥٨٩/٢ بقوله: وعلى بعد ١٨٠ كيلا من شمال نجران أشهر منجم للذهب فى البلاد العربية قاطبة، منجم صعاد، فى مناطق قبيلة عقيل ـ ثم أورد الأثر النبوى ـ وأضاف: وهذا يدل على وفرة محصول الذهب فيها فى السنين (٦٢٠-٦٣٠م) ولكن منذ القرن العاشر وقف التحدث عن هذا المنجم.





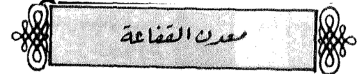
قال أبو عبيد البكرى فى «معجم ما استعجم» هى من ناحية الفرع . . وهى التى أقطعها رسول الله «ﷺ» بلال بن الحارث المزنى وأورد عن ابن عباس أن رسول الله اقطع بلال بن الحارث المزنى معادن القبلِيّة جلسيَّها وغوْريَّها الى حيث يصلح الزرع من قدس.

والقبلية: قال السيد على بن وهَّاس عنها ـ «الجبال والامكنة» للزمخشرى ٨٨ طبعة النجف: القبلية سراة فيما بين المدينة وينبع، فما سال منها الى ينبع يسمى الغور، وما سال منها الى أودية المدينة يسمى بالقبلية وحدها من الشام، ما بين الحُتّ وهو جبل من جبال بنى عرك من جهينة وما بين شَرَف السيالة، والسيالة أرض يطؤها الحجاج. . انتهى.

تعريف السيد على بن وهاس للقبلية من أدق ما جاء عن المتقدمين فى وصف المواضع وتحديدها، وهو عالم يعرف تلك البلاد عن خبرة ومشاهدة، كما يدل على ذلك تعريفه لموضع بوانة الذى أورده الزمخشرى وعلى هذا هو شيخ الزمخشرى وتلميذه فلقد تلقى كل واحد منهما عن الآخر ومدح كل واحد الآخر شعرا.

والقبلية حسب تعريف على هى السلسلة الجبلية الممتدة من منتصف الطريق بين المسيجيد (المنصرف قديما) وبين المدينة من الجنوب الى طرف جبل بُواط من الشمال، أى بين درجتى ٢٤/٢٥ عرضا و٣٠/٣٨ الى ٢٠/٣٩ طولا تقريبا.

هذه الناحية كانت تعرف باسم القبلية لاقبال كثير من أوديتها الى جهة القبلة حتى تجتمع بأودية المدينة، وهذه الجهات الواسعة فيها آثار كثيرة للتعدين لا تزال بارزة للعيان، وقد ورد فى بيان (مديرية المعادن) ذكر بعضها.

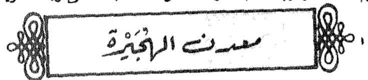


القُفَاعة هذه منها ينحدر وادى خلب الوادى المعروف فى المخلاف السليمانى -وقد ذكر هذا المعدن الهمدانى فى

الجوهرتين ووصفه بأنه خير المعادن فقال ـ٨٦ـ: ومعدن القفاعة من أرض الحريرة من خولان وهو بالقرب من الخصوف مدينة حكم وقد يدعى معدن البار، والبار فى أعلى وادى خلب وادى الخصوف، وهو خير المعادن جميعها وأقلها وضوحة، وأشدها حمرة ورطله يأتى بالعيار العلوى مئة وستة. . انتهى.

وذكر هذا المعدن ياقوت فى «معجم البلدان» فقال: القفاعة: من نواحى صعدة ثم أرض خولان باليمن يسكنها بنو معمر بن زرارة بن خولان بها معدن الذهب. انتهى.

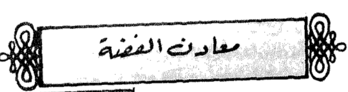
ويقع هذا الموضع بقرب خط العرض: ٥٠/٩١٦ وخط الطول: ٢٠/٤٣ على وجه التقريب.



ذكره الهمدانى فى «صفة جزيرة العرب» ٢٦٧ فقال عنه: ومعدن بيشة ومعدن الهجيرة ومعدن بنى سليم وحدد موقع الهجيرة بأنها على محجة نجران الى مكة قبل تثليث وبعد مريع. . ولا تزال الهجيرة معروفة، وهى واقعة فى منطقة تثليث وكنت سألت عنها الشيخ عبد الرحمن بن حاقان ـ رحمه الله ـ فى إدارة التعليم فى بلاد عسير، فكتب الى بأن القرية خربة الآن وانه زار موقعها فشاهد آثار العمران من مجارى المياه ورأى كسر أوانى الفخار الملون والأمكنة المحفورة وانها تقع بالقرب من مجرى وادى تثليث، فى بلاد الجحادر من قحطان (مذحج قديما).

والهجيرة عرفت اخيرا باسم الجعيفرة نسبة لقوم سكنوها يقال لهم الجعافرة وفيها كثير من الآثار التى تدل على وجود حضارة قديمة، وفيها آثار تعدين قديم، عبارة عن آبار منحوتة فى الصخور التى لا تزال بعض آثار المعادن عالقا بها وتقع فى أعلى وادى تثليث بين جاش وتثليث فى الشمال فى سفوح جبال العشة من ناحية الغرب ويبعد عن مجرى وادى تثليث الى الشرق بحوالى ثمانية أكيال وجنوب بلدة تثليث بنحو ٧٠ كيلا.

وتقع الهجيرة (الجعيفرة الآن) بقرب خط الطول: ٤٣/٣٢ وخط العرض: ١٨/٥٨.



ومن أشهر معادن الفضة:

[١] **معدن الرَّضْراض**: قال الهمدانى فى «الجوهرتين» ـ٩٠ـ قال مُعدِّنو الفضة: ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن، وهو معدن الرضراض وهو فى حيِّ نهم وبخلاف يام من أرض همدان وخُرِّبَ على رأس سبعين ومئتين ولمراد فيه خاصة، ولبنى غيلان رهط ابن الرُّوية يد حتى يقال، معدن ابن الروية ولبنى الحارث والخولان العالية فيه جوار وصقب. . انتهى. فلما قتل محمد بن يعفر وافتتنت هذه القبائل عليه عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا، وهرب من بقى، فتفرقوا فى البلاد وصار الى صنعاء منهم قوم قد كان لهم بصنعاء قدم من قديم، ومنازل وضياع وكان أهله جميعا من الفرس ممن تأوب إليه فى الجاهلية وأيام بنى أمية وبنى العباس، وكانوا يسمون فرس المعدن، فممن بصنعاء منهم بنو سردويه وبنو مهدويه وبنو زنجويه، وبنو بردويه وبنو حمدويه.



وكانت قرية المعدن عظيمة وبها غيل ونخل، وكان الجهاز يرد إليها من البصرة وكان يرتفع لمن فى المعدن من تنانيرهم على أنه لم يكونوا كفالة ولا سداد شىء كثير من الفضة . . وخبرنى بعض اخواننا النهميين من اهل الموضع قال: وصل الينا من صنعاء ممن يتوصل باليمن رجلان خراسانيان، فلما نظرا الى المعدن والى ما فيه من الآثار الجاهلى والاسلامى قال أحدهما: يا ضياع مال الله فى هذا المكان او يا مال الله الضائع فى هذا المكان!! وقد كان أُجْرى للعلوى بصعدة خبره وكانت همدان وساكن هذا الموضع فى حربه وكان الذى بينه وبين بنى الرويَّة لطيفا فهمّ به، فأشار عليه أهل صنعاء أن يبنى فيه حصنا أو يرد الحصن القديم ويُصيِّر فيه ديوانا يمنعون عماله من البادية وعوادى مذحج، فهمّ بذلك ونُمِىَ الخبرُ الى أسعد بن يُعْفر، فبعث لآل مروح سادة منهم فأثبتهم فى ديوانه وأراع عليهم دنياه فانقطعوا إليه ولم يستو للعلوىّ فيه ما أمل، وآثار أعمال الجاهلى فيه أكثر من آثار أهل الاسلام.

ذهن: المعدن واقع فى شرق اليمن وجنوب نجران يميل نحو الغرب وجبل يام الأصحر يدعه المتجه الى الجوف (جوف مراد) عن يمينه بحيث يقع الغيل شماله بمسافة تقارب خمسة أكيال، ويسمى الجبل الآن (الأسحر) بالسين بدل الصاد، ويقع بين خطى العرض: ٢٠/١٥° و١٠/١٦° وخطى الطول: ٣١/٤٤° و٠٠/٤٥° على وجه التقريب ويقع جنوب وادى الخارد.

وتقوم بعثة من حكومة الجمهورية العربية اليمنية مكونة من يمنيين وفرنسيين للتنقيب عن معدن الرضراض منذ سنوات فى منطقة واقعة فى أطراف بلاد نهم شرق موضع يدعى حريب القرامش فى جبال صلب ـ على نحو ١٤٠ كيلا شرق صنعاء ـ وقد عثرت البعثة على آثار تعدين هناك يظن أنها من آثار معدن الرضراض.

[٢] معدن شـــمام:

قال الهمدانى فى «الجوهرتين» عن هذا المعدن فى كلامه على معادن الفضة ٨٩ مما يدل على عظم شأنه: ومنها معدن شمام الفضة والصفر من أرض نجد، وشمام قرية عظيمة كان فيها فيما يقال ألف من المجوس وكان فيها بيتا نار وابنا شمام جبلان بها وقد خربت وكان عمرانها فى الجاهلية وأكثر مدة الاسلام. . وقال عنه فى «صفة جزيرة العرب» ٢٩٤و٢٩٩ شمام: معدن فضة ومعدن نحاس، وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن، وكان به بيتا نار يعبدان وقال ومعدنا شمام: الفضة والصفر. . وفى كتاب «بلاد العرب» للأصفهانى ٢٣٦ و٣٨٢: وابنا شمام بالسود يدفع عليهما عرض السود وهو غير عرض اليمامة ومن معادن اليمامة: خزبة وشمام وهو بسود باهلة. . وشمام جبل ذو رأسين، ويقع فى بطن العرض، ويسمى الآن (أذنى شمال) تحريف (ابنى شمام) والعرض ـ لغة ـ الوادى الواسع الذى يحوى قرى ومزارع ومنه عرض شمام وعرض حنيفة (باطن الرياض) وعرض المدينة.

ويقع هذا المعدن على خط العرض: ٥٠/٢٤ وخط الطول: ٥٠/٤٤ على وجه التقريب.

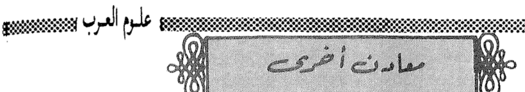
[٣] معدن الكوكبـــة:

قال فى «بلاد العرب» ٣٨٢: من معادن اليمامة: خزبة. . والكوكبة من وراء العيصان على مسيرة يوم وليلة، وهى على رأس جبل كان منصوبا فيه باب، وإنما سميت الكوكبة لأن رجلا مر فإذا هو بفضة شبه الكوكبة فحفروها فانشعبوا فيها حتى كان يدخل فيها نحو من مئة رجل من مدخل واحد، فينشعب كل واحد منهم فى معمل لا يراه صاحبه، وهى لنمير وهى متاخمة لأرض بنى كلاب.

على أن اسم الكوكبة يطلق على مواضع منها:

١ ـ قرية من قرى رنية فى أعلى نجد، بعيدة عن بلاد بنى نمير.

٢ ـ موضع يقع أسفل وادى الدواسر (عقيق بنى عقيل قديما) هو جانب من جبل طويق الجنوبى الذى تقع قرية الفاو الأثرية فيه.



١ - البلُّور (الكريستال) فى سراة عدوان:

قال الكندى فى «الجماهر» ١٧٤: أجود البلور: الأعرابى يلقط من براريهم من بين حصاها وقد يغشى بغشاء رقيق عكر ويوجد منه أيضا ما يوازن الرطلين كما يلقط أيضا بسرنديب، وهو دون الأعرابى فى الصفاء ومنه ما يخرج من بطن الأرض فان كان فى أرض العرب كان أجود.. وقال ابن الفقيه فى «مختصر البلدان» ٣٢ فى حديثه عن سراة عدوان: بها معدن البلور وهو أجود ما يكون فى صفاء الماورد، توجد القطعة منه منا وأكثر وقال الكندى: رأيت منه قطعة فيها مئة منا.. انتهى. والمنا على وجه التقريب وزن ست مئة مثقال.

٢ - الجمسْت (معدن حجرى شفاف فى الصفراء):

قال البيرونى فى «الجماهر» ١٩٤: حكى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنَّ صرح بلقيس كان من جِمِسْت لكن العرب تسمى الياقوت والزمرد والبلور كلها قوارير، وقيل فى معادن الجمست إنها كثيرة.. وقال الكندى: معدنه بقرية الصفراء على ثلاثة أيام من مدينة النبى ﴿ﷺ﴾.. وذكر ابن شيخ الربوة فى «نخبة الدهر» -٦٥-: أن معدن الجمست بوادى الصفراء من الحجاز، وتوجد منه القطعة قدر الرطلين ووصفه بأنه حجر لونه بنفسجى مشف.

وقرية الصفراء فى وادى الصفراء الذى لا يزال معروفا بين قريتى المسيجيد (المنصرف قديما) وبين بدر الموضع المعروف، والذى اصبح الآن قرية كبيرة، ومن وادى الصفراء يمر الطريق الحديث المعبد من المدينة الى مكة، وفى الصفراء قرى من أشهرها خيف الحزامى.

٣ - الشَّب فى جبل الاشعر (الفقرة):

والأشعر هذا هو جبل جهينة ولا يزال معروفا ولكن باسم (الفقرة). قال البكرى فى «معجم ما استعجم» - ويظهر أن الاصل للهجرى - ما ملخصه: ومن أودية الأشعر: حورتان الشامية واليمانية، وبحورة اليمانية: المخاضة وهى بقاع كانت لقوم من جهينة ثم صارت لعبد الرحمن بن محمد بن غرير وهى التى يقول فيها ابن بشير الخارجى:

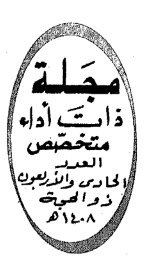
ألا أبلغَا أهلَ المخاضة أننى   مقيمٌ بزورا آخر الدهر معتمر

وكانت وعرة وبها غرض يستخرج منه الشبُ، والغرض شق فى أعلى الجبل أو وسطه. والمخاضة لا تزال معروفة وكذا واديا حورة وحويرة - يسميان الآن (حارة) و(حوارة) على لهجة البادية من حيث ابدال الواو والياء ألفا فى كثير من الكلمات فيقولون فى (ثور) و(غول) اسم الجبل المعروف و(سليمان) و(فيصل): وغال وسلامان وفاصل.

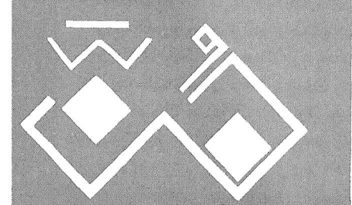
رفخ «معجم البلدان» لياقوت: ذو الشَّب فى أعلى جبل جهينة فى اليمن يستخرج من أرضه الشب المشهور.. انتهى. والقول بأنه فى اليمن خطأ، فجبل جهينة هذا هو الأشعر، وهو فى الحجاز، من جبال القبلية فيما بين ينبع والمدينة، قال الهجرى عنه -١٨٩- يحده من شقه اليمانى وادى الروحاء ويحده من شقه الشامى بواطان - ويعرف الآن باسم جبال الفقرة - يقع بين خطى العرض: ١٥/٢٤ و٤٠/٢٤، ويخترقه خط الطول: ٠٠/٣٩ - وواديا بواطين ووادى الروحاء معروفة.



النساء .. شقائق الرجال

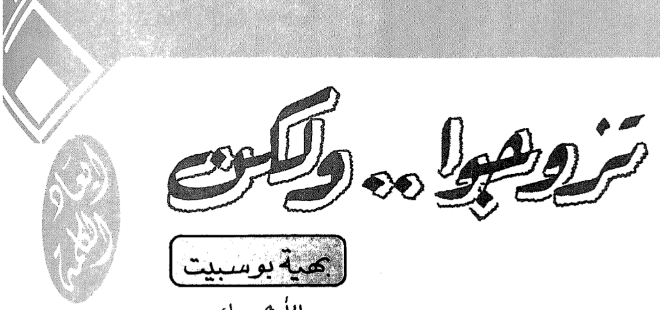






الاشراف

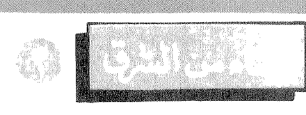
د. ابتسام صادق	الرياض
حياة عبد الحميد عنبر	جدة

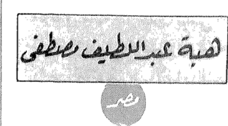


الأحساء

منذ فترة ليست بالقصيرة كثرت حالات زواج الأزواج المتزوجين ، والزواج بحد ذاته ليس امرا محرما أو معيبا للزوج ، فالشرع حلل للرجل الاقتران بأربع زوجات دون أن يكون لزواجه سبب على شرط أن يعدل . . والعدل أمر ليس سهلا . . وقد قال تعالى ﴿ولن تعدلوا ولو حرصتم﴾ وزواج الأزواج يختلف من شخص لآخر، فهناك من يتزوج بحثا عن الولد وبالعكس ، وهناك من يتزوج بحثا عن الهدوء الذى يفتقده فى بيته بسبب أولاده ، وهناك من يتزوج بعد صبر سنوات بحثًا عن الأولاد، وآخر بحثا عن الجمال وآخر طمعا فى المال ، وآخر لأن زوجته ليست متعلمة ، وهناك من يكتشف أن زوجته لا توافقه فى الطباع والعادات ، وآخر لأن زوجته مطلقة أو متوفاة ، هذا بالاضافة الى الذين يتزوجون بدون اسباب مقنعة .

والمشكلة التى تصاحب زواج هؤلاء أن بعضهم يتزوج سرا دون علم زوجته ، مما يزيد فى تفاقم المشكلة والخلافات بينهما ومنهم من يلجأ الى خلق أسباب وهمية لا صحة لها فى زوجته كمبرر لزواجه ، كأن يتهمها بعدم النظافة أو الاهمال أو الغباء أو التبذير . . آخره من الأسباب التى تحط من معنويات زوجته وتجرح كرامتها ، ولو أن الزوج أراد الزواج لسبب مقنع كمرض زوجته أو خلافه وصرح لها بالأمر وتفاهم معها على الوضع الجديد وطريقة استمرار الحياة بينهما وحرص على أن يعدل بينها وبين الأخرى ، لرضيت الزوجه واقتنعت ولربما أحبت الأخرى كأختها ولما أحست بأنها أخذت زوجها منها على الرغم من أن الأخرى ليس لها ذنب فالزوج العادل والمحترم والقوى هو الذى يدير مقود مركبه لا زوجته ، ولكن بعض هؤلاء الأزواج ما ان يتزوج بأخرى ويحس بالسعادة معها حتى ينسى الأولى وينسى كل ذكرياته وفرحته معها ، وليته يكتفى بالزواج من غيرها ، بل ان بعضهم ممن ضعف ضميره وقـل دينه وفقد احترامه لنفسه ، يسر لأصدقائه أو بعض اقاربه بعيوب زوجته وذمها بشتى الصور متناسيا أن كرامتها من كرامته ، وأن ما يعيبها يعيبه وأنها أم أولاده قبل كل شيء . . ومن حقها عليه مراعاة شعورها وحفظ كرامتها واحترامها وتقديرها وذكرها بخير ولا سيما بين الناس . . وكثير من هؤلاء الأزواج ما يعود الى زوجته الأولى بعد فشله مع الثانية وعدم تحملها طباعه وعاداته التى قد تكون صبرت عليها وتحملتها مراعاة له وحفظا على أولاده . . فاتقوا الله أيها الأزواج فى زوجاتكم . . وتزوجوا ولكن دون أن تعمدوا الى اهانة وتجريح كرامة زوجاتكم وتسعوا فى قطع حبل الموده والعشرة بينكم وبينهن فليس أحب الى الله تعالى من زوج حافظ للعشرة ساتر على ما ستر الله عليه .





هبة عبد اللطيف مصطفى
مصر

الأديبة "ماري عجمي"

■ كانت ذكية فى أدبها وفى تصرفاتها، فقد استخدمت الماء كتليفون مائى فى توصيل رسالة لأحد الأشخاص. وكانت من أوائل الصحافيات فى الوطن العربى فحملت عبء مجلتها «العروسة» وحدها كان نثرها رقيقاً مثل شعرها الذى شغل العامة والخاصة. إنها رحلة كفاح عاشتها الأديبة الشاعرة «مارى عجمى».

■ ولدت «مارى» على أرجح الروايات ـ عام ١٨٨٨م من أسرة حموية الأصل، وانتقل الجد من حماة الى دمشق، حيث استقرت الأسرة التى ولدت فيها «مارى» وكان والدها رجلا نبيها مثقفا فأدخل أولاده المدارس التى أنشئت فى أيامهم فتعلمت مارى فى المعهدين الروسى والأيرلندى اللذين كانا بسورية فى مطلع هذا القرن، ثم التحقت بعدهما بمدرسة التمريض الأمريكية ببيروت لكنها لم تكمل دراسة التمريض، وآثرت الدراسات العربية عليه.

■ فقد تعلقت «مارى» بالأدب منذ الصغر، ونفثت من سحره فى روحها فهامت به وعشقت الكتاب عشقا فضلته على سائر الأشياء الأخرى، فلم تتعلق بهوايات أخرى مثل التطريز أو فن الابرة مثل باقى فتيات عصرها. وعكفت على الآداب العربية تنهل من معينها، وتشرب من روافدها، فأخذت من الثقافة العربية قوة العبارة، ورصانة التعبير، ورقة اللفظ ومالت الى الثقافات الاجنبية وخاصة الانجليزية لتنهل منها، وتمزج الثقافتين لتخرج بثوب جديد.

■ وأحست «مارى» بأزمة الفتاة العربية وأميتها، رغم ذكائها ووعيها فتعهدت بنات جنسها بالتعليم، وشاركت بنشر الثقافة بينهن بجهدها الخاص ما استطاعت الى ذلك سبيلا، ورأت أن تجمع الرأى العام على أن يشاركها فى مطلبها وهو تعليم الفتاة ومحو أميتها، ومحاولة مساواتها مع الرجل فى العلم خاصة. ولكن أين يذهب صدى صوتها فى هذا المجتمع الزاخر الذى يعب بشتى المتناقضات، خاصة وأنه يرزح تحت الحكم العثمانى ويحكم البلد من ليس لهم حس بأبنائها ولكن ما السبيل الى رفع صوتها حتى يسمعه كل من فى الوطن؟.

■ وكان الحل فى مجلة شهرية أصدرتها وأسمتها «العروسة» ومن خلال منبرها أخذت تدفع بالحجة البالغة ما يفترى على المرأة ظلما وسخرية والمرأة يومئذ فى جهالة وخمول، فدعت الى تحريرها، وتبصيرها بشئون الحياة فى تعليم ما يلقى على قلبها النور وينقلها من ظلمة الجهل الى المعرفة والوعى، والتجديد والتغيير، فى نظام عيشها وزواجها لكى تكمل الرجل الذى سبقها علما ومراسا، ويتعاونا على بناء الأسرة والمجتمع.

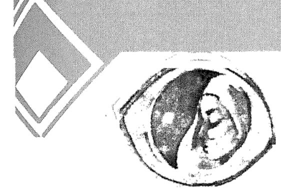
■ أنشأت مجلة «العروسة» عام ١٩١٠م لتكون صرخة على التقاليد البالية وأيضا نافذة على الفكر الغربى الذى كانت تنقل «مارى» بقلمها أطيبه وأحلى ثمراته. ولكن المجلة توقفت إبان الحرب العالمية الأولى التى دهمت سوريا ولبنان بنكبات

الظلم والعدوان. ولم تقف مارى مكتوفة الأيدى معتزلة فى بيتها، بل كانت تواسى الأحرار وكذلك كل مشرد وطريد وكانت تزور السجون خفية وعلنا، لتواسى المنكوبين من الأدباء والشعراء، وقد أتيح لها أن تتشفع من أجل بعضهم فأنقذتهم من السجن أو الاعدام.

■ وقد وصفت بكلمة من قلمها بعض تلك الأهوال فقالت: «كنت أول من سعى الى تلك السجون لانقاذ الذين كانت تنتظرهم المشانق.. وذات يوم لم تتمكن من دخول السجن ولابد من توصيل رسالة لأحد المسجونين ففكرت كثيرا وهداها تفكيرها الى أن تستخدم الماء لحمل الرسالة وعند فوهة قسطل الماء، وهو قناة توصل ماء عين الى ذلك السجن الأرضى، نادت باسم السجين، وسمعت ردا لندائها وأبلغت رسالتها التى تريد توصيلها ووصلت الرسالة الى المراد.

■ ولما انتهت الحرب أعادت مارى عروستها «العروسة» لتزف الى قرائها حاملة بطاقات ندية عطرة من أزهار نثرها وشعرها. وقامت هى بتكاليف المجلة وحدها، وكانت من أحرار الصحافيين فتأبت أى معونة من الحكم الجديد الممثل فى الانتداب على سورية ولبنان، فيا أكثر الذين ربحوا من الصحافة فى اول عهد الانتداب فكان العون فى شتى الوسائل يتلقونه على شرط أن تمضى أقلامهم بما يبتغى الحكم الجديد. وظلت ماضية فى حريتها ونزاهتها وخطتها وصون كرامتها حتى نفضت يدها مما يكفل الانفاق على إصدار المجلة فتوقفت عام ١٩٢٥م بعد صدور أحد عشر مجلدا. ولكن قلم «مارى» لم يتوقف عن الكتابة فى الصحف العربية التى كانت تظهر فى أرض الوطن أوالمهجر مشاركة فى الوعى السياسى والاجتماعى.

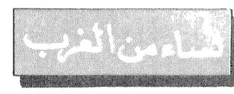
■ وكانت بين الحين والآخر تطلع على القراء بشعرها الرقيق مذيلا بتوقيع «ليلى» وكانت تحافظ فى شعرها على عمود الشعر ووحدة المعنى فى بناء المعنى



والمحافظة على المبنى، بل فتحت نافذة للقراء العرب على الشعر الغربى الانجليزى تترجمه ترجمة رقيقة شاعرية.

■ وقد نشرت مارى عجمى فى الصحف العربية دراسات أدبية لفتت اليها الانظار حين صدورها ولذا فقد تم اختيارها أستاذة فى معهد الفرنسيكان بدمشق لتعلم الطالبات الشابات أدب العربية على أحدث طريقة، وأقوم دراسة ولَم لا وهى التى أتقنت العربية وحذقت اللغة الانجليزية؟. وتمضى الأيام ويضيق محترفو السياسة بمارى عجمى وبمقالاتها وبفكرها، فتركت الوطن وانطلقت الى بغداد، تعلم الأدب العربى فى مدارسها العليا للفتيات هناك.. ولم تمكث كثيرا فعادت حزينة الى دمشق، مؤثرة الوحدة والاعتزال مفضلة الحياة الخاصة فى كنف أختيها إديل وإلين.

■ عاشت «مارى عجمى» فى حياتها زاهدة فى زينة النساء المعروفة مترفعة عليها، فمنذ صباها وهى تظهر على سجيتها وشكلها لا تجنح الى أى تمويه أوتزييف وكانت البساطة فى كل شئونها فى ملبسها وعيشتها وكانت تدرك أن وسيلة المرأة الى الرجل ليس زينتها وبهرجها ودلالها، ولكن أدبها ومواهبها وحديثها الفياض بروحها وقلبها لا فى غرورها وزخرفتها وقد رآها أحد المستشرقين جاء الى البلاد العربية مستطلعا شئون المرأة فيها وأطوار وعيها ونهضتها، والتقى بالكثير من الصحافيات والمجاهدات والأديبيات والشاعرات وحينما رأى مارى عجمى فى بساطتها المعهودة قال: يبدو لى أن هذه هى الأديبة الحقيقية. ومن أراد أن يطلع على أدب مارى عجمى على حقيقته فليعد الى عروستها مجلة «العروس» فقد غرست فيها أجمل الزهرات وسقتها بعطر الروح.





٢



تعدّ المستشرقة الألمانية «آن ماري شيمل» فى طليعة المهتمين بالدراسات الاسلامية والشرقية فى هذا العصر.

ولدت آن مارى فى ٧ نيسان عام ١٩٢٢م فى إحدى المدن الألمانية وظهر نبوغها فى سن مبكرة وأبدت استعداداً كبيرا لدراسة الآداب واللغات . . وهكذا درست الادب العربى والفارسى والتركى على يد الأساتذة: ريتشارد هارتمان - هـ . هـ . شادر - إرنست كوهنل فى جامعة برلين فنالت درجة الدكتوراة فى الآداب عام ١٩٤١ وكانت رسالتها فى موضوع : . الخلفاء والحكام فى مصر إبان العصر الوسيط المتأخر، نشرت هذه الرسالة عام ١٩٤٣م .

شغلت آن مارى مناصب عديدة فى حياتها العملية فقد عملت أثناء الحرب العالمية الثانية مترجمة فى وزارة الخارجية، وفى هذه الأثناء انجزت كثيراً من الدراسات والبحوث التى تتعلق بتاريخ مصر فى العهد المملوكى، إلا أن هذه الدراسات لم تنشر فى ذلك الحين لظروف الحرب وما بعدها.

ثم عملت آن مارى فى التدريس الجامعى أستاذة مساعدة لمادة الدراسات الاسلامية فى جامعة ماربورج بألمانيا الغربية وفى الفترة بين عامى ١٩٥٤ - ١٩٥٩ قامت بالتدريس فى الكلية الدينية بجامعة أنقرة فى تركيا أستاذة للديانات.

وفي عام ١٩٦١، قامت بالتدريس فى جامعة بون فى الدراسات العربية والاسلامية، وساهمت أيضاً فى تدريس الثقافة الاسلامية منذ عام ١٩٦٧ وما بعده فى جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية.

تميزت آن مارى شيمل بالترجمات البارزة التى قامت بها فقد نقلت أعمالاً هامة من اللغات العربية



والفارسية وغيرها الى اللغة الألمانية فنالت ميدالية «فردريك روكرت» للترجمة عام ١٩٦٥ .

وقد أحبت آن مارى الرحلات والأسفار فساحت فى أماكن عديدة من الشرق والغرب، فى باكستان، أفغانستان، اليابان، الهند، مراكش وأوربا.

وشغفت آن مارى بالفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية العظيمة فأخذت تهتم بترجمة أعمال قيمة منها: ترجمة جزء من مقدمة ابن خلدون عام ١٩٥١، وأشعار لجلال الدين الرومى الى اللغة الألمانية، وقد درست آن مارى شعر جلال الدين الرومى دراسة وافية فكتبت عنه مقالات عديدة، أبرزت فيها تفوق هذا الشاعر الذى يمثل الأدب الصوفى فى ديوانيه «المثنوى» و«شمس تبريز» .

ولما تجدر ملاحظته أن المرأة المتدينة حظيت باهتمام آن مارى فكتبت بحثاً وافياً بعنوان «المرأة فى التصوف»(١) بينت بوضوح أهمية الدور الذى يمكن أن يناط بالجناح النسائى فى الحياة الدينية الاسلامية، وتحدثت عن نساء كان لهن شأن عظيم فى مجال الزهد ومنهن من برعن فى رواية الحديث، وفى قول الشعر، وكتابة الخط الجميل.

وكتبت آن مارى مقدمة لاحدى الترجمات الألمانية لمعانى القرآن الكريم وقد أعدها أحد المختصين بالدراسات الاسلامية وهو «ماكس هننك»(٢).

وتقول «كان من أهداف مقدمتى إيضاح مدى تأثير القرآن الكريم على حياة وتفكير المسلمين للقارىء الألمانى وكيف أن القرآن يؤثر تأثيرا عميقاً على جميع معالم الحضارة منذ القرن السابع».

ومن أهم النشاطات الفكرية التى قامت بها آن مارى شيمل اشتراكها فى تحرير وإصدار مجلة «فكر وفن» التى تنشرها دار بروگمان فى ميونيخ بألمانيا، وقد ظهر العدد الأول منها فى عام ١٩٦٣م.

وظهر جانب كبير من إنتاج «آن مارى شيمل» الفكرى على صفحات هذه المجلة، وهى أكبر مجلة معاصرة فى أوربا تهتم بالتراث الاسلامى فى الأدب والفن والتاريخ، نذكر منه على سبيل المثال مجموعة من المقالات فى موضوع تاريخ الاستشراق فى أوربا، تحدثت فيها عن مستشرقين من ألمانيا والنمسا، كالمستشرقين الألمان أوجست فيشر وفريدريش روكرت ويوسف فون هامر - بورجستال.

■ ومن مقالاتها الأخرى: **«لباس التقوى بين الشعر والدين»**.

«هرمان هسه شاعر النور والزهور»

وفى بعض المقالات التى أبدعها قلم آن مارى، درست بعض الشعراء والأدباء الشرقيين المسلمين مثل الشاعر. . خوشحال خان ختك وهو شاعر ومناضل نشأ فى منطقة غربى باكستان، وولد حوالى عام ١٦١٣م، وقد اشتهر بقصائده الرباعية.

ونلمس لدى آن مارى ميلاً للبحث فى الأدب الاسلامى فى الهند، ودراسته، مما

يدل على سعة اطلاعها فصورت فى مقال لها أحد الأدباء المسلمين فى السند ويدعى . . ميرزا فليج بيك ، ويعد أباً روحياً وقطباً فكرياً للأدب السندى الحديث ، وقد بلغ عدد مؤلفاته ٣٠٠ كتاب بين ترجمات وتأليف .

واختارت آن مارى قصته التربوية «زينت» لما لها من تأثير عميق فى قلوب النساء ، ولأنه أعطى فيها صورة للمرأة المثلى ، فبدأت بتلخيص القصة ، ثم بينت رأيها فيها فقالت : «ومع ضعف المعالجة الروائية فإننا نقف على معلومات لها أهمية عن الحياة الفكرية عند مسلمى الهند فى القرن التاسع عشر» .

وتعبر المستشرقة الكبيرة آن مارى عن رأيها فى الموضوع التربوى الذى خصص له الأديب ميرزا فليج بيك قصته الرائعة «زينت» فتقول : «لا شك أن تربية النساء من بين الموضوعات التى لازالت تعنى كل مهتم بالتقاليد الاسلامية وها نحن نرى فى عصرنا الحديث المرأة العربية والتركية والباكستانية تشارك فى حياة المجتمع مشاركة فعالة ، بل كثيراً ما تؤدى دوراً له أهميته سواء فى السياسة أو فى التربية والتعليم أو فى العلم أو فى الفنون الجميلة فضلا عن سائر ميادين الحياة العامة .

وكان لهذه الأديبة المستشرقة مراسلات أدبية مع كبار الأدباء والشعراء فى الوطن العربى ومنهم «الدكتور زكى المحاسنى» الذى ساهم فى الكتابة بمجلة «فكر وفن» وهو أديب وشاعر سورى مرموق ، ولما وافته المنية ، عبرت عن شعورها بكلمة عزاء قالت فيها : «هنالك أصدقاء لم نلتق بهم ومع ذلك فهم أقرب الى تفكيرنا وشعورنا من أولئك الذين عرفناهم والتقينا بهم .

وقد كان الدكتور زكى المحاسنى من هؤلاء الأصدقاء الذين عرفناهم فى آثارهم دون التقاء وقد بدأ التعارف للمرة الأولى عندما كان يرسل المقالات القيمة لمجلتنا «فكر وفن» وكنا نستمتع بها ونعتز بنشرها ، إذ كانت تكشف عن نفس حساسة وثقافة موسوعية وعقل متفتح للبحث العميق(٣) .

وأهم ما يستحق الذكر من مؤلفات آن مارى الأخرى المتعلقة بالأدب الاسلامى ، كتاب عن باكستان بعنوان «باكستان ، قلعلة ذات ألف باب ، ١٩٦٥ ، وكتاب عن الشاعر والفيلسوف محمد إقبال (١٨٧٦-١٩٣٨) بعنوان : «دراسة فى الأفكار الدينية لمحمد إقبال» ١٩٦٣م .

لقد أضافت هذه المستشرقة الألمانية الكبيرة الى الدراسات الاسلامية وأغنتها بما قدمته من بحوث ودراسات قيمة جديرة بالاعجاب والتقدير .

الهوامش

(١) المرأة فى التصوف ، مقال لآن مارى شيمل . . مجلة فكر وفن ، ع (٢٠) ، ١٩٧٢ ، ص٢٠-٢٦ ، ألمانيا .

(٢) Der Koran Ausden Arabische Ubersetyt,von Max Henning

(٣) تحية وذكرى - الدكتور زكى المحاسنى بأقلام الذين عرفوه فى أدبه ونضاله من أعلام المفكرين والأدباء ، بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته ، ١٩٧٢ - دمشق ، ص١٣٥ .





رحماك ربيّ خالقَ الألوان
غفّار ذنب باعثَ الإيمانِ
رحماك ربّى قد اتيتُك راكعاً
عليّ أنال رضاك بالاتيانِ
ربّاه - إنى قد اتيتُك تائباً
من كلّ ذنب مُهلك الانسانِ
لعبت بى الآمالُ عمراً زائلاً
فلقد بُليتُ بشقوة الحيرانِ
راحت بى الأيّامُ تعدو فى خطى
سباقة يلهو بها حبلانِ
حبلُ الشقاء كأنّه سكن الأسى
ولموطن الآلام حبلٌ ثانى
يارَبّ سهّل للأمور دروبها
دربا فدرباً للهدى الروحانى

* * *

أعيا فؤادى مرتعٌ لا ينتهى
قد ذاب فيه القلبُ بالعصيانِ
وغدا الظّلامُ مُدَثّراً كلّ الدنا
وملا البقاع برفقةِ الشيطانِ
حتّى بكت شمسُ الضّياء من الأسى
شمسُ الهدى فى ساعةِ الأحزان

* * *

ربّاه انّى قد ذهبتُ يقودُنى
شيىء خفىٌّ كالهوى الفتّان
هو بلسمُ النفس العليلة دائماً
يسمو به الاحساسُ فى تحنانِ
هو خاطرُ العبد الذليل وفكرُه
يهديه بعد هدايةِ الرحمانِ

* * *

ربّاه - يا هادى الأنام بلحظةٍ
فرقّ جموع الشّرك والطغيانِ
واهدِ العباد فانّهم فى غمرة
تاهوا بدار اللهوِ والألوانِ
وابعثْ هداة مهتدين لجمعهم
متتبّعين شريعة الفرقانِ

* * *

ربّاه إنّا للرضا فى لهفةٍ
نرجو نوالا كالثّرى الظمآنِ
يارَبّ حقّق فى الرجاء نداءنا
أنتَ الإلَهُ - وباعثُ الايمانِ
حتىّ يسود الحقُّ بين شعوبنا
ويعود صفوُك فى رُبى الأوطان

* * *

إنّى سكبتُ من الحروف قصيدة
رقراقة الآمال بالأوزانِ
حسبى بأنّ العيش يحلو بالهدى
عيشاً كريماً فى هدى القرآنِ





من كل بستان زهرة

نعمت عامر
- مصر -

● «الأصحاب والأحباب»

عن أنس بن مالك قال قال: رسول الله «ﷺ»: متى ألقى أحبابى؟. فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمنا، أو لسنا أحبابك؟ فقال: أنتم أصحابى، أحبابى قوم لم يرونى وآمنوا بى، وأنا إليهم بالأشواق لأكثر.

● «ابلغ الناس»

سأل معاوية عمرو بن العاص:

من أبلغ الناس؟

قال: أقلهم وأسهلهم معنى. وأحسنهم بديهة.

● «لا شأن لنا بقوم موسى»

نزل طفيلى يدعى موسى على أحد الأغنياء، وبعد وقت طويل تذكر أهله فاستأذن وانصرف. ثم عاد بعد قليل ومعه أهله، ولما طرق الباب وجاء الخادم قال له: قل لسيدك لقد رجع موسى بقومه

فدخل الخادم وعاد فأجابه، يقول لك سيدى: لقد كرّمنا موسى ولا شأن لنا بقومه.

● « حازم بألف »

قيل لرجل من قبيلة عبس: ما أكثر صوابكم. قال: نحن ألف رجل، وفينا حازم واحد. ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم.

● « ومن حكم الامام على» رضى الله عنه: من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ».

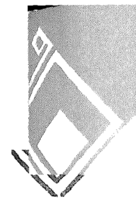
« كيف تساس الرعية »..

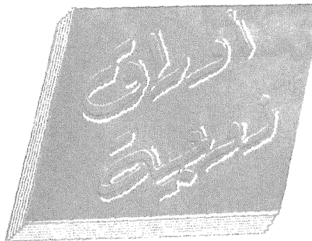
لما استخلف عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما: أشيرا علىّ.

فقال سالم: «اجعل الناس أباً وأخاً وابناً. فبر أباك، واحفظ أخاك وارحم ابنك».

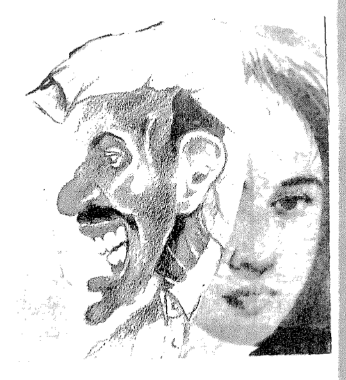
وقال ابن كعب: «أحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك».

● « قال الامام على» رضى الله عنه: (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته).



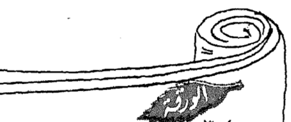


أبو عواد



الورقة
٣٠٤
ان زوجتى هى التى جعلت منى من اكون «بسمارك»

الورقة
٣٠٥
المرأة مخلوق مركزه بين الملائكة والبشر «بلزاك»



الورقة
٣٠٤
كلمة بسمارك « ان زوجتى هى التى جعلت منى من اكون مقبولة من رجل يرضى عن نفسه وترضى زوجته عنه .



٣٠٥
بإسم كل النساء فى العالم أتنازل عن المرتبة التى وضعنا فيها «بلزاك» مقابل احتفاظنا بمرتبة «البشر» بلا جدال .

الورقة
٣٠٦
الحمد لله أن العالم الذى يقصده «لا مارتن» مازال محصورا فى الكرة الأرضية وحدها .



٣٠٧
القبح والجمال بلغة هذا العصر متغيران تتحكم فيهما أمزجة ملوك الموضة ومستحضرات التجميل . . كانت عبارة «برنارد شو» تصبح أكثر مقاومة لتقلبات الدهر لو قال «كل من المرأة القبيحة والجميلة تريان وجهيهما فى مرآة النفس .



الورقة
٣٠٧
أيتها المرأه أنت تحكمين والعالم مملكتك «لامارتن»

هذه الأوراق تطلع عليها أم عمرو وتداوم قراءتها وتسجل خواطرها ولعلها آثرت ان تقابلها رأياً برأي.



٣٠٨

أقول لمارك توين هذا ثمن زهيد عندما تكون الشباك قلب انسان محب وأمين.



٣٠٩

لا يمكن أن تجتمع هذه المفاهيم الثلاثة معاً فى مكان واحد الا فى عقل رجل مخرف.

٣١٠

لا يختلف اثنان مع «آرثر ميللر» ان المرأة الحقود دودة تأكل كل شىء حولها ثم تأكل نفسها.

٣١١

لا أدرى كيف استطاع فولتير ان يجزىء عواطف المرأة ويقيسها بهذه الطريقه أغلب النساء يبكين من شدة الفرح.



٣٠٨

المرأة القبيحة ترى وجهها فى المرآة، والمرأة الجميلة ترى وجهها فى عيون الناس «برناردشو»



٣٠٨

يقضى [illegible] ليقدمه عن طيب خاطر للمرأة التى تستطيع ان توقعه فى شباكها «مارك توين»



٣٠٩

ثلاثة يصنعون الحروب: الحنان، والمغرور، والمرأة اللعوب» «اوجار دالاس»



٣١٠

إذا حقدت المرأة تحولت الى أخطر سلاح بما فى ذلك القنبلة الذرية نفسها أرثر ميللر.



٣١١

كل فلسفة الرجال لا تعادل واحدة من عواطف المرأة «فولتير»





٣١٢
المرأة أقدر على حفظ سرها منها على حفظ سر غيرها «لا برويير»



٣١٣
من الجنون مصارحة النساء بالحقيقة، فهن يعشن على الكذب، وهن أعذب هكذا «بايلر».



٣١٤
بعض النساء يفقدن القدرة على فن المحادثة ولكنهن للأسف لا يفتقدن القدرة على الكلام «شو»



٣١٥
المرأة التى تهزأ بزوجها لا يمكنها أن تستمر فى حبه «بلزاك»



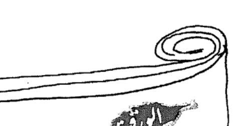
٣١٦
النساء العصريات يفهمن كل شىء ما عدا أزواجهن «وايلد»



٣١٧
إن ما يرضينى فى كونى رجلاً أنه ليس ثمت أى خطر فى أن اتزوج امرأة «اللايدى سونتاغيو»



٣١٨
الزوج المحترم هو الذى يذكر عيد ميلاد زوجته وينسى عمرها «أحدهم»



٣١٢
لماذا يريد «لابروبير» من المرأة أن تحفظ سراً باح به صاحبه كان أولى بصاحب السر أن يحفظه



٣١٣
بايلر قال هذه العبارة بعد أن تعود على الكذب على كل النساء اللاتى مررن بحياته.



٣١٤
لو تأمل «برناردشو» محطات التلفزيون العربية ليوم واحد لغير هذه العبارة الى بعض النساء والرجال.. الى آخرها.



٣١٥
حقيقة كلمة بلزاك هذه، فحب انسان والاستهانه به لا يجتمعان.



٣١٦
النساء العصريات يفهمن كل شىء ينتمى الى العصر.



٣١٩
أجمل العيون وأكذبها عيون النساء «مثل برازيلى»





٣١٧

لم استطع ابدا ان أجمع فى ادراكى صورة للرجل والمرأة اللذين تتحدث عنهما اللايدى مونتاغيو فى عبارتها ربما كانا من كوكب آخر.



٣١٨

أما الزوج الأكثر احتراما فهو الذى يذكر عيد ميلاد زوجته ويشترى لها هدية تناسب امرأه اصغر منها سنا بعشر سنوات على الأقل.



٣١٩

ربما لأنهم فى البرازيل يشربون كثيرا من البن فتفقد جفونهم القدرة على الحركة.



٣٢٠

نست اجاثا كريستى أن تؤكد فى عبارتها على أن هؤلاء العلماء الأثريين ليسو ممن يحتفظون بمقتنياتهم الأثرية خلف جدران حديدية زيادة فى احتياطات الأمن.

أم عمرو



٣٢٠

إن العالم الأثرى هو خير زوج تحظى به أية امرأة لأنها كلما تقدمت فى السن ازداد شغفه واهتمامه بها «أجاثا كريستى»



هو حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن الطائى. . شاعر من أجواد العرب، ضرب به المثل فى الجود والفداء.

حبيبتى ماوية :

اكتب رسالتى اليك وأنا جد أسيف لما اتخذته نحوى من عمل ما كنت أتوقعه أو يتوقعه أحد من أهلى فضلا عن أصدقائى وأحبائى. . ما الذى عبث بعقلك وتفكيرك وحكمتك وأنت ابنة الملوك ربيت على التعقل والسلوك الطيب الكريم؟ لقد باغتّنى بقرارك هذا، وما أصعبه على نفسى وآلمه لقلبى. . كيف تطلقينني؟. . لقد عرفت هذا عندما اقتربت من خبائنا فوجدتك قد غيرت بابه من المشرق الى المغرب فشعرت وكأن الأرض قد مادت بى أو زلزلت زلزالها. وصرت أفكر فيما وقع لنا وفيما دمر بيتى وهدم سعادتى وألقانى فى حرب وغم لم أعالج مثلهما من قبل. . وأخيراً اهتديت الى السر الذى جعلك تنقلبين علىَّ فتكرهين معيشتى وتزدرين هيبتى.

انه ابن عمك: مالك، مالك الذى حنوت عليه وأكبرته وقلت: هو أخ لى وعون. . مالك الذى أطلعته على سرى وأصفيته صداقتى ومحبتى، وأنا لا أعرف سوى المحبة والصداقة. . مالك الذى أوسعت له خبائى ووسعت عليه من خيرى وبرى. . مالك هذا هو الوسواس الخناس الذى وسوس فى صدرك وأغراك بأن تهجرينى وتطلقينى زاعماً لك أن مذهبى فى إكرام الضيف وإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج والاحسان الى الفقير وإقالة العثرات سوف يعجل بخراب بيتى وضياع أولادى وأن الأحسن لأولادك والأصون لكرامتك ومستقبلك هو أن تطلقينى وتتزوجيه هو. وكذلك أغراك مالك بهذا العمل المذموم فجنيت على ولدنا عدى وابنتنا سفانة.

حبيبتى ماوية :

عجبا لك إنك إذ تحولين باب خبائك من المشرق الى المغرب شارة ودليلا على تطليقك لى فإن هذا يوجب على أن أبين لك موقفى وأذكرك فى نفس الوقت بما كان منى قبل أن أتزوجك يا ماوية يا ابنة عفزر صارحتك بسلوكى وأخلاقى وسجيتى وطبيعة علاقاتى بجيرانى وأهلى وعشيرتى وكل من طرقنى أو نادى باسمى مستغيثا أو مظاهراً. . قلت لك:

ائي الى ..



أمـاوىَ ما يُغنـى الثـراء عُن الفتى
إذا حشرجتْ يومـا وضـاق بها الصدرُ
وإنـىَ لا آلـو بمالـى صنـيـعـةً
فأولُـه زادٌ وآخـره ذخـرُ
يُفـكُ به العـانى ويُؤكـلُ طيّبـاً
ومـا إن تعـرتـه القـداحُ(١) ولا الخمـرُ

■■ أمـا علاقتى بأبنـاء عمـومتى وأهلى، فلست باغيا عليهم ولا متسلطا.. لا الغنى يزدهينى ولا الفقر يستذلنى.

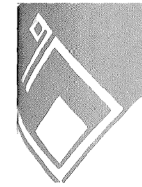
ولا أظـلـم ابـن العم إن كان إخـوتى
شهـودا وقـد أودى بإخـوتـه الـدهـرُ
فما زادنـا بغـيـاً على ذى قرابـةٍ
غنـانـا ولا أزرى بأحسـابِنـا الفقـرُ

■ وقلت لك إنى أحمى جارى وأحفظ وده وأصون عرضه سواء أكان حاضراً أم غائبا.. فلا أنظر اليهم ولا أتجسس عليهم أو أسترق السمع لما يقولون.. فأنا عف العين والأذن واليد واللسان:

ومـا ضرَّ جاراً يا ابنة القوم فاعلمى
يجاورنـى ألّا يكـونَ له سترُ
بعـيـنـى عن جارات قومـى غفـلةٌ
وفى السمـعِ منهم عن حديثِهم وقـرُ

حبيبتى ماوية :

لا تظنى أننى أدعى ما ليس من شيمتى فلست متكلفاً ولا مصطنعا، ولكنها فطرتى وما جاءت عليه تربيتى وتنشئتى.. رضعت الكرم من أمى غنية بنت عفيف بن عمر بن عدى.. فقد كانت فى منزلة رفيعة من الجود ومكارم الأخلاق لا تدخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه.. وقد كان لفيض عطفها وكرمها أن حجر عليها اخوتها مدة ومنعوها مالها. ثم أعطوها صرمة من الابل فجاءت اليها امرأة من هوازن تسألها فقالت: دونك الصرمة فخذيها، فو الله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا وقالت:

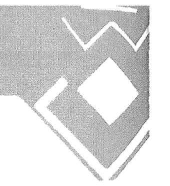


عمرى لقدماً عضّنى الجوعُ عضّةً
فآليتُ ألا أمنـع الـدهـر جائعـا
فقـولا لهذا الـلائـمى اليـوم أعفنى
فإن أنت لم تفعـلْ فعُضّ الأصـابِعـا
فماذا عليكـم أن تقـولـوا لأختـكـم
سوى عذلكم أو عذل من كان مانعـا
ومـا إن ترون الـيـوم إلا طبـائـعـا
فكـيف بتركـى يا ابـن أم الطبـائعـا

■■ وتـذكرى يا ماوية أننى نشأت فى كنف جدى سعد بن الحشرج بعد أن هلك أبى وأنا صغير، ولما ترعرعت جعلت أخرج طعامى فإن وجدت من يأكل معى أكلت وإن لم أجد طرحته. فلما رأى ذلك جدى وخاف أن يهلك ماله قال لى: الحق بالابل، ووهب لى جارية وفرساً وفلوها(٢). . فلما أتيت الابل طفقت أبغى الناس فلا أجدهم وآتى الطريق فلا أجد عليه أحـدا فبينـا أنا كذلك إذ مربى عبيد بن الأبرص، وبشـر بن أبى حازم، والنـابغـة الـذبيانى يريدون النعمان بن المنذر فسألونى القرى فنحرت لهم ثلاثة من الابل فقالوا فى أشعاراً مدحونى بها فقلت لهم: أردت أن أحسن اليكم فصار لكم الفضل على وأنا أعـاهد الله لئن لم تقوموا اليها فتقتسموها لأضربن عراقيبها عن آخرها. فاقتسموا الابل جميعا فأصاب كل واحـد منهم تسعـة وتسعـين بعـيرا ومضـوا الى سفرهم الى النعمان.

ثم سمع جدى سعد بن الحشرج بما فعلت فقال: أين الابل؟ فقلت: طوقتك بها طوق الحمامة ماجد الـدهـر وكـر مالا يزال الـرجل يحمل شعرا أثنى به علينا. فقال لى جدى: أباء بلى فعلت ذلك؟ قلت: نعم، فقال: والله لا أساكنكم أبدا. . فخرج جدى بأهله وتركنى ومعى جاريتى وفرسى فقلت وقد أسمعته:







وإنى لعفُّ الفقر مُشتركُ الغنى
وتاركُ شكلٍ لا يوافقهُ شكلى
وشكلى شكلٌ لا يقوم بمثله
من الناس إلا كلُّ ذى نيقة(٣) مثلى
وأجعل مالى دون عرضى جنة
لنفسى وأستغنى بما كان من فضل
وما ضرّنى أن سار سعد بأهله
وأفردنى فى الدارليس معى أهلى
ولى مع بذل المال والمجد صولةٌ
إذا الحربُ أبدت عن نواجذها العصل(٤)

حبيبتى ماوية :

هذه هى طبيعتى وخليقتى عرفنى بها أهلى وجيرانى ومن سمعوا بى . . فلماذا إذن قبلت الزواج منى وقد عرفتنى عندما خطبتك؟ هل تريدين منى أن أتكلف أخلاقاً ترضين عنها ولا يرضى عنها الله والناس؟ هل تريدين منى أن أزيف على نفسى فأصطنع من السلوك ما أسترضيك به ولو كان فيه ما يسىء الى كرامتى وعزة نفسى ومقامى بين أهلى؟ أو لوكان فيه إضاعة لحق ضيف أو طارق محروب؟ ليس ذلك الخلق مما يزين الرجال فضلا عن النساء؛ ومع ذلك فإننى نبهتك وقلت لك :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه
يدعه ويغلبه على النفس خيمُها

■ إذن أو لم يأن لك أن ترجعى الى الحق فترجعى باب الخباء كما كان فأعود الى دارى وقد رأيت كيف خذ لك ابن عمك ما لك فلم يقر الضيوف الذين نزلوا بساحتك وتهرب قائلا : هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما فيه .

ارجعى الى الحق يا ماوية . . ارجعى الى خلقى فهى الخلق :

فأقسمتُ لا أسرى الى سرّ جارة
يد الدهر ما دام الحمام يُغرّد
ولا أشترى مالاً بغدر علمتُه
ألا كلُّ مال خالط الغدر أنكرُ
إذا كان بعضُ المال ربّاً لأهله
فإنى بحمد الله مالى مُعبّدُ
يُفكُّ به العانى ويُؤكلُ طيّباً
ويعطى إذا ضنّ البخيلُ المصردُ

---

(١) القداح : قداح الخمر
(٢) الفلو بالكسر : المهد إذا عظم
(٣) نيقة : شرف عال، العصل : الناب الشديد لا اعوجاج فيها .

الأصالة والمعاصرة في شعر



محمد بن علي السنوسي

١٣٤٢هـ - ١٤٠٧هـ

ملامح :

رابح لطفي جمعة

مصر

يعد الاستاذ محمد بن على السنوسى واحداً من أبـرز شعـراء المملكـة العـربية السعودية المعـاصرين وقد أطلقت عليه مجلة المنهل التى كان ينشر فيها قصائده منذ أوائل العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجرى لقب «شاعر الجنوب» فقد ولد فى جيزان سنة ١٣٤٣هـ ودرس على يد الشيخ على بن أحمد عيسى كما تتلمذ على يد والده القاضى الشاعر على بن محمد السنوسى وعلى يد الشيخ عقيل بن احمد حنين، وعكف على مكتبـة أبيـة الـزاخرة بكتب الأدب والشعر والتـاريـخ فقـرأ ونهـل واستـوعب، ولذلك فهو يعد من الشعـراء المثقفين لكثرة قراءاته وسعة اطلاعه على فنون الأدب والفكر. وقد حاز ميدالية تكريم ذهبية من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وهو أول شاعر سعودى معاصر يترجم شعره الى لغة أجنبية.

وللسنـوسى خمسـة دواوين شعـرية هى «**القلائد**» و«**الأزاهـير**» و«**الأغاريد**» و«**الينابيع**» و«**نفحات من الجنوب**»، وتمثل إنتاج الشاعر خلال ربع قرن من الـزمـان وقد صدرت هذه الدواوين فى مجموعة الأعمال الشعرية الكاملة له عن نادى جيزان الأدبى، والى جانب هذه المجمـوعـات الشعرية فللسنوسى أيضا كتاب «مع الشعراء»، دراسات وخواطر أدبية، كما اشترك مع محمد بن احمد العقيلى فى كتاب «شعراء من الجنوب» وهو مختارات شعرية من شعراء الجنوب ومنهم والده القاضى على بن محمد السنوسى شيخ شعراء جيزان. هذا علاوة على ما ينشره السنوسى من قصـائد فى مجلة المنهل والفيصل والمجلة العربية وغيرها من الصحف والمجلات العربية.

[دراسات عن شعر السنوسى]

وقد كتبت عن السنوسى وشعره دراسات وبحوث عديدة نذكر منها مقال الدكتور يوسف نوفل «**التكرار ودلالته الفنية فى الشعر السعودى**» والمنشور بمجلة الفيصل ومقال أمين أمين بدر «**مصر العربية فى قلائد السنوسى**» المنشور بالمجلة العربية، ومقال الدكتور حسن بن فهد الهويمل «الحس الاسلامى فى شعر الطبيعة السعودى» المنشور بالفيصل أيضا ومقال الدكتور محمود شاكر سعيد «الشخصيات التراثية فى شعر السنوسى المنشور بمجلة المنهل، ومقال عبد الباسط احمد على حموده عن «الشعر الاسلامى فى الأعمال الكاملة لمحمد على السنوسى» والمنشور بمجلة المنهل ايضا ومقال الدكتور الشيخ الطاهر حسين عن «فيفاء فى شعر السنوسى» شذرات من حياته وشعره والمنشور بالمجلة العربية ومقال الدكتور يوسف نوفل «محمد بن على السنوسى وديوانه الينابيع» المنشور بمجلة الفيصل ومقال على محمد العمير المعنون «السنوسى يا شاعرا لا تفق» تعليقا على قصيدة السنوسى «إفاقة» والمنشور بالمجلة العربية وغير ذلك من المقالات والدراسات الأدبية والنقدية التى تناولت شعر السنوسى من جوانب مختلفة وزوايا متعددة.

إلا أننا مع تقديرنا لهذه الدراسات والبحوث فإننا نقول مع الاستاذ عبد الباسط أحمد حموده إن الشاعر محمد بن على السنوسى لم يكشف النقاب بعد عن خصائص ومميزات شعره، فلا يزال شعره بكراً يحتاج الى دراسات متعددة توضح فكر الرجل ووضوح الرؤية عنده وعمق ثقافته العربية والاسلامية واتجاهاته الاجتماعية والانسانية.

وإذا كان لنا أن نسهم ولو بجهد ضئيل فى إلقاء بعض الأضواء على شعر محمد بن على السنوسى فاننا نكتب هذه الصفحات عن الأصالة والحداثة فى شعر السنوسى، ذلك أن الظاهرة الواضحة عند شاعرنا الكبير هى أن شعره قد جمع بين الأصالة والحداثة فى آن واحد، فالأصالة والحداثة تكاد تنتظم جميع شعره سواء فى ذلك شعره فى الحب والغزل والجمال أو فى الوطن الصغير أو الوطن العربى والاسلامى الكبير أو فى الدين والعقيدة أو غير ذلك من الأغراض.

[معادلة صعبة]

ونبادر الى القول بأن الجمع بين الأصالة والعراقة وبين الحداثة والمعاصرة ليس بالأمر السهل الهين وليس هو فى مقدور كل أديب أو شاعر، ذلك أن الملاحظ أن الشاعر إما أن يتجه فى أدبه بالكلية الى الأصالة فينهل من التراث ويعزف عن الحداثة، وإما أن يجنح بالكلية إلى الحداثة والتجديد وينأى بجانبه عن الاصالة ولكن شاعرنا السنوسى استطاع بمقدرة وذكاء أن يوائم بين الاصالة والحداثة وأن يزاوج بينهما فى نسق بديع واحكام للصناعة الشعرية مع الاستجابة فى الوقت نفسه لروح العصر ومتغيراته فوفق فى ذلك توفيقا كبيراً.

فالأصالة هى أشد أنواع الانتماء الانسانى فى حين أن المعاصرة هى مواجهة العصر بكل متغيراته وعند هذين الاتجاهين اختلفت مذاهب الأدباء والشعراء العرب، فذهب البعض الى أنه يجب أن نرفض كل ما ورد فى التراث بدعوى أننا يجب أن ندخل العصر ونندمج فيه فينبغى أن نطرح جانباً كل ما يشدنا الى الماضى فى حين ذهب آخرون الى رفض المعاصرة جملة وتفصيلا وأنه يجب علينا أن نتمسك بتراثنا وأصالتنا وعراقتنا العربية والاسلامية بينما توسط فريق ثالث وزاوج بين الأصالة والمعاصرة وأخذ من كل بقدر.

والواقع أن الذين يدعون الى المعاصرة يغالون أشد المغالات فى دعوتهم فيؤمنون بالولاء للغرب والانتماء الى الاتجاهات الغربية بكل أصنافها فى العلم والأدب والفنون، أما الذين يدعون الى الأصالة ويتمسكون بالتراث فهم أيضا مغالون لأن الانسان لا يستطيع أن يكون معاصراً وهو يعيش فى زوايا الماضى.

ومن هنا كان التوسط بين الأمرين هو المخرج الوحيد من هذا الصراع بين الاصالة والمعاصرة والملاحظ أن الحضارة الاوربية والمدنية الغربية تأخذ قوتها من المعاصرة فقط مهملة بقية الجوانب المعنوية والروحية فى حين أن الحضارة الاسلامية العربية تستمد قوتها من المواءمة المتعادلة والمتوازنة بين حاجات الروح وحاجات الحياة فليس بالخبز وحده يحيا الانسان ولكى يعيش الانسان معاصرا لعصره لابد أن يتطلع الى آفاق الماضى فالتراث والمعاصرة إذن لا تناقض بينهما إذ هما وجهان لعملة واحدة ويجب التفاعل بينهما فإذا تمسكنا بفكرنا العربى والاسلامى وحرصنا على لغتنا العربية وطورناها وطوعناها لمتغيرات العصر ومتطلباته استطعنا أن نحقق ولاءنا لأصالتنا وعراقتنا واستطعنا فى الوقت ذاته أن نعيش عصرنا وننفتح على العالم ونواكب الأحداث من حولنا.

هذه المعادلة الصعبة وتلك المواءمة أو المزاوجة العسيرة استطاع شاعرنا محمد بن على السنوسى أن يقدمها لنا فيما طرحه من أعمال شعرية فى مختلف الأغراض.

وقد أكد السنوسى على هذه المعادلة وتلك المواءمة فى لقاء أجرته معه مجلة الفيصل فقال «إن الشاعر العربى لا يكتب من فراغ ولا ينطلق من فراغ، بل هو مرتبط بالماضى الأصيل من تراثه الأدبى وقيمه الفنية، وأنا انطلق فى تجربتى



الشعرية فنا وأصولا من ماضى الأصيل وأعبر معنى ومضموناً وعاطفة عن عصريتى بكل مفاهيمها ومضامينها وزاد هذا المعنى تأكيدا عندما سئل عن معنى الحداثة عنده هل هى شكل أم هى التحام الشكل بالمضمون؟، فقال «إن الحداثة عندى هى الأصالة التعبيرية والصوره الفنية مع الحداثة فى المعانى والمضامين والتزام قوالب الشعر وأصوله فى الشكل ولا تعنى الحداثة التنكر للتراث الأدبى لأمتى والانجراف مع التيارات والأخذ بالموضات الجديدة لكى أتظاهر بأننى من اصحاب التجديد فالتجديد فى نظرى والحداثة يكونان الأسلوب والديباجة العربية الاصيلة والمضامين الاجتماعية والفكرية».

[تحقيق المواءمة بين الأصالة والمعاصرة]

من منطلق هذه النظرة الى الأصالة والحداثة والمواءمة بينهما ـ استطاع السنوسى أن يعكس حياة المجتمع العربى والاسلامى من حوله بالأداء القومى والوطنى والاجتماعى بالقدر الذى استطاع به أن يعكس حياته هو بالأداء الذاتى أو العاطفى.

فليس غريباً إذن أن يوضح السنوسى منهجه وأسلوبه فى الشعر فيقول لدعاة الشعر الحر والشعر المنثور:

لا العسود عودى ولا الأوتسار أوتسارى
ولا أغساريسدكسم من شدو أطيسارى
ماذا تقسولسون؟ تجديسد . . لقسد هزلت
وسسامسهسا كل مهسذار وثسرثسار
الشعسر هنسدسسة كبرى تكساد ترى
فى النسسج واللفسظ منسه روح فرجسار
والسوزن للشعسر روح وهى إن فقدت
أضسحسى جماداً بلا حس كأحسجسار
قصسيسدة النثسر مثسل المشى جامسدة
والشعسر كالسرقص فى سيقسان أبكسار

[أدوات الشاعر فى تحقيق المواءمة بين الأصالة والمعاصرة]

وقد تمكن السنوسى من تحقيق منهجه فى الشعر فوفق فى تحقيق المواءمة بين الأصالة والمعاصرة بما أوتيه كشاعر موهوب من رهافة الاحساس وقوة الخيال وسرعة الاستجابة للمؤثرات الجمالية وتوقد العقل وتوهج الوجدان وخصوبة التجربة العاطفية وسعة المعرفة وتنوع المكونات الثقافية نتيجة لقراءاته العديدة واطلاعاته الواسعة ومقدرته على الابداع والابتكار والرؤية الشفافة والنافذة الى بواطن الأمور والأشياء، يضاف الى ذلك حرصه على سلامة التراكيب اللغوية وسعة معجمه الشعرى وصحة عبارته ورصانة لغته وعذوبة الفاظه وغيرها بالجزالة والطلاوة، وقد استلهم التاريخ وأحداثه واستلهم تراث أمته وشخصياتها التراثية وبطولاتها الخالدة فيما نظم من أشعار، بالقدر الذى استوحى به ألوان المعاصرة وأحداث العصر بكل ما يضطرب فيه من المتناقضات والصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأيدلوجية.

■ فهو مولع بالأمة العربية والاسلامية من مشرقها الى مغربها منفعل بأحداثها فى الماضى والحاضر، يطرب لكفاحها وانتصاراتها ويأسى لانتكاساتها وجراحاتها، ويعبر بصادق إحساسه عن أعمق مشاعرها وهواجسها سواء فى الشام أو العراق أو المغرب الأقصى أو الخليج العربى أو مصر أو السودان أو الجزائر أو فلسطين.

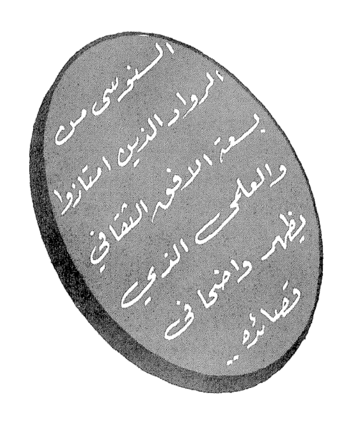
■ فهو مثلا عندما يذكر بعض الشخصيات العربية الاسلامية فى شعره ويدعو الأجيال المعاصرة الى أن تقتفى آثارها وتحتذى على منوالها وأن تأخذ بالحاضر لأن «الحاضر اليوم أوسع» إنما يؤكد ارتباط الماضى بالحاضر والتحام الواقع المعاش بالتاريخ والأصالة بالمعاصرة فهو يضع هذه الشخصيات التاريخية كنماذج تحتذى ويقتدى بها ويؤكد على أن مجرد الوقوف عند الماضى واجتراره لا يفيد ويقول:

وما الفخسر بالماضى إذا لم يكن له
من الحساضسر السزاهى بنساء مرفسع

وفى المقابل عندما يدعو السنوسى الى الأخذ بأسباب الحضارة المعاصرة والمدنية الحديثة، يزرى على العرب والمسلمين أخذهم المساوىء عن الغرب والعزوف عن تقليدهم فى العلم والتكنولوجيا:

نقسلد السغسرب إلحساداً وزنسدقسة
ومسن تحلله نجسنسى ونسشستسار
ولا نقسلده علماً وتسقسنسيسة
ولا انطسلاقسأ له نفسع وإثسار

ومن ناحية أخرى لا يعتبر السنوسى الصواريخ وغزو الفضاء والأقمار الصناعية والقنابل والأفران الذرية دليلا على الحضارة والتمدين بالرغم من إيمانه بالعلم ولكن بشرط أن يكون فى خدمة البشرية ونفعها وخيرها:



ليس الحضارة صاروخا وقنبلة
ولا التمدن أقمارا وأفرانا
إن الحضارة أسماها وأرفعها
أن تحسن المشى فوق الأرض إنسانا
آمنت بالعلم إصلاحا ومنفعة
وقد كفرت به ظلما وطغيانا
أجله آية للخير صانعة
وأزدريه سلاحاً جل أوهانا

والسنوسى فى غزلياته وقصائده العاطفية أبعد ما يكون عن ميوعة العاطفة والابتذال فى التعبير عن عاطفته والمبالغة فى وصف اللذائذ الحسية والمغالاة فى الأوصاف المادية وإنما يتمسك بأصالته العربية والاسلامية ويحرص على روح الاسلام وقيمه وأخلاقه ومثله العليا كما نجد فى قصيدته «ماء ونار» وقصيدته «كيف أسلوك» وغيرهما من الشعر الوجدانى.

وجملة القول ان السنوسى وإن كان من مدرسة المحافظين الذين ينهجون فى شعرهم النهج التقليدى الرصين ويلتزمون بالأصول الفنية للشعر العربى الأصيل، إلا أنه فى معانيه وأغراضه وأخيلته ومضامينه يجنح الى الحداثة والمعاصرة ويرى أن اللغة العربية قادرة على أن تستوعب حضارة العصر ومتغيراته وأن تهضم كل جديد وطريف مع الحفاظ على أصالتها وعراقتها ويقول عنها:

لغة تهضم اللغات وتجرى
طلقا فى جليلها والدقيق
هاتها فى طرائق وأسالي
ب كرام من الجديد العتيق

ومع ذلك لا يأنف السنوسى أن يستعمل فى شعره بعض الألفاظ المحدثة «كالرادار» و«القطار» و«التاكسى» و«الصاروخ» و«القنبلة» فيقول من قصيدة ثانى اثنين:

هذا سراقة قد جنت مطامعه
حسا ونفسا وجسما فهو «رادار»

● **ومن قصيدة يفخر فيها بالتقدم والتطور الذى شهدته المملكة فى عهد آل سعود يقول:**
اى وربى لم يركب «التاكسى» هارو
ن ولا سار فى «القطار» الوليد

وبعد...

فهذه بعض ملامح الأصالة والحداثة فى شعر شاعرنا الكبير الاستاذ محمد بن على السنوسى والتى تكاد تنتظم جميع أشعاره سواء فى ذلك اسلامياته وغزلياته ومدائحه ووصفه ورثائه وشعره الوطنى والقومى وتأملاته الفلسفية، ديباجة عربية أصيلة مشرقة وأسلوب جزل رصين، ومضامين اجتماعية وفكرية معاصرة واستجابة ذكية لروح العصر ومتغيراته وإحكام للرابطة بين الماضى والحاضر والقديم والجديد والتراث والحديث.. رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته.

الزمخشري ١٣٣٢هـ - ١٤٠٧هـ

فقيد الشعر والكلمة



فتحي الدويك
فلسطين



[لقاء]

كنت قد عرفت الشاعر طاهر زمخشرى من خلال دواوينه والقصائد التى قرأتها له فى الصحف والمجلات. . واتصلت بالاستاذ الزمخشرى بالرياض. . ولما حان موعدنا وصلت المنزل وجلست أنتظره فى غرفة الجلوس وتم إخباره بوصولي. . فتح الباب ودخل الرجل يمشى ببطء مستعيناً بعكازه، وكان يبدو عليه التعب وقد ترك مرض الكلى اللعين بصماته على وجهه.

أخذ يحدثنى عن مرضه. . وعن شعوره بالسعادة لأن الكثيرين من اصدقائه قد زاروه خلال إقامته بالمستشفى. . وأن هذا قد كشف له عن مدى حب الناس المتعاظم وتقديرهم له. . وأن الانسان دائماً بحاجة لمشاركة الناس له ومشاركته لهم فى الحياة إلا أن هذه الحاجة تزداد فى حالة المرض والمصيبة وحالة الفرح.

ثم تطرق الحديث بيننا الى الشعر وما أنتجه وكتب فيه وعن دواوينه فقال: «من المفروض أن اقدم لك مجموعتين من شعرى وهما النيل والخضراء حيث اننى أحضر فى كل مرة أعداداً منها ولكن يبدو أنه لا يوجد منها شيء الآن».

ثم دار الحديث مرة اخرى حول الشعر والشعراء السعوديين الرواد الكبار وما قدمه هؤلاء وغيرهم لاثراء النهضة الأدبية بعامة والشعرية بخاصة فى المملكة. . كذلك امتدح شعر عدد من الشعراء الشبان

وسألته أخيرا: حول شعراء المقاومة وهل قرأ لهم ومن يعجبه منهم؟ فأجاب: بأنه قرأ لمحمود درويش. . وسميح القاسم. . وفدوى طوقان. . وقد أعجب بشعرهم كلون يعبر عن قضية يؤمن بها هؤلاء ويدافعون عنها.

■■ رحم الله طاهر زمخشرى ذلك الشاعر المتعدد المواهب والانتاج الغزير. . ولقد رثاه العديد من شعراء هذا البلد اعترافاً بجبهم له وبفضله فى الادب واعتزازا بحبه لهذا البلد، ونجتزىء من قصيدة «دفتر العدم» للشاعر عبد

الرحمن العشماوى هذه الابيات :

أمـا ترى طاهـر الخضـراء كيف مضى
كأنــه ما مشـى يومـا على قدم
يا كومـة الـفحـم نور الحب مؤتلق
قد يخرج النـورُ من بوابـة الـفحـم
ما قيمـةُ النـاس إلا فى مشـاعـرهم
وفى ترفـعـهـم عن موطن التـهـم.

[حياته . . وعمله الاعلامي والصحافى]

●● *ولد شاعرنا فى مدينة مكة المكرمة - كما اعلن بنفسه - يوم الخميس ٢٧ رجب ١٣٣٢هـ . . وتوفى يوم الجمعة ٢ شوال ١٤٠٧هـ/ المـوافق ٢٩ مايـو ١٩٨٧م . . ودفن بمقابر المعلاة فى مسقط رأسه مدينة مكة .*

ولمعرفة *عطائه وانتاجه فلابد من العودة الى الوراء لتتبع حياته العملية فى البداية ثم معرفة انتاجه الادبى . . فلقد تخرج شاعرنا من مدرسة الفلاح عام ١٣٤٩هـ بمكة - تلك المدرسة التى أدت دوراً رائداً فى حقل التعليم فى المملكة مع بداية العهد السعودى . . وقد تزوج بعد تخرجه من المدرسة ثم فجع بوفاة زوجته بعد مرضها وبعد أن تركت له بنات ثلاثاً وأبناً واحداً هو الدكتور فؤاد وقد بقى يعيش على ذكرى زوجته وحبه لها ولم يتزوج بغيرها وقد رثاها بأشجى الشعر وآله .*

[حياتـه العملية]

تقلب الزمخشرى فى وظائف عديـدة . . وفى مجال الاذاعـة والتلفـزيـون قدم برامج هادفة متعددة وتولى - كذلـك - رئـاسة تحرير «صحيفة البلاد» لمدة سنة عندما صدرت من مدينـة جدة . . كما كان اول معلق رياضى على مباريات كرة القدم . . كذلك فقد كتب على مدى يزيـد على الخمسـين عامـاً فى الصحف المحليـة والخارجية . . وكذا المجلات ذات الاثر والقيمة .

■ كان يقـدم فى الاذاعـة برنـامج الاطفال فدعى **«بابا طاهر»** . . ولقد قدم من خلال هذا البرنامج العديد من المواهب التى أصبحت فيها بعد من أرباب القلم والفكر والوظائف الكبرى . . . كذلك فإنه نتيجة للنجاح الكبير الذى لقيه هذا البرنامج فإنه فكر فى إصدار مجلة مطبوعة للاطفال وحصل على رخصة وأخذ يصدرها فى مدينة جدة باسم «الروضة» فى عام ١٩٥٩م/ ١٣٧٩/هـ - وكانت بذلك أول مجلة فى هذا المجال . . وظلت تصدر اسبوعياً لمدة أربع سنوات حتى توقفت فى عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م لأسباب مادية وشخصية . . الى جانب ما كتبه للاطفال من عديد الأغانى والأناشيد التى قاموا بغنائها وإنشادها .

[حياته الأدبية والشعرية]

ينتمى طاهر زمخشرى الى شعراء الجيل الثانى(١) من شعراء المملكة العربية السعودية وهم الذين ولدوا ما بين عامى ١٣٣٥-١٣٥٠هـ وقليل منهم ولد قبل او بعد هذه الفترة(٢) ويمتاز شعر هؤلاء بأنه أجود ما قيل من الشعر حتى الآن فى هذه البلاد في تنوع موضوعاته وصياغته . . وتأثره بحركـات التجـديـد فى البـلاد العربية . . وكثرة الشعر(٣) وغزارته .

والنـاظـر والمتـابع للنهضة التي شملت المملكة منذ توحيـدها علي يد مؤسسها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود - ومازالت مستمرة - يرى انها قد شملت كافـة نواحي الحياة ومن هذه النواحي الأدب الذى كان يشهد فترة ركود طويلة قبل ذلك العهد .

واهتمام الدولة بالادب والتعليم جعلهم - شعراء هذا الجيل - يقرأون ويكتبون ويتواصلون مع أدباء العرب فى الخارج - وخاصة مصر عن طريق الصحف والمجلات - كما أنهم ظهروا فى كافة انحاء المملكة شرقها ونجدها وحجازها وجنوبها، وقد تنوعت ثقافاتهم . . كما أثرت فى أشعارهم نكبـة فلسطين عام ١٩٤٨م فغلب على شعرهم طابع الحماس والوطنية وقصائد خاصة بهذه النكبة .

■ وشعر الزمخشرى غزير . . وليست فيه ألفاظ غريبة تحتاج الى قاموس بل سهلة واضحة تتميز بالسلاسة والرقة . . كما ان موسيقاه رقيقة ناعمة حتى ان الكثير من قصائده غناها الفنانون كما سبق وأشرنا .

■■ كما أنه من (الشعراء الذين استطاعوا ان يضيفوا الى الشعر الحديث ثروة قيمة. . واستطاع ان يجعل للشعر السعودى صدى فى جوانب العالم العربى مع فريق من زملائه كالعطار وسرحان والانصارى وغيرهم(٤). . كذلك يعتبره الاستاذ احمد عبد الغفور عطار من بناة الادب الحديث فى الحجاز خاصة والسعودية عامة(٥).

[مؤلفاته ودواوينه]

كما قلنا فإن انتاجه كان غزيراً ومتنوعاً ما بين نثر وشعر فقد صدر له حتى وفاته فى مجال الشعر عشرون ديواناً كانت كالتالى:

[١] أحلام الربيع صدر عام ١٩٤٦م [٢] همسات [٣] انفاس الربيع ١٩٥٥ [٤] أغاريد الصحراء ١٩٥٧ [٥] على الضفاف ١٩٦١ [٦] عودة الغريب ١٩٦٣

«وقد أصدرت دار تهامة للنشر هذه الدواوين ضمن (مجموعة النيل) فى عام ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ».

[٧] الافق الاخضر ١٩٧٠ [٨] الشراع الرفاف ١٩٧٤ [٩] معازف الاشجان ١٩٧٥ [١٠] حقيبة الذكريات [١١] نافذة على القمر ١٩٧٩ [١٢] عبير الذكريات ١٩٨٠

«كذلك اصدرت تهامة هذه الدواوين ضمن مجموعة الخضراء فى عام ١٤٩٢هـ/ ١٩٨٢م»

[١٣] من الخيام [١٤] أصداء الرابية [١٥] ألحان مغترب [١٦] لبيك [١٧] حبيبتى على القمر ـ ديوان شعر حديث [١٨] الأفق الاخضر [١٩] حطام قيثارة [٢٠] جدة عروس البحر ١٤٠٧هـ وهو آخر ما صدر له من دواوين وقد جمع فيه ما نظم من قصائد منثورة فى دواوينه السابقة عن جدة.

[٢١] وكان قد أصدر أيضاً مسرحية شعرية بعنوان «غرام ولادة».

هذا وكان طاهر زمخشرى يخطط لاصدار شعره الذى نظمه فى لبنان ضمن مجموعة باسم «مجموعة الأرز».



أما فى مجال النثر فقد صدرت له كتب ثلاثة هى:

(١) المهرجان: وهو مجموعة من القصائد والمقالات بأقلام عدد من الادباء والشعراء فى المملكة كتبت ونظمت تحية لجلالة المرحوم الملك فيصل ـ وكان يومها أميراً ـ بمناسبة عودته الى الوطن من أول زيارة قام بها للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

(٢) مع الأصيل: وهو مجموعة من التأملات والدراسات النفسية.

(٣) العين بحر: وهو بحث يتضمن ما قاله عدد من الشعراء فى العين.

■■ كذلك فان هناك كتباً أخرى لم تصدر وكانت جاهزة للطبع هى:

١ ـ ليالى ابن الرومى: وهو دراسة عن حياة هذا الشاعر وبيئته التى عاش فيها ولشعره ـ مع نماذج من هذا الشعر فى اغراض مختلفة.

٢ ـ قصص اجتماعية قصيرة بعنوان «على هامش الحياة».

٣ ـ دواوين شعرية هى: أغاريد الروضة. . رباعيات الخضراء. . رمضان كريم. . ومن الشعر الحديث «قيثارة النسيان».

كما كان لديه فى المستشفى أربعة دواوين شعرية يقوم بعملية تنقيحها وتهذيبها استعداداً لطباعتها. ولا ندرى إن كانت هى المذكورة اعلاه ـ ضمن التى لم تصدر ـ أم غيرها.

[تكريمه في المملكة وتونس]

عندما أنشأت حكومة المملكة جائزة الدولة التقديرية في الادب لكى تمنح كل عام لثلاثة من الادباء السعوديين ـ فقد منحته إياها الى جانب صاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل والاستاذ احمد عبد الغفور عطار وتسلم الجائزة فى احتفال كبير من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ـ في عام ١٤٠٥هـ وهو العام الثانى للجائزة التى كانت قمة الرعاية والتكريم. وقد كان الزمخشرى يقول «أعتبر ان الجائزة التى منحت لى قد أعطتنى الغنى بعد الفقر والعز بعد الذل»(٦).

كذلك فإن تكريمه فى المملكة لم يتوقف عند هذا الحد بل ان خادم الحرمين الشريفين قد أمر بأن يكون علاجه على حسابه الخاص، فسافر فى رحلات علاجية الى بريطانيا وأمريكا وكذلك عولج فى المستشفى التخصصى بالرياض وغيره.

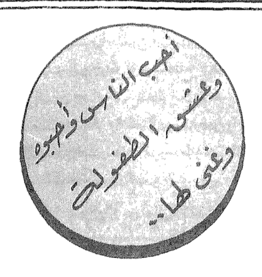
وكان الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة قد منحه فى عام ١٩٦٦م وسام الاستقلال من الدرجة الثالثة عندما ألقى قصيدة فى ذكرى ميلاد الرئيس، يقول مطلعها(٧):

طفت بالشوق فى خضم الوجود
والمجاديف فرحتى ونشيدى
فأنا بالهوى وفى الأفق الأخضر
أهفو لأملى المنشود
كى أراها كما يقول فتاها
وهو يشدو لحسنها المعهود
كلها تأخذ المسرة منه
رجع ناى وخفق قلب ودود

■ وكان الوسام الثانى الذى منح له هو وسام الثقافة الثانى فى عام ١٩٧٤م. كما كرمته تونس بعد وفاته ايضاً بتسمية احد شوارع العاصمة باسم «زنقة بابا طاهر».

[أغراضه الشعرية]

لقد تعددت الاغراض الشعرية التى نظم فيها الزمخشرى أشعاره حيث نجد لديه شعر المناسبات والمديح



والشعر الغزلى العاطفى.. والرثاء والشعر الدينى والقومى. فالشعر بالنسبة له.. هو لسان لمن أراد فصاحة.. والشاعر بها يعطى بنبضه ووفق أحاسيسه يصور الحياة(٨) كما ان لديه ملكة شعرية كبيرة وكانت القوافى تطيعه(٩)

أولا: شعره العاطفى الغزلى:

الغزل جزء كبير من شعره ومن الملاحظ أنه إذا تمت غربلة هذا الشعر فإننا نجد نصفه قصائد عاطفية موضوعها الحب وهو فى هذا متأثر جدا بعمر بن ابى ربيعة.. ومذهب البهاء زهير سواء فى الحوار التمثيلى ام فى السهولة والغزل(١٠).. كذلك تأثر الى جانب ذلك بشعراء المهجر من امثال ايليا ابى ماضى.. والأخطل الصغير.. والشاعر القروى. وبشعراء مدرسة أبو للو.. ومدرسة الديوان وشعرائها الوجدانيين الرومانسيين كأبى القاسم الشابى.. وابراهيم ناجى.

كما انه نظم قصائد فى الشعر الحديث «الحر» إلا أنها لم تكن سوى محاولات لم تصل الى مرتبة شعر الرواد فى الشرق العربى كالسياب ونازك الملائكة وغيرهما.

■ فى قصيدة هيفاء (ديوان الافق الاخضر) يقول:

هيفاء يا من فوق أهدابها
قد رقص النور فأغرى العيون
بنظرة تغزو بإيماءة
قلب مُعَنًّى مُغْرَم بالفتون

■ ومن قصيدة ذات الرداء الأحمر (ديوان على الضفاف) يقول:

من خيوط الأصيل فى مغزل
الفتنة حاكت لها المحاسن ثوباً
وعلى نسجه المورد طاقات
شذاها الفواح يختال سحباً
وبأفوافه الفتون بشاشات
تهادت بها دلالا وعجباً

ثانيا: شعره فى الرثاء:

■■ اذا نظرنا الى الزمخشرى عندما يبكى فإنه يكون على حقيقة كما نجد شاعريته فياضة قوية(١١).. يترك نفسه على سجيتها(١٢)، وأنغامه عذبة وإن كانت حزينة، ولعل حزنها هو سر عذوبتها.. ورغم رنة الأسى والحزن التى لونت وصبغت حياته لفترة من الزمن بعد فقد زوجته فقد ظل يحمل الأمل والتفاؤل ويعيش عليهما.

وفى ذلك قوله من قصيدة سأعيش (ديوان انفاس الربيع):

سأعيش رغم الداء والأعداء
وأصول فى الدنيا بعزم إبائى
سأعيش لا أرضى المذلة هازماً
عنت الخطوب بهمة قعساء

■ الى ان يقول:

فإذا ترقبت الصباح فإنه
حتما سيطوى بالسنا ظلمائى
سأعيش أرتقب الصباح مغرداً
يا نفس لا تهنى فأنت عزائى

■■ ويؤكد هذه المعانى فى مقدمة ديوانه «همسات» فيقول:

«إن فى تضاعيفى وحنايا أضالعى أملا.. سوف لا تقوى الايام مهما قست وجارت أن تمحو إشراقه وتحرمنى بسمته الحزينة الكابية.

■ ولنرى الآن نماذج من شعره فى الرثاء.. فيقول عندما أخبره الطبيب بأن زوجته مريضة بالسل «من قصيدة صبراً»:

يقولون لى صبراً فقلت: وهل لها
سوى ذاك؟ إن الصبر بالحر أخلق

■ ثم وهى تلفظ أنفاسها «من قصيدة لا تخافى»:

ليس لى بعدك فى الدنيا بقاء
فاسلمى أو نسلم الروح سواء
أنت لى بعضٌ فوهمٌ أننى
أتخلى عنك يطويك الفناء

■■ وعندما أودعها مقرها الاخير وتفرق المشيعون وقف يذرف دمعه ويقول من قصيدة «يا ليالى»:

لو يعيد البكاء ميتاً لأغرقـ
ـت جفونى بدمعتى كى تعودى
أو يرد الفناء نفساً لساومـ
ـت وقدمت فى القبيل وجودى
بيد أنى وسدتك الترب قسراً
نحن من قبضة الردى فى قيود

■ والقصائد السابقة كلها من ديوان أنفاس الربيع:

كما انه يرثى زوج ابنته الكبرى سميرة بقوله (ديوان الشراع الرفاف):

يا خضم الآلام زورق أيامى
مغذ وموغل فى الذهاب
والشراع الرفاف كف الأمانى
نسجته فى مغزل من شراب
يتحدى الأسى اصطبارى فأجثو
فى طريقى وأحتمى باكتئابى

■ ويرثى الشهيد الملك فيصل رحمه الله بقوله (ديوان معازف الأشجان)

فيصل العرب قد أناب فآبا
للذى قدر المهات كتابا
فيد الغدر لم تصبه ولكن
أجل بالمنون كشر نابا

■ ويتحدث فيها عن ايادى وافعال الفيصل الخيرة:

ومن الحب كان يروى الحنايا
ومن الصفو يترع الأكوابا
كم سقانا من الصفاء فأروى
وهو أحلى ندى وأشهى شرابا



ثالثا : قصائده الدينية :

دواوين الزمخشرى لا يكاد يخلو واحد منها من قصيدة أو أكثر فيها الطابع الدينى والاعتراف امام الخالق بكثرة ذنوبه، ثم طلب الغفران والعفو منه سبحانه وتعالى فهو الغفور الرحيم. وهذه السمة الدينية هى التى تصبغ شعر شعرائنا الذين تحدثنا عنهم وهم شعراء الجيل الثانى فى المملكة.

يقول فى قصيدة «رباه» من ديوان أغاريد الصحراء:

رباه كفارتى عن كل مصيبة
أنى أتيت وملء النفس إيمان
أتيت أطرق باباً كل مُجْترم
أتاه يرجع عنه وهو جذلان
فاغفر وسامح وتب واصفح ففى كبدى
الاثم يصرخ والاحساس يقظان

■ ويقول فى قصيدة «دعاء السحر» من ديوان الشراع الرفاف:

يا باسط الرزق يا رباه خذ بيدى
فأنت بالعفو حنّان ومنّان
ولا تكلنى إلى حولى يغرر بى
فأنت بالطول يا الله حنان
فأغفر وسامح وزدنى بالرضا كرماً
فمن ظلالك للداعين أفنان

رابعا : قصائده فى فلسطين :

فى عام ١٩٤٨م ونتيجة لتآمر قوى الشر فى العالم وتواطؤها مع الصهيونية العالمية التى أصدرت لها بريطانيا وعد بلفور فى عام ١٩١٧ ومن ثم فرضت انتذابها على فلسطين تمهيدا لقيام دولة اسرائيل بعد طرد شعب فلسطين من أرضه وأرض آبائه وأجداده.

وقد كان لهذه النكبة تأثيرها على الأمة العربية والاسلامية عامة ورجال الفكر والادب والشعر بخاصة، ومنهم شعراء وادباء المملكة ـ لذلك فان الناظر فى دواوين الشعراء لابد وأن يرى اثر ذلك فيما نظموه من شعر تجاه هذه القضية وأصحابها وما يجب عمله لاعادة الحق لأصحابه.

وقد كان لشاعرنا إسهاماته فى عدد من دواوينه التى ضمنها بعض القصائد فى قضية فلسطين. . كما خص أحد دواوينه لهذه القضية ايضاً وهو ديوان «من الخيام» الذى يتحدث فى العديد من قصائده عن ثورة الشعب الفلسطينى المعاصرة التى انطلقت فى عام ١٩٦٥ واتخذت من الفداء والقتال طريقاً لاستعادة الحق المغتصب.

ومن النماذج التى نعرضها هنا قوله فى «قصيدة فى الخيام» وهى من ديوان «من الخيام»:

الجوع يصرخ فى البطون
والجرح ينزف فى العيون
واليتم حاضنه البنون
والبؤس يقتحم الحصون
والناس تُشْوَى فى أتون
وبكل أرض لاجـــــؤون

■■ وحول قرار التقسيم يقول فى «قصيدة صرخة مدوية» ديوان أنفاس الربيع:

ليس فى الأرض للذليل ديار
وفلسطين للعروبة دار
وقرار التقسيم أسود داج
وجلاء اليهود عنها نهار
فانصروا دينكم وزيدوا يقيناً
أن عقبى كفاحنا الانتصار

■■ كذلك يتحدث عما يقاسيه شعب فلسطين وضرورة تآزر الأمة فى سبيل إعادة الحق . . يقول من القصيدة التى سبقت الاشارة اليها والتى ألقاها امام الرئيس بورقيبة :

ففلسطين فى المتاهة تغنى
من حديث منمق ووعود
يأكل الجوع من كبود اليتامى
ويدق الشقاء عظم الوليد

■■ ثم يذكرأن هذه العودة تكون فى ظلال دين الله وراية الاسلام وبفضل القيادات الصادقة فيقول:

قد أجاب النداء فيها المجلى
«فيصل» مرهق وفرصح سعود
حارس البيت والمشاعر حاميها
وراع مظفر المجهود
وعلى اسم الإله طاب سرانا
ومنار الطريق صدق العهود

وحول انتصار العرب فى حربهم ضد العدو فى رمضان ١٣٩٣هـ اكتوبر ١٩٧٣م التى وقف فيها الجندى العربى المسلم يعيد للانسان العربى كرامته ورفعته يقول من «قصيدة يا ضمير الانسان ـ ديوان الشراع الرفاف» :

والسلام الاسلام وهو لواء
قد بسطنا من حوله الأيمانا
فإذا نحن أمة ترهف العزم
وتعطى بجده البرهانا
أخصبت فيه أرضنا فجنينا
والمحاصيل من جسوم عدانا

●● ويجدر بنا أن نذكر انه كانت فى حياة شاعرنا جوانب انسانية ملموسة ـ فهو انسان حساس رومانسى يصل الى درجة الشفافيه . . يحس بالضعف أمام دمعة اليتيم أو آهة المحتاج . . وقد ذاق مرارة الفقر فى حياته فلما أنعم الله عليه أخذ يرعى اكثر من خمسين يتيماً . . كما تبرع براتب كامل لطالب كان يرعاه فى بريطانيا . . أضف الى ذلك ان تبرع ذات يوم براتب التقاعد الخاص به لاحدى العائلات المحتاجة .

وأخيراً: نخرج من دراستنا بخلاصة : وهى ان الرومانسية فى حياته قد نبعت من أسباب وعوامل عديدةهى :

[١] معاناة المرض واضطراره للاغتراب عن الوطن من اجل العلاج فلقد عاش هذا الرجل حياته موزعاً بين عذاب المرض الذى أثر على صحته حتى كانت أمراض الكلى بآلامها الشديدة ثم المرض الذى أصابه وأخذ يتعالج منه لمدة تقارب السنوات الثلاث فاضطر للسفر الى الخارج (لدرجة أنه قد نظم ديواناً كاملاً هو «على الضفاف» خلال فترة علاجه فى مصر) . . ثم إصابته بمرض فى بصره كاد أن يعشيه .

[٢] معاناة فقد الأحبة ـ وهذا يتمثل فى مرض زوجته ثم وفاتها . . وكذلك وفاة زوج ابنته الكبرى .

[٣] شاعريته وحساسيته الزائدة .

[٤] ثقافته الواسعة .

[٥] اتصاله بالواقع بشتى همومه ومشاغله ومشاكله اليومية الوطنية والسياسية والاجتماعية والدينية والاسرية حيث نظم فيها جميعاً أحلى الشعر وأعذبه .

الهوامش

(١) يذكر الدكتور عبد الله الحامد فى كتابه «فى الشعر المعاصر فى المملكة العربية السعودية» منهم الشعراء: محمود عارف، أحمد قنديل، محمد حسن الفقى، حسين سراج، حسين سرحان، عبد الكريم الجهيمان، محمد على مغربى، محمد احمد العقيلى، محمد على السنوسى، محمد الفهد العيسى وغيرهم.

(٢،٣) د. عبد الله الحامد ـ فى الشعر المعاصر فى المملكة العربية السعودية

(٤) حسن كامل الصيرفى ـ مقدمة ديوان أحلام الربيع لطاهر زمخشرى.

(٥) احمد عبد الغفور عطار ـ مكانة الشاعر (مقدمة ثانية) لديوان أحلام الربيع.

(٦) آخر حديث ينشر مع الاديب طاهر زمخشرى ـ جريدة الرياض ٦ شوال ١٤٠٧هـ.

(٧) قصيدة الصباح الجديد فى تونس الخضراء ـ ديوان الافق الاخضر من مجموعة الخضراء.

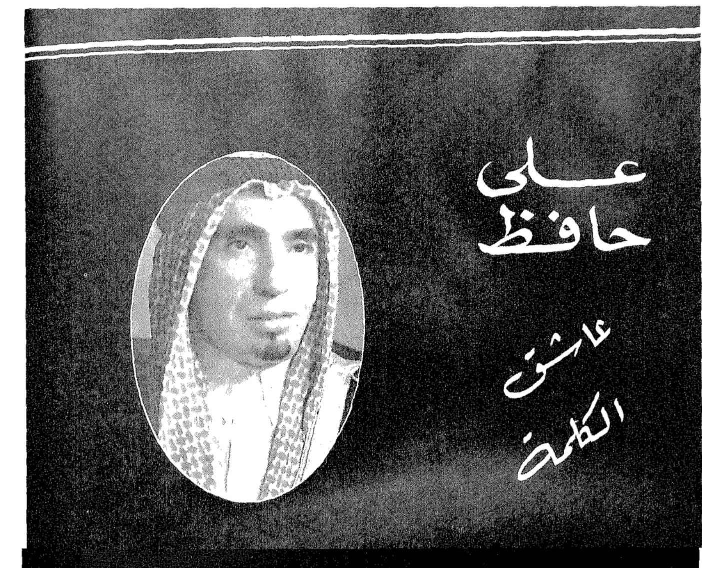
(٨) آخر حديث ـ الرياض ٦ شوال ١٤٠٧هـ

(٩) الشاعرة ثريا قابل ـ الرياض ٦ شوال ١٤٠٧هـ

(١٠) د. عبد الله الحامد ص٦٧

(١١،١٢) ابراهيم هاشم فلالى ـ المرصاد

(١٣) د. بكرى شيخ امين ـ الحركة الادبية فى المملكة العربية السعودية ص٢١١



■ استهواه الحرف، وتعمقت فى نفسه الكلمة واعطاها جهده وأولاهما علمه ومعرفته. . أنشأ مع أخيه عثمان حافظ أطال الله فى عمره - جريدة المدينة المنورة فى مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م واستجلبا لها مطبعة من مصر. . كانت أول مطبعة عرفتها الحجاز. . بدأت الجريدة اسبوعية ثم نصف أسبوعية ثم يومية بعد انتقالها الى جدة فى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

«**جريدة المدينة**» حلم ظل يراود الأخوين حملاه بين أعينهما - صحيفة تحمل بين صفحاتها علماً ومعرفة وتحتضن نتاج الشباب فى كتاباتهم واولى محاولاتهم وتأخذ بأيديهم الى الأحسن والأفضل وعلى صفحاتها تربى جيل ونشأت أجيال.

وظلا يصرفان على هذه الصحيفة وينفقان عليها من مالهما الخاص واشتركا فى ادارتها وتحريرها قرابة ثلاثين عاما حتى انتقل امتيازها الى مؤسسة المدينة للصحافة.

■ فى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م أسس السيد على حافظ - عليه رحمة الله - مع اخيه السيد عثمان حافظ - أطال الله فى عمره - مدرسة الصحراء فى المسيجيد التى تبعد ٨٣ كيلا من المدينة المنورة وهى اول مدرسة لتعليم ابناء البادية فى الجزيرة العربية فسلماها الى وزارة المعارف ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م وتخرج من هذه المدرسة المئات بل الآلاف ممن يتولون اعمالاً قيادية الآن فى المملكة.

وفيات الأعيان

■ واختير عضواً فى مؤتمر الأدباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٨م . وعضواً فى مؤتمر الصحافة الاسلامية الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى المنعقد فى قبرص الاسلامية عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وعضواً فى مؤتمر الاعلام الاسلامى المنعقد فى جاكرتا عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

● من مؤلفاته المطبوعة : «فصول من تاريخ المدينة المنورة» طبع عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م واعيد طبعه سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مع ملحق له يشتمل على أهم الاحداث التى جرت فى المدينة المنورة خلال ١٧ عاما هى الفترة الفاصلة بين الطبعتين الاولى والثانية وكتاب (سوق عكاظ) من منشورات المكتبة الصغيرة للاستاذ عبد العزيز الرفاعى وكتاب (اربعة ايام فى الباحة) وبحث فى حقوق (الانسان فى الاسلام) قدمه الى مؤتمر الصحافة العالمى فى طوكيو وترجم للانجليزية ومن كتبه المعدة للطبع (اضواء من تاريخ المدينة) وهى مجموعة احاديث قدمها للاذاعة السعودية ، ومجموعة مقالاته التى نشرتها له جريدة «المدينة المنورة» من عام ١٣٥٦هـ الى عام ١٤٠٥هـ (٣٦ـ١٩٨٥م) وبحث عن الاسلام فى شعر شوقى الذى قدمه لمؤتمر الادباء السعوديين الاول عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) وكتيب عن نخيل المدينة المنورة وديوان شعر باسم «اولادنا» .

● وخلال افتتاح مبنى جريدة «المدينة المنورة» بشارع الصحافة فى جدة عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م احتفلت مؤسسة المدينة للصحافة بتكريم مؤسسيها الأخوين السيد عثمان حافظ وقدمت لهما الصفحة الاولى من العدد الاول من جريدة «المدينة» محفوراً على الفضة يتوسطها صورة المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، بارزة بالذهب وهى اول صورة نشرت فى صحف السعودية ، كما اهدتهما رابطة العالم الاسلامى مصحفا شريفا من طباعة مكة المكرمة كما اهدتهما وزارة الاعلام كأسا من الفضة تقديرا لجهودهما الصحفية .

● وفى مؤتمر رؤساء البلديات والمجمعات القروية الذى اقامه وزير الشؤون البلدية والقروية فى المملكة العربية السعودية الشيخ ابراهيم العنقرى فى مدينة الخبر منحه ميدالية ذهبية ونوه بتكريمه على ما حققته البلدية من انجازات أثناء مدة عمله .

وهو الى جانب ذلك كله ، كان رائدا فى الخير والبر والمعروف وكان مكتبه سواء فى المقر الرئيسى للشركة السعودية للأبحاث والتسويق بجدة او مكتبه بدار الصحافة العربية فى لندن مفتوحا على الدوام لاستقبال ذوى الحاجات ورقيقى الحال الذين كان ـ رحمه الله ـ يواسيهم ويخفف عنهم بما يستطيع ويقدر ويزود الآخرين بخطابات وتوصيات لقضاء مصالحهم وحوائجهم لدى الدوائر والهيئات الرسمية .

رحمك الله واسكنك فسيح جناته

المنهل

وسيبقى للقديم أنصاره



من يقضون زهرة عمرهم وهم يسيرون فى الحياة على وتيرة واحدة لا يتناولها تغيير ولا يعتورها تبديل، وأمثال هؤلاء عندنا كثيرون، فالفرد منهم يمارس فى الغالب عملا معينا يقوم اليه فى صبيحة كل يوم «فى ساعة معينة» . . وينتهى منه كذلك فى ساعة معينة . . يخرج الى بيته حيث يقضى أوقات فراغه فى عمل متشابه كل يوم . . ومنهم من يقضى بقية نهاره فى مقهى أو مشرب يختاره لنفسه فلا يجلس إلا فيه - بل إن من هؤلاء من يحرص الحرص كله على أن يجلس دائما فى زاوية معينة من هذا المشرب أو من هذا المقهى - بل على نفس المائدة ومع نفس الأصدقاء الذين يرافقونه إليه كل يوم . .



الشمس كل صباح، وتغرب كل مساء، وصاحبنا هذا مثلها يتم دورته الاعتيادية فيعود من حيث أتى ليأتى من حيث عاد وتتكرر الأيام والشهور والأعوام، وهو لا يحيد قيد شعرة عن هذا النظام الذى اختطه لنفسه، ثم يصير نظامه هذا عادة يجد بعد حين أنه صار أسيرها .

أمثال هذا يكرهون الثورة على القديم والخروج من حظيرته لأنهم لا يجدون فى ذلك من العنت والمشقة ما يجده راغب التخلص من إسار العادة .

وهم لذلك أعداء كل جديد، لأن الجديد يحتاج لنشاط وهؤلاء قد جنحوا الى الدعة والكسل والخمول . . وعاشوا فى دائرة ضيقة محدودة النطاق . . وارتضوا لأنفسهم ان يبقوا فيها طول حياتهم لا يتعدونها ولا يجتازون حدودها لأن فى خارجها نوعا آخر من المعيشة

لم يألفوه ـ فيحدو بهم كسلهم ودعتهم وخمولهم أن يهابوه لأنه يتطلب منهم أن يروضوا انفسهم على نظم هذا العيش الجديد ـ وأنفسهم قد شاخت وهرمت ولم تعد صالحة لتلك الرياضة .



من هم على نقيض هؤلاء وغالبا ما يكونون : إما أغنياء أو فقراء ، ذلك :

■ لأن الغنى يكون له من سعة الرزق ما يدعوه أن يتنقل ويتقلب فى نظم مختلفة للمعيشة . . وأن يطلب الجديد دائما . وهو فى ذلك مدفوع بطبيعته الانسانية لأن الانسان يحب الجديد أينما كان ولا يثنيه عنه إلا ظروف خاصة .

■ وأما الفقير فهناك ما يحفزه على الرغبة فى الكسب فيضرب فى الأرض ويسير فى مناكبها يبتغى مورداً للرزق وقد يضطر اضطرارا أن ينتقل من حرفة الى أخرى ـ بل وأن يفارق وطنه يدفعه فى هذا السبيل الرغبة القوية فى الجهاد فى سبيل الحياة . . وقد كانت هناك قضايا عديدة أثارت جدلا بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، لعل فى مقدمتها قضية : «تعليم المرأة وعملها» .



أن هناك فئة أخرى من المحافظين الذين يخافون الجديد ويهابونه خوف الحرمان من منفعة شخصية يحول بينهم وبينها هذا الجديد . . والمجتمع العربى دائم التغيير والتحول بطبيعته منذ انحسار موجة الاستعمار . . وهو لما يبلغ قصارى ما يتمنى من التقدم حتى نقول : إنه لم يعد صالحا لقبول الجديد .

على أنا نعترف : بأن للقديم أنصاراً ينادون ويصيحون ويتغنون به ويمجدونه ولكن هذا لا يقعد النفوس الجياشة النزاعة التواقة لكل جديد عن المسير فى طريقها لأنه لا يرضيها أن تبقى عالة على ذلك القديم .

وهكذا تفنى صيحات أنصار القديم دائما وإن كان لها صدى حينا فإنها لا تلبث أن يطول بها النسيان .



أنصار القديم يعيد نفسه دائما وينتهى فى كل مرة بفشلهم واتباعهم للجديد بالرغم منهم . . ولكن وبالرغم من ذلك فسيبقى للقديم أنصار ما بقى العالم . . ليس لأن القديم فكرة يجب الاقتناع بها ولكن لأن العالم لن يعدم فى يوم من الأيام من يركن الى الدعة والخمول .

مسك الختام

د . أحمد الحفناوي

كشاف بيليوجرافي للموضوعات ـ العام ١٤٠٨هـ / ٨٧-١٩٨٨م

الموضوع	الكاتب	١٤٠٨هـ / ٨٧ / ١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
□ اجتماعيات :					
• عام					
أثر العادات والتقاليد على البنية الاجتماعية	د. محمد علي الملحم	رمضان / شوال ـ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٩٦ ـ ٩٩
الأم والأمومة	منى عباس	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٦٨ـ١٦٩
بين خضوع الحب وحب الخضوع	سهام حجي	رجب ـ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٦٥
تربية بالانتساب	رجل (يوسف أبو عواد)	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٧٠ـ١٧١
تزوجوا ولكن ...	بهية بوسبيت	ذو الحجة / يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٦٠
تناكحوا تناسلوا	حسن عبد الحي قزاز	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٠٦ـ١١٢
الثقافة وشبابنا اليوم	محمد علي الحريري	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	١٠٨ـ١٢٠
ثقب في جدار الألم	نبيه الأنصاري	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٦ـ٧
حتى لا يكون الطلاق هو الحل	عبد الإله محمد جدع	رجب ـ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٦٦ـ١٦٧
الشباب إلى أين	نبيه الأنصاري	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	٦ـ٧
شهوة الكلام	مصطفى عطار	رجب ـ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	٢٠٦ـ٢٠٧
العادات والتقاليد من منظور نفسي اجتماعي	د. عمر عبد الرحمن المفدى	رمضان / شوال ـ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١٠٦ـ١٠٩
في أصول تعليم الطفل	ليلى عبد السلام	صفر ـ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٨٩
المرأة في الإسلام	صالحة العتيبي	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٧٣
معلمة وتجربة	نوال عبد الحميد	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٦٧ـ١٦٨
مقومات الأسرة في الإسلام	أحمد الخزنجي	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١١٣ـ١١٧
نحو زواج موفق	ليلى عبد السلام	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	١٧٠ـ١٧٣
وضعية الشباب بين الأصالة والمعاصرة	علال البوزيدي	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	١٠٤ـ١٠٧
وللشباب نعود	نبيه الأنصاري	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	٦ـ٩
ولله في خلقه شئون	وديع صوالحة	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٧٢
• عادات وتقاليد					
ارتسامات حول بعض العادات والتقاليد المغربية	محمد بن عبد العزيز الدباغ	رمضان / شوال ـ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٣٠٠ـ٣٠٩
استهلال	نبيه الأنصاري	رمضان / شوال ـ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٤ـ٥

* (مج) : مجلد ، (ع) رقم العدد ، (ص ص) : صفحة

الموضــوع	الـكاتـب	١٤٠٨هـ / ٨٧/ ١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
إفطار الأطفال لدى الأتراك المسلمين	د. اورخان سيفي يوجه ترجمة أنور طاهر رضا	رمضان / شوال ــ أبريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٧٨ــ٢٧٩
تقاليد أفريقية وأخرى عربية	د. محمود سلام زناتي	رمضان / شوال ــ أبريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٨٦ــ٢٩٣
عادات بادت وتقاليد سادت	عاتق بن غيث البلادي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٣٦	٢٤٦ــ٢٥٣
عادات العرب وتقاليدهم	د. عبد العظيم الشبلي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٨ــ٣٥
عادات لابد من إحيائها	نور الدين توركاي / ترجمة د. / أنور طاهر رضا	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٣٦ــ٢٣٩
العادات والتقاليد في ضوء المكتسبات الحضارية والتوجهات المستقبلية	علال اليوزيدي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١١٠ــ١١٥
العادات والتقاليد .. منظور إقليمي أم قومي	د. سعيد الغامدي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٣٢ــ٢٣٥
العادات والتقاليد ومكانها من التراث الشعبي	د. عبد الحميد يونس	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٨٦ــ٩١
عالم النقش بالحناء	فاطمة نعيم / عرض وتحليل محمد بن محمد العلمي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١٣٨ــ١٤٥
القضاء العشائري في بلاد الشام	واصــف منصــور	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٥٤ــ٢٥٧
مراسيم فرق آمين	د. ادهم روحي فغلالي / ترجمة د. أنور طاهر رضا	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٨٠ــ٢٨٥
من عادات الأرادنة في أفراحهم	روكس بن زائد العزيزي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٥٨ــ٢٦٧
الموروث الشعبي بين الايجابي المؤيد والسلبي المرفوض	د. أحمد الحفناوي	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٧٠ــ٧٥
هل هناك عادات وتقاليد غابرة ندعوها	د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢٣٠ــ٢٣١
• أدب					
• عــام					
الأصالة والمعاصرة في شعر السنوسي	رابح لطفي جمعة	ذو الحجة ــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٧٦ــ١٨٠
تأملات حول الكتابة	د. شاكر عبد الحميد سليمان	صفر ــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٣٦ــ٣٩
تمرد الصعاليك على التقاليد العربية	د. علي علي صبح	رمضان/ شوال ــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	٦٢ــ٦٩
حوار مع نجيب محفوظ	حزين عمر	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	٨٤ــ٨٦
الزمخشري فقيد الشعر والكلمة	فتحي الدويك	ذو الحجة ــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٨١ــ١٨٧
الشعر ديوان العرب ومسجل العادات والتقاليد	د. كمال إسماعيل	رمضان/ شوال ــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	٥٢ــ٥٧
صلة الأدب بالعادات والتقاليد	د. محمد أحمد حمدون	رمضان/ شوال ــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	٣٦ــ٥١
العزلة مملكة الأفكار (فرانك كرين)	ثروت محمد يوسف	جمادى الثانية ــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	٨٠ــ٨١
علاقة الفن بالأدب	سعد الدين أحمد طه	صفر ــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	١١٢ــ١١٦
فلسطين في شعر عبد الرحمن صالح العشماوى	حلمي الخولي	ذو الحجة ــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	٧٢ــ٧٧
ما بين الأدب والذهب	أحمد جبر	جمادى الثانية ــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	٢٠ــ٢٢
موقف الشعر من الموروث الشعبي	عبد الله بن محمد بن خميس	رمضان/ شوال ــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	٥٨ــ٦١
يزهار سميلانسكي وعودة الوعي	شمس الدين العجلاني	صفر ــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٩٦ــ٩٧

الموضـوع	الكاتب	١٤٠٨هـ / ٨٧/١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
التفسير الإعلامي للأدب الجزائري	د. عبد العزيز شرف	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٥٢ـــ٦٤
التفسير السيكلوجي للإبداع	د. شاكر عبد الحميد سليمان	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٢٨ـــ٣٣
الحياة الأدبية في دمشق	محمد الفاكياني	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٤٢ـــ٥١
الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي (١)	د. علي جواد الطاهر	المحرم ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٤٢ـــ٤٨
الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي (٢)	د. علي جواد الطاهر	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٧٨ـــ١٨٣
الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي (٣)	د. علي جواد الطاهر	جمادى الثانية ـــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	٧٢ـــ٨٠
الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي (٤)	د. علي جواد الطاهر	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١١٠ـــ١١٧
الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي (الحلقة الأخيرة)	د. علي جواد الطاهر	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٩٠ـــ١٠٠
ديناميكية الايقاع في الكتابة الشعرية	أحمد يوسف	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٣٩ـــ٤٥
الشعر بين المدرسة العربية والمدرسة اليونانية	علي إبراهيم الملاح	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٣٨ـــ٤١
شعر المغازي في صدر الإسلام	محمود فاخوري	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٤٦ـــ٤٨
الشعر النسائي الحديث في مصر	د. سهام راشد عثمان	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٦٤ـــ١٦٨
غزليات ديك الجن	نادر صلاح الدين	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٧٤ـــ٧٩
فلسطين في شعر محمد حسن إسماعيل	د. عبد العزيز شرف	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١٠٠ـــ١٠٣
فوائد الإحساس بالنغم الشعري	د. جميل علوش	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٣٤ـــ٣٧
في القصة / القصيدة	سعيد مصلح السريحي	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٣٦ـــ٣٨
المجاملة في الأدب ونقده	وداد سكاكيني	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٦٦ـــ١٦٩
مزالق الأدب الحديث في القضايا الدينية	د. محمد حمدون	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٩٦ـــ٢٠٧
المساجلات في الشعر العربي	د. محمد عثمان الملا	جمادى الثانية ـــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	٢٣ـــ٣٣
المعارضة في الشعر	أحمد محمد العقيلي	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	٤٥ـــ٥٢
الموشحات الأندلسية	خالد بن جدية	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٨٠ـــ٨٦
• **دراسات نقدية**					
المثل الإسلامية عند ابن عبد ربه	د. عبد الباسط أحمد حمودة	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٧٨ـــ٨٢
المعجم الشعري تحديث لمعطيات النقد العربي القديم	د. فايز الداية	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٨٣ـــ٨٦
النقد العربي وغرض المديح	يحياوي رشيد	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	٧٠ـــ٧٧
• **رسائل أدبية**					
رسالة من بشار بن برد إلى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازي	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٨٠ـــ١٨٣
رسالة من نصيب إلى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازي	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٩٤ـــ١٩٧
رسالة من إبراهيم بن المهدي إلى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازي	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٧٤ـــ١٧٧
رسالة من ابن الأسود إلى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازي	جمادى الثانية ـــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	١٨٠ـــ١٨٣

الموضوع	الكاتب	١٤٠٨هـ/ ٨٧/ ١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
الإسلام والمدنية الحديثة	أبو الأعلى المودودي	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٢٨ـــ٤٣
الإسلام هو المنهل الصافي العذب	محمد حسن الريفي	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٢٤ـــ٢٧
إطلالة على مجمع الفقه الإسلامي	السماني كمال الدين	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٢٦ـــ١٣٠
الإنسان وعمارة الأرض	د. المهدي بن عبود	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٧٨ـــ٨٥
أين الإسلام في هذا الركام	محمد الغزالي	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٢٣ـــ٢٧
بين الحق والباطل	نبيه الأنصاري	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٤ـــ٥
التضامن الإسلامي وسائله وآثاره	د. صالح بن غانم السدلان	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٤ـــ١٧
تقاليد الأسرة بين الإسلام والمادية	د. محمد عبد المنعم خفاجى	رمضان/ شوال ـــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	٢٢ـــ٢٧
حتمية تطبيق شرع الله	د. صالح السدلان	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٨ـــ٢٢
قيمة الطاعة في الإسلام	سامي بدر خان	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١٩ـــ٢١
الحج دين على المستطيع	جمال تركي	ذو الحجة ـــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٠ـــ١٣
حركة المد الإسلامي والحفاظ عليها	عبد الله الداري	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٨٨ـــ٨٩
حساب .. الشهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية	محمد على بن حسين الحريري	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٢٦ـــ٣٣
حوار مع الدكتور عبد الله ابوزيد	السماني كمال الدين	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٦٨ـــ١٧٥
حول إعادة تشكيل العقل المسلم	د. محمد إبراهيم نجات	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٤ـــ١٧
حياتنا الروحية	وداد سكاكيني	رجب ـــ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١٦٠ـــ١٦٤
الدين القيم والفكر المستنير	د. السيد تقي الدين	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٢ـــ١٥
ربيع الحق وخريف الباطل	أنور الجندي	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٦٠ـــ٦٣
رسالة الدين الإسلامي	فاروق باسلامة	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٦ـــ١٧
سلوكيات خاطئة تحت ستار الدين	فاروق باسلامة	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٩٤ـــ٩٥
السنة الشريفة والعمل بها	د. الحبيب بلخوجة	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٠٢ـــ١١٧
الصيام طاعة وتحقيق للتوازن	محمد رجاء عبد المتجلي	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٢٢ـــ٢٥
العقيدة والقيم الأخلاقية	د. عبد الرحيم الرفاعي	ذو الحجة ـــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٤ـــ١٨
علل تكوين الأكوان في تصورات العقائد	هاشم دفتردار	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٩٨ـــ١٠١
العنصر الروحى	د. عبد الله بلفقيه	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٨ـــ٢٢
القرآن في مواجهة المادية	د. محمد البهي	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٦ـــ٢٣
الكتاب والسنة في مواجهة عادات الجاهلية	أبو تراب الظاهري	رمضان/ شوال ـــ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	١٦ـــ٢١
مثالية الإسلام	عبد الهادي بوطالب	شعبان ـــ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٨ـــ٢١
المسلمون بين حقيقة الدين وواقع الحياة	أحمد محمد جمال	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٥٦ـــ٥٩
المسلمون وتحديات المستقبل	د. رشدي فكار	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٦٤ـــ٧٥
ملامح من عقيدة السلف	أبو تراب الظاهري	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١١٨ـــ١٢١
من أثر ارتباط اللغة بالقرآن الكريم	د. رياض حسن الخوام	صفر ـــ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٨ـــ٢١
الموانع الوهمية والحقيقية	محمود عطية	جمادى الثانية ـــ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	١٤ـــ١٧
النبي الخاتم والدين الكامل	أبو الحسن الندوى	الربيعان ـــ أكتوبر/ نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٤٤ـــ٥٤
واقع الدين اليقيني	هاشم محمد سعيد دفتردار	ذو الحجة ـــ يوليو/ أغسطس	٤٩	٤٦٤	٦ـــ٩
الهجرة خواطر وآمال	عاطف زهران	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٤ـــ١٧
• تشريع					
فتاوي شرعية	صالح اللحيدان	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١١٨ـــ١٢٠

الموضوع	الكاتب	١٤٠٨هـ/ ٨٧/ ١٩٨٨م	مج	ع	ص ص
لقطات	التحرير	رجب ـ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١٠ـ١٣
لقطات	التحرير	شعبان ـ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٨ـ١٣
لماذا يحاربون التراث	د. إبراهيم حركات	شعبان ـ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٤٠ـ٤٢
لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في الوطن العربي	عبد القادر الخلادي	رمضان/ شوال ـ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	١٤٦ـ١٥٥
متابعات ثقافية	التحرير	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٢٠٠ـ٢٠٥
متابعات ثقافية	التحرير	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	١٨٨ـ٢٠١
متابعات ثقافية	التحرير	جمادى الثانية ـ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	١٨٨ـ١٩٩
متابعات ثقافية	التحرير	رجب ـ فبراير/ مارس	٤٩	٤٦١	١٩٦ـ٢٠٥
متابعات ثقافية	التحرير	شعبان ـ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٩٦ـ٢٠٥
المستجدات في محاولات الغزو الثقافي الصهيوني	د. نافع محمد الحسن	جمادى الثانية ـ يناير/ فبراير	٤٩	٤٦٠	٩٤ـ٩٨
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	صفر ـ سبتمبر/ أكتوبر	٤٩	٤٥٧	٣٠ـ٣١
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	جمادى الثانية / يناير	٤٩	٤٥٩	٢٨ـ٢٩
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	شعبان ـ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	٤٤ـ٤٥
من أبنية العمارة الإسلامية (الحمامات)	الحسن السائح	رمضان/ شوال ـ ابريل/ مايو	٤٩	٤٦٣	١٥٦ـ١٥٧
هل يمكن أن يستمر نجاح الأديب	بهية بوسبيت	شعبان ـ مارس/ ابريل	٤٩	٤٦٢	١٧٠ـ١٧٢
• تعقيبات وتصويبات :					
الأرقام العربية	د. محمد بن صالح الجاسر	صفر ـ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	٢٠٤ـ٢٠٥
أزمة الكتاب وندرة القراء	محمد على قدس	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	٢٠٦ـ٢٠٧
تحقيقات عرضية	د. علي جواد الطاهر	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٨٤ـ١٨٥
تحقيقات عرضية	د. علي جواد الطاهر	صفر ـ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	٢٠٠ـ٢٠١
تحقيقات عرضية	د. علي جواد الطاهر	جمادى الأولى / يناير	٤٩	٤٥٩	٢٠٤ـ٢٠٥
تحقيقات عرضية	د. علي جواد الطاهر	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	١٨٤ـ١٨٥
قراءة في القصيدة الجاهلية	مقبل بن عبد العزيز العيسى	صفر ـ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	٢٠٢ـ٢٠٣
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٨٦ـ١٨٧
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	صفر ـ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٩٨ـ١٩٩
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	جمادى الأولى / ينساير	٤٩	٤٥٩	٢٠٢ـ٢٠٣
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	جمادى الثانية / ينساير	٤٩	٤٦٠	١٨٦ـ١٨٧
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	رجب ـ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٧٨ـ١٧٩
قيد الصيد	أبو تراب الظاهري	شعبان ـ مارس / ابريل	٤٩	٤٦٢	١٩٤ـ١٩٥
□ جامعات ومعاهد :					
• عام					
أكاديمية المملكة المغربية	عبد الله كنون	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١١٨ـ١٢٦
جامعة الخليج العربي	نبيه الأنصاري	جمادى الثانية ـ يناير / فبراير	٤٩	٤٦٠	١٤٥ـ١٦٣
معهد المخطوطات العربية بالكويت	د. خالد عبد الكريم جمعة	ذو الحجة ـ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٣٧ـ٤١
معهد المخطوطات العربية	قاسم الخطاط	ذو الحجة ـ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٣٠ـ٣٦
□ طب وصيدلة :					
• عام :					
الاعجاز في خلق الإنسان	د. صادق الهلالي	ذو الحجة ـ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٥٢ـ٥٩
عظام الإنسان وسنوات العمر	واصف عبد الحليم عبد الله	ذو الحجة ـ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٦٠ـ٦٤

الموضوع	الكاتب	١٤٠٨هـ / ٨٧ / ١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
المشاكل الصحية في السفر الجوي	د. عماد ابراهيم الخطيب	ذو الحجة ــ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٦٤ــ٦٧
○ علوم :					
• عام • حشرات					
•طبيعة •عضوية					
حول آية المن التي وردت في القرآن الكريم	د. كارم السيد غنيم	شعبان ــ مارس / ابريل	٤٩	٤٦٢	٣٤ــ٣٩
أمراض نحل العسل	واصف عبد الحليم عبد الله	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٥٢ــ١٥٧
براكين ثائرة على الأرض والكواكب	شكري عبد السميع	شعبان ــ مارس / ابريل	٤٩	٤٦٢	١٨٨ــ١٩٣
المركبات العضوية	محمد بن عبد الرحمن	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٥٨ــ١٦٤
□ الفن :					
• عام					
البديل الإسلامي	درفوفي أحمد فريد	صفر ــ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١١٩ــ١٢٤
البعد الخامس	عمر النجدي	صفر ــ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١١٧ــ١١٨
بنيالي الاسكندرية	محمد الشرقاوي	صفر ــ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٤٢ــ١٥٠
ذكريات فنية	د. مصطفى الصاوي الجويني	صفر ــ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٢٥ــ١٤١
• موسيقى					
التراث الموسيقي والموروث الموسيقي دلالات وخواص	د. طارق حسون فريد	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١٩٢ــ٢١٤
الصناعات التقليدية للآلات الموسيقية	عبد العزيز بن عبد الجليل	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٢١٦ــ٢٢٩
• الفن الشعبي					
المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة	التحرير	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١٧٤ــ١٨١
□ الكتب :					
حسن المحاضرة للسيوطي	د. محمد عبد المنعم خفاجي	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٨٨ــ١٩٣
القدس عربية إسلامية (تأليف د. سيد فرج)	د. مصطفى كمال عبد العليم	صفر ــ سبتمبر / اكتوبر	٤٩	٤٥٧	١٠٢ــ١٠٩
مجلة المنهل وأثرها على النهضة	د. أحمد الفناوي	المحرم / سبتمبر	٤٩	٤٥٦	١٩٤ــ١٩٧
□ اللغة :					
بين فقه النجاة ونحو الفقهاء	د. بكري عبد الكريم	رجب ــ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٤٠ــ١٤٥
تقويم لغة لوحات الإعلان والإرشاد	د. حمّاد حمزة البحيري	شعبان ــ مارس / ابريل	٤٩	٤٦٢	١٥٦ــ١٦١
اللغة بين التوحد والانقسام	محمد السيد علي بلاسي	رجب ــ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٥٣ــ١٥٨
مجمع اللغة العربية الأردني	د. عبد الكريم خليفة	ذو الحجة ــ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	٢٠ــ٢٩
محاربة اللغة العربية وأثرها على الفكر الإسلامي	د. علي علي صبح	رجب ــ فبراير / مارس	٤٩	٤٦١	١٤٦ــ١٥٢
□ مذاهب وفرق :					
البابية والبهائية غرس الصهيونية	التحرير	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٦٢ــ١٦٩
البهائية وعلم النفس التجريبي	د. عبد العزيز شرف	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٧٠ــ١٧٣
تأملات في حركات التنصير في الوطن الإسلامي	د. عبد الصبور شاهين	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٥٦ــ١٦١

الموضوع	الكاتب	١٤٠٨هـ / ٨٧ / ١٩٨٨ م	مج	ع	ص ص
الشيوعية كفر وإلحاد	التحرير	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٥٠ــ١٥٤
الماسونية والقاديانية دعاوي باطلة	عبد الرحيم بن سلامة	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	١٤٢ــ١٤٥
□ **معـادن :**					
الذهب في التراث العربي والإسلامي	د. علي شفيق	ذو الحجة ــ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٣٤ــ١٣٩
مسيرة الحديد عند العرب	د. أحمد سعيد الدمرداش	ذو الحجة ــ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٤٠ــ١٤٥
معادن الفضة والذهب في بلاد العرب	حمد الجاسر	ذو الحجة ــ يوليو / أغسطس	٤٩	٤٦٤	١٤٦ــ١٥٧
□ **وسـائل الإعـلام :**					
العادات والتقاليد ومقومات الرأي العام	د. سهير جاد	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	١٠٠ــ١٠٥
الوسائل الإعلامية وأثرها على الفكر الإسلامي	د. علي علي صبح	الربيعان ــ اكتوبر / نوفمبر	٤٩	٤٥٨	٢٠٨ــ٢١٣
وسائل الإعلام وهندسة العادات والتقاليد	د. عبد العزيز شرف	رمضان / شوال ــ ابريل / مايو	٤٩	٤٦٣	٨ــ١٥

نتيجة مسابقة أرامكو السنوية التاسعة لرسوم الأطفال

وَقعَ اختيار لجنة التحكيم على مائة وثمان وأربعين لوحة بزيادة ثمان وأربعين لوحة على ما أعلن سابقاً، وذلك من بين ستة آلاف لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن كثير من الأصالة والاتقان.
لقد زيد عدد اللوحات المختارة نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتسامها بالجودة والجمال، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تمّ الاتصال برقياً بأصحاب اللوحات المختارة وسلّمت معظم الجوائز. وبهذه المناسبة يطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لمساهمتهم في إنجاحها وإظهارها بهذا المظهر الجيد، كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.
والله وليّ التوفيق.

فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة:

إبراهيم عبد الله بن ابراهيم الشويعر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أحمد خالد خليل البيكاوي
مدارس الإيمان الخيرية - الملز - الرياض

أحمد راشد الدوسري
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

أحمد عبد العزيز المسفر
مدرسة عداس الابتدائية - الطائف

أحمد عبد الوهاب إبراهيم
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

أحمد محمد عاكف
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد محمد عبد الله غازي
مدرسة جيل الفيصل النموذجية - فرع الجامعة - جدة

أحمد منير ناصر آغا
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

أدي منصور
مدرسة الظهران - الظهران

أريج أبو علي
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

إسحاق جميل تركماني
مدرسة متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل الصناعية

أسماء أحمد رأفت علي عبد المنعم
مدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - النسيم - الرياض

إقبال محمد كمال رشدي فرشان
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

الجوهرة محمد عبد العزيز الشهيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

العنود فهد سليمان محمد آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

آمال بادحدح
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أماني زكريا رضوان محمود
المدرسة الثامنة الابتدائية للبنات - الطائف

أمين بن صالح بن أحمد بن ناصر
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

إيفا بديع يعقوب اسحق
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

إيمان عبد العزيز المنقور
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أيمن علي المهدود
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

بدر بافيل
مدارس دار الفكر - جدة

بدر نزال الشمري
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

بدور عبد الله الثقفي
المدرسة ٤٣ الابتدائية للبنات - الطائف

بلال إسماعيل محمد سعيد بدران
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

بلقيس حسن السبع
المدرسة الابتدائية الخامسة - سيهات

تركي باخيضر
مدارس دار الفكر - جدة

تركي حسين عباس
مدرسة عمرو بن العاص - حفر الباطن

حسام درويش عبد الجليل
مدرسة الأبناء المتوسطة - حفر الباطن

حسناء العوفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

حمد محسن رويشد
مدرسة عمرو بن العاص - حفر الباطن

خالد إبراهيم محمد الحميد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد أحمد عبد المعطي الجنيد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد محجوب محمد
مدرسة روضة لهباس الابتدائية - عرعر

خلدا علي محمد العواجي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خلود الراشد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

دانه عبد العزيز صالح الجربوع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رائد عبد الله أبو عزيز
مدرسة الشاطئ - القطيف

رايده رشاد فواد رضاء
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رنا أحمد عبد الله الحنطي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رذاذ حبيب أبو الحمائل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

رولا عبد الرحيم واكد أبو عقلين
المدرسة الحادية عشر المتوسطة للبنات - الطائف

ريم مبارك الدوسري
المدرسة الثانية الابتدائية للبنات - الثقبة

زهير سلمان المزين
مدرسة الخويلدية الابتدائية - القطيف

سائر عوض عائض السواط
مدرسة حطين المتوسطة - الطائف

ساره بابان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ساره بكر عبد الله ابو الخير
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سديم منير القاضي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

سعد برد قاعد العنزي
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

سعود سعد عبد الله القويزاني
العضيلية - أرامكو

سعود سعد عبد الله بن دريس
مدارس الرياض للبنين - الرياض

سعيد عيسى الشرقي
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

سناء اسماعيل ابراهيم كمال
مدرسة الوكرة

سيرين الحمامي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

شادي ماجد حيدر
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف

شدا الدهش
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

شريف فتحي عبد العاطي
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف

شريف محمد مجدي
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف



(PRI-6-88)

شمس رضي الشماسي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

صفية أحمد محمد موسى
المدرسة السابعة الابتدائية للبنات - مكة المكرمة

طارق إبراهيم المطرف
مدارس الظهران الأهلية - الظهران

طارق بشناق
مدارس دار الفكر - جدة

عادل علي جساس
مدرسة الخويلدية الابتدائية - القطيف

عافل راضي حمد العنزي
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

عاليه عبد الملك آل الشيخ
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

عبد الرحمن ابراهيم المديميغ
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

عبد الرحيم عتيق الرفاعي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

عبد الله المهوس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عبد الله عبد العزيز السعوي
مدرسة المعتصم بالله - عرعر

عبد الله موافق عبيد الله
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

عبير محمد أحمد رشاد
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

عثمان عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي
مدرسة تحفيظ القرآن الابتدائية - بالجرشي

عزيز هريسان مصلح العنزي
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

علا حسني علي حسان
المدرسة الابتدائية السادسة - عرعر

علا حمدي علي الحمد
حي الشفا - الرياض

علي فرحان نافع
مدرسة عمر بن الخطاب - الحرس الوطني - الرياض

عمر سليمان نمر ديب ضبان
مدارس الرياض للبنين - الرياض

عهود فهد سعد عثمان
مدارس الرياض للبنات - الرياض

عويده هارون محمد عبد الله
المدرسة ٧١ للبنات - مكة المكرمة

عيد هليل العنزي
مدرسة الرشاد - حفر الباطن

غادة عبد الرحمن عبد العزيز العريفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

غالية نزيه عابدين
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

غدير أسلم باسنبل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

فادي حسن كفري
مدرسة العويقيلية المتوسطة - عرعر

فارس عبد العزيز صالح أبا الخيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فاطمة حسن البنا محمود
روضة جمعية البر - الأحساء

فايز سريان العنزي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - عرعر

فايز عبد الرحمن سعيد سالم
مدرسة الساعدية الابتدائية - عرعر

فهد سعد محمد عبد العزيز
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فهد عبد العزيز إبراهيم البراهيم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فواز فرحان عبيد الشمري
مدرسة المركوز الابتدائية - عرعر

فواز علي رويحل الشمري
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

فواز محمد الدخيل
مدرسة طريف المتوسطة - عرعر

لافي محمد بطيحي
مدرسة الصفيري الابتدائية - حفر الباطن

لولوه إبراهيم محمد العواجي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

لولوه فاروق
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ليلى عبد الرحمن محمد البنيان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

لينه الكردي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ماجد الصويغ
المدرسة النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

ماجد صالح العطيوي
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر

ماجد عبد الهادي
مدرسة فلسطين الابتدائية - الجوف

ماجد علي الجمعان
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

مازن عبد الله سليم زين
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

مؤيد خليل عبد الوهاب الهبول
مدرسة ابن زيدون الابتدائية - تبوك

مبارك فواز
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

محمد أحمد محمد نوري مارديني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمد سعد القحطاني
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل الصناعية

محمد سمير العنزي
المدرسة المتوسطة الثالثة - حفر الباطن

محمد عابد عمر التلمساني
المدرسة النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

محمد عبد الله مجاهد
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

محمد عتيق الرفاعي
مدرسة الملك خالد الابتدائية - ينبع

محمد فارس عبد الله المرزوق
مدرسة الأرجام الابتدائية - الأرجام

محمد محمود عبد الله إبراهيم
مدرسة المثنى بن حارثة الابتدائية - رفحاء

محمد مهيل سلمي
مدرسة سهيل بن عمرو المتوسطة - ينبع

محمد مويزر الحربي
مدرسة طارق بن زياد الابتدائية - جدة

محمد يوسف عبد الله جمل الليل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمود حسين فياض
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مرشد فياض سعيد
مدرسة عبد الرحمن بن عوف الابتدائية - طريف

مشاعل محمد عبد الرحمن الرشيدان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مصعب صالح عبد الهادي العمري
مدارس الرياض للبنين - الرياض

معاذ عبد العزيز الخليوي
مدرسة الحويلات الابتدائية للبنين - الجبيل

معن يوسف حامد
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

مها أحمد السيد محمد البطراوي
المدرسة الخامسة للبنات - الطائف

مها شمس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مها محمود مسفر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ميس وضاح صبري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ناديا العيدروس
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

ناشي وادي
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

نايف عبد الكريم البديوي
مدرسة فلسطين الابتدائية - الجوف

نايف محمد علي السعدي
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عرعر

نايف مضحي خالد الرويلي
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

نجود عمر محمود أبو شيخة
مدارس دار الفكر للبنات - جدة

ندى خورشيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

نشأت مراد خشيفاتي
مدرسة أبي محجن الثقفي المتوسطة - الطائف

نوره عبد العزيز الحسيني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نيفين عبد الراضي محمد سعد الله
المدرسة العاشرة الابتدائية للبنات - الدمام

هالة مصطفى حسن رازيان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هاني فاروق أحمد سيد
مدرسة المثناه الابتدائية - الطائف

هبة أحمد نظيم عبد الرحمن سليمان
المدرسة الخامسة الابتدائية للبنات - الطائف

هديل أحمد تركي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هويدا محمد أمين صالح تركستاني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هيازع أحمد محمد عسيري
مدرسة أبي محجن الثقفي المتوسطة - الطائف

وائل محمد سالم حسين معمر
مدرسة سهيل بن عمرو - ينبع البحر

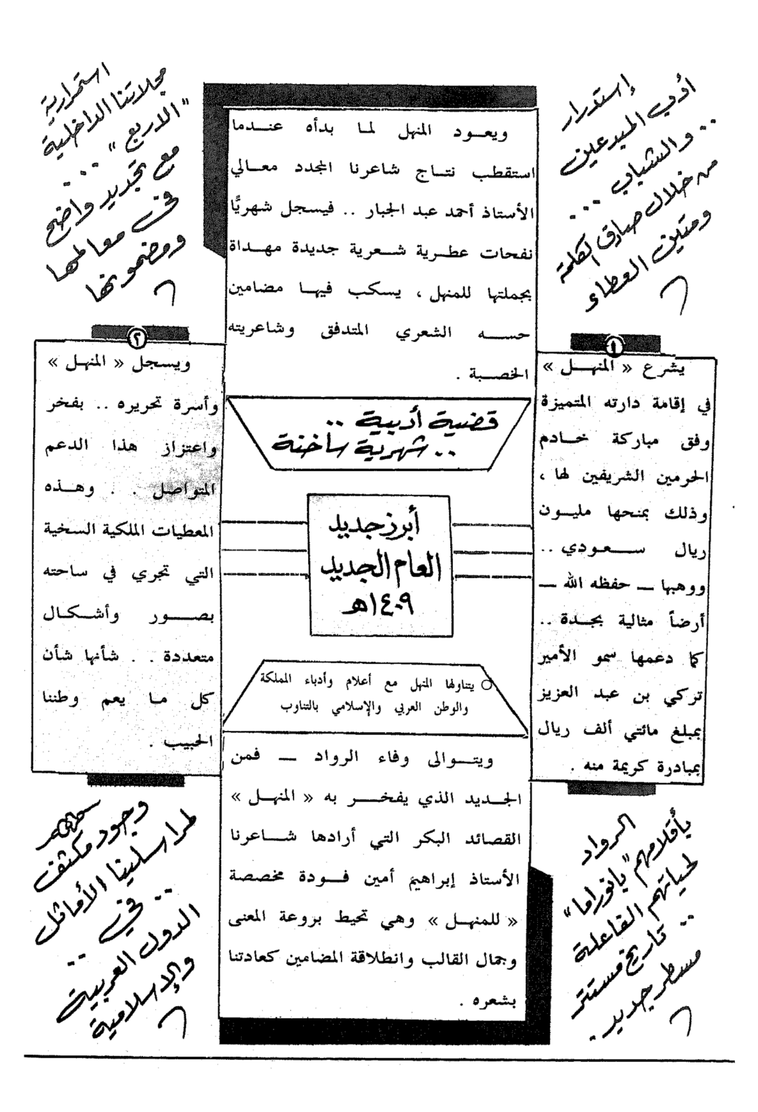
واصل عارف موسى الغامدي
مدرسة أحد الابتدائية - الدمام

ولاء السيد إبراهيم داود
مدرسة اليمامة الأهلية للبنات - الرياض

ياسمين محمود محمد محمود
مدارس الجزيرة الأهلية - الملز - الرياض

يحيى عبد الله البطران
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

يوسف أحمد باحمده
مدرسة تحفيظ القرآن الكريم - عرعر



قضية أدبية .. شهرية ساخنة

أبرز جديد العام الجديد ١٤٠٩هـ

○ يتناولها المنهل مع أعلام وأدباء المملكة والوطن العربي والإسلامي بالتناوب

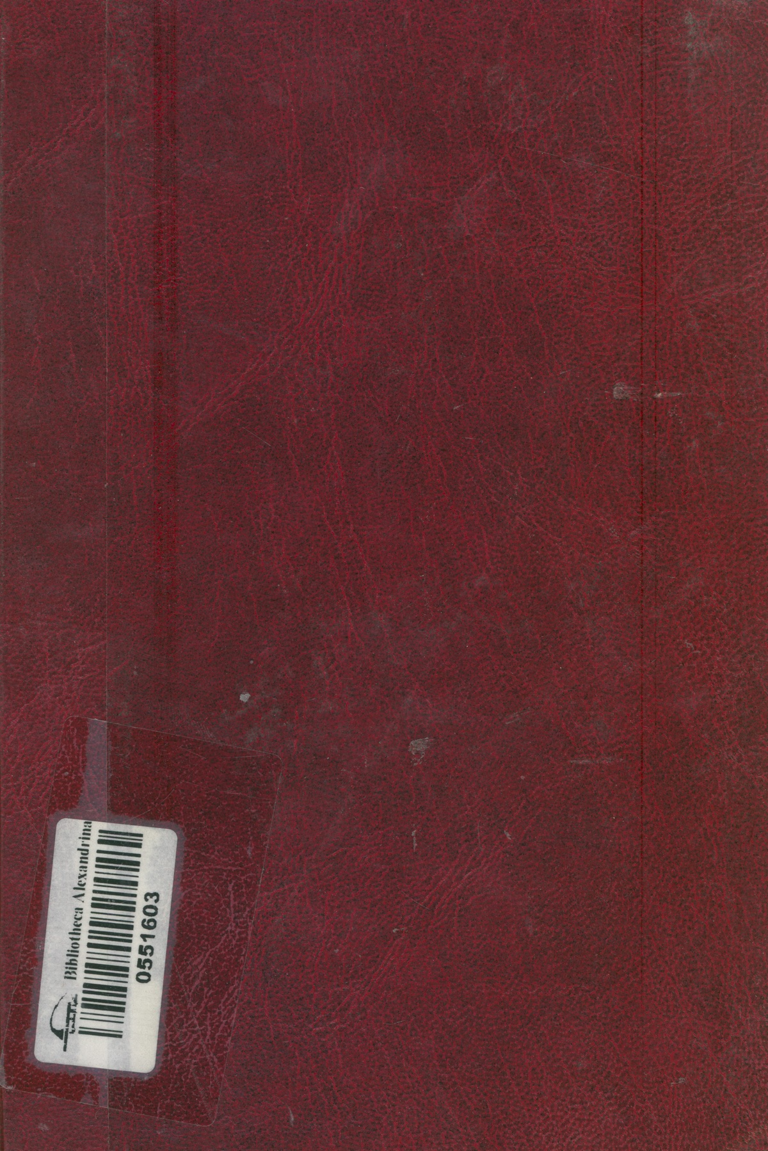
(١) يشرع « المنهل » في إقامة دارته المتميزة وفق مباركة خادم الحرمين الشريفين لها ، وذلك بمنحها مليون ريال سعودي .. ووهبها — حفظه الله — أرضاً مثالية بجدة .. كما دعمها سمو الأمير تركي بن عبد العزيز بمبلغ مائتي ألف ريال بمبادرة كريمة منه .

(٢) ويسجل « المنهل » وأسرة تحريره .. بفخر واعتزاز هذا الدعم المتواصل . . وهذه المعطيات الملكية السخية التي تجري في ساحته بصور وأشكال متعددة . . شأنها شأن كل ما يعم وطننا الحبيب .

ويعود المنهل لما بدأه عندما استقطب نتاج شاعرنا المجدد معالي الأستاذ أحمد عبد الجبار .. فيسجل شهريًا نفحات عطرية شعرية جديدة مهداة بجملتها للمنهل ، يسكب فيها مضامين حسه الشعري المتدفق وشاعريته الخصبة .

ويتوالى وفاء الرواد — فمن الجديد الذي يفخر به « المنهل » القصائد البكر التي أرادها شاعرنا الأستاذ إبراهيم أمين فودة مخصصة « للمنهل » وهي تحيط بروعة المعنى وجمال القالب وانطلاقة المضامين كعادتنا بشعره .


عيد سعيد
بمناسبة حلول العيد السعيد يطيب لشركة أرامكو ان تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم أعاده الله على الجميع باليمن والبركات
أرامكو
(PRS-1-88)


Bibliotheca Alexandrina
0551603